النهر الخالد

وهو كتاب عن حياة

شاعر الشرق والسلام العلامة محمد اقبال

تاليف

الدكتور جاويد اقبال

النهر الخالد

تعريب

الدكتور ظهور أحمد أظهر

مراجعة و تصويب

الدكتور عبداللطيف سهيل الخياط

النهر الخالد

بسم الله الرحمن الرحيم

النهر الخالد

مجلة

إقباليات

كلمة المترجم

هذا الكتاب الأغر بين يدى القارى الكريم عن حياة اقبال و فكره و شعره قد ألفه نجله الدكتور(جاويد اقبال، رئيس القضاء العالى في اقليم بنجاب بلاهور) وهو يمتاز بين جميع المؤلفات التي ظهرت حتى الان عن حياژ الشاعر الفيلسوف الاسلامي و شعره و فكره بلكثير من المزايا- وعلى راسها ان هذا الكتاب يستوعب جميع الجوانب من حياة الشاعر وفكره و شعره على وجه التفصيل والاسباب- ومن بين هذه المزايا الكثيرة ان المؤلف الفاضل قد استطاع ان يستفيد استفادة شاملة مباشرة من المعلومات التي لم يطلع على كثيرشا غيره من الباحثين والمؤلفين التي لم يكن من الممكن الاحد منهم ان يتوصل اليها فضلا من ان يستفيد منها وذلك بحكم كون المؤلف من اسرة اقبال و خلفه الرشيد مما جعله يتطرق الى جميع المعلومات التي كانت لدى اعضاء الاسرة المهتمين بأمر اقبال و شعره و فكره-

ومن بين المزايا الكثيرة التي يمتاز بها هذا الكتاب الاغر هو اسمه (زنده رور) او (النهر الخالد) وقد حقق المؤلف الفاضل البراعة والابتكار في اختيار هذا الاسم، استعار الشاعر هذه في سرد القصة الشعرية الرائعة اقبال هو حقاً النهر الخالد و حقا سمي ديوانه هذا بالرسالة الخالدة- اما نجل اقبال (الدكتور جاويد اقبال) فقد اختار هذا الكلمة لكتون اسما لكتابه حياة والده الشاعر الفيلسوف المسلم العلامة محمد اقبال رحمه الله و ان هذا الكتاب الاغر لابد وان يكون كتابا خالدا و حتى يكون نصيب من اسمه فالكتاب خالد والكلمة خالدة و قد وردت في ديوان خالد لشاعر خالد!

ومن المزايا التي يمتاز بها هذا الكتاب الاغر هو ان مؤلفه الفاضل ابن بار وخلف رشيد للشاعر الفيلسوف المسلم- فقد عاش المؤلف الفاضل مدة في حجر تلك الشخصية الاسلامية العالمية البارزة طفلا فنال من شفقتها و حبها و حنانها كما انه حظي بقدر واسع من التعليم والتربية احضانه الابوية و تحت رعايته الدينية المتحمسة وهو صبي مراهق قد اخذ يطل على الرشد وبدأ يتعلم ويكتسب

من المعارف ويتزين بالآداب-

فهذه هي بعض المزايا التي يمتاز بها هذا الكتاب الأغر وذلك مما جعل هذا المترجم يلبي دعوة القائمين بالخدمة العلمية (بآكاديمية اقبال) رغم انه لا يحب ان يقوم بالمهمات الكبيرة الشأن كهذه وذلك لانه لا يرى نفسه اهلا(بذلك كما انه لا يملك من الكفاءة الكافية التي تؤهل الانسان ان يضلع بمثل هذا المهمات الادبية العظمية) اضف الى ذلك ما رزق به المترجم من الحب الصادق القوى للشاعر الفيلسوف الاسلامي الفذ واعجابه الكبير بفكره وشعره وذلك مما جعله يقوم بمهمة التعريب- فان هذا المترجم اذا كان معجبا بشاعر من الشعراء فانه معجب اكبر اعجاب بشاعر الاسلام محمد اقبال واذا كان يحب مصلحا دينيا من المصلحين المسلمين فانه اشد حبا لهذا المصلح الاسلامي العظيم الذى كرس حياته للامة الاسلامية و مستقبلها الزاهر المجيد!

والواقع ان اقبالاً هو الشاعر الفيلسوف الاسلامي الذى ادرك معاني الشريعة و مفاهيمها و تعمق في الآيات القوانية والاثار النبوية واستخرج منها اللآلي والجواهر من المعاني وابتكر من الافكار والآراء التي لم يسبقه اليها احد من الشعراء الفلاسفة الاسلاميين- وحقا كان اقبال من القادة الافذان والزعماء المسلمين الكبار الذين كرسوا حياتهم من اجل النهضة الاسلامية ومصالح الامة المسلمة والذين ضحوا بالنفس والنفسير في سبيل ذلك-

ان اقبالاً كان من هؤلاء الافذاذ الخالدين الذين قلما يجود بهم الزمن، وان الصلة بهؤلاء الافذاذ الخالدين مهما كانت واهية و تافهة فانها لاشك من الصلات الخالدة التي الافذاذ الخالدين من وجه الزمان و من صفحات التاريخ البشرى- ولا تستطيع ان تأتي على آثارهم او صلاتهم بالناس- اذن فكل سلة مهما كانت واهية تافهة بهؤلاء الا فذاذ اذ الخالدين فهي صلة قوية خالدة وان كل من ررق بهذه الصلة فقد رزق بشئ من الخلود وذلك مما جعل المترجم يلبي دعوة الداعين الى تعريب هذا الكتاب الاغر ويهتم بترجمته الى لغة الناطقين بالضاد ولغة الامة الاسلامية ولغة القران الكريم ولغة رسول الله صلى الله عليه وسلم راضيا مسرورا مفتخرا بذلك-

اما عن صلة اقبال بالعروبة والعربية فحدث ولا حرج لا نها صلة قوية عميقة كصلته القوية العميقة برسول صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من الشريعة الاسلامية الفراء فان اعجاب اقبال بالامة العربية كان كيرا جدا انه كان معجبا

بهذا الشعب العظيم شعب رسول الله صلى الله عليه وسلم والشعب الرئد في سبيل الحق وفي سبيل رسالة الله الخالدة- ان اقبالاً كان معجبا اشد ما يكون الماضي المجيد للشعب العربي العظيم كما انه كان يؤمن ايمانا قويا بالمستقبل الزاهر لهذا الشعب العظيم- ولقد كان اقبال يرى اقبال ان الامة العربية قد حملت رسالة الله وبلغتها الى كافة الناس في مشارق الارض و مفاربها وان جميع العزة والكرامة التي اكتسبتها هذه الامة العظيمة انما ترجع الى فضل الرسالة الاسلامية ان الله عزوجل قد اعزل العرب واكرمهم بالاسلام وانه سوف يعزهم ويكرمهم بالاسلام كذلك- ان اقبالاً كان يؤمن بان هذه الامة العربية التي افترقت كلمتها ومزقتها الاعداء فقسمتها الى احزاب و فئات والى دويلات صغيرة انما هي ظاهرة مؤقتة لابد ان تنتهي يوما وانه لابد لها ان تخرج يوما حاملة رسالة الله الخالدة كما كانت قد خرجت وهي تحمل راية هذه الرسالة الخالدة- فان البشرية اليوم في اشد حاجة الى هذه رسالة الخالدة كما انها كانت في اشد حاجة اليها حين انبثق نور الفجر الاسلامي من حراء-

ان اقبالاً كان يرى ان الامة العربية الاسلامية قد بقي لها دور سوف تقوم به ولكنها لن تقوم بدورها هذا ولا يمكن لها ان تقوم به الا اذا عادت الى الشريعة الفراء والرسالة الخالدة التي وحدت بين القبائل العربية المتشاجرة المتناحرة فكونت منها امة قوية قاهرة تلك القبائل التي لم تكن امة عربية قبل الاسلام، وان عروبة البلاد الواسعة ترجع الى بركة الاسلام وان الامة العربية لم تزل امة قائدة سائدة ما دامت تحمل راية الاسلام وانتهى العرب كامة يوم سقطت هذه الراية من ايديهم وان الامة العربية اذا ارادت ان تستعيد مجدها الذاهب وان تمهد لها طريق التقدم والعز والمجد والمستقبل الزاهر فان ذلك لايمكن الا بالرجوع الى منابع الشريعة الفراء وتطبيقها في الحياة العلمية- اما بدون الرجوع الى الاسلام فليست هي امة عربية موحدة فضلا من ان يكون لها دور علمى في الحياة البشرية المعاصرة-

ان اقبالاً قد غنى بامجار العرب اكثر مما غنى بامجاد اية امة اخرى من بين الامم الاسلامية كلها- ان ابطال اقبال في فكره و شعره هم اسلاف الصالحون من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين اتبعوهم باحسان من التابعين ومن تبعهم- ان اقبالاً كان يختار هؤلاء الابطال من الصحابة والتابعين فيجعل منهم موضوعات لفكره و شعره و كان يتناول في شعره الجوانب البارزة من سيرهم واخلاقهم ليجعل منهم قدوة للجيل المسلم الناشئ المعاصر وكان دائما يلح الاجيال المسلمة الناشئة ان يقتدى بهم في كل مجال من مجالات الحياة العملية كما

انه كان يلح دائما على الشباب السملم ان يتخذوا سير هؤلاء الابطال اسوة لهم ويتبعوهم في حم رسالة الله و تبليغها الى كافة البشر وان يقومو بدورهم في بناء المجتمع البشرى الفاضل الذى دعا اليه الاسلام كما قام سلفهم الصالح بالدور البناء من اجل المجتمع الصالح الاسلامي النموذ جي- والدارس لشعر اقبال و فكره يرى انه كان ينتاول الشخصيات البارزة من قواد الصحابة و زعمائهم فيستغل الجوانب الخاصة من سير هؤلاء الابطال فيصورها تصويرا جميلا ويبرزها ابرازا جليا ثم يقدمها للجيل المسلم الناشيء تقديما رائما اخاذا- ان اقبالاً قد ابتكر طريقة رائعة في اختياره شخصية من شخصيات الصحابة يجعل منها رمزا لخلق من الاخلاق او وصف من الاوصاف التي يحبها اقبال و يريد ان تتصف بها الاجيال المسلمة النائشة المعاصرة، فمثلا نراه يجعل من سلمان الفارسي رمزا للبحث عن الحق والزهد في الدنيا والرغبة في الاخرة انه يجعل من عمر الفاروق رمزا بالعدل والحكم المثالى او يجعل من فاطمة الزهرا رمزا للعفة والحياء والطاعة لله ولرسوله والاهتمام بتربية الجيل الناشيء المسلم تربية صحيحة صالحة-

وكان اقبال يؤمن ايمانا قويا بان الواحدة العربية فيها خير الامة الاسلامية وصلاحها، وكان يرى ان هذه الواحدة العربية اذا تحققت فانها سطف تكون خطوة اولى نحو العز والشرف ونقطة انطلاق للامة الاسلامية نحو المستقبل الزاهر و بذلك تستطيع هذه الامة ان تقطم بدورها في تكوين المستقبل البشرى من جديد كما كانت قد استطاعت ان تقوم بدورها الفعال المجيد في التاريخ البشرى-

ولطالما تأ اقبال لا فتراق لامة العربية وتأسف على تمزيق وحدتها ولم يكن يغيب عنه المواقف التي كان يتخزها القادة العرب في سياستهم الداخلية والخارجية كما انه كان يتألم على الذل والهوان الذى اصبح نصيبا للامة العربية وكان يتاسف على مواقف القادة العرب الذين هتمون اكثر ما يهتمون به باغراضهم الذاتية و اهدافهم الشخصية وانهم ئنسون الاهداف الاسلامية الكبيرة-

وكذلك فان اقبالاً كان يتألم على المواقف التي كان يتخها رجال الفكر والادب والشعر في الأمة العربية فكان يخاطبهم احيانا فيقول لهم بانهم هم اهل اللغة العربية لغة القران الكريم القرآنية السامية ولا يهتمون بالاسرار والحكم التي تتضمنا الشرعية الاسلامية الفراء- اما اقبال فرغم انه ليس من اهل اللغة ولا يعرف دقائقها ولا يدرك اسرارها الا انه يستطيع ان يتعمق في الآيات القرانية وان يقتبس من نور الله ويستخرج منه الجواهر واللآلى من المعاني السامية والمفاهيم الغالية التي

بامكانها ان تهدى الانسان المعاصر في مشاكله التي يواجهها اليوم في الحياة المعقدة فمن ذلك قوله:

بگواز من نوا خان عرب را
بہاء کم نہادم لعل لب را
ازان نورے کہ از قرآن گرفتم
سحر کردم صد وسی سالہ شب را

ابلغ عني شعراء العرب ومنشديهم بان ما أنطق به من لآلي الشعر من فمي لا يبلغ الكلمات العربية في قيمتها وبهائها و في مستواها اللغوى الا ان ذلك النور السرمدى الذى اقتبسه من القران الكريم قد مكنني من ان اقضي على الليلة المظلمة الحالكة التي دامت على الامة الاسلامية الى قرون وجلوتها وبدرت ظلامها فجعلت منها فجرا باسما مضيئا-

ونرى اقبالاً احيانا ينقد الشعراء العرب ويزرى بموقفهم من القران والسنة النبوية فيقول لهم رغم انتمائه الى اسرة البراهمه ورغم انه حديث العهد بالاسلام ولكنه مع ذلك كله يحب القران الكريم ويرى فيه علاجا لكل راء وحلا لكل مشكلة مما يواجهه الانسان المعاصر، ورغم ان هؤلاء الشعراء العرب عريقون في الاسلام و ان اجدادهم كانوا من رواد الشريعة الاسلامية الا انهم قد اعرضوا عنها و عجزوا عن ادراك المعاني القرآنية السامية اذ انهم لم يتعمقوا في اسرار القران وانما اعرضوا عنه اعراضا واتجهوا نحو الغرب يبحثون عن العلاج لما اصابهم من الادوائ الامراض وانى لهم ذلك لانهم يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به-

وكان اقبال يحب الله صلى الله عليه وسلم حبا شديدا وذلك ان دل على شئ فانما يدل على ايمانه القوى الصادق و صلته الروحية المتينة بما جاء به سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشريعة الغراء التي انقذت البشرية من الرواسب والامراض التي كانت تعاني منها تلك الشريعة السمحاء التي جاءت لتضع الاصر عن البشرية والاغلال التي كانت عليها من الجهل والفقر والعبودية والتفرقة العنصرية واللونية والذل والحرمان-

فهذه هي المزايا التي تمتاز بها الشريعة الاسلامية التي جاء بها خاتم الانبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهذه هي المزايا التي جعلت شاعرا فيلسوفا من امثال اقبال يحب من ارسل بتلك الشريعة الغراء- كان اقبال يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه احسن الى البشرية وانقذ عباد الله من الجهل

والضلال وهداهم الى الحق والطريق السليم- كان اقبال من الشعراء الفلاسفة الذين لا يرضون بالذل الهوان للانسان والذين يحبون الكرامة والشرف والحياة الفاضلة لكل فرد من افراد البشرية ومن ثم قام اقبال بالبحث عن الافكار والنظريات التي بامكانها ان تنقذ البشرية من الدمار المحتوم ويقودها الى الحق والحياة الكريمة الفاضلة- كما انه بحث عن القادة والزعماء فلم يجد قائدا او مصلحا احسن الى البشر اكثر مما احسن اليهم الرسول العربي صلى الله عليه وسلم ولم يجد فكرة دينية ود ستورا عمليا بامكانه ان يكون اساسا قويا للحياة العملية اكثر من هذه الشريعة الاسلامية الغراء ومن ثم احب اقبال رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه كان اكثر الناس حبا للبشرية واحسانا الى خلق الله واحب الشريعة الاسلامية لانها شريعة العدل والمساواة و شريعة تقوم على اسس عادلة و مبادى قويمة يمكن ان تكون اساس للحياة الفاضلة الكريمة التي احبها اقبال للبشرية كما يحبها كل شاعر فيلسطف لا يرضى بالذل والهوان للبشر و يرضى لهم بحياة كريمة-

اذن فحب اقبال لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان حبا خالصا- ذلك الحب الصادق الذى يقوم على دعائم الايمان القوى والذى ليس من ورائه غرض شخصي او هدف مادى هو حب لا يشوبه غرض دينوى وكذلك فهو حب يحمل اسمى معاني الكرامة والشرف- ذلك الحب هو حب اقبال لرسول الله صلى الله عليه وسلم-

كان اقبال يرى ان الايمان الصادق برسول الله صلى الله عليه وسلم والحب الشديد له والطاعة الشاملة لما جاء به من الشريعة الاسلامية هو السبيل الوحيد للشعب المسلم اذا اراد ان يعيش حياة طيبة حرة كريمة و اذا اراد ان يسود و يقود و ينتصر ليس على من في ارض فحسب وانما على كل ما يوجد في هذا الكون الواسع الذى لا يعرف له حدود- هذا ما جعل اقبال يقول يخاطب المسلم المعاصر الذى يريد ان يعيش حرا كريما قائدا سيدا:

کی محمد سے وفا تو نے ہم تیرے ہیں
یہ جہاں چیز ہے کیا لوح وقلم تیرے ہیں

يعني ان الله سبحانه وتعالى يقول للمسلم المغاصر انه اذا اطاع محمد صلى الله عليه وسلم و وفى له بعهد وثيق فاننا سوف نتولى امره و نستجيب دعاءه- ان هذه الارض وما تحتوى عليه ليس بشئ وانما سوف نسخرله بالاضافة الى ذلك هذا الكون الواسع كله بما فيه اللوح والقلم-

وكان اقبال يحب رسول الله عليه وسلم ومن ثم كان يحب كل شئ ينتمي اليه ويتصل به فكان يحب العرب لانهم شعب رسول الله صلى الله عليه وسلم و كان يحب ارض الحجاز لانها مهد رسول الله صلى الله عليه وسلم و مهد الشريعة و ارض الحرمين الشريفين- ولطالما احب اقبال ان يزور تلك الارض المقدسة ولالطالما تمنى ان يموت بها و كان يعتبر نفسه هواء من بين نسمات الهواء الحجازية و لقد قال اقبال وهو يجود بانفاسه الاخيرة:

سرودے رفته آید که ناید
نسیمے از حجاز آید که ناید
سرآمد روزگارے این فقیرے
دگر دانائے راز آید که ناید

يعني: نغمات مضت تعود او لا تعود و نسمة من نسمات الحجاز هبت فهل تهب نسمة حجازية اخرى ام لا؟ اما انا فقد انقضت ايامي ولست اعرف هل يظهر قلب مؤمن جديد عارف بالاسرار في هذه الامة الاسلامية او لا يظهر؟

وكان اقبال يعرف العربية جيدا وقد تعلمها من استاذه الشيخ سيد مير حسن وهو طفل صغير وقد كان على مكانة من العربية و آدابها حيث جعلته يستحق ان يوظف استاذا اللعربية بقسم اللغة العربية في جامعة بنجاب بلاهور وفي جامعة لندن، الا انه لم يكن يقنها اتقانا يوهله لقرض الشعر بلغة الضاد ومن ثم اختار اللغة الفارسية حين احسن بضيق التعبير بالغة الاردوية ولم يستطع ان يختار العربية كاداة التعبير بالعربية قد بقيت في اعماق قلبه وعقلت بذهنه و عاشت الى مدى الحياة و كان دائما يبدى عن حسرته واسفه على عدم اختيار العربية كاداة التعبير الشعرى ومن ثم كان يأسف دائما على ان العرب لا يفهمون شعره وهو لا يقدر على ان يخاطبهم بلغتهم خطابا مباشرا رغم انه كان يرى شعره قد انتشر في بلاد العجم و سارت به الركبان حيث يقول:

نوائے من به عجم آتش کہن افروخت
عرب زنغمه شوقم ہنوز بے خبر است

يعني: ان نغماتي الشعرية قد اثارت العواطف الخامدة والشاعر النائمة وضرمت النيران القديمة في نفوس اهل بلاد العجم الا ان العرب يجهلون نغماتي الشعرية الشيرة الهائجة ولا يزالون بمعزل عن تاثيرها-

وفي بعض الاحيان يتصور اقبال كانه في قافلة من القوافل المتجة الي الحجاز وهو لا يزال بغني و يحدو ويعرض القافلة على السير والتقدم نحو المقصد الهدف فاذا باحد من الركاب يسأل امير القافلة عن اقبال قائلا:

امیر کاروان آن اعجمی کیست
سرود او بآهنگ عرب نیست
زند آن نغمهٔ سیرابئ او
خنک دل در بیابان توان زیست

يعني: يا امير القافلة من هذا المطرف الاعجمي انه حداه لا يناسب الالحان العربية ورغم ذلك يغني النغمات التي بامكانها ان تروى القلوب الظامئة حتى تتمكن من العيش والبقاء في بوادى الصحارى ببركة الرى الذى يجود به نغماته الاعجمية هذا!

وكان اقبال يرى بانه يغني الاغاني العربية و يشارك الحادين العرب في حداهم رغم انه لايعرف الالحان العربية ورغم انه يقول الشعر و ينشده بالاساليب الفارسية الاعجمية:

گہے شعر عراقی را بخوانم
گہے جامی زند آتش بجانم
ندانم گرچه آہنگ عرب را
شریک نغمه ہائے ساربانم

ويعني: انني احيانا انظم الشعر على اسلوب الشاعر(عراقي) المعروف وفي بعض الاحيان انظم الشعر على اسلوب الشاعر(جامي) المثير الذى يحرق احشاى ورغم انني لا اعرف الالحان العربية الا انني اشارك ركاب الابل العرب في حداهم-

و يرى اقبال انه لو اعطى الطلاقة العربية كان بامكانه ان يكشف عن اسرار الروح والكون:

توان اسرار جان را فاش تر گفت
بده نطق عرب این اعجمی را

ويعني: انك يا رب لو منحت طلاقة العرب وفصاحة لسانهم لهذا الاعجمي لاستطاع هذا الاعجمي ان يكشف عن اسرار الروح كشفا اجلى واوضح-

وسوف يمر بالقارئ الكريم في هذا الجزء الاول من (النهر الخالد) مشاعر اقبال وعواطفه نحو العرب و بازدهم و نحو ارض عاش بها سيده رسول الله صلى الله عليه وسلم و ذلك حين مربميناء عدن ذاهبا الى انكلترا للدراسات العليا وان اول ارض اجنبية وطئتها اقدام اقبال كانت ارضا عربية وهي ارض مصر وذلك ايضا حين مربقناة السويس خلال سفره الى انكترا حيث نزل على(بور سعيد) وربجول في اسواقها واشواعها وزار كتابها مساجدها ومدارسها-

اذن فصلة اقبال بالعروبة والعربية وبلادها صلة قوية ولها جوانب مختلفة

وتستحق الدراسة والاهتمام وكذلك فان اقبالاً لم يمد غريبا عن العربية وبلادها واهلها فقد قام عدد لابأس به من جهابذة العرب في الشعر والنثر بترجمة اقبال بالعربية وتعريب شعره وفكره وعلى رأس هؤلاء العرب الجهابذة المغفور له الدكتور عبدالوهاب عزام فهورائد الاقباليات باللغة العربية وتلاه الكثيرون غيره حتى نقلوا معظم شعره التي العربية-

وليس معنى هذا انه لم يبق مجال للقارمين فان ما ترجم من شعر اقبال الى العربية يحتاج الى دراسة نقدية مقارنة من العلماء العارفين باللغتين العربية واللغات التي عبر بها اقبال من الاردوية والفارسية والا نجليزية و كذلك فان ترجمة اقبال باللغة العربية ترجمة موجزة الى حد الاقتضاب، ولقد لا حظت ذلك لاول مرة حين اتيح الي ان ازور مصر واعمل بالازهر استاذا زائرا لكلية اللغات والترجمة فكانت الكلية قد اجرت مسابقة ادبية بمساعدة السفارة الباكستانية بالقاهرة وقد اشترك في هذه المسابقة عدد كبير من طلاب الجامعات المصرية بما فيهم طلاب العلم والطب، ثم كونت لجنة من ثلاثة اساتذة احدهم من الازهر والثاني كان يمثل جامعة القاهرة واما الاستانا لثالث فكان يمثل باكستان وهو هذا المترجم- وقد لاحظت من جملة ما لاحظت ان شباب مصر يحبوب اقبالاً لغاية كما انهم يرغبون في شعره ورسالته الفكرية الا ان مكتبة اقبال العربية ينقصها المراجع الاصلية وخاصة عن ترجمة اقبال وحياة فرأيت ان اقبالاً في حاجة الى المزيد من التعريف به في العالم العربي تعريفا مفصلا يستوعب جوانب حياته كلها كما انه في حاجة الى دراسة ما ترجم الى العربية من شعره و فلسفة دراسة نقدية مقارنة، واعتقد ان هذا الكتاب الاغر الذى الفه الدكتور (جاويد اقبال) ابن العلامة محمد اقبال سوف يغني بالحاجة و يروى غليل الاقباليين العرب فهذا هو الجزء الاول منه يليه الجزء ان الثاني والثالث باذن الله-

وقبل ان اختم حديثي هذا أرى من راجبي ان اقدم اخلص عواطف الشكر للاخ الكريم الاستاذ محمد منور مرزا مدير (اكاديمية اقبال) فهو الذى يرجع اليه الفضل في اخراج هذا الكتاب كما انه كان سبباً للاهتمام بترجمة هذا الكتاب الى العربية وهو الذى شجعني على القيام بهذا العمل العظيم و يهذه الخدمة الادبية في مجال الاداب الاقبالية-

والله ولي التوفيق-----

(الدكتور ظهور احمد اظهر)

رئيس قسم اللغة العربية في جامعة بنجاب بلاهور-

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الافتتاح

كان ذلك في صيف عام ١٩٨٥(م حين اعتزمت على تأليف هذا الكتاب عن حياة اقبال حيث كنت قد رأيت ابناى (منيبا و وليدا) وهما يلعبان في احمدى الغرفات من الدار فبدا لي وأنا أنظر اليهما بأن(اقبالاً) كان قد جعل مني رمزا حين اراد أن يخاطب شباب هذه الأمة في شعره- الا أن الوقت قد مضي بكل سرعة ومرت الأيام سريعة حتى نشأ جيل من أبنائنا قد يمكن أن يتمكن هذا الجيل الجديد من فهم ما جاء من الفكر والدعوة في شعر(اقبال)،فهو شاعر الفد و الشاعر المستقبل الا أنه لابد من الاطلاع على حياة أى مفكر من المفكرين قبل الفهم الكامك الادراك التام لما جاءبه من الأفكار والنظريات والآراء-

وقد ألف الكثيرون من الناس عن شخصية (اقبال) وفكره وفلسفه حيث نجد عددا الابأس به من البحوث والمقالات والكتب المؤلفة التى تتناول الجوانب المختلفة من حياته و فكره و فنه والتى بذل فيها "الاقباليون"- اذا صح التعبير- مجهورات جبارة تستحق التقدير والإعجاب أنها لا تزال متفرقة مبعثرة، وان ما كتب عن حياة (إقبال) قليل جدا بالسنبة إلى ما كتب عن الجوانب المختلفة الأخرى كما أن معظم هذه المؤلفات لا تحوى الكثير من التفاصيل عن حياته ولا تفي بالفرض ولا تشفي الفليل-

و أما من كتب مقالا عن حياة (إقبال) من بين أصد قائه فهو عبدالقادر رئيس تحرير مجلة (مخزن) اللاهورية- وكان هذا المقال قد نشر في مجلة "خدنك نظر" (أوسم النظر) الصادرة من مدينة (لكنؤ) في عددها لشهر ما يوسنة ١٩٠٢م ثم تلامذه الشيخ (محمد دين فوق) فكتسب مقالا عنوانه (حالات اقبال) وقد نشر في (كشميرى ما جازين) أى المجلة-

وأخذت المعلومات والمواد الدراسية والبحث لاعداد الباب الاول اى آباء اقبال إقبال و أصله يوما لزوجتى سبيل المزاح و أنا مستمر في بحثى هذا بان بناديت كشمير أو براهمتها هم الذين حرورا الهند وجعلوا منها دولة مستقلة كما أن الدولة الإسلامية قد أعطى فكرتها أيضا بانديت من بناديث كشمير وعليه فان هذا الخصام كله إنما هي مشاجرة بين بناديت كشمير أو براهمتها-

ولست من الذين يهتمون الكثير بالاحلام وتعبيرها ولكن زوجتي هي التى تهتم الكثير بمثل هذا الأنبياء وقلما رأيت (إقبالاً) في المنام إلا أننى رأيته فيما يرى

النائم تلك الليلة فبدا الى كأننى جالس فوق سقف (جاويد منزل) بجا نبي كومة من الاوراق البيضاء على طرف السقف و اذا بي أرى (اقبالاً) يظهر من ناحية و قد لبس الازار والقميض التحتاني وظل يمشي كما عهدته على مهل فاقترب مني رويدا رويدا و اذا بوجهه آثار من السخه و اذا به يخاطبنى قائلاً باللغة الانجليزية ما معناه: ما ذا تكتب في هذه الايام بهذه الطريقة؟ وانا ارد علية بقولي: اما انا فكل جهدى مقصود على ان تصل أفكارك وآراؤك إلى الناس بأصح ما يمكن من الطريق ثم اراده يرد على قائلا: اما انطباعاتى عن جهدك هذا فسوف تراها غدا- وفجأة يتغير مشهد الرؤيا فأراني على شجرة مورقة غناء واجمع القطعات الورقية المبعثرة الملتصقة بأغصان الشجرة وأشعر كأن شخصا آخر غيرى موجود هناك أيضا يساعدنى إلا أننى لم أتمكن من أن أتبينه إلا أنه لا يعجبه ذلك ولا يرضيه-

وفي أثناء ذلك انتبهت فرأيت الساعة فإذا بها تدق الثالثة والنصف ليلا وكانت الرؤيا عالقة بذاكرتي اذ كنت حديث العهد بها- وأخذت أبحث عن الورق والقلم لأسحلها حتى لا تغيب عن الذاكرة إلى الصباح و كانت زوجتى أيضا قد انتبهت فحكيت لها تلك الرؤيا التى فبدأت زوجتي المعلقة عليها تعبر رؤياى قائلة بأن صعودى على الشجرة وجمعي لقطعات الأوراق المعلقة عليها المتصقة بأغصانها إنما يعنى انك مشغول في هذه الأيام بالبحث عن شجرة النسب له إلا أنه ساخط عليك بسبب من الاسباب وعلى كل حال فعليك أن تنتظر الإشاعرة منه غدا بهذا الصدر-

فقضيت اليوم التالي كله انتظر منه الإشارة إلا أن الأمر الذى لم أزل أفكر فيه مرة بعد كرة هو العلم بالسبب الذى جعله يسخط على واظ لني الليل ولم اتلق منه أية إشارة أو رسالة، أما زوجتي فذهبت إلى مضجعها وهي تقول لى أن أنتظر الإشارة حتى الساعة الثانية عشر من ذلك اليوم، واما انا فتضايقت من نفسي حيث كنت قد اصبحت خرافيا الى هذا الحد وصدقت ما قالته زوجتى وضيعت اليوم كله في ذلك التفكير الخرافي وكادت الساعة ان تدق الثانية عشر من ذلك اليوم ولم يبق منها الابضع دقائق ولكن النوم كان قد ذهب عنى فاردت ان اخذ كتابا من الدولاب لاقرأة فصادفت يدى الجزء الثاني من (روزگار فقير) وفتحت الكتاب تلقائيا فاذا بنظرتى تتركز على الصفحة ١٢١ من الكتاب وكنت امام قطعة شعرية (لإقبال) يقول فيها:

إن ذكرى الأيام الماضية تجعلنى أخجل
لأنها تذكرنى بعبادة الأصنام (فيما مضى)

وما دامت غرة الاسلام بجبين(إقبال) متلألئة
فإنه يخجل حين يقال له: يا بانديت (أى برهمن)

وهكذا كان(إقبال) قد إبلغنى عن انطباعاته لما اعمل فايظت زوجتى و إنشدتها القطعة الشعرية- فاخبرتنى قائلة بان الذى جعله يسخط عليك إنما هو قولك في استقلال الهند وإنشاء باكستان وأن هذا الخصام كله إنما هي مشاجرة بين بناديت كشمير أو براهتمها فقلت لها بأن ذلك لم يكن إلا على سبيل المزاح فقالت: إن ذلك لم يعجبه منك حتى ولو على سبيل المزاح- ولم لا؟ لأن الذى يجعله يخجل ويندم هو مما لا يليق بك أن تقوله وحتى لوكان ذلك على سبيل المزاح- ويجب أن تستمر في بحثك عن ترجمته وحياته واعتقد بأنه سوف ينبهك على أخطائك التى قد ترتكبها ويهديك الطريق في ذلك-

وكنت قد توفقت عن العمل في ترجمته بعد أن انتهيت من الفصلين الأولين و ذلك لان إجراءات الإحتفال بذكرى مولد (إقبال) المئوية كانت قد بدأت إذ كنت اعتقد بأن آحدا من الكتاب الخبراء المحنكين سوف يهتم بحياة (إقبال) في ١٩٧٧م (أى عام الذكرى المئوية لمولد إقبال) ويمكن ان يقوم بهذه المهمة خير قيام واحسن مما اقوم به أنا إلا أن المؤلفات التى نشرت خلال هذا العام لإقبال لم تكن على المستوى المطلوب والنهج الذى كنت أريده ومن ثم على الرغم من اشغالى الكثيرة المتنوعة بدأت هذا العمل من جديد-

وأما نتيجة هذا العمل والجهد المبذول فهو بين يدى القارئ الكريم، فالكتاب يحوى التفاصيل الوافية عن التطور التدريجى في فكر إقبال والبيئة التى عاثر فيها، وأما حياته الخاصة فهى تحتل مكانة ثانوية في هذا الكتاب ومن هذه الناحية فان هذا الكتاب لا يحتوى على ترجمة(إقبال) وحياته وإنما هو تاريخ لعصره الذى عاش فيه وهو (أى الجزء الأول) ينتهى عند الثورة الفكرية الهام' التى حدثت في حياة (إقبال) وفكره ذلك حين كان قد أكمل دراسة وبعبادة أخرى كان الطور التكويني من حياته قد انتهى، وكان فنه الشعرى قد عبر المراحل المختلفة أو الأطوار الابتدائية ووصل إلى نقطة تحوّل وقد حان له آن ينطلق انطلاقة جديدة تجعل من شعر (إقبال) نداء لتحرك القافلة أو حداء لرحيلها و أنشودة جبريل الصاخبة الهائجة أو ليكون الشعر جزؤا من الرسالة- ولمٌ (إقبالاً) فيما يرى النائم بعد ذلك خلال تأليفي لهذا الكتاب وأرى انه لم يشعر بحاجة إلى أن ينبهنى أو يهديني الطريق ولكن ليس معناه بأن الكتاب هو الكلام الأخيير في الموضوع- وأما بقي من جوانب حياة إقبال فإن ابرازها الكامل يقصر على تشجيع القراء الكرام رغم

أننى اعتزم على إكمال هذا المشروع بدون أية رغبة في المدح والتقريظ وبدون أى اعتناء بجائزة أو تشجيع-

وأما تسمية(زنده رُود) فهو الاسم الذى اختاره إقبال لنفسه في(جاويد نامه) و "زنده رود" معناها النهر الجارى الدائم الخلاق للحياة وعن ذلك النهر يقول اقبال:

١. ذلك النهر التفجر من سلسلة الجبال الذى يمر مختطفا مشتبكا مهتزا مفحدرا-
٢. الذى يثب حينا و ينزلق حينا آخر ثم يغيب ثم يبرز بعد حولات من النشوب والإلتفاف حول الحبال والأودة-
٣. إنه لو وقف في مكان لثقب في الصخور و مزقها وخرق صدور الجبال وفرجها-
٤. أنظر إليه أيها الساقي الذى يسقي الخمور الحمراء ان هذا النهر هو الذى جاء برسالة الحياة إلى البشر-

إن حياة اقبال إنما هي عبارة تطور الحياة الفكرية التي تستمر بصفة دائمة مستقلة متواصلة لا تقف عند مكان و لا تنتظر لزمان وحتى الموت لا يستطيع أن يمسها بسوء، انه لم يكن يهتم كثيرا بحياته المادية ومن ثم لا يليق اسم من الأسماء أن نستعيره لحياة إقبال هذه غير أن نسميها بالنهر الخالد (أو زنده رود)

ويبد و كان إقبالاً كان قد اختار هذا الاسم (أى زنده رود أو النهر الخالد الجارى) لنفسه لأنه يرجع إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا المرجع خلفية خاصة يجب أن نطلع عليها فقد كان إقبال من المعجبين بالنسا عرف الألمانى (غوته) الذى كان قد تأثر كثيرا بالتعاليم القرآنية والسيرة النبوية الطيبة حتى أنه كان قد اعتزم على أن يكتب مسرحية منظومة عن الرسول صلى الله عليه وسلم إلا أنه لم يستطع يكتب إلا التمهيد لتلك المسرحية ولم يكملها وهذا التمهيد أو الإفتتاحية عنوانها: إنشودة محمد (صلى الله عليه وسلم) وقد جاء غوته في هذه المنظومة، وهو يشرح معنى النبوة في حوار قام بين على و فاطمة رضى الله عنهما، بإسعارة لشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم فشبهه بالنهر الخالد الخلاق للحياة الذى يجمع في جوفه الكثير من الأودية والجد اول والفدران ثم ينصب في محيط أى أنه صلى الله عليه وسلم يقود الناس ويهديهم إلى سبيل الله سبحانه و تعالى، وكان إقبال قد اطلع على هذه المنظومة و درسها و درس ما فيها من الاستمارات والتشبيهات دراسة وافية بل هو ترجمها ترجمة حرة وضمها

إلى ديوانه الشعرى (رسالة المشرق) وقد عنونها بنهر الماء وكان اقبال يرى إقبال أن رسول صلى الله عليه وسلم هو الإنسان الكامل ومن ثم يجب على كل مسلم أن يهتدى بهديه و يقتدى بأسوته الحسنة وهذا ما جعله يختار لنفسه اسم النهر الخالد(أو زنده رود) خلال رحلته الروحية إلى السموات في ديوان شعره الخالد (جاويد نامه أو رسالة الخلمود)-

وقد دفعتنى عاطفة الحب أن أذكره في كتبي هذا باسمه (إقبال بدل الوالد أو والدى) إلا أن هذه الصراحة وعدم الكلفة التى يمتاز بها أسلوبي في الكتاب لم أترك لها المجال لتتعدى حدود التكريم والإحترام- على أية حال كنت قد بلغت الثالثة عشر والنصف من عمرى حين تطفى إقبال إلى رحمة الله ولا يمكن لى أن ادعي معاصرته إلا أننى رأيت شيئا من السهولة، بحكم بعدى عن عصره ومن ثم حاولت أن أقدم الوقائع والأحداث بأسلوب يدل على الحيار وعدم الانحياز وأما المراجع والحواشي لكل باب لقد ذكرتها في نهاية الكتاب كما انه يضم شجرة التى اعدت في ضوء ما أعده (الشيخ محمد دين فوق) من أنساب الأسرة وأسجل شكرى للدكتور معزالدين ومحمد حنيف شاهد اللذان قد زود اني المراجع من مكتبة بنجاب العامة ومن اكاديمية إقبال-

جاويد إقبال

بسم الله الرحمن الرحيم

آباء إقبال وأصله

وكان إقبال ينتمى إلى أسرة قديمة من أسرة براهمة كشمير تسمى سبرو(بكسر السين المهملة وسكون الباء الموحدة وضم الراء وسكون الواو) وقد صرح بذلك هو نفسه في بعض الوثائق الخطية الرسمية بخط يده ويقال إنه كان قد سمع من والده- رحمه الله- بأنهم ينحدرون من أسرة عريقة من البراهمة الكشميرين، إذن فالقبيلة التى ينسب إليها إقبال هي قبيلة (سبروة) من أهل كشمير وأما أول من اعتنق الاسلام من آبائه فقد كان يعرف بلقب(بابا لول حج) أو (لولى حاجى)-

ويبدو مما كتبه إقبال إلى(الشيخ محمد دين فوق) من الرسائل الكثيرة بأمه أى اى الشيخ المذكور كان من أصدقاء إقبال وهو ممن تعرف على والد إقبال- وأما المعلومات عن أسرة إقبال التى كانت عند هذا الشيخ فإنما كانت قد بلغته إما عن طريق أو عن طريق والده وقد استفار الشيخ من هذه المعلومات و عول عليها في تأليف كتابه عن "مشاهير كشمير" والذى كان قد طبع في سنة ١٩٣٠م وكذلك فإن هذه المعلومات نفسها كان الشيخ فوق قد سردها في مقال له عن (الدكتور الشيخ السير محمد اقبال)[1] والذى كان قد نشر في مجلة أردية شهرية وهي (نيرنك خيال أى الفكر البديع) الصادرة من لاهور لشهر سبتمبر و اكتوبر عام ١٩٣٢م حيث يصرح الشيخ فوق قائلا:

> "إن حضرة الشيخ (أى اقبال) ينتهى إلى أسرة قديمة من بناديت كشمير أو براهمتها، وكان بعض آبائه قد اعتنق الإسلام قبل أكثر من مئتي سنة وأصله من قبيلة "سبرو"

وبعد عامين أى في عام ١٩٣٤م نشر الشيخ فوق هذا الجزء الاول من كتابه

---

[1]ولقد كان من التقاليد المتوراثة عند مسلمى شبه القارة منذ قديم الأيام أنهم كانوا ولا يزالون يطلقون كلمة الشيخ تكريما على كل من اعتنق الاسلام حديثا فالشيخ هنا هو حديث العهد بالإسلام وليست الكلمة هنا بمعناها العربي الأصلي-

عن "تاريخ اقوام كشمير" حيث صرح في كتابه هذا قاعلا بأنه قد اتصل بإقبال فسأله من معنى كلمة (سبرو) وذلك للمزيد من البحث والتحقيق فكتب إقبال يرد على رسالة الشيخ فوق في رسالته المؤرخة في ٦١ من شهر ينائر سنة ١٩٣٤م حيث صرح له قائلا:

"وأقدم لك المعلومات التى تلقيتها من والدى عن وسيلة براهمة كشمير التى تعرف باسم (سبرو) وهي: انه لما تغلب المسلمون على كشمير وانشأوا بها الحكم الاسلامي لم يلتفت البراهمة الكشميريون على علوم المسلمين ومعارفهم و لغاتهم و آدابهم و ذلك بسبب الرجعية او لأسباب أخرى- وأما الفئة من هؤلاء البراهمة التى اعتنت باللغة الفارسية و معارف المسلمين وتفوقت في ذلك على غيرها من الفئات و نالت ثقه الدولة الاسلامية فكانت قد عرفت واشتهرت بلقب (سبرو) وهو الشخص الذى يسبق غيره إل التعليم والدراسة وأن حرف السين (في كلمة سبرو) قد جاء بمعنى التقدم والترقية في اكثر من لغة او لهجة من اللغات الهندية المحلية- اما كلمة (سبرو) فهي مشتقة من نفس الأصل الذى اشتق منها (پڑھا ای پڑھنا) من مصادر اللغات الهندية (ومن بينهما اللغة الأردوية) ومعناه: القراءة وكان والدى المغفور له يقول بأن براهمة كشمير كانوا قد لقبوا إخوانهم البراهمة الذين تركوا تقاليدهم القديمة المتواثة و عصبيتهم الدينية والقومية و كانوا في طليعة من أخذ يتعلم اللغات الإسلامية و معارفها و كان هذا التلقيب من قبيل الإزدراء والتعريض والإغراء ثم اشتهرت تلك الفئة البراهمة كقبيلة مستقلة فيما تلامن العصور! "

وفي الرسالة نفسها يقول اقبال:

"إن ديوان(تيك شاند) الذى كان محافظا في إحدى محافقات إقليم بنجاب والذى والذى كان يرغب في فقة اللغات والبحث فيها، كان قد لقينى في مدينة(أنبالة) واخبرنى بأن (سبرو) قوم كانت لهم صلة بالملك الإيراني القديم المعروف(شابور) وانهم (اى قوم سبرو) هم في في الواقع من أصل إيرانى وكانوا قد هاجروا إيران فاستوطنوا كشمير في عصر متقدم جدا قبل الإسلام ثم انضموا إلى البراهمة وذلك بذكائهم و فطنتهم-

و بعد أن يسرد الشيخ فوق رسالة إقبال هذه في كتابه ذلك يوضح قائلا يوجد الآن في إقليم بنجاب أسر متعددة بين مسلمة وغير مسلمة يرجع أصلها إلى قبيلة (سبرو) ومن بين هذه الأسر المسلمة الموجودة في بنجاب كانت اسرة إقبال والتى كانت قد اعنقت الإسلام في عصر الملك عالمكير المغولى-

ثم يقول الشيخ فوق في كتابه عن (تاريخ أقوام كشمير) إيماء إلى رسالة إقبال

التى مرزكرها بأنه لا توجد أسرة مسلمة أخرى في بنجاب من قبيلة (سبرو) غير أسرة إقبال مع أن الاسر الهندوكية المتعددة موجودة في اقليم من قبيلة (سبرو)-

ويمكن أن نعرف مدى حرص إقبال ورغبته في تصديق ما سمعه عن ابيه حول اسرته واجد اده من رسالته التالية التى كتبها الى شقيقه عطا محمد في الخامس من شهر اكتوبر عام ١٩٢٥م حيث قال:

"قد استلمت بطاقتكم البريدة التى قد اطمأن بها قلبى فالحمد الله على ذلك وأما(جاويد اقبال) فهو بخير و عافية وقد أكمل الآن سنة كاملة من عمره واما والدته فانها اليوم مشغولة بتقديم الأضحية- ولعل ما يسرك انت والوالد الكريم هو اننى قد عثرت على مفتاح عن اسرتنا وحدنا ادنا وان سيدنا (بابا لول حج) قد كان من كبار مشائخ كشمير و متصوفتها المعروفين و ذلك اننى قد دجرت بعض المعلومات عنه بالصدفة في كتاب (تاريخ كشمير) للخواجا (اعظم) وان ما سمعه الوالد الكريم و يحكيه عن آبائه صحيح اذا اخذ ناه بنظرة الاجمال والعموم وان القرية التى كانت مستقط رأس الحاج (بابا لول) اسمها (لوشرنه) بل هي قرية (شكو) من مديرية (اوون) في كشمير، وقد جاء فيما عثرت عليه في هذا الكتاب بان الحاج (باب لول) كان قد عاس اثنى عشر عاما خارج كشمير و تجول في البلاد، وانه يكن على صلة طيبة مع زوجته ومن ثم زهد فى الدنيا وتركها فخرج من كشمير ثم أنما عاد من سفره الطويل فانضم الى اتباع سيدنا(بابا نصير الدين) باشارة زرحية خفية و قضى ما يفى من أيام حياته في حضرة الشيخ (باب نصير الدين) المذكور و دفن بجوار شيخه، والامل الآن في الحصول على المزيد من المعلومات عنه لان ما جاء في كتاب الخواجا (اعظم) المذكور مقتضب للغاية الا اننى امل بان هذا المقتضب سطف يكون تمهيدا للمزيد من الاكتشاف والبحث-

وأما العثور على هذه المعلومات فهو ايضا يرجع الى سبب غريب جدا و ذلك ان مسجل جامعة دهلى بحضر بحثا عن ثقافة كشمير و تمدنا للحصول على درجة الدكتوراة من جامعة (الله آباد) وانا من لجنة الممتحنين لذلك البحث بينما الممتحنان الاخران هما استاذان من انكلترا وايرلنده وقد زارني بالصدفة ذلك المسجل بالأس وكان قد طلب الى بعض اصدقائه ان يرسل نسخة خطية من كتاب (تاريخ كشمير) للخواجا (اعظم) الى منزلى فجاء الرجل عندى بالمخطوطة للكتاب المذكور وقد و كان عندى وقت الفراغ فاخذت اقرأ الكتاب نفسه ولم اتصفح الا قليلا من اوراق الكتاب حتى عثرت على ترجمة (سيدنا بابا) مما سرنى كثيرا واغلب الظن انه من الممكن تطاجد احفاد (بابا نصير الدين) في كشمير و

من المتوقع المامول الحصول على المزيد من المعلومات ولن يكون من العجيب انهم يحتفظون بكل شئ عن الاتباع والمريدين لجدهم الشيخ!- "

ولعل اقبالاً كان قد عثر على البيان التالى عن الشيخ (باب لول حج) في(باب ريشيين) على صفحة ٧٢ من كتاب "تاريخ كشمير اعظمى" (واقعات كشمير ١٧٥٥م تأليف الخواجا (محمد اعقم شاه ديده مرى)-

"انه (اى الحاج بابا لول) كان من اهل قرية (شكو) من مديره (آدؤن) و كان قد تزوج امرأة و كان لا يحب حديثها فخالعها مما جعل الحاج يزهد في الدنيا فخرج حاجا لبيت الله ثم تجول في البلاد اثنى عاما حتى عاد الى كشمير و بارشارة غيبية التحق باتباع سيدنا (بابا نصر الدين) حيث قضى ما بقي من أيام حياته في حضرة الشيخ وخدمته ولما توفي دفن في (حبانه شرار) بجوار شيخه الكبير"

ولقد كان الشيخ فوق على بهذا المصدر عن (باب لول حج او لولى حاجى) الجد الاعلى لاقبال واغلب الظن انه كان قد وصل الى هذا المصدر بطريق (اقبال) نفسه لاننا نرى الشيخ فوق يقول في كتابه (تاريخ اقوام كشمير) والذى نشر بعد وفاة (اقبال) بخمس سنوات في ١٩٤٣م:

"وقد عاش سيدنا (باب نصير الدين)، الذى كان من كبار اولياء الله ومن اتباع سيدنا(شيخ العالم نور الدين الولى) في عصر السلطان زين العابدين بدشاه (الذى تولى العرش في ٨٢٤ وتوفي في ٨٧٣ من الهجرة النبوية)- وان سيدنا (شيخ العالم) قد ذكر خليفة المعروف هذا في شعره الذى قاله بالكشميرية ذكرا كثيرا للغاية وكان من بين اتباع (بابا نصير الدين) وليا ولى اسمه (باب لولى حاجى) الذى حج اكثر من مرة وعاش خارج كشمير اثنى عشر عاما تجول خلال ذلك في كثير من البلاد، ومن ثم يقول صاحب(تاريخ اعظمى) وعلى صفحة ٧٢ منه بالذات: انه عاد الى كشمير بعد تجول دام اثنى عشر عاما وانضم الى اتباع سيدنا (بابا نصير الدين) بارشارة غيبية وقضى ما بقي من عمره في حضرة شيخه و خدمته- ولم نستطع العثور على اسمه الحقيقى الا انه كان معروفا باسم (لول حج او لولى حاجى) وكان قد حج ماشيا غير مرة، واما كلمة (لول اولالا او لال) بالكشميرية فهى تعبر عن الحب والتكريم كما يمسمون الشقيق الاكبر(كاك لال)- واما مسقط رأسه فهى قرية (شكو) من مديرة (آدؤن) واصله من براهمة كشمير ومن قبيلة (سبرو) اعتنق الاسلام- وما عن مهنته فقد كان من الفلاحين المزارعين ولكنه لما تزهد رغب عن هذه الاشياء كلها واما قبره فهو في حبانه ضريح الشيخ نور الدين الولى بموضع

يسمى (تشرار) حيث دفع شيخه و مرشده (بابا نصير الدين) ومن ثم يقول صاحب (تاريخ اعظمي): انه استراح بعد طفاته في جبانة (تشرار) بجوار شيخه"

ان الذى اضافه الشيخ فوق بعد الاطلاع على ما كتبه (ديده مرى) عن بابا لول حج) قد يمكن ان يكون على اساس ما اكتشفه هو نفسه او ما بلگه عن إقبال أو عن أبيه، على كل حال فإنه لا يصرح بمصدره بهذا الصدر-

وكذلك فان ترجمة (بابا لول حج) التى وردت في كتاب (تحائف الابرار في كتاب (تحائف الابرار في ذكر الاولياء الاخيار) لابى محمد محى الدين مسكين وهو الكتاب الف بحد نصف قرن على وفاة (ديده مرى) وهذا نص الترجمة:

واما مولده فهو (تشكو حلبند) من مضافات مديرة(آدؤن) و قد كانت عيناه فيهما ورجلاه صعوجتين رأت صورته تلك مما جعله يكرهها ر يبغضها و خرج معتزما على السفر الى ارض الحرمين الشريفين لزيار تهما، و بعد ان تشرف بهذه الزيارة و عاد الى كشمير تقدم الى حضرة (بابا نصير الدين) وانضم الى اتباعه وآثر حياة العزلة والوحدة ودفن بعد وفاته بمقبرة شيخه و مرشده الا ان البعض من المولفين يقول بانه مدفون في قرية (زالرة) من مضافات مديرة (كام راج):

وقد جاء في الجزء الاول من كتاب (روزگار فقير) على اساس مارواه (الشيخ اعجاز احمد ابن اخى اقبال) من رسالة اقبال التى كتبها في الخامس من اكتوبر ١٩٢٥م بالاضافة الى ما رواه الشيخ اعجاز احمد بان الذى جعل اسلاف اقبال يعتنقون الاسلام هو حبهم واعتقادهم في بعض الاولياء العارفين و يرجع ذلك الى قرنين والنصف من الزمان حين أضاء نور الايمان والسلام اسرة اقبال و يروى الشيخ اعجاز احمد بانه كان قد سمع عن اسلافه باد رجلا من اسلاف اقبال كان قد اكثر الترحال للحج والزيلوة ماشيا حتى انه عرب بلقب (لول حج) اى المولع بالحج) "!

ان ما ذكره (مسكين) عن (بابا لول حج) يختلف عن التفاصئل التى اوردشا (ديده مرى) الا اننا اطلعنا على ما كتبه إقبال نقلا عن أبيه سمع اسلافه يقولون بان (بابا لول حج او لولي حج) هو حدهم الاعلى الا اننا لا نعرف شيئا عن الوسائط التى كانت بين اقبال و بابا لول حج في سلسلة النسب-

واما وصف كلمة (سبرو) الذى حكاه (ديوان تيك تشند) لاقبال من ان قبيلة (سبرو) هم اولاد الملك شابور او انهم يرجعون الى اصل ايرانى فهو ادعاء لا

يويده دليل تاريخي، الا اننا نعثر على نصر مما سرده (مسكين) في كتابه بانه كان يوحد راهب مجوسي في كشمير و كان اسمه (شابور) فتاچر من السيد على الهمداني فاسلم[٩]-

و كذلك فان (الخواجا حسن نظامي) قد زكذ في مقاله عن اقبال نقلا عن كلمة القاها السفير المصرى بمناسبة زكرى اقبال وقد حاول السفير ان يحقق بان براهمة كشمير بمصر كان اسمه (هرى هر) و ان(را) هى الشمس باللغة المصرية و ان سورة يوسف في القران الكريم تبدأ ايضا بالالف واللام والراء (الر) فكأن الله سبحانه و تعالى قد نطق في كتابه بكلمة (را) ق كذلك فان (رام) لها اهمية كبيرة في الديانة الهندوكية، و كان الكاهن (هرى هر) على مقاله السفير المصرى قد تزوج ابنة فرعون من الاقبال- ولما مات فرعون ولم يكن له من يخلقه على عرشه تولى الكاهن (هرى هر) عرش الفراعنة و حكم مصر هو و اولاده الى اربعة فرون اربعة فرون ثم قام انقلاب حكومي فحل محلهم اسرة جديدة من الفراعنة مما جعل اولاد(هرى هر) يخرجون من مصر مع قوم موسى عليه السلام و اما موسى و قومه فذهبوا الى فلسطين وما اولاد (هرى هر) فقصدوا بلاد افغانستان و نزلوا بها وأنشأوا بها مدينة جديدة كانت تسمى (هرى) والتى عرفت بهرات فيما بعد ثم هاجر هؤلاء الى كشمير و منها الى الهند فأنشأوا معبدا على ضفة (حنجا) سموه (هر دوار تيرت) على اسم جدهم الأعلى ومن ثم براهمة كشمير كلهم يرجعون إلى أصل مصرى ولأن اقبالاً كان من براهمة فهو مصرى اصلا كما ان (جواهر لال نهرو) من براهمة كشمير فهو ايضا من المصريين!

ان التاويلات مثل هزه لا تستحق اى تعليق فالانسان اذا كان خصب القريحة عبإمكانه ان يخترع و يبدع ما يشاء ارضاء لأهوائه وا تائيدا المصالحه واغراضه!

و اذا صح بان (بابا لول حج) هو الجد الأعلى لاقبال فان المعلومات التى وصلت وصلت الينا تجعلنا ان نقول بان ماقاله (ديده مرى) عن (بابا لول حج) اصح مما اورده (مسكين) عنه لأن ماقاله (مسكين) يشير إلى أن (بابا) كان قد قطع صلته بزوجته قبل ان يخلوبها وانه قضى ما بقى من عمره في الهزبة، و ينشأ السوال حينئذ حول استمرار النسل و تسلسله-

و قد اتضح من البحث الذى قام به الشيخ فوق بان (بابا) اصله من البراهمة ومن قبيلة (سبرو) ثم اعتنق الاسلام الا اننا لا نعرف شيئا عن اسمه الذى كان

يعرف به قبل ان يعتنق الاسلام و بما ذا سمى بعد ان اسلم ولم نعرف عنه شيئا الا ما وصل الينا بلقبه والشئ الآخر الذى يمكن استنتاجه مما قاله(ديده مرى) والشيخ فوق هو أن (بابا) قد يمكن ان يكون قد اسلم قبل الزواج وانه قضى حقبة من الزمان مع زوجته ثم افترقا بالخلع و حينئذ يمكن القول بأن (بابا) كان اولدها و ان سلالته قد استمرت بصفة متواصلة متسلسلة!

وما دامت الديانة اوا العقيدة ترجع الى العواقف اكثر مما ترجع الى العقل فان من الصعب على الانسان ان يغير عقيدته او ديانته فالسوال الآن هو: مازا جعل (بابا) يترك دئنه المتوارث و يعتنق الاسلام؟ والمصادر عن ترجمة (بابا) لا ترد على هذا السوال، الا اننا نستطيع ان نستبط مما وصل إلينا من المعلومات عن حياته بانهه لم يغير دينه كرها و خوفا من قوة او سلطة كما انه لم يغير دينه و عقييدته رغبة في اغراض مادية لانه لوكان هذا التفيير قد حدچ تحت ضفط من هذه الضفوط لما كان له من الممكن ان تبلغ ما بلغه من حب الاسلام و رسوله صلى الله عليه وسلم ما جعله يخرج ما شيئا للحج والزيادات المتواصلة، ولوكان قد غير دينه لغرض مادى لوصلت إلينا البراهين والشواهد التى تشير إلى تحسين الحياة المادية له بعدن لك-

قد كان حضرة (بابا) ينتمي الى فئة البراهمة او قبيلتهم التى لم تحفل بما لاقته من التعريض والتحقير و انما ستمرت في اهتمامها باللغة الفارسية واحتلت مكانة بارزة في آرا بها ولعل حضرته كان يعرف اللغة الفارسية كاسلافه و معاصريه من البراهمة و ان معرفته بهذه اللغة كانت قد اصبحت المفتاح الذى فتح عليه ابواب العلوم الاسلامية فدرسها بجهوده الذاتية و دراستة العميفة هى التى احدثت في نفسه تغييرا ثوريا مما انتهي به الى اعتناق الدين الاسلامي الحنيف كما انه من الممكن ايضا ان (بابا) لم يكن مقتنعا بدين آبائه راضيا بما توارثه من العقائد اوانه لم يكن من الذين يتبعون من العقائد والتقاليد المتوارثة وانما يملكون فطرة تحرضهم على التحقيق والبحث عن الجديد!

وقد ذكر الشيخ فوق بان الذى جعل اجداد اقبال يعقتون الاسلام قد كان نتيجة لحبهم واعتقادهم في ولى من اولياء الله وان ذلك الحب والاعتقاد لا تزال ميزة تمتاز بها أسرة اقبال حتى اليوم-[11] كل حال فانه من الممكن ان نعتقد بان حضرة (بابا) كان قد تزوج في اسرة مسلمة بعد ان اعتنق الاسلام وقد لا حطنا ان (ديده مرى) و مسكين يتفقان على انه لم يكن على صلة جيدة مع زوجته وقد يمكن (واليه اشار مسكين في كلامه) انها كانت تصحك منه لانه كان معوج

الرجلين واحول العينين فتضايق (بابا) منها وتبرهم فترك عائلته و زهد في الدنيا و ها كشمير متوجها الى ارض الحرمين ثم قضى اثنى عشر عاما يجوب الافاق و بتجول في البلاد- و هذه التفاصيل و ان كانت قليلة مجملة الا انها تعطينا صورة واضحة عن (بابا) وطبعه الحساس الابى حيث اصبح تصرف الزوجة وسلوكها معه سببا محر:ا على الزهد في الدنيا و ظواهرها والبحث عن الحق و جماله الباطنى و كان قد اضاء في حاجة الى مرشد كامل من الاولياء يبايعه فيرضيه بما يبغي و يرويه بما يطلب و بشفي غليله بتوجيهه الروحي، ومن ثم تلقى الاشارة الروحية الخفية التي كان ينتظها بعد يطلب و بشفي غليله بتوجيهه الروحي، ومن ثم تلقئ الاشارة الروحية الخفية التى كان ينتظرها بعد ان عادع الى كشمير من سفره الطويل الذى دام اثنى عشر عاما فاصبح من مريدى (بابا نصير الدين) وبذلك ارتبط بالسلسلة (الريشية) من المتصوفين- وهذه فاصبح من مريدى (بابا نصير الدين) وبذلك ارتبط بالسلسلة (الريشية) من المتصوفين- وهذه المراجع كلها لا تنص على اولاد (بابا) احفاده ولعله قد قطع صلاته نهائيا مع اولاده واحفاده حين ترك الدنيا و هذ فيها رارتبط بالسلسة المتصوفة-

والسوال الآن هو اعتنق جد اقبال الاعلى الدين الاسلامي ودخل فيه؟ فيول معظم المترجمين لاقبال ان اجداده كانوا قد اعتنقوا الاسلام قبل مولد اقبال بقونين او اكثر من الزمان- فان الشيخ فوق يقول بانهم كانوا قس اسلموا قبل مولده بقونين والربع من الزمان وذلك في عصر الملك المغولي (عالمكير)- الا اننى لست اراه صوابا لابن بعص ما كتبه الشيخ فور نسفه يكذب ما دعاه، فقد الف الشيخ فوق كتابا وسماه "تاريخ بد شاهي" والذى طبع في سنة ١٩٤٤م حيث خصص بابا لعصر بد شاه و ترجم فيه لبعض العلماء والمشائخ و اصحاب الطرق الصوفية الذين اتصوا بالسلسلة الصوفية (الريشية) و ذكر من بينهم الشيخ نور الدين ولى رشي والشيخ نصر الدين الى جانب (بابا لولى حاجى)-[١٢]

وكان الملك بد شاه هذا قد است وى على عرش كشمير في سنة ١٤٢٠م وتوفي في ١٤٨٠م فهذا مما يدل دلالة واضحة على ان جد اقبال الاعلى كان قد اعتنق الاسلام في القون الخامس عشر الميلادى اى قبل مولد اقبال باربعة قرون و نصف تقريبا ق قبل مجئ ظهير الدين بابر(موسس الدولة المغولية في شبه القادة) الى الهند بقرن من الزمان تقريبا، ق ذلك حين كان ملوك اسرة السادات يحكمون دلهى وما اليها او في عصر السلطان بهلول اللودى الذى (الاسرة الساداتية في

حكم دلهن و كان معظم بلاد اقليم بنجاب تحت سيطره الامير جسر- ككرو بلاد الدكن تحت حكم الاسرة البهمنية حينذاك-

وقد سبقت الشارة الى ان جد اقبال الاعلى (بابا لول حج) كان قد ارتبط بالطريقة الصطفية الريشية و ذلك مما يدعونا الى ان نفصل القول عن هذه الطريقة الصوفية بهذه المناسبة، فيقول الشيخ فوق فيما قام به من البحوث عن بلاد كشمير بان تاريخها يتجاطر خمسة الاف سنة وقد استولى عرشها خلال هذه المدة احدى و عشرون اسرة من اسر الامراء الهنادكة واحدة تلو الاخرى وقد انقرض حكم هولاء الامراء الهنادكة في كشمير خلال القرنين الحادى عشر والثاني عشر و كان من اسباب زوالهم الجدب الفيضانات والموامرات الداخلية والحروب الاهلية وقد تم القضاء على اخر اسرة من هذه الاسر الهندوكية على يد (ذى القدر خان) التترى الذى عرف بين اهل كشمير باسم زوالتشو-

وقد احتلت اسرة بلاد كشمير عرفت بالاسرة الشاهميرية في القرن الثالث عشر الميلادى و تنتهى هذه الاسرة المسلمة الى اصل تركى وكان موسسها الملك (شاه مير) والذى عرف بالسلطان سمش الدين حين اعلن نفسه ملكا لكشمير- وكانت هذه الاسرة التركية المسلمه قد حاجرت من منطقة (بنجكوره) في افغانستان وقد اصبحت اللغة الفارسية لغة رسمية لكشمير في سنة ١٢٩٥م على ما يقدرة الشيخ فوق في ابحاثه عن كشمير ولعل هذا هو العصر الذى فيه اعرضت فئة من براهمة كشمير عن تقاليدهم و تعصبهم القومي والدينى واقبلوا على اللغات الاسلامية وعلومهها- والذين كونوا "قبيلة" مستقلة عرفت بقبيلة (سبرو) فيما بعد-

ومن اشهر سلاطين الاسرة الشاميرية السلطان شهاب الدين والسلطان قطب الدين والسلطان سكندر بت شكن (اى مكسر الاصنام)- الا ان السلطان زين العابدين بدشاه هو الذى حضا بنصيب وافر من الشهر وقد استولى على عر: كشمير بعاصمتها (نوشهره اى المدينة الجديدة وهي مابين ميو اكدل و جاندر بل في الناحية الشمالية لمدينة سرينجر الحالية) في سنة ١٤٢٠م مات في سنة ١٤٨٠م- وقد تقدمت كشمير قد ما عظيما في العلوم دينية والمادية في عصر هذا الملك الذي امتد الى خمسين سنة و كان الملك هذا عالما و شاعرا و كان يجيد اكثر من لغة و كان يقدر العلمائ والمشائخ والمتصوفة و قد ترجم بعض الكتب من اللغة السنسكرتية الى الفارسية وبالعكس بأمر منه بذلك اتاح فرصة للهنادكة والمسلمين ان يفهموا ديانة بعض الى جانب العلوم والمعارفلكل فئة- وكان قد انشا دارلترجمة والتصنيف لتحقيق هذه الاهداف فقد تام اللا احمد بترجمة

كتاب (مهار بهارتا) الى الفارسية في عصره و كان الملك بد شاه ةذه لا يعصب في الدين و ذلك حبه لبلاده و شعبه- وكان الهنادكة والمسلمون يحبونه على السواء و ذلك لحسن معاملته وسلوكه معهم-

و كان هذا الملك قد الفى الجزية و ذلك استرضاء للهنادكة وامر بتجديد المعابد الهنوكية والاهتمام بها الى جانب بناء المساكن للرهبان الهنادكة فكانه قد قام بتطبيق عملى لقوله تعالى: لا اكراه في الدين- وكان بعض الهنادكة قد اكرهوا على اعتناق الاسلام في عصر السلاطين السابقين الا هذا الملك اذن لهولاء الهنادكة حديثي الاسلام ان يعود الى عقيدتهم القديمة اذا احبوا ذلك ولم يستطع احد من قضاة المسلمين و وعلمائهم ان يجترئ على عقوبتهم بسبب الارتداد وكذلك الهنادكة الذين كانوا قد حاجروا من كشمير و كانوا يعيشون في المنفي دعاهم الملك الى وطنهم امر بارجاع ما سلب من ممتلكاتهم و خصص لهم المنح والعطايا المالية-

و قد جاء فيما قاله الشيخ فوق اللغة الفارسية كانت قد اصبحت لغة رسمية لبلاد كشمير قبل عصر بدشاه بقرن والربع من الزمان الا ان اغلبية براهمة كشمير كانوا يعتبرون الفارسية لغت الانحاس غير الطاهرين و كانوا يمنعون ابناء وطنهم و ديانتهم من تعلم اللغة الفارسية والعمل في الوظائف الحكومية وكانوا يطردون كل من تعلم الفارسية وتولى المناصب الحكومية من اخوانهم فطلب هذا الملك من الهنادكة ان يتعلموا اللغة الفارسية و خصص المالية الطلاب الهنادكة ففي هذا العصر اخذ الكثيرون من بناديت كشميروا البراهمة يتعلمون اللغة الفارسية ولم يمض كثير من الوقت حتى كان قد ظهر فيهم شعراء اللغة الفارسية و وعلمائها الافاضل الدين بلغوا من رضى الملك واحتلوا مكانة مرموقة في بلاطه الى جانب المناصب الحكومية-[١٣]

وقد جاء ذكر المتصوفة المسلمين الريشيين في عصر السلطان قطب الدين والسلطان سكندر بت شكن اللذان قد حكما كشمير قبل الملك بدشاه الا ان زعيم هذه الطريقة الصوفية وما مها الشيخ نور الدين ولى رشر كان قد ادرك عصر السلطان سكندر بت شكن والملك بدشاه كليهما وقد ساهمت هذه الطريقه الصوفيه بالكثير في انتشار الاسلام وتبليغه في بلاد كشمير-

ويقول الشيخ فوق بان (رشي) ليسوا من قبائل كشمير او عشائرها وانما هم طائفة من الزهاد التى عرفت بهذه الاسم تشتمل على الافراد الكثيرين من

الكشاترة والبراهمة الويش المير ولباط من قبائل كشمير وعشاعرها المعروفه- الا معظم اعضاء هذه الطريقة الصوفية كان من هؤلاء المتصوفة الذين كانوا قد تركوا دياناتهم واعتنقوا الاسلام- و (رشي) كلمة سنسكرتية تدل على من ترك الدنيا و زهدهم فئها واشتغل بذكر الله و قد جاءت كلمة "رخي" بدل كلمة "رشي" في اللغة الكشميرية، و كان زهاد هزه الطريقة و عبادها قد اتبعروا عن الزواج والاولاد والدنيا و متاعها واطماعها وشهواتها و عن المدن و سكانها واتجهوا الى الغابات والبوادى و مفارات الجبال حيث اشتغلوا بالعبادة والرياضة في جو من الخلوة والسكوت، وكانوا يعيشون على ماتنتج لهم البوادى والغابات- ويقول الشيخ فوق والرياضة في بعض كتب التاريخ كلمة "رشية" بدل كلمة "رشي" و ذلك بيانا ود لالة على ان هؤلاء الناس كانوا يحاربون النفس والشياطين عاملين بالجهاد الاكبر مستخد مين سيف الرياضة والتعبد الكثير من العناء والمشقة حتى كانهم كافوا بقطعون احسامهم و يجعلون منها قطعا ومن ثم عرفوا بلقب "رشي" اى الذى قطع حسمه و جعله قطعا مبعثرة-

و كان يسمى والده وهو على مذهبه الهندوكي به (سالار سنز) ثم اسلم فعرف باسم اسلامي وهو سالار الدين وهو ينحذر من اسرة الكشاترة ومن سلالة الامير (بتا سنز) من امراء كشتوار في الحلقة الرابعة من النسب- اما زوجة سالار الدين و والدة شيخ نور الدين الولى فكان اسمها سدرة ما جى وكان الشيخ قد ولد في مكان اسمه (كيمو) في سنة ١٣٦٨م و يذكر شيخ فوق بان هذا الشيخ كان يتضايق بهذه المهنة تضايقا شديدا و يتبرم منها فترك اللصوصية واهلها وهو في الثلاثين من عمره و زهد في الدنيا و عاش في الغابات والبوادى والحبال لمدة لا يعلمها الا الله وكان يعيش خلالها على اوراق (شجرة كاسنى) الهندباء البرية-

وقد جاء الكثير في كتب التاريخ عن الشيخ نور الدين الولى و تحصيله للعلوم المتد اولة والحضور في حلقات المتصوفين للاستر شاد الاهتداء كما انه ورد الكثير عن كرامات الشيخ و زهده وقد كان من الشعراء المعروفين باللغة الكشميرية و توفي في ١٤٣٩م- وقد بلغ الثالثة والستين من عمره و دفن في مدينة (تشرار شريف) و كان الملك بدشاه من اتباع هذه الشيخ و مريده المكرمين له وقد حضر هو زرانه و رجال بلاطه في جنازة الشيخ ثم امر ببناء ضريح له ثم تلاه غيسره من الملوك والسلاطين فاضافوا كثيرا الى بناء الضريح له في مختلف الاحيان- وكان عطا محمد خان الحاكم الافغانى لكشمير قد بالغ في تكريمه للشيخ فأمر بضرب العملة باسم الشيخ نور الدين الولى في سنة ١٨٠٨م-

وكان اسم خليفة الشيخ الاول (بام الدين رشي) الذى كان من فئة البراهمة وكان اسمه (بهيمة سادهي) قبل از يعتنق الاسلام وما الخليفة الثاني للشيخ فاسمه الاسم والخليفة الثاله اسمه (لطيف الدين رشي) وكان هو الاخر من كشاترة كشمير و كان اسمه (لدهي رينا) قبل ان يعتنق الاسلام- واما الخليفة الرابع للشيخ (نور الدين) فهو الشيخ (نصر الدين رشي) وهو الذى بايعه (باب لول حج) جد اقبال الاعلى وكان هو ايضا من الكشاترة وكان يعرف باسم (راؤتر) قبل اعتناقه للاسلام وكان قد اعتنق الاسلام وعلى دعوة من الشيخ نصر الدين الذى بايعه جد اقبال الاعلى: لشم رشي الول و لشم رشي الثاني و جوهر الدين رشي و صدرالدين و بدر الدين رشي و بابا لول حج- ولما اتباع بابا لول حج المذكورين في كتب التاريخ والتراجم فهم ركن الدين (ايبى رشي) الذى خلف شيخه بعد وفاته والشيخ (رن بو/ رشي) الذى كان من قرية (الاجورة بتا تشهرات) واما الخلفاء والمتصوفون من الطريقة الريشية والذين جاؤا بعد هؤلاء المذكورين فاننا في حاجة الى المزيد من البحث والتحقيق عنهم-[١٥]

والجدير بالذكر ان الطير الصوفية التى اشتهرت في شبة القارة في المراحل المختلفة من التاريخ و كان قد اسسها السادة الاشراف الذين هاجروا الى الهند من آسيا الوسطى او الشرق الاوئط و عاشوا في بلاد شبه القارة و اماتوا و دفنوا بها- واما خلفاؤهم اللذين احتلوا مناصبهم فكانت اغلبيتم ايضا اما من اسرتهم او من سلالتهم، ولكن الطريقة الريشية تمتاز من بين هزه الطرق المتصوفة كلها حيث كان موسسها من ارض كشمير ومن كشاترتها الذى كان والده قد اعتنق الاسلام وكذلك خلفاده واتباعه كانوا من اللذين اعتنقوا الاسلام ولم يكونو من الاسر المسلمة واما الميزه الثانية لهذه الطيرقة المتصوفة فهى ان تعاليمها تقوم على خليط من الفلسفة الفيدانية الهندوكية والفكر الوجودى و ذلك لان الدعوة الى ترك الدنيا والزهد فيها انما هى ميزه خاصة بالفلسفة الفيدانية الهندوكية-

وقد ذكر الشيخ فور في كتابه عن تاريخ اقوام كشمير الذى طبع في ١٩٤٣م بانه كان متصوفا يعرف بالشيخ الاكبر وهو في الحلقة الرابعة من نسب اقبال قبل جده (الشيخ محمد رفيق) فقد جاء في هذا الكتاب ما نصه: [١٦]

"وقد مر في اولاد (بابا لول حج) ولى كان يعرف بالشيخ الاكبر وقد كان متصوفا عاملا يقضي اكثر اوقاته في حلقات المتصوفين وكان قد بلغ من القداسة والتقوى و نجابة النسب حتى ان شيخه المرشد الذى كان من السادة الاشراف زوجه من ابنته وحين توفي شيخة الشريف هذا كان ابنه (سيد مير)

طفلا صغيرا ومن خلف شيخه واحتل منصبه وكان الشيخ الاكبر هذا الشيخ الاكبر هذا يميل الى الاسفار والجولات البعيدة و قد زار اقليم بنجاب اكثر من مرة-"

الا ان الشيخ فوق لا يحدثنا عن المصدر لهذه المعلومات عن احد أجداد اقبال كما انه لا يصرح بالحلقة فيها هذا الشيخ الاكبر من سلالة باب لول حج كما ان هزه التفاصيل لا يحدثنا عن مرشد الشيخ الاكبر او الطريقة الصوفية التى كان الشيخ الاكبر اليها-

وقد ذكر (سيد نذير نيازى) في كتابه[١٧] عن اقبال قولا الذى يستحق اهتمامنا بهذه المناسبة كان اقبال قد اخبره بذلك :

"ان جد والدنا او جد جدنا كان من اصحاب الطريقة وكان اسمه الشيخ الاكبر، واما عن اتصاله بالطريقة فانه كانت اسرة من السادة الاشراف تعيش في مدينة (سنكترة) وكان عامة الناس لا يصد قونها بانها من السادة الاشراف ومن ثم كانوا يطعنون في هذه الاسرة و ينالون منها مما اغضب كبير الاسرة يوما، فليسر ثوبا اخضر فجلس على النار المشتعلة ويقال بان ذلك الثوب كان من مخلفات سيدنا الامام الحسين عليه الاسلام وقد كان من بركة امام وكرامة ان النار لم توثر فية- و عند ما رأى الطاعنون ذلك تاكدوا بانها من السادة الاشراف حقا- وعندما مات ذلك الشيخ الشريف خلفه الشيخ عند والدنا الكريم و خاطبه قائلا: لماذا لا تشتغل في تجارة الدثارات او الاثواب الصوفية و قد كان ثمن دثار واحد يزيد عن الربتين في ذلك الوقت الا ان الوالد الكريم كان قد اعد مأتين او اربع مائة دثار و بيعت هزه الدثارات كلها باثمان جيدة باذن الله مع ان كل دثار كان قد كلف الوالد اقل من نصف روبية- وقد ربحنا واكتسبنا مبلغا معقولا لتغيير احوالنا المالية ثم نال اخونا الاكبر وظيفة حكومية ايضا"

وكان اقبال كما جاء فيما رواه (سيد نذير نيازى) قد استخدم كلمة (سنكترة) الاسم القرية التى كانت تسكنها اسرة الشيخ الذى كان الشيخ الاكبر قد بايعة- وقد صرح (سيد نذير نيازى) بهامش كتابه بان (سنكترة) هذه قرية من مضافات محافظة سيالكوت فوق عن الشيخ الاكبر و شيخه و اسرته لم يصرح فيها بان هذه الاسرة كانت تسكن قرية سنكترة التى توحد في محافظة سيالكوت وانما الامر بالعكس حيث يبد و ان هذه الاسرة كانت تسكن في قرية من قرى كشمير لانه يصرح قائلا بان الشيخ الاكبر هذا كان قد سافر لزيارة اقليم بنجاب اكثر من مرة كما ان الشيخ فوق قد صرح فيما حكاء عن الشيخ الاكبر بانه كان

في الحلقة الرابعة من نسب جد اقبال (الشيخ محمد رفيق)-

والشئ الجديد الذى يدل عليه ما قاله (سيد نيازى) هو عن مسكن اسرة الشيخ الذى كان الشيخ الاكبر من اتباعه، اى هل كانت هذه الاسرة في قرية من قرى كشمير او محافة سيالكوت؟ و اذا صح ان مسكن هذه الاسرة هي قرية من فوق سيالكوت فاذنه لا يصح ما قاله الشيخ اعجاز احمد والشيخ فوق من ان جد اقبال اوخوته الثلاثة كانوا قد هاجروا من كشمير وانما كانت هذه الاشرة قد هاجرت من كشمير الى سيالكوت قبل مولد جد اقبال واخوته الثلالة- وقد كان او جد جده الشيخ الاكبر قد استوطن محافة سيالكوت، الا انه يمكن ان الشيخ الاكبر كان يسكن في كشمير، وكانت اسرة شيخه هي التى استوطنت محافظة سيالكوت- وكان الشيخ الاكبر هذا يسافر يمن حين وآن لزيارة اقليم بنجاب او محافظة سيالكوت لريعاية تلك الاسرة والاهتمام بها- وقد اتصل مؤلف هذا الكتاب بالشيخ اعجاز احمد و لفت نظره الى ما قاله (سيد نيازى) فقال له: [١٨]

"لعل العم (اى اقبال) كان قد ذكر قرية من قرى كشمير التى ظنها (سيد نيازى) قرية سنكترة الا انه لا يمكن لاحد ان يصرح بشئ غير (سيد نيازى) فلو انه لا يزال يتذكر شيئا بالضبط حتى بعد مضى تمايه و ثلاثين سنة منذ ان حكى العم ما حكاه عن شيخ الشيخ الاكبر و اسرته باهم كانوا يسكنون قرية سنكترة من مستمرة حتى ايام جدنا اى والد اقبال كما انه يدل على ان اسرة الشيخ هذه كانت تسكن في محافظة سيالكوت ولكنه في نفس الوقت من الممكن ان الشخص من اسرة ذلك الشيخ الذى مر ذكرة كان قد جاء الى والد اقبال من بلاد كشمير لاننى اتذكر جيدا بان شخصا كان يزور جدنا بين حين وآن في فصل الشتاء وكان يأتي من كشمير ونحن اطفال في ذلك الوقت يقال ان هذا الشيخ من اسرة شيخنا ذلك وكانت ام اقبال تتضايق بزريارة ذلك الشخص للبيت"

و يضيف الشيخ فوق قائلا: [١٩]

وكان في الحلقة الرابعة من اصلاب الشيخ الاكبر اربعة اخوة وكانوا هاجروا من كشمير حين كان الافغان يحكمونها واستوطنوا قليم بنجاب و يبدوا انهم مروا من مضيق (بانهال) و مروا في طريقهم بمدينة (جمون) حتى وصلوا الى سيالكوت فاستوطنوها و ذلك لانهم كانوا من سكان منطقة (كولجام) واست قر الابن الاول والثانى وهما الشيخ محمد رمضان والشيخ محمد رفيق بمدينة سيالكوت و جعلوها وطنا و مستقراً لهما ولا ولادهما وما الابن الثالث وهو الشيخ عبدالله

فاستوطن قرية (جيتي كئ)- واما الاخ الرابع وهو اصغرهم والذى لا يعرف عن اسمه شئ فيقال انه كان قد استوطن مدينة لاهور- وقد كان الشيخ محمد رمضان يميل الى التصوف وقد الف العديد من الكتب باللغة الفارسية عن التصوف وطرقه- واما الشيخ محمد رفيق فكان قد اشتغل تاحرا للاقمشة في مدينة سيالكوت وكان ابنه الشيخ نور محمد (وهو والد اقبال) يشتغل مع ابيه في هذه التجارة- واما ابن الشيخ محمد رفيق الاصغر وهو الشيخ علام محمد فكان قد وظف بمصلحة الرى وكان يعمل بمدينة (روبرو) حين زاره والده الشيخ محمد رفيق الذى مرض هناك و توفي ودفن بالمدينة نفسها- واما الابن الثالث اى الشيخ عبدالله فان الكثر من ولده يعيشون في حيدراباد الدكن فهم من سكان تلك البلاد ويعيشون على مهنة الزراعة- اما اخنوهم الرابع الذى كان استوطن لاهور فلم يكن له عقب واما اسم والد الشيخ محمد رفيق هذا فليس احد يعرفه من كبار مدينة سيالكوت الطاعنين في السن او احد من ولده او اقاربه الاخرين والسبب في ذلك ان والده لم يكن قد دخل منطقة بنجاب وانما كان والذى رافق بعض اخوانه حين هاجروا الى بنجاب ومن ثم لم يعرف احد اسم والده ويحدثنا مولانا عبدالعزيز ملك (من سكان جوجرانواله) في ٩٤/ من عمره عن الشيخ محمد رفيق بانه كان متوسط القامة جميل الوجه حسن الطلعة وكانت ملامحه الجميلة و وجهه المتلألئ يدل على كونه كشميريا-

وهذه التفاصيل التى اوردها الشيخ فوق لا تخلو عن بعض العيوب لان والد الشيخ محمد رفيق واخوته كار اسمه الشيخ جمال الدين، وذلك لان الشيخ اعجاز احمد يصرح بان هذا الاسم قد ورد في بعض الوثائق الرسمية المسجلة، وكذلك فان أخا الشيخ محمد رفيق الذى قال عنه الشيخ فوق بانه لم يعثر على اسمه فان اسمه قد عثر عليه وهو الشيخ عبدالرحمن- وليس من الصواب بانه كان قد استوطن مدينة لاهور ولم يعقب وانما كان الشيخ عبدالرحمن المذكور نزل في سيالكوت واستوطنها ولا يزال احفاده يعيشون هناك حتى اليوم- وكذلك احفاد الشيخ عبدالله يعيشون في سيالكوت الا ان البعض من اسرته كانوا قد سافروا الى حيدراباد الدكن- ويذكر الشيخ فوق بان الشيخ محمد رمضان (اى أخا جد اقبال) كان قد الف العديد من الكتب عن التصوف وطرقه الا انه لم يسرف تفاصيل الكتب هذه كما انه لا يصرح بالمرجع الذى كان قد اطلع عليه-

"وقد جاء في المجلد الرابع من كتاب "روزگار فقير" على لسان الشيخ اعجاز احمد[٢٠] ليس من الممكن ان نحزم القول عن الوقت الذى هاجر فيه اجداد

العلامة اقبال من كشمير الى سيالكوت الا ان القرائن الثامن عشر الميلادى او في مطلع القرن هذه الهجرة كانت قد حدثت اما في اخريات القرن الثامن عشر الميلادى او في مطلع القرن التاسع عشر الميلادى- اوما الذى هاجر من اجداده فقد يمكن ان يكون والد جده الشيخ جمال ادين او ابنائه الاربعة والذين كانت اسمائهم الشيخ عبدالرحمن والشيخ محمد رمضان والشيخ محمد رفيق والشيخ عبدالله- وقد يمكن ان الشيخ جمال الدين هو الذى كان قد هاجر مع ابنائه الاربعة على كل حال فمن المحقق بان هولاء الاخوة الاربعة كانوا قد نزلوا في مدينة سيالكوت في مبدئ القرن التاسع عشر الميلادى وكان حمد العلامة اقبال الشيخ محمد رفيق وخواه الشيخان عبدالرحمن و محمد رمضان يعيشون في سيالكوت واما ثالثهم الشيخ عبدالله فكان قد نزل بقرية (جيتى كى)- وكان جد العلامة اقبال قد تزوج فى المرة الاولى من فتاة كشميرية بمدنية سيالكوت الا انها لم تنجب وماتت ثم تزوج مرة ثانية في اسرة كشميرية من سكان (جلال بور جتان) وكانت المرأة الثانية جميلة جدا ومن ثم كانت قد عرفت بلقب ججرى (اى الفتاة الجميلة) وانجبت عشرة ابناء للشيخ محمد رفيق واجدا تلو الاخر الا انهم ماتوا جميعهم وكان والد اقبال الشيخ نور محمد هو الولد الحادى عشر لابيه الشيخ محمد رفيق وكانت نساء الاسرة قد نذرن كثيرا من النذور و ذه بن الى الاوليا والمشائخ للدعاء والبركة ولقد كان من قدرة الله انه استحاب دعاء البعض منهن ولم يمت والد العلامة اقبال فحسب وانما عمر طويلا وكان قد شارف ٩٦ سنة حسب التقويم القمرى و ١٣ سنة حسب التقويم الشمسى حتى انه كان قد تمتع بمشاهدة ما نالته اسرته من الشهرة والعز والشعبية بسبب ابنه (اقبال) العظيم-

وقد رزقه جد اقبال بابن اخر بعد والد اقبال و اسمه غلام محمد وكان هو موظفا في مصلحة الرى وكان مقر عمله مدينة (روبرو) من محافظة (ابناله) في الهند- وقد ذهب الشيخ محمد رفيق هناك ليزور ابنه فاصيب بالكوليرا وتوفي ودفن بمدينة روبر نفسها ولم يكن للشيخ غلام محمد اولاد من الذكور وكانت له ابنتان موجودتان عند وفاته ولها تين البنتين عقب وكلهم يعيشون في مدينة سيالكوت حتى اليوم"

وكان ابوا الشيخ نور محمد اى والد اقبال قد تقبا انف ابنهما عند مولده ووضعا فيه حلقة جديدة ولذك اتباعا للتقاليد المتواثة الموجودة في ذلك المجتمع المختلف الضعيف في العقيدة-

وكان الغرض من ذلك هو وقاية الابن و رعايتة من العين الحاسدة والقوى

الطبيعة وذلك ليوهموا القوى الطبيعية كانهم قد رزقوا ببنت وليس بابن ومن ثم عرف والد اقبال بالشيخ نثوا اى الشيخ صاحب الحلقة الحديدة في انفه- وتوفي الشيخ نور محمد في ١٩٣٠م و اذا كان هذا الشيخ قد بلغ ٩٣ سنة من عمره حسب التقويم الشمسى فان مولده كان سنة ١٨٣٨م، ويويو ذلك ما كان لقوله الشيخ نور محمد نفسه بانه كان شابا يافعا حين قامت الثورة الهندية المعروفة ضد الاستعمار البريطانى في ١٨٥٨م فكانه كان قد بلغ عشرين عاما من عمره في ذلك الوقت-

انه ليس من السهل على الانسان ان يهاجر هـ وطنه فالسوال الان لما ذا كان اجداد اقبال قد هاجروا من كشمير- وليس لدينا رد مقنع واضح على هذا السوال- وكانت بلاد كشمير تحت حكم الافغان حين هاجر اجداد اقبال من كشمير كما يقول الشيخ فوق- و اذا اكنت هذه الهجرة قد حدثت في اخريات القرن الثامن عشر او في اوائل القرن التاسع عشر فان الحكم الافغاني كان قد بدأيميل الى الزوال والانحطاط في ذلك الوقت و كانت فئة (الشيخ) قد اخذت تسيطر على كشمير و يحدثنا الشيخ فوق بان اسلاف اقبال كانوا يقطنون منطقة مديرية (كولجام) حين هاجروا من بلاد كشمير- ولسنا نعرف من اين حصل الشيخ فور على هذه المعلمومات[٢١] الا ان تقديره هذا قد يكون صحيحا بانهم كانوا قد عبروا مضيق بانهال و وصلوا الى سيالكوت من طريق جمون-

كان الملك احمد شاه ابدالى قد هاجم كشمير في ١٧٥٢م وفتحها فضمها الى المملكة الدرانية و منذ ذلك اليوم بدأ الحكام ياتون من كابل ليحكموا اقليم كشمير- ثم انتصر الملك احمد شاه ابدالى على فئة مرهتة في الحرب الثالثة بقرب (بانى بت) في ١٨٦١م اى بعد تسعة اعوام منذ فتحه لكشمير و توفي فى ١٧٧٢م وكان احد اخلافة واسمه زمان شاه قد عين (رنجيت سنغ) حاكما لمدينة لاهور وما اليها من المناطق في ١٧٥٨م ثم بدأ هذا الحاكم الشيخ يطرد الافغان من مناطق بنجاب و سرحد حتي اصبح حاكما مستقلا لهذه البلاد واعلن نفسه اميرا عليها-

وقد اسمرت السيطرة الافغانية على كشمير لسبع و ستين سنة (١٨٥٢ الى ١٨١٩م) على ما صرح به (صوفى) واحتل وظيفة الحاكم الا قليمي اربعة عشر حاكما افغانيا خلال هذه المدة التى يسميها (صوفي) عصر الاضطرابات والقلق في تاريخ كشمير، و ذلك لان الكشميريين كانوا قد لاقوا اسوا ما يمكن من الظروف الطاحنة تحت الحكم الافغانى، فقد كان الحكام الا قليميون الافغان

يحاولون دائما ان يتحرروا من حكم كابل ليستقلوا في حكمهم على كشمير ومن ناحية اخرى فان المتطلعين الى عرش كابل كانوا يتخاصمون فيما بينهم- وكانت هذه الحروب الاهلية تكلف كشمير من النفقات الباهظة فعلى سبيل المثال ان الحاكم الاقليمة (عبدالله خان) كان قد ذهب بعشرة ملايين من الروبيات من كشمير الى كابل في سنة ١٨٥٨م و نتيجة لهذا التهريب الراسمالى واجهت بلاد كشمير اسوا سنة مجدبة وافظعها التى لا نظيرلها في التاريخ كله- وقد هزت بلاد كشمير زلازل شديدة لمدة ثلاثة اشهر خلال عهد الحاكم الاقليمي (كريم داد خان) في ١٨٧٦م- و تأثر بها الاف مولفة من السكان و سيطرت السنة المجدية الاخرى على كشمير في سنة ١٧٨٣م في عهد الحاكم الاقليمي (زاد خان) الى جانب الحروب الاهلية الافغانية حتى ان الكيلوا الواحد من الملح قد بيع و ربيات- و في عصر الحاكمين الاقليميين سيف الدولة مدد خان و مير داد خان في سنة ١٨٨٦م فرضت ضرائب باهظة على الكشميريين حتى انه استحال عليهم ان يشبعوا جوعهم- و في عصر الحاكم الاقليمي جمعة خان سنة ١٧٨٩م هزت بلاد كشمير الفيضانات الناشئة من الثلوج المتكاثرة- ثم ان الحروب الاهلية الافغانية في كشمير والتى استمرت من ١٨٩٣م الى ١٨٠٠م ذهبت بالالاف المولفة من نفوس الكشميريين واخيرا قبض على الحاكم الاقليمي عبدالله خان وجيء به الى كابل مكبلا مغلولا- وفي ١٨٠١م قبض على زمان شاه الملك الحاكم للكابل و فقئت عيناه واستولى اخوه محمد شاه على عرش افغانستان و في اثناء ذلك كان عبدالله خان قد فر من كابل ووصل الى كشمير واعلن استقلاله من كابل واما في كابل فجان محمد شاه قد عزل عن الحكم وحل محله (شجاع الملك) ملكا على البلاد فارسل (شير محمد) خان في ١٨٠٦م الى كشمير ليفتحها و يسيطر عليها الا ان عبدالله خان كان قد مات في سنة ١٨٠٧م و في ١٨٠٩م بدأت حروب اهلية افغانية من جديد في كابل وانتصر (عظيم خان) على (شجاع الملك) الذى لحاء الى الامير الكبيير (رنجيت سنغ) واما (شير محمد) خان فانه سافر من كشمير الى كابل فقتل هنالك، ثم عين عطا محمد خان حاكما اقليميا لكشمير اعلن استقلاله من كابل في ١٨١٠م-

و في ١٨١٣م انهزم عطا محمد خان امام جيوش الامير الكبيير رجيت سنغ و (فتح خان) هذا هو الذى خدع الامير الكبيير (رنجيت سنغ) واحتل الكشمير كلها- و في ١٨١٤م هاجم كشمير الامير الكبير رنجيت سنغ الا انه تراجع منهزما

امام جيش (عظيم خان) الذى كان قد خلف الامير (فتح خان) وكان الامير الكبير (رنجيت سنغ) قد هاجم كشمير من طريق سيالكوت و يقال انه كان قد اقام بها اياما ثم حاول ان يدخل كشمير من الطريق المضيق (بير بنحال)- وفى هذه السنة نفسها واجهت كشمير مجاعة اخرى ذهب ضحية لها الاف مولفه من النفوس وكان المير عظيم خان قد تلقى امرا بالعودة الى كابل واصبح اخوه (جبار خان) حاكما اقليميا لكشمير وهو اخر حكامها الافغان وقد انهزم في ١٨١٩م امام جيوش الامير الكبير رنجيت سنغ و هرب الى كابل و هكذا انتهى الحكم الافغانى في كشمير و تمت سيطرة الشيخ عليها كلها في ١٨١٩م-

وقد استمر حكم الشيخ على كشمير لسبعة و عشرين عاما من ١٨١٩ الى ١٨٤٣م- و في خلال هذه المدة حكم عشرة من حكامهم الاقليميين حكما مطلقا و على ما يصرح به (صوفي) ان حكم الشيخ على كشمير كان اسود حكم وافظعه من تاريخها فهو يقول نقلا من (وليام مور كرافت) الذى كان قد زار كشمير كان اسود حكم وافظعه من تاريخهها فهو يقول نقلا من (وليام مور كرافت) الذى كان قد زار كشمير في ١٨٣٤م بان السيخ كانوا يتعاملون مع الكشميريين بتعاملهم مع الحيوان حتي ان احدا من السيخ لو قتل احد الكشميريين فكان يغرم بمبلغ يتراوح عشرة الى عشرين روبية وكانت تأخذ اسرة المقتول اربع روبيات من ذلك المبلغ اذا كار المقتول هند وكيا وروبيتين فقط اذا كان مسلما وكان الكشميريون يرزحون تحت وطئة الضرائب الباهظة حتى ان فقرائهم كانوا يجتمعون في عد ضخم حول المدن والقرى و يتحذون وقد هاجر منهم الى بنجاب الاف مولفة بسبب الفقر والبؤس- وكذلك فان (بيرن شون برج) الذى كان قد زار كشمير في ذلك الوقت يعطى فيما كتبه صورة اليمة جدا عن فقرا الكشميريين تحت حكم السيخ، و كانت عقوبة من يذبح البقرة هو الاعدام حتى ان مسلما لو وجد وهو يذبح بقرة قبضوا عليه وجروره في شوارع مدينة (سرينجر) و ازقتها ثم اعدموه اما شنقا واما حرقا حيا و يقال ان مجاعة مهيبة هزت كشمير في ١٨٣١م في عهد الحاكم الاقليمى السيخ كنور شيخ سنع حتى ان عدد سكان كشمير انخفض الى مأئتى الف بعد ان كانوا ثمان مائة الف نسمة- وفي هذه السنة نفسها كان (فكترياك مون) زار كشمير وهو يذكر في رسالته التى بعث بها من كشمير بان عهد مقره في كوتلى قد شنق العشرات من الناس على اغصان الاشجار حتى ان خادمه السيخ (بهيم سنغ) جاء ليزوره في مقره فقال له في شئ من الاستكبار والاهمال بانه كان قد اعدم مأئتى كشميري شنقا في السنة الاولى

من الحكم السيخى اما الآن فيكفى ان يعدم عشرة منهم شنقا و ذلك لالقاء الرعب فى نفوسهم- و يذكر (ياك مون) هذا بانه لوكان في مقدرته لقبض على (بهيم سنغ) و جنوده البالغ عددهم ثلاث مائة جندى والذين كانوا ظهروا في ذى لا يختلف من زى اللصوص ولقادهم مكبلين مغلولين للعمل على مشروع من مشاريع الطرق المعبدة و حسبما قاله هذا الكاتب كانت كشمير قد استحالت الى صحراء مجدبة و في عهد الحاكم الاقليمي (بارام) كانت الزلازل الشيديدة قد هزت كشمير هزة عنئفة- و يصرح الدكتور (جوزف وولف) بانه كان قد غادر كشمير في ١٢/اكتوبر ١٨٣٢م وراى الالاف المولفة من الكشميريين الهاربين من ظلم السيخ واضطهان هم وكانت النساء نصف العاديات يسرعن هاربات وقد حملن اولادهن على اكتافهن ورؤسهن وكان (دين) قد زار كشمير في ١٨٣٥م فوجد المناطق القروية خالية من اهليها لانهم كانوا قد هاجروا من البلاد ولجأوا الى بنجاب والاقليم الاعلى والمناطق الاخرى وفي ١٨٤٦م كان السيخ قد انهزموا بعد ان احتل الانكليز بنجاب قباعوا بلاد كشمير للامير الكبير (جلاب سنغ) بخمة ملايين روبية وهكذا اصبحت كشمير اقطاعا للاسرة الدوجرية[٢٢]-

اذا هاجر انسان من وطنه فانما يهاجر منها اما ليبحث عن حياة رضية رضية و عيشة رغيدة و اما بسب الظروف القاهرة الفاسدة التى تكرهه على ذلك- فلقد كان الجد الاعلى للبانديت (جواهر لعل نهرو) اسمه البانديت (را حكول) الذى كان من علماء اللغتين الفارسية والسنسكرتية هو الذى هاجر من كشمير ليجعل مدينة دلهى وطنا مستقلا له و ذلك في اخريات العهد المغولى وفي عصر الملك فرخ سير في سنة ١٧١٦م تقريبا وكان هذا الملك قد تاثر بالبانديت راجكول و شخصيته فاخذه مع اسرته وجاء بهم الى دلهى ثم انتقلت هذه الاسرة الى مدينة (اله آباد)- وكذلك عالم اخر من علماء اللغة الفارسية السير (تيج بهادر سبرو) الذى كان من قبيلة اقبال و صديقا له هاجر اجداده على جد قوله من كشمير قبل مائة و ثلاثين عاما من مولده واستوطنوا بلاد الهند واما اجداد الخواجه ناظم الدين (الحاكم العام الثانى لباكستان وأحد روساء الوزراء فيها)

فقد كان بعض اجداده جاء الى دلهى في سنة ١٨٢٢م ليشكوا الى الملك المغولى ضد ظلم السيخ واضطهادهم الا انه عند ما عرف بان الملك المغولي المسكين لا يملك حولا ولا طولا ولا يستطيع ان ينهض بشئ في هذه القضية توجه الى بنفال ليستقربها ولوسس اسرة الامراء المعروفة بمدينة دكاء عاصمة

بنغلاديش الآن[٢٣]-

وقد رأينا من اللازم ان نسرد وقائع السيطرة الافغانية والسيخية على كشمير ليتضح لنا جليا الظروف الراهنة في كشمير في اخريات القرن الثامن عشر الميلادى و اوائل القرن التاسع عشر حين هاجر اجداد اقبال من كشمير- والظاهر ان هذه الظروف في كشمير كانت نتيجة للمجاعة والفيضانات والزلازل والحروب الاهلية الافغانية والضرائب الثيلة والفقر والبؤس وظلم السيخ واضطهادهم و سفكهم الدماء البريئة- فقد هاجر كثير من الاسر الكشميرية خلال هذه العصور ولجأت الى المدن والمناطق المختلفة في شبه القادة و يمكن لنا ان نقدر الظروف التى جعلت اجداد اقبال يهاجرون من كشمير وهي لم تكن الا الاضطرابات وعدم الثقة بالمقيل الامن ومن ثم كانوا قد هاجروا في اخريات الحكم الافغانى من كشمير ولجأوا الى مدينة سيالكوت حيث اشتغلوا بمهنة التجارة-

عند ما نسرد شجرة النسب لاسرة اقبال و اجداده يظهر بانه كان ينحدر من اسرة لم يكن من همها الجانب المادى للحياة وانما كان همها هو البحث عن القيم الخلقية والسعادة الروحية وانها كانت تفضل الدين على الدنيا دائما- ولعل هذا الذى جعل اقبالاً يقول في منظومته التى جاءت في ديوان شعره (ضربِ كليم) والتى عنوانها (الى جاويد)

١- ان عصرنا هذا يفسد الدين و ويقضى عليه لانه كافر بمبدأه و اساسه-

٢- ان زوايا عباد الله المخلصين خير من بلاط اى امبر طور في الدنيا-

٣- ان المجتمع البشرى قد خلا من هؤلاء الافذاذ الذين كانوا يملكون نظرا بعيدا عميقا يمكن ان ياتي على الزمان بضربته-

٤- الا انك تنتهى الى اسرة كانت عريقة في الطريقة والمعرفة-

و قد قال اقبال بعض الابيات الشعرية و خاصة في شبابه مما يدل على صلته بكشمير وحبه لها- ورغم ان فكر اقبال لا يسع القومية او الوطنية الضيقة لان فكره فكر عالمى الا اننا نرى في بعض ابياته الشعرية من الا لم والكربة التي كان يشعر بها في قلبه نحو كشمير و بعض مواطنيه المنكوبين- و بنفس الاسلوب اشار اقبال في بعض ابياته الشعرية الى صلته النسبية باسره البراهمة الكشميريين-

ومن داب الهنادكة عامةُ والبراهمة خاصة انهم يفتخرون باسلافهم البراهمة ولعل هذا لذى جعل الباندیت (رام جندر الدهلوى) من علماء اللغة العربية والسنسكريتية يقول فيما كتبه عن اقبال من المقالات (٢٤)

"انه لا يفهم الالهية والكلام الرباني الا ابن من ابناء البراهمة وها هو السر الذى

اودعه اقبال فيما قاله من الشعر عيرا انه بانديت من بناديت كشمير- و هذا هو السر الذى رباه اجداد اقبال تربية روحية في اصلابهم واحتفظوا بن لالاف من السنين-"

وقد كانت القيادة البراهمية هي التي جققت حرية سياسية للهند ومن غريب الصدفة ان الذى اسس فكرة للقومية الاسلامية الممتازه والدولة الاسلامية المستقلة اى باكستان لم يكن الا ابناً من ابناء البراهمة ايضا- فالسوال الان هل كان اقبال يفتخرو يعتز باسلافه البراهمة اوما هو دور البرهمية فيما ورثه اقبال من اجداده- ان العقائد القديمة المهجورة لاقيمة لها في حياة الانسان الفردية فهي لايمكن ان توثر في جيل او جيلين فيما بعد فقد كان الجد الاعلى لاقبال قد اعتنق الاسلام قبل مولد اقبال باربعة قرون و نصف ومن ثم لا يمكن لاقبال ان يفتخر باسلافه البراهمة ولكن الحقيقة ان اقبالاً لم يكن يستطيع ان ياكل لحم البقر ومن ثم لم يدخل لحم البقر في بيت اقبال وهو حيل- فاذا اطعمه احد لحم البقر صدفة او خطأ فان معدته لم تكن تسيغه و تهضمه وانما كان يشهر بشيء في طبيعته ما يكدر عليه صفوه- وبالاضافة الى ذلك فان اقبال رغم عدم الاهتمام عنده بعلم النجوم كان قد اعد خريطتين للبروج عند مولد ابنه المولف لهذا الكتاب وقد احتفظت الاسرة بهاتين الخريطين فقد اجديهما (راجا نرندرا ناس) من سكان لاهور اما الثانية فكان البانديت السير (نبواسية) قد اعدها و بعث بها من مدينة ميسور-

على كل حال فان الابيات الشعرية لاقبال التي ذكر فيها نسبه البراهمي فانما جاء ذلك تعريضا وطزاً فيما وجده اقبال من الاوضاع في العالم الاسلامي- وانما يقصد اقبال ذلك ان العرب مسلمين رغم انهم ورثوا العقيدة الاسلامية جيلا بعد جيل الا انهم لا يزالون يختصمون و يتقاتلون فيما بينهم ولا يهمهم مما جاء به الدين الاسلامي ولا يعرف اسراره و حكمه ولا يومن بمستقبله الزاهر الا رجل من سلالة البراهمة اى اقبال نفسه- و كذلك فانه يوجد في شعره ما يشير الى انه كان يرى بان تعمقه في العلوم الفلسفية و معترفته بها قد يمكن ان يكون مرجعها الى نسبه البرهمي ولكن اقبالاً كان قد رفض العلوم الفلسفية فيما بعد قائلا بانها لاتفيد الانسان شيئا في الاسترشاد او الاهتداء بها واما الذى يمكن ان يهدى الانسان و ينيرله الطريق و يقدم الجلول الناجحة المقنعة للمشاكل الفكرية الغامضة والحياة العملية فانما هى حب الرسول والايمان بما جاء به من الشريعة الغراء- ان ذلك نعمة من الله انعم بها على البشرية ومن ثم قد اصبحت التعاليم القرانية وهدى الرسول والحب للاسة والاعتزازبه هي العناصر الطبيعية التى كونت شخصية اقبال

في بنائيها-

الفصل الثانى

الاسرة في سيالكوت

مدينة سيالكوت مدينة قديمة جدا و تقع في الشمال الشرقي لاقليم بنجاب وكان قد بناها الامير (شل) على ما حققه الشيخ فوق، وقد مضى على بنائها خمسة آلاف سنة او اكثر من الزان- وكان ذلك الامير قد سماها بمدينة (شاكل) وقد جاء في كتاب (مها بهارتا) للهنادكة بان (شاكل) مدينة تقع على ضفة نهر (ابكا) في اقليم (مدر ديش) وهكذا كانت نعرف هذه المنطقة من اقليم بنجاب في ذلك الوقت- وكان نهر سيالكوت المعروف باسم (ايك) اليوم يسمى نهر (ابكا) في ذلك الوقت- وكان المير (شالبا عن) بنى حصنا بهذه المدينة في عهد الملك (شندرا جبتا بكرما جيت) الذى قد مر على عهده الفان من الاعوام تقريبا- والحصن يقال له في اللغة البنجابية كوت ومن ثم عرف هذا الحصن بحصن (شالكوت) ثم تغير على السنة العامة فقيل سيالكوت ولامير (شالباهن) هذا كان له ابنا وكان يسمى (بوران) قد ترك الدنيا و زهد فيها و صار من زمرة الزهاد الهنادكة و عرف بلقب (بوران بحت اى العابد الناذر نفسه للدين) و توجد له العديد من القصص والحكايات المعروفة المتد اولة في اللغة البنجابية- و توجد الآن بئر في قرية كرول في شمال سيالكوت على اربعة اميال يقال عنه بانه هو البئر التى كان هذا المير الزاهد قد الفي قيها وكانت النساء الهندوكيات يقصدن هذه البئر في غرة كل شهر ليلة الاحد و يستحممن اعتقادا منهن بانهم سوف تنجبن اولادا ذكورا ببركة مء تلك البئر-

وقد تعاقبت ادوار مختلفة من الحكم الاسلامي الاول على مدينة سيالكوت في عهد السلطان فيروز تغلق في القرن الرابع عشر الميلادى (١٣٥١- الى ١٣٨٨م) عند ما عم الفساد والدمار والفوضى في العاصمة ولهى- كانت مدينة سيالكوت في ذلك الوقت يحكمها الامير (سهن بال) وكان يعطى الجزية للسطان المسلم فاراد ان يقاوم المسلمين واراد ان يتحصن في القلعة اشار عليه بعض المنجعين والرمال الهندوكيون بانه لو رشح دما لمسلم على الزوايا الاربع للقلعة و في مبنى الجدران لها وقام ببنائها من جديد يكون من المستحيل لاعراء الامير ان يتغلبوا التاسع عشر الميلادى فمعنى ذلك ان المدينة كانت تحت سيطرة السيخ وحكمهم في ذلك الوقت و عند ما نزل جد اقبال الشيخ محمد رفيق والذى كان يدعى (شيخ رفيقا) على السنة العامة واخذ يشتغل بتجارة الملابس والدثارات

الصوفية الكشميرية كان منزله في حى (ختيكان) واغلب الطن ان والد اقبال الشيخ نور محمد واخوه الاصغر الشيخ غلام محمد كانا قد ولدا في ذلك المنزل نفسه وتم زواجهما فيه-

وفي ١٨٦١ م اشترى الشيخ محمد رفيق منزله الموروثى القديم والذى عرف فيما بعد بمنزل اقبال و نزل فيه اولاده وكان هذا المنزل ذا طابق واحد وكان وكان يشتمل على غرفتين وردهة و فناء وكانت نوافذ الغرفة الاخيرة تفتح على على زقاق واما باب المنزل فكان يفتح في ناحية الحي الذى يسمى حى صناع الحلقات الزجاجية وقد ولد اقبال في غرفة من هذه الغرفات الصغيرة- وكان الشيخ نور محمد قد اشترى منزلا مجاورا لذلك المنزل وكان ذا طابقين مشتملا على غرفتين فوقهما غرفتان الى جانب مطبخ وردهة- و ذلك في ١٨٩٢ الميلادية و بعد سنتين و نصف في ١٨٩٥ م الميلادية اشترت اسرة اقبال دكانين يقع كل واحد منهما وراء المنزل و في جانب سقو الحلقات الزجاجية والتى تسمى سوق اقبال الان- وقدتم بناء المنزل الحالى على القطعات الارضية الثلاثة المذكورة ثم اشترى الشيخ عطا محمد رفيق اقبال الاكبر دكانا آخر بجوار ذلك المنزل ثم جعلوا من هذا البناء كله بناء واحدا ذا ثلاث طبقات و عرف هذا و سمي هذا البناء فيما بعد بمنزل اقبال- وكان الشيخ نور محمد قد اشترى منزلا آخر على مقربة من حي صناع الحلقات الزجاجية و خصه للمستاجرين ثم انه قسم مملكتاته بين اولاده وهو حى فاعطى المنزل الموروثى لابنه الاكبر الشيخ عطا محمد وصار المنزل الصغير من نصيب اقبال و ظل هذا المنزل الصغير هبة لمولف هذا الكتاب اياما ثم باعه قبل ان يبدأ بناء بلاهور والذى يسمي الان جاويد منزل اى بيت جاويد-

ولقد كان الشيخ نور محمد جميلا و حيها جدا احمر اللون واسع الجبين رفيع الانف لا مع العينين مع الشفتين الخفيفتين والوجه المتلألأ، طويل القامة ولعله كان يربي اللحية منذ الشباب وكان يلبس ملابس نظيفة جميلة رغم انه لم يدرس في مدرسة او كتاب الا انه كان يعرف القراةً و يستطيع ان يقرأ المطبوع من كتب اللغة الاردوية والفارسية-

وكان رجلا ذا مبادئ قوية الى جانب سعة الصدر والحلم وكان يعفوعن من يعارضه او يعاديه و يوذيه بلامبرد، وكان انسانا بسيطا صالحا مشفقا حليما يحب الصلى والسلم- وعلى ما صرح به الشيخ فوق فقد كان رغم مهنته التجارية ملما بالكثير من اسرار الشريعة والطرق الصوفية و ذلك بما كان يحضر في حلقات

المتصوفة والعلماء و يرافقهم كثيرا- وكان قائم الليل متهجدا مشغوفا بالعبادة وكان يكثر من تلاوة كتاب الله و يعتبره وسيلة النجاح والتقدم في الدنيا والآخرة- و بذلك كان يوصي اولاده و يلح عليهم وكان يعرف التفكير والمراقبة ويلم بغوامض المتصوف ومن ثم كان يعرف بفيلسوف غير مشقف بين معاصريه من كبار العلماء وكان الناس يلجأون اليه لحل المشاكل العويصة في معارف التصوف-

وكان الشيخ نور محمد يشارك اباه في مهنة التجارة و يساعده فيها ثم اضاف الى هذه التجارة اشياء جديدة فاخذ يصنع الطرابيش والقلانس- فهو اول من اشترى ماكينة الخياطة لهذا الفرض من اهل سيالكوت- وكان يعمل عنده عدد من تلاميذه و موظفيه و قد اقبل الناس على هذه الطرابيش والقلانس اقبالا كبيرا في ذلك الوقت حتى انه عرف بالشيخ نشو صاحب القلانس والطرابيش- وقد انفق معظم يحياته في اكتساب الرزق بكل ما كان يملك من الصلاحية الموهوبة الا انه كان قد بدأ يميل شيئا فشيئا الى التصوف حيثما تقدمت به السن حتى ان محله التجارى صار الى احد اصهاره في شيخوخته ثم اغلق المحل التجارى هذا حين انفصل عنه صهره وكان اهل اسرته و بلده يدعونه "ميان جى" و ذلك تكريما له، معناه سيدى المحترم-

وكان الشيك نور محمد قد تزوج في اسرة كشميرية بمقربة من (سمبريال) بمحافظة سيالكوت وكان اسم زوجته و والدة اقبال (امام بي) ثم نقل اصهار الشيخ نور محمد الى سيالكوت بعد الزواج بقليل وكانت السيدة (امام بي) هذه تدعى (بي حي) اى الجدة المحترمة ولم تكن تعرف القراءة والكتابة الا انها كانت غير متعلمة الا انها كانت سيدة زكية تدرك المواقف و تدبر الشئون وكانت تقوم بدور السفيرة بين بيوت الاسرة حين كانت تنشأ بينهم الخلافات والمخاصمات كما ان نساء الحى كن يكرمنها بحكم حسن معاملتها لهن جميعا- وكانت تشرف على الشئون المنزلية كلها هي نفسها- وكانت السيدات الكثيرات يود عن نقود هن و حليهن عندها فكانت تشدها في اثواب متفرقة حمراء و تحتفظ بها عندها-

وكانت تمتاز باعتنائيها بالفقراء واعاناتهم فكانت تعطى النساء انلفقيرات من النقود من حيث لا يعرف بذلك احمد حتى ان ابنها الاكبر الشيخ عطا محمد كان يمازحها و يسمى هذه الساعدة منها (جبت دان اى العطية السخية)- وكان كلما جاء في اجازة يخصص مبلغا ملموسا لهذه العطية السخية- ومن طرى المساعدة التى كانت تتبعها هذه السيدة انها كانت تاخذ ثلاثة او اربعة من الصبيات الفقيرات و تأتي بهن الى منزلها فتعولهن و تعنى بشونهن فكانت هؤلاء الصبيات

يتعلمن الشئون المنزلية و يتعلمن القرآن الكريم و ادعية الصلاة بالاضافة الى التعليم الديني والقراءة والكتابة واعداد الطعام والخياطة منها ومن بناتها و زوجات ابنائيها ثم انها كانت تبحث لهن عن الازواج و تقوم بجميع ما تكون الحاجة اليه في حفلات الزواج وكانت تشرف عليهن و تعنى بشئونهن خلال اقامتهن لديها كما تشرف الام و تعنى ببناتها الحقيقية و تقوم بجميع تقاليد الزواج و نفقاته وكانت هذه الفتيات يزرنها بعد زواجهن بين حين وآن كما تزور البنات امهاتهن بعد الزواج-

وقد حكى الشيخ اعجاز احمد حكاية عن تضحيتها و ايثارها الاخرين على نفسها فقال: ان الاخ الاصغر لوالد اقبال الشيخ غلام محمد كان مئناثا وكانت زوجته تتمنى ان تنجب ولدا وكان الاخوان يعيشان في بيت واحد واتفق ان حملت زوجة كل واحد منهما في وقت واحد فانعم الله على السيدة (بي جى) بالولد الا ان صاحبتها زوجة الاخ الاصغر وضعت ابنة في هذه المرة ايضا فشعرت السيدة المحترمة بالالم والحرمان في قلب صاحبتها فقالت لها: كذى انت الابن وانا اخذ البنت و هكذا تم التبادل بينهما فاخذت السيدة المحترمة تربي البنت واما صاحبتهما فاخذت تعنى بالابن راضية مسرورة- و ذات يوم في الصباح الباكر وكلتاهما مشغولة بالشؤن المنزلية فاذا بالسيدة المحترمة تسأل صاحبتها عن ابنها فهي ترد عليها قائلة بانها ارضعته و حوالا الآن يتمتع بنوم مريح- الا ان الامد كان قد طال عليهما ولم يستفق الولد فذهبتا اليه فاذا بالولد قدمات و على شفتية حليب ممادل على انه مات مختنقا- فاذا بالسيدة المحترمة ترد البنت الى صاحبتها حتى تكون لها تسلية وتعويضا عما فات-

و يقول الشيخ اعجاز احمد بان اسم هذا الولد الذى مات لم يسجل في سجل الميلاد للبلدية وقد أخطأ الكثيرون من الباحثين في الاعتقاد بان ولدا للشيخ (نثو) كان قد ولد في ١٨٧٣ م سجل اسمه في سجلات البلدية الا ان هذا التسجيل لا صلة له باقبال ولا بذلك الولد الذى مات وانما كان ذلك ولدا لرجل آخر من الكشميريين كان يعرف باسم نثو الكشميرى من اهل حى الكشميريين[٢]- وقد توفيت السيدة امام بي في ١٩١٤ م و دفنت في مقبرة السيد الامام حيث دفن بجانبها والد اقبال الشيخ نور محمد وعدد اولاد الشيخ نور محمد سبعة، اكبرهم الشيخ عطا محمد المولود في ١٨٥٩ م حين كان والدهم قد بلغ ثلاثة و عشرين سنة من عمره- ثم رزق ببنتين احد اهما (فاطمة بي) والثانية (طالع بي)

وكان قد رزق حلال ذلك بولد لم يعش الا بضعة اشهرو كان (ميان جى) في اربعين سنة من عمره حين ولد له اقبال ثم رزق ببنتين احد اهما (كريم بي) والثانية (زينب بى) وكلما ازداد عدد اولاد (ميان جى) اخذ يوسع في منزله الموروثي طبقا لحوائجه-

وكان اخو اقبال الشيخ عطا محمد والذى كان اكبر منه سنا بثمانية عشر عاما كان قد اكمل التعليم الابتدائى في مدينة سيالكوت، و تزوج بامرأتين وكانت زوجته الاولى من اسرة كشميرية من قبيلة (راثور) فطلقها واما زوجته الثانية فكان اسمها (مهتاب بى) وكان اعضاء الاسرة جميعهم يكرمونها و يدعونها (بانى جى) (السيدة قرينة الاخ) تكريما لها- وكان اصهار الشيخ عطا محمد الاولون يعيشون على معاش عسكرى رمن ثم تم تجنيد الشيخ عطا محمد في الجيش الانهكان طويل القامة قوى البنية وكان اصهاره على صلة بالجيش فارسل في بعثة عسكرية بعد مدة ليدرس في مدرسة (تامسن) للهندسة- بمدينة ددكى في الهند و عين في قسم المهندسين في الجيس بعد التخرج وانفق حياته في هذه الوظيفة الحكومية- وهو الذى اعان اقبالاً في الدراسات العليا و في بعثته الى اوربا ليدرس هناك- وكان اقبال يحب يتكلم بين يديه وقد عاش شقيقه هذا طويلا بعد تقاعد من الجيش و توفى في ١٩٤٠ م بمدينة سيالكوت بعد ان بلغ واحدا و ثمانين او اثنين و ثمانين عامع من عمره- فدفن في مقبرة السيد الامام على بضعة اقدام من قبرى ابويه-

ولقد كان الشعب المسلم الهند يمر باخطر من مراحل تاريخه في شبة القارة حين هاجر اجداد اقبال من كشمير واستوطنوا مدينة سيالكوت، وفي ١٧٩٩ م انهزم السلطان (تيبو) في ميسور امام جيوش الانجليز وكان ذلك انذارا بالقضاء على آمال الشعب المسلم الهندى لاستعادة مجده واحياء قوته السياسية والاجتماعية التى كانت قد اخذت تنحط و تزول- ولقد اثار فقهاء ذلك العصر بعض المسائل ليفكر فيها المسلمون، و منها ما قالوا عن الهند هل هي دارالسلام او دار الحرب؟

وما هو الغرض من الهجرة والجهاد في الفقه الاسلامى؟ متى يجب على المسلمين ان يهاجروا او يخرجوا للجهاد في سبيل الله وما معنى قوله تعالى في كتابه المجيد "اطيعا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم"؟ وهل يجب على المسلمين ان يكونوا على صلة بالخلافة ام لا؟ و كيف يمكن لمسلمى الهند والبلاد الاسلامية الاخرى خارج الخلافة العثمانية ان يكونوا على صلة بها؟ فهذه الاسئلة التى كانت ذات اهمية كبيرة جدا- وقد كان الكثيرون من الفقهاء المسلمين قد افتوا بعد حرب

بلاسي (١٧٥٢م) بان الهند لم تعد دارالسلام وانما كانت قد اصبحت دار الحرب-[٣]

اطيعا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم"؟ وهل يجب على المسلمين ان يكونوا على صلة بالخلافة ام لا؟ و كيف يمكن لمسلمى الهند والبلاد الاسلامية الاخرى خارج الخلافة العثمانية ان يكونوا على صلة بها؟ فهذه الاسئلة التى كانت ذات اهمية كبيرة جدا- وقد كان الكثيرون من الفقهاء المسلمين قد افتوا بعد حرب بلاسي (١٧٥٢م) بان الهند لم تعد دارالسلام وانما كانت قد اصبحت دار الحرب- (٣)

وفي ١٧٦٥م كانت (شركة الهند الشرقية) قد وعدت للملك المغولى (شاه عالم) في عاصمته (دلهى)بانها سوف تساعده اذا نشأت الحرب بينه و بين (المراهتة)- و تعويضا لذلك كانت الشركة قد نالت مرسوما ملكيا بجباية المحاصيل في اقاليم بنغال و بهار واريسه- فقد كانت الشركة تجبى محاصيل هذه الاقاليم بانيابة عن الملك الا ان الملك لم يكن له له نصيب من هذه المحاصيل كلها- وكان مقر الشركة الرئيسى في مدينة (كلكتة) وقد كانت ادارة الاقاليم الشرقية الهندية تنفلت من يدى الملك واخذت تتحرر من سيطرته و بدا الانجليز يحتلونها ولم يعد الملك سلطة غير صولة ظاهرة-

وفي ١٨٣٥ م غيرت الشركة عملة وانتهت اللغة الفارسية كلفة رسمية للبلاد في ١٨٣٧ م- وفي النهاية اتيح للشركة ان تخلع الملك المغولى بعد ماحدث في ١٨٥٧م من الاضطرابات و نفي الملك الى (رنكون) في بورما- اما اولاده الامراء فكان الانجليز قد قتلوهم رميا بالرصاصات عند ضريح الملك همايون و هكذاتم القضاء الحاسم النهائى على من كان من الممكن ان يدعى العرش المغولى و صادت الهند تحت سيطرة التاج البريطانى- ورغم ان الملكه فكتوريا كانت قد اعلنت في ١٨٥٨ م بان المواطنين الهنود سوف يتمتعون بحقوق متساوية الا ان المسلمين كانوا قد حملوا مسئولية الخروج على الحكم البريطاني و صودرت اموالهم واقطاعهم و اراضيهم و مملكاتهم و طبق النظام التعليمي الجديد الذى لم يعدبهتم بالعربية والفارسية والعلوم الاسلامية- وفي ١٩٤٦ م الفيت مناصب القضاء الاسلامى و طبقت القوانين الانجليزية مكان الفقة الاسلامى كما ان المسلمين جميعا حرموا من الوظائف الحكومية واغلقت ابواب الرزق امامهم[٤]-

على كل حال فانه من الخطأ ان يقال بان مسلمى شبه القارة كانوا قد رضوا

بتغيير مركزهم السياسى بدون اية معارضة او احتجاج او اعتراض او شكوى لان خدمات السيد احمد البريلوى (١٧٨٦ الى ١٨٣١ م) واصحابه واتباعه من امثال الشاه محمد اسماعيل(ابن الشاه عبدالغنى بن الشاه ولى الله الدهلوى و ابن اخ الشاه عبدالعزيز الدهلوى) والشيخ عبدالحئى خدمات جبارة و بعيدة الآثار والنتائج فقد كانت حركته هذه انما هى رد فعل لانحطاط المسلمين الدينى و الخلقى والسياسى والاقتصادى وكانت هذه الحركة الاصلاحية انما هى دعوة لتنظيف الاسلام من شوائب الشرك والبدعة والعودة الى منابع الاسلام الاصيلة العريقة الطاهرة- وكان هؤلاء المصلحون قد قاموا بايقاظ الامة الاسلامية و دعوتها الى التوحيد والرسالة والقران الكريم والسنة النبوية والمبادئ الدينية الى جانب اجتناب الشرك والبدعة بانواعها واما الجانب البارز لهذه الحركة الدينية فهو جانب سياسى و ذلك لان الهند في ذلك الوقت قد اصبحت دارلحرب ومن ثم كان الجهاد قد اصبح و احبا دينيا على المسلمين لاستعادة سلطتهم السياسية-

وقد قام حضرة السيد البريلوى بزيارات تبليغية في كثير من المدن القرى حيث الح على المسلمين ان يلبوا دعوة الحركة الاصلاحية وان ينظموا نفوسهم للجهاد الاسلامي فكأن خطب السيد البريلوى قد اثارت نار الغضب في نفوس المسلمين جميعا وكانت مدينة (بتنة) هى المقر الرئيسى للحركة- وقد جمعوا الاموال والوسائل اللازمة المتوفرة و اخذ الاف مولفة من المسلمين المجاهدين ينضمون الى الحركة التى قامت من اجل النهضة الاسلامية مما جعل المسلمين المجاهدين يخاطرون بالنفس والنفيس ويقومون كل نوع من التضحية- وقد سافر السيد البريلوى لزيارة الحرمين و حج بيت الله مع اتباعه في سنة ١٨٣٣م وصل من دلهى الى كلكتة من طريق بتنتة وقد تحركت قافلتهم هذه من كلكتة قاصدة بلاد العرب بالسفن البحرية ثم عادوا الى الهند من طريق بومباى ومن هناك بدأوا جولاتهم التبليغية في المناطق الاغلبية المسلمة في بنجاب و سرحد و كشمير مساعدات مالية سخية في سورت و حيدرآباد الدكن وكلكتة و دكاء و بتنة و لكنؤ و دلهى و غيرها من المدن كمان ان الكثيرين من المجاهدين في هذه المدن و ما جاورها من المناطق الريفية انضموا فوجا بعد فوج الى منظمة السيد العسكرية- ثم اتجه السيد الى اقليم سند حيث وقع اتفاقية بينه و بين حكام السند على الجهاد ضد السيخ و وصل الى اقليم سرحد في ١٨٢٤م- فانضم اليه الافغان والقبائل المختلفة البتانية- و جعلوا اقليم سرحد مقر رئيسيا لجهادهم ذلك لان اغلبية سكا هذه المنطقة هم المسلمون كما ان المناطق المجاورة لها كانت بلاد اسلامية و في اثناء ذلك كانت

افواج المجاهدين قد بدات تصل الى اقليم سرحد و هذه الافواج من المجاهدين الغزاة تشتمل على المسلمين من شرق بنغال و بلاد الدكن النائية-

وقدأ على حضرة السيد جهاده ضد الشيخ في ٢١/ديسمبر ١٨٢٦م واستمر الجهاد الاسلامي تحت قيادته وانتصر في معارك كثيرة ضد السيخ من ١٨٢٦ الى ١٨٣٠م وفي ١٨٣٠م انهزم السيخ في جبهة بشاور واحتلها المجاهدون الا ان بعض الافغان تآمروا مع السيخ ضد المجاهدين فخسروا مدينة بشاور بعد احتلالها وفي ١٨٣١م كان حضرة السيد و صاحبه الشاه محمد اسماعيل واتباعهما قد استشهدوا في جهادهم ضد السيخ بمكان يعرف ببالاكوت[٥]-

وبينما كان المجاهدون يقاتلون تحت قيادة السيد ضد السيخ في مناطق سرحد كان احد زملائهم وهو مير نثار على قد قام في نفس الوقت بتنظيم افلاحين المسلمين في شرق بنغال ضد الاقطاعيين الهنادكة وثار على ظلمهم واستبدادهم وكان (الشيخ شريعة الله) قد نظم حركة اصلاحية دينية في بنغال الشرقية منذ ١٨٠٤م وكان هو الآخر قد اعلن بان بلاد الهند قد اصبحت دارالحرب و على المسلمين ان يخرجوا مجاهدين في سبيل الله وكان ابنه (دو دو ميان) قد استعمر يتقدم بهذه الحركة في بهادر فور وكان مير نثار على قد قابل حضرة السيد خلال موسم الحج فمال الى حركته الدينية و موقفه الاصلاحي- فبدأ بعد عودته من الحرمين ينشر افكار السيد مواقفه في بنغال الشرقية من مدنها و قراها الريفية و نظم منظمة عسكرية للفلاحين المسلمين فاعلن الجهاد ضد الاقطاعيين الهنادكة في ١٨٣١م- الا ان الهنادكة استنجدوا الجيش الانكليزى الموجود في مدينة كلكتة فقاتل مير نثار على و صاحبه غلام معصوم و اتباعه الفلاحون المسلمون تحت قيادته ضد الجيش الانكليزى وابلوا بلا حسنا الا انهم انهزموا في المعركة واستشهد مير نثار على في هذه المعركة واما صاحبه غلام معصوم فكان الانجليز قد اعدمواه شنقا في كلتكة[٦]-

وقد استمر اتباع حضرة السيد بعد استشهاده بجاهدون ضد السيخ في سرحد وكان المجاهدون قد اجتمعوا في موضع اسمه (ستانة) واختاروا الشيخ نصير الدين قائدا لهم، و بعد قليل من الوقت لحق بهم الشيخ عنايت على أخو الشيخ ولايت على بالمزيد من الامداد العسكرية من اقليم بهار كما ان حكام السند و طونك المسلمون قدموا لهم امداداً عسكرية ايضا فقاس الشيخ عنايت على عددا

من المعارك ضد الجيوش السيخية فطرد وهم من مناطق بالاكوت و مانسهره و مظفر آباد ولم يستطع السيخ ان يقاوموا المجاهدين بعد موت الامير رنجيت سنغ في ١٨٣٩م لانهم كانوا قد انشغلوا بالمؤامرات الداخلية ومن ثم استطاع المجاهدون ان يطرود وا السيخ من منطقة ستانة الى مناطق كشمير بكل سهولة حتى السنة ١٨٣٦م وكان المجاهدون لما يعلنوا الجهاد ضد الانجليز الا انهم ساعدوا ملك افغانستان و قدموا له امداد عسكرية ضد الهجوم الا نجليزى على افغانستان[٧]-

وكان الانجليز قد احتلوا معظم مناطق شبه القادة حتى السنة ١٨٢٣م الا ان المناطق في الشمال الغربي (بنجاب و سرحد و كشمير و سند و بلوشستان) لم تنزل خارجة عن سيطرتهم- واحتلوا السند في ١٨٤٣ م وضموها الى اقليم بومباى و بعد هزيمة السيخ في ١٨٤٧ م احتل الانجليز معظم مناطق بنجاب و ارسلوا رسالة الى الشيخ عنايت على والشيخ ولايت على نصحوهما فيها بالعودة الى اقليم بهار حيث كان اهلها يعيشون في مدينة (بتنة)- و حين وصلا الى بتنة فرض عليها الانجليز حظر الخروج من حدود المدينة لمدة اربع سنوات-

وكذلك فان نهاية المملكة فان نهاية المملكة السيخية تحمل عبرا وعظات كثيرة، ان النظام الذى وكان قد اقامه الامير الاكبر رنجيت سنغ لا يستحق ان يسمى هيكلا حكوميا وانما يجوز ان نسمى هذا النظام تغلبا عسكريا موقتا وقد استمر هذا التغلب الى نهاية صاحبه- اما بعد وفاته فان الذين خلفوه على الحكم قد ضيعوا كل ما جمعه و نقضوا كل ما نسجه خلال بضعة اعوام- قدمات الامير الكبير رنجيت سنغ في ١٨٣٩ م و خلفه على عرشه ابنه الاكبر (كراك سنغ)، وكان مدمنا الى الافيون وكان قد تعود تعاطيه مرتين في يوم واحد فيبقى سكرانا فاقد العقل طول اليوم- ومن الظاهر البديهى ان رجلا من امثاله لا يستطيع ان يجتل منصب حاكم طويلا ففى تلك السنة نفسها اخذ رئيس وزرائه (ديان سنغ) و (تشيت سنغ) يتنافسان و يتخاصمان و يتطالعان الى الحكم و كانت النتيجة هي القضاء على تشيت سنغ و جميع اعضاء اسرته قضاء نهائيا- و تولى امرا لحكم نونهال سنغ ابن كراك سنغ المذكور بعد ان عزله عن الحكم-

وكان نونهال سنغ هذا قد بحبس والده في دار بمدينة لاهور فمات كراك سنغ هناك في ١٩٤٠ م- و في نفس اليوم الذى مات فيه سنغ كان ابنه نونهال سنغ قدمات تحت جدار سقط عليه بسبب مؤامرة دبرها البعض من المنافسين السيخ و في اثناء ذلك حاولت امه الاميرة تساندكور ان تقتل شير سنغ الابن الثاني للامير الكبير رنجيت سنغ و اخا زوجها- الا انها لاقت حقنها وهى تستريح في الظهيرة في

مضجعها اذ ضربتها بعض و صيفاتها بلبنة على رأسها-

وتولى العرش شير سنغ الابن الثانى الامير رنجيت سنغ بعد موت اخيه نونهال سنغ وكان شير سنغ هذا مدمنا على الخمر و يقضى يومه سكرانا فاطلق عليه النار و قتله (اجيت سنغ) ساندهيان واليا) من انصار الاميرة تشاندكور وهو يستعرض كتيبة عسكرية و ذلك في ١٥/ سبتمبر ١٨٤٣م-

وفي نفس اللحظة حين تم حادث القتل هذا كان عمه (لهنا سنغ) قد قتل (برتاب سنغ بن شير سنغ) الذى لم يتجاوز السنة الثانية عشر من عمره فجعل منه قطعاً صغيرة بالسيف في حديقة مجاورة وفي اليوم نفسه تم اعدام كل من (دهيان سنغ) و (سجيت سنغ) قتلا-

وخلف شير سنغ الابن الاصغر للامير الكبير (رنجيت سنغ) واسمه (دليب سنغ) ولما يبلغ الحلم و عين (هيرا سنغ بن دهيان سنغ) رئيسا للوزراء الا ان هيرا سنغ كان يعادى عمه (سجيت سنغ) ومن ثم قتل هيرا سنغ في ٢١/ ديسمبر ١٨٤٤م على مقربة من قرية شاهدرة- وفي ١٨٤٦م انهزم السيخ امام الجيوش الانجليزية و تمت السيطرة البريطانية على اقليم بنجاب فقسمرا الدولة السيخية الى ثلاثة اقسام فاعطوا حكومة لاهور وما جاوردا للسيخ اما كشمير فباعوها رخيصة للامير (جلاب سنغ دوجرة) تقديرا لخد ماته واما القسم الثالث وهو مابقى من اقليم بنجاب فصار الى السيطرة البريطانية وكان لابد للامير السيخ (دليب سنغ) ان يدفع غرامة و ذلك تعويضا للاضرار الحربية للانجليز وكان حكمه مقصوا على مدينة لاهور و عين لال سنغ رئيسا للوزراء وكان النجليز قد عينوا المستر لورانس مندوبا ساميا لهم في لاهور-

وفي مايو ١٨٣٨ م و فبرائر م اصطدم السيخ مع الانجليز مرة اخرى في جحرات فلاقوا هزيمة نكراء وكانت النتيجة هي الاحتلال البريطاني الكامل لمدينة لاهور وهكذا تمت السيطرة الانجليزية الكاملة على اقليم بنجاب و نفي (دليب سنغ) من اقليم بنجاب فعاش مدة في الهند على معاش كان الانجليز يمنحونه ثم ذهبوا به الى انكلترا في ١٨٥٤ م حيث ترك الديانة السيخية و تنصر واختار اسما جديدا لنفسه وهو (فكتور دليب سنغ) وتوفي في باريس سنة ١٨٩٣م[٨]- وما ابنته الاميرة (باميا) والتى كانت تعرف اقبالً ماتت بعد انشاء باكستان-

وكان الشيخان عنايت على وولايت على يفتيان بان الهند البريطانية لا تزال دارالحرب ومن ثم كان من واجب المسلمين ان يهاجروا من الهند او يخرجوا

مجاهدين في سبيل الله لتحريرها من الاستعمار الانجليزى- ومن ثم خرجوا من (بتنة) بعد ان قضوا بها اربع سنوات مع جميع اعضاء اسرهم و وصلوا الى (ستانة) حيث توفي بها الشيخ ولايت على بعد ايام وفي ١٨٥٢ م هاجم المجاهدون مع افراد قبيلة (حسن زائى) على امارة (امب) وكان اميرها حليفا للانجليز-

ولم يزل الانجليز يرسلون فوجا بعد فوج من جيشهم للقضاء على المجاهدين فبعثوا ستة عشر فوجا من ١٨٥٠م الى ١٩٥٧ م وفشل كل فوج من هذه الافواج و خلال الثورة الهندية في سنة ١٨٥٨م حيث خرج الشعب الهندى على الاستعمار البريطانى في كل مكان وكاد ان ينقضي الحكم البريطاني في الهند انتهز المجاهدون هذه الفرصتة في مناطق سرحد فقاتلوا ضد الانجليز في كل من (شيخ جانان) و (سليم خان) و (تشنج لى) (بنجتار) و (منجلتانة) و (ستانة) و في النهاية انتصر الجيش الانجليزى على معسكر (ستانة) في ١٨٥٨ م دمروا المدينة وكان الشيخ عنايت على قد توفي قبل هذا الحادث باثنى عشر يوما في مدينة (ستانة) فساد الصمت والسكون جميع مناطق سرحد واستمر لمدة سنتين- وفي خلال هذه المدة كان المجاهدون قد انشاوا جبهة اخرى في (ملكا) ومن هناك هاجموا الجيش البريطانى في ١٨٦١م واخذوا يتقدمون شيئا فشيئا حتى استعادوا معسكرهم (ستانة) في ٣٦٨١م فبعث الانجليز جيشا كبيرا فبدأت سلسلة جديدة من الحروب وفي النهاية انتصر الانجليز على معسكر (ملكا) ودمروه- الا ان الحرب بدات من جديد بعد خمس سنوات فبعثت مهمة عسكرية لمقاومة المجاهدين في هذه المنطقة في سنة ١٨٦٨م الان ان هزه الحرب لم تصل الى نتيجة مرضية- اما المجاهدون الذين كان الانجليز قد قبضوا عليهم في سرحد فقد حوكمواهم و انصارهم في الهند في سنة ١٨٦٤ م و ١٨٦٦ و صدر حكم الاعدام ضد البعض منهم كما ان معظهم نفوا الى جزيرة انديمان في حبس موبد هناك وكان ذلك يسمى (عقوبة الماء الاسود) حتى ان جميع مكاتب الحركة الاصلاحية و منظمة الجهاد اغلقت اغلاقا نهائيا في الهند في ١٨٧٠م[٩]-

وفي هذه الفترة من تاريخ شبه القارة كان الانجليز يعتبرون بان المسلمين عامة والمجاهدون خاصة هم اعدى عدايهم في شبه القارة و هذا مما جعل (اللورد ايلن برو) يكتب في ١٨٦٤ م بانه لا يمكن الاغضاء من الحقيقة بان المسلمين هم اعدى اعدائنا في شبه القارة وعلى هذا من الانسب ان نتصادق مع الاغلبية الهندوكية و نقربهم منا وتكون الوظائف المحلية الحكومية حكرا عليهم-[١٠]

وكان الانجليز يعتقدون جازما بان الجنود الثوار الذين ثاروا ضدهم في

١٨٥٧م كانوا على صلة بالمجاهد وكان مما يدل على هذه التهمة في رائيهم هو ان الشيخ ولايت على عند ما هاجر من يتنة قبل هذه الثورة الهندية ببضع سنوات و ذهب الى ستانة اعلن الجهاد ضد الانجليز في مدينة دلهى و ذلك بعد الموافقة من ملكها المغولى وكان السير (جيمس آوترم) يرى بان هذه الثورة التى قامت ضد الانجليز كان المسلمون هم الذين قد ابتدروها و ذلك لان الواعظين المسلمين اخذوا يعلنون الجهاد ضد الانجليز في شبه القارة كلها قبل هذه الثورة بسنوات عديدة فقد جاء فيما كتبه هذا الانجليزي بان المجاهدين كانوا قد ترجوا الملك المغولى قبل ثورة ١٨٥٧م واعلنوا له الوفاء والطاعة واشتركوا في العديد من الحروب ضد الانجليز قبل تدمير معسكرهم في ستانة بل استمرت هذه الحروب حتى بعد تدميرها-

وكان الجيش الانكليزى قد لاقى خسائر فاضحة في هذه المعارك ويرى (آوتران) بان القضايا ضد المجاهدين التى رفعت في المحاكم سنة ١٨٦٤م و ١٨٦٦ اتضح منها بان المسلمين كانوا قد دبروا المؤامرات لطرد الانجليز من الهند كما انه كان يرى بان وجود المسلمين في شبة القارة خطر عظيم على دعم الحكم البريطانى فيها لانهم لم يرضوا بالتغيير السياسى الحكومي في الهند كما رضي به الهنادكة ومن ثم لا فائدة في ولاء المسلمين او الصداقة لهم او الثقة فيهم بل يجب ان يتحذر الانلجيز منهم[١١]-

اما ثورة ١٨٥٧م فاصلها عصيان الجيش البنغالى و خروجه على الانجليز وكان السبب الغورى في ذلك هي الرصاصات المغطاة بشحم الخنزير الا ان هذه الثورة او العصيان لم يكن عاصرا على الجيش وانما شمل الكان غير العسكرين و نشأ في نفوسهم اضطراب وقلق على نطاق واسع جدا ومن ثم قام الشعب بالقورة والعصيان قبل ان يقوم الجيش بذلك- على كل حال فقد حملوا مسئولية هذه الثورة على عاتق المسلمين حتى انهم قد اصبحوا هدفا للانتقام الانكليزى في سنة ١٨٥٨م حين احتل الجيش الانجليزى العاصمة دلهى وما جاورها من المدن- فقام الجنود والسيخ بعملية التعذيب والاضطهاد ضد المسلمين الابرياء في المدينة فمنهم من قتل بالمدافع و منهم من سلخ جلده و منهم من نصب في جسده المسامير و منهم من شد كتفاه و رجلاه فكوى بالفلوس الساخنة من النحاس و منهم من جرح وجهه فحرق في النار الخفيفة البطيئة و غير ذلك من انواع التعذيب والاضطهاد كم ان المسلمين كانواهم الهذف للنهب والفارة الفظيعة التى ارتكبها

الجيش في مدينة دلهى- واما منازل المسلمين و دورهم التى كانت قد صودرت فقد احلتها الهنادكة وامتلكوها واصبح المسجد الجامع ثكنة لجنود السيخ كما ان مسجد "زينة المساجد" قد اصبح مسكنا للجنود البيض و اما مسجد "نواب حامد على خان" وهو اكبر المساجهد الشيعية فكان قد اصبح اصطبلا للحمير والبنغال- وكانت المشانق قد نصبت في كل مكان بمدينة دلهى حيث صلب عليها مئات من المسلمين[١٢]-

قد جاء في مذكرة المستر (رسبل) بان الانجليز كانوا يضعون المسلم في جلد الخنزير و يخيطونه قبل ان يعدموه شنقا او كانوا يمسحون اجسام المسلمين بشحم الخنزير ويحزقونهم بعد الموت[١٣] و على ما ذكره المستر (تراويليان) فيما كتبه عن الثورة بان الانجليز عند ما احتلوا مدينة دلهى كانوا يقبضون على كل من ينسب الى الغزاة اى اتباع حضرة السيد احمد البريلوى فيعد مونه شنقا بدون اية تهمة او محاكمة فهو يقول بان القضاة الانجليز كانوا اذا وجدوا شيئا الغزاة في وجهه او ملابسه او رأوا علامة السجود في جبهته او كان ذا لحية اصدروا امرا فوريا باعدامه شنقا[١٤]-

ويرصح كمال الدين حيدر بان من اعدم شنقا من المسلمين بلغ بددهم سبعة ر عشرين الفا واستمر القتل والنهب والغارة الى سبعة ايام حتى انهم قتلوا الاطفال الصغار الابرياء واما تصرفهم مع النساء فلتسأل عن ذلك فان فان النفس ترتعد من ذكر الفظائع التى ارتكبت ضد النساء المسلمات[١٥]-

ويذكر الطاف حسين حالى بان السبب الاصلى وراء العصيان يرجع الى الهنادكة فهم الذين كانوا قد اعترضوا على الرصاصات الشحمية الا ان التهمة في ذلك كانت قد وجهت على المسلمين[١٦]- وقد ايد الهنادكة هذه التهمة الموجهة الى المسلمين و شهدوا عليها وفوق ذلك كله فان الصحافة الهندوكية كانت تحذر الانجليز من المسلمين وتلح عليهم ان يبعدوا المسلمين عن المناصب عن المناصب الحكومية لانهم يميلون الى جماعة مسلمة من العصاة اى اتباع حضرة السيد احمد البريلوى[١٧]-

اما بغض المسلمين و نفورهم من الحكومية الانجليزية و تبرمهم منها فكان يرجع الى اسباب كثيرة فكان المسلمون يعتقدون وهم على الحق في ذلك بانهم كانوا ولاة شبة القارة و حكامها قبل الاحتلال البريطانى- ومن البديهى- ومن البديهى انه لم يكن من السهل ان يقتنعوا بهذا التغيير الحكومى والسياسى و على ذلك فان خطوات المكر والكيد التى اتخذها الانجليز لدعم حكمهم في البلاد

كلها كانت ضربة للمسلمين و مصالحم- على سبيل المثال فان الانجليز عند ما تولوا الادارة والتفيذ في بنغال و بهار وايسة و غيرها من الاقاليم عزلوا الموظفين المسلمين اللداريين و عينوا مكانهم الموظفين الجدد و كذلك عند ما غيروا عملة الهند انتهت عملة المسلمين في الهند- وعند ما الغيت اللغة الفارسية كلفة رسمية للبلاد لم يخسر بها الا المسلمون الذين كانوا يعرفونها و يجيدونها فحرموا من العمل واكتساب الرزق و في ١٨٥٢م كونت (لجنة انعام) طلبت الوثائق التى تويد خمساة و ثلاثين اقطاعا ثم صادرت عشرين اقطاعا منها و كلها كانت ملكا للمسلمين و مصادرة هذه الاقطاعات سببت اضطرابا و قلقا شديدا في اقليم اود (التى تم انضمامها في ١٨٥٦م) و كذلك فان الفلاحين المسلمين كانوا مضطربين قلقين هد التصرفات الانجليزية المكيرة اطاكرة- وذلك لانهم كانوا قد طبقوا القوانين التى جعلت الهنادكة المرابين يستغلون بها الفلاحين الفقراء المسلمين[١٨]-

ويقول السير سيد بان احصاءات ١٨٧٣م تدلع لى ان خمسين في الماعة من القضايا لوصول الديون والقروض في الاقليم الاعلى التى رفعت الى المحاكم كانت ضد المسلمين وفي هذه السنة نفسها كان الهنادكة قد تملكوا اراضي المسلمين و عقاراتهم و ممتلكاتهم والتى بلغ ثمنها جوابى مليوناً و نصف ملبوبه جنيه استرلينى اما رهنا اربيعا في اقليم بنجاب[١٩]-

اما الملك المخلوع في ١٨٥٧م فقد كان مسلما، واما الذين حملوامسئولية العصيان العسكرى فكانوا هم المسلمون، واما من اغلق دونه ابواب الرزق والمناصب الحكومية فلم يكن غير المسلمين، ولم يعد شئ من المكانة للغة العربية والفارسية والمعارف الاسلامية الاخرى في النظام التعليمى الجديد- وكانت الجمعية الاسيوية قد قصرت جهودها على البحث والتحقيق باللغة السنسكريتية فقط- اما دراسة الحضارة الاسلامية فكانت ممنوعة منعا باتا وكانت الحكومة البريطانية تشرف على المدارس التى كانت تملكها الارساليات المسيحية والتى كانت تهتم بدعاية المسيحية وانتشارها وكان المبشرون المسيحيون ينشرون ديانتهم بين عامة الناس بمساعدة الشرطة يلقون الخطب و يجادلون و يسبون زعماء الديانات الاخرى و يحطون من قدرهم ويحطون من قدرهم يعطعنون فيهم مما كان كان يثير العواطف العامة- وكان الاطفال اليتامى المسلمون- ينتؤه في المآتم الحكومية فينصرهم المبشرون المسيحيون كما ان الموظفين الانجليز كانوا يكرعون من كان يعمل معهم على اعتناق المسيحية- و في ١٨٦٤ م الفى القضاء الاسلامي فسبب

اضطرابا شديدا بين المسلمين وكان القضاة المسلمون يقرمون بمهمة الامامة في المساجد ابالضافة الى واجبهم القضائى كما ان عقدة النكاح والاشراف على الاوقاف كان من اختصاصهم و بعد عزلهم عن مناصبهم تاخر المسلمون عن اداء الصلوات في الملجد و لم تتحذر الحكومة الانجليزية من خيانتها في الوقف الاسلامي فقد كان صندوق محسن في بنغال و صندوق اعتماد الدولة في بنجاب وقفا على المعاهد التعليمية للمسلمين الا ان هذه المعاهد التعليمية كانت مقصورة على تعليم الهنادكة اما قبول المسلمين فيها فكان ممنوعا منعا باتا[٢٠]-

فهذه الظروف المعادية والاوضاع الراهنة التى كان قد تاثر بها كل اسرة مسلمة في البلاد- والسوال الآن كيف تاثر اجداد اقبال بهذه الظروف والاوضاع- ان مدينة سيالكوت مدينة صغيرة وكان اقبال ينتمى الى اسرة متوسطة الحال كانت تشتغل بمهنة التجارة وكانت هذه الاسرة تمتاز بشرف و تحمس للدين- و ليس من الصحيح الاعتقاد بان مدينة سيالكوت كانت قد سلمت من هذه الهزة العنيفة التى كانت قد هوت الهند كلها بجميع جوانبها والتى كانت قد شملت اقليم بنجاب ايضا- ومن الممكن ان يكون دعاة الحركة الاصلاحية و منظمة الجهاد للشيخ السيد احمد واتباعه قد وصلوا الى هذه المدينة ايضا وان تكون اصدا مسموعة لتعاليم السيد في مدينة سيالكوت، الا انه لم يكن من السهل لجد اقبال الشيخ محمد رفيق الذى كان قد هاجر من كشمير الى سيالكوت للبحث عن موارد الرزق ان يهاجر هذه المدينة و يتجه الى مدينة اخرى في الهند وان يأتى الى سرحد من طريق السند فيقاتل ضد السيخ او الانجليز-

ريصرح سيد نذير نيازى بان اقبالاً كان قد حكى له يوما بان جده الشيخ محمد رفيق كان قد قاتل مع السيخ ضد الانجليز في كجرات[٢١] الا انه لم يفصل تفصيلا في ذلك- وكان الصدام الاخير بين الجيش السيخى والانجليز قد قام في ما يو ١٨٤٨م فبرائر ١٨٤٩م حيث انهزم السيخ في كجرات- على كل حال فانه لم يسمع بذلك احد عن جد اقبال قبل ذلك فلا يذكر الشيخ فوق في اى كتاب او تاليف في الموضوع فاذا كان اقبال قد حكى ذلك وكان سيد نيازى لم يخطى في فهم كلامه فذلك مما لا يترك مجالا للشك او المزيد من البحث والتحقيق- ولو بقي المقال فمن الذى يمكن الرجوع اليه الان في هذه الباب-

واما والد اقبال الشيخ نور محمد فانه كان قد ادرك عصر الظلم والاضطهاد للانجليز ذلك العهد البغيض الذى ملأ نفوس المسلمين بالنفوز والبغضاء ضد الحكم الانكليزى- و حسب تصريح الشيخ فوق كان الجنود قد اعلنوا ثورتهم ضد

الانجليز في ٩/ يوليو ١٨٥٧م في مدينة سيالكوت واعدم الانجليز ضابطين شنقا في سيالكوت كما انهم قد اعدموا ١٣٩ جنديا بالمدافع و ذلك بعد احتلالهم العاصمة دلهى وكان معظم هؤلاء المعدمين من المسلمين- و فرض الانجليز غرامة جماعية على سكان سيالكوت و قدرها خمسون الف روبية[٢٢]- وقد كان الشيخ نور محمد بطبيعته انسانا حليما مسالما يفضل الصلح والامن ولم يكن من همه غير الاهتمام بمنته التجارية او الحضور في حلقات العلماء والمتصوفة المعاصرين حيث كان يقضى جل اوقاته في ذكر الله و لعله كان قد ادرك الاخرون من العلماء المعاصرين بان الحكم الاسلامي في شبه القارة قد انتهى الآن وانه لا يرجى النجاح او الفائدة من الجهاد ضد الانجليز و ذلك لانه لم يكن من الممكن ان يقاوموا ثروة الانجليز و غناهم الى جانب السلاح والفنون الحربية الحديثة بالوسائل المحدودة والفنون الحربية القديمة- كما ان هجرة المسلمين جميعهم من بلاد الهند الى اية دولة اسلامية اخرى كان امرا صعبا اذا لم يكن مستحيلا لهم-

اما الزمن الماضي فكان قد مضى واما المستقبل فلبا يكن قد انهى ومن ثم كانت حياة المسلمين في ذلك العصر حياة القلق والكربة والاضطراب- وكان المسلمون قد بدأوا يعتقدون بان نهاية اللغة الفارسية والعربية والمعارف الدينية في المعاهد التعليمية وجدال المبشرين المسيحيين حول الاسلام و وهجومهم على الشخصية المقدسة لرسول الاسلام صلى الله عليه وسلم خطوات تعبر عن القضاء الحاسم النهائى على المسلمين وآثارهم في البلاد كما تعبر عن نوايا الانجليز الخبيثة- ومن ثمن رأى المسلمون لسلامة الفرد والمجتمع ان يعلموا اولادهم المعارف الدينية قبل ان يلحقوا بالمدارس الانجليزية لكى يكون الاطفال المسلمون على قدم راسخة من الايمان بالاسلام حتى لا يتأثروا بالتعليم غير الاسلامي فيما بعد و هذا ما جعل العلماء المسلمين ينشئون الكتاتيب والمدارس في المساجد والمنازل ليمكنوا الجيل الناشئ من المسلمين من تعلم المعارف الدينية في كل قرية و مدينة بمساجدها و كتاتيبها-

وقد انشئت اربعة كتاتيب في مدينة سيالكوت في ذلك الوقت اما كتاب الشيخ غلام مرتضى والشيخ ابى عبدالله غلام حسن والشيخ مزمل فكانت تهتم باللغة العربية و تعليم المعارف الدينية، وما مدرسة العلوم التى كان قد أنشأها الشيخ سيد مير حسن فكانت تهتم باللغتين العربية والفارسية و آدابهما (٢٣)- واما الشيخ نور محمد فكان يهتم بتدريس المعارف الدينية لاولاده في المنزل

والكتاتيب قبل ان يرسلهم للقبول في المدارس الانجليزية ولاسلاف المسلمين الذين عاشوا في الربع الاخير من القرن التاسع عشر الاميلادى سنة عظيمة على اجيالهم المستقبلة حيث ان اهتمامهم هذا بالمعارف الدينية كان قد جعل الاجيال القادمة يتعصبون لدينهم و عقيدتهم و يوثرون عليها كل ما يملكونه من النفوس والنفيس و هذا مما آثار اعاطفة القومية الاسلامية في شبه القارة كلها- على كل حال فان شقيق الشيخ نور محمد الاصغر الشيخ غلام محمد وابنه الاكبر الشيخ عطا محمد كانا قد وظفا في المناصب الحكومية حين كان موقف الانجليز نحو المسلمين قد اخذ يتغير شيئا فشيئا و ذلك بسبب الجهود الجبارة التى بذلها السير سيد احمد خان-

الفصل الثالث

عن تاريخ المولد

وأما مولد اقبال فلايزال موضع النقاش والخلافات بين العلماء منذ مدة وقد وردت آثار واقوال عديدة حول السنة التى ولد فيها اقبال واما المقالات والكتب عن اقبال والتى الفت وهو حي فانها تتضمن آراء تختلف في مولده فمنها أن مولده سنة ١٨٧٠م او ١٨٧٢م او ١٨٧٥م او ١٨٧٦م او ١٨٧٧م ومنا مؤلفوا هذه الكتب والمقالات فقد كان البعض منهم من أصحاب اقبال وصدقائد الا ان معظهم لم يكونوا يعرفون اقبالاً معرفة قريبة والواقع ان اقبالاً لم يكن يهتم بترجمته أو وقائع حياته ومما يدل على ذلك ما قاله اقبال في سنة ١٨٢٢م وهو يرد على رسالة الشيخ فوق الذى كان قد سأله عن ترجمته و وقائع حاته (١)

"اما ترجمتى و وقائع حياتى فلست ارى أن فيها شيئا جديرا بالذكر"

و خلال اقامته في اوربا سنة ١٩٠٧م حين قدم اقبال اطروحته للحصول على الدكتوراة باللغة الانجليزية من جامعة ميونخ في الماليا وكان وعنوانها "تطور فلسفة ما بعد الطبيعيات في ايران "فكان المطلوب لافحة الجامعة ان يقدم ترجمته الموجزة مع الاطروحة بخة يده" فقد جاء فيما كتب في هذه الترجمة الموجزة ما نصه: (٢)-

"مولدى ثلاثة ذى القعدة ١٢٩٤ش (الموافق لسنة ١٨٧٦م) بمدينة سيالكوت بنجاب الهند"

وهذه العبارة التى كبتها التى كبتها اقبال بخط يده توضح بانه كتب تاريخ مولده طبقا للتقويم الهجرى ثم اضاف بين القوسين التقويم الميلادى حسب تقديره او تخمينه الا انه لم يستطع ان يوفق بين التقويمين توفيقا صحيحا ثم انه اراد ان

يسافر الى انجلترا في ١٩٣١م و ذلك للمشاركة في موتمر المائدة المستديرة وقدم الوثائق اللازمة للحصول على جواز السفر دهنا ايضا كتب تاريخ مولده ١٩٨٦ بخط يده (٣) واما جواز سفر اقبال الذى قد حصل عليه في ١٩٠٥م من اجل رحلته التعليمة الى اوربا فلايوجد الآن وقد يمكن ان يكون اقبال قد كتب تاريخ مولده ١٧٨٦ م في هذه الوثائق ايضا-

واما(لاله سرى رام) صاحب كتاب (خم خانه جاويد) اى "الخانوت الخالد" وفي المجلد الاول منه والذى طبع في ١٩٠٨م فان مولد اقبال في هذا كتاب هو ١٨٧٠م وكان اقبال في انكلترا حين نشر هذا الكتاب وقد يمكن ان (لاله سرى رام) هذا كان قد حصل على المعلومات عن اقبال او حياته من بعض اقان به او ممن كانوا يعرفون اقبال جيدا- وذلك لأن هذا المؤلف يذكر في مقدمة كتابه بعض الرجال من امثال (الشيخ عبدالقادر) و (بانديت كيفى) والامير (السير ذوالفقار على خان) الذين كانوا من اصدقاء اقبال وخاصته- فمن الممكن ان هؤلاء الاصدقاء كانوا قد اخبروا المؤلف على وجه التقدير والظن بان مولد اقبال هو ١٨٧٠م واما السير سيد رأس مسعود صاحب كتاب (انتخاب زرين) او "المختارات الذهبية" فيذكر في كتابه الذى طبع في ١٩٢١م بأن تاريخ مولد اقبال هو شعر اغسطس ١٨٧٠م الموافق ١٢٨٧- و يذكر مظامى بدايونى في الجزء الاول من كتابه (قاموس المشاهير) والذى طبع في ١٩٢٤م بان سنة ١٨٧٠م هى مولد اقبال- و كذلك جلال الدين احمد جعفرى في كتابه (قند اردو) والذى طبع في ١٩٢٤م بان اقبالاً كان قد ولد في ١٨٧٠م وهؤلاء المؤلفون جميعا لم يكونوا لم يكونوا من اصدقاء اقبال او ممن يتصل به باية صلة غير السير سيد رأس مسعود وقد يمكن ايضا ان صلات اقبال مع السيد راس مسعود لم تكن قوية في ذلك الوقت أيضا كما تدعمت هذه العلاقات فيما بعد- اذا فمن الممكن ان نقول على وجه التقدير والقياس بأن هولاء المؤلفين جميعا كانوا قد اخذوا المعلومات عن مولد اقبال من كتاب (خم خانه جاويد) الذى طبع في ١٩٠٨م-

واما الدكتور خليفة عبدالحكيم و عبدالقادر سرورى فانهما ذكرا فيما كتبا من المقالات عن اقبال بانه كان قد ولد في ١٨٧٢م وهذه المقالات كانت قد نشرت في مجموعة اسمها (آثار اقبال) وقد اعدها السيد (غلام دستگير رشيد) و نشرت هذه المجموعة من حيدراباد الدكن-

ومن اصدقاء اقبال الشيخ فوق الذى كان قد أعد مقالا عن حياة اقبال و

عنوانه (حالات اقبال) و نشر في (كشميرى ماجازين) اى "المجة الكمشيرية" الصادرة في ١٩٠٩م (٤) وفي هذا المقال جاء أن مولد اقبال سنة ١٧٨٥م ثم أعد الامير السير ذوالفقار على خان كتيبا باللغة الانجليزعة عن اقبال و عنوانه "صوت من الشرق" وطبع في ١٩٢٢م- وجاء فيه بان اقبالاً كان قد ولد في ١٨٧٦م تقريبا- واما الشيخ احمد دين المحامي فانه الف كتابا عن اقبال و سماه "اقبال" (الطبعة الاولى ١٩٢٤م والطبعة الثانية ١٩٢٦م) وذكر في كتابه هذا بأن مولده ١٨٧٥م هى مولد إاقبال إلا أن الشيخ فوق هذا ذكر ولاول مرة بان مولد اقبال هو ١٨٧٦م و ذلك فى مقاله له اعده خاصة لمجلة (نيرنگ خيال) اى "بدائع الخيال" في عددها الخاص عن اقبال- و كذلك في الجزء الثانى من كتاب "تاريخ اقوام كشمير" قال الشيخ فوق بان مولد اقبال هو ١٨٧٦م و ليس ١٨٧٥م والجدير بالذكر بهذه المناسبة بان الشيخ فوق والامير اسير ذوالفقار على خان والشيخ احمد دين كانوا على صلة وثيقة طيبة باقبال- ويرة الشيخ اعجاز احمد بأن الشيخ فوق قد يمكن ان يكون قد صح تاريخ المولد على اشارة من اقبال نفسه (٦) الا ان الدكتوروحيد قريشي يرد على هذا الرأى قائلا بان اقبالاً اذا لم يكن قد ساعد الشيخ فوق من ١٩٢٢م الى ١٩٣٠م فأنى له ان يساعده فيما بعد عن ترجمته و تاريخ مولده و يرى الدكتور بأن الشيخ فوق اما كان قد اخذ مما كتبه الامير السير ذوالفقار على خان او اعتمد على مقالة كتبها (ملك راج انند) وقد اخذه هو الاخر من كتاب الامير السير ذوالفقار على خان والدكتور يعتقد بانه من الممكن ان يكون اقبال قد راى صوابا ما قاله السير ذوالفقار على خان والشيخ احمد دين المحامي (٧)

و يبدو من رسالة اقبال التى بعث بها الى الشيخ فور والتى كتبها في ١٩/ديسمبر ١٩٢٢م كأنها كانت قد كتبت في شئ من التواضع والتكلف واغلب الظن أن الشيخ فوق كان قد طلب من اقبال إتن يكتب له ترجمته الا ان اقبال اعرض عن ذلك تواضعا منه واضاف قائلا: (٨)

"اما عن سكنى فاننى اعيش حياة الشرقيين ولك ان تشرفنى بقدومك متى شئت"

ومن الممكن أيضا ان الشيخ فوق كان قد حاول خلال لقاءثه فيما بعد ان يقنع اقبالاً باهمية الموضوع فاخبره اقبال عن تاريخ مولده والسؤال الذى يطرح نفسه الان: ما هو المرجع غير اقبال الذى اخذ عنه الامير السير ذوالفقار على خان معلوماته هذه والظاهر ان اقبالاً هو الذى كان قد اخبره بذلك قائلا بأن

مولدى هو ١٨٧٦م تقريبا فكتب كما اخبره اقبال الا ان ما ذكره من تاريخ المولد بقوله "تقريبا" جعله الشيخ فوق و ملك راج انند تاريخ المولد الاكيد و كذلك فان اقبالاً ايضا كان قد كتب تاريخ مولده ١٨٧٦م في جواز السفر الذى استخرجه سنة ١٩٣١- ونظر الى هذه الخلفية لايصح القول بان ما كتبه الامير السير ذوالفقار على خان والشيخ احمد دين كان قد اقره اقبال او اعجبه ذلك-

وقد ذكر (محمد عبدالرزاق عليج) في مقدمته لكليات اقبال (اى مجموعه دواينه الشعرية) المطبوعة في ١٩٢٢ م ان ١٨٧٥م هو مولد اقبال-

وقد الف (رام بابو سكسينه) كتابا باللغة الانجليزية عن تاريخ الادب الاردوى والذى طبع في ١٩٢٩م جاء فيه مولد اقبال ١٨٧٥م و كذلك في كتاب "ياد اقبال" اى "ذكرى اقبال" لصاحبه تصودرى غلام سرور فگار" وفيه مقال كتبه محمد حسنين عن حياة اقبال و ذكر فيه ان مولد هو اقبال ١٨٧٥م وفي كتاب "جديد شاعرى" اى "الشعر الاردوى الجديد" لصاحبه عبدالقادر سرورى بأن مولد اقبال هو ١٩٧٥و مذلك في كتاب "سرماية اردو" اى "ثروة اللغة الاردوية" (لصحاحبه حافة محمور شيراني بان مولد اقبال هو ١٨٧٥م ومن الممكن ايضا ان هؤلاء المؤلفين جميهم كانوا قد اعتمدوا على المجة الكشميرية (كشميرى ماجازين) او "مشاهير كشمير" في موضوع تاريخ مولد اقبال-

وقد الف المست شرق الالماني (هلماس فان جلاس نيب) كتابا عن الادب الهندى الذى طبع في ١٩٢٩م و ذكر فيه ان مولد اقبال ١٨٧٦م و كذلك فان (ملك راج انند) كان قد اعد مقالا عن اقبال باللغة الانجليزية و نشر في مجلة الاكاديمية الملكية والذى ترجم الى اللغة الاردوية في ١٩٣٢م.و نشر في مجلة "نيرنگ خيال" في عددها الخاص عن اقبال و ذكر فيه ان مولد اقبال هو ١٨٧٦م والف (شيخ اكبر على) كتابا عن اقبال باللغة الانجليزية (اقبال و شعره و رسالته) والذى طبع في ١٩٣٢م قد جاء فيه بان مولد اقبال هو ١٨٧٦م وقد جاء فيما يلى من المؤلفات بان مولد اقبال هو ١٨٧٦م-

١- "مختصر تاريخ اردو" (اى موجز تاريخ الادب الاردوى) للسيد اعجاز حسين المطبوع في ١٩٣٤م-

٢- "تذكرة شعراء بنجاب" اى (تراجم شعراء بنجاب) لصاحبه محمد نسيم رضوانى المبطوع في ١٩٣٧م-

٣- "مجلة انجمن ترقي اردو" في عددها الخاص عن اقبال والمطبوع في

١٩٣٨م-

٤- "كتاب اقبال كامل" للشيخ عبدالسلام الندوى المطبوع في ١٩٤٨م-

٥- "گلستان هزار رنگ" اى (الحديقة ذات الف لون) لصاحبه سيد بهاء الدين احمد-

٦- "مرآة الشعراء" الجزء الاول للشيخ محمد يحي تنها-

ويمكن القياس بأن هذه المؤلفات كلها كانت قد اعتمدت فيما ذكرت عن مولد اقبال إما على ما جاء في كتيب الامير السير ذوالفقار على خان أو على ماجاء في المقالتين للشيخ فوق و ملك راج انند في مجلة "نيرنگ خيال" في عددها الخاص عن اقبال-

وقد جاء فيما يلى من الكتب بأن مولد اقبال هو ١٨٧٧م-

١- "دائرة المعارف الهندية" التى دونها ب-د تشندرا باللغة الانجليزية والمطبوعة في ١٩٢٨م-

٢- "اعلام الهند" للمستر (طامسن بيتر) باللغة الانجليزية والمطبوع في ١٩٣٦م-

و يبدو ان المستشرق الالماني (جات فيلد سائمن) كان قد اعتمد على هذه المؤلفات في كتابه عن الاسلام المطبوع في ١٩٣٧م حيث ذكر مولد اقبال سنة ١٨٧٧م-

والتفاصيل التى مرت بنا فيما ذكرناه عن مولد اقبال تدل بان تاريخ المولد الذى كان قد اشتهر و اقبال حى وقد يمكن انه كان قد ايده ايضا انما هو سنة ١٨٧٦ م ولم يذكر احد من هؤلاء بأن مولد اقبال هو ١٨٧٣م والسوال الذى يطرح نفسه الان: ماهو المصدر للمعلومات التى تقول بأن مولد اقبال هو ١٨٧٠م او ١٨٧٢م او ١٨٧٥م او ١٨٧٦م ويمكن الرد على هذا السوال بار هذه الاقوال والاراء كلها انما هو ظن و تخمين و تقدير بغير برهان و يرجع ذلك كله الى إغراض اقبال وعدم التعاون منه في هذا الموضوع-

وفي اليوم الثانى من وفاة اقبال اى في ٢٢/ابريل ١٩٣٨م قد نشرت تعليقة في الجريدة اليومية الانجليزية (سول ايند ملتر جازيت) اى (الجريدة المدينة والعسكرية) وقد جاء فيها مولد اقبال سنة ١٨٧٧م ثم بعد بضعة ايام نشرت مقالة موجزة عن حياة اقبال في جريدة "انقلاب" اليومية وكانت قد اعدت على ما حكاه الشيخ عطا محمد من المعلومات عن حياة اقبال وقد جاء في هذه هذه المقالة على ما صرح به الشيخ عطا محمد على وجه الظن والتخمين بان مولد

اقبال كان في شهر ديسمبر ١٨٧٦م ثم نشرت تعليقة اخرى بعد عدة ايام في جريدة "انقلاب" اليومية هذه وفي عددها الصادر في ٧/مايو ١٩٣٨م تحت عنوان "تاريخ مولد العلامة اقبال" وقد جاء فيها ما نصه:

"وقد جاء في بعض الاعداد الماضية لجريدة "انقلاب" اليومية ترجمة العلامة اقبال الموجزة على ما صرح به شقيقه الاكبر الشيخ عطا محمد على وجه الظن والتخمين منه بانه كان قد ولد في شهر ديسمبر ١٨٧٦م الا أنه قد تحقق الان بأن حضرة العلامة كان قد ولد في ٢٢/فبرائر ١٨٧٣م في ٢٣/٢٤ذى الحجة سنة ١٢٨٩ حسب التقويم الاسلامي اى الهجرى- و يبدو من ذلك ان حضرة العلامة كان قد عاش ٥٦ سنة وشهرين حسب التقويم الشمسى و ٦٧ سنة و شهرين حسب التقويم القمرى-"

إلا أن هذه التعليقة لا تصرح بمصدرها و مرجعها الا انه من الممكن ان جريدة "انقلاب" اليومية كانت قد اخذت هذه المعلومات عن سجل المواليد والوفيات لمدينة سيالكوت لسنة ١٨٧٣م وقالت ان مولد اقبال هو ٢٢/فبرائر ١٨٧٣م ثم ان عبدالمجيد سالك كان قد اعتمد على هذا المرجع في كتابه "ذكر اقبال" اى "ذكرى اقبال" والذى طبع في ١٩٥٥م- وقد كتب بهامش كتابه هذا ما نصه: (٩)

"حسب التصديق من قبل المحافظ لمحافظة سيالكوت على اساس سجل المواليد والوفيات"

والظاهر ان محافظ سيالكوت في ١٨٥٤م او ١٨٥٥م لم يكن له من الممكن ان يصادق على تاريخ مولد اقبال بانه هو ٢٢/فبرائر ١٨٧٣م وانما كان هذا المحافظ قد صادق على ما جاء في سجل المواليد والوفيات حيث جاء فيه بان ولدا كان قد ولد لشخص كان يعرف باسم "نثو الكشميرى" وفي حي الكمشيرين في ٢٢/فبرائر ١٨٧٣م-

فلو أن مكتب جريدة "انقلاب" كان قد استفسر من شقيق اقبال الاكبر الشيخ عطا محمد عن هذا الخلاف الذى وقع بين ما قدره هو على وجه الظن والتخمين و بين ما جاء في سجل المواليد والوفيات من تاريخ مولد اقبال- ولو انهم اتصلوا ببعض اخوات اقبال واستفسروهن عن ما جاء في هذا السجل من مولد اقبال لكان من الممكن اصلاح سوء الفهم هذا الذى وقع الا انهم افترضوا بان ما جاء في سجل المواليد والوفيات انما هو مولد اقبال ولم يحاولوا البحث الذى كان بامكانه ان يوصلهم الى الصواب- والجدير بالذكر ان عميد كلية (مرى) في

سيالكوت والتى كان اقبال قد التحق بها عندما قرأ عميدها ما جاء في جريدة "انقلاب" عن مولد اقبال ظنه تاريخ مولده الصحيح فاضاف في سجلات الكلية بان جريدة "انقلاب" قد اتصلت باسرة اقبال و عشرت في سجلاتها على تاريخ مولد اقبال ولكن اسرة اقبال لم تكن تملك شيئا من السجلات او الملفات عن تاريخ مولد اقبال بانه كان قد ولد في ٢٢/فبرائر ١٨٧٣م و كذلك يجب ان نعرف بهذه المناسبة بان سجلات كلية (مر) تقول بان اقبالاً كان قد التحق بالكلية في ٥/مايو ١٨٩٣م الا انها لا تصرح عن مولده بشئ وانما جاء فيها انه كان قد بلغ السنة الثامنة عشر من عمره حينذاك فاذا كان صحيحا بان اقبال قد بلغ السنة الثامنة عشر من عمره حينذاك في ١٨٩٣م فان مولده حينئذ انما هو ١٨٧٥م وليس ١٨٧٣-

على كل حال فقد كانت النتيجة لهذا كله ان بعض من ألف عن ترجمة اقبال و حياته ظن هذا بانه هو التاريك الصحيح لمولد اقبال وكذلك فان مصلحة الحفريات والاثار قد عقلت اللافتات على المساكن والمنازل التى كان اقبال قد نزل بها في سيالكوت ولاهور و تاريخ المولد الذى ورد في هذه اللافتات كلها هو ١٨٧٣م حتى ان مصلحة حكومة باكستان للبريد كانت قد اصدرت طابعا بريديا خاصا في سنة ١٩٥٨م بمناسبة ذكرى اقبال العشرينية- و ذكرت فيه تاريخ مولده ١٨٧٣-

واما المراجع التى عولت على ماجاء في جريدة "انقلاب" و كتاب "ذكر اقبال" عن مولد اقبال فان كلها تنص على انه ولد في ٢٢/فبرائر ١٨٧٣م ومن بين هذه المؤلفات-

١- "حياة اقبال" لصاحبه (تشراغ حسن حسرت) الذى طبع سنة ١٩٣٨م في لاهور

٢- "اقبال" (محمد حسين خان) المطبوع في ١٩٣٩م-

٣- "شاعر مشرف" (عبدالله انور بك) باللغة الانجليزية المطبوع في ١٩٣٩م-

٤- "سيرة اقبال" (محمد طاهر فاروقي) طبعات ١٩٣٩م و ١٩٤٤م و ١٩٤٩م-

٥- "اقبال" لصاحبه (سجيده نندا سنها) بالانجليزية المطبوع في اله اباد ١٩٤٨م-

٦- "حياة اقبال" (لاقبال سنغ) بالانجليزية ط: ١٩٥١م-

٧- "تذكرة شعراء متغزلين" (محمد اسماعيل بانى بتى) ط: ١٩٥٦م-

٨- "اقبال فنه و فكره" (سيد عبدالواحد معينى) بالانجليزية ط: ١٩٥٩م-
٩- "كليات اقبال" ط: مطبعة نظامى بدايون-
١٠- "كليات اقبال" ط: مكتبة نسيم لكنؤ-
١١- "يادگار اقبال" (سيد محمد طفيل بدر الامروهوى)
١٢- "دائرة المعارف الاروية" ط: فيروز سنز
١٣- "تاريخ ادب اردو" (محمد صديق) بالانجليزية *
١٤- "شعر اقبال" (لسيد عابد على عابد)
١٥- "حياة اقبال" (عنيايت الله)

ويجب ان نذكر بهذه المناسبة بان ضريح اقبال كان قد اكتمل بناؤه في ١٩٥٠ تقريبا وكانت حكومة افغانستان قد اعدت لافتة الضريح و غلافه فبعثت بهما وقد نحت مولد اقبال في لافتة الضريح الحجرية سنة ١٢٩٢هـ- و ذلك مما لا يوافق أى تاريخ من تواريخ المولد المتد اولة او المفترضة و كذلك فان ملفات (لجنة ضريح اقبال) ووثقائقها لاتنص على شئ عن تاريخ المولد الذى جاء في هذه اللافتة ولا يصرح بالمصدر الذى ابلغ هذا التاريخ الي سلطات كابول و يمكن ان يقال بان سلطات كابول كانت قد نحتت هذا التاريخ الهجرى حسب تقديرها و تخمينها رغم انها لم تكن لديها شواهد توكد لها بشى في ذلك-

واما مولد اقبال الذى اكتشفته جريدة "انقلاب" فانه لا يعترف به احد من (الاقباليين) الذين اشتغلوا بحياة اقبال و شعره و فنه وانما اكتفى جميعهم بتاريخ مولده الذى تيسرلهم اما ١٨٧٦م او ١٨٧٧ فنرى (وليام كينات ويل سميس) يذكر في كتابه عن الاسلام المعاصر في الهند طبعة ١٩٤٦ بالانجليزية بأن مولد اقبال هو ١٨٧٦م واما المستشرق الالماني (فلوك) فهو يذكر في كتابه عن اقبال الذى نشر في المانيا سنة ١٩٥٤م بأن مولد اقبال هو ١٨٧٧م كما ان المستشرق السوفيتى (كوبى كووا) يذكر في كتابه (نود و بيسكن لتريشرر) طبعة ١٩٥٢م بأن مولد اقبال هو ١٨٧٧م-

وأما أول من شك فيما اكتشفته جريدة "انقلاب" عن مولد اقبال ما صرح به سيد عبدالواحد معينى فهو (تى سى رائے) استاذ اللغة الاردوية في (بان) المانيا- فقد كتب رائے هذا رسالة الى الملحق الثقافى بسفارة باسكان في

---

*لعل هـ محمد ؛ادق-

(جادس برك) قال فيها بانه قد التبس عليه تاريخ مولد اقبال لانه المؤلفين والكتاب يختلفون في تاريك مولوده و سنة ومن ثم يجب البحث الشامل في هذه القضية حتى يمكن الوصول الى مولد صحيح الا انه لم يستطع اى واحد في باكستان أن ينهض بما يجب فى هذا المجال(١٠)-

وفي ١٩٥٨م أعد الاستاذ (جان ميرك) في جامعة براج (تشيكو سلافاكيا) مقالا حقق فيه عن تاريخ مولد اقبال و نشره في مجلة (ارتشو اورانتيلى) الصادرة من براج وكان لديه ما كتبه اقبال بخة يده عن ترجمته مع اطروحته للدكتوراة قدمها في جامعة ميونيخ (المانيا) ما كتبه اقبال عن ترجمه قد جعل الاستاذ (جان ميرك) يستنتج بأن مولد اقبال الصحيح انما هو ٩/نوفمبر ١٨٧٧م (١١)-

وقد الف المستشرقة الأطانية (اين- ميرى- شمل) كتابا عن فكر اقبال باللغة الانجليزية و سمته (جناح جبريل) و ذكرت في كتابها هذا على ماقاله الاستاذ جان ميرك عن الخلافات التى توجد في مولد اقبال اصحيح وقالت بأن ٢٢/فبرائر ١٨٧٣م يعتبر مولد اقبال إلا أن اقبالاً قد كتب بخط يده ترجمته مع اطروحته و صرح بان مولده هو ٣/ذى القعدة ١٢٩٤ هج الموافق لسنة ١٨٧٦م وكانت سنة ١٢٩٤هج قد بدأت في ينائر ١٨٧٧م ومن ثم ٩/نوفمبر ١٨٧٧م يوافق ما كتبه اقبال من السنة الهجرية و مما يدل على صحة هذا التاريخ بانه يطاق جميع المراحل التعليمية التى مربها اقبال في حياته اى مراحل الامتحانات في الكية فانجامعة بينما لا يوافق هذه المراحل التعليمية ما جاء عن مولده في ١٨٧٣م و عليه فان مولد اقبال هو ٩/نوفمبر ١٨٧٧م (١٢) وفي هذه السنة نفسها ظهرت الطبعة الثانية من كتاب "روزجار فقير" لفقير سيد وحيد الدين وقد اسرد الشيخ اعجاز احمد في مقال طويل من الشواهد والبراهين التى تؤيد بان مولد اقبال الصحيح هو ٩/نوفمبر ١٨٧٧م-

واما المؤلفات والمقالات عن اقبال التى ظهرت بعد ذلك فان جميعها اعترفت تاريخ المولد هذا و اختارته فعلى سبيل الثال تبع هذا الرأى سيد عبدالواحد معينى في كتابه بالانجليزية عن اقبال و فنه فكوه والذى طبع في ١٩٦٤م و صرح في كتابه بأن مولد اقبال انما هو ٩/نوفمبر ١٨٧٧م رغم انه كان في كتابه هذا والذى طبع في ١٩٥٩م قد صرح بان مولده ٢٢/فبرائر ١٨٧٣م وكذلك مجلة "نقوش" في عددها الخاص عن تراجم الرجال باقلامهم كانت قد صرحت بام مولد اقبال ٩/نوفمبر ١٨٧٧م- وذلك في ١٩٦٤م رغم ان هذه المجلة نفسها كانت قد ذكرت في أعدادها الخاصة عن الغزل والرسائل والفكاهة-

وعددها عن لاهور بان مولد اقبال و ١٨٧٥م او ١٨٧٦م واما كتاب ام بابو سكسينه عن تاريخ الادب الاردوى باللغة الانجليزية والذى ترجمه السيد العسكرى الى الاردوية و ظهرت طبعته الثانية في ١٩٦٥م فقدم له مرتضى حسين فاضل و صرح بان مولد اقبال ليس ١٨٧٥م وانما هو ٩/نومبر ١٨٧٧م و كذلك فان محمد طاهر فاروقي كان قد رجع عن قوله في مولد اقبال في سنة ١٩٦٦م و صرح بان مولد اقبال الصحيح انما هو ٩/نوفمبر ١٨٧٧م رغم ان طبعات كتابه في ١٩٣٩م و ١٩٤٤م و ١٩٤٩م تصرح بان مولد اقبال هو ٢٢/فبرائر ١٨٧٣م-

وكانت حكومة باكستان قد اصدرت طابعا بريديا خاصا بمناسة ذكرى اقبال ١٩٦٨م وهذه الطوابع البريدية تحمل ١٨٧٣م كمولد اقبال ولما كانت حكومة باكستان قد اصدرت ايضا طوابعا بريدية في ١٩٥٨م تحمل ١٨٧٣م كمولد لاقبال ومن ثم نبهت على هذا التعارض بعض الجرائد الباكستانية في تعليقاتها مما جعل حكومة باكستان تصدر تصريحا رسميا في ٢٧ابريل ١٩٦٨ جاء فيه بان سنة ١٨٧٧م كمولد اقبال قد ايدتها اكاديمية اقبال و حلقة اقبال بكراتشى كما أن العقيد وحيد الدين كان قد ذكر في كتابه "اقبال باتصوير" (اى كتاب اقبال المصور) بأن مولده هى هذه السنة نفسها بالاضافة إلى ما جاء في بحث اعده الاستاذ جان ميرك بجامعة تشكيل سلافاكيا إلا أن الكتب التى ورد ذكرها في جريدة من بين هذه الجرائد لا تنص على تاريخ مولد اقبال الصحيح (١٤)-

ثم نشر المجلد الثانى عشر من دائرة المعارف البريطانية حيث جاء ٩/نوفمبر ١٨٧٧م تاريخ مولد اقبال كما انه نشر مقالد للشاعر حفيظ هوشياربورى في عدد من اعداد جريدة "جنک" اى "الحرب" عن هذا الموضوع في سنة ١٩٦٩م حيث حقق الكاتب على اساس الدلائل والشواهد مرة اخرى بان تاريخ مولد اقبال الصحيح انما هو ٩/نوفمبر ١٨٧٧م وفي هذه السنة نفسها ظهر كتاب "نقش اقبال" (للسيد عبدالواحد معينى وقد تناول المؤلف تاريخ مولد اقبال في الباب الاول منه وفصل القول فيه و حقق بان اقبال كان قد ولد في ٩/نوفمبر ١٨٧٧م-

ولعل هذه الخلافات حول تاريخ مولد اقبال كانت فعلت ادارة جمعية اقبال لاهور (وهي موسسة حكومية) تكون لجنة خاصة تحت رياسة القاضي "اس اے رحمان (رئيس اقضاء الباكستاني) سابقاه في سنة ١٩٦٩م لتقوم بمهمة البحث في

مولد اقبال و تحديدة على وجه صحيح واسمترت اللجنة في بحثنا للعديد من السنوات وفي اثناء ذلك نشرت جمعية اقبال هذه في ١٩٧١م كتاب "اقبال درون خانه" اى "اقبال داخل منزله" لصاحبه خالد نظير صوفى حيث حقق المؤلف في كتابه هذا بان تاريخ مولد اقبال الصحيح انما هو ٢٩/ديسمبر ١٨٧٣م وخالد نظير صوفي هذا هو ابن ابنة الشيخ عطا محمد الصغرى واما والده نظير صوفى فهو ابن اخت اقبال الكبرى السيدة طالع بي و اسمه خورشيد احمد- وقد حقق هذا المؤلف بانه وجد في سجل المواليد والأموات لبلدية سيالكوت بان نثو الخياط المسلم القاطن في حى صناع الحلقات الزجاجية قد ولد له ابن في ٢٩/ديسمبر ١٨٧٣م وقد ابلغ هذا الخبر الى سلطات البلدية رجل اسمه على محمد بن غلام محى الدين و يرى هذا المؤلف بان هذا هو تاريخ مولد اقبال و ذلك لانه ينص على والد اقبال الشيخ نور محمد المقلب بنثو كان مشتغلا بمهنة الخياط وهو الذى كان قد ولد له ابن وان الذى اعلم سلطات البلدية بذلك هو على محمد بن غلام محى الدين وهو ابن عمة الشيخ نور محمد (١٥)-

واما اللجنة التى كان يترأسها القاضي، اس-أ- رحمان فلم تصل الى اية نتيجة فيما قامت به من البحث والتحقيق واخيرا كونت حكومة باكستان لجنة في ١٩٧٢م تحت رياسة الوكيل الاتحادى لوزارة التربية والتعليم لتقوم بمهمة التجديد لتاريخ مولد اقبال فاجتمعت اللجنة غير مرة واستمر بحثها-

وفي ١٩٧٣م اعلنت حكومة الهند بانها سوف تحتفل بذكرى اقبال المئوية خلال ١٩٧٣- ١٩٧٤ ولعل الذى جعل حكومة الهند تعلن بهذا الاحتفال هو ما اكتشفته جريدة "انقلاب" او ما حققه خالد نظير صوفي عن تاريخ مولد اقبال ثم كونت لجنة قومية تحت رياسة السيدة انديرا غاندى رئيسة وزراء الهند و بدأت الاستعدادات اللاحتفال بذكرى اقبال-

ومما يجب الاشارة اليه بهذه المناسبة ان الكتاب الهنود كانت لهم آراء مختلفة في هذا الموضوع وعلى سبيل المثال حقق الكاتب (١٦) مالك رام في مقاله عن اقبال بانه كان قد ولد في ٢٩/ديسمبر ١٨٧٣م كما ان الشيخ عبدالقوى كان مترددا في تائيده لقول القائلين بان مولد اقبال هو ٣/ ذى القعدة ١٢٩٤هج و ذلك لانه كان يرى بان الشواهد والد لائل التى اعتمد عليها القائلون بهذا التاريخ ليست بمقنعة شافية (١٧) اما الشيخ السيد ابوالحسن على الندوى فقد اختار في كتابه "روائع اقبال" سنة ١٨٧٧م كتاريخ المولد لاقبال وتبعه لاشاعر الكاتب (جكن ناث آزاد) فقال إن اقبال كان قد ولد في ٩/نوفمبر ١٨٧٧م- (١٨)

على كل حال فان الاعلان من حكومة الهند هو الذى جعل اللجنة الاتحادية لتحديده مولد اقبال تسارع جابراء اتها لان اعضاءها كانوا يرون بان حكومةُ الهند اذا احتفلت بذكرى اقبال فما ذا يجعل باكستان تتخلف في هذا المجال وكانت اجرءات لجنة مولد اقبال قد اسمترت لسنتين تقريبا واخيرا اعلنت حكومة باكستان على إساس التوصيات من قبل اللجنة في ٩/فبرائر ١٩٨٧م بان مولد اقبال الصحيح إنما هر ٩/نوفمبر ١٨٧٧م ثم اعلنت حكومة باكستان في ٢٥/يوليو ١٩٨٤م بأنها سوف تحتفل بذكرى اقبال المئوية خلال ١٩٧٧-١٩٧٨م- على أساس تاريخ المولد المذكور إعلاه وتكونت لجنة قومية برئاسة السيد ذوالفقار علئ بوتورئيس وزراء باكستان آنذاك لتقوم بتنظيم الاجراءات للاحتفال بذكرى اقبال وقد تم الاحتفال بذكرى اقبال في ١٩٧٧ م في كل من الهند و باكستان-

هناك آراء ثلاثة مختلفة عن تاريخ مولد اقبال وهى آراء تناولها الباحثون والعلماء منذ وفاة اقبال اليوم وهي هذه:

١- ٢٢/فبرائر ١٨٧٣م-

٢- ٢٩/ديمسبر ١٨٧٣م-

٣- ٩/نوفمبر ١٨٧٧م-

والسوال الذى يطرح نفسه الان ما هو القول الصحيح من بين هذه الاقوال المختلفة والآراء الثلاثة المتضاربة حول مولد اقبال وللوصول الى نتيجة قاطعة لابد من البحث في هذه الآراء الثلاثة والهام بما جاء من الدلائل والشواهد في تائيدها و تفنيدها-

١- ٢٢/فبرائر ١٨٧٣م

هذا هو تاريخ مولد اقبال الذى اكتشفته جريدة "انقلاب" الصادرة من لاهور وعولت الجريدة في البحث عن هذا المولد على ما عثرت عليه في سجل المواليد والوفيات لبلدية سيالكوت حيث جاء بان شخصاً اسمه نثو الكشميرى من سكان حى الكشميرين كان قد ولدله ابن في ٢٢/فبرائر ١٨٧٣م وقد جاء في هذا السجل بان الذى كان قد اعلم سلطات البلدية بالمولد كان اسمه ايضا نثو (١٩) و تيبق كبار اسرة اقبال الموتوق بهم بان الشيخ نور محمد كان قد ولد له ابن قبل مولد اقبال إلا أنه كان قد توفي وهو طفل رضيع و عليه فيرى الشيخ اعجاز احمد بان هذا المولد لاصلة له باقبال رغم ان (فقير سيد وحيد الدين)

يقول بأن البحث الذى قام به قد قاده إلى إن يقول بان الذى جاء في السجل انما هو عن ولد اخر كان قد ولد للشيخ نور محمد والذى كان قد توفي وهو طفل رضيع قبل مولد اقبال بثلاثة أو أربعة اعوام (٢٠) و كذلك يذكر خالد نظير صوفي على ما سمعه من والده بان هذا الذى جاء في السجل إنما هو عن ولد كانت ام اقبال قد سلمته إلى زوجة عم اقبال لتتبناه حيث لم يكن لها اولاد زكود إلا أن الولد هذا كان قدمات وهو طفل رضيع (٢١)

فقد تحقق خطأ من قال بأن الذى جاء في سجل المواليد والفيات هو مولد اقبال وممن اخطأ في هذا الراى اصحاب جريدة "انقلاب" فانهم ليس لدميهم شئ من الوثائق يؤيد ما دعوه غير ما جاء في هذا السجل لأنه لا صلة له باقبال وانما يتعلق ذلك بطلد اخر كان قد ولد للشيخ نور محمد ومات وهو طفل رضيع قبل مولد اقبال بسنوات والشيخ اعجاز أحمد يحتفظ معه شهادة من قبل اخت اقبال التى شهدت واكدل له بان ولدا كان قد ولد للشيخ نور محمد ومات وهو طفل قبل مولد اقبال- (٢٢)

ومن الجدير بالذكر ههنا الشيخ نور محمد كان يسكن في ذلك الوقت في حي يعرف بحى صناع الحلقات الزجاجية- والوثائق الرسمية المسجلة عن ذلك العهد تنص على وجوه المنزل السكنى للشيخ نور محمد في سوق صناع الحلقات الزجاجية او في حيهم (٢٣) و هذا المنزل نفسه كان هو عنوان البريد ندائما وحي صناع الحلقات الزجاجية وحي الكشميريين حيان مستقلان الا انهما متجاوران متقابلان وما ما جاء في كتاب "اقبال داخل منزله" عن المعلومات التى جمعه اصاحب من سجل المواليد والوفيات لبدية سيالكوت لايوجد فيها بيان موثوق به غير بيان واحد وهذا البيان هو عن مولد اخت اقبال اكبرى (طالع بى) و يقول هذا البيان بأن نثو الكشميرى من سكان حى صناع الحلقات الزجاجية كانت قد ولدلت له بنت في ٦/سبتمير ١٨٧٠م واعلم السلطات بذلك شخص اسمه محمد رفيق (وهو والد الشيخ نور محمد وجد اقبال (٢٤)- ولا يوجد بيان عن مولد الشيخ عطا محمد والسيدة (فاطمة بي) من اولاد الشيخ نور محمد ولعلى السبب في ذلك ان بلدية سيالكوت لم تكن قد فتحت سجلا للمواليد والوفيات الى ذلك الوقت والبيان الذى جاء في سجل المواليد الوفيات عن مولد (طالع بى) في ١٨٧٠م يوضح جليا بان الشيخ محمد رفيق هو الذى كان ئهتم باعلام المواليد لاحفاده مادام حيا ولكنه ليس لدينا ما يوكد لنا بان الشيخ نور محمد أيضا كان يهتم بهذا الامر كذلك- على كل فان البيان الذى جاء في هذا السجل ينص على

ان الوالد لم يكن من سكان حى صناع الحلقات الزجاجية وانما كان يسكن في حي الكشميريين فهل يمكن لنا ان تاكد من صحة هذا البيان الذى جاء في سجل المواليد والوفيات بانه صحيح لان الحيين اى حي الكشميريين وحى صناع الحلقات الزجاجية حيان متقاربان وانه يمكن القول بان الكاتب المسئول لم يرمن فره الفرق بين الحيين؟ اما مؤلف هذا الكتاب فلا يرى ان هذا الراى مصيب وانما يرى و يوافقه في رائه هذا الشيخ اعجاز احمد بان كل بيان في حي صناع الحلقات الزجاجية يجب ان لا يصدق و سوف ويكون مشكوكا فيه و ذلك لان هذا البيان لا صلة له باولد الذى مات وهو طفل رضيع قبل مولد اقبال ومن الممكن ايضا ان هذا البيان الذى جاء في السجل انما هو عن ولد يمكن ان يكون قد ولد لرجل كان اسمه ايضا نثو الكشميرى ولم يكن يسكن في حي الصناع الحلقات الزجاجية وانما كان يسكن في حي الكشميريين وان الذى اعلم السلطات بذلك كان هو والد ذلك الطفل نفسه-

٢- ٢٩/ ديسمبر ١٨٧٣م

واما هذا التاريخ لمولد اقبال فقد اكتشفه خالد نظير صوفي و هذا الاكتشاف يقوم على ما جاء في سجل المواليد والوفيات لبلدية سيالكوت بانه في ٢٩/ديسمبر ١٨٧٣م كان قد ولد ابن لرجل في هى صناع الحلقات الزجاجية وكان اسمه نثو الخياط المسلم والذى اعلم السطات بهذا المولد اسمه على محمد بن غلام محى الدين ويرى مؤلف كتاب "اقبال داخل منزله" بان هذا البيان هو عن مولد اقبال ونه كان قد ولد بعد الوالد الذى مات وهو طفل رضيع قبل مولد اقبال بعشرة اشهر والربع وهو يصرح قائلا بان هذا البيان الذى يذكرالوالد باسم نثو الخياط انما هو اشارة الى مهنة الشيخ نور محمد المعروف بنثو ثم يذكر قائلا بأن الذى كان قد اعلم السلطات بذلك اسمه على محمد بن غلام محى الدين وهو ابن عمة الشيخ نور محمد (٢٥) اما المصدر الذى اعتمد عليه خالد نظير صوفي في معلوماته هذه فهو ليس الا والده نظير صوفي وهو الذى اخبر ابنه بان الذى كان قد اكبر السلطات بالمولد هو على محمد بن غلام محي الدين وهو ابن عمة الشيخ نور محمد الا ان نظير صوفي هذا كان قد اولى بتصريح صحفي لجريدة "اخبار جهان" الصادرة من كراتشي حيث قال بان الذى كان قد اعلم السلطات بالمولد هو على محمد وهو ابن عم الشيخ نور محمد (٢٦)-

اما الشيخ اعجاز احمد فهو يقول بانه لم يعرف ولم يسمع بشخص بين

اقاربه كان اسمه على محمد بن غلام محى الدين ولم يذكره احد من الاقارب ابدا- كما انه لم يشارك شخص في افراح الاسرة ومآتمها كان يعرف بهذا الاسم- وقد صرح الشيخ فوق البريخ اعجاز فيما كتباه بان والد الشيخ نور محمد كان قد هاجر من كشمير الى مدينة سيالكوت ولم يذكر احد ان عمة لوالد اقبال اى اختاً للشيخ محمد رفيق ايضا كانت قد هاجرت مع اخوتها وما شجرة النسب لاسرة اقبال التى كان الشيخ فوق قد اعدها و سجلها في الجزء الثانى من كتابه "تاريخ اقوام كشمير" طبعة ١٩٤٣م فلم تذكر عمة من عمات الشيخ نور محمد في هذه الشجرة كما انه لم يذكر عم من اعمامه فيها كان اسمه غلام محى الدين ولا ابن له كان اسمه على محمد و شجرة نسب اسرة اقبال التى قد اعدها الشيخ اعجاز احمد قبل سنوات على اساس المعلومات التى حصل عليها من كبار الاسرة الموثوقين و بعد جهد كبير بذله في ذلك ايضا لايوجد فيها زكر لارى شخص بهذا الاسم و كذلك شجرة النسب التى اعدها (جكن ناث آزاد) لا تنص على وجود شخص بهذا الاسم (٢٧)

والسوال الآن هو ما مدى صحة المعلومات التى حكاها نظير صوفي عن اجداد اقبال و اسرته فنرى عبدالمجيد سالك يقول في كتابه "ذكر اقبال" اى (ذكرى اقبال) على اساس المعلومات عن اجداد اقبال و اسرته والتى حكاها له نظير صوفي هذا (٢٨)-

> "يقال ان شخصا من السادة الاشراف كان قد ورد في مدينة سرينجار ورئى الجد الاعلى للعلامة اقبال في هذا السيد الشريف من السيرة الطاهرة والاخلاق الكريمة ما جعله يحبه و يعتقد فيه و تأثر بصحبة ذلك الشريف وحبه فاعتنق هذا البرهمى الاسلام على يد السيد الشريف و سمي بصالح و عند ما رأى السيد الشريف صلاحا و تقوى في صديقه زوجه من ابنته و بلغ المدارج العليا من الصلاح والتقوى بعد اعتناقه الاسلام حتى عرف باسم (بابا صالح) واخذ عامة الناس بقبلون عليه و ضريحه في كشمير ولكن مكانه لا يعرف"-

وهذا الذى رواه نظير صوفي لا يويده ما قاله اقبال او ماكتبه الشيخ فوق وقد اتضح من التفاصيل التى مرت بنا في الباب الاول بان الشيخ فوق كان يرى بان الجد الاعلى للشيخ نور محمد والد اقبال كان يعرف بلقب (بابا لول حج) او (حاجي لولى) و انه كان قد اعتنق الاسلام- في عهد (بدشاه) في القرن الخامس عشر الميلادى و ليس لدينا ما يؤيد بانه كان قد اسلم على يد شريف من الاشراف وكان سمي بصالح او كان قد تزوج بابنة شريف من الاشراف أو عرف

بلقب (بابا صالح) فيما بعد إلا أن البعض ممن ترجم لاقبال قد اخذ هذه الحكاية التى حكاها نظير صوفي من كتاب "ذكرى اقبال" بدون أى بحث أو تحقيق-(٢٩)-

وما مؤلف هذا الكتاب فهو يشكد في ان على محمد هذا كان من اقارب اسرة اقبال ولكن الدكتور (وحيد قريشي) يشير سوالا قائلا: هل يجب أن يكون المخبر دائما من الاقارب؟ فان التقاليد المعوول بها ان حارسا او كناسا من العاملين في الحى قد يقوم بهمة الاعلام والاخبار وقد يمكن ان يقوم بهذه المهمة بعض سكان الحى من غير الاقارب وقد يمكن ان يكون الذى قد اعلن السلطات بالمولد من اخوال اقبال (٣٠)- أما تقاليد الاعلام بواسطة الحارس او الكناس فقد يمكن وجودها في بعض القرى اما المدن فان التقاليد تمنعنا من ان نرى هذا الرأى لأن تقاليد المدن دائما تجعل الاقارب يقومون بالمهمات مثل هذه واما أن يكون احد من سكان الحى من غير الاقارب أو أحد من أخوال اقبال قد قام بهذه المهمة فان هذا هو ظن و تقدير ولا يقوم على أساس يويده- ولا يجوز الثقة به بدون سهادة أو وثيقة تويده-

وأما ولد الشيخ نور محمد الذى مات وهو طفل رضيع فان وثائق البلدية لا تنص على وفاته بشئ فلو فرضنا أن ما سجل فئ وثائق البلدية ٢٢/ فبرائر ١٨٧٣م هو مولد ذلك الطفل الرضيع فيجب ان يكون وفاته أيضا قد سجلى في تلك الوثائق للبلدية والامر ليس كذلك لاننا قد صرحنا فيما مربنا بان الذى جاء في سجل البلدية من البيانات هي لا تتعلق بمولد ذلك الطفل الرضيع الذى ولد ومات قبل مولد اقبال و يجب بهذه المناسبة أن نصرح بأن الشيخ نور محمد وشقيقه الشيخ غلام محمد كانا يسكنان معا في بيت واحد و تنص الوقائع الخاصة بالاسرة بانهما كانا قد رزقا بابن وابنة في وقت واحد تقريبا وقد تم التبادل بين الامين كما ذكر فيما مضى- والسوال الذى يطرح نفسه الان هو هل سجل مولد تلك الطفلة في وثائق البلدية ام لا؟ والجواب على هذا السوال: ----- لا-

اما وفاة (طالع بي اى شقيقة اقبال) فقد سجل في الوثقائق حيث جاء بانها كانت قد توفيت في ١٣/ يوليو ١٩٠٢م وان الذى اعلم السلطات بذلك كان اسمه تاج دين- وكانت السيدة طالع بن هذه قد زوجت من غلام محمد الذى كان يعمل مع الشيخ نور محمد في محله التجارى وهو صبى وأن غلام محمد هذا هو نفس الصهر للشيخ نور محمد الذى كان قد وهب له ذلك المحل التجارى وأما تاج

دين الذى كان أعلم بالوفاة فهو ابن الشيخ فتح محمد بن الشيخ عبدالله الذى كان ابن عم الشيخ نور محمد- و بصفته ابنا لابن عم الشيخ نور محمد كان يعتبر من اقرب الاقارب له وكذلك فان الوثائق تنص على وفاة السيدة/ (كريم بي) شقيقة العلامة محمد اقبال (٣١)وكانت قد توفيت في ٤/يوليو ١٩٥٨م في المنزل المووثي اقبال في حى صناع الحلقات الزجاجية بمدينة سيالكوت والذى اعلن سلطات البلدية بوفاتها اسمه افتخار احمد وهو شقيق الشيخ اعجاز احمد وابن الشيخ امتياز احمد- فهذه الوفيات اوا المواليد كلها قد قام بالاعلام عنها الأقارب لاغير-

اما الاعتراض الثانى الذى أورده الشيخ اعجاز احمد على صحة هذا البيان المذكور الذى مربنا بأن الشيخ نور محمد كان يعرف اما بالشيخ نثو او بنثو لكشميرى بصفته كشميريا أو كان يعرف نثو صاحب القلانس بحكم مهنته ولم يكن يعرف بنثو الخياط لانه لم يكن من اسرة الخياطين وفيما قاله الشيخ اعجاز احمد هذا بأنه يوجد اسرة خاصة تعرف بالخياطيين بمدينة سيالكوت وكان بعض اعضائها قد نزلوا في حي صناع الحلقات الزجاجية ايضا وانه كان يعرف شخصا من سكان ذلك الحي الذى كان يعرف بنثوا الصراف و كذلك فان شقيقه الاصغر الشيخ مختار يحكى بأن أحد زملائه في المدرسة والذى كان من أسرة الخياطيين كان جده يعرف باسم نثو-

وقد صرح صاحب كتاب "اقبال داخل منزله" بأن الناس كانوا يلقبون الشيخ نور محمد واسترته اصحاب الطرابيش أو أصحاب القلانس (٣٢) و هذا البيان الذى جاء في الوثائق ينص على مهنة الرجل واسرته و ديانته خياط و ذلك بحكم مهنة التي كان يشتغل فيها- و كذلك فان الدكتور وحيد قريشي يذكر بان وثائق مدرسة الارسالية الاسكاشية تنص على ان استمارة قبول اقبال بتلك المدرسة تحمل اسم والده كالشيخ نور محمد تيلر (اى الخياط) (٣٣) وقد ادلى صوفي (نظير صوفي) بتصريح صحفى لمجلة "اخبار جهان" الصادرة من كراتشي (٣٤)-

> "والواقع انه لم يكن يوجد شخص في حى الكشميرين عرف باسم نثو غير الوالد الكريم للعلامة اقبال وعلية فان البيانات التى جاءت في الوثائق للبلدية عن اولاد الرجل الذى كان يعرف باسم نثو و للذى كان يسكن في حى الكشميرين او الازقة المجاورة لها انما هو والد العلامة اقبال الشيخ نور محمد وهذه البيانات كلها عن اولاده-"

اما االاسم (نثو) فهو اسم عرفي يعرف به الانسان عامة بسبب تلك الحلقة

اى الخزام التى تكون في انفه- (وأنه من الممكن أن يكون الناس الكثيرون يعرفون باسم نثو في مدينة واحدة او في حي واحد والذى صرح به نظير صوفي هو تصريح قطعي رغم انه اصغر سنا من الشيخ اعجاز احمد والشيخ مختار احمد- وبالاضافة إلى ذلك فان نظير صوفي هذا كان قد أولى بتصريحين متناقضين عن قرابة على محمد بالشيخ نور محمد اتضح بأن هذين التصريحين قد تحقق خطأهما وان معلوماته عن اجداد اقبال واسرته لا تقوم على بحث قوى ومن ثم من الجائز المناسب أن نفضل ماصرح به الشيخ اعجاز احمد والشيخ مختار احمد في هذا الموضوع الذى نحن فيه الان-

ومما لاشك فيه ان الشيخ نور محمد كان من اسرة كشميرية ولم يكن من أسرة الخياطين والذى جاء وثائق مدرسة الارسالية الاسكاثية عن الشيخ نور محمد بأنه تيلر (اى الخياط) فقد يمكن يكون ذلك بحكم مهنته التى كان يشتغل فيها اما اذا اكنت اسر عديدة من الخياطين تسكن في حي صناع الحلقات وكان احد من رجالها يعرف باسم نثو فكيف يمكن الاعتراف بان الذى اعلم السلطات يملى عليها الشيخ نور محمد الخياط بحكم مهنته في هذه المرة خاصة ولا يذكره باسم نثو الكشميرى او نثو صاحب القلانس-

وقد تحقق الشك في قرابة الرجل بالشيخ نور محمد والذى كان قد اعلم السلطات بالمولد-

وقد يمكن ايضا ان هذه البيانات في الوثائق انما هي عن ولد كان قد ولد لشخص كان اسمه نثو وكان من اسرة الخياطين وان الذى كان قد اعلم السلطات بذلك هو ايضا من تلك الاسرة نفسها-

ويقول مؤلف كتاب "اقبال داخل منزله" بانه لم يعثر على مولد السيدة (زينب بى) شقيقة اقبال الصغرى في وثائق البلدية وانه قد عثر على مولد السيدة (كريم بى) شقيقة اقبال حيث جاء بان شخصا من حي الكشميرين و اسمه نثو بن محمد رفيع المسلم الكشميرى قد رزق بابنة في ١٤/نوفمبر ١٨٧٦م و بذكر المؤلف بها مش كتابه بآن اسم والد الشيخ نور محمد هو الشيخ محمد رفيق الا انه ورد ههنا محمد رفيع وهو خطأ (٣٥) ومؤلف هذا الكتاب يرى بان هذا البيان أيضا مشكوك فيه فان اسم الوالد لتلك البنت في هذا البيان هو نثو بن محمد رفيع لاننا لسنا على حق اذا قلنا بان الذى ورد في هذا البيان هو خطأ فلو سلمنا بأنه خطأ يرجع الى الكتابة الخاطئة فان سكن والد هو حى الكشميرين بينما الشيخ

نور محمد كان يسكن في حى صناع الحلقات الزجاجية-

وهذه التفاصيل التى مرت توضح جليا بان البيانات التى جاءت في كتاب "اقبال داخل منزله" عن مواليد أولاد الشيخ نور محمد والتى أخذها المؤلف من سجل المواليد والوفيات لبلدية مدينة سيالكوت كلها مشكوك فيها غير بان واحد- اما البيان الذى لا يمكن الشك فيه فهو مولد السيدة (طالع بي) والذى اخبر السلطات بذلك هو الشيخ محمد رفيق-

والسوال الذى يطرح نفسه الان: هل تاريخ مولد اقبال هذا يؤيده ما جاء في الملف التعليمي لاقبال او ماسرده كبار الرجال والبارزون من اسرة اقبال من التصريحات والبيانات؟ اما الملف التعليمى لاقبال فان أقدم ما نعثر عليه من ذلك هى الشهادة التى منحته جامعة بنجاب في ١٨٩١م حين نجح اقبال في امتحان المدارس المتوسطة والشيخ اعجاز احمد يحتفظ بنسخة من هذه الشهادة التى استخرجت في ١٩٠٧م- وجاء في هذه الشهادة بان سن اقبال كانت خمسة عشر عاما واما طلب القبول لهذا الامتحان فكان قد قدمه إما اقبال أو والده او شقيقه الاكبر و اذا كان اقبال قد بلغ الخامسة عشر من عمره في ١٨٩١م فمعنى ذلك أن مولده هو ١٨٧٦م (٣٦)

ان ملف المدرسة لا يساعدنا بشئ في تحديد تاريخ مولد اقبال او قبوله بها او عمره حين التحق بها ولو سلمنا بانه كان قد التحق بالمدرسة متأخرا عن أوان العادى فان ملغه التعليمى يدل على انه كان طالبا ذكيا قويا جادا في عمله و متقدمات في الدرس عن أقرانه و كان قد قضى معظم اواته في الكتاب عند الشيخ السيد مير حسن الذى منه تعلم اقبال اللغة الاردوية والفارسية والعربية و ادابها وكان السيد مير حسن هذا مدرسا بمدرسة الارسالية الاسكاشية وهو الذى كان سببا في التحاق اقبال بتلك المدرسة نفسها وقد يمكن ان السيد مير حسن كان قد الحقه بالصف الثانى او الثالث للمدرسة نظرا الى ذكاء اقبال براعته الفائقة وقد جاء في بعض المصادر مايدل على انه كان يدرس في الصف الرابع للمدرسة (٤٣) وكان الطالب في ذلك الوقت يدرس المواد جميعها باللغة الاردوية في الصفوف الاربعة الابتدائية الأولى وكانت دراسة اللغة الانجليزية تبدأ من الصف الخامس فهل يجوزلنا في مثل هذه الظروف ان نفترض بان اقبال كان قد درس الاردوية والفارسية والعربية في الكتاب لخمس سنوات ثم بدأ دراسته بالمدرسة في الصف الاول الابتدائى من جديد و ذلك بعد ان كان قد بلغ عشر سنوات من عمره؟

والدكتور وحيد قريشي يصر على أن اقبالاً لوكان قد قبل بصف متقدم مباشرة لكان قبوله قبولا فوق العادة وكان لابد من أن يحكيه اقبال لأقاربه وأصد قائه في وقت من الأوقات (٤٤)- وليس مما يجدر بالذكر انه قبل في الصف الثانى أو الثالث للمدرسة مباشرة في العاشرة من عمره بعد أن كا قد قضى خمس سنوات في الكتاب وكان من الممكن أن يكون قبول اقبال في الصف المتقدم حدثا مهما يجدر بالذكر أو الافتخار به اذا كان قد قبل في صف متقدم في حداثة عمره وعلى اساس الذكاء والبراعة- على كل فانه ليس لدينا ما يحقق بان اقبالاً كان قد قبل في الصف الاول للمدرسة بعد فراغه من الكتاب وانما يبدولنا هذا القياس خلافا لما عرف من ذكاء اقبال و فطنته الفائقة-

وعلى ما يحكى صاحب كتاب "اقبال داخل منزله" ان شقيقتين لاقبال (كريم بى) و (زينب بى) كانتا تردد ان بين حين و واخربان شقيقة اقبال (طالع بى) كانت اكبر منه بثلاث سنوات تقريبا وان (كريم بى) كانت اصغر منه بثلاث سنوات و يصرح المؤلف قائلا بانه كان قد سمع كريم بي تقول بانها اصغر من اقبال بثلاث سنوات و يصرح المؤلف قائلا بانه كان قد سمع كريم بي تقول بانها اصغر من اقبال بثلاث سنوات و قد ذكر المؤلف في كتابه تاريخ المولد لشقيقتى اقبال هاتين ويرى ان طالع بى كانت قد ولدت في ٦/سبتمبر ١٨٧٠م كما ان (كريم بي) كانت قد ولدت في ١٤/نوفمبر١٨٧٦م وعلى هذا الأساس ذكر ان مولد اقبال هو ١٨٧٣م ولا شك ان مولد (طالع بى) في هذا الكتاب صحيح أما مولد كريم بى فهو مشكوك فيه وان هذه التفاصيل التى اوردها المؤلف ليس ها شواهد تويدها اودلائل تحققها (٤٥) وأما الدكتور وحيد قريشي فانه يستنتج معتمدا على ما جاء في تصريح ادلت به السيدة (كريم بي بي) زميلة اقبال في الدرس من اهل سيالكوت بأن الشواهد التى تجعلنا نقول بان مولد اقبال هو ٢٩/ ديسمبر ١٨٧٣م شواهد قوية متينة جدا- وما تصريح (كريم بي بي) هذه فلم نسمع به الا في ١٩٧٤م خلال البحث الذى اجرى عن مولد اقبال و تقول السيدة كريم بي بي بان اقبالاً كان قد بلغ التاسعة عشر من عمره عند زواجه الاول وانها هي (اى كريم بي بي) كانت قد بلغت السابعة عشر من عمرها وقد أدلى هذا التصريح بعد مدة طويلة وعلى اساس الذاكرة وحدها والذاكرة قد لا تستطيع ان تحفظ بالأشياء الى مدة طويلة من الزمان (٤٦) والجدير بالذكر ان الدكتور وحيد قريشي قد سبق في بعض ماكتبه عن هذا الموضوع ورأى ان ٩/نوفمبر ١٨٧٧م هو مولد

اقبال الصحيح مكان هذا المولد الذى ذكره على اساس تصريح السيدة كريم بي بي(٤٨)-

٣- ٩/نوفمبر ١٨٧٧م

اما هذا التاريخ من مولد اقبال فلا يوجد في وثائق بلدية سيالكوت إلا أن هذا التاريخ للمولد بالتقويم الميلادى يوافق ماكتبه اقبال بخط يده بالتقويم الهجرى-

وفيما يلى ترجمة حرفية لما كتبه اقبال بخط يده باللغة الانجليزية معرفا بنفسه مع أطروحته للدكتوراة في ١٩٠٧م-

"قد ولدت في ٣/ذى القعدة ١٢٩٤هج الموافق لسنة ١٨٧٦م بمدينة سيالكوت، بنجاب الهند- وقد بدأت دراستى بتعلم اللغتين العربية الفارسية والتحقت بمدرسة من مدارس المدينة بعذ بضع سنوات- ثم اخذت أدرج في الدراسات الجامعية فنجحت في الامتحان الاول لجامعة بنجاب سنة ١٨٩١م- ثم التحقت بكلية الارسالية الاسكاشية بمدينة سيالكوت بعد ان نجحت في امتحان الثانوية سنة ١٨٩٣م حيث اكملت دراستى لسنتين فنجحت في امتحان الثانوية المتوسطة من جامعة بنجاب في ١٨٩٥م ثم حصلت على شهادة التخرج والماجستير من الكلية الحكومية بلاهور في ١٨٩٧م و ١٨٩٩م على التعاقب وقد كان من حسن حظى حيث نلت العديد من الاوسمة الذبيبة والفضية والمنح المالية- وبعد الحصوا على الماجستير عينت مدرسا بالكلية الشرفية لجامعة بنجاب في وظيفة كانت تسمى بوظيفة "مدرس ميكلود العربي" والقيت المحاضرات عن التاريخ والاقتصاد السياسي لمدة ثلاث سنوات- ثم عينت استاذا مساعدا للفلسفة بالكلية الحكومية بلاهور وقد حصلت على اجازة بدون راتب من الجامعة لاكمال دراستي العليا في أوروبا سنة ١٩٠٥م ولهذا الغرض أنا نازل الآن في هذا المكان"-

وهذه الترجمة التى كتبها اقبال بخط يده في سنة ١٩٠٧م واختار التقويم الهجرى لتاريخ مولده و ذكر بين القوسين التقويم الميلادى الموافق له وقد ناقش العديد من اهل العلم الفقرة الاولى من هذه الترجمة و وردت في ذلك شتى الاراء والاقوال فمثلا من ولماذا اخبر اقبال بان يذكر تاريخ مولده حسب التقويم الهجرى؟ وهل هذا التاريخ صحيح او انه يمكن ان يكون خطأ من ناحية او لسبب من الاسباب ولماذا كتب اقبال تاريخ مولده حسب التقويم الميلادى بين القوسين وذكر السنة فقط دون اليوم والشهر وكيف كان طبق بين التقويمين ولما لم يحاول ان يحول التقويم الهجرى الى التقويم الميلادى تحويلا صحيحا حسب المبادئى والقواعد المعروفة؟

كان اقبال قد ولد في الهند وقد تدعم فيها الحكم البريطاني والظاهر ان التقويم الميلادى كان قد اصبح المعمول به في بنجاب بعد انضمامها الى الحكم البريطاني الا ان المسلمين كانوا يبغضون الحكام الانجليز بغضا شديدا وكانت العلاقات بين المسلمين والانجليز قد اخذت تتحسن منذ ١٨٧٠م وذلك بالجهود التى بذلها السير سيد احمد خان واعترف المسلمون بالحكم الانجليزى وهم له كارهون و ذلك من اجل الحصول على الوظائف الحكومية والوصول موارد الرزق الا انهم لم يرضوا بالنظام التعليمي الانجليزى من اعماق قلوبهم- وكذلك التقويم الميلادى لم يكن لهم من الممكن ان يعترفوا به ورغم ان التقويم الميلادى كان قد بدأ يطبق الا ان المسلمين كانوا يسخدمون التقويم الهجرى اذا اذاد وان يسجلوا اهم الشؤون والوقائع من حياتهم الاجتماعية وكان التقويم الميلادى مبغوضا لديهم من ناحية العقيدة والدين-

ومما أورد على هذا ان التقاليد المتد اولة بين عامة الناس في ذلك الوقت انهم كانوا يسجلون اعمار اولادهم أقل مما كانت في نفس الامر وذلك تسهيلا للحصول على الوظائف الحكومية ومن ثم يمكن أن اقبال كان قد ابلغ عن تاريخ مولده ابلاغا خاطئا ويقول (الدكتور وحيد قريشي) بانه من الممكن أن اقبال لم يكن لديه معلومات كافية عن تاريخ مولده كما انه من الممكن ان يكون مصادر معلوماته هذه غير كاملة ان الانسان يمكن له ان يكون لديه شعور بانه ولا يمكن لشخص ان يلاحظ عملية ميلاده ملاحظة مباشرة وان جميع المعلومات عن مولده يحصل عليها كل انسان من غيره من الناس وعليه فان المعلومات التى كانت لدى اقبال عن مولده انما كانت قد بلغته من غيره من الناس ويمكن ان تكون هذه المعلومات خاطئة (٤٩)- ويقول الشيخ اعجاز احمد وهو يرد على هذا الاعتراض بأن هذه الترجمة التى كتبها اقبال في ذلك الوقت لم يكتبها من اجل الحصول على وظيفة حكومية اذن فليس هناك ما يبرر أو يجعل اقبالاً ان يكتب تاريخ مولده غير الصحيح وبالاضافة الى ذلك فمن الممكن ان نقول ان أبوى اقبال اذا كانا قد اخبراه بتاريخ مولده غير الصحيح لم يكن من الممكن أن يخفي ذلك رجل من امثال اقبال- على كل فمن المست حيل ان يختلق ابوا اقبال تاريخ مولده لانه يعارض طبيعتهما التى جبلت على الصدق والديانة- وكذلك فليس من الصحيح ان نزعم بان اقبالاً هو الذى كان قد اختلق تاريخ مولده عن عنده لان ذلك ايضا لايوافق طبيعة اقبال وسيرته فقد كان رجلا يؤمن بالمبادئى الصادقة ولم يكن

ليكذب وحتى لورأى فيه فائدة موقتة وقد سرد الشيخ اعجاز احمد حدثا من الأحداث لحياة اقبال تدل على سيرته و تعبر عن طبيعة وذلك ان اقبالاً أراد ان يبيع الدار التى كان يملكها في مدينة سيالكوت لأحد من أقاربه وكان هذا القريب لاقبال يخشى من الجار ان يرفع قضية الشفعة ف المحكمة وعليه فطلب هذا القريب الى اقبال يكتبوا مبلغا اكثر من الثمن المطلوب في الوثيقة الرسمية كما كانت التقاليد حينذاك الا أن اقبالاً قد رفض اطلاقا أن يكتب ذلك في الوثيقة الرسمية او يشهد له عند مسجل الوثائق الرسمية- فقال له قريبه بانه سيد فع له بين يدى المسجل نفس المبلغ المكتوب في الوثيقة الرسمية وعليه فان شهادة اقبال لن تكون كاذبة إلا أن اقبالاً لم يوافق على ذلك وكانت النتيجة أن الجار كان قد رفع قضية الشفعة ضد قريب إقبال وحقق دعواه و نجح (٥٠)-

يقول (سيد عبدالواحد معيني) بان اقبالاً كان قد كتب السنة الميلادية الموافقة للسنة الهجرية بين القوسين في ترجمته الموجزة التى كتبها بخط يده وذلك لانه لم يكن لديه شئ من المذاكرات التى كان بمكانها ان تساعدة في تحويل التقويم الهجرى الى التقويم الميلادى وبالعكس تحويلا صحيحا مضبوطا- واما في اوروبا فلم تكن توجد فيها المذاكرات من هذا النوع اطلاقا فيمكن انه حول التقويم الميلادى على اساس التخمين والتقدير من عنده بدون ان يكون قادرا على أن يستعين بالمذكرات (٥١)-

اما الدكتور وحيد قريشي فهو لا يقتنع بهذا الدليل ويرى ان المذكرات من هذا النوع كانت قد بدأت تطبع و تنشر وتوزع باللغة الايمانية في ذلك الوقت وان اقبال كان استفاد منها في أطروحته للدكتوراة حين اراد ان يحول التقويم الهجرى الى التقويم الميلادى فكيف من الممكن انه لم يومن اللازم ان يستفيد من تلك التقاويم في ترجمته واكتفى ان يحول السنة على اساس التخمين بدون ان يذكر اليوم والشهر من السنة (٥٢)-

ويقول بان الطريقة التى اتبعها اقبال في تحويل التقويم الهجرى الى التقويم الميلادى يمكن أن يقوم على اساسين احدهما انه فضل أن يعرف الفرق على اساس التخمين بدور الرجوع الى المذكرات والثانى يمكن انه كان قد استعمل المذكرة التى طبعها ونشرها ديوان بوتا سنغ من مطبعة "افتاب بنجاب" بلاهور سنة ١٨٧٦م لان هذه المذكرة قد كتبت فيها سنة ١٢٩٣هج وفي صفحة ٢٢ منها وقد يمكن ان يقرأها القارئ ١٢٩٤هج قرأة خاطئة (٥٣)- على كل فان فان (الدكتور وحيد قريشي) يرى ان هذا العمل ترجع الى عدم الاحتياط من قبل اقبال

(٥٤)-

ومن التقاليد المتعارفة في الجامعات الاوربية ان الترجمة من هذا النوع تحضر وتقدم مع الاطروحة في نهايتها وهذه الترجمة تكون عملا ارتجاليا مستعجلا اكثر الاحيان فمن الممكن ان اقبال كان قد استخدم المذاكرات حين اراد ان يحول السنوات الهجرية الى السنوات الميلادية داخل اطروحته لانه من البحث والتحقيق واما ترجمته الموجزة فيمكن انه كان قد اعدها على سبيل الاستعجال والارتجال-

على كل فانه لا يمكن الانكار ان اقبالاً لم يحاول طول حياته ان يحول تاريخ مولده من التقويم الهجرى الى التقويم الميلادى وقد يمكن ان يكون السبب في ذلك ان اقبالاً كان يفضل التقويم الهجرى على التقويم الميلادى وأيضا قد اعترف به الدكتور وحيد قريشي قائلا بانه اقبالاً وان كان يكتب الرسائل الى اصحابها حسب التقويم الميلادى وذلك تسهيلا لهم ولكنه نظم العديد من الوقائع الهامة مع تاريخها وكلها حسب التقويم الهجرى غير ثمانية قطعات شعرية (٥٥) وعليه فقد ابقي اقبال تاريخ مولده واحتفة به في ذاكرته كما اخبره ابواه بذلك اخبارا صحيحا قاطعا اذن فتاريخ مولده الذى كان يراه اقبال صوابا موثوقا به عنده هو الذى يوافق ٩/نوفمبر ١٨٧٧م (٥٦)-

ونظرا الى ما مربنا فليس من الصواب بان يقال ان اقبال لم ياخذ الاحتياط حين حول تاريخ مولده من التقويم الهجرى الى التقويم الميلادى في ترجمته الموجزة وانما يمكن ان اقبال كان قد فعل ذلك على علم وثقة ثم اخذ بذلك واست- قام عليه طوال حياته وكان كلها سئل عن تاريخ مولده حول ما اخبره به ابواه الى التقويم الميلادى واخبر كل سائل عن تاريخ مولده بانه ١٨٧٦م- إلا ان اقبالاً لم يتبع هذه الطريقة في تسجيل تاريخ تاريخ المواليد لأولاده ولعل هذا الذى جعل الامير السير ذوالفقار على خان يجعل مولده ١٨٧٦م تقريبا- او ان فوق هو الذى ذكر فيما كتبه عن اقبال بان مولده هو ١٨٧٦م وهذا هو تاريخ المولد الذى كان اقبال قد كتبه في جواز سفره-

وننتقل الآن الى سوال اخرو هو: الى اى مدى يوافق تاريخ المولد هذا ما جاء في الملف التعليمي لاقبال فقد جاء في شهادة الامتحان المتوسط التى حصل عليها اقبال في ١٨٥١م حين كان عمره خمسة عشر عاما ويرى الشيخ اعجاز احمد بان عمره في ذلك الوقت كان اربعة عشر عاما حسب التقويم الميلادى ونظرا الى ذلك فان مولد اقبال هي سنة ١٨٧٧م وكذلك فان اقبال كان قد حصل

على شهادة التخرج في ١٨٩٧م واما استمارة القبول التى بعث بها إلى الجامعة في ١٨٩٦م فقد جاء فيها عمره تسعة عشر عاما وبذلك يتحقق ايضا أن مولده هو ١٨٧٧م الا ان ما جاء في استمارة القبول بكلية الارسالية الاسكاشية في ١٨٩٣م ينص على أن عمره كان وذا ذلك ثمانية عشر عاما فهذا مما لايوافق تاريخ المولد لان هذا يجعل مولده في ١٨٧٥م وهذا ليس صحيحا-

واما(بضع سنوات) التى قضاها اقبال في الكتاب فيجعلها الدكتور وحيد قريشي خمس سنوات وذلك على اساس زعمته السيدة (كرم بي بي) الا ان مؤلف هذا الكتاب يرى ان كلمة "تشند" (بضع او بضعة) تعنى ان اقلها سنتان واقصاها اربع سندوات فهو يضيف قائلا بانه لايصح ان نقول بان كلمة "تشند" تعنى "كئى" بالارودية و معناها (العديد) لانه اذا اريد الكثير فتستعمل كلمة "كئى" بالارودية (٥٧) ويرى الدكتور وحيد قريشي بان الاطفال عادة يبدؤن دراساتهم في السنة الخامسة من العمر وعليه فمن الممكن ان اقبالاً كان قد أرسل الى الكتاب وهو في الخامسة من عمره ولكن مؤلف الكتاب يرى بان التقاليد العامة المتوارثة عند المسلمين تقول بان أولادهم يبدؤن دراسة القرآن الكريم وعمرهم اربع سنوات واربعة اشهر واربعة أيام وهم يسمون ذلك "رسم بسم الله" اى "الاحتفال ببداية الدراسات القرآنية" ويقول الشيخ اعجاز احمد ان جده الشيخ نور محمد كان قد ارسله الى الشيخ سيد مير حسن لقرأة القران وعمره أربع سنوات واربعة اشهر وعليه فانه من الممكن ان والد اقبال كان قد بعث ابنه لقرأة القران وفي هذه السن من عمره فاذا كان اقبال قد التحق بالكتاب حسب التقاليد العامة وعمره اربع سنوات والنصف تقريبا فيمكن انه كان قد بقي في الكتاب اربع سنوات تقريبا أكمل خلالها الدراسات المتد ثم التحق بالمدرسة وعمره ثمانى سنوات والنصف وبحكم فطنته وذكائه قبل بالصف الثاني وليس بالصف الاول وبذلك يمكن ان يكون بلغ الرابعة عشر او الخامسةُ في ١٨٩١م حين نجح في امتحان الشهادة المتوسطة-

وان التصريحات التى ادلى بها الكبار من اسرة اقبال تستحنى الاهتمام الكامل في هذا الموضوع- ان معلومات اقبال عن تاريخ مولده حسب التقويم الهجرى يجب ان يكون مصدرها ابواه ولا يجوز ان نقول بأن تاريخ المولد هذا قد اختلفه اقبال نفسه وكان الشيخ عطا محمد قدا اخبر جريدة "انقلاب" عن مولد اقبال بانه شهر ديمسبر من سنة ١٨٧٦م على وجه التخمين والتقدير ويقول الشيخ اعجاز احمد بانه كان قد سمع من ابيه الشيخ عطا محمد بانه اكبر من اقبال

سنا بثمانية عشر عاما تقريبا وقد جاء في كتاب الخدمة الرسمي للشيخ عطا محمد بأن مولده ١٨٥٩م وبذلك يكون مولد اقبال ١٨٧٦م او ١٨٧٧م وايضا كان الشيخ اعجاز احمد سمع من أمه (زوجة الشيخ عطا محمد) بأن اقبال كان يدرس في الصف الخامس في ١٨٨٨م عند زواجهما وكان عشرة او اثنا عشر عاما تقريبا وهذا ما يؤيده الملف التعليمي لاقبال وكانت شقيقة اقبال (كريم بي) قد شهدت عند الشيخ اعجاز احمد بأنها كانت قد سمعت من امها ان اقبال كان قد ولف يوم الجمعة عند الفجر ويكون الثالث من ذى القعدة لسنة ١٢٩٤هج هو يوم الجمعة ولا يصح اى تاريخ اخر مولد اقبال يمكن ان يكون يوم الجمعة في تلك السنة (٥٨)-

ويرى الدكتور وحيد قريشي بأننا سلمنا بأن هذا التاريخ لمولد اقبال صحيح فيمكن أن يصح ما جاء على لسان اسرة اقبال بأنه ولد صباح الجمعة الا ان الذى جاء على لسان الأسرة من أنه ولد في شهر ديسمبر لا يصح حينئذ ويقول إننا اذا اردنا ان نطبق بين ما جاء على لسان الاسرة انه ولد يوم الجمعة وأن ذلك كان في شهر ديسمبر فلابد أن نصدق احد القولين ونرفض الاخر والا فلا بدلنا ان نبحث عن تاريخ آخر مولد اقبال (٥٩)- ويرى مؤلف هذ الكتاب ان ما جاء من ذكر من ذكر شهر ديسمبر على لسان الاسرة انما يرجع الى الظن والتخمين إلا إذا كان شهر ديسمبر يعنى فصل الشتاء فيمكن التطبيق بين القولين المرويين على لسان الاسرة-

وقد اورد البعض من اهل العلم المزيد من الاعتراضات على هذا التاريخ لمولد اقبال فمنها انه اى تاريخ المولد لم يسجل في الوثائق الرسمية لبلدية المدينة الا ان عدم التسجيل لايعنى عدم المولد وخاصة اذ راينا ان الناس لم يكونوا يهتمون بتسجيل المولد كما يهتمون به في يومنا هذا وقد أوضحنا فيمامر بانه لا يصح من تسجيل المواليد لاولاد الشيخ نور محمد إلا تسجيل مولد واحد وهو الذى كان الشيخ محمد رفيق قد اعلم به السلطات واما الباقي من المواليد المسجلة فهي كلها مشكوك فيها ولعل الشيخ نور محمد لم يكن يهتم بستجيل المواليد اهتماما كبيرا-

واما الاعتراض الثاني فقد اوربه مؤلف كتاب "اقبال داخل منزله" قائلا:

"أما سؤ التفاهم الذى وقع حول ١٨٧٦م فالسبب في ذلك ان اختلاف السن بين شقيقتى اقبال الكبريين ثلاث سنوات وكذلك بين شقيقتيه الصغريين اختلاف السن ثلاث سنوات ايضا وكذلك الطفل الومولد في فبرائر ١٨٧٣م

كان اصغر من شقيقته الكبرى المغفور لها (طالع بي) بثلاث سنوات تقريبا- وكأن هذه الفترة المشابهة بين المواليد ظنتها الاسرة ظاهرة مستقلة للمواليد لابوى اقبال وذلك مما جعل اعضاء الاسرة يعتقدون بان العلامة اقبالاً كان قد ولد في سنة ١٨٧٦م بعد الطفل المولود والمتوفي في فبرائر ١٨٧٣م بثلاث سنوات و فكرة الفترات التى تقع بين المواليد و عادة هي التي كانت سببا في دعم هذه الفكرة بين الاعضاء الاسرة وخاصة اذا نظرنا والى ان البسطاء من الناس في ذلك الوقت كانوا يهتمون بالتفكير الكثير في مثل هذه الفروق وهذا سوء التفاهم هو الذى اشتهر شيئا حتى اصبح ٢٩/ديسمبر ١٨٧٣م تاريخا لمولد اقبال ولم يفتكر احد منهم ان شقيقة العلامة اقبال الصغرى هى التى كانت قد ولدت في سنة ١٨٧٦م وهذا الذى جعل شاعر الاسلام نفسه يعلمد على هذا التقليد المتوارث في الاسرة ويكتب في ترجمته الموجزة المقدمة مع اطروحته للدكتوراة وفي جواز سفره سنة ١٨٧٦م تاريخا لمولده حسب التقويم الميلادى"

وقبل كل شئ يجب التصريح بان العلامة اقبالاً لم يكتب ١٨٧٦م في ترجمته الموجزة كتاريخ مولد له فحسب وانما كتب تاريخ مولده مع تصريح اليوم والشهر وهو ٣/ذى القعدة ١٨٩٤م والامر الثاني الذى يقتضي التوضيح هو انه لم يعرف ظاهرة متشابهة دائمة عن المواليد عن المواليد في أسرة اقبال اطلاقا اننا نستطيع ان نقول بان ابوى اقبال كانا قد رزقا بسبعة اطفال مات احدهم وهو طفل رضيع ولكنه لا يوجد ما يدل على هؤلاء الاولاد كانوا قد ولدوا حسب ظاهرة متشابهة دائمة من المواليد في الاسرة اى بعد كل ثلاث سنوات- ويرى المؤلف لهذا الكتاب بانه اذا كان اقبال قد ولد بعد الطفل الذى مات بعشرة شهود والربع وذلك مما يكذب هذه الظاهرة المزعومة وان مولد الطفلين خلال سنة واحدة انما هو حدث كان يجب ان يتذكره اعضاء الاسرة الا انه لا يوجد شئ من هذا-

والاعتراض الثالث قد اورده ايضا مؤلف كتاب "اقبال داخل بيته' قائلا ان زوجة اقبال الاولى (كريم بي) تقول بأن سن اقبال كانت عشرين عاما او اقل شيئا من ذلك في ١٨٩٣م عند زواجهما (٦١)- والجدير بالذكر ان العقيد الخواجا عبدالرشيد كان قد كتب مقالا في مجلة "تشتان" الصادرة من لاهور في ٢٧/نوفمبر ١٩٧٢م وعنوانه "البنجابيون اصحاب المناصب" والعقيد الخواجا عبدالرشيد هو ابن اخ الخواجا فيروز الدين وهو اى الخواجا فيروز الدين كان عديلا لاقبال وكانت تحته اخت زوجة اقبال من بين شقيقاتها الضغيرات وقال الخواجا عبدالرشيد في مقاله هذا بان (كريم بي) كانت قد حكت له بان عمرها عند الزواج كان خمسة

عشر عاما وكان اكبر منها بخمس سنوات اى انه كان ابن عشرين عاما وقد ماتت زوجة اقبال الاولى ١٨٤٦م فاذا اكنت قد اخبر- العقيد الخواجا بذلك فلابد انها حكت له قبل وفاتها الا ان العقيد الخواجا عبدالرشيد هذا كان قد كتب مقالات عن حياة اقبال الابتدائية في جريدة "باستان تائمز" (العقاد في ١٢/يوليو ١٩٤٦م وفي هذا المقال كان قد نشر وثيقة عقدة نكاح اقبال عن السبعة زواجه الاول و ذكر فيه تاريخ مولد اقبال ايضا وقال انه تحدث مع كريم بي عن اقبال اكثر من مرة الا انه لم يذكر في مقاله هذا ما مرآنفا قال في مقاله هذا باللغة الانجليزية ما معناه:

"ووثيقة عقدة النكاح هذه تدل ان زواج اقبال الاول كان قد تم في ٤/ مايو ١٨٩٣م في مدينة كجرات حين كان قد نجح في امتحان الشهادة الثانوية وعمره لم يتجاوز ستة عشر عاما و ذلك لان مولده هو ٩/نوفمبر ١٨٧٧م"

وفي مقاله هذا كان العقيد قد ذكر ان احد الشاهدين على عقدة النكاح اسمه الحاج نور محمد بن حاتم مير الكشميرى الساكن بمدينة سيالكوت وظن ان هذا الشاهد هو والد اقبال واستنتج من هذا ان ما يدعيه اقبال بانه من سلالة البراهمة او من قبيلة "سبرو" ليس صحيحا لان والده ذكر مع اسمه في هذه الشهادة بانه (مير) و (مير) قبيلة كشميرية من اصل مغولى او تركى ولم يحاول هذا الكتاب ان يعرف بالحاج نور محمد ابدا واسم والده ليس حاتما وانما هو الشيخ محمد رفيق وان الحاج نور محمد بن حاتم مي رهذا انما هو قريب من اقاربه وكان ابن اخيه فضل دين مير قد تزوج حفيدة الشيخ غلام محمد الشقيق الاصغر للشيخ نور محمد-

وقد جاء في رسالة بعث بها الشيخ عطا محمد الى الشيخ اعجاز احمد بان السيدة كريم بي هذه كانت اكبر من اقبال بثلاث سنوات عند الزواج وهذا مما ايدقه شقيقات اقبال وقد جاء في صفحات ٨٣و ١٧٢ من كتاب (العلامة اقبال و زوجته الاولى) للسيد حامد الجلالي بان السيدة كريم بي كانت قد توفيت في ١٩٤٦م وقد جاء في صفحة ٢٦ من هذا الكتاب نفسه تحت صورة لها ما نصه:

"في ٧٠ سنة من عمرها قبل وفاتها باربعة ايام فاذا كانت السيدة كريم بي كانت قد توفيت في ٧٠ سنة من عمرها في ١٩٤٦م فلابد انها كانت قد ولدت في ١٨٧٥م او ١٨٧٦م فاذا كان اقبال اكبر منها بخمس سنوات فلابد انه كان قد ولد في- ١٨٧٠م او ١٨٧١م وهذا لا يصح اطلاقا واللجنة المركزية لتاريخ مولد اقبال كانت قد رجعت في بحثها الى الوثائق الرسمية لبلدية مدينة كجرات لتعرف تاريخ المولد للسيدة كريم بي هذه فوجدت للجنة في سجل المواليد والوفيات

ان تاريخ مولدها هو ٢٢/مارس ١٨٧٤م وبذلك اذا كان اقبال اكبر منها بخمس فلابد ان يكون قد ولد في ١٨٦٩م وهو خطأحش- إما اذا كان اصغر منها بثلاث سنوات فكان مولده ١٨٧٧م-

ويستحق الاهتمام بهذه المناسبة ما حققه الدكتور وحيد قريشي حيث نشر في مقاله له عن هذا الموضوع ما جاء في الوثائق الرسمية للبلدية عن مولد البنتين الاخرين للدكتور عطا محمد (والد السيدة كريم بي) فقد وولدت احداهما كما يظهر من الصورة الفوتو غرافية للوثائق في ٢٢/مارس ١٨٧٤م والثانية في ٢٠/ابريل ١٨٧٧م واستنتج من هذا بان ما جاء في الوثائق في ٢٢/مارس ١٨٧٤م ليس عن السيدة (كريم بي) وانما هو عن بنت اخرى للدكتور عطا محمد التى ولدت له فيما بعد لان السيدة كريم بي كانت قد ولدت بمدينة جدة كما حكاه السيد حامد الجلالي حيث كان والده يحتل وظيفة نائب القنصل وقد اقام بجدة عشر سنوات وكان يتحدث بالعربية بطلاقتة ويرى الدكتور وحيد قريشي بان السيدة كريم بي يمكن ان كانت قد ولدت في ١٨٧١م و بذلك اذا كان ما يقوله تقاليد الاسرة بانها كانت اكبر من اقبال بثلاث سنوات فيكون اقبال قد ولد في ١٨٧٣م (٦٢)-

ونسلم ان المعلومات التى حصل عليها السيد حامد الجلالي عن السيدة (كريم بي) مصدرها هو افتاب اقبال ابن العلامة اقبال وقد ذكر السٰد حامد الجلالي أن مولد الدكتور عطا محمد ١٨٥٩م (٦٣) وعلى هذا اذا كان ما افترضه الدكتور وحيد قريشي عن مولد السيدة كريم بي صحيحا فالفرق بين مولدها وبين مولد ابيها الدكتور عطا محمد اثنا عشر عاما فكانه كان قد عين نائب القنصل بجدة وعمره اثنا عشر عاما وفي هذه السن نفسها ولدت له السيدة كريم بي وهذا الاستدلال لايمكن ان يكون صحيحا-

على كل فان البعض من اهل العلم لا يعترفون بمولد اقبال في ٩/نوفمبر ١٨٧٧م فمنهم فريق يقول ان الاعلان بهذا التاريخ من المولد يرجع الى مصلحة سياسية (٦٤)- إلا أن الذى استدل به هذا الفريق من مولد اقبال في ١٨٧٣م استدلال ضعيف كما هو الظاهر فعلى سبيل المثال يسلم الدكتور وحيد قريشي على اساس ما جاء في الملف التعليمي لاقبال ويرى ايضا ان التصريحات التى ادلى بها اعضاء اسرة اقبال متناقضة اوجاءت على اساس الذاكرة وهذا التناقض كما يراه الدكتور وحيد قريشي يرجع الى ما جاء في كتاب "اقبال داخل منزله" او ما جاء في مقال العقيد الخواجا عبدالرشيد من التصريح المزعوم الذٰ ادلت بها زوجة

اقبال الاولى السيدة كريم بي و ذلك على اساس ما حكاه عن ذاكرة السيدة كريم بي بي زميلة اقبال ونظرا الى امكان مولد السيدة كريم بي في ١٨٧١م يستنتج الدكتور وحيد قريشي بان مولد اقبال يمكن ان يكون ١٨٧٣م لانه كان اكبر من اكبر من زوجتها بثلا سنوات كما تقول التقاليد للاسرة-

واما مؤلف هذا الكتاب (اى جاويد اقبال) فهو يرى ار ما جاء في الملف التعليمي لاقبال يوافق ما كتبه هو بخط يده عن تاريخ مولده موافقة قريبة وبكل سهولة ولا يوافق القول بمولده في ١٨٧٣م بالاضافة الى ذلك فان الظروف والوقائع وما ادلى به كبار اسرة اقبال من تصريحات تؤيد هذا التاريخ عن المولد بالنسبة الى ١٨٧٣م وفي ضؤ هذه الدلائل يمكن القول بان تاريخ مولد اقبال هو ٣/ ذى القعدة ١٨٩٤هجرية الموافق للتاسع من نوفمبر ١٨٧٧م-

الفصل الرابع

عهد الطفولة والصبا

كان والد اقبال المتصوف قد رأى فيما يرى النائم قبل مولد إقبال بأيام كانه في ميدان واسع وفيه كثير من الناس وحمامة تحلق في السماء طائرة واقعة ويحاول كل واحد من الناس ان يمتلك تلك الحمامة فيرفعون أيديهم في شئ من القلق والتهالك عليها وهي طائرة فوق رؤسهم وأما الحمامة فكانت تهبط مرة و ترتفع اخرى نحو السماء طائرة محلقة وأخيرا نزلت الحمامة فجأة ووقعت في حجر الشيخ المتصوف- فعبر الشيخ نور محمد عن وؤيته هذه بأنها بشارة خفية من عالم الغيب بولد يولد له ويقوم بخدمة الإسلام (١)-

وفي الصباح الباكر حين ارتفعت اصوات المؤذنين من مآذر المساجد لمدينة سيالكوت يوم الجمعة في ٣/ذى القعدة ١٢٩٤هج (الموافق (٩/نوفمبر ١٨٧٧م) ولد طفل جميل ابيض البشرة احمرها للشيخ نور محمد في ضؤ مصباح ضئيل داخل غرفة صغيرة من الغوفات المظلمة ذلك المنزل ذى الطايق الواحد- فأقبل على الطفل كل من كان داخل المنزل حينذاك وسمى الشيخ نور محمد وهو في السنة الاربعين من عمره طفله المولود (بمحمد اقبال) وذلك تعبيرا صادقا لرؤياه التى كان رآها قبل ذلك-

وكان لهذا الطفل الصغير (اقبال) شقيقا في الثامنة عشر من عمره واسمه الشيخ عطا محمد ولعله متزوجا في ذلك الاوت- وكانت شقيقة اقبال (فاطمة بي) أصغر من الشيخ عطا محمد ولعلها كانت متزوجة أيضا ولكن شقيقته (طالع بي)

كانت قد بلغت قد بلغت السابعة من عمرها وكانت عائلة عمة الشيخ غلام محمد ايضا نازلة في المنزل نفسه- ففى هذه العائلة الفقيرة أو متوسطة الحال كان اقبال قد ولد ونشأ في حجر امه الجنون السيدة (امام بي) وفي هذا المنزل الذى لم يكن فيه الكهرباء اخذ اقبال يتعلم المشي واللعب داخل فناء الدار- ثم أخذ يتدرج في المواحل المختلفة للتعليم الابتدائى و يتذاكر دروسه الابتدائية في ضؤ المصباح داخل الغرفات الصغيرة المظلمة-

ولما كان الشيخ نور محمد رجلا متدينا رأى أن يقصر ابنه على التعليم الديني فقط- وكان على صلة طيبة بعلمأ مدينة سيالكوت وفضلائها- وكان يحضر في حلقات الدروس الدينية للشيخ ابى عبدالله غلام حسن في بعض الاحيان- وكان الشيخ غلام حسن يفسر القران الكريم في مسجد من مساجد حي (شواله) أيضا- ومن ثم أخذ الشيخ نور محمد ابنه محمد اقبال يوما وهو ابن اربع سنوات و اربعة أشهر الى مسجد الشيخ غلام حسن (٢)- وفي هذا المسجد تعلم اقبال القران الكريم ولا يمكن أن نجزم القول عن المدة التى قضاها اقبال عند الشيخ غلام حسن وهو يقرأ القرآن المجيد الا أن هذه المدة يمكن أن تكون سنة واحدة تقريبا-

وذات يوم جاء الشيخ مير حسن إلى ذلك الكتاب فراى اقبال وهو يتلقى الدروس هناك فتأثر الشيخ بما رأى للطفل من جبينه الواسع ووجهه الجهاد و شعره البني فسأل الشيخ غلام حسن عن ذلك الطفل وحين عرف بأنه ابن الشيخ نور محمد اقترب منه وجلس إليه وكان يعرف الشيخ نور محمد جيدا- فنصحه أن لا يكتفي بالتعليم الديني لابنه بل يجب أن يرسله للتعليم المعاصر ايضا واقترح عليه ان يسحب ابنه من الكتاب و يسلمه إليه- إلا ان الشيخ نور محمد لم يزل متردد الايام ولكنه سلم ابنه اقبال الى الشيخ سيد مير حسن حين ازداد اصراره ومن ثم التحق اقبال بالمدرسة الدينية للشيخ سيد مير حسن في جارة مير حسام الدين على مقربة من منزله وأخذ يدرس اللغة الاردوية والفارسية والعربية-

ويحدثنا اقبال نفسه عن تعليمه الابتدائى قائلا: (٣)

"كانت العلوم والمعارف الحكمية اندرست في بنجاب في ذلك الوقت وكان والدى يتمنى أن يرسلنى للتعليم فأرسلنى في البداية الى مسجد الحي ثم أرسلنى الى حضرة الشيخ سيد مير حسن"

وكان اقبال ذكيا بارعا للغاية ومن ثم اهتم الشيخ سيد مير حسن بتعليمه اهتماما خاصا استمر ذلك الى ثلاث سلوات تقريبا- وفي اثناء ذلك كان الشيخ سيد مير حسن قد بدأ يعمل مدرسا بمدرسة (الارسالية الاسكاشية)- ولما كان هذا

الشيخ من انصار التعليم المعاصر ويرى من اللازم أن ينتشر بين المسلمين فاقنع الشيخ نور محمد أن يرسل ابنه إلى مدرسة الارسالية الاسكاشية- وليس لدينا ما يحقق لنا عن سن اقبال وعن أبي صف قبل فيه حين ارسله ابوه الى تلك المدرسة ولكنه كان طفلا ذكيا بارعا للغاية ومن الممكن أن يكون قد قبل في الثامنة او التاسعة من عمره في الصف الثاني أو الثالث في المدرسة ولم يكن اقبال يدرس على اساتذة المدرسة فحسب وانما كان يدرس كذلك على الشيخ سيد مير حسن في بيته أيضا- وكان من دأب الشيخ سيد مير حسن أنه كان يخرج بائعا مشتريا إلى السوق- فيرافقه تلاميذه حتى لا يقطع صلته بالتدريس والتعليم- (٤)

واما الجود داخل منزل اقبال فكان بسيطا و نقيا للغاية وكان الدخل يأييه ام المحل التجارى للشيخ نور محمد أو من الراتب الشهرى الذى كان يبعث به الشيخ غلام محمد من مدينة (روبرو) لنفقة أسرته وكانت السيدة (امام بي) هى ربة البيت والمشرفة على شئون الاسرة طوال اقامتهم هناك- وحدث مرة ان قل الدخل الشهر من المحل التجارى مما اكره الشيخ نور محمد أن يعمل موظفا عند غنى من أغنياء سيالكوت وهو النائب (وزير على البلحرامي) في وظيفة الخياطة إلا أنه ترك هذه الوظيفة بعد بضعة اشعر ويقول اللبعض ممن ترجم لاقبال بأن السبب في الاستقالة عن الوظيفة ان السيدة امام بي لم تكن تس مبلغ الراتب الشهرى للشيخ نور محمد لانها كانت تعتقد أن ما اكستبه النائب (وزير على) من الثروة لم تات له من الموارد الشرعية وانما اكتسبه من الوسائل المشكوك فيها-

إلا ان هذا رأى مفترض ومحاولة لاهتما النائب المسكين بدون مبرد لان سبب الاستقالة الذى حكاه الشيخ نور محمد لبعض أقاربه بمحضر الشيخ اعجاز احمد يختلف تماما عن ذلك- فيقول الشيخ اعجاز احمد ان الشيخ نور محمد قال وهو يتحدث في موضوع الكسب الحلال بانه كان قد اكتشف بعد أيام خلال توظيفة عند النائب (وزير على) ان صناعة الخياعة لم تكن إلا بالاسم وانه ليس في حاجة إلى خياط يشتغل دائما وإنما كان النائب يجب أن يكون له نديم مصاحب لأنه كان شغوفا بالتصوف وكان يتحدث مع الشيخ نور محمد عن هذا الموضوع خلال اوقات الفراغ، ومن ثم كان الشيخ نور محمد يشعر في قرارة نفسه بالألم و يعتقد أن ما يتقاضى من الراتب كخياط لا يجوز أن يأخذ معظمه وانه لم يكن كله كسبا حلالا وحاول مرة أو مرتين أن يستأذن النائب للاستقالة إلا انه كان يسوف ويماطل يوما اصر الشيخ نور محمد على الاستقالة فساله النائب عن

السبب حتى يتمكن من إصلاح ذلك وهكذا اكره الشيخ (نور محمد) ان يحكن له ما كان يشعر في قعر ضميره من الألم وحين سمعه النائب تأثر بذلك كثيرا وأذن له بالاستقالة- وحين أراد الشيخ أن يخرج من عند النائب أمر بعض خدامه يأخذ ما كينة الخياطة التى كان قد استوردها على حسابه و يوصلها إلى منزل الشيخ نور محمد إلا أن الماكينة كانت ملكا للنائب فتردد الشيخ نور محمد في أخذها فقال له النائب إننى لست في حاجة اليها أما انت فتعرف تشغيلها والعمل عليها وبالافضاة إلى ذلك فانك سوف تقوم إيضا بما- نحتاج اليه من خياطة الملابس ثم قال الشيخ نور محمد لقريبه ذلك بعد ان حكى له هذه الحكاية كلها بانه رغم اشتقالته عن الوظيفة عند النائب استمر على الصات الودية معه حتى وفاته-

وبعد ان استقال الشيخ نور محمد من الوظيفة أخذ يصنع قلانس البراقع النسوية والطرابيش في مجله التجارى فاشتهرت هذه القلانس و تلقت شعبية للغاية ثم أخذ يبيع الدثارات والبطانيات وفي أثناء ذلك تزوج الشيخ عطا محمد بفتاة كشميرية من قبيلة (راثور)- وكان أصهار الشيخ عطا محمد من رجال الجيش البريطاني وكان الشيخ عطا محمد أيضا طويل القامة و شيقها مما جعله ينضم إلى الجيش وهكذا أخذت الظروف المالية للاسرة تتجس شيئا فشيئا-

و يحدثنا إقبال نفسه قائلا: (٥)

"وكان ثمن بطانية عادية في ذلك الوقت لا يزيد عن دوبيتين وكان الوالد الكريم قد أعد اربعماءة بطانية، أو اكثر ومن حس الحظ أن هذه البطانيات كلها كانت قد بيعت بأثمان جيدة جد الأن بطانية واحدة لم تكلف أكثر من نصف روبية وحين بيعت اربعماءة بطانية او اكثر حصل على مبلغ ضخم من الروبيات فهذه كانت البداية لتغيير ظررفنا المالية ثم وظفأخونا أيضا"

ولم يكن الشيخ نور محمد يرغب في التجارة كثيرا ومن ثم كان يكتفي بما يقون به نفسه و أهله وكان يقضي جل أوقات فراغه في صحبة العلماء والافاضل وكان شغوفا بالتفكير الديني إلى جانب اهتمامه بالتصوف وكان قد بلغ من التصوف حتى أن مؤلفات الشيخ محي الدين ابن عربى مثل "الفتوحات المكية" و "فصوص الحكم" كانت تدرس في بيته و يحدثنا اقبال نفسه عن ذلك وهو يقول- (٦)

"إننى لأسي الظن بالشيخ الاكبر محي الدين ابن عربي رحمه الله فقد كان والدى من الدارسين المتوغلين في الفتوحات والفصوص وكنت قد بدأت أسمع اسم الشيخ و تعاليمه ولم تتجاوز سني أربع سنوات ولم يزل يدرس هذا ان الكتابان

في منزلنا للعديد من السنوات ورغم أنني لم أكن أفهم هذه المباحث ونا طفل صغير إلا انني كنت او اظب على الحضور في حلقه الدرس ثم أخذت أفهم الكتابين حين تقدمت في اللغة العربية وكلما ازداد علمي وتوفرت الخبرة ازدادت المعرفة بالكتابين والاشتياق إليهما"-

وكان الشيخ نور محمد تاثر كثير بتعاليم الشيخ ابن عربي وأما عن مدى تأثير التصوف الوجودى في شخصيته فيحدثنا إقبال نفسه عن ذلك حيث يقول: (٧)

"إن ألف مليئة بالكتب لا تساوى النظرة المشفقة و هذا ما يجعلني دائما أحضر عنده كلما أتيح لي ذلك وأنا أفضل أن استفيد من صحبته على الذهاب الى المصيفات الجبلية- ولقد سمعته أول أمس وهو يأكل الطعام ويذكر بعض أقاربه الذى كان مات حديثا- وحكى خلال حديثه هذا قائلا: "من يعرف متى كان العبد قد فارق ربه؟" فهذه هي الفكرة التى أثرت في نفسه وسقط مغشيا عليه ولتمرت حاله هذه حتى الساعدة الحادية عشر ليلا- ان هذه محاضرات صامتة لايمكن الحصول عليها إلا عند الشيوخ الكبار الشرقيين- أما المعاهد التعليمية الأروبية فلا يوحد فيها أى أثر لها"

وقد ذكر فيما مربنا بان الشيخ سيد مير حسن كان من الدعاة إلى التعليم المعاصر و نشره بين الملسمين وكان قد تعرف على (السير سيد احمد خان) ١٨٧٣م وكان يشارك في الاجتماعات السنوية للموتمر التعليمى الاسلامي و شارك في حفلة التاسيس لكلية عليكره الاسلامية في ١٨٧٧م أى في السنة التى ولد فيها إقبال (٨)-

ويجدربنا بهذه المناسبة أن نشير إلى الجهود التى بذلها والحركة التى قادها السير سيد احمد خان (١٨١٧م- ١٨٩٨م) لنشر التعليم المعاصر بين المسلمين ودعوتهم إليه فقد ذكر فيما مربنا من أن الحكومة الانجليزية في شبه القارة كانت تعادى المسلمين معاداة شديدة الا ان موقفها نحو المسلمين قد اخذ يتغير شيئا فشيئا بالجهود والمحاولات التى قام بها (السير سيد) الذى كان قد اكد للحكام الانجليز بأن المسلمين لا يعارضون الحكم البريطاني ولذلك ليتمكن من تحسين العلاقات بين الانجليز والمسلمين وبالاضافة إلى ذلك ألح على المسلمين أن يغيروا موقفهم ووجهة نظرهم في الظروف التى كانت تحيط بهم في حياتهم الفردية والاجتماعية والا فان موقفهم الصلب قد يقودهم إلى الدمار النهائى والقضاء عليهم كشعب مسلم-

واراد (السير سيد) أن يوكد للحكام الانجليز ولاء المسلمين وطاعتهم لهم

فألف كتيبا صغيرا عن ثورة ١٨٥٧م وسماه "اسباب بغاوت هند" اى (اسباب العصيان الهندى) وفي ١٨٦٠م و ١٨٦١م بدأ يكتب سلسلة من المقالات أكد فيها ولاء السلمين وطاعتهم للانجليز ونشر كتابه "تبين الكلام" (تفسير الانجيل غير الكامل) في ١٨٦٢م ثم نشر كتابه "أحكام طعام اهل الكتاب" في ١٨٦٨م كما أنه كان قد نشر تعليقاته على كتاب الدكتور (هنتر) بالانجليزية والذى كان قد سماة المسلمون الهنديون- وبالاضافة الى مولقاته هذه الف العديد من الكتب اتخذ فيها موقف الاعتذار والمناظرة والمجادلة ففي ١٨٧٠م نشر مجموعة أبحاثنه عن السيرة النبوية وسماها "الخطبات الاحمدية" ثم نشر تفسيره الأحمدى (غير الكامل) في ستة أجزاء فيما بين ١٨٨٠م و ١٨٩٥م إلى جانب سلسلة من الخطبات والمقالات والبحوث (٩)-

وفي كتابه "اسباب بغاوت هند" دافع السير سيد عن المسلمين و تهمة العصيان العسكرى المسلح التى وجهت إليهم وكان مما رأى عن هذا العصيان بأن له اسباباً وعلى رأسها هو النظام العسكرى الخاطيء واقترح بمشاركة الهنودفي المجلس التشريعي لنائب الامبرا طور الهندى كما أنه طالب الحكومة ان توظف المسلمين الهنديين في المناصب الإداريه العليا والمحاكم القضائية (١٠)-

وفي سلسلة من مقالاته عن المسلمين الهنود الأوفياء حاول أن يحفق الانجليز اهل الكتاب بصفتهم المسيحين ومن ثم ليس المسلمون من أدائهم والف كتابه "تبيين الكلام" ليعرف المسلمين بالديانة المسيحية لكى يكونوا على علم عن موقفهم الديني قبل أن يدخلوا مجالات المباحثة والمجادلة مع الارساليات لمسيحية ورجالها المبلغين وأما كتاب "احكام طعام اهل كتاب" فكان قد ألفه لتوطيد الروابط الاجتماعية وتوثيقها بين المسلمين والانجليز وقد حقق في كتابه هذا بأنه يجوز للسملم أن ياكل و يشرب مع اهل اكتاب بدون أن يمس الأشياء المحرمة كما انه كان قد حقق في تعليقه على كتاب الدكتورهنتربان الجهاد الذى قد أعلنه اتباع السيد احمد البريلوى وأنصاره لم يكن ضد الانجليز وانما كان ضد السيخ وأما "الخطبات الاحمدية" فيمثل موقفا اعتذاريا وقد الفه السير سيد وهو في انكلترا- وفي هذا الكتاب ردود على اتهامات وجهها (وليام ميور) في تكابه عن السيرة النبوية وما تفسيرة للقران الكريم فقد كان يهدف إلى ان يحقق بان الاسلام دين علمى يقوم على المبادئ العقلية وكذلك فان السير سيد كتب الكثير من المقالات عن الجهاد الاسلامي ويرى في مقالاته هذه بأن الجهاد الاسلامي لم يفرض على المسلمين للاعتداء وأنما فلرض عليهم للدفاع عن نفوسهم (١١)

وكالسير سيد اتخذ زيا تركيا (أوربا) وتوسع في اختلاطه ولقاءته مع الانكليز وفي ١٨٦٩م وكان قد سافر إلى انكلترا وتجول في اوربا تأثر بالمدنية الاوربية كثيرا وعاد في ١٨٧٧م من سفره هذا فبدأ حركته الاصلاحية للمسلمين في مجالات الدين والخلاقى والاجتماع والادب والتعليم والسياحة والاقتصاد- والسبب لذى جعله يقوم بحركته الاصلاحية هو التغيير الذى كان قد حدث في شبه القارة بدعم الحكم الانجليزى والذى كان المسلمون حديثى العهد به (١٢)-

وأما في المجال الديني فإن ألف فيه السير سيد من المؤلفات كانت قد نشرت فيما بين ١٨٧٠م و ١٨٩٨م الخ فيها على البحث والابتكار بدل التقليد والركود ويقول الطاف حسين حالى في كتابه "حيات جاويد" (وهو كتاب عن حياة السير سيد) إن السير سيد لم يستطع ان يكمل تعليمه الدينى الابتدائى كما أنه لم يكن قد تعرف على التعليم الانجليزى المعاصر تعرفا شاملا ومن ثم لم يستطع أن يدرك غور المدينة الغربية ويرى (حالى) ان هذا الوضع كان وضعا مناسبا للغاية لانه لو كان قد أكمل تعليمه الديني لكان قد شد نفسه بالسلاسل التقليدية ولم يكن له من الممكن أن يقبل على الحضارة الجديدة ويطلع عليها وفي الجانب الآخر فان الكثيرين من الطلاب الهنوديين الذين كانوا يتأثرون بالمدينة المتقدمة الاروبية كامه يتغلب عليهم اليأس حول مستقبل الحضارة لبلادهم- وما السير سيد فلم يتأثر كما تاثر هؤلاء لانه لم يتمكن من أن يدرك أغوار المدينه الغربيه ادرا كا شاملا (١٣)-

ولعل السير سيد كان يرى بأن العلوم المعاصرة خطر على الاسلام إلا انه كان يرى من اللازم أن يدرس المسلمون هذه العلوم المعاصرة ومن ثم رأى من اللازم أن يشرح الافكار والعقائد الاسلامية من وجهة نظر جديدة تختلف عن الاساليب المتواثة القديمة وبالإضافة إلى ذلك فان الهجوم على الاسلام الذى كان مصدره الارساليات المسيحية كان دفع السير سيد ان يتخذ موقفا دفاعيا فكانت الارساليات المسيحية تزعم دائما أن الاسلام دين يعارض العقل ومن ثم لا يوافق التقدم الحضارى البشرى- وكان السير سيد يرى أن العلوم المعاصرة تقوم على التجربة والمشاهدة فبامكنها أن تقود الى المادية الالحادية ولكن لو وضع علم الكلام الجديد يشرح الاسلام على مبادئ جديدة نظرا إلى البحوث العلمية الحديثة فبامكان المسلمين ان يوافى دينهم الأوضاع المعاصرة العلمية ومن ثم يقوى ذلك إيمانهم بالاسلام فكان يرى أن الاسلام هو دين فطرى أو طبيعى لان النتائج

التى وصلت اليها العلوم المعاصرة إنما توافق ما جاء في التعاليم القرآنية (١٤)-

وكان أسلون السير سيد الفكرى يقوم على وجهة نظر متغيرة ولم يكن هناك شيٌ جديد او تجدد في أفكاره هذه لأنها كانت توافق اراء بعض الشخصيات البارزة في التاريخ الاسلامي وليس من الصحيح أن يذهب الظن بنا إلى ان المبادئ العقلية التى يقوم عليه تفسير السير سيد للاسلام إنما هو رد فعل للفلسفة او الافكار المتد اولة المعاصرة في الغرب كما ان مؤلفه في مجال الديانة لم يكن رد فعل لحركة فلسفية في اربا و ذلك لانه لم يتمكن من دراسة الفلسفة الغربية وانما يمكن القول بأنه كان قد تاثر بالمدرسة الفكرية للمعتزلة من المسلمين وكان يرى السير سيد أن عمل المسلمين ظل ابداعيا ابتكاريا مادام فيهم روح البحث والتحقيق حية مستمرة وانه لم يكن صدام او تشابك بين العلوم أو التقدم والاسلام الا عند ما اتخذ المسلمون موقف التقليد الركود ولم يعد الاسلام قوة فعالة وحركة حيوية ودينا ابداعيا وإنما اصبح دين الجمود والركود واختلط بالافكار الاسلامية افكار اليهود والنصارى والهنادكية والتقاليد المحلية (١٥)-

وكانت افكار السير سيد الدينية افكارا شخصية ذاتية تقصر على نفسه ولم يكن يريد أن يكره الاخرين على الاعتراف بهاأو الاستسلام دونها كما انه لم يكن يريد ان يؤسس فرقة دينية جديدة ومن ثم لم تؤثر حركته في مجال الدين كثيرا وبالاضافة إلى ذلك فان الاخرين من المصحلين من المثال القاضى سيد امير على والشيخ خدا بخص والشيخ تشراغ على قاموا بمحاولات لتفسير الاسلام طبقا لاساليبهم الخاصة وألفوا العديد من الكتب في ذلك إلا انها كلها تتخذ موفقا دفاعيا واعتذاريا-

وقد عاض رجال الدين السير سيد وافكاره الدينية معارضه شديدة وهد المعارضة قد اثرت في حركته الاصلاحية التى كانت تنادى بالتعليم المعاصر والعلوم الجديدة ونشرها بين المسلمين لان عامة المسلمين كانوا يظنون بان السير سيد إنما يريد ان ينشر افكاره الدينية بين الجيل المسلم الجديد باسم التعليم المعاصر والعلوم الجديدة ومن ثم صدرت الفتاوى من قبل رجال الدين والفتوى بمكة المكرمة تكفر السير سيد ونشرت هذه الفتاوى ووزعت واتهمته بانه دجال ملحد قد تمت محاولة لاغتياله أيضا إلا أن السير سيد لم يزل ثابتا على موقفه الدينى ولعل هذا الذى جعل رجال الدين في الهند يؤسسون ندوة العلماء في لكنؤ في ١٨٩٠م ثم يؤسسون دارالعلوم بها(١٦)-

وكانت حركة السير سيد الإصلاحية للاخلاق والمجتمع إنما هي نتيجة للتغيير

السياسي الذى حدث في شبه القارة فقد كان (راجا رام موهن رائى) من المصلحين الهنادكة قد قام بدعوة بين ابناء ديانته الى المدنية الغربية وادراك اهميتها ومن ثم كان الهنادكة قد قاموا ببناء المجتمع الجديد و تقدموا المسلمين بخمسين عاما تقريبا (١٧)-

واصدر السير سيد مجلته "تهذيب الاخلاق" عقب عودته من انكلترا فأخذ هو انصاره ينشرون المقالات فيها و يلحون على المثقفين من المسلمين ان يتركوا التغيير الذى حدث فيغيروا وجهة نظرهم نحو الاوضاع الراهنة- وكان السير سيد يرى ان الامراض الاجتماعية التى انقضب ظهر المجتمع الاسلامي لم يكن سببها الوحيد هو إنشاء الحكم الانجليزى في شبه القارة وانما كانت هناك أسباب اخرى كثيرة التى قادت المسلمين الى الاستعباد والفوضى ومنها الجهل وضعف العقيدة والأثرة والكبر والرجية وضيق الأفق والحرمان من الاقدام والقوة العملية والعواطف الاخوية وكان يرى أن عظمة امة انما تقصر على الاسلوب الفكرى والعملى لافرادها الذين يوثرون المصالح الاجتماعية الاهداف الشعبية العظمية على اغراضهم الشخصية ومصالحم الفردية- وكانت مجلة "تهذيب الاخلاق" تنادى بمبادئ العدل والتعاون والتقدم السعة في وجهات النظر كما انها كانت تؤيد وتنادى بالعواطف الاخوية الاسلامية و نشرها في المجتمع الاسلامي وكانت تلح على المسلمين ان يهتموا بالتعليم المعاصر وخاصة العلوم الحديثة وفي نفس الوقت كانت تعارض الرجعية والاهمال والبطالة وسؤ الخلق وضعف العقيدة و تمنع المسلمين و تحذرهم من التقاليد المحلية غير الاسلامية وان يجتنبوا كل ماء يسئ الى التمدن الاسلامي ويحط من

ولقد استمرت مجلة "تهذيب الاخلاق" تصدر لاثنتى عشرة سنة ويرى الشيخ (حالى) بان هذه المجلة قد أثرت كثيرا في نفوس متوسطي الحال من المسلمين الذين لم يكونوا غير متعلمين كما انهم لم يكونوا قد تأثروا كثيرا بالتعليم المعاصر- اما الشيوخ و رجال الدين فقد كانوا يعارضون هذه المجلة لانها في رأيهم كانت تحمل افكارا مضادة الاسلام و مضرة للسملمين-

وقد أثرت جهود السير سيد في الأوضاع الراهنة وكان من نتائجها الايجابية انها نجحت في ايجاد نخبة متذوقة علم والادب من الملمين فقد كان شعراء اللغة الاردوية يتبعون الاسلوب الفارسي في الشعر وكانت لديهم موضوعات شعرية ضيقة جدا- وكذلك النثر الاردوى لم يستطع ان يحقق تقدما ملموسا إلا ان

الشعراء الجدد كانوا قد اوجدوا بناء جديدا للشعر الاردوى الهادف الى تقدم الامة الاسلامية وخيرها وصلاحها وكذلك حدث تغيير في النثر الاردوى وانشاء السير سيد مطبعته في ١٨٦٣م بمدينة غازى فور ومنذ ذلك اليوم قد بدأت حركة الطبع والنشر والتوزيع تنتشر بين المسلمين على نطاى وسيع (١٩)-

واما الخدمات التى قام بها السير سيد في مجال التعليم الجديد ونشره بين المسلمين فهى خدمات عظمية جدا وكان المسلمون يرغبون عن التعليم المعاصر الاسباب- فيرى الشيخ حالى بأن المسلمين لم يكونو يملكون كفاءة ليدرسوا اللغات الاجنبية وذلك لانهم اينما اتجهوا او نزلوا في مكان رافقتهم لغاتهم وآدابهم وكانوا قد كونوا نظامهم التعليمي الخاص خلال القرون الويلة- وكان هذا النظام التعليمى يجمع بين العلوم الدينية والعلوم الدنيوية بشكل غريب مدهش ولم يمض وقت طويل حتى بدأوا يعتبرون هذا النظام التعليمى من دينهم الاسلامي فكان المسلمون يعتزون دائما ينظامهم التعليمى ويعتقدون انه افضل من جميع النظم التعليمية الاخرى، ومن ثم رضوا النظام التعليمى الجديد الذى كانت الحكومة البريطانية قد طبقته بعد ان كانت قد الغت النظام التعليمى الاسلاميي وذلك في ١٨٣٥م- وكان المسلمون يظنون ان النظام التعليمى الجديد انما الفرض منه ابعاد الجيل الناشئ المسلم عن دين الاسلامي وهذا ما جعل المسلمين يرسلون اولادهم الى المدارس الدينية أو الكتاب ليكملوا تعليمهم الدينى قبل ان يرسلهم الى المدارس الجديدة الانجليزية واما الهنادكية فكان الامر عندهم بالعكس ومن ثم كان تلتحق الاطفال المسلمون بالمدارس الانكليزية وهم اكبر سنا بكثير من الاطفال الهنادكة الذين كانوا يسبقونهم الى المدارس الثانوية الانكليزية ولم يكن الشاب المسلم يأمل في الحصول على وظيفة حكومية كبيرة بعد اكمال الدراسات لان الحكومة البريطانية كانت قد اغلقت ابواب هذه المناصبه دون المسلمين كما ان المسلمين كانوا قد تخلوا عن الهنادكة في المجالات الاقتصادية والتجارية ولم يكن من الممكن لهن الحصول على التعليم المعصاصر- ويقول الشيخ حالى ان عدد الطلاب المتخوجين المسلمين من معاهد كلكتة و مدارس وبومباى والجامعات المعروفة الاخرى في شبه القارة والتى كانت تعيش على المساعدات الحكومية لم يكن يزيد من عشرين متخرجا بين سنة ١٨٥٨م و ١٨٧٥م واما بالنسبة إلى المتخرجين الهنادكة فان عددهم يبلغ ثمانائة و ستة وستين متخرجا خلال هذه المدة (٢٠)-

وأما اكبر ما اعترض به المسلمون على النظام التعليمي الجديد هو انه كان نظاما علمانيا أو الحاديا وكانوا يخشون على أجيالهم من انتشار العقائد الالحادية

بينهم- وكذلك فكان المسلمون يعتقدون ان النظام التعليمى الجديد انما هو نظام اجنبى وقد جاء به شعب غير مسلم وكان الغرض من ذلك هو القضاء على التقاليد الاجتماعية والثقافية الاسلامية وتطبيق المدنية الاجنية على الاجيال الناشئة المسلمه تطبيقا اجباريا على كل فان الحكومة البريطانية كانت قد بدأت تهتم بنشر التعليم المعاصر بين المسلمين في ضوء الاعتراضات التى جاءت من قبلهم ولذك في ١٨٧٠م كما ان الحكومة البريطانية اخذت تحسن باهمية اللغات العربية والفارسية نو الاردوية فاتخذت خطوات لتدريسها في المعاهد التعليمية بجانب اللغة الانجليزية وفي نفس الوقت الحكومة مساعدات مالية للمعاهد التعليمية الاسلامية كما كانت تقدمها للمعاهد التعليمية غير الحكومية كما انها قدمت المنح المالية للطلاب المسلمين وكانت اللجنة التعليمية لسنة ١٨٨٢م قدمت تقريرها وابدات فيها عن تعاط تعاطفها نحو السملمين واقترحت ضرورة الغييرات المناسبة في النظام التعليمي الجديد نظرا لحاجات المسلمين الثقافية (٢١)-

وكان السير سيد بدأ يؤيد فكرة دراسة اللغة الانجليزية منذ ١٨٥٨م- وكان يرى في الوهلة الاولى الاكتفاء بترجمة الكتب العلمية من الانجليزية إلى الارودية ليتمكن المسلمون من دراسة العلوم الحديثة في لغتهم المتعارفة وكان قد انشأ جمعية في مدينة غازى فور سنة ١٨٦٣م لتحقيق هذا الغرض وبدأت ترجمة الكتب العلمية تحت اشرافه ونقلت هذه الجمعية من غازى فور الى عليكره في ١٨٦٤م حيث اصدرت الجمعية مجلتها الانجليزية باسم "مجلة معهد عليكره" في ١٨٦٦م وقد استمرت المجلة تصدر إلى ١٨٩٥م- اما عمل الترجمة أى ترجمة الكتب العلمية الجديدة الى اللغة الارودية فقد اصبحت محاولة غير ناجحة (٢٢)-

واراد السير سيد أن يفهم النظم التعليمية والادارية للجامعات الحديثة فذهب ليزور جامعة كيمبردج خلال اقامته في انكلترا فانشاء المؤتمر التعليمى الاسلامي بعد عودته وكان الهدف من انشائه هو اعداد المناهج الدراسية التى يتمكن بها المسلمون من الحصول على التعليم المعاصر وفي نفس الوقت يتمكنون من المحافظة على تقاليدهم- الثقافية والدينية- ثم كون لجنة الصندوق لجمع التبرعات والمساعدات المالية وذلك لانشاء كلية اسلامية لأبناء المسلمين وقد نجحت هذه اللجنة في جمع المبالغ الضخمة على الرغم من معارضة رجال الدين لها وأخيرا جاء نائب الحكومة البريطانية في الهند اللورد لتن ليقوم بوضع الحجر الاساسي للكلية الشرقية الانجليزية في مدينة عليكره والتى اصبحت جامعة عليكره الاسلامية في

١٩٢٠م (٢٣)-

وكان من بين المناهج الدراسية لجامعة العلوم الاسلامية الشرقية الى جانب اللغة الانجليزية وادابها والعلوم المعاصرة والعلوم الحديثة الاخرى وكانت دراسة العلوم الدينية اجبارية مع دراسة الاداب والعلوم- وكان المسلمون لا يرضون بآراء السير سيد الدينية مما جعلهم لا يهتمون بشعبة العلوم الدينية التى انشأها السير سيد في كلية الا ان الطلاب المسلمين من السنة والشيعة كانوا يتعلمون عقائدهم الدينية كما جاءت في مبادئهم ومراجعهم الدينية وكانت الكلية تهتم بالالعاب الرياضية الى جانب البرامع الثقافية الادبية والاجتماعية وكان باب الكلية مفتوحا امام الطلاب الهنادكة أيضا ولم تكن دراسة العلوم الدينية اجبارية لهؤلاء الطلاب وكان ذبح البقر ممنوعا في حرم الكلية كما أنه لم تكن تقدم لحوم البقر على موائد الطعام في دار الاقامة للكلية (٢٤)-

وكذلك فان الالمام بافكار السير سيد السياسية بهذه المناسبة لا يخلو من الاهمية فقد كان يعارض المقاومة الاسلامية المباشرة للحكام الانجليز وانما كان يتمنى على المسلمين أن تقوم بينهم وبين الحكومة صلات الود والوفاء كئ يتمكنوا من الانتفاع والحصول على المناصب الحكومية وليقوموا على قدم راسخة في المجالات التعليمية والاقتصادية وتحقيقا لهذا الغرض كان السير سيد قد أنشاء منظمة شبه سياسية في ١٨٦٦م وسماها "الرابطة الهندية البريطانية" (٢٥)-

وكان السير سيد عضوا في المجلس التشريعى لنائب الحكومة البريطانية من ١٨٧٨م الى ١٨٨٢م وكان يرى السير سيد ان فقر المسلمين و بؤسهم يرجع الى ما فقدوه من العواطف الأخوية واهمالهم ولا مبالاتهم بتحسين الظروف الاقتصادية لهم فكان يحث المسلمين على الرغبة في المجالات التجارية والصناعية كما انه كان يلح على الفلاحين المسلمين والاقطاعيين على استخدام ام الطرق الزراعية الحديثه خطا باته وكلماته العامة-

فقال وهو يخاطب الطلاب المسلمين في مدينة (لوديانه) سنة ١٨٨٢م

"ان من ينتمى إلى الاسلام من الناس في هذه البلاد هم يكونون شعبا منفردا أو أمة ممتازة"

وفي ١٨٨٣م مشروع القانون للحكومة المحلية في الاقليم المتوسط- والموقف الذى اتخذه السير سيد هو ان الهند ليست بلدا وانما هى قارة عظيمة يسكنها شعوب متعددة تعتنق شتى الديانات وتتبع مختلف الثقافات ولا يجمع بينهم شئ من جهة السياسية والاقتصاد، ففى مثل هذه الظروف إذا انشئت حكومة محلية

في إقليم من الاقاليم فقد تنشأ الشاكل السياسية والاقتصادية الكثيرة وكان يرى ان الحكومة النبابية المحلية تعنى تغلب الاغلبية الساحقة والضغط الشديد على الاقليات فيجب قبل كل شئ القضاء على الخلافات الدينية والفروق الاقتصادية وتكون نتيجة الديمو قراطية هي القضاء على الديمو قراطية بحكم الاغلبية الساحقة المتعصية- وكان يرى السير سيد ان الاغلبية الهندوكية يمكن لها القضاء على الاقلية المسلمة متى شاءت وحيثما أرادت وذلك لان التجارة الداخلية كلها كانت في أيدى الهنادكة كما ان التجارة الخارجية كانت في أيدى الانجليز (٢٦)-

وقد انشئ المؤتمر الهندى أو كونجرس الهند في ١٨٨٥م بمدينة بومباى وبعد مضي سنة من ذلك أى في سنة ١٨٨٦م انشاء السير سيد الكونجرس التعليمى المحمدى بمدينة عليكرة وذلك لأنه كان يرى انه لابد للمسلمين أن يتقدموا في المجالات التعليمية بدل أن يدخلوا في النشاط السياسي للهند- وفي ١٨٨٧م ألفى كلمته المعروفة بمدينة لكنؤ حذر فيها المسلمين من الانضمام الى الكونجرس الهندى لأن الهنادكة كانوا قد تقدموا كثيرا فى مجال التعليم والاقتصاد بالنسبة الى المسلمين وان المناصب الادارية او القضائية التى كانت تخصص لسكان الهند كان قد احتل جميعها أو اكثرها الهنادكة ومن وجهة النظر هذه فان انشاء الكونجرس كان يهدف إلى الحصول على اكبر عدد من المناصب الحكومية للطبقة المتوسطة من الهنادكة وأوضح السير سيد للمسلمين قائلا بانهم- أقل عددا من الهنادكة بكثير كمانهم لا يستطيعون أن ينافسوا الهنادكة في مجال التعليم والاقتصاد وعليه فاذا قامت الحكومة النيابية المحلية في الهند فعمنى ذلك أن الاقلية المسلمة المختلفة تعليميا واقتصاد يا لن تتحرر من سيطرة الاغلبية الساحقة الهندوكية- (٢٧)

وقد بدأ الاحتجاج من اجل المناصب الحكومية المختصة لاكبر عدد من الطبقة المتوسطة الهندوكية في بلاد الهند و ذلك في ١٨٧٦م حين انشاء الزعيم الهندوكي (سريندا ناس بينرجي) الرابطة الهندية بمدينة كلكتة وبعبارة اخرى كان هذا الاحتجاج من اجل هذه المناصب المختصة للهنادكة قد بدأ من قبل الهنادكة البغاليين وهم الذين كانوا قد نالوا النصيب الأوفر من التعليم المعاصر والمدينة الحديثة واخذت الصحف الهندوكية في بنغال تكتب مقالات ضد السير سيد والمسلمين بالسلوب مرير بغيض جدا (٢٨)-

وبعد انشاء الكونجرس في ١٨٨٥م صارت رئاسة هذه المنظمة الى (ب ج تيلك) الهندوكي فأخذ يقودها نحو تحقيق الاهداف وكان (تيلك الهندوكي) هذا

رجلا متشددا متعصبا للغاية- وكان يؤمن بالسياسة المتشددة ضد المسلمين فكانت كلماته وخطبه التى كان يلقيها ضد المسلمين مليئة بالمرارة والبغضاء وهو الذى قد جدد تقليدا قديما من تقاليد قطم (مرهتة) من الهنادكة وهذ التقليد يهدف إلى تكريم (شيوا جي) الزعيم الهندوكي القديم وكان الغرض من إحياء هذا التقليد وتجديده هو تحريض الهنادكة ضد المسلمين وكذلك كان تيلك الهندوكي هذا قد انشاء جمعية خاصة تطالب بتحظير ذبح البقر كما أنه قام بتظاهر على نطاق واسع ضد القانطن الحكومي الذى كان يمنع الهنادكة من الضرب على الدفوف وكان يرى (تيلك الهندوكي) هذا أن المسلمين عنصر اجنبى يجب القضاء عليه أو يجب أن يطرد وامتن ارض الهند- وقد كانت النتيجة لهذه الخطوات كلها ان نشأ صدام طائفي بين الهنادكة والمسلمين في ١٨٩٣م وذهب عدد ضخم من المسلمين ضحية لهذه الاحداث الطائفية فالظاهر ان الكونجرس الهندى كان يعتبر منذ نشأته تعبيرا عن القومية الهندوكية و دعوة الى التحزب للديانية الهندوكية وانتشارها كما انهم كانوا يعنون بالحرية والاستقلال هو الحكم الهندوكي في شبه القارة وفي مثل هذه الظروف لم يكن بد للمسلمين من أن يتخذوا موقفا دفاعيا نحو الاغلبية الساحقة الهندوكية (٢٩)-

وقد انشئ عدد من منظمات اسلامية شبه سياسية من اجل هذا الموقف الاسلامي الدفاعي في تلك الظروف فقد كانت الجمعية المحمدية التى انشأها الامير عبداللطيف في ١٨٦٣م والرابطة المحمدية القومية المركزية التى كان انشأها (سيد أمير على) بمدينة كلكتة في ١٨٧٧م تهدف الى رعاية الحقوق الاسلامية والدفاع عن اهداف المسلمين وكان السير سيد قد انشأ الجمعية الوطنية الهندية المتحدة بمدينة عليكره في ١٨٨٨م كرد فعل للكونجرس الهندى الا انه كان الغاها بعد الاحداث الطائفية بمدينة بومباى في ١٨٩٣م وانشأ جمعية اخرى مكانها وسماها الجمعية الدفاعية الشرقية الانجليزية المحمدية للهند-

وكان السير سيد قد تأثر كثيرا بالنزاع الذى قام بين انصار اللغتين الاردوية والهندية في ١٨٦٨م فقد كانت اللغة الارودية قد اصبحت لغة الادارة والقضاء بعد الغاء الفارسية والعربية في ١٨٣٥م إلا ان الهنادكة المتشددين نظموا حركة بمدينة(بنارس) في ١٨٦٨م ضد اللغة الارودية فكانوا يطالبون بالقضاء على هذه اللغة الاسلامية لتأخذ مكانها اللغة الهندية- وذلك ما جعل الهنادكة ينشئون جمعيات لهم في الاقليم على واقليم بهار والقاليم الاخرى ليحققوا ما ارادوا من الغاء الاردوية وحلول اللغة الهندية مكانها فيقول الشيخ حالى في كتابه "حيات

جاويد" بأن هذه المظاهرة المتشددة الهندوكية ضد اللغة الارودية كانت قد احزنت السير سيد كثيرا وهذا مما جعله يفكر في المستقبل الشعبى للآمة الاسلامية في شبه قالرة ولهذا فقد خاطب وهو يتكهن عن الستقبل قائلا البريطانى لمقاطعة بنارس المستر شيكسبير بأن حلم التوحيد بين الهنادكة والمسلمين لن يتحقق أبدا- فان الخلافات بينهم وان كانت قليلة ضئيلة الان كما يبدو الا انها سوف تزداد شيئا فشيئا كلما ازداد التعليم والثقافافة بين الطائفتين- وان عدم الثقة بينهم سوف يكون نذيرا بالافتراق والبغضاء بينهم وهذا مما سيراه من عا بعدهم راى العين (٣٠) وجعلت اللغة البهارية لغة رسمية في اقليم بهار والغيبت اللغة الاردوية- واما الاقاليم الاخرى فاستمرت الحركة الهندوكية تطالب يجعل اللغة الهندية لغة سرسمية لها، اما السير سيد فلم يزل يدافع عن اللغة الاردوية حتى الموت-

وقام السير سيد بزيارة لاقليم بنجاب في ١٨٨٤م والقي عددا من الخطب والكلمات حرض فيها المسلمين على النهوض والحصول على التعليم المعاصر والعلوم الحديثة وكان استاذا اقبال الشيخ سيد مير حسين من المكرمين الموثوقين من اهل بنجاب في رأى السير سيد وفي ١٨٩٥م عند اجتماع للموتمر التعليمى الاسلامي بلاهور واشترك فيها الشيخ سيد مير حسن (٣١)-

وللشيخ سيد مير حسن (١٨٤٤م- ١٩٢٩م) طابع قوى على حياة إقبال الابتدائية للدراسة والتحصيل- وكان الشيخ سيد مير حسن عالما من أصحاب التفكير المتقدم فكان يرعى المصالح الدينية والدينوية لتلاميذه في نفس الوقت وكان من كبار العلماء المتصوفين بالاضافة الى المعرفة الشاملة بالعلوم الحديثة والاداب واللغات والحساب- وكان يتبع اسلوبا شيقا في تدريسه مما كان يجعل تلاميذه يتذوقون اللغة الاردوية والفارسية والعربية ويرغبون في آدابها وكان يحفظ الآلاف المؤلفة من الابيات الشعرية العربية والفارسية والاردية والبنجانية فكان عندما ياخذ في شرح بيت فارسي ينشد العشرات من الابيات الاردوية والبنجابية في نفس المعنى وذلك ليسهل فهم البيت على تلاميذه وكان الشيخ يواظب على القراءة المستمرة الدائمة بالاضافة إلى الاشغال التدريسية وقد كان مسلما صحيح العقيدة يقضى أوقاته في العبادة والذكر وكان يحفظ القران الكريم ويحبه حبا جما- وكان يتحدث باللغة الاردوية الفصيحة السلسة خلال التخاطب العادى وكان حسن الاخلاق متواضعها جادا في عمله قانعا بما قسم له مستغتيا بما جده متواضعا طلق الوجه يشكر الناس على ما أحسنوا إليه، وكان تلاميذه ينادونه بكلمة "شاه

صاحب" اى "سيدنا الشريف" حين يخاطبونه وكان يصلى صلاة التهجد ويخرج إلى مقابر المسلمين حين ينصرف من صلاة الفجر فيقرأ الفاتحة لاقابره واصدقائد المدفونين فيها- وكان تلاميذه يلحقون به وهو في المقابر فكان يعيد عليهم دروسهم وهو عائد منها فيشتغل بتدريسهم حين يصل الى المنزل ثم ياخذ فطوره بسرعة ويخرج الى المدرسة وتلاميذه يرافقونه فكان يدرس في المدرسة خلال اوقاتها ويعود إلى البيت مساء فيستمر في تدريسه حتى الليل وكان يشترى حوائجه من السوق شخصيا اما تلاميذه فلم يكونوا يفارقورنه وهو يشترى حوائجه من السوز وكان الشيخ سيد مير حسن يعيش حياة متواضعة بسيطة للغاية وكان يلبس الملابس العادية إلا انها كانت نظيفة دائما ولم يزل يدرس في مدرسة الارسالية الاسكاشية طول عمره إلا ان راتبه لم يزدد على مائة وعشرين روبية حتى الموت (٣٢)-

وقد اهتم الشيخ سيد مير حسين بتثقيف اقبال و تعليمه فعلمه العربية والفارسية والاروية وآدابها بالاضافة الى العلوم الحكمية والمعارف الصوفية وقد امتاز اسلوب الشيخ في تثقيف التلميذ انه لم يعلمه فحسب وانما جعله يتذوق العلوم الاسلامية القديمة و ينشئ فيه طموحا وعطشا مستمرا لايرويه خطرة الا وهو يشعر في نفسه بالمزيد من العطش للعلوم والمعارف- وإن ما امتاز به اقبال من بساطة الطبع والقناعة والاستغناء والظرافة والتذوق الادبى كل ذلك يرجع إلى الشيخ سيد مير حسن فكان اقبالاً لم يكن إلا صورة صادقة لاستاذة و شيخه ولم يزل اقبال يحضر عند شيخه كلما احسن بالحاجة الى الاستفادة منه او اعترض له شئ من المشاكل العلمية كما انه كان يرسل ما يجده من الكتب الجديدة لمطالعة شيخه وكان اقبال يكثر ذكر شيخه و يقول دائما بانه يجد من الطمانينة والسكينة في دخيلة نفسه كلما حضر عند استاذه وكان اقبال يكرم اساتذه للغاية حتى انه لم يكن يجترئى على ان ينشد بيت شعر مما نظمه بين يديه (٣٣)

ويحكى لنا اقبال حدثا من احداث طفولته أنه كان جالسا في حلقة الشيخ وانطلق لسانه بمصراع شعرى له وكان ذلك بالصدفة- كان الشيخ قد خرج من بيته متوجها الى عمل يريده وكان يرافق الشيخ طفل صغير وكان اسمه إحسان فأمر الشيخ تلميذه اقبال ان يحمله على عاتقه ففعل اقبال ما أمربه إلا انه لم يمض كثير من الوقت حتى احسن بالتعب فانزل الطفل (احسان) وأوقفه على دكة خشبية امام محل تجارى اخذ يستريح وكان الشيخ قد تقدم في السير كثيرا فاذا به يلتفت الى اقبال فلا يجده فيقترب منه عائدا اليه ويخاطبه بكلام صدر كصراع موزون عفوا

منه فقال: افلا تستطيع حمله- فرد اقبال تلقائيا في شئ من الكلام الموزون ما معناه "لان احسانك هذا الثقيل"-

وان صلة اقبال بحركة عليكره والسير سيد ترجع إلى الشيخ سيد مير حسن فهو الذى دله على ذلك ولعل هذا كان هو السبب الذى جعل إقبال يحب حفيد السير سيد (السير رأس مسعود) حين التقيا فاصبحهما صد يقين مخلصين متحابين وكان الشيخ (سيد مير حسن) تلقى رقية عن موت السير سيد في ١٨٩٨م وهو ذاهب إلى المدرسة فلقيه إقبال في الطريق وكان قد جاء من لاهور إلى سيالكوت ليقضى الاجازات الصيفية فاخبره الشيخ سيد مير حسن بوفاة السير سيد فقال له أن ينظم قطعة شعرية يستخرج به تاريخ وفاة السير سيد فدخل اقبال الى محل تجارى قريب منه ففكر قليلا ثم اخبره عن كلمات تسجل تاريخ وفاته وهي كلمات قرآنية:

"انى متوفيك ورافعك إلى ومطهرك" (٣٤)

فعاد الشيخ من مدرسته فاستمع الى ماعده تلميذه فاعجبه ذلك فقال قد استخرجت انا ايضا تاريخ وفاته في كلمة وهي "غفرله" (٣٥)-

وكان اقبال قد حضر على ضريح (الخواجا نظام الدين اولياء) وهو ذاهب إلى انكلترا في سنة ١٩٠٥م فنظم منظومته (التجائے مسافر) اى "رجاء المسافر" ذكر فيها شيخه سيد مير حسن قائلا

١- ذلك المصباح الذى يمثل اسرة على المرتضى رضى الله تعالى عنه وسوف يظل منزله بيت الحرام بالنسبة لى طول حياتي-

٢- ذلك الذى جعلنى زدشر و تزدشر معي آمالي والذى اصبحت بحكم مروته من المتذوقين في العلوم والاداب المدركين لاسرارها-

٣- اننى ادعو الله خالق الارض والسما يرزقنى بزيارته ويجعلنى مسرورا برؤيته-

وفي ١٩٢٣م اعلمت الحكومة البريطانية إقبالاً بانها تريد أن تمنح له لقب السير فرد اقبال على الخطاب الرسمي بخطاب بعث به إلى حاكم إقليم بنجاب وأخبره بأنه لن يرضى بهذا اللقب الا اذا اعترفت الحكومة بالخدمات العلمية التى قام بها أستاذه الشيخ سيد مير حسن فسأله الحاكم قائلا هل للشيخ مؤلفات فرد عليه اقبال قائلا: انا احمد مؤلفات الشيخ- ومن ثم منحت الحكومة لقب شمس العلماء للشيخ سيد مير حسن حين خلعت على اقبال لقب السير- وكان اقبال قد استخرج تاريخ وفاة الشيخ سيد مير حسن من قول الله سبحانه و تعالى "ما

ارسلناك الا رحمة للعالمين" وقد عبر اقبال عن عواطفه نحو شيخه سيد مير حسن قائلا: ان اقبال قد استفاض واكتسب العلى من بيت ذلك الشريف العظيم الذى ربى الكثيرين في حجره فجعل منهم شموسا تضى بها الأجواء-

وان المعلومات التى حصلنا عليها عن حياة اقبال التى قضاها في سيالكوت تجعلنا نقول بان الطور الأول من حياته كان طور البناء للسيرة الشخصية إلى حد بعيد، كان إقبال يدرس في الصف الخامس حين تزوج الشيخ عطا محمد مرة ثانية فتقول زوجة أخيه بأن اقبالاً كان يملك ذوقا شعريا في ذلك الوقت وكان له صوت حلو للغاية ولقد كان يشترى بعض القصص المنظومة من السوق فينشدها امام نساء البيت بصوت جميل- وهى التى تقول بأن اقبال كان ذكيا للغاية وهو طفل صغير- وكان مقبلا على الدراسات مجتهدا وراغبا فيها حتى انه كان يدرس إلى الليل وحدث مرة "ان انتبهت ام اقبال وقد انتصف الليل فرأت ابنها اقبال جالسا عند المصباح يكمل أعماله المدرسية فنادته امه مرتين او ثلاثاً ولكنه لم يرد عليها فنهضت واقتربت من انبها وهزته قائلة ماذا تقرأ انت في مثل هذا الوقت من منتصف الليل قم واسترح- فرد عليها اقبال قائلا: "ياامى الست نائما" وذلك ان اقبالاً كان قد نام وهو في عمله المدرسي (٣٧)

وهناك من الاقوال المتواترة التى تنص على أن اقبالاً كان أذكى من أترابه ولا يعنى ذلك انه كان عثة الكتب أى المكرس نفسه لمطالعتها وكان يرغب في الالعاب الرياضية أيضا- وكان يحب الدعابة والعيب وكان متوقد الذهن كما أنه توجد معلومات تقول بأنه كان شغوفا بتربية الحمام والطائرات الورقية بالمصارعة والتمارين لها- وكان يرافقه في هذه المشاغل بعض الأصدقاء في عهد الطفولة منهم سيد محمد تقي بن سيد سيد مير حسن والمصرارع المعروف السيد (لالو) ولم يكن والده يمنعه من ذلك أما شغفه بتربية الحمام فقد استمر حتى الوفاة فكان يجلس على سقف المنزل ويقضى ساعات جالسا صامتا يتمتع بطيران الحمام و تحليقه وكان يستطيع أن يعرف نوع الحمام أو نسله وهو يطير ويحلق في السماء ويقال إن (لالو) المصارع هو الذى كان قد علمه ذلك كله-

وكان شقيق اقبال الاكبر الشيخ عطا محمد يعمل موظفا خارج مدينة سيالكوت خلال طفولة إقبال إلا أن زوجته تعيش بين الاسرة في سيالكوت وكان عدد النسوة في الاسرة اكثر من الرجال- وكان الشيخ نور محمد قد رزق ببنتين وهما السيدة كريم بي والسيدة زينب بي- وذلك يشير إلى أن اقبالاً كان مركزا لانظار ابويه وكان يحب أمه حبا جما- وأما الأسلوب الذى اتخذه والد اقبال في تربية ابنه

فيكفى لنا أن نحكى حكايتين بالتفصيل في ذلك وقد وصلت هذه التفاصيل إلينا عن اقبال نفسه أما إحدى الحكايتين فقد حكاها عبدالمجيد سالك والسيدة عطية فيضي في كتابيهما- اما الحكاية الثانية فقد نظمها اقبال في ديوان "الاسرار والرموز" ويحدثنا سالك في كتابه "ذكر اقبال" بأن اقبال كان قد حكى له (٣٨):

"انبهت ذات ليلة على صوت وأنا طفل في الحادية عشر من عمرى فرأيت أمى تنزل من سلم الغرفة فنهضت من المضجع فمشيت خلف امى حتى وصلت إلى الباب الذى كان نصفه مفتوحا- وكان الضوء يدخل من الباب وكانت أمى تطل إلى الخارج من الباب فتقدمت فرأيت والدى جالسا في فناء المنزل وقد أحاطت به حلقة من النور فأردت أن أقترب من والدى إلا أن أمى منعتنى من ذلك وحاولت- أقناعى بأن أعود إلى مضجعى فذهبت الى والدى حين استيقظت صباحا لكى أساله عما جرى ليلا فوجدت امى قد سبقتنى إليه وابى يحكى لها عن رؤياه التى كان قد رأها في تلك تلك الليلة وهو يقظان- فقال والدى إن قافلة من كابل قد وصلت فنزلت على خمسة و عشرين ميلا من مدينتنا وفي هذه القافلة رجن مريج قد أشرف على الهلاك وهذا ما جعل القافلة تنزل وهي كارهة للنزول فلابد لى من أن أسارع إلى القافلة لمساعدتها فاعد الوالد بعض الحوائج اللازمة فركب عربة الحصان وأخذني معه فانطلقنا حتى وصلت بنا عربة الحصار الى مقر القافلة خلال بضع ساعات فرأئينا إن القافلة تشتمل على أسر من الاغنياء وأصحاب النفوذ وكانوا قد جاؤا إلى بنجاب ليعالجوا مريضهم فسأل والدى وهو ينزل من عربة الحصان قائلا من هو قائد هذه القافلة؟ فجاء إليه زعيم القافلة فرجاه ابى ان يذهب به الى ذلك المريض وكان ما أدهش زعيم القافلة هو علم والدى عن مريضهم ذلك وكيف يريد أن يذهب إليه بكل سرعة الا انه ذهببابى إلى المريخ في شيء من الدهشة والحيرة فرأى والدى حين اقترب من المريض انه في اسوأ حالة وأن بعض الاعضاء من بدنه قد تأثرت كثيرا بالمرض العضال فأخرج والدى شيئا كان يشبه الرماد فمسح به أعضاء المريض التى كانت قد تأثرت بالمرض تاثر شديدا وقال لهم بان الله تعالى سوف يشفي مريضهم ولم اكن على يقين وثقية كما أن اصحاب المريخ لم يكونوا على شيء من الثقة واليقين في ذلك الوقت عن ماتنبأ به والدى عن المريض إلا أنه لم يمض أربعون ساعة حتى كان المريض قد استفاق استفاقة واضحة وتأكد أصحابه بأنه سوف يبرأ في المستقبل القريب فقدموا لابي مبلغا لابأس به كأجرة للخدمة إلا أن الوالد لم يقبل ذلك منهم فرجعنا إلى سيالكوت ووردت القافلة إلى سيالكوت بعد بضعة أيام وعلمنا أن المريض الذى كان قد

يشر من العلاج قد برأ باذن الله"-

وقد جاءأ هذه الحكاية بنفس الأسلوب في كتاب السيدة عطية فيضي عن إقبال باللغة الانجليزية وحي تقول بأن والد إقبال كان قد قضى أشهرا في خلوة مع ولى من أولياء الله ثم أعطى لابنه ما اكتسبه من خلوته مع ذلك الولى (٣٩)-

ويبدو أن الشيخ نور محمد كان مريدا السلطان العارفين حضرة القاضى سلطان محمود صاحب زاوية (اعوان شريف) وهو من السلسة القادرية من المتصوفين ولهذا السبب كان قد بايع في السلسة القادرية في طفولته (٤٠) وقد يمكن أن يكون الشيخ نور محمد قد اشتغل في الرياضة الروحية من أجل التقدم في الدرجات الصوفية وقد كان إقبال يكتب الآيات القرآنية على أوراق شجرة تسمى "بيبل" (شجرة طويلة العمر كبيرة الأوراق كثيرة الاغصان كثيفة الظل يقدسها الهنادكة) في بعض الأحيان ويعطيها للمصابين بالحمى الدورية- فكان المريض يلعق الايات القرانية المكتوبة الورق فيبرأ باذن الله وقد رأه مؤلف هذا الكتاب وهو طفل صغير يكتب الايات القرانية أوراق الشجرة هذه وقد يمكن انه كان قد تعلم هذا الحلاج الروحي مر والده ولكن الشيخ نور محمد لم يكن له أتباع يبا يعونه وكان اقبال قد استخرج تاريخ وفاة أبيه في قطعة شعرية كتبها على لوحة قبره جاء فيها "شيخ اقبال و مرشده" إلا أنه ليس صحيحا أن اقبالاً كان قد بايع أباه على طريقته الصوفية ولكن إقبالاً كان يعتبر والده مرشداً له-

ويقول سالك فيما كتبه عن اقبال بان الرجل الذى هذه كانت حال أبيه يمكن لنا ان نقدر ماكان يجده إقبال في الوجدان الصوفي فهو يرى بأن الذى جعل إقبال يختار ما بعدالطبيعيات كموضوع لأطروحته للدكتوراة (٤١)-

ويذكر خليفة عبدالحكيم في كتابه "فكر اقبال" بعض التجارب الروحية غير العادية التى مربها والد اقبال المتصوف و يقول بأن والد إقبال كان يغذيه تغذيه روحية إلى جانب التغذية البدنية وكان إقبال يقول في أخريات حياته بأنه لم يكتسب وجهه نظره عن الحياة بالبحث الفلسفي وانما كان قد ورث وجهة نظر خاصة عن الحياة ثم وجهت ما كنت املكه من المواهب العقلية لتحقيق ما كنت قد ورثته من وجهة النظر الخاصة عن الحياة (٤٢)-

أما الحكاية الثانية التى تظمها اقبال في ديوان "الاسراق والرموز" عن شخصية والده فهى كما يلى: حدث مرة أن جاء سائل يشحذ و وقف على باب دارنا ورغم أن اهل البيت قالواله اكثر من مرة أن يترك الباب إلا انه كام مصرا على أن يبقى واقفا ولم يترك الباب وكان اقبال شابا يافعا في ذلك الوقت فاغضبه

ما كان يردده ذلك الشخاذ من الكلمات بين حين وآخر فلطمه اقبال لطمتين او ثلاثاً فسقط ماكان ليده و تبعثر على الارض مما جعل والده يتبرم و يتألم فاخذت الدموع تنهمر عن عينيه فقال وهو يخاطب ابنه:

"يوم القيامة حين يجتمع حول رسول الله صلى الله عليه وسلم غزاة الاسلام و حكماؤه و شهداؤه و زهاده و متصوفته وعلماؤه والمذنبون النادمون فينادى ذلك الشحاذ المظلوم رسول الله صلى عليه وسلم و يستغيثه فيسألنى رسول الله قائلا كنا قد سلمنا إليك شابا مسلما لتؤدبه خير تأديب على مبادئ شريعتنا الواضحة إلا انك لم تستطع ان تقوم بهذا العمل السهل لتجعل انسانا من طود ترابي فماذا سوف يكون جوابى لسيدى ومولاي رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك يا بنئ أن تتصور ذلك الجمع المحتشد وأن ترعى شرف لحيتى هذه البيضاء انظر إلى كيف تراني ارتعد خوفا و رجاء لا تظلم أباك الى هذا الحد الله ارجوك أن لا تخزينى بين يدى مولاى رسول الله صلى الله عليه وسلم انك زهرة من الحديقة المحمدية فعليك أن تكتمل حين تخرج من تلك الحديقة وعليك أن تتخذ اللون والرائحة من ربيع تلك الحديقة نفسها ولكى يفوح قلبك برائحة الأخلاق النبوية على صاحبها الصلاة والسلام"-

وكان والد إقبال يتبع مبادئ الكتاب والسنة في تربية ابنه فكان كلما منعه عن شئ أو أمره ان يعمل ذكر له اسنادا اما من كتاب الله او سنة رسوله فكان اقبال كلما سمع اية قرانية او حديثا نبويا من لسان ابيه وقف امامه ساكتا صامتا متخشعا لايظهر على وجهه- ما يدل على عدم الاهتمام بما يقوله له والده يحكى اقبال نفسه حين يحدثنا بأنه كان طالبا في بعض المعاهد التعليمية بمدينة سيالكوت وكان يشتغل بتلاوة القران كل صباح فكان والده يمربه منصرفا من صلاته و اوراده دون ان يلتفت إليه و ذات يوم مربه صباحا فقال له: يابنى عليك بقراءة القران إلا اننى سوف اقول لك ما يخص عملك هذا حين أجد وقتا لذلك فكان الولد يلح أبيه أن يخبره بما اراد الا ان الرجل كان يسوف عليه تشويقا له وفي صباح يوم مربه والده وهو يقرأ القران فجاء إليه فقال بلهجة مليئة بالشفقة والرحمة فقال- يابنى انما اردت ان اقول لك بان تقرأ القران كانه ينزل على قلبك اى كأن الله سبحانه وتعالى يخاطبك بما جاء في كتابه المقدس (٤١) ولعل اقبالاً يشير إلى ما حدث بينه وبين أبيه حيث يقول في شعره ما معناه:

"لا يستطيع الرازى أو الزمخشرى صاحب الكشاف لك عن أاسرار كتاب الله و معانيه إلا إذا نزل هذا الكتاب الكريم على قبلك و ضميرك"

ويضيف إقبال قائلا (٤٤):

"قال لى والدى يوما أننى قد انفقت الكثير من الجهد والمال في تربيتك وتعليمك وانا اريد منك تعويضا لما انفقت عليك فسألته بكل اهتمام واشتياق وما ذلك؟ فقال الوالد رحمته الله سأخبرك به في فرصة مناسبة حتى جاء يوم قال لى فيه: يابنى ان التعويض الذى اريده منك لما انفقته عليك هو أن تقوم بخدمة الاسلام وانتهى الامر ثم اكملت دراستي فعدت ناجحا في كل ما أردته من الدراسات وأخذت أشتغل بمهنتى في لاهور وبدأ ينتشر شعرى في كل ناحية وصوب وأخذ الناس ينشدون شعرى ونظمت (نشيد الإسلام للشباب) الى جانب المنظومات الشعرية الاخرى فكان الناس يستمعون إلى ما انشد لهم ويقرأون بما ينشر لى من الشعر واخذ الناس يتاثرون بما أقول وأشند حتى جاء يوم مرض فيه والدى ولم يمض أيام حتى توفي إلى رحمة الله فكنت اتيه من لاهور لاعوده واعرض أمره فسألته يوما هل حققت ما وعدت لك من خدمة الاسلام أم لا؟ فشهد وهو في مرض موته قائلا: انك قد عوضتنى عما كنت أنفقت عليك-"-

وقد ورددت وقائع من هذا القبيل في المجلد الثاني من كتاب "روزگار فقير" على لسان الشيخ إعجاز أحمد فمن بينهما ما يقال إن شقيقات اقبال كلهن كن قد قضين حياتهن الزواجية في قلق وعسرة واضطرب فلم تكن السيدة (فاطمة بى) على صلات طيبة مع زوجها وأما السيدة (طالع بي) فكانت قد توفيت ميعة شبابها- وأما السيدة كريم بي فكار زوجها قد تزوج عليها بامرأة اخرى وهذا ما جعلها تقضى أيام حياتها بين إخوتها وأما السيدة زينب بى فكانت قد تزوجت في اسرة من أهل مدينة وزيراباد إلا انها لم تنجب فطردتها ام زوجها من بيت الاصهار وكرهتما على أن تعود إلى بيت أبويها فعاشت معها لمدة مديدة تزوج زوجها بامرأة أخرى خلال هذه المدة ثم تزوج زوجها هذا مرة ثالثة بامر من امه التى كانت قد طردت السيدة زينب بي من بيت زوجها وأما زوجها فكان ابنا مطيعا لامه فلم يزل يأتمر بأمرها طول حياته وحين ماتت امه ازاد الزوج المسكين أن تعود اليه زوجته الاولى فبدأت المحاولات من أجل الصلح بينهما وانتهت هذه المحاولات بموافقة من قبل أبوى اقبال فجاء الزوج الى بيت ابوى اقبال بعد أن عرف رغبتها في الصلح ليأخذ معه زوجته السيدة زينب بى بالصدفة كان اقبال موجودا في بيت أبويه بمدينة سيالكوت في ذلك الوقت وعند ما علم أن زوج اخته قد جاء من أجل الصلح ويريد أن يأخذ معه زوجته غضب اقبال لذلك وحاول والده أن يقنعه

بالصلح إلا أن اقبالاً لم يزل يصر على عدم المصالحة حتى انه قال لمن جاء من أصهار أخته مع زوجها انه لايريد ان يرسل اخته معهم فعندما رأى والد اقبال انه لا يقتنع بالدلائل قال له في لهجته الخاصة اللينة- ان الله سبحانه وتعالى يابنى يقول في كتابه "والصلح خير" فبمجرد ان سمع اقبال هذا الحكم القرانى سكت وتغير وجهه ولون بشرته وكان يبدو كأن شخصا وضع كتلة من الثلج على النار الملتهبة وبعد لحظات سأله والده قائلا: ماذا ترى إذن؟ فقال اقبال وهو يرد على والده قائلا أنا لا أرى إلا ما يقوله القران الكريم فتم الصلح بين الزوجين وكان حقا خير صلح فقد اصبحت السيدة زينب بى ربة بيتها بصفتها الزوجة الاولى تقة إقبال في زوج اخته بعد الصلح حتى أنه كان يستشيره في شؤونه المنزلية ومشاكله الذاتية ويعمل بما يشير عليه وكان يقدر نصحه حق تقدير-

ويقول الشيخ اعجاز احمد بان عمته السيدة كريم بي حكت له مرة قائلة أن (ميان جي) اى حضرة الوالد يعرف الإسم الالهى الأعظم وانه قد علم أخانا اقبال فسأل الشيخ اعجاز احمد إقبال عن ذلك حين جاء من لاهور لزيارة سيالكوت وهو يقول:

"قد سمعت أن حضرةوالوالد قد علمك الاسم لاالهى الأعظم فرد عليه قائلا: عليك انه تسأل حضرته نفسه ذلك فسأل الشيخ اعجاز احمد حضرة الوالد عن الاسم الالهى الاعظم فقال له: إن مشاكل الانسان حلها هو الدعاء والتضرع إلى الله فالاسم الالهى الاعظم ليس إلا هذه الدعوات وأما قبول الدعوات عند الله فيجب عليك أن تتذخر دائما ان الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم دائما قبل الدعوات وبعدها مما يؤكد قبولها- فانه لا يوجد شئ اكبر وافضل من الصاة على النبى صلى الله عليه وسلم وهذا هو الاسم الالهى الاعظم الذى علمته اقبالاً وقال في مناسبة أخرى انه يجب الاكثار من ذكر الاسمين الالهيين وهما "الحى والقيوم" (٤٥)-

ومؤلف هذا الكتاب كان قد ادرك الشيخ نور محمد وقد بلغ شيخوخته وطعن في السن وكان بصره قد كف فكان يقضى وقته جالسا على السرير صامتا ساكتا في وحدة الغرفة وكان قد اخذ- يشعر بالوحدة حين ماتت ام إقبال قبل خمسة عشر او ستة عشر عاما ولم يستطع أن يتحمل صدمة وفاة السيدة أم اقبال إنه لم يكن شاعرا إلا انه قال يوما للشيخ اعجاز احمد تحت تأثير تلك الصدمة أن يزوده بالورى والقلم والدواة- فظن الشيخ اعجاز احمد انه يريد ان يملى رسالة الى اقبال فقال اكتب ما أملى عليك ثم ارسل الورقة الى عمك اقبال فاخذ حضرة

والد اقبال يفكر ثم أملى عليه الابيات الشعرية حتى بلغت اثنى عشر بيتا خلال جلستين او ثلاث جلسات وكان من بين هذه الابيات الشعرية هذا البيت الذى رواه الشيخ اعجاز احمد وأنشده لوالد اقبال:

"ان حياة الوحدة هذه في الشيخوخة نصف الموت فلا يوجد من يتحدث إلى
ولا من ابث إليه باسرار قلبى"

فارسلت الابيات الشعرية الى اقبال وبعد أيام طلب اقبال من خطاط ان يكتب منظومته التى قالها عن أمه وعنوانها "ذكرى امى المغفور لها" فبعث بها إلى حضرة الوالد وكان والد إقبال يطلع على دوادين اقبال الشعرية ويواظب على دراستها التى نشرت وهو حى (٤٦)-

وكذلك فان أم اقبال لها دور بارز في تربية ابنها فقد كانت تجيد الادارة والقيام بالشئون المنزلية والأسرية وكان اقبال يحبها حبا شديدا وقد كان وجودها في البيت مما يجذب اقبال الى سيالكوت وحين سافر ابنها سافر ابنها إلى اوربا للدراسات العليا كانت تجلس ساعات في انتظار الرسائل من ابنها وكان اقبال قد رثى امه حين توفيت وكان مما قال بهذه المناسبة:

١- سوف ازور قبرك مستغيثا سائلا من لى غيرك للدعوات الصالحة عند منتصف الليل؟

٢- وقد أصبحت بحكم تربيتك لى أضاهي النجوم حظا كما أن أسرة أجدادى نال الشرف والعزة بوجودك-

٣- ان حياتك صفحة ذهبية من كتاب الكون كما أن حياتك كلها كانت درسا للدين والدنيا-

وكذلك كان اقبال يحب شقيقه الاكبر الذى كان قد ساعده في المراحل المختلفة من تعليمه كان الشيخ عطا محمد طويل القامة قوى البنية ظاهر الهيبة وكان شديد الطبع مع صفاء القلب وكان يغضب وكان بسرعة وينتهى غضبه بنفس السرعة وكانت الوظيفة العسكرية تلائم طبعة وكان يلبس الملابس الاوربية دائما إلا انه كان يغطى رأسه بالعمامة السوداء التقليدية ويحمل في يده عصا دائما وكان أجود الملابس مهيبا بين اهله وهوالذى عناه اقبال في منظومته (**التجائے مسافر**) اى "رجاء المسافر"-

١- شقيقى ذلك يوسف الثاني الذى كان رأس المحبين المخلصين والذى كان يثلج صدرى ويحبى ضميرى بمشاعره الأخوية-

٢- إن حبه كان قد ألفى المغايرة والبعد بينى وبينه والذى كان يشفق بى ويحنو على وينفق لأعيش حياة رغيدة حتى صرت شابا يافعا-

٣- أمنى له أن يبقى زهرا باسما في حديقة الدهر ابدا وذلك لانه اعزالى واغلى من روحي وقلبى-

ومن هذه المنظومة ابيات تصور الهموم والحزان التى اصهيب بها الشيخ عطا محمد بموت أمه-

١- ان ذلك الشاب الذى يمثل شجرة السروفي قامته الطويلة والذٰ حطي بالقيام في خدمتك اكثر منى-

٢- وذلك كان زميلى في طريق الحياة وأعمالها ذلك الذى يمثل حبك لى والذى كان دائما يدى المساعدة-

٣- ان ذلك الشباب المسكين يبكى عليك كما يبكى طفل صغير انه لايعرف الصبر وانما يستمر في بكائه صباح مساء-

لاشك أن الابوين خير المعلمين لاولادهم لان الانسان يتعلم منهما ويكتسب شاهرا بذلك او غير شاعر به إلا أن آثار ذلك يبقى معه طول الحياة ولا يمحى أبدا- فهذه هى الوقائع التى تجعل الانسان يقول بأن البيئة التى عاش فيها إقبال و نشا و ترعرع كانت بيئة متدينة متواضعة يغمرها الحب والشفقة والتكريم والاحترام إن اقبال ان كان يعترف بالوجدانيات الصوفية ويضا كان قد مر ببعض التجارب الشخصية في ذلك الا ان الحقيقة الواقعية تبقى وهي انه كان قد واجه العديد من المشاكل النفسية حول التصوف من الناحية العلمية فيما بعد مما كان سببا في تغيير موقفه نحو التصوف-

على كل فان اقبالاً نجح في امتحان الشهادة المتوسطة سنة ١٨٩١م ورقي الى الصف التاسع من الثانوية وكان في الرابعة عشر او الخامسة عشر من عمره في ذلك الوقت الا ان السوال الذى يطرح نفسه الآن هو متى بدأ اقبال يقول الشعر وينظمه وليس لدينا ما يجعلنا نرد على السوال يثقة ويقين فقد كان يجب الشعر بطبيعته منذ الطفولة (٤٨) ولعله كان قد بدأ يعالج الشعر في هذه المرحلة الابتدائية من عمره فهذا (يكتا حقانى أمروهوى) يقول في كتابه (سيرة اقبال بأنه كان يميل بطبيعته إلى الشعر منذ الصغر فقد كان ينطق الجمل او الفقرات التي كانت توافق وزنا من اوزان البحور الحرو ثم اخذ ينظم القطعات الشعرية الصغيرة الغزلية ولم يكن يرى لها قيمة فكان يمزقها ويلقى بها ولكن كلما ازداد قربا من

الشيخ سيد مير حسن اخذ يزداد تحريك الشعر له نتيجة لما اكتسبه من حلقة الشيخ سيد مير حسن من الفيوض الادبية وكان الشيخ سيد مير حسن يقوم بدور الشاعر الاستاذ فيصلح من شعر اقبال (٤٨) وهذا ما يؤيده ابن الشيخ سيد مير حسن الاصغر وزميل إقبال في الدرس سيد زكى شاه الذى يقول بار والدى كان قد افاد في المرحلة الابتدائية من شعره الغزلى وذلك مما كان يكثر من ذكره (٤٩) إلا اننا نجد قول اقبال الذى ينفى ذلك حين يقول بانه لم يكن يجترئ على قرض الشعربين يدى الشيخ تكريما له وهيبة منه وقد يمكن أن الذوق الأدبى الذى اكتسبه اقبال من الشيخ سيد مير حسن كان ما اثار فيه الشعر ولعله ليس صحيحا بأن نقول بأن الشيخ سيد مير حسين هو الاستاذ الاول لاقبال فى فن الشعر و قرضه لانه اذا كان يرجع إلى الشيخ في المرحلة الابتدائية من حياته الشعرية فماذا جعله يتلمذ على الشاعر (داغ) ويرجوه أن يفيده في فن الشعر ويصلحه كما انه ليس لدينا ما يؤكد لنا بان الذى أشار على اقبال ان يتلمذ على داغ هو الشيخ سيد مير حسن-

وقد نجح إقبال في امتحان الثانوية سنة ١٨١٣م ونال الدرجة الاولى الى جانب الحصول على الوسام والمنحة المالية وغمره ست عشر سنة وكانت نتيجة الثانوية قد ظهرت في ٤/مايو ١٨٩٣م والتحق اقبال بكلية الارسالية الاسكاشية في ٥/مايو ١٨٩٣م حين بدأت الفصول الدراسية للمتوسط الثانوية في مدرسة الارسالية الاسكاشية والتى سميت فيما بعد بكلية الارسالية الاسكاشية فاسمتر اقبال يدرس بها بعد الثانوية في مرحلة المتوسط الثانوية-

وقد نشرت قصائد غزلية لاقبال في مجلة "اللسان" (رسالهٔ زبان) الصادرة من دلهى في عدد نوفمبر ١٨٩٣م والاعداد التى تلته (٥٠) وذلك مما يدل على أن اقبالاً كان قد اخذ ينظم القصائد الغزلية الجديدة وهو في السادسة عشر او السابعة عشر من عمره وحتى أن المجلات الصادرة من دلهى كانت تهتم بهذه القصائد الغزلية وله قصيدة غزلية في مجلة السان الصادرة من دلهى في عدد فبرائر ١٨٩٤م مقطعها ما معناه:

"كلما غضب علينا ذلك الحبيب أنشد له إقبال الابيات الشعرية لحضرة الشاعر "داغ" فأرضاه بها"

والسوال الآن متى كان اقبال التحق بحلقة التلاميذ للشاعر مرزا خان داغ (١٨٣١م- ١٩٠٥م) مجلة اللسان الصادرة من دلهى في عدد نوفمبر ١٨٩٣م قد جاء عن اقبال كما يصرح الاستاذ حميد احمد خاں تلميذ بلبل الهند حضرة داغ

الدهلوى (٥١) والقصيدة الغزلية التي جاءت في هذا العدد من المجلة هي اقدم القصائد الغزلية لاقبال التى تم اكتشافها إلى الان وعليه فمن الممكن ان نقول ان اقبالاً كان قد تتملذ على داغ وهو يدرس في السنة الاولى المتوسطة الثانوية و ترجمة اقبال الموجزة التى كان قد اعدها الشيخ فوق في ١٩٠٩م تنص على أن اقبالاً كان قد تتملذ على داغ وهو طالب في الثانوية المتوسطة (٥٢) ويقول (سرى رام) في كتابه بأن اقبالاً كان قد ارسل بعض القصائد الغزلية الى الميرزا ارشد الجورجاني ثم تتملذ على داغ بطريق المراسلة (٥٣) إلا ان ذلك ليس صحيحا ولذلك لان اقبالاً كان قد التقى بارشد الجورجاني لأول مرة في باب بهاتى لمدينة لاهور في مهرجان شعرى بعد سنة ١٨١٥م ويقول السير عبدالقادر في مقدمة "بانگ درا" اى (صوت الجرس) (٥٤):

"كان إقبال قد انطلق على لسانه كلام موزون وهو طالب بالمدرسة وكانت اللغة الأردوية قد اشتهرت وانتشرت في بنجاب حتى لم تعد قرية خالية عن اللغة وخبرائها وعن الشعر وشعرائه وكذلك كان الأمر بمدينة سيالكوت في عصر الشيخ محمد اقبال فكانهناك مهرجان شعرى وهو لايزال طالبا وكان اقبال يحضر هذا المهرجان الشعرى ويقدم فيه بعض القصائد الغزلية الغزلية احيانا وفي هذا العصر كان الأمير ميرزا خان داغ الدهلوى قد اشتهر صيته في كن مكان و خاصة لانه كان استاذا النظام الدكن (أى أمير الدكن) في فن الشعر فمن لم يستطع من الشعراء أن يحضر عنده حاول أن ينتمى إليه كتلميذ له بالمراسلة فكانت القصائد الغزلية ترسل إليه بالبريد فيصلحها ثم يرجعها إلى أصحابها وفى العصور القديمة لم يكن هناك بريد منظم فلم يكن من الممكن لشاعر من الشعراء ان يكون له هذا العدد الضخم من الشعراء التلاميذ له أما في عصر داغ الدهلوى فقد كان البريد منظما فتتلمذ عليه المئات من الشعراء حتى انه انشاء قسما خاصا لهذا الفرض ووظف فيها العديد من العمال فكان ممن تراسل معه الشيخ محمد اقبال وارسل بعض القصائد الغزلية مع رسالته وهكذا أيح لاقبال ان يتتلمذ على استاذ كان يعتبر شاعرأ فريدا في الغزل رغم هذه القصائد الغزلية الابتدائية لاقبال لم تكن تتصف بما امتازبه شعر اقبال فيما بعد- وقد ادرك حضرة الشاعر داغ بان هذا الطالب من مقاطعة نائية لاقليم بنجاب ليس شاعرا عاديا من شعراء ولم يمض كثير من الوقت حتى ابدا عن رأية في شعر اقبال بانه لايحتاج الى الكثير من الاصلاح فلم تستمر هذه السلسلة من المراسلة بينهما طويلا إلا أن كل واحد منهما لم يزل يذكر صاحبه وداغ هذا يحتل مكانة بارزة في الشعر الأرودى مما جعل إقبال يقدر هذه الصلة القصيرة به

وكان يعتز بها وكان اقبال قد حظى بالشهرة والتلقى في الأوساط الادبية وداغ لا يزال حيا فكان داغ يفتخر باقبال ويقول إنه من تلاميذه الذين قام باصلاح شعرتهم وقد التقيت به الصدفة في حيدراباد الدكن فسمعت من لسانه وهو يفتخر بذلك بين يدى"

وهذا البيان يدل على أن اقبالاً كان قد بدأ يقول القصائد الغزلية وهو طالب في الصف التاسع أو العاشر وكان يحضر المجالس الشعرية وكتب إلى داغ حين سمع بصيته وأرسل اليه قصائده الغزلية وتتملذ عليه وهو طالب في السنة الاولى من المتوسطة الثانوية وكان اقبال يراسل داغ ويرسل قضائده للاصلاح حتى نقل إلى لاهور وحتى في الأيام الابتدائية التى قضاها في لاهور (٥٥) ولم يتح لاقبال أن يرى داغ بعينى رأسه إلا انهكا يتمنى ذلك كما يظهر من بعض أبياته الشعرية ما معناه: (٥٦)

وذا كان بقي هذا الشوق إلى اللقاء والحصور بحضرة داغ فلابد ان نزور بلاد الدكن أيضا-

ثم انقطع ارسال الشعر اليه للاصلاح الا ان اقبالاً لم يزل يعتز بصلته مع داغ ويكرمه وتوجد اشارات في القصائد الغزلية التى قالها اقبال في خلال الايام الاولى من اقامته بلاهور مما يدل على هذه الصلة فهناك قصيدة غزليه نشرت في مجلة "شور محشر" اى "صراخ الحشر" (في عدد ديسمبر ١٨٩٦م في مقطعها ما معناه: (٥٧)

"ان الافتخار بداغ لا يقصر على الشاعرين نسيم و تشنة وانما قد رزق اقبال ايضا بحذا الافتخار وتتلمذ على هذا الشاعر المفلق"

وهناك قصيدة غزلية أخرى من هذا الطور نفسه ومقطعها ما معناه: (٥٨)

"ان هذا يرجع إلى الكرامة التى يملكها حضرة داغ حيث جعل الرجال من امثال اقبال يفهم الشعر و يقرضه في نفس الوقت"-

وقد اقيم مأتم شعبى وفاة وجاهت حسين جنجالوى في ١٨٩٨ش وقد ورد ذكر اقبال بهذه المناسبة كتلميذ لحضرة داغ وكان اقبال قد أرسل رسالة الى الشيخ احسن المارهرورى في ٢٨ فبرائر ١٨٩٩م وطلب اليه أن يزوده بصرة للشاعر داغ (٥٩) وقد ورد ذكر هذه الصلة في مرثية داغ التى نظمها اقبال عند وفاة داغ في ١٩٠٥م وتوجد هذه المنظومة في مجموعة "بانگ درا" لاقبال وكانت قد نشرت هذه المرثية في مجلة "مخزن" عدد ابريل ١٩٠٥م الخاص بذكر داغ مع بند شعرى أضيف إلى المنظومة بالاضافة إلى ذلك اقبال اقبالاً كان قد استخرج تاريخ وفاة

داغ بكلمة "نواب ميرزا داغ" (٦٠) وهكذا فقد عصر الصلة مع داغ قصيرا اجدا ويمكن تحديده ما بين ١٨٩٣م ١٨٩٦م على كل فان اقبالاً لم يزل يعترف بالتميذة على داغ طول حياته-

وقد احتفة الزمان ببعض الكتب المدرسية التى كان اقبال قد استفاد منها وهو طالب في المدرسة والكلية (٦١) ومن بينهما كتاب استفاد منه اقبال وهو في الصف التاسع ذكر في صفحة من صفحات هذا الكتاب المعلومات عن الحان الموسيقى وكتب تحتها ابياتا شعرية للشاعر (غالب) و (بيدل) و (ناسخ) و (واقف) وعلى صفحة اخرى من نفس الكتاب كتب الحان الموسيقى وهناك كتب استفاد منها وهو في الدرجة المتوساة كتب فيها اقبال اسمه الشعرى وما كتبه اقبال على هذه الصفحات يدل على الشئين أُحدشهما انه كان يلم الماما بفنا الموسيقى وألحانها كما انه كان يفهم الصلة بين الشعر والموسيقى والشئ الثانى از اقبالاً كان قد اختار "اقبال" تخلصا (اسما شعريا له) وهو طالب المتوسطة الثانوية في السنة الاولى-

وقد وصلت نتيجة الثانوية الى اقبال في ٤/مايو ١٨٩٣م وعلى رأسه ازهار الزواج وتحرك موكب الزواج من سيالكوت الى كجرات أو كاد وفي نفس اليوم تم زواجه في اسرة غنية كشميرية بمدينة كجرات وكان اسم زوجته كيم بي وكانت في التاسيعة عشر من عمرها بينما كان إقبال في السادسة عشر من عمره واما حمو اقبال الدكتور عطا محمد فقد كان طبيبا معروفا من اطباء الجراحة كانت كريم بي هي اكبر بناته اما والد اقبال الشيخ نور محمد فلم يكن يساوى الدكتور عطا محمد في الثراء والمال و مدينة سيالكوت و كجرات مدينتان قريبتان وعليه فيمكن القياس بأن هذا الزواج بين اقبال وكريم بي يمكن ان يكون قدتم على يد من كان يعرف الاسرتين من الكشميريين ورضي ابواه بهذا الزواج حسب التقاليد المتد اولة (٦٢) وفي هذا العصر لم يكن زواج الصفار يعتبر عيبا اذا كان بين أسرتين متناسبتين مكتافئتين وقد اشترك ابوا اقبال في زواجه هذا وعادوا بعروسه ويغمرها الحب والرغبة رغم ان بعض الرسائل لاقبال تدل علئ انه لم يكن يرغب في هذا الزواج أولم يعجبه على كل حال فان الانسان إذا كان لابد له ان يرعى تكريم الكبار واحترامهم في جو من الحب والحنان فلا يمكن لشاب يافع ان يعترض او يعارض الكبار-

وقد انجبت كريم بي ولدين لاقبال فولدت معراج بيكم في ١٨٩٦م وكانت

جميلة الوجه حسنة السيرة الا انها اصيبت بمرض سل الغدد الانفافية بالعنتق ولم ينفعها علاج أو دواء فماتب بمدينة سيالكوت وعمرها تسعة عشر عاما في ١٩١٥م فد فنت في مقبرة (الامام) على مقربة من قبرى جدها وجدتها (٦٣) ولكن الخواجا فيروز الدين المحامى يقول بانها كانت قد ماتت بمدينة كجرات وربما قد ذهبوا بجثمانها بعد الموت إلى سيالكوت حيث دفنت وهذا نى ما قاله (٦٤):

"وكانت زوجة الدكتور (اقبال) قد ذهبت بالولدين إلى كجرات حيث مرضت البنت وكان الدكتور بهتم بالغ الاهتمام بان يكون زوجته والولدان معه ليقوم بعلاج الطفلة وكان يعتقد اقبال ان ابنته هذه ذكية للغاية وبامكانه أن يقنع أمها ولكنى اظن ان حلم اقبال هذا لم يتحقق وماتت البنت وهي في كجرات"

وقد ولد آفتاب اقبال ابن الشيخ محمد اقبال في ١٨٦٨م (٦٥) اما السيدة كريم بى هذه فقد تقفيت بعد وفاة اقبال بثمانى سنوات في ١٩٦٤م بمدينة كجرات في بيت ابويها ودفنت هناك-

وقد نجى إقبال في امتحان المتوسطة الثانوية في الدرجة الاولى من كلية الارسالية الاسكاشية في ١٨٩٥م ثم خرج متوجها الى لاهور للمزيد من التعليم وذلك لأن فصول التخرج لم تكن قد بدأت في كلية الارسالية الاسكاشية ولم تكن عرفت بكلية (مر) كما عفت بهذا الاسم فيما بعد- وكذلك كان لابد لاقبال ان يترك الجوا الضيق لمدينة سيالكوت و ينتقل الى جولاهور الواسع ليتقدم اقبال في مواهبه الفكرية والعلمية-

واذا تناولنا مدة ثمانية عشر عاما التى قضاها اقبال بمدينة سيالكوت اذا معنا النظر فيها لادركنا انه لم يكن من الممكن ان يتقدم اقبال فكريا وترزهر مواهبه في الجو الضيق المحدود فقد كلن داخل منزله لا يستطيع ان يتحدث احتراما لابويه ثم لم يكن في الاسرة من يكتسب لتكاليفها ونفقاتها غير الشيخ عطا محمد وكان الشيخ نور محمد قد رك عمله بمحلة التجارى تقريبا واذا كان قد استمر فانه لم يكن يستطيع ان يكتسب اكتسابا كافيا يعول به نفسه وأهله ومن ثم كان اقبال في حاجة إلى مساعدة الشيخ عطا محمد ليستمر في دراساته ولولا مساعدات الشيخ عطا محمد المالية لاقبال لا نقطع تعليمه ودراساته أما من ناحية العلمية والمعنوية فكان اقبال تحت تاثير استاذه الشيخ سيد مير حسن وشخصيته القوية- واما فى فن الشعر فقد اختار الشاعر داغ ت تتلمذ عليه وكان يرجع اليه في تقويم شعره ويقلده في نظم الشعر ومن ثم لم يكن اقبال قد تمكن من الثقة بنفسه في مجال العلم والشعر فقد كانت الاقدار قد بذرت البذور من الموهبة الشعرية في اقبال

النهر الخالد

وكانت قد تلقت قليلا من الرى والقي الا انها لم يزدهر ولم تتقوم بعد-

الفصل الخامس

في الكلية الحكومية بلاهور

وذات يوم من شهر سبتمبر ١٨٩٥م عند الظهر نزل شاب احمر اللون ابيضه متناسب القامة والسجم في مجلة لاهور للقطار وكان قد لبس طقما ابيض من السروال والقميص يعلوه صدرة قصيرة وعلى رأسه طربوش- ان ذلك الشاب النيق لم يكن غير اقبال وكان صديقه من سكان لاهور واسمه (جلاب دين) قد وصل الى المحظة ليستقبله فتعانها الصديقان ثم ركبا عربة الحصان يقصدان بيتا داخل جدران لاهور القديمة عند باب من ابوابها الكثيرة الذى يسميه عامة الناس باب (بهاتي) ثم التحق اقبال بفصول البكالوريوس للكلية الحكومية بلاهور ثم تحول الى دار اقامتها الطلاب في غرفة رقم واحد بعد ان كان قد قضى بضعة ايام في بيت صديقه جلاب دين واستمر اقبال نازلا في هذه الغرفة طوال اقامته التى امتدت الى اربعة أعوام بمدينة لاهور (١) ويحدثنا (المستر جبريت) (٢) ان عدد الطلاب في ذلك الوقت بالكلية الحكومية لم يكن يتجاوز مائتى طالب تقريبا ومن ثم كان من السهل للطلاب ان يتعارف بعضهم على بعض الى جانب الصلات المباشرة القريبة بينهم وبين اساتذتهم وأمام مبنى الكلية الحكومية قطعة ارضية متهدمة منخفضة تسمى الآن بميدان (أووال) وكانت هذه الحديقة النحل قد اتخذت قفرانها فكانت هذه القطعة الارضية او الحديقة الغناء مأوى للطلاب والنحل معا في الظهيرة الطويلة بفصل الصيف فقد كان الطلاب يفرشون حصائرهم على المخضرة في ظلال الاشجار فيجلسون عليها او يستريحون فيقرأون ساعات وكانت النحل تطن طنينا فور رؤسهم وكانت شجرة قديمة من شجرتى البنغال في واجهة برج الكلية الصغير نحو الشمال وكان الطلاب يجلسون على دكة كبيرة من الخشب عند ساق الشجرة ويتجاذبون الوان الحديث لساعات وكانت الحياة بالكلية بسيطة جدا ولم تكن توجد الجمعيات والمجالس واجتماعاتها الاسبوعية أو الشهرية أو السنوية في ذلك الوقت وكانت الفرص متاحة متوفرة للساتذه والطلاب للتعارف فيما بينهم عقد واللقاءات الكثيرة المتنوعة وهكذا كان الطلاب البارعون معروفين بين اساتذتهم فكانوا يستفيدون منهم حق الاستفادة ويتأثرون بهم كذلك-

ولم يكن من الصعب على اقبال ايجاد صلات الصداقة بينه وبين الكثيرين من طلاب الكلية اذ كان يعرف البعض منهم قبل ان يلتحق بها فمنهم الشودرى

جلال دين من اهل قرية دسكة من محافظة سيالكوت والذى كان قد التحق بالكلية الحكومية بلاهور بعد أن اكمل دراسة الثانوية المتوسطة في سيالكوت فقد كان يسكن في دارالاقامة للكلية وكان يميل إلى الشعر و قرضه وكان هذا الذوق الشعرى نتيجة لما تأثر في حلقة الشيخ سيد مير حسن وكان اقبال قد التقى به (غلام بيك نيرنگ) بواسطة الشودرى جلال دين هذا حين كان اقبال نازلا في منزل السيد (جلاب دين) ولم يلتحق بعد بدار القامة للكلية- الا ان نيرنك وجلال الدين كانا قد سبقا اقبالاً في نزولهما بدار الاقامة للكلية (٣)-

وفي مساء يوم رافق نيرنك الشودرى جلال دين فذهبا الى داخل مدينة لاهور القديمة فلاح لهما اقبال مقبلا اليهما عند باب (بهاتي) فخاطب الشودرى نيرنك وهو يعرف به اقبالاً قائلا هذا هو الشيخ محمد اقبال الشاعر الذى سبق وقد ذكرته لك-

واخذت غرفة اقبال في دارالاقامة تصبح مقرا للأصدقائه ومجالس الشعر شيئا فشيئا ويقول نيرنك عن هذه اللقاءات الطلابية والمجالس في دارالقامة: (٤)

"وقد اتيح لي ان اكثر الزيارة لاقبال وأجتمع معه حين التحق بدار الاقامة للكلية وكان اقبال يسكن وحده في غرفة مستقلة ولذك لانه كان يعتبر من الطلاب الاقدمين في الكلية لدرجة التخرج الا ان الطلاب جميعهم سواء في ذلك الاقدمون والاحدثون يأكلون في مطعم واحد ولم يكن يوجد اى امتياز او فرق بين الطلاب من ناحية الاكل غير ان طلاب المسلمين كان يخصهم مطعم مستقل كما انه الهنادكة والسيخ كان لهم مطعم مستقل وكان اقبال قد نزل في غرفة مستقلة عند النهاية الجنوبية من الجناح الغربي للطابق الاول من دارالاقامة كما اننى كنت نازلا في الجناح الشرقي في عرفة يشاركني فيها طالب آخر فكان بيننا (انا واقبال)- كان (بعد المشرقين) الا اننا كنا نقضي جميع أوقاتنا معا غير مواعيد الكلية وكان يخرج سريره من غرفته ويضعه امام غرفتنا في المساء في فصل الصيف حين كان ينتهي من القراءة والمطالعة وكان اقبال يميل بطبيعته الى شيء من "القطبية" (اى التمركز) منذ ذلك الوقت وكان يستحق ان يسمى "فطبا" لانه لم يكن يبرح مكانه ولا يتحرك- انا وجميع اصدقاء اقبال النازلون بدار الاقامة للكلية كنا نجتمع في غرفة اقبال فكان هو رئيسنا في الجلسة هناك- وكان الغليون قد اصبح جليسا ونديما له منذ ذلك- ولم يكن يغطي راسه بشيء وكان يلبس صدرة دون القميص وكان وكان ازراره يصل الى عقبيه وهذا كان هو زيه في الصيف وكان يضيف إلى هذا الزى بطانية في فصل الشتاء ويستمر يدخن الغليون ويتجاذب الوان الحديث- وكان يميل بطبيعته الى المزاح الفكاهة فكان

يردف الكلمات إلى الكلمات من المزاح في كل مناسبة- وكانت هناك نقاشات أدبية ايضا فكان البعض منا يقول الشعر والبعض الاخر ينشده ولم يكن احد منا قد لاحظ أو اكتشف في اقبال ما يجعل منه شاعرا نه الطراز الجيد وانما كان يبدو شاعرا من المستوى العام في البداية ومن الممكن أن أقول اذا سمهتم لي بذلك بانه لم يكن يرجع هذا إلى انظارنا القاصرة وانما الحقيقة الواقعية انه لم يكن يوجد في اقبال ما وجد فيه فيما بعد من الشعرية انه يجب ان اقول بهذه المناسبة بان اقبالاً كان يكثر من تقديم مشروع أدبى لزملائه خلال هذه اللقاءات التى استمرت لثلاث سنوات فكان يقول وهو يذكر منظومتى "الفردوس المفقود" و "الفردوس المستعاد" للشاعر الانجليزى (ملتون) بانه سوف ينظم وقعة كربلاء بطريقة قد تكون ردا على الشاعر الانجليزى الا انه لم يستطع ان يحقق هذا المشروع وبامكاني ان اضيف الى ذلك باننا كنا نتناقش اصلاح الشعر الاردوى والنهوض به واصباغه بصبغة شعرية غربية"

وكان اقبال يزور أجد قائه فينزل عندهم خلال قامته بدار الاقامة فمثلا كان والد الشيخ صلاح الدين احمد والشيخ ضياء الدين احمد يسكن في منزل في زقاق هنومان لجى (سيد متا) على مقربة من سوف (جمتى بلاهور)- وكان ضياء الدين احمد و نيرنك يرغبان في الرياضة البدينية فكانا يتصارعان في ميدان كان يقع في ناحية المنزل وكذلك فان اقبالاً كان يرغب احيانا في المصارعة فيستعد لذلك وينزل في الميدان ويصارع نيرنك (٥)-

واما المواد الدراسية التي كان اختارها اقبال في درجة التخرج فهي الفلسفة واللغة العربية الى جانب اللغة الانجليزية ورغم ان اقبالاً كان طالبا في الكلية الحكومية الا انه كان يحضر في الفصول الدراسة لدرجة البكالوريوس للكلية الشرقية وكانت الكلية الشرقية في ذلك الوقت تحتل جناحا من اجنحة مبنى الكلية الحكومية في ذلك الوقت على ما ذكره الدكتور غلام حسين ذوالفقار فكان اساتذة الكليتين يتعاونون فيما بينهم في تدريس بعض المواد الدراسية فكان اقبال يحضر في الفصول الدراسية للغة الانجليزية والفلسفة لطالب للكلية الحكومية أما اللغة العربية وادابها فكان يدرسها اقبا كطالب للكلية الشرقية وكان من بين الاساتذة القائمين بعمل التدريس في الكلية الحكومية والكلية الشرقية الشيخ فيض الحسن السهار نفورى والشيخ محمد حسين آزاد والشيخ محمد دين (٦)-

وقد نجح في امتحان التخرج في سنة ١٨٩٧م بدرجة الامتياز باللغة العربية والانجليزية ونال بعض الأوسمة وقد جاء في تقويم جامعة بنجاب لسنة ١٩٠٦م

بان اقبال كان قد نجح في امتحان التخرج في الدرجة الثانية (٧) ويذكر عظيم حسين في كتابه عن سيرة والده باللغة الانجليزية وعنوانه (فضل حسين) بان عدد الطلاب الذين اشتركوا في امتحان التخرج في سنة ١٨٩٧م كانوا ١٠٥ ظالب نال منهم اربعة الدرجة الاولى- اما اقبال وزميله (فضل حسين) فكانا قد نالا الدرجة الثانية وكان اقبال تفوق الطلاب حسين المسلمين في هذا الامتحان كما ان فضل حسين تلاه في الدرجة الثانية (٨)-

وكان اقبال يميل بطبيعته الى الفلسفة ومن ثم التحق بما جستير الفلسفة وكان في ذلك الوقت الاستاذ (بيل) يدرس العلوم الفسلفية في درجة التخرج والذى كان قد عين مفتشا للمدارس فترك وظفيفة بالكلية الحكومية في ١٨٩٦م فحل محله الاستاذ (دلنجر) بالاضافة الى عمله استاذا للتاريخ ثم جاء الاستاذ (اوشر) استاذا للفلسفة بالكلية الحكومية وهو الذى استقال في ١٨٩٨م فحل محله الاستاذ (آرنولد) (٩)-

ويحدثنا (جيرت) بان الاستاذ (آرنولد) تولى منصب استاذ الفلسفة في ١١/فبرائر ١٨٩٨م (١٠) وكان قد استقال عن وظيفة في كلية عليكره الاسلامية قبل أن يوظف استاذا للفلسفة بالكلية الحكومية وكان السير سيد يكرمه ويقدر جمهوده كثيرا وكان يبنه وبين الشيخ شبلي النعماني صداقة عميقة فهذا هو الاستاذ آرنولد الذى اثار الذوق الفلسفي عند اقبال بما كان يملك من الشفقة والارشاد لتلاميزه وقد تاثر الاستاذ آرنولد باقبال ومواهبه كثيرا حتى اخذ بتعامل معه تعامل الاصدقاء ويحدثنا السير عبد القادر بان الستاذ ارنولد كان ضليعا في الطرق الجديدة للبحث والتحقيق فاورث تلميذه ماكان يملك من الموهبة والكفاءة وان الصداقة والحب المتبادل بين الاستاذ وتلميذه كان سبب افي ذهاب التلميذ وراء استاذه الى انكلترا (١١) فكان الاستاذ ارنولد يكثر من ذكر اقبال ويثنى عليه بين يدرى أصدقائه ويقول لهم بأن التلاميذ من أمثاله يجعلون من الاستاذ باحثا ومن الباحث اكبر الباحثين (١٢) ودخل اقبال الامتحان لماجيتير الفلسفة في ١٨٩٩م وينص تقويم جامعة بنجاب لسنة ١٩٠٦م على ان اقبالاً كان قد فاز في الدرجة الثالثة من هذا الامتحان الا انه كان وحيدا في هذا الامتحان للجامعة كلها ما جعله يتفوق ويستحق الوسام الذهبى الخاص بهذا الامتحان (١٣)-

وكان اقبال قد أخذ يحضر في الفصول الدراسية لمدرسة الحقوق في ١٨٩٨م الى جانب الفصول لدراسية من ماجستير الفلسفة الا ان اقبالاً رسب في مادة

الفقة للمتحان الاول من الحقوق الذى عقد في ديسمبر ١٨٩٨م وفي ديسمبر ١٩٠٠م تقدم اقبال بطلب استأذن فيه دخول الامتحان كطالب منتسب إلا انه طلبه رفض (١٤)- وهذا ما جعلى اقبال يرغب عن امتحان الحقوق لهذه الجامعة وتحققت امنيته هذه في لندن-

وكان الاستاذ ارنولد قد سافر الى انكلترا بعد ان استقال عن الوظيفة في ١٩٠٤م فنظم اقبال منظومة توديعية بهذه المناسبة وعنوانها "آهة الفراق" ذكر فيها رغبه في العلم والتى كانت نتيجة لما انفقه من الوقت استاذه الفاضل الموهوب ومن بين أبياتها ما معناه:

١- اين انت ايها الكليم الصاعد إلى ذروة السيناء للعلوم فان شخصك قد كان سببا للنشاط العلمى بين تلاميذه-

٢- أنى لنا ذلك التشوق للسفر في طريق العلوم الواسعة البعيدة، اننا كنار راغبيين في العلم بوجودك انت ونود أن نتقدم فيه مهما كلفنا ذلك-

ان التذوق العملمى الذى كان قد اثاره الاستاذ ارنولد في نفس اقبال والذى كان قد اصبح عطشا خالدا لا يرتوى والحب الذى كان قد عقد بين قلبيهما كان سببا السفر اقبال إلى انكلتر اوفي تلك المنظومة ففي تلك المنظومة نفسها يذخر اقبال ما عزم عليه من سفره الى انكلترا ومن ذلك بيت معناه: ان الجهد الجبار سوف يحل عقدة القدر يوما فأستطيع أن اكر القيود التى تمنعنى من مغادرة بنجاب-

على كل فليس من المناسب ان نهمل الحقيقة التى تدل على ان اقبالاً كان قد عرف شخصية الاستاذ ارنولد وادرك حدودها حى الادراك رغم هذه الصلات الودية العميقة فهذا سيد نصير نيازى يحدثنا بان اقبالاً كان قد سمع نعي استاذ، السيد ارنولد في ١٩٣٠م فقال مستبرا باكيا بان اقبال قد حرم اليوم من الستاذا رصديقه في نفس الوقت وهذا ما جعل سيد نيازى يذكر مكانة الاستاذ اردوية بين المستشرقين وحبه للاسلام فقال اقبال مندهشا متعجبا: وما صلة ارنولد بالسلام فلا يخدعنك كتابه "الدعوة الاسلامية" وغيره من المؤلفات لان ارنولد كان وفيا الارض انكلترا فكان قد طلب منى وانا في انكلترا ان اعلق على تاريخ الاداب الايرانية للاستاذ براؤن فرفضت ذلك تلاننى كنت اعرف ان المؤلفات من هذا النوع انما تهدف الى مصالح انكلترا وحدها فان هذا الكتاب لم يكن إلا محاولة تهدف الى اثارة القومية الايرانية وكان الفرض منه الضربة القاضية على الامة الاسلامية وتمزيق وحدتها والواقع ان الفرد في الغرب انما يعيش من اجل بلاده

وحدها وان القومية او الوطنية تقتضي بان الشعب والبلد اسمان لشيء واحد وهذه المصلحة تفضل على المصالح الشخصية في الغرب فهذا ارنولد لم يكن يهمه الاسلام أو المسيحية وانما يجب ان ناخذ ذلك بعين الاعتبار السياسى لان ارنولد واضرابه من المستشرقين يتخذون طريقا في مجال العلم والفن يحقق الماصلح الاستعمارية والامبرياليه فيجب علينا ان نعتبر هؤلاء المستشرقين اداة وايدى مساعدة للامبرياليين والاستعماريين في سياستهم-(١٥)-

ويحدثنا الشيخ احمد دين المحامي (١٦) بأنه كانت توجد جميعة شعرية في سوق الحكماء داخل باب (بهاتي) قبل ان يأتي اقبال الى لاهور وكانت هذه الجمعية تعقد جلساتها الأدبية في منزل الحكيم امين الدين وكان امين الدين هذا ينتمى الى اسرة الحكماء التى عرفت باسمها هذه السوق فقيل (سوق حكيمان) اى "سوق الحكماء" وكان الحكيم شجاع الدين قد أسس هذه الجمعية الشعرية في ١٨٩٠م (١٧) فكانت جلساتها الأدبية مهرجاناتها الشعرية تعقد في منزل الحكيم امين الدين في بداية الأمر إلا ان الحكيم شجاع الدين كان قد توفي في ١٨٩٦م فنقلت هذه الجلسات والمهرجانات إلى دارالامير غلام محبوب سبحاني خلف الشيخ امام الدين و الى كشمير سابقا- وكان الحكيم شجاع الدين يترأس الجلسات وهو حي وكان من أبرز الشخصيات الشعرية في مجالس الشعر الميرزا ارشد الجورجاني الدهلوى- والمير ناظر حسين ناظم اللكنوى وكانا ينظمان الشعر ويقدمانه في الجلسات كما ان تلاميذهما والمعجبين بهما كانوا يشاركون في الجلسات ويساهمون في المنافسات الشعرية وكان العدد الضخم من الناس ينجذب الى هذه الجلسات الى جانب الشباب من طلاب الكلية الذين كانوا ينجذبون اليها القرض الشهر والرغبة فيه والفهم له فكان الناس يشجعون هؤلاء الشباب كما ان الشباب بدورهم كانوا يشجعون الناس و يستحسنون الجلسات الشعرية-

ولم يحضر اقبال في مهرجان شعرى بلاهور الا ان بعض الزملاء له كانوا قد اصرو عليه فذهبوا به الى مجلس الشعر في منزل الحكيم امين الدين وكان ذلك في نوفمبر ١٨٩٥م (١٨) وكان ارشد الجورجاني موجودا في مجلس الشعر كالمعتاد وكان قد حضر خصيصا من اجل ذلك (فيروز بور) كما ان المير ناظر حسين ايضا كان موجودا الى جانب عدد كبير من تلاميذهما وجماعة المتفرجين ولعل اقبالاً قد انشد قصيدته الغزلية لأول مرة في مدينة لاهور (١٩) وحين انشد بيته ما معناه:

"كانت قطرات الندم والتوبة على جبيني، فاعجبت ربي الكريم فاعتبرها اللآلي واقتناها"

مما جعل ارشد يحبذ هذا البيت ويستحسنه ويشجع صاحبه وينظر اليه بعين الحب والتقدير وكان المقطع لهذه الغزلية التي انشدها اقبال بهذه المناسبة مما يعبر عن رأيا في الخلافات اللغوية التى كانت توجد بين مدرستمي الدلهي ولكنو اللغويتين وهذا مقطع القصيدة ما معناه:

"لا يهم اقبالاً مدرسة لكنؤ اللغوية ومدرسة دلهي اللغوية، انما نحن عبيد للشعر المجعد للحبيب! "

ولقد كان الشاعران الشيخان (حالى) و (آزاد) قد اثارا الذوق الشعرى في اهل لاهور واما ارشد الجورجاني هذا فقد كان شاعرا بارزا الى جانب نقده للشعر وكان يختلف كثير الى لاهور وكان قد اختار الاقامة بلاهور لمدة لابأس بها- وهذ القصيدة الغزلية لاقبال التى مربنا مقطعها يدل على ان اقبالاً كان قد احسن في بداية الامر بحاجة إلى التحرر من القيود التى فمرضتها المدرستان الشعريتان لمدينتى دلهى ولكنؤ- وكان يرى بانه لابدله ان يبتكر له اسلوبا شعريا خاصا ويهد له طريقا بديعاني الشعر- على كل فان اقبالاً كان قد بدأ يحضر في جلسات الجمعية الشعرية هذه واخذ اهل لاور المتذوقين للشعر والاداب يقبلون على (اقبال) اقبالاً كثيرا-

وفي السنة المقبلة اى ١٨٩٦م جاء الشيخ محمد دين فوق من قرية (غرتل) من محافظة سيالكوت يبحث عن وظيفة لنفسه في لاهور فسمع بصيت الجمعية الشعرية في سوق الحكماء (سوق حكيمان) داخل باب (بهاتي) (٢٠) فرآى اقبالاً في مجلس الشعر في ذلك المساء فأنشد الشيخ فوق تصقيدته الغزلية وثم اللقاء بينه وبين اقبال- وتأسس الود والصداقة بينهما وقد استمرت هذه الصادقة مدى الحياة- ام الشيخ فوق فقد اشتهر كأديب ومؤرخ وصحفي بدل أن يشتهر شاعرا إلا انه لم يكن الشيخ فوق قد أصدر جريدة "بنجه فولاد" اى "اليد الفولادية" والمجلة الكشميرية و "اخبار كشمير" (خلال مدة التى قضاها طالبا بالكلية الحكومية ولكن الشيخ فوق كان قد بدأ هو واقبال يحضراب في جلسات الجمعية الكشميرية الاسلامية والقطعات الشعرية التى كان اقبال قد نظمها عن كشمير في الطور الاول من شعره كانت قد عرضت في جلسات هذه الجمعية ثم نشرت في الجرائد والمجلات التى أصدرها الشيخ فوق فيما بعد (٢١)-

ويزكر السير عبدالقدر بأنه كان قد رأى اقبال مرة أو مرتين في بعض

الجلسات الشعرية في لاهور قبل ١٩٠١م لسنتين أو اكثر حيث كان قد رافق اقبال بعض زملائه في الدرس وانه كان قد رجاه ان ينشد له قصيدة غزلية له ولم يكن اهل لاهور قد تعرفوا على اقبال حينذاك وكانت القصيدة وكانت بالسلوب بسيط ولم يكن البحر صعبا ايضا الا ان شعرة كان يمتاز بالبداهة والبهاء وقد اعجبت الكثيرين من الناس (٢٢) وهذا الذى ذكره السير عبدالقادر على انه كان قد عرف اقبالاً في ١٨٩٨م او ١٨٩٩م قبل ان يصدر مجلته (مخزن) بسنتين او ثلاث تقريبا وقد فصل القول عن هذا اللقاء مع اقبال فيما بعد في مقاله له عن الطور الاول لشعر اقبال (٢٣):

فقد كنت أرقب نجمة اقبال وهي تطل من مطلعها كما اننى كنت جليس اقبال وزميله في الشعر في بعض المراحل الابتدائية من تقدمه في الشعر وبامكاني ان اقدم بعض الصور عن ذلك الطور الاول فقد كانت تعقد حفلة شعرية في منزل الحكيم امين الدين بسوق الحكماء داخل مدينة لاهور- وذات ليلة شارك في تلك الحفلة الشعرية طالب شاب يوافق بعض أترابه وكان قد انشد غزلا بسيطا ومقطعه ما معناه: (إن اقبال لا يعرف قرض الشهر الا انك ما دمت تصر ان تسميه شاعرا فلا بأس أن تسميه شاعرا)- "

وكانت هذه الكلمات قد صدرت بدون تكلف او تصنع وكانت قد انشدت باسلوب غير متكلف وبذلك كان قد ادرك اصحاب الشعر بان نجمة جديدة قد بدأت تطل من افق الشعر الاردوى وكان في هذه القصيدة الغزلية بيت اخر غير هذا البيت المذكور وكان قد اعجب الناس كثيرا فاستحسنوه وطلبوا من اقبال ان يحضر في الجلسه الشعرية القادمة- والبيت الذى كان في تلك القصيدة ما معناه:

هذه فكرة جميلة جاءت لاقبال بانه سوف يضطرب في القفس فانه ان لم يكن طائرا حرا داخل الحديقة فكفى له ان تضطرب اجنحته في هذا القفس!

ويحدثنا السير عبدالقادر ان اقبالاً كان يلبس القميص والسروال والصدرة وكان قد تجاوز حدود الصبا ودخل في حدود الشباب في ذلك الوقت إن لونه الوضاو و جسمه المترعوع كانا قد اضافا إلى شخصيته جمالا الى جمال--- ان مجرد النظر إلى وجهه الوقو كان يوكد بأنه ليس شخصا عاديا (٢٤)-

وهكذا أخذ عدد المستمعين يزداد في الجلسات الشعرية يوما فيوما ثم بدأت هذه الجلسات الشعرية تعقد تحت رياسة الامير غلام محبوب سبحاني في المكان الذى يقع فيه فندق على رأس سوق انارکلى في هذه الأيام وانشئت جمعية أدبية

لتنظيم هذه الجلسات الشعرية وكان يتراشها (مدن جوبال) المحامى وكان سيكرتيرها (خان احمد حسين خان) وكان من بين أعضائها البارزين (لاله هركشن لعل) و (ميان شاه دين) وغيرهما من الرجال البارزين أما روح المحركة لهذه الجمعية فقد كان هو (خان احمد حيسن خان) رئيس تحرير (شباب ارود) و بعد أيام نشأ تشاجر شاعرى بين اعضائها فانفصل الجناح اللكنوى من الجمعية واختار لنفسه اسم المجلس القيمصرى وكان راسه المدبر هو (ناظر حسين ناظم) وكانت له حلقة واسعة من التلاميذ والاصدقاء فكان (خان احمد حسين خان) يصدر مجلة "شور محشر" اى "صراخ الحشر" وكان ناظم يصدر مجلة "سخن" اى "الشعر" كانت هاتان المجلتان الشريتان تهتمان القصائد الغزلية التى كانت تطرح لها المصاريع الشعرية فيقلدها الشعراء وينظمون الشعر على ذلك المنوال- اما اقبال فكان يشارك في الجلسات الشعرية التى كانت تعقد تحت رياسه الأمير غلام محبوب سبحاني- فكان ينشد قصائدة الغزلية على ذلك المنوال الخاص- وكانوا قد طرحوا هذا المصراع الخاص لبعض الجلسات الشعرية لهذه الجمعية ما معناه:

"ان لي صدرا مشرقا تطلع منه شمس الفراق"، فانشد اقبال قصيدته الغزلية التى افتخر في مقطعها بتلمذه على الشاعر (داغ) ما معناه:

لا يفتخر بذلك الشاعران (نسيم) و (تشنة) وحدما يا إقبال، لانك انت ايضا تفتخر بكونك تلميذا للشاعر (داغ) المفلق-

وكان اقبال قد انشد منظومته "هماله" (همالايا) في بعض الجلسات لهذه الجمعية وكانت الجمعية تحرج على نشر المنظومات الى جانب القصائد الغزلية ويحدثنا السير عبدالقادر بان منظومة اقبال هذه كانت نظمت باسلوب ولون جديد وكانت المنظومة تحمل الافكار الغربية الى جانب التعبيرات الفارسية كما انها كانت تحمل كثيرا من معانى الحب للوطن وعلى هذا يمكن ان نقول بان اقبالاً كان قد ابتكر اسلوبا شعريا جديدا في بعض الجلسات لهذا الجمعية في ١٨٩٨م او ١٨٩٩م (٢٥)-

ويحدثنا الشيخ أحمد دين بان منزل الحكيم امين الدين الذى كان مقر الجلسات الشعرية للجمعية كان يواجه منزلا صغيرا لصاحبه الحكيم (شهباز الدين) وكان هو ابن عم الحكيم امين الدين وكان الحكيم شهباز الدين هذا رجلا نحيفا نحيلا جدا الا أن قبله كان يزخر دائما بالعواطف الاسلامية من الاخوة والحب- وكان يهتم بضيوفه وخدمتهم اهتماما بالغا كما انه كان انسانا جبل على خلق من السخاء والتضحية وهذه الاخلاق كانت قد جعلت من منزله ناديا يحضر: اهل

الذوق الأدبي من المدينة وكان اقبال قد اشتهر بهذه الجلسات الشعرية ولم يمض كثير من الوقت حتى كان اقبال في حلقة الحكيم شهباز الدين و جمعيته ولم يمض أيام حتى كان اقبال قد اصبح عضوا لهذه الجميعة وكان اعضاء هذه الجمعية قد اصبحوا من اخلص اصدقاء اقبال وهم الذين كانوا قد اقنعوا اقبالاً ان ينظم قصيدة شعرية يقدمها في الاجتماع السنوى "لجمعية حماية السلام" في ١٩٠٠م-

ويتضح من هذه التفاصيل بان العديد من الجمعيات اللاهورية حاولت أن تجذب اقبالاً اليها من ١٨٩٥م الى ١٨٩٩م وتعرف اقبال على طبقة خاصة من المتذوقين للشعر والادب بمدينة لاهور- فكان اقبال ينظم القصائد الغزلية على الطراز القديم فيقدمها في الجلسات الشعرية للجمعية الشعرية في ناحية وفي ناحية اخرى كان ينظم المنظومات المبتكرة على اسلوب جديد فيقدمها في اجتماعات الجميعة الادبية كما أنه كان على صلة بالجمعية الكشميرية الاسلامية بلاهور- وكانت هذه الجمعية قد انشئت في ١٨٩٦م بمدينة لاهور على ايدى كبار الرجال من الكشميريين الا انها اوقفت نشاطها في ١٨٩٧م ثم جددت نشاطها في ١٩٠١م وكان اقبال يحضر في اجراءاتها بكل جدّ ونشاط وينشد فيها ماكان ينظمه من الشعر المثير (٢٧) ثم اشترك في الجلسات الكبيرة لجمعية حماية الاسلام تحت تاثير مباشر لاصدقاء الحكيم شهباز الدين فاشتهر كشاعر كبير في الاوساط الشعبية الوطنية-

وكان اقبال ينشد شعره في هذه الاجتماعات بدون أن يغني بها إلا انه كان يملك صوتا جميلا مثيرا للغاية ومن ثم أشار عليه بعض أصدقائه واصروا عليه ان يغني لما كان يلقيها من القصائد الشعرية- فهذا السير عبدالقادر يحدثنا في مقال له و عنوانه "سور الا لم" (٢٨) به

> "كان اقبال يحب الموسيقى كما انه كان يرغب في الشعر ولم يتح له ان يتعمق في فن الموسيقى الا ان سامعته كانت تعرف الحان الموسيقى فكان يتمع بالغناء كما يتمتع به الخبير بفن الموسيقى- وكان الله قد وهبه صوتا جميلا رائعا ومن ثم كان يغنى بشعره بين أصدقائه في بعض الأحيان مما كان يضيف إلى الشعر جمالا إلى جمال ومتعة الى متعة وكان يختار لحنا مناسبا بكل بحر خاص مما كان يوثر في نفوس السامعين تاثيرا سحريا- وكانت تغلب عليه حال الا لم حين كان يغنى بشعره ولم يكن بد للسامعين الا ان يتاثروا بما كانوا يسمعون من الشعر بصوت مثير و عند ما اخذ يشارك في الجلسات الكبيرة والاجتماعات القومية كان ينشد شعره بدون الغناء الا ان الناس عرفوا اخيرا بانه يملك صوتا جميلا

فكان الناس يطلبون إليه ان يغنى بشعره فكان ينزل عند ارادة اصد قائد دائما فاشتهر اقبال بذلك حتى انه كان كلما بدأ ينشد شعره ألح عليه الناس ان يغنى به وكان كثير ما يغنى بعره في الاجتماعات السنوية لجميعة حماية الاسلام- فكان عند ما بدأ يغنى بشعره اقبال و يتبعونه في الحانه التى كان يختارها فكان كل واحد منهم يغنى بالشعر باسلوب اقبال ولحنه (والخواجا دل محمد، ايم، اے) والذى كان يدرس العلوم الرياضية بالكلية الاسلامية حينذاك والذى اكتسب شهرة كشاعر كان طالبا في ذلك الوقت وكان يعتبر مقلدا ناجحا لصوت اقبال واسلوبه الغنائى- وكان الميرزا ارشد الجوجاني احمد اعضاء الاسرة الملكية المشهورين بمدينة دلهي حيا في ذلك الوقت وكان يدرس اللغة الفارسية في مدرسة حكومية بمدينة فيروز بور وهو الاخر الذى كان ينشد قصائده في الاجتماعات السنوية للجمعية وكان الناس يحبون قصائده وكان الميرزا ينشد شعره دائما بدون الغناء فراى شعبية اقبال تزداد يوما فيوما فاحس بأن صوت اقبال الحلو هو الذى قد طار بشعره فاشار الى ذلك في بيت من قصيدة نظمها ما معناه:

(ان العقائد المنظومة لاقبال قد جعلت من كل شخص مطربا مغنيا) ولقد كان صحيحا بان اقبال كان قد حبب الى الناس الغناء والترنم الا ان شعبية اقبال كانت ترجع الى اسباب اخرى كانت توجد في شعره في ذلك الوقت وازدادت ورسخت في شعره فيما بعد"-

وقد مربنا بان اقبالاً جكان جميل الصوت منذ طفولته وكان قد تعلم التجويد وكان يقرأ القران بصوت جميل وقد استمر يقرأ القران بالتجويد و بصوته الجميل الى اخر اللحظا وكان يشترى القصص المنظومة فيأتي بها الى المنزل ويقرأها بصرت جميل امام نساء الدار وتعلم الحان الموسيقى عند ما كبر وليد لدينا ما يؤكد لنا بأنه كان قد تعلم من الموسيقى من استاذ من استاتذتها الا نه كان جميل الصوت كان ويلم بفن الموسيقى وكان شاعرا بالطبع ومن ثم لم يكن الصعب عليه ان يختار نغمة مناسبة لبحر من البحور- على كل حال فكان اقبال قد تعلم كيف يغني بشعره حين ينشده وهو في لاهور حتى تدوق هذه الطريقة في انشاد الشعر- لاشك ان هذا يرجع كثيرا إلى ما أصر عليه اخلص ادقائه الذين كانوا يقدرون شعرا رصينا كما انهم كانوا ملمين الما ملصحيحا بفن الموسيقى فكانوا يهتمون بعقد الجلسات والحفلات لهذا الغرض ولعل اقبال كان قد اشترى قيثارة ذات ثلاثة اوتار في هذا الطور من حياته واخذ يتعلم اعزفها- وكان يتمرن عليها واستمر يرغب في ذلك إلى مدة وكان قد أعطى قيثارته هذه لبعض اصدقائه من الهنادكة

قبل ان يسافر الى اوربا في ١٩٠٥م الا نه كان قد احتفظ بالمضراب كذكرى لايامه تلك وقد رأى مولف هذا الكتاب ذلك المضراب بين الأشياء التى تركها اقبال بعد وفاته الا انه اختفى فلم يعثر عليه-

وكان من معتاد اقبال انه كان يقضي الاجازات الصيفية والعطلات الاخرى عند ابوبه وبين اهله في سيالكوت حين طالبا بالكلية الحكومية وليس لدينا ما يؤكد لنا ان اقبالاً كان يحضر في جلسات النوادى الادبية بمدينة سيالكوت في ذلك الوقت ولعله كان يقضي معظم أواته خلال الاجازات بين اسرته واصد قائه او في حلقة شيخه سيد مير حسن واما عن صور اقبال التى حصلنا عليها حتى الان فاقدمها هي التى صورت في ١٨٩٩م حين كان اقبال في السنة الأكيرة من ما جستير الفلسفة وقد بدا اقبال في هذه الصورة لا بسا عباء سوداء طويلة وعلى راسه طربوش وله شوارب غثه بنية اللون وعلى عينيه نظارة-

وكان اقبال قد دخل ميدان الشعر كشاعر القصيدة الغزلية التقليدية واذا درسنا ما قاله من القصائد الغزلية وهو طالب من ١٨٩٣م الى ١٨٩٩م نرى انه كان يقول القصائد الغزلية على اسلوب استاذه "داغ" ولكننا نجد بين حين وآن بعض الابيات الشعرية الغزلية التى يمتازبها شعر اقبال اما داغ فقد كان شاعر الحب المجازى واما اقبال فقد قال القصائد الغزلية كأنه راى ان يقول القصائد الغزلية حتى ولو انه لم يجرب الحب وهذا الاسلوب الشعرى قد رضه اقبال نفسه فيما بعد ويحدثنا عبدالحكيم الخليفة في ذلك قائلا: (٢٩)

> "وتوجد القصائد الغزلية في ديوان "صوت الجرس" لاقبال التى تذكرنا بهذا الطور البدائى ونجد في قصائده هذه وهو يتمرن على الاسلوب الشعرى الذى كان يتبعه "داغ" حتى ان الموضوعات الشعرية هي هي، ونراه يصيغ الابيات الشعرية على منوال "داغ" ايضا ولكننا رغم هذا كله نجد في هذه القصائد التقليدية من طور التميرين الشعرى بعض الملامح البارزة من اسلوب اقبال الذى كان لابده من ان يتلألأ على الافق الادبى كالشمس فى كبد السماء- و نستطيع ان نسمى هذا الطور من شعر اقبال الصبح الكاذب لشعره ذلك الذى كان تمهيداً لطلوع الشمس المشرقة من شعر اقبال"-

ومن الخصائص الشعرية لهذا الطور الشعرى ان اقبالاً كان قد تركز على شخصيتيه تاركا ما حوله من الظروف رغم ان رغبته في الفلسفة ودراستها قد انتجت البعض من لآلى الحكمة في الشعر الغزلى التقليدى الا ان هذا التفكير الفلسفى كان سببا لبعض المشاكل الفكرية المغلقة فيما بعد وهذا اقبال نفسه

يحدثنا عن ذلك في ١٩١٠م (٣٠):

"ولابد ان اعترف بانني قد استفدت كثيرا من هيجل وجوئتے والميرزا غالب و عبدالقادر بيدل ووليام ورد زورث- اما هيجل وجوئتے فقد ساعدانى في الوصول الى باطن الاشياء وحقائقها واما بيدل وغالب فقد علماني أن يبقى عندى روح الشرق في اساليب التعبير رغم اكتساب الكثير من الاساليب والقيم للشعر الغربي واما ورد زورث فهو الذى كان قد انقذنى من الالحاد حين كنت طالبا"

وهذه الكلمات توضح لنا جليا بان اقبالاً كان يهوم في البحث عن الحقيقة وهو طالب وكانت موهبته تفوده في ذلك وقد كان ذلك التضارب الفكرى من النوع الخاص الخاص بالذاتية والباطن لان اقبالاً في طوره هذا لم يكن ليؤمن بشئ ويعترف بصدقه على رأى غيره وحده- اما الحالة المؤقتة التى واجهها إقبال من الالحاد فلعل ذلك كانت نتيجة بدراسته لفلسفة هيجل فهذا الشيخ ابوالحسن على الهجويرى يقول في كتابه "كشف المحجوب" بان الالحاد او الدهرية نوع من الحجاب وهذا الحجاب عنده قسمان- اما القسم الاول منه فهو حجاب لا يزوال كأن من هذا النوع قد ختم على قلبه فهذه هي الدهرية المستقلة او الالحاد الجامد فهو مرض عتيق لادواه له والقسم الثاني من الحجاب هو يسميه الشيخ بحجاب الحق وهذا القسم من الالحاد ينشاء من التشكيك وينتهي إمى الايمان وان المحلد من هذا القسم يحاول ويهوم بضعة ايام مستمرة ويمضي يفرق بين الخير والشر ويعرف الحق بالقوى الداخلية وهذا القسم من الالحاد او الدهرية انما هي مرحلة مؤقتة في سير التطور لاى عقل باحث متجس (٣١)- والسوال الذى يطرح نفسه الان هو ان اقبالاً كان قد نشاء في جو اسلامي تقليدى وقد بدأ يتعلم في نظام دينى من التعليم فلما ذا وكيف تأثر بالشاعر ورد زورث؟ ان ذوق البحث والتحقيق عند اقبال يدل على انه كان متبرما بيئة التقلدية الضيقة وكانت دراسة الفلسفة الاوربية هي التى تورطت به في الوحل الفكرى- ذلك الوحل الفكرى الذى كان قد تورطت في الفلسفة الاوربية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر اذن فليس من العجب ان يعثر الفكر الباحث والقلب الشاعر على جواب مقنع عن ضعف الفلسفة الاوربية ووهنها بدراسة الشاعر وردز ورث- وانما ذلك يدل على القلب السليم الذى لم يضل الطريق رغم تاثره بالفكر المادى العصرى في ذلك الوقت-

ان تطور الفن الشعرى عند اقبال في هنده المرحلة القصيرة من حياته كانت

قصيرة جدا فان البعض من هذه القصائد الغزلية متينة من ناحية الاسلوب الى جانب عبق المعاني والافكار ولا شك ان هذه القصائد الغزلية يشوبها ما يسمى بالعشق المجازى عند المتصوفة إلا ان الشعر الصوفي الفلسفي يغلب على الغزلى التقليدى ويرفعه الى العلى من ناحية المعاني والافكار واسلوبه بتقدم نحو الابداع والابتكار ونجد ابيات شعرية تعبير عن فكرة الغناء التقليدية عند المتصوفة تحت التأثير المباشر للفلسفة الوجودية و يبدو كأن التشخص الفردى للنفس عند اقبال انما هو شئ كاذب أووهم من الاودهام والذى يتلاشى تلقائيا عند ما يتجلى الحق فلايبقى الا الحقيقة الازلية وهو الله وحده سبحانه تعالى وفي هذا الطور من الحياة كان اقبال قد أسس السياسية في ضوء الفلسفة الوجودية ثم قال القصائد والمنظومات في الموضوعات الوطنية والقومية-

وكان اقبال قد دخل مجالا شعريا من الاسلوب الجديد وهو طالب فترك الغزل التقليدى اقبل على المنظومات الشعرية وكان ذلك تحت التأثير المباشر للشعر الغربي ان المدنية الجديدة التى دخلت شبه القارة مع الانجليز كانت قد أثر في الاداب الاردوية فساهمت في نشر القيم الجديدة بين شعرائها وادباعها وكان الشعر الجديد قد بدأ تظهر طلائعه خلال حركة عليكره الفكرية والسياسية- وذلك في اختيار الموضوعات الشعرية على منوال الغربيين وان الشيخ حالى وشبلى وازاد لم يكونوا يعرفون اللغة الانجليزية، الا انهم كانوا قد أعرضوا عن الاسلوب الشعرى التقليدى و تأثروا باساليب الشعرية الحديثة وكانت هذه الاثار الجديدة سائدة في اوساط الكلية الحكومية بلاهور و اقبال طالب فيها فكانت امامه النناذج الجيدة من الشعر الانجليزى بالاضافة الى الشعر الاردوى والفارسي اما الشعر الاردوى والفارسي فكان ينقضه الشعر القومي والوطنى إلا ان هذه المشاعر والافكار كانت موجودة في الشعر الانجليزى- ومن ثم كان التأثير الغربى قد غير مجرى اقبال الشعرى ولا يزال في المرحلة الابتدائية وكان قد ترجم اقبال العديد من المنظومات الشعرية الانجليزية الى جانب المنظومات الشعرية التى لم تكن مترجمة إلا انها كانت غريبة الاسلوب والمعنى-

وقد كان الشيخ حالى هو الذى أسس الشعر الوطني تحت التأثير المعاصر الا ان الشعر القومي في تلك المرحلة من حياة المسلمين انما كان رثاء شعبيا وليس شعرا قوميا ومن ثم نجد هذا الرثاء الشعبى في شعر اقبال حين دخل مجال الشعر القومي على اصرار من بعض أصدقائه-

على كل حال فان اقبالاً كان قد نشر العديد من القصائد الغزلية وهو لا يزال طالبا في بعض المجلات منها مجلة "اللسان" و "صراخ الحشر" و غيرهما وكانت شهرة اقبال مقصورة على من كا يحضر في تلك الجلسات الشعرية للجمعية الشعرية والواقع ان اقبالاً لم يكن شاعرا من شعراء المهرجانات لشعرية ومن ثم اعرض اقبال عن الحضور في هذه الجلسات الشعرية بعد ان انهى دراسته بالكلية والجامعة- ويتضح من دراسة شعر اقبال وهو طالب انه كان يجمع الاضداد في شخصيته وفي فنه الشعرى فلم تزل الحياة عنده لغزا ولم يستطع ان يصل إلى شيء من اليقين والنضج الفكرى وانما كانت فكرته الشعرية عقليته معملا لنقد القوة والضعف في الافكار والنظريات والمشاعر وقد امتدت هذه الفكرة والعقلية الى مدى لا بأس به-

---

الفصل السادس

في مجال التدريس والبحث

كان اقبال قد عين أستاذا في وظيفة (مدرس ميكلود العربي) بالكلية الشرقية براتب شهرى قدره ثلاث و سبعون روبية تقريبا في ١٣/مايو ١٨٩٩م بعد ان انتهى من امتحان الماجستير (١)- وفي هذه السنة نفسها كان الاستاذ ارنولد ايضا قد عين قائما باعمال عميد الكلية الشرقية و براتب شهرى قدره مالتان وخمسون روبية- وقد استمر اقبال يعمل في وظيفة مدرس ميكلود العربي اربع سنوات تقريبا اى الى مايو/ ١٩٠١م وفي اثناء ذلك اخذ اجازة ستة اشهر بدون راتب في اول يناير ١٩٠٣م فعمل استاذا مساعدا اللغة الانجليزية بالكلية الحكومية (٢) وفي هذه السنة نفسها اى سنة ١٩٠١م وكان اقبال قد نجح في امتحان المنافسة لوظيفة (المحافظا لمساعد الاضافي) الا ان لجنة طيبة اعلنت عن عدم كفاءته لتلك الوظيفة من وجهة النظر الطيبة اذا كانت عينه اليمنى ضعبة البصر (٣)-

واما عين إقبال اليمنى فكانت ضعيفة البصر منذ الطفولة ولعل ذلك كان هو السبب الذى جعل إقبال يستعمل النظارة وهو طالب بالكلية- وقد حكى اقبال شخصيا بأن عينه هذه كانت قد ضعفت وهو في الثانية من عمره ومن ثم لم يكن يتذكر أن عينه هذه كانت سليمة صحيحة في يوم من الايام- وكان يرى الأطباء ان العين اليمنى كان بصرها قد ضعف بسبب الدم الذى استنزف منها- وكانت ام اقبال قد اخبرت ابنها بأن امه كان قد استخرج بواسطة العلق وهو صغير-

ثم بين الاستاذ ارنولد قائما باعمال عميد الكلية الشرقية مرة ثانية في ١٩٠٢م وذلك ان عميدها الكندى الجنسية السيد (ستراتن) كان قد مات في مدينة جلمرج بكشمير- وكان اقبال على صلات طيبة بالسيد ستراتن فلعله كان سببا جعل اقبالاً يفكر في اسفر الى كندا او أمريكا للدراسات العليا وحاول الاتصال بالجامعات الاميركة ليعرف قواعد القبول والاتحقاق بها ال أن حلمه هذا الم يتحقق (٥)- واخيرا استطاع الاستاذ ارنولد ان يقنع اقبالاً بالسفر الى انكلترا والمانيا للدراسات العليا وقد استمر الاستاذ اوندل يعمل قائما باعملا عميد الكلية الشرقية حتى ابريل ١٩٠٣م ثم رجع الى الكلية الحكومية وترك الاستاذ ارنولد الوظيفة بالكلية الحكومية في ٢٦/فبرائر ١٩٠٤م وسافى الى انكلترا وكان اقبال يعمل كمدرس ميكلود العربي بالكلية الشرقية وكان يدرس التاريخ والاقتصاد

والفلسفة للفصول المتوسطة الثانوية وفصل التخرج للعلوم الشرقية وكان اقبال يدرس ثمانية عشر حصة في كل اسبوع- وكانت الحصة الواحدة عبارة عن خمسين دقيقة فكانت له ست حصص لفصول التخرج فى العلوم الشرقية وكان يدرسها التاريخ والاقتصاد وكانت له اثنتا عشرة حصه السنتين في الثانوية المتوسطة وكان يدرسها الفلسفة- بالاضافة الى التدريس فقد أعد اقبال تراجم بعض الكتب والف العديد من الكتب خلال اربع سنوات هذه والكتب هي: (٦)

١- نظرية التوحيد المطلق للشيخ عبدالكريم الجيلى باللغة الانجليزية

٢- البلانتا نيجيون الاوائل (الاسرة المالكة البريطانية القديمة) للسيد اسطبس لخصة وترجمه الى الاردوية-

٣- الاقتصاد السياسي للسيد واكر، لخصه وترجمه الى الاردوية

٤- علم الاقتصاد-

اما الكتاب الأول فقد كان بحثا علميا باللغة الانجليزية عن كتاب "الانسان الكامل" للجيلى (٧)- وأما الكتاب الثاني فهو عن تاريخ انكلترا الابتدائى منذ عهد "هنرى" الثانى ورتشارد الثالث- واما الكتاب الثالث فهو عن المبادئ الاقتصادية لسيد واكر واما الكتاب الرابع فهو من مؤلفات اقبال الاصلية-

واما علم الاقتصاد فهو أول كتاب من مؤلفات إقبال نشر باللغة الأردوية وقد عثر على نسخة من الكتاب في مكتبة إقبال الشخصية الا أنه لا يحمل تاريخ الطبع ولكننا قد وجدنا ما كتبه اقبال بخط يده على غلاف الكتاب بانه كان قد اهدى إلى السير (كشن برشاد) رئيس وزراء حيدراباد الدكن وكتب اقبال اسمه كمولف للكتاب (س،م، اقبال المحامي بلاهور) وتحت التوقيع تاريخ وهو ٣١/مارس ١٩١٠م ولعل اقبال كان قد أراد أن يهدى الكتاب الى (السير كشن برشاد) ولكنه لم يبعث له أو انه كان قد بعث به إليه ثم استعاده ليحتفة به في مكتبه- على كل حال فقد جاء اسم المؤلف على غلاف الكتاب (الشيخ محمد اقبال ايم، اے) الاستاذ المساعد بكلية لاهور الحكومية وقد طبع الكتاب في مطبعة (خادم التعليم ستيم بريس لجريدة بيسه اخبار لاهور) وتحت اشراف المنشئ محمد عبدالعزيز المدير- وقد عنونه اقبال باسم السير بيل مدير التعليم لاقليم بنجاب والذى كان استاذا للفلسفة بكلية الشرقية قبل الاستاذ ارنولد وهو أستاذا أيضا (٨) وانتهت مدة الوظيفة كمدرس ميكلود العربي باكلية الشرقية فعين اقبال استاذا مساعدا للكلية الحكومية في يونيو ١٩٠٣م وقد طبع هذا الكتاب في ١٩٠٤م-(٩)

وقد صرح اقبال في مقدمه الكتاب بأنه ليست ترجمة لكتاب انجليزى خاص وانما أخذ المعلومات واقتبسها من الكتب الشهرة الوثوق بها كما ان اقبالاً ابدى عن رأية الخاص في المشاكل الاقتصادية في بعض الاحيان وذلك حين واثقا متاكدا عن صحة رأية- وفي القدمة يشكر اقبال استاذح الكبير الاستاذ ارنولد الذى شجعه على تأليف هذا الكتاب وكان اقبال قد استفاد من مكتبتبى (استاذ لاله جيا رام) و (ميان فضل حين) كما ان الشيخ شبلى النعمانى) كان قد راجع بعض فصول الكتاب ويقول اقبال معرفا بعلم الافتصاد و مشيرا إلى اهميته:

"ان علم الاقتصاد يبحث عم التعامل الانساني العاى في الحياة ويهدف إلى البحث عن دخل الناس واكتسابهم ثم انفاذ ذلك واستخذ امه فمن هذه الناحية موضوع هذا العلم هو المال ومن ناحية ثانية هو قسم من ذلك العلم الوسيع الذى موضوعه الانسان نفسه- ومن الشئون المعترف بها بأن مشاغل الانسان العادية توثر في حياته واطواره واوضاعه تأثيرا كبيرا حتى أن القوى العقلية للانسان إيضا لا تسلم من تأثيره- ولا شك في ان مبدأ الدين كان قوة موثرة للغاية في السيل المتدفق من التاريخ الانساني و كذلك فقد تحقق مما نجربه ونشاهده في حياتنا اليومية بان مشكلة اكتساب الرزق لم تزل ترافعه الانسان دائما ولا تزال تؤثر في ظاهر الانسان وباطنه- ويكون سيرته في شئ من الهدؤ والخلفاء فلو فكرنا قليلا في الفقر أو في حوائج الحياة التى قد لا تتحقق تحققا كاملا كيف يتأثر بذلك الانسان وسيرته- ان الفقر يؤثر المواهب الانسانية تأثيرا سيئا حتى انها تكدر المرآة الصافية من الروح الانسانية في بعض الاحيان فلا يبقى له أى اثر في الخلق والحضارة فيعود وجوده وعدمه سواء- وكان المعلم الاول اى ارسطو الفيلسوف يرى بان العبودية عنصر حيوى لاقامة الحضارة البشرية- الا أن الدين والتعليم المعاصر قد اهتما بحرية الانسان الفطرية واخذت الشعوب المتقدمة تشعر شيئا فشيئا أن هذا الامتياز البدائي في المراتب ليس شيئا حيويا لاقامة الحضارة البشرية وانما هو سبب الفساد والتغيير ويؤثر في الحياة البشرية تأثيرا سيئا من جميع النواحى والجوانب- وهكذا طرح السوال نفسه في عصرنا هل الفقر عنصر حيوى للنظام العالمى افلا يمكن ان يتحرر كل فرد من الام الفقر والافلاس- افلا يمكن انه تنتهى الاصوات المولمة التى ترتفع من ازقة المجتمع وأحيائه بين حين وآن وهل يمكن ان تنتهى المشاهد الاليمه المهيبة من الافلاس التى تهز النفوس الرحمية فلا يوجد لها أى أثر فوق الأرض- وعلم الاقتصاد لا يرد على ذلك ردا شافيا لان الجواب مقصود على الكفاءات الخلقية الفطرية للانسان إلى جد بعيد واصحاب هذا العلم خبراؤه لا يملكون وسيلة تقودهم

إلى معرفة هذه الكفاءة والمواهب إلا أن الرد يقصر الى جد كبير على الوقائع ونتائجها التى تتصل بعلم الاقتصاد والبحث فيه- ومن ثم هذا هو العلم الذى يهم الانسان للغاية وان دراساته تعتبر من حوائج الحياة تقريبا وخاصة لابد لاهل الهند ان يدرسوا هذا العلم ويتعمقوا في نائحة لان الفقر قد انتشر في هذه البلاد انتشارا واسعا- ان بلادنا تتعرف شيئا عن الاسباب الحضارية والعيوب النحلماعية التى يجب الاطلاع عليها لانها دواء شافٍ لخير الشعب و صالحه- ويحدثنا التاريخ البشرى بان الشعوب التى أهملت ظروفها الحضارية وشوونها الاقتصادية قد لاقت مصيرا مؤلما في النهاية- وعليه فاذا أراد اهل الهند أن يحيا اسمهم في سجل الشعوب فيجب عليهم ان يعرفوا مبادئ هذا العلم الهامة- وان يعرفوا الاسباب الى تمنعهم وتقف في سبيل التقدم الوطني وان غرضي من هذه الصحفات انما هو ان ابسط مبادى هذا العلم المهمة وأوضحا وان أناقش الظروف التى تسهل تطبيق هذه المبادى فيها- فاذا اتيح لشخص واحد ان يستفيد من هذه الصفحات وان يفكر في هذه المعلومات فانى اكون قد نجحت فيما قصدت اليه وحينئذ لن يضيع ما انفقت من مواهبي الفكرية والعقلية في اعداد هذه الصفحات"

واما الموضوعات التى يتناولها الكتاب في أبوابه المختلفة فهى ماهية علم الاقتصاد وطرق البحث فيه و ايجاد الثروة (اى الارض والجهد ورأس المال وصلاحية شعب من ناحية اكتساب والثروة) وتبادل الثروة (مشكلة المقادير والتجارة بين الشعوب وماهية النقود مقدارها حق الضرب قيمة النقد الورقي و ماهيته) المساهمون في ايجاد الثروة واكتسابها (الضرائب سهم المرابى أو الربا- الآجر صاحب المصنع ونيبه وفوائده- اجور العمال والتنافس غير الكلامل وتأثيره في حالة الصانعين- نصيب الدولة او الضرائب) السكان السبب الاقتصادى ونشأة الحوائج الجديدة وانفاق الثروة و صرفها)

ولم ير اقبال من المناسب ان يطبع الكتاب طبعة ثانية وذلك نظرا إلى النظريات الاقصادية المنظورة (١٠) إلا ان الكتاب له جوانب تمثل اراء اقبال في المشاكل الاقتصادية فمثلا يقول اقبال عن تنظيم الأسرة وتخطيطها (١١):

"ان دراسة الاوضاع الراهنة في اغلب الدول في العالم تدل على ان عدد السكان لبنى آدم فوق الكرة الارضية سوف يتضاعف خلال ربع قرن من السنوات القادمة- وذا كان هذه هي الأوضاع فعلى سكان الدول التى يتزاعد عد سكانها بدون أى تحديد فعلى اهلها أن يخططوا ويهتموا بمصير بلادهم ويتخذوا الوسائل اللازمة لتحديد السكان- ان مقدرة الانسان على التوالد

والتناسل اذا لم تحدد بعمل اختيارى أو باسباب غير اختيارية مثل الجدب والاوبئة والحرب فان عددها المتزايد قد يقود الى دمار بنى ادم والقضاء عليهم- ورغم وجود هذه الاسباب نرى عدد كبيرا من بنى ادم يعانون من الفقر المتزايد كل يوم- ذلك الفقر الذى يكرههم على قتراف الجوائم والاثام التى يخجل منها ويندم عليها الضمير الانساني- فان الفقر هو مصدر الجرائم كلها فلوتم القضاء على هذه المصيبة التى لا علاج لها ولا دواء فمن المسكن ان تتحول دنيانا هذه الى جنة الفردوس ونظرا إلى الاوضاع الراهنة فان التخلص من براثن الآفة الرهبية ليس إلا في تحديد السكان لتضمين الوسائل الاقتصادية الحالية لبقاء النسل البشرى فعليه فمن واجنبا ان نتخذ الوسائل التى في حدود امكاننا والتى تساعدنا في تحديد السكان لتكون هذه الاسباب الكسبية عونا للاسباب الطبيعية ويمكن بذلك تحديد السكان وتحرر البشرية من آلام الفقر لتعيش حياة هادئة مطمئنة رغيدة فماذا تقتضى الأوضاع الراهنة في الهند المعاصرة؟ إن بلادنا ينقصها الوسائل والموارد وعدد السكان في تزايد مستمر ان الطبيعة تعالج هذا التزايد بالجذب الوباء ولكن يجب علينا أيضا ان تتحرر من الزواج المبكر وتعدد الزوجات والعمل بقوانين العدد الازدواجي كما يجب علينا ان ننفق ما اكتسبناه بالحكمة والنظر في العواقب والمصير ويجب علينا ان نهتم بالصناعة والمهن حتى نضيف الى مقادير الأجور ونفكر في مصير شعبنا بالنظر العميق في شئوننا الاجتماعية حتى نتخلص من مصير الفقر الرهيب المؤلم ونتقدم في مجال الثقافة والمدنية إلى اصى مدارجها فبذلك يمكن فلاحنا الحقيقي ونجاحنا الأصلي- ولا يذهب بكم الظن مما قلنا بأننا نريد أن نمنع بني آدم من التمتع بالزواج وغيره وانما غرضنا من هذا أن نحدد التوالد وحتى يكون لنا العدد الأقل من الأولاد إلى أقل حد ممكن ولذك لان النوقان إلى النكاح إنما هو مما تقتضيه الجبلة والطبيعة البشرية وان الضفط على ذلك قد يضر الانسان من ناحية صحيحة وعليه فان مصلحة الانسان في ضؤ علم الاقتصاد أن يجتنب ارضاء شهواته الحيوانية إلى ما وسع له ذلك وان يحدد من توليد الأطفال إلى ما أمكن له ذلك أيضا ويمكن تحقيق هذا الغرض الزواج المأاخر أو بعبارة أخرى بتحديد النسل والضغط على شهوات الانسان النفسانية"-

وكان اقبال يدرس في الكليتين أى الكلية الشرقية والكلية الحكومية فى وقت واحد- وكان قد عين أستاذا مساعدا مؤقتا للغة الانجليزية بالكلية الحكومية في مكان الاستاذ (لاله جيا رام) في ٤/يناير ١٩٠١م (١٢)

وكانت صلة الارتباط بين اقبال وجمعية حماية الاسلام قد بدأت منذ

١٨٩٩م وكان السير عبدالقدر يدرس الانجليزية بالكلية الاسلامية في ذلك الوقت وكان لا بدله من أن يأخذ إجازة من عمله فحل محله اقبال بالكلية الاسلامية حيث كان يدرس اللغة الانجليزية وآدابها (١٣) ثم عين في نفس الوظيفة بالكلية الحكومية وتسلم عمله في ١٦/اكتوبر ١٩٠٢م واستمر يعمل كذلك إلى ٣١/مارس ١٩٠٣م وكان راتبه الشهرى مائتى روبية- وحين انتهت مدة توظيفه بالكلية الشرقية كمدرس ميكلود العربي عين استاذا مساعدا للانجليزية في الكلية الحكومية مرة أخرى فتسلم بها عمله في ٣/يونيو ١٩٠٣م وكانت مدة توظيفه إلى ٣٠/سبتمبر ١٩٠٣م (١٤) إلا أن هذه المدة مددت لستة أشهر أخرى أى إلى ٣١/مارس ١٩٠٤م(١٥) وحين انتهت هذه المدة أضيف تمديد آخر لستة أشهر أخرى وأخذ يدرس الفلسفة- وكان راتبه الشهرى مائتين وخمسين روبية ولم يزل يخيتل هذه الوظيفة حتى حان سفره إلى اوربا للدراسات العليا فاخذ اجازة ثلاث سنوات بدون راتب منذ أول اكتوبر ١٩٠٥م (١٦)-

إن الأعمال التى اشتغل بها إقبال في مجال البحث والتدريس كانت متنوعة من ناحية الموضوعات فكان يدرس التاريخ والاقتصاد والفلسفة والانجليزة كما انه ألف في مجال الفلسفة والتأريخ والاقتصاد-

وبعد ان اتهى اقبال دراسته بالكلية الحكومية ترك دار اقامة (كوادر رنجل) للكلية وتحول إلى داخل (بهاتي) ويحدثنا الدكتور عبدالله تشتغائى عن المساكن التى نزل بها إقبال في لاهور قبل سفره إلى انكلترا بأنه كان قد استأجر منزلا داخل باب بهاتي لصاحبه (ميان احمد بخش) وذلك حين وظف مدرسا في ١٩٠٠م وفي هذه المنطقة نفسها كان يكسن المولوى محمد باقر أستاذ الفارسية و شمس العلماء المولوى محمد حسين آزاد استاذ العربية بالكلية الارسالية والمولوى خادم على استاذ الكلية الاسلامية والمفتى عبدالله الطونكي وليس بمقدرتنا ان نحدد هذا المنزل بالتحقيق إلا أن المنزل الذى تحول إليه اقبال بعد مدة كان على مفترق حارة (جلونيان) داخل باب (بهاتى) وعلى منحنى الحارة بئر حيث يصعد سلم الى الطابق العلوى، وكان اقبال قد تزل في الطابق العلوى لهذا المنزل لبضعة أشهر ثم تحول إلى منزل آخر قريب منه والذى كان يملك (لاله رام سرندر داس) و رقم هذا المنزل الحالي هو ٥٩٧ب حيث أقام اقبال ان يسافر إلى انكلترا في ١٩٠٥م- وكان يسكن في هذا المنزل نفسه الشيخ حاكم على قابل أن ينزل به اقبال وكان باب المنزل يفتح في الزقاق وكانت له ثلاث نوافذ وثلاث مداخل في واجهة السوق في الطابق الأعلى وكانت لاهور قد أصيت بالزلزلة في ١٩٠٥م

واقبال نازل في هذا المنزل وكان اقبال مضطجعا على سريد عند المدخنة فلم يزل يدرس بكل هدؤ رغم أن الزلزلة كانت شديدة جد إلا أن اقبال لم يشعر بذلك حتى أن المدخنة الأخرى تكسرت بصدمة الزلزلة-

وكان الشيخ جلاب دين يسكن قريبا من منزله اقبال إلى جانب أصدقائه الآخرين وكان منزل حكيم شهباز الدين على مقربة منه وكان اقبال يختلف إيله يوميا وكانت توجد مصطبة خارج المنزل حيث كان اصدقاء اقبال يجتمعون فيتجاذبون ألوان الحديث فكانوا يشترون قبضا ببيسة واحدة فيدخنون الغليون ويمتتعون به (١٧) ويحدثنا السير عبدالقادر بان المكان الذى كان مشهداء الاعداد المنظومات الشعرية لاقبال فهو شرفة صغيرة كانت فوق الدكاكين على اليمين داخل باب (بهاتي) في نهاية سوق الحكماء وهذه هي الشرفة التى كان يسكنها اقبال قبل سفره إلى انكلترا وهذا نص ما قاله السير عبدالقادر عن ذلك (١٨):

> كنت أجلس إليه عنه المساء فكنت أحد اثنين او ثلاث من اصدقائه يجالسونه فكان احدهم سيد محمد تقى ابن استاذه الشيخ وكانت الصداقة بينه وبين اقبال تقوم على صلات قديمة- وكان هناك شخص آخر من سيالكوت وهو سيد بشير حيدر وكان طالبا حينذاك ثم عين نائبا وكان هناك طالب اخر وهو (سردار عبدالغفور) وكانوا يسمونه (ابو صاحب)- وكان جميعهم معجبين بشعر اقبال- وكان قرض الشعر يبدأ حين ألتحق بهم انا فكنت أبحث بيتا شعريا أو مصراعا شيقا لأنشده أمام اقبال حتى ينظم على منواله فكان يستمر في تدخين الغليون و نظم الشعر وكان ابو صاحب يأخذ القرطاس والقلم فيكتب الشعر وهكذا نظم اقبال معظم ما قاله من الشعر في المرحلة الأولى من طوره الشعرى وكان (ابو صاحب) يبض مسودته في كراسة مجلدة ولولا ابو صاحب هذا واستعداده للكتابة لضاء كثير من شعر صديقنا الراحل إقبال لانه لم يكن يحتفظ بمسودة من شعره عند في ذلك الوقت-"

واما النشاطالات الثقافية بلاهور فقد كان مركزها هو باب (بياتي) وكانت توجد محطة السكة الحديدية بلاهور و شارع المال (شارع القائد الاعظم الآن) ومقر الحاكم و حديقة لارئنس (حديقة جناح الآن) جامعة بنجاب والمتحف وحديقة الحيوان وغيرها في أما كنها الحالية وكانت المحلات التجارية للتجار الأوربيين على شارع المال- وما قاعة منتجمرى بحديقة لارينس (مقر مكتبة القائد الاعظم الآن) فقد كانت قاعة خاصة لا يدخلها إلا الحكام من الخمس الابيض فكانوا يدخلونها فيشربون الخمور ويرقصون- وكانت المدينة تبدأ حدودها من نيلا

جنبد (القبة الخضراء) وسوق انار كلي كما ان الحياة داخل المدينة كانت حياة شرقية خالصة وكان اقبال قد نزل داخل باب (بهاتي) لان معظم أصدقائه كانوا نازلين هناك-

وفي هذا الطور من حياة اقبال كان على بخش خادمه الخاص قد وظف لديه وكانت مدة قد مضت على تعيين اقبال استاذا مساعدا بالكلية الحكومية حينذاك وكان على بخش هذا من (اتل حرة (من محافظات الهند الآن) من محافظة هوشيار بور) فخرج إلى لاهور للحصول على وظيفة بها وبعد ايام وظف عند الشيخ حاكم على خادما في بيته- ولم يمض ثلاثة أشهر على توظيفة حتى بعثه الشيخ حاكم على مع رسالة إلى بيت اقبال فنظر إليه اقبال وقال له انت تستطيع ياعلى بخش ان تعمل موظفا عندنا- فقال له على بخش اننى أعمل موظفا عند الشيخ وانى لي أن أرك هذا العمل عنده- فقال له اقبال ابك ستجد كل راحة و تستفيد أكثر لو وظفت عندنا وحين أصر إقبال على ذلك طلب على بخش شخصا من اقاربه من قريته وجعله موظفا عند حاكم على وتحول إلى اقبال- وفي ١٩٠٥م اراد اقبال أن يسافر الى انكلترا فبعث بخادمه على بخش الى شقيقه الاكبر الشيخ عطا محمد الذى كان يعمل موظفا في (هنجو) من محافظة كوهات الا انه لم يعجبه العمل هناك فرجع الى لاور فوظف بالكلية الاسلامية او لا ثم بالكلية الارسالية ثانيا وفي اثناء ذلك سرق مال على بخش فاخبر به اقبال فهو في انكلترا فرد اقبال على رسالة على بخش قبل ان يعود من انكلترا ببضعة أشهر (١٩) وعاد إقبال من انكلترا في ١٩٠٨م فاستقال على بخش ثم وظف لدى اقبال مرة ثانية وكان على بخش هذا تزوج في صباه إلا أن زوجته ماتت قبل سفره إلى لاهور وحاول أهل بيته أن يقنعوه بالزواج الثاني ولكن اقبالاً كان ينصحه دائما أن يدبر له الاكل والسكن قبل أن يتزوج فلم يستطع على بخش ان يتزوج ثانيا (٢٠) ثم لازم على بخش اقبالاً واستمر في خدمته الى وفاته حتى انه لم يزل يخدم أولاد اقبال بعد وفاته وقد توفي على بخش في ٢/يناير ١٩٥٩م في قرية رقم ١٨٨ر ب من محافظة فيصل آباد-

وفي هذا الطور من حيته واجه اقبال مشكلة وذلك ان شقيقه الشيخ عطا محمد كان يعمل موظفا مشرفا على مؤسسة عسكرية على حدود بلوشستان في مايو ١٩٠٣م وتأمر عليه بعض اعدائه فاختلقوا قضية مزورة رفعوها إلى محكمة حنائية ضده، وكانت القضية لا أساس لها غير العداوة والحقد وكان الشيخ عطا محمد يخشى ان اعدائه سوف يحاولون ليؤثروا في نفوس الشهود والمحكمة كذلك

فكان يريد ان ينقل الموطفون المعادون له أو تنقل القضية إلى محكمة من محاكم محافظة اخرى- إلا ان مكتب العمالة السياسية لاقليم بلوشستان لم يوافق على طلبه مما اكره اقبالاً أن يكتب رسالة إلى نائب الملك في الهند (اللورد كرزن) فاخبره بالظروب الراهنة فبعث نائب الملك من يقوم بالتحقيق وحين اتضح له الحق بعد التحقيق أصدر الأوامر بنقل هولاء الموظفين المعادين لشقيق اقبال الاكبر وكان اقبال قد سافر من لاهور إلى فورت سنديمين (اى قلعة سنديمين) ويروافقه على بخش ليساعد شقيقه المشفق عليه فقطع المسافة الطويلة مرة على ظهور الخيل واخرى على الابل- فكان قطع المسافة الطويلة مرة على ظهور الخيل واخرى على الابل- فكان قطع مسافة سبعة وثلاثين ميلا على الفرس في اليوم الاول ولم يكن اقبال قد تعود ركوب الخيل فواجه الكثير من المشقة والعناء في ذلك إلا أن سفره هذا انتهى بالسلامة كما انتهى اضطراب اقبال وقلقة حيث اعلنت تبرئة شقيقة الشيخ عطا محمد من قبل المحكمة- وفي هذا الطور من البلاء كان اقبال قد نظم منظومة وعنوانها برك كل (اى ورقة الورد) فبعث بها الى الخواجا حسن نظامي بمدينة دلهى ورجاه أن ينشدها عند ضريح الخواجا (نظام الدين اولياء) فحقق الخواجا حسن نظامى ما اراده اقبال وانشد المنظومة عند الضريح ثم اختار بيتا من تلك المنظومة فكتبه على باب الضريح ما معناه: (٢١)

"انك انت معطي الهند ولك باب عال، امنيتي ان ألقى شيئا من هذا الباب العالي الذى لا يزال يوزع اللآلي والجواهر"

وكان اقبال في هذا الطور من جلياته ايضا يقضي اجازاته بمدينة سيالكوت عند أبويه وأهله ولكنه كان قد ذهب إلى (ايبت اباد) حيث قضى أياما عند شقيقه الشيخ عطا محمد في ١٩٠٤م- وهناك كان البعض من اصدقاء الخ عليه ليلقي محاضرة عن الحياة القومية- وهناك نظم اقبال منظومته لمعروفته "بالسجاب" والتى توجد في ديوانه "صوت الجرس" وهو مقيم بمدينة ايبت اباد- وأقام اقبال داخل باب بهاتي لخمس سنوات تقريبا بعد عودته من انكلترا إلا أن عائلته لم تكن ترافقه خلال هذه المدة فكان يسكن في بيته وحيدا داخل باب بهاتي وكان على بخش بعد له طعاما ويقوم بخدمته وكان الطلاب واصدقائه ياتون لزيارته هناك- وحين كانت المجالس تعقد في بيته فيحضرها الأصدقاء فينشدون الشعر ويتجاذبون ألوان الحديث وكان على بخش يعد الموقد ليزود إقبال بما يحتاج إليه للغليون لحظة بعد لحظة وكان اقبال يكثر تدخين الغليون حين كانت طبيعته تقبل على الشعر

فيستمر يقول الشعر وهو يدخن الغليون-

ولم تكن الجرائد والمجلات كثيرة في لاهور في ذلك الوقت فكانت هناك جريدة انكليزية تصدر من لاهور وهي جريدة "الجيش والمدنيين" وكانت خاصة بالانجليز وكانت هناك مجلة اسبوعية انجليزية واسمها "تريبيون" تعبر عن مشاعر الهنادكة- وكانت الجرائد الاردوية هي "اخبار عام" و "وطن" و "بيسه اخبار" الا انها كانت قليلة الاعداد والانتشار وفي ابريل ١٩٠١م أصدر الشيخ فوق جريدته الا سبوعية "بنجه فولاد، "اليد الفولادية" ثم توقفت فاصدر مجله شهرية المجلة "الكشميرية" في ١٩٠٦م والتى اصبحت اسبوعية في ١٩١٢م وسميت "اخبار كشمير" اى "انباء كشمير" كما ان الشيخ فوق كان قد اشرف على اصدار جريدة "كوه نور" و "رسالت طريقت" و جريدة "نظام" وغيرها لمدة- (٢٢)

وكانت معظم منظومات اقبال ومقالاته تنشر في مجلة "مخزن" فكانت منظومة "همالايا" قد نشرت في العدد الاول من مجلة "مخزن" كما ان صفحات "بيسمه اخبار" وجرائد الشيخ فوق كانت تهتم بشعر اقبال اهتمام كبيرا وكان اقبال قد تخلص من الشعرا التقليدى أو الغزل التقليدى الى حد بعيد رغم أن شعره لم يكن يخله أحيانا من المجون والغرام التقليدى إلا أنه يسمح لهذا الغرام التقليدى ان يوثر في نفسه بشئ وكانت اهم موضوعات شعره ومنظوماته المشاهد الطبيعية والجمال الوطنية والقومية ويمتاز شعره في هذا الطور بشئ من الاضطراب فكان كما أعجبه شئ قال فيه الشعر إلا أن شعره من هذا الطور يمتاز بالفكر الواسع العميق إلى جانب التنوع في الفكر والمعنى-

ورغم أن السير سيد كان قد حظر على المسلمين ان يساعدا في سياسية الهند إلا ان المثقفين من المسلمين كانوا قد أخذوا يستقظون سياسيا ويسأمون الاستعباد والحكم الأجنبي ويتطلعون إلى الحرية والاستقلال- وكان الهنادكة هم الأغلبية الساحقة كما أنهم كانوا قد تدموا على المسلمين في مجال التعليم والاقتصاد ومن ثم كانوا أكثر اضطرابا وقلقا- وكان الهنادكة قد انشأوا الجمعية الهدوكية مقرها في لاهور سنة ١٩٠٠م الى جانب حزب الكونجرس الذى كان يمثل السياسة الهندوكية- فاعلن الاستعماد البريطاني البعض من الضمانات والحقوق الدستورية في ١٨٦١م و ١٨٨٣م و ١٨٩٢م وذلك لاسترضاء الهنادكة- وفي ١٩٠٥م أصدر نائب الملك اللورد كرزن مرسوما رسميا ينص على تقسيم بنغال فقد كان إقليم بنغالة يضم اقليم بهار واريسة وآسام وكانت مدينة كلكتة هي العاصمة ونظرا إلى المشاكل الادارية قسم الانجليزية هذا الاقليم الكبير الى قسمين

فكانت بنغال الشرقية تصم (اسام) كما ان بنغال الغربية كانت تضم بهار واريسه ويحكم هذا التقسيم يفيدا المسلمين للتقدم الاقتصادى والقضاء على التخلف الا ان المسلمين في الهند لم يكن لهم حزب سياسي منظم كان بامكانه ان ينظم المسلمين ليؤيدوا هذا التقسيم تائيدا سياسا- على كل حال فان الهنادكة البنغاليين احتجوا احتجاجا شديدا تحتاتشراف الكونجرس ضد هذا التقسيم حتى انهم نظموا خطوات ارهابية لهذا الفرض وفي ١٩١١م جاء الملك جورج الخامس الى ولهي فالغى تقسيم بنغال واصبحت ودلهى عاصمة البلاد مكان مدينة كلكتة وبهذه المناسبة نظم اقبال قطعة شعرية ما معناه: (٢٣)

١- واخيرا اندمل جرح قلب بنغال و ان التفريق الموجود بين الكافر والمؤمن قد انتهى-

٢- اى ان تاج الملكية قد تحول من كلكتة الى دلهي وهكذا نال الهندوكي أزاده وفقد المسلم عمامته-

وكانت جماعة المثقفين تعرف جيدا بأن المشاعر الوطنية والقومية هي التي جعلت الانكليز والشعوب الاوربية الاخرى تحقق التقدم ومن ثم اذا استيقظ فيهم الروح القومية فبامكانهم أن يتقدموا ويتحرروا في كافة المجالات وبذلك يدركون شأوا الشعوب المتقدمة الاروبية وكان اقبال شابا ومن جماعة المثقفين هولاء ومن ثم سار مع الوطنيين القوميين ونحا نحوهم-

وكان اقبال أول شاعر نادى بالوطنية في الهند وتقدم بالشاعر القومية ويحدثنا الخليفة عبدالحكيم عن ذلك: (٢٤)

> ان وطن الشعر الهندوكي ودينه واحد على رفم الخلافات والتنوع الموجود في ثقافتهم وعقاعدهم ومن ثم تقدم الهنادكة على المسلمين في الحركة القومية والوطنية ولكن الشعب الهندوكي لم ينجب شاعرا كان بامكانه أن يثير المشاعر الوطنية ولاحاسيس القومية في نفوسهم حتى ان الشعر الهندوكي لم يكن لديه نشيد وطني وحين كرس اقبال شعره للمشاعر الوطنية والنهوض بها تأثر به الشعب الهندى كله أو قل ان الهنادكة كانوا أكثر تاثراً بشعر اقبال من المسلمين حتى أن إقبالاً حين قال: إن بلادنا الهند أحسن وأجود من بلاد العالم كله أخذ هذا النشيد يؤثر في قلوب الشعب في طول البلاد وعرضها وساربها الركبان حتى ان الطلاب الهنادكة في بعض المدارس الهندوكية كانوا يغنون بهذا النشيد مجتمعين في الصابح قبل بداية الاعمال الدراسية"

ان دراسة عابرة لشعر اقبال في هذا الطور من حياته تدل على انه كان قد

تعلم اللغة السنسكرتية ليفهم ديانة الهنادكة وفلسفتهم وآدابهم ويجدر بالقارئ بهذه المناسبة أن يقرأ ملحوظا تعريفيا لاقبال نشر مع منظومته "آفتاب" اى "الشمس" في مجلة "مخزن" (٢٥)- ان الشخصيات المختارة البارزة التى انتجهتها الهند في مجال التصوف والمعرفة كان اقبال يقدرهم ويحبذ بدورها الروحي بكل اخلاق وصدر واسع- فهو يجعل الشيخ معين الدين جشتي وبابا جرو نانك (مؤسس الديانة السيخية) من رسل التوحيد والحق في نشيد الاطفال الهنود، كما انه يعترف في منظومته (نانك) برسالة بوذا كظ أنه يعترف ببابا جرو نانك كموحد ونور ابراهيمى ويجعل إقليم بنجاب وارضها بيتا لآزر وفي منظومته "رام" قال ابياتا شعرية مدح بها رام تشندر جي واعترف باماته للهند وكان (سوامي رام تيرث) المتصوف الهندوكي المعروف في بنجاب ممن عاصر اقبالاً وكان زميلا له في الدرس بالكلية ونال مرتبة خاصة في الدنيا الروحية بتزكية القلب وكان اهل بنجاب واهل اهند يعترفون بروحيته ومنزلته في التصوف الهندوكي وكانت مؤلفاته جديرة بالاهتمام قد مات غرقا في نهر حنجا- وكان اقبال على صلات قوية به فقال ابياتا شعرية عند وفاته وتوجد هذه الأبيات الشعرية في ديوان "صوت الجرس"- ولم يكن إقبال يبغض الشعب الهندوكي كما انه لم يكن يحتقره ولم يكن يائسا من الهند وكان يعتبر من الجريمة ان يحط من منزلة قادة المذاهب والديانات الاخرى أو الحط من قدر الاعمال الحضارية والدينية التى قامت بها الشعوب الاخرى بسبب التعصب الدينى وكان اقبال يعتبر ذلك جريمة خلقية لا تجدر بالشخصيات البارزة (٢٦) ولعله كان قد تعلم السنسكريتية بمساعدة سوامى رام تيرث الهندوكي المتصوف كما انه درس الفلسفة والديانة الهندوكية بمساعدته أيضا-

وان شعر اقبال من هذا الطور يحمل لنا الكثير ففيه غرام تقليدى الى جانب التصوف التقليدى كما انه فيه وصفاً للمشاهد الطبيعية ومنظومات للاطفال وتراجم حرة من الشعر الغربي إلى جانب الهزات القومية والجمال والمشاعر الوطنية والقومية و العواظف الاسلامية الا ان ذلك كله يقوم على سعة الافق والعقيدة وقد ذكر في منظومته الزهد والمجون بان شيخا من الشيوخ كان قد اعترض عليه قائلا بانه (اى اقبال) يقول الشعر الجيد إلا أنه لا يعمل بالاحكام الشرعية وهو متصوف وما جن في نفس الوقت انه مسلم ولكنه لا يعتبر الموسيقى من العبادة- انه يشارك في حفلات الرقص والغناء ليلا الا نه يتلو القرآن صباحا بكل خشوع وخضوع- أن شبابه لاغبار عليه رغم انه لا يخجل من اهل الجمال كما يفصل الشعراء- اذن هذا هو الشخص الذى يجمع بين الاضداد فيرد عليه اقبال ردا يعبر

عن طبيعته التى كان عليها في ذلك الطور من حياته وهي ابيات ما معناه: (٢٧)

١- اننى انا أيضا لا أعرف حقيقتى وذلك لان ماء بحرى عميق جدا-

٢- اننى انا شخصيا أتمنى ان ارى اقبالاً لاننى بكيت واستعبرت في فراقه كثيرا-

٣- ان اقبالاً نفسه لا يعرف حقيقة اقبال- والله اننى لست من المازحين الساخرين!

وكان اهل اللغة الاردوية يعيبون كثيرا من الاساليب الشعرية الجديدة لاقبال لان هولاء اهل اللغة لم يكونو ينقون بالاسلوب اللغوى الذى اختاره (حالي) وذلك لان حالي كان من مدينة (باني بت) ولغتها الاردوية لم تكن لغة معتبرة أصية فمنذ البداية كان الذين يدعون اللغة العريقة قد اخذوا يعيبون اسلوب اقبال اللغون ويعترضون على تعبيراته اللغوية وقد كانت جريدة "اود بينج" قد نقد اسلوب اقبال و سخرته واسلوب خاص ثم اورد بعض الناس على اسلوبه اللغوى ومنه الشعرى في جريدة من الجرائد تحت عنوان "تنقيد همدرد" اى "الناقد المخلص" مما جعل اقبالاً يعد مقالا عنوانه "اللغة الارودية في بنجاب" ونشر المقال في مجلة "مخزن" وقد وردت اقتباسات من هذا المقال في كتاب "ذكر اقبال" وقد حلله (الاستاذ سالك) تحليلا جيدا وقال بأن عمر اقبال كان بين خمس وعشرين او ثلاثين سنة الا انه- يبدو كأنه بحر لا ساحل له يذخر بالعلوم الغربية والشعر الاردوى والفارسي ويعرف غوامض اللغتين واعماقهما (٢٨)-

أن أصدقاء اقبال في لاهور كان عددهم قد ازداد واتسع فيحدثنا محمد دين تاثير (٢٩) بأن القاضى شاه دين و ميان شاه نواز أيضا كانا من اصدقاء اقبال الى جانب اصدقائد من علام نيرنك ومير اعجاز حسين والسير عبدالقادر و غيرهم من الأصدقاء الأوائل وكان على صلة متينة مع ميان فضل حسين والسير محمد شفيع كما انه كان على صلة الصداقة مع شودرى السير الشهاب الدين و ميان احمد يار دولتانه وكان يلتقي مع سوامي رام تيرث ويختلط به كثيرا كما أنه كان على صلة قريبة مع شيف نرائن شميم وكذلك كان على صلات ودية مع كبار الاشراف داخل باب بهاتي وكذلك كانت له صلات الصداقة الودية مع كبار الاشراف داخل باب بهاتي وكذلك كانت صلات الصداقة مع فقير سيد افتخار الدين وفقير سيد نجم الدين بالاضافة الى الخواجا عبدالصمد ككرو رئيس بارا مولا (مدينة بكشمير المختلة وكان عبدالصمد هذا شاعرا مفلقا في اللغة الفارسية

وكان يعرف بمقبل في شعره) وميان نظام الدين صاحب بارود خانه- وكان عدد من الشخصيان البارزة تأتي إلى لاهور لتشارك في الاجتماعات السنوية لجمعية حماية الاسلام ومن ثم كان يتاح لاقبال أن يلقتي بالشخصيات البارزة ليست من لاهور وحدها وانما من مناطق الهند البعيدة ايضا- فقد تعرف اقبال على الخواجا حسن نظامي والشيخ غلام قادر كرامي في الاجتماعات السنوية لهذه الجمعية حتى ان كرامي كان ينزل عند اقبال كلما زار مدينه لاهور فيما بعد- بالفارسية غير بضع ابيات بينما كران كرامي شاعر اللغة الفارسية وحدها- ثم توطدت العلاقات الودية بين كرامي و اقبال حين عاد من اوربا وكان اقبال قوى الارادة مستقلها وكان يرعي التقاليد في مجال الصداقة فكل من اتصل به من الشخصيات او الاسر وتدعمت العلاقات الودية بينه وبينها لم تنقطع الصات بينه وبينهم حتى آخر اللحظات من حياته- وخلال هذا الطور من حياته كان اقبال شغوفا باللعب على القيثارة ذات ثلاثة اوتار كما ان الفقير سيد نجم الدين كان شغوفا بطاؤس فكان يعزف الطاؤس في حالة وجدانية مما كان يتمتع الاصدقاء من امثال اقبال-

وقد تعرف اقبال على الكبار من الكشميرين بحكم اتصاله مع الجمعية الكشميرية الاسلامية فكان قد أخذ يحضر في إجراءات هذه الجمعية وجلساتها منذ ١٨٩٦م وكان ينشد شعره فيها- وكانت هذه الجمعية قد انشئت في ١٨٩٦م وكانت تهدف الى ثلاثة مقاصد: اصلاح تقاليد الافراح والمآتم، والتقدم باتعليم والتجارة واصنعة والزراعة والمهن الاخرى بين مسلمي كشمير وايجاد التوحيد بين صفوف الكشميريين- إلا ان الجمعية توقفت يعد أيام ثم جدد نشاطها في ١٩٠١م وكانت إجراءات الجمعية تنشر في المجلة الكشميرية الشهرية التى كان يصدرها الشيخ فوق وصاحبه جان محمد كنائى- وكان اقبال قد انتخب سكراتيرا لهذه الجمعية ثم اصبح سكرتيرا عاما لها عند عودته من انكلترا فكان يشارك في اجراءات الجمعية مشاركة جديدة من اجل صالح الكشميريين وفلاحهم- وأخيرا قام المؤتمر الكشميرى الإسلامي على اساس هذه الجمعية وعقد اجتماعه في لاهور وقد قام هذا الموتمر الكشميرى الإسلامي بخدمات بارزة في ايقاظ الكشميريين والنهوض بالتعليم والثقافة في بلادم وكان اقبال هو السكرتير العام الاول لهذا المؤتمر ويحدثنا محمد عبدالله قريشي بأن المسلمين الكشميريين الذين جازوا المناصب الممتازة في كشمير المحتلة وكشمير الحرة كان معظمهم قد تعلموا تثقفوا على المنح التعليمية التى قدمها لهم هذا المؤتمر- على كل حال فان اقبالاً قد أحسن في ١٩١٨م بان المسلمين قد اعرضوا عن اهداف الأخوة الاسلامية العالمية

فاشتغلوا بالمنظمات الاقليمية والقلبية وان هذا ليس الاخدعة وضلالا وانه قد ضر كثيرا بالسياسة الاسلامية ومن ثم اعتزل عن المؤتمر (٣٠)-

وفي هذا الطور نفسه من حياة اقبال ظهرت نزعة شعرية اسلامية عامة عنده ولذلك بحكم اتصاله بجمعية "حماية الاسلام" فقد انتخب اقبال عضوا بالمجلس التنفيذى للجمعية في ١٢/نوفمبر ١٨٩٩م فهكذا بدأت صلة اقبال بهذه الجمعية والتى استمرت إلى آخر لحظة من لحظات حياته- (٣١)-

وقد انشئت جمعية حماية الاسلام بلاهور في ١٨٨٤م وكان من أهدافها مواجهة الارساليات المسيحية ودورها التبشيرى بين المسلمين وانشاء المدارس والكليات للمسلمين تهتم بالقديم والجديد من العلوم وانشاء المعاهد الخاصة بالاشراف على اليتامي المسلمين والاهتمام بتعليمهم وتربيتهم الى جانب أعداد الكتب عن الآداب الاسلامية ونشرها وتوزيعها- قد بدأت الجمعية ولديها اربع وخمسون روبية من الرأس المال الضئيل الذى جمعه المسلمون في مسجد بكن خان ثم اخذت الجمعية تجتمع التبرعات وتنشأ المدارس الاسلامية للابناء والبنات- وظلت الكلية الاسلامية بمقر المدرسة الاسلامية داخل باب شيرانواله حتى ١٩٠٦م ثم تم تأسيس مبناها الجديد في مقرها الحالى في ١٩٠٧م وقد وضع حجر بنائها الاساسي ملك افغانستان الامير حبيب الله خان خلال زيارته لمدينة لاهور- وقد انشأت الجمعية دار الشفقة ودار الاطفال ودار الامان من اجل اليتامي والايام وذوى العاهات الى جانب انشاء المركز للتربية المهنية والمكتبة والمطبعة وغير ذلك من النشاطات الكثيرة- (٣٢)-

وان الدعم الالي للجمعية كان على التبرعات الشعبية الاسلامية ومن ثم كانت الجمعية دائما تبحث عن الوسائل لجمع التبرعات وان الاجتماع السنوى والاهتمام به كان من أجل جمع التبرعات- وكان الاجتماع السنوى للجمعية والذى كان يحضر فيه الموطنون المسلمون من اقليم بنجاب و وغيرها من الاقاليم قد اصبح معرضا علميا، وكان يعقد في الفناء الواسع للمدرسة الاسلامية داخل باب شيرانواله ومبنى هذه المدرسة كان له طابقان وكل طابق كانت له غرفات في الجوانب الاربعة وكانت توجد ردهات امام الغرف للطابق الاعلى- وكانت المدرسة تشغل جزءاً من كل طابق للبناء اما البناء الباقي فكان مختصا بمقر اكلية الاسلامية لان بنائها لم يكن قد اكتمل بعد- وكانوا يفرشون البساطات القطنية في الفناء بمناسبة الاجتماع وكانت الكراسى على المنصة فقط وكان الفناء والردهات مزدحمة

بالناس- وكان العلماء والادباء والشعراء والزعماء الشعبيون البارزون يجلسون على المنصة- وكان من بين الشخصيات الاسلامية البارزة التى اشتركت في الاجتماعات السنوية للجمعية حالي و شبلي واكبر اله ابادى و سيمات اكبر ابادى و سائل دهلوى وارشد جورجاني وخوشي محمد ناظر والنائب نذير احمد والشيخ ابوالكلام آزاد وكرامي والخواجا حسن نظامي والشيخ عبدالله الطونكي والسير عبدالقادر والسير فضل حسين والسير محمد شفيع والامير ذوالفقار على خان والشيخ سليمان الفلراروى والشيخ اصغر على روحي والشيخ ابراهيم مير سيالكوتي والشيخ ثناء الله والشيخ نذير احمد الدهلوى وغيرهم- (٣٣)

وقد أشند اقبال منظومته "بكاء اليتيم" في الاجتماع السنوى للجمعية لأول مرة في ٢٤/فبرائر ١٩٠٠م وكان الشيخ شمس العلماء نذير احمد رئيس الاجتماع وصور اقبال في شعره باسلوب مؤثر جذاب مشاعر اليتامى ومسكنتهم تصويرا بارعا مما جعل الناس يبكون مستعبرين- وحين ذهب اقبال باليتيم إلى حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم في شعره جعل النس يصرخون- وحين بعث الرسول رسالته مع اليتيم إلى امته لتساعد اليتيم وتشفق عليه جعل الناس يفرغون جيوبهم ويتبرعون بكل مافيها (٣٤)-

وكان ميان ايم- اسلم قد حضر في ذلك الاجتماع فهو يحكي عن مشهد الاجتماع وعن اقبال فيقول بأن اقبالاً كان شابا جميلا نحيلا أبيض اللون وكان قد لبس النظارة والسروال والقميص وفوقها سترة طويلة سوداء وعلى رأه طربوش وكان موضوع منظومته مثيرا واسلوبها بسيطا وكان الصوت جميلا أخاذا وكان و اسلوب الانشاد حزينا فكأن صوت اقبال كان قد سحر الناس فسادهم السكوت والهدؤ (٣٥)-

وقد اعد الخواجا محمد حيات تقريرا عن هذا الاجتماع وقد جاء في هذا التقرير بأن اقبال كان ينشد منظومته بالسلوب محزن الاذع فقال له المنشي عبدالعزيز صاحب جريدة "بيسه اخبار" وكان اقبال قد انشد بعض البنود الشعرية أن يمسك ان انشاده حتى يتمكن هو من بيت النسخ المطبوعة للمنظومة والبالغ عددها مئات وكان ثمن النسخة أربع روبية في ذلك الوقت فبيعت هذه النسخ بسرعة هائلة وقد بقي الكثيرون الراغبون في اشتراء النسخ فأرجع بعض الناس النسخ المشتراة إلى الجمعية كتبرعات ولكن بشرط أن لاتباع نسخة بأقل من خمسين روبية ولم يمض لحظات حتى كانت هذه النسخ قد بيعت أيضا- وكان والد إقبال جالسا في الرددهة في ذلك الوقت فاشترى نسخة من المنظومة بست عشرة

روبية وعند ما تم انشاد المنظومة قام رئيس الجلسة فاعلن قائلا بأنه كان قد سمع المراثي للشاعرين انيس و دبير الا ان هذه المنظومة التى سمعها هو اليوم والتى أثرت في نفسه كثيرا لم يسمع مثلها من قبل اكره الناس اقبالاً ان ينشد المنظومة مرة ثانية (٣٦)-

ثم اصحبت المنظومات الاقبالية ميزة خاصة للاجتماعات السنوية للجمعية ففي ١٩٠١م انشد اقبال منظومته "يتيم يخاطب هلال العيد" في اجتماع سنوى للجمعية كما انشد منظوماته "خير مقدم" اى "ترحيب" و "دين ودنيا" ورسالة الكلية الاسلامية إلى مسلمي بنجاب في اجتماع الجمعية المعقود في ١٩٠٢م كما انه أنشد منظومته "استغاثة الأمة" في اجتماعها السنوى في ١٩٠٣م وكان بهذه المناسبة قد حضر في الاجتماع كل من السير عبدالقادر و السير محمد شفيع والسير فضل حسين والامير ذوالفقار على خان وشاه سليمان الفلواروى و عبدالله الطونكي وثناء الله وخوشى محمد ناظر و ارشد الجورجاني و غيرهم من الشخصات البارزة- ولعل اقبالاً غنى بمنظومته هذه على اصرار من الناس وذلك لان تقرير هذا الاجتماع ينص على ان الطبيعة قد منحت اقبال لحنا حلوا ايضا إلى صوت مثير عذب مرتفع خاص به وحين اكمل اقبال انشاد المنظومته ظوقه الخواجا عبدالصمد ككرو بوسام فضي وكان قد اعده وجاء به من كشمير (٣٧)-

وفي اجتماع ١٩٠٤م أنشد اقبال منظومته "تصوير الألم" وكان قد حضر بالمناسبة الشيخ حالى وارشد جورجاني والسير محمد شفيع والسير عبدالقادر والسير فضل حسين والشيخ ابوالكلام آزاد والخواجا حسن نظامي وغيرهم من الشخصيات البارزة وكان اقبال قد غنى بمنظومته هذه تاستمع الناس إليه بكل اقبال وكان الشيخ حالى قد تأثر ببيت شعره تأثرا كثير مما جعله يخرج عشر وربيات من جيبه ويقدمها لاقبال الا أن المبلغ إضيعف إلى تبرعات الجمعية وكان الخواجا حسن نظامي قد تأثر بانشاد المنظومة مما جعله يخلع عمامته ويضعها على راس اقبال فهذا ميان بشير احمد الذى كان موجودا في الاجتماع يحدثنا عن ذلك (٣٨):

"كان شابا جميلا على عينيه نظارة وقد لبس السروال والقميص الاحذية التقليدية الخاصة وكان فميصله مفتوح التلابيت قد وقف على المنصة ينشد شعره بصوت حلو جميل حتى كل بيت من ابنيات المنظومة نال اعجاب الناس و اخد الناس يشترونه وكان اقبال استاذا مساعدا للفسلفة بالكلية الحكومية بلاهور في ذلك الوقت ولعل شابا كان قد تقدم فاشترى بيتا بخمسة عشر روبية

ثم اتضح ان الشاب كان احمد تلاميذ اقبال الهنادكة وكان يدرس بالكلية الحكومية وكانت هذه المبالغ كلها تضاف الى تبرعات جمعية حماية الاسلام"

وفي الجلسة الثانية لهذا الاجتماع من الغد قام الشيخ حالى لينشد منظومته إلا ان صوته النحيل الضئيل لم يكن يصل الى من حضر وذلك بسبب الهرم والشيخوخة وكان عدد ضخم من الناس قد اجتمع في الجلسة فاخذ الناس يقومون وسادهم الفوضى فقام السير عبدالقادر فطلب إلى الناس ان يستمعوا إلى حالى بكل هدؤ وطمانينة وقال إن اقبالاً سوف ينشد منظومة الشيخ حالى بصوته فيما بعد وبعد لحظات صعد اقبال على النصة فانشد قطعته الرباعية الشعرية التى كان قد ارتجلها بصوته الحلو قبل ان ينشد منظومة حالى وهي ما معناه:

١- ان الشيخ حالى قد اشتهر صيته في العالم وان كأس حالي مليئة عامرة برحيق الحق-

٢- وكأننى رسول من مملكة الشعر وقد نزل على لساني شعر الشيخ حالي-

ثم انشد منظومة الشيخ حالى بصوته الحلو الاخاذ- وكان عنوان المنظومة ام جمعية بنجاب- (٣٩)-

والسوال الذى يطرح نفسه بهذه المرحلة هو ان اقبال كان شاعرا قوميا وطنيا وكان واسع الافق الذهنى و رغم ذلك لا يخلو شعره من الموضوعات الاسلامية- ماذا جعله يجمع بين الوطنية والاسلامية؟ هل نستطيع ان نقول بان شعره الاسلامي او عن الامة الاسلامية والحزن على الامها والبكاء على مصابحا كانت نتيجة مباشرة لما كان يلقده اقبال من شعر حالى و شبلي والرد على هذا والالمام ببيئة اقبال الحبطة به في اشد حاجة الى نظرة عابرة على حركة الوحدة الاسلامية بهذه المناسبة-

ان الثورة الصناعية في اورنا وانتصار الدولة على الكنيسة او البابوية في المعركة التى دارت بينهما والتقدم الوطنى والفلسفة والعلوم الجديدة والتكنولوجيا خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلادى قد اوجدت هذه الحركات كلها الامبريالية والاستعمار والرأسمالية- وان ارادة التوسع في التجارة والصناعة جعلت الدول الاوربية تطمح إلى التغلب على دول المسلمين فقد كانوا في حاجة إلى مواد خام للزيادة في الانتاج النصاعي كما انهم كانوا في حاجة الى اسواق اجنبية من أجل التقدم التجارى ومن ثم أخذت الدول الاوربية تنظر بعين الطمح والحرص نحو الامريكتين الشمالية والاتينية وافريقيا واسيا وغيرها من المناطق- وكانت الدول الاسلامية تحتل موقعا جغرافيا خاصا بين المحيط الهادئ والشرق الاقصى وبين اوربا

واسيا وبين وافريقيا وبين اوربا وروسيا وكانت السفن البحرية بين اسيا واوربا تلف حول افريقيا من طريق رأس الرجاء الصالح ان القوى الاستعمارية الأروبية كانت قد أوجرت طريقا بحريا جديدا بحفر قناة السويس نظرا إلى حاجاتها الاقتصادية الملحة- أما السطة على هذا الطيق البحرى الجديد فكانت مختصة بحبل الطارق وارض مصر وكذلك فان الطريق البحرى المؤدى الى الشرق الأقصى كان يمر بالحدود البحرية لشبه جزيرة ملايو واما الطريق البحرى بين أوربا وروسيا الجنوبية فكان يمر من الحدود الاقليحية البحرية لتركيا كما أن الطيق البرى المؤدى الى حول النفظ في باكوكان يمر ايضا من الدول الاسلامية في اسيا الوسطى- ومن ثم احتلت الروس والقوى الاستعمارية الاستغلالية- وكان المسلمون في اسيبا الوسطى والهند وملايو وجزائر شرق الهند والصين وافريقا الشمالية قد قاوما الاستعمار الغربي إلا انهم فشلوا في مقاومتهم هذه وكانت النتيجة ان الخلافة العثمانية الضعيفة لم تستطع أن تقاوم القوى الاستعمارية الروسية والاوربية فانحط العالم الاسلامي اخلاقيا وسياسيا واقتصاديا حتى وصل الى الحضيض الاسفل-

وهذا التخلف والانحطاط العام جعل المسلمين يشعرون بحاجتهم الى النهوض فنشأت حركات دينية إصلاحية في البلاد العربية وافريقيا الشمالية واسيا الوسطى والهند وكانت هذه الحركات تهدف إلى القضاء على الاسباب التى أدب إلى زوال المسلمين وانحطاتهم- وقد تأثر العالم الاسلامي من اقصاه الى ارناه بهذا الحركات الاصلاحية لان الدعاة الأصلاحيين كانوا قد اخذوا يدعون المسلمين الى الاسلام والرجوع الى منابعه الاصيلة النفيه إلى جانب الرفض الشامل والقضاء الكلامل على البدع- ان هذه الحركات وان كانت حركات داخلية محلية في البداية الا انها قامت في وجه الروس والقوى الاستعمارية الاستغلالية الاوربية وقومتها لمدة- فقد كان الشيخ سيد احمد البريلوى واتباعه في الهند والشيخ محمد السنوسي واتباعه في افريقيا الشمالية قد اعلنوا الجهاد ضد الاستعمار البريطاني-

وبسبب الاتصال المباشر بالعالم الغربي وحضارته وثقلفته دخلت افكار جديدة مثل الدستورية والعلمانية والقومية في العالم الاسلامي- ان النهضة الاسلامية الجديدة وان كانت قد تمت على أيدى قادة الحركة الوهابية إلا ان الفكرة اللبرالية وحركة التحرر الفكرى كانت قد نشأت في العالم الاسلامي بعد جيل أو جيلين جديدين من المسلمين فظهر عدد من المصلحين في العالم الاسلامي جعلوا يصبغون الافكار الغربية بصبغة اسلامية وكان من بين هولاء

المصلحين مدحت باشا في تركيا والمفتي عالم جان في آسيا الوسطى والشيخ محمد عبده في مصر والسير سيد احمد خان في الهند الذين قاموا بخدمات جباره في هذا المجال حتى ظن الناس بان الفئتين من المصلحين اى المحافظيه والمعتدلين سوف يظلون يتقالتلون بعارض بعضهم البعض دائما- الا ان الفيئتين كانتا تدركا خظورة الاستعمار الغربي الاجنبي ومن ثم اشتركت الفئتان في الدفاع عن بلاد الاسلام وشريعته عقيدته وضه المعتقد بأن الذى توسط للمصالحة بين هاتين الفئتين المتعارضين من المتزمتين والمعتدلين في العالم الاسلامي الجديد إنما هو الشيخ جمال الدين الافغاني (١٨٣٨م- ١٨٩٧م) فهو الذى ألح على المسلمين أن يدركوا خظورة الموقف ويتعلموا الطرق الفنية المعاصرة للنهضة والتقدم في أوربا وألح عليهم ان يستخدموا العلوم الجديدة والتكنولوجيا والتنظيم المعاصر لمواجهة القوى الاستعمارية الغربية ومقاومتها- (٤٠)

وكان العالم الاسلامي في ذلك الوقت يمر بظروف سيئة قاسية من الجهل والتخلف والمسكنة الخلافة العثمانية لم تعد قوة اسلامية إلا بالاسم- وكان السلطان عبدالحميد قد تسلم مقاليد الحكم العثماني في ١٨٧٦م وكان المسلمون قد طردوا تم جلاؤهم من معظم بلاد اوربا الشرقية خلال ١٨٧٦م و ١٨٨٢م واحتلت فرنسا بلاد تونس واستولى الانجليز على مصر وجبل طارق كما ان الدول الاسلامية في آسيا الوسطى كانت قد أخذت نصم إلى امبرا طورية الروسية واحدة تلو الآخرى- أما المسلمون المشردون في شمان الصين وجنوبها وغربيا فقد فشلوا في جهادهم في سبيل الحرية بين ١٨٥٦م ١٨٦٨م تم القضاء عليهم كقوة سياسية تحسب- كما أن الفرنسيين كانوا قد بدأوا يطمعون في المغرب وكانت ايران على وشك الانهيار وكان الهولنديون قد احتلوا جزائر شرق الهند وكان المسلمون يعانون من ظلمهم أما في شبه القارة فان ثورة ١٨٥٧م الفاشلة كانت قد اسقطت برالرأيات الاسلامية واحتل الانجليزية شبه جزيرة ملايو كما ان الشؤون الخارجية للافغانستان كانت قد اصبحت في أيدى الانجليز في ١٨٧٩م (٤١)

وفي مثل هذه الظروف كانت انظار المسلمين تتجه نحو الخلافة العثمانية لانها كانت قوة السلامية وحيدة بقي لها احترام وكلة مسموعة في السياسة الدولية إلا ان الاطماع التوسعية في نفوس الاوربيين كانت قد اخذت تزداد تنمو فلم يكونوا راضين باخر شعار من الامل في العالم الاسلامي فأخذوا يفكرون في القضاء على الخلافة العثمانية وتمزيقها وكانوا يسمونها "الانسان الاروبي المريض" وفي ١٨٩٧م خرجت اليونان على الخلافة العثمانية وذلك باشارة سرية من

الانجليز مما جعل يثير مشاعر البغض والعداوة في نفوس مسلمى شبه القارة ضد الحكومة الانجليزية مرة ثانية- على كل حال فقد فرح مسلموا الهند بهزيمة اليونان العصاة فرحا كبيرا وانتبه السير سيد على خطر جديد- ورغم ان السير سيد كان كشمس او شكت ان تغرب الا ان اضطراب ١٨٥٧م كان حيا ثابتا بين عينيه وكان يخشى على المسلمين ان يخرجوا على حاكمهم المستعمر مرة اخرى بسبب هذه المشاعر الجديدة من البعض والعداء وحتى لاينعدم ما تحقق من صلاح المسلمين و مستقبلهم الزاهر الذى كان بناه السير سيد بجوده فكان يتمنى السير سيد ان يعتزل المسلمون عن سياسة الهند كما انه يجب عليهم ان لا يهتموا كثير بالاضطراب السياسي في العالم الاسلامي وذلك مما جعل السير سيد يكتب العديد من المقالات ضد الخلافة العثمانية (٤٢)-

واما الخلافة العثمانية فقد كانت تعاني من الصراع القائم بين الحكم المطلق والد ستوريين في عصر السلطان عبدالحميد الذى كان يحاول الحصول الى التأييد من الدول الاسلامية الاخرى كخليفة للمسلمين ليدعم به مركزه الداخلي وليقضى على الحركة الدستورية في تركيا ورغم انه كان قد وافق على تطبيق الدستور الجمهورى الذى كان قد أعده مدحت باشا وذلك عقب بيعته خليفة للمسلمين وبذلك كان قد حرم من السلطة المطلقة إلا أنه عند ما أحس بمركزه القوى أخذ يتعدى إلى السلطات المغصوبة منه فالغى المجلس الدستورى واخذ فتوى من شيخ الاسلام تنص على ان من يطالب بالدستور يجب على المسلمين ان يجاهدوا ضده ويقاتلوه وقد عرف هذا العهد بعهد الاستبداد في تاريخ تركيا الجديد- على كل حال قامت ثورة تحت قيادة انور باشا وطلعت باشا في ١٩٠٨م واكرهت الخليفة على تطبيق الدستور مرة اخرى فقامت ثورة معاكسة فاشلة في ١٩٠٩م ادت الى غزل الخليفة (٤٣)-

وكان الشيخ جمال الدين الأفغاني ينادى بوحدة الدول الاسلامية على مبادئ الدستور الديمو قراطي وتحت رئاسة خليفة السلطة العثمانية ومن هذه الناحية يعتبرا افغاني هو الداعى الموسس لحركة وحدة العالم الاسلامي وكان الافغاني قد ولد في ١٨٣٨م بمدينة أسد آباد في افغانستان وكان قد اتصل بالامير دوست محمد خان والامراء الافغان الآخرين وقام بخدمات ادارية تحت حكمهم لمدة وخلال ذلك زار الحرمين الشريفين ثم غادر افغانستان ووصل إلى القاهرة من طريق الهند في ١٨٦٩م حيث اقام مدة والقى الخطب والمحاضرات عن وجدة

الدول الاسلامية- ثم سافر إلى استامبول إلا انه عاد إلى القاهرة في ١٨٧١م و شارك بجد و نشاط في حركات مصر التحريرة فنفاه الانجليز من مصر في ١٨٧٩م فسافر إلى الهند حيث اقام مدة بحيدر آباد الدكن وثار المصريون على خديو مصر الدكتاتور على التدخل البريطاني في شوون مصر الداخلية في ١٨٨٢م وقد قاد هذه الثورة احمد عرابى باشا وقد كانت نتيجة هذه الثورة هو الاحتلال البريطاني الشامل لمصر وسمح الانجليز للشيخ جمال الدين الافغاني أن يخرج من الهند بعد السيطرة البريطانية الشاملة على مصر في ١٨٨٢م فوصل الشيخ إلى لندن- ثم سافر إلى باريس حيث اقام ثلاث سنوات اصدر خلال هذه المدة مجلته الاسبوعية "العروة الوثقى" ثم سافر إلى لندن مرة ثانية في ١٨٨٥م ثم ذهب إلى موسكو وسينت بيترز برج فأقام أربع سنوات في روسيا وفي خلال اقامته هذح حصل على بعض الحقوق الدستورية من الامبر طور الروسي لمسلمى آسيا الوسطى واتيح اللقاء للشيخ جمال الدين الافغاني بملك ايران نصير الدين قاجار بمدينة ميونيخ بالمانيا الذى دعاه الى ايران الا انه ايد الحركة الدستورية الايرانية مما جعل الملك ينفيه من ايران في ١٨٩٠م وفي ١٨٩١م ذهب إلى لندن مرة أخرى إلا أنه عاد إلى استامبول خلال السنة نفسها فاراد السطلان عبدالحميد ان يستغل الافغاني لتحقيق أغراضه الذاتية إلا أنه فشل في ارادته وذلك لان جمال الدين الافغاني كان يؤيد الحركة الدستورية التركية وفي الشيخ الافغاني بمدينة استامبول في ١٨٩٧م ويرى بعض الباحثين ان السلطان عبدالحميد كان قد س له السم فمات (٤٤)-

ويرى (أ- جي- براؤن) بأن هذه الشخصيه العظمية كانت قد تركت تأثيرا لا يساويه احد من المعاصرين في ذلك حتى انه كان قد غير الاوضاع في العالم الاسلامي خلال عشرين عامر فقد كان هو وراء حركة تحررية شعبية في مصر وهو الذى كان وراء تنظيم الحركة الدستورية الايرانية كما انه كان يؤيد الدستوريين في تركيا وفوق ذلك كله فقد كان الافغاني داعية لوحدة الدول الاسلامية لكي يتمكن المسلمون من التحرر من الاستعماد والاستغلال الروسي الاوربي وكان من بين جهوده التى بذلها لتوحيد الامة الاسلامية والقضاء على التفرقة بين السنة والشيعة انه اقنع ملك ايران بالاعتراف بالسلطان العثماني كخليفة للمسلمين كما أنه أشار على السلطان العثماني ان يعترف بالملك الايراني كقائد للمسلمين الشيعة (٤٥)-

وتمتاز حركة جمال الدين الافغاني بالجانبين البارزين فقد كان يريد الحكم الدستورى والكلمة العليا للقانون في البلاد الاسلامية مكان الحكم المطلق للسلاطين والملوك من ناحية ومن ناحية ثانية كخليفة للمسلمين وبعبادة اخرى ان

الافغاني كان يريد ايجاد النظام الديمو قراطي الفيدرالى لوحدة العالم الاسلامي في اصح معاني الكلمة لان هذا في رأيه هو الطريق الوحيد لا نقاذ المسلمين من سيطرة الاستعمار والستغلال الروسي والغربي-

ولكن من سوء الحظ ان الدول الاسلامية كانت في مرحلة زوالها فلم تستطع ان تقبل الافكبار التى نادى بها الشيخ جمال الدين الافغاني ومن ناحية اخرى فان الروس والدول الاوربية التى كانت تريد تمزيق العالم الاسلامي من أجل تحقيق اهدافها السياسية والاقتصادية لم يكن من الممكن لها أن ترضى باتحاد العالم الاسلامي او الوحدة الاسلامية وكانت النتيجة ان الصحافة لاوربية اخذت تشيع اشاعة مسموعة عن الشيخ جمال الدين الافغاني وفكرة الوحدة الاسلامية وكانت الصحافة الاوربية تهدف إلى إقناع العالم الاوربي بأن هذه الحركة إنما هو اعتداء ضد الروس والشعوب المسيحية الاوربية وان العالم الاسلامي يريد بوحدته القضاء على المسيحية كقوة سياسية عالمية- وجملة القول فان الصافة الاوربية والقادة الاوربين جعلو من هذه الحركة الدفاعية التى لم تكن حركة منظمة في الواقع، حركة معتدية معاندة-

على كل حال فان السير سيد وأنصاره كانوا بمعزن عن الشيخ جمال الدين الافغاني خلال إقامته في الهند إلا أن الشيخ جمال الدين الافغاني ذهب الى مدينة كلكتة فاجتمع حوله عدد من الشباب المسلمين من امثال السيد امير على والشيخ تشراغ على وحسن عسكرى فاستفادوا منه كثيرا فتأثر سيد امير على بالشيخ جمال الدين الافغاني وفكاره فكتب عددا من المقالات أيد فيها فكرة الوحدة الاسلامية تحت ريائة الخليفة العثماني (٤٦) وكان بعض المجتهدين الشيعة في الروس وايران قد سبقوا سيد امير إلى هذه الفكرة فافتوا بحاجة المسلمين الى تلك الوحدة (٤٧) وكان الشيخ جمال الافغاني قد ألف رسالة في رد الافكار الدينية للسير سيد خلال اقامته في الهند وسماها في رد الدهرين (٤٨) ثم استمريكتب ضإ آراء السير سيد الدينية في مجلته الاسبوعية الصادرة من باريس-

وكان الشيخ محمد شبلي (١٨٥٧م- ١٩١٤م) قد اهتم اهتماما بالغا بحركة الوحدة الاسلامية وكان قد عمل لست عشر سنة في كلية عليكره الاسلامية كزميل للسير سيد كما انه كان قد اعد مقالا رفض فيه الاعتراف بدعوى السلطان عبدالحميد العثماني للخلافة الاسلامية تحت تأثير السير سيد إلا أنه يقول بأنه كان قد اعد هذا المقال رغم انفه (٤٩)- والواقع أنه كان يعارض آراء

السير سيد الدينية والسياسية وأخيرا استقال من وظيفة في كلية عليكره الاسلامية في ١٩٠٥م وانضم الى ندوة العلماء بمدينة لكنؤ- وفي ١٨٧٧م حين كان الاتراك يقاتلون ضد الروس بتائيد من الانجليز قام الشيخ شبلي بتنظيم حركة لجمع التبرعات من اجل مساعدة الجنود الاتراك الجرحى وذوى العاهات ثم بعث بهذه التبرعات إلى تركيا (٥٠)- وفي ١٨٩٢م ذهب شبلى الى استامبول حيث اقام ثلاثة اشهر فمنحه السلطان عبدالحميد الوسام المجيدى (٥١) إلا أن العلاقات بين الانجليز والاتراك فسدت فيما بعد فحظرت حكومة الهند على الشيخ أن يستعمل الوسام المجيدى وظنته عميلا للسطان عبدالحميد واخبرا سرق ذلك الوسام ايضا (٥٢) ثم كتب الشيخ شبلى التقارير عن سفره الى تركيا وذكر فيها الكثير عن الاتراك كما انه نظم القصائد ذكر فيها مصاب الاتراك وآلامهم (٥٣)-

ورغم ان الطريق التى حدده السير سيد يمكن أن يكون صحيحا للمصالح المؤقتة إلا أنه ليس من الممكن الاعتراف به كطريق عملى مستقل للمسلمين فكما أن الشباب المسلمين المثقفين كانوا قد أخذوا يتأثرون بالمشاعر القومية والوطنية بعد وفاة السير سيد قائهم كذلك كانوا قد اخذوا يتأثرون بفكرة اتحاد العالم الاسلامي وحركة الوحدة السلامية إلا أنه لم يكن هناك من الأسباب الكلافية التى كان بامكانها القيام بتنظيم هذه الوحدة بين المسلمين وإنما الامر بالعكس فان المسلمين فى شبه القارة كانوا يسمعون بالمصائب الكبرى والآلام الهائلة التى كانت القوى الاستعمارية الغربية تكبدها لدولة من بين الدول الاسلامية بين حين واخر وكان موقف مسلمي الهند هو موقف المتفرج الا ان مسلمى الهند لم يكن لديهم سوى الدموع والبكاء ولم يكن لديهم منظمة سياسية صحيحة وهذا ما جعل الشباب المسلمين المثقفين يجمعون بين المشاعر المتعارضة من الوطنية والقومية والاخوة الاسلامية العالمية و شعر اقبال هو الذى يصور لنا هذه المشاعر المتعارضة للمجتمع الاسلامي في ذلك الوقت ليس إلا-

كان اقبال قد دخل امتحان المنافسة لوظيفة النائب الاضافي للمحافة وهذا مما يدل على ان اقبالاً لم يكن ينوى السفر الى اوربا من اجل الدراسات العليا الا انه لم يتمكن من الحصول على الوظيفة الحكومية وكذلك كان اقبال قد رسب في امتحان الحقوق فلم يبق له مهنة غير مجال التدريس وذلك لم يكن من الوظائف المجدية العثمرة و سافر الشيخ عبدالقادر الى اوربا في ١٩٠٤م فتأثر اقبال بذلك فاخبر الشيخ عبدالقادر انه يريد أن يكتب رسالة الى شقيقه فاذا كان بمكانه ان يتحمل التكاليف فقد يمكن ان التحقق خلال سنة واحدة (٥٤) وكان اقبال قد

ادخر مبلغا خاصا من الروبيات التى اكتسبها من وظيفة كمدرس فساعده شقيقه الشيخ عطا محمد- اما موضوع الدكتورة في فلسفة الاسلام و تصوفه فلعل الاستاذ آرنولد هو الذى كان قد رغبه فى الحصول على الدكتوراة عن ذلك- اما دراسة المحاماة والحقوق فذلك مما كان اقبال قد اعتزم عليه شخصيا- وكان الشيخ عبدالقادر قد ألح على على الميرزا جلال الدين عند عودته من لندن يساعد اقبالاً إذا جاء لديه للحصول على المعلومات عن انكلترا- فحضر عند الميرزا جلال الدين قبل سفره إلى انكلترا- وقد كان ذلك هو اللقاء الاول بين الرجلين- اما صلات الصداقة بينهما فقد توطدت بعد عودة اقبال من انكلترا (٥٥)-

وكان اقبال يبلس الزى الشعبى قبل مضره إلى انكلترا- اما لباسه في الصيف فقد كان عبارة عن الازار (تهه بند) والصدرة وفي الشتاء كان يلبس الدثارة فوق القميص واما عند ما كان يخرج من البيت فكان يلبس السروال والقميص و فوقها سترة طويلة او قصيرة واما الحذاء فكان يلبس احذية بلدية وعلى رأسه طربوش او وقلنسوة جلدية سوداء كما انه كان يغطي راسه بالعمامة أحيانا- اما لباسفه في اوربا فكان قد اعد الملابس الفرنجية اى طقوما من السترة والبنلون وعند ما وصل إلى لندن لبس بدلة انجليزية وكان على بخش قد اخبر المؤلف يوما بأن اقبالاً لم يلبس قبعة الاخلال اقامته طالبا في اوربا ثم لم يستعملها أبدا-

وكان اقبال قد قضى اجازاته الصيفية كلها بمدينة سيالكوت بين اهله وعند أبويه وأقابه قبل أن يسافر إلى لندن كما انه كان استشار الشيخ سيد مير حسن عن بحثه للدكتوراة وموضوعاته وأخيرا ودع أبويه واخوته فجاء إلى لاهور ثم ودعه أصدقائه في محطة لاهور للقطار-

اما تفاصيل السفر من لاهور الى لندن فاننا نجدها في رسائله وفي المقالات التى اعدها اصدقاؤه- فقد غادر لاهور الى دلهي في اول سبتمبر ١٩٠٥م وكان نيرنك والشيخ محمد اكرام من أصدقائه رافقاه خلال سفره الى دلهي (٥٦)- قطاره ووصل قطاره الى دلهي في الثاني من سبتمبر ١٩٠٥م وكان الخواجا حسن نظامي ومنشي نذر محمد قد وصلا الى المحطة ليستقبلاه هناك- وقد استراح اقبال بعد ان غادر المحطة في بيت منشي نذر محمد للحظات ثم رافق اصدقاءه الى ضريح نظام الدين اولياء- وقراء الفاتحة على قبر الملك همايون والامير دار اشكوه في طريقهم ثم وصلوا إلى ضريح نظام الدين اولياء فتنحى اقبال في ناحية من الضريح حيث انشد منظومته "ركجاء المسافر" اما اصدقاؤه فكان قد رجاهم ان ينتظروه في فناء

الضريح ثم اصر عليه الاصدقاء فأنشد نفس المنظومة في الفناء متجها نحو الضريح وبعد العودة من الضريح نزل اقبال في منزل الخواجا حسن نظامي وتغدى بمشاركته في دعوة المطبخ الشعبى الخيرى الخانقاهى وكان هناك شباب متعلم حسن الصوت جميل الطبع يغني للمشاركين في الدعوة وقبل عودته الى المدينة ذهب اقبال الى ضريح الشاعر الميرزا اسد الله خان غالب والذى يقع في ناحية خربة من المقابر وكان صديقه نيرنك قد جلس وقد يده على لافتة الضريح عند الرأس وجلس اقبال على يمينه وقد ذهب به الخيال الى كل ما لا يعرف- اما الاصدقاء الاخرون فكانوا واقفين مصطفين حول القبر وكان الوقت ظهرا- وكانت الشمس شديدة والجو رطباً الا ان أجدا منهم لم يشعر بشدة الحر- وكان ذلك المغني الشاب المتعلم جاءت له فكرة غريبة فاستأذنهم ليغني الغزل ما معناه:

ان نظرك قد نفذت الى الكبد من طريق القلب فكأن نظرك هذا قد صادها اى القلب والكبد في وقت واحد-

اما البيتان التاليان فقد كان لهما أثر عجيب في نفوسهم جميعا-

١- ان تراب جسدى يطير في الزقاق الذى يعيش فيه الحبيب- اننى الآن يا ربي لم أعد أتمنى الاجنحة-

٢- ان سكو خمور الليل قد ذهب مع الريح فعليك الآن ان تنهض لان متعة النوم عند السحر قد انتهت الآن-

وحين انتهت القصدة الغزلية عاد كل واحد منهم الى نفسه بعد لحظات فأخذوا يتحركون فقبل اقبال في شئ من الحنان قبر غالب فتوجهوا نحو المدينة (٥٧)م وكان اقبال قد قضى الليلة في منزل نذر محمد فهذا اقبال نفسه يحدثنا عن ذلك: (٥٨)

> وفي صباح الثالث من سبتمبر ودعت المير نيرنك والشيخ محمد اكرام والاخرين من اصدقائى في مدينة دلهي فسافرت إلى بومباى وفي الرابع من الشهر انتهت المرحلة الأولى من السفر بعون الله ويمكن الحصول على تذاكر الفنادق جميعها في محطة القطار إلا أننى نزلت في فندق انجليزى حسب التعليمات من طامس كوك وقد اكدت على التجربة بان ذلك الغندق هو مكان مناسب للطلاب الهنود المسافرين إلى انكلترا- فصاحب الفندق رجل طاعن في السن من الفرس وقد لاحظت في وجه الشيخ من القداسة ما ذكرني بخشور (النبي) في ايران- ان التجارة قد علمته التواضع التي لا تستطيع العبادة والصحبة لمرشد كامل ان تؤثر في نفوس شيوخنا وكان رجل من الاغريق قد نزل ايضا في ذلك الفندق وكان

يلم يالانجليزية الماما واخبرنا بانه اشتغل تاجرا في الصين الا ان الصينيين لا يشترون بضائعنا فقلت في نفسي حين سمعت ذلك بان هولاء الافيونيون اى) الصينيون) يفضلوننا نحى الهنود فانهم يهتمون بصناعاتهم البلدية- استفيقوا ايها الفيونيون استفيوا من نومكم الطويل انكم لا تزالون تنعسون وتدلكون عيونكم إلا أن الشعوب الاخرى قد أخذت تخاف وتتحذر منكم فلا ترجوا منا نحن الهنود أن نستطيع ان نساعدكم في استعادة المجد التجارى الاسيوى القديم فاننا لا نعرف العمل في وحدة وانسحام ولم يعد يوجد شئ من الحب والمرؤة في بلادنا- ان المسلم الصحيح عندنا هو الذى يكون اعدى اعداء الهنادكة ويتمنى سفك دمائهم كما ان الهندوكي الصحيح عندنا هو الذى يريد القضاء على المسلمين- اننا نحن عثث الكتاب الذين ليس لهم غذاء الا افكار العقول الغربية- يا ليت أمواج الخليج البنغالي تغرقنا- وذات ليلة كنت في غرفة الطعام فاذا رجلين مثقفين يجلسان أمامي على المأدبة وكانا يتحدثنان بالفرنسية واخير نهضا بعد الطعام فاخرج احدما طربوسه من تحت الكرسي فغطى به راسه فعملت انه تركي فسرني ذلك جدا وقلت في نفسي بأنه لابد من اللقاء بهذا الرجل التركي وفي اليوم الثانى بدأت اتحدث إليه تلقائيا بدون أى تمهيد تاتضح أن ذلك الشاب التركي عضو في جمعية الشبان الاتراك ويعارض السلطان عبدالحميد واكتشفت خلال حديثي معه بانه شاعر أيضا- فرجوته أن ينشدني بعض شعره فاخذ يقول: انا تلميذ كمال بذلك (الشاعر التركي الشهير الحي في ذلك الوقت)- والأبيات الشعرية لكمان بذلك التى انشدنيها كانت جيدة للغاية- اما الابيات الشعرية لنفسه والتى انشدنيها فقد كانت كلها في هجو السلطان-

وذات مساء ذهبت أنا وذلك التركي المثقف لنزور مدرسة بومباى الاسلامية فرأينا الطلاب المسلمين يلعبون الكركيت في ملعب المدرسة فدعونا احدهم فجاء الينا وتحدثنا معه وسئلناه الكثير عن مدرستهم تلك- وجملة القول فإن مدينة بومباى (عمرها الله) مدينة عجيبة جدا- أسواقها واسعة وبجانبها مباني مرتفعة صاعدة في السماء حتى ان الناظر إليها تعود اليه نظراته حاسرات ومرور السيارت في الاسواق كثير حتى المشي في الاسواق يكون مستحيلا- وبهذه المدينة يبلغ عدد السكان الفرس نحو تسعين الفا حتى أنه يبدو للزائر كأنها مدينة الفرس- ان صلاحية هذا الشعب تستحن كداعجاب وتقدير وان ثرائه ومجده لا يعرف لهما حدود الا انه ليس في مقدرة احد ان يتنبأ عن مستقبلهذا السعب الزاهر وانهم لا يفكرون الا في اكتسباب المال عادة حتى انهم لا يستطيعون النظر الى شيء الا من الناحية الاقتصادية وليس لديهم لغة او ادب

غير اكتساب المال وغريب الامر انهم يبغضون اللغة الفارسية ويحقرونها- يا للأسف انهم لا يعرفون شيئا عن الاداب الفارسية والافكان من الممكن لهم ان يعرفوا بان الاداب الايرانية لا دخل للعربية فيها وانما تصطبغ هذه الاداب بصبغة (زرد شتية) وعليها يقوم حسنها ورود نقها وبهاؤها- ولقد رايت الفتيان رأيت والفتيات الفارسية من طلاب المدرسة في اسواق المدينة كانهن يمثلن النشاط والقوة وغريب الامر ان ثمانين في المائة منهن كن قد غطين عيونهن بانطارات- اما صورة المدينة التعليمة فهي صورة جيدة وجميلة حتى ان الخلاق الهندى بفندقنا كان يحفظ الوقائع المشهرترة كلها من تاريخنا وكان يقرأ جريدة اللغة الكجراتية كل يوم وكان يعرف كل شيء عن الحرب اليابانية الروسية وكان دائما يذكر السيد نوروجي دادا بهائى (من الاعضاء والزعماء البارزين للكونجرس الهندى) بكل تكريم واحترام- اما اصحاب المحلات التجارية في اسفل الفندق فهم مسلمون وقد رأيتهم يقرؤن جرائد اللغة الكجراتية كل يوم"-

وأقام اقبال ثلاثة ايام بليالها بمدينة بومباى ثم سافر في السابع من سبتمبر ١٩٠٥م في الساعة الثانية ظهرا حيث ركب سفينة بحرية وكان (لاله دنبت رام) المحامي موجودا في بومباى بالصدفة- وكان معه صديقه فرافقا اقبالاً حتى وعاه عند الميناء البحرى وتحركت السفينة في الساعة الثالثة فركب اقبال البحر وهو يسلم على صديقيه ويشير اليهما بالمنديل من بعيد حتى أخذت أمواج البحر تقبل السفينة من جوانبها وعن ذلك يحدثنا اقبال قائلا: (٥٩)

"ان الذوق الجميل للشعب الفرنسي يتجلى من خلال جودة هذه السفينة ونفاستها وكان من بين موظفي السفينة المصريون السمر المسلمون وكانوا يتحدثون بالعربية- اما ضباط السفينة الفرنسية فهم اصحاب خلق حسن للغاية وان تقاليدهم من التكلف تذكرنا بمدينة لكنؤ وبكانها وكذلك فان طعام السفينة ونظامه يستحق كل شكر وتقدير- وان ركاب سفينتنا هذه لا يزيد عددهم عن ستين مسافرا ونحن نستريح في غرفاتنا ليلا ونجلس على الكراسي على متن السفينة من الصباح الى المساء نهارا وفينا من يقرأ وفينا من يتحدثون فيما بينهم من يتجول ويتشمى- وأشعر بشئ من القلق والهلع داخل حجرة المركب حين تتحرك بنا السفينة- اما فوق متن المركب فأشعر بالراحة- وأن جميع زملائى المسافرين اصابهم مرض بحرى في اليوم الثاني من سفرنا الى أننى سلمت من ذلك فلله الحمد- وعندما ابتعدنا شيئا عن ميناء بومباى وجدنا امواج البحر تزداد تلاطما ولقد كانت ترتفع ارتفاعا هائلا مما تذكر الانسان بالله وجلاله حتى ان الانسان يشعر بشيء من الخوف والدهش- اما استخدام الكبريت على

المركب فممنوع ويوحد موقد نحاسي في غرفة جانبية على ظهر المركب حيث وضعوا الاخشاب المتهبة فمن اراد أن يولع سيجارة يذهب الى ذلك الموقد فيولع سيخارته- واما ما يؤثر في قلب الانسان ونفسه خلال السفر بالسفينة فهي مشاهر البحر فان البحر تذكر الانسان بجلال الله وقدرته التى لاحد لها ولا يوجد غيره شيء يوثر في نفس الانسان كذلك وان الفوائد الروحية والثقافية لحج بيت الله الحرام هي كثيرة وبغض النظر عن تلك الفوائد هناك فائدة خلقية كبيرة جدا وهو النظر الى امواج البحر الهائلة الميبة وسعة البحر الرهيبة التى لاغاية لها وبذلك يتاكد الانسان المتكبر بأنه لا قيمة له بين خلق الله الواسع-

هذا صباح الثاني عشر من سبتمبر وقد استيقظت اليوم مبكرا جدا وارى الكناسين بالسفينة ينظفون ظهرها الى الآن كما ان ضوء المصابيح قد تضائل وقد بدأت الشمس كانها تطلع من المياه وقد بد لي البحر كانه هو نهرنا (راوى)- وان الناظر على مشهد طلوع الشمس كمن يتلوا آية اذا كان يملك قلبا عطوفا فهذه هي الشمس نفسها قد رأيناها في المناطق السهلية تطلع وتغرب كالمعتاد والواقع ان الذين جعلوا عبادة الشمس دينالهم قد ضلوا معذورين في ذلك- وان محافظ كويتة الانجليزى الذى هو ذاهب الى انكلترا في اجازة السنة والنصف رجل عالم جدا مطلع على كثير من الاشياء- وقد جرى بيني وبينه حديث عن شئون الهند السياسية بالامس- وهو يعرف اللغتين العربية والفارسية وجرى ذكر السير ولهام ميور و مؤلفاته فقال المحافظ يا ليته لم يكن متعصبا إلى ذلك الحد- وهو من المعجبين بالشعر عمر خيام فقلب له ان أهل أوربا لم يطلعوا بعد على الرباعيات للشاعر سحابي نحف (من الشعراء المفلقين المعروفين باللغة الفارسية) والافكان بامكانهم ان ينسوا عمر خيام منذ امد بعيد وقد أخذ الشاطي يقترب شيئا فشيئا وان سفينتنا سوف تصل الى عدن في بضع ساعات- ان الشوق الذى اشعر به في نفسي و انا اعصور شاطي البلاد العربية سوف احدثكم عن ذلك فيما بعد- وجملة القول ان نفسي لتتوق الى زيارة الحرمين الشريفين وان ارى آثارهما بعيني رأسي ولا أستطيع ان أهكي ذلك والشاعر قد عبرعما اشعر به فقال ما معناه: بالله من كرامة ارض المدينة و شرفها- حتى ان الشمس عندما تمربها راها إلى الغرب-

يا أرض العرب المقدسة بوركت من ارض وقلد كنت احجارا محرقة لاقيمة لها وقد رضها البناؤن في العالم ويعلم الله كيف غير مجرى تاريخك ذلك اليتيم حتى اصبحت اساسا لمدينة العالم وحضارته- ايها الارض الطاهرة- ان رمالك قد عرفت الآلاف من آثار الاقدام وان نخيلك قد اوت الآلاف من الولياء والانبياء

من حر الشمس المحرقة، ياليتني يتاح لي ولتراب جسدى المذنب ان يطيربين ذرات الغبار في رمالك رصحاراك وبواديك وان هذا الهيمان لتراب جسدى قد تكون كفارة لايما حياتي التي قضيتها- ياليتنى يأتينى البدو المغيرون فينهبونني فاتحرر من الآم الدنيا ومتاعها فاشي في شمسك المحرقة ولا احفل بالقروح او النفطات التى تصيبني في الطرق الصحراوية الوعرة فامشي وامشي حتى اصل الى الارض المقدسة وفي تلك المدينة التى كانت ازقتها عامرة يوما بصوت بلال رضي الله عنه في لاذان وكان يملأ صوته الحب الصادق لرسول الله صلى الله عليه وسلم"-

ولم يتمكن اقبال بسبب المحجر (الكرنتينة) والحر ان يصعد الى عدن ويتجول في شوارعها فلم يزل ينتظر في السفينة لساعات عديدة حتى اخذت السفينة تتحرك وتبدأ سفرها من جديد فمرت بالبحر الاحمر حتى وصلت الى السويس وعن ذلك يحدثنا اقبال قائلا: (٦٠)

"وعندما وصلنا الى السويس دخل التجار المسلمون إلى سفينتنا بعدد ضخم حتى أن ظهر المركب اصبحت سوقا نافقة فهذا يبيع الفاكهة وذلك يحمل بطاقات البريد وفيهم من يبيع الاصنام المصرية القديمة وكان فيهم مشعوذ شاطر وكان يحمل في يده فرخة فكان يجعل من الفرخة فرختين بشعوذته- فاردت ان اشترى السجائر من تاجر مصرى شاب فقلت له خلال حديثي معه بانني مسلم الا انه نظر الى رأسى فرأى عليه قبعة فلم يستطع ان يصدقنى فقال لى لماذا تستعمل القبعة اذن؟ فقلت له هل يمنع الاسلام استعمال القبعة فقال لي اذا كان المسلم يحلق لحيته فيجب عليه على الاقل ان يلبس طربوشا اى قلنسوة تركية والا فماذا بقي من ايات الاسلام الا ان الرجل تاكد من اسلامى وكان يحفظ القران الكريم فتلوت امامه بضع آيات قرآنية فسر به جدا واخذ يقبل يدى وعرفني بالتجار الاخرين فاصطفوا جميعهم حولى وكل واحد منهم يقول، ماشاء الله، ما شاء الله، وحين علموا الغرض من سفرى الى انكلترا اخذوا يدعون لي او قل انهم تركوا حضيض التجارة سفرى الى انكلترا من قذ ارتها وارتفعوا الى مكانة الاخوة الاسلامية الرفيعة، وبعد لحظات جاءت جماعة اخرى من الشباب المصريين وكانوا غاية في الجمال فاخذوا يتجولون في السفينة فنظرت الى وجوههم فبدا لى وجه مألوف كاننى كنت قد رأيته وخيل الى للحظة كانهكان في وفد كلية عليكره الاسلامية فاخذوا يتحدثون في ناحية من السفينة فتدخلت في حديثهم بدون اذن ثم جرى الحديث بيننا للحظات طويلة وكان فيهم شاب جميل يتحدث بالعربية الفصحى كأنه يقرأ مقامة من مقامات

الحريرى واخيرا ودعت سفيتنا هؤلاء المسلمين واخذت تتحرك وتمشي رويدا رويدا داخل قناة السويس وهذه القناة التى بناها مهندس فرنسي تعتبر من عجائب الدنيا وحتى ان البوذ لم يؤثر في روحية العالم ما اثر هذا المهندس الغربي في النظام التجارى العالمي المعاصر- هناك الاف مؤلفة من الناس يعملون ليل نهار لتكون القناة ممرا سليما للسفن التجارية العالمية- وهولاء العمال القائمون بالعمل هناك يواظبون على تنظيف القناة لان القناة تمر من بين الاطلال الرمالية وتهب الرياح العواصف فتطير بالرمال فنسقط في القناة وهولاء العمان هم الذين يقومون بمهمة التنظيف وان العمال الذين يعملون على طرفي القناة بعضهم خبثاء جدا فعند ما كانت سفينتنا تمر من القناة رويدا رويدا وكانت السيدات الانجليزيات يتمتعن بمشاهد طرفي القناة فاذا باحد العمال يخلع ملابسه وياخذ يرقص عاريا مما جعل المسكينات المتنزعات يسرعن الى غرفاتهن في المركب- وقد شاهدنا ونحن نمر من القناة مشهدا ممتعا اخر وهو اننا رأينا سفينة مصرية مرت من عند سفينتنا في القناة وكانت تحمل الجنود وكانوا كلهم يلبسون الطرابيش وكانوا يغنون قصيدة غزلية عربية بصوت حلو جدا وقبل ان نصل الى (بور سعيد) جاءنا نبأ عن سفينة بحرية مليئة بالذخيرة البارودية التى تفجرت فطارت قطعاتها الممزقة وبعد لحظات راينا قطعات السفينة الممزقة ونحن نمر من القناة-

وعند ما وصلنا إلى بور سعيد جاء التحار المسلمون فنصبوا دكاكينهم على ظهر المركب فركبت في سفينة صغيرة مع زميلي الفارسي فذهبنا الى الميناء لجولة سياحية فرأينا بها مدرسة وزرنا المساجد وراينا مقر الحاكم المسلم ورأينا أيضا تمثالا للمهندس الذى كان قد اعد تصميم القناة- وجملة القول كانت نزهة ممتعة جدا وفي النهاية اعطيت جائزة للمرشد المسلم الذى كان معي وكان يجيد اكثر من لغة ثم عدت الى السفينة وعند وصولي في السفينة رأيت منظرا آخر وهو ثلاث نسوة ايطاليات ورجلين يعزفون الكمان ويرقصون ويغتون وكانت فيهم بنت جميلة جدا في الثالثة عشر او الرابعة عشر من عمرها ويجب ان اعترف بكل امانة بانني تاثرت بجمالها تأثرا شديدا للحظات إلا انها اخذت طبقا صغيرا فبدأت يطلب الجزائز والبقشيش من الناس فزال التأثر ذلك كله والذى كان قد اخذني- وذلك لان الجمال الذى ليس عليه الكرامة اعتبره اقبح من القبح- وجملة القول اننا تحركنا بعد ان تمتعنا بالغناء والرقص ودخلت سفينتنا في البحر الابيض المتوسط حيث توجد جزائر عديدة في الطريق وعرفت بعضها لسبب او لاخر وكانت المشاهد البحرية الاولى في طريقنا جميلة رائعة للغاية وكان الهواء الطلق يحمل تاثيرا يجعل من الانسان شاعرا موزونا بطبيعة الحال وجعلنى الجواميل إلى

قول الشعر فنظمت بضعة ابيات من القصيدة الغزلية (٦١) ووصلنا الى مارسيليا في ستة ايام والسبب في ذلك ان الطريق البحرى في اللحظات الاخيرة كان متلاطما جدا ولان قبطان السفينة كان يخشى الغرق في الطريق مما جعله يغير طريقه العادى واخذ طريقا اطول منه وفي صباح الثالث والعشرين وصلنا الى مارسيليا وهو ميناء فرنسي تاريخي معروف وانيحت لنا قرصة ثماني ساعات فنزلنا وتجولنا في الميناء متنزهين متمتعين- إن كنيسة مارسيليا والتى اسمها (موتر دام) تقع على مكان مرتفع جدا- وان الناظر الى بمبناها يقتنع بان التأثير الديني هو المحرك الحقيقي الاصيل وراء العلوم والفنون جميعها وركبنا في القطار من مارسيليا وبذلك اتيح لنا زيارة فرنسا وجمالها في الطريق وان الحقول التى تقع على جانبى الطريق تدل على الذوق الجميل عند الفرنسيين قضينا ليلة في القطار فعبرنا القناة البريطانية في المساء الثاني فوصلنا الى روثر ومن روثر الى لندن ورغم اننى كنت في الملابس الانجليزية الا ان نظر الشيخ عبدالقادر الحاد عرفتنى بسهولة فتقدم الى فتعانقناه"

وكان اقبال قد وصل إلى لندن وفي ٢٤/من سبتمبر ١٩٠٥م فقضى ليلة عند الشيخ عبدالقادر ثم سافر الى كيمبردج في ٢٥/سبتمبر-

الفصل السابع

في اوربا

ان تحديد التواريخ للنشاطات التعليمية التى اتبعها اقبال في اوربا امر صعب إلى جد بعيد- أما مدة اقامته فهى ثلاث سنوات تقريبا- ومن أراد أن يرتب حياة اقبال خلال هذه السنوات الثلاثة فلابد له أن يعتمد على المصادر المتنوعة فمنها ما كتبه اقبال وأدلى به من تصريحات ومنها ما كتبه السيدة (عطية فيضي) عن شخصية اقبال وأشغاله وأعماله أو ما سجله أصدقاء إقبال من ملاحظاتهم وانطباعاتهم من أمثال السير(عبدالقادر)-

وكان اقبال قد وصل إلى كيمبردج في ٢٥/سبتمبر ١٩٠٥م ولعل قبول اقبال بكلية التثليث لجامعة كيمبردج كان قد تم بجهود استاذه السير(آرنولد)- ولم يكن من اللازم أن ينزل في دارالاقامة بمبى الكلية لأنه كان من الطلاب الباحثين أو الطلاب بعد التخرج ومن ثم نزل اقبال خلال إقامته في كيمبردج بعدة ايام في ١٠/زقاق كيسل ثم تحول إلى ٩٠/شارع (هنتيج دن)- أما السنة الأكاديمية لكيمبرج فهي تبدأ من أول اكتوبر كل عام ومن ثم بدأت سنة اقبال الدراسية في هذا الفصل الدراسي-

واما الطريق العملى للحصول على درجة الدكتوراة بالجامعات الغربية فهو أن الطالب الباحث يلتحق بكلية من الكليات الجامعية ثم ينزل بدار الاقامة الجامعية ثم يسجل موضوعه واسمه واسم استاذه المشرف وأما مدة الدراسة والبحث فهي ثلاث سنوات- ويقضي الباحث معظم وقته في المكتبات المختلفة حيث يجمع المعلومات الخاصة ببحثه ويلتقي بأستاذه المشرف مرة أو مرتين في كل شهر ويقدم له الأبواب أو الفصول الجاهزة من بحثه ويتناقش معه في ذلك ويستمر على هذا المنوال حتى ينتهى من أعداد الأطروحة وتقديمها إلى الجامعة- ويقدم الطالب نسختين من بحثه للمجامعة وذلك لارسالهما إلى الممتحنين وترد نسخة منهما إلى الطالب بعد الامتحان وتستودع النسخة الثانية بمكتبة الجامعة ويحضر الطلاب للامتحان الشفوى أمام الممتحنين في موعد تحدده الجامعة ويستمر هذا الامتحان الشفوى لساعة أو ساعتين تقريبا ثم تخبره الجامعة بعد ان تتلقى التقرير من الممتحنين بأنه قد نجح في الحصول على درجة الدكتوراة او لم ينجح-

ويبدو أن اقبالاً كان قد سجل موضوعه للدكتوراة بجامعة ميونيخ عقب نزوله بمدينة كيمبردج فهذا إقبال نفسه يحدثنا عن ذلك قائلا: (١)

"قدمت أطروحتى بجامعة ميونيخ وكانت سلطاتها قد أصدرت الأمر باستثنائي من شرط الإقامة بالجماعة كما أنها سمحت لي أن أقدم اطروحتى باللغة الانجليزية وتصر الجامعات الالمانية على حضور الطالب في المحاضرات لثلاث سنوات أو سنة ونصف عامة وتحدد مدة الحضور حسب كفاءة الطالب كما انها تصر على تقديم الرسالة باللغة الالمانية إلا أنني اخذت الاستثناء من ذلك على توصية من أساتذتي بجامعة كيمبردج- أما الامتحان الشفوى للدكتوراة فكان قد تم باللغة الألمانية التي كنت قد تعلمت القليل منها خلال إقامتى هناك"-

وكذلك فان امتحانات المحاماة لاتتم إلا بالقبول في خان من الخانات لتحقيق حضور الفصول الدراسية- أما الاقامة الدائمة في لندن أو الحضور في محاضرات القانون فلم يكن من اللازم كذلك- وتنص القواعد على أن الفصول الدراسية يتحقق عددها المطلوب بالنزول في خان من الخانات والحضور في مآدبها العشائية المحددة- ومن الممكن أن يدخل الطالب في امتحان المواد الستة من القسم الأول على الانفراد ولكن المواد الستة من القسم الثاني لابد من امتحانها مرة واحدة وكانت هذه الامتحانات تعقد في خانات القضاء ثلاث أو اربع مرات في السنة وكان اقبال قد قبل بخان لنكن في ٦/نوفمبر ١٩٠٥م سافر من كيمبردج إلى لندن ليكل الفصول الدراسية ويخبرنا السير (عبدالقادر) بان اقبال كان إذا جاء إلى لندن لمحاضرات المحاماة أو المآدب العشائية كنا نذهب سويا للمشاركة فيها- (٢)

على كل فليس من الممكن أن نجزم القول بأن إقبالاً كان قد دخل امتحان المواد الستة من القسم الأول متفرقة أو مرة واحدة أو متى كان قد دخل الامتحانات هذه ولا نعرف عن ذلك إلا أنه كان قد حصل على درجة الحقوق في أول يوليو ١٩٠٨م ويمكن التقدير بان اقبال كان قد أكمل امتحانات القسم الأول من المحاماة وهو نازل بمدينة كيمبردج- اما الاستعداد والاكمال للامتحان القسم الثاني فقدتم ذلك اقامته بمدينة لندن-

ويقال إن إقبال كان قد حصل على شهادة التخرج من كيمبردج إلا ان الحصول على هذه الشهادة لم يكن حسب التقاليد المتد اولة لأن امتحان التخرج في كيمبرج والذى يسمى (ترائي بوس) يدخله الطالب بعد الثانوية ويدرس ثلاث مواد لثلاث سنوات وهذا الامتحان يدخله غير المتخرجين فاذا قضى الطالب بعد التخرج مدة محددة بالجامعة يحصل على شهادة الماجستير الفخرية- أما اقبال فكان

قد التحق بكلية التثليث كطالب باحث- إذن فلا مجال لدخوله امتحان (ترائى بوس) من هناك- إلا أنه من الممكن أن يكون قد حضر في المحاضرات التي كان يلقيها الاستاذ (ميك تيجريت) و (وائت هيد) و (وارد) و (براون) و (نكلسون) وذلك باذن خاص في كيمبردج وكان استاذ آرنولد استاذ العربية بجامعة لندن في ذلك الوقت وكان نازلا بمدينة (ويمبل دن) على مسافة قريبة من لندن ويرى مؤلف هذا الكتاب بأن هؤلاء هم اساتذه اقبال (بما فيهم الاستاذ آرنولد) الذين كانوا قد بعثوا التوصيات إلى جامعة ميونيخ باستثناء إقبال من بعض الشروط- (٣)

وكان الاستاذ (ميك تيجر) يلقي المحاضرات عن فلسفة (كانت) و (هيجل) بجامعة كيمبردج في ذلك الوقت على صلة بكلية التثليث وكذلك السيد (وارد) و (وائت هيد) من الفلاسفة البريطانيين المعروفيين مثل الاستاذ (ميك تيجرت)- اما (براون) و (نكلسون) فهما من علماء العربية والفارسية ومن كبار المستشرقين البريطانيين- وقد ترجم نكلسون ديوان الاسرار لاقبال الى اللغة الانجليزية فيما بعد-

وقد كان اقبال على صلات ودية مع هؤلاء جميعا- وكان الاستاذ (ميك تيجرت) رجلا صوفى النزعة وكان اقبال يحضر في محاضراته بانتظام كما أنهكان يتناقش معه في مشاكل التصوف واستمرت المراسلة بين الاستاذ ميك تيجرت والاستاذ نكلسون وبين اقبال بعد عودته من انكلترا- وقرأ الاستاذ ميك تيجرت الترجمة الانجليزية لديوان الاسرار فكتب رسالة إلى اقبال يسأله اذا كان قد غير موقفه لأنه كان متصوفا وجوديا- كما لاحظ الاستاذ (ميك تيجرت) حين كان اقبال طالبا بجامعة كيمبردج وكان إقبال قد أعد مقالا عن فلسفة الاستاذ ميك تيجرت- (٥)

وكان من بين المشاكل التي واجها اقبال وهو نازل بمدينة كيمبردج هي مشكلة الحصول على للحلم المزكى وقد ساعده استاذا آرنولد في ذلك حيث يحدثنا اقبال عن ذلك قائلا: (٦)

"عند ما وصلت إلى انكلترا رجوت الدكتور (آرنولد) أن يدبر لي سكنا في بيت يمكن لي الحصول على لحم الذبيحة ولا يهتم احد بالذبيحة في اوربا غير اليهود فهم لا يأكلون إلا إبيحتهم أنفسهم فدبر لي السكن في منزل يهودى طيب وكان أهل هذا المنزل يمتازون بمحاسن كثيرة فكانوا يصلون صلاتهم بانتظام وكنت أشاركهم في دعواتهم حين كنت في المنزل وكنت اقول لهم بأنني تبرمت منهم بعد قليل وضاق قلبي بهم واكتشفت انهم كانوا يكتسوب الربح الاتحاد على كل شئ كنت أحتاج اليه وأشتريه بواسطتهم أن تصرف اهل المنزل في

اكتساب الربح على الاشياء التافهة جعلنى أتضايق بهم واتبرم منهم وبدا لى ان هذا التصرف منهم قد ذهب بحماسنهم كهلا"

وكذلك فان إقبالاً كان قد أخذ معه إبريقا للوضؤ حيث يحدثنا بذلك قائلا: (٧)

"كنت أخذت الإبريق معي حين سافرت طالبا إلى انكلترا- وكلما دخلت دورة المياه لقضاء الحاجة كنت آخذ الابريق معنى ومضت ايام على هذا المنوال واخيرا سألتنى ربة البيت الذى كنت نازلا فيه (كانت هذه السيدة في الخمسين من عمرها وكانت كريمة تشفق على كثيرا) قائلة: لماذا تذهب بهذا الإبريق داخل دورة المياه؟ فقلب لها: ان الطهارة حسب الشريعة الاسلامية لا تتم بالورق أو الحجر بعد أن يقضي الانسان حاجته بل يجب عليه الاستنجاء بالماء- فجرى الحديث عن هذا الموضوع بينى وبينها فشرحت لها مبادئى الطهارة والغسل حسب الشريعة الاسلامية"-

صفحه نمبر ١٥٩؟؟؟ غائب!!!

"رافقت صديقا انجليزياً إلى بلده خلال الاجازات الصيفية حين كنت طالبا بجامعة كيمبردج وكان يسكن في مدينة نائية في (اسكونلندا) وبعد عدة ايام من وصولى هناك علمت بان ارساليا مسيحيا قد عاد من الهند ويري أن يلقي محاضرة في مدرسة القرية ويحدث عن مدى انتشار المسيحية وسيرها في الهند فذهبنا انا ومضيفي لنستمع الى محاضرته- وكان عدد كبير من النساء والرجال قد حضروا للاستماع اليه فاخبرنا المبشر المسيحي بان عدد سكان الهند الآن ثلاثمائة مليون نسمة ولكن لا يجوز ان نسميهم بشر ان هؤلاء الناس يتقاليدهم وخصائلهم ومدنيتهم يعيشون على مستوى اقل من الانسان وفوق الحيوان قليلا وقد بذلنا جهودا لنسوات فثقفنا هؤلاء البشر الذين يشابهون الحيوان الا ان العمل كبير ومهم فالرجاء منكم ان تقدموا التبرعات لارساليتنا حتى نتمكن من النجاح في عملنا العظيم الذى قد بدأناه من أجل النوع البشرى صلاحه- ثم أخذ المبشر المسيحي يعوض الصور للهنود على الشاشة التى كانت معلقة على مصباح سحرى وكانت هذه الصور تمثل الشعوب والقبائل تمثيلا كريما للغاية والتي تسكن في غابات (اريسه) من قبائل (بهيل، جوند، دراوار) وعند ما انتهت محاضرته استأذنت رئيس الحفلة لا قول شيئا فأذن لي بكل سرور- فالقيت كلمة مثيرة استمرت خمساً وعشرين دقيقة فقلت وأنا اخاطب الحاضرين باننى هندى أصيل وان هذه الرض هي مستقط رأسي- فعليكم ان تنظروا الى فانا أحدث بلغتكم بنفس الطلاقة التى تحدث بها حضرة المبشر المسيحي وزعم بأنه جاء بعجائب الحقائق والمعارف وقد تلقيت العلم وانا في الهند وقد جئت

للدراسات العليا إلى جامعة كيمبردج وانتم تستطيعون ان تقدروا ما قلاه حضرة المبشر عن الهند وأهلها وذلك، بالنظر الى وجهى والى ملابسي وبالاستماع الى حديثي الواقع ان الهند بلد متمدن مثقف في العالم الشرقي ذلك البلد الذى حمل راية العلم والمدنية لمدة قرون ورغم اننا قد استعبدتنا انكلترا استعبادا سياسيا الا اننا اصحاب ادب ومدينة وتقاليد شعبية لا قل مجدا ومنزلة عن تقاليد الشعب الاوربية وان حضرة المبشر انما اراد ان يثير عواطفكم وان يفرغ جيوبكم بعرض هذه الصور الكريهة للهنود وعند ما انتهت كلمتى كان جو الاجتماع قد تغيرووا فقنى الناس في رأيي وخرج حضرة المبشر خالى اليد يائسا للغاية"-

والى جانب نظم الشعر كان اقبال قد أعد مقالا كان يشتمل على أسئلة وجوبتها عن الحركة الوطنية في الهند وهو طالب بجامعة كيمبردج وارسل هذا المقال إلى رئيس التحرير لمجلة "زمانه" الشهرية الصادرة من مدينة (كانبور) وقد نشر المقال في عدد المجلة لشهر ابريل سنة ١٩٠٦م وكتب اقبال في مقاله هذا: (١٣)

"ان الحصول على الحقوق السياسية يقصر على وحدة الأهداف لمواطنى بلد من البلاد فاذا لم تكن بينهم وحدة الاهداف فلا يمكن أن تنشأ فيهم الفكرة القومية وذا لم تقم وحدة بين أفراد امة أو شعب فان نظام النواميس الالهية سوف تقضي عليهم قضاء و يجعلهم كان لم يكونو شيئا مذكور- ان النواميس الالهية لاتهتم بفرد او مجموعة من الافراد الا ان الامر الذى يحزننا كثيرا هو ان الناس لا يزالون ينادون بالوحدة الا انهم لا يتخذون خطوات عملية ايجانية في حياتهم ما يدل على وحدتهم ومشاعرهم الداخلية ارجوكم ان تحاولوا اتخاذ الخطوات الايجابية العملية وان الغرض من الدين انما هو الصلح والوحدة بين البشر لا الحرب والعداوة بينهم ان هذه الحركة الوطنية اذا نجحت في ايجاد وحدة الاهداف والاغراض بين الهنادكة والمسلمين واخذت هذه الوحدة تتدعم شيئا فشيئا فهذا هو غرضنا و سنشكرا الله سبحانه على ذلك وبذلك تكون الهند سعيدة الحظ وسوف يرى العالم ان اسم بلادى قد اصبح غرة على جبين الشعوب في العالم كله"-

والظروف تدل على ان اقبالاً كان قد تقى في كيمبردج الى يونيو ١٩٠٧م واستمر في بحثه وأعماله الدراسية وكان يختلف إلى لندن في اثناء ذلك اما للمشاركة في المآدب لعشائية لخان لنكن او من اجل امتحانات القسم الاول للمحاماة وكان ينزل عند السير (عبدالقادر) او في مكان قريب من منزله كلما زار مدينة لندن (١٤) وفي خلال زيارته هذه لمدينة لندن التقى بالسيدة (عطيه فيضي) عند الآنسة (بيك) في اول ابريل ١٩٠٧م والانسة (بيك) هذه هي اخت

السيد (بيك) العميد المعروف لكلية عليكره الاسلامية- وكانت تشرف على شئون الطلاب الهنود وصلاحهم في لندن وكانت تتعامل معهم كام شفقة جنون- واكتشفت السيدة (عطية فيضي) بال اقبالاً يعرف اللغة السنسكرتية الى جانب الفارسية والعربية وكان متوقد الذهن وكان يعرف كيفيستغل الجانب الضعيف للآخرين أو يقول الجمل الفكاهية بالمناسبة- ورغم انه كان صاحب القلب الذكي والذهن المتوقد إلا أن جملة هذه الفكاهية كانت تمتاز (بالسخرية) ولا حظة السيدة (عطيه فيضي) خلال الحديث بان اقبالاً كان معجبا بالشاعر حافة الشيرازى اعجابا كثير حيث قال لها بانه اذا غلب عليه حافة الشيرازى في شعره وفكره فيبدو كأن روحه قد حلت في نفسه و صارهو حافة الشيرازى نفسه وكان اقبال قد وجه الدعوة إلى السيدة (عطيه فيضي) بالنيابة عن السيد (بلجرامي) و زوجته لتزورهما في كيمبردج وتم الاتفاق على أن تزورهما في ٢٢/ابريل من تلك السنة- (١٥)

وبعد أيام اقبال السيدة (عطية فيضي) إلى مأدبة عشاء في مطعم (فراسكاتي) ونظرت السيدة (عطية فيضي) الى لاطمعة المختارة والازهار الجميلة فاستحسنتها ووصفتها في عدد من الجمل فرد عليها اقبال قائلا بان له شخصية ذات جاتبين فهو في باطنه فيلسوف متصوف يعيش في دنيا الخيال واما في ظاهره فهو رجل عملى يعرف التعامل مع الناس وبعد أيام كانت السيدة (عطية فيضي) اقامت حفلة الشاى في منزلها تكريما لاقبال حيث عرفته بمن كانت السيدة (عطية فيضي) اقامت حفلة الشاى في منزلهها تكريما لاقبال حيث عرفته بمن كانت متعارفة بهم- وقد اشتركت في هذه الحفلة الآنسة (سلوستر) والآنسة (ليفي) من طالبات الادب والفلسفة كما حضر في الحفلة الملحنون من امثال (ميندل) و (متنزترات) اللذان قاما بعرض فني بالمناسبة وارتجل اقبال ابياتا شعرية فكاهية مما جعل الحفلة مناسبة المتعة والسرور وارادت السيدة (عطية فيضي) ان تسجل تلك الابيات الشعرية ولكن اقبال منعها قائلا بان ابيات الشعرية كانت خاصة بالحفلة ولا داعى الى تسجيلها أوضبطها- (١٦)

اقام اقبال في لندن لاسبوعين ثم عاد إلى كيمبردج ثم جاء الى لندن ليرافق السيدة (عطية فيضي) خلال سفرها إلى كيمبردج فسافر اقبال والسير (عبدالقادر) والسيدة (عطية فيضي) من لندن إلى كيمبرج في ٢٢/ابريل وجرى الحديث العلمى والفكاهي طول السفر فوصلوا إلى منزل البلجرامي في الثانية عشر تقريبا- فعرف اقبال السيدة (عطية فيضي) بالسيد (البلجرامي) وزوجته واستمر

الطلاب يزورونهم طول النهار وكان يبدو اقبال متبعا ساكتا ولكنه كان ينطق بجملة سريعة كلما عبث به اى واحد حتى لا يجد الرد على جملته وعادت السيدة (عطيه فيضي) إلى لندن في نفس الليلة-

وكان الدكتور (آرنولد) قد رتب حولة النزهة على صفة نهر (كيم) في كيمبردج في أول يونيو ١٩٠٧م ووجهت الدعوة الى السيدة (عطية فيضي) او تشترك في تلك الجولة فوصلت السيدة (عطية فيضي) الى كيمبردج وقد اشتر في هذه الجولة العديد من اهل العلم بمافيهم اقبال و جرى النقاش عن مشكلة الحياة والمحات فاخذ كل منهم يبدى عن رأيد غير اقبال الذى ظل ساكتا طول الوقت وحبنما انهى الجميع حديثهم وارائهم قال الاستاذ (آرنولد) وهو يخاطب اقبالاً لماذا انت ساكت؟ ولماذا لم يبد رأيك في الموضوع؟ فرد اقبال وهو يبتسم انتسامته الخاصة الملئة بالرعاية السخرية قائلا: "ان الحياة هي بداية الموت والموت هو بداية الحياة وبذلك انتهى النقاش! " (١٧)

ولعل السير (عبدالقادر) قد زار اقبالاً لاخر مرة في كيمبرج خلال هذه الايام ودعاهم بعض الاصدقاء الى حفلة الشاى ثم خرج جميعهم الى النهر "كيم" متزهين وكانت السيدة تحمل "الكاميره" فارادت ان تصور الجماعة و بينماهم يتهيأون للتصوير فاذا بالشمس تغيب وراء السحب فاخذوا ينتظرون ظهورها من وراء السحب فارتجل اقبال هذيمن المصراعين وهو ينظر الى الشمس وهي تغيب وتختفي: (١٨)

ذات وجه القمر تريد أن تصورنا على شاطئ نهر
إلا اننا يجب ان ننتظر حتى تطل علينا الشمس

وتبدأ الاجازات الصيفية في جامعة كيمبردج في الاسبوع الاخبر من شهر يونيو وبذلك تنتهى السنة التعليمية للجامعة- ويرى مؤلف الكتاب ان اقبالاً كان قد أعد اطروحته في شهر يونيو ١٩٠٧م اى في خلال سنتين إلا ربعاً تقريبا ثم بعث بها إلى جامعة ميونخ ولم يعد اقبال في حاجة إلى المزيد من الاقامة بمدينة كيمبردج فتحول إلى لندن-

وكان السير (عبدالقادر) قد عاد إلى بلاده في ١٩٠٧م وليس لدينا مو يؤكد لنا عن المكان الذى نزل به اقبال في لندن قبل ان يسافر الى "هايد لبرج" (المانيا) وقد جاء في بعض ما كتب ان اقبالاً كان ينزل عند الاستاذ (آرنولد) في مدينة "ويم بلدن" ولكن السيدة (عطية فيضي) تصرح بأنه كان نازلا عند ربة بيت المانية

واسمها الآنسة (شولي) وكان اقبال يعد الاطعمة الشعبية بيديه كما أنه كان قد علم الآنسة (شولي) كيف تعدها إذا ارادت اعدادها- أقام اقبال شهرا تقريبا في لندن واغلب الظن انه سافر إلى "هايد لبرج" في الاسبوع الثالث من يوليو-

وكان الاستاذ (آرنولد) قد دا السيدة (عطية فيضي) و اقبالاً خلال اقامته في لندن الى مأدبة عشاء في ١٦/يونيو ١٩٠٧م وقال الاستاذ (آرنولد) خلال الحديث انه يريد ان يرسل اقبالاً الى المانيا حيث اكتشفت مخطوطات عربية نادرة تستحق القراءة واقبال يصلح لذلك فوافق اقبال على ذلك فوصل اقبال الى منزل السيدة (عطية فيضي) في السماء القادم ومعه كتب عربية والمانية وطل يقرأها لها من تلك الكتب لمدة ثلاث ساعات- وترى السيدة (عطية فيضي) بان اقبالاً كان يبدو متاثرا بفلاسفة المانيا وانشدها من الشعر الفارسي ومعظمه كان لحافظ الشيرازى-

واجتمع المجلس في ٢٣/يونيو عند السيدة (عطية فيضي) مرة اخرى حيث غنى الدكتور الانصارى باغنية و عزفت الدفوف الآنسة (كموله) و(رموله) ابنتا اللورد (سنها)- اما اقبال فارتجل بيتا شعريا فكاهيا عن كل مشارك في الحفلة وتمتع بها الجميع واخذ اقبال السيدة (عطية فيضي) الى مقره في ٢٧/يونيو حيث كانت ربة بيته الآنسة (شولى) قد اعدت الاطعمة الشعبية الشهية وعلت السيدة (عطية) بان الاطعمة قد اعدت حسب التعليمات من اقبال وانه هو نفسه يعرف إعداد الاطعمة قد اعد حسب التعليمات من اقبال وانه هو نفسه يعرف إعداد الاطعمة الهندية كهلا- وفي هذا المساء نفسه قرأ اقبال شيئا من أطروحته على السيدة (عطية فيضي) لياخذ رأيها في ذلك- ثم أخذت السيدة (عطية فيضي) إقبالاً معها فذهبت به إلى (الحقلة السنوية للمعهد الملكي) حيث كان يوجد اعضاء الاسرة الكلية وتبرم اقبال بتلك الحفلة ذات الكفة والقيود فاخذ ينطق بجمل مليئة بالرعابة والسخرية كالمعتاد- وتصرح السيدة (عطية فيضي) بان الناس جميعا في لندن كانوا يعرفون بان اقبالاً هو ارهف الطلاب الهنود وأحدم طبعا وذكاءا (١٩) ولم يكن اقبال يؤمن بالاكثار من الاصدقاء ولم يكن يختلط بالأجانب كثيرا كما انه كان يجتنب من المشي والتحول او الذهاب إلى الخارج ويحدثنا السير (عبدالقادر) قائلا: (٢٠)

"خصلتان من طبع اقبال كانتا قد اخذتا تبرزان بروزا متدرجا وهو في لندن أحدمهما عدم الاختلاط مع الاجانب والى ذلك اشار اقبال في بعض ابياته الشعرية ولم يكن يكثر من اتخاذ الاصدقاء- وأما الخصلة الثانية فهو التكسل في

التنقل والتجول حتى أنه كان يعطى الموعد للذهاب إلى مكان ما ثم يقول إنه لا يستطيع الذهاب لانه لا يود أن يلبس الملابس ويخرج"-

وقد حضر اقبال والسيدة (عطية فيضي) في حفلة عشاء في ٢٩/يونيو اقامتها السيدة (قرينة ايليت) في بيتها ثم دخلت الانسة (سروجنى) (والتي اصبحت فيما بعد سروجنى نائيد وشاعرة الهند المعروفة وزعيمتها السياسية) وقد لبست ملابس براقة لماعة وتزينت بالحلى الغالية وقد تجملت فوق العادة وأكثر من اللازم فأعرضت عن الجميع و وثبت حتى وصلت إلى إقبال فقالت فهي تخاطبه : "ما جئت إلا لأراك" فرد عليها اقبال مرتجلا "ان هذا لهجوم مفاجيء وسوف اعتبر من العجائب اذا نجوت سالما من هذه الغرفة؟" وظلت السيدة (عطية فيضي) تزور اقبالاً بعد كل يومين أو ثلاثة أيام قبل أن يسافر إلى "هايد لبرج" وارادها اقبال مقاله عن تاريخ العالم باللغة الالمانية في اثناء ذلك ويبدو أن إقبال كان قد أخذ يستعد للدراسة اللغة الالمانية وهو لا يزال بكيمبردج- وتحدثنا السيدة (عطية فيضي) بأن اقبالاً كان قد أخذ يميل إلى فلسفة المانيا و شعرها الى جانب رغبته في التاريخ (٢١)

و سافر اقبال إلى "هايد لبرج" في الاسبوع الثالث من شهر يوليو سنة ١٩٠٧م ولعله دخل المانيا من "دووار" الى "كيلى" أو من طريق "بالون" في مناطق فرنسا الشمالية الشرقية- وكان يريد أن يتعلم اللغة الالمانية بعد وصوله الى "هايد لبرج" ليتكمن من الامتحان الشفوى عن اطروحته للدكتوراة باللغة الالمانية في جامعة ميونيخ-

"هايد لبرج" مدينة جامعية صغيرة يخترقها من الوسط نهر (نيكر) وتحيط بها الجبال ذات البوادى والغابات وعلى قلل بعض الجبال منها توجد حصون المانية قديمة- وتعرف هذه المدينة بمنتزهاتها وحدائقها المشمرة وبساتينها ذات الأزهار تسوده الصمت من كل جانب ولا يثير الشغب فيها إلا صوت ماء النهر الجارى ومبنى الجامعة أيضا يقع على جبل و توجد منتزهات على ضفتي النهر إلى صافة بعيدة- كما انه توجد المقاهي الجميلة على ضفة النهر في المدينة وعند دور الاقامة للجامعة واقام اقبال في "هايد لبجرج" اربعة اشهر تقريبا أى إلى نوفمبر سنة ١٩٠٧م وظلى يدرس اللغة الالمانية وآدابها بالجامعة في اثناء ذلك- وكانت مدرستان وهما السيدة (فزاولين وئ جي ناست) و (فراولين سي بي شل) من بين من قام بتعليم اقبال بالجامعة وكانوا يسكنون في دارالاقامة على مقربة من النهر

(نيكر) حيث كان يسكن اكثر من مائة طالب و استاذ وكانت تدير دارالقامة هذه استاذة في السبعين من عمرها واسمها الاستاذة (فراوهيرن) وكان الطلاب يتحملون تكاليف الجامعة ودار القامة- إلا أن الاستاذة لم يكونوا بدفعون شيئا من نفقات الاقامة والاكل وانما كانوا يسكنون مجانا ويتمتعون بالمزيد من التسهيلات- وكانت المواعيد الدراسية تمتد م الصباح الى المساء وكان الاستاة والطلاب يختلطون بعضهم ببعض فكانوا يتمشون معا في اوقات الضرانح ويغنون معا ويجدفون في النهر ويتجاذبون الوان الحديث في المقاهي وقد قضي اقبال احلى لحظات حياته بمدينة "يايد لبرج" حيث كان بها مسرورا جدا ولا يتعبه شئ ويشارك في كل عمل الاطفال يرغب في كل شئ ويهتم به وكان يعتبر طالبا ذكيا للغاية بين أقرانه إلا أنه لم يكن له من الممكن أن يواظب المواعيد المحددة ومن ثم الآخرون ينتظرونه دائما وكانوا يحبونه كثير رغم معرفتهم بخصائله هذه- وكان اقبال يختلف بين حين وآن إلى مدينة ميونيخ خلال اقامته في "هايد لبجرج" وكانت المسافة قليلة وميونيخ مدينة كبيرة نسبيا وتعرف بكنائسها ومتاجفها و مكتباتها وكان اقبال على صلة بجامعة ميونيخ حيث كان قد قدم اطروحته بها وكان لابه له أن يذهب اليها لامتحان الدكتوراة الشفوى- وكان بستفيد من الاستاذ (ران) وابنته السيدة (فر اولين ران) ميونيخ في موضوع اللغة الالمانية وآدابها والفلسفة الالمانية ولعل اقبالاً كان قد درس المخطوطات العربية النادرة الموجودة بمدينة ميونيخ كما اخبره بها الاستاذ (آرنولد) الا انه ليس لدينا ما يؤكد لنا شيئا (٢٢) من ذلك- بعد أن نزل اقبال في "هايد لبرج" وجه الدعوة الى السيدة (عطية فيضي) أن تزوره وتأتى ببعض الكتب معها فوصلت السيدة (عطية فيضي) مع خمسة أو سأة من زملائها في السفر في الساعة الخامسة مساءا في ٢٠/ اغسطس ١٩٠٧م إلى قدينة "هايد لبجرج" واستقبلهم اقبال مع اصدقائه على المحطة فعرفهم بالسيدة (فر اولين وى جي ناست) و (فر اولين سي بي شل) فذهبوا بهم إلى مقرهم في موكب ثم شرب الجميع القهوة في مقهى حديقة الجامعة وظلو يتجاذبون الوان الحديث ويتمتعون بذلك الى اخر الليل ولا حظت السيدة (عطية فيضي) بان اقبالاً كان مسرورا جدا وقد غاب عنه اسلوب السخرية في الحديث الذى كان يمتاز به لندن ولا حظت ان طبعه قد امتاز بشئ جديد من البساطة والحلم-

وفي اليوم الثاني اجتمعوا في مقهى على ضفة النهر بعد نهاية المحاضرات وأخذوا يناقشون فلسفة اليونان وفرنسا والمانيا وكانت السيدة (فر اولين وى جى ناست) و (فر اولين سي بي شل) تعرفان اللغات الثلاثة- وكان اقبال منهمكا في

حديثهما أو انه كان مستغرقا في خياله حتى انه كأنه استيقظ من النوم عند ما جان وقت الذهاب وتحدثنا السيدة (عطية فيضي) بأن اقبال كان سليطا متبرما للغاية وهو في لندن- اما هناك فقد كان بالعكس- فقد كان يبدى التوافض والانكسار بين حين واخر وشاركهم الطلاب الاخرون في ذلك بعد قليل وضعد الجميع على (الف درج) حتى وصلوا الى قمة الحبل (برشلوس) وهم يغنون الاغاني الالمانية معا- وشاركهم اقبال في هذه الاغاني ولكن بدون أى لحن او صوت جميل-

واتفوا في اليوم الثالث على ان يخرجوا متنزهين إلى (نائين هائين) فاستعدوا مبكرين واجتمعوا ليتمكنوا من ركوب القطار ولكنهم لم يجدوا اقبالاً بينهم وكان موعد القطار على وشك النهاية وهم ينتظرون اقبالاً وفي اثناء ذلك جاءت خادمة وهي تصيح قائلةً لا اعرف ماذا حدث للاستاذ اقبال فسارع الجميع إلى غرفته في شيٍ من الدهشة والحيرة فرأوا المصبح مضيئا في الغرفة وإقبال جالس أمام كتب مفتوحة على المكتب وقد غاب عن نفسه وعن الدنيا وما فيها وهو يحدق في الخلاء بصمت وذهول وكانت (فراو هيرن) مضطربة جدا فاستشارت السيدة (عطية فيضي) في القضية فنادت السيدة (عطية فيضي) اقبالاً باسمه الا انه لم يرد عليها بشيٍ فتقدمت اليه وهزته وهي تقول له باللغة الاردوية الله قم يا اقبال انك في مدينة المانية بسيطة ولست في الهند حيث يرضي حيث يرضي الناس بمثل هذه الاشياء بكل سهولة وكان وكان إقبال قد أخذ يستفيق ويعود إلى نفسه شيئا فشيئا فقال بأنه لم يزل يقرأ بعض الكتب إلى آخر الليل حتى أجس في أثنا ذلك بأن شعوره قد انفصل عن جسمه وكان مضطربا بسبب هيام الشعور بأنه بدون الجسم إلا أنك ايقظتني ثم تحرك الجميع حتى وصلوا إلى (نائين هائين) بعد السفر بالقطار لمدة ساعدة ونصف وقطعوا الطريق الجبلي صاعدين فيه ثلاثة اميال واخذت (فر اولين وى جي ناست) تغنى اغنية هندية كانت قد تعلمتها من السيدة (عطية فيضي) ما معناه:

ايتها البائعة لأسوار الأزهار ما هذا التدلل

وشاركها الاخرون في اغنيتها هذه وأخذوا يقطفون الازهار البرية وهم يمشون في طريقهم فصنعا من الازهار تيجانا ولبسوها على رؤسهم حتى وصلوا الى قمة جبل حيث اختاروا مقرا لنزولهم وفجأة بدأ الجميع يخلعون زهورهم ويضعونها على رأس اقبال ويقولون له "قد توجناك تتويجا تتجويجا وجعلناك ملكا لمملكة تقع في دنيا غير معلومة! "

وفي البوم الرابع ركب الجميع القطار الكهربائى فوصلوا به الى (كونج اشتال)

فوق قمة جبل فاخذ اقبال يقول الأبيات الشعرية الفكاهية في كل واحدمنهم مما لم يفهمه الالمان فسألوا اقبالاً عن معانيها فقال لهم اننى آمركم في لغة الكون ان تضعوا حلقة سحرية وان انشدولنا انشودة الملائكة فامتثل الجميع بأمره هذا فاخذوا يغنون انشودة من مسرحية المانية ويمثلونها تمثيلا ثم اخذوا يمشون حتى وصلوا الى مكان اسمه (كهلوف) والذى كان على ثلاثة اميال حيث قضوا بعض الوقت في حدائق كهلوف ثم اخذوا يعودون وقد امسك كل واحد منهم يد الاخر في ثلاثة صفوف وبدأوا يمشون حتى وصلوا الى "هايد لبرج" متعبين مكدودين متأخرين في المساء-

وفي اليوم الخامس ركبوا قطارا واتجهوا نحو الشمال حتى وصلوا بعد ساعة إلى مكان يقع فيه بستان تاريخي حيث بنى معبد لكل ديانة الى جانب التماثيل ايونانية والشلالات وبرك المياه والاشجار الثمرة والطيور المتنوعة وفي اليوم السادس خرجوا ضاحكين مسرورين مرحين و ركبوا القطار حتى وصلوا الى قلة جبل ليتفرجوا على الرقصات الشعبية للالمان القرويين- وكانت توجد آثار القلعة القديمة في حديقة على تلك القمة فقضوا النهار كله وهم يتمتعون برقصات القرويين اللابسين الملابس المتلونة المتنوعة-

وفي اليوم السابع رافقت السيدة (عطية فيضي) إقبالاً الى ميونيخ حيث قضيا يومين فاخذها اقبال معه وزار الكنيسة والمتحف والقصور والحدائق وصالات العرض للفنون الجميلة والكتبات وكان اقبال معجبا بمدينة ميونيخ فكان يسميها (جزيرة الافراج) وذهبوا الى بيت الاستاذ (ران) عند المساء والكلا العشاء معه فغنت لهم السيدة (فر اولين ران) بعض القطعات الكلاسيكية من الموسيقى الالمانية على أبيانة واخبرت (فر اولين ران) السيدة (عطية فيضي) بأن اقبالاً قد تعلم اللغة الالمانية في مدة قليلة هي ثلاثة اشهر ولا يمكن لأحد ان يتعلم هذه اللغة بهذه السرعة وأخبرا وصلا إلى "هايد لبرج"-

وكان ٣٠/اغسطس مختصا لسباق التحديف في النهر وعند ما وصل الطلاب إلى غرفة اقبال وجدوه محاطا بالكتب فقالت (فر اولين وى جي ناست) بأن اليوم مختص بسباق الزوارق في سباق الزواوق الا ان زورقه كان اخر الزراوق و صولا الى الهدف-

واما الأيام العديدة المقبلة فانهم قد قضوها أما متجولين متزهين بين الاماكن الموجودة حول "هايد لبرج" ومنها "شلوس بيكر بائن شتائن" المعروف و (جبال آئر باخ) او مقتطفين التفاح من الحدائق او جامعين الازهار منها او مشاركين في

الرقصات الشعبية أو آكلين في المطاعم المفتوحة أو زائرين متاحف التاريخ الطبيعى والسلاح- أما اقبال فلم يكن ملقعا عن الفكاهة والتلاعب بالالفاظ وذات ليلة نظر اقبال الى فتاة على مأدبة عشاء في دارالاقامة فارتجل اقبال هذا البيت الشعرى امام السيدة (عطية فيضي) فانشده لها فاند فعت في الضحك:

على خديها شعرات ذهبية
فلابد من الموسى الذهبية لحلقها

وكان ٤/سبتمبر ١٩٠٧م محددا العودة السيدة (عطية فيضي) مع زملائها إلى لندن وفي صباح ذلك اليوم جاء كل واحد منهم وقد أعد أطعمة خاصة ودخلوا حديقة الاثمار واسمها (ايش بيئر هوف)- واما اقبال فكان قد اعد الاطعمة الهندية بنفسه فجلس جميعهم في الحديقة واكلو تلك الاطعمة اللذيذة المتنوعة وعندما جان وقت التوديع للسيدة (عطية فيضي) وقف جميعهم مصطفين لها ووقفت السيدة (عطية فيضي) امامهم فاخذوا يغنون مجتمعين هذه المنظومة التوديعية التى كانت قد اعدت باللغة الالمانية تحت اشراف اقبال الخاص وهذه ترجمتها: (٢٣)

واخير قد جان لجوهرة الهند المضيئة للغاية
قد جان لنا ان نودعها توديعا-
تلك النجمة التي لم يزل تتلأ لأ وترقص بجانبنا-
والتى كانت تضيء المجامع البعيدة منها والقريبة-
تلك النجمة التى كانت تستعرض راية الصلح والامن-
والتي كانت تمنح السكينة والطمانينة للارواح المضطربة في كل مكان
اننا قد جئنا وقد تحلينا بآهة حزينة كبيرة-
تلك الآهة التي تصل قريبا وبعيدا و الى كل مكان مرتفع-
نعم انت التى خاطبناها في ابيتنا الشعرية هذه-
اذهبي ودعواتنا وبركاتنا تصاحبك حيث تذهبين
ان اطيب آمالنا واعطر اشواقنا تصاحبك في كل مكان
عند ما تعريبه الانهار والبحيرات والبحار-
عودى بكل توفيق ومجد وعظمة و شأن-
ان العدد الضم من اصدقائك لا يزالول في انتظارك-
فالى مثل ذلك الوقت نقول لك
في امان الله والوداع-

واما تحديد التاريخ لامتحان اقبال اشفوى عن الطروحته بجامعة ميونيخ فلا نستطيع ان نجزم القول في ذلك فقد كان الاستاذ (ف هومل) من بين لجنة الممتحنين وقد منحت له شهادة الدكتوراة من جامعة ميونيخ في ٤/سبتمبر ١٩٠٧م وعليه فان الامتحان يجب أن يكون قد سبقه وقد يمكن أن يكون ذلك في نهاية شهر سبتمبر أو في شهر اكتوبر وقد نشرته اطروحة اقبال للدكتوراة باللغة الانجليزية وعنوانها (تطور فلسفة ما وراء الطبيعة في ايران) في ١٩٠٨م في لندن- وكتب الاهداء باسم الاستاذ (آرنولد) وعاد اقبال إلى لندن في نوفمبر ١٩٠٧م وأخذ يستعد لامتحان المحاماة النهائى وأقام في لندن حتى شهر يوليو ١٩٠٨م ومن الممكن أن يكون اقبال قد دخل الامتحان النهائى للمحاماة في مايو/ ١٩٠٨م وظهرت النتيجة في أول يوليو ثم عاد إقبال إلى وطنه-

وكان اقبال قد بدأ يلقي سلسلة من المحاضرات عن الاسلام ومدنيته وكان من بين موضوعات المحاضرات "التصوف الاسلامي" واثر المسلمون في المدنية الغربية والديمو قراطية في الاسلام و "الاسلام والعقل الانساني" وغير ذلك- ويبدو من رسالة اقبال الى الخواجا حسن نظامي والتى كتبها اقبال في ١٠/فبرائر ١٩٠٨م (٢٤) انه كان قد فرغ من محاضرة لهذه السلسلة في ذلك الوقت وانه كان يلقي محاضرة ثانية عن التصوف الاسلامي في الاسبوع الثالث من شهر فبرائر- واما تواريخ هذه المحاضرات والاماكن التى القيت فيها فليس من السهل الوصول الى جواب صحيح في ذلك واغلب الظن ان محاضرة واحدة منها كانت قد القيت في (قاعة كنكستن)- (٢٥)

ويتضح مما كتبه اقبال بأنه كان قد عين استاذ اللغة العربية مؤقتا ولعدة أشهر في جامعة لندن ولعل التعيين في هذه الوظيفة كان في خلال المدة التي قضاها اقبال في لندن والتي ذهب الاستاذ (آرنولد) خلالها في اجازة ستة اشهر فحل اقبال محله كأستاذ وقام بالواجبات التدريسية مكانه- (٢٦)

واقدت اقامة اقبال في لندن تسعة اشهر تقريبا وقد شارك في النشاطات الاجتماعية للطلاب المسلمين خلال تلك المدة ويصرح الميرزا جلال الدين بان اقبالاً قد انشأ جمعية شبه سياسية باسم (جمعية الوحدة الاسلامية) خلال اقامته في لندن وكان امينها العام السير (عبدالله الشهروردى) وكان السير (سلطان احمد) و (الميرزا جلال الدين) امينين مشاركين للجمعية ونعد ما وصل اقبال الى انكلترا كانت هذه الجمعية قد انشئت فيحدثنا السير (عبدالقادر) انه هو واقبال كانا يحضران في المجالس العلمية احيانا كلما جاء اقبال من كيمبردج إلى لندن (٢٨)

ويصرح (عبدالله انور بيك) بان الاستاذ (حافة محمود شيراني) كان قد انشاء جمعية اسلامية تهتم بالقضايا الاجتماعية للطلاب المسلمين الواردين الجدد بلندن، فأص بعض الطلاب المسلمين على ان تسمي هذه الجمعية جميعة الوحدة الاسلامية إلا أن البعض الآخر قد عارض ذلك وقال بان هذه التسمية سوف تعطيها صبغة سياسة وكان السير (عبدالله السهرودى) يؤيد تسميتها بالوحدة السلامية إلا ان (سيد امير على) والاستاذ (آرنولد) ارادا أن تسمي الجمعية جمعية اسلامية فقط (اسلامك سوسائتي) واخيرا أيدا اقبال القائلين بتسميتها جمعية الوحدة اسلامية وبهذا الاسلام عرفت الجمعية (٢٩) والواقع ان المسلمين كانوا يسمون حركة الوحدة للدول الاسلامية بالوحدة الاسلامية دائما إلا ان السياسيين والصحف في أوربا سموها "بان اسلام ازم" وذلك لا يقاظ الرأى العام وتنظميه ضد هذه الحركة وعليه فكيف يمكن لاقبال أو الطلاب المسلمين أن يؤيدوا مصطلح "بان اسلام ازم" او "الوحدة الاسلامية" على كل حال فان الجمعيات الطلابية من هذا النوع في انكلتراتتم انشاؤها لجميع الطلاب وهذه الجمعيات اما تحتفل المناسبات الدينية أو توجه الدعوة إلى شخصيات معروفة لالقاء المحاضرات ولعل اقبالاً قد اشترك في أجرءات هذه الجميعة خلال اقامته في لندن ليتمكن في الالتقاء بالطلاب المسلمين-

وفي ١٩٠٥م تم تغيير نائب الملك في الهند نحل اللورد (منتو) محل اللورد (كرون) كما أن الحزب اللبرالي استلم السطة في انكلترا وبذلك ظهر الامكان للمزيد من الحقوق الدستورية بواسطة الكونجرس الهندى وبما كان الهنادكة يطالبون بالاصلاحات الدستورية الجديدة بصفة مستمرة- وقد أدلى بالتصريحات كل من اللورد (منتو) و (جان مورلي) وكيل الدولة للشئون الهندية عن هذا الموضوع وهذه الاوضاع اقلقت انصار السير سيد مثل (محسن الملك) و (وقات الملك) و ذلك لانه لو طبق مبدأ الانتخابات في الهف فمعنى

ذلك ان الاغلبية الهندوكية سوف تسيطر على المسلمين ومن ثم كاء موقف القادة المسلمين السياسي دفاعيا النسبة إلى موقف الاغلبية الهندوكية وكان القادة المسلمون يعتقدن بان الاحتفاظ بحقوق الاقلية المسلمة لا يمكن الا اذا طبق مبدأ الانتخاب على اساس النيابة المنفصلة لكل من الهنادكة والمسلمين- وبهذا الصدر كون القادة المسلمون وفدا سياسيا كان يقوده (آغا خان) في اول اكتوبر ١٩٠٦م فالتقى هذا الوفد الاسلامي مع اللورد (منتو) في مدينة (شملة) فاكد لهم اللورد

(منتو) بانه سوف يرعى حقوق المسلمين في ضوء ما طالبوا به وكان نجاح هذا الوفد قد مهد طريقا لانشاء منظمة سياسية للمسلمين فاجتمع القادة المسلمون في ديسمبر ١٩٠٦م بمدينة "دكا" حيث انشئت الرابطة الاسلامية للهند وترأسها آغا خان وعين وقار الملك امينا عامر للرابطة و (محسن الملك) امينا مشاركا لها- وكانت الاصلاحات الدستورية التى اعدها (مورلي) و (منتو) قد طبقت في الهند على اساس مرسوم المجالس الهندية والذى صدر في ١٩٠٩م والذى اعترف بما طالبه المسلمون من الانتخابات على اساس النيابة المنفصلة وتم الاعتراف بذلك دستوريا-

وافتتحت اللجنة البريطانية للرابطة الاسلامية الهندية في لندن في مايو/١٩٠٨م حين عد اجتماع المسلمين المقيمين في لندن في قاعة (كيكستن) والذى ترأسه (سيد امير على فانتخب (سيد امير علي) رئيسا للجنة كما انتخب اقبال عضوا للمجلس التنفيذى والجنة الصغير التي كونت لوضع القواعد والمبادئ فيها (سيد امير على والرائد سيد حسن بلجرامي) واقبال كاعضاء لها- (٣٠)

وكان اقبال قد اعتاد خلال اقامته في لندن كلما سافر من مقره الى المدينة أن يسافر بالقطار وعن مثل الاسفار يحدثنا اقبال قائلا: (٣١)

"كنت أسافر بالقطار عند الساء كل يوم الى مسكني وانا طالب في انكلترا وكان هذا القطار ينتهى في محطة وكان المسافرون يتحولون الى رصيف اخر من حيث يركبون القطار الاخر وكلما وصل القطار الى المحطة نادى كمسارى القطار بصوت عال (آل شينج) اى يجب على الجميع ان يغيروا القطار وذات يوم كنت جالسا في القطار كالمعتاد فاذا بالمسافرين من قراء الجرائد اخذوا يتحدوثون عن الديانة البوذية فاشار أحدهم الى وهو يقول لعل هذ الرجل من آسيا يجب ان نسأله عن الديانة البوذية فسألوني عنها فقلب لهم ارد عليكم حالا ثم سكت بعد الكلام فسألوني مرة اخرى بعد لحظات فقلت لهم ارد عليكم حالا فقالوا على لعلك تفكر في الرد فقلت لهم: نعم وفي اثناء ذلك وصلنا الى المحطة واخذ كمسارى القطار ينادى: الجميع يغير القطار فقلت لهم: هذه هي الديانة البوداية-"!

واما تكاليف اقبال خلال اقامته للدراسة في أوربا فكان بتحمل معظمها شقيقه الشيخ عطا محمد وكانت حالته الاقتصادية قد تحمنت خلال الاشهر الستة التي قضاها كاستاذ العربية في جامعة لندن، اما قبل الحصول على هذه الوظيفة فكان يطلب النقود من شقيقه وعن ذلك يحدثنا اقبالا قائلا: (٣٢)

"عند ما ذهبت إلى انكلترا كانت عندى نققد ادخرتها الا ان معظم النفقات اعطاها لى شقيقي- كما انه كان يرسل لى النقود بين حين واخر خلال اقامتي بانكلترا وعندما نجحت في امتحان بكالوريوس من جامعة كيمبردج كتب الى شقيقى قائلا بان اكمل دراسات الحقوق واعود الى بلادى إلا انني كنت أريد الحصول على درجة الدكتوراة فرددت على شقيقي ان يرسل لى بعض النقود حتى احصل على درجة الدكتوراة من المانيا فارسل الى النقود التي كنت طلبتها منه وخلال تلك الايام كان شقيقي جالسا بين اصدقائه المخلصين ذات يوم فسأله رجل: سمعنا ان اقبالاً قد حصل على شهادة اخرى فرد عليه شقيقي: نعم ماذا اقول لك انه لا يزال يحصل على شهادة بعد اخرى ولا نعرف متى تد عليه هذه الشهادات بشيء ينفعنا"-

وفي هذا الطور من حياته حدثت تغييرأت عديدة في شعر اقبال اولا أنه ادرك بأنه لا يمكن ان نغير الشعر التقليدى حتى نتمكن من التعبير به عن الافكار الشرقية حسب الضرورة او نجعله يحقق اهدافنا- ونظرا الى هذا الرأى اعتزم اقبال على أن يعرض عن نظم الشعر وأغلب الظن انه كان قد ذكر ذلك لصديقه السير (عبدالقادر) في ١٩٠٦م فحاول السير (عبدالقادر) ان يقنعه قائلا بأن شعره يتضمن تأثيرا قد يمكن ان يكون علاجا للمراض التي يعاني منها شعبه المتخلف الشقي فلا يجوز اضاعة الكفاءة والموهبة المفيدة من هذا النوع واتفق اخيرا على الاخذ برأى الاستاذ (آرنولد) فوافق (آرنولد) ما رآه السير (عبدالقادر) وقرروا على انه لا يجوز لاقبال أن يعرض عن نظم الشعر: (٣٣)

اما التغير الثاني على جد تصريح السير (عبدالقادر) فهو تغير بدأ

من نقطة صغيرة بدائية حتى وصل إلى هدف عظيم وعن ذلك يحدثنا السير (عبدالقادر)- (٣٤)

"الحدث الصغير الذى بدأبه اقبال بنظم الشعر باللغة الفارسية هو انه كان معزوما عند صديق من اصدقائه فطالبوا منه ان ينشد لهم شعر فارسيا وسالوه هل ينظم الشعر هو بالفارسية ايضا فكان لابد له من الاعتراف بانه لم يحاول أن يقول الشعر باللغة الفارسية اكثر من بيت او بيتين إلا أن هذه اللحظة كانت لحظة حاسمة وهذه المطالبة من أصدقائه أصبح حافزا لنظم الشعر بالفارسية فعاد من مأدبة الطعام فاستلقى على مضعه ولعله قضي بقية الليل وهو يقول الشعر بالفارسية حتى انه قابلنى بعداد استيقظ في الصباح الباكر فاراني قصيدتين غزليتين بالفارسية ثم انشدنيهما على لسانه فهاتان القصيدتان الغزليتان اكدتا له عن موهبه ومقدرته على نظم الشعر بالفارسية ولم يسبق له ان

يخبر كفائته في هذا المجال وبعد ذلك وخاصة بعد وعودته من انكلترا تحول طبعه الى نظم الشعر بالفارسية وان كان ينظم الشعر بالاردوية بين حين وآخر"-

وبحكم المامه بالاداب الانجليزية كان اقبال قد تأثر بالشعراء الانجليزية مثل (ملتون) و (ورد زورث) و (شبلى) و (بائرون) و (برونينج) و (ماثيو ارنولد) و (تينيون) و (ايمرسون) و (كرى) و (لانج فالو) إلى جانب الشاعر الكبير (شيكسبير)- ومن الممكن ان يكون اقبال قد ألم ببعض القطعات من الآداب الفرنسبة (٣٥) ولكنه بحكم رغبته في اللغة الالمانية درس الآداب الالمانية وقرأ منها شئيا كثير خلال قامته في "هايد لبرج" وكان يميل اقبال الى الآداب الالمالنية لسب اخر وهو ان الحركة الشرقية في الاداب الالماني كان اكثر تأثيرا وروعة من الآداب الاوربية الاخرى- وكانت الحركة الشرقية قد بدأت بجموعة من الآداب الاروبية الاخرى- وكانت الحركة الشرقية قد بدأت بجموعة الفها (هيردر) وسماها الازهار المختارة من الشعر الشعراء الشرقين وكانت هذه المجموعة تشتمل على شعر (حافظ) و (سعدى) و (رومي) و (بهارترى) الى جانب الحكايات المترجمة من (او بنشيد) و (بحوت جيتا) ثم اهتم (غوته) بهذه الحركة اهتماما بالغا وكان قد تاثر بالآداب الفارسية والعربية والسنسكريتية- فان كتابه الغربي الخاص (فاؤست) يحمل طابعا خاصا منظومة (شكنتلا) للشاعر (كالى داس) وخاصة في بداية الكتاب- وكانت دراسة غوته للديوان حافظ حافزا وراء تأليف (الديوان الشرقي الغربي) وكان قد تأثر إلى جانب "حافظ" بالشاعر (رومي) و (سعدى) و (فريد الدين عطار) و فردوسي كما انه تأثر النبوية الشعرية وتعاليم القرآن الكريم وقد اكثر من التشبيهات والاستعمارات الفارسية في ديوانه هذا مما أنشأ الجوا الشرقي في شعره وقد تدعمت الحركة الشرقية في الادب الالماني بنشر الديوان الشرقي الغربي ثم تلاه (روكرت) و (بلوتون) و (بودن اشتيت) و (شولر) و (هائي سيني) فنهضوا بها الى درجة الكمال حتى ان النظم الى اسلوب حافة اصبحت حركة مستقلة في الادب الالماني وهكذا دخلت الروح الشرقية في الادب الالماني (٣٦) وكان اقبال قد تأثر بالشعراء الالمان جميعا الا ان تاثير غوته كان اكثر عمقا ودواما-

وفي خلال هذا الطور من حياته كان اقبال قد نظم اربعا وعشرين منظومته وسبع قصائد غزلية والتي يضمها الجزء الثاني من ديوانه "صوت الجرس" اما المنظومات فان منها ما نظمها اقبال هو في كيمبردج او "هايد لبرج" فهي تصف المشاهد الطبيعية وصفا جميلا ومنها منظومة (الحسن والعشق) و (العاشق الغادر) منظومتان تصورات الحب أو العشق المجازى عند اقبال- وكان قد نظمها الشاعر

بعد أن تأثر بالجمال النسوى أو في البيئة الاروبية الخاصة حيث يعتقد الشاعر بان غدره احسن من الوفاء الاوربين- اما المشاعر الوطنية فقد كانت توجد في البيئة الاوربية ايضا- الا ان شعورالامة الاسلامية او الاخوة الاسلامية في كنفها كان قد اخذ يتطور و يزساد شيئا فشيئا في احاسيس الشاعر وعواطفه- اما الفلسفة والتصوف والتصوف فان فكرة وحدة الوجوة لم تزل تسيطر على ذهن اقبال رغم ان قلبه لم يكن راضيا مطمئنا بهذه الفكرة الصوفية- وان الثلاثة من بين هذه المنظومات انما تعبر عن رسالة خاصة الى بعض الافراد او الفئات فمثلا منها رسالة الى طلاب عليكره وكذلك رسالة الحب و (رسالة) منظومتان من هذا القبيل وهذا مما يوضح جليا ان اقبالاً كان قد اخذ يشعر شيئا فشيئا الشعر الهادف يجب ان يكون جزواً من النبوة (٣٧) ان قصيدة غزلية ومنظومة جدير تان باهتمامنا الخاص بهذه المناسبة اما القصيدة الغزلية فقد قالها الشاعر في مارس ١٩٠٧م (٣٨) وهي ملئية بالكتهنات والنبؤات عن الشرق والغرب- اما المنظمة فعنوانها "الى عبدالقادر" وهذه المنظومة انما هي دعوة الى شعر ثورى من اجل التغيير الثوى في الافكار والمشاعر القومية واما منظومة "صقلية" فقد نظمها اقبال خلال رحلته بالبحر عائدا الى الوطن وذلك حين مرت سفينته عند جزيرة "صقلية"-

اما الثورة الكبرى التي حدثت في ذهن اقبال وفكره خلال اقامته في اوربا فهو تبرمه من الفسفة التصوف وكراهته للقومية وصودته واتجاهه الى التعاليم الاسلامية قليا وروحا وفكرا- اما كيف ومتى نشأت وتطورت هذه الثورة الفكرية عند اقبال فان الرد على هذا السوال بتحديد المراحل المختلفة تاريخياً أمر غير ممكن الا انه توجد بعض الاشارات في شعر اقبال او فيما كتبه من الرسائل او ما كتبه من اصدقائه عنه رغم ان ما كتبه اصدقاء والذين تعرفوا عليه وهو في انكلترا لا يدل على شيٍ ولا يقودنا الى نتيجة- فهذا هو الاستاذ (ميك تيجرت) يصرح بان اقبالاً كان يقول بوحدة الوجود خلال اقامته في كيمبردج- اما السيدة (عطية فيضي) فانها لا حظت في لندن بان اقبالاً كان معجبا بالشاعر حافة الشيرازى- واما السير (عبدالقادر) فهو يشير اشارة إجمالية الى ان اقبالاً عند ما اتيح له ان يرى عيوب المجتمع الغربي من قريب فانه اخذ يبغض ويكره حب المال وضيق الصدر الذى تمتازبه المدنية الغربية (٣٩) وكان يريد اقبال ان يسجل المراحل المختلفة التي مربها قلبه و ذهنه وقد صرح بذلك في اكثر من موضع في رسائله فهو

يحدث السيد سليمان الندوى في رسالته اليه والتي كتبها في ١٠/اكتوبر ١٩١٩م: اننى أود ان احكئ وأسجل المراحل التي مررت بها قلبا وفكرة وان هذه القصة لابد منها لانها تسلط اضواء على شعرى (٤٠) وفي رسالة بعث بها الى (عشرت رحماني) في ٢٧/اكتوبر ١٩١٩م يقول فيها: اما حياتي فليس فيها شيء غير عادى يفيد الاخرين او يعتبرون به- اما التغيير الثورى التدريجي الذى حدث في فكرى فقد يكون موضع الاعتبار لهم فاذا أتيحت لي الفرصة فانني اعتزم تسجيل ذلك وقيده وان هذه الفكرة لا تزال في فهرس العزائم حتى الآن (٤١) وقد أخبر (ممتاز حسن) في لقاء معه بأنه خلال اقامته في كيمبردج كان يدرس الاقتصاد ويستمع الى المحاضرات في هذا الموضوع الى جانب الفلسفة و دراستها- وذلك لكى لا يميل ذهنه الى جانب متطرف ويمر طبعه مستقيما متوازنا على طريق الاعتبار(٤٢)-

وفي رسالة كتبها في ٧/سبتمبر ١٩٢١م و بعث الى (وحيد احمد) رئيس التحير لمجلة "نقيب" الصادرقس بدايون (٤٣)

> ان أعدى أعداء الاسلام والمسلمين في الوقت الحاضر انما هو التعصب العرق وفكرة القومية وقد مضى خمس عشرة (اولا كتب ثلاث عشرة ثم شطبها وجعلها خمس عشرة) سنة حين شعرت بذلك ولأول مرة حين كنت في أوربا وهذا هو الشعور الذى احدث ثورة كبيرة في فكرتي ومخليتى- الواقع ان البيئة الاروبية هي التي جعلتني مسلما حقيقتا تذلك هي قصية طويلة- فاذا أتيح لى فانني سوف اقيدا لمبشوار الذى مربه قلبي وفكرى- وانا على ثقة ويقين بان ذلك سوف يفيد الكثيرين من الناس ومنذ اليوم الذى شعرت بذلك تزال هذه الفكرة هي هدفي وطموحي في كل ما كتبته أو قلته بعد ذلك- ولست أعرف هل اثر في نفوس الناس ما كتبته أو قلته ولكن الامر الذى لاشك فيه أن هذه هي الفكرة التي أثرت في حياتي تأثيرا مدهشا"

اما التأثر بالمدنية الغربية فان ذلك لم يكن يوجد في اقبال اطلاقا قبل سفره إلى اربا أو بعد ذلك كان يملك ذهنا ثاقبا ونظرا باحثا نفاذا ومن ثم لم توجد فيه شائبة من التقليد الغربي الأعمي في اى وقت من الاوقات لاشك انه كان قد تفرج على جمال اوربا الظاهرى ولكنه مع ذلك تعمق في باهنها بعقل واع ونظر صائب وكان قد شاهد العلوم العقلمة الحدثية والكتنولوحيا وتأثيرها المعجز في البيئة الاوربية ولكنه مع ذلك شاهد ايضا بان العلم والفن عند الاوربيين ليس وراء ذلك غرض الا المادية ومعنى ذلك ان العقل البشرى يتدرب ويتطور في اوربا اما

القلب فيبقى عطشانا محروما وان العقلية الاوربية تقوم على المادية وهدفها الوحيد انما هو الانتفاع والتمتع الا ان هذه العقليات الاوربية قد حرمت من مشاعر العشق والحب الحقيقي التى تربي وتقوى فكرة الكرامة البشرية والصداقة الانسانية في الارواح والنفوس الانسانية الفكرة التي تضمن تطور الحياة تطورا صحيحا سليما وعليه فان بصيرة اقبال الشرقية كانت قد ادركت بان المدينة الغربية في باطنها فساد ودمار وان هذا الطور البراق انما هو ظاهرة مؤقتة-

وكذلك فان الصراع القائم بين الكنيسة والذوالة في اوربا والذى انهزمت فيه الكنيسة وخسرت في بالقرن الثامن عشر الميلادى اصبحت الديانة قضية فردية في الحياة ولم يعد الهدف الروحي المشترك اساس للتنظيم القومي، وانما اخذت الامم تنظم جيلها على اساس الجنس واللون واللسان والوطن- كذلك فان تطور العلوم الفلسفية والعلوم الحديثة والكتنولوحيا كان من الاسباب التي احدث المنافسة والعداء بين الشعوب فاخذت تنافس بعضها البعض للفوائد المادية وجمع الأموال واستغلال الضعيف من اجل السيطرة والتغلب- ولم يكن أحد يود أن يتخلف في هذه المسابقة وكانت النتيجة ان معظم الدول في آسيا و افريقيا وامريكا اللاتينية كان قد استعبدها الانجليز او الفرنسيون او الروس و الهولنديون والاسبان في نهاية القرن التاسع عشر الميلادى حتى ان دولة صغيرة مثل بلجيكا احتلت دولة اكبر منها اضعافا مضاعفة مثل الكونفو وليه فان المشاعر الوطنية والتقدم العلمى كان العلى كان سببا في تنشيط هذه الشعوب الاوربية وتقويتها مما جعلها تنهب الضعفا وتسلب اموالهم وتسيطر عليهم و تستعبدهم-

وكانت روسيا في عهد قيصر بتر الاول في سنة ١٧٢٥م قد اخذت تتغرب أو تتبع الاساليب الغربية في الحياة وفي القرن التاسع عشر في عهد قيصر اسكندر الثاني روسيا الدول الاسلامية في آسيا الوسطى- وسيطرت عليها وضمتها إلى الامبر طورية الروسية تركزت انظار الحكام الروس على بلاد الاتراك العثمانيين في اوربا الشرقية فاخذوا يشجعون حركة الاتحاد القومي الاسلافي واخذوا يؤيدونها وبذلك أوادوا أن يشجعوا الصراع بين سربيا وبين النمساء والمجر- وذلك لان الاضطرابات في هذه المنطة كانت تمهد الطريق للجيوش الروسية لاحتلال مضيق دانيال من ناحية، واما من ناحية اخرى فان الحكام الروس كانوا قد اخذوا يحرضون ويثيرون الامم والأقوام المختلفة في الدول البلقانية للعصبان على الاتراك العثمانيين وقد النتيجة ان الاتراك العثمانيين قد طردوا م معظم المناطق في اوربا

الشرقية في نهاية القرن التاسع عشر الميلادى-

وعند رحلة اقبال إلى انكلترا في ١٩٠٥م كان الحكام الروس قد انهزموا في الحرب التي قامت بين اليابان وروسيا وكان الغرض من هذه الحرب انما هي السيطرة على المناطق الشمالية الشرفية الساحليةفي آشيا وكوريا والبحار الشمالية وكانت هذه هي الحرب الاولى أشتركت فيها دولة آسوية وجاربت قوة غربية بأحدث انواع السلاح وكانت اليابات قد اخذت تستخدم الاساليب الغربية من اجل المسابقة مع الدول الغربية في مجال الصناعة والتكنولوجيا فتقدم اليابانيون في مجال التجارة خلال بضع سنوات وكانت قوتهم قد بلغت الى حد أنهم استطاعوا ان يهزموا الصين وينتزعوا منها جزيرة (فورموزا) وبعض المناطق الاخرى في ١٨٩٥م وفي هذا العصر كان الاستعمار الروسي يتطلع الى الشرق الاقصى ايضا فقد احتل قيصر روسيا اسكندر الثاني المناطق الشمالية الغربية للصين ونصف الجزيرة اليابانية (سكهالن) وفي النهاية تشالك الاستعماران الروسي والياباني فدمر اليابانيون الاسطول البحرى الروسي فبس الشرق الاقصى وهزموا الروسيين في كل جبهة من الجبهات وذهب الجنود الروس صحية لهذه الحرب بعدد لا يمكن احصاؤه واستطاعت اليابان استعادة مناطقها المحتلة الى جانب السيطرة على بعض المناطق الشرقية للمملكة الروسية-

وكانت ايطاليا والمانيا في اوربا قد تخلفتا في المسابقة الاستعمارية وذل لان الشعوب اليطالية والالمانية كانت مبعثرة منقسمة الى دويلات صغيرة فكانت فرنسا وبريطانية والامم المتحدة الاخرى في اوربا تحاول من اجل الاحتفاظ بمصالحها ان تقف في طريقه توحيد الشعوب اليطالية والمانية حتى تستمر في شيء من التفرق والتشتت بصفة مستقلة لكى لا تتمكن من السيطرة على الشعوب المغلوب على امرها في آسيا وافريقيا او من المشاركة في استغلالها او المطالبة ينصيبها في هذه المهمات التجارية الاستغلالية-

على كل حال فان الشعب الايطالى قد تمت وحدته على يد (مازينى) و (مازيني) هذا كان محاميا من اهل جنيف فأنشا جمعية ثورية سرية باسم "الايطالية الشابة" في ١٨٣١م وكانت تهدف هذه الجمعية الى توحيد الشعب الايطالي وذلك بانضام الدول الصغير الايطالية على اساس الدستور المشترك- وقد بدأت حركة الوحدة القومية في ايطاليا في ١٨٤٨م وقد أسس (مازينى) جمهوية ورما بمساعدة (سافي) و (مين لي) فأ ١٨٤٩م الا ان هذه المحاولة لم تكن جاججة وكاره (مازينى) على مفادرة روما ثم بدأت التظاهرات الناجحة من اجل الوحدة

القومية في المدن الكبرى في ايطاليا تحت تعليمات (مازينى) وكان شمال ايطاليا تحت احتلال النمسا- و شارك (جاريبالدى) في ثورة الايطاليين ضد النمساويين وحق نجاحا في عدد من المهمات وهو الذى منع الفرنسيين من دخول روما وهو الذى أحتل صقلية وفتح (نيبلز) واخيرا حقق الاتحاد القومي الايطالي بجهود (مازينى) و (جاريبا لدي) في نهاية القرن التاسع عشر تحت قيادة الملك (فكتور ايمنول الثاني) ومنذ تلك اللحظة اخذت ايطاليا تشارك في لعبة الاستعمار و سباقه فاتحلة اريتيريا والصومال في افريقيا الشرقية-

واما توحيد الشعب الالماني ووحدة المانيا فيرجع فضل ذلك الى (بسمارك) فقد كانت اربعون دولة صغيرة للالمان في حدود المانيا الجغرافية وكانت مشاعر الوحدة توجد في نفوس السكان لهذه الدويلات الصغيرة الا ان هذه الوحدة لم تكن تتخذ صورة ايجابية والنتيجة التى استنبطها (بسمارك) هي ان توحيد الشعوب الالمانية لا يمكن تحقيقه الا بالقوة والسلاح فيعينه ملك (بروسيا) (وليام) رئيسا لوزرائه ومنذ تلك اللحظة اشتغل بسمارك ينظم الجيوش البروسية وكان يعتزم ان ينتزع قيادة الامارات الالمانية الجنوبية من يد النسا بالقوة العسكرية ثم يوحد المانيا تحت قيدة بروسيا ومن اجل تحقيق هذا الهدف تحالف مع النسا من اجل بروسيا واما المناطق غير الصالحة فتركها من اجل النسا ومن ثم اعلنت النمسا من اجل بروسيا واما المناطق غير الصالحة فتركها من اجل النسا ومن ثم اعلنت النسا حربا ضد بروسيا الا ان الانتصار المفاجيء لجيوش بروسيا في هذه الحرب كان قد اصبح سببا لتوحيد الامارات الالمانية تحت قيادة بروسيا- ولم يبق امام بسمارك مشكلة غير انضمام الامارات الجنوبية الى الاتحاد الالماني ولم يكن ذلك من الممكن الا اذا هجمت دولة اجنبية على بروسيا وكان (بسمار) ينتظر هذه الفرصة المواتية وقد تحقق له ذلك في ١٨٧٠م وكان المفروض أن يتولى (ليو بولد) عرش اسبانيا وكان (ليو بولد) هذا من اقارب وليام ملك بروسيا فطلب ملك فرنسا (لوئيس نابليون الثالث) من الملك (وليام) ان لا يسمح (لليو لولد) ان يتمكن من السيطرة على ارض اسبانيا الا ان الملك وليام رفض ذلك واخبر (بسمارك) بما جرى بينه وبين السفير الفرنسي من الحديث في هذا الموضوع- واراد (بمسارك) ان يستغل الوضع فنشر هذا الحديث في الجرائد باسلوب جعل الالمان يشعرون بان في ذلك اهانة لملكهم كما ان الفرنسيين جعلوا يشعرون بانه فيه اهانة لسفيرهم وكانت النتيجة ماكان يتمناه (بسمارك) حيث اعلنت (فرنسا) حرباضد بروسيا

وذلك ما جعل الامارات الالمانية الجنوبية تقوم بتائيد (بروسيا) ومساعدتها وذلك طبقا للاتفاقية التى كانت قد تحققت فيما سبق وانهزمت فرنسا في هذه الحرب انهزما كاسحا.

وفي ١٨٧١م تم انضمام الامارات الالمانية الجنوبية كلها الى الامارات الشمالية التي كانت تقودها بروسيا ماعدا النمسا وتم تتويج الملك (وليام) حاكما على المملكة الالمانية المتحدة وعرف بلقب قيصر الامبر طور وخلال عشرين سنة اخرى غير (بسمارك) اوضاع المانيا المتحدة وتحول الشعب الفلاح الى شعب صناعى قوى وتقدمت المانيا في الفلسفة والعلوم والتكنولوجيا والصناعة والمهن والتجاوة تقدما عظيما للغاية حتى نشأ شيٌ من الكبر القومي الخاص في نفوس الشعب الالماني واخذوا يعتقدون بان المدنية الالمانية هي ارقي المدنيات واعلاها في العالم وان شعوب العالم لا تعادي الالمان الا بسبب الغيرة والحسد وفي ١٨٨٨م بدأ قيصر وليام الثاني يدعم اسس الاستعمار الالماني ونجحت المانيا في احتلالها لعدد من المناطق في افريقيا ثم اعد اسطول بحرى تجارى من اجل مواجهة الانجليز في المجال التجارى كما اعد جيش الماني لم يسبق له نظير في تاريخ اوربا كلها.

وكان الاستعمار الروسي واستعمار الشعوب الاوربية قد اخذ يتطور ويتدعم يوما فيوما اما الاستعمار العثماني التركي فكان قد اخذ يميل الى الزوال والانحطاط وقد بدأت حركة التغرب او تبنى أساليب الحياة الغربية في تركيا العثمانية في سنة ١٧٧٤م ثم اتخذت خطوات ايجابية ومحاولات ادارية لاصلاح النظم الادارية وذلك بانشاء المنظمات الادارية في عهد السلطان سليم الثالث والسلطان محمود الثاني وذلك بعد سنة ١٨٣٩م وقد كان من اماني القادة المسلمين من امثال رشيد باشا وعلى باشا و مدحت باشا ان تتحول تركيا العثمانية في سنة ١٧٧٤م ثم اتخذت خطوات ايجابية ومحاولات ادارية لاصلاح النظم الادارية وذلك بانشاء المنظمات الادارية في عهد السلطان سليم الثالث والسلطان محمد الثاني وذلك بعد سنة ١٨٣٩م وقد كان اماني القادة المسلمين من امثال رشيد باشا ومدحت باشا ان تتحول تركيا العثمانية الى دولة معاصرة حيث يتمتع كل مواطن بالحقوق المدينة على اسس المساواة وحيث يتم اقامة مملكة دستورية على المبادئ الديموقراطية الا ان النزعة الدكتاتورية للسلاطين الا تراك وقفت في سبيل ذلك في كل مرحلة من المراحل وفي ١٨٧٦م اراد السلطان عبدالحميد ان يستغل حركة الوحدة الاسلامية من اجل تحقيق اهدافه واغراضه الشخصية ولكنه فشل في ذلك وفي هذا العهد نفسه طرز الاتراك من معظم في اوربا الشرقية وعرفت تركيا العثمانية "بالانسان

الاروبي المريض" وقد من الاتراك بعهد دكتاتورى جبار واخيرا نجحت الثورة التي قادتها منظمة الاتراك الشبان في ١٩٠٨م وفي ١٩٠٩م في خلع السلطان عبدالحميد ثم اخذ الاتراك الشبان ينادون بوحدة العالم الاسلامي تحت قيادة انور باشا وذلك لاكتساب التائيد من الدول الاسلامية الاخرى ولكن في الواقع كانت المحاولات قد بدأت لايجاد وحدة الشعوب التركية مثل وحدة الشعوب الالمانية وكان انور باشا قد تأثر كثير بالمانيا ومن ثم حاول التقريب بين المانيا وتركيا العثمانية وقد كان المغرب جزأ من السلطنة العثمانية وكانت فرنسا تريد احتلاله الا ان قيصر (وليام) الثاني طالب بالمحافظة على المصالح الالمانية في المغرب كما ان قيصر وليام الثاني كان قد بدأ تطبيق المشروع الذى كان يهدف الى الاتصال بيك برلين وبغداد بالسكل لجديدية الالمانية-

واما ايران فكانت قد بدأت حركة التغرب فيها في عهد الملك نصير الدين قاجار في ١٨٥٢م وانشأ الانجليز مصرفهم الاول في ايران في ١٨٨٩م وبعد مدة تولت (بلجيكا) جباية الضرائب الجمركية للدولة وبعد ذلك لان الملك كان يستدين منهم لقضاء حوائجه وتحقيق اغراضه وبرأت ايران ترزح تحت وطئة الديون لهذه لاقوى وكانت النتيجة لهذه الظروف ان نشأت حركة قومية في ايران واخذ الشعب الايراني يطالب بتطبيق الدستور وحين تولى العرض الملكى الملك مظفر الدين بعد اغتيال الملك نصير الدين فبدأ بذلك الصراع بين انصار الملكية وبين الدستوريين- وقد ايدت روسيا انصار الملك في هذا الصراع كما ان بريطانيا كانت تساند الدستوريين (ولم يكن الغرض من ذلك أب الانجليز كانوا يرغبون في تطبيق الدستور في ايران وانما كان ذلك لان القوة المنافسة لهم اى روسيا كانت تؤيد أنصار الملكية) واخير انتصر الدستوريون في هذا الصراع مما اكره الملك مظفر الدين على تطبيق الدستور في ١٩٠٦م وانشئ المجلس الوطني الايراني وانشا الايرانيون مصرفهم القومي مما جعل الانجليز يوقعون الاتفاقية مع روسيا في ١٩٠٧م وطبقا لهذه الاتفاقية قسمت ايران الى قسمين نظرا الى مناطق السيطرة والهيمنة فتم الاعتراف بسيطرة روسيا على القسم الشمالى واصبح القسم الجنوبي تحت السيطرة الانجليزية وفي ١٩٠٨م الغى الملك (محمود على) الدستور الايراني بمساعدة الروس وبذلك بدأ الصراع بين انصار الملكية والدستوريين من جديد وانتصر فيه الدستوريون مرة اخرى وسمى هذا النجاح بالانتصار الوطني وفي ١٩١٩م خلع الملك (محمود على)-

وكانت القوة المتزايدة الالمانية في اوربا قد اصبحت خطرا هائلا لكل من فرنسا وبريطانيا وروسيا ولذلك بدأت سلسلة الاتفاقيات بين الشعوب الاروبية لتحقيق التعادل والتوازن للقوة في اوربا وقد تم الاعتراف بالمكانة القومية لكل من المانيا وايطاليا ولاول مرة في تاريخ اوربا وكان الفرنسبون يبغضون الالمان كما ان الالمان كانوا يبغضون الفرنسيين بغضا شديدا للغاية وكذلك فان الفرنسيين كانوا على جمر من القلق لينتقموا من الالمان لما كبدوهم من الهزيمة النكراء فيما مضى وكذلك فان مملكة النمسا والمجر كانت تبغض روسيا كما أن روسيا كانت تبغضها وكان الانجليز يعتبرون الالمان وعدوا منافسالهم في الشؤون التجارية والصناعية وكانوا يحاولون تذليلهم واخفاقهم بأى طريق كان واخيرا تمت الاتفاقية بين المانيا ومملكة النمسا والمجر من اجل التعادل وانلتوازن للقوة من ناحية ومن ناحية تحت الاتفاقية الثلاثية بين كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا وهكذا انعمت القوى الاستعمارية الاوربية الى كتلتين-

ولو ان اقبالاً كان قد كتب قصة المشوار الذى مربه قلبه وضميره والذى احدث التغيير التدريجي في افكاره لكان من الممكن ان يكشف عن احوال ظروف مهمة وذلكل على اساس تجاربه الشخصية ومشاهداته الذاتية الا ان دراسة هذا التغيير العظيم لايمكن الا بالطرق الخارجية-

سافر اقبال الى اوربا وهو يؤمن ايمانا قويا بالوطنية والقومية حتى ان سفينته حين مرت بشواطيء ايطاليا انشد تعظيما لها ما معناه:

ايها الحقول من وطن (مازني) نتمنى لك الازدهار ونبعث اليك تحية السلام من السفينة-

ولكنه لم يمض سنة او سنة ونصف على اقبال في انكلترا حتى بدأت الجوانب الرهبية السوداء المعادية للبشرية التي تضمرها الوطنية الحديثه تظهر شيئا فشيئا واخذ يشعر اقبال بان صلة الانسان بجنس اولون او لسان او مولده في منطقة من المناطق انما هو شيء يحدث بالصدفة ولا دخل لارادة الانسان في ذلك والذى يحدث بالصدفة لايستحق ان يكون موضع فخر وكبرياء وكذلك حب الانسان لجنس بشرئ او فئة خاصة او قطعة ارضية خاصة لا اصل له ولا اساس اطلاقا- وكذلك فان الانسان اذا اخذ يبغض الاجناس البشرية الاخرى ويحتقرها ويقهرها ويسيطر عليها ويسلب حقوقها او يستغلها لمصالحة فليس هناك مايبرر ذلك دينيا وروحيا وخلقيا وكان اقبال يرى ان فكرة الوطنية او القومية التي يتبناها الانسان الغربي تعارض المبادئ الكونية من الكرامة البشرية وفي ١٩٠٧م راى

يعينى راسه الشعوب الاوربية قد انقسمت الى احزاب وتكتلات وقد خرجت كل فئة وكتلة ضد الاخرى على اساس الصلاح العسكرى وكان اقبال يرى ان هذا التشاجر والتناحر انما هو يشبه التشاجر والتناحر الذى يكون بين اللصوص المغيرين الذين لا يريدون الا التوسع في التجارة المستغلة او الاغارة على الضعفاء ومن ثم اخذ اقبال يبغض الاستعمار الغربي والامبريالية بغضا شديدا كما انه اخذ يبغض الوطنية والقومية ويحترها احتقارا شديدا وقد بلغ هذا البغض والتحقير من العمق حتى ان اقبالاً اخذ يندم على ما قاله من الشعر الوطني والقومي فيما مضي حتى انه كان يكثر من القول بان شعره الذى قاله قبل سفره الى اوربا انما هو الشعر الجاهلى الذى قاله في العصر الجاهلى-

على كل حال فان رسالة التي كهتبا في السابع من سبتمبر ١٩٢١م وما قاله من قصيدة غزلية في شهر مارس ١٩٠٧م يوضح لنا جليا بانه كان قد اخذ يعتبر بان فكرة الفوارق العنصرية والوطنية والقومية من اعدى اعداء الاسلام والمسلمين وقد نشأ هذ الشعور عنده في اخريات اقامته في كيمبردج حين اعلنت الاتفاقية الثلاثية وان تلك القصيدة الغزلية ضد الفكرة الاوربية عن الوطنية والامبريالية انما كان تعبيرا عن مشاعره كرد فعل لما شاهده واطلع عليه فقال ما معناه:

١- يا اهل الغرب ان ارض الله ليست محلا تجاريا وان الذهب الذى تظنونه جيدا سيصبح ذهبا مغشوشا-

٢- ان مدنيتكم هذه سوف تنتحر بخنجرها الذاتي-

وان الوكر الذى يكون في غصن صغيف لايمكن ان يكون قويا ويدوم طويلا-

٣- ان الذين يحبون الله هم الوف مؤلفة ويهيمون في البوادى والغابات اننى سأتبع واطيع الشخص الذى يحب عباد الله-

٤- واخيرا انشد الجو الصامت في الحجاز انشودتها النائمة فاستمعت اليها الاذن الصاغية المنتظرة لذلك الصوت الحجازى- وذلك ان العهد الذى تم بين اهل البدو والصحارى وبين خلق الله سوف يتجدد تجددا قويا-

٥- وان ذلك الذى خرج من البادية فقضى على الامبرا طورية الرومية ولقد سمعت لسان المأ الاعلى ان ذلك الاسد البدوى سوف يستيقظ ويلعب بدوره-

٦- اننى مرة اخرى سوف اخرج قائدا التلك القافلة المتعبة في ظلام الليل الحالك وان آهتي المؤلفة الحزينة سوف تنشر الشرر في الفضاء وتضيئها وان انفاسي ستصبح شعلة نارلتضيء الطريق للقافلة الاسلامية-

والسوال الذى يطرح نفسه في هذه المرحلة أن الافكار المعارضة للامبريالية والاستعمار والوطنية كانت توجد في اوربا مثل العالمية والانسانية والاشتراكية والتقدمية والشيوعية وكانت تنادى هذه الافكار كلها بكرامة البشرية وكان ترغب في ايجاد دنيا جديدة على مبادى الاخوة العالمية وكانت جمعيات سرية كثيرة روسية جدت نشاطها ضد الامبريالية والملكية فلما ذا لم يلتفت اقبال الى هذه الافكار حين اراد ان يرفض والامبريالية والاستعمار والوطنية والقومية وتعارضا ولماذا فضل الرجوع الى المبادئ الاسلامية الاساسية؟ والرد الجمل على هذه السؤال هو ان هذه الافكار والنظريات كلها كانت نتيجة للفسلفة والعلوم العقلية الاوربية (٤٤) وكانت هذه الافكار والنظريات تقوم كلها على المادية- وكان قد اتضح عند اقبال ان الفلسفة الاوربية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فلسفة واهية مجوفة قبل ذهابه الى اوربا وهو طالب في المعاهد العلمية بمدينة لاهور وكان قد عثر على الرد او الحل لذك في التصوف الوجودى- اما الآن فكان الفلسفة الاوبية والتصوف الوجودى كلاهما قد فقد اهميتهما ومكانتها عند اقبال وكان اقبال قد تجاوز مرحلة العقل واخذ يتقدم نحو مرحلة الشوق الحب الالهي وكان قد اخذ يستيقن بان الفلسفة لاقيمة لها غير القمرين الذهنى الفارغ كما انه كان قد اخذ يعتقد بان التصوف الوجودى وتعاليمه انما هو سكر افيوني ولا شك ان اقبال كان قد حضر ليستمع الى المحاضرات الخاصة عن الاقتصاد وهو في كيمبردج ولندن وذلك لوغبة العميقة في الاقتصاد ولكى يتمكن من معرفة الافكار المدنية الاوربية المعاصرة وانه قد تاثر بهذه المحاضرات الاقتصادية الا انه لم يكن من الممكن لاية نظرية اقتصادية او مبدأ اقتصادى ان يضل اقبالاً عن طريق الحق-

ان كلمة القوم في القران الكريم قد جاء في معنى الفئة او القبيلة وبعبارة اخرى ان الفئة البشرية التي تتكون على اسس الجنس المشترك او اللون او اللسان او المنطقة يمكن ان تسمى تلك الفئة البشرية قبيلة او شعبا او قوما طبقا للنظرية القرآنية ويقول الله سبحانه وتعالى في كتابه المجيد "وجعلناكم شعوبا وقبائل لتارقوا، ان اكرمكم عندالله اتقاكم (٤٥)- على كل حال فان الايمان بالشعرية الاسلامية لايسميه القران الكريم قبيلة او قوما شعبا وانما يسمي المؤمنين بالشعرية الاسلامية امة او ملة و الى ذلك يدعو القران الكريم- فان كلمة الامة او الملة تعنى جماعة من البشر الذين يربط بينهم الايمان والعقيدة ارتباطا روحيا عميقا وثيقا وان هذه الجماعة بامكانها ان تستوعب القبائل والشعوب والاقوام- وان الوحدة البشرية على مبادئ الايمان في الاسلام تقضي على العنصرية واللونية والعصبية اللغوية كما انها

تقضي على الوطنية وتتحرر من هذه القيود كلها- وان السيرة النبوية على صاحبها السلاة والسلام تحدثنا بانه صلى الله عليه وسلم قد هاجر من مسقط رأسه اى مكة المكرمة احتفاظا بايمانه وعقيدته وآخى بين المهاجرين والانصارى على المبادئ الايمانية المشتركة بعد ان وصل الى المدينة المنورة- ومعنى ذلك ان الامة الاسلامية او الملة الاسلامية التي قامت وتأسست بالمدينة المنورة لا ترجع وحدتها الى الوطن وانما ترجع الى مدأ الايمان والعقيدة المشتركة وبهذا يتضح ان الامة الاسلامية ليس لها وطن بالذات وان كل منطقة من ارض الله يقوم فيها المجتمع الاسلامي على مبادئ الايمان والعقيدة المشتركة بين المسلمين فهو وطن الاسلام ولعل اقبالاً كان يفكر في هذه الجوانب من التعاليم الاسلامية حين قال في قصيد غزلية اخرى وهو في انكلترا ما معناه:

١- ان وطننا يمتاز بين اوطان العالم كله لان النبي العربي صلى الله عليه وسلم قد بناه على مبادئ ممتازة لان حصن الملة الاسلامية لا يقوم على وحدة الوطن او الارض-

٢- لاذهاب ولا اياب ولا حياة ولا ممات وان هذه الامتيازات والفوارق انما هي خدعة وان كل شئ مناوكل ظاهرة من الظواهر تتصل بنا الا ان وطننا ليس بين هذه الظواهر-

وكان اقبال قد لاحظ بأن قوى الاستعمارية مد روسيا واوربا تعتزم تمزيق الوطن الاسلامي وتعريقه من اجل اغراضها الدنيئة الخاصة لانها بسياسة التمزيق والتفريق تستطيع احتلال البلاد الاسلامية كلها واحدا بعد الاخر وتتمكن من ان تسلب حقوق المسلمين وتستغل بلادهم ولاحظ اقبال كذلك بان الحركات القومية في مصر وتركيا وايران وافغانستان والدول العربية الاخرى قد بدأت نشاطها وذلك رد فعل او تأثير مباشر تحت الفكرة القومية الاوربية حتى ان بعض هذه الدول قد بدأفيها حركات قومية من اجل الحصول على استقلال قومي واخذ هذا الصراع يشتد يوما فيوما- وكان اقبال يرى ان الدين جاء ليصلح من جال البشر ويقيم الاسلام بينهم كما ان الهدف النهائى للاسلام انما هو انشاء الوحدة البشرية على المبادئ الاخوية العالمية والكرامة البشرية وذلك بالقضاء على تعصب الجنسية واللون واللسان والمنطقة وكان اقبال يخشى ان الوطنية الاوربية اذا نشبت بين الامم الاسلامية فان المسلمين لابد وان يبغض بعضهم البعض كما هي حال الدول الغربية وشعوبها او أنهم سوف يتقاتلون ويحارب بعضهم البعض ويسلبون حقوق

بعضهم البعض او يستغلون اخوانهم وبذلك تنقرض الامم الاسلامية عن اخرها ومن ثم كان يرى اقبال ان بقاء العالم الاسلامي وقوته وحياة الامم الاسلامية انما هو في حاجة الى التوحيد بين الامم الاسلامية على مبادئ الايمان والعقيدة المشتركة- اقام (مازينى وبسمارك) وحدة قومية وطنية في ايطاليا والمانيا- اما اقبال فاخذ يفكر في وحدة الامم الاسلامية على اسس متينة من الايمان والعقيدة الاسلامية-

وان هذه الثورة التي حدثت في ذهن اقبال وضميره في ١٩٠٧م قد كان من نتائجها الحتمية البعيدة المدى ان يعرض عن توجد الهنادكة والمسلمين على مبادئ الوطنية او القومية في شبه القادة الهندية وتوجد شواهد فيما كتبه اقبال تدل ذلك دلالة واضحة وعاد اقبال الى لاور في يوليو ١٩٠٨م وبعد ثمانية اشر منذ ذلك تسلم اقبال دعوة من قبل (منشي غلام قادر فرخ) في (امرتسر) يدعوه ان يشارك في الاجتماع السنوى لجمعية تضم الهنادكة والمسلمين والشيخ وكان اسم الجمعية (مانروا لاج) فكتب اليه اقبال رسالة في ٢٨/مارس ١٩٠٩م يقول له فيها: (٤٦)

"كنت ارى انه لابد من القضاء على الخلافات المذهبية في هذا البلد (الهند) ولم ازل اعمل بذلك في حياتي الخاصة حتى الآن الا انني ارى الآن ان من صالح الهنادكة والمسلمين كليهما ان يبقى التشخص القومي لكل واحد منهما على وجه مستقل- ان فكرة القومية المشتركة للهند فكرة جميلة للغاية وتحمل جذبة شعرية في داخلها الا ان ذلك يبدو مستحيلا الان وذلك نظرا الى الظروف الراهنة والنزعات القومية التلقائية للديانتين كلتيهما"-

وهذه الثورة الداخلية التي حدثت في نفس اقبال وفكره وضميره خلال اقامته في اوربا كان لها النتائج بعيدة المدى وقد يمكن ان تكون هذه الثورة الداخلية هي التي جعلت اقبال يتحول الى قول الشعر باللغة الفارسية وفهذه هي المرحلة التي اكمل اقبال خلالها دراسته العليا كما ان عواطفه الشعرية تطورت في مراجلها المختلفة حتى وصلت الى مفرق حاسم حيث امكن لها ان تثب وثبة عظمية حتى تصبح جزأ من الرسالة والنبوة كما يقال-

وكان اقبال قد غاد انكلترا نحويلاده في يوليو ١٩٠٨م وليس من الممكن ان نحدد التاريخ بالضبط وحين وصلت سفينته عند جزيرة الصقلية وهو عائد من اوربا كان قلبه يتدفق بعواطف فريدة انه لم ينظر الى الصقلية كانها ارض (مازينى) وانما اعتبرها ضريحا للمدنية الحجازية فنظر اليها واستعبر باكيا يقول ما معناه:

١- اخبرينى يا صقلية قصة من تضمرين في آثارك التاريخية؟ لان الصمت

الذى يسود شواطئك يحمل اسلوبا بلاغيا رائعا!

٢- حدثينى عن آلامك فانني حزين جريح مثلك اشعر بالالام لاننى انا غبار القافلة التي كانت قد نزلت فيك-

٣- ارينى صورة قديمة من الماضي واحكى لي قصة الايام السالفة واثيرى عواطف القلق والاضطراب في قلبي-

٤- سوف اخذ منك هدية الى الهند وسوف اتحف بها اهلها اما هنا فابكى وحيدا ولكننى سوف اجعل غيرى من المسلمين يبكون حين اعود الى بلدى-

وقد وصل اقبال الى دلهي في ٢٥/يوليو ١٩٠٨م من طريق بومباى حيث وجد اصقائه قد وصلوا الى محطة القطار ليستقبلوه وفي اليوم التالى رافق اصدقائه حيث زاروا ضريح نظام الدين اولياء ووقف بجانب الضريح فظل يدعوا الله ويناجيه للحظات طويلة حتى انهم قضوا النهار كله في الضريح وكان(نيرنك) و (مقبول احمد نظامي) من اصدقائه قد اعدا منظومتين للترحيب به كما انهم كانوا قد تمتعوا باغنية (القوالين) وكان الخواجا حسن نظامي رئيس الحفلة وفي المساء وذهنوا الى اقبر الشاعر (غالب) وقرأوا الفاتحة عليه-

ووصل اقبال الى بالور بالقطار عند الظهيرة في ٢٧/يوليو ١٩٠٧م حيث استقبله اصدقائه استقبالا حارا ومن هناك اتجهوا نحو حديقة البدية خارج باب (بهاتي) حيث كان صديقه (شيخ جلاب دين) اقام حفلة تكريما له وقد حضر في الحفلة وخمسون من اصدقاء اقبال والقى السير (محمد شفيع) كلمته تحدث فيها عن شخصية اقبال و شعره كما ان البعض من اصدقائه الشعراء انشدوا منظوماتهم ترحيبا به واستقبالا له فمنهم (الشيخ حامد حسن قادرى) و (الله يار جوجي) و (منشي غلام على خان غلامي) و (منشي نذر محمد) و (بدر الدين قيصرى)-

وبعد نهاية هذه الحفلة في مساء نفس اليوم سافر اقبال بالقطار الى سيالكوت حيث استقبل استقبالا حارا منقطع النظير فكان رصيف المحطة حافلا بالمستقبلين له ولمبرحبين به بما فيهم والد اقبال و شقيقه واقاربه الاخرون وكان (شيخ اعجاز احمد) بين المستقبلين وهو في العاشرة من عمره وكان وقد رافق والده يستقبل اقبال- والبس المستقبلون اقبالاً قلائد الازهار الكثيرة حتى اغطبوا وجهه بين الزهور وخرج من المحطة بصعوبة بالغة حتى وصى منزله حيث عالق امه الجنون التى كانت في انتظاره منذ ثلاث سنوات-

الفصل الاول

المراجع الهوامش

١ من محاضرة ألقيت في كلية دار العلوم بالقاهرة في ٢٠ من جمادى الثانية ١٣٧٠هـ الموافق ١٩٥١/٣/٢٨.

١ ارمغان حجاز

١- راجع الجزء الثاني من "روزگار فقير" لفقير سيد وحيد الدين ص١٢٠ لمشاهدة الصورة العكسية من الوثيقة-

٢- "انوار اقبال" اعداد بشير احمد دار ص٥١-٨٧ وايضا قد صرح السير (عبدالقادر) في مقال له عن اقبال و ترجمته والذى نشر في مجلة "خدنك نظر" الصادرة من لكنؤ في مايو ١٩٠٢م وقال انه ينتمي الى قبيلة "سيفرو"-

٣- "تاريخ اقوام كشمير" الجزء الاول ص ٣٤-٤٤ ولدراسة الرسالة بكالمها يرجى الرجوع الى "انوار اقبال" ص٧٥-٧٧-

٤- "تاريخ اقوام كشمير" الجزء الثاني ص٤٤- وقد جرى البحث عن اسرة مسلمة عن قبيلة "سيبرو" حين ارادت اسرة اقبال لتزوج ابنها اى ابن شقيق اقبال شيخ اعجاز احمد الا ان الاسرة فشلت في ذلك-

٥- أصل الرسالة يحتفة به شيخ اعجاز احمد- اما الصورة العكسية فيرجى الرجوع الى مجلة "صحيفة" وعددها الخاص عن اقبال والجزء الاول منه لشهر ديسمبر ١٩٧٣م بين ص٤-٥ واما مسجل جامعة دلهى في ذلك الوقت فقد كان الدكتور (صوفي غلام محي الدين)

٦- "تاريخ أقوام كشمير" طبع ١٩٤٣م- ص٣٢١-٣٢٣

٧- مسكين ص١٢٣و ١٢٤

٨- "روزگار فقير" الجزء الثاني ص١١٣-١١٤ وقد اعد الدكتور اكبر حيدرى كاشميرى مقالا خاصا عن اسرة اقبال واصلها والذى كان قد نشر في مجلة "قومي آواز" الاسبوعية من لكنؤ ٢٤ فبراير ١٩٨٠م

والطبعة الثانية بتغيير يسير في جريدة "آفتاب" الصادرة من "سرينجر" في ٢١/ابريل ١٩٨١م ويرى اكبر حيدرى بأن الذى أوهم الناس واوقهم في الوحل من الخطر هو قاله الشيخ فوق بأن اقبال من براهمة كشمير و ينتمي الى قبيلة "سبرو" وقد ابكتر الشيخ فوق اسطورة تشرح كلمة "سبرو" فيقول في مقالها لاول بان السير (عبدالقادر) كان قد اعد مقالا عن ترجمة اقبال والذى نشر في مجلة "خدنك نظر" من لكنؤ في مايو ١٩٠٢م ولكن السير (عبدالقادر) لم يذكر شيئا من هذه النسبة من اسرة اقبال اطلاقا فلم يكن احد غير الشيخ فوق الذى كان يرغب في ابتكار الاساطير من عنده الا ان ما قاله اكبر حيدرى وصرح به ليس صحيحا وذلك لان السير (عبدالقادر) يقول في مقاله ذلك بان اقبال من اصل كشميرى وينتمي الى اسرة قديمة من بناديت كشمير والتى فرع من فروعها في الوطن الاصلى في كشمير واما الفرع الذى منه اقبال فكان قد اسلم منذ القرنين من الزمان واما قبيله فهي "سيفرو" وان الذى جعل اسلاف اقبال يعتنقون الاسلام هو اعتقادهم في ولي من اوليا الله فالسير (عبدالقادر) يأتي بكلمة (سيفرو) بدل كلمة (سبرو) او (سيبرو) الا انه يوافق ما قاله الشيخ فوق و ان الذى قاله الشيخ فوق او السير (عبدالقادر) عن اسرة اقبال واصلها ليس من الأساطير الشيخ فوق والسير (عبدالقادر) من اقبال أو من والده ثم يحاول اكبر حيدرى ان يحقق بان الشرح بكلمة (سيبرو) والذى جاء به الشيخ فوق (لم يأت به الشيخ فوق وانما جاء به والد اقبال) لا يوجد في مرجع مع المراجع التاريخية والمشكلة الآن في ان "سيبرو" قبيلة معروفة من براهمة "كشمير" فاذا كان اكبر حيدرى لايوافق بما جاء به اقبال او والده من شرح الكلمة فماذا سيكون شرح الكلمة على ما حققه اكبر حيدرى في بحثه يا ترى؟ وكان اقبال قد علم من ابيه بان جدهم الاعلى الذى اعتنق الاسلام كان يعرف بلقب (بابا لول حج) وقد اورد اكبر حيدرى العبادات الفارسية التى اقتبسها من كتاب (نور نامه) لنصيب الدين سنة ١٦٣٠م و (تاريخ كشمير أعظمي) (واقعات كشمير) لمؤلفة ديده مرى ١٧٥٥م و "تاريخ كبير كشمير" لمسكين

١٩٠٣م ثم حاول ان يشرح هذه العبادات الفارسية ما يدل على ان (بابا لول حج) كان قد تزوج امرأة فطلقها قبل ان يدخل بها ثم ترهب فهو يرى ان بابا (لول حج) لم يكن له عقب إلا ان والد اقبال لم يكن قد سمع الا من اجداده بأن جدهم الاعلى الذى سبق إلى الاسلام أولا كان اسمه بابا (لول حج) وقد وصل اليهم هذا القول كابرا عن كابر وعليه فان ما اورده من اقتباس (ديده مر) يدل على ان (بابا لول حج) قد كان له عقب رغم انه كان قد ترهب-

٩- مجلة (صحيفة) عددها عن اقبال القسم الاول ص٦ سلسلة النسب لاجداد اقبال للدكتور محمد باقر-

١٠- "ادبي دنيا" مايو ١٩٦٥م ص٩ (صلاتي باقبال) للخواجا حسن نظامي-

١١- "مشاهير كشمير" طبعة ١٩٣٠م-

١٢- "تاريخ بده شاهي" ١٩٤٤م ص٤٠٠-٤٠١

١٣- نفس المرجع ص٢٩٤-٢٩٩ و ٣٠٦-٣٠٩ و ٣٥٧وقد اعتمد الشيخ فوق على مجمع التواريخ لكشمير لمؤلفه الباندیت (بيربر كاهشرو)

١٤- "تاريخ أقوام كشمير" طبعة ١٩٣٤م ص٣٥٢-٣٩٦ وللمزيد من المعلومات يرجى الرجوع الى كتاب "كشمير" بالانجليزية لصاحبه الدكتور "ج م د صوفي"- الجزء الاول ص٢٨-١٠٢ وتشرار شريف مدينة صغيرة على عشرين ميلا تقريبا من مدينة "سرى ناجار" والشيخ نور الدين ولى رشي هذا له اتباع من الهنادكة وهو يعرف عندهم باسم "نندراشي" أو سهاجانندا-

١٥- مجلة صحيفة، عددها عن اقبال، الجزء الاول ص١١-١٢ سلسلة النسب لأجداد اقبال للدكتور محمد باقر-

١٦- الشيخ فوق ص٣٢٠-٣٢٣

١٧- "اقبال کے حضور" الجزء الاول ص١٥٩-١٧٠

١٨- الرسالة الى مؤلف الكتاب-

١٩- "تاريخ أقوام كشمير" طبعة ١٩٤٣م ص٣٢٠-٣٢٣

٢٠- فقير سيد وحيد الدين الدين- ص١٥او ١١٦

٢١- راجع مجلة "نقوش" عددها الخاص لشهر يونيو ١٩٦٤م ص٢ ويصرح اقبال بان اسلافه من البراهمة الذين انفقوا أعمارهم وهم يفكرون في ذات الله ماهو وكيف هو؟ اما انا قاقضي أيامى وانا افكر في الانسان وكان مسكن أسلافه في كشمير هي قرية "تشكو برجنة آوون" في مديرية كولجام وقد ذكرت قرية "تشكو برجنه آوون" من

ضمن ترجمة بابا لول حج ووطنه وقدتم تحديد عصر بابا لول حج وهو القرن الخامس عشر الميلادى فهل يمكن أن يكون ذرية بابا لول حج قد عاشت في تلك القرية الى قرون وان اسلاف اقبال كانوا قد هاجرو من مديرة كولجا الى مدينة سيالكوت؟ وقد يمكن ان يكون كذلك ومن الممكن ان يكون المصدر عند الشيخ فوق هو والد اقبال او اقبال نفسه وراجع اقبال کے چند جواهر ریزے (القطعات الجوهرية لاقبال) لخواجا عبدالحميد ص٢٣

٢٢- كشمير (بالانجليزية) الجزء الأول ص٢٩٦-٣٣٨ والجزء الثاني ص٦٩٩-٧٥٠

٢٣- نفس المرجع، الجزء الاول ص١٨٣ و ٢٨٨و ٢٨٩ والجزء الثاني ص٧٢٩

٢٤- راجع جريدة "احسان" عددها عن اقبال ٢٧/يونيو ١٩٣٨م

الفصل الثاني

١- تاريخ سيالكوت للشيخ محمد دين فوق طبعة ١٩٢٤م ص٩٤-١٢٦ وأيضا راجع تاريخ سيالكوت لصاحبه عبدالصمد غلام محمد صاحب مطبع صمدى حى رنكبوره مدينة سيالكوت طبعة ١٨٨٧م ص٥-٤٠

٢- تاريخ اقوام كشمير طبعة ١٩٤٣م ص ٣٢٠-٣٣٣ وأيضا راجع "روزگار فقير" الجزء الثاني ص١٢٤-١٢٦ و ١٣٣-١٣٥ وذكر اقبال لعبد المجيد سالك ص٨-١٠

٣- التعليق على كتاب "المسلم الهندى" لصاحبه هنتر من مؤلفات السير سيد أحمد (بالانجليزية) ص٤٤-

٤- "هندى مسلمان" (المسلم الهندى) لصاحبه هنتر (بالانجليزية) ص٣-٤ و ١٣٥-١٣٩و ١٦٥-١٦٧ طبعة اكسفورد و "تاريخ هند" مؤلفه سميث (بالانجليزية) ص ٥٠٣ "تاريخ الثورة الهندية" لمؤلفه (ميلى سون) بالانجليزية الجزء الاول ص٢-٣ و ١١ و ١٣ و ١٥ و ١٦ و ١٩ والاسلام الهندى (بالانجليزية) لصاحبه (مرى تائى توس) ص١٩١-١٩٣

٥- "سيرة سيد احمد شهيد" لسيد ابي الحسن على الندوى ص٥٧-٣٨ و ١٠٤-١٤٣و ١٥٠-٢٠٣ واثار الصناديد لسير سيد أحمد خان ص٤٣-٤٧ المسلم الهندى (بالانجليزية) ص١٢-١٥ وأيضا سيد احمد شهيد (في جزئين) لغلام رسول مهر وجماعة المجاهدين لغلام رسول مهر ٥٧-٨٩و ١٠٩-١٢٩

٦- المسلم الهندى (بالانجليزية) ص٤٤-٤٨ "الاسلام الهندى" بالانجليزية ص١٧٩-١٨١ وكلكته ريويو (بالانجليزية) المجلد الخمسون طبعة ١٨٧٠م ص ١٠٤ وايضا المجلد الواحد والمخمسون ص ١٧٧ و ١٧٨ تاريخ الهند البريطانية (بالانجليزية) لجميس مل الجزء التاسع ص ٢٢٠-٢٢٣ وللمزيد من الاطلاع يرجي الرجوع الى "سرگزشت

مجاهدين" اى (قصة المجاهدين) لغلام رسول مهر ص٢٠٢

٧- كلكتة ريويو (بالانجليزية) مجلد ٥١ ص١٨٨و ١٨٩ وايضا مجلد ٥١(رقم سي ١١) ص ٣٨١و ٣٨٤و ٣٨٤ ويرجى الرجوع إلى (سرگذشت مجاهدين) للمزيد من الاطلاع-

٨- (كشمير) لصاحابه دم صوفي (بالانجليزية) الجزء الثاني ص٧١٦-٧١٩

٩- كلكتة (بالانجليزية) مجلد ٥١ (رقم سي ١١) ص ٣٨٢و ٣٩٢و ٣٩٩ والمسلم الهندى (بالانجليزية) ص٢٣-٢٥ و ٢٧و ٣٨و ٤٢و ٧٨و ٨٤-١٠٥ وراجع سرگذشت مجاهدين للمزيد من الاطلاع

١٠- الاسلام الجديد في الهند(بالانجليزية) لصاحبه سميث ص١٦٢

١١- كلكتة ريويو (بالانجليزية) مجلد ٥١(رقم سي ١١) ص ٣٨٢ تاريخ الثورة الهندية (بالانجليزية) الجزء الاول ص ١٤٢-١٤٣ والجزء الثاني ص٢٧ والمسلم الهندى (بالانجليزية) ص١١ و ٢٤-٤٣ و ٦١ و ٧٥و ٨٩و ١٣٩

١٢- ١٨٥٧م لغلام رسول مهر ص٢٠١-٢١٩ و ٤٤٠-٤٤٧

١٣- مذاكرتي في الهند (بالانجليزية) ص١١-٣٤ وللمزيد من المعلومات راجع ظهور الحكم الانجليزى واكتماله في الهند(بالانجليزية) لمؤلفيه ثامب سون و ج ت جيرت ص٤٣٩

١٤- كانبور (بالانجليزية لصاحبه ج،أ ترلويليان ص١٠٩و ايضا راجع ظهور الحكم الانجليزى واكتماله في الهند، (بالانجليزية) ص٤٦٢

١٥- قيصر التواريخ، الجزء الثاني ص٤٥٢

١٦- "حياة جاويد" القسم الاول ص٧١و ٢١٤و ٢٢٢

١٧- كلكتة ريويو (بالانجليزية) مجلد: ٥٠ ص٧٣-٧٥

١٨- الجغرافيا التاريخية للهند (بالانجليزية) لصاحبه، أ،أ روبريس ص٣٦٣ وظهور الحكم الانجليزى واكتماله في الهن د(بالانجليزية) ص٤٤٢-٤٤٣

١٩- مقالات تهذيب الاخلاق، الجزء الثاني ص٥٥٢و ٥٢٣

٢٠- المسلم الهندى (بالانجليزية) ص١٦٨-١٧١ و ١٨٤-١٨٦ و ١٩٣-١٩٤"اسباب بغاوت هند" اى (اسباب الثورة الهندية) السير سيد احمد خان ص: ١٧-١٩

٢١- اقبال کے حضور (في حضرة اقبال) الجزء الاول ص٩٤

٢٢- تاريخ سيالكوت ص١٢٦

النهر الخالد

٢٣- ذكر اقبال ص ١٠-١١

الفصل الثالث

١- انوار اقبال اعداد بشير احمد دار ص٧٣

٢- وقد جاءت الترجمة باللغة الانجليزية ويرجى الرجوع الى "نقش اقبال" لسير عبدالواحد معيني ويقابل ذلك ص١٧

وقد حقق الدكتور سعيد اختر الدراني بان اقبال كان قد كتب بخط يده تاريخ مولده الحرم ١٨٧٦م وذلك في اول اكتوبر ١٩٠٥م في سجل كلية التثليث لجامعة كيمبردج وذكر انه كان يسكن في ١٧/قصر برتقال وانه قد لاحظ لافتة معلقة على ذلك المنزل ثم ان اقبال سجل سنه تسعة وعشرين سنة في سجل القبول لخان لنكن بلندن وذلك في ٦/نوفمبر ١٩٠٥م ويطابق ذلك ان مولده ١٨٧٦م وقدتم امتحانه الشفوى للدكتوراة امام مجلس كان يرأسه الاستاذ (ف-هومل) بجامعة ميونيخ في ٤/نوفمبر ١٩٠٦م تنص بطاقة الامتحان على ان تاريخ مولده هو ٩/نوفمبر ١٨٧٧م ويرى الدكتور الدراني بان المحرم يطابق النصف الاخير من ينائر والنصف الاول من فبرائر لسنة ١٨٧٦م وعليه فان مولد اقبال كان في يناير وفبراير ١٨٧٦م وراجع كتاب "العلامة اقبال في اوربا" والمقالات الاخرى (مسودة خطية بالارودية) ويظهر بما حققه الدكتور دراني بان تاريخ مولد اقبال الذى كان يويده اقبال نفسه وهو حي هي سنة ١٨٧٦م ويبدو بان اقبال عندما كان حديث العهد بوروده في لندن ذكر ان مولده ١٨٧٦م فاذا كان قد صرح بشهر المحرم في سجل كلية التثليث فهو ايضا كان على اساس التقدير والتخمين فاذا كان شهر المحرم في تلك السنة قد جاء في ينائر و فبرائر فيجب ان نعبر ذلك عن فصل الشتاء وقد صرح الشيخ عطا محمد على وجه التقدير والتخمين بان مولد اقبال كان في شهر ديسمبر ١٨٧٦م ويعني بذلك فصل الشتاء لسنة ١٨٧٦م- الا انه من الممكن بان اقبال كان قد راجع ابويه عن تاريخ مولده حين قدم ترجمته مع اطروحته في ميونيخ بعد سنتين والواقع الذى ليس فيه شك بان اقبال كان يكتب رسالة الى امه في سيالكوت خلال كل اسبوع وهو في اوربا انها كانت تنتظر رسالته طوال الاسبوع الا ان اقبال ذكر تاريخ مولده حسب التقويم الهجرى الذى يوافق ١٨٧٦م فقدر ذلك اقبال تقدير ولم يحاول ان يغير تغييرا مفصلا-

٣- وراجع لصورة الاصل "روزگار فقير" الطبعه الثانية لفقير سيد وحيد الدين ص٢٣٢

٤- انوار اقبال ص:٧٩

ان مقال السير عبدالقادر عن ترجمة اقبال والذى كان قد نشر في "خدنك نظر" الصادرة من لكنؤ في عدد مايو ١٩٠٢م لم يذكر فيه تاريخ مولد اقبال او سنه وراجع ايضا "اقبال جادوگر هندى نژاد" (اقبال الساحر هندى الأصل) لعتيق صديقى مكتبة جامع دلهى

الجديدة ص١٣٤-١٤٤

٥- وللمزيد من المعلومات يرجى الرجوع الى تصريح مشفق الخواجا الذى نشر في جريدة "جنگ" كراتشي ٢٦/ابريل ١٩٧١م-

٦- "روزگار فقير" (الطبعة الثانية) ص٢٣٢

٧- نقوش، العدد الخاص عن اقبال، الجزء الثاني، ديسمبر ١٩٧٧م تاريخ مولد العلامة اقبال ص:١٠

٨- انوار اقبال ص٧٣

٩- نفس المرجع ص١٠

١٠- نقش اقبال ص١٤-١٥

١١- نفس المرجع ص١٥ ويرجى الرجوع الى مقال الاستاذ (جان ميرك)، تاريخ مولد محمد اقبال (بالانكليزية) في مجموعة المقالات "السيف والعصاء الملكية" تأليف رفعت حسن (بالانكليزية) طبعة اكاديمية اقبال لاهور: ١٩٧٧م

١٢- وقد استششدت السيدة (اين ميرى شمل) كما استشهد الاستاذ جان ميرك بنفس الطريقة ويرى الاستاذ جان ميرك بان قبول اقبال بكلية الارسالية الاسكالية كان في السادسة عشر من عمره- يبدو انسب واقرب الى القياس بالنسبة الى القول لانه كان في الثامنة عشر من عمره وايضا راجع (بال جبريل) بالانجليزية: ص٣٥

١٣- نفس المرجع ص٢٢٩-٢٣٧

١٤- ملاحظة الشيخ اعجاز احمد قدمها الى اللجنة المركزية لتاريخ مولد اقبال (بالانجليزية)

١٥- نفس المرجع ص١٥٨ ويرجى الرجوع الى صفحة تقابل لصورة "محتويات السجل"-

١٦- نقوش العدد الخاص عن اقبال سبتمبر ١٩٧٧م بهامش ص٢٩

١٧- المقالات السبعة (بالاردوية) طبعة اردو ببلشرز في لكنؤ ١٩٧٥م ص٤٢

١٨- نقوش اقبال (الترجمة الاردوية لروائع اقبال للسيد ابي الحسن على الندوى) ص١٨، وعن (ججن ناث آزاد) يرجى الرجوع الى نقوش العدد الخاص عن اقبال: الجزء الثاني ديسمبر ١٩٧٧م ص٣٨

١٩- ولصورة الاصل يرجى الرجوع الى الطبعة الثانية من روزگار فقير مايقابل ص٢٣٣

٢٠- نفس المرجع ص٢٣١

٢١- اقبال درون خانه (اقبال داخل بيته) ص١٥٧

٢٢- ملاحظة الشيخ اعجاز احمد (بالانجليزية)

٢٣- وللصورة العكسية يرجى الرجوع الى الجزء الثاني من روزگار فقير ص١١٩

٢٤- اقبال درون خانه ص١٥٥

٢٥- نفس المرجع ص١٥٥-١٥٨

٢٦- نقوش العدد الخاص عن اقبال الجزء الثاني، ديسمبر ١٩٧٧م ص٣٩

٢٧- مرقع اقبال اعداد ججن ناث آزاد، قسم المطبوعات، وزارة الاعلام، حكومة الهند، ١٩٧٧م ص٧

٢٨- نفس المرجع، ص٧

٢٩- راجع "حياة اقبال" لصاحابه م س ناز ص١٥ وعلى اساس نفس الخطأ ذكر ججن ناث آزاد في شجرة النسب لاسرة اقبال بان "بابا صالح" هو الجد الاعلى لبابا لول حج وراجع ايضا مرقع اقبال ص٧ ولنفس الخطأ راجع ياد اقبال لصابر كلوروى ص٥

٣٠- نقوش، العدد الخاص عن اقبال الجزء الثاني ديسمبر ١٩٧٧م تاريخ مولد العلامة اقبال ص:٢٢-٢٣

٣١- وقد ورد البيانات في صفحة ١٥٦ الى ١٥٩ من كتاب "اقبال درون خانه"

٣٢- نفس المرجع بهامش ص١٥٨

٣٣- نقوش العدد الخاص عن اقبال، الجزء الثاني ديسمبر تاريخ مولد العلامة اقبال ص٢٤

٣٤- نفس المرجع ص٣٩

٣٥- اقبال درون خانه ص:١٥٥

٣٦- ملاحظة الشيخ اعجاز احمد (بالانجليزية)

٣٧- نفس المرجع

٣٨- نفس المرجع

٣٩- نيرنگ خيال، العدد الخاص عن اقبال ١٩٣٢م ص٢٥

٤٠- نفس المرجع ص١٦٣

٤١- نقوش العدد الخاص عن اقبال، الجزء الثاني، ديسمبر ١٩٧٧م تاريخ مولد العلامة اقبال ص١٥-١٦

٤٢- اقبال درون خانه ص١٥٣-١٦٣

٤٣- نيرنك خيال- العدد الخاص عن اقبال ١٩٣٢م ص ٧٤ فيها مقالة لشيخ افتاب احمد وعنوانها "اساتذة العلامة السير اقبال وللمزيد من الاطلاع راجع حياة اقبال" طبعة (تاج كمبنى) بلاهور ص١٢-١٣

٤٤- نقوش العدد الخاص عن اقبال، الجزء الثاني، ديسمبر ١٩٧٧م تاريخ مولد العلامة اقبال ص١٥

٤٥- اقبال درون خانه ص:١٥٥

٤٦- نقوش العدد الخاص عن اقبال، الجزء الثاني ديسمبر ١٩٧٧م تاريخ المولد للعلامة اقبال ص٢٤، ٢٥ و ٣٠

٤٧- دراسة نقدية للادب الكلاسيكي (بالاردوية) طبعة مكتبة ادب جديد لاهور ١٩٦٥م ص٣٠٦ و ٣٠٧

٤٨- ما يقابل ص١٧ كتاب "نقش اقبال"

٤٩- نقوش، العدد الخاص عن اقبال، الجزء الثاني ديسمبر ١٩٧٧م، تاريخ مولد العلامة اقبال ص١٨

٥٠- ملاحظة الشيخ اعجاز احمد (بالانجليزية) وهذا هو نفس المنزل الذى ظل في ملك المولف على اساس الهبة-

٥١- نقش اقبال ص١٨

٥٢- نقوش، العدد الخاص عن اقبال، الجزء الثاني ديسمبر ١٩٧٧م تاريخ مولد العلامة اقبال ص١٤

٥٣- نفس المرجع ص١٤

٥٤- نفس المرجع ص٣٠

٥٥- نفس المرجع ص٣٠

٥٦- نفس المرجع ص٣٠

٥٧- نفس المرجع ص١٥

٥٨- ملاحظة الشيخ اعجاز احمد (بالانجليزية)

٥٩- نقوش، العدد الخاص عن اقبال (الجزء الثاني) ديسمبر ١٩٧٧م تاريخ مولد العلامة اقبال ص٢٤

٦٠- نفس المرجع ص١٦١

النهر الخالد

٦١- نفس المرجع

٦٢- نفس المرجع ص٢٧-٣٠ وللمزيد من المعلومات راجع العلامة اقبال وزوجته الاولى (بالاردوية) ص:٢٢

٦٣- العلامة اقبال وزوجته الاولى ص٢٢

٦٤- نقوش العدد الخاص عن اقبال الجزء الثاني ديسمبر ١٩٧٧م المولد الصحيح للعلامة اقبال للدكتور اكبر حيدرى كشميرى ص٤٠

الفصل الرابع

١- وقد حكى هذه الرؤيا اقبال نفسه راجع "اقبال کے حضور" لسيد نذير نيازى، الجزء الاول ص٩٥ و ايضا راجع "ذكر اقبال" لعبد المجيد سالك ص:١٠ وفكر اقبال لخليفة عبدالحكيم ص١٤-١٥

صفحه ١٩٦؟؟؟؟؟؟

تاليف هنتر ص١١ و ٧٥و ١٣٠ والتعليق على كتاب هنتر ص١٣-٢٨و ٤٥والخطبات الاحمدية ص٣٥٣-٣٩٧ واخر المقالات للسير سيد ص٣٥-٨٥ ومقالات "تهذيب الاخلاق" المجلد الثاني ص١١١-١١٣

١٢- حياة جاويد والقسم الاول ص١١٨-١٣٢ والقسم الثاني ٤٢وحياة السير سيد احمد خان وخدما (بالانجليزية) ص١٨٥

١٣- حياة جاويد القسم الاول ص١٥ والقسم الثاني ص٤و ٨و ٩

١٤- حياة جاويد القسم الثاني ص١١٢-١١٤و ١٧٠ مجموعة محاضرات السير سيد اعداد: سراج الدين ص: ١٧٨-١٩٥ ومقالات تهذيب الاخلاق، المجلد الثاني ص:١٦١و ١٨١و ١٨٢

١٥- الاسلام الهندى، تأليف مرى تي تائى توس (بالانجليزية) ص٢٠٧و ٢٠٨ وحياة جاويد القسم الثاني ص٢٠٠ و٢٠٨-٢١٦ مقالات تهذيب الاخلاق المجلد الثاني ص٢١و ٢٢و ٢٩و ٥٠و ١٨٣ (والخطبات الاحمدية ص٤ ومجموعة محاضرات السير سيد ص١٨٦-١٩٥

١٦- مجموعة خطبات السير سيد ص١٨١و ١٨٢ حياة جاويد القسم الثاني ص٢٠١-٢٠٦ و٢١٦-٢٥٦ والاصلاحات والنظريات الدينية للسير سيد احمد خان (بالانجليزية) ص٦٨-٨٦ الاسلام الهندى (بالانكليزية) ص١٩٩

١٧- حياة جاويد القسم الثاني ص٣١٧

١٨- حياة جاويد، القسم الاول ص١٣٣والقسم الثاني ص٥٤-٦٣ مقالات تهذيب

الاخلاق، القسم الثاني ص٥-١٨و ٢٣-٤٨ و ٥٠-٥٩و ٦٩-١٠١ و ١٢٧-١٣٣ والاصلاحات والنظريات الدينية للسير سيد احمد خان (بالانجليزية) ص٢٥و ٢٦

١٩- مقالات تهذيب الاخلاق، المجلد الثاني ص٥٦٩-٥٧٢ والاسلام الهندى (بالانجليزية) ص٢٠٤و حياة جاويد، القسم الاول ص١٣٣-١٣٨ والقسم الثاني ص٦٣

٢٠- حياة جاويد القسم الثاني ص٦٤-٦٦و ٢٨٣و ٢٨٤ وتاريخ المناهج العلمييية الاسلامية في الهند (بالانجليزية) تاليف القاضي سيد محمود ص:١٤٨

٢١- الاصلاحات والنظريات الدينية للسير سيد احمد خان (بالانجليزية) ص٢٤و مجموعة محاضرات السير سيد ص٤٩و ٥٠ والتعليق على النظام التعليمي في الهند (بالانكليزية) تاليف السير (ايلزيد كرافت اصلاحات والنظريات الدينية السير ص٣١٢-٣١٤) سيد احمد خان (بالانكليزية) ص٢٤ و مجموعة خطبات السير سيد ص١٩٧و ١٩٨و حياة

٢٢- جاويد، القسم الاول ص٩٥-١٠٠ و ١٠٣-١٠٦ والقسم الثاني ص٣٧-٤٠

٢٣- حياة جاويد، القسم الاول ص١٣٨-١٤٤و ١٥٢-١٦٩

٢٤- حياة جاويد، القسم الاول ص١٦٩-١٧٧ والقسم الثاني ص٦٣و ٦٤ و ٧١-٨٦ و ٢٤٠ والسير سيد احمد خان وحركة الانفصال في السياسية الاسلامية (بالانجليزية) تاليف عبدالحميد ص١١٤

٢٥ حياة جاويد، القسم الاول ص١٠١ و ١٠٢ والقسم الثاني ص٤٧و ٤٨

٢٦- حياة جاويد، القسم الاول ص١٦٢ مقالات تهذيب الاخلاق المجلد الثاني ص٥٥ و مجموعة خطبات السير سيد ص٢٤٨و ٢٥٢و ٢٥٣و ٢٦٦و ٢٦٨و ٢٧٥و ٢٨٦

٢٧- حياة جاويد، القسم الاول ٢٠٤-٢١٤و ٢١٥ ومجموعة خطبات السير سيد ص٢١٥ والسير سيد احمد خان وحركة الانفصال في السياسية الاسلامية (بالانجليزية) ص١٤٤-١٤٨-

٢٨- تكوين امة (بالانجليزية) تاليف سريندار ناث بينار جي ص٤١-٤٤، والسلام الجديد في الهند (بالانجليزية) تاليف و س سميث ص١٦٨

٢٩- السياسة الهندية (بالانجليزية) تاليف السير جون كيومينج ص٤٨و ٤٩ وتاريخ حركة الاستقلال القومي (بالانجيلزية) تاليف في لووات ص٤٨-٥١ والثورة الهندية (بالانجليزية) تاليف في تشيرول ص٤٣-٥٥

٣٠- حياة جاويد، القسم الاول ص١١١-١١٥ وخطبات السير سيد، اعداد السير راس مسعود ص٦٦

٣١- ذكر اقبال ص:٢٧٧

٣٢- وايضا راجع للمزيد من ترجمة الشيخ سيد مير حسن، ذكر اقبال ص٢٧١-٢٧٩ ومقال أفتار احمد اساتذة العلامة السير اقبال في "نيرنك خيال" عدد اقبال ١٣٢ ص:٦٢-٧٦ ورويات اقبال ص٦-٥٥ و٦٢-٧٠

٣٣- الطبعة الثانية من "روزگار فقير" لفقير سيد وحيد الدين ص٥٧ و٥٨

٣٤- نفس المرجع ص١٢٦-١٢٨ اعترض على ذلك البعض من الشيوخ بان الاية المذكورة عن سيدنا عيسى عليه السلام فاستخرج اقبال تاريخ ثانيا من قوله "كانه مسيح لكل امراض" وراجع وزكار فقير، الجزء الثاني ص١٩٧ وسرود رفته اعداد غلام رسول مهر ص٢١٧ وقد جاء ذكر التاريخين الذين استخرجهما اقبال واستاذه بدون العزو الى اى واحد منهما في حياة جاويد الا ان المجموعة التى نشرها وجاهت حسين جهجانوى باسم (الماتم القومي قد جاء في هذه عن التاريخ الذى استخرجه اقبال ما نصه "منشى محمد اقبال" الطلاب بالكلية الحكومية بلاهور وتلميذ حضرة الشاعر داغ-

٣٥- الطبعة الثانية من روزگار فقير ص ١٢٧

٣٦- ذكر اقبال ص٢٨٩

٣٧- اقبال درون خانه لخالد نذير صوفي ٨-١٠

٣٨- نفس المرجع ص١٢-١٤

٣٩- نفس المرجع ص٩-١٠ والترجمة الاردوية لضياء الدين برني ص١٦

٤٠- آئينه اقبال (اى مرآة اقبال) اعداد عبدالله قريشي ص ٢٥٤ ومطالته اقبال اعداد كوهر نوشاهي ص٣٦ و ٣٧ مقاله عنوانه "بيعة العلامة في السلسلة القادرية" لنور محمد قادرى مجلة ضيائے حرم ابريل ١٩٧٥م ص٤٣-٤٦ وقرية اعوان شريف توجد في محافظة حجرات وقد يمكن ان يكون شيخ نور محمد قد اخذ اقبال معه ليبايع قاضي سلطان محمود ويحدث اقبال في رسالته الى سيد سليمان الندوى بانه قد بايع في السلسلة القادرية من المتصوفين و "اقبال نامه" القسم الاول ص٧٩-

٤١- ذكر اقبال ص١٤

٤٢- نفس المرجع ص١٥

٤٣- اقبال کے حضور،الجزء الاول ص٦٠ و ٦١

٤٤- نقوش عددها الخاص عن السير الذاتية ط ١٩٦٤م ص٦

٤٥- نفس المرجع ص ١٢٧و ١٢٨ و ١٥٤-١٥٦

٤٦- نفس المرجع ص١٢٦ و ١٢٧

٤٧- "خم خانه جاويد" (الحانوت الخالد) الجزء الاول ص٢٦٩و على ما صرح به سرى رام كان اقبال قد اخذ ينظم الشعر وهو طفل صغير-

٤٨- نفس المصدر ٤٧و٤٨ ويقول السير عبدالقادر بان اقبال كانه لديه الميل والشوق الى الشعر وهو طفل الا ان هذه الموهبة تقدمت تقدما كبيرا للغاية خلال اتصاله واستفادته من الشيخ سيد مير حسن مقال عن اقبال في مجلة "خدنك نظر" لكنؤ مايو/١٩٠٢م وللاطلاع على المقال راجع "اقبال الساحر هندى الاصل" (بالاردوية) لعتيق صديقي ص: ١٤٠

٤٩- روايات اقبال ص١٣

٥٠- سرود رفته اعداد غلام رسول مهر ص١٤٣و١٤٤

٥١- راوى عددها عن ذكرى اقبال المئوية ابريل ١٩٨٤م ص٨٠

٥٢- انوار اقبال ص٨٣

ويصرح السير عبدالقادر عبدالقادر بان اقبال كان قد اعتزم على ان يتلمذ على داغ بالمرا- بعد أن نجح في امتحان الثانوية المتوسطة ولم يزل يستشيره حتى اخذ ينطم الخبسات والمسدسات والبنواد المرجعة باسلوب جديد وكان قد تزوج في نفس السنة التي بدأ فيها يستشير داغ بالمراسلة اى في ١٨٧٣م مقال عن اقبال في خدنك نظر لكنو مايو ١٩٠٢م

٥٣- خم خانه جاويد الجزء الاول ص٣٠٢

٥٤- مقدمة صوت الجرس ص(ز و ح)

٥٥- مشاهير كشمير ص١٨٤

٥٦- روزگار فقير الجزء الثاني ص٢٩٨

٥٧- سرود رفته ص١٤٥-١٤٨

٥٨- باقيات اقبال، اعداد عبدالله قريشي ص٣٩٦

٥٩- اقبال نامه القسم الاول ص٣ و ٤

٦٠- باقيات اقبال اعداد عبدالله قريشي ص٤٨٣

٦١- اقبال درون خانه ص١٠٣-١٠٧ وقد كانت هذه الكتب موجودة في منزل اقبال القديم في سيالكوت وراجع روايات اقبال ص١٨٨ الملاحظة بين القوسين

٦٢- ويصرح صاحب كتاب اقبال درون خانه بان اقبال كان قد ذهب الى المركز الامتحاني

في حجرات ليدخل امتحان الثانوية فرآه الدكتور عطا محمد فاعجبه واراد ان يزوجه من ابنته الا ان هذا القول لم يويده احد الى الان وراجع ص:١١ من نفس الكتاب ولم يكن يوجد مركز امتحان الثانوية في سيالكوت غير حجرات ولاهور وكانت لاهور ابعد من حجرات فذهب اقبال اليها ليدخل امتحان الثانوية هناك ويضرح سيد ذكر شاه بان مطربة راقصة من مدينة بسرور والتي كانت تعرف باسم بيران دتي كانت قد رافقت موكب زواج اقبال- روايات اقبال ص٢٦ ويحدثنا سيد نذير نيازى بان الزواج كان قدتم في جو من الرونق والجلال وقد اقيمت حفلة الاغاني اشترك فيها الكبار ويصرح الشيخ اعجاز احمد بان هذه المطربة الراقصة بيران دتي واخواتها الاخرى كن يعرفن بجنيات بسرور فائقات الجمال وكان احمد اصهار نور محمد قد اهتم بحفلات الطرب هذه واما مولف هذا الكتاب فقد اطلع على أن بيران دتي هذه واخواتها واقاربها كانوا قد تابوا وصلحوا وقد تاب الله عليهم فتمتعن جميعهن بافراح الحياة الزوجية ونعمها وثقفن اولادهن الى اعلى درجات الثقافة والتعليم حتى ان اهل بسرور كانوا قد اخذوا يكرمون بيرانى دتى واسرتها بسبب التدين والشرف حسن السيرة والسلوك الا ان البعض من ضيقي الافق والمحرومين عن المكارم والمشاعر العالية لم يعفوا عنهن فظلوا يعتبرونهن ساقطات-

٦٣- روايات اقبال ص٧٥

٦٤- نفس المرجع ص٨٩

٦٥- وكان افتاب اكبر من شيخ اعجاز احمد بسبعة او ثمانية اشهر ويصرح الشيخ اعجاز احمد بانه كان قد ولد في ١٢/يناثر ١٨٩٩م-

الفصل الخامس

١- صحيفة العدد الخاص عن اقبال القسم الاول ١٩٧٣م المقاد المنازل التي نزلها العلامة اقبال وهو في لاهور للدكتور محمد عبدالله تشتغائى ص٥٢ ذكر اقبال لعبد المجيد سالك ص١٧

٢- تاريخ الكلية الحكومية بلاهور من ١٨٦٤-١٩١٤(بالانجليزية) ص٤٨

٣- مطالعة اقبال اعداد كوهر نوساهي المقال شيٌ من ترجمة اقبال لغلام بيك نيرنك ص١٩ و ٢٠

٤- نفس المرجع ص٢٢-٢٤

٥- صحيفة العدد الخاص عن اقبال القسم الاول ص٥٣

٦- مطالعة إقبال مقال "اقبال والكلية الشرقية" ص٤٨-٤٩

٧- التقويم نفسه ص٣٣٩

٨- نفس المرجع ص١٢ وراجع "بنجاب جازيت" ٣/يونيو ١٨٩٧م القسم الثالث ص١٠٩٩ ٣/مارس ١٨٩٨م القسم الثالث ص٣٧٠

٩- تاريخ الكلية الحكومية (بالانجليزية) ص٩٠-٩٣

١٠- نفس المرجع ص١١٣

١١- "صوت الجرس" ص(ح) من القدمة-

١٢- انوار اقبال اعداد بشير احمد دار مقال حالات اقبال للشيخ محمد دين فوق ص٨٠

١٣- التقويم نفسه ص٣٣٠ وايضا راجع بنجاب جازيت ٨-يونيو ١٨٩٩م القسم الثالث ص١٠٨٥ ٢٦/ابريل ١٩٠٠م القسم الثالث ص٨٦٧و ٨٦٨ رسائل اقبال ومقالاته اعداد بشير احمد دار (بالانجليزية) ص٣٦-٤٠ وكان مسموحا لطلاب الكلية الحكومية ان يدخلوا الامتحانين في نفس السنة مع امتحان الما جستيرو لم يكن من الممكن للطلاب ان يستعدوا استعداد صحيحا للامتحانين وقد يمكن ان يكون اقبال اما لم يدخل امتحان الماجستير او رسب فيه ايضا في سنة ١٨٩٨م والاغلب انه كان قد رسب في امتحان الماجستير لتلك السنة ايضا-

١٥- مكتوبات اقبال ص٩٦و ٩٧

١٦- مجلة اقبال ص١ و ٢

١٧- تاريخ اقوام كشمير الجزء الثالث مقال "منشى محمد دين فوق" لمحمد عبدالله قريشي ص٢٦٢، ٢٦٣

١٨- نقوش عدد ١٠٤ مقال لاهور كاجيلسى (جيلسى لاهور) لحكيم احمد شجاع ص٣١، ٣٩

١٩- وقد نشرت القصيدة الغزلية هذه في مجلة جمعية المهرجان الشعرى "شور محشر" في عدد ديسمبر ١٨٩٦م وراجع ايضا سرود رفته اعداد غلام رسول مهر ص١٤٦-

وقد ذكر السير عبدالقادر التفاصيل عن هذا المجلس الشعرى ان شابا من فئة الطلاب قام من مكانه فجأة وكان عمره يتحاوز عشرين سنة قد حلق اللحية ورب الشوراب على التقليد المتعارف كان يلبس الملابس بين القديم والجديد فتقدم نحو الكرسي الذى كن يجلس عليه الشاعر وينشد قصيدته فجلس ثم انشد مطلع القصيدة ما معناه:

انطقى بكلمة "نعم" بلسانک تجربة واختبارا

وان كلمة "نعم" هذه سوف تضحى نفسها لرحائى عن اللقاء

وبمجرد ان ينشد الشاعر مطلع القصيدة فاذا باصحاب الذوق الشعرى

يستمعون اليه وذا بالانظار تتركز عليه وكان من تقاليد المجلس الشعرى ان سيكرتير المجلس كان يعرف الشاعر بالحاضرين الا ان هذا الشاعر الشاب المرح لم يعرفه سكرتير المجلس نفسه فاذا بصوت يرتفع من ناحية مَدِّ فُوْنَا بحضرة الشاعر اولا فاذا بالشاعر الشاب يرد قائلا انا اعرف نفسي بكم شخصيا انا اسمي اقبال وهذا "تخلصي" ايضا (اسم الشاعر الخاص) وانا من سيالكوت وادرس في فصول ليسانس بالكلية الحكومية ولى الشرف حيث اننى تلميذ حضرة داغ وليس لى اختصاص او خصومة باى شخص من الكبار من هذه المدينة وقد نظمت بضعة ابيات شعرية استاذنكم لانشدها- مقال اقبال في "خدنك نظر" مايو/ ١٩٠٢م-

٢٠- مطالعة اقبال مقال "اقبال وفوق" لمحمد عبدالله قريشي ص٨٥، ٨٦

٢١- باقيات اقبال اعداد محمد عبدالله قريشي ص١١و ١٣ الابيات والقطعات الشعرية لاقبال عن كشمير-

٢٢- صورة الجرس ص(ط) من المقدمة

٢٣- نذر اقبال اعداد محمد حنيف شاهد ص٨٥

٢٤- راوى عددها الخاص عن ذكرى اقبال المئوية- ابريل ١٩٧٤م مقال اقبال والكلية الحكومية (الاردوية) لمحمد حنيف شاهد ص٢٥٨

٢٥- ذكر اقبال ص٢٧ وديوان "صوت الجرس" ص(ط) من المقدمة وتاريخ اقوام كشمير الجزء الثالث ص٢٦٢و ٢٦٣-

وكان من بين تلاميذ الشاعر داغ سيد بشير حسين نسيم بهرت بورى وحافة محمد يوف خان تشنه بلند شهرى-

٢٦- اقبال ص٢

٢٧- آئينه اقبال (مرآة اقبال) اعداد محمد عبدالله قريشي ص١٩٦

٢٨- ملفوظات اعداد ابوالليث صديقي ص٣٢-٣٤

٢٩- فكر ابقلا ص١٧و١٨

٣٠- شذرات فكر اقبال، اعداد جاويد اقبال وترجمتها الاردوية لافتخار احمد صديقي ص١٠٥

٣١- كشف المحجوب (الترجمة الاردوية) لمولوى فيروز الدين ص١٨و١٩ وقدسمى حضرة الشيخ القسم الاول من الحجاب حجابا دينيا والقسم الثاني من الحجاب حجابا عينيا-

الفصل السادس

١- وطبقا للشروط المنصوص عليها في "بنجاب جازيت" ١٨/فبراير ١٨٩٧م، القسم الثالث ص٢٨٧ كان راتبه قد اصبح ٧٣/روبية بعد احد عشر شهرا-

٢- تاريخ الكلية الحكومية بلاهور (بالانجليزية) ص١١٥ و راجع ايضا مطالعة اقبال، اعداد جوهر نوشاهي ص٤٩-٥١ مقال، اقبال في الكلية الشرقية لغلام حسين ذوالفقار والتوضيحات عن تفاصيل الملف تختلف بهذا الشأن وعلى ماه حققه الدكتور محمد باقر كان قد عين استاذ العربية في ١٣/مايو ٢٤يونيو/١٨٩٩م وذلك في وظيفة كانوا يسمونها "عريبك ريدر" وفي ٤/يناير ١٩٠١م اخذ اجازة طويلة الا ان تاريخ عودته الى الكلية الشرقية لايعرف الآن ثم كان قد اخذ الاجازة مرة اخرى من ١٨/اكتوبر ١٩٠٢م الى ٣١/مارس ١٩٠٣م وعمل في وظيفة الاستاذ الاضافي في اللغة الانجليزية الحكومية وفي اول ابريل ١٩٠٣م عاد الى الكلية ثم اخذ اجازة اربعة اشهر في اول يونيو ١٩٠٣م وعمل استاذا اضافيا للانجليزية بالكلية الحكومية- اما تاريخ عودته الى الكلية الشرفية فلايعرف الآن ثم في ٣١/مارس ١٩٠٤م اخذ الاجازة بدون الراتب واستقال في مارس ١٩٠٤م من وظيفة "ميكلود عريبك ريدر" (الاستاذ ميكلود اللعربية) وعلى ما حققه- حنيف شاهد في بحث له شنر في عدد مجلة الكلية الشرقية الخاص عن ذكرى العلامة اقبال المئوية ١٩٧٧م اعداد دكتور عباد بريلوى (بالانكليزية) ص٢٩-٣٧ بان اقبال كان قد عين أستاذا مساعد للانجليزية من ١٦/اكتوبر ١٩٠٢م الى ٢١مارس ١٩٠٣م على راتب شهرى قدره مائتا روبية وقد قام اقبال بالخدمة استاذا مساعدا نجليزيا مؤقتا بالكلية الحكومية مرة ثالثة من ٣/يونيو ١٩٠٣م الى ٣٠/سبتمبر ١٩٠٣م ثم تم التمديد في هذه المدة حتى ٣١/مارس ١٩٠٤م قبل أن يستقيل ثم تم المزيد من المتديد في هذه المدة وعمل اقبال استاذا مساعدا للفلسفة بالكلية الحكومية ولم يزل يحتل هذه الوظيفة حتى سافر الى انكلترا للدراساعات العليا، مقال "اقبال والكلية الحكومية بلاهور" في مجلة جميعة باكستان للبحوث اكتوبر ١٩٨٧م المجلد ١٥رقم ٤ ص٦٩-٧٧

٣- ذكر اقبال لعبد المجيد سالك ص٢٣

٤- ملفوظات اقبال اعداد ابي الليث صديقي ص ١٥١، ١٥٢ مقال لقاء مع اقبال للاستاذ حميد احمد خان-

٥- مطالعة اقبال ص:٥١ ورسائل اقبال و مقالاته (بالانجليزية) اعداد، بشير احمد دار

٦- مطالعة ص: ٥٤-٥٧ مقال اقبال نظرية التوحيد المطابق للشيخ عبدالكريم الجيلي (بالانجليزية) والذى كان قد نشر في مجلة "التراث الهندى القديم الصادلة من بومباى"- عدد سبتمبر ١٩٠٠م-

٧- راجع مقالات اقبال وتصريحاته (بالانجليزية) اعداد: لطيف احمد شيرواني ص٦٩-٨٥

٨- وهذا الكتاب لا يزال محفوظا في متحف العلامة اقبال في جاويد منزل لاهور-

٩- وحسب التصريح للشيخ عبدالقادر كان هذا الكتاب تحت الطبع حتى ابريل ١٩٠٤م، وراجع مجلة مخزن، ابريل ١٩٠٤م ص١-٨ إلا ان في الصفحة الرابعة لمجلة مخزن لشهر ديسمبر ١٩٠٤م قد جاء ذكر الكتاب وان قيمته روبية واحدة ويمكن الحصول عليه من المولف وكان (منشي ديا نرائن منكم) قد علق على هذا الكتاب ونشر تعليقه هذا في مجلته الشهرية "زمانه" الصادرة من كانبور مايو ١٩٠٥م-

١٠- وقد طبع الكتاب مرة ثانية في ١٩٦١م في كراتشي ومرة ثالثة نشرته اكاديمية اقبال بلاهور فى سنة ١٩٧٧م باهتمام آئينه ادب لاهور فقير الجزء الثاني ص٦٤-

١١- نفس المرجع ص٢٠٤و ٢١٠-٢١٣

١٢- بنجاب جازيت ٢٤/فبراير ١٩٠١م القسم الاول ص٥٠

١٣- مقال العلامة اقبال في اجتماعات الجمعية لخليفة شجاع الدين، حمايت اسلام، عدد شجاع الدين ٣٠/مايو ١٩٥٦م ص١٠

١٤- بنجاب جازيت ٩/يوليو ١٩٠٣م، القسم الاول ص٦٢٦

١٥- بنجاب جازيت ١٠/ديسمبر ١٩٠٣م القسم الاول ص١٣٦٨

١٦- بنجاب جازيت ٨/يونيو ١٩٠٥ القسم الاول ص٣٨٢ و بنجاب جازيت ١٦-اغسطس ١٩٠٦م، القسم الاول ص٧٢٩

١٧- صحيفه، العدد الخاص عن اقبال، القسم الاول ص٥٤ مقال "منازل اقبال في لاهور" وكانت هذه الزلزلة سبب الدمار الهائل في مدينة (كانجره) وكانع لى بخش قد وظف عند اقبال فكان يصعد مرة ويهبط اخرى من السلم خوفا من الزلزلة وكان اقبال قد رفع رأسه من الكتاب فقال له: لا تخف وقف حيث انت من السلم ثم عاد الى كتابه وانهمك في قرأته بكل سكينة وطمانينة-

١٨- نذر اقبال اعداد محمد حنيف شاهد ص٣و٤

١٩- الرسالة المورخة في ١١/ديسمبر ١٩٠٧م الى علي بخش، اقبال نامة الجزء الثاني ص٢٩٦-

٢٠- ذكر اقبال ص٢٢و٢٣

٢١- الرسالة الى سيد محمد تقي شاه اقبال نامه، الجزء الثاني: ص٢٩٨ و ٢٩٩ والرسالة المورخة في ٦/اغسطس ١٩٠٣م الى حبيب الرحمن شيرواني، اقبال نامه، الجزء الاول ص٦ روزگار فقير، الجزء الثاني ص ١٤٨-١٥٠ "ورقة الورد" راجع باقيات اقبال

اعداد، عبدالله قريشي ص١٦٩-

٢٢- ذكر اقبال ٢٠ ومطالعته مقال فوق لمحمد عبدالله قريشي-

٢٣- سرود رفته، اعداد غلام رسوله مهر، ص٢٣٢

٢٤- فكر اقبال ص٤٦

٢٥- باقيات اقبال اعداد عبدالله قريشي- ص١٣٤

ويحدثنا السير (عبدالقادر) بان اقبال كما اخبره شخصيا بانه كان قد اخذ يشعر بشيٍ من السكينة بعد دراسة الفلسفة الهندوكية وادرك معنى كلمة "شانتى" اى (السكينة) وبهذا السبب لم يبق مجال التعصب المذهبي ومن ثم كان اقبال يحترم المذاهب والديانات كلها- اقبال "خدنك نظر" لكنو مايو ١٩٠٢م

٢٦- الانشودة الهندية الاطفال الهنديين وشوالة الجديد (المعبد) نظمت في هذا الطور من حياة الشاعر الا ان منظومة (سوامي رام تيرث) كان قد نظمها اقبال وهو في اوربا ومنظومة رام اعدها اقبال بعد ١٩٠٨م وكان سوامي رام تيرث من اصدقاء اقبال المنظومات الاخرى فهي تعبر عن نفس العاطفة واما منظومة شواله الجديد- فانها كانت قد نشرت الى هيئتها الاصلية في مخزن مارس ١٩٠٥م وهي تحمل المشاعر القوية من القومية والوطنية كما جاءت فيها الكلمات الكثيرة هندية الاصل وراجع سرود رفته ص١٢٥ وايضا مقال اقبال وسوامي رام تيرث اعداد (اندر جيت لال) "شيرازه" في عددها الخاص عن اقبال سريجنر ص٨٣-٨٧ وفي نفس المجلة مقال "اقبال وجيتا" لموتى لال ساقي ص ١١١-١١٧

٢٧- ديوان "صوت الجوس" ص٥٠-٥٢

٢٨- نفس المرجع ص٢٨-٣٩

٢٩- مجلة "كريسنت" عدد خاص عن "تاثير" فبراير وابريل ١٩٥١م مقال، اسماء الرجال لاقبال ص١٤٦-

٣٠- آئينه اقبال، اعداد محمد عبدالله قريشي مقال اقبال رجمعية المسلمين الكشميريين ص١٩٦و ١٩٨-٢٠٠و ٢١٠

٣١- اقبال وجمعية اسلام لمحمد حنيف شاهد ص٤٩

٣٢- نفس المرجع ص٢٥-٢٧

٣٣- نفس المرجع ص٢٧-٣١

٣٤- نفس المرجع ص٦٩و ٧١

٣٥- حمايت اسلام- عددها الخاص عن الجمعية، ١٠/ابريل ١٩٧٠م مقال المجالس التي كان اقبال يزينها ص٤٩

٣٦- التاريخ المختصر لجمعية حمايت اسلام ص٢٥ وحمايت اسلام عدد شجاع الدين ٣/مايو ١٩٥٦م ص١٣و ١٤ مقال جمعية حمايت اسلام ص٧٠و ٧٢

٣٧- اقبال و جمعية حمايت ص٧٧و ٧٨

٣٨- نفس المرجع ص٧٩و ٨٠ وملفوظات اقبال اعداد ابي الليث صديقي مقال عن ذكرى اقبال ص٤١

٣٩- اقبال جمعية حمايت اسلام ص٨٠ و ٨١ وراجع جواهرات حالى اعداد شيخ محمد اسماعيل باني بتي-

٤٠- دنيا الاسلام الجديدة (بالانجليزية) تاليف (ايل ستودارد) ص٥٤

٤١- نظرة عابرة عن الشئون الدولية (بالانجيلزية) ١٩٢٥م الجزء الاول تاليف (أ، ج، تائيونبي) صفحة ٣٣-٣٧

٤٢- اخر مقالات السير سيد ص٣١-٤٥و ٥٩-٦٩

٤٣- الخلافة (بالانجليزية) تاليف (م بركت الله) ص١٠ ونظرة عابرة عن الشئون الدولية (بالانجليزية) ١٩٢٥م الجزء الاول ص٤٢و٤٣-

٤٤- ثورة ايران (١٩٠٥م-١٩٠٩م) تاليف (أ ج براون) (بالانجليزية) ص١-٥٨ وجمال الدين الافغاني (بالانجليزية) تاليف (امين وبين اسلام ازم والخلاف وغيرهما من المحاضرات بالمحاضرات (بالانجليزية) القسم الاول لجلال الدين ص١-١٥

٤٥- ثورة ايران (بالانجليزية) ص١٢

٤٦- ريويو المعاصرة، يونيو ١٩١٥م مقال الخلافة (بالانجليزية) مقال الخلافة والنهضة الاسلامية (بالانجليزية) ايدنبرا ريويو يناير ١٩٢٣م-

٤٧- ثورة ايران (بالانجليزية) ص:٣٠

٤٨- الطبعة الفارسية بومباى: ١٨٨١ والطبعة الاردوية كلكتة ١٨٨٢م والطبعة العربية بيروت ١٨٨٦م-

٤٩- حياة شبلي تأليف سيد سليمان الندوى ص٢٨١و ٢٩٧

٥٠- نفس المرجع ص٩٤-٩٦

٥١- نفس المرجع ص١٩٠-٢١٩

٥٢- نفس المرجع ص٢٧٨-٢٨١

٥٣- كليات شبلي: اعداد مولوى مسعود على ص٣٠و ٥٦-٦٢

وكان الشيخ شبلي هو الذى قد قال عن اقبال بان ازاد وحالى اذا ارتحلا فان الناس سوف يعثرون على اقبال، (اقبال) للسير عبدالقادر، خدنك نظر لكنؤ مايو ١٩٠٢م

٥٤- نذر اقبال ص١٤٦

٥٥- ملفوظات اقبال مقال "اقبالي" لمرزا جلال الدين ص٨٢و ٨٣

٥٦- واما التفاصيل عن اقامة اقبال التي استغرقت يوما واحد في دلهي فيمكن الرجوع الى مقال مير غلام بهيك نيرنك في مخزن اكتوبر ١٩٠٥م والخواجا حسن نظامي اخبار وطن ٢٤/ديسمبر ١٩٠٥م وملا واحدى في مجلة منادى ولهى عدد٤ المجلد ٣٩ وشيخ محمد اكرام كان نائب رئيس التحرير لمجلة مخزن ومنشي نذر محمد المفتش المساعد لمدارس حلقة دلهي كان من المعجبين باقبال واصدقائه انلذين كانوا قد رافقوه الى ضريح نظام الدين اولياء كان فيهم منشي نور الدين مدرس الرسم في المدرسة التدريبية في دلهي

٥٧- وقد اعتمد المولف على التفاصيل التي اوردها نيرنك واقبال وراجع مطالعة اقال ص:٤٨١-٤٨٤

٥٨- مطالعة اقبال ص٤٨٤-٤٧٨ الرسالتان لاقبال كانتا قد نشر تا في اخبار وطن ٦/اكتوبر و ٢٢/ديسمبر ١٩٠٥م

٥٩- نفس المرجع ص٤٧٩-٤٨٣

٦٠- نفس المرجع ص٤٨٣-٤٨٨

٦١- وكان مطلع هذه القصيدة:

مثال برتوسے طوف جام كرتے هيں
يهى نماز صبح و شام كرتے هيں

(اننا تطوف حول الكأس على مثال عكس الخمر وهذا هو صلاتنا صباح مسائم وعند ما بدأ له شاطئ ايطاليا

ہرے رهو وطن مازنى كے ميدانو
جها زبير سے تمهيں ہم سلام كرتے ہيں

(يا حقول في وطن مازيني عشت خضرة مزد هرة اننا نسلم عليك من سفينتا)

ديوان صوت الجرس ص١٣٩-

الفصل السابع

النهر الخالد

١- اقبال نامه، اعداد، شيخ عطاء الله، الجزء الثاني ص٢٢٨و ٢٢٦ وبعد وصوله الى كيمبردج كان اقبال قد نزل في ١٧/قصر برتقال، مقاله اعلامة اقبال في اوربا والمقالات الاخرى (بالاردوية) اعداد الدكتور سعيد اختر دراني-

٢- نذر اقبال اعداد محمد حنيف شاهد ص١٠

٣- ان الطلاب الباحثين في جامعة كيمبردج اذا ظهرت رغبتهم في موضوع من الموضوعات فيشاركون المحاضرات عن ذلك الموضوع ثم يدخلون الامتحان السنوى وبذلك يحاولون ارضاء اساتذهم اوقناع المشرفين على بحوثهم وقد يمكن ان يكوناقبال قد حضرفي المحاضرات عن الفلسفة الاروبية ثم دخل في الامتحان السندوى ونجح في ذلك ومن امكن ايضا ان يكون اقبال اقبال قد دخل امتحان الفلسفة الاروبية ثم دخل الامتح السندوى ونجح في ذلك ومن الممكن ايضا ان يكون اقبال قد دخل امتحان الفلسفة واللغتين العربية والفارسية وذلك نظرا الى شروط السلطات لجامعة كيمبردج ومن العلوم ان اقبال كان يحضر في محضر الاقتصاد- ويحدثنا الدكتور سعيد اختر دراني بان اقبال كان قد قدم اطرو في قسم الفلسفة والاخلاق من اجل الحصول على درجة البكالريوس وذلك باذن خاص من قبل السلطات الجامعية في ٧/مارس ١٩٠٧م وانه كان قد حصل على درجة البكالوريس من جامعة كيمبردج في ١٣/يونيو ١٩٠٧م وراجع اعلامة اقبال في اوربا والمقالات الاخرى (المسودة الخطية)

٤- كلمات اقبال وتصريحاته اعداد، عبدالرحمن طارق (بالانجليزية) ص١٤٢-

٥- نفس المرجع ص١٤٠-١٥١

٦- اقبال کے جواہر ریزے (القطعات الجوهريه لاقبال) تاليف الخواجا عبدالحميد ص١١و١٢

٧- نفس المرجع ص١٠

٨- مطالعة اقبال اعداد كوهر نوشاهي ص٤٨٨

٩- انوار اقبال اعداد بشير احمد دار ص٥٣

١٠- اقبال نامه، القسم الثاني ص٣٥٣و٣٥٤

١١- نذر اقبال ص٧و ٨ و ٨٩

١٢- آثار اقبال اعداد غلام دستكير بشير مقال "لحظات في حضرة العلامة" للدكتور عاشق حسين بالوى ص٣٩-٤١

١٣- انوار اقبال ص٣ و ٣١

١٤- نذر اقبال ص٨٩

١٥- اقبال تاليف عطيه بيجم (مذكرات عطيه بيجم) الترجمة الاردوية لضياء الدين احمد برني ص٩٧و ٩٨

١٦- نفس المرجع ٩٨ و ٩٩

١٧- نفس المرجع ص ٩٩ و ١٠٠

١٨- نذر اقبال ص١٠ و ١١

١٩- اقبال تاليف عطية بيگم ص١٠٠-١٠٢

٢٠- نذر اقبال ٨٩

٢١- اقبال تاليف عطيه بيگم ص١٠٣

٢٢- نفس المرجع ص١٠٧و ١٠٨

وكان اقبال قد نزل في ٥٨/نيو هائس ليند هاسترسه في هايد لبرج وقد اهتمت حكومة المانيا بهذا المنزل فنصبت على جداره لافتة باسم اقبال وكان امتحان اقبال الشفوى لدرجة الدكتوراة قد تم امام مجلس وكان يرأسه الاستاذ (ف هومل) في ٤/نوفمبر ١٩٠٧م العلامة اقبال في اوربا والمقالات الاخرى "مسودة خطية" اعداد وتحقيق الدكتور سعيد اختر دراني

٢٣- نفس المرجع ص١٠٦-١٢١

٢٤- اقبال نامه، القسم الثاني ص٣٥٨

٢٥- مجلة اقبال ريويو- ابريل ١٩٨٦م مقال اقبال في انكلترا (بالانجليزية) اعداد: (س،ع، واحد) ص٢

٢٦- شاد اقبال (اقبال الفرحان) اعداد الدكتور محى الدين زور ص٤٥

وعلى ما حققه المسلم الالماني (محمد امان هابوهم) كان اقبال نزل في ٤٩/شارع ايلشام كنكتن في لندن تحقيق منزل اقبال في لندن (التقرير بالانجليزية) جريدة "دان" ٨/مايو ١٩٨٢م

٢٧- ملفوظات اقبال: اعداد ابي الليث صديقي ص٨٩

٢٨- نذر اقبال ص١٠

٢٩- شاعر الشرق (بالانجليزية) ص٧ او ١٨

٣٠- ذكر اقبال لعبد المجيد سالك ص٥٧

٣١- اقبال کے جواهر ريزے ص٢ او ١٣

٣٢- آثار اقبال ص٣٦

٣٣- نذر اقبال ص٨

٣٤- نفس المرجع ص٩

وتوجد ابيات شعرية فارسية في قصائد اقبال وقطعاته الشعرية التي قالها في المرحلة الابتدائية الا انه لم يكن قد اختار الفارسية كاداة للتعبير عن مشاعره وافكاره كما فعل ذلك فيما بعد-

٣٥- ويتضح من رسالة الشرق ومن دراسة المنظومات في الدو اولين الشعرية الاخرى بان اقبال كان يلم الماما بالادب الفرنسي-

٣٦- اثر ايران والهند في الشعر الالماني، تاليف (ف، ج، ريمي) (بالانجليزية) والترجمة الادوية لرياض الحسن ص٣٥ و ٤١ و ٤٩-٥٣ و ٦٠ و ٦١

٣٧- فكر اقبال لخليفة عبدالحكيم ص٧٥

٣٨- صوت الجرس ص١٤٩ و ١٥٠

٣٩- نذر اقبال ص١٢٤

٤٠- اقبال نامه القسم الاول ص١٠٩

٤١- نفس المرجع ص٤٢٦

٤٢- روزگار فقير- الجزء الثاني ص٩٣

٤٣- انوار اقبال ص١٨٦و ١٧٧

٤٤- لم يكن اقبال يرفض القيم الخلقية او المذهب الانساني او وسعة الافق الذهني لان هذه هي القيم التي تقضي على التعصب وضيق الافق الا ان لها ظاهرة منفردة ومن ثم لا يمكن لها ان تتعدى الى العدد الاكبر من البشر ان هذه القيم انما كانت نزعة فكرية لاغير وهذه القيم تكن تمهد سبيلا للوحدة الانسانية في مجال الاجتماع والسياسية ومن ثم لم يكن بامكان هذه القيم ان تكون وسيلة لبناء المجتمع العالمي-

٤٥- السورة قم ٤٩ والاية رقم ١٣ وهذا ما قاله سيدنا رسول الله عليه وسلم في خطبته في حجة الوداع بان اكرم الناس عند الله وافضلهم هو اتقاهم وانه لا فضل العربي على عجمي الا بالتقوى-

٤٦- سفينه حياة تاليف (منشي) غلام قادر فرخ ص٢٢ و ٢٣-

تقديم

قد قسمت حياة اقبال الى ثلاثة اقسام واضحة مستقلة حين اردت ان اؤلف كتابا عن ترجمته وشعره وفكره- فأما القسم الاول منه فهو عن طور التكوين من حياة اقبال وقد نشركما ان ذلك القسم اولجزء الاول من الكتاب يستوعب الاوضاع والظروف الرهنة فيى شبه القارة خلال القرن الثامن عشر الميلادى- مع خلغية تاريخية للنةضة الاسلامية حيث يبدأ الجزء الاول بمولد اقبال في سنة ١٨٧٧م وينتهي باكمال دراساته العليا في يوليو سنة ١٩٠٨م-

واما الاٰن فأقدم الجزء الثاني من الكتاب في خدمة القراء الكرام وهو يشمل وقائع حياة اقبال فى الطور الوسطي ويبدأ هذا الجزء بكفاح اقبال في الياة الملية والاشغال المهنية من سبتمبر١٩٠٨م وينتهي بنظرة عابرة عن التطور التدريجي في فكر اقبال الى شهر ديسمبر ١٩٢٥م وفي هذا الطور من حياتة كان اقبال قد بدأ يعلن عن افكارة و اٰرائه التي تتضمن رصيدا غنيا جديدا من الفكر والعمل من أجل وحدة الامة الاسلامية وعزها كما أنة عرض نظاما فكريا خاصا من اجل الصحوة الاسلامية الحقيقية وقد كانت النتيجة لهذه الظاهرة الجديدة في شعر اقبال و فكره انه كان قد اصبح هدفا لنقد شديد كما ان العمارضين لفكره والمعادين لشخصيته شنوا هجوما على شخصيته وسيرته فأخذوا يشوهونها ويصورونها تصويرا غير صحيح فاختلق البعض منهم تةمسا مختلفة اتهموه بها حتى ان البعض منهم كفره رغم انه كان قد قام بايقاظ فكرة الذاتية في مشاعر المسلمين وحاول ان يوحد بين المسلمين كأمة تؤمن بالله و رسوله والشريعة الاسلامية الغراء-

ولقد كان ذلك هوالعصر الذى لم يكن أحد يحاول ان يغهم افكار اقبال واٰرائه كما أنه لم يكن يوجد احد يوافق اقبالاً في اٰرائه و افكاره وكان معظم رجال الدين واصحاب الطريقة والقادة المسلمين السياسيين يعادون اقبالاً ويعارضونه وجملة القول فان هذا الطور من حياة اقبال كان طورا قد تعذب اقبال فيه قلبا وروحا ولاقى من القلق والاضطراب والانعزال المؤلم الشديد ولشد ماكان يتمنى احداً ليكون له صديقا مواسيا ونديما مؤنسا ورفيقا موافقا مؤيدا فكأن شعر

النهر الخالد

اقبال كان قد وثب وثبة جعلت منة صوت الجرس لتحرك القافلة ونغمة جبرئيل المثيرة المرعدة اوليصبح شعرا يعتبر جزوا من النبوة والرسالة أما عقول اصحابه واتباعه فظلت واقغة حائرة تتفرج على شاطيئ البحر من الحياة العملية-

(جاويد اقبال)

الفصل الثامن

في مجال المهنة واكتساب الرزق

ان من اهم المشاكل التي واجهها اقبال بعد عودته من اوربا هي مشكلة اكتساب الرزق ولقمته العيش وكان قد اكمل دراساته على المساعدة المالية التي قدّمها له شقيقه الاكبر عطا محمد الذى لم يكن قدبقي من مدة خدماته في الجيش وتقاعدة منهاالابضع سنوات (١) وبالاضافة الى ذلك فان شقيقه الاكبر هذا كان اباذا عيال من ثلاثة ابناء وثلات بنات كما انه كان سندا وحيدا لابوية في شيخوختهما ولعل اقبالاً كان قد استقال من وظيغته بالكلية الحكومية بلاهور في اخريات سنة ١٩٠٧م خلال اقامته في اوربا (٢) ومن ثم لم يبق له هذا المورد من موارد الرزق والذى كان يدرعليه قليلاً من الدخل الشهرى فكان لابد لاقبال ان يختار المحاماة ليكتسب بها رزقه ويعول به اهله- الا ان التوطيد والتمكن في هذه المهنة يحتاج الى وقت وجهد وكان في حاجة الى المزيد من المساعدة المالية من شقيقه الاكبر الذى قدم له ذلك بكل سرور ورض-

وكان الشيخ عطا محمد قد زار لاهور في الاسبوع الاول اوالثاني من شهر اغسطس ١٩٠٨م واقبال لايزال مقيما في مدينة سيالكوت فاستا جرمنزلا لمكتب اقبال وسكنه بمساعدة (الميرزا جلال الدين) على مقربة من "مطبع مفيد عام" لصاحبه منشي جلاب سنع في شارع "موهن لال" (والذى يسى الان "اردو بازار" او "سوق اردو") وبعد بضعه ايام وصل اقبال الى لاهور فنزل في ذلك المنزل واشترى مكتبة صغيرة تضم كتباً عن القانون ووظف (منشي كاهن تشند الهندوكي) كاتباله كما انه بعث الى (علي بخش) لينضم اليه فاشتغل اقبال بمهنة المحاماة في المحاكم الصغيرة الدنيا واستمر يعمل فيها لبضعة اشقر الا ان العمل في هذه المحاكم الدنيا الصغيرة لم يعجب اقبالاً كما ان كاتبه (كاهن تشند) كان يتقاتل رائما على شئون التقاضي ودفع النقود وقبضها(٣)

وفي ٣٠/ اكتوبر١٩٠٨م تم تسجيل اقبال كمحام في القضاء العالى وسمحت له السلطات ان يشتغل بمهنة المحاماة في القضاء العالي لاقليم بنجاب(٤) وهكذا دخل اقبال في غرفة لاهور للمحاماة والتي كانت قد اشتهرت لوجود كبار المحامين بها من امثال (ميان شاه دين) و (السير فضل حسين) و(السير محمد شفيع) و (السير شهاب الدين) و (السيرشادى لال) و (لاله لاجبت رائى) و (الباندیت شیفا نارائن شميم) و (بيرتاج الدين) و (غلام رسول المحامي) و (الميرزا

جلال الدين) وغيرهم- وكان اقبال يبذل جهدا كبيرا في الاستعداد ليرافع عن القضايا في قضاء بنجاب العالي حتى انه لم يزل بعيدا عن مجال الشعر والاشتغال به لمدة مديدة-

واقام اقبال مدة قليلة في منزله الذى كان على (شارع موهن لال) وفي اكتوبر ١٩٠٨م تحول اقبال الى منزل اٰخر في سوق انارکلي والذى كان قد سبقه اليه السير (فضل حسين) ثم السير (محمد شفيع) في الاقامة بذلك المنزل- وكان هذا المنزل اكبر و اوسع من الذى كان نازلا فيه من قبل- فهذا المنزل كان هو مسكن اقبال ومكتبه في نفس الوقت وحل (منشي طاهر الدين) محل (كاهن تشند) والذى كان كاتبا للسير (محمد شفيع) سابقا ونزل (منشي طاهرالدين) في منزل يقع خلف مسكن اقبال وكان اقبال يثق به كثيرا ولم يزل على صلة طيبة به حتى وفاته و (منشي طاهر الدين) هذا هوالذى كان قد اشتهر فيما بعد (حكيم طاهرالدين) فابتكر دواء ناجحا عرف باسم (دل روز) او (وردة القلب) واشتهر هذا الدواء كما اشتهر به صاحبه وقد مات في شهر مايو/١٩٣٠م وكان اقبال شغوفا بتربية الحمام منذ طفولته وكان قد جاء بالحمام من سيالكوت حين تحول الى منزله الواقع في (شارع موهن لال) بلاهور- ثم تحول الى منزله في سوق انارکلي فاهتم بالحمام واوجد لها المسكن الخاص علي سقف المنزل وظل اقبال نازلا في هذا المنزل حتي ١٩٢٢م (٥)

فهذا (لميززا جلال الدين) يصور لنا اقبال في هذا الطور من حياته (٦)

"وكان حضرة الدكتور اقبال بطبيعته يميل الى الفكاهة والمزاح فكان كلما وجد فرصة غراغ جلس في غرفة المحامين واخذ يتحدث عن موضوعات متنوعة باسلوب لطيف نادر واتي بالمجائب من النكت وكان الناس يجتمعون حوله وكان من بين المحامين الحناركة الباندیت (شيفا ناراءن شميم) معجبا باقبال وكان يأنس دائما الى حديثه ويرغب في الاستماع اليه رغبة خاصة وفي اثناء ذلك كانت الصلات بيني وبين اقبال قد توطدت و تدعمت وكان من المعتاد اننا كنا نحضر قبل ان تبدأ اجراءات المحكمة رسميا وكلماتمت المرافعة عن قضية رجعنا الى غرفة المحامين حتى تبدأ المرافعة عن القضية الاخري- وكان (منشي طاهرالدين) يحتفظ في جيبه بعلبة من السجاءر من ماركة المقراض فكان اقبال يولع السيجارة ويجلس عى كرسيه فيجري الحديث كله نكت ومزاح حتى صار من الممتاد عندنا فيما بعد اننا كلما انتهينا من اشغالنا في القضاء العالي رافقني اقبال فذهبنا سويا الى مكتبي

فكان لايزال جالسا متحدثا منكتا حتى الليصل وفي اثناء ذلك اتيح اللقاء بين الدكتور اقبال وبين السير (الامير ذوالفقار على خان) كما انه تدعمت العلاقات بين اقبال وبين السير (جوغندر سنع جوكي) وكنا انا والمغفور له ذوالفقار و اقبال نجتمع كل يوم بدون انقطاع اما في بيت الامير واحيانا في مكتبي انا وكانت العلاقات بيننا قوية عميقة جدا مماجعل (السير/ ميان محمد شفيع) و (السير/ فضل حسين) يذكراننا "بالاصحاب الثلاثة" دائما فيما بينهما"-

ولم يمض شهر او شهران على دخول اقبال في مهنة المحاماة حتي عرضت عليه وظيغة الاستاذية للفلسفة بالكلية المحمدية الانجليزية الشرقية بمدينة عليكره الا ان اقبالاً لم يقبل تلك الوظيفة كما انه رفض استازية التاريخ بالكلية الحكومية بلاهور في ابريل /١٩٠٩(٧) وكان اقبال مترددا في اختيار التدريس كمهنة مستقلة لان هذه المهنة لم تكن تعتبر من موارد الرزق الكبيرة وكان يري ان مهنة المحاماة تضمن امكانيات الدخل المتوفر في المستقبل-

وفي اول اكتوبر ١٩٠٨م اخذ الاستاذ (بريت) رئيس قسم الفلسفة بالكلية الحكومية بلاهور اجازة سنة فحل محله كاستاذ الفلسفة موقتا الاستاذ (آستن وائت جيمس) الا ان الاستاذ (جيمس) توفي فجأة في اول مايو ١٩٠٩م ولم يكن من المكن ان يحل محله استاذ انكيزي آخر على الفور- ومن ثم تقدمت حكومة بنجاب بطلب من عميد الكلية الى اقبال ان يوافق علي تعسنه استاذ اللفلسفة بالكلية مؤقتا وكان لفصل صيفا وكانت الكلية علي استعداد ان يخصص الحصص المبكرة لاقبال من السادسة الى التاسعة صباحا حتي لاتقف الاعمال التدريسية في سبيل اشغال المحاماة التي كان اقبال يهتم بها كثيرا- ولكن التعارض بين حصص الكلية واشغال الحكمة كان محتوما بعد الاجازة الصيفية مما جعل اقبال و (سيد كادلى) وكيل التعليم لحكومة بنجاب يرفعان الطلب الى رئيس القضاء العالي وقضاته الاخرين ان يحدد واالاوقات للقضايا الخاصة بمرافعة اقبال بعد ان تنتهي الحصص التدريسية بالكلية وكانت مهنة اقبال في المراحل الابتداءية في ذلك الوقت فلم يكن الدخل منها الا بالاسم مما جعل القضاة يسمحون له بذلك (٨) ومن ثم اخذ اقبال يدرس الفلسفة بالكليقة الحكومية مؤقتا من ١٠/مايو ١٩٠٩م وتم تحديد راتبه الشهري الاساسي بخمسمائة روبية في ١٢/اكتوبر١٩٠٩م (٩) فكان يخرج من بيته في الصباح مبكرا خلال اشهر الصيف ويذهب الى الكلية مباشرة ويلقى المحاضرات لثلاث ساعات ثم يصل الى المحكمة حيث كان يرافع عن القضايا الخاصة به حتي الساعة الرابعة مسائل وكلما وجد فرصة الفراغ في اثناء

ذلك جلس في غرفة المحامين واخذ يتجاذب الوان الحديث مع اصدقائه واما في فصل الشتاء فكان يذهب الى الكلية في الساعة التاسعة صباحا ويتجه الى المحكمة بعد ان ينتهي من الحصص الدراسية وكان تلاميذه بالكلية يحبونه كثيرا ويرغبون في محاضراته التي كان يلقيها باسلوب ورثه من استاذه الشيخ (سيد مير حسن) (١٠)

وكانت اشغال اقبال تكثر و تتسع فشيئا حتي انه عين رئيس التحرير المشارك لمجلة قانونية كانت تعرف "بتقارير القضايا القانونية الهندية" والتي كانت تهتم بنشرها وتوزيعها مطبعة المطبوعات الحقوقية بلاهور وذلك في ١٩٠٩م (١١) وانتخب عضوا بجمعية بنجاب الاسلامية في ٢٦ مارس ١٩٠٩م بالاضافة الى عضويته في جمعية حماية الاسلام والجمعية البنجابية لمسلمي كشمير وكانت جمعية بنجاب الاسلامية قد انشئت في ١٨٦٩م وهذه هي الجمعية التيي كانت تشرف علي شئون المسجد الملكي والمساجد الهامة الاخري كماانها كانت تشرف علي الشءون الادارية لقاعة بركت على المحمدية ولم يزل اقبال عضوا في هذه الجمعية حتى اخريات حياته (١٢)

وفي ٢٨/ديسمبر ١٩٠٨ م وصل (الخواجا سليم الله خان امير دكاء) الى مدينة (امرتسار) ليترأس الاجتماع السنوي للمؤتمر التعليمي المحمدى الهندى فالتقى به الوفد الذي كان يمثل جمعية بنجاب للمسلمين الكشميريين وكان الوفد يضم الاعضاء بما فيهم العلامة محمد قبال وقد القيت كلمة الترحيب بحضرة الخواجا باللغة الفارسية وكان اقبال هوالذى قرأ هذه الكلمة- وكانت هذه الجمعية تبذل جهودها ساعية في الاعلان بان الكشميريين هم اصحاب المهنة الزراعية وانهم يستحقون تمثيلا فعالا في الجيش البريطاني ووافق سيادة الخواجا بان يكون رئيس الشرف للجمعية كما انه وافق بان يتناول هذه المشاكل في الاجتماعات للمجلس التشريعي النيابي لناءب ملك الهند والتي عقدت في ١٩١٩م وذلك بمطالبة من اقبال وكان اقبال قد نشر بعض رساءله عن هذا الموضوع في بعض الجراءد وحاول فيها ان يوضح امام الحكام والسلطات الحكومية بانه لابد من تجنيد الكشميريين في الجيش كما انه لابد لهم من ان يتملكوا الاراضي الزرعية (١٣)-

وكذلك فان محمد عبدالله قريشي يحدثنا في مسودة كتابه عن قصة الشيخ فوق بانه كان من المفروض ان يحضر وفد كشميرى في حضرة الامير (برتاب سنغ)

حاكم كشمير والذي كان نازلا في مقركشمير بلاهور وذلك في ١٩٠٩م او في ١٩١٠م فذهب الشيخ محمد دين فوق الى اقبال لينضم الى الوفد الكشميرى الا ان اقبالاً لم يوافق على الحضور في حضرة الامير الا ان اصدقاء اقبال اصروا والحوا عليه فاخذوه معهم الى الامير (برتاب سنغ)- وكان الامير قد سمع شيئا عن مكانة اقبال العلمية ومجده الشعرى وبعد ان تم التعارف جري الحديث بين الامير وبين اقبال فقال الامير وهو يخاطب اقبال يا سيادة الداك دار (كلمة بنجابية تعني ساعي البريد وفي نفس الوقت تستعمل ككلمة مرادفة للدكتور) قد سمعنا عنك انك تضع البيوت اى انك تقول الشعر فرد عليه اقبال قائلا: ايها الامير لم اضع البيوت يوما كما ان احدا من اجدادى لم يشتغل بالبريد فاخذ الامير يحدق في وجوه اصدقاء اقبال مندهشا متحيرا فقال بعض الاصدقاء يا سيادة الاميرانه شاعر ويقول الشعر-

ويسمى الشعر بيتا ايضا إلا أن اقبالاً ظن بان الامير لم ينطق بكلمة بيت وانما نطق بكلمة "بيد" (وهو شجر معروف لين الاغصان طويلها ويسمى بالعربية: الخيزران ويصنع منها الكراسي) فطلب الأمير إلى اقبال أن ينشد له بيت شعر فاخذ اقبال ينشد شعره إلا أن الأمير طلب اليه ان يغني بشعره فنظر اقبال الى الشيخ فوق ثم قال في صوت هامس: والله اود أن أقول لامير بأن يأمر أصد قائى هؤلاء حتى يلبسوا الخلاخيل ويرقصوا وانا اغني ثم غنى ببضعة ابياته ثم انشد الامير بعض ابياقه الشعرية ايضا (١٤)-

واشتغل اقبال بمهنة التدريس والمحاماة لسنة أو أكثر وكان لابد له أن يكافح ويسع وينفق جل وقته في هاتين المهنتين- فكان يقضي يومه كله إما مدرسا أومرافعا عن القضايا في المحكمة كما انه كان يجلس في مكتبه مساء ليقابل زباءنه- ثم يشتغل بالاستعداد للقضايا الجديدة للغد إلى اٰخر الليل وكان تلاميذه يحضرون عنده في بيته ليستفيدوا منه اكثر الاحيان فلم يكن يجد الفرصة لنظم الشعر وقرضه وكان يتوق دائما الى مثل هذه القرص- وهذا الشيخ فوق يحدثنا قائلا بأنه في مساء من أمسية مايو ١٩١٠م حضر هود (وجاهت حسين جنجانوي) وذهبا الى بيت اقبال فانشدا له شعرهما وكان اقبال يستمع إلى الانشاد بكل اهتمام فاذا بمساعده (المنشي طاهرالدين) يدخل عليه ويخاطبه قائلا "احد الزبائن يريد أن يلقاک" فرد اقبال قائلا يا اخي اولا يجب ان تفكر في لقمة العيش- اما هذا الشغل فله اوقات وفرص متاحة- فقال له اقبال هذا هو الشغل الذي يغذي الروح وما دام الروح باقيا فكل شيئ باق اما هذا الذي جاء بعد أن

سمع الشغل الذي يغذي الروح ومادام الروح باقيا فكل شيئ باق اما هذا الذي جاء بعد أن سمع اسمي فلايمكن له ان يتغلت فاستمع اقبال الى شعرهما ثم انشد لهما شعره الجديد ثم تفرق الجمع (١٥)-

والظاهر أن إقبالاً كان يبحث عن مورد من موارد الرزق الذي بامكانه ان يغنيه عن الكد والاكتساب ويوفر له وقتا يخصصه للابداع الفكري والابتكار الشعري حتي يتمكن من بذل جهوده في مجال العمل الابداعي وكانت هذه الفكرة قد اثارت قلقافي اعماق ضمير اقبال فكان يعتقد بانه قد خلق ليقول الشعر ويستخدمه لرسالته الخاصة لصحوة العالم الاسلامي ونهضته ولكن من سوء الحظ ان مهنة التاليف لم تكن تدر على على أصحابها بشئ من المال في شبه القارة وانما كان لابد له من مشرف غني على مثل هذه الاعمال ولم يكن اقبال يرضى أن ينسى عمله الذي قدرله من اجسل "حمار الجوف" اى البطن الذى لايزال ينهق ويطلب من صاحبه ان يزوده بالعلف ولا يتركه يستريح للحظة (١٦) وبهذا السبب لم يكن مترددا في البحث عن وظيفة توافق طبعه و تغنيه عن فكرة وفي هذه المرحلة من حياته نرى اقبالاً يتجه نحو (حيدرآباد الدكن) ولم يكن اقبال قد زار هذه المدينة من قبل رغم أن قصاءده الغزلية ومنظوماته الاخري كانت تنشر في مجلات (حيدرآباد) وجرائدها كما ان اقبالاً كان على صلة بالمراسلة والتعارف غيابا مع شخصيات (حيدرآباد) العلمية البارزة والتي كانت تهتم بالعلم واهله من امثال (السير اكبر حيدرى) و (الامير كيشن برشاد) وغيرهما (١٧)- كما ان صديقا من اصدقاء اقبال وهو (غلام قادرالجرامي) ايضا كان يسكن هناك بصفته شاعرا خاصا لامير (حيدرآباد الدكن) وكان اقبال على علم بما كان يجرى في (حيدرآباد الدكن) من تقدير الشعراء والاهتمام بهم ومن ثم كان اقبال يتوقع الحصول على التسهيلات التي كان يتوق اليها ويبحث عنها- وذلك في الامارة المسلمة من (حيدرآباد الدكن) حيث لم يبق امارة اواسرة مالكة مسلمة في دلهي ولكنؤ بعددمارهما-

وهذا مماجعل اقبالاً يأخذ اجازة لعشرة أيام من الكلية فيتجه الى (حيدر آباد الدكن) في ١٨/مارس١٩١٠م وتحكى السيدة (عطية فيضي) بأن اقبالاً كان قد ابدي عن رغبة في الذهاب الى (حيدر آباد الدكن) في بعض رسائله اليها وطلب اليها ان تعطيه رسالة التوصية والتعارف إلى المسئولين هناک- فبعثت السيدة (عطية فيضي) برسالة التوصية والتعارف باسم قريبها السير (اكبر حيدرى)

الذي كان امين الماليات لامير (حيدر اٰباد الدكن) في ذلك الوقت (١٨) إلا أن هذا لايبدو صحيحا فانه لاتوجد رسالة من رسائل اقبال في كتاب السيدة (عطية فيضي) تنص على ان اقبالاً كان قد طلب اليها ان تكتب له رسالة التوصية والتعريف وبالاضافة الى ذلك فان اقبالاً كان قدبعث برسالة الى السيدة (عطية فيضي) في ٣٠/مارس ١٩١٠م من لاهور يحدثها عن تفاصيل زيادته (حيدر اٰباد الدكن) فيكتب اليها قائلا (١٩):

"لواستطعت المزيد من الاقامة في (حيدر اٰباد الدكن) فانني متاكد بانه كان من الممكن أن يبدي سوالامير (نظام) رغبته في اللقاء معي فقد التقيب بكبار الرجال هناك وقد دعاني الكثيرون منهم الى بيوتهم وان زيادتي (لحيدراٰباد) كان لغرض خاص سوف احدثك به حين نلتقي- ولم يكن الغرض الوحيد من زيادتي هذه هواللقاء بالسير (اكبر حيدرى) وحرمه ولعلك تعرفينهما- ولم يتح لى التعرف عليهما قبل لقائي بهما في (حيدراٰباد) وان اقامتي عند هما كانت اقامة ممتعة مريحة للغاية"-

فلوان اقبالاً كان قد التقى بالسير (اكبر حيدرى) وحرمه بواسطة السيدة (عطية فيضي) لم يكن له من الجائز ان يقول لها "لعلك تعرفينهما" وانما كان من واجب اقبال ان يذكر رسالة التوصية والتعريف من السيدة (عطية فيضي) ويشكرها على ذلک-

وليس لدينا مايحدثنا عن غرض زيارة اقبال (حيدر اٰباد الدكن) مماكتبه فلم يكن يهدف الى وظيفة خاصة يحتلها هناك ولا يجوزأن نري بأن زيارته هذه كانت من اجل الحصول على وظيفة واغلب الظن ان اقبالاً كان ينوي ان يعرف الامير نظام بما يعتزم عليه في مستقبله م التأليف والبحث والتحقيق اذا اتيح له الحضور في بلاط الدكن وان الامير نظام لوكان قد اطلع على اهمية مايعتزم عليه اقبال لقدم له منصبا مناسبا وكان من الممكن ان يرضى اقبال بذلك المنصب الا ان حضور اقبال في بلاط الامير نظام الدين الدكن لم متحقق-

وهذا الحديث عن عهد والد العاهل الأصفي الاخير على (حيدر اٰباد الدكن) الامير (محبوب على خان) وكان الامير (محبوب على خان) من تلاميذ الشاعر (داغ) وبهذه الصلة كان يرتبط باقبال وكان الشاعر (داغ) قدتوفي ويحدثنا (نظر حيدر اٰبدي) عن الامير (محبوب على خان) قائلا (٢٠):

"كان انسانا ذا طبع غريب جدا- فاذا وقف ظل واقفا لساعات فاذا استيقظ ظل يقظانا الى ساعات- ولم يكن يفرق بين الليل والنهار في ذلك وكان القدماء

من اهل (الدكن) يعتبرونه وليا وكان اذا خرج صائدا انفق الاسابيع في هذه الشغلة وكان سخيا يعطي الالوف فمن نظر اليه نظرة أو أتيح له الحضور في بلاطه وجد ماطلبه واغناه من الدنيا وما فيها- ورغم هذه المشاغل الغير العادية كان يقوم بالشئون الادارية لباده احسن قيام- وكان يعتبر ذلك من كراماته- الا ان بلاء كان عظيما ايضا فان الشاعر (داغ) عند ما زاره لاول مرة لم يتح له الحضور في بلاط الامير نظام رغم الانتظار الذي دام طويلا فرجع بدون اللقاء ثم دعاه الامير خلال السنة نفسها- الا انه نال شرف الاستاذية بعد اقامة دامت ثلاث سنوات ونصف ثم العطايا التي نالها الشاعرلا تخفى على احد فهي اظهر من الشمس- وائنى لاقبال من الفرصة ان ينتظر لبضع ساعات"-

وكان اقبال قد نزل عند السير (اكبر حيدرى) خلال زيارته (حيدر اٰباد الدكن) ولعله قد تعرف على اقبال قبل زيارته هذه بالمراسلة كما انه من الممكن أن يكون (حيدرى) قد تعرف على اقبال بواسطة (الجرامي) وذلك لان اقبالاً قد كتب رسالة في ١١/مارس ١٩١٠م الى (الجرامي) قبل أن يسافر الى (حيدر اٰباد) ببضعة ايام حيث قاله فيها (٢١):

"قد مضت أيام منذ ان كتبت اليكم وكنت قد سألتكم عن سيادة الاستاذ (حيدرى) بدون ان احظي بجواب منكم فكأن الود علي رسالتيين لايزال في عهد تكم ولست أدرى في اى عالم من الغفلة والا همال تعيش انت اوتقيم هناک"-

وكان السير (اكبر حيدرى) وحرمه يرغبان في العلم والأدب رغبة شديدة للغاية وكانا يقدران العلماء والادباء فقام هووزوجته بخدمة اقبال وضيافته خير قيام كما انهما قدعرفاه بالعديد من الشخصيات البارزة في (حيدر اٰباد) وكان اقبال قد ابدي عن رغبته في اللقاء مع الاستاذ (نظم طباطبائي) خلال اقامته في (حيدر اٰباد) وكان الاستاذ (نظم) استاذ اللغة الفارسية (لكلية نظام) في تلك الايام فطلبه السيلر (اكبر حيدرى) وعرفه باقبال وبعد لحظات رجاه اقبال ان ينشد له شيئا من شعره فانشد له الاستاذ (نظم) ابياتا شعرية من التشبيب من قصيدة في مدح الرسول صلي الله عليه وسلم وكان من بين ابيات التشبيب بيت:

پردہ ظلمت سے نکلا روئے سلمائے سحر
ناقہ گردون کی کھینچے لیلی شب نی مہار

ومعنى البيت: قد طلع وجه سلى السحر من وراء ستار الظلام- وان ليلى الليلة قد جرت حبل ناقة السماء-

فاستحسن اقبال الابيات الشعرية حين سمعها واثنى على قدرة الاستاذ

(نظم) على الابداع الشعرى تقديرا للغاية- ثم ان اقبالاً نظم قصيدة مدحية على منوال الاستاذ (نظم) وكان عنوانها "التشكر" والتى عنونها باسم الامير (كيشن برشاد) (٢٢) وقد استفاد اقبال من الاستاذ (الجرامي) وتمتع بحديثه ولقائه معه كما انه التقى بالكثيرين من الشخصيات البارزة هناك وأقام (الحافظ جليل حسن جليل المانكبورى) وهوالذى عين استاذ اللامير نظام بعد ان توفي الشاعر (داغ) مأدبة عشاء تكريما لاقبال وحضرها العديد من الشعراء والكتاب من اهل (حيدر اٰباد) كما انه شارك في تلك الحفلة الاستاذ ظهير الدهلوي رغم ضعفه وشيخوخته وهذا اقبال نفسه يصرح قائلا (٢٣):

"قد سافرت الى (حيدر اٰباد) خلال السنة الماضية فكان من اللازم أن ألتقى بالبارزين من أهل المدينة فاقيت مأدبة عشاء في"

منزل (الحافظ جليل حسن جليل المانكبوري) تكريما لي حيث حضرها حضرة الشيخ (ظهير) فطلب الى ان انشد له ابياتي الشعرية- اما انا فكنت ارغب في الاستماع الى شعره بدل ان انشد له من شعري حتي استمع الى بيت شعر على لسانه فوافق حضرة الشيخ على ذنك وتقبل رجالى فانشد بيتا من شعره وهو قوله:

وہ جہوا عشق جس میں فغان ہو
وہ کچی اٰگ ہی جس میں دھواں ہو

ومعناه: ان البكاء والا ستصراخ يدل على الحب الكاذب كما ان الدخان يدل على النار غير الملتهب-

وكان قد انشد ابياتا شعرية اخري الا انني لا اتذكر شيئا منها الاٰن- وكان الشيخ (ظهير) في ذلك الوقت قد بلغ من الكبر والضعف كما انه لم يكن يسمع الاصوتا موتفعا-

وكان اقبال قد نظم منظومة شعرية وهو في (حيدر اٰباد الدكن) وعنوانها "المقبرة الملكية" وكان قد تأثر في منظومته هذه بمقابر (الملوك القطب الشاهي) في (جولكنده) وقد نشرت هذه المنظومة في مجلة "مخزن" بعد ان عاد اقبال من (حيدر اٰباد) الى لاهور مع ملخولة من قبل اقبال وهي (٢٤):

"وكان السيد (نذر على) البكالوريوس وكيل الماليات وهو من المهتمين بي خلال اقامتي القصيرة (بحيدر اٰباد الدكن) قد اخذني يوما الى تلك القباب المجيدة والمؤلمة في نفس الوقت التي يستريح فيها ملوك السلالة القطب الشاهية- وكان الوقت ليلا وكان الجوهادئا وكانت السماء غاءمة وكان ضوء القمر يتطلع من

خلال السحب فازد اد المنظر حسرة الى حسرة وحزنا الى حزن فتأثر قلبي بذلك المنظر تأثرا لن يزال عالقابذاكرتي وهذه المنظومة تعبر عن نطباعاتي الكثيرة- واريد أن أجعل من منظومتي هذه ذكري لوحلتي الى حيدر اٰباد واريد ان أعنونها بسم الاستاذ (حيدرى) وحرمه المصون السيدة (لئيق بيجم) اللذان قد بالغافي الحفاوة بي وبذلا كلما كان في وسعهما ليجعلا إقامتي في (حيدراٰباد) اقامة ممتعة مريحة للغاية"-

وكان اقبال قد قابل (الامير كيشن برشاد) وهو في (حيدر اٰباد) وكان يحتل وظيفة "صدر المهام" للامارة و (الامير كيشن برشاد) هذا كان من سلالة الامير (تودرمل) (١) واصله من اهل لاهور فمنها هاجرت اسرته فنزلت بمدينة دلهى ثم تحولت الى (حيدر اٰباد) وكان من قبيلة الكشاترة الا انه كان يعرف اللغة العربية والغارسية والا ردوية معرفة جيدة الى جانب اللغة السنسكريتية وكان يميل الى نزعة متصوفة كما انه كان على مكانة من نظم الشعر وفهمه وكان من تلاميذ (داغ) و (اٰصف) وكان تخلصه او اسمه الشعري "شاد" (اى "المسرور") وكان متمكنا بالفنون العسكرية كما انه كان بارعا في علم الرمل والنجوم والخط والوسم والموسيقى وكان قد ورث اقطاعا كبيرا وكانت محاصيله السنوية تتجاوز للمليون والنصف من الروبيات في ذلك الوقت وكان يعيش في بيئة غنية الا انه يتبع تقاليد الفقراء وكانت له له اربع زوجات مسلمات وقد بلغ في حب احد اهن حتي اختتن كما ان ثلاث نسوة هندوكية كن تحته- اما اولاد الزوجات المسلمات فكانوا مسلمين ويتزوجون في الاسر المسلمة كما ان اولاد الزوجات الهندوكيات كانوا يتزوجون في الاسر الهندوكية وكان قد تثقف ثقافة اسلامية فكان يحفظ العديد من السور القراٰنية الى جانب الاحاديث النبوية وكان يتعبد في العباد الهندوكية كما انه كان يصلي في المساجد وقد عبر عن عقيدته في التوحيد في بعض ابياته الشعرية ومنها قوله:

حواشي (١) وهو من رجال البلاط للامير اطور المفولي اكبر

میں ہوں ہندو میں ہوں مسلمان
ہر مذہب ہے میرا ایمان
شاد کا مذہب شاد ہی جانے
آزادی آزاد ہی جانے

ومعنى البيتين: انا هند وكي، انا مسلم قد اٰمنت بكل ديانة- اماديانه "شاد" فلايعرفها الاهو- لان الحرية لا يعرفها الا الحر-

وقد نشرت له مجاميع من الشعر والنثر بعناوين مختلفة وقد نالت قصيدته في مدح الرسول صلي الله عليه وسلم من الشرف حتى انها علقت على جدار من جدران مكتبة شيخ الاسلام وراء المسجد النبوي بالمدينة المنورة وقد مات هو في سنة ١٩٤٠م (٢٥)

ان اقطاعي (حيدر اٰباد) الهند وكي هذا كان يملك من التواضع الذي ورثه من اجداره الى جانب كرمه وسخائه ودماثة اخلاقه وسماحته قدكان يملك من التواضع الذي ورثه من اجداره الى جانب كرمه وسخائه ودماثة اخلاقه وسماحته قدكان معا اثر في قلب اقبال تاثيرا بالغا حتي كانها كانت قد استاسرت قلبه وتوطدت العلاقات العميقة بينهما حتى ان اقبالاً نظم قصيدة مدح فيها الامير (كيشن برشاد) وهذه القصيدة عنوانها "التشكر" وقد نشرت في مجلة "مخزن" مع ملحوظ من قبل اقبال وهذا نصه (٢٦):

"قد اتيح لي في شهر مارس الماضي ان ازور (حيدر اٰباد الدكن) فتشرفت بالحضور في مقر الوزارة كما انني تشرفت بالحضور عند الجناب العالى صاحب السموالامير (كيشن برشاد) والذي يلقب بيمين الدولة ويعمل حاجبا لوئيسر وزراء الدولة الأصفية والذي يعرف بلقبه الشعري "شاد" اي "المسرور" وان الانطباعات التى تركتها دماثة الخلق والكرم من قبل سموه ان اٰثارها لن تزال باقية ثابتة على لوحة ضميري- وبالاضافة الى هذا الكرم فان سموه كان قد تكرم فكتب رسالة قبل سفري من (حيدر اٰباد) وكانت الرسالة مليئة بالمشاعر السامية الكريمة كما انه كان قد تكرم فانشد بي البعض من شعره الحلوا الراءع وهذه هي الابيات الشعرية التي جرت علي لساني تلقائما حيث تشكرت فيها لكرمه واهتمامه بي"-

وغادر اقبال (حيدر اٰباد) الى لاهور في ٢٣/مارس ١٩١٠م وكانت السيدة (عطية فيضي) تعتقد بان اقبالاً كان قد سافر متجها الى امارة (حيدر اٰباد) لانه كان قد تأثر بجلال الامير (نظام) ومكانته العظيمة بالاضافة الى المشاكل الاقتصادية التي كان يماني منها اقبال- وعلى حد تعبير (عطية فيضي) فإن الانسان الذي يواجه هذا النوع من العقبات والمشاكل في سبيله يحاول ان يستند الى كل وسيلة واهية يجدها في طريقه وانه اذا استقرفي (حيدر اٰباد) فانه سوف يعرض عن الاهداف السامية ويتجه نحوالامور التافهة فيهتم بها ومن ثم كانت قد كتبت الى اقبال رسالة ملؤها السخرية وكانت تريد من رسالتها هذه ان تمنع اقبالاً من أن يضيع مواهبه الشعرية من اجل التقدير من قبل الامير (نظام) الا ان

السيدة) عطية فيضي لم تستطع ان تدرك الغرض الحقيقي من سفر اقبال الى (حيدر آباد) ومن ثم نري اقبال يرد عليها في شئ من السام والتبرم (٢٨):

"ومتى سبق لي أن قلت بأن التقدير من قبل (نظام) سوف يكون سببا للمزيد من التوقير والاحترام انك لتعلمين بانني لست من الذين يهتمون بمثل هذه التوافة اننى لااريد ان اشتهر شاعرا رغم ان الناس من سوء الحظ يعرفونني بصغتي شاعرا- وقد كان احد (بارونات) ايطاليا قد بعث الى رسالة من (نيبلز) قبل يوم او اكثر وكان قد طلب منى ان ازوده بالعديد من منظوماتي مع ترجمتها الانجليزية ولكننى لااجد حافزا في اعماق ضميري يحرضني على الشعر وانت مسئولة عن ذلك وانى لي ان اهتم بالتقدير والا عزاز من قبل امير من امراء بلادي بينما اجد الكثيرين من الشخصيات البارزة والمهتمة بالشعر من البلاد الاجنبية يهتمون بشعرى بالغ الاهتمام-"

عاد اقبال إلى لاهور فاشتغل باعماله المهنية وسعيه في سبيل الرزق كما قد تعود ان يشتغل بذلك وكان قد مضى عليه سنتان لم ينشد قصيدة او منظومة في الاجتماع السنوى لجمعية حماية الاسلام رغم انه كان قد القى العديد من المحاضرات باللغة الانجليزية ولكنه اعرض عن اى نوع من المشاركة في الاجتماع السنوى للجمعية في سنة ١٩١٠م- والسبب في ذلك ان اصحاب الجمعية وقادتها كانوا قد افترقوا ونشأت الخلافات بينهم وكان من بين الشئون التى كانوا يتنازعون فيها ويتقاتلون هولائحة الجمعية اودستورها فقد كان (مولوي ان شاء الله خان) رئيس التحرير لجريدة "اخبار وطن" قد رفع القضايا في المحاكم ضد الجمعية وذلك مما جعل اقبالاً ييئس من موقف الجمعية وتصرفات اعضائها- على كل حال فقد تم تكوين مجلس يضم ستة اشخاص وكان يرأسه الامير (فتح علي خان قزلباش) من اجل المصالحة بين الاعضاء المتشاجرين في ٢٩/ابريل ١٩١٠م- وكان اقبال من بين الاعضاء لهذا المجلس- ووافق جميع الاعضاء على قرادات هذا المجلس ثم تم انسحاب القضايا من المحاكم التي كانت قد رفعت ضد الجمعية (٢٩)-

ان هذا الطور من حياة اقبال قد كان طورا مليئا بالاحداث والا شغال ومن ثم فإن القصائد او المنظومات المشهورة التي نشرت له في مجلة "مخزن" من ١٩٠٨ الى ١٩١٠ لايزيد عدرها من ست قصائد وكانت منظومته "رسالة العشق" (اكتوبر ١٩٠٨م) "والى عبدالقادر" (ديسمبر ١٩٠٨) "والبلاد الاسلامية" (ابريل ١٩٠٩) "والتشكر" (يونيو ١٩١٠م) "والمقبرة الملكية" (يونيو ١٩١٠) و "فلسفة الحزن" (يوليو ١٩١٠م) نشرت خلال هذه المدة اما "رسالة العشق" "والى

عبدالقادر" فهما منظومتان كان اقبال قد نظمها في اخريات اقامته في اوربسا و خلال هذا الطور من حياة كان اقبال قد اعد العديد من البحوث والمقالات باللغة الانجليزية وسوف نتناول هذه المقالات للنقاش في اوانها فيما بعد- كما انه كان قد بدأ يجمع افكاره واٰراء في كراسة بشكل المذكرات والملحوظات (٣٠)-

والمشكلة التي كان يواجهها اقبال والتي وقفت في سبيله ليقبل عى عمل بناء اقبالا صحيحا هي انه كان يشتغل بمهنتي التدريس والمحاماة في نفس الوقت ورئيس قسمها بالكلية الحكومية بلاهور ولم يكن له من الممكن ان يقبل ذلك الااذا ترك مهنة المحاماة وودعها توديعا نهائيا فاستشار اصدقائه في الموضوع فهذا (الميرزا جلال الدين يحدثنا عن ذلك قائلا (٣١):

"وكنا جميعنا قد اتفق رأينا على أن الوظيفة الحكومية قد تقف في سبيل القوة العملية الحرة البناءة وبالا ضافة الى ذلك فان امكانيات التقدم والترقية في مصلحة التعليم لمحدودة جدا فاذا كان لابد من وظيفة حكومية فلم لانستمر في المحاماة وتركز عليها وحدها وذلك لان من بين درجات الترقية والتقدم في تلك المهنة هي وظيفة القضاء ايضا ومن ثم قطع اقبال صلاته بالكلية واكتفي بمهنة المحاماة"-

وقد استقال اقبال من وظيفة بالكلية الحكومية بلاهور في ٣١/ديسمبر ١٩١٠م وكان قد بدأ يفكر في الاستقالة من تلك الوظيفة منذأمد بعيد فهذا اقبال نفسه يحدثنا عن ذلك في رسالته المؤرخة في ١٧/يوليو ١٩٠٩م والتي بعث بها الى السيدة (عطية فيضي) حيث يقول (٣٣):

"إن الظروف قد أكرهتني أن أفكر في القضايا المختلفة من وجهة النظر الاقتصادية ووجهة النظر هذه هي التي كنت أكرهها وابغضها من اعماق قلبي قبل بضع سنوات وقد قدرت الاٰن بأنني سوف استمر في مهنتي المحاماة متوكلا عى الله سبحانه وتعالى"-

وبمناسبة استقالته من وظيفة الكلية أقيمت حفلة توديع من قبل الكلية وألقى اقبال اٰخر محاضراته بهذه المناسبة أمام تلاميذه وكان موضوعها (شعر رابرت براوننک) (٣٣) ولم يزل اقبال على صلة مابالكية الحكومية حتي بعد استقالته عن وظيفته بها فكثيرا ماكان الطلاب يدعونه إلى الكلية ليترأس "مهرجانات الشعر ومجالسه" أويقوم بمنصب القاضي في تلك المناسبات (٣٤)-

وكذلك فان إقبالاً كان دائما على صلة بجامعة بنجاب والجامعات الأخرى- فلم يزل يضع أسئلة الامتحانات لامتحان المتوسطة والثانوية والثانوية المتوسطة

والليسانس والماجستير والليسانس في العلوم الشرقية وما جستيرها والماجستير في الحقوق وامتحان الحقوق الأول والتخرج في الحقوق وغيرها من الامتحانات حتى انه كان يضع الاسئلة لامتحان الخدمات التعلمية العليا وامتحان الخدمات المدنية السنية فكان يعمل متحنا في جامعات بنجاب وعليكره واله اباد و ناكبور و دلهى كما انه كان يضع اسئلة الامتحان في التاريخ الاسلامي لبيت العلوم (لحيدر آباد الدكن) وكان اقبال يضع عادة اسئلة الامتحان في مادة التاريخ والفلسفة والحقوق والانجليزية والاردوية والفارسية والعربية وكان يخرج من لاهور في بعض الاحيان للامتحانات الشفوية في جامعات عليكره واله اباد وناكبور وغيرها- ولم يكن يقبل توصية بصفته ممتحنا أو واضعا للاسئلة حتى أنه كان يغضب إذا اجترأ احد أصدقائه على التوصية مهما كانت صلته باقبال (٣٥) ويبدو من دراسة موارد الدخل ومواجعتها بانه كان يكتسب مبلغا من الدخل لا بأس به بصفته ممتحنا أو واضعاللاسئلة لمختلف الجامعات (٣٦)-

ويبد و من ملف جامعة بنجاب بانه كان قد رشح "زميلا" (٣٧) للجامعة في ٢/مارس ١٩١٠م وكان اقبال لايزال على صلة بالكلية الحكومية حينذاك فشارك الاستاذ (لاله رام برشاد) استاذ التاريخ بالكلية الحكومية في وضع كتاب منهجي لتاريخ الهند والذي نشرفي ١٩١٣م (٣٨) ثم اصبح عضوا في كليات العلوم الشرقية والاداب والسنات والمجلس الجامعي كما انه كان يعمل رئيسا للجان الدراسات في الفلسفة والعربية والفارسية وكانت هذه اللجان تعد المناهج الدراسية للمواد كما انها تستشير الخبراء وتقوم بتقديم الحلول للمشاكل الطلابية ثم ترسل توصياتها للموافقة النحائية من قبل المجلس الجامعي وانتخب اقبال عميدالكلية الدراسات الششرقية في ١٩١٩ (٣٩)- ثم انتخب عضوا في المجلس التعليمي للجامعة في ١٩٢٣م (٤٠) وفي نفس السنة عين عضوا في لجنة الاستاذية وكانت مهمة هذه اللجنة اختيار المحاضرين والاساتذة وتعيينهم في الجامعة ونظرا الى اعمال الجامعة المتزايدة والى اشغاله المتراكمة أراد اقبال خلال السنة نفسها ان يستقيل من عضويته في المجلس التعليمي الا انه سحب استقالته على رجاء من السير (جان مينارد) رئيس الجامعة انذاك وفي ١٩٢٤م رشح اقبال عضوا في لجنة الجامعات التي كانت مهمتها تقديم الاقتر الاقتراحات لتحسين الظروف والا حوال في الادارة الجامعية واللجان الاستشارية والانتخابات للجانها المختلفة (٤١) وفي ١٩٢٥ (م بدأ (حكيم احمد شجاع) يؤلف الكتب المنهجية الاردوية تحت اشراف

اقبال وفي ضوء نظرياته وأرائه وسى هذه المئولفات بالسلسلة الادبية فوضع ثلاثة كتب للصف السادس والسابع والثامن فوافق مجلس بنجاب للكتب المنهجية على ذلك في اجتماعه في ١٢/ ينائر ١٩٢٥م فضمت الكتب الثلاثة الى المناهج الدراسية الثانوية وسماء "آئينه عجم" اي (مرآة العجم) والذي اهتم بنشره هم اصحاب(عطرتشند كبور)سوق انارکلي لاهور في ١٩٢٧م (٤٣)

ولم يزل اقبال على صلة بجامعة بنجاب حتى ١٩٣٢م ثم تخلف عن رغب في شئون الجامعة إماسبب اشغاله المتراكمة او موضه العضال وفي ٢٣/ نوفمبر ١٩٢٩ عرضت عليه العضوية الداءمة لاتحاد الكلية المتوسطة في عليكره فذهب اقبال إلى عليكره ليشارك في حفلة كليتها حيث كان السير (رأس مسعود) رئيسا للجامعة وبتلك المناسية منحته جامعة عليكره شهادة الدكتوراة الفخرية في الآداب (٤٤) كما أن جامعة بنجاب كانت قد منحف له شهادة الدكتوراة الفخرية في الاداب في ٤/ ديسمبر ١٩٣٣م وذلك تقديرا لمجهود اته التي قدمها في مجال العلوم والآداب والتعليم والتدريس وفي ١٩٣٧م احتفلت جامعة اله آباد بعيدها فمنحت لاقبال شهادة الدكتوراة في الاداب من الجامعة العثمانية بحيدر اباد الدكن (٤٥)-

على كل حال فبعد الاستقالةعن الوظيفة اقبل اقبال اقبالا كليا على مهنة المحاماة وممارستها وكان لابد له ان يخرج من لاهور احيانا من اجل بعض مشاغله وعند ما اخذت مهنة المحاماة تدر عليه اشتري اقبال عربة الحصان الشخصية فوظف سائسا بوربيا (من سكان شرق الهند) يعتني بامرالحصان ورعايته فكان اقبال يتجه الى المحكمة في تلك العربية وفي يده لجام الفرس وفي بعض الاحيان كان ينتهى من عمله في المحكمة ويرسل العربية الى البيت فيركب سيارة (الميرزا جلال الدين) فيذهب الى المكتب وكان بعض الموظفين (للميرزا جلال الدين) يغني القصيدة السدسة للشاعر حالى على قيثارته بلحن خاص ففي كثير من الاحيان كان اقبال يرغب في الاستماع الى ذلك اذ كان معجبا به اعجابا كبيرا-

وكان في ذلك الوقت قد انضم الي اصدقاء اقبال المخلصين (الميرزا جلال الدين) والامير (ذوالفقار علي خان) والسير (جوجندر سنغ) بالاضافة الى (السردار امراؤ سنغ شير جل والد السيدة امرتا شيرجل الغنانة المعروفة) وكان من عادات اقبال انه كان يشرب الشاي عند الامير السير (ذوالفقار على خان) ويقضي معظم الوقت عنده وكان يتغدي معه يوم العطلة في المحكمة ايضا-

وكان منزل (الميرزا جلال الدين) مقرا لمجالس الانس والطرب والغناء وكان

اقبال يرغب في مجالس الموسيقي ومن ثم كان ينتهز الغرص فيشترك في المجالس هذه وكان اقبال لاينشد شعره لمن اراد ان يستمع اليه على سبيل الكبر واترفع كما انه كان متحذرا في انشاد الشعر عامة فلم يكن ينشد شعره الالبعض اصدقائه الا ان السير عبدالقادر كان ياتي من (لائل بور) (فيصل اباد الان) ليشترك في مجالس الموسيقى هذه فاذا جاء هو اوكان (الجرامي) موجودا فكان اقبال ينشد شعره في المجالس ويهتم اهتماما خاصا بلطافة القول وسمو الخيال فكان داءما في قمة الفكاهة والظرافة وهو في هذه المجالس فكان ينطق احيانا بالجمل اللطيفة المتناسبة اوبكلام جذاب ملائم للمناسبة مماكان يجعل اصدقاء يتمتعون به ويستحسنونه منه ومع ذلك كله فان حديث اقبال لم يكن هذرا فاحشا ابدا- وفي بعض الاحيان كان الصمت يسود اقبال فيطول فيبد و كأنه قد انتقل الى دنيا الخيال الاخري ثم ينتبه فجأة وكأنه استغاق من النوم-

وكانت حفيدة الامير (السيخي رنجيت سنغ) الانسة (صوفيه جندان بامبا) ترغب رغبة شديدة في زيارة اقبال وكانت تسكن في فيلاها الخاصة بها على شاعرع كلبرك بلاهور وفي مساء ذات يوم لسنة ١٩١٢م جاء السير (جوجندر سنغ) فاخذ اقبال (والميرزا جلال الدين) معه وذهب بهما الى بيته فاقيمت حفلة الشاي في ظل من الاشجار الغناء فرجت الانسة (بامبا) ان ينشد لها اقبال بعض ابياته الشعرية وكانت (بامبا) هذه تفهم اللغة الاردوية الا انها لم تكن تقدر على فهم الشعر الاردوى ومن ثم جعل السير (جوجندر سنغ) يترجم الابيات الشعرية ويشرحها بالا نجليزية- وكانت الانسة (بامبا) قد ابلغت بان اقبالاً مولع بتدخين النارجيلة ومن ثم كانت قد طلبت الى ساءقها وكان اسمه (بيرجي) ان يعد النارجيلة ويحتفظ به في زاوية من ردهة البيت وعندما جلس اقبال نهضت في شخصيا فجاءت بالنار جيلة ووضعتها بين يدي اقبال فقال اقبال وهو يخاطب (الميرزا جلال الدين) هذه حفيدة الامير (رجيت سنغ) قد قدمت لنا النار جيلة بيديها (والتبغ حرام في المذهب السيخي) وقد دعت الانسة (بامبا) اقبالاً الى منزلها الى حفلة الشاى مرة او مرتين وكانت احدي صديقاتها من النساء الانسة (جوتس مان) تشتاق الى زيارة اقبال فلم يمض ايام حتي كانت الانسة (بامبا) قد اقامت حفلة الشاي في حديقة شاليمار تكريما لصديقتها الانسة (جوتسمان) وصديقتها الاوربية الاخري وكان اقبال معزوما في تلك الحفلة فقامت الانسة (جوتسمان) فاقتطفت وردة من الحديقة وقد متها لاقبال مماجعل اقبالاً ينظم

منظومته لمعروفة "الي التي قدمت هدية الوردة" والتي يضمها ديوانه "صوت الجرس" اما الصديقة الثانية فكانت لديها هرة جميلة وكانت جالسة في احضانها فنظم اقبال منظومة اخري وعنوانها "حين رأيت قطة في احضانها "وهذه المنظومة ايضا يضمها ديوان" صوت الجرس"(٤٦)-

وفي تلك الايام لم تكن الحياة السياسية العملية في بنجاب الا بالاسم ورغم ذلك نشأت فئتان سياسيتان معارضتان في لاهور- وكان يقود السير (محمد شفيع) احدي الفئتين واما الثانية فكان يراسها السير (فضل حسن) وفي ديسمبر ١٩٠٧م عقد اجتماع المرابطة الاسلامية الهندية في مدينة كراتشي فحضر فيه كل من السير (محمد شفيع) والسير (فضل حسين) بتباعهما واصحابهما وكانت النتيجة لهذا الاجتماع هو إنشاء فرع الرابطة الاسلامية في اقليم بنجاب وعلى حد تصريح (عظيم حسين) (٣٧) انتخب (ميان شاه دين) رئيسا للفرع والسير (محمد شفيع) امينا عاماله- اما السير (فضل حسين) فانه لم ينضم الى الفرع الاقليمي للرابطة الاسلامية كما لم ينضم اتباعه وانصاره وهم (بير تاج الدين) والسير (شهاب الدين) و (غلام بيك نيرنک) ويرى المؤلف بأن من الخطأ أن يحسب اقبال بين انصار السير (فضل حسين) واتباعه وذلك لان اقبالا كان يعيش في أوربا حتي يوليو ١٩٠٨م و (الميرزا جلال الدين) يصرح بأن الفرع الاقليمي للرابطة الاسلامية كان يرأسه (ميان شاه دين) وكان السير (محمد شفيع) امينا عاماله والمولوي (محبوب عالم) كان امينا مشاركا و (الميرزا جلال الدين) امينا مساعدا والدكتور (محمد شريف) امين الصندوق الاقتصادي امام السير (فضل حسين) فكان يعارض هذا الفرع ومن ثم انشأ فرعا مستقلاله وكان يضم هذا الفرع الى جانب السير (فضل حسين) عبدالله المحامي و (بير تاج الدين) و (ميان حسام الدين) ثم عين (ميان شاه دين) قاضيا فحل محله السير (محمد شفيع) رئيسا للفرع الاقليمي للرابطة الاسلامية (٤٨)-

وكان اقبال على صلات الصداقة مع (ميان شاه دين) والسير (محمد شفيع) والسير (فضل حسين) جميعا- وبالا ضافة الى ذلك فان اقبالاً لما يدخل الحياة السياسية العمليه لاقليم بنجاب ومن ثم عاش في معزل عن التحزب السياسي ماأمكن له ذلك ويصرح عظيم حسين بأن الحياة السياسية في الاقليم كانت قد بدأت بسبب الاصلاحات الدستورية الجديدة فانشأ السير (فضل حسين) الحزب الاتحادي في بنجاب فانضم اليه اقبال وهذا صهيح- لان اقبالاً كان قد دخل في مجال السياسة العمليه الاقليمية منذ ١٩٢٦م فأصر عليه السير (فضل حسين) أن

ينضم الى الحزب الاتحادي الا ان اقبالاً كان عضوا في المجلس التشريعي لاقليم بنجاب من ١٩٢٧ الى ١٩٣٠م

على حد تصريح الدكتور (عاشق حسين البتالوي) فقد درس السياسة العملية للحزب الاتحادي خلال هذه السنوات الثلاثة دراسة عميقة فهذا الحزب هوالذي كان قد بدأ بالتشاجر الخربي في الحياة القروية ثم اتسع هذا التشاجر الحزبي حتي استوعب الاقليم كله- وهذه الظروف والا حوال لم تكن تخفى على رجل من امثال اقبال (٣٩)- ومن ثم نشأت الخلافات الشديدة بين (فضل حسين) واقبال في المجال السياسي حتى ان الصدافة التى كانت بين اقبال والسير (عبدالقادر) منذ القدم تأثرت بذلك ونشأ فيها شيئ من التوتر والا نقباض-

وكان معظم القادة المسلمين في شبه القارة يعلنون الولاء والوفاء للحكومة الانجليزية متبعين في ذلك الطريق التي دلهم عليها السير (سيد احمد خان) حتى ١٩١١م ثم نشأت ظروف غيرت هذا الاسلوب الفكري بين ١٩١١م و ١٩١٤م- واما الصدمة الاولى التي واجهها القادة المسلمون على ايدي الحكام الانجليز فهو الغاء تقسيم بنغال في ١٩١١م فقد كان القادة المسلمون يؤيدون تقسيم بنغال كما ان الحكام الانجليز ظلوا يرفضون طلب الالغاء من قبل الهنادكة ويعلنون بان تقسيم بنغال هو قرار حاسم ونهائي من ١٩٠٥م الى ١٩١١م ولكن الهنادكة جاؤا بالشدة والعنف في مظاهراتهم مما جعل الحكام الانجليز يستسلمون امام الطلب الهند وكي بالغاء التقسيم فجاء (جورج الخامس) قيصر الهند إلى دلهى ومن هناك اعلن شخصيا الغاء تقسيم بنغال في ١٩١١م وفي هذه السنة نفسها انتقلت العاصة من كلكتة الى دلى وكان الحكام الانجليز قد وعدوا بانشاء جامعة اسلامية في دكا لمحوالمية بين المسلمين وتقدمهم التعليمي الا ان الهنادكة عارضوا هذا المشروع معارضة شديدة ايضا وكان الغاء تقسم بنغال هوالا علان بالقضاء على الحياة السياسية (للخواجا سليم الله خان) امير دكا فلم يمض ايام حتى مات (٥٠) وهكذا أدرك القادة المسلمون ولاول مرة بأن الولاء أوالوفاء والطرق السلمية لاتكفي لتحقيق الاهداف الشعبية والاعتراف بها من قبل الحكومة الانجليزية- ويرى الشيخ شبلي بان الغاء تقسيم بنغال انما كانت لطمة على وجه المسلمين التي حولت وجوههم وغيرت وجهة نظرهم (٥١)-

وفي هذه السنة نفسها بدأت ظروف العالم الاسلامي تتحول من السيئ إلى الأسوأ- فقد كانت بريطانيا وروسيا قد قسمتا ايران بينهما منذ ١٩٠٧ م وفي

١٩١١ تمت اتفاقية بين روسيا والمانيا اعترفت فيها المانيا بالهيمنة الروسية على ايران وفي ١٩١٢م ضربت روسيا بالقنابل مدينة "مشهد" ثم تقدمت جيوش روسيا وبريطانيا فاحتلت ايران وقضت على الحركات الدستورية الايرانية وسلبت حرية الشعب الايراني-

ومن ناحية اخري لم تستطع الثورة التى قادتها جمعية الاتحاد والترقي وحزب الاتراك الشبان أن تنفذ الرجل المريض التركي (على حد تعبير المفكرين الغربيين) وذلك لان الجمعية كانت تقرر مرة بان الدولة العثمانية تقوم على (العثمانية) ولاتقوم على الاسلام- ومرة اخري كانت تعلن وتنادى بالوحدة التورانية على اساس الوحدة الجنسية التركية وفي اثناء ذلك اعلنت النمسا بأن مناطق "بوسينا" و "هرزجوبينا" من البلاد التركية في شرق اوربا انما هي مناطق تابعة لمملكة نساء ثم اعلنت بلغاريا استقلالها عن تركيا وفي ٢٨/ سبتمبر ١٩١١م احتلت ايطاليا طرابلس و "سيري نائيكا" (ليبيا) بعد أنن أخذت مواثيق عدم التدخل من قبل القوى الاوربية كما ان بريطانيا منعت مصر من تأيدها لتركيا الا ان الاتراك والسكان المسلمين المبلاد نهضوا ضد الاحتلال الايطالى ودفعوه إلى الوراء في المناطق السا حلية بعد ان ضحوا بنفوسهم ونفائسهم وهذه هي الحرب التى استشهدت فيها فاطمة بنت عبدالله الطفلة الصغيرة في الثالثة عشرة من عمرها وهي تسقى الجرحي المسلمين- (وبشهادتها قد غنى اقبال في شعره مفتخرا بجهودها وتضحيتها)

وفي اكتوبر ١٩١٢م واجهت تركيا هجوما موحدا من قبل الامارات الاربعة البلقانية وهي اليونان وسربيا ومانتي نيجرو و بلغاريا- وحرب طرابلس لماتنقه بعد وهكذا بدأت الحرب البلقانية التي أدت الى نهاية الحكم التركي العثماني في اوربا الشرقية وفي هذه السنة نفسها تدعم الاحتلال الفرنسي لبلاد المغرب-

واما في شبه القارة فكان القادة المسلمون قد بد أوا يرجون الحكومة البريطانية الهندية منذ العديد من السنوات ان تجتنب السياسة المعادية لتركيا وذلك تعويضا للوفا "والولا" من قبل الشعب الهندي المسلم ولكن الحكومة البريطانية لم تحفل بذلك ومن ثم اشتد التحس للتائيد الشامل لتركيا من قبل الشعب المسلم الهندي وكانت الجراءد الاسلامية تعبر عن عواطف المسلمين ومشاعرهم نحوالا تراك وكان من بين هذه الصحف جريدة "همدرد" الاردوية ومجلة "كامريد" اى (الرفيق) الانجليزية وكان يصدرهما مولانا محمد علي جوهر ومجلة "الهلال" التى كان يصدرها مولانا ابوالكلام آزاد وجريدة "زميندار" اليومية التى كان يصدرها مولانا

ظفر على خان وهؤلاء هم القادة المسلمون الذين كانوا قد جمعوا التبرعات ثم كونوا وفدا طبيا من الهلال الاحمر وبعثوه إلى تركيا وكان يترأسه (الدكتور انصاري) وذلك في سنة ١٩١٢م-

وفي سنة ١٩١١ كان لابد لاقبال أن يتأثر من البيئة التي تحيط به والظروف الراهنة في العالم الاسلامي فانفجر ماكان يضمره من المشاعر بسبب حرمانه الشخصي والياس الذي يسود الشعب المسلم الهندي والمصائب والافات المتواصلة التي كانت تنزل بالعالم الاسلامي واحدة تلو الاخري وكرد فعل لهذه البيئة والظروف كلها نظم اقبال منظومته الشهيرة بحديث الروح او "الشكوي" والتي أثارت ضجة في الاوساط الاسلامية كلها-

وقد أنشد اقبال منظومته "حديث الروح" في الاجتماع السنوي لجمعية حماية الاسلام الذي عقد في ابريل ١٩١١م في فناء دارالاقامة للكلية الاسلامية بلاهور- وكان من التقليد المتعارف طباعة المنظومات وتوزيعها في اجتماعات الجمعية- اما هذه المنظومة المشيرة الهاءجة فان الشاعر لم يسمح بطباعتها وانما احتفظ به عنده حتى يبقى سرا ويفاجئ بها الناس فهذا (الميرزا جلال الدين) يحدثنا عن ذلك قائلا (٥٢):

> "وكان حضرة الدكتور ينشد ابياته الشعرية في مجالس اصد قائه بدون ان يطالب به احد منهم الاانه بقي صامتا يحتفظ بسره حين اشتغل بنظم منظومته (الشكوى) أو (حديث الروح) وكان حضلرة الدكتور معزوما مع والده في بيتي في نفس المساء الذي كان خاصا بالا جتماع السنوى لجمعية حماية الاسلام والذي كان يترأسه المغفور له (فقير سيد افتخار الدين) وكنا على مأدبة الطعام فاذا بأمين الجمعية يدخل علينا مع البعض من الاعضاء وهويلهث مضطربا وقد بدا على وجهه قلق شديد فاخذ يقول: ان الشاد المنظومة قد حان وان الناس المجتمعين ينتظرون ذلك بقلق شديد فنهض الدكتور من فوره وأعلمنا بان المنظومة التي سوف ينشدها في هذه المرة سوف تكون مثيرة للضجة لانه احتفظ بسرها عنده وعند ما وصل الدكتور في حلقة الاجتماع اخذ الناس يهتفون بصوف عال ويتحمس شديد "الله اكبر الله اكبر، وبعد لحظات قام حضرة الدكتور ينشد منظومته في ضجة من التصفيق والهتافات"-

وكان اقبال قد لبس السروال والقميص يعلوهما سترة وعلى رأسه طربوش فبدأ بقطعة شعرية وكان منها هذين المصراعين مامعناه: "لااعراف كيف تباع الشعوب وتشتري ولا اجد خبيرا بهذا الفن باقليم بنجاب"-

ثم أخذ ينشد المنظومة فاذا بالاصوات ترتفع من كل ناحية وصوب تنادي نوجوك ان تترنم بشعرك وذلك لان اقبالاً عادة كان يترم بقصائده ومنظوماته في اجتماعات الجمية ومن ثم ترنم اقبال بحديث الروح (٥٣) وهذا السير عبدالقادر الذي كان قد حضرالاجتماع يحدثنا عن ذلك قائلا: (٥٤)-

"أنشد اقبال منظومته "الشكوي" أو "حديث الروح" باسلوبه الخاص والكثيرون لايزالون يتذكرون بان الاجتماع كان يسوده سحب الحزن والا لم وكان الكثيرون من انصاره المعجبين به قد جاء وا وقد ملاء وا حجورهم بالازهار فبدأوا يمطرون عليه اورق الازهار وهوينشد منظومته والجدير بالذكر عن تلك المناسبة بأن والد اقبال المعمر كان بين المجتمعين المستمعين الى منظومته فدمعت عينا الوالد بدموع الفرح والسرور حين رأي كفاءة ابنه ونجاحه الباهر الا ان وجهه كان يسوده نفس العلامات من الحزن التي كانت تسود وجه ابنه الشاعر والواقع ان هذه ميزة كان الابن قد ورثها من أبيه فان والد اقبال كان رجلا متصوفا الا ان تصوفه لم يبلغ به الى درجة اهمال الحياة اليومية وواجباتها العملية فقد كان الرجل يكتسب رزقه باصابع يديه العشرة وكان يعمل بقول القائل "القلب مع الحبيب واليد على العمل" فكان قلبه يذكر الله بينما كانت يداه تشتغلان بالعمل"-

وحين انتهى إقبال من انشاد منظومته تقدم احد المعجبين به اليه وهو (الخواجا عبدالصمد ككرو) رئيس قرية (باره مولا) في كشيير فالقى بشاله الثمين على عاتقى اقبال في شئ من الفرح الشديد فاخذ اقبال ذلك الشال فاهداه للقائمين باعمال الجمعية ثم بيع ذلك الشال بالمزاد العلنى في الاجتماع وعند ما انتهى النداء باعلى الثمن قبضوه فدفعوه الى خازن الجمعية (٥٥)-

وقد نظم اقبال العديد من القصائد والمنظومات خلال سنة ١٩١١ ومن بينها "ترانه ملى" اي "النشيد القومي" وفي ٦/ اكتوبر ١٩١١ انشد اقبال منظومته التى عنوانها "في حضرة صاحب الرسالة الاسلامية صلى الله عليه وسلم "في جمع من المسلمين بالمسجد الملكي بلاهور وهذه المنظومة من بين المنظومات التى نظمها اقبال كرد فعل لحرب طرابلس وتأثيرها في نفس الشاعر ويذكر اقبال انتصار الاتراك في حرب طرابلس في رسالة كتبها في ٩/نوفمبر ١٩١١ وبعث بها الى (اكبر اله ابادى) وهذا نصها (٥٦):

"قد وصلتنى البشارة بانتصار الاتراك فسررت بها سرورا بالغا للغاية ولكن من للقلب الذى لا يطمأن الى شي ؤلست ادرى ماذا تريد نفسي؟ وما هي المشاهد التي تنتظرها انظارى انني اشعر بامنية قوية في اعماق قلبي رغم انني لا

استطيع ان ادرك موضوع الامنية هذه ففي مثل هذه الظروف اذا وجدت مايسرني فان سروري هذا يسوده شئ من القلق والاضطراب رائما"-

وفي ديسمبر ١٩١١ قدر المؤتمر التعليمي المحمدى الهندى ان يوجه الدعوة الى اقبال ليرأس اجتماعه الذى كان سيعقد في دلهى وان يقوم الشيخ (شبلي) بتطويقه قلائد الزهور تقديرا له واستحسانا لما قدمه للموتمر من الخدمات وقد حضر ذلك الاجتماع الشيخ (شبلي) والشيخ (شاه سليمان الفلواروي) وسيد (سجاد حيد يلدرم) و (الخواجا كمال الدين) بالاضافة الي السير (اٰغا خان) والسير (حسين البلجرامي) واعيان الحكومة ووجهائها وامراء الامارات والقادة المسلمين البارزين في شبه القارة وقد ترأس اقبال الجلسة الثالثة من اجتماعات المؤتمر واما الجلسة التي كان من المفروض ان يطوق فيها القلائد وقد ترأسها الشيخ (شاه سليمان الفلواروي) وفي هذه الجلسة القى (الخواجا كمال الدين) محاضرة عن الاسلام والعلوم الجديدة وفي نهاية محاضرته قال وهو يخاطب اقبال (٥٧):

"اين انت ايها الدكتور اقبال اسعدك الله في الدنيا والاخرة وتكون اقبالا في اصح معاني الكلمة أن مواهبك العقلية النادرة لاتزال خافية على الناس- انك تملك من المواهب والكفاءت التى لواستعملت استعمالا صحيحا فان بامكانها ان تتوجك بتاج الخلود- إلا أن هذه المواهب النادرة الصالحة لم تملكها لتضيعها في حديقة غير مثمرة من المهرجانات الشعرية حتى يصدق عليك قوله الله سبحانه وتعالى (والشعراء يتبعهم الغاوون الم تراهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون مالا يغعلون) قم يا اقبال وكن شاعرا من الشعراء الذين هم من تلاميذ الرحمان خل العالم المهين والدنيا الدنيئة وكن انت طاءرا قدسيا- انك وان أصبحت دكتورا بدراسة الفلسفة والعلوم الغريبة الا انه لايكفيك ان تنظم العديد من الا ناشيد والا غاني وانما يجب عليك ان تعوضنا عما فات فتغتح المصحف القراٰني وتفوص في بحره من الحقائق وتستخرج الاٰليئ من حكمته وافكاره اصحيح مابلغنا قبل بضعة ايام ان اشقى الاشقياء في القرن العشرين (شديدن) قال وهويلقى محاضرة عن الحرب القائمة بين ايطاليا وتركيا فمزق قلوبنا وحرقها قائلا بان الاسلام لم يزل شجرة بلا ثمر وعملا بلانتيجة وانه لم ينفع العالم البشرى في شيئ وانه يجب القضاء على الاسلام حتى لايبقى اسمه- ان هذه كذبة قد ارتكبها الرجل امام الشعب الالماني ليخد عهم وليبرر قرصنة ايطاليا بين ايديهم اليس هذا احسن الاوقات واجودها لنسدد ديون الالمان- انظر ماهي اوربا وما هي فلسفتها ان هذا كله انما هو تراث مسروق- تعال يا اقبال المحامي وشاركني في المحاماة لند افع عن هذا التراث المسروق وتحقق بانه

تراثنا ومالنا التليد- ان الله سبحانه وتعالى لم يرزقك هذه المواهب النادرة التى لا نظير لها لتضيعها في اللعب بالالفاظ ولتطربنا باناشيدك ومنظوماتك الشعرية- ان هذه ليست لحظة الانا شيد والاغاني وانما هي لحظة الخطوات العملية الحاسمة وان القلاء التى قد طوقتك بها شعبك وانت لها اهل وتستحقها، ان هذه القلائد الشعبية ليست بشيئ ولاقيمة لها بالنسبة الى تلك الازهار الفردوسية التى بامكانك ان تستحقها بخدمة القران الكريم ان الشعب يريد ان يبايعك كا مير الشعراء وان ذلك من الخطأ وانك سوف تكون دنيئ العزائم والهمم لوقنعت بها- انني اتمنى ان ارى فيك الرازي واغزالى"-

وقال اقبال في كلمته وهو يرد على ماقاله (الخواجا كمال الدين)

"ان الكلمة التي القاها سيادة (الخواجا) كلمة ممتعة ومليئة بالمعاني والافكار وقد تناول الكثيرون من المسلمين النقاش حول العلاقات بين الاسلام والعلوم الجديدة وانا اقول وليس هذا ادعاء محضا وانما هي حقيقة ثابتة بان المبادئ السامية التي تضمها المدنية الغربية ينبوعها الاسلام وقد بدأت لنهضة الاوربية الحديثة في القرن الخاس عشرالميلادي وان العلوم التي عرفتها أوربا في حينها انماكان اصلها وينبوعها هي جامعات المسلمين فان الطلاب من الدول الاوربية المختلفة كانوا يتوافدون على هذه الجامعات الاسلامية فيتعلمون بها ويتثقفون ثم يعودون الى بلادهم فينشرون العلم والاداب في دوائرهم الخاصة فلوقال احمد من اوربا بانه يستحيل الجمع بين الاسلام والعلوم الجديدة فانما هوجهل بالحقائق ولست ادري كيف يمكن لشخص ان يقول بان الجمع بين الاسلام والعلوم الحديثه مستحيل بينما يوجد لدينا ذخائر من العلوم المتنوعة وتاريخ العالم البشرى الذى سجله المؤرخون المسلمون- أن (بيكون) و (ديكاردت و (ميل) يعتبرون من اكابر الفلاسفة في اوربا وتقوم فلسفتهم على مبادئ التجربة والمشاهدة ورغم ذلك فان مبادئ (ديكارت) توجد في احياء علوم الدين للامام الغزالى وان المبادئ هذه تشبه بعصنها البعض وتوافق الى حد بعيد مماجعل احد المؤرخين الانجليز يقول بان (ديكارت) لوكان يعرف العربية لكان من الواجب ان نعترف بأن (ديكارت) قد ارتكب السرقة وكذلك فان (روجيزبيكون) كان قد تعلم وتثقف في جامعة من الجامعات الاسلامية ان الاعتراض الذى اورده (جون استيوارت ميل) على الشكل الاول من المنطق انما هونفس الاعتراض الذي أورده الامام فخرالدين الرازي وان مبادئ فلسفتة (ميل) كلها مستفادة من كتاب الشيخ ابن سينا المعروف "بالشفا" وجملة القول ان هذه المبادئ التى تقوم عليها العلوم الجديدة انما هي انتاج فكري للمسلمين واقول بأن أثر الاسلام لم يكن على العلوم الجديدة فحسب وانما لايخلو جانب

من جوانب الحياة السامية من تأثير الاسلام البالغ للغاية:-

ثم قام سيد (سجاد حيد ريلدرم) فرجا الشيخ (شبلي) ان يطوق اقبال بقلائد الزهور فالقى الشيخ (شبلي) كلمة موجزة قال فيها:

"ان هذه المناسبة ليست مناسبة عادية وليس من الجائز ان نعتبرها فرصة التفرج وكان من شعارنا- نحن المسلمون- بان التكريم او اللقب الذي منحه الشعب نقدره تقديراً عظيماً لايبلغه أن تكريم اٰخر وأن التكريم الذي يمنحه الشعب لاقبال اليوم لنما هوشيئ يستحق الافتخار والاعتزاز والواقع ان اقبالاً يستحق هذا التكريم والتقديم"-

ثم طوق الشيخ (شبلي) قلادة الازهار لاقبال فقال اقبال وهويعبرعن اعتزازه بهذا التكريم الشعبي:

"ان الذين لايخافون الله قداشاعوا عن منظوماتي من الشائعات وهي كلها خاطئة لااساس لها اصلا- ويقولون بأنني من الذين ينادون بالوحدة الاسلامية وانا اعترف بأنني من دعاة الوحدة الاسلامية بغيرشك وانا على ثقة وايمان بان شعبنا العظيم له مستقبل زاهر وان رسالة الاسلام ورسالة شعبنا لابد أن تتحقق يوما وانه لابد ان ينقضي الشرك وانصار الباطل ولابد أن يأتي يوم تنتصرفيه الروح الاسلامية وان التحمس والعواطب والافكار التي اكنها في ضميرى عن هذه الرسالة الخالدة اريد ان ابلغها الى الا في قصائدى ومنظوماتي الشعرية واتمنى ان ينشأ فيها الروح الاسلامية التي كان اسلافنا يمتازون بها- هولاء الاسلاف الذين كانوا يعرفون حقيقة هذه الدنيا الفانية رغم الثروات والسلطة- انني قد تعودت ان ازور ضريح سيدنا نظام الدين محبوب الهى كلما اتي لزيارة دلهى كما اننى ازور ضرائح الاولياء الاخرين فقد رأيت خلال زيارتي هذه لافتة على قبرفي المقبره الملكية قد كتب عليها (الملک) وهذا معايدل على الروح الاسلامية والتحمس الديني بمايمتازبها المسلمون وهم اصحاب الملك والثراء ان الشعب والدين الذي يملك هذه المبادئ لايمكن اليأس من مستقبله الزاهر وهذه هي الوحدة الاسلامية التي يجب ان ننادى بها على نطاق واسع وهذه هي الافكار التي يمتازها مااقوله من القصائد والمنظومات الشعرية"

وفي نهاية الجلسة قال رئيسها الشيخ شاه سليمان الفلواروي في كلمته الرياسية يقدر فيها جهود اقبال ويستحسنها قائلا:

"ومما يجدر بالذكر بهذه المناسبة هوتطويق صديقي العزيز الذي بفتخربه شعبه الاستاذ اقبال بقلائد الزهور والاعتراف به كشاعر الشعب وليس لدي ما استشهد به من القراٰن على ذلك غير قول الله عزوجل "والشعراء يتبعهم

الغاوون" الا ان الامرليس كذلك انما هذا الكلام عن الشعراء الجاهليين الذين كان يمتاز شعرهم بالهزل والهجو والمذمة والاشياء الاخري الممارضة للاخلاق الحسنة- اما الدكتور اقبال فانما هو من هؤلاء الشعراء الذين استثنا هم الله عزوجل بقوله "الا الذين امنوا وعملوا الصالحات "وانتصروا من بعد ماظلموا "ان هولاء الشعرأ من بين الذين قال الله عنهم "فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه "فان السيد اقبالاً من الشعراء الذين يحسنون القول ويتبعون احسنه ان شعره الشعبي قد وصل الى درجة ان الناس يغنون باناشيده في الاجتماعات الشعبية كما انهم ينشدون منظوماته في مدح الرسول صلي الله عليه وسلم في مجالس المواعظ والمواليد- ان اسلوب اقبال الشعرى يختلف من الشعراء الذين سبقوه فان الشعراء السابقين كانوا قد بلغوا في كرمهم وسخاء هم حتى انهم كانوا على استعداد ليمنحوا بلاد ثمرقند وبخارا لخال واحد على خد الحبيب كماقيل (بخال هندوش بخشم ثمرقند وبخارا را) اي انني استطيع ان اضحى ببلاد ثمرقند وبخارا تعويضا لخال واحد على خد حبيبى- وان هذه البلاد لم تعد الان تحت الحكم الاسلامي وانما اصبحت تحت احتلال روسيا وعليه فمن المناسب ان يقول الشاعر (بخال روسيا بخشم ثمر قند وبخارا را) انني استطيع ان اضحي ببلاد روسيا تعويضا لخال واحد على خد حبيبه اما استاذ اقبال فان افكاره السامية قد بلغت الغاية فرغم ان طرابلس قد احتلها العدو اوكاد في ناحية وفي ناحية اخري نري بلاد ايران قد تعرضت للخطرالا ان انشودة اقبال تنادى بان الارض كلها والسماء كلها ملك لنا "الصين والهند لنا حتي ان العالم كله اصبح وطنا لنا- لاننا نحن المسلمون "ونحن أيضا نقول وندعو الله ان يكون العالم كله ملكا لاقبال واذا لم يكن العالم فاننا نحن ملك لاقبال وان هذه الفرصة مباركة بالنسبة ألى اقبال وقد سرنا جداحيث طوقه العلامة شبلي بقلاء الازهار بيديه قالاسم فيه بركة والعمل فيه بركة وكذلك قلائد الزهور هذه مباركة وان الايدي التي طوقته بها هي مباركة ايضا فهي بركة على بركة"-

ان الغاء تقسيم بنغال والذى تم تحت الضغط الهد وكي الشديد كان درسا وعبرة للمسلمين وذلك ممالاشك فيه وبعد مغادرة (جورج الخامس) ملك الهند عقد اجتماع عام للمسلمين خارج باب (موجي) في اول فبرائر ١٩١٢م فألقى اقبال في الاجتماع كلمة قال فيها (٥٨):

"على المسلمين ان يبذلوا جهود هم بأنفسهم من اجل تقدمهم والا حتفاظ بحقوقهم فإن الذى حققه الهناركة الان وما حصلوا عليه كل ذلك يرجع الى جهود هم الخاصة وعلينا ان نرجع الى تاريخ الاسلام ونري بماذا يوحي الينا اما

المنطقة العربية فقد كان الاوربيون انكروها وجعلوها حجرالا ينفع قائلين بأن هذا الحجر لايمكن ان يقوم عليه بناء كما ان شعوب آسيا وأوربا كانت تبغض العرب وتحقرهم الا ان العرب استيقظوا وشمروا عن ساقهم حتى أصبح ذلك الحجر نفسه مفتاحا لقصر المدنية البشرية في العالم كله واقسم بالله ان القوى القاهرة من امثال الا مبراطورية الرومية لم تستطع ان تقف في سبيل السيل الغربي فهذه هي حال امة تنهض وتشمر عن ساقها وتقوم على أساسها"-

وفي ١٦/ابريل ١٩١٢م عقد الاجتماع السنوي لجمعية حماية الاسلام فانشد فيها اقبال منظومته المشهورة "شمعة وشاعر" ولان المنظومة كانت طويلة انشدها اقبال في جلستين وكان عدد المستمعين اليه في الاجتماع عشرة آلاف تقريبا وألقى كلمة قبل ان ينشد منظومته وقال فيها ومعناه: ان هذا من رحمتك ايضا حيث القيتني في نار جهنم رغم أن أعمالي لم تكن تستحق هذه المكافأة حتي توصلني الى هذا المكان"

وعليه فانني افترح عقابا بنفسي لنفسي وهو انني شموت نفسي حتي يكون ذلك تعويضا عن تلك الشكوي واريد ان الفت انظار الشبان المثقفين ثقافة انجليزية الى منظومتي هذه- ان شعرى يمثل شعورا خاصا وان منظومتي التي سوف انشدها اليوم تجمع بين تصوير المشاكل وحلولها الناجحة فارجو الاهتمام بهذه المنظومة من ناحيتين فالناحية الاولى هي جانب شعرى واما الناحية الثانية فهي وصفة العلاج المقترحة بها وعليه فارجو انتباه الشبان المثقفين واهتما مهم بالمنظومة هذه- ان هذا العصر هو عصر ازمة سياسية خطيرة في تاريخ اهل الاسلام لله ارجوكم ان تنتبهوا وتبذلوا جهور كم من اجل تعزير الاسلام وتكريمه فهذه منظومتي وعنوانها "التحاور بين الشمعة والشاعر"-

وعندما اخذ اقبال ينشد منظومته بدأت الا صوات ترتفع بالغناء والترنم، بالغناء والترنم الا ان اقبال قال بان الشاعر شخصيا يعرف الوضع الذي ينشد فيه منظومته هل ينشدها بدون الغناء او يغني بها- اما هذه المنظومة فلا يمكن ان ينشد بالغناء أو الترنم ثم اخذ اقبال ينشد المنظومة-

وفي هذه السنة نفسها قدم مشروع القانون للتعليم الاجبارى في شبه القارة في المجلس التشريعي الامبراطورى فعقد اجتماع عام بلاهور تأييداً لذلك المشروع وكان اقبال رئيسا للجلسة فألقى كلمته الرياسية قال فيها (٦٠):

"لايجوز لاحد أن تخوفه كلمة الاجبار فكما ان تطعيم الجدرى قد فرض فرضا لازما اجباريا وهذا الالزام او الاجبار لايضر بالشخص الملزم او المجبر المكره على

ذلك الذى ياخذ التطعيم كذلك مشروع التعليم الاجباري يجب ان لايعترض عليه احد فكان التعليم الاجبارى كالتعطعيم الاجبارى للجدرى الروحي وفي الاسلام توجد فكرة آمرة بالتعليم الاجبارى (طلب العلم فريضة على كل مسلم) كما ان المسلمين قد أمروا باكراه اولادهم على اقامة الصلوات الخمسة"-

وكان البعض من الشيوخ ورجال الدين قد اعترضوا على منظومة "الشكوى" او "حديث الروح" بأنه يحمل جانبا من إسائُ الادب والاحترام فى حضرة الجلالة الالهية وقد عوض اقبال عن ذلك حين نظم حواب الشكوى او "الرد على حديث الروح" وقد انشدت هذه المنظومة في اجتماع شعبي عظيم فى خارج حديقة باب (موجي) في ١٩١٣م وقد حضر في هذا الاجتماع العظيم جموع حاشدة من الشعب وكان الغرض منه جمع التبرعات من اجل المجاهدين الاتراك ضد العدو في الحرب البلقانية وقد بيع كل بيت من هذه المنظومة بالمزاد العلني حتي اجتمع مبلغ ضخم لصندوق البلقان في ذلك الاجتماع-

ان الغاء تقسيم بنغال والسياسة البريطانية المعادية لتركيا كان مما احزن المسلمين واسخطهم على الانجليز فزاد الطين بلة بحادث (كانبور) في سنة ١٩١٣م وازد ادت الظروف الراهنة فسادا وخرابا وذلك ان الادارة المدنية في (كانبور) ارادت ان تسوى شارعا في المدينة وتهدم مسجدا رغم الاحتجاج الصارخ من قبل مسلمي المدينة مما جرح مشاعر المسلمين وعواطفهم فخر جوا في موكب حتي بلغوا المسجد فاخذوا يبنون جدرانها المهدمة وفي اثناء ذلك وصل المحافظ الانجليزي مع عدد من الشرطة بالمكان وامر باطلاق النار على المسلمين بدون تنبيه سابق وادى ذلك الى موت العديد من المسلمين بما فيهم الاطفال الصغار كما انه قبض على الكثير منهم وهذا الحارث جعل مسلمي الهند يحتجون احتجاجا صارخا واقترح مولانا محمد علي و مولانا شبلي بجمع التبرعات لاسر المستشهدين من المسلمين وحين اعلن عن الرجاء من اجل المساعدة القانونية للمقبوضين عليهم من المسلمين سافر اقبال مع (الميرزا جلال الدين) الى (كانبور) في ٧/ سبتمبر ١٩١٣م فقابل اقبال محافظ (كانبور) الانجليري وتحدث معه عن قضية المسجد الذى هدم وكان يرافقه (الخواجا حسن نظامي) ثم مسافر الى (اله اباد) في ٨/ سبتمبر حيث التقى بالشاعر (اكبر اله ابادي) ثم سافر الى دلهي حيث التقي به (حكيم اجمل خان) ثم عاد الى لاهور-

وكان الارهاب الهندوكي ضد تقسيم بنغال مما ارهب القادة المسلمين وخوفهم وفانشأوا الرابطة الاسلامية الهندية لندافع عن حقوقهم وفي ١٩٠٩م كانوا

قد وفقوا في التطبيق الجزئي لمبدأ الانتخاب المنفصل حسب الاصلاحات التي تعرف باصلاحات (مورلى منتو) الا ان الظروف كانت قد تغيرت وسياسة الولاء والوفاء نجليز من قبل القادة المسلمين جعلت الشعب المسلم يسحب ثقته بقيادة الرابطة الاسلامية الهندية واخذت فكرة تنشأ في اذها نهم بان الاعتماد على الانجليز لا ينفعهم ولا يفيد وان الطريق الوحيد لتحقيق الاهداف والحصول على الموافقة على المطالب من قبل الانجليز انما هو التفاهم والتعاون مع الهنادكة وهذا ماجعل الامير (وقار الملک) الذى كان خلفا صحيحا للسير سيد احمد خان يكتب بعض المقالات الصحفية فرد على هذه المقالات الشيخ شبلي في ١٩١٢م في سلسلة من المقالات كان عنوانها "موقف جديد في السياسة الاسلامية"-

ونقد الشيخ فيها سياسة الرابطة الاسلامية الهندية نقدالاذعا-

فكان مما كتبه الشيخ (شبلي) بانه قد حان للمسلمين ان ينتبهواذ لك لان السياسة التي كانوا يلقنون بها ككلمة التوحيد منذ الطولة هي ان الوقت لم يأن حتي الاٰن فيجب عليهم قبل كل شئي ان يفهموا السياسة واهم الشئي في ذلك هوالتعليم وانهم أقلية ومن ثم لا يفيد هم الانتخاب- فهذه هي الجمل والفقرات التي تكررت مرة بعد كرة حتي تمكنت وتست في عقولهم واذ هانهم فكل طفل مسلم يولد على هذه الافكار ويعيش طول عمره على تلك الافكار ايضا ومن الغريب المدهش ان الشبان المسلمين عندما يتناقشون في السياسة فيما بينهم فهذه هي الجمل والفقرات التي تتكرر على السنتهم كما تتكرر الفقرت على الجاكي (البيك أب)- ان الهدف الاسمى هوالذى يحرص الانسان على النشاط العلمى فما هوالهدف الاسمى للمسلمين وما هوتصب عينهم- أهوالحصول على الشهادات الجامعية وتشغيل الوطائف الحكومية الانجليز فهل بامكان هذا الهدف الاسمى ان يوقظ فيهم المعنوية السامية والمشاعر العالية وهل بامكان هذا الهدف ان ينعش فيهم اماني الحصول على الاهداف السامية ان النظرايات الدنيئة السافلة الضئيلة هي التي اضرت بالمسلمين كثيرا حتي توقف فيهم نموالشعور السياسي ولهذا السبب قد اصبح الكفاح من اجل لتحرير والاستقلال عصيانا وبغيا في لغتهم السياسية- على كل حال فان عصر الغفلة والاهمال قد انقضى وان المسلمين قد استيقظ فيهم الشعور السياسي والذي بقي عليهم هواعداد لائحة العمل في هذه المرحلة الحاسمة من الحياة فاذا كان السير/ سيد احمد خان قد منع المسلمين من الانضمام الى الكونجرس فقد كان هذا صحيحا نظرا الى المصالح المؤقتة في عصره ولكن

أليس من حق المسلمين أن يقوموا على قدم راسخة وان يبحثوا عن طريقهم فان بعض الاغراض تجمع بين الهنادكة والمسلمين كما ان بعض الاغراض لا تجمع بينهم اذا فمن الضروري ان يكون للمسلمين رصيف سياسي يقفون عليه في موقفهم السياسي وكان مماقال الشيخ (شبلي) (٦١):

"وعند ما نصل الى هذه المرحلة نري شيئا يظهر امامنا فجأة وهي الرابطة الاسلامية الهدية فما هذا الشئي الذي يبدو عجيب الخلقة غريبها فهل هذه هي السياسة؟ لاسمح الله! أهي معارضة للكونجرس؟ لا أهي مجلس اللوردات؟ نعم لان الملامح تدل على ذلک! ان اكبر مانقوم به من العمل ونقدمه على كل شئي في النقاش السياسي هو ان ندرك الحقيقة بان الرابطة الاسلامية ليست اليوم ولن تكون بعد الف سنة سياسية اطلاقا ان الفئة التي تعتقد بان النطق بكلمة هي سياسة اني لها ان تدرك الحقائق السياسية ادراكا صحيحا- ان السياسة انما هي مشاعر قومية شديدة وان هذه المشاعرلا تظهر في العقول الشعبية بعمل اجبارى او اكراه معين وانما تنشأ هذه المشاعر وتظهر تلقائيا في قعر الضمير فيجعل قلب الانسان وعقلد وجوارحه تنشط للعمل الفدائي- اما الرابطة الاسلامية الهندية فان ماحققته من الاعمال تدل على انه صوت صناعي اجنبي"-

وعلق ناقدا معترضا على الرابطة الاسلامية فقال:

"هل يمكن ان يكون صحيحا الى يوم القيمة والسؤال الاول الذى يطرح نفسه هو هل بامكان الرابطة الاسلامية ان تترك خصائصها وهي طلب الثروات والسلطة والمكانة والجاه ان هذه الرابطة في طلب الاضاحيك او البيادق الذهبية الملونة الا ان هذه الاضاحيك والبياديق لاكرامة لها في مجال السياسة وهل يمكن لثرى من الاثرياء الكرام او اقطاعي من الاقطاعيين الكبار الاغنياء من رجال البلاط الحكومي ان يكون على استعداد ليضحي بممتلكاته او اثره في الحكومة اومكانته لدى الحكام وذلك من اجل حركة شعبية تحررية- ان السوأل عن الاحوال الذاتية لشخص يعتبر اهانة وخلافا للاخلاق المدنية المعاصرة في ايامنا هذا- ولكننا اذا اكرهتنا الظروف الطارئة على ان نسأل عن الرابطة الاسلامية ماهي مكانتها المالية فان الجواب سوف يكون "انما مكانتها المالية ترجع الى يد خاصة سخية ومن ثم جمع مشاريع الرابطة الاسلامية واقترا حاتها واهد فها وارادتها تعمل تلقائيا باشارة من تلك اليد الخاصة السخية"-

وكان مما اقترح الشيخ شبلي ان لاتكون عضوية الرابطة الاسلامية مقصورة على الاثرياء وحدهم حتى لاتكون على صلة بعامة الشعب المسلم ويجب ابعاد

الامراء والاقطاعيين من المجلس التنفيذي للرابطة كما يجب ان يحل محلهم المسلمون الذين بامكانهم ان يعبروا عن ارادة الشعب تعبيرا كاملا ويجب التوسعة في اهداف الرابطة والتغيير في دستورها فيجب ان يكون من بين اهدافها هو حق تقرير المصير الشعب الهندى بدل الحصول على الفوائد الخاصة المحجوزة كما انه يجب ان تفتح فروع الرابطة في القرى لتتمكن الرابطة من معالجة المشاكل التي يواجهها الفلاح المسلم من الفقر والحرمان- ويجب على الرابطة كذلك ان تنظم سلسلة من المحاضرات لايقاظ الشعور السياسي الان الى جانب اعداد الكتيبات وتوزيعها تتناول المشاكل السياسية المعاصرة المختلفة ويجب على الرابطة الاسلامية ان تكثف جهودها للتوحيد بين الهناركة والمسلمين، ذلك التوحيد الطائفي الذي يمتاز بها العصر المغولي ويجب ان تتخذ سياسة الاعتدال وان تكون في جدول اعمالها القرارات التي تم اتخاذها في الكونجرس بالاضافة الى القرارات الخاصة التي تتعلق بالمسلمين خاصة وان الشئون التي يشترك فيها الهنادكة والمسلمون يجب النقاش فيها على رصيف سياسي مشترك وكذلك فان الوفود التي ترسل الى نائب الامبرا طور يجب ان تضم الاعضاء من الهنادكة والمسلمين معا-

وهذه الاراء أثارت ضجة في أوساط المتعصبين من المسلمين مماجعل الرابطة الاسلامية تحس بحاجتها الى الاصلاح ولم يكن لقادة الرابطة ان يعملوا بماكان قد قترحه الشيخ (شبلي) الا ان الرابطة قامت بتعديل يسير في دستورها في اجتماعها الذى عقد تحت رياسة السير (محمد شفيع) في ١٩١٣م بمدينة لكنؤ- وكان هذا التعديل اليسير هو اضافة الى اهداف الرابطة وهو حق تقرير المصير الذي يناسب الاوضاع في الهند الا ان هذا التعديل لم يرض الكثيرين ومن ثم تناول الشيخ (شبلي) كلمة "مناسب" في شعره الساخر وسخر من هذا التعديل-

وكان القارة السياسيون المسلمون الشبان يرون بان قيادة الرابطة القديمة لاقيمة لها ولا مكانة ومن ثم اخذ هؤلاء الشبان يتغلبون على قيادة الرابطة ويفرضون عليها أرائهم- وكانت الصحف الهندوكية تتخذ موقف التعاطف مع الاتراك المحرومين وكانت ترجوا القادة المسلمين بصفة مستمرة ان يتفا هموا مع الهنادكة وهذا ما جعل القادة السياسيين المسلمين الشبان يميلون الى الوحدة الشعبية الهندية ويؤيد ونها فبدأت الرابطة والكونجرس عقد الجلسات المشتركة-

ونحن لا نعثر على شئي يؤيد هذه النزعة السياسية الجديدة فيما كتبه اوقاله اقبال وذلك مما يدل على ان اقبالاً لم يتأثر بهذه النزعة الجديدة وانما ظل على

موقفه الذي كان قد اتخذه وهي فكره الملة الاسلامية او الامة المسلمة والسبب في ذلك ان اقبالاً كان يرى بان المسلمين في كل مكان لا يزالون يواجهون الهزية والفشل في كل موقف ومناسبة لانهم لم يعودوا يؤمنون بفكرة الملة الاسلامية وانهم يحاولون البحث عن طرق النجاح والا نقاذ على اساس الوطنية الضيقة التي جاءت لهم من الغرب وعلى اساس هذه الوطنية الضيقة يريدون ان يحافظوا على جنسياتهم القبلية- ويعتقد اقبال بان الوطنية الاسلامية او القومية الاسلامية لاتحتاج الى مكان اومنظمة ومن ثم كان اقبال يعارض الفكرة الوطنية الغربية في هذا الطور من شعره بكل جد ونشاط كمال انه كان يعلن بفكرة الملة الاسلامية او الاخوة الاسلامية-

وكتب في رسالة بعث بها الي(الخواجل حسن نظامي)في ١٩١٣م (٦٢):

"ان الاسباب الخمسة لليقظة الاسلامية في الهند التي ذكرتها في مجلتك "توحيد" لهذا الاسبوع صحبة مائة في المائة الا انك قد نسيت ان تذكر المصر الذي استفاد منه اقبال ذلك الذي اكتشف السر الحقيقي للقومية الاسلامية في حين كان اهل الهند في غفلة عن ذلك وان تاريخ شعره اقدم من جريدة "زميندار" و "كامريد" و "بلقان" و "طرابلس" ومما اعلى الامير وقار الملك من الحق ومن سوء حظ الشعراء ان اعمالهم مهما كانت صالحة او غير صالحة تظل مجهولة وان الانظار بطبيعتها تميل الى المرئيات والظوا هر في بادى النظروان هذه الرسالة لا تحدف الى "الشكوى" كما انها تهدف الى التشهير بما قام اقبال من الخدمات وان حسن نظامي يعرف جيدا بان صديقه (اي اقبال) ماجاء الى الدنيا بطبيعة تميل الى السمعة والشهرة ولكن الهدف الوحيد من هذه الرسالة هو اعلام الصديق المخلص (اى الخواجا حسن نظامي) بما اساء في فهمه ولكى لايرى صديق اقبال بان اقبالاً لم يقم باية خدمة في ايقاظ الامة الاسلامية في الهند"-

ورغم هذا كله فان اقبالاً كان قد عاش في حياته الخاصة في ظروف من اليأس- وكان يحاول ان يظهر بين اصدقائه كأنه فرح مسرور ولكنه لم يكن يبدى عن قلقه الخفي واضطرابه الداخلي وتوجد اشارة الى هذا القلق الداخلى الخفي في رسالة له كتبها في ٦/ اكتوبر ١٩١١م وبعث بها الى الشاعر اكبر اله ابادي حيث قال (٢٣):

"لاهور مدينة كبيرة جدا الا أنني اراني وحيدا بين هذا الجمع المحتشد ولا اجد شخصا واحد استطيع ان ابث اليه خفايا ضميرى ومشاعرى وعواطفي وما اجده في اعماق قلبي"

طعنه زن ہے ضبط اور لذت بڑی افشاء میں ہے
ہے کوئی مشکل سی مشکل رازد ان کی واسطے

ومعني البيت:

ان اخفاء السريطعن في المشاعر ويخز الشعور وختراً شديدا اما الاعلان بالسر فان فيه راحة وسرورا وهل توجد مشكلات اكبر من أن يمكن افضاؤها الى النديم صاحب السر-

وهذا اللورد (بيكون) يقول كلما كانت المدينة كبيرة ازد اد فيها وحدة الانسان بنفس المقدار وهذه هي حالي وانا في لاهور وبالاضافة الى ذلك فقد كنت قلقا منذ الاشهر الماضية بسبب الشئون المختلفة وكنت مكرها ان اقوم ببعض الاعمال رغم انها كانت تعارض طبيعتي و تزعجنى"-

ورغم ان اقبالاً كان قد عاد من اوربا الا انه لم يزل في اوربا من وجهة النظر النفسية وكان يضطرب ويحزن كل ما واجه الحقائق المرة في الحياة العملية ويرجع ذلك الى عناصر ختلفة ومن بينها المشاكل المالية و ثانيا الاضطراب والقلق في الحياة الزوجية فكان اقبال يعاني من القلق الداخلى والاضطراب الخفي في هذه المرحلة الخطيرة من حياة- وان التفكير في المشاهد والوقائع الجميلة التي مربها اقبال خلال اقامته في اوربا في مثل هذه الظروف كان يريحه فقد كان على صلة بالمراسلة مع الآنسة / (ايماوي، جى، ناست) في المانيا تلك الفتاة التي كان يقدرها اقبال لانها كانت طيبة صادقة (٦٤) في شعورها- وكذلك فان الرسائل التي بعث بها اقبال الى السيدة (عطيه فيضي) بين ١٩٠٩ و ١٩١١ تعبر عن عواطفه و مشاعره الداخلية- وكان اقبال يرى بان السيدة (عطية فيضي) هي من بين ذكرياته الطيبة خلال اقامته في اوربا- ومن ثم كان بامكانه ان يعبر عن حرمانه بين يديها بحكم موقفها التعاطفي معه وكان اقبال في حاجة الى وسيلة عاطفية يعتمد اولئك السيدات المثقفات العالمات- ومن اجل الادراك الكامل للظروف والاوضاع التي كان يمرها اقبال في هذا الطور من حياة يجب ان ندرس بعض العبارات المقتبسة من رسائل اقبال التي بعث بها الي السيدة (عطية فيضي) (٦٥):

"قد صعدت في السماء الليلة البارحة وقد مورت من ابواب جهنم بالصدفة فشعرت كانها باردة الى حد مخوف للغاية وكنت مندهشا فقيل لي ان هذا المكان بفطرته بارد الا انه يغلي غليانا شديدا بالحروذلك لان كل انسان يأتي بناره الخاصة به من الدنيا فعلى هذا انا مشغول الان في جمع ما امكن لى من الجمرات الملتهبة من النار لان بلادنا ينقصها معادن الفحم وقليلا مااتحدث الى الناس في هذه الايام- ان نفسي الشقية قد اصبحت معدنا للافكار المشئومة

تلك الافكار المشئومة التي تطلع من الزوايا المظلمة لجسمي كما تطلع الحيات من خبايا الارض المظلمة واعتقد بانني ساصبح حاوى الحيات واتجول في الازقة والشوارع وسوف يتبعني جماعات من الاطفال- ولكن لايذهب بك الظن بانني من القانطين اليائسين والواقع ان الحزن في نفسه يلذه الانسان ويتمتع به- انني اتمتع بحرماني دائما واضحك من الذين يعتقدون في نفوسهم بانهم مسرورون ارأيت كيف احاول ان اختطف سروری واختلس فرحي والست ادری ماالذی كنت قد كتبت اليك قبل هذا ومن ثم ارجوعفوك اذا وجدت رسالتي هذه لا ارتباط في معانيها وافكارها"-

وفي رسالة اخرى كتب اليها (٦٦):

"انني اعتزم على امر في بعض الاحيان ثم اترك نفسي على سجيتها وفي اوضاعها و ظروفها حتي تقود الى حيث تشاء- لاشك ان كل انسان ينتظر الوصول الى اٰخر مضجعه بكل صبر وعزيمة وانا ايضا اريد الوصول الى ذلك المكان لأطلب الى ربي الذي خلقني أن يوجه فكرى توجيها صحيحا وصدقيني بأن هذه العملية لن تكون سهلة وارجوك ان لا تقولي بانك لم تستطيعى أن تفهميني فانني انا شخصيا لا افهم نفسي وكنت قد قلت منذ امد بعيد عن نفسي:

اقبال بھی اقبال سے آگاہ نہیں ہے
کچھ اس میں تمسخر نہیں واللہ نہیں ہے

ومعني البيت:

ان اقبالاً ايضا لا يعرف نفسه ولايدرك اعماقها و والله العظيم لست اقول هذا استهزاء وسخرية وهزلا-

ولقد سائني ونأسفت طزنك وألمك بان اهل الهند الشمالية لا يحتر مونني حق احترام ولا يقدروني حق تقدير ولكن عليك ان لا تحفلي بمثل هذه الاشياء فانني لا اريد ان اعيش حياة تحتاج الى مايقول الناس عنها:

جینا وہ کیا جو ہو نفس غیر پر مدار
شہرت کی زندگی کا بھروسہ بھی چھوڑدی

ومعني اليت:

ليست هي الحياة التي تحتاج صاحبها الى غيره من الناس ويعول عليهم وعليك ان لا حتي بحياة الشهرة والسمعة-

انني اعيش عيشة ساذجة متواضعة ولكنها تقوم على الديانة والا مانة وان قلبي يوافق لساني موافقة تامة فيما اقول واعمل والناس يمدحون ويستحسنون على

النهر الخالد

اساس النفاق انني لوخيرت بين حياة الشهرة والعزة والتقدير يملأها النفاق والمكروبين موت في أحضان البؤس والخمول فانني ساختار الاخير وافضله على الاولي ولا يهمك عامة الناس الذين تحمل اعناقهم عددا من الرؤس "راون" (اله الهنادكة) ودعيهم يكرمون كل من يعيش طبقا لافكار العامة ونظرياتهم من الكذب والرياء والنفاق دينا واخلاقا- انني لا استطيع ان استسلم بين يدى تقاليد هم وعاد اتهم كما انني لااستطيع ان اقف فى سبيل الفكر الا نساني الحر- ان الذين "عاصروا" "بايرون" و "غوته" و "شيلي" لم يكونوا يكرمونهم حق اكرامهم- انني وان كنت اقل منهم في قوة الشعر ورصانته ولكنني اعتز على كل حال بانني اشاكهم على الاقل في هذا الاهمال وعدم الاعتناء من الاس- ولايمكن ان تعبدني الدنيا ولست ارانى اهلا لذلك لانني خلقت عبدا وجبلت على ذلك الا ان تيار الافكار الخفية الذى يضطرب في اعماق ضميرى وان الحقائق التي يكنها قلبي لو ظهرت على الناس وعملوا بها فانني على ثقة ويقين بانهم سوف يأتي عليهم يوم بعد موتي يرخعولى فيه ويقدروني حق تقدير وانهم سينسون عيوبي ويهملونها ويهدون لي دموع الاستحسان والتقدير واقفين على قبرى-"

الفصل التاسع

ازمة الحياة الزوجية

في ١٨٩٣م تزوج اقبال السيدة (كريم بي) حسب التقاليد الاسرية المتعارفة حيث قام بذلك كبار اسرته- ويبدو من بعض ما كتبه اقبال بان هذا الزواج لم يكن يرغب فيه ولم يعجبه الا انه لم يستطع ان يعارض كبار اسرته تكريما واحتراما لهم إذ كان طالبا في السادسة عشرة من عمره وقضي مع زوجته السنتين الاوليين في مدينة (سيالكوت) حيث كان اقبال قد دخل امتحان الثانوية المتوسطة خلال هاتين السنتين ثم سافر الى لاهور في ١٨٩٥م للحصول على المزيد من التعليم وقضى السنوات الاربعة الدراسية في دار الاقامة للكلية الحكومية بلاهور ولم يكن من الممكن السيدة (كريم بي) ان تعيش مع زوجها في دار الاقامة ومنثم عاشت خلال هذه المدة اما مع ابوى زوجها في (سيالكوت) او مع ابويها في مدينة (كجرات) وكانت تزور (سيالكوت) كل بضعة اشهر في بعض الاحيان اما اقبال فكان يقضي الاجازات الصيفية مع ابويه في (سيالكوت) كما انه كان يزور اصهاره في مدينة (كجرات) البضعة اسابيع في بعض الاحيان ورزق اقبال بالطفلين خلال هذه المدة فولدت له (معراج بيكم) في ١٨٩٦م ثم ولد له (آفتاب اقبال) في ١٨٩٨م ومن ١٩٠٠م الى ١٩٠٥م قبضى اقبال خمس سنوات موظفا بالكلية الحكومية وكان نازلا في منزل داخل باب (بهاتي) بمدينة لاهور القديمة وعاشت معه السيدة (كريم بي) خلال هذه المدة في المنزل نفسه ويرى (سيد نذير نيازي) بأن علاقة اقبال مع زوجته (كريم بي) كانت قد توترت خلال هذه المدة (١)-

ومن ١٩٠٥م الى ١٩٠٨م قضى اقبال السنوات الثلاثة في اوربا وعندما عاد من اوربا كانت ابنته (معراج بيكم) في الثانية عشره من عمرها وابنه (آفتاب اقبال) كان في العاشرة من عمره ويصرح (نذير نيازي) قائلا (٢):

> "وكانت السيدة (كريم بي) تأتي أحيانا الى لاهور عند اقبال بعد عودته من اوربا وكان يعتني بزوجته اعتناء كبيرا الا ان العلاقة بين الزوجين أخذت تشتد توترا حتى وصلت الى مرحلة الانقطاع النهائي رغم محاولات قام بها والد اقبال وشقيقه- وقد عاش اقبال خلال هذه الفترة حياة مضطربة قلقة للغاية ولم يبق لديه حيلة للصلاح غير الطلاق الا ان الزوجة لم تعجبها فكرة الطلاق نظرا إلى كرامتها وعزة نفسها واتخذ اقبال الكفالة على عاتقه قائلا بأنه لم يبق لديه حيلة

شرعية الا ان يطلق زوجته اويتحمل مسئولية النفقات لزوجته وهي تعيش في معزل عن زوجها "اما زوجتي فلم تعجبها فكرة الطلاق- اما انا فاتخذت على عاتقي مسئولية النفقات" وعليه فان اقبالاً كان يرسل لها مبلغا معينا في نهاية كل شهر بانتظام ولم يزل يرسل بالانتظام حتى خلال مرضه الاخير ثم لما طال المرض وواجه اقبال ازمة مالية كان لابد له ان يخصم من المبلغ المعين الا انه لم يزل يرسل لها ما استطاع ان يرسله لا وانا الذى بعثت لها المبلغ الأخير بحوالة بريدية كنت قد امرت بذلك فأتمرت بما امرت"-

أما كيف فشل زواج اقبال الاول فقد قيل الكثير عن هذا الموضوع وإن هذا الكثير ليس الا لغوا وهراء ولا اساس له فالزواج امر ذاتي للغاية وكثيراً ما يغشل في الحياة العملية وذلك اذا تصرف الزوجان او احد من اقاربهما واتخد خطوات عملية لا تقوم على العدل اوما يرفضه الطبائع البشرية ومما يؤسفنا اننا لا نجد شخصا الأن بامكانه ان يحدثنا عن الاسباب الحقيقية التي ادت الى فشل الزواج هذا الا ان المؤلف يرى بان هذا الزواج كان قد فشل بسبب الخلافات بين طبيعة الزوجين ومستواهما العقلي واثقافي فقد كان اقبال في السادسة عشرة من عمره حين تزوج، بينما كانت السيدة (كريم بي) في التاسعة عشرة من عمرها- وقد كان اقبال طالبا حينذاك وكان في حاجة الى المساعدة المالية- إما من ابيه أوشقيقه الاكبر ولم يكن لديه شئي يساعده في الاستقلال المعيشي وكان اقبال من اسرة متوسطة الحال- كان جميع اعضائها يميشون في منزل صغير وحيد في مدينة سيالكوت- اما السيدة (كريم بي) فكانت من اسرة غنية وكانت قد نشأت وترعرعت في دار من دور حارة "شالبافان" (اي منتجي الشالات) بمدينة (كجرات) وكانت الدار عبارة عن قصر كبير وكانت اسرة ابيها تتمتع بعز وكرامة بين اوساط المدينة وكان والدها الدكتور/ عطا محمد قد تعلم الطب (بكلية الملك ايدورد للطب بلاهور) وكان من اوائل المتخرجين بها(٣) ثم اختار التوظيف في المناصب الحكومية ورقي الى المناصب الكبيرة حتي انه كان قد عين ناءب القنصل للحكومة البريطانية بمدينة جدة وكان قد عين جراحا فخريا لناءب الامبرا طور البريطاني في ١٨٧٩م وخلعت عليه الحكومة البريطانية لقب "خان بهادر" في ١٨٨٨م وكان قد عين جراحا مدنيا في العديد من محافظات بنجاب وكان يعيش حياة كريمة فخمة حيثما حل، ورغم ان الدكتور/ عطا محمد كان من كبر الاثرياء الا انه كان متحمسا للدين عابدا صالحا وكان يحفظ القرآن الكريم وكان اقبال يبالغ في تكريمه ولم يزل على صلة طيبة به حتي مات ويحدثنا السيد / على بخش بان الدكتور / عطا محمد لم

يسمح لابنه الشيخ غلام محمد ان يسافر الى انكلترا للدراسات العليا الا ان اقبالاً قد حاول اقناع الدكتور/ عطا محمد باهمية السفر حتي رضي بذلك ولكن الشاب ذهب الى انكلترا فتزوج بامرأة انكليزية وطلق زوجته الاولى (٤)-

وبعد ان اكمل اقبال دراساة بالكلية الحكومية ووظف في وظائف دراسية واخذ يكتسب الرزق اكتسابا نزل في منزله داخل باب (بهاتي) واراد ان تعيش زوجته معه لكن السيدة (كريم بي) لم ان ترض ترافق زوجها وتعيش معه في لاهور وقد يمكن ان يكون السبب في ذلك هوراتب اقبال الشهرى القليل الضئيل الذى لم يكن يتجاوز اثنتين وسبعين روبية ثم زاد الراتب حتي وصل الى مائتي روبية بعد سنتين والى مائتين وخمسين روبية بعد اربع سنوات ثم سافر اقبال الى اوربا لثلاث سنوات واكبر ماواجهه اقبال من المشاكل بعد عودته من اوربا هو اكتساب الرزق والحصول على الوظيفة المهنية المناسبة وهذا الطور من حياة اقبال كان لاشك طور القلق والاضطراب ورغم المحاولات التي قام بها والد اقبال وشقيقه الاكبر لم يستطع الزوجان اقبال وزوجته (كريم بي) ان يحسنا ما بينهما من العلاقات وكانت السيدة (كريم بي) تحب ان تعيش مع اولادها عند ابويها- واما الظروف والكيفية الذهنية التي كان يمر بها اقبال في هذه المرحلة من حياة فتتضح من رسالته التي كتبها في ٩/ ابريل ١٩٠٩م وبعث بها الى السيدة (عطية فيضي) حيث اخبرها قائلا (٥):

"انني لاأرغب في الوظائف الحكومية وانما أتمنى وأرغب في الغرار من هذه البلاد بكل سرعة ممكنة وانت تعرفين السبب في ذلک، انني مدين لشقيقي وهذا الدين يشبه دينا اخلاقيا وهذا معايقف في سبيلي ويمنعني من الفرار- ان حياتي هذه هي حياة المصاءب ويمنعني من الفرار- ان حياتي هذه هي حياة المصاءب والاّ لام البالغة للغاية ان هؤلاء الناس يريد ون ان يغرضوا على زوجتي فرضا ويحملوني مسئوليتها سواء رضيت اولم ارض بذلك وقد كتبت الى والدى وصرحت له في رسالتي بانه لم يكن يملك السلطة على تزويجي وخاصة لانني وخاصة لانني كنت قد رفضت هذا النوع من الزواج في ذلك الوقت انني على استعداد ان اتحمل نفقاتها ولكنني لست على استعداد ان اعيش مع زوجتي واتعذب معها- في حياتي اليومية انني كانسان أستحق أن أتمتع بلاحياة وافرا حها ولورفض المجتمع او الطبيعة ان تعطيني ذلك الحق فانني سوف اخرج على المجتمع والطبيعة معا واعتقد بانه لا بدلي ان اخرج من هذا البلد الشقي او ألجأ الى الخمور التي تسهل الانتحار! ان الهياج الذى تثيره الكتب ذات الاوراق المجدبة ليس بامكانها ان تمنحني المتعة والسرور- ان نفسي تغلي غليانا من النيران في داخلها، تلك النيران التي بامكانها ان تحرق هذه الكتب وهذه العادات والتقاليد

الاجتماعية في نفس الوقت- ولعلك تقولين بأن هذه الأشياء كلها قد خلقها الله سبحانه وتعالى ويمكن ان يكون كذلك الا ان حقائق الحياة المرة تقودنا الى نتيجة تختلف تماما- ان الايمان بشيطان يملك القدرة المطلقة سهل بالسنبة الى الايمان بالله وارجو عفوك على مثل هذه الافكار السخيفة المرة- ولا اقصد التعاطف منك وانما اريد ان اخفف من الاثقال التي قد انقضت ظهري والتي أكابد منها واعالجها علاجا"-

وكانت النتيجة لهذا الزواج الغاشل ان طفلي اقبال حرما من الشفقة الأبوية- وان الاطفال في مثل هذه الظروف يتعاطفون مع امهاتهم عادة وكانت الآنسة (معراج بيكم) والسيد (آفتاب اقبال) يعيشان مع امهما عند اخوالهما حيث قضى كل واحد منهما طفولته و شبابه وعند ماكبر كلاهما اخذا يعيشان مع الجد والجدة في سيالكوت ولم يكونا يلتقيان بابيهما الا نادرا ورغم هذا فان اقبالاً كان يحب ابنته (معراج بيكم) حبا كثيرا وكانت البنت تتعذب بالعلاقات السيئة المتوترة بين ابويها وكان قلبها يتحرق ذلك الا ان المسكينة لم تكن تملك حولا ولا طولا- وفي النهاية مرضت المسكينة وهي لاتزال طفلة بمرض السل الذقني- وماتت في التاسعة عشرة من عموها في ١٧/ اكتوبر ١٩١٥م- اما (آفتاب اقبال) فكان حبيبا مكينا عند جده وهوالذي كان قد سماه عند مولده الا انه لم يجد الشفقة الابوية ولم يرضه الطبع الخشن الذي كان يتمبر به عمه الاكبر وكلما كبر (آفتاب اقبال) اخذ يستيقن بان اباه قد ظلم امه ظلما وكانت النتيجة ان الخلافات اشتدت بين الوالد وابنه ورغم المحاولات التي قام بها اصدقاء اقبال لم يكن من الممكن ان تزيل سوء التفاهم بينهما حتي ان الصلاحات بينهما انقطعت نهاءيا واقبال لايزال حيا (٦) وعن ذلك يحدثنا (نذير نيازي) قائلا (٧):

"ان هذا الزواج كان قد فشل بلاشك والسبب الوحيد في ذلك هوالفارق بين عقلية الزوجين بالاضافة الى الظروف العائلية واعتقد ان هذا الزواج كان قد تم في عجلقوكلا الطرفين لم يأخذ بالحذ روالاحتاط وكان محمد اقبال قد انفق اقصي جهده للتوفيق والوئام ولكنه فشل في ذلك فمن ناحية كانت ام آفتاب تملك العقلية العجيبة والطبيعة الغريبة ومن ناحية اخرى هوالسلوك الذى سلكه (آفتاب اقبال) فاخذت الظروف تتغير والعلاقات تفسد بين الزوحين وكان (الدكتور/ سيد محمد حسين شاه) قد قام بجهود للاصلاح بين الزوجين ولكنه هوالاخر قد فشل في محاولاته هذه ولما كان محمد اقبال على حق في موقفه فان الدكتور (شاه) اوأحد من اصدقائه لم يتدخل في ذلك نظرا الى الموقف العادل

الذى كان قد اتخذه اقبال وقد قال بعض الناس اشياء كثيرة عن زواج اقبال هذا ايضا ولكنها لا أساس لها اطلاقا وان كاتب هذه الاسطريرى على اساس معلوماته وانه لا يتردد في ان يقول بان الموقف الذى اتخذه اسرة زوجة اقبال انما كان موقفا يمتازبه سكان مدينة (كجرات) وكذلك (آفتاب اقبال) كن قد ضل الطريق السوى حتى اثار المعركة الهاءجة ضد والده واتهمه بتهم هوبرئ منها ولا أساس لها"-

وترى السيدة (عطية فيضي) بأن هذا الزواج الفاشل كان سببا في اخماد العواطف والمواهب والصلاحية الابد اعية في اقبال حتى انه لم يسطع ان يكون "اقبال" الذى كان يؤهله له العلم والثقافة الواسعة حيث كان بامكانه ان يكون عبقريا اكبر مما كان وان هذه الحوادث التي حدثت في هذا الطور من حياة هي التي جعلته يكتب ويقول الذى نجده في مؤلفاته الكثيرة وكذلك فان السيدة (عطية فيضي) تري بان الائتمار بأوامر الكبار تحت التقاليد والضغوط الاجتماعية تفسد الحياة على الكثيرين من الرجال العباقرة والنسوة العبقريات وحياة اقبال هي مماتمثل المأساة التي تكون نتيجة محتومة لمثل هذه التقاليد العائلية وتضيف السيدة (عطية فيضي) قائلة (٨):

"ان اقبالاً الذي عهدته في اوربا لم اجده في الهند حيث كان قد فقد الكثير من شخصية- ان الذين لم يقدر لهم ان يسعدوا برؤية اقبال وزيارة في شببه ليس بامكانهم ان يقدروا المواهب والصلاحيات التي كان يملكها تلك التي كانت الطبيعة قد منحته اباها والتي كان بامكانه ان يحقق بها من الاعمال المجيدة- ان مواهبه وصلاحياة كانت قد اصيبت بآفات حتي فقدت رونقها وابداعها حتى ان هذا المرض استولى على جميع مشاعره و مواهبه بمرور الزمن والايام وكان اقبال يعتقد بانه يعيش حياة لاقيمة لها ولا رونق- وكان يشعر بشئي من الهبوط والاحياط وذلك لانه كان يعرف مدى مواهبه وقدراته الابداعية"-

ان هذا التعليق للسيدة (عطية فيضي) لايقوم على الحقائق الاصلية، لاشك ان هذا الطور القصير من حياة اقبال كان طور التعذب العقلي والقق الروحي- ان لحظات حياة اقبال التي كان قد قضاها في الجامعات الاوربية انما كانت حياة طاءر لايعرف غير السرور والفرح

كان قدنسي الحقائق المرة من الحياة ولكن اقبالاً عاد من اوربا فكان لابدله ان يواجه الحقائق المرة من الحياة وفي بعض الاحيان كان القلق العقلي أوالتعذب الروحي يبلغ الغاية ويجعل اقبال يفكر في لحظات حياة التي فضاها في اوربا تفكيرا رومانسيا ويكتب الرسائل الى السيدة (عطية فيضي) فيتأسف على ماقضاه من

لحظات الفرح والمتعة الذاهبة التي لن تعود ابدا- (٩) على كل حال فان هذه الكيفية العقلية والروحية من التعذب والتأسف كانت مؤقتة ولم يكن بامكانها أن يعطل مواهب اقبال غير العادية تعطيلا نهاءيا- اماجهة مواهبه الابداعية فقد كان محددا معينا منذ وقت طويل- اما ظهورها وبروزها في القالب الشعرى أو النثرى فكان ينتظر من اقبال- ان هذه الكيفية القلقة المضطربة انما كانت عقبة من عقبات الطريق لاغير وقد اثرت في نفس اقبال تاثيرا نافعا ومفيدا- فقد كانت تجربة نفسية مرها اقبال فهزته هزا وجعلته يتحرر تحررا نهائيا من قيود الشعرا الرومانسي الذى كان اقبال قد اخذ يميل اليه تحت تأثير الادب الالمانية ودراستها وذلك لان اقبالاً اجتاز هذه المرحلة من الحياة القلقة المضطربة فلم يقل اولم يفكر في ان يقول منظومة من امثال منظومته التي عنوانها "حين رأيت هرة في حجرها" او "حين قدمت لي هدية الورد" ومن الممكن ان تعتر بعض منظومات اقبال لتي قالها في اوربا او التي قالها بعد عودته منها شعرا رومانسيا كما يسميه نقاد الشعر في مصطلحاتهم الادبية والفنية الا انه لم يكن شاعرا رومانسيا اصلا وعليه فليس صحيحا ما استدل به البعض بان اقبالاً لولم يمربهذه المرحلة القلقة المضطربة لكان بامكانه ان يصبح اكبر واكثر مماكان- ان اقبالاً قد اصبح اخر الامر ماقدر له ان يصبح سواء مربتلك المرحلة القلقة المضطربة أولم يمربها-

وقد كان اقبال يبحث عن متعة الحياة الزوجية كما انه كان يبحث عن الوظيفة المحنية او العمل وكان قد بلغ الواحدة والثلاثين من عمره حين عاد من اوربا- ان اقبالاً وان لم يكن قد طلق زوجته الاولى الا انه كان قد فارقها فراقا مستقلا وبذلك انتهت الازمة الشديدة التي كان اقبال يعاني منها والتي كانت نتيجة الخلاف والتوتر في العلاقات بينه وبين زوجته الاولى- وكان اقبال قد راى نموذ جين من متعة الحياة الزوجية اولها ما راه اقبال من الحب المتبادل بين السير (اكبر حيدرى) وبين حرمه (١٠) (الى جانب سعادة الحياة الزوجية التي كانت تفمر المنزل الذى ولد فيه ونشأ وترعرع وهي حياة ابويه، المترجم)-

وكان اقبال بالاضافة الى ثقافته العالية رجلا وجيها احمر اللون واسع الجبين كبير الحاجبين متلألأ العينين أشم الأنف رقيق الشفتين تغمرهما الشوارب بنية اللون وكان بنى الشعر متوسط القامة ومتناسب الجسم ناعم اليدين- وكان يلبس بدلة سوداء بعد عودته من أوربا وعلى رأسه طربوش وكان يلبس نظارة احادية الزجاجة (١١)-

وكان اصدقاء اقبال على علم بانه يرغب في الزواج الثاني وحتى عموم الناس قد الموا بذلك ومما يدهش انه رغم تحمسه وتحفظه كان بعض السيدات المثقفات يرسلن اليه الرسائل كما ان البعض منهم كن يرسلن رسلهن بالخطبة وحتي ان البعض منهن كن قد زرنه في منزله فالتقين به (١٢) وكان بأمكان اقبال أن يتزوج سيدة مثقفة منهن اذا اراد ذلك ورغم انه كان مثقفا الا انه لم يترك التحفظ في بعض شئون الحياة ويبدوان اقبال كان يبحث عن سيدة بامكانها ان تكون زوجة صالحة وتكون في سلوكها على صلات طيبة عميقة مع اسرة زوجها-

واما زواج اقبال الثاني الذى قد تم في ١٩١٠م فيحدثنا (الميرزا جلال الدين) عن ذلك ويقول بان الشيخ (جلاب دين المحامي) من اصدقاء اقبال كان قد اتصل باسرة كشميرية داخل باب (موتشي) من مدينة لاهور القديمة وفي هذه الاسرة الكشميرية كانت بنت كريمة تدرس في مدرسة فكتوريا الثانوية وعند ما وافقت هذه الاسرة على الزواج جاء شقيق اقبال الاكبر من (سيالكوت) فذهب الى اصهار اقبال الجدد يرافقه (الميرزا جلال الدين) و (ميان شاه نواز) و (شيخ احمد دين) والشيخ (جلاب دين) بالاضافة الى اقبال نفسه حيث تمت عقدة النكاح مع السيدة (سردار بيكم) ولم يتم التوديع بهذه المناسبة وانما تمت عقدة النكاح فقط (١٣) (حيث تبقى العروس عند ابويها حسب التقاليد المحلية وتأتي مرحلة توديعها وزفافها الى بعلها فيما بعد)

وأما (علي بخش) فانه يحدثنا عن زواج اقبال الثاني ويقول بانه هو و اقبال وامه كانوا قد خرجوا ليزوروا بعض الاسر الكشميرية بخصوص زواج اقبال- فالتقت بهم امرأة حلاق (ومن التقاليد المحلية المتعارفة ان نساء الحلاقين يتوسطن بين الاصهار للزواج) وهم عائدون وكانت من اهل سيالكوت فسلمت على ام اقبال فاخبرتها ام اقبال بانها خرجت تبحث عن عروس لابنها الصغير وحين سمعت امرأة الحلاق ذهبت بأم اقبال الى اسرة السيدة (سرد اربيكم) وعند ما رأتها ام اقبال عجبتها وقدرت في نفسها بأنها هي سوف تكون زوجة تصلح لابنها (١٤)- وأما التفاصيل التي وصلت الى المؤلف عن عقد القران بين السيدة (سردار بيكم) واقبال من طريق (شيخ بشير احمد بن منشي طاهر الدين) فتختلف الى حدما وطبقا لهذه التفاصيل فان اقبالاً كان يريد ان يختار لنفسه زوجة بنفسه اولا وكان اخوالسيدة (سردار بيكم) (الخواجا عبدالغني) من اصدقاء (منشي طاهر الدين) وكان (الخواجا عبدالغني) وشقيقته (اي سردار بيكم) من اسرة كشميرة فقيرة تعيش داخل باب (موتشي) وكانا قد نشئا يتيمين وربتهما عمتهما التي كان زوجها

يعمل ككاتب الطلبات في محكمة المحافظة- وأما السيدة (سردار بيكم) فانها لم تلتحق بمدرسة قط وانما درست القران الكريم وتعلمت الكتابة العادية باللغة الاردوية في بيتها- واما شقيقها (الخواجا عبدالغني) فقد كان يشتغل تاجراً للسجاجيد وعندما تحدث (منشي طاهر الدين) الى اقبال عن زواجه من السيدة (سردار بيكم) رغب اقبال فيها وطلب صورتها منه وحصل (منشي طاهر الدين) على صورتها من شقيقها (الخواجا عبدالغني) وقال له بانه سوف يرسل الصورة الى ام اقبال في (سيالكوت) وعند ماراٰى اقبال صورة السيدة (سردار بيكم) اعجبته ثم جاءت ام اقبال من سيالكوت الى لاهور فذهبت الى بيت السيدة (سردار بيكم) وتحدثت مع اسرتها عن الزواج فتم الاتفاق بين الاسرتين على الذواج ثم ذهب اقبال مع امه وشقيقه الاكبر وبعض الاصدقاء الى بيت اصهاره حيث تم عقد القران على السيدة (سردار بيكم)-

اذا صحت هذه التفاصيل كلها اوبعضها فان الحقيقة الواقعة هي ان السيدة (سردار بيكم) لم تتعلم في مدرسة وتم عقد قرانها مع اقبال في ١٩١٠م وتمت عقدة النكاح وبقيت مرحلة توديع العروس ويرى المؤلف ان السيدة (سردار بيكم) كانت في السنة التاسعة عشرة او العشرين من عموها تقريبا- اما لماذا أجل التوديع ولماذا اكتفوا بعقدة النكاح فقط فالسبب في ذلك ان اقبالاً كان قد استلم رسالتين مجهولتين تناولتا سيرة السيدة (سردار بيكم) ولوكها وكان فييها نقد للسيدة (سردار بيكم) مماجعل اقبالاً يكابد من التردد والاضطراب الشديد- فان هذا الطور من حياته كان طور القلق الذهني وكان قد فارق زوجته الاولى واما الزوجة الثانية فسمع عنها هذا النقد والتجريح في سيرتها فذكر ذلك لاصدقائه فاحتملوا مسئولية البحث العميق عن المشكلة- على كل حال فكان اقبال قد عترزم على ان يطلق السيدة (سردار بيكم) ويبحث عن زوجة مرة ثالثة حتي مضت ثلاثة اعوام واقبال يكابد ويعاني من هذا التردد والتشكيک-

واخيرا جاء سيد (بشير حيدر) مفتش الضراءب بمدينة (لوديانة في الهند) وكان من اصدقاء اقبال القدماء فعرض عليه الزواج مبعوتاً من قبل السيدة (مختار بيكم) التي كانت من اسرة كشميرية غنية في مدينة (لوديانه) واما اسرة السيدة (مختار بيكم) هذه فكانت تسمى اسرة (نولكيه اي الاسرة التي كانت تملك مليون روبية الا مائة الف اوتسمع مائة الاف روبية) وعندما تم الاتفاق بين الاسرتين على الزواج خرج اقبال في موكب عروسي من لاهور فذهبوا الى (لوديانه) ولايذكر

(الميرزا جلال الدين) في تصريحه هذا تاريخ الزواج او سنته (١٥) كما ان (عبدالمجيد سالک) ايضا لايذكر السنة حين فصل القول عن زواج اقبال هذا (١٦) واغلب الظن ان هذا الزواج كان قد تم في بداية ١٩١٣م فعاد اقبال الى لاهور مع عروسه الجديدة (مختار بيكم) ونزلا في المنزل الواقع في سوق انار كلي-

وفي اثناء ذلك كان الميرزا (جلال الدين) واصدقاء اقبال الاٰخرون قد بحثوا عن الرسائل المجهولة التي كانت قد وصلت الى اقبال عن سيرة السيدة (سردار بيكم) وسلوكها فتبينوا ان هذه الرسائل المجهولة كان قدكتبها احد المحامين الذى كان يريد ان يزوج ابنه من السيدة (سردار بيكم) واما السيدة (سردار بيكم) التي كان عقد قرانها قد تم الى اقبال والتي تعذبت خلال السنوات الثلاثة كانت قد اجترأت على ان تكتب رسالة بخط يدها وترسلها الى اقبال وتقول له بانه قد اساء حيث صدق البهتان وكان عليه ان لا يصدق ذلك ثم اضافت قائلة "ان عقد الزواج بينى وبينك قد تم ومن المستحيل ان افكر في الزواج من رجل اخر غيرك وسوف اقضي حياتي كلها في عقدك على هذه الحالة وسوف تكون مسئولا عن ذلك بين يدى الله يوم القيمة" (١٧)-

اما اقبال فقد زاد قلقه واضطرابه حين قرأ الرسالة وندم على الخطأ الذى ارتكبه فاخبر السيدة (مختار بيكم) عن ذلك وقد كانت هي سيدة رقيقة القلب حليمة الطبع للغاية ولم تكن تستطيع ان ترى الاٰخرين يتعذبون ويمانون من الاٰلام وحينما عرفت قضية السيدة (سردار بيكم) حزنت واخذت تبكي واخيرا قدر قبال أن ياتي بالسيدة (سردار بيكم) الى منزله لتعيش معه كزوجة الا انه كان قد اعتزم مرة على ان يطلقها فراٰى من المناسب ان يتم عقد النكاح مرة ثانية فتم ذلك في اغسطس او سبتمبر ١٩١٣م (١٨) وذهبت السيدة (مختار بيكم) الى ابويها في مدينة (لوديانه) خلال تلك الفترة واما اقبال فاخذ السيدة (سردار بيكم) وذهب بها الى سيالكوت- وبعد بضعة اسابيع اجتمعت الزوجتان في ذلك المنزل في سوق انارکلي وكانت السيدة (مختار بيكم) والسيدة (سردار بيكم) تتقاربان في سنهما فعقد الود بين قلبيهما كمايكون بين الاختين الشقيقتين او اكثر من ذلك ويذكر اقبال زواجه من السيدة (سردار بيكم) في رسالة بعث بها الى الامير (كيشن برشاد) في ٢٦/ اكتوبر ١٩١٣م حيث قال (١٩):

"اما الزوجة الثالثة فلم اكن في حاجة اليها بعد ان غادرتنا ولكن لها قصة غريبة وهي من عجاءب القصص الغرامية فلم يكن اقبال يرضى ان يترك امرأة ولا يتزوجها وهي امرأة تابدت وتعذبت لثلاث سنوات بكل تحمس وثبات مدهش

وياليتني عرفت هذه الظروف قبل الزواج الثالث"-

وكان اقبال قد هجر زوجته الاولى من اجل الحياة الزوجية السليمة السعيدة فكان قد فارق السيدة (كريم بي) لانه كان يريد ان يتزوج من امرأة تكون رفيقة صالحة لحياته الزوجية ولكن الظروف اتخذت شكلا غريبا مما جعله يتزوج من امرأتين بدل ان يكون زوجا لامرأة واحدة-

والمنزل الذى كان يقع في سوق انارکلي والذي كان (على بخش) يعيش مع اقبال فيه قد اصبح منزلا عامرا في ١٩١٣م حتى اصبح يمثل منزل الاسرة القديمة في (سيالكوت) فقد كانت شقيقة اقبال (كريم بي) التي كان زوجها قد هجرها اخذت تعيش مع شقيقها اقبال بالاضافة الى زوجتيه السيدة (مختار بيكم) والسيدة (سردار بيكم) كما ان زوجة اقبال (سردار بيكم كانت قد اخذت معها ابنتي شيخ (عطا محمد) الصغيرتين وهما (سيما بيكم) و (عنايت بيكم) معا اضاف الى عمران المنزل ورونقه وبدأ النازلون به يعيشون حياة المتعة والسرور وكان اقبال يعود مساء من عمله تعبانا مكدود فيلجأ الى لعبة الاوراق او لعبة (لودو) مع اخته او زوجتيه كما انه كان يشارك بنات شقيقه في النكت والمزاج او يصعد سطح المنزل فيلعب بالحمام وكانت شقيقة اقبال وزوجتاه الححن عليه ان يأتي بزوجته الاولى فجاء بها وهكذا اتيح لزوجة اقبال الاولى (السيدة كريم بي) ان تشارك الاسرة في متعتها وفرحها وهي نازلة في منزل بوق انارکلی الاانها لم تعش معهم الا بضعة ايام-

وكان اصدقاء اقبال يحضرون عنده فيجتمعون في قسم الرجال من المنزل ويتجاذبون الوان الحديث وكان يزوره الشاعر (الجرامي) فينزل عنده ويبقي لديه اياما واما خلال الاجازات الصيفية فكانت الاسرة تتحول الى سيالكوت حيث يقضون الاوقات في جو من المتعة والسرور والرونق والحبور-

وفي يوليو ١٩١٣م جاء صديق اقبال الامير (كيشن برشاد) الى لاهور فاستقبله اقبال في محطلة لاهور للقطار أخذ اقبال يخصص معظم وقته ليقضيه مع صديقه الامير (كيشن برشاد) خلال اقامته في لاهور كما ان اقبال كان يرافق صديقه هذا الى مسرح (آغا حشر كاشميري) بلاهور فيتفر جان ويتمتعان بالمسرحيات-

وفي هذه السنة نفسها سافر اقبال الى امارة (الور) لان السير (سيد على امام) كان قد اخبر اقبال بان امير (الور) في حاجة الى امين سرله وانه كان قد

ذكر اسم اقبال في حضرة الامير مرة فقال فيه خيرا فوصل اقبال الى (الور) وايضا رافقه (منشي طاهر الدين) و (علي بخش) في هذه الرحلة- فنزلوا في دار الضيافة الملكية وحين التقي اقبال بالامير وعرف بان الراتب الشهرى للوظيفة لايزيد على ستمائة روبية فقط رأى اقبال بان الراتب قليل ضئيل جدا- ومن ثم عاد الى لاهور بدون اي نقاش في الموضوع(٢١) ويذكر اقبال ذلك في رسالته المورخة في اول اكتوبر ١٩١٣م الى الامير (كيشن برشاد) فيقول (٢٢):

"قد اتضح لي من حديث صاحب السموامير (الور) بانه يريد ان يوظفني عنده الا ان الراتب الشهرى للسكرتير الخاص كان ضئيلا قليلا للغاية فلم يعجبني ذلك ولم ارض به وبالا ضافته الى ذلك فان الآثار تدل على ان بعض الناس قد الح على الامير ان يخصص الوظيفة لهندوكي من الهنادكة ولعل ذلك كان صوابا فهذا هوالسبب الذى منعني عن الذهاب الى (الور)"-

ثم بعث اليه رسالة اخرى في ٢٦/ اكتوبر ١٩١٣م فاخبره فيها قائلا (٢٣):

"وان من الاسباب التي جعلتني لا ارضى بالوظيفة الحكومية عند امير (الور) هو ان الراتب الشهرى كان قليلا ضئيلا جدا وبينما انا اكتسب مبلغا من الروبيات بين سبعمائه الى ثمان مائة شهريا وانا في لاهور وهذا المبلغ يكفي لنفقاتي الذاتية بل هو اكثر منها الا انه لا بدلي ان اقضى حوائج الذين انا مسئول عن نفقاتهم وهذا ما يجعلني اخرج في سبيل البحث عن الموارد المختلفة- ان شقيقي الاكبر الذي كان قد انفق على ما اكتسبه من المال خلال وظيفته الحكومية من اجل دراساتي العليا قد تقاعد الان فلابد ان اتحمل مسئولية نفقاته واولاده جميعا ولا بدلى ان اتحمل هذه المسئولية بكل سرور و عندى ثلاث زوجات وطفلان وجملة القول فهذه هي الظروف التي تكرهني احيانا على ان اخرج في سبيل البحث عن الموارد المختلفة"-

وكان الامير (كيشن برشاد) خلال اقامته بلاهور قد تأثر باقبال واحبه واعجب به مماجعله يعرض عليه منحة مالية مناسبة لينقذه من التفكير في اكتساب الرزق الا ان اقبالاً رفض هذه المنحة باسلوب حسن جميل للغاية فها هوذا يقول في الرسالة التي مرت بنا آنفا:

"ان اهتمامك الخاص بامر اقبال ممالا يمكن لي ان أوفي مشكرك عليه فان الاهتمام بامر الا صدقاء الفقراء من الخصائص التي تمتازبها اسرتك الكريمة وكيف لا وانت فرع شجرة قد استظل بها الكثيرون من اهل الهند واستفادوا منها وتمتعوا بها- اما انا فقد جئت ببضاعتي اى كسيرات القلب الجريح المقطع في سوق الكرام حين ارتحلت منها قافلة التجار الكرام، الله يحفظك فانني اجد فيك

رائحة انسان نبيل واز، سخاءك وكرمك ليس مقصورا على زمان و مكان معين وذلك مما يغنني عن كل شئي الا ان المروة والجودة تأبى ان يقبل اقبال هذه المنحة الغالية ولا يقوم باية خدمة تكون تعويضا لهذا المبلغ الكبير من الراتب الشهرى ولعل الله يحدث بعد ذلك امكانا يجعل اقبالاً يعيش معك ظاهرا ماديا كما انه يعيش معك الاٰن قلبا وروحا وان الاسلوب الذى اتخذته في الاهتمام باقبال يدل على سعة الصدر ونبل المحتد وكرم الاخلاق وسيبقى ذكرى خالدة في تاريخ المروة والغتوة دائما"-

وكان اعداء اقبال ومعارضوه قد اخذوا يتهمونه بتهم مختلفة وهولا يزال حيا الا ان اقبال لم يحفل بهذه التهم الموجهة اليه ولم يهتم بها كثيرا وكان الناس قد اتهموه بشرب الخمر وهو حي وكانوا يتهمونه بانه خليع سكير واختلقوا قصة اشاعوها عنه قائلين بانه كان قد قتل مومسا وهوشاب وقبل ان اتحدث عن شئي في الدفاع عن اقبال حول هذه التهم الموجهة اليه لابدلي ان ارد على بعض الاسئلة اولا: من الذين عارضوا اقبال وعادوه؟

ثانيا: متى بدأت مهمة الشائعات ضد اقبال وتشويه سيرته الشخصية؟ ثالثا: ماهي مدى مسئولية اقبال عن توجيه هذه التهم واشتهارها تلك التي لااساس لها؟

كان اقبال رجلا اكتسب شهرة وهولا يزال شابا يافعا وان الشخصيات مثل هذه تثير دائما عواطف الحقد والحسد في نفوس من يعرفونها ومن ثم كل مازاد عدد انصار اقبال والمعجبين به اخذ اعداؤه و معارضوه يزد ادون بنفس المقدار-

أما الفئة الاولى ممن عارض اقبالاً اوعاداه فهم اهل اللغة الاردوية من مدينة دلهي ولكنؤ فالكثيرون من هؤلاء الناس نقدوا اسلوب اقبال الشعرى وبحثوا عن عيوب فيه وفي شعره بسبب التعصب اللغوى الا ان هذه المعارضة لها جانب اٰخر وهو ان البعض من المعارضين كانوا من الشعراء التقليد يين الذين استمروا يحبون الاسلوب الشعرى القديم من عصرالانحطاط وكانوا يهتمون به اهتماما بالغا- وكانوا قد عضوا عليه بالنوا جذ ان هؤلاء المعارضين من الشعراء التقليديين كانوا يرون بان ابداع الشعر وابتكاره لايمكن الا اذا تعاطى الشاعر الخمور واتبع حياة المومسات وغرا مهن ولم يكن من الممكن بهم ان يستأنسوا بماأوجده اقبال من الاسلوب الشعرى الجديد ومن ثم كانوا يشيعون عن اقبال من الشائعات ويتهمونه بما كان منه بريئا ليحققوا بان اقبالاً لايختلف عنهم كشاعر ويجدر بالدراسة العميقة ماقاله الباندیت (شيفا نارائن شميم) عن ذلك قائلا (٦٤):

"وبالصدفة التقيت بشاعر على المحطة فعرف نفسه قائلا بان اسمه جلال وانه

من تلاميذ (امير مينائي) وانه سمعني اتحدث باللغة الاردوية فظنني هنديا وحين تعارفنا اخذ يتحدث عن اقبال وينقده ويعيبه وحين اخبرته بانني من سكان لاهور سألني قائلا: كيف حال حضرة اقبال؟ فاخبرته بانني استفيد منه وهو يصلح شعرى احيانا- ثم اضاف قائلا ان اقبالاً يهتم بتربية الحمام وانه اعرض عن المحاماة وكان يقول بانه يعرف اقبالاً معرفة حيدة حيث التقي به في مدينة (آجره) بالهند واتصل به اتصالا جيدا فوجده يميل الى الوان اللهو والمتعة فقلت له ياسيدى ربما ابلغك شخص عن اقبال فاخطأ في ذلك فقد رأيت حضرته يأتي الى المحكمة كل يزم ويشتغل بمهنته المحاماة واما قرض الشعر فهو شغل ثان عنده والان يكثر قول الشعر بالغارسية وايضا قلت له ان اقبالاً في اصله ونسبه كان بضاعة الهنادكة الا انها الآن قد تحولت اليكم انتم المسلمون فرأيت آثار الحيرة والد هشة على وجه ذلك الشاعر"-

أما الفئة الثانية من معارضي اقبال والتي اخذت تزد اد شيئا فشيئا فهي فئة الشيوخ او رجال الدين من الجهلاء وقليلى العلم وضيقي الافق وكان اقبال قد اطلع على آراء (السير سيد احمد خان) الثورية الاسلامية وكان من المعجبين به- أما افكار (السير سيد احمد خان) الدينية والسياسية فان اقبالاً كان يرى بانها في حاجة الى الاصلاح والنقاش وكان رجال الدين الرجعيين التزمتين يعارضون (السير سيد احمد خان) منذ البداية فقد كانوا يرون بان كل من تحدث عن التجديد الفقهي والكلامي وهي حاجة المسلمين اليوم فهو من المبتدعين المتغربين- وبالاضافة الى ذلك فان اقبالاً كان قد سخر من هؤلاء الشيوخ المتزمتين في بعض منظوماة الشعرية في المرحلة الاولى من شعره الاسلامي وذلك لأن اقبالاً كان يعتقد بان هؤلاء الشيوخ الذين لم يتعلموا الا قليلاهم الذين قد اضروا بالنهضة الاسلامية ووقفوا في سبيلها (٢٥)- كما ان اقبالاً كان قد عارض المشائخ الذين كانوا يميلون الى الفكر الكونجرسي في اغلاق الكلية الاسلامية بلاهور وعدم التعاون من قبل طلابها وذلك حين كانت حركة الخلافة قد وصلت الى قمتها وكان الكثيرون من الشيوخ الهنديين قد انضموا الى الهنادكة في الحركة السياسية التي عرفت بحركة ترك الموالاة او عدم التعاون (٢٦)- ثم جاء عصر الملك عبدالعزيز ابن سعود فاخذ يطهر الحجاز من رواسب الشرك والبدعة مما جعل العلماء الهنود ينقسمون الى فـءتين، فئة كانت تؤيد ابن سعود وفئة كانت تعارضه فاشتد التشاجر والتنازع بين الفـءتين فاثار شيوخ الغئتين ضجة التكفير في الهند فادلى اقبال بتصريح بتلك المناسبة ايد فيه ابن سعود وسياسته (٢٧) مما اغضب رجال

الدين واثارهم ضد اقبال-

وكان العلماء من معارضي اقبال يبغضونه ويعادونه فكانت النتيجة ان اصدر المولوي (أبو محمد ديدار على) الخطيب بمسجد وزير خان بلاهور الفتوى يكفر اقبالاً بتصريحه ذلك وعن ذلك يحدثنا (عبدالمجيد سالک) قائلا (٢٨):

"وقد أثارت الفتوى ضجة في البلاد كلها وتعرض المولوي (ديدار على) للملامة والطعن الشديد فكتب مولانا السيد سليمان الندوى مقالا نشره في جريدة "زميندار" ونقد صاحب الفتوى واتهمه بالجهل والعناد وكانت جريدة "زميندار" قد علقت على الفتوى- وهذا التصرف الذى اقدم عليه المولوي (ديدار على) قد أضر بالعلماء المسلمين ومكانتهم في نفوس الناس وذلك لان جميع الطبقات من المسلمين بما فيهم العالم والجاهل والمثقفون ثقافة قديمة اوجديدة كانوا يرون بان اقبالاً جل مؤمن مخلص في عقيدته يحب الرسول صلي الله عليه وسلم ويتعاطف مع الامة الاسلامية ويد افع عن الدين الاسلامي حتى ان الناس كانوا يقولون بان المسلم من امثال اقبال اذا كان كافرا في رأى العلماء فمن الذى يمكن ان يكون مسلما في رأيهم يترى-

على كل حال فان التشاجر بين اقبال وبين العلماء المسلمين الذين كانوا يرون رأى الكونجوسي استمرولم ينته ابدا ثم نشأت قضية قومية في اخريات حياة اقبال مما ادى الى الخلاف بين اقبال وبين (الشيخ حسين احمد المدني) فاخذ انصار الشيخ يرسلون رسائل مجهولة اتهموا اقبالاً فيها بنفس التهم (٢٩) التي كانت قد وجهت اليه من قبل- وكان الشيخ حسين احمد المدني كتب مقالا صحفيا شرح فيه موقفه واعترف بانه لم يكن قد اقترح على المسلمين بان يوافقوا على الفكرة الجديدة عن القومية او الوطنية فاعلن اقبال بعد ذلك بانه لم يعد يعارض الشيخ حسين احمد المدني بعد مااعترف هذا الاعتراف- وكان اقبال قد ضاف الى تصريحه قائلا (٣٠):

"انني اقدر مبلغ الحب المتدفق الذى يذخربه قلوب اتباع الشيخ المدني، هؤلاء الاتباع الذين أثاروا ضجة واخذوا يسبونني في رسائلهم الخاصة ومقالاتهم التي نشرت ويوضحون بها موضوعا دينيا والله ينفعهم بالشيخ ويجعلهم يستفيدون منه اكثر فاكثر"-

ان رجال الدين الذين كانوا يميلون الى الكونجرس واتخذوا موقفه السياسي لم يكن من الممكن لهم ان يدحضوا اقبال او يبطلوا موقفه السياسي الصاءب ومن ثم لم يكن لديهم سبيل غير سبيل الاتهام الكاذب والشائعات المزورة ضد اقبال

وتشويه شخصية بلامبرر وقد كان من تاثير هؤلاء الشيوخ الذين لم يصيبوا في موقفهم السياسي واشتغلوا بالشائعات الكاذبة ضد اقبال وعارضوه وعادوه بحكم المعاصرة فقط فمنهم زعيم مجلس الاحرار السيد عطاء الله شاه البخاري الذي ابدى رأيه عن اقبال في بعض المناسبات فقال:

"اما قلم اقبال فقد اصاب طوال عمره واما خطواته العملية فقد كان معظمها على الخطأ دائما(٣١)"-

وأما الفئة الثالثة من المعارضين لاقبال فهي الفئة القاديانية هؤلاء الذين يسمون انفسهم "الاحمديين" فعندما عاد اقبال من اوربا كانت حركة القاديانية او الاحمدية في بنجاب قد اشتهرت وانتشرت فاخذ اقبال يدرس الحركة القاديانية ورغم انه كان مشغولا بدراسة هذه الحركة و موافقها الا انه لم يتبرم من هذه الحركة ولم يتخذ موقفه الصلب الشديد الذى اتخذه فيما بعد في شعره و مؤلفاته النثرية- وفي ١٩١٠م القى اقبال محاضرة في جامعة عليكره الاسلامية وكان عنوانها "الجالية الاسلامية: دراسة اجتماعية "فذكر فيها الفرقة القاديانية فقال عنها بانها مظهر قوى من مظاهر الجالية الاسلامية (٣٢) واما القاديانيون فكانوا قد بدأوا يحاولون منذ البداية ان ينضم اليه رجل غير عادى من امثال اقبال ويعتنق المذهب القادياني وبذلوا في ذلك اقصى جهدهم فبعث بعض القاديين رسالة الى اقبال ينصح له ان يبايع المتنبئي القادياني ولكن اقبالا بعث اليه رسالة في شعره واعتذر عن قبول النصيحة ثم زور القاديانيون نبأ ونشروا في جريدتهم الخاصة بأن اقبالاً قد تزوج من فتاة تنتى الى اسرة قاديانية مما جعل اقبالاً يستنكر هذا الخبر ويدلى بتصريح قائلا بانه لم يتزوج من فتاة قادينية وان الذى قد تزوج من فتاة قاديانية قد يكون رجلا اخر اسمه الدكتور (اقبال) (٣٣) وعند مافشل القاديانيون في محاولا تهم وتأكدوا ابان اقبالاً لن يبايع المتنبئي القادياني اخذوا يبغضونه ويكرهونه- ثم اعلن اقبال عن برائته من الحركة القاديانية وقال بان عقائد القاديانيين اقلية مستقلة ولا صله لهابالاسلام والمسلمين فمنذ ذلك الحين اصبح القاديانيون اعدى اعداء اقبال وجعلوا يشوهون شخصية وسيرته حتى اصبح ذلك شعارا من شعاراتهم-

وأما الفئة الرابعة من المعارضين لاقبال فهي فئة اصحاب الطرق الصوفية وكان اقبال يقدر الاسلاف من المتصوفين كما انه كان يقدر تعليماتهم الروحيه وخدماتهم الجبارة التي قاموا بها في خدمة الاسلام وانتشاره في بلاد الهند وكان قبال يزور بعض ضرائح الاولياء من اجل العبرة والاستفاضة ومن بينهم حضرة نظام الدين محبوب الهى وحضرة الشيخ احمد السرهندى مجدد الالف الثاني وحضرة

الشيخ ابوالحسن على الهجويرى فقد كان اقبال يحب هؤلاء المتصوفين ويقدر جهودهم التي يذلوها في خدمة الاسلام ولكن اقبالاً كان يعتقد بن معظم الدراويش واصحاب الطرق الصوفية المعاصرين، انما هم علامة تذكر المسلمين بعهد الزوال والانحطاط فكان اقبال ينقدهم ويرى بانه لاخير فيهم وان تقاليد هم واخلاقهم واساليبهم في الحياة كل ذلك لاخير فيه وكان اقبال قدنشر ديوان الاسرار والرموز فكتب مقدمة الديوان تحدث فيها عن المعارف والآداب التي بامكانها ان تبث روح الذاتية في نفوس المسلمين ونقد في هذه المقدمة موقف الخواجا حافظ الشيرازى وتعليماته فقال انه من فئة الشياه القديمة (هذه الفئة في رأى اقبال تمثل الجبن والتخلف والتكسل) وكان حافظ الشيرازي هذا يحتل مكانة كريمة في نفوس المتصوفين الذين كانوا يكرمونه ويقدسونه وبهذا السبب اصبح اقبال هدفا للمعارضة والنقد العنيف الكثير من قبل هؤلاء المتصوفة حتي انهم اتهموه بانه يعارض التصوف ويعادى التعاليم الروحية للمتصوفة الكرام-

أما الفئة الخامسة من معارضي اقبال فهي فئة المشيوعيين والا شتراكيين وتفرع من هذه الفئة فرقة عرفت باسم "المؤلفين التقدمين" وكان اقبال قد نشر منظومته "خضر الطريق" وديوانه "رسالة الشرق" فعلق عليها بعض الجرائد الاشتراكية الشيوعية وكان مما جاء في هذا التعليق ان اقبالاً ليس اشتراكيا فحسب بل هومن كبار دعاة الشيوعية والاشتراكية فذلك مما جعل اقبال يكتب رسالة وينشرها في جريدة "زميندار" الصادرة من لاهور وكان مما قال فيها بانه مسلم وأنه يؤمن بأن الحلول الناجحة التي قدمها القرآن الكريم للمشاكل الاقتصادية البشرية هى انفع الحلول وانجحها وان من يرى رأى الشيوعية او الاشتراكية من المسلمين فلاصلة له بالاسلام ولا علاقة له بالامة الاسلامية (٣٤)- وقد كان هذا مما اثار الشيوعيين فاتهموا اقبالاً بالتهم القديمة الواهية التي اختلقها اعداؤه واضافوا اليها تهمة اخرى وهي انهم اتهموا اقبالاً بانه عميل الاستعمار البريطاني وانه يريد ان يمزق الهند تمزيقا على اشارة خفية من الانجليز-

وكانت هناك فئة سادسة عارضت اقبالاً وهذه الفئة كانت تضم الاشخاص المختلفين فكان من بينهم بعض اصدقائ اقبال الذين كانوا يظهرون جبهم له ويخفون الحقد ضده اوكانوا وراء الاغراض الذاتية الدنيئة فكانوا يرفعون الشكاوى ضده الى الحكام الانجليز كما انهم كانوا يتهمونه بتهم متنوعة كانوا قد اختلقوها فمن هذه الفئة كان السير (شادى لال) الهندوكي المتعصب في بنجاب الذى لم

يكن يحب ان يرى مسلما ينهض ويتقدم في اى مجال من مجالات الحياة (٣٥) واما الحكام الانجليز فرغم انهم كانوا قد اعترفوابه كقائد بارزمن القادة المسلمين الذين كانوا يريدون الضمانات الدستورية لحقوق المسلمين في الهند فوجهوا اليه الدعوة مرتين ليشارك في مؤتمر المائدة المستديرة بلندن الا انهم كانوا يشكون في اقبال وفي وفائه للحكم الانجليزى ومن ثم كانت المخابرات الانجليزية وراء كل من يزور اقبال اويلتقي به كما ان تفاصيل المحادثات بين اقبال وبين اصدقائه وزواره كانت تصل الى دواءر الحكومة الانجليزية من طريق التقارير-

والغرض من ذكر الفئات المعارضة لاقبال انما هوالعلم بان الانسان بطبيعته اذا عازه الدلائل واعجزته البراهين ليكذب بها شخصية بارزة فانه قد يختار طريقا سهلا وهو تشويه سيرة تلك الشخصية البارزة واتهامها بلامبرد-

أمامتي وكيف بدأت حملة التشوية لشخصية اقبال وسيرته فان المؤلف قد حاول الاتصال ببعض اصدقاء اقبال الذين لايزالون احياء يرزقون فزودوه بالمعلومات المفيدة عن ذلك فمن هؤلاء (ميان محمد اسلم) الذى حكى له بانه لم يكن قد سمع شيئا مما اتهم به اقبال قبل حركة عدم التعاون اوترك الموالا- فهويرى ان حملة التشوية لسيرلة اقبال الشخصية لم تبدأ الابعد ١٩٢٠م وهذا مايؤيده (ميان نظام الدين) على صلات قريبة عميقة باقبال كما ان (ميان محمد اسلم) واسمه (ميان نظام الدين) على صلات قريبة عميقة باقبال كما ان (ميان محمد اسلم) كان من تلاميذ اقبال حيث كان يدرس عليه بالكلية الحكومية في ١٩٠٩م وعلى هذا الاساس يعتقد المؤلف بان رأيه (اي ميان محمد اسلم) قوى موثوق به ويبدو من هذا الرأى بان حملة التشوية لسيرة اقبال الخصية كان قد شنها رجال الدين من انصار الكونجرس او من حذا حذوهم ثم دخل في هذا المجال جميع رجال الدين الذين ينقصهم العلم ووسعة النظر والافق الذهني وكذلك الفئات الاخرى من انصار الشعر القديم الذى يرجع الى عصر الزوال والا نحطاط والقاديانيين والشيوعيين والمؤلفين التقدميين واصحاب الطرق الصوفية المعروفة واصدقاء اقبال المنافقين الذين كانوا يتملقون الحكام الانجليز والهنادكة المتعصبين من اهل بنجاب وغيرهم من الناس الكثيرين-

واما مدى مسئولية اقبال عن هذه التهم التي وجهت اليه والتي لا اساس لها فانه يجب علينا ان نأخذ بعين الاعتبار خصائل اقبال وعاداته قبل الحديث عن التفاصيل فان اقبالاً كانا قد تلقى التعليم والتربية وهو طفل صغير بان يواظب على الصلوات الخمس في اوقاتها وعلى الصيام وان يتلو القرآن في كل صباح ثم اخذ

اقبال يصلى التهجد اتباعا لوالده وكان يسهر في الهزيع الاخير من الليل مما جعله يهمل طعام العشاء ولم يزل يواظب على قيام الليل بعد تحوله الى هور وطم يزل يصلى صلاة الصبح بكل خشوع وخضوع ثم يتلوا القرآن الكريم فيرتله ترتيلا- ولم يكن يشعر بحاجة الى الطعام ليلالانه كان قد تعود اهمال العشاء من زمان فلم يكن عشاؤه غير فنجان واحد من الشاى الكشميرى المالح وعن ذلك يتحدث اقبال في رسالته المؤرخة في ٣١/ اكتوبر ١٩١٦م والتي بعث بها الى الامير (كيشن برشاد) (٣٦):

"انني أستيقظ في الصباح الباكر في الساعة الرابعة وفي بعض الاحيان في الساعة الثالثة ثم لا اضطجع ولا انام الا ان يغلبني النعاس وانا جالس على السجادة"-

وكذلك فان معظم شعره قدنظمه في الهزيع الاخير من الليل وكان يحضر لصلاة العيدين في المسجد ويواظب على ذلک- اما الصلوات الاخرى فقد كان يصليها في خلوته وحده- وكان اقبال يهتم بالرياضة البدنية والمصارعة في اول شبابه ورغم ان اقبال كان يبدو صحيحا سليما الا انه كان قد اصيب بوجع الكليتين والنقرس وهو في الثانية والثلاثين او الخامسة والثلاثين من عمره فلم يزل يعاني من هذه الاسقام طوال عمره وكان بطبيعته يميل الى السهولة ولم يكن يستطيع ان يتحمل الآلام البدنية ويكحكي لنا (على بخش) فيقول بان الزنبور كانت قدلسعت اقبال على رجله وهو نازل في منزله بسوق انارکلي فآلمه ذلك ايلاما شديدا حتى انه لم يكن يستيع ان يسدل الرجل من السرير فطلب طبيبا ودفع له اثنين وثلاثين روجبية كاجرطبي ولكن الالم لم يهدأ الابعد وقت طبيعي لازم وكان يصوم احيانا فكان يطلب (على بخش) كل ساعة اوساعتين فيسأله عن موعد الافطار-

على كل حال فان الذى لاشك فيه ان اقبالاً بطبيعة الظريفة كان يود ان لايشتهر زاهدا عابدا وانما كان يحلو له ان يشتهر على العكس من ذلك فمن امثلة ذلك ما يحكى بان الشيخ محمد دين فون ذهب ليزوره في منزل بأنارکلي فرأى اقبالاً واقفا امام دولاب الكتب وكان يتلمس الكتب كانه يريد ان يبحث عن كتاب خاص فانتظر الشيخ فوق للحظات ثم سأله في شئي من القلق قائلا: عن ماذا تبحث؟ فرد عليه اقبال قائلا: كنت وضعت هنا زجاجة من خمرالعنب وكان قد زارني شمس العلماء المفتي عبدالله التونكي واخش ان يكون قد ذهببا لزجاجة (٣٧) "ومنها ان (میاں شاه دين) كان قد اقام مأدبة فاخرة في منزله وحسب

التقاليد المتعارفة كان قد احضر الخمور في غرفة مستقلة من اجل ضيوفه الانجيلز فكان (میاں شاه دين) يستقبل ضيوفه فعندما استقبل اقبال والميرزا جلال الدين قال لهما وهويمزح: قد احضرت لكما في الغرفة المستقلة مايلزمكما فرد عليه اقبال مرتجلا بقوله: "ياسيدى قد تعلمنا منكم شيئين احدهما الشرب مختفيا والثاني ان لاند فع شيئا مرالتبرعات"-

والمراسلة التي جرت بين اقبال وبين الامير (كيشن برشاد) قد كانت عن موضوعات جديدة اوعن الشعر والشمراء الا ان اقبالاً لم يكن ينسى جانب المزاح حتى في رسائله هذه فكتب اليه الامير (كيشن برشاد) في بعض رسائله وصفة طبية عن الكلس ليستفيد منها اقبال في الاستشفاء فرد عليه اقبال في رسالة كتبها في ٣٠/ ديسمبر ١٩١٥م قال فيها (٣٩):

"اما عن صحتى فانها ليست على مايرام فداءما اعاني من مرض او اٰخر فلست من الذين يهتمون بالادوية اويثقون فيها وكذلك فانني اعرض عن الرياضة البدنية اعراضا وعلى هذا فقد قدرت في نفسى ان ارتحل من الدنيا قبل الموعد المحدد ولست ارى فيه بأسا- ان اصدقائي الاطباء يقولون بان الرياضة البدنية وغيرها من الخطوات يمد في بقاء الانسان والكنني ارد عليهم دائما يقولي لافرق بين ان يرتحل الانسان قبل عشر سنوات اوبعدها فان الانسان لابد وان يرتحل يوما فلماذا هذه الادوية او الرياضيات البدنية وما اهتمام الانسان بهذه الاشياء كلها؟ وان الوصفة الطبية التي اقترحتموها سيادتكم قدتكون مفيدة لانها مجربة وانا ايضا اود ان اجربها الا ان الود والامنية لاتفيد في شئي ولابد من وسائل الامطناع والا ستخدام وانا لااملك منها شيئا- وتوجد مطربة في بنجاب لم ارها قط الا انني سمعت بانها لانظير لها في حسنها وجمالها وانها قد تابت عن اعمالها المضية وتقضي حياتها الباقية وراء الحجاب قد تسلمت منها رسالة قبل بضعة ايام تعرض على ان اتزوجها وقالت: لانني احبك غيابا لماتنظمه من الشعر الجميل فارجوك ان تقضي على توبتي وتفسخها وانا ايضا اود ان اشاركها في هذا العمل الخيرى الا انني لااجد الفحولة في صلبي فان ذلك يحتاج الى الوسائل والوازم الاخرى فلم اجد الا ان اعتذرت اليها اعتذارا ادبيا! قل لي الاٰن كيف وأني أصطنع وصفتكم الطبية هذه؟ الا انني اعتقد انك ولي حيث بعثتم بهذه الوصفة الطبية حين كان المريض يميل بطبيعته الى مااقترحتم على ان الوصفة قد اعجبتني جدا ولكنني سوف استخدمها في وقت اٰخر حيث اجد الظروف المواتية المساعدة واما الاٰن فلاارى الا ان اشكر سيادتكم"-

وقد كتب الشيخ ابوالاعلى المودودى مقالا في ١٩٣٨م بعد وفاة اقبال وقد

نشر المقال في مجلة "جوهر" الصادرة من دلهي وفي هذا المقال يحدثنا الشيخ عن هذا الجانب الخاص من شخصية اقبال وسيرة قائلا: (٤٠)

"ويرى عامة الناس بان اقبالاً كان مسلما بالعقيدة فقط ولم تكن له صلة بالاعمال الاسلامية ليس هذا الاسوء الظن العام عن اقبال، انما هونفسه مسئول عن ذلك بطبيعته التي جبل عليها فقد كان فيه شئي من النزعات والطيول التي يمتازبها "الملامتية" من المتصوفين وعلى اساس هذه النزعات والميول كان اقبال يجد شيئا من المتمعة والسرور بان يشتهر خليعا ويعرف كان اقبال يجد شيئا من المتعة والسرور بان يشتهر خليعا ويعرف بذلك بين الناس اما الحقيقة الواقعية فان اقبالاً لم يكن كذلك فقد كان شغوفا بتلاوة القرآن الكريم فكان يرتل القرآن حين كان يستيقظ مبكرا في كل صباح حتي انه كان قد بلغ من الرقة في طبيعة مايجعله يبكي بكاء وينتحب انتحابا وهويتلو القرآن ويرتله حتى ان الكلمات كانت تغص في حلقومه وكان يصلى الصلوات خاشعا خاضعا للغاية الا انه كان يصلى مختفيا مستورا عن الناس وكان يعلن فيما يظهر بانه ليس الا من الغزاة باللفظ والكلام الذين لا يهمهم العمل"-

وكان اقبال بطبيقته متوقد الذهن حاضر البديهة كامل الظرافة والفكاهة وكانت هذه العلامات قد ظهر بعضها وهولا يزال طفلا صغيرا فمن امثلة بداهته في الطفولة مايحكي عنه بانه وصل يوما الى المدرسة متاخرا فقال له استاذه: لماذا تأخرت يا اقبال؟ فارتجل بداهة يقول: لان الاقبال (أي العادة) يقبل متأخرا- وكذلك كان يرتجل الاقوال بكل مناسبة وهو طالب بالكلية وفي خلال السنوات الخمسة الاولى من مدة توظيفه حين اخذ يحضر في الجلسات السنوية لجمعية حماية الاسلام وابتكراسلوبا شعريا جديدا وهو شعره الملى او القومي الاسلامي وكان ينال في شعره هذا من رجال الدين والمشائخ من اصحاب الطرق الصوفية الذين ينقصهم العلم وتعوزهم الثقافة بالطنز والسخرية الشديدتين- فمن قصائده المنظومة في هذا الطور من حياة منظومة "الزهد والخلاعة" و "الدين والدنيا" وقد كانت في المنظومة الاخيرة بعض الاشارات الظريفة التي ظنها بعض الناس بان اقبالاً قد عناهم بذلك وهكذا اتاح اقبال فرصة لهذه الفئات ان تغضب منه فتشيع عنه مااشاعت(٤١) وكذلك يمتازما قاله اقبال من الشعر بالسخرية والمزاح خلال اقامته في اوربا وبعد عودته منها-

وقد روى الكثيرون من المولفين بعض الكلمات الساخرة الظريفة التي قالها اقبال بعد عودته من اوربا عن (السير شهاب الدين) وكذلك النكت واللطاءف

التي مصدرها اقبال والتي عرفت عن رئيس التحرير لجريدة "اخبار وطن" والسير (جوغندر سنغ) وغيرها وقد جاءت هذه الكلمات في مؤلفات الكثيرين من المترجمين لاقبال وقد استمر قبال على هذا المنوال الى اخريات حياة فانه لم يترك الظرافة والفكاهة حتى الموت-

على كل حال فقدكانه اقبال في اوربا وبعد عودته منها في الايام الاولي شديدا في سخريته و مزاحه عن الشيوخ ورجال الدين وقد كان ذلك مما اغضب الشيوخ وجعلهم يجدون المرارة في نعوسهم نحو اقبال ويحقد و عليه فمن امثلة ذلك مايحكي ان شيخا من الشيوخ كان قد وصل الى لندن في رحلة سياحية لاوربا واقبال لايزال طالبا هناك وكان الاستاذ (اۓرنولد) استاذ العربية بجامعة لندن اذ ذاك فذهب الشيخ الى الاستاذ (اۓرنولد) ليزوره لانه كان قد تعرف عليه خلال اقامته في عليكره فعرف اۓرنولد الشيخ باقبال وامره ان يرافقه خلال زيارته لاماكن لندن الجديدة بالزيارة فذهب اقبال بالشيخ ورافقه خلال زيارته للاماكن كلها ثم ذهب به الى مقهي من المقاهي عند المساء فجلس هناك وكانت الفتيات الجميلات الفاتنات قد ملأن المقهي فاجتمعن حول الشيخ تلقائيا او على اشارة من اقبال فهذه تسقى الشيخ قهوة وتلك تسمح لحية البيضاء حتى ان بعضهن قبلن خدود الشيخ بكل حب واحترام مما اقلق الشيخ قلقا شديدا وأثار غضبه وانقذ نفسه من المصيبة هذه بصعوبة بالفة فوصل الى الاستاذ (اۓرنولد) وهوغضبان حداً وشكى اليه اقبالاً فندم الاستاذ (اۓرنولد) وقال في لهجة الغضبان يخاطب اقبالاً: انت ذهبت برجل محترم من امثال الشيخ الى المقهي، افلاتخجل من ذلک؟ فرد عليه اقبال بكل طمانينة وثقة، نعم فقد كنت انت الذى امرتني بان اذهب بالشيخ الى اماكن لندن كلها التي جديدة بالزيارة فلو انني ذهبت به الى القصور والمتحف والمباني التاريخية وحدها فأخشي ان الشيخ سوف يعتقد بان مدينة لندن هي كمار اۓها وهذا يعتبرمن سوء التفاهم وكان بامكانه ان يعود الى الهند وهولم يشاهد هذا الجانب من مدينة لندن، فان المقاهي لها مكانة هامة للغاية في حياة لندن المدنية فلذا قد رأيت من المناسب ان يشاهد الشيخ هذا الجانب الثاني من الصورة(٤٢)-

وهذا المرزا جلال الدين يحكي لنا حدثا اخر من حياة اقبال يشبه مارأيناه اۓنفا (٤٣):

"ذهبنا مرة الى مدينة لكنؤ لنشارك في المؤتمر التعليمي الاسلامي وفي اطاء لم يكن لدينا شغل خلال الاجتماع وعندما اخذ اقبال يتبرم من البطالة وانفراغ

قال لي: لماذا لا نخرج فنتمتع بالاغاني لساعة او ساعتين فوافقته في البداية ثم بدالي عمل فجأة فتخلفت عن الخروج، أما اقبال فكان قد اعتزم على الخروج فعاد بعد ساعة او نحوها وعلى وجه ابتسامة فاخذ يقول تعال نتفرج اليوم على شئي نادر فسألته مندهشا- ماذا حدث يا اقبال؟ فقال لم يحدث شئي الا اننا عثرنا على شيخ من الشيوخ المشاركين في المؤتمر عند المطربة التي ذهبنا اليها لنتمتع باغنيتها فاذا بشيخ من الشيوخ المتوافدين على هذا المؤتمر كان قد سبقنا اليها ويتمتع باغنيتها الا انه رآنا فخرج من هناك في شئي من الاضطراب والهلع فترك بطاقة الدعوة للموتمر هناك وعند ما وصلنا الى المطربة الحت علينا ان نبحث عن حضرة الشيخ بكل وسيلة ونوصل هذه البطاقة اليه بكل حفظ وامانة الا انني ارى ان نوصل هذه البطاقة الى الشيخ منن طريق الامير (وقار الملک) رئيس المؤتمر التعليمي حتى نكون قد عملنا بقواعد المؤتمر وايضا يعرف سيادة الامير مايحدث في عالمنا المتنوع متلون الاحداث والاشخاص ثم اخد اقبال قطعة من الورق والقلم وكتب رسالة مفصلة بخط يده على لسان المطربة الى سيادة الامير وحكى فيها تفاصيل الحادث كلها ثم كتب في نهاية الرسالة على لسان المطربة قائلاً: "هذه الامة المسكينة لاتعرف عنوان حضرة الشيخ فلذا ترجو سيادتكم ان تبحثوا عن حضرته وان توصلوا هذه الاوراق اليه وكان ذلك الشيخ قد الم بسرالرسالة فجاء الى اقبال في شئي من الهلع والاضطراب فاخذ يتملقه ويرجوه ويلح في الرجاء ويدعوله، اما اقبال فكأنه كان ينتظر الساعة هذه بالذات فلم يكن من الممكن ان يخلص الشيخ وانما اراد ان يتمتع بالموقف فوبخ الشيخ وخوفه وجعله يضطرب ويقلق ثم جعل يرجو اقبالاً ويؤكد له بانه برئ وانه يتوب توبة نصوحا واخيرا خلصه اقبال"-

وكان اقبال من المعجبين بالاغاني المولعين بها منذ الطفولة كما انه كان يلم الماما بالحان الموسيقي وكان يشارك في المهرجانات الشعرية وهو طالب في لاهور ثم كان ينشد منظوماة وانا شيده ويترنم بها خلال السنوات الخمسة التي قضاها موظفا وهو يشارك في الجلسات السنوية لجمعية حماية الاسلام وكان قد اشترى قيثارة وكان يتمون عليها ثم تعرف على كبار الرجال الاثرياء في المدينة فاخذوا يدعونه للحضور في امسيات الرقص والطرف وفي ١٩٠٤م كان الشيخ محمد دين فوق قد اصدر كتابا وعنوانه "ذكرى الذاهبين" وكان الكتاب عبارة عن تراجم متصوفة الهنادكة والمسلمين وتناول الشيخ في كتابه هذا موضوع الموسيقى وهل يجوز الاستماع اليها ام لا؟ واذا جازفما هي شروط ذلک؟ ومن الذين يستحقون ان يطربوا اويستمعوا الى المطربين؟ وماهي موضوعات الاغاني؟ وماهي الخصائل

والمزايا التي يمتازبها الحاضرون في مجالس الطرب والغناء وانهي نقاشه هذا ببيت اقبال الشعري(٢٤):

لوگ کہتے ہیں مجھے راگ کو چھوڑو اقبال
راگ ہی دین میرا راگ ہی ایمان میرا

ومعناه: يقول لي الناس خل الحان الموسيقى واجتنبها الا ان الحان الموسيقى هي ديني وعقيدتي"-

وهكذا كانت الحان الموسيقى هي دين اقبال وايمانه في تلك الغترة من حياته وهي فترة الشباب وكان اقبال يبتكر مجالات شعرية جديدة ويجرب الميادين المبتكرة وكان بطبيعته كشاعر يميل الى الجمال والا عجاب به وكان يتأثر بالمشاهد الطبيعية وبراعتها وروعتها كما انه كان يتأثر بالجمال النسوى وبهائه وكان قد كتب رسالة في ١٩٠٣ الى (سيد تقي شاه) صديقه من عهد الطفولة فذكر فيها سيدة اسمها "امير" وهذا نص ما قاله في رسالته هذه (٤٥):

"اين (أمير) لله ارجوك ان تذهب اليها انني قلق جدا ولست ادرى ماهوالسر في ذلك فانني كلما ابتعد عنها اراني اقترب منها بنفس المقدار"-

وطبقا لما حققه هذا المؤلف وبحث في الموضوع فان السيدة (اميربيكم) هذه كانت من اسرة المطربات المعروفات الا انها هي وامثالها من مطربات الاسرة كن قد اعرضن عن الطرب وتبن الى الله توبة وقد كان عض السيدات من هذه الاسرة يعرفن بروفة الجمال وبها بالا ضافة الى معرفتهن بالشعر الاردوى والفارسي وان البعض منهن كن قد تزوجن من شخصيات بارزة محترمة من اهل لاهور ولست ارى حاجة الى تفاصيلها- اما السيدة (اميربيكم) فقد كانت تعرف شعر الكبار الفطاحل من شعراء الاردوية والفارسية كما انها كانت تجيد نظم الشعر وابتكاره وكانت تتحدث باللغة الاردوية وكانت فصيحة بليغة للغاية فهذه هي المزايا التي كان قد تأثر بها اقبال تأثرا بالغا-

وخلال اقامته في اوربا كان اقبال قد عرف المدنية الغربية الحديثة كما انه عرف المشاعر القلبية والحوائج العقلية الجديدة وفي هذا الجو الاوربي المختلط اتيح لاقبال ان يقابل العديد من السيدات اللاتي كن على مكانة في الادب والفلسفة بالاضافة الى جمالهن الرائع وشخصياتهن البارعة الخلابة وبالاضافة الى السيدات الاوربيات كان اقبال قد تعرف على بعض السيدات الشرقيات من امثال (عطيه فيضي) وكان اقبال قد التقى بالسيدة الايطالية (بيرونس) والتي ذكرها في احدى رسائله الى السيدة (عطيه فيضي) وهذه السيدة اليطالية كانت من بين هؤلاء

الايطاليين الذين ساعدوا اقبالاً لمقابلته مع الدكتاتور الفاشي (موسولينى) خلال زيارته لايطاليا بالاضافة الى اقامة مأدبة تكريما لاقبال وترحيبا به وهي المادبة التي اتيح لاقبال ان يرى فيها جمل السيدات الايطاليات حسب رغبته (٤٦)-

وبعد عودته من اوربا كان اقبال يحضر في مجالس اللهو والطرب في بيت صديقه (الميرزا جلال الدين) خلال المدة التي قضاها وحيدا في لاهور الا ان هذا الطور من حياة اقبال قد انتهى في ١٩١٣م ولكنه كان يهتم بالاغاني الموسيقية حتى اخريات حياته وكان كلما زار مدينة دلهي اقام الخواجا حسن نظامي حفلة "القوالي" (الموسيقي والاغاني الصوفية) وكان اقبال معجبا بها اعجابا كبيرا-

وقد واجه اقبال مشكلة خطيرة بسبب احد الاقارب الذى كن خليعا وذلك حين كان نازلا في منزله بسوق انارکلي ولعل احد ابناء اخته كان قد اقام في المنزل نفسه في ١٩١٥م- وكان اقبال قد تحول الى سيالكوت مع زوجاته خلال الاجازات الصيفية كالمعتاد وتخلف ابن الاخت هذا وكان في المنزل وحيدا وذهب الى سوق المومسات فالتقى بفتاة هندوكية فرجته رجاء ملحا ان ينقذها من حياة الاثم والعصيان فجاء بها الى المنزل فتزوجها وبدأ يعيش معها في النزل- اما المشرفون على شئون الفتاة الهندوكية فرفعوا الأمر الى مخفر الشرطة متهمين ابن اخت اقبال بانه قد اغوى فتاتهم واختطفها وعاد اقبال الى لاهور في نهاية الاجازات فاذا بالشرطة قد وصلوا الى بيته لانقاذ الفتاة الهدوكية وكان الشاب قد اخفى الفتاة في بيت الحمام فوق السقف- اما الشاب ابن اخت اقبال فقد اصدرت المحكمة براءته لان الفتاة ايدته في تصريحها الا ان اقبال غضب منه وطرد ابن اخته وزوجته من المنزل ثم لم يروجه طول حياته- (٤٧) وفي اطار هذه الخلفية يمكن ان ندرس التهم الموجهة ضد اقبال-

واما اتهامه بشرب الخمر فان المؤلف لم يجد خلال بحثه وتحقيقه من الشواهد مايحقق هذه التهمة وكان الاستاذ (غلام بهيك نيرنک) احد اصدقاء اقبال وزملائه في الدرس قد اعد مقالا عن حياة اقبال كطالب في لاهور ولكنه لم يذكر حدثا من احداث شرب الخمر وبالاضافة الى ذلك فان اقبالاً كان ينقصه الوسائل المادية الكافية في هذا الطور من حياة فقد كان في حاجة الى مساعدة شقيقه الاكبر في نفقاته الدراسية- اما السنوات الخمسة الاولى من مدة توظيفه فقد كتب عنها (سيد تقى شاه) والسير (عبدالقادر) والشيخ (محمد دين فوق) الا ان احدا منهم لم يذكر بان اقبالاً شرب الخمر يوما- اما خلال اقامته في اوربا فكان السير

(عبدالقادر) والسيدة (عطيه فيضي) على صلة قريبة جدا باقبال وهذا المؤلف لم يزل على صلة وارتباط مع السيدة (عطيه فيضي) حتى وفاتها والتقى بها في كراتشي اكثر من مرة وكان المؤلف قد سأل السيدة (عطيه فيضي) فصرحت له بانها لم تر اقبال يوما يشرب الخمو وهو في اوربا واما حياته بعد عودته من اوربا فقد الف عنها الشيخ (احمد دين) والامير السير (ذوالفقار على خان) و (الميرزا جلال الدين) وكانوا من اخص اصدقاء اقبال الا انهم لم يذكروا حدثا من احداث شرب الخمر واما الميرزا جلال الدين فقد ذكر في تصريحاته عن اقبال بانه اى (الميرزا) كان قد رافق اقبال حيث ذهب الى منزل مطربة من المطربات فاشترك في مجلس الغناء ولكنه لميذكر شيئا من شرب الخمر- وقد راسل المؤلف احد اصدقاء اقبال وهو (السردار امراؤ سنع شير جل) الذى كان على صلة قريبة من الصداقة مع اقبال وقد صرح هذا الصديق غير مرة في ماكتب اليه بانه لم يراقبال يوما وهو يشرب الخمر ولعل اقبالاً كان قد ذهب الى (كيمبل بور) من مدن باكستان، في ١٩١٢م بخصوص قضية في المحكمة فاقام احد اصدقاءه المحامين حفلة تكريم حضرها العديد من الموظفين الانجليز المحليين وكان قد اعد لهم الخمور وكان الشيخ (اعجاز احمد) وهو في الثالثة عشر من عمره قد حضر في الحفلة حيث كان قد ذهب ليزور والده هناك فاخذه اقبال معه ليرافقه في الحفلة- وعلى ماصرح به الشيخ اعجاز احمد فإن صديق اقبال ذلك قد قدم له كأس الخمر والح عليه ن يشرب فرد عليه اقبال قاءلا: الشئي الذي لم اذقه وانا في اوربا اني لي ان اشربه الاٰن؟

وكان يعيش مع اقبال بنتا اخيه وهو نازل في منزله بسوق انارکلي وبشارع مكلود وكانت البنتان قد نشأتا وشبتا وهما تعيشان مع اقبال وتصرح احد اهما بالله بار اقبالاً لم يشرب الخمر ابدا وانهما عاشتا مع عمهما في نفسر المنزل الا انهما لم تشاهدا حدثا مايشير الى اويريب بان اقبالاً كان يميل الى الخمر (٤٨) وكان من الشباب المعجبين باقبال (الخواجا عبدالوحيد) الذي كان قد تعرف على اقبال والتقى به منذ عودته من اوربا ولم يزل على صلة طيبة قريبة به حتى الوفاة ويذكر في مقال له وعنوانه "ذكرى اقبال عن مذكرتي الشخصية" ويقول بانه قد التقى باقبال ولم يزل يلتقى به ويراه حتى الوفاة "اي خلال ثلاثين عاماً تقريبا" وهويد خن النارجيلة وانه لم يره يوما خلال هذه المدة الطويلة قد الشراب اطلاقا وكذلك فان المؤلف قد عاش مع اقبال في "جاويد منزل" حيث كان قد بلغ سن الرشد واقبال لايزال حيا يرزق الا انه لم يره يوما وهو يشرب الخمر وعلى عكسر ذلك

فان المؤلف شاهد على حدث كان قد اغضب اقبالاً من (على بخش) وهوان رجلا من السيخ في بداية ١٩٣٨م كان قدجاء ليزور اقبال وكان احد المقرئين العرب جالسا عنده وكان هذا المقرئ العربي يقرأ القرآن ويرتله بصوت جميل ولهجة جميلة عند اقبال فظن (علي بخش) بان السيخ من المعجبين باقبال فاخذ الشاب السيخ يتحدث الى اقبال البضع لحظات ثم خرج من الغرفة فقال وهو يخاطب (على بخش) "اذهب الى الخارج وهات زجاجة الخمر والكأس الموجود تين في عربة الحصان "ففعل (علي بخش) كما امره الشاب السيخ ثم جلس السيخ امام الطاولة في الردهة فاخذ يشرب الخمر وكانه لايخاف احدا او لايبالي به وبعد عشرين دقيقة اونحوها نادى اقبال (على بخش) فسأله عن السيخ هل ذهب ام لافقال (على بخش) بانه لم يذهب وانما هوجالس في الردهة ويشرب الخمر فطار الغضب في دماغ اقبال حتى احمر وجهه غضبا وكان يعاني من المرض ولم يكن عليه إلا إزار وقميص تحتى فنهض من السرير وخرج مسرعا ونهض المقرئ العربي فاخذ يتبعه فجاء اقبال فحاول ان يأخذ السيخ من جيبه وخلال هذا التنازع سقطت الزجاجة فانكسرت وكان المؤلف في ناحية البيت فسمع الشغب فاسرع الى مكان الحادث فرأى السيخ الشاب يغرو اقبال يغلي غليانا من الغيظ والغضب فركب السيخ عربة الحصان واختفى بسرعة اما اقبال فظل يرتعد غيظا وغضبا والمقرئ العربي قد مسك به وهذه المرة الأولى التي رأى المؤلف اقبال يزجر (على بخش) ويوبخه فامره ان يغسل بلاط الردهة على الفور ولم يتحدث اقبال الى (علي بخش) ليومين اوثلاث وانما امره ان لايدخل عليه ولايظهر امامه واخيرا جاء (شودري محمد حسين) وحاول ان يقنع اقبال يعفو عن (علي بخش) وهكذا انتهت هذه الازمة في بيت اقبال- واما البعض من المعجبين باقبال ومنهم (صوفي غلام مصطفى تبسم) و (عبدالمجيد سالک) فانهم يرون بان اقبالاً كان قد شرب الخمر في طور من اطوار حياته الا انه قد قلع عنها نفسه فيما بعد وهذا افتراض منهم الا انهم يأتون ببعض الابيات الشعرية لاقبال التي تؤيد افتراضهم هذا ففي نهاية ديوان الاسرار والرموز (في نهاية رموز الاذاتية) منظومة عنوانها "في حضرة رحمة العالمين صلي الله عليه وسلم" حيث يحكى اقبال عن نفسه في حضرة الرسول صلي الله عليه وسلم قائلا:

مدتى بالاله رويان ساختم
عشق بامرغوله مويان باختم

باده ها با ماه سيمايان زدم
برچراغ عافيت دامان زدم
برق ها رقصيد گرد حاصلم
ره زنان برد ند كالائے د لم
اين شراب از شيشه جانم نه ريخت
اين زر سارا زدامانم نه ريخت

(١) عشت مدة بين ذوات الوجوه الحسان كما انني عشقت ذوات الشعرات المجعدة-

(٢) وكذلك فقد شربت المدام مع ذوات الوجوه الحسان مثل القمر وكثيرا مااطفأت مصباح التقوى بذيل ثيابي-

(٣) وكثيرا ما رقصت البروق حول ما حصدت من الحبوب من الاعمال وكثيرا ما اغار قطع الطريق على ما ادخرت من غناء القلب-

(٤) وان هذه الخمرلم تهرق من زجاجة روحي وان هذا الذهب الخالص لم يسقط من جيبي-

وقد ترجم الدكتور عزام هذه الابيات شعرا وهي:

بهمت	حينا	بذوات		الحور
وتعشقت		ذوات		الطور
وعلى	الراح	صحبت		الغانيه
حين	أطفات	سراج		العافيه
واحاطت	بيدرى	نار		البروق
وغزا	قلبى	قطاع		الطريق
وبروحى	لم	يزل	هذا	العقار
وبكيسى	لم	يزل	هذا	النضار

لاشك ان الابيات الشعرية لشاعر قد يمكن ان تكون تعبيرا حقيقيا عن تجارب الشاعر وارادته القلبية ومشاعره الذاتية ولكن بشرط ان تؤيد الشواهد الواقعية الخارجية مايقوله الشاعر اما بدون الشواهد الواقعية الخارجية المؤيدة فان البيات الشعرية وحدها لايمكن ان تقودنا الى نتيجة صحيحة اذا اردنا ان نحقف حوادث حياة ووقائعها واما اذا اردنا ان نحقق على اساس الابيات الشعرية بان اشعراء من امثال حافظ الشيرازي ورياض خير اٰبادي والكثيرين غيرهما من الشعراء المتصوفين الزهاد الذين لم يمسوا الخمرابدا رغم ان دواوينهم الشعرية مليئة بذكر الحوانيت وخمورها- فلابد ان نقول بان هؤلاء المتصوفين الزهاد جميعهم ايضا

كانوا من جماعة الشعراء المدمنين للخمر!

وهولاء المعجبين باقبال يدعون بانهم كانوا اصدقاء اقبال وجلساؤه وان اقبال لم يحاول يوما ان يخفى زلاته عنهم بين ايديهم فعلى حد تعبير (محمد دين تأثير) كان اقبال مثل الينبوع العذب فكانت قوافل النمل والحشرات تأتيه وعليه فان المؤلف يرى بان هؤلاء الناس يمكن ان يكونوا من المعجبين باقبال الا انهم ليسوا من اصدقائه القريبين وذلك لانهم كانوا اصغر منه سنا ولم يتعرفواعليه في حياته الابتداءية ولايصح ان يستدل هولاء الناس على اعتراف اقبال بزلاته امام المعجبين به وخاصة ان اكان العديد من الشباب المعجبين باقبال يرفضون هذه التهمة الموجهة اليه من امثال (سيد نذير نيازى)-

اما التهمة الثانية التي وجهت الى اقبال فهي انه كان يميل الى الخلاعة والبذخ ولعل هذه التهمة كانت قد وجهت اليه لانه كان يحضر مجالس الرقص والغناء في الطورالاول من حياة حتى انه لم يكن يتردد في الذهاب الى بيت مطربة من المطربات رغبة في الاستماع الى اغانيها واعتقد بان الاستنتاج والاستدلال بهذه الشواهد على ان اقبال كان يحب اللهو اوكان يعيش حياة الخلاعة والابتذال كما يري (عبدالمجيد سالک) ليس صحيحا في رأي المؤلف (٥١) ولم يتمتع اقبال في حياة بحالة اقتصادية جيدة ابدا حتى يتمكن من حياة البذح او الابتذال والخلاعة وقد كانت بعض المطربات يغنين شعر الفطاحل من شعراء اللغتين الاردوية والفارسية ولان ابرز الجوانب لهذه المجالس الموسيقية هوالجانب الثقافي فمن ثم لم يكن يرى الاغنياء والا شراف من اهل الذوى حرجا او عارا بالحضور في مثل هذه المجالس وكان قد اقيم مجلس من مجالس الموسيقى هذه في كجرات بمناسبة زواج اقبال الاول- وقد حضرالكبار من امثال (سيد مير حسن) ووالد اقبال وغيرها في هذا المجلس الذى اقيم في غرفة مغلقة وقد غنت المطربة بشعر حافظ الشيرازى وغيره من الشعراء لكبار (٥٢) وبالا ضافة الى ذلك فانه لم تكن توجد وسيلة اخرى من وسائل التفرج والمتعة في لاهور في ذلك الوقت وقد كانت فرق مسرحية تأتي من بومباى الى لاهور فتمثل بعض مسرحيات للاستاذ (اغا حشر كاشميري) وكان اقبال يحضر ويشاهد هذه المسرحيات الا ان مثل هذه الفرص لم تكن تتاح الا نادرا فهذا (الميرزا جلال الدين) يحدثنا عن ذلك قائلا (٥٣):

"كنا نقضي أيامنا في المحاكم نبحث عن دقائق القانون واسراره ثم كنا نقضي معظم الوقت من الليل في الاستعداد للقضايا التي كان المفروض ان تعرض على المحكمة ويدافع عنها في اليوم القادم حتى اذا اصبح الصباح اشتغلنا بنفس

الشغل الذى كان يجهد عقولنا ويتعبها وبهذا الجهد المتواصل والا نهماك المسلسل كانت قوى الاجسام تضمحل اضمحلالا وكانت العقول تتعب بهذا الكد والجهد ويستولى عليها شئي من التعب والعناء وهذا مماكان يجعلنا نميل الى مايجدد قوانا ونلهوبما يمتع قلوبنا القلقه المضطربة المكدودة وهذا ماكان يجعلنا نقيم مجالس الانس والطرب مايذهب عنا هذا التعب والقلق ويبعدنا عن اضطراب الحياة وقلاقلها فنتمتع بهذه المجالس وجوها الناضر الممتع فيذهب بالتعب ويجدد القوة والحيوية في العقل والقلب"-

وقد نشأ جيل جديد من النقاد بعد وفاة اقبال جاءوا بنزعة جديدة نقدية فأخذوا ينقدون بها اقبالاً وشخصية وهو انهم يحللون القضايا الشخصية وحياته التي تتصل بقضايا الحب والغرام على ساس ماقاله من الشعر وما كتبه من الرسائل وهذه النزعة الجديدة ترجع الى حب الانفراد والابتكار فيرى (الاستاذ / محمد عثمان) بان اقبالاً كان قد اضاع الكثير من قصائده الشعرية التي نظمها في هذا الطور من حياة وذلك لان هذه القصائد او المنظومات الشعرية كانت تخص حياته الشخصية كما انه يرى بان البعض من القصائد والمنظومات التي سلمت من محاولة الاضاعة كمنظومته "وصال" و "الجمال والعشق" و "صوت الا لم" و "هدية الوردة" وغيرها اذا درسناها دراسة عميقة فانها تكتشف الحقيقة التي ليس فيها شك ولا ريب وهي ان قلب اقبال كان قلبا مضطربا- ذلك القلب المضطرب الذى فغشل في حبه او انه كان يتوق الى الحب والغرام بقلق واضطراب وهذا مما تويده رسائل اقبال التي كتبها الى السيدة (عطية فيضي) تأييداً خفيا وقد استنتج (الاستاذ محمد عثمان) من هذه المنظومات ورسائل اقبال الى السيدة (عطيه فيضي) بان اقبالاً كان بامكانه ان يعشق انسانا ويحبه والواقع ان اقبالاً قد كان على صلة قلبية بانسان- وقد احبه فعلا الا وهي السيدة (عطيه فيضي) ومن ثم اراد اقبال ان يجعل منها رفيقة حياته الا ان العلامة قد يمكن ان يكون قد رأى بان سيدة من امثالها قد لا تستطيع ان توافق الظروف العائلية والا وضاع الاجتماعية التي كانت تحيط باقبال كما ان مكانته المعيشيه وحالته الاقتصادية ومنزلته الاجتماعية لم تكن مرضية قوية وذلك لان اقبالاً كان قد دخل في مجال المهنة واكتساب الرزق ولم يوطد توطيدا في ذلك وقد يكون ذلك هوالسبب الذى جعل اقبالاً يتردد في الزواج منها وبالاضافة الى ذلك فان اقبال وان كان على مكانة من الثقافة التي تجعله يقدر المكانة التي كانت تحتلها سيدة مشقفة متقدمة من امثال السيدة (عطيه فيضي) الا ان السيدات من امثالها عندهيه اعتقاد بالحرية

لاجتماعية المطلقة قد لايمكن لرجل متدين متحمس من امثال اقبال ان يسمح لها بذلك ومن ثم فشل هذا الحب(٥٤)-

واما الاستاذ مسعود الحسن فهويرى فيما ألفه عن اقبال بانه اى اقبالاً والسيدة (عطيه فيضي) كانا قد اتفقا فيما بينهما على الزواج في ١٩٠٨م او ١٩٠٨م فعندما عادت السيدة (عطيه فيضي) الى الهند اخذت ترسل الرسائل الى اقبال وتلح عليه بين حين وآخر ان ياتي اليها في جنجيرة حتي تتمكن هي وهو من البت في قضية الزواج ولكن اقبالاً لم يذهب الى حنجيرة ابدا فلم يستمر هذا الغرام الاقليلا حتى انتهى في ديسمبر ١٩١١م ففي ١٩١٢م تزوجت السيدة (عطية فيضي) من (فيضي رحمين) ثم تجددت المراسلة بينهما في ١٩٣٣م ولكنها لم تكن الامراسلة تقليدية (٥٥)- اما (خالد نظير صوفي) فانه يرى بان بعض الناس يفترضون الاعا جيب المضحكة على اساس المراسلة التي جرت بين اقبال والسيدة (عطية فيضي) والكنه يعتقد بان البعض الذى جاء في رسائل السيدة (عطية فيضي) من الآراء والفكره قد تنم عن رغبتها في الزواج من اقبال الا ان اقبالاً لم يرغب فيها ولم يحفل بها ابدا وذلك لان اقبالاً كان معجبا بها كصديقة عاملة ولم يكن من الممكن ان يرضى بها كزوحته ومن ثم لم يذهب الى (جنجيرة) رغم انها دعته اليها غير مرة ولكن اقبالاً لبى دعوتها في ١٩٣١م وذلك بعد مدة مضت على زواج السيدة (عطية فيضي) فذهب اقبال الى (بومباى) فزارها في منزلها الذى كان يعرف "ديوان رفعت" (٥٦)-

واما هذا المؤلف فليس بامكانه ان يعلق على آراء هولاء النقاد اوينا قشها لانها لاتقوم الا على القياس والظن ولا صلة لها بالحقائق- والواقع ان اقبالاً بعد عودته من اوربا كان قد واجه المشاكل الاقتصادية والقلق في الحياة الزوجية ومرباضطراب شديد وتعذب بذلك كثيرا وفي مثل هذه الظروف اراد ان يتغلب على هذه الآلام والمشاكل ويستمد من مساعدة عاطفية وهذه المساعدة العاطفية لم تكن غير شخصية عاشت مع اقبال مدة قصيرة في اوربا وتركت في ذاكرته من ذكريات عاطرة خلابة ومن ثم فهمت السيدة (عطية فيضي) مايجول في خاطر الشاعر الملهم فتعاطفت معه وساعدته حيث اراد ان تساعده وكذلك لاشك في ان بعض منظومات اقبال التي قالها في اوربا او بعض التي قالها بعد عودته منها تعبرعن العواطف الشخصية والوقائع الخارجية وقد نظمت تحت التأثير المباشر لدراسته الادت الرومانسي الالماني وتوجد منظومات من هذا النوع

والاسلوب في (مذكرة اقبال) التي كتبها خلال اقامته في اوربا ولم يكملها وهي توجد في "متحف العلامة اقبال" ومن بينها "منظومة عنوانها "القفار المفقود" ولم يكتب اقبال الا ثلاثة مصاريع من هذه المنظومة- مامعناه:

"كنت قد خلعت القفاز ووضعته على المنضدة ولكنك اختلست اختلاسا وان هذه البسمة الشريرة في عينيك تدل على"-

فكما ان اقبال كان قد قال الشعر على اسلوب (داغ) ثم على اسلوب (اكبر اله اٰبادي) كذلك قد نظم العديد من القطعات الشعرية تعبر عن الحوادث الواقعية على منوال الشعراء الرومانسيين الالمان خلال اقامته في اوربا ولكن اقبالاً لم يكن شاعرا رومانسيا بطبيعته ومن ثم لم يهتم الابعض القطعات الشعرية منها واضاع الباقي منها كما كان قد اضاع بعض القصائد الغزلية التي كان قد نظمها على اسلوب استاذه (داغ) فلواراد اقبال ان يخفي حياة العاطفية او الشئون الشخصية الخالصة لكان اضاع القطعات الشعرية التي قالها في هذا الطور من حياته-

واما التهمة الثالثة التي وجهت الي اقبال وهي انه كان قدقتل مطربة وهوشاب يافع فان ذلك اختلاق وافتراء من لم يعرف اقبال اطلاقا فلم يكن اقبال يغضب الاقليلا وكان اذا غضب من شخص قطع صلته به نهائيا ولكنه لم يكن يتغلب عليه الغضب ابدا حتى انه لم يسب ولم يتقاتل مع احد وهو في سورة الغضب وبالاضافة الى ذلك فان اقبالاً لم يكن يستطيع ان يرى الدم السائل لانه كان رقيق القلب رغم انه كان شاعر الجهاد والحماسة والقوة فكان اقبال يأمر المؤلف بمناسبة عبدالاضحى ان يبقي عند الاضاحي ويراقبها ورغم ان شعر اقبال يذخر بذكر الخنا جروالسيوف والسهام والاباباب الا انه لم يطلق طلقة واحدة من المسدس او البندوق ابدا واذا استعمل السكين خلال حياته فكان ذلك اما ليصنع القلم اويحد قلم الحبر فمن المستحيل ان نتوقع من شخص كهذا انه يرتكب جريمة القتل اويزهق نفسا انسانية-

وقد تحدث بعض اصدقاء اقبال عن هذا الجانب من شخصية فمنهم (الميرزا جلال الدين) الذى يقول (٥٧):

"وكان اقبال انسانا قبل كل شئي وكان يملك اعجازا نبويا الا انه لم يكن نبيا ومن ثم فان الاعتقاد بعصمته عن العوارض البشرية والعيوب الانسانية ادعاء لاقيمة له ولا حقيقة وان ادعاء العصمة من هذا النوع قد لايرضى به روح اقبال ايضا"-

ويقون عبدالمجيد سالك (٥٨):

"ان اقبالاً لم يكن في عنفوان شبابه الاكابناء جنسه في هذه المرحلة من الحياة- لاشك انه يزل باب السكر" ولم يستطع ان يصل درجة النحل في التلذذ والتمتع (أي أنه لم يزل يقتنع بالقليل من متعة الحياة ولذاتها ولم يستطع ان يبلغ اعلاها واحلاها) الا اننا نجد البعض من اصدقائه وزملائه الطاعنين في السن الذين لايزالون يحتفظون في صدورهم بذكريات الحياة الحلوة الممتعة من البذخ والخلاعة"-

ويقول محمد دين تأثير (٥٩):

"ان خلاعة اقبال ليس سرا من الاسرار الا ان معظم هذه الخلاعة يرجع الى خلاعة اللفظ والخيال الشعرى ويرجع ذلك الى الشباب وجموحه لاغير! فان الخلاعة لم تسيطر على اقبال وانما اقبال هو الذى سيطر على الخلاعة واقول ذلك على ثقة منى لان اقبالاً لم يحاول ان يخفى جانبا من جوانب شخصية كل شئي سألناه عنه رد علينا ردا صريحا ويرجع ذلك الى الحقيقة التي ليس ورائها اى شك وهي ان اقبالاً لم يحدث في حياته شبئاً يحتاج الى الستر والاخفاء- ان الذى يمكن ان نسمية خلاعة انما هي نكت ولطائف ترجع الى ماقبل نظم "الاسرار والوموز" وهذه النكت واللطائف قد نشرها وجهربها (السير شادى لعل) ذلك (المحامي الهندوكي) المتعصب لانه كان يخشى ان يصبح اقبال قاضيا في القضاء العالي بلاهور فاراد ان يحرمه من ذلك المنصب وايضا قد نشرهذه النكت واللطائف واذ اعها بين الناس بعض مشاهير المسلمين الذين شاركوا اقبالاً في مهنة المحاماة فهم الذين اذاعوا هذه النكت والا حداث اللطيفة مبالغين في ذلك لتحقيق الاغراض الذاتية الخاصة فهذه هي الحقيقة التي جعل الناس منها اسطورة- ان اقبالاً لم يكن وليا من الاولياء ولكنني لم ارمسلما صادقا متهجدا رقيق القلب من امثاله بين المسلمين المثقفين فقافة اوربية يحب الرسول ويخدم الولياء الله ويكرمهم ويحترمهم الا نادرا الا ان طبيعته لم تكن تخلو من شئي من الخلاعة فقد كان يرى بان الوجه الجميل وجه جميل على كل حال ولكنه لم يرتكب اثم الغرام ابدا وكان متنزنا فيما يعمل شاعرا بطبيعته قبل كل شئي ولاغير"-

اما هذا المؤلف فلايرى نفسه اهلا بأن يعلق على آراء من رآى اقبال من قريب ولكن اقبالاً نفسه كان قد اورد تحليلا نفسيا في قطعة شعرية عنوانها "السحابة التي تمطرالآلى والجواهر "ففي هذه القطعة الشعرية يقول اقبال محلا معلقا على شخصيته ومارأي الناس فيها(٦٠):

١) انني فكرة غامضة يصعب فهمها على الكثيرين من الناس ولكن من اراد ان يفهمني فانني فكرة سهلة الفهم ايضا-

٢) فان الخليع يظنني وليا من الأوليا كما ان الولي يعتبرني خليعا اما انا فأستمع إلى أقوال كل منهما متحيرا مندهشا-

٣) إن الزاهد المتكلف ضيق الافق قد كفرني تكفيرا واما الكافر فظنني مسلما-

٤) وبعضهم يقول: ان اقبال يتبع مسلكا صوفيا كما ان البعض منهم يظنني من المولعين ولوعا شديدا بالنسوة الجميلات!

٥) انني مكشوف مفتوح بين ايدي الناس ورغم ذلك فقد اختلفت اقاويلهم عنى حتى لوكنت مختفيا مستورا فما ذا سوف يكون رد فعلهم وباى نظركان بامكانهم ان ينظروا الى!

٦) ايتها العين الحاقدة المعادية لى، لاتنظرى الى بالاحتقار والا زدراء فانني انسان قد يعتزبه خالقه سبحانه وتعالى الذى خلقه!

٧) ان الذى حصدته انما هو انتاج من مزرعة قد حرقها العشق وانا صاحب قلب يضحي قد يمكن ان الا لم نفسه من اجل هذا القلب الخفاق!

الفصل العاشر

طور التقدم الفكري

والواقع ان اقبالاً شاعر النهضة الاسلامية و مفكرها وفيلسوفها ومن ثم نستطيع ان ندرس التقدم الفكرى عنده على ضوء حركة النهضة الاسلامية وتطورها فقد بدأت حركة النهضة الاسلامية المعاصرة هذه بالحركة الاصلاحية التي بدأت في وسط القرن الثامن عشر الميلادى بارض نجد على يد محمد بن عبدالوهاب (١٧٠٣م-١٧٨٧م) وقد ظهرت هذه الحركة الاصلاحية كرد فعل للانحطاط الديني والاخلاقي والسياسي في العالم الاسلامي خلال الحكم التركي العثماني ثم تكاثرت حركات مشابهة لتلك الحركة في العالم الاسلامي عله كرد فعل للظروف الطارئة والا وضاع الراحنة في كل بقعة من البقاع رغم انه لم تكن صلة واضحة تجمع بين هذه الحركات كلها الا ان هذه الحركات حيث ماظهرت واينما بدأت كان الهدف منها هوالجهاد والاحتجاج الشديد على الحكم الدكتاتورى من الملوك والسلاطين وسياسة الانتهاز التي كان يتبعها رجال الدين والشعوذة التي اختلقها الجهلاء المتصوفة او ضعف العقيدة التي قد عانى منها الشعب المسلم او الانحطاط والزوال في المجتمعات الاسلامية او الظلم او الاضطهار الذى ارتكبة الحكام الا جانب من الروس والاستعمار الغربي وقد كانت هذه المحاولات والجهود الاصلاحية كلها قد بدأت تحت شعار الاسلام واخوته-

وقد نشأت وتطورت حركات من هذا النوع في شبه القارة خلال القرن التاسع عشر الميلادى ايضا فمنها الحركة الاصلاحية الجهادية التي قادها الشيخ (سيد احمد بريلوى) واصحابه والشيخ (شريعت الله) (دود ميان) و (مير نثار على) وكان (سيد احمد بريلوى) وانصارة قد اتخذوا اقليم الثغر الشمالى الغربي كمركز لجهادهم الاسلامي وجهود هم الاصلاحية وذلك لان اغلبية سكان الاقليم كانوا من المسلمين وايضا تتصل حدوده بالدول الاسلامية فقد اعلنوا الجهاد في البداية ضد (السيخ) الذين احتلوا مناطق بنجاب وكشمير التي هي مناطق الاغلبية المسلمة واما مناطق السند وبلوجستان والتي اغلبية سكانها كانوا من المسلمين فقد كان يحكمها الحكام المسلمون الذين كانوا من انصار (سيد احمد بريلوى) وحلفاء ويبدوكأن الشيخ سيد كان يهدف الى انشاء دولة اسلامية في المناطق الشمالية الغربية من شبه القارة التي اغلبية سكانها هم المسلمون ولعل

هذا الذى جعل الشيخ سيد يحاول ان يحرر مناطق بنجاب وكشمير الاسلامية من (السيخ) المحتلين وكذلك فان المنطمة العسكرية التي كانت تضم الفلاحين المسلمين والتي قادها (مير نثار على) في مناطق الاغلبية المسلمة من شرق بنغال كانت تهدف الى القضاء على الاقطاعية الهدوكية المستغلة فيها ولعله اراد ايضا ان ينشئي دولة اسلامية في شرق بنغال ومن اجل ذلك كان قد اعلن الجهاد الا ان هذه الحركات فشلت في تحقيق اهد افها لانها واجهت المعارضة من الانجليز الذين كانوا يملكون الوسائل الحربية التي لا حصرلها والذين كانوا يعرفون الاساليت الحربية الحديثة بينما كان المكافحون المسلمون لايملكون من الوسائل الكافية كما ان اساليبهم الحربية كانت قديمة واهية وعقيمة جدا-

على كل فان حركة النهضة الاسلامية رغم المحاولات الغاشلة لم تزل تشق طريقها وبسبب الاتصال المباشر بالغرب دخلت افكار جديدة وحركات هدامة اجنبية في المجتمع الاسلامي واثرت فيه تاثيرا كبيرا واما حركة النهضة الاسلامية فانها بعد الجيلين المتتابغين توسعت اٰفاقها وتسامت اهد افها وظهر عدد من القادة المسلمين في العالم الاسلامي الذين حاولوا اسلمة الافكار الجديدة المستوردة بدل ان يعارضوها معارضة مباشرة ومن بين هؤلاء القادة الزعماء المسلمين كان (السير سيد حمد خان) واتباعه في شبه القارة فقد قام هولاء القادة المسلمون بخدمات جبارة في تقدم التعليم الجديد بين مسلمى الهند كما انهم قاموا بخدمة الامة الاسلامية والقومية الاسلامية على نطاق واسع الا ان هؤلاء القادة المصلحين كانوا قد انقسموا الى فئتين ممتازتين احدهما المحافظون والفئة الثانية عرفت بالاعتدال والتوازن ونشئت بينهم خلافات الا ان الفئتين كلتيهما كانت على وعي بالخبطر المهدد من قبل الروس والقوى الاستعمارية الاوربية ومن ثم اشتركت الفئتان في الدفاع عن الاسلام وعقائده وتراثه وبلاده- من بين القادة والزعماء الذين قاموا بالمساعي الحميدة لخير الامة والمصالحة بين الطائفتين المتعارضتين اى المحافظين والاعتد البين في تاريخ الاسلام المعاصر هوالشي العلامة جمال الدين لافغاني فقد الح الافغاني على المسلمين ان يستخدموا وسائل التقدم والتكنا والتكنولوجيا التي استخدمها الاوربيون كما انه الح عليهم ان يفهموا السر الحقيقى وراء قوة الاوربيين وسطيطرتهم ولاشك ان القادة المصلحين من المحافظين والاعتد اليين قد تصالحوا وتعاونوا بجهود ومساعي حميدة قام به لزعماء المصلحون من امثال الشيخ العلامة جمال الدين الافغاني وكانت نتيجة هذه المحاولات الاصلاحية والمساعي الحميدة هو ظهور الحركات البناءة المفيدة لوحدة العالم

الاسلامي ومنها حركة القومية الاسلامية (مسلم ناشيونال ازم) وحركة توحيد الدول الاسلامية (بان اسلامزم)-

وكان اقبال قد بدأ ينظم الشعر كشاعر متغزل تقليدى وكان يشارك المجالس الشعرية التقليدية التي تذكرنا بعصر الانحطاط لمسلمي شبه القارة ولكنه كان قد نشأ وترعرع في عصر النهضة وليس في عصر الانحطاط والزوال وبالتالي فكان من الطبيعين أن يتأثر بالظروف المحيطة بالبيئة التي نشأ فيها وترعرع ومن ثم قطع صلاته بالمجالس الشعرية بعد بضع سنوات فاتخذ شعره اسلوبا خاصا يمثل حب الوطن والشعب وفي هذه المرحلة حياته كان اقبال يأمل في التصالح والتفاهم والتعاون بين الهنادكة والمسلمين وهذه الظاهرة من حب الوطن والشعب جعلت اقبالاً يسير نحو اٰفاق واسعة فسيحة من الرأى والفكر حتى تفانى في الوطنية الا ان هذه المرحلة من شعره وفكره ايضا كانت مؤقتة –وكان اقبال خلال اقامته باوربا قد مربتغيير فكرى وقلبي وهذا التغيير وجه شعر اقبال نحوالاسلام توجيها حاسما ونهائيا فيقول الخليفة عبدالحكيم عن ذلك (١):

"وكان اقبال قد قدر في نفسه قرارا حاسما بانه سوف ينفق مابقي من ايام حياته في نظم الشعر الهادف نحوالنهضة الاسلامية وكان يقول بان هذه كانت امنية والده الذى كان ينصح له دائما ان يكرس حياته ومواهبه الشعرية من اجل الاسلام وخدمته- اما (الشيخ حالي) فان (السيرسيد) هوالذى كان قد غير مجرى شعره وجعله يكرس مواهبه الفنية من اجل الامة الاسلامية وهذه الظاهرة الشعرية لم تكن توجد في شعر (الشيخ حالي) قبل ان يلتقي (بالسير سيد احمد خان رحمه الله) فلم يكن عنده غير الغزل التقليدى واما اقبال فكان يملك هذه المشعر والظاهرة الشعرية منذ البداية- الا ان هذه المشاعر وهذه الظاهرة الشعرية كانت قد اشتدت واخذت تتدفق خلال اقامته في اوربا فكأن هذه هي "شمسر القيامة" في طبيعة اقبال وكانت قد طلعت عليه وهو في الغرب"-

على كل حال فان شعر اقبال في مرحلته الوطنية والقومية لم يكن يخلو من اللون الاسلامي والمشاعر الدينية كما هوالظاهر من المنظومات والقطعات الشعرية الشعبية التي انشدها اقبال في الجلسات السنوية الجمعية حماية الاسلام- ورغم من حياته الا انه كان يرى بان شبه القارة بلاد يقطنها شعوب متعددة مختلفة ونظرا الى التغيير المدهش الذى كان في رأيه يميز بين العصرين الماضي والحاضر، كان اقبال يهتم بنهضة الامة الاسلامية وكان قد اعد مقالا في ١٩٠٤م وعنوانه "الحياة القومية" وقد تحدث فيها عن التقدم الذى تحقق في حياة الشعوب الاخرى في

العالم وقد صور الاوضاع الواهنة والظروف المحيطة بالمجتمع المسلم في شبه القارة في ذلك الوقت قائلا (٢):

"انني اقول بكل تأسف وتألم شديد باننا اذا ارأينا المسلمين اليوم من وجهة النظر هذه فاننا نراهم يعيشون في ظروف خطرة جدا- ان هذه الامة البائسة قد فقدت الحكم والقوة كما أنها قد حرمت من صناعاتها وتجارتها ان هذه الامة قد اهملت نفها وتغافلت عن واجبها ولم تفهم الاوضاع الراهنة التي تمرها اليوم- اننا نراها وقد جرحت بالسيف الصارم من الفقر والحرمان وقد وقفت متكئة على عصا التواكل الذى لايعني شيئا- اما مشاكلها الاخرى فلاتذكرها لان هذه الامة لم تستطع ان تنقذ نسها من الخلافات المذهبية والفقهية ولا يمضي يوم عليها الا وقد نشأت فيها فرقة مذهبية جديدة تعلن نفسها بانها هي التي تستحق الجنة وسوف ترث نعمها- اماغيرها من البشرية فانهم حطب جهنم- وجملة القول فان هذا التمذهب وهذه التفرقة قد مزقت شمل هذه الامة وفرقت جمعها- تلك الامة التي عرفت بخير امة ولانجد مايمهد السبيل لوحدتها والتوفيق والتوحيد بين صفوفها- اما شيوخها من رجال الدين فاذا اجتمع الاثنان منهم في قرية من القرى او مدينة من المدن فانهما يتراسلان فيما بينهما اولا للمناقشة او المناظرة حول حياة المسيح ومماته او الناسخ والمنسوخ من الايات القرآنية فاذا بدأت المناقشات والمناظرات بينهما وعادة تبدأ المناقشات والمناظرات فانهما يتناقشان ويتسابان ويتقاتلان والعياذ بالله وليس لديهما شئي من العلم الذى امتازبه الاسلاف من العلماء المسلمين- اما اليوم فان الذين خلفوهم ليس لديهم الا فهارس الكفرة من المسلمين- اما اليوم فان الذين خلفوهم ليس لديهم الا فهارس الكفرة من المسلمين، تلك الفهارس التي اعدوها بايديهم ولا يزالون يضيفون اليها كل يوم شيئا جديدا واما اغنياء الامة وكبراؤها فان حبهم للبذخ والاسراف والتكسل لايوجد له نظير- فاننا نرى احدهم وقد رزقه الله باربع بنات وابنين الا انه قد خرج يبحث عن زوجة ثالثة وقد اخفى محاولاته هذه عن زوجتيه الاوليين فاذا تخلص يوما من التقاتل والتشاجربينه وبين زوجاته اتجه نحو سوق المومسات حتى يتمتع بجمال احداهن ويقضى بجانبها لحظات المتعة والسرور- واما عامة الشعب فلاتسأل عنهم فانك ترى احدهم قد استعد استعدادا على ان ينفق ما ادخره من المال بمناسبة الختان لبعض اولاده وهذا هوالآخر من عامة الشعب قد سحب ولده الحبيب المدلل من المدرسة لانه يخاف اساتذتها وضربهم اياه اوتجد احد يبذر مسائل مااكتسبه نهارا- اما الغد او المستقبل فامره الى الله وهكذا يقنع نفسه ويرضيها- وترى عامة المسلمين ذا بدأ الخصام بينهم فان ذلك لا يمكن ان ينتهي ابد الدهر فبعضهم ينفق ماورثه من

المال في المقاضاة ومرافعة الدعاوى وهكذا نراهم يفنون العقارات والاراجي في سبيل المخاصمة والمقاضاة واما اجتماعيا وخلقيا فاننا نرى ان ينات المسلمين وفتياتهم غير مثقفات واما الشباب من الفتيان فانهم يجهلون كل شئي ولايتمكنون من اكتساب الرزق ويعيشون مطرودين محرومين- اما الصناعات فلاتعجبهم واما المهن فانهم يخجلون منها اما عدد قضايا فسخ النكاح فقد اخذ يزداد يوما فيوما وكذلك سير الجرائم فيهم لايزال يزداد ويشتد يوما فيوما- ان هذه لظروف خطرة جدا وليس امامنا سبيل للنجاة الا اذا نهضت الامة كلها واصبحت فردا واحدا اللقضاء على الامراض الاجتماعية والعيوب الخلقية وذلك لان الاعمال المجيدة لم تتحقق ابدا الا بجهد مكثف وسعي موحد وحتي ان الله سبحانه وتعالى لايغير مابقوم حتى يفيروا مابانفسهم"-

ثم يتناول للنقاش موضوع الفرد واهمية الجماعة فيقول بان الجهود التي يبذلها الفرد من اجل صلاح المجتمع نوع من العبادة لانه عمل شعبي وخدمة وطنية ثم يتحدث عن تعليم النساء ويلح على تثقيفهن ويقول بان تعليم الرجل وتثقيفه انما هو تعليم فرد واحد وتثقيفه- اما تعليم المرأة وتثقيفها فهو يعني تهذيب الاسرة وتزيينها بالعم ثم يتحدث عن الحجاب فيقول بان الغاء الحجاب يضر الامة وخاصة في مثل هذه الظروف والا وضاع والجهل والتخلف- اما اذا تثقف الشعب وتحسنت اخلاقه وتهذب رجاله ونساؤه فحينئذ نستطيع ان نسمح للمرأة ان تتحدث الى الرجال وتتناقش معهم في المشاكل الاجتماعية القومية التي لابد منها وكذلك فان العلامة اقبال من القائلين بالاصلاح في تعدد الازدواج فانه يرى بان الاذن بتعدد الزوجات يرجع الى سبب روحي خطر دقيق، يقول اقبال:

"كنافي حاجة الى تعدد الزوجات في صدر الاسلام لاسباب اقتصادية واجتماعية وسياسية- اما المجتمع المسلم الحاضر الذى يعاني من الفقر والجهل فانه ليس في حاجة الى تعدد الزوجات في الوقت الحاضر وان الاهتمام بتعدد الزوجات والا لحاح على ذلك يعنى الاعراض عن الاوضاع الاقتصادية التي يمربها المجتمع الاسلامي اليوم ففي مثل هذه الظروف يعني الاذن بتعدد الزوجات اداة شرعية في ايدى اغنياء الامة واثريائها لتبرر لهم الزنا"-

ويرى اقبال بان الرغبة في الاعلان بالثراء والغناء والتظاهر بذلك انما هو مرض من الامراض الاجتماعية ولابد ان نحرر المجتمع من هذه الامراض ويتحدث عن التقاليد القبيحة التي يرتكبها الناس بمناسبة حفلات الزواج كما انه ينقد النزعة الى الاسراف ولتبذير ويتحدث بهذه المناسبة عن الزواج الذى يقوم على اكراه

الفتيات المسلمات واجبارهن على ذلك ولهذا السبب نرى الزوجين المسلمين في اكثر من تسع وتسعين في المائة من الاسر المسلمة لايتمتعان بالمسعادة الزوجية ويرى اقبال بان الخطبة او النسبة قبل الزواج قد تكون مفيدة من اجل التفاهم بين الزوجين واسرتيهما ويجب ان نسمح للزوجين بالتفاهم بينهما قبل الزواج واللقاء في حضور الكبار حتى يتمكن كل واحد منهما من معرفة العادات والميول الطبيعية لكل واحد منهما فاذا اتضح بان الزوجين يختلفان بطبيعتهما فمن الممكن الغاء اتفاقية النسبة او الخطبة قبل الزواج بارادتهما(٣)-

ريرى اقبال ان الامة الاسلامية في نهضتها الحديثة والبناء العمراني الجديد في جاجة الى امرين- احدهما محاولة تحقيق الاصلاح الاجتماعي والثاني انتشار التعلم ويرى انه لا بدمن انتشار التعليم الصناعي خاصه بين المسلمين ويعتقد بان التعليم المهني والصناعي هواكبر حاجة وضرورة للامة الاسلامية ويقول:

"والواقع ان ايدي النجار التي اخشوشن جلدها وتقطع بسبب مااكثر من استخدام القدوم اجمل واكثر فائدة وخيرا ونفعا في راي من الايدى اللينة الناعمة الجميلة التي لم تتعود غير القلم ولا تتحمل اى شي اخر"-

امارأى اقبال عن الاصلاح الاجتماعي فهو نفس الرأى الذى كان يراه فيما بعد وقد فصل فيه القول في اكثر من موضع وعن ذلك يحدثنا قائلا بان مشكلة الاصلاح الاجتماعي عند المسلمين مشكلة دينية لان المجتمع الاسلامي انما هو صورة او ظاهرة عملية للدين الاسلامي ومبادئه ولا يوجد جانب من الجوانب الاجتماعية في حياتنا نستطيع ان نفصلها عن الدين وليس من اختصاصي ان اتحدث في هذا الموضوع وخاصة عن جانبه الديني الا انني لا اتردد في ان اقول بان حياتنا العملية قد مرت بثورة كبيرة وبذلك قد ظهرت حاجات اجتماعية وان ماقاله الفقهاء القدماء وما استنبطوه من الاحكام في عصرهم وأن هؤلاء الفقهاء الذين تضم آراءهم مجموعات التشريع الاسلامي- ان هذه المجموعات في حاجة الى اعادة النظر ولا اقصد بان المبادئ الاسلامية للدين ينقصها شئي من داخلها حيث لا تست طيع ان تساير حاجاتنا الاجتماعية المعاصرة وانما الغرض من هذا ما استنبطه الفقهاء من المسائل على اساس التعاليم الواسعة للقران المجيد والحديث النبوى الشريف انما هي استنباطات كانت تناسب عصورها الخاصة والا وضاع الخاصة وكان من الممكن العمل بها حينئذ الؤالا ان هذه الاستنباطات لاتستوعب حاجاتنا المعاصرة- ولوتناولنا حياتنا المعاصرة بالدراسة والنقاش لاتضح لنا باننا في حاجة الى علم الكلام الجديد الذى بامكانه ان يؤيد ويفسر المبادئ الدينية في الوقت الحاضر فكذلك نحن في

حاجة الى امام فقيه مجتهد كبير يقوم بالتفسير الجديد للشريعة الاسلامية ذلك الفقيه الامام المجتهد الذى يملك قدرا واسعا من المواهب العقلية والفكرية ليستطيع بها ان يفسر الشريعة الاسلامية على اساس المبادئ الدينية تفسيرا جديدا ذلك الذى بامكانه ان يوسع بمواهبه الفكرية وكفائته الاجتهادية في الاصول حتى تتمكن من استيعاب المتطلبات الاجتماعية المعاصرة- اما انا فلا اعلم شخصا ظهر في العالم الاسلامي ويملك هذه الكفاءة والمواهبة للتقنين الجديد والتشريع المعاصر- ونظرا الى اهمية هذه المهمة فيمكن ان يقوم بها اكثر من واحد من العقول وان ذلك العمل يحتاج لاكتماله الى قرن من الزمان على الاقل فيما اعتقد"-

وان دراسة هذا المقال الشاملة توكد لنا بان اقبالاً كان على وعي كامل باسباب الزوال والا نحطاط للامة الاسلامية منذ البداية- فقد كان يرى بان الحياة البشرية قد تغيرت تغيرا ثوريا حتى انقطع الحاضر عن المعاضي وذلك مما اوجب على المسلمين ان يغيروا مواقفهم العملية واساليبهم الفكرية وكان اقبال يستمر في محاولاته للنهضة الاسلامية وبنائها الجديد في تلك الظروف المحيطة به من الصحوة الاسلامية والطموح الى مستقبل افضل وكان يرى بان المدنية الاسلامية انما هي ظاهرة من ظواهر الدين اسلامي الا ان الحياة البشرية كانت قد تغيرت تغيرا ثوريا فنشأت حوائج جديدة للمتطلبات العصرية الجديدة فكما ان المسلمين اليوم في حاجة الى علم الكلام الجديد لتائيد المبادئ الدينية وتقويتها كذلك هم في حاجة الى تفسير جديد للشريعة الاسلامية بالاجتهاد تحقيقا للمتطلبات المعاصرة ويتضح من آراء اقبال هذه بان المسلمين كانوا في حاجة في اوضاع الحياة المتغيرة المتطورة السريعة الى علم الكلام الجديد بالاضافة الى التفسير الجديد للشريعة الاسلامية والا فان الاسلام قد يمكن ان يعيش ويبقى كديانة من الديانات الراكدة ولكنه ليستطيع ان يعيش ويبقى كقوة حضارية وكاسلوب من اساليب الحياة البشرية المتطورة-

وكان القادة المسلمون قد انشأوا الرابطة الاسلامية الهندية في ١٩٠٦م وكانوا قد طالبوا بمبدأ الانتخاب المنفصل للدفاع عن حقوقهم والا حتفاظ بها وذلك منذ ١٩٠٥م حين كان اقبال في انكلترا حيث كان الهنادكة يتظاهرون ويقومون بالاعمال الارهابية ضد تقسيم بنغال تلك الخطوة الادارية التي كان بامكانها ان تحسن الظروف الاقتصادية للمسلمين في المنطقة وفي السنة التي تلت كان اقبال قد مربتغيير عقلي و فكرى عظيمين- ان اهتمام اقبال بجمعية الوحدة الاسلامية في

لندن والفرع البريطاني للرابطة الاسلامية وكذلك سلسلة محاضراته عن المدنية الاسلامية انما هي ظواهر توكد لنا بان وجهة نظر اقبال كانت قد تغيرت وحين عاد اقبال الى لاهور لم ينشد قطعات شعرية في الجلسات السنوية لجمعية حماية الاسلام كما كان قد تعود فيما مضى وانما القى محاضرات عن المدنية الاسلامية باللغة الانجليزية والى نهاية ١٩٠٩م كان اقبال قد تحقق له ووصل الى نتيجة حاسمة بان من صالح الهنادكة والمسلمين كليهما ان يحتفظا بوجوهما القومي المستقل كشعبين مختلفين-

وفي ١٩٠٩م نشر اقبال مقالا في جريدة "هندوستان ريفيو" الانجليزية وكان عنوانه "الاسلام بصفته هدفا اخلاقيا وسياسيا" (٤) والدارس لهذا المقال يرى بان اقبالاً كان قد درس الاديان العالمية دراسة چيدة كما انه كان قد درس تاريخ الاسلام دراسة عميقة بالاضافة الى تاريخ العالم فيقول عن تفسير المبادئ الخلقية الاسلامية وهو يتحدث عن المبادئ الخلقية في البوذية والمسيحية والديانات الاخرى بان الاسلام يلح على الانسان ان يشعر بوجوده ويدرك شخصية حتى يتمكن من المعرفة بانه مصدر قوة هائلة- ان هذه الفكرة عن الامتياز الانساني بانه مصدرقوة هاءلة في ذاته انما هو تقدير وتقييم لكل عمل انساني طبقا للتعاليم الاسلامية ومن ثم كل شئي يدعم امتياز الانسان وانفراده ويقوى في نفسه هذا الشعور فهو عمل صالح وكل شئي يضعف هذا الشعور الانساني فهو عمل غير صلح- ان العمل الصالح في الاسلام هوالدعم والقوة والمقصود من الشر هوالضعف البشرى- ان الانسان اذا تحقق عزه وكرامته كفرد وانه يستحق ان يتجول في هذا الكون الواسع الذى خلقه الله بدون اى خوف وبكل حرية فانه بامكانه ان يكرم الافراد الاخرين ويحترمهم وان يصير مظهرا كاملا من مظاهر الخير والصلاح-

وفي هذا المقال نفسه يحدثنا اقبال بان العمل في الشعور الاقتصادى للازمنة القديمة انما كان يتصل بالجبر والاكراه وذلك مما جعل الفيلسوف اليوناني (ارسطو) يعلن بان العبودية والعبيد من الضرورات الاساسية للتقدم والتطور الانساني- اما الرسالة الاسلامية التي جاء بها الرسول العربي صلي الله عليه وسلم فانما هي حلقة تتوسط بين العالمين القديم والجديد وقد اعلن الرسول صلي الله عليه وسلم بمبدأ المساواة بين البشر جميعا في المجال الاقتصادى ورغم ان العبودية استمرت كضرورة للحوائج الاجتماعية لكل عصر الا ان الرسول العربي صلي الله عليه وسلم كان قد ضرب ضربة قاضية على مبدأ العبودية واساسها- اما الفقر فهو نوع من الكفر والاثم في الشريعة الاسلامية وقد اعلن القران للبشرية بان تهتم بالدنيا ولا تنس

نصيبها منها (ولاتنس نصيبك منن الدنيا) وعليه فان المبدأ الاساسي الاسلامي الذى ينص على احترام الفرد وكرامته او كرامة الانسان واحترامه انما هو ميزة يمتز بها الاسلام ولا يمكن ادراك الجوانب الخلقية والشرعية لهذا الدين القيم الا اذا ادركنا هذا المبدأ الاساسي وهذه الميزة البارزة وان الجسم القوى يمثل الارادة القوية فهذا هو من اهداف الاسلام الخلقية فيقول اقبال:

"فهل يتحقق هذا المستوى الاسلامي في المجتمع الاسلامي الهندى وهل يمكن ان نقول عن المسلم الهندى بانه جسم قوى يمثل ارادة قوية؟ وهل توجد فيه ارادة قوية للحياة فعلا؟ وهل توجد فيه سيرة قوية تؤهله لمواجهة القوى المعادية التي تريد تمزيق المجتمع الاسلامي؟ ومع الاسف الشديد ان الرد على هذه الاسئلة كلها هو بالنفي والقراء الكرام يعرفون جيدا بان العدد الكثير من الافراد وحده ليسر هوالعنصر الاساسي الذى يضمن البقاء لاى نظام اجتماعي- اما الضمان القاطع الجاسم لبقاء نظام اجتماعي فانما حي القوة الجماعية والسيرة العملية الفعالة لافراد المجتمع"-

ثم يلح على الدور الذى تقوم به القوة الفردية في مجتمع من المجتمعات فيقول:

"أما أنا فانني اقدر الشيطان واعرف مكانته وأرى بان له مكانة تحسب فان اٰدم الذى كان يراه الشيطان اقل منه منزلة بكل صراحة وصدق ابى ان يخرله ساجدا وبذلك حقق له مكانة وابدى بذلك عن طموحه ومشاعره العالية في نظره نفسه على الاقل وانى ارى ان هذا الكمال في سيرة الشيطان قد ينقذه من القبح الروحي وانا اعتقد بان الله سبحانه وتعالى لم يعاقب الشيطان لانه ابى ان يسحد لابي البشرية ضعيفة العزم والبنيان وانما عاقبة الله سبحانه وتعالى لان اللعين كان قد رفض ان يخر ساجدا امام ارادة الخالق العظيم والرب القهار الذى خلق الكون ومافيه"

ويضيف اقبال قائلا بان طبقة المثقفين من المسلمين لاهدف لهم ولا هم الا الحصول على الوظائف الحكومية والوظيفة تعني الاحتياج الى الحكومة وخاصة في بلد مثل الهند- وهذا الطموح او الهدف والاحتياج الى الحكومة يقضي على تطور الشعور الحر الفرادى للانسان ونرى ان الفقواء جميعهم لا يملكون شيئا واما الطبقة المتوسطة من الناس فهي تنفقصها الثقة المتبادلة ومن ثم لاترغب في التجارة المشتركة على اساس رأس المال المشترك واما الاغنياء والاثرياء من الناس فانهم يرون بانا الصناعة والتجارة وغيرهما من المهن والحرف تعارض مكانتهم الاجتماعية وان

فقر المسلمين واحتيا جهم انما هو اصل كل فساد ودمار- انهم لايدركون المصالح القومية ومكانتها ومن ثم قد اتخذوا طريقا يقودهم الى الدمار افراداً وجماعات-

وقد تناول اقبال نظام التربية والتعليم في مقاله هذا فقال بان النظام التربوى الحاضر لايلائم المسلمين وانما هو يعارض طبيعتهم التي جبلوا عليها لان هذا النظام ينتج افرادا يملكون سيرة واخلاقا لاصلة لها بالاسلام- ان هذا النظام يبعد المسلمين عن ماضيهم لان هذا النظام التربوى يقوم على الافتراض الخاطي القائل بان هدف التعليم ليست الارادة القوية وانما الهدف منه تربية العقلية البشرية فقط ويرى اقبال بان الامم والشعوب تعيش وتبقى مادامت تذكر الكبار والعظماء من الاسلاف الماضين- وعليه فان المسلمين في حاجة الى نظام تربوى يضمن بقاء التقاليد الاجتماعية والتاريخية العظيمة لهم وفي نفس الوقت ينعش فيهم سيرة اسلامية خالصة-

ثم يتناول اقبال في مقاله هذا اهداف الاسلام السياسية وتوضيح فكرة الامة في الاسلام فيرى بان الاسلام ليس دينا فقط وانما هو ملة او امة كذلك وانه لايمكن فصل الدين عن الامة في الاسلام ومن هذه الناحية يرى اقبال بان مصطلح "المسلم الهندى" فيه تعارض و تناقض ظاهر وذلك لان القومية في الاسلام انما هي نظرية او فكرية للحياة التي تقوم على مبدأ من مبادئ المنطقة او الجغرافية وان صلاح المجتمع او الملة فوق صلاح الفرد لان الملة او الامة انما هي صورة خارجية للاسلام- ويتحدث عن الدستور اسلامي فيقول بان له عبدئيں اساسيين أولهما هو تحكيم الشريعة الالهية والثاني المساواة بين افراد الملة جميعهم وان هدف الاسلام السياسي انما هو انشاء دولة ديموقراطية تقوم على وحدة الامة الاسلامية- ان مبدأ المساواة هي التي جعلت من المسلمين اعظم قوة سياسية في العالم وهذا هوسرالحكم الاسلامي وسيطرة المسلمين في الهند- فهذا هو المبدأ الاساسي من المساواة الذى كان قد اعطى اسمى مكانة للانسان الهندى الذى عاش مضطهدا مطرودا لمئات السنين ولكن لم تبق الوحدة الاجتماعية الاسلامية في الهند لان المجتمع الاسلامي الحاضر قد تعرض لنظام مضاعف من الاميتازات والفضائل فمن ناحية نراهم قد تفرقوا الى فرق مذهبية لا حصرلها ومن ناحية اخرى نرى فيهم الامتياز الطبقي الذى ورثه المسلمون من الهنادكة- اما الاسلام فلاصلة له بهذه الطبقية والامتيازات الاجتماعية وذلك لان الاسلام ينادى بالوحدة والمساواة بين البشر ويقول اقبال:

"اذا كان الحق في معرض الخطر فلا تنازعوا ولا تقاتلوا على مثل هذه التاۃويل-

ولا فائدة من الشكوى الناشئة من الصدمات التي تصيب السائرين في ظلام الليل- تعالوا ايها المسلمون نتقدم على طريق الوحدة والمساواة وعلينا ان نموق اصنام الطبقية والتفرقية تمزيقا لكي يصبح المسلمون قوة معنوية عظيمه بقوة الوحدة مرة اخرى"-

ان الدراسة الشاملة لهذا المقال تحقق بأن اقبال كان تعويضا كاملا عن القيادة الفكرية الصاءبة في مجال الثقافة والتربية التي فقدها المسلمون بوفاة (السيرسيد) فقاد المسلمين في حياتهم الاجتماعية في شبه القارة وهذا المقال له جوانب اخرى كثيرة تدل على التطور الفكرى عند اقبال فكان قد وجد مجتمعا ضعيفا مريضا منهزما ممزقا وكان اعضاء هذا المجتمع الاسلامي يؤمنون ويثقون بالقيم السلبية مما جعلهم يواجهون اليأس والقنوط وكانوا قد اصيبوا بعدد من الامراض جعلتهم يتخذون موقفا دفاعيا ومن الظاهر الجلي ان هذه الظروف الطارئة كانت في حاجة الى رسالة الحياة التي تملوها القيم الموجبة الحيوية وتضمن في نفس الوقت حياة وبقاء للامة- وكان اقبال قد ادرك بان الاسلام لا يبقي منه شئي اذا فقد الجلالة والقوة وفي هذا المقال نفسه توجد افكار اصبحت اساسا لفلسفة اقبال فيما بعد، ذلك البناء الشامخ من فلسفة الذاتية التي انفرد بها اقبال بين الفلاسفة والمفكرين المسلمين-

وتوجد مقالات كتبها اقبال خلال ١٩١٠م وهي جديدة بالاهتمام ففي هذه السنة نفسها كان اقبال قد بدأ يعد مقالا منذ ٢٧/ ابريل ١٩١٠م باللغة الانجليزية في مذكرة خاصة وكان عنوان المقال "افكار متفرقة" فكان يسجل في هذه المذكرة من الافكار والاخيلة والآراء التي كانت تمر بذهنه بين حين واخر(٥)- وفي شهر ديسمبر من هذه السنة نفسها كان اقبال قد اعد مقالا اخر وعنوانه "الامة الاسلامية" وقرأ هذا المقال في اجتماع عقد في "قاعة ستريجي" للكلية الشرقية الانجليزية المحمدية في عليكرة (٦) وقد ترهم الشيخ ظفر علي خان هذا المقال الى اللغة الاردوية فيما بعد ونشرت هذه الترجمة وكان عنوانها "نظرة عمرانية على الملة البيضاء "اى الامة الاسلامية ثم اعد اقبال مقالا اخر بالانجليزيه خلال هذه السنة نفسها وكان عنوانه "الفكر السياسي الاسلامي" ثم نشر هذا المقال في مجلة" هندوستان ريفيو" لشهر ديسمبر ١٩١٠م ويناير ١٩١١م (٧)- ان الدراسة التحليليه الشاملة لهذه المقالات كلها ضرورية جدا لكى نعرف المراحل المختلفة التي مربها التطور الفكرى عند اقبال-

واما مذكرة "افكار متفرقة" فقد عبرفيها اقبال عن افكاره حول شتى

الموضوعات من الادب والفلسفة والفن والعلم والسياسة والدين وتوجد فيها اٰثار تدل على الافكار الهامة التي فصل اقبال القول عنها في شعره وافكاره الفلسفية فيما بعد ويتحدث اقبال عن اهمية النظام الحكومي المناسب الذى يضمن بناء السيرة الشخصية والايمان القوى بالاهداف الممتازة الخاصة التي تمتازبها الامة الاسلامية في التاريخ البشرى فيرى اقبال بان الحياة انما هى جهد مستمر وسعي متواصل ومن ثم لابد ان يكون الهدف التربوى هوالاستعداد الكامل لمعركة الحياة وليس الهدف من التربية هوتدريب الدماغ واعداده للعمل الاٰلي فقط ولا يزال اقبال يلغت النظر بين حين واخر الى الانسان القوى وحاجة المسلم الى القوة ويرى اقبال ان من الاسباب التى ادت الى زوال المسلمين وانحطا طهم انهم اخذوا يعتقدون بان الحياة هي الطاعة كالعبيد وان القيم السلبية مثل العجز والتواضع والتواكل انما هي حسنات صالحات ويرى اقبال ايضا بان هدف الشاعر المسلم انما هوحث المسلمين وتحريضهم على الجهد المتواصل للحصول على القوة والطاقة وذلك لان اعمالهم الثائرة المثيرة وحدها هي التي تستيطيع ان تنفذهم من الاستعباد السياسي والانحطاط الخلقي وكان اقبال قد ادرك الاوضاع الاقتصادية لمسلمين الهند ادراكا صحيحا وكان يرى بان الانحطاط الخلقي عند المسلمين انما يرجع الى فقرهم وانحطاط طهم الاقتصادى ويحدثنا اقبال عن انواع الحكم في مذكرته هذه فيقول:

"واعتقد ان الحكومة مهما كانت انواعها واقسامها فهي من اهم العوامل والموثرات التي توجه السيرة القومية توجيها خاصا- ان نهاية التغلب السياسي وزاوله مما يدمرالسيرة القومية الشخصية لاى شعب من الشعوب فهؤلاء هم مسلموا الهند الذين نزل بهم الانحطاط الخلقي الى الحضيض الاسفل حين زال حكمهم السياسي وانقرضت قوتهم الحاكمة"-

ويتحدث عن الوحدة القومية الاسلامية فيقول:

"اما وحدتنا القومية فهي مقصورة على ان تكون المبادئ الدينية حاكمة على حياتنا- وكلما ضعف اهتمامنا بالمبادئ الدينية لم نجد لنا مكانة نستقر فيها ومن الممكن ان يكون مصيرنا هو مصير اليهود المشرودين المطرودين"-

ويعارض فكرة القومية الوطنية فيقول:

"ان ظهور الامة الاسلامية انما هي ثورة واحتجاج ضد الوثنية والشرك وان الوطنية او القومية شكل لطيف من اشكال الوثنية ويؤيد ما اقوله الاناشيد الوطنية لشتى شعوب العالم فتلك الاناشيد تدل دلالة واضحة على ان الوطنية

انما هي عبارة عن عبادة الاشياء المادية والخضوع لها وان الشريعة الاسلامية لا يمكن ان ترضى بالوثنية بأى شكل كانت وانما هدف هذه الامة الاسلامية الثورة والخروج على الوثنية بجميع اقسا مها ومن ثم لا يمكن لنا ان نعترف بان الذى جاء الاسلام من اجل القضاء عليه قد يمكن ان يكون مبدأ للتنظيم السياسي الاسلامي ولعل هجرة الرسول صلي الله عليه وسلم من مسقط رأسه مكة المكرمة واستيطانه المدينة المنورة واقامته بها ووفاته ومدفنه بها انما هي اشارة خفية الى هذه الحقيقة الخالدة"-

ومما كتبه اقبال في "صفحة من صفحات مذكرته هذه تحتوى على جملة واحدة:

"ان الشعوب تنشأ في نفوس شعرائها الا انها تتطور وتتقدم ثم تموت على أيدى زعمائهما السياسيين"-

واما ماكتبه اقبال في مذكرته هذه في ١٥/ مايو ١٩١٠م فهو تعبير عن انطباعاته الشخصية عن الكوكت ذات الذنب:

"وقد رأيت بالامس في الساعة الرابعة صباحا هذا الزائر الفخم العظيم لكرتنا الارضية تلك التي تسمى كوكبة (هيلى) ذات الذنب فان هذا السباح المهيب في الغضاء العريض يظهر فوق سمائنا بعد كل خمس وسبعين سنة (٨) ولا يمكن لي ان اراه بعد ذلك الا بعيون احفادى القادمين من بعدى وقد مررت خلال هذه اللحظة بكيفية غريبة جدا فقد شعرت كان شيئا عطيما رغم اٰفاقه الواسعة واطرافه المترامية قد تمكن في وجودى رغم حدوده الضيقة الا ان الادراك بحقيقه مؤلمة بأنني حقير مهين حيث لن استطع ان ارى هذا المسافر الهائم مرة اخرى في حياتي قد هزني هزا شديدا ورأيتني للحظة كأن الدم في عروقي قد تجمله وان حميع عزائمي في نفسي قد خدت"-

واما في مقاله "الامة الاسلامية" فان اقبالاً يتحدث فيها عن حياة الشعوب وموتها كفيلسوف وبعد ذلك يناقش الموضوعات التي تتعلق بالعناصر التركيبية للامة الاسلامية ووحدة التمدن الاسلامي وعن السيرة الشخصية التي تحتاج اليها الامة الاسلامية في بقامها المتواصل ووجودها الخالد فيقول بان الفرق بين الامة الاسلامية وبين غيرها من الشعوب فرق مبدئ وأساسي وهو ان الفكرة القومية الاسلامية تختلف تماما عن فكرة القومية عند الشعوب الاخرى فان القومية الاسلامية لاتقوم على مبادئ اللغة المشتركة او الوطن المشترك او الاغراض الاقتصادية المشتركة وانما تقوم الفكرة القومية الاسلامية على تلك الاخوة الخالدة التي جائبها رسول الاسلام صلي الله عليه وسلم تلك اخوة التي لاتؤمن بالدم

والجنس واللون- ان الامة الاسلامية لها عقائد خاصة عن الحياة والكون كما أن التراث التاريخي الذى ورثته الامة الاسلامية انما هوتراث مشترك بين افرادها كلهم فالاسلام ليس دينا فحب وانما هوفكرة مدنية خاصة كما انه فكرة خاصة عن القوم والوطن وان العصبية التي ينادى بها الاسلام انما هوالدفاع عن الامة والذود عن حياضها وان هذه الامة الاسلامية لاتنظر الى الامم الاخرى بعين الاحتقار والا زدراء ويعتقد اقبال بان الوطنية المعاصرة التي نشأت من الفكرة القومية انما هي فكرة تهتم بالاغراض المادية فقط ومن ثم فان هذه الفكرة تعارض البادئ الاسلامية السامية وان عقيدة التوحيد عقيدة واسعة الافاق، تلك العقيدة التي تقوم عليها وحدة الامة الاسلامية بعفهومها الخاص وانما هي عقيدة روحية للامة الاسلامية فيرى اقبال ان المسلمين في مصطلحاتهم الإسلامية اذا فقدوا الاعتصام بحبل الله وهي عقيدة التوحيد فان وحدتهم لايمكن ان تبقى وانما سوف يفترقون افتراقا ويتمزقون تمزقا-

ويتحدت عن الوحدة المدنية الاسلامية فيقول بان المدنية الاسلامية انما هي نتيجة الاختلاط بين الفكر السامي العربي والخيال الآرى الايراني وفي حديثه عن السيرة القومية وبنائها يقدم الملك (اورنك زيب عالمكير) كمثل حي لذلك ويرى اقبال ان هذا الملك المؤمن هو مؤسس القومية الاسلامية في شبه القارة ويقول بأن أسلوب السيرة القومية التي كانت نتيجة لتأثير الملك (عالمكير) انما هي نموذج من السيرة الاسلامية الخالصة-

ثم يلح اقبال على انشناء مركز اسلامي وجامعة اسلامية تعتني بالشخصية الاسلامية للمسلمين وتقوم بانتشار التعليم الصناعي من اجل تحسين الظروف الاقتصادية للشعب المسلم الغقير وازدهار التجارة والاحتراف بالمهن المختلفة بالاضافة الى ايجاد الفرص للمسلمين في الحصول على المناصب الحكومية فيقول عن جامعة اسلامية مركزية:

"ان انشاء جامعة اسلامية في الهند له جانب اخريضيف الى اهمية فلايخفي على احد بان القائمين بترتبية الشعب الخلقية والذين يشغلون مناصب الوعاظ رجال ليس لديهم كفائة كافية تؤهلهم لهذه الخدمة العظيمة فان مبلغ علمهم عن التاريخ الاسلامي والعلوم الاسلامية ضيق محدود جدا- ان المربي الواعظ المعاصر الذى يتحمل مسئولية المبادئ والفروع الخلقية والدينية في حاجة الى ادراك الحقائق العظيمة من الاجتماع والاقتصاد والتاريخ بالاضافة الى الادراك الشامل و فكره- ان مدرسة الندوة وكلية عليكره و مدرسة ديوبند وما شابهها من المعاهد

الدينية التي تعمل حاليا على حدة وبشكل مستقل ليس بمكانها ان تقوم بهذا الواجب حق قيام- اذن فيجب ان يكون هناك موحد يهدف الى الاغراض الشعبية الواسعة وبامكانه ان يوحد بين جهود هذه المعاهد المتفرقة وهذا المركز الموحد يعني جامعة اسلامية مركزية حيث تتاح الفرص لتنشيط المواهب وتطويرها التي توجد في افراد الشعب المسلم بالاضافة الى إعداد اسلوب او هيكل ثقافي يقوم بمهمة تكوين السيرة الاسلامية للشعب المسلم الهندى"-

وكذلك فان دراسة شاملة لهذا المقال توكد لنا بان اقبالاً كان قد اخذ يحلل المشاكل التي كان المسلمون يواجهونها، تحليلا صحيحا في ضو، المبادئ القويمة التي تقوم عليها القومية الاسلامية ثم قدم حلولا ناجحة لهذه المشاكل-

وقبل ان نخوص في الحديث عن مقال اخر لاقبال وعنوانه "الفكر السياسي في الاسلام" ونعلق عليه يجب ان نلقى نظرة عابرة على الاوضاع والظروف التي كان يمرها المسلمون في ذلك العصر ففي هذه المرحلة من التاريخ كان مسلمو الهند يهتمون اهتماما كبيرا بابقاء الخلافة الاسلامية العثمانية واستمرارها الا ان حزب الشبان الاتراك او جمعية الاتحاد والترقي كنت قد فضت على الحكم الدكتاتورى للخليفة السلطان عبدالحميد واقامت حكما دستوريا مقام الخلافة وكذلك فان حركة الدستوريين في ايران كانت بعد جهد طويل قد اجبرت ملكها واكرهته على تطبيق الدستور-

وفي تمهيد هذا المقال يتحدث اقبال عن الحكم المتوارث في الحياة القبلية عند لعرب في العصر الجاهلي ثم يحدثنا بان شخصية الرسول صلي الله عليه وسلم وتعاليمه الواسعة العالمية كانت قد اثرت في حياة القبائل العربية فوحدت بينها وكونت منها امة لم تزل تمتد اٰثارها وتأثيرها بحكم الجهود المشتركة المتحدة المتواصلة- اما فكره الملكية المتوارثة فان العقول العربية لم تكن ترضى بها وانما كانت تعتبرها فكرة اجنبية غريبة عنها- ثم يتحدث اقبال عن عصر لخلفاء الراشدين ويقول بان التعاليم الاسلامية كانت قد اعترفت منذ البداية بالمبدا السياسي بان السلطة الحقيقة الاساسية يملكها عامة الشعب المسلم وانه لا يمكن انشاء حكم سياسي من اي نوع كان الا بالارادة الجماعية لعامة المسلمين ويرى اقبال ان هناك مبدئين دستوريين لهما همية كبيرة في هذا المحال فالمبدأ الاول هو ان السوى المشتركة الاسلامية تقوم على احساس وشعور بان المسلمين امة متساوية في الحقوق والفرائض في نظر الشريعة الاسلامية واما المبدأ الثانيي فهو ان الدستور الاسلامي لا يميز بين الدولة والدين ولا يفرق بينهما-

ويقول اقبال موضحا المبدأ الاول بأن هدف السياسة الاسلامية انما هوبناء امة عظيمة تضم الاجناس والشعوب كلها- ويرى ان القومية ليست بالهدف لنهائي للتطور السياسي في الاسلام وذلك لان المبادئ العامة للشريعة الاسلامية انما وضعت لتوافق الانسان وفطرته وطبيعته وهذه المبادئ لاتخص شعبا من الشعوب بالذات ومن ثم خان هذا الشعب او هذه الملة لاتقص صلاتها وعلاقاتها الباطنة على حنس او منطقة جغرافية او قطعة ارضية او اشتراك في اللغة او وحدة في التقاليد الاجتماعية وانما تفصر هذه الامة في صلاتها وعلاقا تها الباطنة على هدف ديني سياسي موحد او على كيفية نفسية موحدة وان هذه الامة الاسلامية هي امة توجد وهدة فكرية بين افرادها ويعتقد اقبال بان الامة التي هذا من شانها تستحق ان يكون لها وطن مثالي وهوالعا لم كله!

ثم يقول معلقا موضحا المبدأ الثاني بان الدين والدولة في الاسلام شئي واحد اما الجانب الدنيوى للدستور الاسلامي فان الكلام فيه وشرحه مفوض الى المحامين والفقهاء القانونيين ونظرا الي ذلك فان القول صحيح بان هيكل القانون الاسلامي العملي او الاداري انما هي صنعة قام بها القضاة والقانونيون المسلمون ومن ثم يفوض الدستور الاسلامي مهمة التشريع الى المحامين والقانونيين- اما اذا نشأت مشكلة جديدة لاينص الدستور الاسلامي على حلها فحينئذ يمكن ان يرد ذلك الى اجماع الامة ذلك الماخذ التشريعي المعترف به-

ثم يتحدث اقبال عن وجهة النظر السنية عن الخلافة الاسلامية على اساس كتاب "الاحكام السلطانية" للامام الفقيه الشافعي الموردي الذي عاش في القرن الحادى عشر الميلادى وهذا الجزء من المقال يمتاز كبحث علمي و دراسة هذا الجزء توضح لنا جليا بان اقبال كان قد تطرق الى ماقاله ابن خلدون وغيره من الفقهاء الاعلام الذين تناولوا موضوع الخلافة الاسلامية ثم يتحدث اقبال عن اٰراء الشيعة والخوارج والفرق الاسلامية الاخرى في الاخلافة فيقول وهويتحدث عن اٰراء الشيعة في الخلافة بان سلطة الملك في ايران محدودة يحددها (الملا) كنائب للامام الغائب ورغم ان الملك يملك سلطة كرئيس الدولة وتعمل الاقسام الادارية كلها تحت اشرافه وسيطرته مباشرة ولكن سلطة الملك واختصاصاته الحكومية تتبع للسلطة الدينية التي يملككها المجتهدون وهذا هوالسبب الذى جعل المجتهدين الايرانيين يشاركون مشاركة مباشرة في حركة تطبيق الاصلاحات الدستورية في ايران ثم يقول اقبال وهو يتحدث عن اٰراء الخوارج في الخلافة بان البعض منهم لايرون عقد الخلافة اطلاقا لان القران الكريم لايأمر المسلمين بذلك

ولا يفرضه عليهم-

وفي نهاية مقاله هذا يقول اقبال بأن المبدأ الاساسي الذى تقوم عليه الدولة في الاسلام هو مبدأ الانتخاب كما جاء في القران الكريم الا ان تكوين الحكومة وتفاصيلها فذلك مغوض الى الظروف ولكن من سوء الحظ ان مبدأ الانتخاب الاساسي لم يتطور على الخطوط الديموقراطية الاسلامية الخالصة فلهذا السبب لم يستطع الفاتحون المسلمون ان يقوموا بخدمة نحو منطقة آسيافي هذا المجال ثم يتحدث اقبال معلقا على التيارات والنزعات السياسية الحديثة في العالم الاسلامي فيقول بان الافكار السياسية الغربية المعاصرة قد اثرت في سياسه الدول الاسلامية وحياتها اليومية فظهرت فيها آثار من التجديد فقد بدأت مصرتتجه نحو الجياة السياسية الجديدة بسبب الاحتلال البريطاني لها كما ان ايران قد حصلت على الحقوق الدستورية من ملكها واما تركيا فان حزب الشبان الاتراك لايزال مستموا في جهوده نحو تحقيق الاهداف المنشودة ولكن المهم للغاية للزعماء المصلحين الساسيين هو ان يدرسوا المبادئ الدستوريه الاسلامية دراسه عميقة حتى لايجرح مشاعر شعوبهم المتحفظة كرواد التمدن الحديث ورسله وهذا ليس من الصعب عليهم اذ بامكانهم ان يحققوا هذه الاهداف بكل سهولة قائلين بعامة شعبهم بان هذه الافكار السياسية وان كانت تبدو مستوردة من اوربا الا انها افكار اسلامية في الواقع وان التطبيق العملى لهذه الافكار الديموقراطية انما هو صوت يرتفع من اعماق الضمير لاسلامي-

وان افكار اقبال التي وردت في مقاله هذا لابد من دراستها وفهما فهما جيدا وذلك لان هذه الافكار لها صلة قوية عميقة بفكر اقبال المتطور عن السياسة الاسلامية فيما بعد- ولم يناقش اقبال في مقاله هذا افكار الفلاسفة المسلمين عن السياسة الاسلامية او كيف تختلف هي عن الافكار السياسية التي توجد عند الشعوب الاخرى فمثلا يرى الفارابي بان واجب الحكومة الاسلامية الاول انما هوتحقيق الحياة المطمئنة والسعادة لكل مواطن- اما الاغريق فكانوا يرون بان تحقيق السعادة البشرية لايمكن الا في هذه الدنيا واما في العقيدة المسيحية فان السعادة البشرية لاتتحقق البشرية لايمكن الا في هذه الدنيا واما في العقيدة المسيحية فان السعادة البشرية لاتتحقق الا في السماء- اما الفكرة السياسية الاسلامية فهي تؤمن بالسعادتين اي حسنة في الدنيا وحسنة في الاخرة ومعني ذلك انه لابد للحكومة الاسلامية ان تحقق وسائل السعادة والطمأنينة لكل

مواطن من مواطنيها في هذه الدنيا كما انه من واجب الحكومة الاسلامية هذه ان تقوم بايجاد الفرص المواتية التي تضمن السعادة في الحياة الاخرة لجميع مواطنيها- وأما ابن خلدون فان الفرق الاسياسي عنده بين الحكومة الاسلامية وبين الحكومة العلمانية هو أن الحكومة الاسلامية تخضع لشريعة الله عزوجل والقوانين الشرعية السماوية اما الحكومة العلمانية فهي تقوم على القوانين الوضعية- وكان الفارابي قد تأثر بالفسلفة الاغريقية وخاصة بفكرة افلاطون القائلة "بالملك الفيلسوف" ومن ثم الحكومة الاسلامية او "المدنية الفاضلة" المثالية هي التي اقامها النبي صلي الله عليه وسلم بوصفه رسولاً وإماماً وكان مواطنوها هم السعداء حقيقة لانهم رزقوا بالسعادتين الدنيوية والاخروية-

ولم يناقش اقبال في مقاله هذا موضوع الخلافة الاسلامية وقيامها من جديد او استمرارها في تركيا ولعل الظروف الطارئة في تركيا كانت قد وضحت لاقبال بان مستقبل الخلافة يبدو صعبا ومن ثم لابد من ايجاد اساس اٰخر غير الخلافة من اجل وحدة الدول الاسلامية ولكن اقبالاً كان قد اعد هذا المقال حين كانت الخلافة العثمانية تعتبر مظهرا خارجيا للوحدة الاسلامية-

وبعض افكار اقبال في مقاله هذا جديرة بالاهتمام ومن بينها ان القران الكريم يجعل من الانتخاب والشورى مبدأ اساسيا للحكومة الاسلامية وان كان القراٰن لايتحدث عن التفاصيل وانما يترك التكوين العملي للحكومة وغيره من الشئون لاصحاب الحل والعقد ومنها ان مهمة التشريع وتكوين الدستور الاسلامي انما هي مهمة المحامين ورجال التشريع والقانون كما ان هيكل الفقه الاسلامي بشكله العملي اوالادارى انما هو نتيجة جهود القضاة والمجتهدين ومنها ان اقبال يستخدم مصطلح "السوق المشتركة للدون الاسلامية مكان الحكومة الاسلامية-

والواقع أن اقبال كان في هذا الطور من حياته قد وضع الاساس للامة والقانون الاسلامي على مبدأين كما كان ابن تيميه قد وضي المبدأ الاساسي للحكومة الاسلامية ولم يهتم اهتماما خاصا بمبدأ الخلافة ولايوجد دستور نهائى او تفصيل عن نوع الحكومة الاسلامية في القران الكريم والحديث النبوى وذلك لان الامة الاسلامية بامكانها ان ينشئ المؤسسات من هذا النوع في ضوء افكارها ورأى ضميرها وليس بامكان هذه المؤسسات أن تكون دائمة مستقلة لانها تخضع لمبدأ التغيير حسب الضرورات السياسية المتغيرة المتطورة في الامة الاسلامية- والهدف الاساسي الاسلامي هوايجاد امة وتكوينها تلك الامة التي تريد ان تعيش

حياة اسلامية ولهذا السبب فان الامة الاسلامية لها الحرية في انشاء النظام الحكومي وتطبيق الشريعة الاسلامية حسب الظروف الراهنة وكانت الامة في حاجة الى الخلافة عندما توفي رسول الله صلي الله عليه وسلم في ٦٣٢م- لان النظام الاجتماعي كان في حاجة الي رئيس اداري وقدكان من المصلحة مما جعل الرسول صلي الله عليه وسلم لايرشح من يخلفه في رأى اهل السنة واما الفقهاء المسلمون المتأخرون فكانوا يرون بان الخلافة ضرورة عقلية للامة الاسلامية لان الظروف الراهنة تقتضي ذلك ويتفن معظم الفقهاء على ان تعيين الخليفة لايكون الا برضى من عامة المسلمين وان الايات القرانيه وان كانت لاتنص على الانتخاب كمبدأ اساسي للحكومة الا ان روح الاحكام القرانية توافق الفكرة الديموقراطية-

ان العصر الاول من الخلافة الراشدة (٦٣٢-٦٦١) وان كان يجمع بين مبدأ الانتخاب ومبدأ الترشيح ولكنه لا يمكن لاحد ان يختلف في ان فكرة الملكيه المتوارثة لامجال لها في الاسلام وان رضي العامة ورأيهم لا بد من الاعتراف به في تعيين الخليفة الا ان هذا العصر الديموقراطي استمر ثلاثين سنة فقط بالمدينة المنورة-

ومنذ ٦٦١م اخذف فكرة الخلافة تتغير شيئا فشيئا- فاما العصر الاموى (٦٦١-٧٥٩م) فقد اتخذت الخلافة فيه شكل الملكية المتوارثة بمقرها في دمشق رغم ان مبدأ الانتخاب او الترشيح لم يزل قائما في الظاهر وقد سمي اقبال هذا العصر من التاريخ الاسلامي عصر الاستعمار العربي فيما كتبه بعد هذا الطور من حياة- واما العصر العباسي (٧٥٠- ١٢٥٨م) فان الخلافة كانت قد اتخذت شكلا ملكيا من الطراز الايراني في بغداد كما ان الخلافة كانت قد تمزقت وحدتها فقد انشئت دولة اموية مستقلة في الاندلس كما ان الادراسة والا غالبة والفاطميين كانوا قد انشأوا دولا مستقلة في شمال افريقيا حتى ان الفاطميين كانوا قد فرضوا سيطرتهم على شمال افريقيا كلها والشام واليمن والحجاز بالاضافة الى مصر وكانت الاسرة الفاطمية على عقيدة شيعية وعند ما احتل الفاطميون ارج الحرمين الشريفين كان الامير عبدالرحمن الثالث الاموى قد اعلن نفسه خليفة وهكذا قامت ثلاث خلافات في العالم الاسلامي خلال القرن العاشر الميلادى في بغداد والقاهرة و قرطبة في نفس الوقت وكانت تعادى بعضها البعض-

واما العالم الاسلامي الشرقي فقد شهد سيطرة العديد من الاسر الحاكمة

وزولها خلال القرون الثلاثة الميلادية العاشر والحادى عشر والثاني عشر وانقرضت الخلافة الاموية في الاندلس في ١٠٣٧ كما ان الخلافة الفاطمية كانت قد انقرضت على يد صلاح الدين الايوبي في ١١٧١م واما التنازع السياسي المستمر من اجل الحكم بين خلفاء بغداد وملوكها فانه كان سببا في ظهور فكرة السلطنة حتى ان العديد من السلاطين احتلوا المناطق المختلفة من العالم الاسلامي وكان الفقهاء المسلمون في القرنين الميلاديين الثاني عشر والثالث عشر قد اصدروا الفتوى من اجل وحدة الخلافة في بغداد وقد جاء في الفتوى بان السلطان يمكن ان يحتل منصبه في الشريعة الاسلامية اذا نال الاستناد من قبل خليفة بغداد وأكد للخليفة بأنه سوف يطبق الشريعة الاسلامية في بلاده وكان السلطان (شمس الدين ايلتتمش) هو اول سلطان في تاريخ شبه القارة الذى حصل على هذا الاستناد من الخليفة العباسي المستنصر بالله في ١٢١٠م الا ان التنازع والتخاصم بين الخليفة والسلطان ادى أخيرا الى انهيار المسلمين ودمار الخلافة الاسلامية فقد هاجم المغول بغداد في ١٢٥٨م فقتلوا الخليفة العباسي المستعصم بالله وقتضوا على خلافة بغداد قضاء حاسما ونهائيا-

وعاش العالم الاسلامي من ١٢٥٨م الى ١٢٦١م لمدة ثلاث سنوت بدون الخليفة ولم تكن توجد دولة اسلامية غير الحكومات الاقليمية المستقلة في ربوع العالم الاسلامي وفي ١٢٦١م تم احياء الخلافة الاسلامية على ايدى السلاطين الماليك بالقاهرة واستمرت الخلافة الاسلامية بالاسم بالقاهرة من ١٢٦١ لي ١٥١٧ وكانت الخلافة الاسلامية بالاسم لأنها لم تكن تملك شيئا من السلطة او الحكم وكانت تصطبغ بصغة دينية خالصة ولم يكن الخليفة يقوم بعمل غير اعطاء الشهادات للسلاطين المسلمين فقد كان السلطان محمد تغلق والسلطان فيروز تغلق من ملوك شبه القارة خلال القرن الرابع عشر الميلادى قد حصلا على الشهادات من هذا النوع واما السلاطين المغول الذين حكمواشبه القارة والذين اعتنقوا الاسلام خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر من المعيلاد فلم يعترفوا بخلافة القاهرة-

وفي ١٥١٧م احتل السلطان سليم الاول مصر فاخذ الخليفة المتوكل الثالث معه وذهب به الى قسطنطنية وهكذا تحولت الخلافة الاسلامية الى الاسرة العثمانية التركية والى تلك اللحظة كانت الخلافة تعتبر مقصورة على قبيلة قريش ولكن الفقهاء المسلمين خلال لقرنين السادس عشر والسابع عشر من الميلاد اسقطوا هذا الشرط من شروط الخلافة واما الخلافة العثمانية التركية فلم يعترف بها

ملوك ايران كما ان ملوك الهند المغول لم يعترفوا بها ويرجع اسباب ذلك الى معادلة وخلافات قبليه بين الاسر التركية المختلفة منذ القديم- وقد انتهت الخلافة العثمانية في ١٩٢٤م على يد مصطفى كمال باشا-

ان هذه النظرة العابرة على الحوادث توضح لنا جليا بان الخلافة الاسلامية اتخذت اشكالاً مختلفة بسبب الظروف السياسية المتغيرة خلال الف واربعمائة سنة كما ان الخلافة والملكية او السلطنة عاشتا جنبا الي حنب حتى اشتد الخلاف بين الخلافة والملكية وقد ادت هذه الخلافات الى استسلام الخلافة وانهزامها امام الملكية ثم تم احياء الخلافة في ظل السلطنة او الملكية ثم انضمت الخلافة الى السلطنة او الملكية حتي انتهي وجودها- ويحدثنا التاريخ الاسلامي بانه رغم الحوادث الساسية التى مزقت العالم الاسلامي فان الفقهاء المسلمين خلال هذه المدة الطويلة اسمروا في محاولا تهم للتطبيق والتوفيق بين الامبادئ والحقيقة الواقعية مستنبطين مبرهنين على بقاء الوحدة الاسلامية للامة المسلمة-

وهذه الخلفية التاريخية تجعلنا نفهم موقف اقبال بسهولة حيث استعمل كلمة السوق المشتركة الاسلامية مكان الدولة الاسلامية او ماالذي جملة يعتقد بان العالم كله هو وطن الامة الاسلامية والواقع ان فكرة الدولة الاسلامية تختلف عن فكرة الدولة في الفكر الغربي السياسي ففي الفكر الغربي تمتاز الدولة بثلاث خصائص اولها ان تكون الدولة سائدة سيادة كاملة والثاني ان تضم جنسية او قومية خاصة والثالث ان تكون لها الحدود والثغور تحدها في منطقة ارضية- اما الدولة الاسلامية فالسيادة الحقيقة فيها لله عزوجل وحده اذن فالدولة الاسلامية لا تملك سيادة كاملة كما انها لاتضم جنسية او قومية خاصة لان الدولة الاسلامية حكومة عالمية وتضم العديد من الامم والقوميات ومن ثم لا يمكن تحديد ثغورها حيث انها عالمية-

على كل حال فان اقبالاً قد بذل في هذه المرحلة من تطوره الفكري معظم جهوده في توضيح الملة الاسلامية او القومية الاسلامية حتى تطورت هذه الفكرة فيما قاله اوكتبه وهذا مما جعل اقبالاً يلح على الاجتهاد من اجل التجديد الفقهي والتشريعي واما اهتمامه بالاجتهاد في الاسلام فهو يرجع الف سنة ١٩٠٤م فكان يعتقد بان بناء الامة الاسلامية ونهضتها لايمكن الا بالتجديد الفقهي والتشريعي في الاسلام وكان يرى اقبال بان فكرة الحياة في الاسلام، هي فكرة متحركة وليست فكهرة راكدة ومن ثم لم يكن يرى مكانة للعلماء والشيوخ المتزمتين الذين

يعتقدون يان فكرة لحياة في الاسلام فكرة راكدة جامدة ولعل هذا ما جعل اقبالاً يرفض تحديد الاجتهاد التقليدي المتوارث رفضا كاملا وحدد الاجتهاد الاسلامي بانه مبدأ الحركة المستمرة في المجتمع الاسلامي وكان اقبال يناقش موضوع الاجتهاد مع رجال الدين إما مباشرة او بالمراسلة معهم وقبل ان يقوم بالقاء محاضراته المعروفة في الهند الجنوبية كان اقبال قد اعد مقالا باللغة الانجليزية وعنوانه "الاجتهاد في الاسلام" وقد قدم هذا المقال في اجتماع اسلامي عقد في ١٣/ ديسمبر ١٩٢٤م في القاعة الحبيبة للكلية الاسلامية بلاهور وكان السير عبدالقادر قد ترأس الجلسة (٩) الا ان المقال لم يحتفظ به اقبال ولعل اقبلاً قد اضاف اشياء جديدة الى هذا المقال ثم قرأه في اجتماع لمسلمي الهند الجنوبية خلال زيارته لحيدراٰباد الدكن في ١٩٣٠م-

ان دراسة ماكتبه اقبال من مقالاته وبحوثه تؤكد لنا بأنه هو أول الزعماء البارزين المعاصرين المسلمين في الهند الذى رضي بعقيده القومية الاسلامية وترك فكرة القومية المختلطة الهندية المتحدة تركا نهائيالا رجعة بعده وان الزعماء المسلمين من انصار (السير سيد احمد خان) كانوا يجتنبون عضوية الكونجرس اجتنابا كليا دائما الا ان احدا منهم لم تكن لديه فكرة ايجابية عن القومية الاسلامية في الهند- ومن ناحية اخرى فان القواد الشبان المسلمين السياسيين كانوا قد اخذوا يميلون الى القومية الهندية الموحدة ويؤيد ونها وكانوا يريدون التفاهم المبدئ مع الهنادكة باى طريق اوباى نوع كان حتى ان الشيخ شبلي برز في المجال ليؤيد هؤلاء القادة الشبان- واما اقبال فلم يزل قائما على موقفه بكل قوة واستقلال ولم يكن اقبال على صلة اوعلاقة بالسياسة العملية في الهند حتى الهند انه لم ينضم الى الكونجرس في المرحلة الابدائية القصيرة من حياته التي مربها وهو من انصار الوطنيه او القومية الهندية الموحدة وانما كان يرى ان الهند بلاد يقطنها شعوب مختلفة اما بعد عودته من اوربا فان الثورة الداخلية الذهنية كانت قد وجهته نحو "الاسلامية" توجيها كاملا وقد يكون من الممكن ان المظاهرات الهند وكية ضد تقسيم بنغال هي التي كانت سببا في اعراضه عن فكرة القومية الهندية الموحدة- على كل حال فان "حفلة تطويق اقبال بقلائد الزهور "في اجتماع المؤتمر التعليمي المحمدى في ديسمبر ١٩١١م توضح لنا جليا بان اقبالاً كان يحتل مكانة مرموقة في نقوس المسلمين المثقفين حتى في تلك الفترة من اليأس والاضطراب-

وكذلك فان اقبال كان قد ألقى الكلمات او قرأ المقالات عن الاسلام في اجتماعات جمعية حماية الاسلام او بمناسبات اخرى كما انه كان قد ادلى

بتصريحات عديدة وضح فيها موقفه وعبرها عن رأيه وسوف نتناولها للنقاش في موضع مناسب الا ان المذكرة التي كان كتبها اقبال باللغة الانجليزية في ٤/ يونيو ١٩٢٥م وبعث بها الى (صاحبزاده احمد خان) امين المؤتمر التعليمي المحمدى الهندى (والذى اصبح رئيسا لجامعة عليكره الاسلامية فيما بعد) تستحق اهتمامنا الخاص(١٠) فقد كان (صاحبزاده افتاب احمد خان) يفكر في انشاء قسم للدراسات الاسلامية في جامعة عليكره وكان قد بعث باقتراحات الى اقبال عن هذا الموضوع ففي هذه المذكره يحدثنا عن اهداف الدراسات الاسلامية نظرا الى المتطلبات العصرية ويعبر عن رأيه في ذلک-

ويصر البعض من نقدة اقبال الاوربيين على انه قد طبق فكرة الانسانية الغربية على الاسلام ومبادئه اما اقبال فرغم انه لم يرفض موقف الانسانية وقيمتها الخلقية لان تلك الفكرة كان بامكانها ان تقضي على التعصب وضيق الافق ولكن اقبالاً كان يرى بان فكرة "الانسانية" التي اوجدها الفكر الغربي انما هي فكرة تمتاز بروحها الانفرادية فهذه هي نزعة فكرية كانت تفقد الجانب الاجتماعي الذى بامكانه أن يوحد بين البشرية ومن ثم لم يكن بامكان "الانسانية" ان تكون وسيلة لحركة عالمية وتمهد طريقا لبناء المجتمع الدولي- على كل حال فان ماكتبه اقبال يوضح لنا بان هذه الفكرة الاوربية اى "الانسانية" انما كانت نتيجة ورد فعل للفكر الاسلامي فيقول اقبال:

"ويقال إن زوال الحكم الاسلامي السياسي في اوربا كان قد ظهر لسوء الحظ في وقت ادرك المفكرون المسلمون فيه حقيقة العلوم الاستخراجية واتضح لهم بانها لاتعني شيئا فكانوا قد مالوا نحوبناء العلوم الاستقرائية ومنذ ذلك الوقت اغلقت الطرق والسبل امام الحركة العقليه الفكرية بينما كانت اوربا قد بدأت تجني ثمار الفكر الاسلامي وتدرس ما اتتجه المفكرون المسلمون وان فكرة "الانسانية" او حركتها انما كان رد فعل للقوى التي انتجها الفكر الاسلامي ولا نبالغ ابدا اذا قلنا بان ثمرات العلوم والفلسفة الجديدة المعاصرة التي ظهرت كنتيجة لفكرة الانسانية الاوربية المعاصرة لم تكن الاتوسعة للمدنية الاسلامية من نواح كثيرة وهذه حقيقة لا يشعر بها احمد سواء في ذلك الانسان الاوربي المعاصر او الانسان المسلم المعاصر لان ماحققه المفكرون المسلمون من الابحادلا تزال متفرقة مبعثرة في مكتبات اوربا واسيا وافريقيا ولم تطبع بعد واما جهل المسلمين في العصر الحاضر فقد بلغ الغاية حتى ان النتائج والثمرات للمدنية الاسلامية يرونها انتاجا غير اسلامي فعلق سبيل الثمال- اذا كان مفكر مسلم على علم

بان افكار اينشتاين ونظرياته تشبه الافكار العلمية التي كانت تناقش في الحلقات العلمية للمفكرين المسلين (حلقة ابي المعالى الذى ورد ذكره عند ابن رشد) فمن الممكن ان يعتقد هذا الفكر المسلم المعاصر بان نظرية اينشتاين المعاصرة ليست غريبة عليه الى حد كبير وكذلك بامكانه ان يهتم بالمنطق المعاصر الذي انما نشاۤ عن الاعتراضات المعروفة التي اوردها الامام الرازي على منطق ارسطو الاستخراجي-

ويرى اقبال بان الجامعة الاسلامية تحتاج احتياجا شديدا الى العلماء الذين يعرفون الفلسفة الاسلامية والفلسفة المعاصرة في نفس الوقت معرفة جيدة لان هؤلاء العلماء بامكانهم ان يساعدوا في الاستفادة من العلوم العصرية وكذلك فلا بد من اعداد العلماء الذين يعرفون التاريخ الاسلامي والاداب والفنون الاسلامية والثقافة والمدنية بانواعها وجوانبها المختلفة الى جانب الكفاءة التي تؤهلهم للبحث والتحقيق في الفقه الاسلامي- هؤلاء العملاء الذين بامكانهم ان يبحثوا، على مبادئ التطور والنمو، عن استمرار الحياة العقلية التي تربط بين العلوم المعاصرة والفكر الاسلامي والثقافة والمدنية الاسلامية ببحوثهم وتحقيقهم العميق ويتحدث اقبال عن الدراسات الاسلامية فيقول:

"ان الهدف الاول من اهدافنا هواعداد العلماء الاكفاء الذين بامكانهم ان يحققوا الاهداف المعنوية والاغراض الروحية للامة الاسلامية الا ان الاهداف المعنوية للامة الاسلامية واغراضها الروحية تتغير وتتقدم بتغير وجهات النظر عن الحياة للامة الاسلامية ان التغيير الهائل الذى حدث في مكانة الفرد وحريته العقلية والفكرية وتقدم العلوم الطبيعية لانهاية له- هذه الاشياء كلها قد غيرت مبادئ الحياة المعاصرة وأسسها- فان علم الكلام والعلوم الدينية الاخرى التي كان بامكانها في الازمنة المتوسطة ان تقنع المسلمين وتطمئن قلوبهم لا تستطيع ان تفي بحاجة المسلم المعاصر وليس الغرض من هذا هوالطعن في روح الديانة وجوهرها وانما الغرض منه هو ادراك أعماق الاجتهاد مرة اخرى وعليه فانه لاتدمن بناء جديد للفكر الديني- اما (السير سيد احمد خان) فان نظره الصائب الواسع في هذه المشكله وغيرها من المشاكل لم يكن الا نظر رائد من الرواد فكما تعرفون جيعكم بانه كان قد بنى علم الكلام على فكار ومعتقدات فلسفية قديمة واخشى ان لا استطيع الموافقة على ما افترحتم عن مناهج الدراسا الاسلامية فانني ارى بان انشاء قسم الدراسات الاسلامية على اسلوب قديم لاخير فيه اذا لم يكن الغرض منه هو استمالة الجماعة المتحفظة وتأليف قلبها في مجتمعنا الاسلامي- اما الجانب المعنوى او الروحي فان بامكاننا ان نقول بان

مناهج الدراسات الاسلامية القديمة هي افكار بالية واما الجانب التعليمي فان هذه المناهج لاقيمة لها بين يدى ظهور المشاكل الجديدة وبين المسائل القديمة- ان حاجتنا اليوم انما هو ان نسارع الى مجال جديد من الجهود الفكرية والعقلية وان نبني فقها جديدا وعلم الكلام الجديد ونقوم بمحاولات جديدة في هذا المجال وبتطبيق الاساليب الجديدة- ومن الظاهر ان هذا المعل الجاد المفيد لايمكن تحقيقه الا اذا قام به العلماء الاكفاء ولكن السوال الذى يطرح نفسه الان هو انى لنا احضار هؤلاء العلماء الاكفاء اما انا فاقترح ان نبدأ عملنا بمدرسة للدراسات الاسلامية على اسلوب قديم وذلك اذا اردنا ان نرضى العنصر المتحفظ الموجود في مجتمعنا الاسلامي المعاصر ولكن يجب ان يكون هدفنا هو اعداد جماعة العلماء الاكفاء تدريجيا الذين بامكانهم ان يقوموا بالاجتهاد الفكرى حسب المشروع الذى اقترحته انت"-

ثم يتحدث اقبال في مذكرته هذه عن خريجي مدرسة ديوبند وندوة العلماء فاولا يجب العتراف بمكانتهم العلمية في اللغة العربية ثم يقترح يجاد طريق يمكن به الاستفادة من هولاء المتخرجين فنقترح عليهم لالتحاق بالقسم الجديد للدراسات الاسلامية لكى نجعلهم يكملون دراسة اللغة الانجليزية الى درجة الثانوية المتوسطة بالاضافة الى اختيار المواد الاخرى في هذا الامتحان مثل الطبيعيات والرياضيات والاقتصاد حتى يتمكنوا من معرفة الافكار الجديدة والعلوم المعاصرة ثم نعرض عليهم الزمالة الجامعية ليتمكنوا بها من دراسة الاسلام ومذاهبه الفقهية ونظامه الخلقي وفلسفته لما بعد الطبيعيات وعلم الكلام والتفسير وغيرها مما يؤهلهم لالقاء المحاضرات الاجتهادية حول هذه الموضوعات واما اذا اتضح من احد منهم بانه يميل بطبيعته الى بحث علمي فيجب تزويدهم بالفرض المواتية لدراسة العلوم والفلسفة الممعاصرة واما الذين يميلون بطبيعتهم الى الدراسة العامة للمدنية الاسلامية فيجب ان يكون من بين مناهجهم الدراسة الفنون الاسلامية بما فيه الفن المعمارى والحكمة والاداب الاسلامية والتاريخ بالاضافة الى مناهج الدراسات الاسلامية وتكون دراسة اللغة الالمانية والفرنسية اجبارية عليهم-

ويقول اقبال متحدثا عن تعليم الفقه الاسلامي:

"علينا ان نختار رجالا متخرجين من مدرستي ديوبند والندوة يكونون على مكانة من الفطنة والموهبة فيملكون الذوق الخاص بالفقه الاسلامي وذلك لان الفقه الاسلامي في حاجة الى تكوين وبناء جديدين وحينئذ نعلميه الفقه واصوله ومبادئ التشريع وقدنكون في حاجة الى تدريس شامل للاقتصاد والاجتماع

وكذلك بامكانكم أن تمنحوا لهم شهادات التخرج في الحقوق وقد يختار البعض منهم مهنة المحاماة كما ان البعض منهم يختارون وظيفة الزمالة في الجامعة كما ان بعضهم يكرس حياته للبحوث الفقهية والقانونية ان تطبيق الشريعة الاسلامية في هذه البلاد يتم بوسائل مؤسفة ومؤلمة للغاية وتوجد بعض المصاعب والمتاعب لايمكن التغلب عليها الاباقامة المجالس التشريعية وان الفقهاء القانونيين المسلمين الذين يشتغلون بمهنة المحاماة وفي نفس الوقت يملكون خبرة تامة في الفقه الاسلامي بامكانهم ان يقوموا بخدمات مفيدة في المحاكم والمجالس على السواء"-

ويقول في نهاية المذكرة:

"وارى ان الأمم الاسلامية المعاصرة في حاجة الى توسعة في الفكر الديني وتطبيقه فقد بدأ الصراع في العالم الاسلامي بين المبادئ التعليمية الحديثة وبين قيم الحرية الروحية والسلطة الكهنوتية أو القوى الدينية ان مثل هذه الحركات البشرية الروحية قد بدأت اٰثارها تستوعب دولة اسلامية مثل افغانستان ولعلكم قرأتم كلمة ملك افغانستان التي حاول فيها تحديد سلطات رجال الدين وان جميع الحركات المختلفة في العالم الاسلامي المعاصر تقود الى نتائج مثل هذه فقي مثل هذه الظروف يجب عليكم ان تتقدموا في هذا المجال كالمسئولين عن مهمة الجامعة الاسلامية بكل تحمس وبكل قوة ولاشك ان من واجبنا الاخذ بالحذر والاحتياط وان نقوم بالخطوات الاصلاحية الحكيمة المدبرة حتى لايختل امن المجتمع الاسلامي وسلامته"-

اما عن أهداف الشعر واغراضه عند اقبال في هذا الطور من حياته فانه كان قد اعد مقالا قيما باللغة الانجليزية في هذا الموضوع- وكان عنوانها المقال "رأى سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم في الشعر العربي المعاصر" وكان قدنشر في ١٩١٨م وهذا المقال جدير بالدراسة فيتحدث اقبال عن هذا الموضوع قائلا (١١)؟

"ان الرسول صلي الله عليه وسلم كان قدأبدى عن اٰرائه النقدية في الشعر بين حين واخر وقد احتفظ التاريخ بها الا ان هناك نقطتين من هذه الاراء النقدية النبوية يمكن ان يستفيد منهما المسلم الهندى المعاصر اليوم وذلك لان داب المسلمين في شبه القارة انما هو انتاج يرجع الى عصر الانحطاط القومي للشعب المسلم الهندى ومن ثم المسلم الهندى المعاصر في حاجة الى البحث عن اهداف ادبية جديدة- اما اولى النقطتين منهما فهي توضح الاوصاف التي يجب ان يجتنبها الشاعر واما النقطة الثانية من بين هده الاراء النقدية فهي تهدينا الى

الشعر الذي يجب ان يكون هدفنا فقد عاش الشاعر الجاهلي امرؤ القيس قبل الاسلام بعشرين عاما فيروى ان الرسول صلي الله عليه وسلم قال وهو بعدي رأيه في شعر امرء القيس هذا قائلاً: هو اشعر الشعبراء وقائدهم الى النار اى انه اكبر شاعر عرفه العصر الجاهلى الا انه سوف يكون على رأس من يلقى من الشعراء في جهنم فالسوال الذى يطرح نفسه الان هو ماذا نجد في شعر امرئ القيس؟ ان هذا الشعر يصور لنا مناظر الخمور ومجالسها والعواطف المذيبة الخلابة وآثار الديار المقفرة المدمرة التي لاتزال تعفيها العواصف والرياح بالاضافة الى المشاهد الهائلة المروعة من البوادى والصحارى وذلك لان العرب الجاهليين لم يكن لديهم من دنيا الافكار غير هذه الصور من المعاني- ان امرأ القيس لايخاطب إرادة الانسان وضميره وإنما يحاول أن يؤثر في نفوس سامعيه بالصور الخيالية الساحرة وهولا يتركهم على وعيهم وانما يجعل منهم السكارى المجانين- ان الموقف النقدى الحكيم الذى اتخذه رسول الله صلي الله عليه وسلم من الفنون الجميلة يوضح لنا عن مبدأ بارز يقول بانه ليس من اللازم ان يكون الجميل الرائع في الادب اقرب مشابهة الى الرائع الجميل في الحياة الواقعية فقد يمكن ان يقول شاعر من الشعراء رصينا رائما ورغم ذلك يمكن ان يقود المجتمع الذى يعيش فيه إلى نار جهنم ودمارها وبوارها- ان الشعر سحر في الواقع فويل للشاعر الذى يصور في شعره السخافة والابتذال والانحطاط والدعوة الى الفجور فيجعل من ذلك صورة تبدو صحيحة قوية ولايستطيع ان يصور مشاكل الحياة الشعبية و مواقف الكفاح والاختبار التي يمر بها الانسان في حياته العملية فيجعل منها صورة شهية خلابة تسمو بالانسان الى العلى فهكذا يقود هذا الشاعر شعبه الى الدمار والهلاك والواقع ان مسئولية الشاعر هو ان يقاسم اخران البشر وان يشارك الاخرين معه في نصيب الحياة والقوة الحيوية التي وهبته الطبيعة من ثرواتها الخالدة ولايجوزله ان يصبح لصا فيخطف ويسلب ما يجده في أيدى الناس من المتاع- فيروى انه أنشد بعض الصحابة رضي الله عنهم شعراً للشاعر الجاهلى المعروف عنترة في حضرة رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو:

ولقد أبيعت على الطوى وأظله
حتى أنال به كريم المأكل

وقد ترجم هذا البيت اقبال الى الاردوية هكذا:

"قد انفقت ليالي عديدة وانا اكافح بالعناء والمشقة لكى اتمكن من اكتساب الرزق الحلال"-

وان رسول الله صلي الله عليه وسلم كان الهدف الوحيد من بعثته هو ان يجعل الحياة البشرية رائعة خلابة وان يصور متاجبها وصعوباتها تصويرا جميلا فحين

سمع هذا البيت الشعرى لعنترة أعجبه ذلك فقال صلي الله عليه وسلم وهو يخاطب اصحابه رضي الله عنهم: "لم أسمع بمدح عربي وخصائله الجميلة فتشوقت الى رويته ولقائه ولكننى اقول الحق بان من قال هذا البيت الشعرى قد جعل قلبي يتشوق الى زيارته والقائه" ومن الغريب المدهش ان ذلك الرسول العظيم الذى كان النظر إلى وجهه المبارك يجمع بين سعادة الدنيا ونجاة الاخرة الا انه يسمع هذا البيت الشعرى الجميل لشاعر عربي وثني جاهلى فحن واشتاق الى زيارته ولقائه- ان المنزلة الكريمة المجيدة التى منحها رسول الله صلي الله عليه وسلم لعنترة لايخفي سببها على احد فان هذا البيت الشعرى لعنترة انماهو يصور لنا حياة جميلة صالحة تصويرا حيا رائعا- وان المشاكل والمتعاعب التى يواجهها الانسان والجهود الجبارة التي يبذلها في سبيل الرزق الحلال قد صورها الشاعر بخيال شعرى وقدمها تقديما جميلا- ان هذا الاستحسان لهذا البيت الشعرى من قبل رسول الله صلي الله عليه وسلم يوضح لنا مبدأ مهما من مبادئ الادب والغن وهو ان الغن والادب يخضع للحياة البشرية وليست الحياة البشرية تخضع للفن والادب- ان الجهود العملية البشرية كلها إنما تهدف إلى تحقيق حياة عملية يملأها القوة والنشاط والغلبة والجلال ومن ثم يجب ان يخضع كل عمل فنى لهذه الغاية القصوى من الحياة وهذه هي قيمة كل شئي في الحياة الن مستوى العمل الغني الاعلى انما هو حياة نشيطة وقوة حيوية في المجتمع البشرى- ان اسمى الغنون وأرفعها هو الذي يتشط حياتنا ويثير فينا حيوية وارادة قوية ويرغبنا في المواجهة لمشاكل الحياة ومتاعبها كما يواجه الابطال واما الذى يجعلنا نفعس وننا والذى يكف ابصارنا بين يدى هذه الحقائق الحية الواقعية التي نجدها فيما حولنا (والتي التغلب عليها هي الحياة) انما هو زوال و انحطاط وموت- ان الفنون والاداب لاتسع أن تكون وسيلة للسكر والغفلة والا همال- ان هذه الهبتافات الصارخة الواهية التي تقول بالادب للادب او ان الادب هوالمقصود وحده انما هي حيلة ماكرة تخدع الفرد والجمتمع لتقود هما الى الذل والانحطاط- ان هذه حيلة ماكرة قد اختلقها المختلقون ليخدعوابها ويلسلبوا الحياة النشيطة والقوة والحيوة م نفوس البشر- فان رسول الله صلي الله عليه وسلم في رأيه هذا ونقده لهذا البيت الشعرى الذى قاله عنترة انما هو عتراف بروعة الشعر الحقيقة وجمال الفن الاصيل وبذلك يتضح لنا المبدأ الاساسي الذى يجب ان يقوم عليه كل فن من الفنون وكل ادب من الاداب في مراحل التطور كلها"-

ان الدراسة الشاملة لهذا المقالات التي أعدها اقبال توضح لنا جليا بان له موقفا محددا منذ البداية للخطوط العريضة الطويلة التي يقوم عليها بناء الفرد المسلم

والمجتمع الاسلامي وكذلك فان رأيه في الشعر كن واضحا منذ البداية ولم يزل اقبال يقدم هذه الافكار بتفصيل اكثر وأكبر في اطوار حياته المتوسطة والا خيرة وكان يرى اقبال ان الطبقة المثقفة من المسلمين تجمع بين مستويات متعارضة متناقضة من الافكار والارء- ان اسلوب الحياة اليومية عند هذه الطبقة المثفقة المسلمة انما كان اسلوبا علمانيا لا دينيا وذلك تحت التأثير الغربي المباشر الا أنها كانت تدعي الايمان بالاسلام والاعتقاد فيه حسب التقاليد المتوارثة- ان الطبقة المثقفة من المسلمين هذه كانت تنقصها لوحدة في العقيدة والعمل بل كانت المسافة البعيدة بين الايمان وبين العقيدة والعمل قد جعلت منهم ثنويين وبسبب هذه الثنوية العقلية كان المجتمع الاسلامي في ذلك الوقت قد اصبح مجتمع النفاق والرياء فاراد إقبال أن يقضي على هذه الثنوية العقلية والتناقض بين العقيدة والايمان والعمل وكان يرى إقبال أن النهضة الاسلامية الجديدة وبناء الفرد المسلم والمجتمع الاسلامي المعاصر لا يمكن بالتفسير التقليدى للدين فكان يتمنى التجديد في الفقه الاسلامي وعلم الكلام نظرا الى التقدم العلمي الهائل والمتطلبات آلعصوية الملحة كما انه كان يكافح جاهدا لكى تتصل العلاقات والصلات التي انقطعت بين الاسلام والعلوم الانسانية والعقلية حتى يمكن النهضة الاسلامية في اصح معاني الكلمة وأدقها وكان يريد اقبال اعداد المنهج الدراسي من السيرة النبوية للمعاهد التعليمية الاسلامية لكي تتمكن من تكوين السيرة والاخلاق الاسلامية الخالصة في العصر الحاضر- على كل حال فقد كان اقبال يعرف جيدا بن معظم العلماء الثزمتين والمتصوفين التقليديين لا يوافقونه في آرائه الا أن النهضة الاسلامية كانت تتطلب منه ان يعلقن بآرائه مهما كانت نتائجه فان مشروعه هذا كان يتضمن اقتراحات عملية من اجل البناء الحي الجديد للفرد المسلم والمجتمع الاسلامي من ناحية ومن ناحية اخرى كان يبحث طالبا عن المسلم الكامل او انسان المستقبل ذلك المسلم الكامل او انسان المستقبل الذى بامكانه ان يقوم بد وره في ايجاد المجتمع الاسلامي المثالي الذي كان يراه اقبال حين كان ينظر الى مستقبل الامة الاسلامية ود ورها البناء في خدمة البشر-

الفصل الحادى عشر

ابتكار خالد

وكانت فئات الشعوب لاروبية المختلفة قد خرجت الى ميادين القتال ضد بعضها البعض على اساس القوة العسكرية في ١٩٠٧م ففي ناحية كانت قد تمت اتفاقية بين كل من المانيا وسلطنة النمساء والمجر وكانت تسمى القوى المركزية او المحورية وفي ناحية اخرى تمت اتفاقية ثلاثية بين كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا وكانت هذه القوى الثلاثة تعرف بالقوى الاتحادية او الوحدية وكان قيصر وليام الثاني قد قام بتطبيق مشروع السكك الحديدة الالمانية للاتصال المباشر بين برلين وبغداد وبذلك القتربت المانيا من تركيا العثمانية-

وكان الحكم العثماني التركي على المناطق الوربية كلها قد انتهى قبل اندلا ع الحرب العالمية الاولى غير القسطنطنية (استامبول حاليا) كما ان المناطق المختلفة في شمال افريقيا من المغرب ومصر كانت قد تحررت من تركيا العثمانية ولكن سورية ولبنان وفلسطين والعراق والاردن وعدن واليمن والحجاز والمناطق الاخرى من الجزيرة العربية كانت تحت لاتزاول الحكم العثماني التركى وبما ان هذه المناطق كلها كانت عربية لغة وثقافة كان يحكمها الخليفة السلطان العثماني حكما غير مباشر حيث كان يمثله الملك حسين شريف مكة-

وأما القوى الاستعمارية الاوربية فان القوة العسكرية كانت قد قسمتها الى فئتين وكانت هذه القوى في انتظار حادث يبرر لها الدخول في الحرب وا خيرا حدث حادث هذا في ٢٨/ يونيو ١٩١٤م فكان قد قتل ولي العهد لسلطنة النمساء والمجر (فرانسيس فردى نانت) مع زوجته على طريق عامة من سارا هيفو (بوسينا) في ذلك اليوم فاعلن ملك المانيا بانه سوف يتاون مع سلطنة النمسا والمجر اذا ارادت الثأر ويسا عدها كل المساعدة في ذلك واما النمسا فقد كانت تبحث عن مبررات لتمزيق (صربيا) والقضاء عليها ومن ثم اتهمت (صربيا) بقتل الامير واعلنت الحرب عليها في ٢٨/ يوليو ١٩١٤م فسارعت روسيا لمساعدة (صربيا) الحرب ضد المانيا تائيدا لروسيا وهكذا بدأت الحرب العالمية الاولى في اوربا وهزمت المانيا الجيوش البريطانية- الفرنسية في الجبهة الغربية بعد ان كانت قد اجتاحت بلجيكا بالاضافة الى ذلك احتلت الجيوش الالمانية معظم مناطق فرنسا- اما على الجبهة الشرقية فكانت جيوش المانيا والنمسا قد احتلت مناطق كثيرة

الالمانية (سينجتاؤ) في الصين وفي ٢٩/ اكتوبر ١٩١٤م انضمت تركيا العثمانية الى القوى المركزية فدخلت بذلك الحرب العالمية الاولى وفي يناير ١٩١٥م ستأذن (ونستان تشرتشل) البرلمان البريطاني للهجوم على تركيا الا ان الجيش البريطاني كان قد لاقى هزيمة نكراء على جبهة (جالي بولى) وفي ٢٣/ مايو ١٩١٥م انضمت ايطاليا الى القوى الوحدوية فدخلت الحرف وفي ناحية اخرى انضمت بلغاريا الى القى المركزية ودخلت الحرب واما الجيش الايطالي فقد لاقى هزيمة على ايدى جيوش بلغاريا والنمسا والمانيا وتم الاتصال المباشر بين تركيا العثمانية وبين القوى المركزية بعد ان حتلت (صربيا) وفي ١٩١٦م لاقى الجيش الروسي الهزيمة مرة اخرى على الجبهة فتراجع وبذلك تمكنت القوى المركزية من احتدال لبلاد (رومانيا) وفي مارس ١٩١٧م قامت ثورة في روسيا حيث تنازل قيصر روسيا عن العرش واما روسيا الشيوعية فقد تصالحت مع المانيا في ٣/ مارس ١٩١٧م وفي هذه السنة نفسها انضمت امريكا الى القوى الوحدوية ودخلت الحرب العالمية الاولى-

وكانت الحكومة البريطانية في الهند قد قبضت على الشيخ (محمد على جوهر) (١٨٧٨-١٩٣١) والشيخ (شوكت على) والشيخ (ابو الكلام آزاد) والشيخ (ظفر على خان) وغيرهم من الزعماء خلال الحرب العالمية الاولى اى مابين ١٩١٥م و ١٩١٦م واغلقت الجرائد التي كان يصدرها هؤلاء الزعماء الصحفيون اما الشيخ محمود الحسن والشيخ عبيدالله السندى والشيخ محمد ميان والشيخ حسين احمد المدني والشيخ (عزيز جل) وغيرهم من العلماء فكانوا قد ها جروا من الهند قبل اندلاع الحرب بسنة او سنتين فاصدر هولاء الشيوخ الفتاوى بالجهاد ضد الانجليز من مكة المكرمة وكابول حيث كانت تركيا العثمانية قد دخلت الحرب ضد القوى الوحدوية-

وكانت حكومة الهند البريطنية قد اعلنت في ٢/ نوفمبر ١٩١٤م بان الحكومة البريطانية تشعر بالاضطراب والقلن الشديد على خطواتها الحربية ضد تركيا العثمانية الا انها تؤكد لمسلمي الهند بأن هذه الخطوات الحربية لاصلة لها بالحرب الدينية المقدسة وان بريطانية لاتريد الاعتداء على بلاد العرب والعراق وفلسطين وغيرها من المناطق المقدسة عند المسلمين ولعى اساس هذا التصريح الحكومي كان قد رضى مسلمو الهند بالانضمام الى الجيش البريطاني ولكن الانجليز غدروا واخلفوا الوعد حيث هاجموا العراق واحتل الجيش البريطاني مدينة بصرة في نوفمبر ١٩١٤م ودخل الجيش البريطاني (سلمان باک) (مدائن) في

نوفمبر ١٩١٥م وفي يونيو ١٩١٦م تآمر الانجليز مع الملك الحسين حاكم الحجاز حيث وعدوه بالحكم العربي المستقل على بلاد العرب كلها وكان ذلك كله مكرا وخداعا وتآمرا ضد الاتراك وهكذا سالت الدماء وعم الفساد في ارض الحجاز وفي ١٩١٦م قبض الانجليز على الشيوخ ورجال الدين الهنود بواسطة الملك الحسين الشريف واعتقلوهم في جزيرة (مالطه) (١) وفي ١١/ مارس ١٩١٧م احتلت الجيوش البريطانية مدينة (بغداد) ثم (الكوفة) و (كربلاء) و (نجف) وفي ديسمبر ١٩١٦م دخلت الجيوش الانجليزية مدينة القدس كما ان الطائرات الانجليزية قذفت بالقنابل مدينة جدة كما ان الطائرات البريطانية طارت فوق المدينة المنورة وما جاورها من المناطق وقد رفض بعض الجنود المسلمين الهنود ان يشاركوا في هذه الحروب والمعارك على اساس الاسباب الدينية فاعدمهم الانجليز باطلاق النار عليهم ولكن البعض من هؤلاء الجنود المسلمين نجحوا في مغادرة الجيش البريطاني والانضمام الى الاتراك فجاهدوا ضد الانجليز جنبا بجنب مع اخوانهم الاتراك(٢)-

على كل حال فان الدعم العسكرى للقوى المتحدة كان قد ازداد للغاية بانضمام امريكا اليها- فاخذت جيوش القوى المتحدة تهزم القوى المحورية على الجهتين الغربية والجنوبية في اوربا في معارك عديدة واحدة بعد الاخرى مما اكره المانيا وسلطنة النمسا والمجر وبلغاريا وتركيا العثمانية على التصالح في ١٩١٨م وبذلك انتصرت القوى المتحدة كما ان القوى المحورية لاقت هزيمة نكراء-

وقد كانت هذه الحرب القائمة على ارض اوربا حربا مدمرة للغاية فقد ذهب الاف مؤلفة من جنود القريقين ضحية لهذه الحرب المدمرة بالاضافة الى اسرى الحرب المقبوض عليهم كما ان الملايين من الناس حرموا من السكن وموارد الرزق- اما اقبال فلم يتأثر نفسه بهذه الكارثة الكبرى وليس اقبال وحده وانما كل شخص من كبار الشخصيات في شبه القارة كان بمعزل عن هذه الحرب فكان اقبال يرى ان هذه الحرب لم تكن الاقتا لابين اللصوص من الشعوب الاستعمارية التي ارادت التقدم التجارى الغاصب واستغلال الشعوب الضعيفة المغلوب على امرها وكان يعتقدبأن الانسان الاوربي المعاصر كان انتاجا للمجتمع التاجر المساوم والذى كان قد مزق القيم الروحية والدينية والخلقية والانسانية وكان مشتغلا بعمل الانتحار تحت تأثير العاطفة الحيوانية البهيمية من القومية الوطنية- ولم يكن اقبال ليتعاطف مع هذا الحيوان من المدنية الاوربية وانما كان يبحث عن انسان المستقبل الذى بامكانه ان يقيم المجتمع الاسلامي الغاضل فبقي اقبال لايهتم بهذه الحرب و

ضجيجها وضوضائها وانما استمر في تأليف "ديوان الاسرار والرموز"-

وكان اقبال قد اعتزم قبل بضع سنوات على ان ينظم منظومة مثنوية باللغة الفارسية فيحدثنا في رسالته التي كتبها في ٧/ يوليو ١٩١١م وبعث بها الى السيدة (عطية فيضي) قائلا (٣):

"قد طلب إلى والدى ان انظم منظومة مثنوية فارسية اقلد فيها وأتتبع (بوعلى قلندر) وهذا العمل وان كان صعباء الاأنني وعدت والدى بالقيام به"-

وحسب تصريح اقبال الاخر كان قد بدأ ينظم "الاسرار والرموز" في ١٩١٠م ولكن هذه المنظومة المثنوية عن حقائق الحياة الفردية كان قد بدأ ينطمها اولا باللغة الاردوية فيقول في رسالة له (٤):؟

"كنت قد بدأت أؤلف "الاسرار والرموز" باللغة الاردوية الا انني لم اقدر على تعبير ما اردته من المعاني والافكار باللغة الاردوية فضيعت ما كنت قد ألفته فتكررت هذه المحاولة نفسها بعد سنة فألفت مائة وخمسين بيتا تقريبا إلا أن ذلك لم يعجبني أيضا ولم يطمأن إليه-

لما ذا نظم اقبال هذه المنظومة المثنوية باللغة الفارسية؟ فعن ذلك يحدثنا هو نفسه قائلا (٥):

"ففي ١٩٠٥م حين سافرت الى انكلترا كان قد تأكد لي بان الاداب الشرقية رغم خلابتها الظاهرة وبهائها الظاهري لاتوجد فيها الروح والمعنوية التي بامكانها ان تكون رسالة للرجاء وا لامل والعزيمة والشجاعة تلك المعنوية التي يمكن تعبيرها عن يتشاط الحياة وحيويتها وحين عدت الى الوطن نظرت في الاداب الاوربية ودرستها دراسة شاملة الا انني لاحظت بان العم الحديث قد وقف في سبيلها وذهب برونقها وسرورها وحين عدت من انكلترا في ١٩٠٨م كنت أعتبر الاداب الاوربية تحتل نفس المكانة التي تحتلها الاداب الشرقية في نفسي فهذه هي الظروف والاوضاع التي اقلقتني وجعلتني افكر في الحديت عن هذه الاداب وارأى فيها واردت ان اضيف بضاعة جديدة من الحياة لانعاش الروح والمعنوية الجديدة فيها وكان نفسي تغلي بنفس القلق حين عدت الى بلادى وظللت منهمكا مشغولا لثلات سنوات حتى لم يعرف احد من اقرب اقاربي وا صدقائى بما ذاكنت مشغولا وفي ١٩١٠م انتهى القلق الداخلى الذى كنت اعانى منه وقدرت في نفسي ان اعلن بآرائق وافكارى ولكننى كنت اخشي ان هذه الآراء والفكار قد تكون سببا لسوء الفهم والاضطراب بين الناس- على كل حال فانني كنت قد بدأت أولك منظومتي المثنوية "ديوان الاسرار والرموز" على اساس ماكنت اشعربه من الافكار والمعاني- واما نظم الششعر

بالفارسية بدل الاردوية فان الكثيرين من الناس قد اختلفوا في تأويل ذلك وتشريحه وأرى من المناسب ان اعلن بالسر الذى جعلنى اقول الشعر بالفارسية فقد يرى بعض اصدقائى بأنني اخترت اللغة الفارسية للتعبير لكى تبلغ اٰرائى وافكارى الى اكبر عدد من الناس والامر ليس كذلك لانني كنت قد أردت بالعكس فكنت قد ألفت "ديوان الاسرار والرموز" في البداية من اجل الهند وحدها وقليلون من يفهمون الفارسية في هذه البلاد- كنت اريد ان تبلغ اٰرائي التي اريد ابلاغها الى اقل عدد من الناس وكذلك فقد كنت على علم حينذاك بان الديوان سوف يعبر حدود الهند حتى يبلغ اوربا وهو يخترق قلوب البحار وصدورها لاشك ان هذا صحيح بان الاسلوب الفارسي ورونقه قد جذبني اليه جذبا فبدأت انظم ولم ازل انظم الشعر بالغارسية"-

على كل حال فان ديوان الاسرار كان معظمه قد نظم في السنتين الاخيرتين اى ١٩١٣م و ١٩١٤م فيقول اقبال عن ذلک(٦):

"وقد تم تاليف هذا الديوان خلال السنتين الماضيتين ولكن بأسلوب كن يجعل طبيعتي تميل الى قول الشعر ونظمه بعد فترات امتدت الى شهور- ان هذا الديوان انما هو انتاج لبضعة أيام من يوم الاحد وبضعة ليال قضيتها ساهرا- ان المشاغل والاعمال والمشاغل وبذلك قلت المشاغل الادبية للابتكار وا الانتاج فلوكنت على حرية وتوفر لدى الوقت المناسب لكان هذا الديوان أحسن وأجود مما هو عليه الان"-

ولكن اقبالاً كان قد بدأ يتأكد شيئا فشيئا وهو يؤلف "ديوان الاسرار" بانه لاينظم هذا الديوان تلقائيا وانما يتلقي تعليمات لنظم هذا الديوان من الغيب ويحدثنا اقبال عن ذلك في رسالة كتبها في ١٤/ ابريل ١٩١٦م وبعث بها الى الامير (كيشن برشاد) قائلا (٧):

"هذه المنظومة المثنوية التي سميتها "اسرار خودي" او "اسرار الذات" قد ألفتها لهدف خاص- أنني أميل بطبيعتى التى جبلت عليها الى حال من الجذب والكيف والجنون الا اننى اقسم بالله الواحد القهار الذى نفسي ومالى وشرفي بيده- انني لم أؤلف هذه المنظومة المثنوية بنفسي تلقائيا وانما ألفتها بتعليمات تلقيتها واشارة امرت بها وانا في حيرة ودهشة لماذا انتخبت لتعبير هذه الفكار وان ضميرى لن يستريح ولن يتحرر من قيد القلق والاضطراب حتى انهى القسم الاخير من الديوان- اما الان فانني اشعر كأنه لاواجب لي غير هذا ولعل ذلك هو هدف حياتي وكنت على علم بان الناس سيعارضونني وذلك لاننا جميعا نمر بمرحلة خطيرة من الانحطاط واكبر السحر الذى يملكه عصر الانحطاط انه يجعل

جميع عناصره واجزائه واسبابه مرغوبة في نظر الضحية سواء كان هذا الضحية شعبا او فردا) وتكون النتيجة بان الضحية المسكين الشقي يعتقد بان الاسباب التي تدمره وتقضي عليه انما هي اسباب تقوم بدور بناء رائع شخصية الا انني شاعر المستقبل و صوت يستمع الناس اليه غدا-

نا امید استم زیران قدیم
طور من سوزد که می اید کلیم

"انني قد ليئست من أصدقائي القدامي- وأن جبل الطور عندى يحترق لان الكليم قد أوشك ان يظهر ويصل-

فلن يبقى (الخواجا حسن نظامى) كما ان اقبالاً لن يبقى- ان هذه البذور التي بذرها اقبال في ارض ميتة لابد وان تنبت وسوى تأتي بثمارها على رغم انف المعارضين انني قد وعدت ببقاء هذا العمل وحياته فالحمد لله"-

واشتغل اقبال بتأليف "الاسرار والرموز" اشتغالا أنساه كل شي حتى انه لم يستطع ان ينشد شيئا من شعره غير قطعة شعرية فارسية قصيرة في الاجتماع السنوى لجمعية حماية الاسلام في ٢٣/ مارس ١٩١٣م- وفي اجتماع سنة ١٩١٤م ألقى إقبال كلمة عن "تصوف ايران والاسلام" وانشد بعض الاقسام من "ديوان الاسرار" وأما في ١٩١٥م فلم ينشد شيئا من قصائده ولكنه أنشد في اجتماع ١٩١٦م منظومته الخالدة الفريدة وعنوانها "بلال" ثم انشد بعض قصاءده في اجتماع ١٩١٨م ثم لم ينشد شيئا فيما تلامن الاجتماعات للجمعية حتى ١٩٢٠م (٨)-

وكان إقبال يتمنى أن ينشد منظومته المثنوية "ديوان الاسرار والرموز" بين يدى أديب خبير من أدباء اللغة الفارسية قبل أن ينشرها كما انه كان يستشير أستاذه الشيخ (سيد مير حسن) والشاعر (الجرامي) وهو يؤلف تلك المنظومة فأراد أن يستشير الخواجا (عزيز الدين اللكنوى) الذى كان شاعرا واديبا فارسيا من الطراز الاول في وقته لالا أن (الخواجا عزيز) هذا كان قد طعن فس السن وهرم ومات في ١٩١٥م وقال اقبال في رسالته الى الشاعر (الجرامي) والتي كتبها في ١٨/ يناير ١٩١٥م (٩)-

"اما المنظومة المثنوية فقد انتهيت منها فلو شرفتنا بزرياتك لأمكن لي أن أعرضها عليك ثم اهتم بطبعها ونشرها إلا انني أرى ان الشهرين فبراير / ومارس ليسا الاكوعد المحبوبين الذى لايفى به احد- اما (الجرامي) فليس بامكانه ان يغادر (حيدر اٰباد)! ياليتنى استطعت ان احضر انا إلى (حيدر اٰباد) ولكن هذا ايضا مما لااملك فيه حولا و لاطولا فان الظروف والمشاغل هنا لاتسمح لي

بالسفر كما ان (حيدر آباد) ليس فيها مايجذبني اليها جذبا قويا- اما دعواتك في اخر الليل فأرى انها ايضا لاتستجاب ولاتصل الى حضرة القدس وقد بدأت أتبرم من قول الشعر باللغة الاردوية فقد اخذت اميل بطبيعتي الى اللغة الفارسية والسبب في ذلك اننى لااقدر على تعبير ما اريده من العواطف الحارة الجياشة باللغة الاردوية"-

والشيخ عبدالقادر (الجرامي) (١٨٥٦-١٩٢٨) كان على صلة باقال منذ بدأ ينشد شعره القومي في الجلسات السنوية لجمعية حماية الاسلام او منذ ان بدأت مجلة "مخزن" تصدر من لاهور وفي بعض الاحيان كان يحضر اقبال في جلسات الجمعية ويرافقه الششيخ (الجرامى) (فعلى سبيل المثال حضر اقبال في جلسة ١٩١٤م وكان يرافقه (الجرامي) معرفه اقبال بمن حضر في الجلسة قائلا بان الجرامي من كبار شعراء اللغة الفارسية فلو استمعتم اليه اليوم لاممكن لكم ان تفتخروا بهذه اللحظة غدا ثم انشد (الجرامي) شعره (١٠) وكان (الجرامي) اكبر سنا من اقبال بكثير إلا أن الملات بينهما كانت وثيقة عميقة جدا ولم يكن (الجرامي) يعرف الاساليب الشعرية الفارسية لكبار الشعراء فحسب وانما كان ينظم الشعر على اسلوبهم ومنوالهم ومن ثم لم يكن احد غيره يستحق ان يساعد اقبالاً في شعره الفارسي ويرى رايه في اسلوب تعبيره وكان (الجرامى) هذا استقر اخيرا في مدينة (هوشيار بور) بالهند فكان يختلف الى لاهور بين حين واخر فينزل عند اقبال وفي بعض الاحيان كان اقبال يرسل خادمه (على بخش) الى (هوشيار بور) ليأتي بالشاعر (الجرامي) فكان يقيم عند اقبال اياما واسابيع فكانا يتحدثان فيما بينهما ليل نهار و يتناقشان حول دقائق الشعر وعجائبه وكان يستمع اقبال اليه كما انه كان ينشده شعره ويستشيره في ذلك ويستمد منه وكذلك (الجرامي) كان يحب اقبالاً للغاية فهذا (الجرامي) كان قد قال عن اقبال-

در ديده معنى نكه ان حضرت اقبال
بيغمبرى كرد وبيمبر نتوان كفت

(ان حضرة اقبال يحتل مكانة في عيون المعاني وافكارها- انه قام بعمل نبوى الا انه لايجوز ان نسميه نبيا)-

واما اقبال فكان هوالآخر الذى قال الابيات الشعرية عن (الجرامي) حين مات وتذكر فيها المجالس القديمة التي كانت تجمع بينهما فمنها ما معناه:

"ان ذكريات الايام التي قضيتها معه وتحدثنا وتناقشنا فيما بيننا- انها كانت كانت كلمات جميلة حلوة يقولها الحبيب لحبيه"-

وقد سجل (عبدالمجيد سالک) العديد من النكت عن اقبال و (اجرامي) في كتابيه "سركزشت" (حكاية الماضي) و "ياران كهن" (الاصدقاء القدماء) فممنها ان اقبالاً ارسل خادمه (على بخش) الى (هوشيار بور) ليأتي (بالجرامي) الى لاهور فاقام عنده (على بخش) اياما الا ان (الجرامي) استمر يسوف ويقول: سنذهب اليوم اوغدا و اخيرا استعد للسفر يوما فاعد متاعه فوضعه في عربة الحصان الا انه كان قد نسي بعض حوائجه فدخل الم المنزل فاخذ يتحدث الى زوجته ثم خرج بالمزيد من المتاع فاخذ يملأبه الصندوق الا ان الفصل كان صيفا فاحتدم مقعد العربة بالشمس المحرقة فنزل من على العربة بعد ان ركبها وامر بالمتاع فوضع عن العربة ثم قال وهويخاطب (على بخش): انت تذهب الى (لاهور) فتقول لاقبال ان العربة كانت قد احتدمت حرا وسوف نزوره خلال فصل الشتاء المقبل ان شاء الله!

اما اذا جاء (الجرامي) الى (لاهور) ونزل عند اقبال فلم يكن يفكر ان يغادره وكانت زوجته ترسل اليه البرقيات قائلة بانها مريضة الا انه لم يكن يهتم بذلك ولا يتأثر به كثيرا وكان اذا نزل عند اقبال في منزله بسوق (انار كلي) يستقر في عرفة مجاورة لفرفة الزوار فجاء مرة ونزل عند اقبال حتى مرت به اسابيع عديدة فبعثت زوجته ببرقية عاجلة اليه تقول بانها تعانى من المرض الشديد فقرأ البرقية واضطرب اضطرابا ثم طلب الى اقبال ان يوصله الى المحطة وكان الفصل شتاء وكان الوقت ليلا وقد دقت الساعة التاسعة ولم يكن يوجد قطار في ذلك الوقت ليحمله الى مدينة (جالندهار) فقال له اقبال: حاضر يا سيدى نوصلك حالا ثم اضاف قائلا:

"كنت قد اردت ان انظم رباعية فصنعت ثلاثة مصاريع وقد بقي المصراع الرابع الذى استعصى على ولم استطع ان انظمه كما اردت فقال (الجرامي) هل بامكانك ان تنشد نيها الاٰن فانشد له اقبال وبعد ان انهي المصاريع الثلاثة اسغرق (الجرامي) في تفكير عميق وبعد تفكير استمر لحظات اخذ ينشد فيها لاقبال مصرعا كان قد صنعه فقال اقبال بعد ان سمع المصراع "ياسيدى الكلمة الفلانية في المصراع في حاجة الى تجديد وتغيير" فاخذ (الجرامي) يصنع مصراعا بعد مصراع واستمر كذلك حتى مضت ساعة كاملة وظل اقبال يعيب المصراع كلما أتى به (الجرامي) ثم صعد اقبال الى الطبق الاعلى من المنزل حيث استراح الى ان دقت الساعة الثالثة فجاء (علي بخش) يطرق الباب ويخبر اقبالاً قائلا بان حضرة الاستاذ (الجرامي) يطلبك الاٰن فنزل اقبال فاخبره (الجرامي) قائلا

:"قد نظمت مصراعا جيدا واردت أن أنشدك الآن ولا انتظر الصباح فانشد المصراع له فعلا وكان المصراع نادرا فاستحسنه اقبال استحسانا عظيما ثم قال (الجرامي) وقد رأى اقبال مسروراً "اود أن اكل اليوسفي" وكان الوقت ليلا والساعة تدق الثالثة والبرد شديداً ورغم ذلك خرج (على بخش) فايقظ البعض من الفاكها ننين وجاء باليوسفي فقدمه (للجرمي) ثم اعد الشاى وقدم له وهو باسم الوجه مسرو البشرة وكان قد نسي البرقية التي بعثت بها زوجته" (١١)

انهي اقبال منظومته المثنوية الا بقيت مشكلة التسمية لها وعن ذلك يحدث اقبال في رسالته التي بعث بها الى (الخواجا حسن نظامي) (١٢):

"ان منظومتى المثنوية التي تحدثت فيها عن حقيقة الذاتية ودعمها وقوتها قد انهيتها تقريبا وكذت ان ارسل بها الى المطبعة وارجوك ان تقترح اسماً مناسباً جميلاً لها- اما الشيخ (عبدالقادر) فقد اقترح هذه الاسماء "اسرار حياة" (اسرار الحياة) و "بيام سروش" (رسالة الملک) و "بيام نو" (الرسالة الجديدة) و "آئين نو" (الدستور الجديد) وارجوك ان تختبر قريحتك ثم تخبرني عن ابتكاراتك حتى أتمكن من اختيار الاسم المناسب للمنظومة"

على كل حال فان اقبالاً نفسه هوالذى قد اختار اسما لمنظومته المثنوية "اسرار خودى" (اسراالذاتية)-

وتوفيت ام اقبال في ٩/ نوفمبر ١٩١٤م ورغم ان اقبالاً كان قد بلغ السابعة والثلاثين من عمره (وبالصدفة فقد كان التاسع من نوفمبر هو عيد ميلاد اقبال) الا انه افتقد امه وحزن على موتها كالطفل الرضيع الذى لم يبلغ الرشد بعد اوكالذى احس الحب لامه احساسا حديثا وكان اقبال يحب أمه حبا شديدا والواقع انها هي التي كانت تجذب اقبالاً الى سيالكوت خلال الاجازات كل مرة وكانت الاسرة تجتمع وتتجاذت ألوان الحديث قبل الغداء او بعده كل يوم في القسم النسوى من البيت في (سيالكوت) خلال الاجازات الصيفية وكانت ام اقبال وشقيقاته وزوجتة شقيقه و زوجات اقبال نفسه يشاركن في هذا الاجتماع الاسرى اليومي فكان اقبال يجلس على البلاط الخشبي فيشارك اسرته في الحديث الذى كان يجرى عن حكايات الحى او الخصامات بين الاسر فيستمع اقبال الى ذلك بكل اقبال وهويبتسم خلال ذلك الحديث وفي بعض الاحيان كان يوجه السوال الى أمه فيقول لها "كيف قمت بالجهود الاصلاحية والصلح بين الام الغلانية وزوجة ابنها"؟ اما ليلا فكان يجلس اقبال الى والده فيمتاز الحديث بينهما بلون من العلم والبحث والواقع ان ام اقبال كانت مركز الذكريات اقبال كلها في

طفولته وصباه ومن ثم كان موتها صدمة شديدة له فلم يزل حزينا كئيبا على موتها لايام واسابيع (١٣) ويحدثنا (عبدالمجيد سالک) بانه كان قد ذهب لكى يعزى اقبالاً فاخذ يحكى له مكارمها وسيرتها الطيبة وهو يستعبر استعباراً خلال ذلك وكان يقول بانه كان كلما ذهب الى (سيالكوت) سرت امه بذلك وهي تقول هذا "بالى" قدجاء (بالى هوتصغير اقبال) فكنت اشعر وكانني طفل صغير بين يديها (١٤) ويقول فيما كتب إلى الامير (كيشن برشاد) عن ذلك (١٥):

"ماأمهر الانسان في إخفاء عيوبه حيث يلونها تلوينا غريبا فيعبر عن مسكنة بالصبر ثم ينسب صبره هذا الى عزيمته وقوته الا ان هذا الحادث قد غيرني قلبا وعقلا تغييرا عظيما فان اهتمامي بشئون الدنيا ورغبتى في التقدم فيها انما كان يرجع ذلك كله الى الراحلة العظيمة وقد بلغت بي الحال الى انني انتظر الموت الاٰن- ان الموت يدرك جميع الناس في هذه الدنيا وقد يدرك الانسان موته ايضا اما انا فاشعر في قعر ضميرى بان الموت لن يدركني ولن يصل الى فلابدلي ان اصل اليه انا"-

وكان الشاعر (اكبر اله ابادي) قد عزى اقبال وسجل تاريخ الوفاة لامه فى الجزء الاول من المصراع الاخير لاخربيت من الابيات الششعرية قائلا (١٦):

١) ان الاوصاف الكريمة التي يمتاز بها حضرة اقبال والتي جعلت شعبه يعشق اسلوبه الششعري-

٢) وانه عرف الحق وتعلم الاسلوب التعبيرى الجيد وتذوق العلوم و عرف الصداقه وادرك "الذاتية" وفلسفتها-

٣) كل ذلك يدل على ان ابويه كانا من الكرماء الابرار قد عرفا ربهما وكانا يملكان القلب الذى يدرك الاسرار والرموز-

٤) ان سيرة اقبال الشخصية انما هي انطباع وتعبير لمبادئ التعليم والتربية التي تلقاها من ابويه فهو ثمرة ذات موهبة عالية وطبيعة سخية من تلك الحديقة-

٥) ان ام اقبال الراحلة قد دخلت الجنة وان قلبي حزين على موتها وعيني مستعبرتان باكيتان-

٦) ومن الصعب ان أتمالك نفسي فلا أتأوه ولا أستغيث لأن حياة الام نعمة كبرى لأولادها-

٧) ان "اكبر" يقاسم اقبالاً حزنه والمه وهو يريد الان ان يسجل سنة وفاتها والحق ان السيدة الراحلة كانت تملك الاوصاف الكريمة الصالحة وكان الشعب كله يعتز بخدمتها

وان سنة وفاتها تستخرج من كلمة "رحلت مخدومه" (١٣٣٣هـ)

وبالا ضافة الى ذلك فان هذا الشاعر قد نظم قطعة شعرية سجل فيها سنة وفاتها وهذه القطعة توجد اليوم على لافتة قبرها ما معناه:

١- أن أم اقبال الراحلة قد سافرت الى جنة الفردوس تاركه هذه الدنيا التي ليس لهاثبات ولا دوام-

٢- فقال (اكبر) وقلبه ملئ حزنا والما بأن سنة وفاتها هي كلمة "رحلت مخدومه"

وبهذه المناسبة كان اقبال نفسه قد رثى امه في منظومته المعروفة التي عنوانها "ذكرى امى الراحلة" وكان قد طلب الى بعض الخطاطين فأعد نسخة جميلة الخط فبعث بها الى والده في "سيالكوت" (١٧)

وفي اواسط سنة ١٩١٥م ظهرت الطبعة الاولي من "اسرار الذاتية" وعددها خمسمائة نسخة والخطاط الذى اعد نسخة الديوان هو الخطاط المعروف (منشي فضل الهى مرغوب رقم) وطبع الكتاب (الحكيم فقير محمد جشتي) وكان من اصدقاء اقبال ومن الجدير بالذكر عن الطبعة الاولى للكتاب اولا ان الديوان كان قد اهداه اقبال باسم (السير سيد على امام) ثانيا كان اقبال قد ابدى عن رأية في المسألة الدقيقة الا وهي موضوع هذا الديوان ثالثا كان اقبال قد نظم بضعة ابيات شعرية ضد الاسلوب الفكرى الذى يمتازبه شعرو (حافظ الشيرازى) وبما ان اقبالاً قد نقد حافظا نقدا عنيفا فقد أغضب الكثيرين من اصحاب الطرق الصوفية الى جانب اصحاب الذوق الادبي حتى اثاروا ضجة ضد اقبال وبالا ضافة الى ذلك فان البعض منهم اعترض على اقبال بانه عنون الديوان الذى يشرح فلسفة الذاتية ويعلم الشعب ان يكون شعبا ابيا باسم رجل يعتبرمن اهل الثروات والذى تال اللقب الرسمي من الانجليز (اى السير سيد على امام)-

واما الضجة التي اثارها اصحاب الطرق الصوفية حين ظهرت الطبقة الاولى من ديوان "اسرار الذاتية" ثم ما انتشر من سوء التفاهم بين الاوساط الادبية في اوربا حين نشرت الترجمة الانجليزية للديوان فاننا سوف نفصل القول عن ذلك فيما يلى من الابواب ولكن الجدير بالذكر ههنا ان من اعترض على اقبال لنقده (حافظ الشيرازي) كان من بينهم والد اقبال نفسه فقد كان يميل الى فكرة وحدة الوجود بل ان الكثيرين من اٰباء اقبال واجداده كونوا يميلون الى هذا المذهب الصوفي ومن ثم كانت ثورة اقبال على التصوف الوجودى ثورة على المذهب الصوفي لاسرته وكان اقبال قد ارسل نسخة من ديوان الاسرار الى والده الذى كان

يدرسه في كل صباح فكان يعتبرالابيات الشعرية التي نقد فيها اقبال اسلوب (حافظ الشعرى) بانه اهانة لحافظ فلم يكن معجبا بها وفي اثناء ذلك بدأت المقالات تظهر في الجرائد والمجلات تعارض ديوان الاسرار وتنقده-

وبالصدفة ذهب اقبال الى (سيالكوت) في اثناء ذلك وكان الفصل صيفا وكانت الاسرة تنام فوق السقف ليلا فاعدت النارجيلة كالمعتاد فوضعت بين سريرى اقبال ووالده فاخذا يتحدثان عن موضوعات علمية ادبية وذكر ما اغضب اصحاب الطرق الصوفية من نقده لاسلوب (حافظ الشيرازى) خلال الحديث بينها فقال اقبال لوالده اننى لا أعيب حافظا أوشخصية وإنما وضحت مبدأ من المبادئ ولكن مع الأسف الشديد قد استولى التصوف الايرانى على مسلمى الهند وتغلب عليهم حتى انهم يعتبرون السم ماء زلالا فقال الشيخ (نور محمد) "كان بامكانك أن توضح هذا المبدأ بدون ان تثير غضب انصار حافظ" فرد عليه اقبال قائلا: "ان عبادة (حافظ) هذه انما هي وثنية اوكانها عبادة الاوثان" فقال الشيخ (نور محمد): "ان الله عزوجل ورسوله صلي الله عليه وسلم منعانا من ان نسب الاصنام والاوثان ويجب عليك ان تشطب الابيات الشعرية من الديوان التي تثير الغضب في نفوس اتباع (حافظ)" فلم يقل اقبال شيئا وانما ابتسم ابتسامة (١٨) وعند ما ظهرت الطبعة الثانية للديوان حذف اقبال الابيات الشعرية المعترض عليها والمقدمة بالاضافة الى الابيات الشعرية التي نصت على اسم (السير سيد على امام) الذى أهدى الديوان باسمه وكتب مقدمة جديدة وبذلك اغلق باب الضجة التى كانت قد اثيرت عند ماظهرت الطبعة الاولى من الديوان(١٩)-

"وكانت الطبعة الاولى من هذه المنظومة المثنوية قدظهرت في ١٩١٥م واما هذه الطبعة الثانية التي نقد مها للقراء الكرام الاٰن فقد حدثت فيه تغييرات لفظية عديدة كما اننا قد غيرنا ترتيب الابيات الشعرية في بعض المواضع بالا ضافة الى ابيات شعرية جديدة اضيفت من اجل الشرح والتوضيح في موضع او اكثر ولكن اكبر تغيير حدث في هذه الطبعة هوالغاء الابيات الشعرية التي قيلت في (الخواجا حافظ الشيرازى) ورغم ان الغرض من هذه الابيات الشعرية لم يكن هو نقد (حافظ) او تجريح سيرته الشخصية وانما كان الغرض من ذلك هوالنقد لهدف ادبى خاص فقط ولكننا نظرا الى مابلغنا من بعض اصدقاءنا بان هذا الاسلوب النقدى لم يعجبهم فرأينا من المناسب ان نحذف تلك الابيات الشعرية ونضيف ابياتاً جديدة في مكانها وهذه الابيات الجديدة تبحث عن المبدأ الادبي الاسلامي الذى يمكن ان نقدر على أساسه أى أدب لأى شعب

من الشعوب وكذلك فلم نرالحاجة الى التقديم الاردوى للطبعة الاولى من الديوان"-

والتقديم الاردوى للطبعة الاولى من المنظومة المثنوية كان يحتوى على اثنتى عشرة صفحة فقط ولعل الذى جعل اقبالاً يحذف هذا التقديم الاردوى ويلغيه هو ان هذا التقديم لم يكن يحقق الغرض المطلوب ولم يكن يوضح القصد المراد كما ينبغى لان الموضوع كان في حاجة الى التغاصيل التي قد تحتاج الى كتاب مستقل فقد كتب إقبال إلى (حافظ محمد اسلم جيراجبورى) فقال (٢٠):

"إن التقديم كان موجزا للغاية وهذا الايجاز والاقتضاب كان سببا لسوء الفهم بين كثير من الناس"-

اما (السير سيد على امام) الذى كان اقبال قد أهدى إليه ديوانه ونسبة اليه فيرجع ذلك إلى سببين احدهما ان اقبال كان معجبا بصديقه هذا و روحه المعنوية الاسلامية التي كان يمتاز بها فكان اقبال يكرمه ويقدره وكان (السير سيد على امام) على مكانة من الثقافة والاخلاق الاسلامية التي لايوجد له نظير ورغم انه كان قد تعلم في الجامعات والمعاهدات الاوربية الا انه كان يحفظ الكثير من القصائد العربية والشعر الفارسي للشعراء الفطاحل وقد رافق اقبالاً حين سافر الى انكلترا ليشارك في مؤتمر المائدة المستديرة في ١٩٣١م ويذكر اقبال في رسالة بعث بها الى (المنشي طاهر الدين) فقال (٢١):

"ان السيد (على امام) يحفظ من الشعر العربي والفارسي والاردوى مالاحصرله كما انه ينشد الشعر باسلوب رائع ولم لا؟ فقد قيل "الولدسر لأبيه" فقد كان والده الكريم (الشيخ نواب امداد على) على مكانة ممتازة في الاداب الاردوية ولعل الذين يمثلون الهنادكة والمسلمين في مؤتمر المائدة المستديرة هذا هم سبعة أوثمانية رجال ويرافقنا في سفينتنا هذه السيد (راجا نرندرناث) واربعة رجال يمثلون المسلمين وكلهم متغربون اى مثقفون ثقافة غربية، ان مصطلح المتغرب كان قد وضعها مجلة "المعارف" وهو مصطلح ممتع لطيف جدا- اما عن حال هذه القافلة من المسلمين المتغربين فان اثنين منها يحفظان القرآن وهما (الامير شتارى) و (خان بهادر الحافظ هدايت حسين) وأولهما يذكر الله ويعبده كل يوم ويقال انه يؤم بالناس في صلوة التراريح كل عام واما عن تغرب سيد (على امام) فانه كان واقفا في صباح يوم على سقف المركب وكنت واقفا بجانبه فقدر الاميال وافراسخ ثم قال وهو لما يكمل هذه الجملة ثم قال وكأنه لم يتمالك وعيناه محضلّتان": "بلغ سلامي روضة فيها النبي المحترم"- وان هذه الحالة التي مرت بقلبه أثرت في نفسي تأثيرا بالغا وأما أنا فمتغرب ومتشرق في الوقت نفسه

الا ان الضربة الشرقية كانت اقوى الضربات التي اتيحت لنفسي"-

واما السبب الثاني فهو ان اقبالاً كانت في نفسه امنية قوية ملحة لتكون (حيدر آباد الدكن) مركزا للنهضة الاسلامية الشاملة في مجالات الدين والعلم والفكر كما انه كان يريد ان يتحول اليها ويتحصل على وظيفة ملائمة له لكى يتمكن من القيام بما يرغب اويحققه من الاعمال الادبية الجسمية وكان على صلة بالكبار البارزين المثقفين في (حيدر آباد الدكن) وكان الامير (مير محبوب على خان) قدمات وخلفه الامير (مير عثمان علي خان) كنظام الدكن وكان الامير (كيشن برشاد) قد استقال من منصب مدار المهام في ١١/ يناير ١٩١٢م وحل محله الامير (مير يوسف على خان سالار جنک) في منصب مدار المهام واستمر الى أول ديسمبر ١٩١٤م- ثم استلم نظام الدكن نفسه منصب الديوان والوزارة شخصيا وعليه فان العصر الذى نشرفيه ديوان اسرار الذاتية لم يكن (السير سيد على امام) يحتل منصب رئيس الوزراء (لحيدر أباد الدكن) وانما كان (نظام) نفسه قد احتل رياسة الوزراء- وكانت دولة (حيدر آباد الدكن) تتقدم حوالاصلاحات في كل مجال تقدما سريعا الا ان (نظام) لم يكن من الممكن له ان يحتل منصب الامارة ورياسة الوزراء في نفس الوقت ومن ثم كانت الشائعات والتكهنات تقول بانه سوف يستعير خدمات (السير سيد على امام) من الحكومة الانجليزية فكان اقبال يعتقد بان (السير سيد على امام) إذا احتل منصب رئيس الوزراء مرة إخرى فان هذه المرحلة بامكانها ان تكون مرحلة الخطوات الايجابية للنهضة الاسلامية في (حيدر آباد الدكن) وهذا ما جعل اقبالاً يهدي ديوانه باسم (السير سيد على امام) واخيرا عين (السير سيد علي امام) في وظيفة (صدر المهام) في ١٩١٩م فأعد عددا من المشاريع لتقدم الامارة وازدهارها ومن بينها انشاء الجامعة العثمانية بحيدر أباد واتمر في وظيفة (صدر المهام) لاربع سنوات ثم تقاعد من وظيفته في ١٩٢٢م وحل محله الامير (كيشن برشاد) في ١٩٢٦م واستمر إلى ١٩٣٧م وفي هذه السنة استقال من منصبه فحل محله (السير اكبر حيدرى) (٢٢)-

سبق وقد ذكرنا بأن القادة السياسيين المسلمين الشبان كانوا قد بدأوا يسحبون ثقهم في القيادة القديمة للرابطة الاسلامية وكانوا يريدون التفاهم مع الهنادكة مماجعل الرابطة والكونجرس يعقد ان الاجتماعات المشتركة بين حين وآخر واخيرا اجتمع القادة السياسيون من المسلمين والهنادكة بمدينة (لكنو) في ١٩١٦م وتم ميثاق (لكنو) بين الرابطة والكونجرس بحكم جهود قيادته التي بذلها

(محمد على جناح) وهكذا اصبحت الرابطة الاسلامية حزبا سياسه في اصح معاني الكلمة كما كان (الشيخ شبلي) قد أراده على حد تعبير (طفيل احمد) (٢٣)-

وفي هذه الاتفاقية التي تمت بين الرابطة والكونجرس وافق الهنادكة على حق النيابة المنفصلة المستقلة للمسلمين الا انهم حرموا من اغلبيتهم في الاقاليم التي كان اغلبية سكانها هم المسلوون كاقليم بنغال وبنجاب حيث منحوا للمسلمين حق التساوى فقط وقسموا المقاعد الزائدة بين الاقليات الاخرى وعوضوا المسلمين عن ذلك بالمقاعد الاضافية الاسلامية في الاقاليم التي كان المسلمون فيها القلية- وحين تمت اتفاقية (لكنؤ) وتحققت قاليم التي اغلبية انها من المسلمين اى اقليم (سرحد) (المسلمون ٩١%) والهنادكة ٧%) وبلوجستان (المسلمون ٨٧% والهنادكة ١١%) تحت حكم المندوب السامى البريطاني ولما يطبق بعد فيهما الاصلاحات الدستورية لسنة ١٩٠٩م كما ان اقليم السند (المسلمون ٧٥% والهنادكة ١٩%) تم انضمامه الى ولاية بومباى وبذلك اصبح تناسب السكان (الهنادكة ٧٧% والمسلمون ١٩%) ومعنى ذلك أنه قد تم ميثاق (لكنؤ) و اقليمان اسلاميان اثنان فقط حينذاك وهما بنجاب وبنغال وفي هذين الاقليمين كان المسلمون قد حرموا من هق الاغلبية اما الاقاليم الاخرى جميعها والعاصمة الهندية فان اغلبية سكانها كانت من الهنادكة ومن ثم لم يكن ينفع المسلمين المقاعد الاضافية نفعا حقيقيا وان القادة المسلمين الذين صادقوا على ميثاق (لكنؤ) كان معظمهم من الاقاليم التى كان فيها المسلمون اقلية ولم يصادق (السير محمد شفيع) الذى كان من اقليم اغلبية سكانه هم المسلمون وهو اقليم بنجاب ولكن (السير فضل حسن) قد أيد الميثاق و وقع عليه بالسيابة عن بنجاب (٢٤) ورغم ان اقبالاً لم يكن في مجال السياسة العملية في ذلك الوقت الا انه لم يكن يوافق على ميثاق (لكنؤ) فعن ذلك يحدثنا (عبدالمجيد سالک) قائلا (٢٥):

> "كان العلامة اقبال يعارض هذا الميثاق لا نه لم يكن يمنح السلطة للمسلمين في الاقاليم التي كان اغلبية سكانها هم المسلمون كما ان مبدأ الاجتياز او العبور لم يكن ينفع الاقليات المسلمة في الاقاليم الاخرى وبالاضافة الى ذلك فان العلامة اقبالاً كان يرى بان الميثاق لايمكن ان يفيد المسلمين الا اذاتمت الموافقة على القومية الموحدة والواقع ان بناء القومية الموحدة لايمكن ان يتحقق كما ان السعي في سبيله لا يفيد في شئي"-

ولاشك ان ميثاق (لكنو) كان اتفاقية تمت بين فئتين تختلفان في دينهما الا ان هذه الاتفاقية كانت اتفاقية غير حقيقة فقد اتضح فيما بعد خلال "حركة ترك

الموالاة" او "عدم التعاون" بان الفئتين كانتا تختلفان في الغرض والنية فكانت اغلبية القادة السياسيين المسلمين تريد ان يبقى التشخص القومي المستقل للمسلمين رغم هذه الاتفاقية بينما كانت القيادة الهندوكية تريد ان تذيب الاقلية المسلمة وتفنيها في القومية الموحدة وتقضي عليها رغم انهم كانوا قد اعترفوا بمبدأ النيابة الاسلامية المستقلة- ومن ثم استطاع ميثاق (لكنؤ) ان يقرب بين الهنادكة والمسلمين تقريبا مؤقتا ولكنه لم يستطع ان يقرب بينهم تقريبا حقيقتا وقامت اضطرابات طاءفية ضد المسلمين في (شاه اٰباد) و (اٰرا) في ١٩١٧م حيث دمر الهنادكة ١٢٩ قرية للمسلمين في اربعين ميلا مربعا من الارض (٢٦) وفي هذه السنة نفسها زار (مانتيكو) الهند حيث ظهر تقرير (مانتيكوتشمس فور) في ١٩١٨م بعد اعادة نظر في ضوء ميثاق (لكنو) على الاصلاحات الدستورية لسنة ١٩٠٩م وعلى اساس هذا التقرير تمت الموافقة على المشروع القانونى لحكومة الهند في ١٩١٩م والذى طبق تطبيقا عمليا في الهند في (١٩٢١)-

على كل حال فقد عاش اقبال بمعزل عن هذه المشاكل السياسية كلها خلال هذه المدة في قرية ناءية وهو يؤلف القسم الثاني من منظومته المثنوية وهو ديوان "رموز اللاذاتية" (٢٧)-

وفي ١٩١٧م التفتت انظار اقبال الى (حيدر اٰباد الدكن) مرة اخرى حيث إنه قد مات (سيد هاشم بلجرامي) واصبحت وظيفة القاضي في القضاء العالي (لحيدر اٰباد الدكن) شاغرة وكان (منشي دين محمد) رئيس تحرير لمجلة بلدية لاهور قدرشح اقبال لتلك الوظيفة وكتب رسالة الى الامير (كيشن برشاد) فرد الامير (كيشن برشاد) على الرسالة مما جعل اقبالاً يشكر الامير في رسالته اليه قائلا (٢٨):

"ومنذ أيام قد تكرر الخبر في الجرائد وقد سمعت بان جرائد بنجاب والاقليم الاعلى وجريدة "مخبر دكن" نشرت الخبر ايضا الا انني لم أرد أن أكتب إلى سيادتكم ولم أخبركم عن رغبتي في شئي وذلك لانني كنت على ثقة ويقين بأن سيادتكم تقومون بالمحاولة الجدية إذا ظهرت امكانيات من هذا النوع ولهذا السبب لم أرحاجة بالكتابة إليكم رغم أنني كنت أرغب منذمدة طويلة أن أعيش في كنفكم وأيضا قد تعودت أن لاأقوم بمحاولة شخصية للشئون التي تخصنى شخصيا وانما أفوض أمرى- الى الله واترك نفسي رهن الظروف دائما والنتيجة اننى لااخشى شيئا بفضل الله وكرمه حتى في هذه الظروف دائما وانتيجة اننى لااخشى شيئا بفضل الله وكرمه حتى في هذه اللحظة اشعر في

قرارة ضميرى اننى رهين لارادة الله عزوجل يذهب بي حيث يشاء الا انني اشعر في نفسي بان الله سبحانه وتعالى اذا اختارني لهذه الوظيفة في (حيدر اٰباد الدكن) فان هذا الاختيار يوافق رغبتي و امينتى موافقة تامة"-

وتكرر ذلك الخبر في جرائد بنجاب والاقليم الأعلى عن إختيار إقبال قاضيا لقضاء (حيدر اٰباد الدكن) العالى مما اقلق المؤكلين في بنجاب الذين كانوا قد فوضوا قضايا هم الى اقبال وكان هو يدافع عنها في القضاء العالى (٢٩) وأخيرا اطلع اقبال على "مخبر دكن" حيث جاء بأن (نظام) حيدر اٰباد الدكن) سوف يختار شخصا لقضاء (حيدر اٰباد) العالى وان اسماء الرجال بما فيهم اسم اقبال لاتزال قيد النقاش عنده مما جعل اقبال يكتب الى الامير (كيشن برشاد) في ١٥/ ابريل ١٩١٨م وفي هذه الرسالة ذكر اقبال مؤهلاته التعليمية ومؤلفاته و مواهبه العلمية على وجه التفصيل راجيا أن يساعده في ذلك (٣٠):

"أما الظروف إلتى أمرُها أنا فهي لاتخفى على سيادتكم ولست في حاجة الى المزيد من التفصيل والتوضيح وأؤلف حاليا كتابا مفصلا باللغة الانجليزية في الفقه الاسلامي وقد جمعت المعلومات والمصادر لكتابي هذا من مصر والشام والبلاد العربية وأرجو أن ينشر الكتاب في القريب العاجل ان شاء الله وانا على ثقة بان الكتب سوف يكون كتابا فريدا في مضوضوعه وانوى ان يجمع الكتاب من المسائل المفصلة كما جاءت في المبطوط للامام النسفي (كذا) الذى يقع في ستين مجلدا"-

ولكن الأقدار لم ترد أن يسافر إقبال إلى (حيدر اٰباد) وكذلك لم يوفق اقبال في تأليف الكتاب المفصل باللغة الانجليزية في الفقه الاسلامي وبقي هذا العمل في كشف الاعمال التي اراد اقبال ان يكملها ولم يوفق في ذلك وبعد اشهر عرض (السير اكبر حيدرى) عليه استذية القانون في (حيدر اٰباد) وسأله عن الراتب الذى يريده اذا كان مسموحا له أن يعمل محاميا في المحاكم بالاضافة إلى وظيفة الاستاذية إلا أن اقبالاً كان قد اطلع من مصادره الخاصة بانه لا حاجة اليه في (حيدر اٰباد) وانما يريد (السير اكبر حيدرى) ان يطلبه إلى (حيدر اٰباد) لينا قش معه مشروع الجامعة العثمانية ولان اقبال لم يكن يستطيع ان يتحمل التكاليف الضخمة للسفر اعتذر عن الذهاب الى (حيدر اٰباد) (٣١)-

وفي ١٩١٧م التقى اقبال (بشودرى محمد حسين ١٨٩٤-١٩٥٠م) وكان (الشودرى محمد حسين) طالبا بالكلية الاسلامية اٰنذاك وكان قد وافق على أن يكون استاذ الاولاد الامير (السير ذوالفقار على خان) وذلك على اشارة من

السيد (هيزى مارتون) عميد الكلية الاسلامية بلاهور وكان اقبال على صلة الصداقة العميقة مع الامير (السير ذوالفقار على خان) وبذلك اتيح (لشودرى محمد حسين) ان يقابل اقبالاً بين حين و اٰخر وكان اقبال قد عرف فيه انسانا مخلصا متحمسا للدين فاتصلت العلاقات بينهما واستمرت الى ان توفاه الله نفسي ١٩٢٦م الح اقبال على (الشودرى محمد حسين فقبل وظيفة في السكرتارية المدنية لحكومه بنجاب بلاهور-

وكان اقبال مولعا بالحمام وكان قد حصل على حمامة من المدينة المنورة بعد محاولات ومشقة كبيرة فكان يهتم بها كثيرا ولكن من سوء الحظقتلها لقط في ٢٠/ اكتوبر ١٩١٧م مما أثر في نفس اقبال كثيرا فألف منظومة عنوانها "في ذكرى حمامة المدينة المنورة" (٣٢) وفي خلال تلك الايام نشأت فكرة عند اقبال بانه يمكن ايجاد نسل جديد من الحمام وذلك بالجمع بين الحمامة المنزلية من نسل جيد وحمامة برية خضراء والتحقيق هذا الهدف الستمر اقبال يقوم بمحاولات تجريبية الى بضع سنين ولكنه لم يوفق في ذلک-

وفي نهاية ١٩١٧م انهى اقبال ديوانه "رموز اللاذاتية "ثم اخذ يفكر في تأليف القسم الثالث من نظومة المثنوية وعنوانها "مستقبل الامة الاسلامية" وعن ذلك يحدث في رسالته الى (الجرامي) قائلا (٣٢):

> "اما الاٰن فقد اخذ القسم الثالث يمر بذهني ويسيطر على فكرى واخذت المعاني تتدفق تدفق السيل المنهمر وانا واقف مندهشا كيف اصيد هذه المعاني وسوف يكون موضوع هذا القسم هو مستقبل الامة الاسلامية ونعنى بذلك تاريخ المسلمين في المستقبل في ضوء القران الكريم وان الجماعة الاسلامية او الامة المسلمة التي بدأت بالدعوه الابراهيمية ماذا ستواجه من الوقائع والحوادث في القرون القادمة وما هي الغاية القصوى من هذه الوقاجع والحوادث؟ اما انا فارى ان هذه الاشياء كلها توجد في القراٰن الكريم وان الدلائل الموجودة واضحة جلية لاتحتاج الى توضيح او تاول وذلك من فضل الله وكرمه على حيث اعطاني هذا العلم الخفي السرى الموجود في القران الكريم قد اشأغلت بقراءه القراٰن الكريم ودراسته والتفكر في سوره واٰياته الى شهور بل الى سنوات وبعد هذه المدة الطويلة والدراسة الشاملة قد وصلت الى هذه النتائج المذكورة اٰنفا الا ان هذا الموضوع دقيق وخطير في نفس الوقت وليس من السهل الكلام فيه او الحديث عنيه الا ان الرأى قد استقر عندى بانني سأؤلف هذا القسم الثالث ولا بأس اذا ظهر ونشر مماتي اومتى ارادله الله ان يظهر

وينشر"-

وكذلك فان اقبالاً قد كتب رسالة الى (اكبر اله اٰبادى) في ٢٨/ نوفمبر ١٩١٨م اخبره فيها عما اعتزم عليه وذلك بعد ان ظهرت الطبعة الا ولى من ديوان "رموز اللاذاتية" وفي هذه الرسالة كتب بضعة ابيات شعرية من هذا القسم الثالث (٣٤) الا ان ارادة اقبال هذه ايضا لم تتحقق ولم تتخذ شكلا عمليا ولكنه كان قد ضم بضعة ابيات شعرية مختصة بالقسم الثالث الى ديوانه "رسالة الشرق" الذى نشر بعد خمس سنوات من ديوان "رموز الاذاتية"-

وقد ظهرت الطبعة الاولى من "رموز اللاذاتية" في ابريل ١٩١٨م وكتب اقبال مقدمة للطبعة الاولى خص فيها استاذه الشيخ (سيد مير حسن) والشاعر (الجرامي) بعواطف الشكر حيث كانا قد ساعدا اقبال ونصحاه واصلحا العديد من كلمات الابيات الشعرية واساليبها وتحدث اقبال عن موضوع الاديوان فقال (٣٥):

"اما شعور الذاتية المسلسل لافراد شعب من الشعوب فيرجع ذلك الى قوة الذاكرة وكمالها واما دوام هذا الشعور ودعمه للامم او الشعوب فيرجع ذلك الى الاحتفاظ بالتاريخ الشعبي فالتاريخ الشعبي انما هو ذاكرة لحياة امة من الامم او شعب من الشعوب وهو الذى يربط بين الحياة والاعمال في المراحل المختلفة ويحافظ على الاستمرار الزمني لذاتية الامة ونظرا الى هذه النقطة من علم الاحياء والعمران فقد درست العناصر التكوينية للامة الاسلامية والمبادئ والاسس التي تقوم عليها حياة هذه الاجزاء والعناصر من الامة وانا على ثقة ويقين بان الادراك الصحيح لحياة الامة اسلامية لايمكن الا اذارأينا من وجهة النظر هذه"-

ويكي لنا (السير عبدالقادر) سب التأليف لهذا القسم من الديوان على لسان اقبال نفسه فيقول (٣٦):

"فقال حضرة الدكتور بانه يعترف بالمواهب العلمية والادبية التي يملكها (عبدالرحمن بجنورى) بل انني مدين له فقد كتب (بجنورى) مقالة نقدية عن "ديوان "اسرار الذاتية" تناول فيها الجوانب المختلفة من الذاتية للنقاش ثم اضاف قائلا "ان اقبالاً يلح على ذاتية الفرد الحاحا شديدا جعلنا نخشى انه لايؤمن بوجود الامة ومكانتها مع ان اكتمال الذاتية الفردية لايمكن الا اذا انضمت الى الامة وتلاشت فيها وبعد ان درست مقالة (بجنورى) هذه رأيت من اللازم ان أؤلف "رموز اللاذاتية" حتى ينتهى بذلك مايخافه بعض المفكرين من الخطر على الامة والمجتمع ولا استطيع ان اقول لولا مقالة (بجنورى) هذه لما الفت ديوان

"رموز اللاذاتية" ولكن الحقيقة التي ليس فيها شك هي انني بعد ان قرأت مقالة (بجنورى) هذه بدالى انه لابد منا التعريف برموز اللاذاتية"-

وكذلك فن اقبالاً كان قد كتب رسالة في ٢٧/ يونيو ١٩١٧م الى (نياز الدين خان) عن موضوع رموز الاذاتية فقال فيها (٣٧):

"اما انا فلا اعرف احد قد سبقني الى تقديم فكرة الامة الاسلامية بهذا الشكل بين يدى الجماعة الاسلامية وان بعض المسلمين من المدرسة الحديثة سيعرفون بان القومية او الوطنية التي تفتخر بها اوربا ليست الاقطعة عتيقة من الاسبال البالية ذات الخيوط الواهية الضعيفة وان المبادئ السلية للقومية هي التي جاء بها الاسلام وليس بامكان مرالايام وكر الاعصار أن يؤثر في قوة هذه المبادئ السليمة وحيويتها"-

وقد ارسل اقبال نسخة من ديوان "رموز اللاذاتية" الى (نظام) حيدر اٰباد الدكن) وذلك مع منظومة فارسية عنوانها "رسالة الى مليك دكن" وكان سبب تأليف هذه المنظومة ان (نظام) كان قد ذهب الى (عليكره) ليرحب الامير بابيات شعرية الا ان اقبالاً لم يستطع السفر الى (عليكره) حيث كان مريضا ولكنه استطاع ان يبعث بهذه المنظومة مع نسخة من رموز اللاذاتية بعد بضعة اسابيع- (٣٨)-

وفي ١٩١٨م بعد نهاية الحرب العالمية الاولى ببضعة اشهر ظهر وباء في بعض مناطق بنجاب يشبه النزلة الوافدة ولم يكن احد يعرف شيئا عن دواء المرض وعلاجه ولم تكن الادوية متوفرة والتي كانت موجودة لم تكن تستطيع ان تقاوم هذا المرض حتى ان الاطباء المداوين قد اصيبوا بهذا المرض الخبيث وكان عدد الموتى في مدينة لاهور وحدها مائتاين وضين تقريبا في اليوم الواحد ولم ينقص هذا العدد (٣٩) من الموتى فيما تلامن الايام حتى ان الناس لم يكونوا يجدون من يقوم بالدفن ونفس الحال كانت في مدينة (امرت سار)-

وفي خلال هذه المدة قام اقبال بتدريس الفلسفة لطلاب الماجستير بالكلية الاسلامية وذلك بعد وفاة الاستاذ (بيک) فجأة بعد ان اصيب بالجدرى ومن تم تقدمت جمعية حماية الاسلام برجاء إلى اقبال ليقوم بالتدريس الى أن يأتي استاذ جديد وكتب اقبال رسالة الى (اكبر اله اٰبادي) في ٢٨/ نوفمبر ١٩١٨م قال فيها (٤٠):

"ان طلاب الفلسفة هؤلاء يحضرون في بيتي كل مساء فلا بدلى ان انتهز الفرصة التى اجدها نهارا استعدادا للمحاضرة وما هي المحاضرات انما هي اسطورة ليأس

الانسان وفشله- تلك الاسطورة التي تعرف بتاريخ الفلسفة فقد كان مساء الامس حيث انشدت للطلاب هذا البيت الشعرى من شعرك ما معناه: "كنت اظن ان الذهن الانساني يملك طاقة لاحد لها ولم اكن على علم بان قدر العقل الذي منح للانسان محدود الوزن كما ان قدر النظر محدود المساحة- "على كل حال فان هذه المحاضرات قد اصبحت وسيلة اسغلها لاعلم مسئلة من المسائل الدينية لهؤلاء الطلاب"-

وفي ١١/ نوفمبر ١٩١٨م انتهت الحرب العاملية الاولى وبعد شهر تقريبا من ذلك قام السير (مائيكل ايدوائر) حاكم اقليم بنجاب باقامة حفلة الانتصار العظيمة في قاعة (بريدلا) بلاهور واشترك فيها اقبال مع الامير السير (ذوالفقار على خان) فطلب اليه الحاكم ان ينشد شيئا من شعره الفارسي فانشد بضعة ابيات فارسية في الحفلة (٤١)-

قد اعتزم اقبال هذا الطور من حياته على اعمال عديدة من التأليف فلم يستطع ان يحققها فلم يزل يعتزم على تأليف كتاب بالانجليزية في الفقه الاسلامي حتى الوفاة-

وتاليف ديوان الاسرار والرموز يرجع الى وقت متقدم جدا فقدكان اقبل دخل في الامتحان الابتدائي للقانون في ديسمبر ١٨٩٨م الا انه لم يوفق في ذلك كما انه لم يسمح له ان يدخل امتحان القانون في ١٩٠٠م بدون الحضور في الفصول الدراسية لمدرسة لاهور الحقوفية ويظهر من هذا ان سفر اقبال الى انكلترا للدراسات العليا كان من اجل الحصول على شهادة الحقوق من لندن، تلك الشهادة التي كانت تعتبر وسيلة التقدم في الحياة المادية المعاصرة في ذلك الوقت الا ان اتصاله بالاستاذ (آرنولد) كان قد رغبه في البحث والتحقيق فكان يتمنى الحصول على الدكتوراة في الفلسفة منذ ذلك الوقت واما موضوع البحث فان اقبالاً بحكم التربية الاولى وبحكم الميول التى ورثها من اجداده كان يميل الى الفلسفة الوجودية او التصوف المجمى على حد تعبير اقبال نفسه ومن ثم اختار موضوع البحث تطور فلسفة مابعد الطبيعيات في ايران "وفي هذه المرحلة من حياة كان اقبال قد سأل اسئلة اساسية عن التصوف وجهها الى (شاه سليمان فلواروى) بوساطة (الخواجا حسن نظامى) ومن بين هذه الاسءلة الاساسية: ماهي الآيات القرآنية التى تدل دلالة صريحة على التصوف؟ وماهي الآيات القرآنية التي يمكن منها استنباط وحدة لوجود؟ وما هي الصلة التاريخية بين التصوف والاسلام؟ وهل كان على ابن ابي طالب رضي الله عنه قد تلقي تعليما

خفيا من النبي صلي الله عليه وسلم وكان (شاه سليمان فلواروى) قد قام بالرد عليها واستفار منها اقبال في باب التصوف من الاطروحة وكان اقبال قد بدأ البحث بمجرد وصوله الى كيبردج وفي يونيو ١٩٠٧م اى خلال سنة ونصف او سنتين تقريبا اكمل اطروحته وبعث بها الى جامعة ميونيخ وقد ظهرت الطبعة الاولى من الاطروحة في ١٩٠٨م من لندن الا ان فكر اقبال وآراءه كانت قد بدأت تتغير وهذا هوالسبب الذى جعل اقبالاً يرى بان الاطروحة ينقصها اشياء كثيرة وانه لاداعي الى الطبعة الثانية منها وفي ١٩٣٦م ظهرت الترجمة الاردوية للاطروحة واقبال لايزال حيا وقام بذلك (مير حسن الدين) في (حيدر آباد الدكن) فسح له اقبال لترجمة الا طروحة ونشرها قائلا (٤٢):

"قد الغت الكتاب قبل ثماني عشرة سنة ومنذ ذلك الوقت قد اطلعت على اشياء جديدة كثيرة وقد حدثت ثورة كبيرة في آرائي وافكارى وقد صدر العديد من الكتب باللغة الالمانية عن الغزالى وطوسي وغيرها ولكنها لم تكن توجد حين اعددت هذا البحث وارى انه لم يبق من الكتاب غير قسم يسير قد لا يكون هدفا للنقد"-

وكانت الاطروحة ينقصها اشياء في رأى اقبال لان النتائج الفكرية التى وصل اليها اقبال كانت خاطئة فمثلا اخطأ اقبال فظن ان (جلال الدين الرومي) هو ايضا من انصار الفلسفة الوجودية كما انه كان قد كتب عن (منصور الحلاج) بانه كان وجود يا وانه نادى كهند وكي صادق عارف "انا الحق" (٤٣) وأما (جلال الدين الرومي) فقد درس اقبال ديوانه "المثنوى" دراسة عميقة فغيررأيه فيه كما ان (ميسينيان) نشر كتاب الطواسين مع هوامشه في فرنسا مما جعل اقبال يغير رأيه في منصور الحلاج وكذلك لم يكن اقبال يعرف لغة "زند" فلم يستطع ان يفهم افكار "زرتشت" فهما صحيحا ثم درس بعض المؤلفات المجوسية القديمة باللغة الفهلوية بمساعدة الشيخ (سيد مير حسن) فبدا له ان القسم الاول من المقالة اى "فلسفة ايران قبل الاسلام" ليس على مايرام ولكن اقبالاً يذكر في مقالته هذه مصادر التصوف واستنباطه من القران الكريم وبعض الدعاوى الصوفية ففي ذلك يرى اقبال رأيه قائلا (٤٤):

"سوف اجمل القول اجمالا عن أفكار المؤلفين المتصوفين الذين يستنبطون التصوف ويبررونه على اساس القرآن الكريم وليس لديهم مايحقق تاريخيا بان الرسول صلي الله عليه وسلم فعلاكان قد اعطى علما سريا سيدنا على او لسيدنا ابي بكر الصديق رضي الله عنهما- على كل حال فان الصوفية يدعون

بان النبي عليه السلام كان قد علم تعليما سريا (تعليم الحكمة) بالاضافة الى تعليم القران الكريم وهم يستندون الى الآية لقرآنية رقم ١٤٦ من سورة البقرة واعتقد انه توجد اشارت في القران الكريم والاحاديث الصحيحة الخالصة التي كانت العرب قد جبلت عليها الا انهم وجدوا ظروفا موتية في البلاد الاخرى فظهرت هذه الافكار الصوفية كفكرة مستقلة ويقول القران الكريم معرفا بالمؤمن المسلم بائه يؤمن بالغيب (آية رقم ٢ من سورة البقرة) الا ان الاسئلة تنشأعن هذا الغيب ماهو وكيف هو؟ فيرد عليها القرآن قائلا بان هذا الغيب يوجد في ارواحكم (آية رقم- ٢-١٢ من سورة الذاريات) اواية رقم ١٥ من سورة ق) وكذلك فان القران يعلمنا بان الماهية الاصلية لهذا الغيب انما هو نوربحت (آية رقم ٣٥ من سورة النور) اما عن هل النور الاول شخصى؟ فان القران الكريم رغم انه يقدم فكرة الشخصية بعبارات مختلفة الا انه يلخص الجواب تلخيصا فيقول (ليس كمثله شئي) (آية رقم من سورة شورى) فهذه هي آيات استدل بها المفسرون المتصوفون وطوروا وجهة النظر عن الكون الاوهي وحدة الوجود"-

والظاهر مما مربنا ان اقبال كان قد اعرض عن التصوف الوجودى أووحدة الوجود وحدثت تغييرات في فكره حين اخذ يعد اطروحته للدكتوراة فهذا (عبدالمجيد سالک) يحدثنا عن ذلك قائلا (٤٥):

"واكتشف اقبال وهو يشتغل بالدراسة والبحث ليعد اطروحته للدكتوراة بان التصوف التقليدى المتداول لاصلة له بأى جانب من جوانب الاسلام وانما هويعارضه ويختلف عنه اختلافا وبعد بضع سنوات من ذلك الطور من حياة اقبال التقيت به في لاهور فصرح بكل وضوح وقوة في بعض الاقاءات بأنه كان قد درس "فصوص الحكم" للشيخ الاكبر محي الدين ابن العربي و "حكمة الاشراق" للشيخ شهاب الدين السهرودى، دراسة شاملة عميقة اما مكانة هذين الشيخين في مجال العلم والمعرفة فلا كلام في ذلك الا ان معظم المحتويات لكتابيها هذين لاصلة لها بالاسلام واقل شئي يقال في ذلك انني لاأستطيع أن أطبق بين عقائد هما وبين لتعاليم الاسلامية"-

ويرى هذا المؤلف بأن اقبالاً قد مربمرحلة التغيير الثورى الفكرى وهو في كيمبردج وذلك بعد قليل من ارسال الاطروحة الدكتورية الى ميونيخ في النصف من ١٩٠٧م وهذا التغيير الثورى الفكرى الذى حدث في نفس اقبال جعله يرفض الملكية والاستعمار والوطنية والقومية رفضا تاما كما انه اعرض عن التصوف الوجودى في ضوء ما اكتشفه في بحثه واما السبب الذى جعله يعرض عن

التصوف الوجودى في ضوء مااكتشفه في بحثه فهو ان اقبالاً كان قديئس من المدنية الاوربية ولم يعجبه الكثير من جونبها ولكنه كان قد وجد بعض الجوانب الايجابية فيها ايضا والتي كانت قد اثرت في نفس اقبال تأثيرا عميقا فقد تأثر اقبال بالتقويم الجديد للفلسفة الاوربية والنهضة العلمية الحديثة والتكنولوجيا والعمل الجاد المستمر في مجالات البحث والتحقيق والتجربة والابتكار والتطلع فكان اقبال يرى ان الغرب الناهض يقظان ويمضي في ميدان العمل اما الشرق الغافل فنائم في المجال نفسه ففي هذه المرحلة من حياة اقبال نشأ سوال في ذهنه: ماهي اسباب زوال المسلمين وانحطاطهم وتخلفهم؟ وبعد تفكير عميق اتضح له بان ذلك يرجع الى تأثير التصوف الوجودى الذى شل القوة العملية وقضي عليها في نفوس المسلمين ويؤيد ذلك ماجاء في تصريح (اكرام الحق سليم) الذى يقول ان اقبالاً اراد وهو في كيمبردج ان يعد مقالة عن السياسة الاسلامية لمجلة انجليزية وفجأة نشأ سوال في نفسه، ماهو المحرله النفسي وراء زوال المسلمين وانحطاطهم؟ ومن اجل الحصول على الرد والا جابة على هذا السوأل راجع اقبال عددا كبيرا من المراجع الا انه لم يستطع ان يصل الى نتيجة مقنعة مرضية (٤٦)- فمنذ تلك اللحظة بدأيتعمق في الاسباب التي كانت وراء زوال المسلمين وانحطاطهم ومنذ تلك اللحظة اخد اقبال يرتب نظاما فكريا فعالا يقوم بدوره في النهضة الاسلامية الحقيقية ويصرح اقبال نفسه قائلا بانه عاد من انكلترا في ١٩٠٨م وفي نفسه ثورة مستمرة من التغيير الفكرى فاراد ان يبحث عن روح معنوية لانتاجه الادبي واخيرا في ١٩١٠م قرر في نفسه ان يعلن برأيه ونظرا الى هذا الفكر الثور اخذ اقبال يؤلف منظومته المثنوية "اسرار الذاتية" ويتضح مماكتبه اقبال بانه كان يريد ان يؤلف منظومة مثنوية على منوال مثنوية (بوعلي قلندر) وكان والده قد امره بذلک- واما (بوعلي قلندر) هذا فقد نسب له ثلاث مثنويات اولاها: "مخزن معنوى" والثانية "كلام قلندرى" اما المثنوية الثالثة فلم يعرف لها اسم وانما تذكر بمثنوية (بوعلي قلندر) ويعتقد (غلام رسول مهر) بانه يمكن ان يكون اقبال ووالده يقصدان هذه المثنوية الاخيرة وانهما كانا يقصدان بمنوال المثنوية هو البحر الشعرى وقد يمكن ان يكونا يقصد ان مثنوية موجزة في بداية الامر ولكنه استمر يفكر في الموضوع فظهرت له معان ومقاصد كثيرة مما جعله يطول المثنوية حتى انه اراد ان يؤلف ثلاثة اقسام من المثنوية ولكنه لم يكمل الا القسمين الاولين ولكنه اتبع الرومي في مثنويته هذه لانه هوالذى كان لايزال نصب عينيه دائما بالاضافة الى الاستيحاء

الفكرى والاسترشاد الروحي من الرومي في المراحل المختلفة من هذا الطور فعلى رأى (غلام رسول مهر) كان ترتيب النظام الفكرى للنهضة الاسلامية الحقيقية قد اتخذ اشكالا مختلفة اما في البداية فقد كان شيئا آخر اما فيما بعد فقد ظهرت له جوانب مختلفة من الموضوع حتى تمكن من اكمال الخطة للمثنويتين كانت احداهما عن حياة الفرد وسماها "اسرار الذاتية" واما الثانية فكان موضوعها" حياة الملة الاسلامية ومن ثم سماها" برموز اللاذاتية" (٤٧) ولكنه لم يستطع ان يؤلف المثنوية الثالثة التيي كان موضوعها "حياة الامة الاسلامية في المستقبل"-

وفي ١٩١٩م اخذ اقبال يؤلف كتابا عن تاريخ التصوف (٤٨) ولكنه لم يجد المعلومات المطلوبة فتوقف بعد باب او بابين من الكتاب وفي هذه السنة نفسها أراد اقبال أن ينقل "راماين" (الملحمة الهندوكية) (وكتب الى الامير (كيشن برشاد) واخبره بأن (مسيح جهانغيرى) كان قد نظم قصة (رامائن) بالفارسية ولكن اقبال لم يستطع ان يعثر على نسخة من المثنوية فاذا كانت نسخة منها في مكتبته فليتفضل باعارة الكتاب لبضعة ايام (٤٩) ولكن النسخة لم تكن توجد في مكتبة الامير (كيشن برشاد) ومن ثم لم يتحقق ما اراده اقبال تحقيقه وفي ١٩٢١م اراد اقبال ان يترجم "بجوت جيتا" (كتاب الاغاني المقدسة الهندوكية) فكتب الى الامير (كيشن برشاد) قائلا(٥٠):

"ان سيادتكم قد اعجبتكم ترجمتى "جاتيرى" (منظومة في (صوت الجرس) عنوانها "الشمس") وان ذلك موضع فخر و اعزاز بالنسبة الى ولكننى من الاسف الشديد لم استطع ان انقل "موسيقى" الكلمات السنسكريتية الى اللغة الاردوية- على كل حال فانني ارى بأنني قد وفقت في نقل ماقصده الشاعر من المقاهيم والمعاني واذا ساعد تني الظروف فانني اعتزم على ترجمة "جيتا" الى اللغة الاردوية ولعل سيادتكم قد اطلعتم على ترجمة الكتاب الفارسية للشيخ (فيضي) ومن الذى لايعترف ببراعة الشيخ (فيضي) الا انه لم يستطع ان يوفي اطلاقا في ترجمته هذه بمفاهيم "جيتا" واسلوبه الادبي وانما انا على يقين بأن الشيخ (فيضي) لم يدرك روح "جيتا" المعنوية ايضا"-

وكذلك فان اقبالاً كان قد أراد في ١٩٢٥م أن يؤلف كتابا عن "الاسلام كماأراه" بالانجليزية وعن ذلك يحدثنا في رسالته "الى صوفي غلام مصطفى تبسم" قائلا (٥١):

"كنت قد أعددت مقالا عن الاجتهاد قبل أيام مضت الا انه قد اتضح لي خلال البحث بان الموضوع ليس سهلا كما كنت أتصوره في البداية وانه يحتاج

الى بحث ونقاش طويل اما بهذا الشكل الحالي فان المقال ليس جديرا بالافادة وذلك لان ماكان في حاجة الى التفصيل قد جاء في شئي من الاقتضاب والايجاز للغاية ولهذا السبب لم ينشر المقال حتى اليوم وسوف اجعل من هذا المقال كتابا مستقلا بالانجليزية ان شاء الله وسوف يكون اسم الكتاب "الاسلام كما أراه" والغرض من هذا العنوان هو أن يعلم الناس بان الكتاب ليس الا رأيى الشخصي الذى يمكن أن يكون خاطئاً وهناك جانب اٰخر وهو انني قد انفقت معظم حياتي في دراسة الفلسفة الغربية حتى أن هذه الفكرة قد اصبحت عادة ثانية في نفسي واننى ادرس حقائق الاسلام بوجهة النظر هذه بوعى أوبدون وعي وقد اكتشفت خلال حديثى في الموضوع باللغه الاردوية بانني لا استطيع ان اعبر عن ذلك تعبيرا جيدا صحيحا"-

واما لماذا لم يستطع اقبال ان يحقق ما اراده من تأليف الكتب؟ فيوجع ذلك الى سببين اولها انه لم يتخلص من فكرة لقمة العيش والسبب الثاني انه كان يقضي معظم وقته في البحث عن الرزق واكتسابه ولم يكن يجد وقتا يقضيه في الدراسة والبحث والتحقيق وكشف الدخل السنوى يدل على ان اقبالاً لم يكن يغل من الدخل مايوجب عليه الضرائب حتى سنة ١٩١٦م واول كشف نجده في ملف الضرائب يتعلق بسنة ١٩١٧-١٩١٨م حيث قدم أقبال أول كشف من الدخل عن الضريبة السنوية وهذا الكشف ينص على الدخل السنوى الذى اكتبسبه اقبال خلال السنة المالية ١٩١٦-١٩١٧م فقد كان دخله السنوى خلال تلك السنة قد وصل الى ثلاثة الاف وستمائة؟ واربع عشرة روبية والضريبة السنوية التى دفعها اقبال على هذا الدخل قدرها ٩٤ روبية ولم يكن اقبال قد بدأ يكتسب شيئا من مؤلفاته الى تلك السنة واما وسائل الدخل التي غلت على اقبال فهى مهنة المحاماة ووضع الاسئلة الامتحانية لشتى الجامعات وما اكتسبه اقبال خلال السنوات الثمانية المقبلة المتتابعة كان كما يلى:

السنةالمالية	الدخل (في الروبيات)	الضريبة (في الروبيات)
١٨-١٩١٧	٤٢٢٥	١١٠
١٩-١٩١٨	٤١٨٣	١٠٧
٧٠-١٩١٩	١١٦٨٩	٥٤٨
٧١-١٩٢٠	٨٦٨٩	٥٠،٢٧١
٧٧-١٩٢١	١٠٠٨٣	٥٢٣

وخلال هذه السنة المالية حصل اقبال على ٣٢ روبية كأجر على "ديوان الاسرار والرموز"

٧٢-١٩٢٢	٧١٩٢	٢٢٤
٧٤-١٩٢٣	١٣٦٠٨	٦٣٧
٧٥-١٩٢٤	١٣٧٠٢	٦٤٢

ويتحدث (صفدر محمود) في مقاله عن كشف الدخل السنوى للعلامة اقبال (في ضوء سجلات مصلحة الضرائب) فيقول (٥٣):

"وبالاضافة الى الدخل السنوى فان هذه الكشوف لهذه السنوات المالية تسلط اضواء على اشياء غريبة اخرى فمنها ان اقبالاً ذكر في دخله السنوى لسنة ٢٣-١٩٢٢،١٣٥ روبية من الدخل الربوى ولانعرف من اين جاءله هذا المبلغ الربوى لانه لم يذكر شيئا يوضح ذلك وحاولنا البحث في الموضوع فاخبرنا بعض الاكابربان البنوك في ذلك الوقت كانت تدفع المبالغ الربوية كعادتها اليوم ما الربا الذى لم يكن يستلمه اصحاب الحسابات فكانت الحكومتة البريطانية تاخذه وتخصص المبلغ للارساليات المسيحية لتنفقه على الدعوة والدعاية وهذا ماجعل الكثيرين من الناس يستلمون الربا وينفقون على الفقراء والمساكين على كل حال فاننا لم نحصل على مايؤكد لنا في شي عن الربا الذى كان استلمه العلامة اقبال وكشوف الدخل هذه لاتنص على السيارة والبنزين والسائق الا في كشف السنة المالية لسنة ٢٥-١٩٢٤م المالية وفي هذه السنة نفسها اشترى العلامة اقبال السيارة"-

ويقدر (صفدر محمود) في مقاله هذا باننا لونظرنا الى قيمة الروبية اليوم اتضح لنا ان دخل اقبال خلال هذه السنوات كان اكثر من ثمانية اضعاف على الاقل حسب الظروف الحالية وعلى هذا الرأى فقد كان يكتسب اقبال دخلا سنويا لابأس به ولكن السوال الذى يطرح نفسه الاٰن هوكم مقدار الوقت الذي كان اقبال ينفقه في جهده وسعيه من اجل هذا الدخل من مهنة المحاماة ووضع الاسئلة الامتحانية لششتى الجامعات؟ وما هو الوقت الذى كن يتوفر لديه لينفقه على الابتكارات الادبية؟ وما هي مسئوليات اقبال التى كان يتحملها في الانفاق لقد كانه لابدله من الاحتفاظ بمركزه الاقتصادى من اجل مهنة المحاماة وكانت له زوجتان واولاد وكانت له زوجة ثالثة قد فارقها الا انه كان يرسل لها مبلغا معينا في كل شهر وكان شقيقه الاكبر الذى كان قد ثفق ما اكتسبه من مهنته على شقيقه

ليكمل دراساته العليا قد احيل الي المعاش فكان لابد لاقبال ان يتحمل نفقات اولاد شقيقه هذا كما انه كان يرسل مبلغا لا بأس به الى ابويه في كل شهر-

ففي مثل هذه الظروف كان من الصعب عليه ان يحقق ما اراد من التأليف والانتاج الادبي ولعله كان يتجه صوب (حيدر اٰباد الدكن) بين حين واٰخر ليتحرر من التفكير في المعيشة والاكتساب واليركز جهوده على الانتاج الادبي والعلمى فقد سافر الى (حيدر اٰباد) مرتين ففي المرة الاولى زار (حيدر اٰباد) في سنة ١٩١٠م كما انه قد زارها في ١٩٢٩م ولكن (سيد عبدالوحيد معيني) يرى ان اقبالاً كان قدسافر الى (حيدر اٰباد) في ١٩٢٠م او ١٩٢١م ايضا فان (احمد محي الدين رضوى) الوكيل الكبير لحكومة (نظام) والامير (فضل نواز جنک) صدر المهام للشئون المالية كانا قد الكدا له عن زيارة اقبال هذه تاكيدا وثيقا- على كل حال فهو يحدثنا بانه لم يحصل على المعلومات الواضحة لزيارة اقبال هذه وعند من نزل ضيفا ومن الذين كان اقبال قد قابلهم خلال زيارته هذه؟ ويقول بان الجدير بالذكر بهذه المناسبة ان بعض الاصدقاء يشك في سفر اقبال الى (حيدر اٰباد) في سنة ١٩٢٠م او ١٩٢١ (٥٤)! اما هذا المؤلف فانه لم يعثر على ماكتبه إقبال عن سفره هذا الى (حيدر اٰباد الدكن) وهذا هو العصر الذى كان فيه (السير سيد على امام) رئيس وزراء الامارة كما ان السير (اكبر حيدرى) و (الامير كيشن برشاد) كانا متواجدين في (حيدر اٰباد) ولا يهمنا ان نعرف أذهب اقبال الى (حيدر اٰباد) مرتين او ثلاث مرات في حياته؟!

وتوجد في حياة اقبال جوانب تشبه حياة الشاعر الالماني (غوته) فمنها ان (غوته) كان قد دخل امتحان القانون ونجح فيه مثل اقبال وأراد ان يعيش حياة عادية معاصرة فاشتغل بالمحاماة في مدينة (فرالكفورت) الا ان (غوته) كان يتبرم- لهنة المحاماة وكان يريد ان تكون لمهنته هذه مكانة ثانوية فظل يبحث عمن يشرف على انتاجه الادبي ويهتم به واخيراً عينه (ديوك كارل أغسط) مستشارا تعليميا في امارتة (ويمر) وهكذا قضى (غوته) بقية حياة في امارة (ويمر) مستغنيا عن اكتساب الرزق فكان لديد الوقت متوفرا للاشراف على شئون الامارة الى جانب الوقت الوافر للانتاج الأدبي ويبدوكأن اقبالاً كان متبرما من السعي والجهد في مهنة المحاماة ايضا فكان يريد ان يتحرر من فكر التكسب والاقتصاد في ظل (نظام حيدر اٰباد الدكن) ليحقق مايريده من الانتاج الادبي ولهذا السبب كان يرشح نفسه للخدمات في (حيدر اٰباد) كلما اتيحت له فرصة فيحدثنا عن ذلك اقبال في

رسالة كتبها في ٢٨/ ديسمبر ١٩٢٦م الى الامير (كيشن برشاد) قائلا (٥٥):

"فاذا استطعتم سيادتكم بحكم مركزكم المرموق وكلمتكم المسموعة ان تحاولوا حتى تتبنى وتتخذ "غرفة الامراء" قضية العلاقات بين الامراء الهنديين وبين الحكومة الانجليزية فاننا حينئذ نتوقع النتائج المثمرة المدهشة من هذه المحاولة- ان اللجنة الملكية ستزور الهند في المستقبل العاجل ويجب تكوين جماعة من الخبراء القانونيين العالميين للنظر في هذه القضية واعداد الناس من اجل القيام باداء الشهادة في هذه القضية والالمام بالحجج والبراهين المؤيدة والمعارضة لها واذا كانوا في حاجة الى "اقبال" في هذه القضية فانه على اتم استعداد ان يقوم بكل ما وسعه وأن سيادتكم ستجدونه لا يقصر في الخدمة بهذا الصدد ان شاء الله- على كل حال فان هذه قضية مهمة للغاية وتستحق كل عناية واهتمام وبكل سرعة واستعجال واما الحل المناسب لهذه القضية فهو كما اقترحت باعلاه واما الاسلوب الذى أختير بخصوص امارة (برار) فقد كان اسلوبا غير صحيح في رأيي المتواضع"-

وذهب اقبال في ١٩٣١م الى انكلترا للمشاركة في مؤتمر المائدة المستديرة فيما بعد فاهتم كذلك اهتماما خاصا بشئون (حيدر اٰباد الدكن) وحسب تصريح (بهادر يار جنک) كان اقبال يجد الوقت ليناقش قضية (حيدر اٰباد الدكن) ومكانتها الدستورية مع وزير الهند وقادة انكلترا السياسيين الاٰخرين خلال المؤتمر بصفته الخاصة واقنعهم بالبراهين والادلة بانه يجب استعادة مناطق (حيدر اٰباد الدكن) المغصوبة المسلوبة بالاضافة الى اعطاء الاستقلال الكامل لها لتكون مصدر الدعم والتقوية للسوق المشتركة البريطانية كدولة مستقلة الا ان السير (اكبر حيدرى) رئيس وفد (حيدر اٰباد) عارض هذه الفكرة لأن الاحزاب الهندوكية سوف تثير ضجة واضطرابا لهذه الخطوة وقد يمكن ان تطالب الامارات الاخرى بهذا الوضع الخاص ايضا ومن ثم رفض هذا الاقتراح (٥٦) ويؤيده ماجاء في تصريح (عظيم حسين) حيث يقول بأن والده السير (فضل حسين) كان قد طلب من نائب الامبرا طور خصيصا ليرشح اقبال للمشاركة في مؤتمر المائدة المستديرة ولكنه (اي اقبال) تشاجر مع السير (اكبر حيدرى) خلال المؤتمر (٥٧) حول قضية (حيدر اٰباد)-

على كل حال فان امنية اقبال للاقامة المستقلة في (حيدر اٰباد) لم تتحقق في حياته رغم هذه المحاولات كلها والواقع ان الكثيرين من الناس كانوا يأخذون رسائل التوصيات من اقبال للحصول على الوظائف والمناصب الحكومية العليا

والمنح المالية من (حيدر اٰباد الدكن) فمن ذلك ماكتبه اقبال الى الامير (كيشن برشاد) عن الشاعر (جوش مليح اٰبادي) فقال (٥٨):

"هذه رسالة اكتبها لاعرفكم بها بالاستاذ (شبير حسين جوش مليح اٰبادى) ان هذا الشاب يملك الكفاءة النادرة وهو شاعر المستقبل وقد اطلعت على ما ألغه بكل رغبة ومتعة وبالاضافة الى هذه المواهب الطبيعية فانه ينتمي الى اسرة كريمة من (لكنؤ) قد عرفت بالتأثير والرسوخ في الاوساط الاجتماعية الى جانب الشهرة الادبية والامل في سيادتكم بأنكم سوف تهتمون بقضية اهتماما خاصا واذا كان في حاجة الى الاستشارة او المساعده من حضرتكم فانكم لاتترددون في ذلك والسبب الذى جعلنى ارجو سيادتكم هي ثقتي بكم واهتمامكم بالأشراف والسادة من الناس"-

اما كيف والماذا حرمت (حيدر اٰباد) من خدمات اقبال؟ فيحدثنا (نظير حيدر اٰبادى) عن ذلك قائلا (٥٩):

"والقياس في الرد على هذا السوال هو ان الانجليز الدهاة الماكرين الذين كانوا يملكون من وسائل المعلومات الواسعة الخفية والذين لم يسمحوا للرجال الكفاة من أمثال (وقار الملک) و (محسن الملک) و (ظفر علي خان) و (عبدالحليم شرر) وفي اٰخرهم (علي امام) ان يدعموا مركهم في (حيدر اٰباد) لم يكن من الممكن ان يسمحوا لاقبال بدعم مركزه في (حيدر اٰباد) حتى يصبح خطراعليهم"-

ولاشك ان امارة (حيدر اٰباد) كانت تختلف عن الامارات الهندية الاخرى فقد كانت دولة واسعة الاطراف وكذلك كان حاكمها (نظام) يختلف كثيرا عن امراء الامارات الهندية الاخرى حيث كانت له سلطة واستقلال الا ان (نظاماً) كان يتبع المندوب السامى الانجليزى في بعض الشون المهمة ولم يكن يقضي بها الا باستشارته واما ما قاس عليه (نظير حيدر اٰبادى) موقف اقبال فيؤيده ماجاء في بعض المراجع ففي ١٩٢٩م حين حضر اقبال في بلاط الامير (عثمان على خان اٰصف سابع) لاول مرة في (حيدر اٰبناد) وبهذه المناسبة اصدر (نظام) مرسوما ملكيا واتخد فيه اسلوبا يدل على الحذر والاحتياط للغاية (٦٠):

"لانذكر الا هذا القدر من زيارته هذه بانه كان قد جاء هنا قبل ربع قرن تقريبا الا اننا لانعرف اجاء زائرا او على دعوة من احد او من اجل مهمة خاصة وبانه كان قد زارنا حيث سجل اسمه في سجل الزوار حسب التقاليد والبروتوكولات وسمحنا له بالحضور عندنا واما النتيجة التى وصلنا اليها من خلال حديثه معنا فهو انه من كبار اهل الاسلام في رأينا وكما اتضح لنا من خلال حديثه انه

يملك عواطف الخدمة للامة كما اتضح لنا انه يجيد اللغة الانجليزية وكان قد سافر الى اوربا - على كل حال فانه يعتبر احد المشاهير خارج بلادنا ولانعرف الكثير من أحواله"-

هذا وقد كرس اقبال معظم اوقاته للشئون التي بامكانها ان توفر حياة العز والكرامة لجميع اعضاء أسرته ولم يزل يتمنى الفرص التي تتيح له التأليف والتحقيق- أما الشعرفإنه كان ينظمه خلال السهرات اوخلال الاجازات فكان يشعر في بعض الاحيان كأن سيلا من المعاني والافكار قد اخذ يتدفق ويتحول الى الفاظ وكلمات وهكذا ينشأ الجو الشعرى فيبدوله كأن الابيات الشعرية قد تدفقت كما يتدفق سيل من السمك ويندفع الى شبكات الصائدين- اما الصائد فهولا يعرف هل يقبض على بعضها ويخلي سبيل بعضها ام لا وكان اقبال يمر بحال من القلق ولاضطراب الشديد قبل ان يحيط به هذا الجوالشعرى المتدفق فكان لون وجهه يتغير وهو يتقلب على السرير يضطجع ويقوم ويقعد واحيانا يضع الرأس بين ركبتيه وعندما ينتهى من كتابة الابيات الشعرية على ورق أخذ يعود شيئا فشيئا الى السكينة والطمأنينة العادية حتى يستريح وينام.

الفصل الثاني عشر

المعركة الادبية

ان الحرب القلمية او المعركة الادبية التي قامت بين اقبال وانصاره وبين انصار التصوف الوجودى واصحاب الطرق الصوفية التقليدية وانصار الشعر الذى يمثل عهد الزوال والانحطاط لمسلمى الهند واتباع الفلسفة الاشراقية اليونانية الواهية بعد ان ظهرت الطبعة الاولى من ديوان "اسرار الذاتية" واستمرت ثلاث سنوات او ثلاثاً ونصف من نهاية ١٩١٥م الى ١٩١٨م كانت معركة كبيرة اما المعلومات المفصلة عن معركة القلم والادب هذه فانهالا توجد في اى كتاب عن حياة اقبال أو الكتب التي الفت عن اقبال وصلته بالتصوف والواقع انه خلال هذه السنوات كانت قد ظهرت عشرات من البحوث والمقالات في الجرائد والمجلات بين مؤيد لديوان "اسرار الذاتية" او معارض له وبين من دافع عن التصوف الوجودى أو عارضه بالاضافة الى مانشر تائيدا للشاعر (حافظ الشيرازى) او في معارضة مايقدمه (الشيرازى) من وجهة نظره عن الحياة- اما اصحاب الطرق الصوفية فان الذى قاد هذه المعركة ضد اقبال فهو (الخواجا حسن نظامي) واتباعه وقد تدخل اقبال نفسه في هذا النقاش الصحفي فنشر العديد من المقالات ومن انصار اقبال الذين شاركوا في هذه المعركة الادبية الشيخ (سراج الدين بال) المحامي والشيخ (عبدالله عمادى) والشيخ (ظفر على خان) والشيخ (الف دين) المحامي والشيخ (محمد على) و (عبدالرحمن بجنورى) وغيرهم وقد كانت جماعة من العلماء قد اقتحمت هذه المعركة الادبية ولم يرد احمد من اعضائها ان يعرفه الناس فكتبوا باسماء والقاب مجهولة مثل "كشاف" و "نقاد" و "مسلم" و "فيلسوف مسلم" و "مسلم طبيعي" وهذا الجانب من جوانب سيرة اقبال وفكره في حاجة الى المزيد من البحث والتعمق وان هذه المقالات لوجمعت وتكونت منها مجموعة لكان كتابا ضخما جدا- اما المؤلف فان بين يديه مقال قد اعده (عبدالله قريشي) وعنوانه "الحلقات المفقوده من حياة اقبال" اي معكركة" اسرار الذاتية "الادبية والذى نشر في مجلة (اقبال) التي تصدرها مجلس اقبال وكان قد نشر المقال في حلقتين (١) وعلى اساس هذا المقال نفسه كان الشيخ (غلام رسول مهر) قد اعد المقدمة لكتابه المسمى "بمطالب اسرار و رموز" وبالاضافة الى ذلك فان المؤلف قد استفاد من تأليف (عبدالله قريشي) الاخر وهو "اقبال في رأى معصريه" وخاصة

من ابواب الكتاب التي خصها المؤلف عن (الخواجا حسن نظامي) و (اكبر اله اٰبادى) كما استفاد من رسائل اقبال العديدة وقد احتفظ كتاب "مقالات اقبال" لصاحبه (عبدالواحد معيني) ثلاثة من المقالات التى اعدها اقبال عن هذا الموضوع ومقال رابع لاقبال في الموضوع نفسه تضمه مجموعة "انوار اقبال" التي جمعها "بشير احمد دار" في هذا الموضوع التي كانت قد نشرت في شتى الجرائد والمجلات والذلك فان هذا الفصل من كتابنا يقوم على مابذله (عبدالله قريشي) من الجهود او في ضوء النقاش الذى جرى بينه وبين المؤلف في هذا الموضوع ويرى الاستاذ (عبدالله قريششي) بأن مفهوم "خودى" (او الذاتية) الذى يختلف عن المعنى المتداول العام للكلمة قد عاش في ذهن اقبال منذ ١٨٩٨م وهو يستند الى ما قاله اقبال من الشعر في هذا الطور من حياته فمن ذلك بيت قد جاء في قصيدة غزلية لاقبال (٢) ومعنى البيت "ان الوفي الذي يعتبر الذاتية (خودى) ايمانا سيد خل الجنة وسيحتل مكانة بارزة بين الملائكة" ولاشك انه في هذا الطور الابتدائي كانت "ملامح اقبال" ذلك قد اخذت تظهر "اقبال" الذى كان قد قدر له ان يتلألأ يوما تلألأ الشمس في كبد السماء ولكن يجب ان نعتبر شعر اقبال في هذا الطور من حياة صبحا كاذبا لشعره بالنسبة الى شعره الذى يكون ضوؤه مقدمة لطلوع الشمس على حد تعبير (عبدالحكيم الخليفة) والواقع ان اقبال كان قد اعلن اعراضه عن التصوف الوجودى لأول مرة في ١٩١٤م في الاجتماع السنوى لجمعية "حياية السلام" في كلمة القاها عن "التصوف الاعجمى والاسلام" حيث قال في كلمة هذه(٣):

"ان هذا التصوف التقليدى لاصلة له بالعقائد البسيطة الاسلامية والروح الدينية العربية وان الامر الأساسي المؤلم في هذا المجال هو ان هذا التصوف التقليدى يأتي على "الذاتية" أو (خودى) بينما هذه الذاتية هي التي تضمن الحياة للافراد والشعوب كما انها تضمن للانسان الفرد ان ترقي به الى اعلى المدارج المادية والروحية وكلما ذكر القضاء على الذاتية في الاداب الصوفية فان عامة الناس يعبرون عن الذاتية بالكبر والغرور وذلك يعتبر من رذائل الاخلاق التي يجب ان يجتبها كل مسلم الا ان المتصوفين لم يستخد مواكلمة "خودى" او الذاتية في ومعنى الغرور وانما استخدموها في معنى الانانية والاحساس بالذات او بالاثرة وهم يقصدون بذلك أن يقضي الانسان على نفسه وينفى ذاته وحينئذ يستطيع ان ينال منزلة الادراك والعرفان الا ان هذه الفكرة تعارض الاسلام فالاسلام يريد ان تبقى وتدوم ذاتية كل فرد بشرى ولا تزال تقدم وتتطور حتى تحتل المنزلة

المرموقة التي كانت قد قدرت لها والتي ليس وراءها منزلة رفيعة هذه الذاتية يمكن ان يتصورها الانسان"-

وخلال كلمته هذه أعلن اقبال بأنه الف منظومة مثنوية وسماها "اسرار خودى" (او اسرار الذاتية) وان هذه المنظومة المثنوية سوف تأتي على سحر التصوف الاعجمي الذى سلب من المسلمين نشا طهم العملى وقوتهم الحيوية وجعل منهم وجودا هامدا جامدا ثم انشد اقبال قطعات شعرية مختارة من منظومته "اسرار خودى" او "اسرار الذاتية" واما المعركة الادبية او حرب الاقلام التي كانت قد بدأت في النصف من سنة ١٩١٥م فان اسبابها الحقيقية ترجع الى الطبعة الاولى لمنظومة "اسرار الذاتية" وخاصة المقدمة للمنظومة وابياتها الشعرية عن (حافظ الشيرازى) بالاضافة الى عنونة المنظومة وانتسابها الى (السير سيد على امام) معالم يعجب الكثيرين من الناس الا ان هذا الاعتراض الاخير اى عنونة الكتاب ونسبته كانت في درجة ثانوية من الاهمية (٤) وتحدث اقبال في المقدمة عن "خودى" او "الذاتية" بانها هي شعور بالذات ومعرفة شخصية الانسانية وعبر عن ذلك فقال بان الذاتية او المعرفة والشعور بها انما هي وحدة وجدانية ونقطة مضيئة من الشعور ودافع خفي يبدع التجارب ويبتكر المشاهدات وفوق ذلك كله فانها قوة تجمع بين شتات الفطرة الانسانية وتوحد بين قواها المتفرقة وقال ان الشعوب الشرقية تظنها خدعة وخيالا وهي تعتقد بان التخلص من براثنها هي النجاة اما ملخص ماقاله الفلاسفة الهنادكة في الموضوع فهو ان ظروف الانانية الانسانية وظروفها الراهنة انما هي نتيجة محتومة لما قام به الانسان من الاعمال في الحياة التي انقضت فاذا كانت الذاتية تعرف باعمالها فان الطريق الوحيد للتخلص من براثنها هوترك الاعمال واجتنابها والا بتعاد عنها ان وجهة النظر هذه كانت خطيرة جدا من الناحية الفردية والاجتماعية وكان من الطبيعي ان تقتضي هذه الاوضاع ظهور شخصية توضح المفهوم الحقيقي لترك العمل أو الزهد فيه وكان (سرى كرشن) من كبار الفلسفة الهنادكة الذى ظهر في هذه المرحلة للديانة الهدوكية فقد نقد التقاليد الفسلفية الهندوكية وكشف عن السر واعلن أن ترك العمل والزهد فيه ليس هوالترك الكلي او الزهد الكامل في العمل وذلك لان العمل انما هوشئي تقتضيه الفطرة والمبداء الطبيعي وذلك يدعم الحياة وان الغرض من ترك العمل والزهد فيه الا نترك العمل ورغم ذلك لا نرتبط بالعمل ونتائجه وهذا الموقف الفلسفي الذي اتخذه (سرى كرشن) كان قد تبناه (سرى رام) من

الفلاسفة الهندوكين ولكن تلاهما (سرى شنكر) ورفض هذا التفسير والتوضيح للزهد في الدنيا او ترك العمل على اساس منطقي وهكذا استطاع ان يحرم الهنادكة من النتائج المثمرة للتجديد الفكرى الذى قام به (سرى كرشن)-

أما في الناحية الاخرى فان الحركة الاسلامية في طورها الابتدائي كانت قد ظهرت كرسالة عملية قوية ورغم ان هذه الحركة كانت ترى بان "الذاتية" كائن مخلوق وبامكانه ان يخلد باعمالها المجيدة الصالحة فائد اغرب الاشياء هوالتشابه الذى يوجد في التاريك الفكرى للهنادكة والمسلمين كليهما وهو ان التفسير للكتاب المقدس الهندوكي "جيتا" والذى قام به "سرى شنكر" يشبه التفسير القرني الذى قام به ابن العربي فانهما يتفقان في وجهة النظر والموقف التفسيرى والنتيجة ان وحدة الوجود كانت قد اصبحت جزءالا ينفك من الفكر الاسلامي وكان الكرماني والعراقي تاثرا بهذا الموقف الفلسفي واخذ شعراء القرن الرابع عشر الميلادى من اهل العجم يصطبغون بهذه الصبغة الفكرية شيئا فشيئا وهذا نص ماكتبه اقبال عن هذا الموضوع(٥):

"وجملة القول فان الفلاسفة الهندوكيين يخاطبون العقل في مشكلة وحدة الوجود- اما الشعراء الايرانيون فانهم اتخذوا طريقا واسلوبا خطيرا في تفسير هذه المشكلة اى انهم جعلوا القلب مركزا لذلك وكانت النتيجة لما ابتكروا من النقط الجميلة الرائعة ان هذه الفكرة الفلسفية اى وحدة الوجود عند ماوصلت الى اوساط عامة الناس حرمتهم من النشاط والعمل في العالم الاسلامي كله ورغم ان الفسلفة الغربية الجديدة تبدو متأثرة بالنظام الفلسفي من وحدة الوجود الذى بدأ بغيلسوف هولندا اليهودى الا ان الشعوب الاوربية كانت ميزتها البارزة الغالبة هو النشاط الحيوى للعمل وهذا السحر الفكرى من وحدة الوجود الذى كان قد دعمه الاسلوب الاستدلالي الرياضي لم يكن له من الممكن ان يدوم طويلا واول من ألح على معرفة حقيقة الذاتية الفردية هم المفكرون الالمان ثم اخذ فلاسفة الغرب وخاصة فلاسفة انكلترا يتحررون من هذا السحر الفكرى بحكم النشاط العملى واميل الى معارك الحياة"-

وقال اقبال وهو يوضح موقفه بان الانسان له حواس خاصة بالالوان والروائح وكذلك توجد في الانسان قوة حاسة اخرى يمكن تسميتها بحس الوقائع- ان الحياة البشرية تقوم على مشاهد الحقائق التي توجد في ماحوله ثم العمل بها بعد الادراك الكامل والفهم الصحيح لها ولكنه لا يوجد في العالم الشرقي من يستخدم القوة الحاسة هذه الا القليل من الناس وعليه فان المؤلفات الجديدة للفلاسفة الاوربيين

جديدة باهتمام قلوب الشرق وعقوله ويجب بعد الاستفادة من هذا الفكر الاوربي الجديد ان يعيد الشرقيون النظر في تقاليد هم الفسلفية القديمة وانهي اقبال بيانه هذا قائلا:

"فهذه خلفية وخطة عملية لتاريخ المشكلة التي هي موضوع منظومتي هذه وقد حاولت فيها تحليل هذه المشكلة الدقيقة بالدلائل والبراهين الفلسفية المغلقة وصبغتها بصبغة الفكر الشعرى لكى اسهل فهم حقيقتها والتعمق في اغوارها وان هذه المقدمة لاتهدف الى تفسير هذه المنظومة وانما الغرض منها هو تمهيد الطريق والد لالة على معالمه لم لم يعرف دقائق هذه الحقيقة الصعبة الفهم على الناس وانا على ثقة ويقين بان هذه الأسطر القليلة بامكانها ان تحقق القرض المطلوب الى حد ما واما الجانب الشعرى لهذه المنظومة فلاحاجة بنا الى الكلام بيه ان الفكر الشعرى انما هو وسيلة تلفت انظارنا الى هذه الحقيقة بان لذة الحياة ومتعتها ترتبط ارتباطا وثيقا بالصفة الفردية للذاتية ودعمها والثبات لها والتوسعة فيها وان هذه هي النقطة التي تمهد الطريق لادراك حقيقة الحياة بعد الموت"-

اما الابيات الشعرية التي قالها إقبال وهو يعارض (حافظ الشيرازى) في مثنويته "أسرار الذاتية" والتي اصبحت موضع الاعتراض عند الكثيرين من الناس (٦) فهي هذه:

١- يجب عليك ان تكون على حذر من حافظ الشيرازى مستهلك الخمور ذلك الذى كأسه غنية بسم الموت-

٢- اما بردة تقواه وخرقة تصوفه فهي رهينة عند صاحب الخمور وهو الذى يعتبر الخمور دواء وعلاجا للمخاوف الهائلة والطامة الكبرى-

٣- ان سوقه لايوجد فيها شئي غير الخمر وان عمامته قد تبست بالخمور-

٤- انه بكى مائة مرة بكاء مهينا ذليلا مثل صوت الجرس وانه لم يستطع ان يعيش حياة الامن والهدوء حتى في منزل حبيبه-

٥- انه فقيه لملة السكارى والشاربين كما انه امام لامة المساكين الذى لايملكون حولا طولا-

٦- نه غنم قد تعلم الغناء والموسيقى كما انه قد تعلم التدلل والتغنج والغمز واللحظ-

٧- ن تدلله، وجميع الصفات الخلابة التي يملكها لاشئي غير السم وان عينه لا تستطيع الا ان تغير على المدن وتخربها-

٨- نه غنم اشطر وأمر من غنم اليونان اى افلاطون الفيلسوف اليوناني وان اوتار عوده هي الحجاب الاكبر-

٩- جتنب كأسه لانها ليست بكأس الخمر وانما كأسه مليئة بالحشيش كما كان اتباع حسن بن صباح يملؤن كئوسهم بالحشيش-

١٠- ن مجلسه لايستحق ان يكون موضع الاهتمام عند الابرار الصالحين كما ان كأسه لا يستحق أن يكون موضع اهتمام عند الاباة الاحرار-

١١- جتنب مجلس (حافظ الشيرازى) ولا تهتم به ابدا- حذار ثم حذار من الغنم!

واما العاصفة الهائجة التي اثيرت حول منظومة "اسرار الذاتية" فيحدثنا (عبدالله قريشي) عنها قائلا:

"ان البعض من المتصوفين والمشائخ واصحاب الزوايا الذين لهم الشرف في تقليد العادات الباطلة والجهل باشريعة الغراء كانوا قد اثاروا معركة ضد اقبال ان حزنهم على الغيلسوف كان قليلا ولكن حزنهم على (الخواجا حافظ)كان حزنا شديدا وذلك لانه لم يكن يعتبر اماما في الشعر فقط وانما كانت شخصيته مقدسة محترمة عندهم حيث كانوا يغنون بقصائده الغزلية في مجالسهم وحلقاتهم ويرقصون عليها حتى ان احد معاصرى (حافظ الشيرازى) وهو (شاه جهانكير اشرف) كان يعتبره وليا كاملا وعلى أساس هذه الحمية الجياشة رد المعارضون على اقبال بنفس اللهجة والاسلوب ولكنهم لم يستطيعوا بسبب جهلهم وقلة فهمهم ان يدركوا الحقيقة بان تلك الابيات الشعرية لم يكن الغرض منها الهجوم على (الخواجا حافظ) وكرامته الشخصية وانما كان الهدف منها هو نقد اسلوبه الفكرى والأدبي"-

ومن الجوانب الجديرة بالاهتمام لهذه المعركة الادبية ان الشخصيات المحترمة مثل (الخواجا حسن نظامي) الذى شارك في هذه المعركة ترجم الابيات الشعرية الفارسية الى الاردوية ترجمة فالئة تعارض الحقيقة كما انه جاء بالتأويلات اطفلوطة عند نقده للمقدمة لا اساس لها اصلا كما ان كبار الشخصيات بما فيهم اكبر اله اٰبادى- لم يدرسوا المنظومة وانما تأثروا بالمعركة الادبية التى أثارها الاخرون وبالاضافة الى ذلك فان البعض من المعارضين اتخذوا موقفا غير علمي فها جموا شخصية اقبال واتهموه بالدهرية والالحاد واطلفوا عليه الشتائم مثل لذئب والحمار والكلب وعدو التصوف وعدو الاسلام وبائع الدين والملة وقاطع طريقه الايمانه والشيطان وغير ذلك من السباب والالقاب-

ويقول (غلام رسول مهر) معلقا على هذه المعركة الادبية (٧):

"ومن اغرب الاشياء ان هؤلاء المعارضين كانوا جميعهم على خطأولم يتخذ احد منهم موقفا مجاهداً- اما المغفور له (الخواجا حسن نظامي) فانه كان قلقا وكان يقلق الناس لالسبب غير سم (الخواجا حافظ الشيرازى) وقضية وحدة الوجود وقضية الذاتية واما الشيخ (اكبر اله اٰبادى) فانه لم يكن قد درس الديوان اطلاقا وانما كان قد تأثر بما اثاره الاخرون من الضجة وهكذا كانت حال بقية المعارضين وان معارضتهم جميعاً لم تكن الا كما جاء في المثل الفارسي الذى يقول "السوال عن السماء والرد عن الحبل" اى ان الذى ظنه هؤلاء الناس كان غير الذى قاله اقبال وقد شركل ذلك وصارنسيا منسيا حتى لواردنا البحث عن هذه الاشياء كلها لم نطلع على بعض منها"-

وعلقت جريدة "زميندر" اللاهورية على الطبعة الاولى من الديوأن في عددها الصادر في ١٦/ نوفمبر ١٩١٥م بأن الذى يدعو الاسلام اليه هو ان يعرف كل مسلم ما اعطاه الله من القوة الخفية واثرها الحيوى وان يستفيد منها في الحدود الشرعية التي نص عليها القراٰن الكريم وهذا ما كان المسلمون قد نسوه وكانت النتيجة هو الزوال والانحطاط الذى يعاني منه العالم الاسلامي اليوم وهذا هو الدرس الذى كان قد نسيه المسلمون وذكر اقبال المسلمين به وجدده تجديدا-

وعلى حد تصريح (عبدالله قريشي) كان (الخواجا حسن نظامي) أول من دخل في هذه المعركة الادبية فكان قد طلب الى احد اتباعه واسمه (ذوقي شاه) ان يعد مقالا يعارض فيه "اسرار خودى" او "اسرار الذاتية" ونشر المقال في مجلة "خطيب" في عددها الصادر في ٣٠/ نوفمبر ١٩١٥م وكان قد اصر (ذوقي شاه) في مقاله النقدى هذا على ان التصوف انما هو الاسلام بعينه بل هو روح الاسلام وان التصوف يعني الجانب العملى من الاسلام الذى يتصل باصلاح الباطن اوصحة النية وان معارضة التصوف تعني الجانب العملى من الاسلام الذى يتصل باصلاح الباطن او صحة النية وان معارضة التصوف تعنى معارضة الاسلام وقال ان الذى جعله اقبال نصب عينيه كما هو الظاهر من عناوين المنظومة "المثنوية" انما هو تسخير نظام الكون والدين ليس كذلك فهو يعلمنا بان هدفنا هو ذات الله جل وتمجيده واليه يقودنا التصوف وان كل شئي يتصل بغير الله سواء كان القصد منه تسخير الكون او الرغبة في السلطة السياسية او حب الدنيا او هوى النفس او حب الشهرة او امنية العز والمكانة وسواء كان صنم الذاتية او وثن الانانية يجب تمزيقها كلها كما تحطم القبة الزجاجية لان طلاب الحق لايقصدون الا الله واتهم (ذوقي شاه) اقبالاً قائلا بانه قد اتخذ الاسلوب الشعرى بدل

الاسلوب المنطقي لما اراد ان يعبرعنه لكى يبقى متسع دائما لتأويل الموقف حسب الظروف وقد اعرض عن التناقش مع اقبال في قضية وحدة الوجود لانه كان يرى بان هذه القضية مما وراء العقل وانه لايستحق كل شخص ان يتحدث في الموضوع وان اقبال قد أساء الى (الخواجا حافظ) واهانه في منظومته هذه وهولا يحتاج الى كلام او نقاش وذلك لان القضية مع اولياء الله انما هي القضية مع الله جل وعلا-

وقدرد بعض انصار اقبال (واسمه "كشاف" كما جاء في بداية المقال) على مقال (ذوقي شاه) هذا فنشر ماكتبه في ٢٢/ ديسمبر ١٩١٥م في جريدة "وكيل" فقال ان معارضة ديوان "اسرار الذاتية" تجرى على اشارة من (الخواجا حسن نظامي) لانه هو سكرتير المؤتمر الصوفي الهندى وان ما قاله اقبال عن (حافظ) صحيح وصواب وان عامة الناس لايفهمون شعر (حافظ) فيفسرونه تفسيرا حاطئا ولهذا السبب كان الامبرا طور المغولى (اورنكزيب عالمكير) قد منع عامة الناس من دراسة شعر (حافظ الشيرازى) واضاف الكاتب في مقاله هذا قائلا بان الشعراء يقومون بدور خاص في تقدم اية امة وازدهارها فمن ذلك ما قاله (بايرون) الشاعر الانكليزى من القصيدة الشعرية التي ضرمت نيران الانتقام والثورة في نفوس اليونانيين كما ان الشعراء الفرنسيين قاموا بدور بارز في الثورة الفرنسية واقبال هو شاعرنا القومي الوحيد الذى اثر شعره في تقدم المسلمين وانهضة الاسلامية تأثيرا بارزا واما الان فقد قدم اقبال للمسلمين مشروع العمل في ديوان "اسرار الذاتية"-

وفي هذه المرحلة اقتحم (الخواجا حسن نظامي) نفسه المعركة الادبية هذه فقد كان من اصدقاء اقبال القدامي وكانا قد تعارفا في عصر متقدم وكانا يلتقيان بين حين واخر منذ ١٩٠٣م وكان اقبال قد قال مرة بانه لو استطاع ان يكتب النثر الاردوى كما يكتبه (الخواجا حسن نظامي) لما أختار الشعر للتعبير ابدا (٨) وكذلك (الخواجا حسن نظامي) كان قد استمع الى اقبال وهوينشد شعره باسلوبه الخاص في جلسة من جلسات جمعية "حماية الاسلام" فتاثر با سلوبه وخلع عمامته من رأسه واعطاها لاقبال قائلا(٩)

تمهارے جامِ مے کی نذر میری یارسائی ہو
اننی اضحی بتقوای وزهدی فی سبیل کاسک من
الخمر

ولم يزل اقبال على صلات به حتى اخريات حياته وكان كلما ذهب الى دلهي زاره في بيته كما انهما كانا يتبادلان الرسائل بين حين وآخر وفي ١٩١٥م كان (الخواجا حسن نظامي) قد خلع على اقبال لقب "سرالوصال" اعترافا

بخدماته الجبارة وردا على هذه الرسالة شكر اقبال (الخواجا) ورجاء ان يقترح اسماً اولقباً مناسباً للديوان ويصرح (الخواجا حسن نظامي) بانه هوالذى اقترح اسم "اسرار الذاتية "للديوان وذلك من ضمن الاسماء الاخرى المقترحة واما اقبال فاعجبه هذا الاسم فاختاره للديوان (١٠) وكانت مجلة "توحيد" الاسبوعية تصدر من مدينة "ميرث" في الهند تحت اشراف (الخواجا حسن نظامي) فنشرت المجلة في عددها الصادر لاول اغسطس سنة ١٩١٣م بعض الابيات المختارة من ديوان "اسرار الذاتية" مع ملحوظ تعريفي من قبل (الخواجا حسن نظامي) وهذانصه:

"ان هذه المنظومة تفتح بابا جديدا للشعر الشعى العالمي (للدكتور شيخ محمد اقبال) وكان حضرة الدكتور قد رأى فيما يرى النائم كان سيدنا الرومي يأمره قائلا: الف المنظومة المثنوية يا اقبال فقاله له: اما المنظومة المثنوية فانت الذى قد اوفي حقها فقال الرومي لا انت ايضا تؤلف مثنوية فرجاه اقبال قائلا- اما انت فتقول "يجب ان تقضي على ذاتيتک" واما ان افان الذى افهمه هو ان الذاتية شئي يجب ان يدوم ويخلد فقال الرومي: لا ان الذى قصد ناه من المعنى هو الذى انت فهمته (١١) وحين انتبه اقبال كانت الابيات التالية تنطلق على لسانه فكتبها بالقلم وهذه هي الحلقة الاولى تنفرد وتتشرف مجلة "توحيد" بنشرها- وهذه الابيات تشتمل على مدح الرسول صلي الله عليه وسلم بالاضافة الى الابيات الشعرية المشفرقة عن "الذاتية"- واما ماكتبه اقبال عن الخدمة او الوظيفة الحكومية لجدير بالاهتمام من قبل جميع الناس الذين يرغبون في الخدمة او الوظائف الحكومية وهم مولعون بها ويعانون من التشا جرو التقاتل ليكونوا عبيدا وخدما للآخرين فهوءلاء هم الهنادكة يقولون نحن نريد ان نكون عبيدا واما المسلمون فيقولون هذه حلقة الاستعباد نستحقها نحن ففي مثل هذا العصر من التشاجر واتنازع سوف تبث منظومة الدكتور اقبال هذه حياة جديدة في نفوس الهنود وانا أود ان يحفظ قراء توحيد هذه المنظومة ويدعو اصدقائهم ايضا ان يحفظوها"-

ورغم هذا فان (الخواجا حسن نظامي) اقتحم المعركة الادبية التي اثيرت حول "اسرار الذاتية" فكتب مقالا عنوانه "كشاف خودى" اى "كشاف الذاتية" وهويرد على المقال الذى كان قد كتبه شخص من انصار اقبال واسمه "كشاف" وكان مقال (الخواجا حسن نظامي) هذا قد نشر في جريدة "وكيل"في عددها الصادر في ١٩/ ديسمبر ١٩١٥م وقال (الخواجا) وهو يعترف ببراعة اقبال الشعرية واسلوبه الاخاذ المؤثر وخدماته الجبارة التي قام بها في ايقاظ الجيل المسلم

المعاصر بانه قد قام بنشر ماقاله اقبال وتبليغه الى الناس بكل ماكان في وسعه من الطرق ثم قال وهويرد على "كشاف"-:

"لست ادرى ماذا تريد منظومة "اسرر الذاتية" فليست هي الثورة الفرنسية التي اشار اليها حضرة (كشاف) بغير علم او ارادة- ما هو الدور الذى قامت به الحركة الشعرية في فرنسا غير المجازر الحائلة وسفك دماء اهل الديانة وتدمير المعابد وقد كانت نتيجة الثورة الفرنسية القضاء على الديانة في فرنسا واستولى الكبر والاثرة على السلطة حتى اعرضت فرنسا عن ذات الله عزوجل فهل تريد منظومة "اسرار الذاتية" ان يكون نفس المصير للديانات المتعددة في الهند؟ واذا كانت هذه هي النية فتأكدوا أن ذلك لن يحدث في الهند ابدا- ان الذين نذروا نفوسهم من اجل الديانة لن يسمحوا بذلك ان يحدث- اننا ننظر الى مايجرى في امواج البحر المتلاطمة اننا لسنا بغافلين عن الذى سوف يواجهه اهل الديانة على ايدى الجيل المعاصر ان "اسرار الذاتية" قد وصلت الينا في حروف على الورق اليوم- اما نحن فكنا قد قرأنا هذه العبارات في جباه الشبان منذ امد بعيد"-

ثم قال وهو يتحدث عن اقبال:

"انني لااشك في نية اقبال ولكن ليس لانه صديقي ولا لانه رجل عظيم ولكن لما كان بيني وبين اقبال من المعرفة بافكاره وما يعتذر به وما يريده ولاشك انه الف هذه المنظومة معتقدا بانه يريد ان يفيد المسلمين وينفعهم ولكن هذه المنظومة قد تهيج الاخطار الحائلة التي بامكانها أن تزلزل العقائد الاساسية للمسلمين والواقع ان هذه المنظومة لاتعبر عن اقبال وانما تعبر عما يقتضيه العصر- والعصر يتمنى ان يتغرب الشرقيون ولكن هل بامكانه ان يقوم بذلك ولكن عليكم ان تبلغوه عنابان (طفل الصانع المقوم) لن يقتل احد وقد يموت نفسه"-

كيف اهان (حافظ الشيرازى) وما ابغض الكلمات التي صورته تصويرا بغيضا اذا كان اقبال صادقا فيما ادعاه بأن شعر (حافظ) قد جعل من المسلمين ضعفاء وحيناء فسأوجه السوال اليه عما قاله سيد ناورسولنا صلي الله عليه وسلم وهويذم الدنيا الجيفة هل جعل من المسلمين ضعفاء جبناء بقوله هذا فقد كان رسول الله صلي الله عليه وسلم وجميع أصحابه يقدمون الدين ويؤخرون الدنيا ورغم هذا فما اعجب الفتوحات التي حققوها اما اذا قدمت "اسرار الذاتية" الدنيا على الدين فما سيتحقق بذلک؟ من هم الفلاسفة الاوربيون الذين أرواحهم تعبر عن نفسها في "اسرار الذاتية" مهلا اتركونا نفهم "اسرار الذاتية" فاننا وان كنا

جهلاء مساكين ولكننا نستطيع ان ندافع عن الدين بكل مايمكن اننا لسنا نعادى اقبالاً ولكننا لن نسمح للصداقة ان تقف في سبيل العقائد الدينية- ان المسلم لا يمكن ان يكلف نفسه بتدخل علاقة دنيوية في افكاره الدينية وكذلك انا لا اخذ نفسي ولا اكلفه بتقديم علاقة دنيوية على العقائد الدينية-

وقد أعد (الخواجا حسن نظامي) اسءلة فبعث بها الى بعض رجال الدين فردوا عليها بدون دراسة المنظومة والاطلاع عليها ثم اخذ (الخواجا) يعلن بتلك الاجوبة او الفتاوى التي صدرت بدون دراسة الديوان والاطلاع عليه في مجلاته العديدة-

وأما الاسئلة التي اعدها (الخواجا) فهي: هل يعارض القران الكريم عقيدة وحدة الوجود؟ وهل التوحيد ووحدة الوجود ضد ان مفترقان؟ وهل جاء الاسلام لا لغرض الا ليقضي على الانانية؟ واما هي الغاية القصوى والغرض النهائي من التصوف؟ الم يكن حد بين اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم يجد ماوجده (الخواجا حافظ الشيرازى) من السكر الروحي؟ وهل وحدة الوجود درجة من الدرجات وما هي الدرجة التي بعدها؟ وهل كان يعتقد سيدنا ابن العربي رحمه الله بان بعد تلك الدرجة لاشئي الا العدم البحت؟ وهل ذلك يفيد في الشئون الدينية ام لا؟ وهل وحدة الوجود مشكلة علمية فقط اولها صلة ما بالدين ايضا؟

وفي اول يناير ١٩١٦م نشرت جريدة "وكيل" مقالا لبعض المسلمين يدافع عن "ديوان اسرر اذاتية" وملخص ما جاء في هذا المقال ان دنيانا هذه هي دنيا لجهد والعمل وان حياة الافراد والشعوب فيها لاتدوم الا بالذاتية او الثقة بالنفس وان اقبال يقول لنا يجب ان تعملوا شيئا- يجب ان تستقيموا في اعمالكم ولا تتوكلوا على غيركم من الناس وعليكم بانفسكم ويجب ان تصلحوا ظروفكم ان اقبالاً لايدعو الى الكبر والغرور وانما يدعو الى الاباء والحياء كما انه يدعو الى العزيمة والاستقامة والحلم والشجاعة التي كان يمتز بها المسلمون وكانت هذه الاوصاف كلها شعارهم انه لايعارض السادة المتصوفين ولا يعاديهم وان حب الرسول صلي الله عليه وسلم والايمان بما جاء به من ميزات اقبال وهذه الميزات ضمان بأن القلب الذى يملأه حب الرسول وطاعته يجب ان يكون مصدر صدق وتحمس ديني-

وفي اربع وعشرين يناير ١٩١٦م نشرت مجلة "سراج الاخبار" الاسبوعية الصادرة من (جهلم- مدينة كبيرة من مدن باكستان) مقالا وعنواه "عيوب حضرة

الدكتور" لكاتب مجهول ذكراسمه "بالغيلسوف المسلم" و (العالم الطبيعي) ودافع الكاتب في المقال عن (حافظ الشيرازى) وعارض قبالاً فقال صاحب المقال ان تصوف (حافظ) لايعارض القران الكريم في شئي وان افكار اقبال افكارواهية وهي تمثل كما جاء في المثل الهندى القائل "انها لاتعرف الرقص فتدعي ان الصحن غير معهد تميهدا" وصرح الكاتب في مقاله بأنه لم يطلع على ديوا "اسرار الذاتية" غير عدها الصادر في ٢٩/ يناير ١٩١٦م مقالا لبعض النقاد تناول الافكار التي تتضمنها منظومة "اسرار الذاتية" (وفي ٢٠/ يناير ١٩١٦م نشرت مقالة في (لائل جازيت) الصادرة من لاهور عارض كاتبها المنظومة كما ان جريدة "وكيل" و "لمحات" و "سراج الاخبار" نشرت العديد من لمقالات عن التصوف و اقبال ولم يرد احد من كتاب هذه المقالات ان يصرح باسمه-

وفي اثناء نشر مقال للشيخ (الف دين المحامي) في جريدة "وكيل" دافع كاتبه عن المنظومة كما انه علق على المقالات التي نشرها (ذوقي شاه) و (الخواجا حسن نظامي) فقال ان الذى قاله الكاتبان في مقاليهما لاصلة له بالمنظومة- ان (الخواجا حسن نظامي) قد اتخذ اسلوبا خياليا عاطفيا اخاذا ولكنه تجاهل الحقائق وتغافل عنها واضاف قائلا بأن اقبالاً يلغت انظارنا في منظومته الى التعاليم الاسلامية الحقيقية ويلح على اطاعة الله ورسوله والكف عن الشهوات والدعوة الى النيابة الالهية او الخلافة-

ثم علرصه (الخواجا حسن نظامي) المنظومة في مقاله الثاني وكان عنوانه "سرأسرار الذاتية" ونشر في مجلة "خطيب" الصادرة في ٣٠/ يناير ١٩١٦م وتحدث في مقاله هذا عن مبادئ الشعر المثنوى واعترض على منظومة اقبال بخمسة أشياء فقال على اساس هذه الاشياء الخمسة بان المثنوية ابتكار غير معقول كما انه تناول الابيات الشعرية التي جاءت عن (حافظ) بالاضافة الى حديثه عن المقدمة التي كان باللغة الاردوية ولكنه فسرها تفسيرا خاطئا مما كان سببا لسوء الفهم عند الكثيرين من الناس وكان غرضه من ذلك ان يخدع الناس حتى يسي الظن بالمنظومة واما الاشياء الخمسة التي جعل على اساسها المنظومة جهدا غير معقول فهي كما يلي:

اولا: ان ما قاله اقبال عن الاحتفاظ بالذاتية في منظومة المثنوية ليس شيئا جديدا مبتكرا وانما هوشئي اقل قيمة مما جاء في التعاليم القرآنية ومن ثم ليس (الخواجا حسن نظامي) في حاجة الى منظومته المثنوية ويكفيه القرآن الكريم-

ثانيا: ان اقبالاً قد نال من الصوفية ونقد قضية وحدة الوجود في المقدمة

وقال ان الصوفية وفكرة وحدة الوجود جعلت المسلمين يهملون الذاتية كما انه قال بان ما يدل عليه رسائل اقبال وحديثه الخاص الى اصدقائه هو انه يريد بمنظومته هذه القضاء على الحركة الصوفية وما دام اقبال لايستطيع ان ينجع في محاولته هذه ابدا اذن فمنظومته المثنوية لاخير فيها ومن ثم يجب معارضة هذه السخافة والتفاهة-

ثالثا: ان اقبالاً الح على المسلمين في مقدمته للمنظومة بان يغيروا من عقيدتهم ويتبعوا الفلسفة الاوربيين-

رابعا: رغم ان منظومته المثنوية تدعو الى الختفاظ بالذاتية الا انها في الوقت نفسه تدعو الى اتباع الاخلاق الغربية من الاثرة والاستئثار وهذا مما يعارض الاسلام معارضة شديدة-

خامسا: ان المنظومة المثنوية قد اهانت ذاتية (الخواجا حافظ) واراد (الخواجا حسن نظامي) ان يحقق وحدة الوجود ويبررها في ضوء القرآن الكريم الا ان (اكبر اله آبادى) و (شاه سليمان فلواروى) امتنعا عليه فكتب اليه (اكبر اله آبادى) قائلا:؟

"انني لن اجدك تأوى الى مكان مناسب آمن اذا اردت ان تحقق وحدة الوجود في ضوء القرآن الكريم واظن ان علماء الشريعة الاسلامية قد مرحوا بان وحدة الوجود ليس من الاسلام- اما انا فاقول يجب ان تحققوا الوحدة وتوضحوا الجود ثم قولوا بوحدة الوجود اى يجب عليك قبل كل شئي ان تحقق الوجود تحقيقا وتعرف بالواحد تعريفا"-

وكتب اليه (شاه سليمان فلواروى) فقال:

"ان وحدة الوجود قضية علمية بحتة والتي تسمى ربط الحادث بالقديم في الاصطلاح لصوفي وقد وردت في جميع كتب الالهيات ورغم ان لهاصلة بالسير والسلوك الاسلامي ومشاهدة الانوار والتجليات الا ان مغفرة الانسان ونجاته لاتقصر على هذه القضية ولاصلة لهابها"-

وفي اثناء ذلك كان (بيرزاده مظفر احمد فضلي) قد الف ونشر مثنوية "سر اللاذاتية" وذلك ردا على اسرار الذاتية لاقبال وتهتم هذه المنظومة المثنوية بمدح (افلاطون) و (حافظ) واستحسان المواقف التي اتخذاها بالاضافة الى النقد العنيف لاقبال وتجريح شخصيته الا ان هذه المنظومة لم تكن لها اية صلة بموضوع "اسرار الذاتية" وكذلك فان (ملك محمد المقاول) من اهل (جهلم) الف منظومة يرد على "اسرار الذاتية" ويثني فيها على (حافظ) كما انه قد ذم فيها اقبالاً ونقده وعابه

اشد ما يكون-

ونشرت مجلة "اسوه حسنة" التى تصدر من مدينة (ميرث) في الهند مقالا في عددها الصادر في فبراير ١٩١٦م وذلك بعد الاطلاع على "اسرار الذاتية" والمقالات التي نشرت في مجلة "خطيب" و "وكيل" بين معارض للمنظومة أو مدافع عنها وفي النهاية البدي كاتب المقال رأيه في "اسرار الذاتية" فيقول بان المنظومة يجب ان تكون موضوع طعن واعتراض من وجهة النظر الاسلامية- اما اسباب زوال لمسلمين وانحطاطهم فان ذلك يرجع الى سوء الفهم للدين و لاصلة له بنفي الذاتية والقضاء عليها فاذا كان اقبال يرى بان نفي الذات او القضاء عليها قد جعل المسلمين يميلون الى الزهد في الدنيا والرهبانية وضعف العمل ووهن العزيمة والتكاسل فمن الممكن اذن ان نقول بان الشعور بالذاتية في اوربا قد اثار الفتن العديدة ومن بينها الحرب العالمية التي خربت الديار وجاءت بالمشنا هد الرحية التي جعلت الانسان في شكل الوحوش فهل يريد اقبال ايضا ان يتحول المسلمون من الغنم الى الاسود لكى يتوموا بنفس الدور السياسي الذى قام به الانسان الاوربي ويعرضوا عن الروحية لكي يصبحوا ماديين- ان الصوفية ايدعون الى القضاء على الذاتية وهذا هو نفس الموقف الاصيل الذى اتخذه القران الكريم الا ان التاويلات الجامدة الخاطئة قد افسدت علينا الكثير من القضايا القرآنية وكذلك فان قضية الذاتية لم تسلم من ايدى الجاهلين والمستأثرين حتى اننا نرى عددا كبيرا من المسلمين اليوم قد اساؤوا في فهم المسائل الكثيرة وبذلك ساءت عاقبتهم-

وألف (حكيم فيروز الدين احمد طغرائى) كتيبا اسمه "لسان الغيب" دافع فيه عن (حافظ الشيرازى) وقال بانه اطلع على "اسرار الذاتية" فلم يحصل على شئي عير التأسف واليأس وذلك لان اقبالاً لم يكن من ارباب المشاهدة الصوفية كما انه لم يكن على مكانة من الاسلوب القوى للتعبير كما ان (طغرائي) هذا استخرج امثلة من شعر (حافظ) تدل على التحمس والنشاط والارادة القوية والقوة والحيوية والصبر والستقامة والحذر والاحتياط والدعوة الى الاخلاق والفكر الفلسفي وقال ان اقبالاً قد اهمل هذه الجوانب من شعر (حافظ) والسبب في ذلك ان رموز العارفين و اسرارهم لايدركها الا من تتلمذ مدة على ارباب الحال من المتصوفة وقد حرم اقبال ونشر الشيخ (محمود علي) مقالة في مجلة "خطيب" الصادرة في ٧/ فبراير ١٩١٦م دافع فيها عن "اسرار الذاتية" واثار الكاتب نكتة في مقالته هذه فقال: ماهي الفكرة التي اتى بها اقبال في منظومته والتي تعتبر خاطئة في رأى من

يعترف بوحدة الوجود؟ هل كان الذين يؤمنون بما قيل بان من عرف نفسه فقد عرف ربه ضعفاء في عزيمتهم الى هذا الحد حتى تبرموا ممن رغبهم في معرفة نفوسهم؟ ان الذى يرى ان عين الانسان تستطيع ان تشاهد انوار الذات الالهية الاحدية ويرغب الى الانسان في ابعاد الجعب عن العين حتى ترى الحق كيف يمكن ن نسميه اعمى؟ ولكن من الممكن ان نقول بان اقبالاً قد فتح الباب للنقاش الفارغ بما تناول قضية وحدة الوجود في مقدمته الموجزة والجو الخيالي من الشعر فاذا كان يريد ان يحرض المسلمين على العمل والنشاط فكن يجب عليه قبل كل شئي ن يتناول قضية الجد والنشاط و لايتناول قضية وحدة الوجود الا في مقال نثرى مفصل او في كتاب مستقل-

واما (الحافظ محمد اسلم جيرا جبورى) فقد شارك في النقاش مشاركة مهايدة فقال في مقاله ان اقبال لم يكن في حاجة الى ماقاله عن (حافظ) في منظومته ولكنه ليس هو اول من رأى هذا الرأى في (حافظ الشيرازى) فقد سبقه الكثيرون من الناس الى ذلك فيقال ان جماعة من المعاصرين (لحافظ) قد رفضوا ان يصلوا على جنازته وكان الملك (اورنك زيب عالمكير) قد فرض حظراً على دراسة ديوان (حافظ) كما ان الشيخ (حالى) قد ذكر في كشاب "حياة شيخ سعدى" بان الكثيرين من الناس يغنون بقصائد (حافظ) في مجالسهم ولكن اكثرهم لايفهمون مطالب القصائد واهدافها اطلاقا- ان شعر (حافظ) يجعل المستمعين اليه يقتنعون بفناء الدنيا ووهنها فيعتقدون التواكل والاستغناء كما ان هذا الشعر يجعل الاوباش من الناس لايحفلون بالعمل الجاد ويهملون الاخرة ويهتمون بالغرام ويرغبون في المعاصي والفضيحة والسمعة السيئة وكلا التأثيرين يضر بالامة الاسلامية في ظروفها الراهنة واما التصوف فان هذه كلمة لم ترد في القران الكريم ولا الحديث النبوى وانما دخلت اللغة العربية في القرن الثاني الهجرى ففي مثل هذه الظروف لايمكن الموافقة على قول القائلين بان التصوف هو الاسلام يعينه او ان الاسلام هو التصوف بعينه-

وكذلك فقد بعث (شيخ مشير حسين قدوائى) بمقالة من لندن دافع فيها عن (حافظ) ونشرت المقالة في جريدة (زميندار) الصادرة في ٢٣/ مارس ١٩١٦م بالاضافة الى مقالة اخرى كان قد اعدها عن الذاتية والرهبانية واستدل على جواز الرهبانية ومكانتها بان رسول الله صلي الله عليه وسلم كان يكرم الرهبان دائما فرد على هذه المقالة (الشيخ سراج الدين بال المحامي) فنشر مقالة في جريدة "وكيل"

الصادرة في ٥/ يوليو ١٩١٦م قال قال فيها، ان الاسلام لايسمح بالرهبانية وان ماجاء من اكرام رسول الله صلي الله عليه وسلم للرهبان فانه لايرجع الى مكانتهم العظيمة وانما السبب في ذلك هواننهم لم يكونوا يعارضون الاسلام ولايقفون في سبيله-

وقد شارك اقبال نفسه في هذا النقاش الصحفي ليدافع عن وجهة نظره فلم يزل يكتسب المقالات والرسائل يرد فيها على المعارضين له واول مقال نشرله في هذا الموضوع كان عنوانه "اسرار الذاتية و التصوف" ونشر المقال في جريدة "وكيل" الصادرة في ١٥/ يناير ١٩١٦م (١٢) وقال في مقاله هذا، بأن يؤلف كتابا مفصلا عن حركة التصوف حتى نتمكن من التمييز بين العناصر الاسلامية وغير الاسلامية في تصوفنا المتداول لكنه يكتفى في هذه المرحلة بالقول بان حركة التصوف هذه لاتخلو عن العناصر غير الاسلامية وانه يعارض الفئة الصوفية التي تأخذ البيعة من الناس باسم رسول الله صلي الله عليه وسلم ثم تدعو الناس الى أمور لاصلة لها بالاسلام سواء كان ذلك لسبب جهلهم او عن علم- اما متصوفون الذين يعملون بشريعة الله ويتبعون رسوله صلي الله عليه وسلم فان اقبالاً يحب ان يتواضع لهم ويرى بهم من السعادة في الدارين وكان مما قال اقبال عن نفسه في هذا المقال مانصه:

"ولا أتردد في الاعتراف بأنني لم أزل على بعض العقائد الصوفية الخاصة مدة من الزمان ولكننى درست القران الكريم وتدبرت في اٰياته فاتضح لي بان هذه العقائد لا صلة لها بالاسلام اطلاقا فمنها مايراه (الشيخ محي الدين ابن العربي) من قدم ارواح الكاملين وقضية وحدة الوجود ومسالة التنزلات الستة- او المنازل الستة والقضايا الصوفية الاخرى التي ذكرالبعض منها (الشيخ عبدالكريم الجيلي) في كتابه "الانسان الكامل" فانني تأكدت الاٰن بان هذه القضايا الثلاثة لا صلة لها بالدين الاسلامي اطلاقا الا انني لا استطيع ان اكفر القائلين بها وذلك لانهم قد استنبطوها من القران الكريم وهم على نية خالصة- اما قضية قدم الارواح فهى فكرة افلاطونية كما اعترف بها (ابن سينا) و (ابو النصر الفارابي) وقد كفرهما الامام (الغزالي) بسبب عقيدتهم هذه- اما ابن العربي فقد قام بشئي من التغيير في هذه الفكرة فقال بقدم ارواح الصلحاء والكملاء الا ان هذا التغيير ايضا يقوم على المبادئ نفسها كما هوالظاهر وقد كان هذا سببا في جعل المسلمين يقدسون القبور ويعبدونها- اما التنزلات الستة فقد طرحها (بلوطانيس) مؤسس الافلاطونية الجديدة وان قضية المنازل الستة او التنزلات الستة انتقلت من الفلسفة اليونانية الى المجتمع الاسلامي ثم شرحها الفلاسفة

والمتصوفون المسلمون حسب أهدا فهم الخاصة وبمصطلحات ابتكروها فقد تناول الشيخ (شهاب الدين السهروردى) المقتول هذه القضية في كتابه "حكمة الاشراق" فشرحها قائلابان ماجاء في الديانة الزرد شتية التي كانت قبل الاسلام يؤيده ماجاء في الاية القرانية المعروفة "الله نور السموات والارض" ويوجد حاليا في الهند التكثيرون من المتصوفين الذين يرون هذا الرأى ولعل السبب في ذلك هو جهلهم بتاريخ هذه القضية أو الفكرة فكأن قضية بان الله سبحانه وتعالى لايسرى في نظام الكون سراية وانما هو خالق هذا الكون الواسع وان ربوبيته هي التي تضمن البقاء لهذا النظام الكوني فإذا أراد القضاء عليه فان هذا النظام الكوني سوف ينتهي في طرفة العين- إنني لاأتحدث عن مذهب الفلاسفة والحكماء المسلمين ولكن الذى يؤسفني هو ان هذه القضية وقد اصبحت من العناصر اللازمة للآداب الاسلامية ومسئولية ذلك على عاتق الشعراء المتصوفين الذين نشأوا على هذا المبدا الفلسفي ولم يكونوا يملكون شيئا من الاخلاق الكريمة العالية وخير شاهد على ذلك هي آداب اللغة الفارسية"-

ثم يستشهد بقول شاعر من شعراء اللغة البنجابية واسمه (وحيد خان) ليوضح اسلوبه الكفرى فقد كان هذا الشاعر (وحيد خان) قد اتصل براهب هدوكي كان يعرف باسم (رجوناث جي) فصار من اتباعه فآمن بفلسفة ويدانة أووحدة الوجود وهذا التغيير العقدى اثر له في نفسه فجعل يقول ما معناه:

"انني كنت من اولاد الشبان الشجعان حتى كنت أواجه الجيوش فادفعها دفعا ولكنني منذ اصبحت من اتباع (رجوناث جي) لا استطيع ان أكسر حتى قتادة واهنة لانني امنت بوحدة الوجود وانه سبحانه وتعالى يسرى في الوجود كله فلا أريد أن أكسر القتادة الواهنة الحقيرة حتى لاأؤذيه!

واضاف اقبال قائلا:

"انني أختلف مع الناس كفيلسوف ومؤرخ في بعض القضايا التي حقا تتعلق بالفلسفة إلا أن الناس يعتبرونها من قضايا التصوف وانى لي ان اعارض أهداف التصوف وهل يمكن لمسلم ان يحتقر الذين يريدون حب رسول الله صلي الله عليه وسلم ويبتغون الوسيلة بشريعته الى ذات البارئ عزوجل وبذلك يدعمون الايمان في قولب المسلمين ولوكنت اعادى جميع المتصوفين لما استشهدت بقصصهم وحكايا تهم واقوالهم في منظومتي هذه"-

ثم يضيف معلقا على شخصية (حافظ) وشعره فيقول بان (حافظاً الشيرازى) لم يكن الا شاعرا واما للحقائق الصوفية التي تؤخذ من شعره فيرجع ذلك إلى من جاء بعده فاذا كان الناس قد ظنوه متصوفا ومجذوبا فكان من اللازم

ان ننقده نظرا الى هذين الاعتبارين واما بصفته متصوفا فان (حافظاً الشيرازى) كان يهدف إلى حالة حسن الجذب والوجد ان والسكرواحب ان يعيش هو وغيره من الناس ان يعيشوا في هذه الحالة الوضيعة من الجذب والسكر والاغفاء الا ان هذه الحالة من السكر الروحي والاغفاء تعارض ماجاء في التعاليم الاسلامية فان الذى بلغنا عن حياة الرسول صلي الله عليه وسلم واصحابه يدل دلالة قطعية على ان الوضع المستقل الذى يعيش فيه قلب الانسان المؤمن هو اليقظة والعمل وليس النوم او السكر وبالاضافة الى ذلك فان الذين يختارون الحالة الوضيعة من السكر المستمر او النوم الدائم فانهم لايستطيعون ان يدخلوا معارك الحياة العملية ولدينا امثلة و شواهد من التاريخ الاسلامي التي تدل على ا هذه الحالة الوجدية قد اضرت بالامة في حياتها العملية الجادة فيقول اقبال:

"اما (حافظ) كشاعر فأعتبره في قمة المجد الغني الا انه يجب ان يكون لدينا مستوى او مقياس نقدربه مكانة الشاعر واثره في حياة الفرد والمجتمع اما انا فان المستوى و المقياس الذى يمكن ان نقدربه مكانة الشاعر وفنه فهو ان ندرس شعره فاذا وجدناه يفيد افراد المجتمع في حياتهم العلمية ينفههم فهولا شك شاعر عظيم وأما اذا كان شعره لا ينفع في الحياة ويعارضها اويميل الى قيم الحياة الواهية او يحط من قدرها فان هذا الشعر وصاحبه شاعر يضر بالامة وخاصة من وجهة النظر القومية واما البيئة او الحالة الوضيعة التي تعين في الاحتفاظ بالذاتية ولكن يجب على من ينقد رأبي الناقد لشعر (حافظ) ان يتذكر دائما ولاينسى ابدا أن (حافظاً الشيرازى) كان مسلما وكان الاسلام يجرى في عروقه مجرى الدم ولكن وجهة نظره في فكرة وحدة الوجود الصوفية مهما كانت فمن المستحيل أن لايتغلب الصحو على سكره احيانا فيخرجه من مازق السكر الوجودى ويجعله يقول الابيات الشعرية النادرة التي تعين الفرد في الاحتفاظ بذاتيته وان (حكيم فيروز الذين طفرائى) قد اورد العديد من الابيات الشعرية من هذا القسم في رسالته "لسان الغيب" وهي تدل على ذلك ورغم انه اراد ان يعارضني ولكنه في الواقع يؤيد ما اهدف إليه أنا فلوكان قد تعمق في ذلك لاتضح له وعرف الحقيقة ولسنا في حاجه الى توضيح او دليل بان موقف (الخواجا حافظ) الاجمالي في الاخلاق انما هو حالة السكر والاغفاء وليست حالة الصحووا ليقظة واذا اردنا ان ننقد شاعرا فيجب ان نعرف موقفه الادبي واهد افه الشعرية"-

ثم ذكر اقبال حدثا عن (الملك اورنكزيب عالمكير) كما حكاه الشيخ (محمد دين فوق) في كتابه "وجداني نشتر" او "المقصد الوجداني" وذلك للمزيد من

توضيح مايريده اقبال فيروى ان (الامبرا طور اورنك زيب عالمكير) كان قد أصدر مرسوما يأمر المومسات والعاهرات اللواتي كن في مملكته ان يتزوجن خلال مدة معينة والا فانهن سوف يشحن في السفن تغرق بهن في اعماق البحار فتزوج المئات منهن ولكن عددا كبيرا منهن قد بقي على حاله فاعدت السفن لغرقهن ولم يبق من المدة المعينة الا يوم واحد وكان ذلك في عصر (الشيخ كليم الله جهان آبادى) وكانت فتاة جميلة من المومسات تأتي إليه كل يوم فتزوره وتسلم عليه وكلما و أراد الشيك أن ينصرف من أوراده وصلواته يرى المومس واقفة خاشعة بين يديه فيظر اليها فتسلم عليه وتنصرف- اما في هذه المرة فان الفتاة المومس تقدمت نحو الشيخ وسلمت عليه قائلة: هذا آخر يوم حضرت هذه الامة المسكينة لتسلم على حضرتكم" فسألها الشيخ عن قصدها فحكت له الحكاية كلها فقال الشيخ هذا بيت شعر (لحافظ الشيرازى)

در كوئے نيک نامى مارا گذر نه دادند

گرتونمى بسندى تغيير كن قضارا

ومعني البيت: "انهم لم يسمحوا لنا ان ندخل في زقاق التقوى والصلاح والسمعة الطيبة فاذا كان وضعنا هذالا يعجبك فغير القضاء القير فاذا كانت حالنا هذه لاتعجبك فاذا قبضوا عليكن وتقد موابكن نحو البحر فعليكن بانشاد هذا البيت بصوت مرتفع فحفظ المومسات بيت (حافظ) وعندما تحركن انشدن البيت بلهجة حزينة وبصوت جميل اخاذ فكل من سمعهن تمزق قلبه لهن حتى سمعهن الملك (اورنكزيب عالمكير نفسه) فاقلقه ذلك فامر بالافراج عنهن-

وشرح اقبال موقفه قائلا بأن الذى يراه الشيخ (محمد دين فوق) من محاسن (حافظ) وروائعه يراه اقبال عيبا قبيحا وذلك لان التاثير لسحرى لشعر (حافظ) عبرعن قضية القدر والقضاء تعبيرا جذابا وخاطئا في نفس الوقت وهذا التعبير الجذاب والخاطي قد جعل الملك المتدين الصالح يفقد عزيمته وهمته لتطبيق الشريعة الاسلامية في بلاده ذلك الملك الذى كان قد اعتزم على تحكيم الشريعة الاسلامية الغراء والقضاء على المومسات الزانيات وتطهير المجتمع الاسلامي وتنظيفه من تلك الوسمة القبيحة فان (الملك اورنكزيب عالمكير) لوتعامل مع (الامير دارا شكوه) معاملة التسامح مع الاعداء (بادشمنان مدارا) لم يكن من الممكن له ان يطبق الشريعة الاسلامية في الهند ابدا-

وبعد ان نشر هذا القال ببضعة ايام كتب اقبال رسالة الى (محمد نياز الدين

خان) في ١٩ يناير ١٩١٦م فقال (١٣):

"قد اطلعت على رسالة (الامام ولي الله الدهلوى) فهذا هو الذى اشرت اليه في مقالتي هذه بانها هي الافلاطونية الجديدة وهي صورة مشوهة من فلسفة افلاطون تلك التي اختارها رجل اسمه (بيرو بلوطنيس) كمذهب فلسفي له وكان هذا المذهب الفسفي متدا ولا معمولابه في الامبرا طورية الرومية خلال القرون الميلادية الاولى وكان من آخر انصار اتباعه امراة اسمها (هائي باتيا) تلك التي قتلها المسيحيون قتلا ذريعا في مصر- اما انتشار هذا المذهب بين المسلمين فكان ذلك بالتراجم التي قام بها الفلاسفة المسيحيون من (حران) ثم اخذ يصبح جزوا من الاسلام شيئا فشيئا واى ان هذه الفكرة لاصلة لها بالاسلام اطلاقا وهي تعارض الفكرة القرآنية وان البناء الصوفي قد قام على هذا السخف اليوناني"-

ونشر اقبال رسالة كان قد بحث بها الى (الخواجا حسن نظامي) قبل ان ينشر مقاله "سر أسرار الذاتية" وقال فيها:

"انني اعرف جيدا انك تحب الاسلام ورسوله صلي الله عليه وسلم اذن فكيف يمكن ان تعرف حقيقة اسلامية ثم ترفضها بل انني قدتأ كدت الأن بانك لابدوان توافقني أخيرا وان تعرفني جيدا- انني أميل إلى التصوى بحكم طبيعتي وبحكم ما ورثته من اجدادى وكان هذا الميل قد تدعم وقوى بعد الاطلاع على الفسلفة الوربية لان الفسفة الاوربية ككل تتجه نحو وحدة الوجود ولكنني تدبرت في القرآن الكريم وتعمقت في تاريخ الاسلام فاتضح لي بانني على الخطأ وقد تراجعت عن موفقي القديم من اجل لقرآن وحده وكان لابدلي ان اكافح كفاحا قلبيا ذهنيا هائلا لاتخلمى من ميولي الطبيعية وما ورثته من آبائي من الميول الصوفية"-

وكذلك فان اقبالاً قد صرح بان الاسلام انما هو ثورة على الرهبانية واحتجاج ضد ميولها كما انه يرى بان "الانفصال" اسلام ان "التصال" رهبانية او تصوف ايراني كما ان اقبالاً قد ذكر (الخواجا حسن نظامي) بانه هو الذى كان قد لقبه يوما "بسر الوصال" وان قبالاً كان قد كتب اليه حينذا وأخبره ان يسميه "بسر الفراق" لان اقبالاً كان في ذلك الوقت ايضا يميز بين الانفصال والاتصال كما يوجد عند (الشيخ احمد مجدد الالف الثاني) وقد شرح اقبال موقفه في لغة التصوف واصطلاحه فقال بان العبدية هي آخر المنازل الكمالية للارواح البشرية ولا توجد لها منزلة او مكانة بعد العبدية وانما يوجد عدم بحت على حد تعبير (ابن العربي) فعليه فان الحالة الوضعية من السكر والنوم تعارض الاسلام كما انها

تعارض قوانين الحياة وان حالة الصحو واليقظة هو الاسلام كما ان هذه الوضعية توافق قوانين الحياة تواققا تاما-

ويرى اقبال بان المتصوفة قد اخطأوا في فهمهم للتوحيد وحدة الوجود اما التوحيد فهو مفهوم ديني بينما وحدة الوجود مفهوم فلسفي وان الذى يقابل التوحيد ليس هو الكثرة كما يراه المتصوفة وانما الذى يقابل التوحيد هو الشرك واما الكثرة فهي التي تعارض وحدة الوجود وقد كنت نتيجة هذا الخطأ الصوفي ان الذين حققوا التوحيد بمصطلحات وحدة الوجود او الفسلفة الاوربية الجديدة سموا الموحديه بينما لمسألة التي حققها هؤلاء لاصلة لها بالدين وانما كان يتصل بحقيقة النظام الكوني وان الذات التي تستحق العبادة والخشوع في الاسلام ذات الله وحده ذلك الذى خلق الخلق اما هذه الكثرة التي نراها في النظام الكوني فهي كلها خلق الخالق وان كانت هذه الكثرة ذات حقيقة واحدة من وجهة النظر الفلسفية وبعبارة اخرى ان التعاليم القرآنية تهدف الى ن الوجود الخارجي ليس له نسبة الاتحاد بذات البارئ سبحانه وتعالى وانما ينتسب الوجود الخارجي الى ذاته عزوجل كمخلوق له- على كل حال فعند ما تقرر عنهم بان التوحيد و وحدة الوجود شئي واحد اقلق المتصوفة خيال وهو ايجاد طريقة لاتتصل بالقوانين المنطقية وبامكانها ان تحقق التوحيد في نفس الوقت ولهذا الغرض اعانتهم الحالة الوضعية من السكر والنوم ولم يكن اقبال يرفض السكر كحقيقة واقعية وانما كان يرى بان حالة السكر هذه تهدف الى غرض وهذا الغرض لايتحقق بها اطلاقا واكبر فائدة منها هي ان صاحب الحال بامكانه ان يحقق مشكلة علمية او فلسفية فقط ومن ثم يعتقد اقبال ان كل حالة قلبية او وجدانية مهما كانتافا نهما لاتفيد في شئي من الناحية الدينية-

وكان هذا البحث الصحفي قد اخذ يصطبغ بلون من المرارة مما جعل الشاعر (اكبر اله آبادى) يتوسط بين اقبال و (الخواجا حسن نظامي) ليصلح بينهما بمساعيه الحميدة وعن ذلك يحدثنا اقبال في رسالة بعث بها الى (اكبر) في ٢٧/ يناير ١٩١٦م (١٤):

"اما هذه الخلافات الادبية فانها لن تؤثر في علاقاتنا الشخصية وقد نشت انا رسالتين عن الموضوع وذلك بعد ان رأيت (الخواجا حسن نظامي) قد أعد عددا من المقالات كما انه طلب الى اصدقاءه ان يعدوا البعض منها و ينشروها وانا لا اشكو الى احد عن هذه المقالات- اما الكشوى كل الشكوى فهي انه كان ولايزال يكتب الى في الرسائل الخاصة بانه لايشك في نيتي واخلاصي

ولكن الذى نشره في الجرائد هو بالعكس وانا شخصيا كنت قد شكوت ذلك إلي (الخواجا حسن نظامي) نفسه وكتن قد كتبت اليه بكل اخلاص و الحاح ان لايظلمني ولا يبخسني حقي- يجب ان يبقي النقاش عليميا ولا يكون الغرض منه الاسائة والتشويه والاذلال"-

ثم بعث رسالة اخرى الى (اكبر اله اٰبادى) في ٤/ فبراير ١٩١٦م وقال فيها (١٥):

"وبما ان (الخواجا حسن نظامي) كان قد اشاع عني في الجرائد الوطنية بانني اسي الظن المتصوفين وانه لابدلي ان اشرح موقفي في ذلك شرحا وافيا فهويرى بأنني أعتزم على أن أقضي على التصوف وأمسحه من الدنيا والعلك رأيت مقالته التي نشرها في مجلة "خطيب" وعنوانها "سر أسرار الذاتية" وارجوك ان تتعمق في الوجوه الخمسة من الخلافات التي جعلته يعارض بها منظومتي المثنوية"-

ثم اعد اقبال مقالا ثانيا وعنوانه "سرأسرار الذاتية" رد فيه على ما اعترض عليه (الخواجا حسن نظامي) وقد نشر المقال في جريدة "وكيل" ٩/ فبراير ١٩١٦م (١٦) وشرح فيه عقيدته فقال ان الاسلام يجمع بين الدين والدنيا ولا يفرق بين ما يجب على الانسان في كل واحد منهما وبذلك مهد الاسلام طريقا وسطا معتدلا للبشرية فبينما يعلمنا الاسلام بان هدف الانسان الاصلي انما هو اعلاء كلمة الله فهو يعلمنا في نفس الوقت وينصحنا قائلا: "لاتنس نصيبك م الدنيا "ثم شرح لنا طريق الحياة الدنيا وهذا من اهم ابواب الشريعة ويعرف بباب المعاملات واما ماشرح به (الخواجا حسن نظامي) الاسلام فهو لايفرق بين الرهبانية والاسلام ثم اضاف في مقاله هذا قائلابان الذى يقوله اقبال انما هوفكر اسلامي حقيقي ولا صلة له بالفلسفة الغربية ولعل (الخواجا حسن نظامي) لايعرف بان المذهب الفلسفي والعلمي الاوربي انما هو وحدة الوجود التي يؤيدها (الخواجا) اما اقبال فقد تاب من المذهب الفسلفي الاوربي الذى يراه (الخواجا) نوعا من الزندقة وانه قد اصبح الاٰن مسلما صادقا بفضل الله وكرمه-

ثم نبه اقبال على الأخطاء التي ارتكبها (الخواجا حسن نظامي) في شرحه الخاطئي لابيات اقبال الشعرية عن (حافظ الشيرازى) والعبارات الاردوية من مقدمة المنظومة مما افسد المعنى وجعل عامة الناس يسيئون الظن باقبال وهذا كان غرضه من كل ذلك واما الوجوه الخمسة عن سخف المثنوية ولا معقوليتها فان اقبالاً قد رد على الوجه الاول منها قائلا

"انني اوافق حضرة (الخواجا) بان تعاليم الذاتية التي وردت في القراٰن الكريم

اجود واقوى مما ورد في "اسرار الذاتية" لان تعاليم الذاتية لوكانت غريبة او بدعة في الاسلام لما اجترأت عليها ابدا ولما قدمتها الى المسلمين ان مثنوية "اسر الذاتية" تأليف لمسلم قد استفاد من القران الكريم- ذلك المسلم الذى يرى بان نجاة البشرية وفلاحها في هذه التعاليم القرآنية وان ما استدل به (الخواجا) لايحتاج اليه وما دام هو لايحتاج اليها فان المثنوية اذن سخيغة واهية يا سبحان الله"-

ومتحدثا عن الوجه الثاني قال اقبال:

"فهذا الذى ذكرته في المقدمة و وهذا معناه ومفهومه وهي عقيدتي أستمسك بها واقول لحضرة (الخواجا) بكل احترام بانني لااقصد القضاء على الحركة الصوفية انما قصدى كل القصد هو الدفاع عن الاسلام والمحافظة عليه- كل ما اريده هو ان اوضح للمسلمين بان التصوف العجمي لاصلة له بالاسلام وانما هو نوع من الرهبانية والاسلام برئ منه فان هذا التصوف قد أثر في نفوس الامة المسلمة وحرمها من القوة والحيوية المعملية وقد اجمع علماء الاسلام على ان وحدة الوجود فكرة غير اسلامية"-

واما عن الوجه الثالث فرد عليه اقبال قائلا:

"اين نصحت المسلمين ان يغيروا عقائدهم ومبادئهم، انما أقترح عليهم فقط ان يعيدوا النظر في تقاليدهم الفكرية والفلسفية وانا اعتقد بان الذى يدل على صدق الاسلام دلالة قطعية هو تاريخ اوربا الفكرى- اما المسلمون فقد امروا ان يخرجوا طالبين للعلم والحكمة حتى ولوكان ذلك بالصين وعليه فاذاوجعلفا ما يفيدنا وينفعنا حتى ولوكان في الاداب الغربية فان الاعراض عن الاستفادة منه انما هو ضيق الافق الذهني كما انه ضيق الصدر والنظر معا"-

وقال اقبال وهو يرد على الوجه الرابع:

"اما هذا الوجه الرابع فان الكاتب لم يستشهد بشئي من ابيات المنظومة المثنوية حتى ولوكان ببيت شعرى واحد يدل على ان اقبال يدعو إلى الانانية والاثرة بالاضافة إلى الاحتفاظ بالذاتية"-

ورد على على الوجه الخامس فقال:

"فمعنى ذلك ان هذه المنظومة المثنوية تعتبر من السخف واللامعقول لالسبب غير ان حضرة (الخواجا حسن نظامي) هو من اتباع (حافظ الشيرازى) فقط"-

وانهي اقبال حديثه بقوله:

"ولابد من الاشارة الى شيئين اثنين ورد ذكرهما في المقال- اما احدهما فهو ان اقبالاً قد أهدى منظومته المثنوية باسم (السير على امام) وبذلك وجه ضربة

بنفسه إلى فكرة الذاتية خالف ما يدعو اليه باستسلامه امام رجل من اهل الدنيا الاثرياء وتعلقه له ولااضيف في الرد على ذلك الا ان اقول بان (الخواجا حسن نظامي) لم يفهم معنى كلمة "ديديكيشن" اى "العنونة" و "الانتساب" وليس الغرض من ذلك الا التعبير عن العلاقات الودية الشخصية التي تقوم بين الفردين على اساس الحب والاخلاص واما عن التهمة الثانية التي وجهها (الخواجا) الى اقبال بانه قد رأى (الشيخ الرومي) فيما يرى النائم وانه لم يدرس مثنوية الرومي في الصحوواليقظة ولوفعل ذلك لما خالف القرآن ولاتخذ الموقف القراني القائم على الاسس المتينة والمبادئ القوية- ياسيدى! قد درست مثنوية (الشيخ جلال الدين الرومي) رحمه الله، صاحيا بقظانا، واكثر من مرة اما انت قلعلك درست هذه المثنوية في حالة السكر والنوم حيث عثرت فيه على وحدة الوجود- اسئل (الشيخ اشرف على التهانوى) كيف يفسر هو هذه المثنوية انني اقلده و اتبعه في هذا الموقف"-

وكان اقبال يتوق الى تأليف القسم الثاني (رموز اللاذاتية) من المنظومة المثنوية اشد مايكون ولكن (الخواجا حسن نظامي) اثار النقاش الصحفي وبذلك وقف في سبيل انجاز القسم الثاني ويذكر اقبال ذلك في رسالة بعث بها الى (محمد نياز الدين خان) في ١٣/ فبراير ١٩١٦م فقال فيها (١٧):

"اما انا فقد ظننت بان هذا الوقت اطتوفر والفرصة المتاحة سأخصصه للقسم الثاني من المثنوية الذى هو اهم من القسم الاول بكثير الا ان (الخواجا حسن نظامي) قد اثار النقاش في الصحف مما جعلني أهتم بالموضوع واهل القسم الثاني وان حقيقة الدين الاصيلة لايمكن الاطلاع عليها الا اذا درسنا كتب الائمة الاعلام من العلماء المسلمين وان الذى يقتضيه العصر الحاضر هو الحصول على التعليم الديني بالاضافة الى تقديم الجوانب العملية من الاسلام وابرازها ووضوحها- ان السادة المتصوفين انفسهم يقولون بان الشريعة هي ظاهر الدين والتصوف هو الجانب الباطني منها- اما في هذا العصر الهائج المضطرب إذا لم يقم ولم يدم ظاهر الشريعة فأني يقوم ويدوم باطنها- ان المسلمين اليوم يمرون بنفس الظروف والاوضاع التي كان قدمر بها الهنادكة عند الفتوح الاسلامية في الهند أوالذى كان الهنادكة قد صاروا اليه بعد هذه الفتوح الاسلامية- اما الهنادكة فقد انقذهم التقليد الاعمى لشريعة "منوسمرتي" من الانهيار والموت عند ما قامت الثورة الاسلامية في الهند وكذلك عاشت الامة اليهودية ودامت بسبب المحافظة على شريعتها والافان "فيلو" (المتصوف اليهودى الاول) لو تمكن من التغلب والسيطرة على نفوس أمة وأفكارها لكان

الشعب اليهودى قد انحل وانعدم بالذوبان والانضمام الى شعوب العالم الاخرى"-

ويقول اقبال في رسالته التي بعث بها الى صديقه (الامير كيشن برشاد) في ٣/ ابريل ١٩١٦م (١٨):

"ان (الخواجا حسن نظامي) قد ظن ان المثنوية تعارض التصوف لانها تنقد موقف (حافظ الشيرازى) وعلى هذا الافتراض يقوم ما اثاره من الضجة والنقاش في الجرائد حيث اساء الى سمعتي واتهمني بانني اعادى التصوف واعارضه انه لم يطلع على الاداب الصوفية وانني لااعارض التصوف الذى يتبعه الخواجا الا انني لاعترف بمحة البعض من مشاكل ذلك التصوف وان المشكلة التي خالفتها وعارضتها هي التي قد خالفها وعارضها الالاف المؤلفة من المتصوفين انفسهم وقد تعمقت في دراسة التاريخ الفكرى الماضي للمسلمين والهنادكة مما أكدلي بأن الاطباء الخبراء لم يعرفوا المرض الهقيقي هو ضعف القوة الحيوية ووهنها وان هذا الضعف والوهن انما هو نتيجة لنوع خاص من الآداب التي نشأت عند الشعوب الاسيوية من سوء حظها- اما الاوضاع الراهنة والظروف الحالية فانها تحتم علينا ان نقوم باصلاح هذه الافكار وتصحيجها"-

وذكر اقبال في بعض رسائله في ١٠ /مايو ١٩١٦م (١٩)

"ورغم انني لست انسانا يملك المواهب غير العادية من الفطنة والذكاء كما انني لا املك علما غير عادى الا انني اعرف من الاشياء وافهمها وادرك غورها مما لايقدر عليه عامة الناس واذا كنت في حاجة الى عشرين سنة للوصول الى هذه النتائج فانى يكون لعامة الناس الذين لايعرفون التاريخ العلمي والفكرى للعالم معرفة كاملة بان يدركوا هذه الحقيقة بعد تفكير قصير وخوض قليل"-

ولكن (الامير كيشن برشاد) كان قد تأثر بما اعترض عليه (الخواجا حسن نظامي) فقال بان منظومة اقبال تأثرت بالفلسفة الالمانية وهذا ما جعل اقبال يبعث أليه رسالته في ٢٦/ يونيو ١٩١٦م ويقول فيها(٢٠):

"ومما ادهشني وعجببت له انك انت ايضا تقول بانني ألقت هذه المنظومة المثنوية تحت تأثير الفلسفة الالمانية رغم ان علماء الاسلام منذ البداية حتي اليوم لايزالون يعارضون التصوف الوجودى وانا لم أقل شيئا جديدا وان (جيتا) (كيشن) كما اعتقد أنا) كان صوتا قويا ضد هذا الفكر في المجتمع الهندوكي إذن فاذا عارض شخص التصوف الوجودى فلايعني ذلك انه من اعداء التصوف لان التصوف الاسلامي الحقيقي شئي آخر- اما التصوف الوجودى فلاصلة له بالاسلام اطلاقا ورغم ان هذا التصوف الوجودى يتعلق تعلقا وثيقا

بالديانة الهندوكية الا أن هذا التصوف قد أضر بالهنادكة ايضا كما لايخفي وقد جرى نقاش غريب في بعض المؤلفات الصوفية وهو ايهما افضل وجود "الاتصال" أو "الانفصال" والمتصوفة يختلفون في ذلک- اما التصوف الاسلامي فانه يقوم على "الانفصال" واما التصوف الوجودى فهو يقوم على "الاتصال" أى الانحلال والغناء في ذاته سبحانه- اذن فلست من المبتدعين إذا أيدت الانفصال وان الذين اعترضوا على من المتصوفين لايعرفون اٰدابهم الصوفية ويوجد لدينا ما تنبأبه سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم عن التصوف الوجودى وقد فصلت القول في ذلك وان هذا المقال سينشر عما قريب ان شاء الله- و "اما انا شخصيا فقد كنت أميل إلى الفكرة القائلة بالاتصال إلا أن الوقت الحاضر يقتضي غير هذا وان الذى ألفته كنت مكرها على تأليفه وكان يجب أن أطيع الامر وكان لابدلي من ذلك ولايهمني اذا عارضتني الدنيا فقد قمت بواجبي حسب ما أملكه من المواهب"-

وأما المقالة الثالثة لاقبال والتي ساهم بها في هذه المعركة الادبية فعنوانها "العلم الظاهرى والعلم الباطني" ونشرها في جريدة "وكيل" في ٢٨/ يونيو ١٩١٦م (٢١)

وشرح فيها اقبال موقفه من التصوف فقال: ان التصوف الذى يهدف إلى الاستقامة والاخلاص في شعائر الاسلام هذا التصوف هو الاسلام بعينه إلا أنه يوجد فئة من المتصوفين المسلمين التي تسمى الشريعة الاسلامية بالعلم الظاهرى وهي تسمية ملؤها الاحتقار والازدراء وتعتقد ان التصوف انما هو دستور عملي باطني اذا تبعه السالك فانه يشاهد من الحقائق التي هي حقائق فوق الادراك ويرى اقبال اننا ان فضلنا المعرفة على العلم فاننا نمهد السبيل للرهبانية بانوا عها وذلك لان العلم من صفات الله تعالى ولاتنسب المعرفة اليه سبحانه وتعالى ولكن هذه الفئة الصوفية تعتقد بان المعرفة او العلم الباطني دستور عملي منظم و مرتب يخالف الشريعة الاسلامية ويعتقد اقبال انه لايوجد حديث من بين الاحاديث الصحيحة يدل على ان النبي صلي الله عليه وسلم كان قد علم بعض الصحابة علما سريا خاصا من علوم الرسالة وأنه أخفى ذلك العلم عن بعض اصحابه وهذا السبب تتفوق الشريعة الاسلامية وهي مهيمنة على غيرها وان جميع ماتدعيه هذه الفئة الصوفية من الدستور العملي المستقل للمعرفة او العلم الباطني هو ادعاء باطل لا اساس له-

وعن اهمية هذا المقال نفسه يحدثنا اقبال في رسالته التي بعث بها الى (محمد نياز الدين خان) في ٨/ يوليو ١٩١٦م قائلا(٢٢):

"يبدو كأنك لم تطلع على مقالتي عن العلم الظاهرى والعلم الباطني والتي نشرت في جريدة "وكيل" فعليك بالاطلاع عليها وانني اعد جاليا مقالا اٰخر وهو مقال منفرد بديع ولعله لم يؤلف مثله وان العلماء المسلمين الذين عارضوا التصوف الوجودى لم ينتبهوا الى ذلك الا انني لا اجد المراجع الكافية وبذلك اجد صعوبة ايما صعوبة في اعداده- ان كتاب "شرح السطحيات" (للشيخ روز بهان بقلي) كتاب فريد وغريب فهذا كتاب يفصل القول الشئون الشعرعية التي يعارضها المتصوفة الوجوديون"-

ويقول اقبال في رسالته التي بعث بها الى (الشيخ سراج الدين بال) في ١٠/ يوليو ١٩١٦م:

"يقول حديث نبوى بان الله سبحانه وتعالى اذا اراد خيرا بعبد من عباده فانه يفقهه في الدين ويمكنه من الاستنباط وا الاستفادة من النصوص الشرعية ويا للاسف ان المسلمين قد اصبحوا موتى اليوم وان زوال الامة وانحطاطها قد شل قواهم العلمية وافسدها عليهم الا اننا يجب ان نقوم بواجبنا نحوهم ان خوف الملامة حرام في ديننا- ان البحثعن المعاني الخفية السرية او المفهوم الباطني في شريعة امة او دستورها وشعارها انما الغرض منه هو مسخ تلك الشريعة وتشويه ذلك الدستور- ان هذا طريق خفى للغاية يقود الى نسخ تلك الشريعة والقضاء على ذلك الدستور وان هذا الطريق الذى لايتخذه ولا يبتكره شعب من الشعوب غير امة جبلت على "الغنمية" (الفكرة الافلاطونية) وان معظم شعراء ايران كانو يميلون بطبيعتهم الى الفسلفة الوجودية وهذه الميول الطبيعية هي التي كانت توجد عند الشعب الايراني قبل الاسلام ورغم ان الاسلام كان قد وقف في سبيل هذه الميول الطبيعية وتطورها الا ان الذوق الطبيعي الايراني ظهر وتغلب حن وجد السبيل الى ذلك وبعباره اخرى كان الجوقد خلا لاداب قامت على وحدة الوجود- ان هؤلاء الشعراء كانوا قد اتخذوا اسلوبا غريبا وخلابا في الاظاهروعارضوا به شعائر الاسلام وحاوالوا نسخها والقضاء عليها حتي ان كل شئي اسلامي كان جديرا بالحمد والاستحسان صار قبيحا مذموما في فكرهم فاذا كان الاسلام يذم الفقر فان (حكيم سنائى) يجعل الفقر درجة عليا من السعادة ويرى الاسلام ان الجهاد في سبيل الله من ضرورات الحياة- اما شعراء العجم فانهم يبحثون عن معاني اخرى لهذا الشعار الاسلامي من الجهاد:-

ثم كتب اقبال رسالة في ١٩/ يوليو ١٩١٦م قال فيها(٢٤):

"ان من سوء حظ مسلمحي شبه القارة ان علوم العربية وا دابها قد كسدت

اسواقها حتى ان الناس لايفسرون القران على اساس اساليب العرب البلاغية وهذا هو السبب الذى جعلهم لايفهمون الكلمات والمفردات العربية حق الفهم ولايدركون حقائق معانيها فمثلا لايعرفون معنى كلمتى "القناعة" و "التوكل" كما جاء في كلام العرب وقوا ميس اللغة العربية فان المعاني التي يتدا ولها الناس ويستنبطونها من هاتين الكلمتين لاصلة لها باللغة العربية- انهم قد ادخلوا افكار الهنادكة وا لاغريق في تفسير القران الكريم ومفاهيم الاسلام بكل قساوة و تمرد وياليته يستجاب دعاء الشيخ (نظامي) فيسعد عصرنا برسول الله صلي الله عليه وسلم مرة حتى يشرح دينه للمسلمين الهنود ويكشف لهم حقائق الدين وعوارفد ويجب عليكم ان تدرسوا التاريخ المعاصر لحافظ حتى تعرفوا البيئة التي كانت تحيط بالمسلمين وما هي المشاكل الفسلفية التي كانت تواجه عقول المسلمين في ذلك العصر- وما هو الجو السياسي الذى كان يحيط بالمسلمين حينذاك ثم ادرسوا شعر (حافظ) في ضوء هذه المعلومات كلها ومما يدهشنا ان الشعر الصوفي الاسلامي كله قد ظهر في عصر الزوال والانحطاط للعالم الاسلامي وذلك طبيعي فان امة اذا فقدت قوتها المادية او المعنوية كما فقدتها الامة الاسلامية بعد اغارة التتار وهجومهم على العالم الاسلامي فلا بد ان يتغير وجهة النظر السائدة في تلك الامة- ان هذه الامة تستحسن الضعف والهوان والظلم كما انها تجد السكينة والطمانينة في الزهد وترك الدنيا- ان الامم مثل هذه تحاول ان تستر تكاسفها وهزيمتها وبطالتها وراء حجاب الزهد في الدنيا وتركها- ان أمة اذا انهزمت في معركة مصيرية تفقد ثقتها بالنفس وتبحث عن الحيل التي تبرر نزعتها ولدينا مثال واضح في ادب المسلمين الهنود فان اروع الاطوار والمراحل الادبية في تاريخهم تظهر في المراثي التي قالها شعراء مدينة لكنؤ"-

هو كل شئي "أوكل" شئي منه وبعبارة اخرى الفرق بين وحدة الوجود و وحدة الشهود في رأى اقبال يتضح في رسالته التي بعث بها الى (محمد نياز الدين خان) في ١١/ سبتمبر ١٩١٦م (٢٥):

"وارى من المستحيل منطقيا ان يجمع شخص بين الفكرتين وهذا هو السبب الذى جعل فلسفة (نتشه) المفكر الالماني لاتنتشر في اوربا رغم انه كان يدعو الى فلسفة كانت تجمع بين وحدة الشهود و وحدة الوجود ورغم ان هذه الفسلفة كانت توافق طبيعة من يميل الى الجمع بين الفكرتين- اما مذهبي في الفلسفة فهو ان هذه المباحث كلها تنشاء من فهم خاطي للدين فان الغرض الحقيقي من الدين انما هو الحياة العملية وليس ارضاء القوى العقلية البشرية كما يراه الفلاسفة والحكماء الهنادكة فان المزايا الخاصة بهذا العصر تقتضي الاعراض

عنها واهمالها ولايستطيع شعب من الشعوب ان يحتفظ بنفسه الا اذا طبقت مبادئه واستقام عليها وعض عليها بالنواجذ كما قال الشاعر مامعناه: "ان هذا العصر سيقضى على جيع الناس ولن يسلم منه الا من استقام على طريقته وعض على دينه بالنواجذ"-

ويصرح اقبال بانه قد اعد سلسلة من المقالات عن التصوف الوجودى فيما بعد والمقال الثالث من هذه السلسلة كان قد نشر في جريدة "وكيل" في ١٣/ ديسمبر ١٩١٦م (٢٦) وقال اقبال: كنت قد تحدثت في مقالى هذا عن نبأ قدأ نبأنا به رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال: ان السمن سوف يظهر في امتي من بعد ثلاثة قرون وكذلك كان قد اعد اقبال مقالا باللغة الانجليزية وعنوانه "الاسلام والتصوف" ونشر في مجلة "العهد الجديد" الانجليزية لشهر يوليو ١٩١٧م وفي هذا المقال قال اقبال وهو يخاطب الشبان المسلمين: (٢٧)

"ولا يوجد شئي من تعاليم الرسول صلي الله عليه وسلم مما يخفى على احمد او نقول عنه بانه تعليم سرى فلاتسمعوا لمن يدعي بان بعض مبادئ الاسلام قد وصلت الى بعض الناس من طرق خفية وعرفها بعض الناس دون البعض منهم فان هذه التعاليم السرية المزعومة هي اساس ادعاء الكذابين الذين يريدون ان يستعبدوكم ويسيطروا على عقولكم- يا شباب الاسلام! عليكم ان تكونوا على حذر من هؤلاء المشعوذين الكذابين فانهم قد طوقوكم واخذوا بمجامع قلوبكم منذامد بعيد وان النهضة الاسلامية العالمية لايمكن ان تتحقق الا اذا اعتنقنا التوحيد الخالص بكل شدة والحاج تلك المبادئ السامية من التوحيد التي تعلمتها الامة العربية من رسولها الامين صلي الله عليه وسلم قبل ثلاثة عشر قرنا عليكم يا شباب الاسلام! ان تخلصوا انفسكم من ضباب الاعا جم وظلامهم وتحولوا الي الجو النورى من الصحارى العربية المضيئة"-

وقد اتضح لاقبال بعد الاطلاع على رسائل (اكبر اله اٰبادى) بانه قد اعترض على المثنوية بدون ان يدرسها مما جعله يكتب اليه رسالة في ١١/يوليو ١٩١٨م ويقول (٢٨):

"انني لم أتهم (الخواجا حافظ) بان شعره كان سببا في جعل الناس يقبلون على الخمر- ان الذى لم يعجبنسي من (حافظ) يختلف عن ذلك تمام الاختلاف- ان الذى قلته في اسرار الذاتية عنه انما كان نقدا لاهداف واساليب ادبية (لحافظ) سبق وقد شرحت لكم التصوف الذى اعارضه وان الذى قلته انا لم يكن شيئا جديدا وقد اتضح لي (واعتذر اليكم اذا كنت قد اسأت الفهم) بان حضرتك لم طلع على ديواني "اسرار الذاتية" ولم تقرأ غير الابيات الشعرية التي قلتها عن

(حافظ) واظنك لم تقرأ غيرها من الديوان- يا ليتك وجدت فرضة للاطلاع على الديوان الكامل حتى تستطيع ان تسلم من اساءة الظن باخيك المسلم- ان العلم المعاصر ليس من اعداء الاسلام (كما يعتقد البعض من اصدقائنا الذين لايعرفون الحقيقة لان الاسلام يتخذ موقفا صائبا قويا من العلم) ان الذى يعادى الاسلام هو القومية الاوربية تلك التي اثارت الاتراك على الخلافة والتي جعلت المصريين ينادون "مصر للمصريين وحدهم" وأن الهند وحدة ديموقراطية"- ان هذه احلام لاحقيقة لها- ان الدين الاسلامي له جانب مهم يجب ان تعرفه وهو: القومية الاسلامية التي فبلتها ومركزها بيت الله الحرام وتقوم على وحدة البشر والمساواة بينهم"-

ثم كتب اليه رسالة في ٢٠/يوليو ١٩١٨م فقال (٢٩):

"حضرتك تتهمني بالتناقض وهذا ليس صوابا بل ذلك من سوء حظي حيث لم تطلع على اسرار الذاتية حتى الان سبق وأن رجوت حضرتك في بعض رسائلي ان تطلع على الديوان حتى تسلم من اسائة الظن باخيك المسلم فلو فعلت ذلك لما اعترضت على فان اسرار الذاتية لاتناقض فيها، انني اتبنى الذاتية التي تنشأ من الاذاتية الصادقة المسليمة ولكن توجد لاذاتية اخرى ولها قسمان قمنها لاذاتية تنشأ بدراسة الشعر الغرامي والاطلاع عليه وهذا القسم من الاذاتية لايختلف عن سكر الافيون والخمر والقسم الثاني من هذه اللاذاتية هي اللاذاتية التي تنشأ عندما يغني الفرد البشرى في ذات البارئ سبحانه وتوالى كما يعتقده بعض المتصوفة من المسلمين والزهاد الهنود جميعهم وهذا الغناء في ذات البارئ سبحانه وتعالى هو غير الغناء فيما يأمرنا به البارئ سبحانه وتعالى- اما القسم الاول من هذه اللاذاتية فقد تكون مفيدة الى حد ما واما القسم الثاني منها فهو يعارض القيم الدينية والخلقية جميعها ويأتي على اصولها فانا اعارض هذين القسمين من اللاذاتية- اما اللاذاتية الاسلامية الحقيقية التي اراها صوابا فهي ان تتحرر من جميع الميول وا لاهواء والآراء الشخصية ونتبع اوامر الله سبحانه وتعالى ونطيعه في ذلك اطاعة مطلقة- تلك الاطاعة المطلقة التي تجعل الانسان لايحفل ولايهتم بشئي غير رضي الله سبحانه وتعالى واطاعته و الاستسلام الكامل بين يديه سبحانه وتعالى واطاعته و الاستسلام الكامل بين يديه سبحانه وتعالى فهذا هو الغناء المقصود م التصوف الاسلامي وجملة القول ان الملك والامر كائنا ما كان فليس هو غرضنا بالذات وانما هي وسائل تمكننا من تحقيق اعلى الاهداف واسمى المقاصد ولا اضيف الى ذلك الا انني ارجو حضرتك ان تهتم بامرى قليلا بل ترحمني فتخصص لحظات لتدرس فيعا "اسرار الذاتية" انني اتأذى واتعذب بمعارضتك كما تأذى وتأوه (منصور الحلاج) عندما

رماه صديقه (الشبلي) بحجر فأصابه جرح"-

وكان اقبال قد الغنى المقدمة كما حذف الابيات الشعرية عن (حافظ) من "اسرار الذاتية" وعلل ذلك في رسالته الى (حافظ محمد اسلم جيرا جبورى) في ١٧/ مايو ١٩١٩م فقال (٣٠):

"اما ما الفته من الابيات الشعرية عن (حافظ) فقد كان الغرض منها هو شرح مبدأ ادبي ولم امس بها شخصية (حافظ) او ذاته كما انني لم اتعرض لمعتقداته ولكن عامة الناس لم يعرفو الفرق ولم يميزوا الخطأ من الصواب وكانت النتيجة هي هذه الضجة التي اثيرت فاذا كنا نومن ببدأ ادبي يقول بان الجمال جمال على كل حال مهما كانت النتائج وسواء كانت مفيدة او مضرة فان (الخواجا حافظ الشيرازى) هو احد كبار الشعراء العالميين- على كل حال فقد حذفت تلك الابيات الشعرية ووضعت مكانها ابيات شعرية اخرى شرحت فيها المبدأ الادبي الذى اراه صوابا واما المقدمة فقد كانت موجزة وهذا اليجاز كان سببا في سوء الفهم- ان الاستاذ (نكلسون) من جامعة كيمبردج هو الاخريرى رأيك فيقول بانه كان يجب ان لانلغي المقدمة من الطبعة الثانية واما (بيرزاده مظفر الدين) فلم يفهم قصدى اطلاقا فاذا كان التصوف يعني الاخلاص في العمل (وهذا ما كان يفهمه الناس من التصوف في القرون الاولى) فلايجوز لمسلم ان يعارض هذا التصوف اما اذا حاول التصوف ان يتفلسف ويستأثر بالافكار الاعجمية واخذ يبحث عن حقائق النظام الكوني وعن ذات الله سبحانه وتعالى فيقدم لنا فكرة الكشف الصوفي فان نفسي حينئذ تعارض التصوف وتثور عليه ثورة شديدة"-

وكان اقبال و (الخواجا حسن نظامي) كلاهما على صلة الصداقة مع (اكبر اله اٰبادى) وكان كل واحد منهما يكرمه بالغ الاكرام وهذه المعركة الادبية التي قامت بين اقبال وبين (الخواجا حسن نظامي) لم يهتم بها (اكبر اله اٰبادى) كثيرا في اول الامر وانما سخر بها في شعره فقال:

١) ان حضرة اقبال و (الخواجا حسن نظامي) احدهما مصارع قوى واما الاخر فهو انيق بالغ الاناقة-

٢) وما دام الخصام ليس من اجل السلطة والملك فلابأس اذا اتيح لهما الخصام في سبيل الله وحدة-

٣) وما دامت الرياضة البدنية تكلف صاحبها فلا اقل سرأيقاسبا اذا تخاصما على التصوف-

٤) ان كل زاوية من الزوايا الخربة قد اصبحت عامرة بالرقص الصوفي فكل واحد منهما مجنون يرقص مع صاحبه المجنون الاخر-

ولكن الخصام قد طال وصار الامر جدا واخذ النقاش الصحفي يصطبغ بصبغة من المرارة والجد فحينئذ تدخل فيه (اكبر اله اٰبادى) قمنع اقبالاً يتقدم في هذا النقاش او الكلام الفارغ من ناحية ومن ناحية اخرى زجر (الخواجا حسن نظامي) فقال:

١) يا (خواجا حسن) لاتهن اقبالاً ولاتزدريه لانه احد من يدافعون عن حياض الشعب المسلم ويحافظون على حماه-

٢) وما دمت (يا حسن) قد تفانيت في الرونق والتجلي من الجمال فان اقبالاً ايضا من اعداء فتنة الرقباء وفسادهم-

٣) وما دمت انت قد جننت بنجنيات الجمال فان اقبالاً ايضا قد اصبح (سليمان) بصفته محاربا للجن-

وهذا مما جعل اقبالاً و (الخواجا حسن نظامي) ينهيان النقاش الصحفي المر والتشاجر المستمر واخذ (الخواجا حسن نظامي) يحترم اقبالاً ويدعي صداقته كما كان قبل ذلك يحترمه ويلاطفه-

ولكن نشأ سوء التفاهم بينهما مرة اخرى في ١٩١٨م حين اغلقت جريدة "زميندار" اللاهورية وكان الشيخ (ظفر على خان) رئيس تحريرها قد اعتقل قي قريته (كرم اٰباد) ثم استطاع الحصول على الرخصة لاصدار جريدة اسبوعية وسماها "ستاره صبح" او "نجمة الصباح فاراد ان يزيد من انتشار جريدته هذه فبدأ ينشر سلسلة من المقالات ضد المتصوفين واصحاب الطرق الصوفية الذين يختارون التصوف كمهنة ويكتسبون بها اكتسابا ويستغلونها استغلالا فظن (الخواجا حسن نظامي) ان اقبالاً وراء هذه المحاولات كلها الا ان (غلام بهيك نيرنک) تدخل في هذه المرحلة فكتب رسالة مفصلة وحاول ان يزيل شك (الخواجا حسن نظامي) الذى ترجع عن موقفه واعتذر الى اقبال كما ان اقبالاً قد اكد (للخواجا حسن نظامي) بانه لم يحرص الشيخ (ظفر على خان) على تلك السلسلة من المقالات كما انه لم يكتب عن الموضوع شيئا اطلاقا (٣٢) ثم صدر اثارت ضجة وقد قدم الشيخ (فضل الدين احمد) لكتاب "تذكرة" وادعى في مقدمته هذه بان منظومتي اقبال انما هما رد فعل لحركة (الهلال) وان الفرق الشاسع الذى يوجد بين ما جاء في المنظومتين وبين ما عرف من افكار اقبال الدينية يوضح ذلك جليا مما احزن اقبالاً و اٰلمه فكتب رسالة في ١٠/نوفمبر ١٩١٩م الى الشيخ (سيد سليمان الندوى)

يشتكي اليه قائلا (٣٣):

"ولعله (اى الشيخ فضل الدين احمد) لايعرف بان الافكار الدينية التي تعبرعنها المنظومتان انما هي افكارى المبتكرة وآرائي البديعة الأصيلة لا ازال اعلن بها منذ ١٩٠٧م وقد تألمت كثيرا لما جاء في مقدمته هذه التي يدعي فيها كأن اقبالاً لم يكن مسلما قبل ظهور حركة (الهلال) وان حركة (الهلال) هذه هي التي جعلت منه مسلما انني لاشك احترم الشيخ (ابا الكلام آزاد) من اعماق قلبي وانا متعاطف مع حركته ولكنه ليس من الجاءز ان نضيف شيئا الى اهمية حركة من الحركات وذلك على حساب جزح المشاعر الشخصية للاخرين ولست ادرى ماذا سمع وماذا بلغه عنا الا انه صدق الشائعات وعلى اساسها كتب جملة تدل على اكثر من معنى وهذا ليس من شأن العلماء الذين يدعون الاصلاح ويظنون انهم من رواد الاصلاح الاجتماعي فاذا اتيح لك ان تلتقي به فاجوك ان تبلغ اليه شكواى هذه"-

وعندما صدرت منظومة "رموز نفي الذات" ارسل اقبال نسخة منها الى الشيخ (سيد سليمان الندوى) راجيا منه ان ينبهه على الاخطاء التي وردت فيها ويرى (غلام رسول مهر) بأن الاخطاء او الاعتراضات التي اوردها الشيخ (سيد سليمان الندوى) كانت كلها غير صحيحة ورد اقبال على معظمها مستشهدا بشعر الشعراء الفطاحل الفارسيين (٣٤)-

وقدنشر (عبدالرحمن بجنورى) مقالا بالا نجليزية في مجلة "ايست ايند ويست" "الشرق والغرب" استحسن فيه المنظومتين وقد رهما تقديرا بالغا فقال بأن اقبالاً قد جاء منجياً منقذا لهذه الامة وانه نفث الروح في الا موات من النفوس وان المسلمين اذا ادركوا مفاهيم المنظومتين ادراكا صحيحا سيظهر تيار متدفق في العالم الاسلامي كله ويأتي بالنتائج المفيدة العظيمة وكان لهذا المقال ردود فعل في امريكا واوربا ايضا-

وقد ترجم المستشرق الانجليزى (نكلسون) ديوان "الاسرار" الى اللغة الانجليزية ونشرت هذه الترجمة في لندن في ١٩٢٠م وكان اقبال قد بعث اليه بتعليق موجز شرح فيه فكرة الذاتية (٣٥) وقد استفاد المستشرق الانجليزى من هذا التعليق الموجز وهويعد مقدمة لترجمته الانجليزية ثم علق البعض من ادباء الغرب على هذه المثنوية وابرزوا بعض محاسنها ومزاياها الا ان الناقد الانجليزى (ديكنسون) اورد اعتراضات على المثنوية مما كان سببا لسوء الفهم حول فكر اقبال فقال (ديكنسون) معلقا على المثنوية بان فكرة الانسان الكامل وتطور الحياة

عند اقبال ترجع الى المفكر الالماني (تشته) والمفكر الفرنسي) (برجون) كما انه ادعى بان اقبالاً يلح على القوة المادية وانه يلح على التنازع والتنافس والاعتداء في الحياة البشرية وعلى هذا الاساس يدعو الفرد الى النضال والكفاح ورغم ان اقبالاً قد جاء بفلسفة قد تكون عالمية الا انه يريد ان يطبق هذه الفلسفة على جماعة محدودة ممتازة من الناس وهم المسلمون- وان مجمل الانطباع عن المثنوية عند (ديكنسون) هو ان اقبالاً يدعو الشعوب المتخلفة الاسيوية وخاصة المسلمين منها الى الحرب والقتال وان كل كلمة من كلماته تحمل قوة سياسية في طياتها (٣٦)-

ورد اقبال على هذه الاراء النقدية في رسالته الطويلة التي بعث بها الى الاستاذ (نكلسون) في يناير ١٩٢١م فقال:

"انه (ديكنسون) قد اخطأ في فهمه لفكرتي عن الانسان الكامل فقد كنت تناولت العقيدة الصوفية عن الانسان الكامل قبل عشرين سنة حين لم اكن اسمع بالضجة التي اثارتها افكار (نقشه) كما انني لم اطلع على مؤلفاته اطلاقا ويرى الاستاذ (ديكنسون) بانني اعتبر القوة المادية غاية الامال ومنتهاها وهذه هي نتيجة سوء الفهم فانني أومن بالقوه الروحية- اما القوة المادية فلا اثق بها واعقد بان امة اذا دعيت الى الكفاح والقتال تأييدأ للحق والصدق فيجب عليها أ تلبي تلك الدعوة ولكنني ارفض تلك الحروب التي ليس الغرض منها غير سفك الدماء وفتح البلاد والتغلب على اهلها ان الاستاذ (ديكنسون) قد اصاب حين قال بأن الحرب نتيجتها المحتومة هي الفساد والدمار سواء كانت من اجل الدفاع عن الحق والصدق او من اجل الفتوح والاستغلال فيجب القيام بالمحاولات من اجل القضاء على فكرة الحرب الا اننا قد لاحظنا وعلمتنا التجارب العملية بان العهود والمواثيق والروابط والجمعيات السلمية والمؤتمرات الدولية لم تفدنا في شئي وهي لم تستطع القضاء على فكرة الحرب وامكانياتها حتى لو اننا حققنا النجاح في محاولاتنا هذه اكثر مماكنا عليه فلن تكون النتيجة غير ان تتخذ الشعوب الشاطرة وسائل سلمية من اجل التغلب على الشعوب المتخلفة او استغلالها والواقع اننا في حاجة الى شخصية كاملة تستطيع ان تقدم الحلول الناجحة لمشاكلنا الاجتماعية المغلقة العويصة وتستطيع ان تقضي قضاء عادلا في القضايا الدولية الى جانب دعم الاسس المتينة للقوانين والاخلاق الدولية ان الاستاذ (ديكنسون) قد تناول في حديثه فلسفتي عن الكفاح والجهاد فيما تلاه من مقالته ولكنني ارى واومن بالكفاح والجهاد كقوة اخلاقية ولست اعتقد في الكفاح والجهاد كقوة سياسية مستغلة وقد يمكن ان ياتي يوم تقضي فيه المبادى الطبيعية المتطورة على الصدام او الحرب قضاء حاسما ونهائيا ولكنني

ارى ان عصر الثورة من هذا النوع بعيد الصدام او الحرب قضاء حاسما ونهائيا ولكنني ارى ان عصر الثورة من هذا النوع بعيد جدا"-

"واخشى ان البشرية لن تستفيد طويلا عن الدروس والعبر التي لقنتها الحرب العالمي الاوربية فقد اتضح حليا بانني ارى ضرورة الكفاح من وجهة النظر الخلقية فيا للاسف ان (ديكنسون) قد اهمل هذا الجانب من فكرتي عن الكفاح والجهاد ثم يرى الاستاذ (ديكنسون) بان فلسفتي وان كانت عالمية الا انني طبقتها تطبيقا خاصا محدودا فانه مصيب في رايه هذا من ناحية الا ان الصداقة الرمزية للعالم البشرى في الشعر والفلسفة تكون عالمية دائما ولكننا اذا اردنا ان نطبق هذه الصداقه الرمزية من اجل البشرية فلا بد ان نقصرها على مجتمع خاص معين يؤمن بعقيدة مستقلة وطريق عملي محدد واعتقد ان هذا المجتمع الخاص هو مجتمع الاسلام واظن ان الاستاذ (ديكنسون) لم يتخلص من الرأى الاوربي القديم القائل بان الاسلام يدعو الى القتل وسفك الدماء والواقع ان ملك الله على ارضه لايخص المسلمين وحدهم وانما يتناول ويشمل هذا الملك العالم البشرى كله على ان تجتنب البشرية كلها عبادة الاوثان والاصنام م الجنس والدم والقومية وان يعترف كل فرد من افرادها بشخصية صاحبه الحر المستقل الكريم- اما الجمعيات او الروابط والعهود والمواثيق التي ذكرها الاستاذ (كنيز) وكذلك الملكية سواء كانت في ثوب الديمو قراطية او في ثوب اٰخر، فلايمكن ان تكون وسيلة لصلاح الانسان وفلاحه- اما صلاح البشرية وفلاحها فلايمكن الا اذا طبقت مبادئ الحرية والمساواة في المجتمع- اما انا فأقول بان فلسفة "اسرار الذاتية" انما استنتجتها مما درست من افكار المفكرين المسلمين وتجارب المتصوفين المسلمين ومشاهد اتهم وكذلك فان فكرة الزمن عند الفيلسوف (برجون) ليست مختلفة على متصوفتنا المسلمين ومن سوء الحظ ان اهل الغرب لايزالون يجهلون الفكر الاسلامي وتاريخه حتى الان"-

وقد علق الاستاذ (هربرت) الاديب والناقد الامريكي الشهير على الترجمة الانجليزية للمثنوية وقد نشر هذا التعليق "نيوايج" (العهد الجديد) في ٢٥/ اغسطس ١٩٢١م فقال وهو يقارن بين اقبال وبين الشاعر الفيلسوف الاميريكي "ويتمان" بان هذه المثنوية قد اثارت يفيظة في فكر الشباب المسلم الهندى فقد قال مسلم هندى وأصاب فيما قال بان اقبالاً قد بعث منجياً منقذا للشعب المسلم الهندى ذلك الذى حرض الاجسام الميتة ونفث في نفوسها تيارا فعالا من النهضة والحياة الجديدة- ان اقبالاً بابتكاراته النادرة وافكاره المتنوعة قد وحد بين المؤمنين بالله وجعل من المنطق الذى لم يزل مقصورا على طلاب المدارس رسالة

عالمية وقد مها للعالم البشرى وعلى هذا الاساس قد استطاع اقبال ان يدرك فكرة الانسان الكامل ادراكا اقوى واوثق من (نتشة) و (ويتحان) كليهما(٣٨)-

اما اهل العلم في الهند واوربا وامريكا فقد تاولوا محتويات المثنوية نقدا وتعليقا اما العالم الاسلامي فقد ساده الصمت والسكون فقد اشتغل المسلمون في ايران وافغانستان وتركيا والدول العربية بعد نهاية الحرب العالمية الاولى بحروب محلية من اجل التحرر الوطني والاستقلال القومي- ان هذه الدول كلها كانت قد بدأت تتبنى مبادئ القومية والوطنية من الطراز الغربي باهتمام بالغ للغاية وهذا ما جعل اهل العلم الذين كانوا يعرفون الفارسية في ايران وافغانستان لايهتمون بمثنوية اقبال هذه ولايعلقون عليها والواقع أنه في مثل هذا الضجيج والعجيج فلفة لم يكن من الممكن للامم الاسلامية المقثلفة ان تهتم برسالة المثنوية كما انها لم تكن على استعداد ان تدرك حقائقها واسرارها فان الامة التي وجهت اليها رسالة "الذاتية" هذه لم تكن قادرة على فهمها وكان اقبال على علم بذلك فقد أبدى عن انطباعاته خلال تلك الفترة فقال بان الامة التي الفت المثنوية من اجلها لاتستطيع ان تدرك اعماق رسالتي فيها حتى انهالا تنتبه على صوتي ولا تستتع الى واما الشعوب التي لم اخاطبها في رسالتي هذه فقد ادركت اعماقها وسبرت أغوارها(٣٩)-

ويبدو من النقاش الذى جرى حول "اسرار الذاتية" ان اقبالاً كان متبرما من المتصوف الوجودى ولكنه كان من انمار التصوف الاسلامي الاصيل ولم يزل يؤيده حتى اخريات حياته والواقع انه قد تأثر في تحديد عقيدته بالمذهب القائل بوحدة الشهود الذى يعارض المذهب القائل بوحدة الوجود- انه كان شاعر النهضة الاسلامية ومفكرها ومن ثم كان من الواجب ان يرجع الى المنابع الاصيلة النقية من الشريعة الاسلامية وعليه فمن الممكن ان نقول بانه كان جوهرة من ذلك السمط الذى ينظم الائمة الاعلام من امثال الامام (ابن تيمية) والشيخ (احمد) مجدد الاف الثاني وظن النقاد الغربيون بان فلسفة اقبال انما هي صدى لافكار (نتشه) و فلسفة (برجون) والسبب في ذلك هو جهلهم بالفكر الاسلامي وتاريخه والحقيقة ان فكرة الانسان الكامل او الحياة المتطورة كانت توجد عند الصوفية والمفكرين المسلمين منذ قرون ويدل على ذلك ماجاء في مؤلفات (ابن باجه) و (ابن مسكويه) و (الجيلسي) و (جلال الدين الرومي) اننا اذا قارننا بين فكرة "البشر الفائق" عند (نتشه) وبين فكرة "المتوحد" فقد يمكن ان يذهب بنا الظن الى ان (نتشه) كان قد درس افكار (ابن باجه) المفكر المسلم الاندلسي في القرن

الثاني عشر الميلادى) فلاداعي الى المقارنة بين "الانسان الفائق" عند (نتشه) وبين (الانسان الكامل) عند اقبال- وذلك لان مؤلفات (ابن باجه) وعلى رأسها كتاب "تدبير المتوحد" و "كتاب اتصال العقل بالانسان" كانت قد ترجمت الى العبرية واللاتينية وكانت هذه التراجم متداولة في اوربا والمتوحد عند (ابن باجه) هو مثل "الانسان الفائق" عند (نتشه) الذى يترفع عن مصاحبة الانسان العادى ويهمل الشريعة الاسلامية ويؤمن بتسلسل التطور العقلي ورغم ان (ابن باجه) كان على العكس من فلسفة (نتشه) وكان يؤمن بالله ايمانا فلسفيا بصفته خالق الكون وربه الا ان المعارضين (لابن باجه) قد دسواله السم فمات مسموما في ١١٣٨م- ولعل اقبال لم يكن على علم بما كتبه (ابن باجه) والافانه كان بامكانه ان يذكر (ابن باجه) عند حديثه عن (نتشه)-

وكذلك فان اقبالاً كان متبرما من الانسان الغربي المعاصر كما انه كان متبرما من الانسان الشرقي المبت وانما كان يبحث عن انسان كامل في اصح معاني الكلمة وادقها كما كان الشيخ (جلال الدين الرومي) قد طلب "الانسان الكامل" وهذا ماجعل اقبال يستهل مثنويته بالابيات الشعرية التالية (لجلال الدين الرومي):

١) رأيت شيخا بالبارحة يهوم حول المدينة فأخبرني بأنه قد سئم السباع والثعالب وهو يبحث عن "الانسان"-

٢) وانا قد سئمت من رفاقي هؤلاء المتكاسلين المتباطئين وابحث عن انسان يكون اسدالله قوبا قاهرا على مثال علي ابن ابي طالب و (رستم) الممارع الابراني الشهير-

٣) فقلت له اناقد بحثنا عن انسان من هذا الطراز فلم نجده فقال لي: ان الانسان الذى لاتجدونه انتم هو الذى ابحث عنه الآن-

ان الانسان الغربي المعاصر انما هو انتاج التقدم المادى الذى حققته الشعوب الغربية وهذا التقدم تحقق بما اضيف الى الدخل الفردى على الاجمال وهذا الدخل الفردى كانت نتيجة للجهود التي بذلتها أوربا في اكثار الانتا بانواعه مما يغير وجة النظر نحو الحياة ونحو الاسلوب الفكرى وهذه الفكرة من التقدم تعتبر من المخترعات الغربية الفكرة التي ترجع الى التطور الذى استمر منذ النهضة العلمية الاوربية حتى الثورة الصناعية- ان هذا التطور المتواصل استطاع به الغرب ان يحول العالم كله الى سوق تجارية ومن هنا نشأ المجتمع التاجر في الغرب ثم هذا المجتمع التاجر استطاع ان يضيف الى ثروته وغناه باستغلال الشعوب المتخلفة المغلوب

على امرها وهكذا اصبح المجتمع الغربي مجتمعا متقدما-

وقد كان هذا التقدم التجارى سببا للعديد من التغييرات التي حدثت في هذا المجتمع الغربي المستغل ومن هنا كانت نشأة النظام الرأسمالي المستغل - ان صلاحية الانتاج المتزايد جعلت المجتمع الاوربي المستغل يطمع في التغلب على العالم كله وقد انتج النظام الرأسمالى الامبريالية التى ادت الى الاستعمار والاستغلال للشعوب المتخلفة وهذه التغييرات التى حدث في المجتمع الغربي قد سببت الصدام والتنافس بين الشعوب الاوربية نفسها وهكذا مهدت السبيل للحرب العالمية الاولى من ناحية وانشاء النظام الشيوعي في روسيا من ناحية اخرى فهذا هو الانسان الاوربي الذى عاصر اقبال- ذلك الانسان الوربي الذي كان انسانا جديدا يملك نزعات وميولا جديدة وهذا هو الانسان الاوربي الذي غيره التقدم العلمي الهائل حتى اصبح انسانا ميكانيكيا تاجرا وحيدا غضبانا واهنا لايقوم الاعلى رجل واحدة- انه كان يؤمن بقوة العلم والتكنولوجيا وسيطرتهما حيث كان هو انتاجا مباشرا لهما- ان هذا الانسان الاوربي كان يثق بالعقل الفردى والنشاط العملي ولم يكن يومن بدين وانما كان يؤمن بالحلول المادية لشئون الحياة كلها فقد كان هذا الانسان الوربي انسنانا متكبرا مستأثرا لايؤمن بالقيم الخلقية وانما كان يركز جهوده على تحقيق المتعة والسرور بالوسائل المادية في الحياة- انه كان رهينا للظروف المتغيرة دائما ولم يكن يملك شيئا من نصيبه في الحرية وانما كان عبدا للقضاء والقدر الناشئي من الجو الميكانيكي وعلى حد تعبير اقبال قد كان هذا الانسان الوربي مهين النطرة ذليل الطبيعة الى درجة جعلت الشيطان يتبرم منه لانه اي الانسان الاوربي لم يكن على علم باهمية الاباء والانكار وانما كان رهن اشارة الشيطان في حياته وان المجتمع الذى يشمل هذا النوع من الامراد لايؤمن الابازياد القوة السياسية والاقتصادية ولهذا السبب ظلت المجتمعات تتقاتل وتتناحر دائما ان الذى جعل اقبالاً يبحث عن "الانسان الكامل" انما هو العيوب و النقائص التي شاهدها اقبال في الانسان الاوربي المعاصر ان هذا البحث عن "الانسان الكامل" انما كان ضرورة عملية بالنظر الى هذه الظروف ومن ثم لم يكن "الانسان الكامل" عند اقبال هائما في فضاء الفلسفة والتصوف الوجودى وانما ادرك اقبال بنظره الصائب وعله الثاقب ذلك الرجل المؤمن في تاريخ المدنية الاسلامية- ذلك الرجل المؤمن الذى كان انسانا في أصح معاني الكلمة وأدقها وهو الذى يستحق ان يكون انسان المستقبل وقد اصاب الاستاذ (نكلسون) في ترجمته الانجليزية "اسرار الذاتية" حيث قال:

النهر الخالد

"ان مشاعر اقبال هذه انما هي مشاعر مسلم متحمس وان صلته المخلصة القوية بالاسلام قد جعلته يتمنى حكومة الاسلامية لاتوجد فيها عقبات من القومية او الوطنية تقف في سبيل المسلمين وتحول دورن ما يريدونه- ان اقبالاً يهدق الى انشاء مجتمع اسلامي حريكون مركزه بيت الله والذى يؤمن بالله ورسوله ايمانا قويا فهذا ما دعا اليه اقبال في "اسرار الذاتية" رموز الاذاتية"-

---

الفصل الثالث عشر

حياة الوحدة والعزلة

وكانت الحكومة الانجليزية في شبه القارة قد اتخذت موقفا متشددا عند اندلاع الحرب العالمية الاولى في اوربا ففي ١٩١٤م و ١٩١٥م عاش الفلاح المسلم حياة القلق والاضطراب في بنجاب كما ان الاجراءات الثورية للهدوكيين الارها بيين في بنغال كانت قد اخذت تشتد وبالاضافة الى ذلك بدأ (السيخ) المطرودون من بلاد امريكا وكندا يعودون الى الهند ويتظاهرون في الشوارع والاسواق وكانت الحكومة الانجليزية تخشى ان تتحول الاجراءات الارهابية الثورية والتظاهرات والاضطرابات الى عصيان عام و ثورة شاملة في الهند ونظرا الى ذلك انشئت (لجنة العصيان) في ١٩١٧م وكان الغرض من انشائها هو اتخاذ الاخطوات والاجراءات ضد المجرمين السياسيين-

وقبل نهاية الحرب العالمية الاولى بقليل حين تاكدت القوى الاتحادية من انتصارها أعلن رئيس وزراء بريطانيا (نويد جورج) في ٥/يناير ١٩١٨م بان الاتراك لمن يطردوا من المناطق التركية الاصلية اى مناطق أسيا الصغرى من الحقول الخصبة و (ثريث) وعاصمتهم (قسطنطنية) ولكن شعوب (ارمينيا) و (سورية) و (لبنان) و (العراق) و (الاردن) و (فلسطين) والعرب سوف تكون حرة في انشاء الدول القومية المستقلة في بلادها وفي ٨/يناير ١٩١٨م اعل الرئيس الامريكي (ولسون) نفس الاعلان ثم انشئت جمعية الامم فاعلت بانها هي ايجا سوف تضمن حرية الشعوب الضغيرة والستقلالها وسوف تدافع عنها هذا ما كان في الظاهر- اما ماتم سرا عند نهاية الحرب العالمية الاولى من الاتفاقيات السرية بين القوى الاتحادية المنتصرة فهو بالعكس فقد اتفقوا فيما بينهم على تمزيق تركيا العثمانية وتقسيمها- اما (ثريث) مع (ايدريا نوبل) فصارت من نصيب اليونان كما ان (سمرنا) ايضا انفصلت من اسيا الصغرى وانضمت الى اليونان واما قسطنطنية فاحتلها الانجليز واصبح السلطان الخليفة اسيرا في ايديهم وسلبوا السلطة منه- اما بقية المناطق من اسيا الصغرى فقد حرم الاتراك من الحكم عليها ايضا ولم يعودوا قادرين على الاقلية المسيحية لبلادهم واما (سورية) و (لبنان) فاحتلنها (فرنسا) كما ان الانجليز اغتصبوا العراق ومناطق الاردن و فلسطين- ان هذه المساومة التجارية التي تمت بين القوى الاستعمارية الاوربية

جعلت المسلمين الهنود يسجون ثقتهم في الحكومة الانجليزية وجعلوا يدركون الغدر والخيانة من الانجليز (١)-

واما التوصيات التي اعدتها (لجنة العصيان) عسن المتهمين او المجرمين السياسيين وقدمتها الى الحكومة الانجليزية لتحاكم وتعاقب هؤلاء المجرمين الساسيين فقد كانت تتضمن اعطاء السلطات فضلاً الجائزة التى لاحد لها للادارة والفرطة فقد سمحت هذه التوصيات للشرطة ان تقبض على اى شخص بدون بدر قانوني او تدخل اى بيت لتفتشه بدون اذن قانوني من المحكمة كما ان هذه التوصيات اقترحت العقوبات الشديدة الانتقامية ضد المواطنين واخيرا اصبحت هذه التوصيات مشروعا قانونيا- ذلك المشروع القانوني الذى عرف بقانون العصيان وتمت الموافقة عليه في ١٨/ مارس ١٩١٩م رغم معارضة شديدة من قبل المواطنين لقد عارض الزعيم الهندوكي (غاندى) هذا القانون بالتظاهرات والاضرابات عن العمل واما القائد الاعظم محمد على جناح) فقد استقال من عضوية المجلس الامبريالي لنائب الامبرا طور وبتطبيق قانون العصيان هذا بدأت سلسلة من الاجتماعات والتظاهرات تعارض القانون وتحتج عليه وكرد فعل قامت الحكومة الانجليزية بخطوات متشددة من الظلم والاضطهاد والقتل والنهب وامتدت هذه الخطوات حتى استوعبت اقليم بنجاب ايضا-

واما اقبال فقد عاش في هذه الضترة حياة العزلة والوحدة التي كانت قد بدأت فعلا منذ ١٩١٤م وعندماوجه (الشيخ شوكت علي) الدعوة الى اقبال بالنيابة عن جمعية الطلاب القدامى لكلية عليكره الاسلامية ليشارك في اجتماعها السنوى ردعليه اقبال قائلا (٢):

"يا اخي (شوكت) ان اخاك اقبالاً هذا قد اختار حياة العزلة والوحدة ويعتبر جدران منزله الاربعة سفينة نوح عليه السلام في هذا العصر من السيل المتدفق والفساد ورغم انه لايزال على ملة ما بالدنيا والهلها الا ان هذه الصلة امر لابدمنه من اجل اكتساب لقمة العين- وانت تدعوي الى (عليكره) بينما انا معتزل في (الله كره) اى "مدينة الله" وهذه المدنية لاتنتهي حدودها حتى ولومنح الانسان اضعافا مضاعفة من الاعمار" ان الظروف والاوضاع اشتدت اضطرابا وفسادا في ١٩١٩م فكان الناس يخرجون متظاهرين محتجين على القانون الظالم كل يوم في لاهور وكان حاكم بنجاب حينذاك الانجليزي الطاغية (مايكل ايدوائر) الذى كان متشددا في ادارته وسياسته نحو هذه التظاهرات الشعبية وهذا (خالد نظير صوفي) يحكي لنا عن تظاهر شعبي في لاهور على لسان امه

التي كانت ابنة اخي اقبال فيقول(٣):

"كنا نازلين بمنزلنا في سوق (انارکلي) وذات يوم خرج الناس في موكب عظيم مربالسوق فرأينا عددا كبيرا من الشبان قد ربطوا على سواعدهم قطعا من الثياب سوداء وهم يهتفون هتافات صارخة ضد (قانون العصيان) فوقفنا نحن جميعا على الشبابيك نشاهد الموكب وبعد لحظات ارتفعت اصوات صارخة من ناحية السوق فتقد منا نحو الشبابيك مرة اخرى بسرعة فشاهدنا منظرا مؤلما ترتعد له النفوس وتقشعر الجلود فقدرأينا عربات عسكرية ملئية بجثث القتلى التي كانت ملقات في سيارات الجيب بدون اى ترتيب وكانت العربات تمر من السوق مرا بطيئا وكانت الاصوات ترتفع صارخة تقول بان الموكب الشعبي قد اطلقت عليه الناروان عددا من الشبان الذين كانوا قد مروا من السوق قبل بضع لحظات وهم يهتفون ضد قانون العصيان قد اصبحوا جثثا هامدة متلطخة بالدماء وكان الناس يبكون وينتحبون حيثما مربهم موكب جثث الشهداء فرأينا وجه عمنا (اى اقبال) وقد احمر غضبا وحزنا وقدظهرت مشاعر قلبه الحزين على وجهه الكئيب وكانت زوجة عمنا (اى ام جاويد اقبال مؤلف هذا الكتاب) تبكي وتستعبر وتنتحب ثم قالت للعم وهي تستعبر باكية: كم شاباً اكباد الامهات المسكينات قد قتله هؤلاء الشياطين الظالمون وكان العم جالسا ساكتا مكبا على وجهه ثم رفع راسه في شئي من البسطء في لهجة حزينة وبصوت منألم يقول: هذا ما اراده الاله مولاى وليس في مقدرة احد منا ان يعصي امره الا انني على ثقة ويقين بان الضحايا التي قدمتها ارواح هؤلاء الشهداء لن يذهب هدرا انهم قدموا تضحية من الدماء ولارواح من اجل الحرية والاستقلال الوطني قال اقبال هذه الكلمات ثم خفض رأسه فرأينا وجهه وعيناه مخضلتان بدموع مترقرقة متلألئة"۔

وفي ١٣/ ابريل ١٩١٩م عقد اجتماع شعبي في حديقة (جليانواله) بمدينة (امرتسار) اشترك فيه جموع من (السيخ) و (الهنادكة) والمسلمين وفي هذا الاجتماع احتج الشعب على "قانون العصيان" وكان قائد انجليزى مسئلا عن ادارة المدينة واسمه (جنرال دائر) وكان ظالما متشدداً طاغية فامر الجنود فاحاطوا بالحديقة ثم امر باطلاق النار على الجموع المحتشدة بدون مبرر او تمييزومات مئات من الابرياء في تلك الحديقة (وهذا الحدث الفظيع يشبه حادث "دنشواي" في تاريخ مصر) وعن هذا الحادث يحدثنا السير (جون سميث) في كتاب عن حياته الفه بنفسه (٤) فيقول بان (جنرال دائر) هذا كان قد خرج في صباح ١٣/ ابريل ١٩١٩م على رأس كتيبة من الجنود يتجولون في شوارع (امرتسار) وكان قد اعل على صوت

ضرب الدفوف بان الاجتماع او التظاهر فعل لا يسمح به القانون فاذا عقد اجتماع او خرج الناس متظاهرين فان جنوده سيطلقون النار على المجتمعين والمتاظاهرين وعاد (الجنوال) الى مقره العسكرى فابلغته المخابرات بأن الناس لم يحفلوا بما اعلنه هو وانهم سيعقدون اجتماعا شعبيا في ميدان محدود بالجدران يعرف بحديقة (جليانواله) فقرر القائد الانجليزى المجنون ان يعارض هذا التحدى الشعبي فاختار كتيبة صغيرة من الجنود من الشبان الهنود ليذهب بهم الى حديقة (جليانواله) وكان هو نفسه على قيادة الكتيبة وعند ما وصل الى الحديقة رأى اجتماعا شعبيا يضم من عشرة آلاف الى عشرين الفامن الناس وكان الزعماء الثوريون يلقون كلماتهم الثائرة ولم يكن من الممكن للسيارات العسكرية المسلحة ان تتقدم نحو الحديقة فأخذ القائد الانجليزى المجنون خمسين جنديا معه فدخل الحديقة فثارة الجموع الشعبية حين رأواالجنود يتقدمون نحوهم مماجعل (الجندال دائر) يأمر باطلاق النار عليهم بدون انذرار سابق فاطلق الجنود الفاً وست مائة وخمسين رصاصة على امرمن (الجندال) كل جندى قد اطلق خمسا وثلاثين رصاصة فساخذت الجموع تتخبط وحاول الكثيرون منهم ان يصعدوا على جدران الحديقة وينجوا بنفوسهم ولكن بدون جدوى وكانت اصوات الرصاصات الصارخة تخرق الآذان في القطعة الارضية المحاطة بالجدران ولم يكن من الممكن للجنود ان يستمعوا الى امر وقف اطلاق النار في الضجيج والعجيج والاصوات الصارخة من الجموع المحتشدة- اما الذين قتلوا او جرحوا في هذا الحادث الفظيع المروع فلم يتمكن احد حتى اليوم ان يقدر عددهم ولكن التخمين او القياس يقول بان عدد القتلى كان ثلاث مائة قتيل وكان عدد الجرحى الف وثلاثمائة جريح وفوق ذلك كله فان احدا من الناس لم يستطع ان يرفع جثث القتلى والجرحى من الحديقة(٥)- وتاثر اقبال بالحادث فانشد قائلا ما معناه:

١) ان كل من يزور الحديقة تقول له ارضها الطاهرة صارخة: لاتكن غافلا عن صروف الليالي ومكائد الافلاک!

٢) ان اشجار هذه الحديقة قد رواها دماء الشهداء فلا تبخل بد موعك على الاقل لترويها بها-

وعقب حادث حديقة (جليانواله) كان (مايكل ايدوائر) قد امرباعلان الحكم العسكرى في اقليم بنجاب واما ماواجهه الطلاب والشعب من خطوات الارهاب والاضطهاد خلال الحكم العسكرى فان (عاشق حسين بتالوى) الذى

كان موجودا في (لاهور) في ذلك الوقت يفصل القول في كتابه عن ذلك قائلا (٧):

"كان (مايكل ايدوائر) هذا قد اعلن الحكم العسكرى في (لاهور) و (قصور) و (امرتسار) و (كجرات) و (كوجرانواله) و (شيخوبوره) و (لائل بور) وغيرها من المدن وارتكب من الفظائع من الظلم والاظطهاد مالا نظيرله في تاريخ الهند الا المجازر ومشاهد القتل والنهب التي شاهدتها الهند في ١٨٥٧م فكانوا يقبضون على الاطفال الابريائ وسنهم لا تتجاوز أربع عشرة سنة فيشدونهم على خشبة ويلهبون ظهورهم بالاسواط وكانت عقوبة الشخص الواهد عشرين سوطا رغم ان الجلود البشرية مهما كانت قوية شديدة تسلخ لست اسواط فقط والاطفال الابريائ يغشى عليهم والاسواط تضربهم وكان الانجليز يختارون كرام الناس من كل حارة او زقاق فيقبضون عليهم فيسحبونهم على الارض بكل ذل وهوان وان المواطنين الذين كان بلكانهم على اساس مواهبهم ان يصبحوا قضاة في القضاء العالى او وزراء للاقليم كان الجنود الانجليز يقبضون عليهم ويضربونهم ثم يلقونهم في زنزانات لايدخلها الا المجرمون الذين صدر الحكم باعد امهم وكان الصيف شديد الحرفي شهر مايو فامرالانجليز طلاب الكليات في لاهور ان يخرجوا من مساكنهم وهم يحملون متاعهم وعفشهم على رؤسهم وان يقطعوا مسافة ستة عشر ميلا اربع مرات كل يوم ثم يعودوا الى لاهور فيسلموا على العلم البريطاني راكعين بين يديه وامروا المواطنين من سكان لاهور ان يسلموا مايملكون من السيارات والدراجات والمراوح الكهربائية والمصابيح الكهربائية الى الجيش البريطاني وكان كل طفل من طلاب مدرسة ابتدائية قد امر ان يقف في شمس محرقة بين يدى ضابط عكسرى فيعلن قائلا: ياسيدى انا لم ارتكب جريمة وانا أتوب اليك واننا لن نوتكب جريمة اوخطئ في المستقبل وذات يوم رأى الانجليز موكب عرس فقبضوا على جميع الشاركين بما فيهم العريس والعروس فضربوهم بالاسواط واصدروا الامر يمنع المواطنين من السفر بالقطار وهتكوا اعراض النسوة علانية وخصصوا شارعا في المدينة وامروا كل مواطن ان يمرمن الشارع ماشيا على بطنه ويراقبه جندى انجليزى وفي يده يندوق فاذا توقف الشخص المار على بطنه كان الجندى يضربه بالبندوق على ظهره وكانوا يلصقون الاعلانات عن اوامر الحكم العسكرى على ابواب منازل المواطنين البارزين في المدينة وكانوا أمرونهم ان يحافظوا عليها فاذا خالف احد الاعلان او ازاله من مكانه فكانوا يقبضون على صاحب المنزل- وهذا مما جعل اصحاب المنازل يقفون على ابواب منازلهم لكى يحافظوا على تلك الاعلانات اللصقة على أبواب منازلهم صيانة لعرضهم وكرامتهم رغم ان هذا العمل لم يكن

اقل ذلا واهانة ويقال ان شخصا كان قد الصق اعلانا مطبوعا على الجدار الخارجي لكلية (ديال سنغ) بلاهور وكان الاعلان يحمل اشياء تسئي الى الحكام في رأى الجنود الانجليز وقوبة لهذه الجريمة قبضوا على عميد الكلية المسكين وصد امر ينص على ان أى شخص من المواطنين اذا كان راكبا سياره اوعربة فيجب عليه ان ينزل كلما رأى و حيثما رآى انجليزيا ويسلم عليه بكل خضوع وتكريم ويحكى ان الانجليز جسوا خمسة وعشرين شخصا في غرفة طولها خمسة وعشرون قد ما وعرضها اثنا عشر قدما فقط وذلك في شهر مايو في الصيف الحار فبقي المساكين اسبوعا كاملا في تلك الغرفة الضيقة القذرة حتى ان الانجليز لم يسمحوا لهم بالخروج من اجل قضاء الحوائج الطبيعية وفي مدينة (قصور) اعلن الانجليز بان الذين كانوا قد خرجوا من المدينة في ١٠/ ابريل ١٩١٩م اوقبل ذلك اذا لم يعودوا خلال اربعة ايام فان الحكومة الانجليزية ستصادر ممتلكاتهم وعقارهم وحين عرض المتهمون امام القضاة العسكريين للمحاكمة لم يسمح لهم بتعيين المحامين ليدافعوا عن قضايا هم واما العقوبات التي اعلنها هوؤلاء القضاة العسكريون ضد المتهمين فلم يكن شئي اقل من الاعدام شنقا او الجسن الدائم المؤبد فيقال ان سبعة وعشرين رجلا حكم عليهم بالاعدام كما ان ثلاثة عشر رجلا منهم حكم عليهم بالسجن المؤبد في مدينة (قصور) وحدها وفي مدينة (كوجرانواله) حكم عل خمسة من المتهمين بالاعدام- كما ان عشرة منهم حكم عليهم بالسجن المؤبد وفي مدينة (حافظ آباد) حكم على اربعة بالاعدام وعلى خمسة عشر بالسجن الموبد وفي مدينة (نظام آباد) اعدم اربعه وحكم على ثمانية بالسجن الموبد- اما في مدينة (امرت سار) فاعدم خمسة وثلاثون رجلا وحكم على خمسة عشر رجلا بالسجن الموبد وهكذا حكم على المواطنين في المدن والقرى كبيرها وصغيرها بعقوبات رهيبة لانظير لها ويقال ان احدا من المتهمين حكم عليه بالسجن المبؤبد ولم تكن له جريمة الا انة قال وهو يخاطب ضابطا من ضباط الشرطة: "انتم خواننا ونحن اخوانكم فتعالوا نلتقي معا "وحدث ذلك كله على مرئ ومسمع من الحاكم مايكل ايدوائر) وعلى امر وموافقة منه"-

ويحدثنا (عبدالمجيد سالک) قائلا (٩):

"وهكذا اصبحت البلاد كلها مشهدا للضجة والاضطراب من الاحتجاج والبغض والنفور وكان الناس في ذلك سواء لايفرق بينهم دين ولا عقيدة- اما المسلمون فكانوا قد اصيبوا بجرح اليم أعمق وانكى من الفظائع التي ارتكبت في حديقة (جليانواله) وفي اقليم بنجاب وكان هذا الجرح الاليم هي هزيمة (تركيا)

وكان المسلمون يخشون بأن النسور الفرنجية المحلقة حول عرش الخلافة الاسلامية قد تأتي على حرية الاتراك العثمانيين واستقلالهم"-

وفي نهاية هذه السنة نفسها افرج عن الشيخ (محمد علي جوهر) بعد سجن دام اربع سنوات فوصل الى (لكنو) في ٢٢/ سبتمبر ١٩١٩م ليشارك في اجتماع المؤتمر الاسلامي الهندى وفي هذا الاجتماع الذى عقد من اجل الاحتجاج والادانة اعلن عن انشاء مؤتمر الخلافة وي ٢٣/ سبتمبر ١٩١٩م عقد اجتماع في مدينة (دلهي) شارك فيه (غاندى) مع عدد من الزعماء الهنادكة وفي هذا الاجتماع اصدر مؤتمر الخلافة قراراً يدعو المسلمين ليخرجوا متظاهرين ضد تمزيق (تركيا) والحظر على سلطة السلطان الخليفة العثماني واحتلال غير المسلمين للاماكن الاسلامية المقدسة الى جانب عدم التعاون مع الحكومة الانجليزية ومقاطعة المتتوجات البريطانية (١٠) ثم وصل (الشيخ محمد علي جوهر) الى لاهور بصفته قائدا لحركة الخلافة وزرا اقبالاً في منزله في سوق (انارکلي) وكان اقبال حينذاك جالسا في عرفة الضيوف وعليه بطانية صوفية وهويد خن النرجيلة وكان على صلة عميقة بالشيخ (محمد على جوهر) فراٰه الشيخ فقال وهو يداعبه "ايها الظالم انت الذى تقول لشعر فنقرأه فيقود نا الى الثورة فالسجن حيث نعالج الصعوبات من القيود والاصفاد واما انت فلاتزال هكذا جالسا لابسا بطانية صوفية مدخنا النرجيلة كأن لم يحدث شئي؟ فرد عليه اقبال ردا مرتجلا: يا مولانا انما انا منشد كورسي شعبي فاذا شارك المنشد القوم في وجده وتأثر بذلك فماذا بقي من الانشاد والمنشدين (١١) على كل حال فان اقبال شارك في بعض اجتماعات مؤتمر الخلافة كما قبل عضوية اللجنة الاقليمية لمؤتمر الخلافة بتلك المناسبة(١٢)-

وفي شهر ديسمبر ١٩١٩م عقدت اجتماعات لمؤتمر الخلافة والكونجرس واشترك فيها الشيخ (محمد على جوهر) و (شوكت علي) و (غاندى) و (موتي لال نهرو) والاٰخرون من الزعماء الكبار وذهب اقبال والميرزا جلال الدين في سيارة الامير (ذوالفقار على خان) الى مدينة (امرت سار) للحضور في اجتماع مؤتمر الخلافة وحين دخل اقبال حلقة الاجتماع وعانق (الشيخ محمد على جوهر) و (الشيخ شوكت علي) ازداد تحمس المواطنين ونشاطهم حتى اصبح مشهدا مثيرا غريبا جدا وكان معظم المواطنين يبكون وينتحبون وبتلك المناسبة انشد اقبال ابياتا شعرية وهويخاطب الاخوين جوهرين وقد جائت هذه الابيات في "صوت الجرس" وعنوانها "الاسرار" وكان اقبال قد نظم هذه الابيات الشعرية في نفس اليوم وهو متجه نحو مدينة (امرت سار) في السيارة(١٣)-

وفي ديسمبر ١٩١٩ عقد اجتماع شعبي خارج باب (موتشي) بمدينة لاهور وترأسه السير (فضل حسين) وذلك تنديدا و احتجاجا على موقف القوى الاتحادية نحو تركيا وفي هذا الاجتماع انشد اقبال بيت شعر للشاعر (اكبر اله اٰبادى) فقدم قرارا (١٤) في الاجتماع:

ومعني البيت: ان الضاحك سينتهي ضحكه كما ان الباكي سينتهي بكاؤه كذلك فعليك ان تذكر الله بقلب مطمئن وسكينة شاملة فان الذى يحدث الاٰن سينتهى يوما، واما القرار فهو كمايلي:

"ان مسلمى لاهور يبدون في اجتماعهم العظيم هذا عن قلقهم واضطرابهم عما تقرر في مؤتمر (باريس) للصلح حول الدولة العثمانية وخليفة المسلمين وان المسلمين يذكرون الحكومة بودوها عن تركيا العثمانية التي اعلنها (السيد نويد جورج) رئيس وزراء بريطانيا و هويخاطب العالم الاسلامي في يناير ١٩١٨م كما انهم يلفتون انظار العالم الى مبادئ مؤتمر (باريس) للصلح التي اعلنها الرئيس (ولسون) تلك المبادئ التي انتهت بها تلك الحرب الكبرى وانهم يرجون بكل الحاح واصرار ان يتم الصلح مع الدول الاسلامية على نفس المبادئ التي تم عليها الصلح مع الدول المسيحية المعادية للقوى الاتحادية وانه لا يجوز احتلال اية منطقة اوجزء من تركيا العثمانية صراحة او كناية مباشرة أو بوسائط"-

والقى اقبال كلمة بهذه المناسبة أيدفيها القرار فقال:

"ان الامة التي كانت أمة رائدة للحرية والاستقلال للعالم البشرى أسماً قد اصبحت حريتها في معرض الخطر اليوم وقد بدأت الجهود والمحاولات من اجل القضاء عليها اغتصاب حريتها- ان هذه الامة قد نادت بالوحدة والمساواه بين البشر حين لم يكن احد يعرف حقوق الانسان ولم يكن احد يعترف من الناس بحرية البشرية وكرامتها- اكم لتعرفون ايها المسلمون الظروف والاوضاع في العالم حين بعث خاتم الانبياء صلي الله عليه وسلم في بلاد العرب- ان استبداد قيصر وتشدده في قسطنطنية كان يزهق الشعوب الاوربية كهلا ويضطهدها اضطهادا ففي تلك الظروف أعلنت الرسالة الاسلامية اعلانا واضحا باخلاص الطاعة والعبادة الله وانه لا طاعة ولا عبادة لمن سواه- ان عقيدتكم الدينية هي التي تأمركم بتحرير البشرية وتكريهها- ان الانسان لم يستطع يوما ان يحقق ما يريده بالتملق والالتماس والسوال بالتضوع والتخشع- اننا لانؤمن بطاعة احد غير الله وليس لنا ان نطيع احدا غير الله ويجب ان نتذكر دائما بان الامة التي خلقت من اجل الهدف السامي العظيم لايمكن القضاء عليها ولاشك ان الدول والممالك تنقضي وقد تتلاشى وقد نادى الانسان اليوم بحقوقه الاسلامية

الطبيعية- ان تاريخكم حافل بالضحايا والامجاد البطولية وان الرئيس (ولسون) كان قد اعلن اربعة عشر مبدأ وهذه المبادئ هي التي كان المفروض ان تقرر مصير الظروف الراحنة التي كانت نتيجة الحرب العالمية الاولى وقد كان من بين هذه المبادئ ان من حق كل امة ان تقرر مصيرها وان حكومتنا البريطانية الحاضرة كانت قد اعلنت اكثر من مرة بانها تقاتل من اجل الحق والعدل والصدق وان حربها انما تهدف الى الاحترام بالاتفاقيات الدولية وكذلك نحن نطالب اليوم بالاحترام لحقوقنا الاساسية وان لايسلبها احد"-

وقد قرر مؤتمر الخلافة في اجتماعه جمع التبرعات لصندوق الخلافة وقدرها مليون روبية وكان المفروض ان ينفق هذا المبلغ على تكاليف السفر لوفد الخلافة المقرر ارساله الى (انكلترا) ليعرض ما يطالب به المسلمون الهنود على حكومة بريطانيا لابقاج الخلافة العثمانية واستمرارها (١٥)-

وفي اثناء ذلك دخل الشيوخ ورجال الدين في مجال السياسة العملية واصدرت منظمتهم التي عرفت بجمعية العلماء المسلمين الهنود الفتاوى تؤيد بها قرارات مؤتمر الخلافة (١٦) وهذه الاجتماعات أدت إلى إيجاد الوحدة بين مؤتمر الخلافة والكونجرس والعلماء والزعماء المسلمين وعامة الناس واعترف جميعهم (بغاندى) كقائد اعلى للشعب الهندى-

ورغم ان اقبالاً كان عضوا في اللجنة الاقليمية لمؤتمر الخلافه الا ان الخلافات بينه وبين زعماء المؤتمر قد اشتدت وترجمع إلى امرين أولهما: ان اقبالاً لم يكن يوافق على ارسال وفد الخلافة الى انكلترا وكان قد بعث رسالة في ٢٧/ سبتمبر ١٩١٩م الى (سيد سليمان الندوى) يوضح فيها موقفه ويقول بأن الوقائع والحوادث واضحة لاتحتاج الى أي وضوح أوبيان إلا أن المسلمين الهنود البسطاء السذج لايدركون حقيقتها حتى انهم يرقصون بما يشير عليهم (اٰغا خان) في لندن (١٧) والواقع ان حكومة بريطانيا كانت تريد تحقيق اغراضها الخاصة وتطلب وفد الخلافة الى لندن وكان (اٰغا خان) قد اصبح اداة في ايديهم لتحقيق هذا الهدف وعلى حد تعبير (سيد سليمان الندوى) كان مؤتمر الخلافة قد انشئي على مثل هذا الأساس فقد أقنع (اٰغا خن) (مشير حسين قدوائي) بضرورة المؤتمر وهو الذى كتب إلى الشيخ (عبدالبارى فرنكي محلى) وأقنعه بضرورة المؤتمر ومع هذه الرسالة نفسها كان اقبال قد بعث البيات التالية الى (سيد سليمان الندوى) لينشرها في مجلة "معارف" وكان قد طلب اليه أن يقترح عنواناً مناسباً لها- فاذا رأى ان الابيات الشعرية ليست في مستوى مجلة "معارف" فليرجعها اليه ومعناها:

١) انك قد اختبرك غيرك كثيرا اما اليوم فقد حان الوقت لتختبر انت نفسک-

٢) الست على علم بالتاريخ ودروسه حتى بدأت تشحذ الخلافة منن الاعداء؟

٣) ان السفطة التى لايشتريها المسلم بدمه و روحه فانها عارعليه-

٤) انني لست ارى عيبا او عارا في التكسر او المرض ولكنني ارى العيب كل العيب والعار كل الاعارفي ان نطلب دواء التكسر او المرض وعلاجهما من الاعداء (١٨)

اما السبب الثاني الذى جعل اقبالاً يخالف قادة مؤتمر الخلافة ولايشاركهم في الاجراءات الشعبية فهو ان اقبالاً كان يعارض التعاون بين الهنادكة والمسلمين في حركة الخلافة وذلك لانه لم يكن من الممكن بناء القومية المتحدة على أساس العداوة للانجليز فحبه وبدون اتفاقية تجمع بين الهنادكة والمسلمين كأمة اوشعب وبالاضافة إلى ذلك فان إقبالاً كان يخشى ان يستغل دعاة القومية المتحدة هذا الجومن التعاون والاشتراك بالاضافة الى بساطة المسلمين وسذا جتهم كان بامكان دعاة القومية المتحدة ان يقضوا على المسلمين كامة مستقلة حتى ينعدم وجودها وان ذلك سيكون سببا لندامة المسلمين ويأسهم فيما بعد وبسبب هذه الخلافات كان اقبال قد استقال من العضوية للفرع الاقليمي لمؤتمر الخلافه وعن ذلك بعث اقبال رسالة الى (محمد نياز الدين خان) في ١١/ فبراير ١٩٢٠م يوضح فيها موقفه قائلا(١٩):

"وارجوك ان تبلغ اسلامي الى حضرة (الجرامي) فقد ابلغت عنه بانه غضبان على حيث استقلت من الفرع الاقليمي لمؤتمر الخلافة فاذا أتيح له أن يزور لاهور فانني سأخبره عن الظروف التي أدت إلى انشاء هذا الفرع الاقليمي والاهداف التي أرادها بعض اعضاء الفرع ونظرا الى ذلك فان انشاء هذا الفرع كان خطرا على المسلمين فيما أراه أنا"-

وفي هذه الفترة نفسها كان ابن شقيق اقبال (شيخ اعجاز احمد) قد انضم فيمن انضم من الشباب الى حركة الخلافة واخذ يقوم بالنشاطات القوية في ذلك المجال فذكر شقيق اقبال ذلك فرد عليه اقبال عن ذلك قائلا (٢٠):

"كان يجب على (اعجاز) ان يستقل في مهنته قبل كل شئي ثم كان بامكانه ان ينضم الى الحركات الوطنية ولا امنعه ان يعمل من اجل الخلافة لان ذلك يرجع الى ما يشعربه كل انسان في داخل ضميره وقلبه ولكن يجب عليه ان يتقن مهنة

ماقبل كل شئي لكى يتمكن من اكساب الرزق وبالاضافة الى ذلك فان جميع اعضاء الفروع المحلية ليسوا من الموثوقين ويبدو عليهم كأنهم مسلمون متحسون اشد مايكون- اما في الحقيقة فانهم إخوان الشياطين وهذا مما جعلني أستقيل من أمانة الفرع الإقليمي لمؤتمر الخلافة- أما أسباب استقالتي فلم يكن من الممكن إعلانها العام إلا أنها لوأعلنت لأدهشت الكثيرين من الناس إدهاشا كبيرا"-

على كل حال فان وفد الخلافة الذى كان يضم الشيخ (محمد على جوهر) و (السيد سليمان الندوى) و (سيد حسين) و (محمد حيات) وغيرهم قد وصل الى لندن ليوضح موقف المسلمين الهنود نحوالخلافة واهميتها لحكومتي بريطانيا وفرنسا وكان الوفد يطالب باستبقاء الخلافة العثمانية واستمرارها الى جانب تسليم مناطق سورية وفلسطين والاردن والعراق والحجاز الى الخلافة العثمانية واستمرارها الى جانب تسليم مناطق سورية وفلسطين والاردن والعراق والحجاز الى الخلافة العثمانية وذلك نظرا الى الحاجات الدينية والسياسية للعالم الاسلامي وايضا فان الوفد سافر إلى (باريس) ولكنه عاد فاشلا في تحقيق ماأراد وكان اقبال قد نبه إلى هذا المصير قبل أن يسافر الوفد فكتب الى (سيد سليمان الندوى) رسالة قال فيها أن الرد المتوقع من وزراء انكلترا هو نفس الرد الذى يتوقع في مثل هذه الظروف وهوكما ينص عليه القرآن الكريم "أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون" فان فرعون وقومه كانوا قد رفضوا الايمان بنبوة موسى وهارون عليهما السلام لانهما كانا بشرين مثلهما وكان قومهما الرعايا العبيد لفرعون وقومه (٢١) ومما يؤسفنا ان وفد الخلافة هذا لم يحاول ان يطلع على موقف الأتراك والعرب نحو القضية فان العرب لم يكونوا يحبون حكومة الخلافة العثمانية وانما كانوا يحلمون بدولة عربية موحدة حرة مستقلة وهذا ما كان يعرفه الأتراك فلم يكونوا يرضون بانضمام المناطق العربية الى الدولة التركية وانما كانوا يريدون الاحتفاظ بوحدة (تركيا) واستقلالها لتبقى دولة حرة سائدة مستقلة اما الانجليز فكانوا يودون أن يستمبر احتلالهم للقسطنطنية وان يحكم عليها الخليفة العثماني بالاسم ويكون لعبة في ايديهم يقوم بتحقيق مايريدونه من الاهداف-

وفي مايو ١٩٢٠م رضي الخليفة العثماني باتفاقية (سيفرى) التي كان الغرض منها تقسيم تركيا وتمزيقها- اما المسلمون في الهند فقد أثاروا ضجة ضد هذه الاتفاقية ومن ناحية اخرى كان (مصطفى كمال باشا) قد انشاء حكومة تركية مستقلة في (الاناضول) واعلن الحرب ضد اليونانيين والانجليزمعا-

وكان مؤتمر الخلافة قد نظم التظاهرات ضد اتفاقية (سيفرى) وفي اثناء ذلك

كان (الشيخ ابو الكلام آزاد) قد أفرج عنه فوصل الى (كلكتة) حيث القي كلمته المشهورة حول عدم التعاون مع الحكومة الانجليزية وكان زعماء الكونجرس الهنادكة قد اخذوا يويدون مايطالب به مؤتمر الخلافة من الاحتفاظ بالخلافة واستبقاء هاوفي أواسط ١٩٢٠م اعلى الجزبان اعلانا مشتركا عن عدم التعاون او ترك الموالاة وايدهما خمسمائة من رجال الدين الذين افتوا بعدم التعاون مع الكفار وكان يقود هولاء الشيوخ (الشيخ محمود الحسن) الذى كان قد عاد من (مالطا) بعد ان افرج عنه وكانت حركة عدم التعاون او ترك موالاة الكفاء تعني ارجاع الالقاب- والتنازل عن الوظائف الحكومية والعسكرية والاستقالة عن عضوية المجالس ومقاطعة المحاكم والاشياء المستوردة من بريطانيا الى جانب مقاطعة المعاهد التعليمية التي كانت تقبل مساعدة مالية من الحكومة وكانت الحركة تطالب باعادة النظر في الاتفاقية واستقلال الهند وكانت هذه الحركة حركة قوية جدا اشترك فيها الزعماء السياسيون من الهنادكة والمسلمين وطافوا في اقاصي البلاد وأدانيها كما انه قد تم الاعتراف (بغاندى) زعيما وحيدا للهند كلها-

ان القصة الداخلية لهذا التوحيد بين الهنادكة والمسلمين جديرة بالاهتمام- فان الزعماء الهنادكة قد تعاونوا مع المسلمين في قضية الخلافة الا ان الهنادكة بطبيعة الحال لم يكونوا يهتمون بالخلافة والاحتفاظ بها أو الدفاع عنها فان بعض الزعماء الهنادكة التعصبين المتطرفين من امثال (لاجبت رائي) و (بيسى بال) كانوا قد ابدوا عن ارتيابهم وتشكيكهم في حركة الخلافة منذ البداية فقد كان (بيسى بال) كانوا قد ابدوا عن ارتيابهم وتشكيكهم في حركة الخلافة منذ البداية فقد كان (بيسى بال) الزعيم الهدوكي المتطرف يقول في مقالاته الصحفية بان حركة الوحدة الاسلامية قد اصبحت مشكلة كبيرة وخطيرة جدا وبامكانها ان تؤثر في القومية الهندية الموحدة والا مبريالية الهندية الموحدة والا مبريالية البريطانية على السواء فاذا لم تتعاون القومية الهندية الموحدة والامبريالية البريطانية فيما بينهما فان الحركة الانفصالية من الوحدة الاسلامية سوف تحقق أهد افها ونجاحها ونظرا الى هذه الخلفية فان التحمس والنشا طالذين ظهرا عند المسلمين من اجل تحرير الهند واستقلالها لايخلو من الارتياب والشبهات-(٢٢)

وقال الشيخ (محمد على جوهر) وهويرد على ذلك بان الزعماء الهنادكة المتطرفين في التعصب من امثال (لاجبت رائى) والعدو اللدود للوحدة الاسلامية (بيسين جندر بال) قد لايستطيعون ان يفهموا المصطلحات الاسلامية ولايدركوا

حقيقتها ولكن الواقع ان المسلمين قد وافقوا على التعاون مع القومية الهندية الموحدة على اساس بضعة شروط- إن هؤلاء الزعماء الهنادكة لايعرفون بأن الذى يسمى (بان اسلامزم) أو (الوحدة الاسلامية) هو الاسلام بعينه عند المسلمين ولعل (لاجبت رائى) يرى بأن الحرية أو الحكومة المحلية تعنى الاستقلال الكامل ولكن المسلمين يرون بان الحكم المحلى ليس بشئي إذالم يكن معه حرية الدين والعقيدة (٢٣)-

على كل حال فان جمعية العلماء المسلمين الهنود اصدرت الفتوى بان الهند قد صبحت "دارالحرب" وعلى المسلمين ان يهاجرومنها الى بلد اسلامي اٰخر وذلك لان شروط الصلح مع (تركيا) لاتمثل ارادة الشعب المسلم الهندى وظهر اعلان في صيف ١٩٢٠م يقول بان المسلمين يجب ان يهاجروا من الهند ويسافروا الى افغانستان (٢٤) ونتيجة لهذه الفتوى خرج الاٰلاف المؤلفة من الفلاحين المسلمين من (السند) و (بنجاب) و (سرحد بعد ان باعوا منازلهم وممتلكاتهم واراضيهم للهنادكة بأرخص الأثمان وأخذوا يتقدمون نحو مضيق (خيبر) ومعهم اسرهم ونساؤهم واولادهم (٢٥) ولإقبال رسائل تنص على تحرك المهاجرين وأسفارهم ومنها رسالة كتبها في ١٢/ يوليو ١٩٢٠م الى (الجرامي) وقال فيها (٢٦):

"ان مشهد المهاجرين السنديين المتجهين الى (كابل) كان مشهدا مثيرا للغاية فقد حرج الاٰلاف المؤلفة من المسلمين لاستقبالهم وان أهل لاهور رحبوا بالمهاجرين ترحيبا حارا"-

وقال اقبال في رسالة اخرى بعث بها الى الاستاذ (محمد اكبر منير) في ٤/ اغسطس ١٩٢٠م (٢٧):

"ان المهاجرين المسلمين المتجهين من الهند الى افغانستان وخاصة من إقليم بنجاب لايمكن إحصاؤهم فقد هاجرما يزيد عن عشرين ألف شخص حتى الاٰن"-

والواقع أن الفتاوى المؤيدة لحركة الهجرة والتي اصدرتها جمعية العلماء المسلمين الهنود قد اصبحت سببا للدمار والشقاء والفقر والا فلاس وخاصة لمسلمي المناطق الشمالية الغربية للهند فقد كانت افغانستان دولة متخلفة ولم يكن نامكانها ان ترحب بهذا العدد الضخم من المهاجرين المسلمين والنتيجة ان الحكام الافغان اسروا باغلاق الحدود ومنع المهاجرين المسلمين من الدخول فكان لابد للمهاجرين المسلمين ان يعودوا ادراجهم ويلاقوا من الصعوبات والمشاكل مالا يعد ولايحصى

فهذا (روش بروك وليام) يحدثنا عن ذلك بان جاني الطريق العامة من (كابل) الى بشاور كانا قد اصبحا مقابر للشيوخ والنساء والاطفال الذين لم يطيقوا السفر وصعوباته وعند ماوصل المهاجرون الى قراهم في الهند لم يكونوا يملكون حولا ولاطولا حيث لم يكن لديهم مايقيمون به الاود اويأوون اليه من المسكن(٢٨)-

ان علماء الاقباليات يختلفون في رأيهم: هل كان اقبال من انصار حركة الهجرة وترك الموالاة اوكان هو من معارضيها؟ ويبدو مماكتبه (محمد حنيف شاهد) بان اقبالاً كان من انصار حركة الهجرة ومسويديها (٢٩) ويرى (عبدالسلام خورشيد) بان اقبالاً وان كان يوافق على اهداف الحركة الا انه لم يكن يحب ان يضيع بسبب هذه الحركة معهد اسلامي من امثال الكلية الاسلامية بلاهور التي كانت نتيجة الجهود الجبارة الطويلة للمسلمين (٣٠) واما (سيد نور محمد قادرى) فهو يرى بان اقبال لم يكن معارضا لحركة الهجرة او ترك الموالاة فحسب وانما كان متبرما شديد التبرم من قادة هذه الحركة وزعمائها(٣١)-

ويبدو من بعض ماكتبه اقبال بأنه لم يكن يرى اى مستقبل للخلافة العثمانية (٣٢) ومن ثم كان يرى بأنه لابد من أساس اٰخر غير الخلافة لوحدة الشعوب والامم الاسلامية في المستقبل ولاشك ان اقبالاً كان مسرور اللغاية حيث رأى المسلمين ينتبهون ويستيقظون بسبب حركة الخلافة هذه- اما الرابطة الاسلامية فلم تكن على أية صلة بالشعب المسلم الهندى الا ان هذا التحس والنشاط اللذين كانا نتيجة حركة الخلافة كان بامكانهما أن يثيرا الشعب المسلم الهندى ويجعلا منهم منظمة سياسية مؤثرة فهذا كل ماكان يرغب فيه اقبال من حركة الخلافة وكان يعارض ارسال الوفد الى اوربا من اجل الاحتفاظ بلاخلافة أو الدفاع عنها كما أنه كان يعارض التعاون الذى تم بين الهنادكة والمسلمين للشاركة في حركة عدم التعاون أو ترك الوالاة وإنما كان يؤيد في هذه المرحلة على الاقل منظمة إسلامية مستقلة لحركة عدم التعاون أو ترك الموالاة إذكان يرى بان العلماء المسلمين للمذاهب الاسلامية المختلفة اذا اجتمعوا في مكان واتفقوا على إصدار الفتوى الإجماعية بعدم التعاون او ترك الموالاة فقد يكون مفيدا ومما استدل به اقبال ان المسلمين كأمة كان بامكانهم ان يجمعوا على عدم التعاون أو ترك الموالاة في غياب الامام العادل الذى يجب طاعته على الامة إلا أن ذلك الإجماع كان مستحيلا ومن ثم كان يرى اقبال بأنه ليس من واجب شرعي إسلامي أن يشارك المسلمون في حركة عدم التعاون أو ترك الموالاة فضلا عن ان يشارك فيها الطلاب

المسلمون فان ذلك مما لايبرره الشرع الاسلامي اطلاقا-

وقد كان من جوانب حركة عدم التعاون أوترك الموالاة مقاطعة المعاهد التعليمية التي كانت تتلقى مساعدة مالية من قبل الحكومة الانجليزية وعند ما اشتدت هذه الحركة قام الشيخ و (محمد على جوهر) وغيره من الزعماء فحبوا عددا كبيرا من الطلاب من جامعة عليكرة وانشأوا منهم جامعة شعبية حرة واهي التي سميت بالجامعة الملية الاسلامية في (دلهي) وفي ٢٢/ نوفمبر ١٩٢٠م اقترح الشيخ (محمد على جوهر) ان يلتمس من اقبال أن يوافق على أن يكون عميدا أورئيسا للجامعة الجديدة فتمت الموافقة هذا الاقتراح وأعلن مؤتمر الخلافة على لسان زعمائه في الجرائد بان اقبال قد اعلن تائيده للجامعة الشعبية الجديدة بازاء الكلية المحمدية بعليكره وهذا الخبر قد أقلق اقبالاً قلقاً شديدا فأبدى عن قلقه في رسالة بعث بها الى (محمد نياز الدين خان) في ٢٨/ اكتوبر ١٩٢٠م قال فيها (٣٣):

"لم يصلني خبر عن ليكره حتى الان وكانت كلية لاهور الاسلامية قد اوشكت أن تواجه نفس الظروف ألا أنها أغلقت وأعلنت الإجازات الطلابية واما انتساب هذه الكلية فان اصحابها قد أخذوا يغيرون موقفهم في ذلک- أما أنا فأرى بأنه يجب العمل بمايفتى به علماؤنا حول المساعدة المالية والانتساب الى جامعة وذلك لانه ليس لدينا إمام في الوقت الحاضر ومن ثم لابد من التفوى المتفق عليها من قبل الجمهور من العلماء الاعلام فلايكفي لنا الفتوى من عالم واحد أو أثر ولوكان صحيحا مصيبا وانما يجب ان يوافق عليها اغلبية علماء المسلمين ومهما كان رأيي الشخصي فان العلماء الا علام إذا أجمعوا على الفتوى فسوف أستسلم أمامها واطرح برأى عرض الحائط أما ماأعرفه في ذلك فهو ان الاحكام القرآنية واضحة في ذلك ولكنه مع الأسف الشديد ان بعض العلماء الاعلام يخافون من اصدار الفتوى فقد تراسلت مع البعض منهم ولكنني لاآفل في الرد منهم اما عن موافقتي على مايراه هولاء الزعماء من قبول رئاسة الجامعة فانه لايمكن الا مايامربه القران الكريم فان الزعماء قد أعلنوا في الجرائد بأن إقبالاً قد وعد بمساعدته وتائيده للجامعة الحرة الشعبية ورغم أنني لا أتاخر ولا أتخلف أبدا كلما دعيت إلى المساعدة والتعاون من أجل صالح المسلمين ومستقبلهم الأفضل إلا أن الذى نشرفي الجرائد لا اصل له اطلاقا فانهم لم يتحدثوا معي في الموضوع وكذلك الحوادث لاتؤيد ذلك وكنت أخشى أن يخدع الخبر اهل عليكره فبعثت ببرقية عاجلة إلى الأمين الفخرى واوضحت له بأن مانشر في الجرائد ليس صحيحا"-

وفي اثناء ذلك كان (غاندى) قد كتب رسالة الى اقبال على اشارة من الشيخ (محمد علي جوهر) وغيره من الزعماء قال فيها(٣٤):

"ان الجامعة الشعبية الاسلامية توجه النداء إليك فإذا كان بامكانك أن تتحمل مسئوليتها فانني على ثقة ويقين بأنها سوف تتقدم وتزد هرتحت قيادتك الرشيدة وهذا مايريده (الحكيم أجمل خان) و (الدكتور أنصارى) و (محمد على) و خواه وانا شخصيا أريد ذلك فالرجاء هنك ان تبحث عن الوسائل التي تمكنك من الموافقه على الشي والدي أردناه وان الجامعة تضمن نفقاتك جسبما تقتضيه الصحوة الجديدة فنرجوك أن ترد على هذه الرسالة على عنوان (بانديت نهرو) في (اله اٰباد)"-

ورد اقبال على رسالة (غاندى) هذه في ٢٩ نوفمبر ١٩٢٠م فقال:

"مما يؤسقني اشدالأسف أنه ليس من الممكن لي أن ألبي دعوة هولاء السادة الزعماء الذين يحتلون مكانة عزيزة كريمة في قلبي لأسباب لست في حاجة إلى ذكرها- أنني وإن كنت من انصار التعليم الشعبي الحر إلا أنني لاأملك الموهبة والكفاءة التي تؤهلني لرياسة الجامعة في الظروف والاوضاع التي تواجهها كل جامعة من الجامعات عادة وعلى وجه خاص في المرحل الابتدائية من تاريخها كما انني بطبيعتي أميل إلى جوهادت لأتمكن من العمل الذى أريد القيام به وبالإضافة إلى ذلك فان الظروف التي نواجهها اليوم تحتم علينا أن نتحرر اقتصاديا قبل أن نستقل سياسيا وأرى ان المسلمين لايزالون متخلفين في المجالات التجارية والاقتصادية بالنسبة إلى أهل الديانات الأخرى والواقع ان المسلمين اليوم ليسوا في حاجة إلى دراسة الأدب وافلسفة وإنما ينقصهم تعليم التكنالوجيا والعلوم الحديثة- ان السادة الزعماء الذين أنشأوا الجامعة الملية يجب ان يهتموا بالعلوم الحديثة على وجه أخص بالاضافة إلى اهتمامهم بالعلوم الدينية- لاشك ان الأحداث التي حدثت في العالم الاسلامي وخاصة في الدول العربية والأماكن المقدسة الاسلامية تبرر للمسلمين أن يتخذوا موقف عدم التعاون من اي نوع كان أما الجانب الديني من التعليم فأراه غير واضح حتى الاٰن وأما اٰرائي في ذلك فقد أعلنتها قبل ذلك بكثير وأعترف بانني لست من علماء الشريعة الاسلامية وخبرائها إلا أنني أعتقد بأن الفقه الاسلامي رغم الظروف القاسية المعاصرة يمكن أن يقودنا قيادة مناسبة في مجال لتعليم على الأقل"-

وبعد تحقيق ما أرادوه في (عليكره) جاء الشيخ (مولانا محمد علي جوهر) والزعماء الاخرون الى (لاهور) للمحادثات مع زعماء جمعية حماية الاسلام

بلاهور وكان الهدف من زيارتهم هذه هو اقناع اساتذة كلية لاهور الاسلامية وطلابها لينضموا الى حركة عدم التعاون او ترك الموالاة وكان اقبال يحتل وظيفة الأمين العام للجمعية منذ ٣١/ مارس ١٩٢٠م وقابل (الشيخ محمد علي جوهر) اقبالاً وزعماء الجمعية الاٰخرين إلا أن إقبالاً لم يوافق على ما ارادوه فعقد اجماع المجلس التنفيذى للجمعية في ١٤/ نوفمبر ١٩٢٠م وترأس الأمير السير (ذوالفقار على خان) الجلسة وألقى اقبال كلمة بهذه المناسبة قال فيها (٣٥):

"ان الشيخ (محمد على) والشيخ (شوكت على) والشيخ (أبا الكلام اٰزاد) والاخرين متواجدون في لاهور وقد اجتمع أعضاء الجمعية مرتين ليستمعوا إليهم وان الجسلة التي عقدت في الكلية الاسلامية اقترح فيها المجلس التنفيذى أن تاقش الجمعية العامة الاقترا حين الاٰتيين:

١- ان الساعدة المالية السنوية التي تأتي الجمعية من قبل الحكومة من اجل مدارسها وكليتها الاسلامية ترفضها الجمعية ولا تقبلها-

٢- واذا قدرت اغلبية الطلاب بالكلية الاسلامية بان النظام التعليمي الحاضر لايناسب الأهداف الشعبية ولا يحقق الاغراض المطلوبة فيمكن للكلية أن تسحب انتسابها الى جامعة بنجاب وان زعماء حركة عدم التعاون قد وعدوا بمساعدة مالية سنوية قدرها احد عشر الفا من الروبيات وذلك كمقابل المساعدة المالية الحكومية وبالاضافة إلى ذلك فقد تلقينا رسائل يطالب اصحابها بانفصال الكلية الاسلامية من جامعة بنجاب-

وفي اثناء ذلك أعد اقبال مقالة صحفية ونشرها في جريدة "زميندار" اللاهورية تحدث فيها عن المبادئ والطرق التي تمكن الشيوخ ورجال الدين من ان يجتمعوا في مكان وان يصدروا الفتوى عن الموضوع الذى لايزال رهن النقاش وكانت فتاوى بعض الشيوخ عن الموضوع قد نشرت فعلا فاضاف اقبال الى كلمته قائلا:

"اني اعتقدبأن الجمعية ليس من اختصاصها أن تقضي في قضية الانتساب والمساعدة المالية الحكومية قبل ان نستشير رجال الدين وتعرف الاحكام الدينية عن الموضوع"

إلا أن الأعضاء لم يوافقوا على ما اقترحه إقبال فتقدم السير (فضل حسين) وكان سكر تيراً للكلية في ذلك الوقت باقتراح يقول بأن الكلية الاسلامية ومدارس الجمعية لن تسحب انتسابها الى جامعة بنجاب وقد أيد هذا الاقتراح خمسة وعشرون عضوا بينما لم يشارك في التصويت الاخمسة عشر عضوا بما فيهم اقبال

ورغم هذا فان جريدة "زميندار" اللاهورية نشرت خبرا غير صحيح بهذه المناسبة يقول بان اقبالاً و عددا من الاعضاء الاخرين قد عارضوا هذا الاقتراح قائلين بانهم يفضلون الدين على كل شئي ويعترفون بقيادة الشيوخ ورجال الدين وسيوا فقون على ماتقضيه جمعية العلماء المسلمين الهنود مما جعل اقبالاً يكتب رسالة وينشرها في جريدة "زميندار" في ١٥/ نوفمبر ١٩٢٠م يوضح فيها موقفه قائلا (٣٦):

"ان الخبر الذى ظهر في "زميندار" اليوم عن اجتماع المجلس العام لجمعية حماية الاسلام بلاهور والذى عقد في ١٤/ نوفمبر ١٩٢٠م فيه بعض الاخطاء التي لابد من تصحيحها ليعلمها عامة المسلمين فقد ناقش المجلس ثلاث مقترحات:

١- يستمر انتساب الكلية الاسلامي الى جامعة بنجاب وقد اقترح هذا (ميان فضل حسين) سكرتير الكلية-

٢- ان تعقد جمعية حماية الاسلام بلاهور مؤتمرا يحضر فيه رجال الدين من بنجاب والهند بالاضافة الى المستشارين الخبراء بالظروف الراهنة ليتمكن السادة الشيوخ من الوصول الى النتائج بعد النقاش الشامل من كل جانب من جوانب المسائل والمشاكل المختلف فيها ولايكون حق الرأى للمستشارين غير المشورة وسوف يقدر العلماء في القضايا بالاغلبية المطلقة ويبقى انتساب الكلية الاسلامية الى جامعة بنجاب حتى يقدر الموتمر مصيرها وقدم هذا الاقتراح (الشيخ ابراهيم سيالكوتي)-

٣- قد تقرر عقد اجتماع لجمعية العلماء في (دلهي) فيجب ان ننتظر الفتوى التي يصدرونها وان يشارك فيها عدد من السادة اعضاء الجمعية كوفد لكى يشاركوا في النقاش الذى سيجرى في الاجتماع وقدم هذا الاقتراح الدكتور (كتشلو)-

وقد أجرى التصويت عن الاقتراح الاول وكانت النتيجة هي تائيد الاغلبية المطلقة المطلقة لاامتزاج الذي قدمه (ميان فضل حسين) اما كاتب الاسطر هذه (اى اقبال) فقد رفض ان يشارك في التصويت لانه كان يرى بان الجانب المهم للغاية لهذه القضية هو الجانب الديني وليس من اختصاص جمعية تسمى نفسها بجمعية حماية الاسلام ان تقضي بشئي في القضية قبل أن تستفتي رجال الدين وعندما جرى تصويت حول الاقتراه الاول لم تبق حاجة الى التصويت على الاقترا حين الاخيرين وكان بعض الاعضاء يؤيدون ما اقترحه الدكتور (كتشلوا) ومنهم من ايدما اقترحه الشيخ (ابراهيم) اما انافكنت ارى بأنه يجب ان تعقد الجمعية مؤتمراً يحضر فيه رجال الدين حسبما قترحه الشيخ ابراهيم لكى يمكن اصراء

النقاش حول كل جانب من جوانب القضية واما الفتاوى التي وصلت الى مكتب الجمعية فقد اصدرها السادة الشيوخ فراوى كما ان الجوانب الهامة من القضية لم يستفت فيها الشيوخ ومن سوء الحظ انه لايوجد امام أو خليفة في هذا البلد أو في البلاد الاسلامية الاخرى يجب طاعته على الامة وكان الشيخ (ابو الكلام آزاد) يرى بأن فتوى لجنة الخلافة يجب العمل بها في غياب الامام المطاع لانها اى لجنة الخلافة تقوم مقام الامام المطاع ولكنني لم أستمع إلى مااستدل به ولم اوافق على رأيه حتى الآن- أما في الوقت الحاضر فلست أرى طريقا غير هذا وهذا الطريق هوالأنسب والأولى من وجهة النظر الشرعية وهو أن يجتمع السادة الشيوخ في مكان وأن يستمعوا لكل مايثار من النكات والاعتراضات وبعد النقاش الشامل يرتبون برنامجا اسلاميه لعدم التعاون او ترك الموالاة ولعل البعض من قراء جريدتكم يرى بأن جمعية العلماء ما دامت تستعد حاليا لعقد اجتماعها في دلهي فلا داعي الى عقد مؤتمر آخر في هذه الظروف ومما لاشك فيه ان ما اقترحه الدكتور (كتشلو) لايحتاج الى نفقات او وقت في الاوضاع الراهنة الا ان الجنة العامة للجمعية بدأت تناقش الاقتراح فاتضح من خلال الحديث لبعض السادة المشاركين بانهم ينظرون الى مؤتمر دلهى بعين الشك والارتياب وذلك بناء على ان هذا المؤتمر سيمثل مجموعة خاصة من السادة الشيوخ وأعتقد بأنه يوجد عدد من المسلمين الاخرين الذين يرون هذا الرأى وقد ايدت اناما اقترحه الشيخ ابراهيم لانه لايترك مجالا للشك أو الارتياب ولكى نتمكن من عقد مؤتمر السادة الشيوخ الذين سوف يصدرون الفتوى التي تكون حجة للمسلمين جميعا ولايبقى مجال للاعتراض من اي نوع كان ومن اية جهة جاء واما الذين يرون بأن الظروف الراهنة لها مفهوم سياسي خاص وليس في مقدرة أحد أن يقضي فيه أو يقرر بشئي غير السادة الزعماء السياسيين سياسي خاص وليس في مقدرة أحد أن يقضي فيه أو يقرر بشئي غير السادة الزعماء السياسيين المحنكين وان ورثة الرسول صلي الله عليه وسلم من السادة الشيوخ ليس عندهم اهتمام بالظروف الرهنة فانهم على خطأ فاحش- خطير فيما أعتقد وان هذا الخطأ الفاحش الخطير إنما نشأ من الجهل بمقاصد الشريعة الغراء وحقائقها وتاريخها فلايوجد جانب من جوانب الحياة الشعبية لم يتناوله فقهاء الاسلام في بحث دقيق ونقاش مدهش وسيكون من سوء حظ المسلمين وشقائهم الا يستفيدوا من شريعة الله الغراء- ان المسلمين لايمكن لهم أن يتخذوا اسوة حسينة من حياة (غاندى) كما انهم لايتخذون دليلا ما اوجده او ابتكره اي انسان اخر من القانون او التشريع- ولابد لهم ان يبحثوا عن

نظير في كتاب الله عزوجل وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم فيما يحتاجون اليه في حياتهم الفردية أو الاجتماعية وانهم سيتبنون القانون او النظام الذى يقوم على هذين الاصلين وهم ليسوا في حاجة الى التفكير او النقاش حول هذا القانون المستنبط من هذين الاصلين سواء وافق مشروع السيد (غاندى) اولم يوافقه- ان كل ما يقوم به أى مسلم من أى عمل في حياته الفردية أو الاجتماعية لايمكن ان يتحرر من قواعد الشريعة الغراء الشاملة ومبادئها الواسعة السممحاء وعلى العكس من الديانات الاخرى فان الاسلام يقدم الحلول الناجحة لشئون الحياة أيا كانت وأن السياسة التي تنفصل عن الدين إنما هي ضلال ودمار وفساد واما الديانة التي لاتأخذ حوائج الانسان كلها بعين الاعتبار في احكامها الشرعية فهي نوع من الرهبانية الناقصة والواقع ان بعض الافكار الغربية قد تسربت الى عقولنا تسرب السم الخفي الذى لايمكن ادراكه او الاحساس به ومن بين هذه الافكار المسمومة الهدامة فكر يقول بان الديانة لاصلة لها بالسيلسة فان الكثيرين من الشباب المثقفين يرون هذا الرأى ويدعون الامة الى العمل به ولكنهم لايشعرون اطلاقا بان هذا الفكر هوسم ناقع للشريعة الاسلامية على الاقل-

ان الناس لو وافقوا على ما اقترحه اقبال وعقد المؤتمر الاسلامي وحضرة السادة العلماء المسلمون من المذاهب الاسلامية المختلفة في شبه القارة لكان بامكانهم ان يقدموا الحلول الناجحة للمشاكل المختلف فيها بالاضافة الى ايجاد نظير مستقل من الاجماع ولاستفادت الامة به في مستقبلها الا ان احدا من السادة الشيوخ والساسة المسلمين لم يوافق على مااقترحه اقبال في تلك الظروف الهائجة من التحمس وانشاط الهائل ونظرا الس هذه الظروف بعث اقبال رسالة الى (محمد نياز الدين خان) في ٣/ديسمبر ١٩٢٠م قال فيها (٣٧):

"والامل الاٰن ان هذه الحالة الجنونية للشعب لن تدوم طويلا وان موقف عدم التعاون في مجال التعليم الذى اتخذه بعض الناس لم يكن طريقا مناسبا فلو فرضنا ان الشرع يأمرنا بعدم التعاون هذا فان الطريق الذى اختاره الناس لاترضى به الشريعة الاسلامية ولايوافق روحها ابدا"-

اما ماكتبه الشيخ (محمد على جوهر) عن لقائه مع اقبال والخلافات التي كانت بينهما فانه ملئ بمشاعر السفرية واليأس حيث يقول (٣٨):

"وملنا الى لاهور فدعونا السادة القائمين بالاضراف على الكلية الاسلامية واساتذتها ان يشاركونا في اعمال الخير هذه فرأينا هم اكثر استعدادا لذلك من السادة المشرفين على كلية (عليكره) واساتذتها وبذلك اطلعنا على الاستعداد

الذى يملكه الطلاب الشبان الا ان حضرة الدكتور محمد اقبال كان سكرتير الجمعية ذلك الذى تعلمنا منه الاسلام ولم نتعلمه من احد غيره من الشيوخ الكرام قبل كل شئي على كل حال فقد اصدر الفتوى خمسمائة رجل من السادة الشيوخ الاجلاء بعد بضعة اشهر الا ان حضرة الدكتور اقبال لم يحفل بها ايجا واما اذا قام بالاجتهاد في مسئلة من المسائل فلم يكن ذلك الا كخبير من خبراء علم الاقتصاد وذلك حين جاء سيادة الزعيم (غاندى) وقد جمع عشرة ملايين روبية واما الرأى الاجتهادى الذى قدمه اقبال فهو انه اقترح انشاء معهد للتكنولوجيا من ذلك المبلغ الضخم "عشرة ملايين"-

واما ما ذكره الشيخ (محمد علي جوهر) في حديثه عن عشرة ملايين روبية وهو المبلغ الذى كان قد جمعه (غاندى) فان هذا المبلغ الضخم قد تبرع به المسلمون وحدهم وليس الهنادكة الا انه كان قد انفق على شعبية الكونجرس والتعريف به كحزب سياسي فهذا هو (سيد عابد حسين) يحدثنا عن ذلك فيقول(٣٩):

"ان معظم هذا المبلغ الضخم البالغ عشرة روبية فقد تبرع به المسلمون واما كيف واين انفق هذا المبلغ؟ فلنستمع الى ما يقوله (الباندیت جواهر لال نهرو): ان بعض الناس يعترضون على السيد (غاندى) بان في حوزته مبلغ ضخم من الجنيهات وانه قد اودع هذا المبلغ ايداعا سريا عند بعض اصدقائه ويرد (الباندیت نهرو) نفسه على هذا العتراض الشعبي فيقول بان هذه الشائعات تقوم على قصة مبلغ عشرة ملايين روبية ذلك المبلغ الضخم الذى جمعه الكونجرس في ١٩٢١م وان هذا المبلغ وان كان يبدو ضخما جدا الا اننا اذا قسمناه على الهند كلها فلايبقى مبلغا ضخما فقد انفق هذا المبلغ على المدارس والجامعات الشعبية والصناعات القروية وخاصة صناعة القماش اليدوى ولنسيج في القرى وفي خدمة المنبوذين والمشاريع البنائة الاخرى وكان الجزء الاكبر من هذا المبلغ قا اعتمد لاعمال خاصة مختلفة وهذه الضاديق لاتزال توجد حتى الان ولاتزال تفي بهذه الاغراض الخاصة والذى بقي من ذلك المبلغ صار الى حوزة اللجان المحلية وتم انفاقه على تنظيم الكونجرس ومشاريعه السياسية الاخرى وكذلك فان هذا المبلغ قدكان اساسا لنفقات حركة عدم التعاون او ترك الموالاة كما انه لم يزل اساسا معنويا لنفقات الكونجرس فيما تلاه من السنوات"-

وكان الطلاب المسلمون في طليعة حركة عدم التعاون وقامت اضطرابات في كلية عليكره المحمدية اما كلية لاهور الاسلامية فان الاضطرابات الهائجة كانت قد بلغت الغاية حتى ان الكلية قد اغلقت لمدة غير معلومة وتدخل اقبال في القضية

فدافع عن الكلية الاسلامية حتى لا تفقد وجودها وتنعدم وتذوب في ذلك الجو الهائج الذى احدثته حركة ترك الموالات واما السبب الذى جعل اقبالاً يحاول ابعاد حركة عدم التعاون عن المعاهد الاسلامية فهو ان معاهد المسلمين التعليمية كانت قليلة جدافلم تكن غير ثلاثة معاهد وهي كلية (عليكره) المحمدية، وكلية لاهور الاسلامية وكلية بشاور الاسلامية- اما كلية عليكره فقد عمها الفساد والدمار الى حد ماعلى ايدى الزعماء القوميين لمؤتمر الخلافة على حد تعبير (سيد نور محمد قادرى) ثم اتجهوا بعد ذلك الى كلية لاهور الاسلامية وكان المفروض ان يكون هدفهم الثالث هو كلية بشاور الاسلامية- اما اقبال فقد ادرك بان العماهد التعليمية الجديدة التي انشئت للمسلمين تحت اشراف الكونجرس وان كانت معاهد اسلامية في ظاهرها ولكنها تمثل وتعبر عن القومية الهندية الموحدة وليس عن القومية الاسلامية وبالاضافة الى ذلك فان اقبالاً كان على ثقة بان المعاهد التعليمية الاسلامية اذا استوعبتها حركة عدم التعاون فان المستوى التعليمي عند المسلمين سيستحيل من السئي الى الاسواء واما الاحصاءات عن المستوى التعليمي عند المسلمين فان السيد (سليمان اشرف) من (عليكره) يحدثنا عن ذلك قائلا(٤٠):

"ان المسلمين ليس لهم غير ثلاث كليات في الهند كلها وهي في عليكره ولاهور وبشاور واما عدد الكليات في الهند كلها في الوقت الحاضر فهو مائة وخمس وعشرون كلية ثلاثة منها للمسلمين ومائة واثنتان وعشرون كلية للهنادكة حتى ولو استثنينا الكليات البالغ عددها ثماني وثمانين كلية كلها للهنادكة ومن بينها اثنتان وعشرون كلية لم تكن تتلقى مساعدة مالية حكومية اطلاقا وبقي ست وستون كلية تتلقى المساعدة المالية من الحكومة والجدير بالاهتمام والدراسة هو الفرق الشاسع بين ثلاث كليات وبين ثمان وثمانين كلية وحينئذ يمكن لكم ان تقوموا بتدمير المهاهد التعليمية الاسلامية هذه والفساد والفوضي فيها واما الطلاب الهنود الدارسون في جميع الكليات هذه فهم ستة واربعون الفا واربعمائة وسبعة وثلاثون طالبا ومن بينهم اربعة الاف واربعماثة وخسة وسبعون طالبا مسلماً واما عدد الطلاب الهنادكة فواحد وا ربعون الفا وخمسائة واثنان وستون طالبا ويقال بان عدد السكان الهنادكة مائتان واربعون مليون نسمة بينما عدد المسلمين سبعون مليون نسمة- ونظرا الى هذا المعدل الكافي فان المسلمين لهم ثلاث كليات فقط بينما كان يجب ان يكون عدد كليات الهنادكة اثنتا عشرة كلية وعدد الطلاب المسلمين في الكليات اربعة الاف طالب فكان يجب ان

يكون عدد الطلاب الهنادكة ستة عشر الفا فقط فاذا كانت الظروف الواقعية تقدم لنا هذه الصورة المؤلمة فان المعاهد التعليمية الاسلامية اذا عمها الخراب والفساد والفوضى والاضطراب فمن الذى سوف يخسر؟ الهنادكة ام المسلمون؟"-

على كل حال فان الاٰلاف المؤلفة من المسلمين كانوا قد ملأوا السجون خلال حركة عدم التعاون او ترك المولاة فمنهم من استقال من الوظائف الحكومية ومنهم من استقال من عضوية المجالس كما انهم قاطعوا البضائع المستوردة من بريطانيا وخلت المعاهد التعليمية من اساتذتها وطلابها وقد بلغ التحمس الدينى المتشدد بالشباب المسلمين انهم ربوا اللحى واما في الغرب الشمالي لشبه القارة فكانت حركة الهجرة هذه قد اشتدت واما في جنوب الهند فان الحكومة الانجليزية واجهت المشاكل الشديدة في ١٩٢١م وذلك بسبب العمليات الثورية التي قام بها (موابلة) و (الموابلة) شعب من المسلمين يجمع بين الجنسين العربي والهندى) وكان عددهم في ذلك الوقت مائة الف نسمة تقريبا فكان (الموابلة) المسلمون قد قاموا بعمليات ثورية في مناطق (مالابار) الجنوبية فاحتلوها وانشأوا بها امارات اسلامية مستقلة واستمروا يقاومون الجيوش الانكليزية لمدة سنة الا ان مصيرهم كان مصيرا يشبه مصير المهاجرين المسلمين حتى اصبحوا عبرة في التاريخ فقد قتل عشرة الاف منهم في القتال والمعارك الثورية ضد الجيش الانجليزى حتي احد القواد الانجليز قبض على مائة رجل منهم فوضعهم في جحيرة قطار الشحن حتى ماتوا خنقا- كما ان المئات منهم قد حكم عليهم بالسجن المؤبد(٤١)-

وفي شهر يونيو ١٩٢١م سافر اقبال الى (كشمير) ولاول مرة في حياته ليدافع عن قضية في محكمة وكان يرافقه (الشيخ احمد دين المحامي) و (منشي طاهر الدين) في سفره هذا واقام لمدة اسبوعين في مدينة (سرى نجار) ونزل في بيت السفينة وكانت القضية التي دافع عنها اقبال قد عرضت على قاضي المحافظة الا ان الحكم فيها لم يكن كما اراده اقبال وخلال اقامته في (سرى نجر) دافع اقبال عن قضية اخرى وهي قضية رجل كان اسمه (رحمان راه) من سكان (سرى نجار) وكان متهما بقتل انسان فرافع اقبال عن قضينه فنجا من عقوبة الاعدام وحكم عليه بالسجن وكان اقبال خلال اقامته هناك كلما اتهى من المشاغل القانوية جلس في سفينته وتجول متزها في بحيرة (دال المعروفة في كشمير) وكان يقضي نهاره مع اصد قائه إما في حديقة (نشاط) او في حديقة (شاليمار) ومنظومة اقبال التى عنوانها "ساقي نامه" او "رسالة الساقي" والتي ضمها اقبال

إلى ديوانه" رسالة الشرق "فيما بعد كان قد نظمها وهوفي حديقة (نشاط) او "حديقة الفرح" وكان في بعض امسياته هناك يتجول متنزها في السفينة الصغيرة ويرافقه (صاهب زاده محمد عمران) ثم عدا من نزهتهاما في بحيرة (دال) فعن تلك الامسية يحدثنا (صاحب زاده محمد عمران) قائلا (٤٢):

"وكان الليل والنهار مجتمعين حين دخلت السفينة الصغيرة بنا في البحرة وهي تحمل هذا المجمع الادبي وكادت الشمس ان تغرب وكان الشفق الاحر قد امتد وكان هذا المشهد يعكس بجماله الرائع في الماء الصافي الشفاف لبحيرة (دال) وكان هذا المشهد المدهش المثير يقدم روعة وجمالا ليس بعدهما روعة او جمال وقد اثر هذا المشهدا الرائع في نفس العلامة اقبال تأثيرا عظيما فظل يتصفح اوراق هذه الصحيفة الطبيعية ثم اقتحم بحر التفكير ليبتكر من المعاني وليستخرج من لآلي الافكار واليكم براعة الشاعر المبدع وقدرته على الابتكار النادر حيث صور الشهد باكمله في بيتين من الشعر:

١) تفرج على المشهد الرائع لبحيرة (دال) عند المساء حيث ترى الشمس في الماء كانها شعلة نار اتخذت وكرها تحت الميا-

٢) ان الشمس تراها تغوص في مياه بحيرة (دال) كانها تريد ان تسغتسل وتزيل غبار السفر وتعبه"-

وكانت حركة ترك الموالاة قد مرعليها عام كامل الا ان التحمس والنشاط في نفوس الشعب المسلم كان يزداد شيئا فشيئا كل يوم- وفي اثناء ذلك اخذ بعض القادة المسلمين القائلين باتعاون مع الانجليز يفكرون في الوحدة التي تمت بين مؤتمر الخلافة والكونجرس والتي انت على اهمية الرابطة الاسلامية ودورها الفعال في الشئون الطوطنية فقروا اعادة النهفية للرابطة الاسلامية لينقذوا بها المسلمين من السياسة الثورية الهائجة ويرغبوهم في السياسة الدستورية الهادئة فكان (آغا خان) يدلى بتصريحات يؤيد فيها الخلافة ويد افع عنها من ناحية ومن ناحية اخرى كان يسارع في جهوده المكثفة لنهضة الرابطة الاسلامية تحت قيادة (محمد على جناح) الا ان اقبالاً لم يستحسن هذه الجهود والمحاولات ولم تعجبه سياسة التملق والتعاون فنظم ابيات شعرية نشرها في جريدة "زميندار" الصادرة في ٩/ نوفمبر ١٩٢١م وعنوانها "صوت الرابطة" والابيات انما هو سخرية من موقف (آغا خان) و (محمد على جناح) كليهما (٤٣)-

١) ان (محمد على جناح) قد نزل من السماء المتفننة البديعة لمدينة لندن في

ثوب مسيح على جبل من الجبال-

٢) ايتها النفس التي كادت ان تزهق، ما رأيك الاٰن؟ هل ستفارقين البدن ام لاتزالين باقية فيه؟

٣) اما طريق النجاح للمجنون فهو ان يتنازل عن فكرة البادية والمحراء

٤) اما (اٰغا خان فهو "امام" واما (محمد على) فهو "باب" لان دينهما يسمح بمغارقة سواد الحرم-

٥) بشرى لكم ايها الناس فقد جائنا الذى كنا ننتظره اى انه قد خرق حجاب الغيبة الكبرى وظهر بين امتة-

وان اكثر المؤلفين الذين سجلوا وقائع حياة اقبال يعتقدون بانه كان قد اعتزل عن السياسة الهائجة المضطربة في ذلك العصر واستمر يؤلف ديوانه (رسالة الشرق) وهو بمعزل عن الحوادث والقلاقل التي يمتاز بها ذلك العصر (٤٤) الا ان هذا الرأى ليس مصيبا والحقيقة الواقعية انه لم يكن احد بين معاصرى اقبال من يفهم وجهة نظره او يوافقه فيها فقد كان الشيوخ والقادة السياسيون المسلمون من أنصار حركة عدم التعاون يمارضون اقبالاً ويخالفونه كما ان القادة المسلمين المتعاونين مع الانجليز كانوا يرتابون ويترددون في اقبال فلم يكن احد منهم مع اقبال وهذا هو العصر الذى بدأت فيه هملة تهدف الى تشوية سيرة اقبال وتجريح شخصية فعليه فان عزلة اقبال وابتعاده عن السياسة ورغبته في الوحدة انما كان ليبحث عن صديق كان اقبال قد بدأ يشعربه منذ سنوات كما يتضح من ابياته الشعرية التي يدعو بها في نهاية "اسرار الذاتية"-

١) انه ليس من السهل ان يشتعل الشمع بمفرده يا للأسف- اننى احترق وحيدا كالشمع ولاتوجد فراشة تحلق حولي-

٢) الى متى أنتظر من يقاسم همى والى متى سأستمر في بحثي عمن أبت إليه بأسرارى وذات نفسي-

٣) اعطني يارب نديما مصاحبا يواسيني وهيئي لي المراٰة من اجل العشق الذى بامكانه ان يحرق العالم كله-

٤) ان مثلي مثل زهرة وحيدة في الصحراء- انني وحيد رغم انني بين مجلس م الناس اننى أرجو من لطفك يارب ان تهب لي صديقا مصاحبا مواسيا- ذلك الذى يفهمني ويطلع على خيابا نفسي واسرار طبيعتي-

٦) اريد صديقا مصاحبا يكون مجنونا عاقلا لا يهمه الدنيا ومن عليها-

٧) حتى أتمكن من افضاء ذات نفسي اليه وأستطيع ان ارى وجهي في قعر

ضميره ومرآة قلبه-

٨) انني اريد ان اصنع وجود ذلك الصديق المصاحب المواسي من نفس التراب الذى خلقت منه حتى أكون له بمنزلة صنم وآزر في نفس الوقت-

وفي بداية ١٩٢٢م أعلنت حكومة بريطانيا عن انشاء لجنة مكونة من الاعضاء المسلمين والمسيحيين واليهود للفصل في القضايا الناشئة عن الاما كن المقدسة في فلسطين وذلك على أساس اتفاقية (سيفرى) وكان المفروض ان تجتمع اللجنة في القدس وتعقد العديد من الاجتماعات التي ستستمر الى سنتين او ثلات فسألت لحكومة الاجليزية اقبالاً اذا كان من اطمكن ان يرضى بعضوية اللجنة ولكنه رفض ذلك اطلاقا ثم تطورت الظروف حتى اتخذت شكلا لم يسمح بتكوين اللجنة هذه(٤٥)-

وكان اقبال انشد منظومتيه "التطور" و "الرجل الحر" في جلسة "جمعية حماية الاسلام" السنوية التي عقدت في ١٩٢٠م ولم ينظر قصيدة او منظومة مستقلة لان حركة ترك الموالاة كانت قد بلغت القمة من الشدة والتحمس ولكنه انشد منظومته المعروفة "خضرراه" اى "خضر الطريق" في الجلسة السنوية للجمعية التي عقد في ١٦/ ابريل ١٩٢٢م امام جمع كبير من المسلمين البالغ عددهم عشرين الغاولم يكن اقبال يشعر بالسوحدة شعورا ملحا فحسب وانما كان مريضا ايضا ومن ثم انشد المنظومة باسلوب ابكى الحاضرين وعندما وصل عند هذا البيت وهو ينشد المنظومة اخذ يبكي وينتحب (٤٦):

١) هذا احد بني هاشم من العرب تراه يبيع كرامة المطفى بينما ترى التراك المكافحين يتأوهون بين التراب والدماء-

ثم انشد هذا البيت حتى ابكى الجمع المحتشد-

٢) ان دم المسلم قد صار ارخص من الماء اما انت ايها العالم بالاسرار فقلق مضطرب لان صدرك لايخلو من القلب-

وهناك في منظومة "حضر الطريق" بعض الجوانب التي هي جديرة بالدراسة والتفكير فمنها ان اقبالاً كان قد اصيب بمرض النقرس وهو ينظم هذه المنظومة وقضى العديد من الليالي وهو ساهر يعاني من المرض ويعالج النظم وكان هينذاك نازلا بمنزله في سوق (انار كلي) وكان قد تحول من الاوضة الى غرفة مجاورة لها وكان (على بخش) يسهر على خدمته فغي ليلة من الليالي اشتد الا لم وغشى عليه فشعر اقبال وهو مغشي عليه كأن وليا من الأوليا الشيوخ قد حضر اليه فيسأله

اقبال عن أشياء فكان الرجل يرد على كل سوال وجه إليه وبعد لحظات نهض ذلك الولي الشيخ وانصرف وبعد ان خرج الولي (على بخش) عن ذلك باه اى (علي بخش) كان مضطجعا على بلاط الغرفة وكان يقظانا وهو يستمع الى اقبال وكانه يتحدث الى شخص وكان الوقت الساعة الثالثة ليلا- فسارع (علي بخش) نحو السلم حيث امره اقبال ان يتعقب الولي الشيخ الا انه وجد الباب الاسفل مقفولا من الداخل ففتحه وخرج الى السوق فراٰى السكوت يسود الجو الهادئ ولم ير احداً على جانبي السوق (٤٧) وهذا يدل على ان اقبالاً مر بحالة السكر وهو ينظم هذه المنظومة فقد كان مريضا وكانت شدة الالم قد بلغت الغاية ولم يكن من الممكن التغلب على الالم ولعل ذلك كان سببا أفقد اقبالاً المحو خلال المرض المؤلم الشديد وفوق ذلك فان اقبالاً كان يشعر بالوحدة المؤلمة الشديدة وكان يواجه المعارضة من كل جهة فلعله كان فقد الثقة بنفسه واخذ يشعر في دخيلة نفسه بأن موقفه ليس صحيحا أو أنه قد ضل الطريق السوى ويحتاج الى الهادى ولدليل حتى يهديه السبيل-

والجانب الثاني حول المنظومة انها تمتاز بأسلوب نادر منفرد بين جميع مانظمه اقبال من المنظومات الاخرى- وقد أنشدها اقبال في الاجتماع وكان (عبدالمجيد سالک) بين المستمعين اليه فهو الذى يحدثنا عن ذلك قائلا (٤٨):

"من ناحية كان فكر اقبال الشعرى وجمال اسلوبه البديع في هذه المنظومة قد بلغ القمة حتى ان اصحاب الذوق السليم الادبي كانوا يتمتعون بكل بيت ويستحسنونه ومن ناحية اخرى كان اقبال قد علق تعليقا بليغا في منظومته هذه على الاوضاع الاهنة التي تلت الحرب العالمية الاولى من تشاجن الشعوب المنتصرة وتجادلها وسياستها الماكرة والخادعة ومكائد الرأسماليين وحيلهم الشاطرة قيقظة العمال وجو الجبر وا لاكراه الذى الاضافة الى نقد اقبال وسخريته من افكار من اٰمن من هذه الشعوب بالتفرقة العنصرية والتفاخر العرقي- ان منظومة اقبال هذه تحمل أسلوبا اخاذا مؤترا للغاية الى جانب المحاسن اللفظية والجمال المعنوى- والمنظومة تقوم على سرد الوقائع والحوادث باسلوب فائق الا ان ابياتها الشعرية لاتحمل رسالة الامل والارادة والسرور والانتصار غير الابيات الشعرية الاخيرة منها وذلك يرجع الى الظروف المحيطة بالشاعر الذى رأى تركيا العثمانية تعاني مما اصيبت به وهي تتأرجع بين الحياة والموت بينما كان المسلمون الهنود قد دخلوا بكل قوة وتحمس ونشاط في معركة لم يكونوا يعرفون مصيرها"-

والجانب الثالث حول المنظومة هو ان الشاعر (الجرامي) كان قد علق عليها

قائل بان معظم ابياتها الشعرية لارونق عليها ولاجمال كما ان البعض منها غير صحيحة فرد عليها اقبال في رسالة بعث بها اليه في ١٦/ مايو ١٩٢٢م ويتضح من هذه الرسالة بان اقبالاً كان قد مربتجربة شخصية النفي فيها بالخضر فنراه يقول(٤٩):

"اما الجزء الاول من تعليقك فهو صحيح وقد اصبت فيه الا انه اعتراض وتعليق لايليق بشخصية ادبية من امثال (الجرامي) فكما تعرف انت ان معظم هذه المنظومة قد جرى على لسان خضر وشخصية خامة ممتازة فهو رجل خبير فائق الخبرة بحكم العمر الخالد ومن خصائص الانسان المجرب الخبير انه يكون ضعيفا في الفكر والخيال اذا لايزال ينظر الى الوقائع الحقيقية من الحية فاذا كان في أسلوبه رونق الخيال وروعته فانه لايستطيع أن يقوم بدور الهدى والارشاد اذن فيجب ن بحث في حديثه واسلوبه عن لاتقان والحكمة وليس الخيال وخاصة اذا طلبنا منه الهداية والارشاد في شئون تتعلق بالسياسة والاقتساد- وعليك بقراءة سورة الكهف في القرآن الكريم ودراسة قصة موسى والخضر وبذلك متعرف الخصائص التي يمتز بها الخضر والتي يراعيها كلام الله خالقن العظيم مراعاة جميلة فان من يملك نظرا غير عميق لايستطيع ان يدرك اعماق قصة لسفينة التي خرقها خضر والطفل الذى قتله وجدار اليتيمين الذى اقامه فهي احداث عادية في رأيه كما ان هذه القصة لن تجد فيه لمسا شعريا اطلاقا- اما اذا تعمقنا في هذه الاحداث فبا مكاننا ان نعرف افعال الخضر الحكميمة وندرك اعماقها ان الكلام لذى ينسب ولخضر يمكن ان يحمل (نظيرى) و (عرفي) واضرابهما من الشعراء وان اصحاب النظر البالغ من اهل الادب والفن لن يستحسنوا رونق الجمال وروعة الخيال فيه ابدا- فهذه اسرار و رموز ادبية لايفوقك احد في فهمها واردراكها"-

واما الجانب الربع حول هذه المنظومة فهو ان اقبالاً قد تناول فيها يقظة العمال والنظام الرأسالمي الغربي المستغل وذلك لأول مرة في حياته وهذا يشير الى ان إقبالاً لم يكن يستطيع أن يهمل حقيقة الثورة الشيوعية في روسيا فقد تنازل قيصر روسيا عن عرشه في ١٩١٧م وحلت محله حكومة بلشفية تلك الحكومة التي أيدها الجنود والعمال والفلاحون وقد قاد هذه الحركة الثورية (لينين وتروتسكي) وكان (لينين) قد اطلق على النظام الجديد اسم الجمهورية الشعبية للعمال والفلاحين ولكن بدأت حرب اهلية بين الشيوعيين واعدائهم عقب الثورة وقد ذهب الملايين من الناس ضحية لهذه الحرب الاهلية واخيرا انتصر الشيوعيون تحت قيادة (لينين) و (ترتسكي) ثم دهاهم الجدب الذى اتى على خمسمائة الف

انسان وقد اعلن (لينين) سياستة الاقتصادية الجديدة في ١٩٢١م سمح فيها باستمرار الصناعات الخاصة على نطاق محدود- اما الصناعات الثقيلة فقد بقيت في حوزة الحكومة وقد مات (لينين) في يناير ١٩٢٤م وبموته بدأت حرب جديدة للسلطة والحكم في الاتحاد السوفيتي مرة اخرى وقد كانت هذه الحرب بين (ترتسكى) وبين (جوزيف ستالين) وكان الانتصار هو حظ الاخير مهما-

وكان اقبال يميل الى علم الاقتصاد ويهتم به كثيرا- وذلك لان بناء المجتمع الجديد سواء كان مجتمعا هندوكيا او مجتمعا اسلاميا ليس من الممكن وجوده الابعد القضاء على الفقر والبؤس والا فلاس في بلاد شبه القارة ويدل على ذلك ما ألفه اقبال من اول كتاب له بالنثر الاردوى وهو "علم الاقتصار" كما انه كان يحضر بانتظام في دروس الاقتصار بجامعة كيمبردج خلال اقامته في انكلترا وعاد اقبال من لندن وقد تأكد إيمانه بأن الفقر اثم في الشريعة الاسلامية وقد جاء في القرآن الكريم ما يلح على الانسان ألايهمل الجانب المادى للحياة ويأخذ نصيبه من الدنيا وكان بعض الناس قد اتهموه بالمادية خلال المعركة الادبية التي قامت بينه وبين خصومه بعد الطبعة الاولى من ديوانه "اسرار الذاتية"-

ورد اقبال على من اتهمه بذلك بأن الإسلام وان كان هدفه الاصيل وغرضه الاسياسي هواعلاء كلمة الله عزوجل ولكنه في نفس الوقت قد دعا الانسان والح عليه ان لايهمل الجانب المادى للحياة فيقول الله سبحانه وتعالى: "ولاتنس نصيبك منن الدنيا" (سورة القصص) ثم ان الاسلام يهدى الانسان الى موارد الرزق ويقوده الى طرق اكسابه وذلك من اهم ابواب الشعريعة الاسلامية التي تتعلق بقسم العمالات بين المجتمع البشرى-

وفي هذا الطور من حياته كان اقبال قد نظم شعر الفكاهة والمزاح ايضا متبعاً في ذلك اسلوب (اكبر اله آبادى) ويضم ديوانه "صوت الجرس" بعض القطعات الشعرية من هذا القبيل وكذلك كان اقبال قد تاثر بالثورة الروسية فنظم بضعة ابيات شعرية عنها وهي أيضاً جاءت في نهاية ديوانه "صوت الجرس" والواقع ان الثورة الروسية في رأى اقبال إنما كانت رد فعل لسياسة القوى الاستعمارية الاوربية من المكر والخداع والحرب التجارية والاستغلال والتغلب الاست ممارى الغاشم ان هذه الثورة الشيوعية الروسية كانت تتضمن رسالة خفية اثارت سوالا مهما في ذهن اقبال وهو: ماهو النظام الاقتصادى الاسلامى؟ وكيف نستطيع ان نطبق فكرة المساواة الاسلامية تطبيقا عمليا في المجتمع الاسلامي المعاصر نظرالى القيم المعادية المعاصرة؟ وكان اقبال على ثقة ويقين بانه اذالم يجرالبحث عن الاجابة على

هذا السوال وان الامم الاسلامية اذا استمرت تقلد الغرب تقليد أعمى فسيأتي عليها يوم تدركها فيه الثورة الشيوعية من هذا النوع وتسيطر عليها وتقضي على قواها فاذا حدث ذلك فان هذه الثورة بامكانها أن تأتي على الإسلام ونظمه وتعاليمه-

وفي شهر مايو ١٩٢٢م بنى الهنادكة معبدا لهم خارج باب (شاه عالمي) لمدينة لاهور القديمة فطالب المسلمون ببناء مسجد بجانب المعبد الهندوكي في نفس المكان ولم يمض وقت طويل حتى اصبحت هذه المطالبة مطالبة شعبية اسلامية لسكان لاهور كلها وهذا العصر يمتز بالتحمس الديني والنشاط الوطني بالاضافة الى الوحدة بين الهنادكة والمسلمين فاجتمع مئات من المسلمين عند المعبد الهندوكي فصلوا صلاة العشاء على قطعة رضية كانت ملكا لبلدية لاهور فجمعوا مايلزمهم من الحوائج العمارية اللازمة وادوات البناء فأسسوا مسجدا واشتغلوا يكملون بناءه وادهش الناس عند الصباح حين رأوا مسجد (وعرف هذا المسجد "بمسجد ليلة واحدة" وقد تم بناؤه فوق محلين تجاريين فتأثر اقبال بهذا التحس الديني البالغ عند المسلمين فقال بضعة ابيات شعرية عن ذلك يضمها ديوانه "صوت الجرس" واولها:

مسجد توبنادى شب بهر ميں ايمان كى حرارت والوں

نے

من اپنا پرانا پاپى ہے برسوں ميں نمازى بن نه سكا

ومعناه: ان اصحاب الحرارة الايمانية والتحمس الديني قد استطاعوا ان يبنوا مسجد اخلال ليلة واحدة اما نفوسهم فهي عاصية اٰثمة منذ القدم فهي لم تستطع ان تجعل منهم مواطين على الصلاة-

وفي نهاية هذه السنة نفسها اى في ديسمبر ١٩٢٢م هجر اقبال منزله في سوق (انار كلي) وتحول الى "فيلا" تقع على شارع (ميكلود) وكان اقبال قد استأجر هذه الفيلا" بمبلغ قدره مائة وسبعون روبية شهريا وكانت ملكا لأرملة هندوكية وقبل أن يتحول إقبال إلى هذه الدار الجديدة ببضمة اشهر كان شقيقه الاكبر (الشيخ عطا محمد) قد جاء من سيالكوت الى لاهور حيث بقي يشرف على اعداد الدار وتحسينها وتزيينها (٥٠) ونقل اقبال ماكان في منزله بما في ذلك الحمام وكان بعض اصدقاء اقبال يهدون له انواعا من الحمام بين حين واٰخر وكان هو شخصيا يشرف على هذه الحمام و يهتم بها اهتماما كبيرا وكان (محمد

نياز الدين خان) ممن كانوا يهدونه الحمام فمرة اهدى حمامة لاقبال فكتب اليه اقبال رسالة يشكره بيها على هذه الهدية ويقول له بانه لم يرحماما من ذلك النوع الذى بعث به اليه- وكان يشترى الحمام بين حين و اٰخر من مدينة (لوديانة) (ملتان) و (سيالكوت) و (كجرات) و (شاهجهانبور) الا انه لم يجد ميزة بارزة في هذه الحمام كلها كالتي كانت توجد في الحمام الذي كان قد نجمه عند اقبال وكانت حمام اقبال هذه جميلة في مظاهرها واشكالها كما انها كانت بعيدة الطيران وفريدة اللعب (٥١) ومما جرب اقبال على حمامه هذه هو أنه صبغها بلون ثابت مناسب لكل حمامة منها-

وكان اقبال قليل الاكل زهيده الا انه كان يحب الطعام الجيد اللذيذ وكان (علي بخش) يشترى له من الحوائج ويعد له الطعام الذى كان يعجبه ويرضيه قبل زواجه- اما بعد الزواج فكانت زوجته (سردار بيكم) تعد طعام الاسرة وتساعدها في ذلك خادمة وبنات شقيق اقبال ومن الأطعمة الباكستانية التي كان يرغب فيها اقبال هي بلاؤ (طبيخ من الارز واللحم) واللبنة و (شامى كباب) نوع خاص من الكباب يعد من اللحم المفروم) واليخنة و زردة (طبيخ اصفر حلو من الرز) وسجق وكان يحب أن ياكل الخبز الخمير بالادام واما من الفواكه وكان اجبها اليه هو المانجو وسردا (اى الشمام الافغاني) وكان (اكبر اله اٰبادى) بعث اليه مرة بدفعة من المانجو الذى يقال له "لنكرا" ومعاها "الاعرج" ولكنه نوع طيب من المانجو) فكتب اقبل رسالة يشكره على ذلك وكان مما كتب اليه بيت شعرله وهو (٥٢): "ان هذا يا "اكبر" من تاثيرك الطبي المعجز حيث مشى "لنكرا" (اى الاعرج) من (اله اباد) حتى وصل الى لاهور!"

وفي ١٩٢٢م قبض مرة اخرى على الشيوخ (محمد علي) و (شوكت علي) و (حسين احمد مدني) وغيرهم فحوكموا في محكمة كراتشي بتهمة العصيان والغدر والخيانة واتهمتهم الحكومة الانجليزية بانهم قد حرضوا الجيش على العصيان والخروج على الحكومة الانجليزية- اما اخوة (علي) فحكم عليهم بالسحن لسنتين ورغم ان الظروف الراهنة في العالم الاسلامي كانت قد اخذت تتغير بسرعة هائلة خان المسلمين استمروا في مظاهراتهم ضد الانجليزوحكمه الاستعمارى على الهند-

وبعد عام ١٩١٨م أعلن المسلمون في مصر والمغرب وليبيا وفلسطين وسورية والعراق ولبنان والجزيرة العربية وايران وافغانستان ان وتركيا جهادهم لتحرير بلادهم على اساس الوطنية ولقومية وكان الامير (حبيب الله خان) حاكم افغانستان قد طبق الاصلاحات التعليمية الجديدة كما انه أضاف إلى قوة بلاده العسكرية وكان

اغلبية الاساتذة القائمين بالتدريس في الكلية الحبيبية (بكابل) من المسلمين الهنود الذين تخرجوا من كليات عليكره ولاهور وغيرهما كما ان الضباط العسكريين الاتراك كانوا يدرسون علوم الحرب وفنونها في المدرسة الحربية السراجية وكانت دراسة القرآن المجيد اجبارية في المناهج الدراسية للمدارس العسكرية وكانت افغانستان في ذلك الوقت قد تأثرت بحركات الوحدة الاسلامية العالمية ولكن الامير (حبيب الله خان) قتل في ٠٣/ فبراير ١٩١٩م فخلفه (امان الله خان) اميرا على بلاده وعند ما جلس الامير (امان الله خان) على العرش الملكي لافغانستان في ١٩١٩م وفي هذه الحرب كانت الجيوش الانجليزية تقذف القنابل على (كابل) و (جلال آباد) وقد هزم القائد (نادر خان) الافغاني الجيوش الانجليزية في حرب قامت على الحدود بين الجيش الانجليزى والجيش الافغاني بالاضافة الى العديد من القبائل الحرة واخيراتمت اتفاقية واولپندى في ٨/ اغسطس ١٩١٩م وبحمكمها اعترف الانجليز بالاستقلال الكامل لافغانستان كما ان الامير (امان الله خان) قد اعترف بخط (ديورند) كحدود دولية بين البلدين (٥٣) ثم قام الامير (امان الله خان) يقلد الغرب ويطبق الاصلاحات في افغانستان وكانت اصلاحات قومية خالصة-

اما ايران فان الاحتلال الروسي والبريطاني لها كان قد ضعف فأمر (رضا خان) على اشارة من (ملا سيد ضياء الدين) بتنظيم الجيوش الايرانية تنظيما جديدا وفي اثناء ذلك كانت الجيوش الروسية تنسحب من مناطق ايران الشمالية كما ان التدخل الانجليزى في شئون ايران كان قد انتهي وظل (رضا خان) وزيرا للحرب حتى ١٩٢١م وفي ١٩٢٣م اصبح رئيسا للوزراء واخيرا في اكتوبر ١٩٢٤م كان لابد (لسلطان احمد خان قاتشار) ان يتنازل عن عرشه فقرر مجلس ايران في ديسمبر ١٩٢٤م ان يحل محله (رضا خان) ملكا على ايران واما (رضا خان) فانه هو الاخر كان قد بدأ يقلد الغرب في نباء ايران الجديدة على اساس القومية الايرانية-

واما الاتراك الوطنيون القوميون فكانوا قد دعموا حكمهم في آسياالصغرى تحت قيادة (مصطفى كمال باشا) واعلنوا الحرب ضد اليونان والانجليز في ١٩١٩م وفي ١٩٢٢م طرد الاتراك اليونانيين من (سمرنا) و (ثريت) كما ان الجيش الانجليزى كان قد انسحب من الاقسطنطنية والجأ السلطان الخليفة (وحيد الدين) الى سفينة انجليزية واما القسطنطنية فاحتلها الاتراك القوميون وفي هذه

السنة نفسها تمت اتفاقية (لوزان) وبحكمها اعترف الانجليز بما طالبه الاتراك وفي ١٩٢٢م انقضى منصب السلطان في تركيا وفي ١٩٢٣م اعلن مجلس الامة التركي بان (تركيا) ستكون دولة ديموقراطية علمانية وانتخب (مصطفى كمال باشا) اول رئيس لتركيا الديمقوقراطية وفي ١٩٢٤م اعلن (مصطفى كمال باشا) الغاء الخلافة واخذ يطبق الاصلاحات الوطنية القومية في تركيا مقلدا في ذلك الاساليب الاوربية السائدة في ذلك الوقت-

واما مناطق العراق وفلسطين فقد ظلت تحت الاحتلال الانجليزى الا ان بلاد العرب وخاصة الحجاز منها كانت قد اصبحت ميدانا للتنازع والجدال بين رئيس الاسرة الشريفية الملك الحسين وابن سعود واخيرا في ١٩٢٤م طرد ابن سعود الملك الحسين من الحجاز وبسط حكمه عليه واعترف الانجليز بالملك ابن سعود حاكما مستقلا لبلاد الحجاز كما ان الملك الحسين سلم الانجليز مناطق العراق والاردن لابنيه ولكنهم احتفظوا بحق التدخل في العراق وهيمنتهم عليها من اجل تموين النفط واما فلسطين فظلت تحت الاحتلال الانجليزى لتكون دولة يهودية حسب اعلان (بلفور) رئيس وزراء بريطانيا كما ان حرب التحرير والاستقلال استمرت ضد فرنسا في سورية ولبنان واما مصروليبيا ولمغرب وغيرها م البلاد لقريبة فان الحركات التحررية الوطنية فيها استمرت ضد الاستعمار الغربي-

وبنهاية الخلافة الاسلامية في تركيا انتهت حركة الخلافة في شبه القارة وكان اغلبية القادة السياسيين لموتمر الخلافة قد قطعواصلاتهم بالكونجرس وزعيمه الهدوكي (غاندى) الا ان البعض من هؤلاء الزعماء المسلمين وجمعية العلماء المسلمين الهنديين قرروا التضامن الدائم مع الكونجرس في المعيادين السياسية والدينية وانفصل الشيخ (سيد سليمان الندوى) عن الكونجرس فكتب اليه اقبال قائلا(٥٤):

"اما الطريق التي كنت عليها قبل ذلك فان لها موضع حديث حين نلتقي باذن الله وهذه هي نهاية القومية الهندية التي لاحظتها انت ومررت بها"-

وكتب اليه بمناسبة اخرى فقال (٥٥):

"لن نوضى ابدا ان تبيع حقوق الاسلام لتكون بأيدى الهنادكة ومع الاسف الشديد ان اصحاب مؤتمر الخلافة قد ابتعدوا عن طريقهم الحقيقي فنراهم يدعوننا الى طريق من الوطنية والقومية التي لايمكن لأى مسلم صادق أن يوافق عليها حتى ولو للحظة واحدة"-

ان اقبالاً لم يرض ابدا بان تنتشر القومية أو الوطنية من الطراز الغربي بين الامم الاسلامية ورغم ذلك فقد كان على ثقة ويقين بان الظروف المستقبلة

ستكره الامم الاسلامية على الوحدة بينها والتوحيد بين صفوفها ففي هذه المرحلة من حياته كتب الى الاستاذ (محمد اكبر منير) قائلا(٥٦):

"ان الامم الاسلامية في غرب اٰسيا ووسطها اذا اتحدت يوما فان بامكانها ان تنقذ نفسها واما اذالم تتمكن هذه الامم الاسلامية من تسوية الخلافات بينها فامرها الى الله الحافظ لكل ماخلقه- اننا نحتاج الى بحوث ومقالات عن الوحدة الاسلامية وانني أومن ايمانا صادقا قويا بان الوحدة الاسلامية ستتحقق يوما وان العالم البشرى سوف يرى قوة الاسلام وهيبته مرة اخرى ان اظراب القلوب المؤمنة وخفقائها لمدهش جدا- ان مثل هذه الثورة الاسلامية خلال هذه المدة القصيرة لايوجد لها منظير في تاريخ الامم والشعوب- اما نحن الذين تأثروا بهذه الثورة فليس بامكاننا ان نعرف مكانتها ونقدر اهميتها اما اجيالنا المقبلة فانها اذا درست تريخ ثورتنا هذه فانها سوف تعجبها وتدهشها وكذلك فان حركة الامم الاسلامية اٰسيوية لاتقل دهشة واعجابا ولن يكون من الغريب ان سافر أنا الى ايران في شهر يوليو أو اغسطس حتى أرى بعينى رأسي هذه الثورة والصحوة الاسلامية"-

وكتب رسالة إلى (تشودرى محمد احسن) فقال فيها: (٥٧)

"اما رأيي فان انسانا اذا استحق لقب المجدد في عصرنا الحاضر فهو العلامة (جمال الدين الافغاني)- ان المؤرخ في المستقبل ذا أراد أن يسجل تاريخ المسلمين في مصر وايران وتركيا والهند فلابدله ان يبدأ بذكر (محمد بن عبدالوهاب النجدى) ثم (جمال الدين الافغاني) وان الاخير هوالزعيم المؤسس للنهضة الاسلامية المعاصرة فاذا كانت الامة لم تعلن به مجددا او الافغاني نفسه لم يعلن بذلك الا ان ذلك لا يقلل من شأنه ومكانته التجديدية في نفوس من يدرك الحقائق ويقدر الظروف من المسلمين وغيرهم وغيرهم"-

واما ايمان اقبال بعظمة الاسلام وتقدمه ومجده في القريب من المستقبل فكان قد بلغ من القوة ماجعله يتمنى ان يعيش طويلا لكى يرى عصر ازدهار الاسلام وجلاله بعيني رأسه حتى انه كان يثق ببعض الانباء الصحفية التافهة في ذلك فمنها ان (شيخ اعجاز احمد) يحتفظ ببعض الرسائل لاقبال كان يرسلها إلى والده وشقيقه وشقيقته بين حين واٰخر ويريد (اعجاز احمد) ان ينشر هذه الرسائل في كتاب وفيما يلي اقتباسات من بعض هذه الرسائل فمنها ان شقيقه (شيخ عطا محمد) كان قد مرض مرة بعد التقاعد وخلال مرضه هذا اخذ يفكر يوما في مشاكله ومسئولياته مما جعله يحزن وييأس م الحياة فكت اليه اقبال رسالة في ٢٨/ سبتمبر ١٩٢٢م قال فيها:

"انني ادعو الله سبحانه وتعالى وآمل في رحمته وانه سوف يشفيك من مرضك هذا- ان الوصفة الروحية التي بعثت بها اليك يجب ان تست فيد منها كل يوم- ان هذه الوصفة لاتقوم على الخيال الفلسفي وانما تقوم على الاكتشاف الذى تفضل الله به علي والهمني اياه فهو دواء كل قلب بشرى فاذا كانت بعض الاخبار تجعلك حزينا يائسا فعليك ان تطردها وتتخلص منها بكل سرعة ممكنة- ان الله سبحانه وتعالى سوف يفرج عنك ويكشف عنك الغم وينزل عليك من بركته حتى ولوكنت قد يئست من الحياة فارجوك ان تهتم بصحتك حتى تدرك عصر الازدهار الاسلامي وترى بدايته بعيني رأسك فقد مراربعة عشر اوستة عشر عاما منذ فكرت في عصر الازدهار الاسلامي هذا وانا في انكلترا وانا لازلت ادعو الله سبحانه وتعالى منذ ذلك الوقت حتى اليوم أن يمد في بقائي حتى ارى العصر الاسلامي الذهبي المزد هروقد بلغ بي الايمان بهذا العصر الذهبي انني ما دعوت الله سبحانه وتعالى دعاء آخر بعد ذلك لمشاكلي الشخصية إلا نادرا- ولعلك قد قرأت في الجرائد بان الاتراك قد استعادوا بلادهم كلها واحتلوها بدون اية حرب واز الاعتراف بسيطرتهم على المضيق قد تم وان كان ذلك يخضع لبعض الشروط الخاصة التي يقدرها مجلس الامم وان روسيا قد اعترفت بجمهورية تركيا وان (الغازى انور باشا) سيكون رئيسها واغرب من هذا كله ان رئيس الدولة الروسية الحالى مسلم واسمه (محمد استالين) وان (لينين) رئيسها الاول قد مرض فاخذ الاحداث قد سببت اضطرابا شديدا في الدوائر السياسية الانجليزية وفوق ذلك كله فان رابطة للامهم الآسيوية قد تنشأ في القريب العاجل من المستقبل وتجرى المحادثات حاليا عن هذه الرابطة بين الافغاني وحكومة روسيا وهذه كلها أنباء صحفية وأنا متاكد بان الحقيقة ستكون اكثر واكبر مما بلغنا واعتقد ان الوقت قد حان لمسلمي آسيا ان يفتحوا صندوقا ماليا اسلاميا عالميا يهتم بالسكك الحديدية بين (كابل) و (القسطنطنية) وان هذه السكك سوف تمر من خلال الولايات الاسلامية التي تحررت بسبب الثورة الروسية وانا على ثقة بان هذا الاقتراح سوف يتخذ شكلا عمليا وان هذا كله من فضل الله وكرمه على امتنا الاسلامية- وان هذه الحوادث قد صدقت ماجاء من الحقائق القرآنية بان القوى او الضعيف انما هو في ارادة الله سبحانه وتعالى الذى يعطي القوة لمن يشاء ويأتي على قوة من يشاء"-

وكتب رسالة الى شقيقته (كريم بي) في ٨/ ديسمبر ١٩١٩م فقال فيها:

"انني اومن ايمانا قويا بان الله سبحانه وتعالى سوف يعطي فرصة اخرى وحياة جديدة للمسلمين ليقوموا بدورهم القيادى وان الامة التي حافظت على دينها حتى اليوم لن يخزيها الله عزوجل ولن يفضحها ابداوان خير السيوف عند

المسلمين هوالدعاء في غدواتهم وروحاتهم ولن يكون مستبعداً على الله ان يستجيب لهم ويرحمهم رغم فقرهم وبؤسهم وانني لأتأسف دائما عندما ألقى نظرة عابرة على مامضى من حياتي حيث ضيعت الكثير من عمرى في دراسة الفلسفة الاوربية والاطلاع عليها- ان الله سبحانه وتعالى قد من علي حيث اعطاني المواهب العقلية الفائقة فلوكنت صرفت هذه المواهب في خدمة الدين ودراسة علومه لكان بامكاني اليوم ان اقوم بخدمة لدين الرسول العربي صلي الله عليه وسلم لكى يرضى عنى ربي وعند ما أتذكر بأن والدى كان يريدني ان أنذر حياتي كلما لخدمة الدين ودراسة علومه فذلك يحزنني كثيرا فقد كنت على علم بالصراط المستقيم والطريق السوى الا ان الظروف غيرت مجرى حياتي ولم تسمح لي أن أمشى على ذلك الطريق- على كل حال فقد حدث ماكان في علم الله وقدره وقد قمت بها استطعت نحو الدين وعلومه ولكن نفسي لاتطمئن الى ماقدمت من الخدمات وانما تريد ان تكون فوق ماكانت وكان يجب ان اقضي حياتي كلها في خدمة دين الرسول صلي الله عليه وسلم"-

وكتب رسالة إلى والده في ٣/ يونيو ١٩٢٠م قال فيها:

"ان اكبر مساعد وانجح وسيلة للاحتفاظ بالصحة والكيف الروحي انما هو الاحتياط في المأكولات والمشروبات فان حياة الرسول صلي الله عليه وسلم كلها تدل على ذلك وتعطينا دروسا عملية ولذلك أنا أحاول دائما أن أعيش تلك الحياة البسيطة النقية التي عاشها سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم- وان الظروف التي تمربها الدنيا واهلها هي ايجاً تقتضي ذلك وليس من الجائز ان نهتم بما يراه الناس او يعلمون به فان عامة الناس لايستطيعون ان يروا حقائق الحياة كما هي فان اكثرهم يعيشون حياة الحيوان والانعام ولعل ذلك كان قد جعل سيدنا الرومي يقول في موضع من مثنويته بانه اخذ المصباح مرة فتجول في المدينة كلها ليبحث عن انسان ولكنه لم يجده- واما عصرنا الحاضر فانه عصر قد حرم اهله م القيم الروحية ومن ثم لا وجود للاخلاص والحب والمرودة والتضامن بين البشر اليوم وان الانسان يريد أن يروى عطشه بدم اخيه الانسان وكل شعب يعادى شعبا اٰخر ان عصرنا هذا هو عصر الظلام ولكن نهاية الظلام هو البياض والفجر المنير وليس مستبعداً على الله ان يعم فضله على عباده ويهدى البشرية "بالنور المحمدى" مرة اخرى ويبدومن المستحيل ان تتخلص هذه الدنيا من شقائها بدون ان تظهر فيها شخصية كبرى وتنقذها من البؤس واشقاء"-

وكتب رسالة اخرى إلى والده في ٣/يناير ١٩٢١م فقال فيها:

"ان شخصية الانسان الحقيقية هي أن يعرف أصله وحقيقة بدايته ويتحرر م جميع العوائق والعلائق ونجد نظيرا واستشهادا على ذلك في حياة النبي الاكرم صلي الله عليه وسلم فمن ذا الذى يوجد اليوم خب اقاربه بل يحب العالم كله اكثر مما يحب رسول الله صلي الله عليه وسلم ورغم ذلك فقد اتى عليه وقت لم يكن يعرف من هي عاششة رضي الله عنها، ومن هو ابوبكر رضي الله عنه ولكنه لم يأت عليه وقت لم يكن يعرف فيه من هو محمد صلي الله عليه وسلم؟ وان المتصوفة المسلمين يعبرون عن ذلك بالفناء والحقيقة ليست كذلك وانما هذا الكيف هو كمال شخصية الانسان وذاتيته وهذا لايسمى بالغناء وان هذه الكيفية من الحياة الانسانية انما هو استعداد للحياة التي تكون بعد الموت ولكنك تعرف هذه النكتة اكثر مني"-

فعند ما ينشأ خلاف او تشاجر بين اقاربنا فان الذى يسرنا هو الصلح والا من والسلام بينهم وان الذى يحزننا ويقلقنا انما هو الفساد والخلاف بينهم ولكن اذاعم هذا الفساد وهذا الخلاف بين الذين ليسوا من اقاربنا بالمعنى العالم فان ذلك لا يؤذينا ولايقلقنا ان الانسان الذى يدرك حقائق الحياة البشرية يعرف جيدا بان البشر جميعاهم أقارب بعضيهم بعضاً وذلك لان الحياة الانسانية ترجع الى اصل واحد اذن فما هوالسبب الذى يحزننا ويقلقنا عند مانرى الخلاف والتشاجر بين البعض من الناس الذين نعتبرهم من اقاربنا؟ ان الانسان يطبيعته يعتبر اقرب الناس اليه بصلة الدم من اقاربه الاعزة ولنما الا باعد من الناس فلاصلة له بهم رغم ان القرب أو البعد لا حقيقة لهما نظرا الى حقيقة الحياة والدم- وهذا يدل على ان الذى يقلقنا بسبب العلاقات او القرابة انما هويقوم على أساس غير عادل فاننا عتبر بعض الناس من الاقارب بسبب القرابة الدموية كما ان البعض منهم عتبرهم من الاباعد بسبب البعد الدموى رغم ان حقيقة الحياة خالية عن القرب والبعد فالانسان الكامل هو الذى يكو رحمة للعالم كله وبعبارة اخرى نستطيع ان نقول بان الانسان الكامل يكون فوق الصلات والقرابة بين الناس-

واستلم اقبال رسالة مجهولة في يناير ١٩٢٠م وقال كاتبها فيها وهو يخاطب اقبال: انك تحتل مكانة خاصة في بلاط النبي الكريم صلي الله عليه وسلم ولكنك لاتعرف تلك المكانة فلوقرأت العدية الفلانية فبامكانك ان تعرفها ثم ذكر الكاتب تلك العدية في رسالته ولكن اقبالاً لم يحفل بالرسالة اذ كانت مجهولة وضاعت الرسالة وبعد اربعة اشهر حدث حادث غريب لاقبال عن ذلك فاراد ان يخفف من الالم الروحي ويطمأن قلبه فكتب رسالة الى والده في ٢٣/ ابريل ١٩٢٠م

يسترشد ويقول:

"كان ذلك اول امس حيث زارني بعض ابناء المتصوفة من كشمير وكان عمره بين ثلاثين وخمس و ثلاثين سنة وكانت ملامح وجهه تدل على شرفه ونبله كما ان حديثه كان يدل على ذكائه وفهمه وثقافته ولكنه اخذ يستمبر باكيا حين رآني- قبل ان يتحدث الى في شئي فظننته من المنكوبين المكروبين يطلب مساعدتي فسألته عن حاله فاخبرني بانه لايريد المساعدة منى وان فضل الله عليه عظيم وان اسلافه قد قاموا بخدمة دين الله وعبادته وانه يعيش على ما اكتسبوه له من الثراء والمال وان سبب بكائه انما هو الفرح وليس حزنا او الما فسألته ان يفصل القول عن نفسه فقال انني اعيش في قرية من قرى مجاورة لمدينة (سرينجار) وان اسم قريته (نوجام) وانه قد رأى بلاط النبي الكريم صلي الله عليه وسلم في عالم الكشف فبدا له كأن الناس قد اصطفوا للصلاة فسأل رسول الله عليه وسلم المصلين فقال: هل حضر (محمد اقبال) أم لم يحضر؟ فاخبروه بان اقبالاً لم يحضر فبعث بعض الكبار إلى اقبال ليأتي به ثم رأيت بعد لحظات كأن شابا حليق اللحية وهو أبيض اللون قد انضم الى صفوف المصلين مع ذل الرجل فوقف على يمين رسول الله صلي الله عليه وسلم- وقد اخبرني هذا الشاب الكشميرى المتصوف بانه لم يكن قد رأني ولم يعرفني قبل ذلك حتى انه لم يكن يعرف اسمي ثم ذهب هذا الشاب المتصوف الى متصوف كشميرى معروف واسمه نجم الدين فحكى له ما راه في الكشف فقال خيرا في اقبال واخبر الشاب المتصوف بانه يعرف اقبالاً من خلال ما يقوله او يؤلفه وانه لم يلتق به ابدا ومنذ ذلك اليوم قرر الشاب المتصوف في نفسه ان يزورني في لاهور فقال انني قد سافرت من كشمير لا لغرض غير ان اراك فاستعبرت باكيا حين رأيتك لان الذى رأيته في عالم الكشف قد تحقق فانني لم اجد فرقا بين ما رأيت من وجهك في حال الكشف وبين ما رأيته الآن وعند ما سمعت هذه الحكاية تذكرت تلك الرسالة المجهولة التي ذكرتها في بداية رسالتي هذه و انني نادم على ضياعها واشعر بقلق في ضميرى واضطراب في نفسي على ضياعها ولا اتذكر الآن العدية التى كانت في تلك الرسالة فارجوك ان تشير على في مشكلتي هذه لان الشاب المتصوف قد اخبرني بان الذى رأه هو انما هو اثر لدعوات ابويك واعتقد ان الذى قاله صحيح لانني لم اعمل عملا أستحق به هذه المكانة او يؤهلني لها وان ذلك نتيجة لدعوات صالحة من ابوى واما اذا كان ما رأه الشاب المتصوف في عالم الكشف صحيحا فان الكيف القلبي الذى امربه الآن يقلقني جدا فارجوك ان تخبرني بعلاج له او تدعو الله سبحانه وتعالى ان

يكشف عني الحزن والاذى الذين اكابد منهما"-

الفصل الرابع عشر

جوالتوتر والاشتباك بين الهنادكة والمسلمين

وفي اول يناير ١٩٢٣م منحت الحكومة الانجليزية لاقبال لقب السير اعترافا بمكانته العلمية واستحسانا لخدماته الادبية وكان اقبال قد احاط علما احد اصدقائه بذلك وهو الامير (كيشن برشاد) فقال (١):

"ان الذى بلغ سيادتكم عن اللقب الذى منحتني الحكومة الانجليزية هو صحيح وهي نتيجة للترجمة الانجليزية "لاسرار الذاتية" والتعليقات المختلفة المتعددة التي ظهرت في جرائد اوربا وامريكا ومجلاتها العلمية والادبية"-

ويعطينا (فقير سيد وحيد الدين) المزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع على لسان اقبال نفسه بان رئيس القضاء العالي لاقليم بنجاب السير (شادى لال) كان قد طلب اقبالاً عنده فاخبره بان الحكومة طلبت من القضاء العالي ان يقوم باعداد التوصيات عن الالقاب للمواطنين المحليين ويرفعها الى الحكومة الانجليزية وانه يريد أن يوصي يهنح اقبال لقب (خان بهادر) فرد عليه اقبال قائلا بانه ليس في حاجة الى مثل هذه الالقاب فيجب ان لايكلف رئيس القضاء نفسه بذلك وبعد بضعة ايام دعا حاكم بنجاب السير (ايدورد ميكليجان) اقبالاً الى مقر الحكومة وعندما وصل اقبال هناك وجد صحفيا انجليزا كان يعمل في جريدة "لندن تيمز" وكان قد قرأ الترجمة الانجليزية "الاسرار الذاتية" فعرفه الحاكم باقبال وكان هذا الكاتب الصحفي الانجليزي قد ألف كتابا وطلب من اقبال ان ينظرفيه ويرى رأيه واستمر الحديث بينه وبين اقبال لوقت طويل وحين اراد اقبال ان يغادر المقر جائته رسالة من قبل الحاكم يطلب اليه ان لا يغادر المقر قبل ان يلتقى بالحاكم فدخل اقبال على الحاكم فى غرفته الخاصة فاخبره الحاكم باني ينوى ان يوصي به الى الحكومة حتى تمنحه لقب "نايتهد" وذلك اعترافا بمكانته العلمية وخدماة الادبية اذا رضي به اقبال ولم يعترض عليه وكان اقبال مترددا في ذلك ولكنه رضي بذلك فيما بعد ثم سأله الحاكم عن شخص يستحق في رأيه لقب "شمس العلماء" فرد عليه اقبال بأنه على أتم استعداد أن يقترح اسم شخصية ولكن بشرط ان لايشرك الحاكم اسم شخص اٰخر في توصياته فرضي الحاكم بما اشترط عليه اقبال الذى رشح أستاذه الشيخ (سيد مير حسن) لهذا اللقب ولم يكن الحاكم يعرف الشيخ (مير حسن) قبل ذلك فسأله عن الكتب التي ألفها الشيخ فقال له

إقبال بان الشيخ لم يؤلف كتابا ولكنني انا كتاب حي ألفه هذا الشيخ وانا موجود بين يديک!

فهو استاذى الكريم وكان اقبال قد شرح للحاكم بأن الشيخ طاعن في السن وقد بلغ من العمر عتيا حيث لا يستطيع ان يخرج من داره فاذا وافقت الحكومة على منحه لقب "شمس العلماء" فيجب ان لا تكلفه الحكومة بالسفر من سيالكوت الى لاهور فعند ما اعلن منح اللقب للشيخ (سيد مير حسن) لم يحضر وانما حضر ابنه ليستلم الشهادة الخاصة بذلك اللقب(٢)-

وكان عامة الشعب قد اخذوا يبغضون الالقاب الحكومية بعد حركة عدم التعاون او ترك الموالاة ومن ثم اخذ الناس يتحدثون فيما بينهم ويرون الآراء المختلفة حين منحت الحكومة لقب السيرلاقبال وظهرت تعليقات صحيفة ويوميات ادبية مليئة بالسنزية والقدح في ذلك وكرد فعل لذلك كان (عبدالمجيد سالک) قد نظم بضعة ابيات شعرية ونشرها في جريدة "زميندار" اللاهورية فاشتهرت الابيات وساربها الركبان(٣):

١- اليكم ايها الناس فهذه مدرسة العلم قد تحولت الى قصر حكومي ومع الاسف الشديد ان اقبالاً كان "علامة" فتحول الآن الى "السير"-

٢- انه كان تاجا لرأس الملة البيضاء ولكن اسمعوا الية الآن فقد اصبح اقبال السير (اى الرأس) للتج البريطاني-

٣- اما قبل هذا فقد كان المسلمون يعتبرون اقبالاً رئيسا لهم ولكن اقبالاً قد تضايق من ذلك فصار الآن رأس الانجليز-

٤- وقد سبعت شخصا غير مؤدب ينادى على الشارع البارد (شارع القائد الاعظم الآن) ويقول بان اقبالاً قد خر ساجدا على عتبة الحكومة!

٥- امام الا تراك فقد سخروا (سمرنا) وفتحوها بحكم شجاعتهم واما الحكومة الانجليزية فقد دبرت مشروعا سخرت به اقبالاً وتغلبت عليه!

وكان صديق اقبال القديم (مير غلام بيك نيرنک) قد كتب اليه رسالة ابدى فيها عن قلقه وخشيته على اقبال بانه قد لا يستطيع بعد هذا ان يكون حرا في رأيه والتعبير عن مشاعره فرد عليه اقبال قائلا(٤):

"كان بمكاني أن أخبرك بهذا الا كرام الحكومي إلا أنني أنا وأنت نعيش في عالم لايشعرفيه احد بمثل هذه الاحداث ولا يهتم بها اطلاقا وقد جائتنى ولاتزال تأتيني مئات من الرسائل والبرقيات عن ذلك ومما يدهشني هوما جعل الناس يرون الاشياء التافهة هذه غالية في رأيهم اما الخطر الذى خطر ببالك فانني

اقول لك قسما بالله ذى الجلال الذى نفسي وشرفي بيده وقسما بتلك الشخصية الكريمة التي سعدت انا بوجودها بالايمان والاسلام انه لا توجد قوة فوق هذه الارض تستطيع ان تمنعني من قول الحق- ان حياة اقبال قد لاتكون حياة المؤمنين ولكن قلبه مؤمن باذن الله"-

وفي ١٧/ يناير ١٩٢٣م اقيمت حفلة التهنئة لاقبال بلقب السير في حديقة ضريح الملك (جهانكير) من قبل اكابر لاهور من المسلمين والهنادكة والسيخ وقد حضر الحفلة حاكم بنجاب وكبار الموظفين الحكوميين وغير الحكوميين بالاضافة الى الشخصيات البارزة من الاهالي والقى اقبال كلمة بهذه المناسبة قال فيها فانه يؤلف ديوانا ليرد فه على الشاعر الالماني (غوته) وانه قد سمى ديوانه "برسالة المشرق" وقد نشرت جريدة "بندى ماترم" اللاهورية التغاصيل عن هذه الحفلة التكريمية وهي كمايلي(٥):

"وفي ١٧/ يناير في الساعة الرابعة مساء اقيمت حفلة ممتعة مزدحمة في (شاهدرة) (حيث يقع ضريح الملك جهانكير) احتفالا بالدكتور (شيخ محمد اقبال) بمناسبة نيله لقب (السير) م قبل الحكومة البريطانية وكان ممن حضر في هذه الحفلة السير (جان مينارد) العضو بالمجلس الإدارى لحاكم بنجاب و (ميان فضل حسين) وزير التربية والتعليم و (لاله هركشن لال) وزير الصناعة والمهن بالاضافة الى السير (ذوالفقار على خان) والا مير السير (فتح على خان قزلباش) و (شوذرى شهاب الدين) و (ميان احمد يار خان دولتانه) وغيرهم من انصار الحكومة الممتازين وكانت حديقة ضريح الملك (جهانكير) مقر هذا الاحتفال وقد ترأس الحفلة السير (ايدورد ميكليحان) حاكم بنجاب وكان جنود الشرطة يحرسون الباب الرئيسي للضريح والذين حضروا في هذه الحفلة لم يكن يدل حضروهم على أن تلك الحفلة قد اقيمت تكريما لشاعر من الشعراء فقد رأينا السيدات الهنديات الكثيرات بالاضافة الى الرجال البارزين الاوربيين وكان مسئول بطاقات الدعوة والمضيف للحفلة هو السير (ذوالفقار علي خان) اما نجاح هذه الحفلة فيرجع الفضل كله في ذلك الي (ميان فضل حسين) فقد حضر في الحفلة عدد لا بأس به من اساتذة المدارس و طلابها واما الذى لم يبق خافيا على المشاهدين هو ان الهنادكة لم يحضر في الحفلة الا قليل منهم وقد تحقق بذلك بان تحمس النصرة للحكومة من قبل الهنادكة والمسلمين لايمكن ان يكون تعويضا عن تحمس الوطنية والقومية ورأينا بعض طلاب المدارس ينشدون انشودة اقبال "الهند لنا" في تلك الحفلة عند مقاعد السير (ايدورد ميكليجا) والسير (جان مينارد) وهذه الظاهرة لم تكن توافق جو الحفلة اطلاقا وفي نهاية

المأدبة قام السير (ذوالفقار علي خان) فالقى كلمة ذكر فيها الدكتور (طاغور) فقال بان (طاغور) كان قد حازلقب السير بعد الحصول على جائزة (نوبيل) ولكن اقبال لم يرمن المناسب ان يذكر الناس بتلك المناسبة بان الدكتور (طاغور) كان قد رفض هذا اللقب! والقى السير محمد اقبال كلمة ذكر فيها الرغبة في العلوم الاٰسيوية وخاصة في العلوم العربية والفارسية التي ظهرت أخيرا في البلاد الغربية ولعل السير محمد اقبال حين قال بان الحكومة قد شجعت وقدرت ادباء اللغة العربية والفارسية حيث منحت له لقب السير كان قد نسي الحقيقة لواقعية ولم يذكر ألا وهي ان الشعب الهندى لم يعد يقدر هذه اللقاب الحكومية الاٰن واما يبغضها بغجا شديدا- وان الناس وان كانوا يدعون بان هذا اللقب انما هو تقدير لاقبال بصفته شاعرا عظيما باللفتين الفارسية والاردوية وكذلك فان الذين حضروا في الحفلة لم يكن فيهم الاوربيون الا قليلا ورغم ذلك فان السير (ذوالفقار علي خان) و (السير محمد اقبال) قد القيا كلمتيهما باللغة الانجليزية ومن اغرب الاشياء بهذه المناسبة ان السير (ايدورد ميكليجان) رئيس الحفلة لم يتحدث بكلمة في المناسبة وفي نهاية الحفلة اخذت صورة تذكارية تجمع بين السير ايدوارد ميكليجان) و (السير جان مينارد) والسير (ذوالفقار علي خان) و (راجا نرندر ناث) وديوان (كيشن كشور) بالاضافة الى السير (محمد اقبال) فكان هذه الصورة التذكارية لم تكن تدل على ان هذا اللقب الذى منح للسير (محمد اقبال) انما كان تقديرا لخدماته الادبية ولايرف السبب الذى جعل (ميان فضل حسين) و (سردار سندر سنغ مجيثيا) العضو بالمجلس الادارى لحاكم بنجاب و (لاله كيشن لال) نم يظهروا في الصورة"-

الواقع ان اقبالاً لم يكن يهتم بمثل هذه الالقاب والتقديرات ومن ثم زاه اكثر حرية واستقلالا في رأيه وتعبيره بعد ان نال هذا اللقب ويدل على ذلك ما يوجد فيما كتبه اقبال او قاله من الشعر والسؤال الذى يطرح نفسه بهذه المناسبة هو: ما الذى جعل اقبالاً يرضى بهذا اللقب بينما كان عامة الشعب قد اخذوا ببغضو هذه الالقاب واهلها؟ والرد على هذا السؤال هو ان اقبال كان من أقلية مسلمة وان هذه الأقلية المسلمة كانت تختلف في مشاعرها ونفسيتها عن الاغلبية الهندوكية على اساس الخلفية السياسية التي يمتازها شبه القارة- ان موقف الاقلية المسلمة كان موقف الدفاع نحو موافقت الحكومة الانجليزية والاغلبية الهندوكية وان الذى جعل اقبالاً يرضى بهذا اللقب انما هو تعبير عن هذا الموقف النفسي الدفاعي الذى كان تقتضيه مصلحة الاقلية المسلمة وأهدافها-

وفي ١٩٢٣م بدأت خلافات طائفية بين الهنادكة والمسلمين في شبه القارة

كلها فكما ان هذا العصر الذى نتحدث عنه نحن الآن يمتاز بانفجار الاوبئة كل عام مثل الطاعون والجدرى والكوليرا فقد كانت تظهر هذه الاوبئة في المناطق المختلفة فتذهب الاف مؤلفة من البشر ضحية لها واما شبه القارة فكانت هذه الاوبئة تحل بها بين حين وآخر بالاضافة الى وباء منفرد ألا وهو وباء الخلافات وامشاغبات الطائفية بين الهنادكة والمسلمين والتي كانت تظهر كل عام في المناطق المختلفة فتأتي على كثير من النفوس البريئة- ان هذا التناحر والتشاجر بين الطائفتين يرجع الى العداء البغيض الذى كان يوجد بين الديانتين المتحابتين المتناحرتين منذ القدم بالاضافة الى اسباب حديثة كانت تسبب البغض وعدم الثقة والخشية من التفوق السياسي لفئة أولأخرى وأكبر هذه الاسباب الحديثة وأهمها هو التنافس الاقتصادى والاجتماعي والثقافي بين الهنادكة والمسلمين-

ان الشتباك بين الفئتين كان يظهر في شبه القارة بين حين وآخر ويذهب ضحية له كثير من الابرياء وقد بدأ هذا الاشتباك والتشاجر بين الفئتين منذ وفاة الملك المغولي (اورنكزيب عالمكير) وضعف الدولة المغولية الاسلامية-

إن هذا الصدام أو الاشتباك بين الهنادكة والمسلمين له تاريخ طويل فقد دخل الاسلام في شبه القارة في القرن الميلادى الثامن وكان اول من تحدث عن الخلافات المبدئية وحقيقتها بين المجتمع الاسلامي والهندوكي هو (ابوريحان احمد البيرون) (٩٧٣-١٠٤٨م) في كتابه المعروف "بكتاب الهند" وكان البيروني قد رافق (السلطان محمود الغزنوى) في هجومه على الهند في نهاية القرن العاشر الميلادى واتيح له ان يشاهد مباشرة وعن مقربة الفروق التي توجد في العادات والتقاليد والخصائل للمشبين فهو يحدثنا في كتابه هذا مقارنابين التقاليد والعادات التي يمتازبها المسلمون عن الهنادكة ويقول(٦):

"ان الهنادكة يختلفون عنا (اى المسلمين) من كل ناحية من نواحي الحياة وان كثيرا من شؤونهم التي تبدو صعبة معقدة كان من الممكن ان ندركها بسهولة اذا اتيح لنا الربط والاتصال بهم الا ان الناظر المتبصر يشعروكأن الهنادكة قد أخذوا من العادات والتقاليد التي تعارض العقائد والتقاليد الاسلامية على عمد منهم- ان تقاليد نا لاتشبه تقاليد الهنادكة وانما هي علي عكسها وضدها حتى ولو وجد تقليد بين تقاليد هم يشبه تقاليد نا فان هذا التقليد أيضاً يدل على معان معارضة لما نطنه نحن"-

ثم يقول متحدثا عن التباعد وعدم الصلة بين الهنادكة والمسلمين(٧):

"ان التعصب الهندوكي يعارض معارضة مباشرة كل من ليس منهم اى انه غريب

(مسلم) فهم يعتبرونه نجسا وانهم لا يتصلون به اجتماعيا كما انه لاتزاوج ولا اختلاط بين الهنادكة والمسلمين حتى ا الهنادكة لا يجالسون المسلمين ولا يشاركونهم في الاكل والشرب معتقدين في انفسهم بان ذلك ينجسهم فانهم يرون كل شئي مسته نار المسلمين او ماؤهم نجسا والواقع انه لايمكن انشاء منزل أو اقامة بيت بدون هذين العنصرين الطبيعيين انهم لا يدعون انسانا غير هندوكي على مأدبة طعاهم مهما رغب فيه ذلك الانسان وتمناه حتى ولوانه كان يميل الى ديانتهم وعقيدتهم ففي مثل هذه الظروف من المستحيل ان تقوم اية صلة احتماعية بينهم وبين المسلمين ولهذا السبب تقف عقبات لا يمكن عبورها في سبيل انشاء العلاقات الاجتماعية بين الهنادكة والمسلمين"-

وقبل ظهور المغول ودخولهم في شبه القارة بيضعة قرون كانت الدولة الاسلامية تمتاز بتطلعها الى الشرق الاوسط الاسلامي نظراً إلى هذه التفرقة الهائلة بين الديانتين الهندوكية والاسلام فقد كانت الدول الاسلامية في الهند تكتسب تأييد الخلافة الاسلامية في بغداد والقاهرة وتدعم نفسها بالصلات الدينية والثقافية بالعالم العربي ولكن العصر المغولي يمتاز بالمحاولات التي كانت تهدف الى التوحيد والتوفيق بين الهنادكة والمسلمين واول خطوة نحو هذا التوحيد والتوفيق اتخذها الا مبراطور المغولي (جلال الدين اكبر) في القرن السادس عشر الميلادى وذلك بابتداعه ديانة جديدة سماها "الدين الالهي" (دين الهي) او (دين اكبرى) ولم يكن من الممكن تحقيق الهدف السياسي من هذا النوع الا من طريق التصوف و كانت توجد طرق صوفية عديدة في الهند في ذلك الوقت كانت تؤمن بوحدة الوجود وذلك مما جعل الملك العفولي (اكبر) يقدم ديانته المهتدعة باسم طريقة صوفية جديدة فيقول الشيخ (السيد ابو الحسن علي الندوى) متحدثا عن خصائص العصر الاكبرى هذا (٨):

"فما هي الاسباب والمحركات التي كانت وراء هذه الاشياء كلها؟ وما هذ القلق والاضطراب الفكرى والديني الذى يوجد في الهند والدول المجاورة لها؟ وما هي اٰثار العصيان التي كانت توجد ضد الاسلام والشريعة في الدوائر الفكرية والعلمية؟ وما هي التاٰمرات التي كانت تدبر في ذلك الوقت؟ وما هي الاٰمال والا ماني التي كانت تضي نفوس الانتهازيين والمتحمسين مع أنه مضى الف سنة من تاريخ الاسلام في هذه البلاد؟ وما هي اسباب لتشكل والارتياب الذى كان قد نشأفي نفوس المرتابين والمترددين؟ ففي ناحية كانت الفلسفة والعلوم العقلية وفي ناحية اخرى كان الاشراقية والباطنية قد اخذت تحط من شأن النبوة و قدرها ومجدها وما هذه الفتن التي جعلت النس يعتقدون

بان العقل والفسلفة والمجاهدة والرهبانية تقود الانسان الى معرفة الله وادراكه والوصول إليه والنجاة؟ ان وحدة الوجود هذه العقيدة الغارغة كانت قد حررت النفوس وزادت من جموحها وفتحت ابواب الزندقة والالحاد على الامة الاسلامية"-

على كل حال فان جهود الملك (خبر) هذه فشلت في تحقيق اهدافه المزعومة وذلك لان كلتا الديانتين كانتا تعارضان هذه المحاولات من التوفيق والتوحيد ويحدثنا (الملا البدايوني) صاحب "منتخب التواريخ" بان الملك (اكبر) هذا كان قد عرض ديانته الجديدة (دين الهي) على قائده ونصيره الهندوكي (مان سنغ) الا انه اعرض عنه قائلا: سيدى و مولاى- انا من عبيدك الذين يعيشون على عطاءك وانا أحبك حبا شديدا فانت مولاى- ان عبدك هذا على اتم استعداد ان يضحى بنفسه في سبيلک- اما اذا دعوتني الى ديانتك الجديدة هذه فانني لا ارغب فيها ولا ارضي بها- ان بلادنا هذه عامرة بالديانتين احداهما هندوكية والثانية الاسلام وانني مستعد على ا اعتنق الاسلام امتثالا لحكمك وائتمارا بامرک- اما "دين الهي" هذا فارجوك ان لاتكرهني على اعتناقه"-(٩)

ان حرية العقيدة والدين التي يمتازها عصر الملك (اكبر) كانت من اهم الاسباب التي ترجع اليها (حركة باحتي) او "حركة الزهاد" في الهند (وهذه الحركة تقوم على مبادئ الدعوة الى ديانة تجمع بين اصحاب العقائد التعارضة والنحل المختلفة المتناقضة من الاسلام والهندوكية والمسيحية والسيخية) ونتيجة لهذه الحركة دخل مئات من المسلمين الفقراء والعمدمين بقوة السلاح معهم وبذلك نشئت فكرة التنظيم العكسرى في الديانة الهندوكية(١٠)- ويقول الشيخ (شبلي) بان الهنادكة استغلوا سياسة الملك هذه وحاولوا تهنيد المسلمين بالجبر والاكراه فقد كانوا يخطفون نساء المسلمين ويتزوجونهن ويعلمون مبادئ الديانة الهندوكية للاطفال المسلمين جبرا واكراها كما انهم كانوا يحولون المساجد الى "المنادر" أو المعابد الهندوكية وقد استمر ذلك حتى نهاية عهد الامبرا طورين المغوليين (جهانكير) و (شاهجهان) (١١)-

وللشيخ (احمد السرهندى مجدد الالف الثاني) خدمات جبارة للقضاء على البدع والعقائد الفاسدة التي ترجع الى سياسة الملك (اكبر) الدينية فقد الف العديد من الكتب نقد فيها التصوف الوجودى وحقق بفكرتة "وحدة الشهود" بان التصوف الاسلامي يقوم على الشريعة الاسلامية غير- ان هذه الخطوات الاصلاحية في مجال التصوف وتطهيره من البدع مهدت السبيل لوحدة دينية

اسلامية في شبه القارة- ان المكانة السياسية العظيمة التي يحتلها الشيخ (احمد السرهندى) في تاريخ مسلمي شبه القارة لم يقدرها أحد حق التقدير حتى الاٰن اما اقبال فكان يراه مؤسسا للقومية الاسلامية في الهند كما انه كان قد تأثر بمؤلفاته تأثرا كبيرا وكذلك فان الصلات الروحية التي توجد بين ديوان "الاسرار والرموز" لاقبال وبين مؤلفات الشيخ (احمد السرهندى) وخاصة رسائله ومكاتيبه لا تزال في حاجة الى المزيد م البحث والتحقيق والدراسة والتفكير- ان الظروف والاوضاع الراهنة في شبه القارة التي جعلت الشيخ (احمد السرهندى) يقوم بدوربناء مؤثر من التجديد في الاحتفاظ بالشريعة الاسلامية وتقويتها وتدعيمها تشبه كثيرا الاوضاع الراهنة والحركات الهدامة التي نشأت وتطورت على أساس الأفكار الغربية الهدامة من القومية والوطنية والعلمانية في عصر اقبال وهذه الظروف والاوضاع في عصر اقبال أيضا كانت تقتضي النهضة الاسلامية والاهتمام بالشريعة الاسلامية ولرجوع الى منابعها الأصيلة-

على كل حال فان المحاولة الثانية الواعية للتوفيق والتوحيد بين الهنادكة والمسلمين قد قام الاميرالمغولي (داراشكوه) ولكن الملك (اورنكزيب عالمكير) قد اجهضها وفي عصر الزوال للدولة المغولية وتغلب الاستعمار الانجليزى وخاصة بعد ثورة ١٨٥٧م أخذت الخلافات والمشاغبات الطائفية تشتد بين الهنادكة والمسلمين فقد سجل التاريخ اول حادث من المشاغبة الطائفية بين الهنادكة والمسلمين في مدينة "مدارس" م (الاقليم الاعلى) ثم حدثت المشاغبة الطائفية في مدينة "بريلى" من (الاقليم الاعلى) في ١٨٧١م وقد أدت هذه المشاغبات الطائفية الى قتل النفوس البريئة الكثيرة وقد ظهرت أحداث المشاغبة الطائفية في معظم مناطق الاقليم الأعلى ومدينة (دلهي) من ١٨٨٥م إلى ١٨٨٧ وفي ١٨٩٣م حدثت أحداث رهيبة فظيعة من المشاغبة الطائفية في مدينة (بتنه) و (بنارس) و (جورخ بور) و (بومباى) كما ان المشاغبات الظائفية الشديدة حدثت من ١٩١١ الى ١٩١٢ ومن ١٩١٥م الى ١٩١٨م في (مونجير) و (بتنه) و (شاه اٰباد) و (اٰراء) و (كرتار بور) (١٢) كما ان المشاغبات الطائفية قد ظهرت في أقاليم بنجاب والاقليم الاعلى والسند بين ١٩٢٢ و ١٩٢٣م وخلال هذه الفترة كان اقبال قد بعث برسالة الى الامير (كيشن برشاد) في ١٩/ مارس ١٩٢٣م قال فيها (١٣):

"ومع الأسف الشديد أن التنافس لا بل العداوة والبغضاء بين الهنادكة والمسلمين قد اخذت تشتد واذا استمرت الحالة هذه خلال ثلاثين سنة مقبلة

فان التعايش السلمي بين الطائفتين يكون مستحيلا"-

ثم قال اقبال موضحا موقفه في رسالة بعث بها الى (سيد محمد سعيد الدين جعفرى) في ١٤ نوفمبر ١٩٢٣م (١٤):

"والاسلام في رأيى انا انما هووسيلة للهوض بالبشرية بقبائلها وشعوبها واممها ورفع مستواها م القيود المحلية المنطقية والحدود الجغرافية والقضاء على الفوارق والرواسب التي وقفت في سبيل التقدم البشرى في المراحل الابتدائية من التاريخ تلك الفوارق والرواسب التي تفرق بين انسان وانسان وبين جنس وجنس وبهذه المبادأ المثيرة البارزة قد نجح الاسلام في أهدافه أكثر من الديانات الاخرى من المسيحية والبوذية- ونظرا الى التيارات المسريعة من القومية والوطنية التي أخذت تأتي من أوربا وتمتد إلى اٰسيا تلك القومية والوطنية التي أعتبرها أنا عذابا ولعنة يكابد منها الانسان المعاصر فانني أرى بأنه لابد من الاهتمام الكبير بحقائق الإسلام الأصلية وأسراره الخالدة والرجوع إلى منابعه الأصيلة النقية إن انني أرى في ذلك صلاح العالم البشرى كله وهذا هو السبب الذى يجعلني أهتم بوجهة النظر الاسلامية واتقدم بها إلى الانسان المعاصر ولقد كنت من المعتقدين في الوطنية والقائلين بالقومية في بداية الامر ولعلي أول من رأى حلم القومية الهندية المتحدة إلا أن التجارب والخبرة الواسعة والتوسعة في فكرى كان مما جعلني أغير موقفي وأرى الاٰن بان القومية انما هو نظام واهن مؤقت قد نرضى بها كشرلا بدمنه وأما انت فتعتقد بان الوحدة الاسلامية هي حركة سياسية أو قومية وأما انا فأعتقد بأن الوحدة الاسلامية هي وسيلة تقودنا الى التوحيد بين الامم المتفرقة وجمعها على نقطة واحدة م الهدف السيامي وبامكان هذه الامم ان تجتمع على مركز بارز يحقق بينهم الوحدة في الفكر والهدف وبذلك ستتحر هذه الامم من فوارق الجنسية والوطنية ومن العصبية القومية الملعونة فالاسلام خطوة سليمة نحو وحدة مما أكتبه عن الاسلام إلا خدمة النوع البشرى وإيمأني بأن الاسلام هو الوسيلة العملية الوحيدة التي بامكانها ان تكون وسيلة رمزية ناجحة فعالة للغاية- اما الوسائل الاخرى فليست الا الافلسفة وهي وان كانت تبدو جميلة خلابة في ظاهرها ولكنها لايمكن العمل بها وقد ادهشني حين علمت بان الناس يعتبرون ابراز الحقائق الاسلامية الأصلية سببا للعداء والحقد بين الشعوب الهندية المختلفة وانا أوافقك فيما ترى بانه من واجب المسلمين ان يتخذوا طريق الحب والمودة والصداقة نحو غيرهم من الناس فقد جاء فيما روى عن الرسول صلي الله عليه وسلم بان الامة الاسلامية جاءت رحمة ورأفة للعالم البشرى ومن اجل تحقيق هذه الثورة الخلقية لابد من أن نقدم الاسلام في ضوء

المنابع الشرعية الاصيلة وأ موقفي الشخصى نحو الحركات الدينية الأخرى في العالم هو موقف الاحترام والتكريم"-

وفي ١٩٢٤م انفجرت مشاجرات طائفية رهيبة رهيبة بين الهنادكة والسلمين في دلهي و (ناج بور) و (لاهور) و (كوهات) و (لكنؤ) و (مراد اٰباد) و (باجل بور) و (جلبرجه) و (كنكنارة) و (شاهجهان بور) و (اله اٰباد) من المدنن لهندية الكبرى- وهذه الخلافات والمشاغبات الطائفية كانت سببا ادى الى إنشاء مؤتمر الاتحاد الذى كان يعقد اجتماعاته السنوية كل عام بعد سنة ١٩٢٤م الا ان هذا المؤتمر قد فشل في تحقيق الأهداف من القضاء على المشاغبات الطائفية ولم تكن أى جدوى من ورائه (١٥) ثم انفجرت مشاغبات طائفية شديدة في المناطق المختلفة من مدينة (دلهي) و (اله اباد) والاقليم الاعلي والاقليم المركزى و (برار) و (كجرات) و (بومباى) و (كلكتة) كما ان المشاغبات الطائفية امتدت إلى (بنغال) و (بنجاب) والاقليم الاعلى والاقليم المركزى و (اريسه) و (دلهي) وبنغال وبنجاب وفي ١٩٢٨م ظهرت المشاغبات الطائفية في بومباى و كلكتة وبنجاب ثم استمرت المشاغبات الطائفية تظهر بين فترة واخرى من ١٩٢٩م الى ١٩٣٣م في بومباى والاقليم الاعلى وبهار وبنجاب وفي اثناء ذلك توترت الاوضاع والظروف في كشمير حيث كان المسلمون يخرجون متظاهرين ضد العقوبات والتهم بجريمة ذبح البقر وعدم احترام الاعياد الهدوكية وطرد المسلمين وفصلهم من الوظائف الحكومية لولاية كشمير وقام المسلمون في بنجاب واقليم سرحد متظاهرين تائيد الاخوانهم الكشميريين فأخذت جموع من المتظاهرين المسلمين يدخلون ولاية كشمير تحت قيادة (مجلس احرار الاسلام) مما جعل الحكومة الانجليزية تبعث جيوشها لتمنع المسلمين من الدخول وتساعد حاكم كشمير الهندوكي وفي ناحية اخرى كان القادة الهندوكيون المتطرفون للحزب الهندوكي الكبير (هندو مهاسبها) قد طالبوا امير كشمير الهندوكي أن يبقى ثابتا في موقفه ريثماهم ينظمون حركات هندوكية انتقامية في الولايات الاسلامية ضد امرائها (١٦)-

واما المؤتمرات المختلفة التي عقدت بدعوة من قادة الفئتين المتقاتلين من أجل الاتحاد والسلام بينهما فقد أدت الى انشاء احزاب خاصة مؤقتة ولكنها لم تثمر شيئاً لم تثمر ولم يكن أى جدوى من ورائها فمنها إنشاء جمعية مشتركة للهنادكة والمسلمين في لاهور والتى سموها "الرابطة اللبرالية القومية" وقد انضم اليها (اقبال) في اول الامرولكنه استقال منها بعد ايام ثم قرر (تشتتامتى) عقد مؤتمر في بومباى

وسماء المؤتمر القومي واستأذن اقبال ان يسجل اسمه بين دعاته فأذن له اقبال بذلك وسئل اقبال عن موقفه الذى جعله يستقيل من الرابطة اللبرالية القومية وينضم الى مؤتمر (تشنتا منى) فادلى اقبال بتصريح صحفى نشر في جريدة "زميندار" اللاهورية قال فيه (١٧):

"ان الا وضاع المؤلمة الفظيعة التي ظهرت بسبب التوتر الموجود بين الهنادكة والمسلمين في بنجاب والتي افسدت جوالاقليم لايمكن لأى إنسان مخلص أن يستحسن ذلك أويرضى به- أني أود من أعماق قلبي أن يقضي الهنادكة والمسلمون على الخلافات الطائفية ويعيشوا كاخوان مواطنين في البلاد ولا يعتدى بعضهم على البعض لأسباب تافهة وقد أراد بعض أصدقائى أن نقوم بسحاولات مكثفة موحدة لتحسين العلاقات بين الشعوب المختلفة في بنجاب وان يشارك في هذه المحاولات افراد من كل فئة فقلت لهم أننى لم أتخذ موقفا سياسيا في الظروف الراهنة ورغم ذالك فانني أرى من واجبي أن أشارك في هذه المحاولات السلمية بحكم القيم الخلقية التي أومن بها ولهذا فقد شاركتهم في هذه المحاولات السلمية إلا أنه قد اتضح لي بعد مدة قصيرة بأ هذه المحاولات لن تجدى شيئاً ولا توجد إمكانيات تقودنا إلى تحقيق الهدف المنشود وذلك مما جعلني أستقيل من هذه الرابطة ثم تلقيت برقية قبل ايام من السيد (تشتامنى) يستأذنني فيها بتسجيل اسمي بين دعاة المؤتمر القومي السلمي المقترح فوافقته بأن أكون بين دعاة المؤتمر وأذنت له أن يوقع هو بالنيابة عن على الدعوة وليس الغرض من ذلك تئيد حزب سياسي معين او معارضته كما انني لم أجد في برقية السيد (تشنتامني) مايشيرإلى أن موتمره هذا يهدف إلى معارضة حزب سياسي معين أو تئيده وقف اطلعت أخيرا على ان غرضه من هذا المؤتمر إنما هو معارضة حزب (سيوا راج) وأريد أن أصرح بهذه المناسبة بأنني قد عشت بمعزل عن الأحمزاب السياسية ولكنني كنت ولا زلت أتمنى تحسين العلاقات بين الفئات الهندية المختلفة وان الجو الحاضر في البلاد لمما يفضح الشعب وبلاده كما أنه يضر الحياة الاجتماعية والخلقية المشعوب المختلفة ولست على صلة بأى حزب سياسي ولكنني مع كل إنسان مخلص يريد تحسين العلاقات بين سكان الهند جميعا"-

فقد اتضح ممامضى بأن (اقبال) رغم اتخاذه موقفه الخاص وثباته عليه واهتمامه به لم يزل يتمنى الصلح والسلام بين الهنادكة والمسلمين في الهند وكان يتعاون مع الآخرين من الزعماء في محاولاتهم السلمية وخطواتهم الايجابية المودية الى تحقيق هذه الآهداف ولكن (اقبالاً) كان قد علم بما مربه من التجارب بأن

كل محاولة إصلاحية لتحسين العلاقات بين الهنادكة والمسلمين كانت تهدف إلى المصالح الخاصة فكل فئة كانت عزيزة على زعيم سياسي ماولم يكن أحدهم مخلصا في محاولاته إلاصلاحية السلمية في أصح معاني الكمة وأدقها ومن ثم فشلت هذه المحاولات كلها-

أما ماهي أسباب الاشتباك والصدام بين الهنادكة والمسلمين فمن ناحية دينية كان المسلمون يذبحون البقر وذلك مما يهيج مشاعر الهنادكة الدينية ومن ناحية اخرى كان الهنادكة يعزفون الموسيقى أمام المساجد في أوقات الصلوات مما كان يثير العاطفة الدينية عند المسلمين وكذلك فاذا اجتمعت مناسبة هندوكية واسلامية في وقت واحد بالصدفة وكانت احدى المناسبتين مأساة والمناسبة الاخرى مناسبة افراح فاذا وقف الموكبان القائمابه كل حسب مناسبته وجها لوجه فان الصدام كان حتميا بين الموكبين(١٨)- وبالاضافة إلى ذلك فان يدامسلمة إذا مست صنما أوشجرة "بيبل" (شجرة يقدسها الهنادكة ويتباركون بها- فان ذلك كان يعتبر اعتداء على مقدسات الهنادكة ويكون سببا للمشاغبات الطائفية وكذلك إذا أطلق خنزير في جمع من المسلمين أو وصل دخان التبغ الى خيشوم احد من (السيخ) او ست لحمة او دم من أى نوع كان او سمكة اوبيضة أوبصل جسم احد من الهنادكة الذين يعتبرون الاشياء هذه نجسافان ذلك يكون نقطة اندلاع للمشاغبات الطائفية الرهيبة وكذلك فان تبليغ الاسلام أو تبليغ اى دين اٰخر أو تأليف كتاب ونشره يتناول جانبا من جوانب الحياة لأى زعيم ديني أو إذا حرق أحد كتابا مقدسالفئة خاصة اواحتل احد مكانا مقدسا أورمزا من الرموز الدينية او معبدا من المعابد فان ذلك كله يصبح مصدرا للمشاغبات الطائفية التي لانهاية لها كما ان خصاما شخصيا بين شخصين كان يسبب المشاغبة اوالتشاجر بين الفئتين أو إذا حدث حادث تافه عادى مثل أن يمر فارس مجهول على فرس سريع يهتف بالشائعات الكاذبة في جومن عدم الثقة والخوف والهلع فان ذلك ايضا كان يجعل الناس يغلقون محلاتهم التجارية ويقطعون الشئون التجارية حتى تصبح الاسواق خالية مقفرة ويبدأ الناس يهاجمون بعضهم البعض بالسكاكين والخناجير- (١٩)

وكذلك فان التنافس بين الهنادكة والمسلمين في مجال التجارة والاقتصاد اذا اشتد وتحول إلى عداوة وبغضاء كان يقود الى انفجار المشاغبات الطائفية وعلى حد تعبير (ج،ت،جيريت) "اذا لاحظنا خريطة البلاد والمناطق التي تنشأفيها الخلافات وتندلع المشاغبات الطائفية يتضح لنا بان الفئتين في تلك المناطق

ينقسمون الى جماعات اقتصادية فعلى سبيل المثال اغلبية الهنادكة في المنطقة الشمالية الغربية من شبه القارة تشتمل على الهنادكة الاغناء المرابين- اما المسلمون في تلك المنطقة فهم فلاحون فقراء وكذلك فان المنطقة الشمالية الشرقية يقطنها اغلبية الهنادكة الاقطاعيين- واما المسلمون فيها فهم الفلاحون المزارعون- اما اغلبية السكان في المدن الكبرى من التجار واصحاب المحلات التجارية فان اغلبيتهم ايضا من الهنادكة واما اصحاب المهن والغنانون والعمال فهم المسلمون (٢٠) فان التنافس الاقتصادى بين الفئتين كان يتحول الى العداوة والبغضاء بينهما مند ١٨٥٧م وقد ظهرت اٰثار ذلك في الصناعات والمهن والاسواق التجارية والوظائف الحكومية ايضا(٢١)-

واما اجتماعيا فان الهنادكة بعتبرون المسلمين نجسا (مليش) ولاتكون اية صلة اجتماعية قريبة بين الطائفتين الا في حدود ضيقة جدا وباهتمام خاص بالحدود والقيود وان من المستحيل ان تجتمع الفئتان على طعام وشراب- اما علاقة الزواج والاختلاط بينهما فهي ايضا من المستحيل- ان المسلمين والهنادكة يختلفون في ملابسهم وأممائهم وتقاليد هم وعاداتهم- ان كل فئة منهما تعيش حياة تعارض حياة الفئة الاخرى في ظاهرها وباطنها حتى ان كل مدينة من المدن تنقسم الى احياء اسلامية وهندوكية وعليه فان الفئتين لوحاولتا ايجاد جو من الصداقة والسلام بينهما معترفبن بالخلافات بينهما فان كل فئة سوف تظل مرتبطة بفئتين متعاديتبين في مجالات الاقتصاد والاجتماع-

وكذلك فان الخلافات المدنية بين الطائفتين تسبب فسادا ومشاغبة في بعض الاحيان ان هذه الخلافات المدنية تنجلي واضحة في الروايات والتقاليد التارخية فنوى طائفة منهما يكرمون شخصية تاريخية ويمجدونها بينما يبغضها ويعاديها اصحاب الفئة الاخرى فاذا حاولت طائفة تحديد اثر اوبناء جديد مكان بناء متهدم قديم قد يعتبر مجدا ومفخرة لتلك الفئة بينما يكون ذلك من اسباب مثيرة لعواطف الفئة الاخرى ومشاعرها أو إذا دعت فئة منهما في وقت واحد بان معبدا تاريخيا هاما فلانيا يرجع اليهما او حاولت فئة تطبيق لغة او مدنية لفئة على الفئة الاخرى بالجبر والاكراه-

وقد تكون الخلافات السياسية سببا للمشاغبات الطائفية الرهيبة فقد اندلعت مشاغبات طائفية بهذا السبب بين الهنادكة والمسلمين في (بومباى) سنة ١٨٩٣م ومنها مشاغبات ١٩٠٥م بسبب تقسيم بنغال كما ان المشاغبات

الطائفية قد اندلعت في ١٩١٩م وكان سببها هوالمعارضة من قبل الهنادكة لمبدأ الانتخاب المنفصل للمسلمين الذى ورد ذكره في مشروع القانون للمجالس الهندية لسنة ١٩٠٩م ومنها مشاغبات سنة ١٩١٧م في (شاه اٰباد) و (اٰراء) ومشاغبات ١٩١٨م في (كرتاربور) وكذلك اندلعت مشاغبات بين الفئتين المتناحرتين في ١٩٢٤م وهي مشاغبات كانت بين حركتي الهنادكة اللتين كانتا قد عرفتنا بحركة (سنغاتن) و (شدى) اى تهنيد المسلمين وابادتهم) وبين المنظمات الاسلامية كانت تهتم بتبليغ الاسلام ونشر الثقافة الاسلامية ومن ذلك مشاغبات طائفية اندلعت في (كانور) و (كشمير) في سنة ١٩٣١م-

ويقول الشيخ (محمد علي جوهر) محلا و معلقا على تغشي الخصام والعداء الموجيودين بين الهنادكة والمسلمين منذ القدم(٢٢):

"ان القومي أو الوطني الهندوكي المتعصب قد أصبح يهتف بهتافات حربية وهي هتافات (سيفاراج) اى "الحكم الهندوكي الديني" ان هذا القومي الهندوكي المتعصب قد اخذ يرفض أن يؤوى المسلم عنده حتى يترك دينه ويتجرد عن صفته الاسلامية المنفردة ويذوب ذوبا كليا في مدنية الهنادكة واجتماعهم- ان مشاهدة الهندوكية المتزايدة قوة وسلاحا تلك الهندوكيقالتى ترى احلام الحكم الهندوكي الخالص على الهند كلها في المستقبل تلك الهندوكية المتطرفة التي قد البست اٰلهتها القديمة ملابس الديموقراطية وهي تلعب بها لعبة جديدة- هذه المشاهدة قد أدهشت المسلم المتحفظ المتحمس لدينه الذى تحرر حديثا من ماضيه- ان هذا المسلم المتحفظ المتحمس قد أخذ يشعربان خريطة الحرب قد تغيرت اليوم وان اسلحة الحرب (القومية المحلية والوطنية والديمو قراطية وغيرها) كلها جديدة كما ان طرق استخدا مها جديدة ايضا وهذه هي الاسباب التي جعلت المسلم المتحفظ المتحمس ينكمش خوفا وهلعا واخذ يلجأ الى العقيدة الدينية لاحب الوطن- ان الوطني الهندوكي المتعصب هذا يغوق المسلم البسيط في مخططاته ومبادئه- ان هذا الوطني الهدوكي المتعصب يمضي على طريق الحرية والاستقلال وهو يعتبر نفسه بطلامن ابطال الهند- اما المسلم المتخلف البسيط الذى هولايزال اقل نشاطا من ذلك الهندوكي واكثر شقاء منه يطالب بحق الحياة باسلوب دفاعي وإعتذارى- أن الهندوكي المتعصب هذا لايحفل بالمسلم المتحفظ ولايهتم به- اما المسلم فانه يرد عليه قائلا بان الاٰمال القومية إن لم تكن كلها سرابا فانها لابد وان تكون خداعا على اقل تقدير الا انهم رغم هذه الاشياء كلها لايزالوان يحتفظون بامبدأ القائل بأننا جميعا نشترك في اهدافنا وان الصحف الهندوكية اليوم تستخدم مصطلحات غامضة مضلة عن الوحدة

القومية حتى كانه لايوجد خلاف مبدى في الافكار والطبائع والمشاعر ووجهات النظر بينهم وبين المسلمين اطلاقا"-

ان الشيخ (محمد علي جوهر) هو أول قائد مسلم سياسي مهم قد أعل في ١٩٢٣م بان الوحدة الجغرافية لشبه القاره انما هي خدعة ولا توجد فيها وحدة من اى نوع كان غير وحدة الخلاف الخادع المضل وان سبب الانفصال والاستقلال بين الهنادكة والمسلمين انما هودين ومن ثم مشاكل الهند كلها مشاكل دولية بانواعها وليست محلية أبدا-

وبعد الافراج عن (علي واخوانه) كان الجو السياسي في الهند قد تغير وكان احترام الكونجرس في نفوس الناس قد انتهي وذلك بعد الفشل في حركة عدم التعاون اوترك الموالاة وكان المجال السياسي قد اصبح لعبة في أيدى حزب (سيفاراج) والمجلس الهندوكي الكبير (هندومها سبها) وكان حزب (سيفاراج) تحت قيادة الباندیت (موتى لال نهرو) و (س، د- ، داس) قد اعد برنا مجا خاصا يهدف الى معارضة السياسة الحكومية في المجالس التشريعية بدل الاستمرار في حركة عدم التعاون أو ترك الموالاة كما كان يرى (غاندى) وانصاره حتى يتمكنوا من الوقوف في وجه تطبيق الدستور الجديد كما ان الزعماء المسلين السياسين كانوا قد ركزوا جل اهتمامهم على المشكال السياسية للهند بعد الغاء الخلافة في تركيا-

وفي ٣٠/مارس ١٩٢٣ انشد اقبال منظومته المعروفة "طلوع الاسلام" في الاجتماع السنوى لجمعية حماية الاسلام وكان قد نظمها بمناسبة انتصار المجاهدينن الاتراك القوميين في كفاح التحرير وذلك حين طردوا اليونانيين من (سمرنا) واحتلوا القسطنطنية واكرهوا الناس بقوة السيف على الاعتراف بحكمهم ولهذا السببكان اسلوب المنظومة في مستهلها يحمل الامل والرجاء والرسالة للمستقبل الزاهر المجيد المضي للامة الاسلامية ويقول عبد المجيد سالك عن ذلك (٢٣):

"والواقع ان منظومتي "خضر الطريق" (خضر راه) و "طلوع الاسلام" كانتا من الوسائل الكبيرة التي شجعت المسلمين وجعلتهم يأملون في مستقبلهم الزاهر ومهدت السبيل للصراط المستقيم امامهم بعد ان كانوا قد مروا بمرحلة هائجة من المشاعر والعواطف والافكار"-

وفي مايو ١٩٢٣م ظهرت الطبعة الاولى م "رسالة المشرق" او (رسالة الشرق) وكان اقبال قد اخبر الشيخ (سيد سليمان) الندوى بتأليف هذا الديوان قبل طبعه ببضع سنوات في رسالة اليه قال فيها (٢٤):

"واما في الوقت الحاضر فاني مشتغل بالرد على ديوان شاعر غربي وقد انتهيت النصف الاول منه تقريبا- اما الفكرة القائلة بالادب للادب فانها لن تكون هدفا من اهد افي الادبية ابدا- كما انه لا يتوفر لدى الوقت للاهتمام بدقائق فن الادب وغوامضه- اما الغرض من الادب عندى انما هو الثورة الفكرية فقط ونظرا الى هذا الهدف أحاول أن أعبر عن الأفكار والآراء التي أراها مفيدة ولن يكون غريبا إذالم يعتبر في الاجيال القادمة شاعرا- وذلك لان فن الادب يقتضي بذل جهود جبارة للغاية وذلك ممالايمكن لي في هذه الظروف التي اعيش فيها وقد كان الشاعران الالمانيان الكبيران من المحامين وهما: (غوته) و (اوهلاند) اما (غوته) فاشتغل بمهنة المحاماة لمدة قصيرة ثم اصبح مستشارا تعليميا لامارة (ديمر) الالمانية وهكذا تيحت له فرصة ليهتم بدقائق الفن وغوامضه واما (اوهلاند) فقد استمر يدافع عن القضايا في المحاكم مدى حياته والنتيجة انه لم يستطع ان ينظم إلا عددا ضئيلا من القصائد والمنظومات وهكذا لم تتح له فرصة لتنمو مواهبة الغنية التي منحته الطبيعة من الابداع والابتكار"-

وقد استفاد اقبال مما أشاربه عليه (الجرامي) خلال تأليفه لديوان "رسالة الشرق" و (الشودرى محمد حسين) قد اعد مسودة الديوان للمطبعة وكان قد علق على الديوان تعليقا جامعا للغاية قبل أن يطبع ببضعة أشهر- وكان هذا التعليق قد نشر في مجله "هزار داستان" (أى "الف قصة") ثم ظهرت حلقاته المختلفة في جريدة "زميندار" الالهورية (٢٥)- وكان الشاعر قدعنون ديوان "رسالة الشرق" باسم الامير (امان الله خان)، ملك افغانستان وعن ذلك يحدثنا اقبال قائلا (٢٦):

"ان كل محاولة تهدف إلى توسعة الفكر والنظر للأفراد أو الشعوب لكي تفوق و تجتاز الحدود الجغرافية وتكون على مكانة تتمكن بها ان تقوم بدور تجديدى ابداعي في بناء الشخصية الانسانية القوية الصحيحة سواءكانت في البلاد المشرقية او في ناحية اخرى من نواحي العالم تستحق كل تقدير واعجاب وبناء على ذلك فقد رأيت من المناسب ان اعنون هذه الاوراق القلية باسم جلالة الملك عاهل افغانستان لانه على علم بهذه النكتة اللطيفة بحكم ذكائه الموهوب وفطنته الطبيعية وانه قد اخذيهتم حاليا بالتعليم والتربية للشعب الافغاني"-

وتحدث اقبال عن أهداف ديوانه هذا فقال (٢٧):

"ان الحافز المحرك لتأليف هذا الديوان أى "رسالة الشرق" او "رسالة المشرق" انما هو الرد على الديوان الغربي لشاعر الحياة الالماني (غوته) ولست في حاجة الى

ان اقول شيئا عن رسالة المشرق، ذلك الديوان الذى تم تأليفه بعد مائة عام من ظهور الديوان الغربي وانما أتركه للقراء الكرام أن يقدروا ذلك حق التقدير فان الغرض من تأليف هذا الديوان إنما هو ابراز الحقائق القومية والدينية والخليقية التي تتعلق بالتربية الروحية للافراد والشعوب ويوجد شئي من التشابه بين المحيط الالماني قبل مائة عام وبين الاوضاع المحيطة بالعالم الشرقي اليوم ولكن الحقيقة الواقعية ان الاضطراب الروحي الذي يوجد في شعوب العالم اليوم ذلك الاضطراب الذى لا نستطيع ان نقدره تقديرا صحيحا لاننا نحن أيضا قد تأثرنا بهذا الاضطراب نفسه ونحن جزء منه الا ان هذا الاضطراب الروحي او الداخلي انما هو تمهيد للثورة الشاملة في المدنية البشرية والقيم الروحية العالمية- ان حرب اوربا قد كانت كارثة عظيمة وقد اتت على نظام الدنيا القديمة بجوانبه كلها وان الطبيعة الاٰن تريد بناء عالم جديد للانسان الجديد وحياته فيه على انقاض الثقافة الماضية والمدنية القديمة ذلك العالم الجديد الذى نجد له صورة شاحبة فيما ألفه الحكيمان الفيلسوفان (اينشتاين) و (برغسان) وان العالم الشرقي وخاصة العالم الاسلامي الشرقي قد صحا من نومة طويلة دامت قرونا عديدة ولكن يجب ان تدرك شعوب الشرق بان الحياة لس بامكانها أن تقوم بايجاد ثورة في محيطها إذا لم تتمكن من إيجاد الثورة في اعماقها الداخلية واذا لم يتخذ العالم الجديد وجودا خارجيا حتي يتخذ وجودها في اعماق الضمير البشرى ايضا"-

وفي باب من ابواب الكتاب والذى عنونه اقبال "بنقش افرنک" اى "الصور عن العالم الافرنجي الغربي "وردت منظومات عديدة تتناول الصراع القائم بين الرأسمالية والعمال المكافحين ومنها "رسالة" وفي رفقة الماضين في العالم العلوى" و "محادثة بين الفيلسوف الفرنسي (اغسطس كوميت) ورجل عامل وهو السيد (لينين)" و (وليام القيصر)" وحظ الرأسماليين والعامل "وصوت العامل المكافح" وغيرها من المنظومات وعلى أساس هذه المنظومات بنجانب منظومة "خضر الطريق" قد حاول البعض من الشيوعيين في إقليم بنجاب أن يبرهنوا على أن إقبالاً كان من دعاة الاشتراكية أو الشيوعية وفي ذلك الوقت كانت تصدر مجلة واسمها "انقلاب" اى "الثورة" التى كانت تهتم بالشيوعية وتبليغها وانتشارها وقد أشرف على إدارة تحريرها مدة السيد (شمس الدين حسن) إلا أن المجلة توقفت لأسباب مالية وكان (شمس الدين حسن) هذا شيوعيا نشيطا فقال في احدى مقالاته التي نشرت في جريدة "زميندار" الاهورية في ٢٣/ يونيو ١٩٢٣م (٢٨):

"ان نظام الحكم البلشفي إنما هو ملخص فلسفة ماركس السياسية وجوهرها الحقيقي وان فلسفة (ماركس) هذه تسمى في اللغة العامة المتداولة بالاشتراكية

والشيوعية ففي مثل هذه الظروف إذا درس انسان منظومة "خضر الطريق" ورسالة المشرق" وكان يملك من العقل ولوقليلا فلابد وأن يصل الى نتيجة تقوده الى ان اقبالاً لم يكن اشتراكيا بالتاكيد فحسب وانما كان من الطراز الاول لدعاة الاشتراكية او الشيوعية ففي "رسالة المشرق" قطعات شعرية قصيرة و منها" حظ الرأسمالي والعامل" و "صوت العامل المكافح" وبغض النظر عن هذه القطعات الشعرية نرى مطلع قصيد يقع على صفحة ١٥٦ وهو" ان السهام والأسنة والخناجر والسيوف قد اصبحت من اٰمالي ولاتصاحبني فانني أتبع طريق "شبير" وذلك من اٰمالي"- فهل يمكن لاحد بعد وجود الابيات الشعرية م هذا النوع عند اقبال ان يشك بان العلامة اقبالاً لم يكن شيوعيا يملك المشاعر والافكار الشيوعية المتطرفة؟"-

ولم يكن إقبال قد قرأ هذا المقال أو الجريدة التي نشر فيها فابلغه بعضهم بان الافكار البلشفية قد نسبت اليه فنشر رسالته في جريدة "زميندار" في ٢٤/ يونيو ١٩٢٣م استنكر مانسب إليه من الافكار فقال: (٢٩)

"ان بعض الناس قد نسبوا لي افكارا شيوعية واٰراء بلشفية ومادمت أرى أن الإيمان بالافكار الشيوعية يعنى الارتداد عن الاسلام والخروج من دائرته فلابدلي أن أرفض هذه الافكار التي نسبت لي، انني مسلم وأعتقد، وأن عقيدتي هذه تقوم على الدلائل والبراهين بان الحل الناجح والعلاج الشافي للأمراض الاقتصاردية كلها هوماجاء به القراٰن الكريم- ان الرأسمالية اذا تجاوزت حد الاعتدال فلاشك انها خطر على العالم بل هو نوع من اللعنة ولكن انقاذ البشرية من التأثير الضار للرأسمالية لا يعني اعدام القوة الرأسمالية من النظام الاقتصادى اصلاكما يقترح الشيوعيون- ومن اجل التحديد المناسب على هذه الطاقة الراسمالية يقدم القراٰن الكريم حلولا بشكل المبادئ الشرعية ومنها "احكام الميراث" و "الزكاة" و "تحريم الربا" وغير ذلک- وهذه المبادئ جديرة بالتطبيق العملي نظرا الى الفطرة البشرية- ان البلشفية الروسية انما هورد فعل شديد ضد الرأسمالية الاوربية المستبدة المسنلغلة التي لا تعرف العواقب ولا تؤمن بها ولكن الواقع ان الرأسمالية الغربية والبلشفية الروسية كلتا هما وليدة التطرف من الافراط والتفريط- اما الطريق الوسط وسبيل الاعتدال فهو الذى هدانا اليه القراٰن الكريم والذي اشرت اليه اٰنفا وان هدف الشريعة الاسلامية الحقيقي انما هو ان لاتتغلب فئة على فئة اخرى على اساس الرأسمالية وان تحقيق هذا الهدف فيما اعتقد هو الذى اخبرنا به الشارع عليه الصلاة والسلام وهو طريق سهل وجدير بالعمل- ان الاسلام لا يرفض قوة الرأسمال من نظامه الاقتصادى وانما يستبقيها ويحتفظ بها وذلك نظرا الى الفطرة الانسانية فهو يقترح لنا نظاما

اقتصاديا لوعملنا به لكان ضمانا لنجاحنا ولن يكون من الممكن لقوة الرأسمال ان تتعدى حدودها المناسبة ولكن مع الأسف الشديد أنني أرى المسلمين لم يدرسوا الجانب الاقتصادى للشريعة الاسلامية الغراء دراسة شاملة والا فكان من الممكن ان يعرفوا بان الاسلام نعمة كبرى قد انعم الله بها على البشر جميعا واعتقد بان قول الله سبحانه وتعالى "فاصبحتم بنعمته اخوانا" انما هو اشارة الى هذه النعمة الكبرى أى دين الله تعالى وذلك لان افراد أي شعب من الشعوب لايمكن ان يكونوا اخوانا بعضهم لبعض الا اذا كانوا يتعاملون بعضهم مع بعضهم على اسس المساواة ومبادئها ولايمكن تحقيق هذه المساواة الاسلامية بدون نظام اجتماعي عادل يهدف إلى التحديد المناسب لقوة الرأسمال حتى لاتتعدى حدودها- ان الغرب قد أهمل هذه النكتة الاقتصادية فاصبح اليوم يعاني من الشدائد والآلام- انني أتمنى أن تقوم شعوب العالم كله بوضع المبادئ والقوانين تفرج تحيدا مناسبا على قوة الرأسمال وتمنعها من الطغيان والاعتداء وفي نفس الوقت تقوم بايجاد المساواة في النظام الا جتماعي العالمي الشامل وانا على ثقة ويقين بانه سوف يأتي وقت على الشعب الروسي يتضح له فيه عيوب النظام الشيوعي المعاصر وحينئذ لن يكون مناص للشعب الروسي إلا أن يرجع إلى نظام يقوم إما على الأسس والمبادئ الاسلامية الخالصة أو المبادئ والأسس التي تشبه مبادئ الشريعة الاسلامية الغراء وأسسها- اما النظام الاقتصادى الروسي بشكله الحالى فانه مهما كان محموداً مستحسنا فمن المستحيل لأى مسلم ان يوافق هذا النظام الشيوعي أويتعاطف معه ابدا- ان المسلمين في الهند وغيرها من البلاد الاسلامية يدسون السياسة الاقتصادية الاوربية فيتأثرون بالافكار الغربية المعاصرة بسرعة وانما كان يجب عليهم ان يدرسوا المبادئ الاقتصادية التي يطرحها القرآن الكريم دراسة شاملة عميقة وانا على ثقة ويقين بانهم سيجدون فيها الحلول الناجحة الشاملة لمشاكلهم التي تواجههم في الوقت الحاضر وانا اقترح على الاعضاء المسلمين للاتحاد العمالي بلاهور ان يهتموا بهذه القضية وانا اتعاطف مع أهد افهم وأغراضهم ولكنني في نفس الوقت آمل ألا يتخذوا طريقا وألايختاروا هدفا يعارض التعاليم القرآنية أبدا"-

وهذه الرسالة التي هي اول ماكتبه اقبال ونشره في جريدة "زميندار" اللاهورية يمكن لنا ان بها من فهم الافكار الاقتصادية لاقبال اذا درسناها دراسة عميقة شاملة وفيما بعد تناول اقبال هذه الافكار وقام بتوضيحها وشرحها فيما القاه من الخطب أوما ألفه من الكتب كديوانه "جاويد نامه" اى "رسالة " وسوف

نتناول هذه الافكار وندرسها دراسة شاملة إلا ان هذه الافكار التي وردت في رسالة اقبال جعلت الشيوعيين والاشتراكيين يعرضون عن اقبال اراضا ويشنون عليه هجوما شديدا ويشوهون سيرته خصية ويتهمونه بانه مسلم رجعي متزمت-

وفي ١٩٢٣م أعلنت الانتخابات في اقليم بنجاب وذلك حين طبقت الاصلاحات الدستورية الجديدة وألح على اقبال الكثيرون من أصدقائه وحضرت الفود الشعبية عنده ونشرت الجرائد العديد من الرجاءات جميعهم يطالبون اقبال بان يدخل المعركة الانتخابية كعضو في المجلس النيابي الاقليمي من دائرة انتخبابية لمدينة لاهور إلا أن صديقا من أصد قائه وهو (ميان عبدالعزيز) المحامي كان قد اعلن دخول الانتخاب من نفس الدائرة النيابية فلم يرد اقبال ان يعارضه و كتب رسالة إلى (محمد نياز الدين خان) يوضح فيها موقفه قائلا (٣٠):

"انني لن أدخل المعركة الانتخابية رغم أن سكان لاهور الكثيرين يلحون على بذلك وقد حضر عدد من الوفود تطالبني بدخول المعركة الانتخابية ولكنني لاأريد أن أعارض (ميان عبدالعزيز) فاننا رتبط بحكم صلة الصداقة القديجة رعم انني متأكد من النجاح في هذه المعركة الانتخابية إذا دخلتها إلا أنني أعتبر ذلك خلافا لمبادئ المرؤة والفتوة والصداقة ولاأسطيع أهمل العلاقات القديمة التي تربط بيننا من أجل فائدة نيوية موهومة مؤقتة"-

وفي ٢٣/ اكتوبر ١٩٢٣م زار نائب الإمبرا طور للهند (اللورد ريدنج) لاهور ليفتتح القضاء العالى الجديد لاقليم بنجب وبهذه المناسبة عقد اجتماع كبير في مخضرة القضاء العالي خضره القضاة والمحامون وكبار الموظفين الحكوميين الاقليميين وكان رئيس القضاء العالى (السير / شادى لال) قد ألقى كلمة رحب فيها بنائب الامبرا طور الذى رد على كلمة الترحيب فذكر اقبال بأسلوب يحمل التقدير والاستحسان مما أدهش الجميع على حد تعبير اقبال نفسه وذلك لانه لم يكن يتوقع منه ذلك في مناسبة كهذه (٣١)-

وفي ١٩/ مايو ١٩٢٤م انتخب اقبال رئيسا لجمعية حماية الاسلام ولكنه استقال من هذا المنصب في ٢٨/ يونيو ١٩٢٤م وذلك لان اعضاء مجلس الجمعية كانوا يختلفون فيما بينهم اختلافا كثيرا كما ان الجمعية كانت تواجه الظروف المالية الصعبة السيئة وكان بعض الاعضاء قد انضموا الى الجمعية من اجل تحقيق الاغراض الذاتية وكانوا يعتبرون الجمعية وسيلة لتحقيق اغراضهم الدنيوية الذاتية(٣٢)-

وفي سبتمبر ١٩٢٤م نشر ديوان إقبال (بانك درا) أو "صوت الجرس" فقد

كان أصدقاء إقبال يطالبونه منذ القدم بأن ينشر ديوان شعره الأردوى إلا أنه كان يؤجل ذلك ويسوف لكى يتمكن من إعادة النظر في جميع المنظومات الأردوية ولكنه كان مشغولا جدا فلم يتمكن من تحقيق هذا الغرض وكان إقبال قد كتب إلى الشيخ (شيد سليمان الندوى) فاخبره بان من الاسباب التي جعلته يؤجل إعداد الديوان إنما هورغبته الملحة في إعادة النظر في المنظومات الاردوية كلها وأنه لايجد الوقت لذلك (٣٣) وكان (الشوذرى محمد حسين) يلح على اقبال الحاحا مستمرا أن يكمل إعادة النظر في شعره الأردوى لكى يظهر الديوان بسرعة ولايبقى مجال لأحد أن يسبقه إلى إخراج الديوان ونشره وكان إقبال مشغولا باعداد الديوان وترتيبه (صوت الجرس) فاذا بأحد التحار يسبقه إلى نشر الديوان وإخراجه بدون أن يستأذن اقبالاً، وهذا التاجر هو (محمد عبدالرزاق) الذى جمع شعر اقبال من بين المجلات والجسمرائد المختلفة فنشره م (حيدرا ًباد الدكن) باسم "كليات اقبال" ولما كان اقبال قد اعاد النظر في منظوماته وأصلح الكثير منها كما أنه أسقط البعض منها إذ وجده معيبا سخيفا في رأيه وأقل روعة أدبية كما أنه كان قد اختار من شعره نظرا الى المراحل الزمنية المختلفة التي مرت بها قريحته الشعرية المتطورة فان اقبال غضب لهذا الاجتراء والاقدام من قبل ذلك التاجر فتدخل (السير / اكبر حيدرى) في القضية وتم الاتفاق بين اقبال وبين التاجر أن يدفع الاخير الف وربية للاول كتعويض له وأن نسخ الكتاب المطبوعة هذه لن تباع خارج حدود إمارة (حيدر اباد الدكن) وكذلك فان احمد اصدقاء اقبال وهو الشيخ (احمد دين) المحامي كان قد ألف كتابا في ١٩٢٤م عن حياة اقبال وسماه "اقبال" ونشر مع الكتاب المجموعة الشعرية للشاعر ولكنه ندم على ذلك حين علم بان إقبالاً نفسه يشتغل حاليا باعداد الديوان الاردوى وترتيبه فاحرق- جمعيع النسخ من المجموعة الشعرية (٣٤) وقد ساعد / الشودرى (محمد حسين) اقبالاً في إعداد الديوان وترتيبه وكان (السير / عبدالقادر) قد قدم للديوان وحين نشر الديوان تلقاء الشعب بالقبول فبيعت جميع نسخه في فترة قصيرة جدا-

وكان أنصار حزب "سيفاراج" قد دخلوا معركة الانتخاب حتى وصلوا الى المجالس النيابية والمجالس الاقليمية كاعضاء فأخذوا يقفون في سبيل تطبيق الدستور الجديد وخاصة في اقليم بنغال والاقليم المركزى وكان نجاح أعداء حزب "سيوا راج" في بنغال يرجع إلى مساعدة المسلمين وتعاونهم معهم وذلك بحكم اتفاقية تمت بينهم وبين (س-ر-داس) والذى كان يقود هؤلاء الاعضاء الهندوكيين هوالبانديت

(موتي لال نهرو) والد (جواهر لال نهرو فأكرهوا المسلمين على الموافقة على الانتخاب المختلط حتى تتمكن الاغلبيات الاسلامية في بنغال وبنجاب من الحكم المحلى وعلى العكس من الاحزاب الهندوكية الكثيرة كان المجلس الكبير الهندوكي أو (هندو مهاسبها) لايعترف بالوجود المستقل المنفصل للمسلمين وكان هذا الحزب قد تفوق على الكونحرس في انتخابات ١٩٢٤م لان الكونجرس في رأيه لم يتمكن من الاحتفاظ بالمصالح الهندوكية وكان اصحاب المجلس الكبير الهندوكي قد عارضوا الاتفاقية التي تمت بين مسلمي بنغال و (س- ر- داس) واخيرا استطاع المجلس الهندوكي الكبير ان يهزم الكونجرس في انتخابات المجالس النيابية تحت قيادة الباندیت (مدن موهن مالويه) و (لاجبت رائى وهكذا حقق له مكانة مومومة في المجال السياسي للهند-

وكان معظم الزعماء الهندوكيين في بنجاب ينتمون إلى المجلس الكبير الهندوكي وخلال هذه الفترة نفسها كان هذا الحزب الهندوكي قد أعلن حركته المعروفة (سنغتان) (التنظيم العسكرى الهندوكي) تحت قيادة "البانددیت مدن موهن مالويه "وكانت هذه الحركة تهدف إلى تجنيد الهنادكة وتدريبهم العسكرى وفي نفس الوقت بدأت حركة التهنيد اى "حركة شدهي" وكانت تهدف الى تهنيد المسلمين المتخلفين تعليميا واقتصاديا وعلى ماصرح به (لاله هرديال) كان البرمنامج الجديد للمجلس الكبير الهندوكي كما يلي(٣٥):

"ان مستقبل الشعب الهندوكي في بنجاب والهند يقفر على تحقيق اربعة اهداف- الاول "هندوسنغاتن" او "التنظيم الهندوكي العسكرى- الثاني: الحكم الهندوكي، الثالث: تهنيد جميع المسلمين الهنود، الرابع: التغلب والانتصار على مناطق الحدود وافغانستان ثم تهنيد المسلمين الموجودين في هذه المناطق كلها- ان مستقبل اجيالنا القادمة وأمنها القومي ل يزال في خطر إلا إذا حقق الشعب الهندوكي هذه الأهداف الأربعة- أن تاريخ الشعب الهندوكي متضامن فهولم يزل شعبا متضامنا يدعم بعضه البعض خلال عصوره التاريخية المختلفة أما المسلمون والممسيحيون فلاصلة لهم بالثقافة الهندوكية ومدنيتها وذلك لانهم يؤمنون بديانات أجنبية فهم ينتمون إلى مؤسسات إيرانية أوعربية أو أوربية فكما أن الانسان يحتاج إلى إخراج مايقع في عينه من القذى فكذلك لا بدلنا نحن الهنادكة أن نقوم بتهنيد أتباع هذه الديانات واعادتهم إلى حظيرة الهندوكية وأن الشعب الهندوكي إذا أراد مستقبله وضمانه في اصح معاني الكلمة فلابدله من التغلب والانتصار على افغانستان ومناطق الحدود ثم اعادة القبائل القاطنة للمناطق الجيلية الى الديانة الهندوكية وحظيرتها الصليبية"-

ثم عقد اجتماع للمجلس الكبير الهندوكي (اى هندو مهاسبها) في مدينة (كلكتة) حيث تم اتخاذ القرادات عن التوحيد والتوفيق بين جميع الفرق الهندوكية وانتشار اللغة الهندية في بلاد شبه القارة كلها (٣٦) واما المسلمون فقد راعهم هذه الحركات للمجلس الكبير الهندوكي اى حركة التنظيم العسكرى الهندوكي وحركة التهنيد للمواطنين غير الهنادكة وكرد فعل بدأت حركات اسلامية للتنظيم وتبليغ الرسالة الاسلامية وكان الدكتور (كتشلو) و (مير غلام بهيك نيرنک) القادة الا وائل لهذه الحركات الاسلامية واما حركة التنظيم فكان هدفها مقاومة التنظيم الهندوكي العسكرى بالاضافة الى الوقوف في وجه حركة التهنيد للمواطنين المسلمين الفقراء (٣٧)-

وكان مؤتمر الخلافة سببا في ضعف الرابطة الاسلامية منذ العدير من السنوات الماضية لكن (محمد على جناح) قام بمحاولات جدية لنهضة الرابطة الاسلامية وجعلها حركة فعالة في ١٩٢٤م فعقد اجتماع الرابطة تحت رياسة الأمير (رضا على) في مدينة بومباى حيث تم اتخاذ القرارات التي أدانت الاجراءات التي اتخذها المجلس الكبير الهندوكي كما ان الرابطة حملت قادة المجلس مسئولية بذر بذور الحق والعداء بين الهنادكة والمسلمين (٣٨)-

واما الشرط المبدئي الذى قدمه قادة حزب (سيفاراج) من ان المسلمين إذا تنازلوا عن مبدأ النبابة المستقلة المنفصلة فانهم ستتاح لهم الفرص ان يقوموا بدور أغلبيتهم في إقليم بنجاب وبنغال فان المسلمين لم يوافقوا على هذا الشرط ورفضوه لان معظم القادة لحزب (سيفاراج) كانوا من قادة المجلس الكبير الهندوكي وكان المسلمون يخشون انهم اذا تنازلوا عن مبدأ الانتخاب المنفصل لهم فان الهندوكي الماكر سيحاول انا يتلاعب بالشاب المسلم المتخلف ولن يسمح للمرشحين المسلمين ان ينححوا في دوائر الانتخاب الا من وافق الهندوكيين فيما يريدونه وان اى مسلم موشح لم يوافقهم فيما يريدونه فان نجاحة في الانتخاب سوف يكون من المستحيل ففي مثل هذه الظروف اذا استطاعت الاغلبية المسلمة أن تقوم بدورها الفعال في بنجاب وبنغال فانها لن تكون إلا إراة ولعبة في أيدى هوءلاء الهنادكة-

لم تنجب زوجتا اقبال (سردارا بيكم) و (مختار بيكم) له من الا ولاد منذ ١٩١٣م الى ١٩٢٣ ولكنه من غريب الاتفاقات ان كلتيهما حملت في اوائل سنة ١٩٢٤م في وقت واحد تقريبا وكان كل واحدة منهما تحب صاحبتها ومن ثم

اتفقتا فيما بينهما انهما ستبادلان اولادهما إذا وضعتا حتى تصبح كل واحدة منهما تتبنى ولد صاحبتها وتربيه وحين علم اقبال بأن زوجتية كلتا هما سوف تلدان ذهب في صيف ١٩٢٤م الى (سرهند الشريفة) حيث زار ضريح (الشيخ احمد السرهندى مجدد الالف الثاني) ودعا الله سبحانه وعاهده على انه إذا ززق بالأولاد الذكور فانه سوف ينذرهم للنهضة الاسلامية وخدمة الامة الاسلامية لكي يقومو بنفس الدور من لاعمال الصالحة الذى قام به الشيخ احمد السرهندى مجدد الالف الثاني من القضاء على الشرك والبدعة والصوفية الوجودية والدين الالهيي الاكبرى المزور-

وكان اقبال يكثر من الزيارات لضرائح الاولياء الذين كان يحبهم كما أنه كان يحضر في حلقات العلماء والمشائخ كل ما سمع بأحد منهم وكان يستفيد منهم فله رسائل بعث بها إلى الامير (كيشن برشاد) تدل على انه كان قد سافر ليلتقى بالسادة الاولياء والمجذوبين كلما سمع باحد منهم ومن ذلك انه سمع عن شيخ تقي في مدينة (شرقبور) على بضعة أميال من مدينة لاهور حيث التقى بالولي الصوفي (ميان شير محمد) الذى كان عالماً بالشريعة الاسلامية وكان يأمر كل من زاره بان يعفى اللحية الشرعية وكان جالسا في مسجده حين القتى به اقبال فسأله قائلا ما الذى جاءبک؟ فرد عليه بقوله "قد جئتك للدعاء والبركة" فرد عليه الشيخ قائلا: "انك نحلق اللحية فلن أدعولك أبدا" فقام اقبال حين سمع جواب الشيخ وخرج من المسجد متجها نحو موقف عربات الحصان وفي اثناء ذلك أخبر أحد من حضر في حلقة الشيخ (ميان شير محمد) بان الرجل السائل انما هو الشاعر (اقبال) فتغيرت بشرته حين سمع بذلك واصيب بحالة غريبة- وعن ذلك يحدثنا (عبدالمجيد سالک) قائلا (٣٩):

> "فخرج الشيخ من المسجد حافيا واتجه إلى الموقف وكان العلامة (اقبال) كاد أن يركب العربة حتى وصل الشيخ إلى الموقف فاعتذر إليه اعتذارا بالغا وقال له بأنه يأمر عامة الناس باعفاء اللحية، وأما الرجل من أمثالك الذى استطاع أن ينور قلوب الملايين من المسلمين بالإيمان والعمل الصالح فلست أرى بأن أشدد عليك في مسألة اللحية ثم دعا للعلامة الذى عاد إلى لاهور مطمئنا مسرورا"-

على كل حال فان اشتياق إقبال إلى طبقة المشائخ واهتمامه بها إنما يدل على أنه كان يبحث عن شخصية إسلامية بامكانها أن يغير نفسه بنظرة واحدة وترتقي به إلى أعلى المدارج الروحية كما حكي عن الشيخ (الخواجا باقي بالله) الذى كان قد تنحى إلى زاوية بالشيخ احمد السرهندى ولقنه أن يذكر الله بقلبه

فجرى ذكر الله على قلبه منذ تلك اللحظة ووجد الشيخ احمد السرهندى في نفسه من الحلاوة الروحية ماجعلته يتدرج في المنازل الروحية بسرعة حتى أكمال منازل السلوك والزهد كلها واستطاع أن يقوم بدوره البناء الفعال في النهضة الاسلامية وحتى استطاع أن يجعل الطريقة الصوفية تتبع الشريعة الاسلامية الغراء وتحقق اهدافها السامية (٤٠) ولكن اقبالاً لم يوفق فيما أراد أن يبحث عنه-

وفي ٥/ اكتوبر ١٩٢٤م وفي الساعة التاسعة والنصف صباحا بالضبط ولد مؤلف هذا الكتاب في مدينة سيالكوت وقد انجبته السيدة (سردار بيكم) فأذن الشيخ (نور محمد) في اذنيه واقترح له اسمايشبه اسم حفيده الاكبر (اٰفتاب اقبال) وهو "قمر الاسلام" الا ان الاسم لم يعجب اقبالاً وفضل اسما لمولوده الجديد كان قد فكر فيه كثيرا قبل ذلك وهو "جاويد" ومن ثم تقرر أخيرا واتفق عليه جميع اعضاء الاسرة وسمى المؤلف به "جاويد اقبال" (٤١)-

وفي هذه الفترة نفسها كانت السيدة (مختار بيكم) قد سافرت إلى منزل أبويها في مدينة (لوديانة) لتضع في بيتهما حسب التقاليد المحلية المتعارفة وبقي اقبال في لاهور حيث زاره (اعجاز احمد) في مهمة خاصة به وكان اقبال يتوقع أن تأتيه البشارة من مدينة (لوديانه) في نهاية أكتوبر إلا أن السيدة (مختار بيكم) كانت قد أصيبت بمرض ذات الرئة ووصلت أنباء عن مرضها الشديد إلى لاهور مما أقلق إقبال قلقاً شديدا وفي ١٩/ اكتوبر ١٩٢٤م سافر فجأة مع (اعجاز احمد) إلى مدينة (لوديانة) ولكن السيدة (مختار بيكم) توفيت إلى رحمة الله في ٢١/ اكتوبر ١٩٢٤م ويحكي لنا (فقير سيد وحيد الدين) على لسان (اعجاز احمد) ويقول (٤٢):

> "ان زوجة عمنا السيدة (مختار بيكم) كانت تبدو نحيلة متخاذلة واهنة حيث كانت قد أصيبت بمرض ذات الرئة حتى أنها لم تكن تملك قوة تساعدها على العناء والمشقة التي كانت تعاني منها كل امرأة عنند الوضع وفوق ذلك كله فان الاٰلام والأوجاع التي تساعد المرأة في الوضع كانت قد توفقت لديها وذلك يعتبر من العلامات الخطيرة على نفس الحامل وحياتها وأخيرا طلب عمنا من الاطباء ان يهتموا بانقاذ الحامل من الهلاك وان لا يحفلوا بالطفل المولود وحياته ولكن المرض كان قد أعيا الاطباء وفشلوا في محاولاتهم وحيلهم الطبية كلها فماتت السيدة الصالحة وكان عمنا قد سألها عن حالها وهو ينظر إلى وجهها فحمدت ربها وشكرته وقالت بأنها أحسن حالا مماكانت عليه من قبل رغم انها كانت تواجه سكرات الموت كما أن عمنا أيضا كان قد أدرك الحقيقة الواقعية

هذا المشهد المؤلم من الموت كان قد أثر في نفس عمنا تأثيرا شديدا للغاية وكان يشعر بقلق واضطراب في نفسه مما أحزن كل من حوله من الاقارب والأصدقاء وكتب إلى شقيقه بعد يومين من وفاة زوجته فقال: قد بعثت إليك برقية بالأمس- أن القدر قد أعيا الإنسان فهو يفوق تدبيره أن مشهد موتها كان مؤلما محزنا جدا فالله يرحمها ويغفر لها ويغمرها بنعمه في الجنة وقد قام بعلاجها أبرز الاطباء إلا أن أيام حياتها كانت قد انقضت في كتاب الله عزوجل وكان الألم الشديد قد بلغ بها كل غاية ولم يكن في مقدرتي أن انظر إلى وجه البائسة المسكينة وهي تكابد الالم المضني ورق لها قلبي رقة بالغة واضاف قائلا في رسالته هذه بأن الطبيعة تكلف المرأة الضعيفة بأن تكابد هذه الالام وتعاني منها لالغرض إلا أن تضع إنسانا عاديا لايعيش في هذه العاجلة الفانية إلا خمسين أوستين عاما على الاغلب الاكثر" وكانت هذه الرسالة تحمل في طياتها رسالة أخرى إلى زوجة عمنا السيدة (سردار بيكم) اوصاها اقبال فيها ان تكتب رسائل التعزية إلى بنات خالة الفقيدة الراحلة وتقول لهن في رسائلها هذه بأنها ستبقي لهن أختا مدى الحياة كما كانت وأنها ستعتبرهن من اخواتها دائما فأما زوجة عمنا (سردار بيكم) فلم تكتب رسالة في هذا المعنى فحسب وانما لم تزل تفي بما عاهدتهن مدى حياتها ثم عدنا أنا وعمنا إلى لاهور بعد أن انتهينا من التقاليد المتداولة من العزاء والدعاء وكان إخوة الراحلة قد بعثوا بحلاها وجميع متاعها إلى زوجها ورغم أن عمنا كان قد اخبرهم بأن معظم هذه الحلى والمتاع إنما هو حقهم حيث أنهم الورثاء القانونيون للفقيدة ولكنهم لم يوافقوه ولم يرضوا بذلك ابدا- وكتب عمنا رسالة إلى أبى بعد وصوله إلى لاهور يخبره فيها بانه يريد أن ينفق جميع ماورثه من الفقيدة من المال في اعمال البرلكي تبقى ذكرى لها وانه سوف يضيف البعض من المال الى ذلك من عنده وان هذه المذكرى ستكون ذكرى جميلة بعون الله توفيقه وبقي عمنا حزينا كئيبا مضطربا إلى ايام كثيرة وقد اعد لافتة لتنصب على قبرها وبعث بها من لاهور الى اخوة الفقيدة وهذه القطعة الشعرية كانت منحوتة على هذه اللافتة:

١) ياللأسف قد ماتت رفيقة سفرى في الحياة- إن قلبي يعاني من فراقها وهو ملي بالأحزان والاذلام-

٢) وعن وقت وفاتها قال لي هذا الهاتف بأن اسجل ذلك بقولي (شهادت رسيد ومنزل كرد) اى انها استشهدت واستقرت في دارمقرها-

وكان عمنا قد نظم هذه القطعة الشعرية خلال إقامته بمدينة (لوديانة) وبعد اليوم الثاني أو الثالث من وفاة الراحلة الكريمة وكان قد سلم إلى الورقة التي كتبت

عليها هذه القطعة الشعرية لكي أعطيها اياه عند وصولنا إلى لاهور" (٤٣)-

اما السيدة (سردار بيكم) فقد عادت بالمؤلف وهو طفل مولود الى لاهور ولم تكن تستطيع ان تتحمل فرقة صديقتها وصاحبتها (مختار بيكم) فكانت تخلو في زاوية من البيت فتبكي ماشاء الله أن تبكي وكان اقبال يأمرها بالصبر والتجلد على المصاب ولكن (سردار بيكم) كانت تعيد جملتها المعروفة قائلة "بانها تشعر بالوحدة والوحشة الشديدة بعد ان فارقتها الفقيدة بعد رفقة دامت احدى عشرة سنة- فكانت ترجو اقبالاً دائما بان يتزوج من بعض بنات خالتها أو خالها حتى تحل محل (مختار بيكم) في المنزل وتكون رفيقة مصاحبة لها في بيتها وكان اقبال يسوف عليها ويظن ذلك من المزاح إلا أن (سردار بيكم) ألحت عليه أن يتصل باخوة الفقيدة ويتحدث معهم في هذا الموضوع حتى تستمر الصلات بين الأسرتين وبالصدفة ذهب اقبال (والميرزا جلال الدين) إلى دلهي حيث التقيا بالامير (السير ذوالفقار على) فذكر لهما اقبال ماكانت السيدة (سردار بيكم) تلح به عليه فرأى الامير (السير/ ذوالفقار على) خان أن يتحدث (الميرزا جلال الدين) الى اخوة الفقيدة في هذا الموضوع فنزل اقبال و (الميرزا جلال الدين) على محطة (لوديانة) وهما عائدان فتحدث (الميرزا جلال الدين) الى (لاله غلام محمد) شقيق السيدة (مختارا بيكم) في هذا الموضوع الا انه اعرض عن ذلك اعراضا وهكذا لم تتحقق امنية السيدة (سردار بيكم) (٤٤)-

وفي ٠٣/ اكتوبر ١٩٢٤م انشد اقبال قصيدته الغزلية التي مطلعها مامعناه: "انني لاأملك سنة الكليم كما انك لاتملك طريقة الخليل عليهما السلام" وذلك في الاجتماع السنوى لجمعية "حماية الاسلام" (والذى عقد في المدرسة الثانوية الاسلامية في بات (بهاتي) من مدينة لاهور القديمة وعلى حد تعبير (عبدالمجيد السالک) كانت الجمعية تمر بأصعب الظروف واسوئها في ذلك الوقت وكانت اجتماعاتها السنوية تعقد بالإسم فقط حيث لم يبق لها رونق ولا اهتمام (٤٥)

وفي ٣/ نوفمبر ١٩٢٤م نشرت جريدة "زميندار" اللاهورية تصريح اقبال الذى أدلى به تائيدا للملك ابن سعود وكان السبب في ذلك بعض علماء الهند كانوا يرون من اللازم بأن يبقى نظام الحكم في الحجاز في يد الخليفة العثماني (عبد المجيد خان) وكان مراسل جريدة (مسلم اؔوٹ لک) (الرأى الاسلامي) الانجليزية اتصلت باقبال لكي يعرف رأيه في ذلك فقال خلال حديثه الصحفي لهذه الجريدة وهويتحدث عن الاقتراح الذى كان يطالب بتسليم الحكم علف

الحجاز وخدمة الحرمين والاحتفاظ بهما الى (عبدالمجيد) الخليفة العثماني السابق فقال (٣٦):

"ان هذا الاقتراح اقتراح غير مناسب وإذا ألح القائلون بهذا الاقتراح على رأيهم هذا في مثل هذه الظروف والاوضاع الخطيرة فاني أخشى أن تنشأ مشاكل وصعوبات معتقدة للعالم الاسلامي فان ابن سعود يمثل عامة الوهابيين كما ان الخليفة العثماني السابق كان زعيما دينيا للعالم الاسلامي السني واما بلاد الحجاز فهي الآن في حوزة الوهابيين وتحت سيطرتهم فلوقامت المحاولات الهادفة الى تحكيم خليفة المسلمين السابق على الحجاز اخشى ان يبدأ الصراع بين الفرقتين الاسلاميتين- وانني لا ارضى بهذا النظام الحكومي حتى ولوكان بصفة مؤقتة أو في حالة الطوارى وأرى أن هذا الاقتراح نفسه في مثل هذه الظروف والاوضاع خطأ كبير وأنا أشعر بالطمأنينة الشاملة عن الأوضاع الراهنة في أرض الحجاز اليوم وأنني أثق بابن سعود ثقة تامة وأقول بدون أى تذبذب أوتردد بان سلطان النجد رجل عالم مثقف ومتنور وان الذين قابلوا السلطان او زاروا نجداً يؤيدون هذا الرأى الذى أراه- ان العالم الاسلامي اليوم يمربسلسلة من التغييرات المتنوعة المستقلة ومادام ابن سعود يريد عقد مؤتمر اسلامي عالمي يمثل العالم الاسلامي كله فمن المتوقع أن يتخذا ابن سعود موقفا ايجابيا نحو ما يقرره المؤتمر الاسلامي العالمي ويقضي فيه وهناك آثارو امكانيات متوفرة تشير إلى أن ابن سعود قد يقود حركة عربية شعبية فانيي أرى آثار ذلك وعلائمه- ان هذا الاحساس والشعور بالذاتية يقتضي منا ان ننظر إليه ونتعاطف معه من اعماق قلوبنا وان كنت أخشى ان هذه الحركة العربية قد تتطور وتستحيل الى الانعزال والانفراد ولكن يجب علينا ان تتحمل هذا الانعزال والانفراد ولولمدة قصيرة- ان الانسان العربي بطبيعته يميل الى الديموقراطية وانه لايمكن لأى حكم استبدادى مطلق ان يستمر طويلا في بلاد العرب"-

واما عن الخليفة العثماني السابق فقد اقترح عليه اقبال أن يهتم بانشاء منظمة اسلامية دولية واسعة النطاق يهدف إلى تبليغ الاسلام وانتشاره وعلى جميع الدول الاسلامية أن تدعم المنظمة بكافة الوسائل المادية ويجب على هذه المنظمة أن تنشئي معهدا إسلاميا عالميا واسع النطاق يقوم باعداد المبلغين وتدريبهم وعلى هوءلاء المبلغين ان يخرجوا إلى كافة انحاء العالم حاملين لواء الاسلام ورسالته العطرة ومصابيحه المتنورة المضيئة-

وفي ١٩٢٥م عقدت جلسة الرابطة الاسلامية في مدينة (عليكره) وترأسها (عبدالرحيم) وحضرها (محمد علي جناح و (الشيخ محمد علي جوهر) و (الشيخ

شوكت علي) و (حسرت موهاني) و (السيرسيد علي امام) و (السير محمد شفيع) وغيرهم- فقال (عبدالرحيم) وهو يخاطب الجلسة بأن بعض القادة الهنادكة يهددون المسلمين بانهم سيطردونهم من الهند كلها كما طردهم أهل اسبانيا من قبل واضاف قائلا وهو يعلق على الاجراءات الرسمية لحزب (سيفاراج) وينقد اٰراء قادته معلنا بان المسلمين لايريدون أى اتفاقية مع هذا الحزب وقد اتخذت الجلسة قرارا يؤيد مبدأ الانتخاب المنفصل والنيابة المستقلة للمسلمين في المجالس النيابية إلى جانب المطالبة بالاحتفاظ والدفاع عن الاغلبية الاسلامية في بنجاب وبنغال والسند وسرحد عندمايتم اى تقسيم ادارى للبلاد في المستقبل كما أن هذه الجلسة قد طالبت بانشاء لجنة ملكية ليعيد النظر في الاصلاحات الدستورية لسنة ١٩١٩م- (٣٧)

وبعد عدة أيام عرض النواب المسلمون قرارا في المجلس التشريعي يطالب بتطبيق الدستور الجديد في اقليم سرحد- اما النواب الهنادكة فقد عارضوا هذا القرار وقادهم الباندیت (مدن موهن مالويه) في ذلك وكانت النتيجة هو انفصال الاعضاء والانصار المسلمين عن حزب (سيفاراج) او (حزب الحكم الوطني الهندوكي (٤٨)-

وفي سنة ١٩٢٥م ظهرت مشكلة في القضاء العالي لاقليم بنجاب وذلك بشأن تعيين قاضى مسلم بالمحكمة العالية وكان رئيس القضاة السير (شادى لال الهندوكي) اٰنذاك فطالب الجرائد الاسلامية والجمعيات والمحامون والمثقفون من المسلمين في اقليم بنجاب كله بتعيين العلامة اقبال قاضيا مسلما بالمحكمة العالية وذلك نظرا إلى مواهبه وثقافته الواسعة (٤٩) إلا ان السير (شادى لال) قد رأى رأيه في اقبال فقال باننا نعترف باقبال كشاعر واما بصفته فانونيا فلانعترف به اطلاقا فلم يوفق اقبال في الفوز بمنصب القاضي وقد شغل هذا المنصب الشاغر (سيد اٰغا حيدر) من الاقليم الاعلى حسب رغبة السير (شادى لال) الهندوكي المتعصب (٥٠)-

وكان السير (شادى لال) هذا هندوكيا متعصبا للغاية حتى ان تعصبه وحقده ضد المسلمين كان على السنة الناس في اقليم بنجاب كله وكان قد نال منصب القضاء العالي بالمحكمة العالية في ١٩١٣م وفي ١٩١٧م اصبح قاضيا مستقلا وفي سنة ١٩٢٠م صار منصب رياسة القضاء العالى شاغرا فذهب رئيس الاسرة (الميانية) المعروفة في لاهور وهوالسير (محمد شفيع) الى نائب الامبراطور

ورجاء ان يعين السير (شادى لال) رئيسا للقضاء العالي والجدير بالدراسة عن هذا الموضوع ما جاء في مذكرة السير (محمد شفيع) التي لاتزال محفوظة (٥١) فعلى سبيل المثال قد جاء في ٣٠/يناير ١٩٢٠م من هذه المذكرة:

"قد حضر (راجا نرندر ناث) لشرب الشاى وشكل الى بان موقف حكومة بنجاب ومعاملتها مع الهنادكة معاملة غير متعاطفة وموقف غير عادل فمن العلوم ان الحكومة قد أعرضت عن دعاوى الهنادكة واهملتها تلك التي قدموها بخصوص الخدمة المدنية الهندية وخدمة الشرطة الملكية ومجلس الوصاية لامارة بهاولفور وانه من واجبه كعضو في مجلس نائب الامبرا طور وبصفتي نائبا من نواب الهند ان يخبرني بهذا فاوصاني بتعيين (شادى لال) رئيسا للقضاء العالى وقال ان هذا سيكون قرارا صائبا صحيحا مؤعدته بالمساعدة"-

وفي ١٩ فبراير ١٩٢٠م من المذكرة قد جاء عن زيارته الاسبوعية لنائب الامبرا طور مانصه:

"قد اخبرني نائب الامبراطور بانه قد كتب الى سكرتير الدولة اذا لم يكن من الممكن تعيين (شيمير) او شخصية اخرى تساويه في المواهب والصلاحية فعلية ان يوصي يتعيين (شادى لال) رئيسا لقضاء بنجاب العالى فقلت له بان تعيين (شادى لال) قاضيا سيكون من صلاح بنجاب وخيرها"-

ثم كتب في مذكرته يوم ٢٢/ ابريل ١٩٢٠م مانصه:

"وقد اخبرت نائب الامبراطور بانني قد قمت قريباً بزيارة لاهور و (امرتسار) ورغم ان الجوفي المدينتين لايزال متوترا ولكنني على ثقة ويقين بان تعيين (شادى لال) رئيسا للقضاء العالي سيعجب طبقة المثقفين والمتعلمين كما انه سيعجب الدوائر الدينية كلها"

وفي ١٩٢٠م عين (السير شادى لال) رئيس القضاء بالمحكمة العالية لاقليم بنجاب وذلك بحكم جهود بذلها (السير محمد شفيع) إلا انه أصح عدوا لدودا معارضا منافسا للاسرة (الميانية) التى كان يترأسها السير (محمد شفيع) وبذل كل ماكان بمكانه من الجهود لمعارضة الاسرة واهانتها والحط من قدرها وشأنها وشرفها وكان السير (شادى لال) بحكم تعصبه الأعمى يعارض كل شخصية مسلمة بارزة في نبجاب ولكن عداوته لاقبال كان لها سبب اٰخر أيضا وهو ان اقبالاً كان على صلات طيبة مع الاسرة (الميانية) هذه ويحدثنا عن ذلك الميرزا جلال الدين فيقول (٥٢):

"كنت في كراتشي حيث التقيت (بشادى لال) هذا فأسر الي قائلا:

"بان (ميان محمد شفيع) يكره اقبال للغاية ويقول بانه سكير وليس على سلوك

طيب وسير حسن وان ذلك مما يضر الدكتور اقبالاً في مستقبله فان سيادة الدكتور / اقبال لو انضم إلى لكان خيرا للغاية" فعدت الى لاهور فذكرت ذلك للدكتور فقال لي اقبال وهو يخاطبني: "ياحضرة الميرزا ان (شادى لال) هذا يريد ان يحقق اغرضه الشخصية وذلك من اغراضه وما لنا ان نتدخل في هذا الخصام- اننا لا نستطيع ان نوافقه أوننضم إليه"-

ان اقبالاً وان كان يؤمن بمبدأ القومية الاسلامية إلا انه لم يكن يهتم كثيرا بالفوارق الدينية والخلافات المذهبية في حياته الخاصة فقد كان على صلات المداقة العميقه مع العديد من الهنادكة والسيخ حتى ان بعض الشعراء الهنادكة المعجبين باقبال كانوا يلجأون اليه ليصلح شعرهم وكتب (السير تيج بهادر سبرو) رسالة الى الشيخ (عبدالحق) (اب الاردوية او مولانا عبدالحق باباشي اردو) بعد وفاة اقبال ببضعة اشهر فقالاً اعتقد ان الذين يقولون بان اقبالاً لم يكن إلا شاعرا إسلاميا هم لاينصفونه ويبخسون حقه لان هذا القول يحدد نطاق اقبال الشعرى- لاشك ان اقبالاً قد قال وألف الكثير عن الفكر الاسلامي وعن مجد الاسلام وثقافته ومدنيته الا انه لم يحدد احد نطاق شعر (ملتون) بانه كان شعر الديانة المسيحية فقط او ان (كالي داس) كان شاعر (الهندوكية فقط كما ان اتباع الديانات الاخرى لم ينكروا فضلهما أو مكانتهما فكذلك اذا كان اقبال قد تحدث عن الامجاد التارخية الاسلامية او كان قد أكبر أبطال التاريخ الاسلامي وعظمهم فلايقدح ذلك في كونه شاعرا عالميا ولايوجد مبرر يبرر لغير المسلمين ان لايقدروه حق تقدير فان منظومة اقبال عن اسبانيا في ديوانه (جناح جبرائيل) (واقول ذلك على سبيل المثال) افليس بامكانها ان تؤتر في نفوس المسلمين كماتؤثر في نفوس غيرهم من الناس ولست أتحدث عن الشاعرية والخيال السامي الذى يوجد في هذه الابيات الشعرية كما انني لاأتحدث عن اسلوبها اللغوى والادبي وانما انا افكر في مشكلة اللغة التي قد اصبح موضوعا للنقاش والتعليق اني أسأل عن نفسي لماذا نعرض عن الاسلوب اللغوى الذى يملأه الروعة الفنية والسعة الفكرية والقدرة الكاملة على التعبير ذلك الاسلوب اللغوى الذى تمتاز بها هذه الابيات الشعرية إلا ان الايام قد تغيرت وأن الظروف قد استحالت وجملة القول فان الطبائع قد تغيرت وان المنافسة بين الابتكار والردكون مستمرة واما مصيرنا ففي علم الله"-

على كل حال فان شخصية من امثال اقبال مع مواهبه الكثيرة وكفائته الفائقة فقد كان هدفا لتعصب هندوكي متعلم مثل السير (شادى لال) فضلا عن غيره من المسلمين الذين كانوا هدفا دائما لتعصب هذا الهندوكي المتعصب وان

أغرب ما رأه هذا المؤلف في هذا الموضوع هي مذكرات الكاتب الاعمى الهندوكي (فيد مهتا) تلك التي كتبها عن أسرته باللغة لانجليزية وقد نشرت هذه المذكرات في المجلة الامير كية في نيويارك في ثلاث حلقات تحت عنوان (المذكرات الشخصية) وكان والد (فيد مهتا) واسمه (بابوجي) على ملة الصداقة العميقة مع السير (شادى لال) فيقول (فيد مهتا) هذا في مذكراته هذه متحدثا عن (شادى لال) (٥٤):

"وكان السيد (بابوجي) والسير (شادى لال) يلتقيان دائما فيندفعان في النقاش عن السياسة المحلية مباشرة ويقارنان بين انطبا عاتهما عن ذلك وذات مساء قال السير (شادى لال) وهو يخاطب (باجوجي): يا اخي أرجوك ان تهنئني اليوم فقد "طبخت بطة مسلمين بنجابيين" اى قضيت عليهما اليوم- اما سمعت عن الوظيفة الشاغرة لقاض مسلم في القضاء العالي؟ طيب- فان سعادة الحاكم كان قد طلبني فسألني عن السير (محمد اقبال) وعن (كان بهادر شاه نواز) (اى ميان شاهنواز مهر السير محمد شفيع) وطلب رأيي فيهما وذلك لانه كان يدرس قضيتهما لذلك المنصب القضائى الشاغر، فرددت عليه بكل بساطة قائلا: "من الذى لايعرف (اقبالاً) فهو شاعرنا الاردوى كما ان كل من له صلة بالحكومة لابد ان يعرف (ميان شاه نواز) ايضا بصفته عضوا في مجلس بنجاب التشريعي- فايهما اختير لمنصب القضاء فهو اهل له ولكن لماذا لايطلبهما صاهب السعادة الحاكم للمقابلة الشفوية وحينئذ بامكانه ان يقضي في كفاءتهما وصلاحيتهما ويهما يستحق منصب القضاء؟ ثم ذهبت الى اقبال فاخبرته بأن الحاكم سيطلبه للمقابلة من أجل منصب القضاء وأن أكبر المنافسين له هو (ميان شاه نواز) فاسررت إليه وأنا اٰخذه بكتفيه قائلا: يا اقبال- عندما تزور الحاكم يجب ان تخبره عن (شاه نواز) وسيرته الشخصية اى انه يتصل بالمومسات والزاقصات ثم خرجت من عند اقبال فذهبت الى (شاهنواز) قصحته نفس النصيحة وقلت له يجب ان تخبر الحاكم بان (اقبالاً) على صلة بالنسوة المومسات وانه يؤلف الشعر من أجلهن وحين تمت مقابلتهما مع الحاكم عاب كل واحد منهما صاحبه ثم اخبرني الحاكم قائلا: "ياللبؤس! كلاهما رجل وسخ للغاية! ولانريد احداً منهما" فقد نجحت اليوم في الحصول على الموافقة منه بان أعين مسلما جيدا متعاونا معنا معجبا لنا من اهل مدينة (اله اٰباد) فقال (باجوجي) وهو يلقي بعصاه على الارض: "انك قدأسات وأخطات يا (شادى لال) فان إقبالاً و (شاه نواز) شخصيتان معروفتان بالكفاة فانك لوعينت احدهما لكان ممنونا متشكرا لك مدى حياته كلها وهكذا كات

شخصية بنجابية معروفة في يدك وعونا لك في احوالک- فرد عليه السير (شادى لال) قائلا بأن قاضيا من مدينة اله اٰباد في يدى فماذا اريد غيره؟" فقال له (باجوجي): "ولكنك اكتسبت عدواة مسلمين بنجابيين قويين مدى حياتک!" فرد عليه السير (شادى لال) في لهجة الحاقد المزدرى قائلا: "سيظل اقبال و (شاه نواز) يقطع كل واحد منهما رقبة صاحبه فهذا الذى يستحقه هوهلاء المسلمون البنجابيون"-

فاذا كان ما جاء في مذكرات (فيد مهتا) هذا صحيحا وان الحديث الذى جرى بين والده وبين السير (شادى لال) حقيقة واقعية فان ذلك يدل دلالة واضحة على أن السير (شادى لال) رغم كونه محاميا شهيرا ورئيسا للقضاء العالي كان انسانا حقيرا ماكراً كذابا متعصبا والحقيقة الواقعية ان اقبالاً و (ميان شاهنواز) كانا على صلات عميقة من الصداقة وقد استمراعلى هذه الصلات الودية المتينة مدى الحياة وبالاضافة الى ذلك فان كل واحد منهما كان يعرف السير (شادى لال) معرفة جيدة ومن ثم خان من المستحيل للسير (شادى لال) هذا ان يفسد ذات بينهما ويحت أحدهما ضد الاخر او يذهب كل واحد منهما الى حاكم الاقليم فيسب صاحبه ويعيبه وأن يعتقد عامة الناس بان عصر الاستعمار الانجليزى كان عصرا جيدا- وان مستوى العدل والعمل بمبادئه هو مما يمتازبه عصر الاستعمار الانجليزى وان هذا المستوى قد انحط اليوم وذلك لان الانجليز كانوا متحذرين في اختيار القضاة الكفاة وتعيينهم ولكن هذا الاعتقاد ليس صحيحا فهذا السير (شادى لال) الحقير المكير الكذاب المهين قد ظل رئيسا للقضاء لاقليم بنجاب لمدة ثلاث عشرة سنة في العصر الانجليزى الا ان احدا لم يستطع ان ينال منه بسوء ولم يحفل بمكره وكذبه وتعصبه وكذلك توجد امثلة ونظائر كثيرة تدل على ان الاستعمار الانجليزى لم يكن ههتم بالقيم الخلقية في اختيار القضاة وتعيينهم-

وفي ١٩٣٤م نقاعد السير (شادى لال) فنشرت جريدة "ملاب" اى (اللقاء) الهندوكية اللاهورية نبأ مزورا جاء فيه بأن اقبالاً كان يدبر أن يقوم بتنظيم تظاهر شعبي ضد السير (شادى لال) عند تقاعده وان الشيخ (ظفر على خان) قد شارك اقبالاً في هذه المؤامرة الا ان اسرار هذا التزوير لم تبق خافية على احد من عامة الناس فقد علقت الجرائد الاسلامية على هذا النبأ المزور ليس في بنجاب وحدها وانما في بلاد الهند كلها فهذه جريدة "خلافة" الصادرة من بومباى تقول وهي تعلق على عدل السير (شادى لال) قاضيا في المحكمة العالية لاقليم بنجاب

(٥٥):

"ان السير (شادى لال) قد تقاعد عن رياسة القضاء بالمحكمة العالية لاقليم بنجاب وهو الان ينوى السفر الى انكلترا وتقوم الجمعيات الاجتماعية المختلفة في لاهور حاليا باقامة الحفلات التوديعية له ويحضرها الهنادكة والسيخ على السواء- اما المسلمون فانهم يكرهون العصر الذى قضاه السير (شادى لال) رئيسا للقضاء العالي كما لايخفي فان المسلمين يشعرون اوشعورهم هذا على الحق بانه خلال قضائه قد أهمل حقوق المسلمين ورفض منهم العدل وكان الممثلون المسلمون في المحكمة العالية في عهده قليين جدا فاذا لم يشارك المسلمون في الحفلات التوديعية له فذلك حق وصواب ولا مجال للشكوى في ذلك وان جريدة "ملاب" قد نشرت خبرا باسلوب ركيك عامي وهو ان (السير اقبالاً) كان يريد ان يدبر تظاهرا شعبيا ضد السير (شادى لال) وان رجلا من امثال الشيخ (ظفر على خان) المتظاهر المتعود ايضا قد شاركه في هذه المؤامرة ولكن سر هذا التزوير ظهر فجأة وعلمه الناس جميعا ويجب ان تعرف جريدة "ملاب" بان أسلوبها الصحفي عن القادة المسلمين ليس مناسبا مرضيا ويجب عليها ان تصلح موقفها هذا فان السير (شادى لال) ليس بجلالة الملك حتى تدبر المؤامرات ضده كما ان المسلمين لايعيرونه أى اهتمام ولايوجد ما يجعلهم يهاجمون على مكانته الشعبية- لاشك ان المسلمين يشكون من السير (شادى لال) ولكنهم ليسوا بالجبناء الى هذا الحد حتى يدبروا المؤامرات ضده فانهم يعلنون هذه الشكاوى ولايخفونها وانهم قد اعلنوها في الصحف وفي مجال الاجتماعات الشعبية فان السير (شادى لال لايملك من السلطات والاختصاصات الملكية التي يملكها السير (ايدوائر) حتى يخافه الناس ولا يقولوا شيئا ضده فان السير (شادى لال) لم يكن إلا موظفا حكوميا ومن حق كل مواطن أن ينقده ولكن في الحدود القانونية وان يشكوضده واما قصة حرمان اقبال من عضوية القضاء العالي فمما لايخفى على احد بأنه لوكان قاضيا بالمحكمة العالية لكان مفخرة للقضاء العالى نفسه ولكن هذا المنصب ليس بامكانه ان يضيف شيئا الى مجد اقبال وكرامته وان السير (شادى لال) سواء كان رئيسا للقضاء العالي او حاكما لاقليم بنجاب فليس بامكانه ان يحظى بالمجد والعظمة التي حظى بها اقبال فلامقارنة بينه وبين اقبال وان المكانة البارزة الكريمة التي يحتلها اقبال اليوم من الصعب ان ينالها رجل من امثال السير (شادى لال)" (٥٦)-

ان اقبال في هذا الطور من حياته لم يكن هدفا للتعصب الهندوكي فحسب وانما انتهز هذه الفرصة بعض رجال الدين الذين كانوا يحقدون عليه منذ مدة

طويلة فاصدروا الفتوى و كفروه وهذا هو نفس العصر الذى كان الصراع يجرى بين انصار الملك ابن سعود ومعارضيه في العالم الاسلامي وكان مسلمو الهند قد انقسموا الى فئتين مذهبيتين إحداهما فئة الوها بين والثانية فئة السنيين وكان اقبال قد أدلى بتصريح محفي أيدفيه الملك ابن سعود وبذلك اغضب العلماء الذين كانوا يعارضون ابن سعود ويعادونه وفي اثناء ذلك قام رجل من اهل مدينة (سهارنبور) واسمه (بيرزاده محمد صديق) باعداد استفتاء بعث به الى الشيخ (ابي محمد سيد ديدار علي شاه) خطيب مسجد (وزير خان) بلاهور الذى كان قد عرف للغاية بشوقه الى تكفير المسلمين فقد اصدر هذا الشيخ فتاوى التكفير العديدة كفر فيها البعض من الزعماء المسلمين وهذا نص الاستفتاء الذى إرسل إلى الشيخ ابي محمد (٥٧):

"ما رأى السادة علماء الدين وحماة الشرع المبين قضية شخص يذكر الشمس في ابياته الشعرية وكانتها متصفة بالصفات الالهية ويدعوها ويتضرع اليها ولايؤمن باليوم الاخر ويسخر من رسول عظيم من امثال سيدنا موسى عليه السلام؟ ويخاطب السادة العلماء الكرام والمشائخ العظام باسلوب الازدراء والاحتقار ويرميهم بالالقاب السيئة ويذكر واحدا من اكابر الهنادكة ذلك الذى يعتبره الهنادكة الها فيسميه اما ما ومصباحا لهداية ويمدحه ويطرى في مدحه هل هذا الرجل على الاسلام أو على الكفر؟ وهل يجوز التعامل معه والجلوس إليه والحديث معه ام لا؟ وهل يجوز مقاطعته الاجتماعية ام لا؟ وما رأيكم في هؤلاء الذين لايقاطعونه؟ ولايتجنبونه، بينوا لكى توجروا وابياته الشعرية هي كما يلي؟

القطعة الاولى:

١) ايتها الشمس اعطينا ضياء الشعور واعطى النور لعين العقل من تجلياتک-

٢) ان هذا الرونق والبهاء في مجلس الوجود كله انما يرجع اليك وانك الهة لكل من يسكن في الجبال والسهول-

٣) انك ربة لحياة كل شئي وانك ملكة متوجة على كل من خلق من النور والضياء فانه ليس لك بساية ولانهاية- ان نورك المضئي قد تحرر من قيد الاولية والاخروية (ترجمة دعاء جاتيرى)-

القطعة الثانية:

١) لاذهاب ولا مجئي وان امتياز العقبى خديعة- اننا نظهر في وجود كل شئي وليس لنا وطن-

القطعة الثالثة:

١) ايها الكليم انك لاتملك امتيازا خاصا فان كل شجر وحجر يتشرف بالكلام مع الله

القطعة الرابعة:

١) ان هوءلاء المرشدين المتكبرين المستبدين إنما هم الغضب واللعنة- الله ينقذ قومك من شرهم- انهم يفسدون المسلمين في ديارك لكي يضيفوا الى كرامتهم وشرفهم- القطعة الخامسة في مدح رام (من الهة الهنادكة)

١) ان هذه البلاد قد انجبت الالوف من الرجال كانوا ملائكة في طبيعتهم وبسببهم اشتهرت الهند واكتسبت مكانة في العالم-

٢) ان الهند لتفتخر بوجود (رم) ومكانته وان اهل النظر يعتبرونه إماما للهند

٣) أن من اعجاز هذا المصباح للهداية ان امسيات الهند اكثر ضياء ونورا م الصباح

٤) انه كان فريدا في الشجاعة فارسا مقاتلا كما انه كان فريدا في لاطهارة والحب المتدفق- (المستفتي بيرزاد محمد صديق السهارنبورى)-

الفتوى

بسم الله الرحمن الرحيم

"ان كلمة "بروعدكار" (الرب) و "يزدان" (الاله) خاص بذات البارئ سبحانه وتعالى وما "اوتار الهنادكة" اى "الالهة الشفعاء" فهي عقيدة تقول بمولد الاله ففي مثل هذه الظروف استخدام كلمة "يزدان" و "بروردكار" للشمس كفر صريح وبالاضافة التي ذلك فان العقيدة القائلة بمولد الاله كفر أيضا وكذلك اهانة سيدنا موسى عليه السلام كفر واما إهانة علماء الدين فهو فسق- فعلى هذا إذا لم يتب قائل هذه الابيات الشعرية من كلمات الكفر هذه فعلى المسلمين ان يقطعوا الصلابه والتعامل معه وإلا يكونون أثمين للغاية!

(ابو محمد ديدار على الخطيب بمسجد المرحوم (وزير خان)

والواقع ان الشيخ (ديدار علي) هذا قد اصبح هدفا للملامة من قبل جميع الاطراف الاسلامية ولاجوانب المحلية بعد اصدار الفتوى وقد كان ذلك انتقاما من رجال الدين لذلك الانسان الذى الح على المسلمين ان يعرفوا شخصيتهم ويدركوا ذاتيتهم والذى اجترأ على دعوة المسلمين الى الوحدة ليكونوا امة واحدة!

النهر الخالد

المراجع

الفصل الثامن

١- وطبقا لما جاء في "كتاب الخدمة" (للشيخ عطا محمد) انه كان قدنال المعاش وتقاعد من الخدمة العسكرية في ٢٢/ سبتمبر ١٩١٢م إلا أن الحكومة الانجليزية طلبته للخدمة العشكرية مرة ثانية بسبب الحرب التي قامت بين الحكومة الانجليزية وافغانستان فتقاعد ثانيا على الاغلب بعد سنتين او ثلاث في ١٩١٩ (من رسالة الشيخ اعجاز احمد الى مؤلف الكتاب)-

٢- "بنجاب جازيت" (جريدة بنجاب) ٧/ ابريل ١٩٠٨م، الجزء الاول ص٢١٠-

٣- مجلة "صحيفة" عددها الخاص عن اقبال، القسم الاول ص٥٥ وراجع أيضا "روايات اقبال" إعداد (عبدالله تشغتائي) ص٧٦و ٧٧ و ١٠٤ و ١٠٥ و "ملفوظات اقبال"، تأليف أبو الليث صديقي ص٨٤ و "ذكر اقبال" (لعبد المجيد سالک) ص٦٣-٦٤-

٤- "رسائل اقبال وخطبه" (بالانجليزية) تأليف (بشير احمد دار) ص٤٢ حيث جاء اسم والد اقبال "مير محمد" خطأ-

٥- مجلة صحيفة عددها عن اقبال، القسم الاول ص٥٥ و "روايات إقبال" إعداد عبدالله تشتغائى ص١٠٤ و١٠٥-

٦- "ملفوظات اقبال" إعداد ابو الليث صديقي ص٨٦-٨٦-

٧- "اقبال" (بالانجليزية) تأليف (عطية بيكم) ص٣٦-

٨- "رسائل اقبال وخطبه" (بالانجليزية) إعداد (بشير أحمد دار) ص٤٣-٤٨ و"بنجاب جازيت" ٢١ مايو / ١٩١٩م، القسم الاول، ص٨٠٩ وتاريخ الخدمات الحكومية (بالانجليزية) أول يوليو ١٩١٩م ص٣٢٩-

١٠- "تصريحات ميان محمد اسلم و مولوى محمد علي قصورى" ومجله "جام نو" عددها عن (أسلم) الكاتب الروائى) إبريل ومايو ١٩٧١م المجلد ٢١ رقم او ٢ص ٨٦ و مجلة "راوى" (عددها عن اقبال) ابريل ١٩٧٤م ص١٨-

١١- وكان رئيس تحرير هذه المجلة القانونية (س-ر-شودرى)-

١٢- مجلة "جمعية بنجاب الاسلامية" ينائر الى يونيو ١٩٠٩ص ١٥ ومجلة "صحيفة" عددها عن اقبال، القسم الاول ص١٩٦-١٩٥-

١٣- "ائينه اقبال" (مراۃ اقبال) اعداد (عبدالله قريشي) ص٢٠٦-٢٠٠-

١٤- نفس المرجع ص٢٠٩-٢٠٧-

١٥- نفس المرجع ص٢٣٤ و٢٣٥-

١٦- مجلة "صحيفة" عددها عن اقبال، القسم الاول ص١١٤-

١٧- نفس المرجع ص٨٣ و ٨٤-

١٨- "اقبال" (بالانجليزية) تأليف عطيه بيكم ص: ٥٣-

١٩- نفس المرجع ص: ٥٥-

٢٠- "اقبال وحيدر اٰباد الدكن" تاليف: (نظر حيدر اٰبادى) ص١٨-

٢١- "رسائل اقبال الى الجرامي" (بالاردوية) إعداد (عبدالله قريشي) ص٩١ وكانت هذه الصورة قد حصل عليها (عطاء الله) صاحب "اقبال نامه" من رئيس التحرير لمجلة "شهاب" الصادرة عن حيدر اٰباد الدكن ويقال ان هذه الرسالة كانت قد وصلت الى صاحب المجلة بشكل علبة من دكان بائع البسكويت-

٢٢- "اقبال و مجلس اقبال" في حيدر اٰباد الدكن" (باللغة الاردوية) تاليف (عبدالروف عروج) ص٢١ و٢٢-

٢٣- مجلة "صحيفة" عددها عن اقبال" القسم الاول ص١٠٥ و ١٠٦-

٢٤- مجلة "مخزن" يونيو /١٩١٥-

٢٥- "رسائل اقبال الى الجرامي" (بالاردوية) اعداد (عبدالله قريشي) ص٢٢٠ و "صحيفة" عددها عن اقبال، القسم الاول ص٧٦-٧٣-

٢٦- مجلة "مخزن" يونيو ١٩١٠م والابيات التسعة الاولى م هذه القصيدة وردت في ديوان "صوت الجرس" وعنوانها "نمود صبح" او "طلوع الفجر"-

٢٧- وكان مقر عمل (الشيخ عطا محمد) خلال هذه الغترة في خدمة الاعمال العسكرية في محافظة (بومباى) معسكر (ديو لالى) ويبدو أنه كان قد وصل إلى (حيدر اباد) ليلتقى باقبال هناك ثم ذهب الاخوان سويا إلى مدينة اورنك اٰباد (رسالة الشيخ اعجاز احمد الى المؤلف) وراجع ايضا رسالة اقبال الى (اكبر اله ابادى) المؤرخة في ١٧/ ديسمبر ١٩١٤م في "اقبال نامه" إعداد (الشيخ عطاء الله)، القسم الاول، ص٤٣-

٢٨- "اقبال" (بالانجليزية) تأليف عطيه بيكم ص٦٢ و٦٣-

٢٩- "اقبال وجمعية حماية الاسلام" (بالردوية) تأليف (محمد حنيف شاهد) ص٥٠ و٥١-

٣٠- وقد جمع المؤلف هذه المذكرات لانجليزية ونشرها، وراجع لترجمتها الاردوية "شذرات فكر اقبال" تاليف (افتخار احمد صديقي)-

٣١- ملفوظات اقبال إعداد ابو الليث صديقي ص٨٥ و٨٦-

٣٢- اقبال (بالانجليزية) تأليف عطيه بيكم ٨٥ و٨٦-

٣٣- "بنجاب جازيت" ٢٠/ يناير ١٩١١م، القسم الاول، ص٣٢ ومجلة "راوى" ينائر ١٩٩٥م، المجلد الخامس رقم ٣٦ ص٢-

٣٤- مجلة "جام نو" عددها عن "اسلم"، ابريل ومايو ١٩١٧م ص٨٦

٣٥- "امجاد الماضي" (عظمت رفته) تأليف (ضياء الدين احمد برني) ص٢٧١-

٣٦- "صحيفة" عددها عن اقبال، القسم الاول ص ٢١و٢٨-

٣٧- "بنجاب جازيت" ٤/مارس ١٩١٠م، القسم الاول ص١١٠ وقد انشئي المؤتمر التعليمي الاقليمي لبنجاب لدراسة المشاكل التعليمية التي كان يواجهها المسلمون في ١٩١١م وعقد اجتماع المؤتمر الأول في ١٥/ ابريل ١٩١١م حيث انتخب اقبال سكرتيرا للمؤتمر ثم نشأت الصلات بين هذا المؤتمر وبين جمعية حماية الاسلام واستمر اقبال يعمل سكرتيرا للمؤتمر لمدة ثلاث سنوات وراجع "انوار اقبال" (بالاردوية) إعداد (بشير احمد دار) ص٣٠٠-٢٩٥-

٣٨- نفس المرجع ص٢٤ و٢٥-

٣٩- "بنجاب جازيت" ٢٨/ مارس ١٩١٩م، القسم الثالث ص٤٧٢ و٤٧٣ و ١٥ اغسطس ١٩١٩م القسم الثالث ص١١١٢-

٤٠- "بنجاب جازيت" ٤/مايو ١٩٢٣م، القسم الثالث، (١) ص١٤٠-

٤١- بنجاب جازيت ٩/ يتاير ١٩٢٥م يناير ١٩٢٥م، القسم الثالث (١) ص٧١-

٤٢- اجراءات الاجتماع للجنة بنجاب للكتب المنهجية، الملف رقم ٣٧/ ١٢ (١٩٢٤) المناهج الدراسية الاردوية-

٤٣- "انوار اقبال" اعداد (بشير احمد دار) ص٢٥-

٤٤- رسائل اقبال وخطبه" (بالانجليزية) اعداد (بشير احمد دار) ص١٠١-٨٩-

٤٥- سيرة اقبال (بالاردوية) تأليف (طاهر فاروقي) ص٤٧ "واردوئى مصفى" (اى الاردوية النقية) وهي مجموعة رسائل بابا الردوية (رسالة اقبال الى مظفر الدين قريشي) ص١١٦ و١١٧)-

٤٦- روايات اقبال (بالاردوية) إعداد (عبدالله تشتغائى) ص١٠١-٩٨- وقد جاء في تصريح (الميرزا جلال الدين) كلمة "شاهدرة" وهوخطأ وراجع "اقبال" (بالانجليزية) (لعطية بيكم) ص٧٤-

٤٧- "فضل حسين" ترجمة سياسية (بالانجليزية) ص٩٨-٩٦-

٤٨- "روايات اقبال" (بالاردوية) (العبدالله تشتغائى) ص١٣٤-١٣٢-

٤٩- "فضل حسين" ترجمة سياسية (بالانجليزية) ص: ١٥٧ "والسنتان الاخيرتان من حياة اقبال" (بالاردوية) ص٢٧٤-

٥٠- "تاريخ الحركة الوطنية الهندية" (بالانجليزية) تأليف (ديلووت) ص٥٧ و٥٨و ٦٣ و ٦٥ و ٦٦ و ٨٨- "والهند المنقسمة" (بالانجليزية) تأليف (راجندر برشاد) ص١١٢، "مستقبل المسلمين الزاهر" (بالأردوية) لطئيل احمد ص٣٧٥-٣٧٤-

٥١- مقالات شبلي، المجلد الثامن (بالاردوية) ص١٤٨-

٥٢- ملفوظات اقبال (بالاردوية) تاليف ابو الليث صديقي ص٩٦-

٥٣- اقبال وجمعية حماية الاسلام لمحمد حنيف شاهد ص ٨١و٨٢ وكان الشيخ (اعجاز احمد) قد حضر الجلسة وحسب تصريحه كانت المنظومة أو أربعة ابيات غير المصراع الاول من المطلع وضم المنظومة إلى ديوانه "صوت الجرس" وعنوانها "نصيحة" وكان ابياتها الشعرية في الوهلة الاولى وقبل ان يحدث فيها تغيير كما يلي ومعناها:

١) التقيت باقبال بالامس فسألته: هل تصوم وتواظب على الصلوات الخمسة؟

٢) فاذا عقد اجتماع شعبي للدعاء من اجل ايران فنراك تعتذر قائلا، انني سقيم-

٣) فاذا سمع كلامي اقبال قال لي: اصبت انت يا سيدى فانني لست اشك فيما تقوله حضرتک-

٤) انني اتصف بالصفات اللازمة الاخرى وينقصنى شئي واحد وانا على استعداد أن أخبرك به ولكن بشرط أن لاتفضح امرى-

٥) وهو انني لااعرف حيلة تؤهلني بان ابيع وطني وشعبي ولااجد من المعلمين في بنجاب من يعلمني ذلک-

ويرى (الشيخ اعجاز احمد) بان اقبال كان قد دفع ثمنا غاليا في حياته القادمة بعد ان انشد هذه الابيات في اجتماع شعبي ويرى مؤلف الكتاب بان لسبب في ذلك هو ان هذه الابيات الشعرية كانت تشير على الاغلب الى (ميان السير فضل حسين)-

٥٤- "ملفوظات اقبال" (بالاردوية) تأليف (ابو اليث صديقي) ص٣٤-

٥٥- "روزكار فقير (اى عصر فقير)، المجلد الاول (بالاردوية) ص١٢٣-

٥٦- "اقبال نامه" او "رسائل اقبال" (بالاردوية) اعداد (الشيخ عطاء الله)، القسم الثاني ص٣٧ و٣٨-

٥٧- كليات اقبال (اى موسوعة شعر إقبال) إعداد (محمد عبدالرزاق)، حيدر اٰباد الدكن سنة ١٩٢٣م ص٥٨-٥٠ وكان هذا الكتاب قد نشر قبل ان ينشر اقبال ديوانه "صوت الجرس" وذلك بدون اذن منه وكان من بين شروط التسوية ان يدفع الناشر ألف روبية تعويضا للشاعر وان لايباع الكتاب خارج حدود امارة حيدر اٰباد الكدن وتوحد نسخة من الكتاب في متحف العلامة اقبال وايضا راجع مقال "جانب من حياة اقبال" (بالاردوية) (لمحمد حنيف شاهد) الذى نشر في مجلة "ضيا بار" عددها عن اقبال ١٩٧٣م ص١٩٨-١٧٢ كلية (سرجودا) الحكومية-

٥٨- "كفتار اقبال" "او" حديث اقبال" (بالاردوية) لمحمد رفيق افضل-

٥٩- اقبال وجمعية حماية الاسلام (بالاردوية) لمحمد حنيف شاهد ٨٣ و٨٤-

٦٠- "كفتار اقبال" "او" حديث اقبال" (بالاردوية) لمحمد رفيق افضل ص٣ و٤-

٦١- "مقالات شبلي" (بالاردوية) المجلد الثامن ص١٣٩-١٥١ او ١٥٨ و١٥٩- و ١٦١ و١٦٣ و١٧٧-١٧٠ وايضا راجع كليات شبلي (اى موسوعة شبلي) تأليف (مالوى مسعود احمد) ص٧٤-٦٤ ومستقبل المسلمين الزاهر (بالاردوية) لطفيل احمد ص٣٨١ و٣٨٢-

٦٢- اقبال نامه او رسائل اقبال اعداد الشيخ عطاءالله، القسم الثاني ص٣٦٥ و٣٦٦-

٦٣- نفس المرجع ص٣٥-

٦٤- "اقبال" (بالانجليزية) لعطية بيكم ص٣٩ وايضا راجع مكتوبات اقبال او (رسائله) (بالانجليزية) إعداد (بشير احمد دار) ص٤٣ ويصرح (بشير احمد دار) بان رسائل اقبال الى (ايما وى جي ناست) لاتزال بقية مصئونة وكانت الرسائل باللغة الالمانية وانه كان قد رأى النسخ المصورة منها عند المغفوله (ممتاز حسن) وقد يمكن أن تكون الاٰن في حوزة ورثائه وقدتم العثور في سبتمبر ١٩٢٢م على مبني دار الاقامة في (هائيدل برج) حيث نزل اقبال واقام طالبا وعلقت لافتة على المبنى باسم اقبال ويرجع ذلك كله الى جهود بذلها طالب باكستاني وهو نشر رسالة عن الموضوع في بعض الجرائد المحلية- فردت على الرسالة اخت (ايما وى جي ناست) الصغيرة واسمها (صوفية وى جي ناست) في ثمانين من عمرها فدلت على موقع المبنى وعرفته ويقع المبنى على ضفة نهر (نيكر) وراجع (اقبال ريفيو) بالانجليزية) ابريل ١٩٦٩م ص١٢ ١٣)

٦٥- اقبال (بالانجليزية) (لعطية بكيم) ص٤١-٤٣-

٦٦- نفس المرجع ص٥١-٤٦-

الفصل التاسع

١- "دانائی راز" و "عالم الاسرار" (بالاردوية) ص٩٦-

٢- نفس المرجع ص٩٦-

٣- نفس المرجع ص٩٤-

٤- "روايات اقبال" او "قصص اقبال" (بالاردوية) اعداد (عبدالله تشتغائي) ص٧٣ و٧٤-

٥- "اقبال" (بالانجليزية) (لعطية بيكم) ص٣٦ و٣٧ و٣٨-

٦- وتوفي آفتاب إقبال بلدن في ١٤/أغسطس ١٩٧٩م في واحد وثمانين من عمره، واحضرت جثته إلى كراتشي حيث دفنت-

٧- "دانائی راز" او "عالم الاسرار" (بالاردوية) ص٩٨-٩٦-

٨- "اقبال" (بالانجليزية) (لعطية بيكم) ص٨٨-٨٥-

٩- نفس المرجع ص٤٣-

١٠- نفس الرجع ص٥٦-

١١- وكان المؤلف في صباه قد رأى هذه النظارة في مخلفات إقبال إلاأنه لم يعثر عليها بعد ذلك رغم البحث عنها-

١٢- "روايات اقبال" او "قصص اقبال" (بالاردوية) إعداد (عبدالله تشتغائي) ص١٢٨ و١٢٩ و "ذكر اقبال" (لعبد المجيد سالک) ص٢٧-

١٣- نفس المرجع ص٦٧ و ٦٨ و ١٢٢ و١٢٣-

١٤- نفس المرجع ص٧٣ و٧٥-

١٥- نفس المرجع ص١٢٣ و١٢٤-

١٦- "ذكر اقبال" لعبد المجيد سالك ص٦٨ و٦٩-

١٧- "روايات اقبال" او "قصص اقبال" (بالاردوية) (لعبد الله تشتغائي) ص١٢٥ و١٢٦ و "ذكر اقبال" (يالاردوية) (لعبد المجيد سالک) ص١٧٠-

١٨- نفس المرجع ص١٢٦-

١٩- مجلة "صحيفة "عددها عن اقبال، القسم الاول ص١٠٩-

٢٠- نفس المرجع ص٨٩-

٢١- "ذكر اقبال" (بالاردوية) (لعبد المجيد سالک) ص٨٣ و٨٤-

٢٢- مجلة (صحيفه) عددها ع اقبال، القسم الاول ص: ١٠١-

٢٣- نفس الرجع ص١٠٩و ١١٠-

٢٤- "سفر نامه شميم" او "رحلة شميم" "(بالاردوية) ص١٧٩ و١٨٠-

٢٥- "روايات اقبال" (بالاردوية) (لعبد الله تشغائى)ص١٢٢-

٢٦- "اقبال وجمعية حماية الاسلام" (لمحمد حنيف شاهد) ص٩٧-٩٥-

٢٧- "كفتار اقبال" (بالاردوية) لمحمد رفيق افضل) ص١١-١٠-

٢٨- "ذكر اقبال" ص١٣٠-

٢٩- ورسالة من بين هذه الرسائل كان المؤلف قد عثر عليها في أوراق إقبال ولا يزال يحتفظ بها-

٣٠- "أنوار اقبال" (بالاردوية) (بشير أحمد دار) ص١٧٠ وذكر إق-ال (لعبد المجيد سالک) ص٢١٧-

٣١- "ياد اقبال" او "ذكرى اقبال" (بالاردوية) تأليف صابر كلوروى ص٥٧-

٣٢- ويحتفظ متحف إقبال بالمسودة الأصلية لهذه المقالة (بالانجليزية) وعنوانها "الأمة المسلمة" دراسة إجتماعية، وقد جاء في هامش الصفحة الأولى ملحوظ بالإنجليزية لإقبال بخط يده وهذا الملحوظ يوضح كما يلي:

"وقد تم إلقاء هذه المحاضرة بمدينة عليكره في ١٩١١م وأما ماجاء عن القاديانية في المقالة فهو يحتاج إلى إعادة النظر والتفكير الجديد نظراً إلى الظروف التي كانت نتيجة لحركة ١٩١١م فالقاديانيون اليوم يبدو كأنهم من المسلمين والقاديانيون أنفسهم يظهرون إسلامهم باهتمام خاص إلا أن الصورة الحقيقة للحركة القاديانية التي ظهرت واضحة عبر الأيام تؤكد لنا بأنهم أعدى أعداء الاسلام في ظاهرهم وباطنهم فالقاديانيون في ظاهرهم مسلمون ولكنهم في الواقع يملكون عقلية مجوسية ومن المملكن أن تنضم هذه الحركة في نهايتها إلى البهائية ويبدوكأن الحركة القاديانية قد ظهرت في البداية كرد فعل أو تأثير مباشر للبهائية"

محمد اقبال

في ٢١ اكتوبر ١٩٣٥م

ولعل إقبال ظن بأن هذه المقالة كانت قد قرأت بمدينة عليكره في ١٩١١م على وجه التخمين والتقدير والواقع أن هذه المقالة كانت قد قرأت في ديسمبر ١٩١٠م-

٣٣- "اقبال في رأى معاصريه" (لعبد الله قريشي) ص٢٤٢-٢٣١ نقلاعن: مجلة مخزن مايو ١٩٠٢م وجريدة "بنجه فولاد" ١١/ يونيو ١٩٠٢م ومجلة "الحكم" الاسبوعية الصادرة من قاديان ١٠ و ٢٤ / يناير ١٩٠٣م واغسطس ١٩١٠م وجريدة "بيسه اخبار" ١٥/ سبتمبر ١٩١٠م-

٣٤- "كفتار اقبال" أو "حديث اقبال" (بالاردوية) (لمحمد رفيق افضل) ص٥ و٦-

٣٥- "روايات اقبال" (بالاردوية) (لعبد الله تشتغائى) ص١٣٤ و١٣٥-

٣٦- "شاد اقبال" (اى "اقبال المسرور") (لسيد محي الدين قادرى زور) ص:٦-

٣٧- "آئينه اقبال" او "مرآة اقبال" (بالاردوية) (لعبد الله قريشي) ص:٢٣٤-

وكان اقبال لم يكن يقدر على الصوم بسبب الأمراض والأسقام ومرة صام ثلاثة أيام فأصيب بوجع الكليتين وفي المرة الثانية كان الحر شديدا فلم يقدر على الصوم إلا أحد عشر يوما وراجع مكتوبات إقبال أى "رسائل اقبال" (بالاردوية) إلى محمد نياز الدين خان ص٤ و٣٤-

٣٨- "روايات اقبال" (بالاردوية) لعبد الله تشتغائي ص١٣٦-

٣٩- مجلة "صحيفه" عددها عن اقبال، القسم الاول ص١٥٨ و١٥٩-

٤٠- مجلة "آتش فشان" (اى "البركان") عددها عن (المودودى) ١٩٨٠م حيث نشر المقال من جديد ص:٦٢-

٤١- وللمعلومات عن منظومة "دين و دنيا" "راجع الى" سرود رفته "اى" النغمات الماضية" (لغلام رسول مهر) ص: ٣٨-٤٢-

٤٢- "اقبال كى چند جواهر ريزى" "قطعات ثمينة لإقبال" (بالاردوية) (لعبد الحميد) ص٢٤-٢١-

٤٣- "ملفوظات اقبال" (بالاردوية) تأليف (أبي الليث صديقي) ص١١٨ و١٢٩-

٤٤- "آئينه اقبال" اى "مرآة اقبال" (بالاردوية) (لغبد الله قريشي) ص٢٤١-

٤٥- "اقبال نامه" (لشيخ عطاء الله)، القسم الثاني ص٢٩٩ وكان الشيخ (الجرامي) يرافق اقبال في مجالس الطرف والغناء بالإضافة إلى (الميرزا جلال الدين) وأحيانا كان يشار كهما (السير عبدالقادر) أيضا اما الرجل الغني الذى ذكره (شورش كاشميرى) في كتابه "اس بازار مي" (في سوق العاهدات) مع ذكر اقبال فهذا الحادث وتغاصيله كلها تقوم على سوء الفهم وراجع ص١١٤-١١٣من هذا الكتاب-

٤٦- "قطعات غالية لاقبال" (بالاردوية) (لعبد الحميد) ص٥١-

٤٧- وأصل هذه السيدة أنها كانت تنتمي إلى أسرة هندوكية قروية في كشمير وكا قد اختطفها بعض لاناس فجاء بها إلى لاهور فباعها في سوق العاهرات فعاشت طوال حياتها تطيع زوجها وماتت بمدينة (سيالكوت)-

٤٨- "اقبال درون خانه" (اى اقبال في داخل منزله) لخالد نذير صوفي ص١٣٠-١٢٣- اما سفر (شيخ اعجاز احمد) مع اقبال الى مدينة (كيمبلفور) فقد حكاه (لفقير سيد وحيد الدين) راجع "روزكار فقير"، الجزء الثاني ص١٦٠-١٥٩ واما المشاركة في مأدية العشاء فقد حكى ذلك على لسانه للمؤلف فقد كتب الشيخ (اعجاز احمد) إلى المؤلف ما نصه "قد زرت اقبال في بيته اكثر من مرة منذ ١٩٠٨م إلى ١٩٣٨م كما أنني نزلت عنده مراراً- فما رأيته يشرب الخمر أو في حالة السكر- كما أنني لم أجد شيئا مما يدل على وجوده عنده فلوكان يشرب الخمر أو كان قد تعود ذلك لما اختفى على وأستطيع أن أقول بكل ثقة ويقين على اساس ما شاهد ته ورأيته بعيني رأسي والذى يحكى عن الشرب كله كذب وافتراء-

٤٩- "اقبال ريفيو"، يناير ١٩٦٩م ص٤٧ ويقول (الخواجا عبدالوحيد) في مقاله وعنوانه "اقبال كى حضور" (في حضرة اقبال) وراجع مجلة "نقوش" عددها الثاي عن اقبال ديسمبر ١٩٧٧م ص٣٨٢ وص ٣٨٣ بان أول من وصل للمشاركة في مجلس الشعر عند "للي لاج" في ١٩١٨م او قبل ذلك كان هو اقبال وعندما دخل اقبال في الغرفة لم يجدفيها غير الخواجا (عبدالحميد) فطلب إليه اقبال أن يحضر النارجيلة فقال له الخواجا (عبدالحميد) يا سيادة الدكتور لماذا لاتترك النارجيلة؟ فابتسم اقبال ثم قال يا سيدى قد أعرضت عن الخمر فهل أعرض عن النارجيلة أيضا؟ ولم يسمع هذا الحديث أجد غير الخواجا (عبدالحميد) على حد تصريحه- وهذا ليس من المعقول أن برد اقبال هذا الرد على شاب كان من المعجبين به وقد يذهب بنا الظن إلى أن ذلك يرجع إلى طبع إقبال الظريف حيث أراد أن يسكت الخواجا (عبدالحميد) ويتخلص منه-

٥٠- "ذكر اقبال" (بالاردوية) لعبد المجيد سالک) ص١-

٥١- نفس المرجع ص٧-

٥٢- "دانائى راز" (العالم بالاسرار) (بالاردوية) (لسيد نذير نيازى) ص٩٥ وعلى حد تعبير (شورش كاشميرى) كان الأشراف يعتبوون المطربات قيمة أو ضرورة ثقافية يجب الاهتمام بها ولم يكن تعاملهم معهن تعامل الأجسام بالأجسام وإنما كان يرجع ذلك إلى القيم الثقافية فقد كان (السير سيد) و (الشيخ شبلي) يستمعان إلى الاغاني بكل رغبة واهتمام اما الشيخ (اكبر اله اٰبادى) فقد تزوج السيدة المطربة "بوتا بيكم" فجاء بها إلى منزله تعيش معه كما ان الشيخ (محمد على جوهر) خلال اقامته في (كلكتة) أو (لكنؤ) كان يزور السيدة (زهرة) أو السيدة (مشترى) مرة او مرتين حتى

أنه كان يستمع إلى مطربة (فيض آباد) خلال اسفاره السياسية كما ان (حكيم اجمل خان) كان يتمتع بالطرب والغناء خلال حركة الخلافة وأما (الشيخ أبو الكلام آزاد) فقد اعترف بغيه وضلاله في كتابه "غبار خاطر" وكذلك (عبدالحليم شرر) و (آغا حشر كاشميرى) و القاضي (عبدالغفار) وحستى حضرة (داغ) كلهم كانوا، "أسرى شرات جميلة مجعدة لذوات الخلاخيل" و راجع "اس بازار ميں" (اى في تلك السوق" او "في سوق المطربات والمومسات) ص١٩٦ و ١٩٧ و ٢١٦ و٢١٧

٥٣- ملفوظات اقبال، تاليف ابي الليث صديقي ص١١٥ و١١٦-

٥٤- "طور عاطفي م حياة اقبال" (بالاردوية) ص١١٥-٦٧ و١٥٦-١٣٧-

٥٥- "حياة اقبال" (بالانجليزية) ص٧٧و٧٨-

٥٦- اقبال داخل منزله (بالاردوية) ص١٤٢-١٣٨-

٥٧- ملفوظات اقبال تاليف ابي الليث صديقي ١٤٢-١١٣-

٥٨- ذكر اقبال ص٧٠ و٧١-

٥٩- مقال "اسماء السرجال لاقبال" (بالاردوية) مجلة هلال للكية الاسلامية فبراير- الى- ابريل ١٩٥١م-

٦٠- سرود رفته "الانشودة الماضية" تأليف غلام رسول مهر ص٤٣ و٤٤-

الفصل العاشر

١- فكر اقبال (بالاردوية) ص٩٧-

٢- مجلة "مخزن" اكتوبر ١٩٠٤ وقد شر هذا المقال في مجلة الكلية الشرقية عددها الخاص عن ذكرى اقبال- اعداد الدكتور(عبادت بريلوى) ص٣٩-١٩-

٣- ولعل اقبال كان قد كتب هذا على أساس تجاربه الشخصية-

٤- "هندوستان ريفيو" (اله اباد) يوليو ١٩١٩ص ٣٨-٢٩ واغسطس ١٩٠٩م ص١٧١-١٦٦- وراجع "غطب اقبال ومقالاته وتصريحاته" إعداد: لطيف (احمد شيرواني) (بالانجليزية) ص١٠٢-٨٥-

٥- وقد نشرت هذه المذكرة الانجليزية وقد ترجمها إلى الاردوية الدكتور (افتخار احمد صديقي) وسماها "شذرات فكر اقبال"-

٦- وقد نشرت اقتباسات من هذا المقال في تقرير إحصاء النفوس للهند (بالانجليزية) سنة ١٩١١م لاهور، الجزء الرابع عشر، بنجاب، القسم الاول ١٩١٢م ص١٦٤-١٦٢- وراجع "خطب اقبال ومقالاته وتمريحاته"، اعداد: (لطيف احمد شيرواني) (بالانجليزية) ص١٠٧-١٠٣ وكا الشيخ (ظفر علي خان) قد ترجم معظم المقال هذا ترجمة اردوية وقد يمكن أن يكون المقال قد نش الا انه لايوجد الاٰن وأغلب الظن ان المقال لم ينشر كاملا ويرى الدكتور (س- أ- رحمان) بان الذى ترجمه الشيخ (ظفر علي خان) هو غير هذا المقال ويرى الدكتور (عبدالسلام خورشيد) بان المقال الذى ترجمه الشيخ (ظفر علي خان) الى الاردوية لايوجد اصله الانجليزى الاٰن وكلاهما على خطاء وراجع "سركزشت اقبال" أى "تاريخ اقبال" للدكتور (عبدالسلام خورشيد) ص-٩٩ ١٠٨ والمسودة الأصلية للمقال يحتفظ بها متحف العلامة اقبال الاٰن-

٧- راجع "خطب اقبال مقالاته وتصريحاته"، تاليف (لطيف احمد شيرواني) (بالانجليزية) ص١٢١-١٠٧-

٨- ومن المتوقع الاٰن أن تظهر هذه النجمة ذات الذنب في ١٩٨٥م او ١٩٨٦م

٩- راجع جريدة "زميندار" ١٢ ديسمبر ١٩٢٤م

١٠- وللأصل الأنجليزى راجع" رسائل اقبال" (بالانجليزية) "إعداد بشير دار) ص-١٥١ ١٥٦ الا انها ناقصة النهاية واما الترجمة الاردوية التي نقل عن مجلة "سبيل" فهي كالمة ولكنها لاتحمل تاريخا وراجع "اقبال نامة" او "رسائل اقبال" إعداد الشيخ (عطاء الله)، القسم الثاني، ص٢٢٥-٢١٢ واما المشروع الذى كان اقبال قد أعده فلم يطبق

في جامعة عليكره أبدا وذلك من سوء الحظ وراجع "رسالة اقبال" التي كتبها قبل وفاته ببضعة اشهر (بالانجليزية) الى السيد (فضل كريم) في مجلة "صحيفة" عددها عن اقبال، القسم الاول ص: ٣٣٥ وكان يريد اقبال ان تساير العلوم الاسلامية الافكار الجديدة وكان يرى ان العلوم الاسلامية القديمة تقوم معظمها على المفكر اليوناني، تلك الفسفة اليونانية التي مزقها العصر الحاضر- أما الاٰن فنحن في حاجة إلى التجديد والإبتكار في ذلك وكان يرى إقبال بأن أوربا كانت قد تعلمت الموافقة والتوفيق بين العقل والوحى من المسلمين إلا أن أوربا قد سبقت المسلمين إلى بناء علومها الدينية في ضوء الفكر الجديد أن الإسلام أبسط من المسيحية وأقرب منها إلى العقل فليس من الجائز فيه الجمود والدكود وعليه فكان يرى اقبال بالحاجة إلى بناء جديد أن الإسلام من العلوم الدينية وعلم الكلام وراجع "اقبال نامه" (بالاردوية) إعداد: (شيخ عطاء الله)، القسم الثاني ص٢٨١-

١١- "العصر الجديد" (بالانجليزية) لكنؤ ٢٨/ يوليو ١٩١٧م ص٢٥١ وراجع "خطب اقبال و مقالاته وتصريحاته" اعداد: (لطيف احمد شيرواني) (بالانجليزية) ص-١٢٤ -١٢٥

الفصل الحادى عشر

١- "مستقبل المسلمين الزاهر" (لطفيل احمد) ص٣٨٦-٣٨٤-

٢- وتوجد اليوم قبور المئات من المسلمين الهنديين الشهداء في مقابر تركيا المتخلفة-

٣- "اقبال" (لعطيه بيكم) (بالانجليزية) ص٧٣-

٤- "انوار اقبال" (بالاردوية) اعداد (بشير احمد دار) ص١٥٦-

٥- اجراءات المؤسسة الادبية بلندن ٦/نوفمبر ١٩١٣م نقلامن جريدة "انقلاب" اللاهورية في ٢١ نوفمبر ١٩٣١م و "حديث اقبال" (بالاردوية) اعداد (محمد رفيق افضل) ص٢٥٢-٢٣٩-

٦- "اقبال نامه" او "رسائل اقبال" (بالاردوية) اعداد (شيخ عطاء الله)، القسم الاول ص٢٣-

٧- مجلة "صحيفة" عددها عن اقبال، القسم الاول ص: ١٦٨ و١٦٩-

٨- مقالة (عبدالمجيد سالک) التي نشرها قبل طبعة "اسرار الذاتية" في مجلة "قنديل" الاسبوعية ٢١ ابريل ١٩٥٠م وراجع "ذكر اقبال" (لعبد المجيد سالک) ص٨٤ و٨٥ و "اقبال وجمعية حماية الاسلام" (لمحمد حنيف شاهد) ص٨٥ و٨٦-

٩- "رسائل اقبال الى الجرامي" (بالاردوية) اعداد (عبدالله قريشي) ص٩٩ و١٠٥ و١٠٦-

١٠- وكان (عبدالمجيد سالک) ممن حضر في هذا الاجتماع وراجع "ذكر اقبال" له (بالاردوية) ص٨٤ و ٨٥-

١١- تصريح (غلام رسول مهر) في رسائل اقبال الى (الجرامي) بالاردوية- اعداد(عبدالله قريشي) ص٦ و٧ و٣٥-

١٢- "اقبال نامه" (بالاردوية) اعداد (شيخ عطاء الله) ، القسم الثاني ص٣٦٨-

١٣- "روزكار فقير" او "عصر فقير" (بالاردوية) (لفقير سيد وحيد الدين) الجزء الثاني ص١٣٦-

١٤- "ذكر اقبال" ص: ٨٥ و٨٦-

١٥- مجلة "صحيحة" عددها عن اقبال، القسم الاول ص١٣١ و١٣٢-

١٦- "كليات اكبر" (اى موسوعة شعر اكبر) المجلدان الثاني والثالث طبعة بزم اكبر كراتشي

١٧- وتوجد هذه المنظومة عند (شيخ اعجاز احمد) وراجع "روزكار فقير" (لفقير سيد وحيد الدين) ص١٣٨-

١٨- "روزكار فقير" (لفقير سيد وحيد الدين) ص:١٦٤-١٦٢-

١٩- "مقالات اقبال"، اعداد (شيخ عطاء الله)، القسم الاول ص٥٣-

٢٠- "اقبال نامه"، اعداد (شيخ عطاء الله)، القسم الاولص٥٣-

٢١- "خطوط اقبال" او "رسائل اقبال"، اعداد (رفيع الدين هاشمي) ص٢١٠-٢٠٨-

٢٢- مجلة "صحيفة"، عددها عن اقبال، القسم الاول، ص٦٧ و٦٨-

٢٣- "مستقبل المسلمين الزاهر" (بالاردوية) ص٣٨٨-

٢٤- الهندسنة ١٩٢٦ و١٩٢٧م (تقرير للبرلمان بالانجليزية) تاليف (ج كوت مين) ص:٢و١٥ و١٦-

٢٥- "ذكر اقبال"، ص١٠٢-

٢٦- "تاريخ الحركة القومية الهندية" (بالانجليزية) تأليف (دى لودت)، ص١٥٠-١٤٨-

٢٧- "شاد اقبال" او "اقبال المسوور" اعداد (محي الدين قادرى زور)ص:٣-

٢٨- نفس المرجع ص٣٨-

٢٩- نفس المرجع ص٤٢ و٤٣-

٣٠- نفس المرجع ص٤٦-

٣١- نفس المرجع ص٦١-٦٨-

٣٢- "ذكر اقبال"، (لعبد المجيد سالک) ص٨٧ و "باقيات اقبال"، اعداد "عبدالواحد معيني) ص١٠٦-

٣٣- "رسائل اقبال الى الجرامي"، اعداد (عبدالله قريشي) ص١٢٤ و١٢٥-

٣٤- "اقبال امه" او "رسالة اقبال"، اعداد (شيخ عطاء الله ١٢٤ و١٢٥ القسم الثاني ص٧٥-

٣٥- "مقالات اقبال"، اعداد (عبدالوحد معيني) ص١٩١ و١٩٢-

٣٦- "نذر اقبال" او "اهداء الى اقبال"، اعداد (محمد حنيف شاهد) ص١٨-

٣٧- "رسائل اقبال الى (نياز الدين خان)" ص٩-

٣٨- مجلة "صحيفة"، عددها عن اقبال، القسم الاول ص٦٣-٦٨-

٣٩- "اقبال نامه"، اعداد (شيخ عطاء الله)، القسم الثاني، ص:٧١-

٤٠- نفس المرجع ص٧٣ و٧٤-

٤١- "ذكر اقبال" (لعبد المجيد سالک) ص٩٠ و٩١-

٤٢- "فلسفة عجم" (بالاردوية) ص٩-

٤٣- نفس المرجع ص١٤٩-١٥٥-

٤٤- نفس المرجع ص١٤٩-١٤٦-

٤٥- "ذكر اقبال" (اى حياة اقبال) (لعبد المجيد سالک) ص٤٦-

٤٦- نقلاعن مجلة صوفي مارس سنة ١٩٢٦م وايضا راجع المقال "الحلقات المفقودة من حياة اقبال" (بالاردوية) (لعبد الله قريشي) في مجلة "اقبال" اكتوبر ١٩٥٣م ص٦٤-

٤٧- "مطالب اسرار ورموز" (اى مقاصد الاسرار والمرموز) ص:٥-

٤٨- "اقبال نامه"، اعداد (شيخ عطاء الله)، القسم الاول، ص٥٤-

٤٩- "شاد اقبال"، اعداد (محي الدين قادرى زور) ص:١٠٢-

٥٠- مجلة "صحيفة" عددها عن اقبال، القسم الاول ص: ١٨١ و١٨٢-

٥١- "اقبال نامه"، اعداد (شيخ عطاء الله)، القسم الاول ص:٤٦ و٤٧

٥٢- مجلة "صحيحة"، عددها عن اقبال، القسم الاول ص:١٧-١٥-

٥٣- نفس المرجعص١٨

٥٤- "ارمغان دكن" (أى هدية دكن) طبعة (بهادر يار جنک) اكادمي كراتشي ص٤٠ ويصرح في كتابه "نقش اقبال" بأنه يثق بما جاء في تصريح (أحمد محي الدين رضوى) وراجع ص٢٧٣ من الكتاب-

٥٥- "اقبال نامه"، اعداد (شيخ عطاء الله)، القسم الثاني ص٢٢٦ و٢٢٧-

٥٦- "اقبال وحيدر اٰباد" (بالاردوية) (لنظر حيدر اٰبادى) ص١٩ و٢٠-

٥٧- "فضل حسين" (بالانجليزية) ص:٣١٩-

٥٨- "اقبال نامه" اعداد (شيخ عطاء الله)، القسم الثاني، ص٢٠٤ و٢٠٥-

٥٩- "اقبال وحيدر اٰباد ص٢٠-

٦٠- "نظام جازيت" او (جريدة نظام) ٤/ مايو ١٩٢٩م يوم الخميس اقبال وجمعية اقبال،

النهر الخالد

حيدر آباد الدكن (لعبد الرؤف عروج) ص٣٩-

الفصل الثاني عشر

١- عدد اكتوبر ١٩٥٣م وعدد ابريل ١٩٥٣م-

٢- "باقيات اقبال"، اعداد (عبدالله قريشي) ص٣٨٧-

٣- مقاله "قبل طبعة اسرار الذاتية" (لعبد المجيد سالک) في مجلة "قنديل" الاسبوعية ٢١/ ابريلل ١٩٥٠م-

٤- وراجع للابيات الشعرية عن عنونة الديوان وعنوانها "تقديم" سرور رفته" اعداد (غلام رسول مهر) ص٦٨ و٦٩-

٥- تصدير الطبعة الاولى من اسرار الذاتية، "مقالات اقبال"، اعداد (عبدالواحد معيني) ص١٥٩-١٥٣-

٦- وراجع: "سرود رفته" (اى نغمات ماضية) اعداد (غلام رسول مهر) ص٧٢-٧٠ النص الكامل-

٧- "مقاصد الاسرار والرموز" (بالاردوية) ص٢٠ و٢٦-

٨- "أتاليق خطوط نويسي" او "معلم الترسل"، اعداد (الخواجا حسن نظامي) ص٤١-

٩- وراجع: مقدمة (باكستان کے موجد أول) أى "مؤسس باكستان الأول"، رسائل الدكتور محمد اقبال الى (الخواجا حسن نظامي) الدهلوى، اعداد (الخواجا حسن نظامي نفسه)-

١٠- مجلة "منادى" الشهرية دلهى يونيو ١٩٥٠م-

١١- وهذه الرؤيا يؤيدها ماجاء في الأبيات الشعرية الابتدائية من المثنوى والرسالة التي بعث بها اقبال إلى الأمير (كيشن برشاد) في ١٣/ ابريل ١٩١٦م إلا أن الترتيب العالي للأبيات في مدخل المثنوية يختلف مما سبق-

١٢- "مقالات اقبال"، إعداد (عبدالواحد معيني) ص١٧٠-١٦٠-

١٣- "رسائل اقبال الى (محمد نياز الدين خان" ص١-

١٤- "اقبال نامه" او "رسائل اقبال" (بالاردوية) اعداد (شيخ عطاء الله)، القسم الثاني ص٤٩ و٥٠-

١٥- نفس المرجع ص٥٢-

١٦- "مقالات اقبال"، اعداد (عبدالواحد معيني) ص١٨١-١٧١-

١٧- "مكاتيب اقبال" او "رسائل اقبال، الى (محمد نياز الدين خان)" ص٢-٤-

١٨- مجلة "صحيفة" عددها عن اقبال، القسم الاول ص١٦٥ و١٦٦-

١٩- نفس المرجع ص:١٧٠-

٢٠- نفس المرجع ص:١٧٢

٢١- "انوار اقبال"، اعداد (بشير احمد دار) ص: ٢٧٧-٢٦٨-

٢٢- "رسائل اقبال الى (محمد نياز الدين خان)" (بالاردوية) ص٤-

٢٣- "اقبال نامه"، اعداد (شيخ عطاء الله)، القسم الاول، ص٣٦-٣٤-

٢٤- نفس المرجع ص:٤١-٤٥-

٢٥- "رسائل اقبال الى (محمد نياز الدين خان)" ص:٦-

٢٦- "مقالات اقبال"، اعداد (عبدالواحد معيني) ص١٨٦-١٨٢-

٢٧- "خطب اقبال" (بالانجليزية) اعداد (شاهد حسين رزاقي) ص١٦٣-١٦٠-

٢٨- "اقبال نامه"، اعداد (شيخ عطاء الله) القسم الثاني ص٥٧-٥٣-

٢٩- نفس المرجع ص٥٨-٦٢-

٣٠- "اقبال نامه"- اعداد (شيخ عطاء الله) القسم الاول ص٥٥-٥٢-

٣١- "اقبال في رأى معاصريه" (بالاردوية) (لعبد الله قريشي) ص٤٢٥-٤٢٨-

٣٢- "انوار اقبال"، اعداد (بشير احمد دار) ص١٨٦-١٨٢-

٣٣- "اقبال نامه"، اعداد (شيخ عطاء الله)، القسم الاول ص١١٠و١١١-

٣٤- فس المرجع ص٨٤ و٩٧-٨٨ وراجع ايضا "مقاصد الأسرار والرموز" (بالاردوية) (لغلام رسول مهر) ص:٣٢-٣٠-

٣٥- "خطب اقبال" (بالانجليزية) إعداد (شاهد حسين رزاقي) ص:١٨٨-١٨٣-

٣٦- "روزكار فقير" (لفقير سيد وحيد الدين)، المجلد الثاني ص:١٦٨-

٣٧- "خطب اقبال" (بالانجليزية) إعداد (شاهد حسين رزاقي) ص١٩٦-١٨٩-

٣٨- "اقبال كما يراه (الشوذرى محمد حسين)" اعداد (محمد حنيف شاهد) ص:٩٣-٨٧-

٣٩- "روز كار فقير" (لفقير سيد وحيد الدين)، المجلد الثاني ١٦٨-

الفصل الثالث عشر

١- "مسألة الخلافة" (بالاردوية) تأليف (أبي الكلام آزاد) ص٢٧٠-٢٠٣-

٢- "اقبال نامه"، اعداد (شيخ عطاء الله)، القسم الاول ص٢٥٥-

٣- "اقبال داخل منزله" ص:٥٦-٥٥-

٤- "معالم الطريق" (بالانجليزية) ص٦٠-

٥- وقد احيل (جنرال دائر) الى المعاش اجباريا من الوظيفة العسكرية فيما بعد،

٦- "باقيات اقبال"، إعداد (عبدالله قريشي) ص:٢٣٨-

٧- السنتان الأخيرتان من حياة اقبال(بالردوية) ص:١٠٣-١٠٠-

٨- وكان (مائيكل ايدوائر) هذا قد قتل في لندن على أيدى أيدى أحد الهنود-

٩- "ذكر إقبال" (بالاردوية) ص١٠٤-١٠٣-

١٠- "مستقبل المسلمين الزاهر" (بالاردوية) (لطفيل احمد) ص٥١٠-٥٠٨-

١١- مجلة "صحيفة"، عددها عن اقبال، القسم الاول ص:١٤٠-

١٢- "رسائل اقبال الى (محمد نياز الدين خان)" (بالاردوية) ص٢٣

١٣- "ذكر اقبال" (بالاردوية) (لعبد المجيد سالک) ص١٠٦-١٠٥-

١٤- "انوار اقبال" (بالاردوية) اعداد (بشير احمد دار) ص٤٢-٤٤ ويقول المعد بان هذا الاجتماع عقد في ٣٠/ديسمبر ١٩١٩م إلا أن رسالة اقبال التي بعث بها الى (محمد نيا زلدين خان) في ١٩/ ديسمبر ١٩١٩م تشير الى ان الاجتماع كان قد عقد قبل الرسالة وراجع رسائل اقبال الى (محمد نياز الدين خان) (بالاردوية) ص٢٥-

١٥- "مستقبل المسلمين الزاهر" (بالاردوية) (لطفيل احمد) ص٥١٢-٥١٠-

١٦- نفس المرجع ص٥٢٨-٥٢٦-

١٧- "اقبال نامه"، اعداد (شيخ عطاء الله) القسم الاول ص١٠٦-

١٨- وقد جاجت الابيات في ديوان "صوت الجرس" وعنوانها "شحاذة الخلافة" وقد وقع تغير في البيت الأول ما معناه: إنك لو فقدت الملك أو أضعته بيديك فلابأس ولكن يجب عليك أن لاتخون أولاتخون أو تغدر باحكام الله"-

١٩- "رسائل اقبال الى (محمد نياز الدين خان)" ص:٢٧-

٢٠- "روزكار فقير" (لفقير سيد وحيد الدين خان)، المجلد الاول ص:١٨٠-

٢١- الرسالة التي كتبت في ١٠/ اكتوبر سنة ١٩٢٠م وراجع "اقبال نامه" اعداد (شيخ عطاء الله) القسم الاول ص١١٢-

٢٢- "القومية والامبيريالية" (بالانجليزية) تأليف (رومان) ص٢٩ و١٦٠-

٢٣- "الخطب والمقالات المختارة" (للشيخ محمد علي جوهر) (بالانجليزية) اعداد (افضل اقبال) ص٣٨٩-

٢٤- "مستقبل المسلمين الزاهر" (لطفيل احمد) ص٥١٥ و٥٢٩-

٢٥- "الهند فس سنة ١٩٢٠م" (بالانجليزية) تأليف (روشن بروك وليام) ص٥٢-

٢٦- "رسائل اقبال الى الجرامي"، اعداد (عبدالله قريشي) ص١٦٠ و ١٦٢ وكان يقود السيد (جان محمد جونيجو) المحامي قافلة المهاجرين السنديين-

٢٧- "اقبال نامه"، اعداد (شيخ عطاء الله) القسم الثاني ص١٦٩-

٢٨- الهند في ١٩٢٠م (بالانجليزية) ص٥٣-٥٢-

٢٩- "اقبال وجمعية حماية الاسلام" (لمحمد حنيف شاهد) ص٩٧ و٩٨-

٣٠- مقاله "هل كان اقبال يؤيد حركة ترك الموالة أم كان يعارضها "جريدة مشرق" اللاهورية، ١٢/ مايو١٩٧٨م-

٣١- مقاله "اقبال وحركة ترك الموالاة" ومسودة المقالة لايزال يحتفظ بها المؤلف وقد استفاد من المقالة في كتابه هذا-

٣٢- وكان اقبال قد أعد مقالا بالانجليزية وعنوانه "الفكر السياسي في الاسلام" وقد ظهرت الحلقة الأولى من المقال في مجلة "ريفيو الاجتماعية" الصادر من لندن ولم يذكر فيها الخلافة العثمانية أو ضرورتها للمسلمين إلا أن إقبال قد ذكر فيه مصطلح السوق المشتركة الاسلامية-

٣٣- "رسائل اقبال" الى (محمد نياز الدين خان) ص:٣٥-

٣٤- وراجع: مجلة "جامعة" وهي مجلة الجامعة الملية بدلهي، عددها عن اقبال ومقاله الاستاذ (عبداللطيف الاعظمي) وقد استفاد منها الدكتور (عبدالسلام خورشيد) في مقالة "هل كان العلامة اقبال يؤيد حركة ترك الموالاة ام كان يعارضها "في جريدة" مشرق" في ١٢/ مايو١٩٧٨م-

٣٥- "حديث اقبال" (بالاردوية) اعداد (محمد رفيق افضل) ص٢٦٨ و٢٦٩-

٣٦- "اقبال وجمعية حماية الاسلام" (لمحمد حنيف شاهد) ص١٠٣-٩٨-

٣٧- "رسائل اقبال الى (محمد نياز الدين خان)" ص٣٦-

٣٨- "مقالات محمد على جوهر"، اعداد (غلام سرور) القسم الثاني ص٤٢٥-٤٢٦-

٣٩- مجلة "جامعة الشهرية" في دلهي يوليو ١٩٣٦م ص٦٥٣-

٤٠- "النور" طبعة عليكره سنة ١٩٢١م ص١٩٨-١٩٦-

٤١- "الوطنية والاصلاح في الهند" (بالانجليزية) تأليف (سميت) ص٣١٨-٣١٦ و"ترجمتي" (للبانديت جواهر لال نهرو) (بالانجليزية) ص: ٨٧ وثورة ملابلا في سنة ١٩٢١م (بالانجليزية) تأليف (جي كوبالن نيئر) ص٩٣-٩٠-

٤٢- مقاله "اقبال وكشمير" (لعبد الله قريشي) وايضا راجع "مراۃ اقبال" (بالاردوية) لعبد الله قريشي) ص٢١٤-

٤٣- "ذكر اقبال" (بالاردوية) (لعبد المجيد سالک) ص:١١٠-

٤٤- نفس المرجع ص:١٠٨-

٤٥- "رسائل اقبال الى الجرامي" (بالاردوية) اعداد (عبدالله قريشي) ص١٩٦-١٩٤ ومجلة "صحيفة" عددها عن اقبال، القسم الاول ص١٨٨-١٨٦-

٤٦- "اقبال وجمعية حماية الاسلام" (لمحمد حنيف شاهد) ص ٨٨-٨٧-

٤٧- وكان (علي بخش) قد حكمى هذه الحكاية للمؤلف كما أن المؤلف كان قد شاهد العديد من الحوادث من هذا النوع فيما بعد وسوف تسجل هذه الأحدات في مكانها المناسب ويعتقد (شيخ اعجاز احمد) بان استكشاف اقبال هذا كان في سنة ١٩١٠م ويقول بانه كان نازلاً في منزله بسوق (أنا ركلي) فنزل م الطبق الأعلى إلى الطبق الأسفل ليدخل مكتبه ويسجل أبياته الشعرية فرأى وهو على وشك الانصراف من المكتب شيخا طويل القامة أبيض اللحية متبرك الصورة في الملابس البيضاء فقال له الشيخ الولي وهو يرشد "يجب ان تعد خمس مائة رجل" ثم اختفى وبعد أشهر ذهب اقبال الى سيالكوت ليقضي الاجازات الصيفية فحكى الحكاية لوالده فقال له الوالد الكريم إنني أعقد بأن هذه إشارة تر شدك إلى تأليف كتب يحتوى على خمس مائة بيت وبإمكانه أن ينهض بالمسلمين نهضة صحيحة ويجعل منهم رجالا صادقين في أصح معاني الكلمة ويعتقد (شيخ اعجاز احمد) بان الكتاب الذى تم تأليفه حسب هذا التعليم الكشفي إنما هي مثنوية "إسرار الذاتية "ولكن المؤلف يعتقد بأن الذى جعل اقبال يؤلف اسرار الذاتية إنما هي رؤيا كان راۃها اقبال وهو يتلقي ارشادا من (سيدنا الشيخ الرومي) ليؤلف المثنوية ويذكر (فقير سيد وحيد الدين) هذه الحكاية في ص١١٧-١١٥ من "روزكار فقير"، القسم الاول- ويرى أن الكتب هي مثنوية اقبال التي عنوانها "ما العمل الاٰن أيتها الأمم الشرقية" وذلك لأن عدد أبياتها الشعرية ٥٣١ وهي تبدأ بهذا البيت الشعرى ومعناه: "أريد أن أثير جيشا جديدا من ولاية العشق وذلك لأنني أشعر بخطر يهددنا بثورة العقل وعصيانه داخل الحرب "وبالاضافة

إلى ذلك فان (شيخ اعجاز احمد) نفسه يحكي بأن سيدة باحثة واسمها (كهكشان ملک) قد حققت بان المنظومة التي تم تأليفها حسب التعليم الكسفي إنما هي منظومة "طلوع الاسلام" وحسب تصريح السيدة الباحثة كان اقبل نفسه قد حكى هذه الحكاية عن ابتكار مظومته الطويلة "طلوع الاسلام" إلا أنها لم تذكر ما يؤيد رأها مما كتبه أو قاله اقبال-

٤٨- "ذكر اقبال" ص١١٠-

٤٩- "رسائل اقبال الى (الجرامي)" اعداد (عبدالله قريشي) ص٢٠٦-٢٠٥ وايضا راجع رسالة اقبال الى الشيخ (سيد سليمان) الندوى في ٢٩/ مايو ١٩٢٢م والتي وردت في "اقبال نامه" اعداد (شيخ عطاء الله) القسم الاول ص١١٩-١١٨-

٥٠- مجلة "صحيفة"، عددها عن اقبال ص:٥٦ و٥٧ ويرى (شيخ اعجاز احمد) بأن الذى يرويه (عبدالله تشتغائي) غلط وخطأ ويعارضه ماجاء في بعض رسائل اقبال التي بعث بها الى (شيخ عطا محمد) في سيالكوت خلال الفترة هذه الا ان (شيخ عطا محمد) كان قد اقام اشهرا عديدة في المنزل الذى يقع في شارع ميكلود بلاهور وذلك خلال بناء منزل اقبال الجديد والذى يمسى "جاويد منزل" وفيه متحف اقبال الآن-

٥١- رسائل اقبال الى (محمد نياز الدين خان) ص:٢٩و٣٠-

٥٢- نفس المرجع ص٣٤-

٥٣- "ظهور افغانستان الجديدة" (بالانجليزية) تأليف (جريجورين) ص٢٣١-

٥٤- الرسالة التي كتبت في ٥/ سبتمبر ١٩٢٣م ولاتي وردت في "اقبال نامه"، عداد (شيخ عطاء الله)، القسم الاول ص١٣٠-

٥٥- الرسالة التي كتبت في ١٨/م ووردت في المرجع نفسه ص١٥٨-

٥٦- "اقبال نامه" اعداد (شيخ عطاء الله) القسم اثاني: ص١٦٣-

٥٧- نفس المرجع ص٢٣٠-

الفصل الرابع عشر

١- الرسالة التي كتبت في ٢٤/ يناير ١٩٢٣م وراجع "شاد اقبال" او "اقبال المسرور" (بالأردوية) اعداد (محي الدين قادرى زور) ص١٣٥-

٢- "روزكار فقير" المجلد الاول ص٤١-٤٤ وذكر اقبال لعبد المجيد سالك ص-١١٨ -١٢٠

٣- مجلة (تشان) عددها عن اقبال في ٢٥/ ابريل ١٩٣٩م ص١٥ وراجع مجلة "صحيفه" عددها عن اقبال، القسم الثاني المقال وهكذا صار اقبال السير" (محمد حنيف شاهد) ص١٥١-١٣٨ وذلك لمزيد من المعلومات عن التعليمات التي ظهرت في الصحف الهندوكية والاسلامية او الابيات الشعرية التي نظمت بمناسبة نيل اقبال لقب السيروقد جاءت في هذا المقال ابيات شعرية طنزية قالها الشيخ (ظفر علي خان) بالمناسبة-

٤- الرسالة التي كتبت في ٤/ يناير ١٩٢٣م وراجع اقبال نامه اعداد (شيخ عطاء الله) القسم الاول ص٢٠٦-

٥- جريدة "بندى ماترم" ٢٠/ يناير ١٩٢٣م ص٧ و ٣١ يناير ١٩٢٣م ص٣-

٦- "كتاب الهند" الترجمة الانجليزية قام بها المتشرق (اى سخاؤ) المجلد الاول ص١٧ و١٧٨-

٧- نفس المرجع ص١٩-

٨- "تاريخ الدعوة والعزيمة"، الرابع ص١٨و١٩-

٩- "منتخب التواريخ" (الترجمة الانجليزية) قام بها (دبليو اتش لو) المجلد الثاني ص٣٧٥-

١٠- وراجع المقال "التنظيم العسكرى للزهاد الفيديين" (بالانجليزية) تاليف (ج-ن-فارقوهار) ومجلة "الجمعية الاسيوية الملكية ١٩٢٥ ص٤٨٣-٤٨٥-

١١- نظرة على اورنكزيب عالمكير (بالاردوية) للشيخ شبلي ص٥٩-٦٩-

١٢- تاريخ الحركة الوطنية الهندية (بالانجليزية) تأليف: دى لفوت) ص١٥٠-١٤٤ و١٧٠-

١٣- "اقبال المسرور" (بالارودية) اعداد (محي الدين قادرى زور) ص١٣٩-

١٤- "خطوط اقبال" او "رسائل اقبال" (بالاردوية) اعداد: (رفيع الدين هاشمي) ١٦٥ و١٦٦-

١٥- "الهند في سنة ١٩٢٤م و ١٩٢٥م (بالانجليزية) تأليف روش بروك وليام ص٣٠١ و٣٢٢-٢٢٠-

١٦- الهند في سنة ١٩٢٥م و ١٩٢٦ ص٢٩ و٦٦ والهند في سنة ١٩٢٦م و ١٩٢٧م ص:٢-١ والهند في سنة ١٩٢٧ و١٩٢٨ ص١٦-٩ والهند في سنة ١٩٢٧م و ١٩٢٩م ص٣-٢ و٢٤ والهند في سنة ١٩٣٠-١٩٢٩ والهند في سنة -١٩٣٠ ١٩٣١م ص١٠٣-٩١ والهند في سنة ١٩٣١ و١٩٣١م ص١٤ و٣٢-٣٠ تاليف روش بروك وليام (بالانجليزية)-

١٧- جريدة "زميندار" ٦/ ابريل ١٩٢٦م وراجع حديث اقبال، اعداد (محمد رفيق افضل) ص١٣ و١٤-

١٨- المشاغبات الطافية بين الهنادكة والمسلمين في الهند (تقرير للبرلمان بالانجليزية) ص١٧ و٢٣ و٢٦ و٣٣-

١٩- المشاغبات الطائفية بين الهنادكة والمسلمين، اسبابها وعلاجها تاليف ر-م اجروال (بالانجليزية) تأليف (روش بروك وليام) ص١٠و١١-

٢٠- التعليق الهندى (بالانجليزية) ص١١٧و١٧٨-

٢١- "الوطنية والاصلاح في الهند" (بالانجليزية) تأليف (شميت) ص٣٤٦-

٢٢- "خطب الشيخ محمد علي جوهر ومقالاتة" (بالانجليزية) اعداد (افضل اقبال) ص٦٦-٦٨-

٢٣- "ذكر اقبال" ص١١١-١١٠-

٢٤- الرسالة التي كتبت في ١٠/ اكتوبر ١٩١٩م وراجع "اقبال نمه"، القسم الاول، اعداد (شيخ عطاء الله) ص١٠٧و١٠٨-

٢٥- ولهذا التعليق راجع "اقبال كما يراه الشوذرى محمد حسين" اعداد (محمد حنيف شاهد) ص١٤٠-١٢٥-

٢٦- مقدمة رسالة المشرق-

٢٧- نفس المرجع-

٢٨- "رسائل اقبال" (بالاردوية) اعداد (رفيع الدين هاشمي) ١٨٠-١٧٣-

٢٩- نفس المرجع ص١٥٧-١٥٥-

٣٠- رسالة كتبت في ٢٠/ يوليو ١٩٢٣م وراجع رسائل اقبال الى (محمد نياز الدين خان) ص٤٦-

٣١- "قضاء لاهور العالي وغرفة محاماته المعروفة" (بالانجليزية) تأليف (ر-س-سندهو) ص٣٠٨ وايضا راجع "اقبال المسرور" (بالاردوية) اعداد (محي الدين قادرى زور)

ص١٥٤-

٣٢- "اقبال نامه"، القسم الاول، اعداد (شيخ عطاء الله) ص١٣٧ و"اقبال و جمعية حماية الاسلام" (بالاردوية) (لمحمد حنيف شاهد) ص١٧٨ و١٧٩-

٣٣- "اقبال نامه"، القسم الاول، اعداد (شيخ عطاء الله) ص١٠١-

٣٤- وكان (مولوى احمد ين) المحامي قد تناول حياة اقبال واهداف شعره وتطور فكره ومعاني شعره واسلوبه الادبي في طبعة هذا الكتاب التي ظهرت في ١٩٢٦م-

٣٥- "اشتبالك الوطنية في الهند" (بالاردوية) تأليف (م-ر-ت) ص٤و٥-

٣٦- الهند لسنة ١٩٢٥م و ١٩٢٦م (بالانجليزية) تأليف (روش بروك وليام) ص٧-٦-

٣٧- "بعض مشاكل الهند الهامة" (بالانجليزية) (للسير محمد شفيع) ص:١٨-

٣٨- الهند في سنة ١٩٢٤م و١٩٢٥م (بالانجليزية) تأليف (روش بروك وليام) ص٣٢٨ و ٣٢٩ والسجل السنوى الهندى لسنة ١٩٢٤م المجلد الاول (بالانجليزية) اعداد (هـ-ن مثرا) ص٤٧٢-٤٨٢-

٣٩- "ذكر اقبال" ص١٣١-

٤٠- "تاج الدعوة والعزيمة"، الجزء الرابع (السيد ابي الحسن علي الندوى) ص١٤٨ و ١٤٩-

٤١- وفي سنة ١٩٣٤م حين بلغ المؤلف العاشرة من عمره ذهب به (اقبال) مرة ثانية الى مدينة (سرهند الشريفة) فدخل المولف مع اقبال في جدران الضريح وهو اٰخذ باصبع والده فجلس (اقبال) عند القبر وامر المؤلف ان يجلس بجانبه ثم طلب جزاء من القراٰن الكريم وظل يتلو القراٰن بلهجة حلوة ونظر المولف الى وجه فإذا بدموعه تسيل على خديه-

٤٢- "روزكار فقير" او "عصر فقير"، المجلد الثاني ص:١٩٣-١٩٠م

٤٣- ويقول (شيخ اعجاز احمد) بأن هذه القطعة الشعرية قدورت في "سرود رفته" او "اللغمات الماضية" (بالاردوية) اعداد (غلام رسول مهر) ص٢١٩مع اخطاء عديدة اؤلها هو الخطأ في تاريخ الوفاة والثاني السنة الهجرية لتاريخ الوفاة-

٤٤- "روايات اقبال" (بالاردوية) اعداد (عبدالله تشغتائى) ص١٢٦ و١٢٨ (والميرزا جلال الدين) لم يفصل القول عن خليفة هذا الحادث وكان اقبال ينزل احيانا عند اصعاره بمدينة (لديانه) وفي بداية سنة ١٩٢٤م كان وباء الطاعون قد عم مدينة لاهور مما جعل اقبال يسافر مع اهله الى (لديانه) وراجع "رسائل اقبال الى) محمد نياز الدين خان)" ص٥٠-

٤٥- "ذكر اقبال" ص١٢٦-

٤٦- "كفتار اقبال" او "حديث اقبال"، اعداد (محمد رفيق افضل) ص١١-١٠-

٤٧- الهندلسنة ١٩٢٥م و١٩٢٦م (بالانجليزية) تأليف (روس بروك وليام) ص٨٠-٧٠ والسجل السنوى الهندى لسنة ١٩٢٥م (بالانجليزية) المجلد الاول اعداد (هرن مثره) ص٣٦١-٣٥٥-

٤٨- الهند لسنة ١٩٢٥م (بالانجليزية) تأليف (روش بروك وليام) ص١١٠-١٠٥-

٤٩- جريدة "زميندار" ٩/ اكتوبر ١٩٢٥م-

٥٠- "روزكار فقير" (بالاردوية) (لفقير سيد وحيد الدين) المجلد الاول ص١١٤-

٥١- مذكرة (السير محمد شفيع) الذاتية اول يناءر ١٩٢٠م الى ١٦ يونيو ١٩٢١م (بالانجليزية) وهذه المذكرة يحتفظ بها الان (ميان احمد شاه نواز) وقد استفاد منها المؤلف-

٥٢- "روايات اقبال" اعداد (عبدالله تشتغائي) ص١٣٤ و١٣٥-

٥٣- ان نسخة من هذه الرسالة قد بعث بها ابن بنت السير (تيج بهادر سبرو) واسمه (الباندیت اوبال ناراين رينا) بن (الباندين تشاند ناراين رينا) إلى المؤلف وكان (الباندیت تشاند ناراين رينا) هذا نائبا اضافيا للمحافظ في اقليم بنجاب وهوم تلاميذ اقبال-

٥٤- مجلة "نيو ياركار" (بالانجليزية) ٢٣/يوليو ١٩٧٩م ص٤٠-

٥٥- وراجع الى تعليق الجريدة في ٩مايو ١٩٣٤م-

٥٦- وكان مصير (السير شادى لال) عبرة وموعظة فقد كف بصره في أخريات حياته ومات في بيت ابنته وهو يعاني من الفقر واليؤس والذل-

٥٧- نقلا من جريدة "زميندار" اللاهورية في ١٥/ اكتوبر ١٩٢٥م و"ذكر اقبال" (لعبد المجيد سالک) ص١٢٩-١٢٧-

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

هذا هو الجزء الثالث من الكتاب الذي أردنا أن نؤلفه عن حياة إقبال وهذا الجزء الثالث يقدم لنا الشاعر الفذ في الطور الأخير من حياته وإنما هي حلقة ثالثة من الحلقات المتواطة التي تمثل حياة إقبال في أطوارها المختلفة. فقد كان الجزء الأول عن الطور التكويني كما أن الحقة الثانية قد صورت لنا الطور الوسطي من حياته بينما هذه الحلقة الثالثة والأخيرة تقدم الشاعر في الطورالأخير من حياته.

ويبدأ هذا الجزء الثالث بالمرحلة العملية من حياة إقبال وذلك حين دخل في مجال السياسة العملية لإقليم بنجاب في يناير ١٩٢٦م حيث دخل إقبال المعركة الانتخابية لمجلس بنجاب التشرعي ويمتد إلي ٢١/ إبريل ١٩٣٨ أي في اليوم الذي توفي إلى رحمة الله وينتهي هذا الجزء الثالث بدراسة شاملة للتطور الفكري والشعري عند إقبال في المراحل المختلفة بالإضافة إلى دراسة بعض الجوانب من حياته الخاصة.

وفيه هذا الطور من حياته تتجلى لنا جوانب عديدة عن شخصية إقبال فنراه يقدم أفكاره وأراءه عن الدين والسياسة والأخلاق والقانون والمدنية والاقتصاد والعقاءد والكلام لكي يمهد الطريق للنهضة الإسلامية وتحرير الشعب المسلم

الهندي واستقلاله. ولم يحفل في ذلك بما قاله المعارضون له إلا أنه توفي في أوضاع غريبة من القلق والاضطراب وهو لما يحقق ما أراد أن يحققه من الأعمال والأمجاد.

إن القلق والاضطراب الذي كانت نفس إقبال تعاني منه كان غريبا للغاية.إن هذا القلق والاضطراب لا يزال يلتهب بين حيثن وآخر في نفوس أتباعه حين يدرسون شعره وفكره .

إن هذه الحلقات الثلاثة من السلسلة تقدم لنا بعض الجوانب الجديدة من حياة إقبال تلك الجوانب التي لم يتناوله أحد قبلنا من المؤلفين تصدوا لحياة إقبال وفكره وقد بدأت أولف هذه السلسلة من الكتب في سنة ١٩٧٥م وقد انتهيت منها بعد تسع سنوات متوالية بذلت خلالها ما كنت أملكه من الجهد والكفاءة والقوة ولله الحمد أولا وأخرا.

جاوبد إقبال

الفصل الخامس عشر

في معركة السياسة العملية

ورغم أن إقبالا كان يهتم بالسياسة اهتماما كبيرا في شعره وفكره إلا أنه لم يدخل في مجال السياسة العملية إلا في ١٩٢٦م وعلى أساس ما حكاه إقبال نفسه أنه هو أول من حلم بالقومية المتحدة في بلاد الهند ولكنه لم ينضم إلى (الكونجرس) حتى في الفترة التي كان يؤيد خلالها فكرة الوحدة بين الهنادكة والمسلمين من أجل الأهداف المشتركة وإنما كان يرى بأن شبه القارة بلاد واسعة يسكنها أمم وشعوب مختلفة وكذلك فإن فكرة القومية الإسلامية كانت توجد في بعض ما قاله من الشعر الوطني منذ سنة ١٩٠٠م على أقل تقدير، وخلال إقامته في إنكلترا مر باقبال بثورة داخلة وفكرية غيرت مجرى اتجاهاته الفكرية والشعرية تغييرا حاسما ونهاءيا وهو الاتجاه الإسلامي في شعره وفكره وأما صلاته بجمعية الوحدة الإسلامية أو الفرع البريطاني للرابطة الإسلامية خلال إقامته في (لندن) فقد كانت صلات ظاهرة سطحية وبعد عودته إلى (لاهور) اتصل إقبال بالفرع الإقليمي للرابطة الإسلامية على أساس المبادئ الفكرية في بداية الأمر وكان (السير فضل حسين) قد وقع على الاتفاقية التي تمت بين الكونجره والرابطة والتي عرفت بميثاق (لكنؤ) بالنبابة عن إقليم بنجاب.

أما إقبال فلم يكن يوافق على هذا الميثاق ولم يكن يؤيده. ثم انشيئ مؤتمر الخلافة فانضم إليه القادة المسلمون السياسيون وتعاونوا مع الهنادكة خلال حركة عدم التعاون أو ترك الموالاة ولكن إقبالا لم يزل بمعزل عنهم حيث لم يكن يوافقهم في موافقهم السياسية هذه. إن هذا الطور من حياة إقبال يعرف بطور الوحدة والانغزال عقليا وفكريا حيث لم يستطع أحد من القادة المسلمين أن يفهم وجهة نضرا اقبال سواء في ذلك من أيد حركة عدم التعاون أو عارضها من الزعماء والقادة المسلمين السياسيين.

وكان إقبال يرى بأن تدخل المسلمين في السياسة العملية لشبه القارة إنما هو إضاعة وقت أو عمل لا جدوى من وراءه أو ضوضاء فارقه أو سلم يتخذه الانتهازيون لتحقيق اغراضم الشخصية ومن ثم كان يكره السياسة العملية وفيما يلي أبيات شعرية نجد إقبالا يعبر عن رأيه الشخصي في ذلك ومعناها.

إنني لا أجد في نفسي العزيمة والقوة للتحرك والسعي حتى ولو كنت أتوق إلى

ذلك والسبب في ذلك أن هذا السعي والتحرك يتركز على تحقيق الأغراض الشخصية.

(٢) فالشكر لله ألف شكر حيث أنني أرضى بالقليل من القوت والشرك لله ألف شكر حيث لا أملك عقلا يشتغل بإشارة الفتن والفساد.

إن الشعر الذي أقوله يحي القلوب ويروي الحقول الخضراء من النفوس أن مثلي في الدنيا مثل سحاب يمطر فوق الأودية والأنهار.

وهنيئا لك يا سيدي هذه المشاكل السياسية المعقدة أما أنا فإن أظفار فكري إنما تجرح الصدور وتؤثر فيها وذلك ببركة العشق ووحيه.

والسوال الذي يطرح نفسه بعد هذه الخلفية هو: لما ذا قرر إقبال في ١٩٢٦م أن يدخل مجال السياسة العملية والمعركة الانتخابية؟ والرد على هذا السوال هو أن إقبالا كان قد حدث في نفسه تغيير ثورى وهو في انكلترا. وخلال هذه الفترة نفسها كان الاعتراف قد تم بما طالب به المسلمون في شبه القارة وهو مبدء الانتخاب المستقل للجالية الإسلامية وحينئذ تحقق لإقبال بأن ما كان يراه (السير سيد أحمد خان) من الآراء والافكار السياسية والاجتماعية كانت صائبة صحيحة فتبناها إقبال وارتبط بها قلبيا وعقليا ومدرسة (السير سيد) السياسة وأفكاره الاجتماعية كانت تنص على أن الاقلية المسلمة قد أكرهت على اتخاذ الموقف الدفاعي نحو الاغلبة الهندوكية الساحقة في شبه القارة.

تلك الأغلبية الساحقة التي كانت أغلبية جائرة مستبدة ترهب الأقليات الهندية من غير الهنادكة وتهدد مستقبلا ؟؟؟؟ ومن ثم لم يكن منا لممكن بناء القومية الموحدة على أساس المساواة والعدالة ولكن الأغلبية الهندوكية بسبب تعصبها الديني لم تكن تؤمن بمبدأ المساواة أو الاعتراف بحقوق الأقليات غير الهندوكية وعليه فإن فكرة القومية الموحدة في شبه القارة إنما كان حلما وأمنا(٢) وقد تبنى إقبال هذه المدرسة الفكرية في السياسة والاجتماع كعقدية مبدئية وكان قد وهصل في سنة ١٩٠٩م إلى نتيجة حاسمة جعلته يعلن بأنه يجب على كل من الهنادكة والمسلمين أن يحتفظوا بتشخصهم القومي المستقل وبأنه يجب الاعتراف بذلت بضمانات دستورية (٣) وعلى أساس هذه العقيدة الفكرية كان إقبال قد أخذ يوضح مبادئ القومية المسلمة وأسسها وكان قد أدرك من خلاف حركة الخلافة أو حركة ترك الموالاة بأن الدول الإسلامية الأخرى كلها قد سيطرت عليها فكرة القومية المحلية أو الوطنية الضيقة بينما لم يزن القادة المسلمون في شبه القارة

يتخبطون وراء السراب من التوحيد بين الهنادكة والمسلمين أو ظلوا يحاولون تحقيق أغراضهم الشخصية بتحلق الاستعمار الأنجليزي والاستسلام له ولهذه الأسباب انعزل إقبال عن الحياة السياسة وقطع صلاته بالزعماء والقادة المسلمين ولكنه كان من إقليم بنجاب وبعبارة أخرى من إقليم كانت أغلبية سكانه من المسلمين وبطبيعة الحال كان إقبال يتخذ موقفا صريحا في السياسة الشؤن القومية ولم يكن يؤمن بالمواقف الدفاعية، إذن فإن إقبال قد قرر أن يدخل في مجال السياسة العملية والمعركة الانتخبابية لكي يتمكن من تنظيم المسلمين على مستوى وطني حتى يواجهوا الأغلبية الهندوكية الساحقة ومخططاتها الماكرة والاستعمار الانجليزي وسياسته المحلية البغيضة وبذلك يمكن ضمان احتفاظ الأمة الإسلامية بسلامتها وأمنها في شبه القارة.

إن الدستور الذي تمت الموافقة عليه في ١٩١٩م على أساس الإصلاحات الدستورية التي تعرف بإصلاحات (مَنْتُور مورلي) وإن كان يعترف بمبدأ الانتخاب المستقل للمسلمين إلا أن عدد النواب المنتخبين في المجالس الإقليمية كان محدودا جدا ولكن الظروف السياسية المتغيرة والحوادث الطارئة في شبه القارة استحالت من السيء إلى الأسوأ فمن ذلك إلغاء تقسيم (بنغال) وحرب طرابلس وبلقان وكارثة (كانبور) ودخول الأتراك في الحرب العالمية الأولى مع القوى المركزية ومشروع القانون الذي يعرف بمشروع العصيان وكارثة حديقة(جليانوالة) ومشكة الخلافة وحركة عدم التعاون أو ترك الموالاة وحركة "شدهي" (تهنيد المسلمين) وحركة "سنغاتن" (التنظيم العسكري للهنادكة الزهاد) وكانت النتيجة المحتومة لهاتين الحركتين الهندوكيتين هوالتعصب الديني المتزايد وسلسلة المثاغبات الطائفية بين الهنادة والمسلمين والتي كانت مستمرة وغير متناهية ونظرا إلى هذه الظروف الخطيرة جاء التقرير الدستوري الجديد والذي يعرف بتقرير (مان تيجو شيمسفورد) وعلى أساس هذه الإصلاحات الدستورية تم تنفيذ دستور سنة ١٩٠٩م وقد نص هذا الدستور على ازدياد عدد المقاصد في المجالس الإقليمية وهكذا تم تنفيذ نظام سياسي ثنائي الجهة في الهند وفي ١٩٢٣م عقدن الانتخبات الإقليمية تحت الدستور الجديد ولأول مرة وفي هذا الانتخاب الحث البهات الإسلامية المختلفة على (إقبال) أن يدخل المعركة الانتخابية إلا أن أ؛د أصدقائه وهو المحامي (ميا، عبد العزيز) كان قد أعلن اقتحامه في المعركة الانتخابية من الدائرة النيابية نفسها وذلك مما جعل إقبال يسحب ترشيحه من الانتخاب.

إن العقبات في سبيل الوحدة بين الهنادكة والمسلمين كانت قد اتسعت

دائرتها في ١٩٢٦م وكان الكونجرى ومؤتمر الخلافة منظمتين سياسيتين إلا أنهما كانتا قد فقدتا الاهمية والشعبية عند نهاية حركة عدم التعاون أو ترك الموالاة ولم يبق في المجال السياسي حزب سياسي أو منظمة غير " هندو مها سبها " (أي المجلس الهندوكي الكبير) أو حزب "سيفاراج"(حزب الحكم الوطني الهندوكي) ولم يكن أ؛د من هذين الحزبين على استعداد أ، يعير أي اهتمام بما كان يطالب به المسلمون وكانت الرابطة الإسلامية قد عبرت مرحلة التنظيم وكانت قد أخذت تنادي بما يطالب به المسلمون إلا أن التعصب الديني والمشاغبات الطائفية لم تترك مجالا للتفاهم السياسي بين الهنادكة والمسلمين.

أما خريطة بنجاب السياسية في ذلك الوقت فقد كانت غرية جدا فأم المدن الكبرى فكان يسكنها بعض المستعلمين المثفقين والطبقة المتوسطة من الناس إلا أن أغلبية السكان لإقليم بنجاب كانوا يعيضون في الأرياف والقرى ولهذا السبب كانت مشكلة التفرقة بين سكان الحرض والمدر قد اشتدت في ذلك الوقت وبالإضافة إلى ذلك فإن سكان الإقليم كله كانوا ينقسمون إلى شعوب وقبائل وأفخاذ مختلفة ومنها الزط و(راجبوات و(بتان)و(أعوان)و(ككر) و(جواجر) والمغول وغير ذلك. ونفس الظروف كانت تسود المدن أيضا ففي مدينة لاهور نفسها كانت عصابات وجماعات مختلفة فمنهم الكشيريون (الراعيون) و (ككي زئي) وغيرها من القبائل.

ولم يكن من الممكن لأي شخص أن ينال شعبية عامة إلا بتائيد كامل من بني جلدته ولعل الذي جعل إقبالا ينضم خلال الفترة الأولى من إقامته بلاهور إلى "جمعية المسلمين الكشميريين" ويشارك في نشاطات الجمعية وإجراءتها هوم العمل من أجل صالح الكشميريين وخيرهم ولكنه تراجع عن نشاطاته العملية للجمعيات الخاصة هذه في ١٩١٨م حين بدا له بأن حتى أصبحت تهدد الوحدة الإسلامية وكيان الأمة الإسلامية في شبه القارة (٤) على كل حال فإنه لم تكن توجد منظمة سياسية نشيطة في الإقليم كان بإمكانها أن تنقذ المسلمين من العصبية القبلية والتفرقة المذهبية وتجعل من المسلمين منظمة مؤثرة على المستوى القومي وإن المنظمات السياسية التي كانت توجد في ذلك الوقت لم يكن لها أي تأثير في نفوس عامة الشعب.

ويرى (عاشق حسين بتالوي) بأن (مائيكل إيدوائر) حاكم بنجاب الانجليزي في ذلك الوقت هو أول من أثاء السكان المسلمين القرويين ضد

المسلمين الحضريين في بنجاب بكل مكر وشطارة وهكذا سبب أضرارا فاضحة للوحدة الإسلامية في الإقليم وكانت النتيجة من هذا التقسيم الصناعي وغير الحقيقي هو إيجاد الحزب الإتحادي (حزب الاقطاعيين من أنصار الاستعمار الانجليزي في بنجاب) في المجال السياسي الإقليمي فس ينة ١٩٢٣م وكان مؤسس هذا الحز (السير فضل حسين) وكان له تأثيرا بالغ في الأوساط الاقليمية ولهذا السبب نال حزبه الإتحادي مكانة قوية في مجلس بنجاب التشريعي إلا أن هذا الحزب قام بالمؤامرات وادلسائس في الإقليم مما أضاف إلى العصبية القبلية بالإضافة إلى ما نشأ من منافسة مريرة بين المسلمين في المدن والقرى(٥).

وخلال الأشهر الأولى من سنة ١٩٢٦م استمر إقبال يشتغل بمهنة المحاماة كالمعتاد وكان قد اشترى سيارة خاصة له وكان يذهب بها إلى المحكمة العالية وكان يسوقها سائق واسمه(فيروز) كما أنه خلال هذه الفترة نفسها كان إقبال يؤلف ديوانه "زبور عجم" بالإضافة إلى ما كان يقوم به من وضع الأسئلة الامتحانية وتصحيح أوراق الامتحان للجامعا المختلفة وكذلك فقد كان يشارك أصدقاءه في مجالسهم فيتجاذبون ألوان الحديث فأحيانا كان موضوع حديثهم السياسة المحلية أو الوطنية أو العالمية كما أنهم كانوا يناقشون موضوعات العلوم والآداب والفلسفة في بعض الأحيان.

وفي هذا السنة نفسها كان (الشودري محمد حسين) قد وظف في أمانة (بنجاب) المدنية وذلك لما ألح عليه إقبال وأمر على أن يقبل هذه الوظيفة المدنية وكانت وظيفته أولا في فرع الإعلاج والمطبعة الحكومية ثم أخذ يتدرج في الوظائف المختلفة الأخرى حتى وصل أخيرا إلى قسم الداخلية وكان إقبال يثق به أشد ما يكون وكان يعتبره مسلما صادقا وصديقا مخلصا كما أن (الشودري محمد حسين) كان من أتباع إقبال العاملين المخلصين وكان يحب شخصيته حبا شديدا وبعد قليل منذ توظيفه في الأمانة المدنية أرادت حكومة الإقليم الانجليزية أن يقوم بإعداد التقارير السرية عما يجري بين إقبال وبين من يختلف إليه من زواره وأصدقاءه من الحديث والنقاش مما أقل (الشودي محمد حسين) أولا فظل مترددا متشوشا وأخيرا قرر في نسفه أن يستقيل من الوظيفة ولكن ما دام قد ظف على إصرار وإلحاح من إقبال فيجب أن يستشيره في أمره قبل أن يستقيل أو يتخذه قرارا في ذلك فحكى له الحكاية كلها فألحّ عليه إقبال إلى حد الإكراه والإجبار أن يستمر في وظيفته تلك وأن يأتمر بما تأمره الحكومة الانجليزية والنتيجة أنه لم يستقل من الوظيفة وإنما استمر في وظيفته وأما التقارير السرية التي كان قد أمر بها (الشوذري محمد حسين)

فقد كان يجلس إلى إقبال فيعدان التقرير السري سويا ثم يقدمه (الشوذري محمد حسين) للحكومة الانجليزية الاستعماري واستمرى هذه السلسلة من التقارير السرية المزورة السنوات عديدة(٥).

وخلال هذه الفترة نفسها قام (الشوذري محمد حسين) بإعداد المذكرات عن لقااءاته وحديثه مع إقبال وهذه المذكرات تضم العديد من المعلومات الدينية والفكرية والأدبية بالإضافة إلى بعض الطراءف الممتعة عن حياة إقبال الخاصة فمنها ما ذكره (الشوذري محمد حسين) في مذكراته هذه من أن سيدة مثقفة أحبت إقبال حبا شديدا بلغ بها الغاية وبدأت تراسله بين حين وآخرا إلى أن اقترحت عليه يوما بأن يتزوجها فلم يرد إقبال عليها بشيء مما جعلها تضطرت وترسل " وسيطا" ليقوم بالمفاوضات عن الزواج بينها وبين إقبال حتى يرضى بالزواج منها فجاء " الوسيط" يوما إلى منزل إقبال وكان (الشوذري محمد حسين) موجودا عنده وكان جميع أصدقاء (الشوذري محمد حسين) وحتى إقبال نفسه يعتقدون بأنه لا يزال غير متزوج وأنه ليس له أولاد فدخل الرجل على إقبال فاستقبله ورحب به وسأله عما جاء به إليه وكان (الشودري محمد حسين) في تلك اللحظزة واقفا بعيدا عن إقبال وأراد الوسيط أ، يعرف أيهما إقبال فقال له إقبال " أن الدكتور إقبال" فقال له الرجل الزاءر الوسيط وهو يناجيه ويفضي إليه بالسر قائلا: :قد جئت من عند السيدة الفلانية التي أحبتك فكتبت إليك وعرضت نفسها علينا للزواج منها ولكنك لم تَرُدَّ عليها " فاعتذر إليه إقبال قائلا: أنني متزوج ولست في حاجة إلى زوجة أخرى في الوقت الحاضر فخرج الرجل يائسا منكسرا فحكى إقبال القصة كلها(للشودري محمد حسين)الذي قال وهو يخاطب إقبال: " الله! كان يجب عليك يا دكتور أن تشير إلى وتقول له بأنني أن الدكتور إقبال ولست أنت فإنك إاذ لم تكن تحب الزواج منها فقد كان بإنكانك أن تمهد لي الطريق حتى أتمكن من الزواج منها.(٧)

وكان إقبال نازلا في داره المستاجرة في شارع (ميكلود) بلاهور حيث ولد له ابنه (مؤلف هذا الكتاب) وبعد مولد ابنه هذا وزع إقبال الحمام التي كانت لديه بين أصدقائه والتي كان يحبها وتعجبه أشد الإعجاب وترك شغلة الاهتمام بالحمام واللهو بها لكي لا يميل ابنه المؤلف إلى هذا اللعبة والله ورغم أن الدار كانت قديمة بالية إلا أنها كانت مريحة بسبب البيئة المحيطة بها فقد كانت أمام الدار مخضرة واسعة وكان في ناحية من المخضرة مكتب المحاماة وكان ملئيا بالكتب القانونية

وبجنب هذا المكتب كانت دار الضيافة و (كراج) للسيارة ومساكن للخدم وكان بجنب هذا المبنى الصغير مقبرة عتيقة بالية اندرست آثارها حتى لا يعرف موقعها اليوم وكانت أمام المبنى ردهة ذات أعمدة حفطاة بالخشب المنشور وكانت هناك منصة صغيرة من الاسمنت حيث كانوا يضعون الكراسي فيجلس عليها إقبال وأصدقاؤه وهم يتشمون في الشتاء أما في الصيف فقد كان سرير إقبال يوضع عليها حيث ينام ويستريح ليلا وكان للردهة باب يؤدي إلى غرفة الزوار وكانت هذه الغرفة واسعة مفروشة بالسجاجيد والمقاعد الوثيرة والكراسي الكثيرة وكان أحد جدران الغرفة باليا مقشورا قد زل منه الاسمنت فغطوه بصورة كبيرة للملكة (فكتوريا) وكان على يمين غرفة الزوار باب يؤدي إلى غرفة صغيرى جانبية وهذه الغرفة كانت مضجع إقبال وموضع صراحته ففي هذه الغرفة كان يوجد سرير حديدي زبزي وعليه كان يستريح إقبا خلال الشتاء وكانت دورة المياة تتصل بالغرفة ويستعملها إقبال وفي الجدار الأمامي لغرفة الزوار هذه كان يوجد باب يؤدي إلى غرفة كبيرة أخرى حيث كان إقبال وأهله يستريحون في الظهيرة خلال الصيف وكان اللردهة باب آخر يؤدي إلى القسم النسوي من الدار حيث كان الطريق يمر من الردهة الداخلية وكان أمام هذه الردهة الداخلية حالة كبيرة وكان يقع في ناحية منها المطبع وكان في الجانب الأمامي جدار مرتفع وكان ذلك الجدار هو نهاية الدار وهذا الجدار المرتفع كان يفصل بين منزل إقبال وبن ملعب كلية ((وهي من أشهر كليات لاهور وأقدمها) وكان للردهة الداخلية باب آخر يؤدي إلى غرفتين واسعتين وكانت تتصل بهما دورة المياه أيضا.

وكانت السيدة (سردار بيكم) هي التي تعد الطعام لأهل البيت جميعهم وكانت السيدة (رحمت بي) تساعدها في ذلك وهي عجوز كشميرية من سكان (باب موتشي) لمدينة لاهور القديمة وهذه السدية الكشميرية كانت تعرف عند أهل البيت جميعا "بالأم الكبيرة" (مان ودي) وكانت هذه السيدة (رحمت بي) قد جاءت إلى منزل إقبال في ١٩١٣م حين تزوج من السدة (سردار بيكم) وكانت مثل (علي بخش) قد انفقت عمرها كله وهي تقوم بخدمة إقبال وأسرته وكانت قد زارت ابنتها قبل وفاتها ببضعة أشهر وهي في السبعين من عمرها تقريبا وأقلب الظن أنها توفيت في ١٩٤٥م وكانت وجد حارة وراء منزل إقبال يسكنها "المصلون" (وهم شعب من المواطنين كانوا أسلموا حديثا عرفوا بهذا الإسم كأنهم أخذوا يصلون حديثا فسموهم "المصلين") فكانت فتيات هذا القوم يأتين إلى (سردار بيكم) فتعلمهن القرآن الكريم كما أن السيدة (عنايت بيكم) والسيدة

(وسيمه بيكم) من بنات حقيق إقبال كانتا تعلمانهن القراءة والكتابة باللغة الأردوية إلى جانب الخياطة والشؤون المنزلية الأخرى وكانت السيدة (سردار بيكم) تهتم بزواج الكثيرات منهن وكانت شقيقات إقبال(زينب بي) أو (كريم بي) وغيرهما يأتين إلى لاهور فيقضين بعض الوقت عند شقيقهن كما أن شقيق إقبال الأكبر (شيخ عطا محمد) أيضا كان يأتي إلى لاهور أحيانا ليتمتع بجوها ومناخها فيقي أياما عند شقيقه أما والد إقبال(شيخ نور محمد) فكان قد طعن في السن وبلغ الشيخوخة فلم يكن يقدر على السفر فكان إقبال يذهب إلى (سيالكوت) مع أهله خلال الاجازات الصيفية فيقضيها عند والده أما غرفة مكتب المحاماة من الدار فكان يجلس فيها (المنشي طاهر الدين) وبعض زبائن إقبال وأما غرفة الضيوف فكان يقطنها(السيد مختار أحمد) ابن شقيق إقبال والذي كان قد أكمل دراساته ثم وظف بالأمانة المدنية الإقليمية ولم ير المؤلف أحدا من الأقارب أو الأصدقاء ينزل ضيفا على إقبال إلا ضيفين بجانب السيد(مختار أحمد) هذا فأما أحد هذين الضيفين فكان من الزهاد الهنادكة من هند الجنوبية وكان يحلق رأسه وليحته فكان يزول لاهور وينزل عند إقبال وكان يبقعاري الرأس دائما وكان يلبش قميصا فضغاضا أصفر اللون وكان له تحت القميس هميان يحتفظ فيه بنقوده وأما الضيف الثاني فكان من الألمان وكان خيرا في إعداد الخرائط الجغفرافية وكان إقبال قد طلب إله في سنة ١٩٢٩م أن يعد له خرائط الهند وأقاليمها المختلفة حسب تقارير الاحصاء السكاني من الهنادكة والمسلمين في شبه القارة في ذلك الوقت وكان هذا المؤلف قد رأيي بعضا من هذه الخرائط ملقاة مبعثرة داخل المنزل ثم ضاعت وتلاشت هذه الخرائط وطبقا لما يذكره المؤلف كانت هذه الخرائط تنص على عدد السكان بشكل النقط وكانت هذه النقط قد كتبت بالمداد الأصفر وتدل على السكان الهنادكة كما أن البعض منها كانت قد كتبت بالمدار الأخضر وتشير إلى السكان المسلمين من أهل شبه القارة.

وأخيرا أضيف خادم جديد إلى من كان يعمل في منزل إقبال من الخدم لكي يساعد (علي بخش) في أعماله وواجباته وكان اسم الخادم الجديد (عبد الرحمن) وقد كان كصاحبه (علي بخش) من قرية (أتل كره) من محافظة (هوشيار بور في الهند) وكان منزل إقبال هذا المستأجر الذي يقع على شارع (ميكلود) بلاهور ملكا لأرملة هندوكية وولديها اليتيمين ونظرا إلى هذه الظروف كان إقبال دائما يضيف شيئا من النقود إلى ما كان يدفعه من أجرة المنزل كما أنه لم يكن يطالب

بما يحتاج إليه المنزل من التكاليف والنفقات للإطلاع والتجديد كل عام(٨).

وفي ١٩٢٦م أعلنت الانتخابات الجديدة لمجس بنجاب التشريعي مما جعل أصدقاء إقبال يلحون عليه أن يدخل المعركة الانتخابية من الدائرة النيابية للمسلمين بلاهور وفي أثناء ذلك أكد له صديقه (ميان عبد العزيز) المحامي بأنه لن يعارض إقبال ولن ينافسه في الانتخابات وإنما سوف يؤيده ويساعده في ذلك فوافق إقبال بأن يدخل معركة الانتخابات في إبريل ١٩٢٦م (٩) وكان تصريح (ميان عبد العزيز) المحامي حول تنازله عن الانتخاب من أجل إقبال قد ظهر في جريدة "زميندار" اللاهورية في ١٥ / يوليو ١٩٢٦م ثم نشر اعلان من قبل إقبال في جريدة "زميندار" نفسها في ٢٠/ يوليو ١٩٢٦م حيث أعلن إقبال استعداده لاقتحام الانتخابات فقال وهو يشكر (ميان عبد العزيز) المحامي (١٠):

"والمسلمون على علم بأنني عشت بمعزل عن مثل هذه المشاغل حتى الآن وذلك لأن غيري من الناس قد قاموا بهذا الواجب خير قيام وكنت قد اخترت مجالا أخر لما أقوم به من العمل وأما الآن فإن المشاكل التي تعاني منها امتنا الإسلامية اليوم قد اكرهتني على التوسع في مجال النشاطات العملية والخدمات القومية ولعلني أستطيع أن أقوم بجهود متواضعة قد تفيد امتنا في مثل هذه الظروف الراهنة، تلك الأمة الإسلامية قد قضيت أيام حياتي كلها فيخدمتها ليل نهار".

ورغم أن جرائد المسلمين الصادرة في لاهور طالبت فيما علّقت حول هذه المعركة الانتخابية بإنجاح إقبال في انتخاب العضوية للمجلس التشريعي بدون منازع ومنافس إلا أن بيئة لا هور كانت موبوءة بالتعصب القبلي والتحزب الديني الذي جعل اثنين آخرين يقتحمان المعركة الانتخابية هذه ومن الدائرة النيابية نفسها إلا أن أحدهما تنال لصالح إقبال وأعلن ذلك وهو (ملك محمد حسين) رئيس بلدية لاهور آنذاك فقال إقبال وهو يشكره على ذلك(١١):

"إنني لأقدر مشاعره الأخوية وأستحسن موقفه الجميل من حيث أنه لا يحب الخلافات والتفرقة بين الفئات المسلمة وأنه على استعداد أن يحضي ما يمنيه نفسه من الطموح ويؤثر الوحدة بين المسلمين على أغراضه الشخصية وأنا أدعو الله سبحانه وتعالى أن يوفق جميع المسلمين لهذا النوع من التعاطف والتضحية والإيثار"

ولكن المنافس الآخر وهو (ملك محمد دين) لم يزل على موقف المعارضة والمنافسة حتى النهاية ومن ثم لم يبق لإقبال إلا أن أن يدخل المعركة الانتخابية

فعقدت عشرون جلسة انتخابية تقريبا تائيدا لإقبال في هذه المعركة الانتخابية وحضر إقبال شخصيا في بعض الجلسات منها وألقى الكلمات الشعبية فيها وخرج الناس في مواكب متظاهرين مؤيدين لإقبال من كل حارة من الدائرة النبيابية كما أن العديد من القبائل المسلمة اللاهورية طبعت الاعلانات الانتخابية ووزعتها مجانا تائيدا لإقبال ولم ينفق إقبال من جيبه على حملته الانتخباية إلا قليلا.(١٢)

وأما معارضه (ملك محمد دين) فقد شن هجوما على إقبال في المعركة الانتخابية من شتى النواحي الوجوانب فمنها أنه كان يعلن بين حين وآخر بأن إقبالا يؤمن بالعقائد الدينية الشاذة فهو من الوهابيين. أما هو (أي ملك محمد دين) نفسه فهو من أهل السنة والجماعة وهذا الجانب من الجوانب الشخصية لإقبال قد أفاد عدوه المنافس كثيرا، وذلك لأن إقبالا كان قد نقد (حافظا الشيرازي) في ديوانه " أسرار الذاتية" فاتهمه البعض من أصحاب الطرق الصوفية بأنه يعادي التصوف وأهله وكذلك فإن البعض من طبقة رجال الدين كان قد كفر إقبال في فتواه وأتهمه بالوهابية حيث كان إقبال قد أدلى بتصريح أيد فيه (الملك عبد العزيز بن سعود) وموافقه السياسية في جزية العرب.

وأما الجانب الآخر الذي استغله معارضه (ملك محمد دين) فهو أن إقبال كان ينتمي إلى أسرة كشميرية أما (ملك محمد دين) فقد كان من قبيله (الراعيين) فمن واجب أهل القبيلة وأتباعها أن ينتخبوا أحدا من أبنائ القبيلة لكي يدافع عن حقوقها ويذود عن حياضها وأما الجبهة الثالثة التي فتحها العدو المنافس فهي أنه كان يطبع الاعلانات وينوّه فيها سيرة إقبال الذاتية ويجرح شخصيته وهذا الجانب من الهجوم الانتخابي الذي شنه (ملك محمد دين) ضد إقبال كان فظيعا مؤلما جدا فقد طبع أربعة عشر إعلانا من هذا القبيل ووزعها بين الإهالي والصقها على جدران المدينة ولكن الأسلوب الذي اتخذه هذا العدو المنافس في هذه الاعلانات لم يكن إلا كذبا وافتراء وتهما فارغة لا أساس لها.

أما إقبال فلم يردعلى هذه الاعلانات السخيفة الوسخة بشيء وإنما كان يلح في كلماته الشعبية التي كان يلقيها في الاجتماعات الانتخابية على الوحدة الإسلامية والمواخاة والمساواة التي يدعو إليها الإسلام كما أنه كان يلح على المسلمين أن يناضوا فوق النزاعات القبلية ويقضوا على الفوارق الاجتماعية التي يرفضها الإسلام. كما أنه نصح لهم بالحذر واجتناب الخلافات العقائدية وكان يمنع أصحابه في هذه الجلسات الشعبية من الاتهام والكلام السخيف ضد

معارضيه حتى لو أن أحدا من أنصاره سبقت منه كلملة سيئة خلال الخطب العاطفية بادر إقبال ليمنعه ويكفه عن ذلك(١٣).

وكان رئيس تحرير جريدة "زميندار" قد علق على المهمة الانتخابية والأساليب السخيفة التي اختارها (ملك محمد دين) خلال المعركة الانتخابية هذه فقال وهو يؤيد إقبال(١٤):

"أفليس من شقاء المسلمين وذلهم وبؤسهم أنهم لم يتمكنوا من انتخاب شخصية كبيرة محترمة لمنصب حقير هو العضوية في مجلس بنجاب التشريعي بدون المعارضة والمنافسة؟ فإذا كان يلادة المسلمين وغباوتهم ووقاحتهم قد بلغت بهم هذه الغاية فإني لهم أن يشكوا بأنهم لا يجدون قائدا مخلصا بإمكانه بأن يقوم بخدمة الأمة الإسلامية ويضطلع بقياديتها وأنهم كاذبون في ادعائهم بأن المجتمع الإسلامي اليوم يعاني من قحط الرجال الأكفاء فان (ميان عبدا لعزيز) المحامي و(ملك محمد حسين) رئيس بلدية لاهور قد تازلا عن ترشيحهما للإنتخاب من أجل العلامة إقبال وهذا يدل على ذكائهما وإدراكهما موقف الأمة الإسلاميةو التي تواجه الظروف الصعبة في الوقت الحاضر وإن المسلمين جميعا ليشكرونهما من أعماق القلوب إلا أن معارضا جادا للعلامة إقبال قد ظهر حديثا وهو محام خامل الذكر من أهل لاهور واسمه (ملك محمد دين) الذي لم يسمع عامة الشعب المسلم عنه شيئا وأن الإعلان الذي نشره (ملك محمد دين) عن حملته الإنتخابية يلح أكثر من مرة على أنه من أهل السنة والجماعة وأنه قد زار ضرائح الأولياء الكرام وأنه لا يريد إلا أموات أهل السنة والجماعة ولكننا نريد أن نوجه سوالا بهذه المناسبة: " هل يكون مستوى العضوية في المجلس التشريعي في المستقبل بأن يكون مرشح من أهل السنة ومرشح آخر من غيرهم من المسلمين؟" أن المرشح الذي يهتم بالتفرقة المذهبية في المرحلة الإبتدائية من الترشيح كيف يمكن أن يسمى ممثلا لكافة المسلمين بعد نجاحه في المعركة الانتخابية؟ وهل يعني هذا بأن على الشيعة وأهل الحديث أن يطالبوا بمقاعهده الخاصة المستقلة في المجلس التشريعي؟ فهذا هو العلامة إقبال في ناحية يعلن بين حيثن وآخر على رؤس الأشهاد فيكل مناسبة بأنه يمثل كل من يقول (لا إله إلا الله) وأنه يهدف إلي القضاء على التعصب القبلي وتحطيم أصنام التفرقة المذهبية بين المسلمين وفي ناحية أخرى شخص آخر يعلن دائما بأنه حنفي العقدية والمذهب وهو لا يعرف أن المسلمين لا يريدون التفرقة وتمزيق الوحدة الإسلامية وإنما يريدون الوحدة والأخوة فهم أحوج الناس إلى ذلك اليوم إننا نعرف جيدا أن (ملك محمد دين) هذا يعتمد على أصوات قبيلة

(الراعيين) وأن هذه الثقة والاعتماد على أصوات قبيلة بالذات تدل على نزعته المائلة إلى التفرقة والتمزيق وأن عامة المسلمين لا صلة لهم به ونريد أن نخبره بأن المثقفين والمتنورين من قبيلة الراعيين نفسها ليسوا من الأدلاء العميان الحمقاء حتى لا يتمكنوا من التمييز بين العلامة إقبال و(ملك محمد دين) أن العلامة إقبال لن يؤثر الأهداف القلية على الأغراض الإسلامية أبدا، أما (ملك محمد دين) فموقفه بالعكس فإن العلامة إقبال قد أعلن أكثر من مرة في الجلسات الاجتماعية بمدينة لاهور بأن الذي يريد أن يصوت له بصفته كشميريا فهو برئ منه ولا حاجة به إلى صوته وهذا (لاله لاجبت رائي) الهندوكي في ناحية يتسطيع أن يعلن انتخاب مرشح هندوكي بدون معارضة أو منافسة من أية دائرة نيابية يريدها وليس لأحد من الهنادكة أن يعارضه أو يجترع على المنافسة له. إن الهنادكة رغم الخلافات الشديدة بينهم قد قرروا انتخاب الباندیت (موتي لال نهرو) والباندیت (مالوية) بدون معارضة أ, مافسة وأن الدائرة النيابية التي سوف يدخلها الباندیت(مالوية) للإنتخاب يوجد فيها مئات الألوف من أعضاء الكونجرس وكذلك يوجد مئات الألوف من أعضاء منظمة "سنغاتن" في دائرة نيابية يريد أن يدخلها الباندیت (موتي لال نهرو) كمرشيح للغضوية إلا أن الوحدة القومية للشعب الهندوكي قد بلغت غايتها حيث لا يمكن لشخص أن يقوم معارضا للكبار من زعماء الشعب الهندوكي وأما في ناحية أخرى فهؤلاء هم المسلمون الذين لا يستطيعون أ، يحققوا احترامهم وحبهم لشخصية جليلة عظيمة فذة من أمثال العلامة محمد إقبال فيا للخسارة !.

وكان الحاج (دين محمد) الخطاط من أكبر أنصار إقبال ومؤيديه خلال هذه الانتخابات وقد قام بجهود كبيرة بارزة لمساعدته وهو الذي يحكي لنا بأن الذي حرض (ملك محمد دين) المحامي ليعارض إقبال في الانتخبات هو السير (شادي لال) الهندوكي المتعصب ويصرح الحاج الخطاط قائلا بأن (ملك محمد دين هذا) كان قط بطع إعلانا من حجم كبير جدا فألصقه على بعض جدران المدينة وكل سكان حي (مزنك) من أنصار إقبال ومؤيديه المتحمسين فنظموا اجتماعا شعبيا انتخابيا فاقترح (ملا لال دين قيصر) من أنصار إقبال بهذه المناسبة أن يبطع إعلان كبير بحجم قامة الإنسان فاتجهت أنظار الجميع منهم إلى الحاج (دين محمد) الخطاط ليقوم بتلك المهمة فقد كان من أبرز الخطاطين في وقته ولم يكن له نظير بمدينة لاهور في كتابة الحروف الكبيرة الجلية فسارع إلى كتابة الإعلان فأحضر الورق فوصل إلى المطبعة واستخرج "البروفة" ثم طبع الإلعان ثم ألصقه على جدران حي (مزنك) وخارج المكان الذي كان قد تقرر عقد الاجتماع فيه ثم دخل

في مكان الاجتماع فجلس في ناحية منه بكل هدؤ وصمت. فسأله(ملك لال دين قيصر) عند بداية الاجتماع الشعبي قائلا: يا حضرة الحاج أنت جالس هنا فأين ذلك الإعلان؟ فابتسم الحاج ثم قاله له وهو يشره إلى ناحية " ذلك هو إعلانكم" فادهش الناس فقال بعضهم لبعض متسائلين:كيف أعد الإعلان في خلال هذه الفترة القصيرة؟ وحين اطلع إقبال نفسه على ذلك عجب هو الآخر ثم خاطب الحاج قائلا: يا حضرة الحاج إنك لخطاط من كتاب كلمة "كن فيكون" فكأنك قلت للإعلان " كن " فكان في حينه (١٥).

وأما (ملك لال دين قيصر) هذا فقد كان هوا لآخر من أكبر أنصار إقبال والمؤيدين له وكان شاعرا معروفا من شعراء اللغة البنجابية في وقته وكان يحضر في كل جلسة من جلسات إقبال الشعبية وكان الشيخ (غلام مرشد) والذي كان من أبرز الخطباء بالمسجد الملكي بلاهور) يلقي كلمات رنانة مثيرة عن الوحدة الإسلامية في مثل هذه الجلسات الشعبية بينما كان (ملك لال دين قيصر) هذا ينشد أبياته الشعرية باللغة البنجابية هذه على ألسنة الأهلي من أنصار إقبال وسارت بها الركبان ومنها قوله:

آ كئي فوج إقبالي كر ديو رسته خالي

ومعناه: إن جيش إقبال قد وصل فعليكم بأن تمهدوا له الطريق الآن.

فكان طلال الكلية الإسلامية بلاهور وغيرهم من الشباب المتحمسين المسلمين من أهل لاهور يخرجون في مواكبهم الزاخرة المزدحمة متظاهرين وهم ينشدون هذه الأبيات الشعرية أحيانا كما أنهم كانوا ينشدون من شعر إقبال أحيانا وهوقوله:

يوں تو مرزا بھی ہو سید بھی ہو أفغان بھی ہو
تم سبھی کچھ ہو بتاؤ تو سہی کیا مسلمان بھی ہو

"من المعلوم أن فيكم من السادة الأمران والأمراء المغو والأفغان فكأنه يوجد فكيم كل شيء من هذه الأشياء ولكن أخبروني هل فيكم المسلمون أيضا؟"

وعقد اجتماع شعبي في دارة (المفتي باقر) من أحياء لاهور القديمة وحضره ثلاثة آلاف من الأهالي تقريبا وكان إقبال جالسا بينهم فإذا بملك (لال دين قيصر) يحضر في الاجتماع ومعه الشيخ (محرم علي جشتي) الذي كان من أنصار (ملك محمد دين) المحامي فعرفه بمن حضر في الاجتماع من الأهالي ثم أنشد من أبياته الشعرية البنجابية المليئة بالسخرية ومعناها:

سمعنا عن قرية اسمها" ييبي بور" وهي قرية معروفة وهذا الرجل يعمل بها في

وظيفة "بتواري" (هو موظف يحتفظ بسجلات الأراضي المزروعة لكل قرية أو منطقة خاصة به) وأننا لا نريد أن نقول له كلاما لأنه يربي لحية على وجهه.

وقد ذهب إليه بعض أصدقائنا فناداه سائلا: أين أنصارك يا صاحب السيادة؟ فالخلق كله قد مالوا إلى ناحية أخرى؟

فقال وهو يرد عليه: أيها الأحمق قد فقدت العقل والرأي أما تعلم أن مدينة لاهور كلها قد صارت من أنصار إقبال وأما نحن فإن قوتنا المؤدية في قرية" أتاري" (وهو قرية كانت عامرة بالسيخ والهنادكة وتقع على الطريق بين لاهرو ومدينة أمريت سار).

وكانت شخصيا لاهور البارزة قد صارت من أنصار إقبال بهذه المناسبت ومنهم (ميان نظام الدين) و(ميان أمير الدين) و (ميان حسام الدين) المحامي و(ميان أسلم) : الكاتب الروائي و (محمد دين تأثير) و(خليفة شجاع الدين) و(ميان عبد العزيز) المحامي والشيخ (سيد ممتاز علي) و(غلام رسول مهر) و(عبد المجيد سالك) و (الخواجا فيروز دين) و (الخواجا دل محمد) و (جنن دين) "المصارع" و(الدكتور ميرزا يعقوب بيك) و(الشيخ أحمد دين) المحامي و (حفيظ جالندري) الشاعر المعروف (سيد محسن شاه) المحامي و(سيد مراتب علي) (وشيخ عظيم الله) المحامي و (عبد الرحمن تغتائي) و(عبد الله تغتائي) و(الأمير محمد على خان قرلباش) و(سيد أفضال على حسني) و (الميرزا جلال الدين) المحامي و (شيخ جلاب دين) المحامي و (سردار حبيب الله) و(ملك ميران بخش) والشيخ (ظفر علي خان) و(شيخ محمد نقي) والشيخ (محبوب عالم) و(ميان شاه نواز) و (حكيم محمد يوسف حسن) بالإضافة إلى المئات من الشخصيات البارزة وقد سرد أسماعهم (محمد حنيف شاهد) في كتابه "إقبال ومجلس بنجاب التشريعي).

وكان العديد من الجمعيات المحلية وسكان المناطق والأحياء المختلفة بالمدينة قد أدلوا بتصريحات أيدوا فيها إقبالا وكان المكشيريون أقل عددا من الراعيين في لاهور في ذلك الوقت ولكن العديد من القبائل والجاليات الأخرى مثل (الصرافين) و (الخواجات) و (الجزارين) و (الجواجر) و(الحدادين) كانوا قد اتفقوا فيما بينهم على تائيد إقبال كما أن قبلية (ككي زئي) قد ساعدت إقبالا مساعدة عملية مفتوحة ملموسة وكان من بين الدوائر المذهبية المختلفة التي أيدت إقبالا قائد الشيعة(سيد علي حائري) و (خواجات نارووال) و " الأ؛مديون" من القاديانيين

واللاهوريين قد أعلنوا تائيدهم ومساعدتهم لإقبال كما أن أعضاء الجمعية الإسلامية بحي (ميان مير) و " أهل الحديث " أعلنوا تائيدهم له وكان مجلس الخلافة من بين الأحزاب السياسية الذي أعلن تائيده لإقبال وقال بأنه هو خير المرشحين للإنتخاب وأنه لا بد من تائييده كما أن إقبالا كان قد وافق على مبادئ مجلس الخلافة ووقع على إعلان المجلس الإنتخابي الذي نص على المبادئ التالية:-

إيثار المصالح القومية الوطنية على الأغراض الذاتية واسترضاء الحكومة الأجنبية.

الدفاع عن جميع حقوق المسلمين بالإضافة إلى تحرير الهند الكامل وتائيد مجلسا لخلافة ما دام يعمل لتحقيق هذا الهدف وعدم معارضته داخل المجلس التشريعي أو في خارجه.

الدفاع عن مصالح المسلمين العامة والشريعة الإسلامية بالإضافة إلى الجهد المتواصل من أ جل النيابة الإسلامية المستقلة في المجالس النيابية إلى أن تتغير الأوضاع في شبه القارة .

التائيد الشامل لكل حزب يؤيد المبادئ المنصوص عليها أعلاه داخل المجلس التشريعي.

وكان جريدة "سياسة" و " نشتر" ((أي المفصد) للكشميريين بلاهور وكانتا تتهمان إقبال بأنه "وهاب نجدي كذاب وعدو للإسلام" إلى غير ذلك من الشائعات والتهم المختلفة أما بقية الجرائد الإسلامية في لاهور فقد أبدت تائيدا شاملا لموقف إقبال وترشيحه (١٧) .

أما سلسلة الجلسات الانتخابية فقد بدأت في أكتوبر ١٩٢٦م وأما الخطباء الذين كانوا يلقون كلماتهم والشعراء الذين كانوا ينشدون شعرهم من الشخصات البارزة في جلسات إقبال الشعبية هذه بالإضافة إلى الشيخ (غلام مرشد) و(ملك لال دين قيصر) اللذين مر ذكرهما. فهذه أشماء البعض منهم : الشيخ (محمد بخش مسلم) و (حفيظ جالندري) و (الدكتور سيف الدين كتشلو) والشيخ(عطاء الله شاه بخاري) والشيخ (ظفر علي خان) والشيخ(حبيب الرحمن) والشيخ (مظهر علي أظهر) وكانت المواكب الكبيرة تخرج متظاهرة وكان إقبال ينضم إليها فكانت أفواج المتطوعين من الأجنحة والأحياء المختلفة للمدينة تتقدم المواكب المتظاهرة هذه وهي تحمل رأيات الإعلانات الإنتخابية وتنشد الأبيات الشعرية المؤيدة لإقبال وكان كل فوج من أفواج المتطوعين هذه يمتاز بعلامة خاصة فهذا فوج من المتطوعين الذين على رؤسهم عمائم بنفسجية اللون بينما ذلك فوج آخر

منهم وعلى رؤسهم عمائم رمادية اللون هناك فئة ن الشباب قد لبسوا الطرابيي الحمراء وقد كتب عليها اسم إقبال بالطباشير ويتبعهم فئة من كبار ا لمدينة بما فيهم الأغنياء والتجار وأساتذة الكليات وغيرهم من المتعلمين المثقفين وكانت هذه الفئة تحيط بإقبال فلم يكونوا يتقدمون إلا بضع خطوات حتى تغطيهم فلائد الأزهار كما أن الأهالي كانوا يمطرون عليهم أوراق الأزهار وكان المتطوعون والعاملون يغنون أبيات إقبال الشعرية التي تدعو إلى الوحدة الإسلامية وذلك لأن إقبالا كان قد اعتزم بمناسبة الانتخابات في لاهور على أن يقضي على رواسب التعصب القبلي والتفرقة المذهبية وكانت هذه المواكب تمر في أسواق لاهور وشوارعها فإذا حان وقت الصلاة دخلوا مسجدا من المساجد الكبيرة وعلوا الصلاة مجتمعين ثم نظموا الموكب من جديد فيبدأون تظاهرهم بنفس الهيبة والشوكة فيمرون من الأسواق والشوارع حتى ينتهي تقدم الموكب عند باب من أبواب لاهور القديمة فيلقي إقبال كلمته يدعو المسلمين فيها إلى الوحدة والتضامن ثم ينصرف الجميع ويعودون إلى بيوتهم(١٨).

أن البعض من الكلمات التي كان إقبال يلقيها في مثل هذه الجلسات الانتخابية أو في نهاية المواكب المتظاهرة هذه قد نشرت في جريدة "زميندار" اللاهورية وأمنت من أيدي الضياع فمثلا كان إقبال قد ألقى كلمة في جلسة عقدت في ١١/اكتوبر ١٩٢٦م فقال وهو يخاطب الجمع (١٩):

"ولقد كان بمقدرتي أن أعبر عن نفسي بالنشر الانكليزي أو الأردوي أو الفارسي ولكن من المعلوم المعترف به عند الناس أن الطبائع البشرية تتأثر بالشعر والكلام المنظوم أسرع وأكثر مما تتأثر به من النثر أو الكلام المنثور. وهذا ما جعلني اتخذ من الشعر وسيلة لايقاظ المسلمين ودعوتهم إلى الادراك الصحيح لحقائق الحياة العملية لكي يتبعوا السنن والطرق التي اتبعها أسلافهم ولكي انقذهم من اليأس والجبن والتكسل والاستسلام وقد انفقت خمسة وعشرين عاما من حياتي في خدمة إخواني المسلمين بكل ما كنت أملكه من الصلاحية والمواهب الفكرية والعملية. أما الاة فأقدم نفسي لخدمتهم بشكل آخر في الحياة العملية. أن الأمة الإسلامية في الهند اليوم تمر بمرحلة خطيرة وغريبة جدا. فمن المتوقع أن تقوم "لجنة ملكة" بالبحث والتحقيق في ١٩٢٩م وذلك لكي تستكشف ما تستحقه الهند من الاصلاحات والتسهيلات وأن المسلمين اليوم في أشد حاجة إلى أن يهتموا بهذا الجانب الخاص من حياتهم وأن ينهضوا من أجل الاحتفاظ بحقوقهم. أن أكبر ميزة يمتاز بها نائب من النواب هي أن

يضحي أغراضه الذاتية ويؤثر عليها الأهداف الشعبية السامية وذلك إذا تعارض الأهداف الشخصية والأهداف الشعبية. إنني أؤكد لكم بأنني لن أوثر أغراض الشخصية على المصلاح الوطنية وأنا أدعو الله عزو جل أن يوفقني لذلك لأقوم بخدمتكم خير خير قيام. أنني أعتقد أن الموت خير من أن يؤيثر الإنسان اغراضه الشخصية الدنيئة على الأهداف القومية السامية"

وفي ١٣/ اكتوبر ١٩٢٦م أعلن إقبال في بعض جلساته الانتخابية بأن الأمة المسلمة إذا اتفقت على أن تطالب منه التنازل عن الترشيح فإنه على أتم استعداد أ، يطيع ما يأمرونه به ثم أضاف قائلا : إنني أعتبر من أكبر الكبائر أن يكون الإناسن سببا للتفرقة والعداوة بين أفراد أمته أنني أريد أن أعد جيشا من الشباب المسلمين في القريب العاجل من المستقبل بامكانه أن يقضي على التمذهب الفارغ والتفرقة الدينية اللعينة.

وفي ١٥ اكتوبر ١٩٢٦م قام إقبال خطيبا في جمع من المسلمين فرجهاهم أن لا يسمحوا لأحد من الناس أن يستغل شيئا مقدسا كالدين من أجل الانتخابات واكتساب الأصواب وإنما يجب أن تكون الوحدة والتضامن طريقنا كما أنه يجب علينا أن نتبع سنة إبراهيم عليه السلام ونقلد طريقته لكي نحطم أصنام التعصب القبلي والتفرقة الجنسية. إنني أنوى أن أعد برنامجا اجتماعيا إصلاحيا وأعرضه على الشباب المسلمين وفي ١٧ / اكتوبر ١٩٢٦م ألقى إقبال كلمة ممتعة عن الديموقراطية والإسلام و"مجلس بنجاب التشريعي" (٢٠) ولعل آخر الجلسات الانتخابية التي عقدت في داخل مدينة لاهور القديمة كانت جلسة عقدت في حارة (كره ولي شاه) في ١٩/ نوفمبر ١٩٢٦م وكان إقبال قد وصل إلى مكان الاجتماع في الساعة الثامنة والنصف ليلا وكان الأهالي قد زينوا الشوارع والأسواق والجدران بالأزهار والمصابيح والأعلام وكانت الجموع المحتشدة قد تجمعت في كل ناحية وكان الاجتماع مزدحما عظيما للغاية وحين دخل إقبال ميدان الجلسة سارع إليه كبار الرجال فطوقوه قلائد الأزهار وأشارت الهتافات الشعبية ضجة بين الجموع.وانشد (ملك لال دين قيصر) و (آس) و (ثمر) قصائدهم الشعرية ثم قام (شيخ عظيم الله) المحامي و (شمس الدين حسن) رئيس التحرير بعد مجلة "خار" (أي المشرق) و (الخواجا فيروز الدين) فألقوا كلماتهم واحدا بعد الأخر وفي النهاية قام إقبال خطيبا فقال:(٢١).

"إن الوحدة والتضامن هو سر حياة المسلمين وقد انفقت السنن والأعوام دارسا كما قضيت لليالي مفكرا لكي أكشف الحقيقة التي جعلت العرب المسلمين

الأوائل يحبون الرسول صلى الله عليه وسلم ويتبعونه وبذلك أصبحوا قادة العالم وسادته وفرضوا سيطرتهم على الدنيا خلال الفترة القصيرة من الثلاثين عامام وقد اكتشفت تلك الحقيقة ألا وهي الوحدة والتضامين ! ذلك التضامن الذي يبقى دائما على ألسنتنا جميعا ويا ليت المسلمين أدركوا بأن التفرقة الجنسية والخلافات المذهبية وضيق الأفق الفكري والتعصب الجنسي من الأمراض التي أتت على الأمة الإسلامية. أن الاختلاف في الرأي أمر طبيعي وذلك لأن الطبائع البشرية تختلف فيما بينها فكل شخص له وجهة نظر تختلف من غيره كما أ ن له أسلوبا فكريا يختلف ولكن هذا الاختلاف في الرأي ووجهة النظر والأسلوب الفكري يجب أن يكون في حدود كما بقي هذا الاختلاف في حدوده عند أسلافنا وإذا كان الاختلاف كذلك فهو رحمة.أما إذا غلب ضيق الأفق الفكري والنظري على الناس فإن هذا الاختلاف يصير لغة ودمارا. أيها المسلمون أقول لكم إنكم إذا أردتم الحياة والبقاء والعز والكرامة فعليكم بالوحدة فإذا كان لا بد من الاختلاف فيجب أن يكون كما كان عن عند أسلافنا وعليكم بالحذر من التعصب وضيق الأفق الفكري والنظري. إنني أقول والحق يقال بأن الحذر من التعصب وضيف الأفق مما يقضي على الخلاقات كلها والشيء الأخر الذي لا بد منه لمسلمي الهند اليوم فهو يجب عليهم أن يهتموا السياسية الهند اهتماما كبيرا. إن الذين لا يستطيعون أن يقرؤوا الجرائد فعليهم أن يستمعوا إلى غيرهم من الإخوان. أن القوى الحاضرة التي تسود العالم اليوم معظمها يعادى الإسلام ويتعارضه ولكن الله سبحانه وتعالى قد وعدنا بقوله " ليظهره على الدين كله" وإيماني قوى بما وعدنا الله عزوجل به وأن القوى الإسلامية سوف تنتصر انتصارا حاسما ونهائيا باذن الله فهذا هو حظه هذا الدين القيم كما قال عزوجل: "ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين".

وخلال الهجوم الانتخابي نشأ العديد من النكت والفكاهات الممتعة فمنها ما حكاه الشاعر(حفيظ جالندهري) أن إقبالا ألقى كلمة في بعض اجتماعاته الانتخابية ثم انصرف عائدا إلى منزله وكنت أرافقه فمررنا في بعض الازقة داخل المدينة مشيا على الأقدام ولأن إقبال كان مرشحا وكان يريد أن يكتسب أكبر عدد من الأصواف فكان كلما التقى في طريقه بشخص سلم عليه على رجل وبينما هو سائر في طريقه سلم على رجل ولكنه كان من أنصار (ملك محمد دين) المحامي المعارض المنافس له فلم يرد الرجل على إقبال بتحية وإنما رفع إزاره ووقف عاريا ثم ركب إقبال سيارته الخاصة له وكان متعبا مكدودا. فقال وهو يخاطبني(أي

الشاعر حفيظ جالندهري) في لهجة كئيبة وصوت نحيل: "انظر هذا هو الشعب الذي أسهر على آلامه وشدائده قلقا مضطربا طول الليل ولكن ماذا حديث لهؤلاء الناس حتى أنهم قد حرموا من الأخلاق والمروءة وحسن التخاطب " فرد (حفيظ جالندهري) بأسلوبه المرح الخاص على إقبال وهو يهدئه ويغزيه: يا حضرة الدكتور إن شعبك قد أراك ما كان لديه فما الذي يحزنك؟ فاندفع إقبال في الضحك عاليا فعاد إليه هدوؤه وغاب عنه تعبه وقلقه(٢٢).

وأما التفاصيل عن إجراء الانتخاب والتصويت في ٢٣ و ٢٤ نوفمبر ١٩٢٤م فمن الممكن أن نراجع المعلومات التي جمعها واستخرجها (محمد حنيف شاهد) في كتابه "إقبال ومجلس بنجاب التشريعي" نقلا عن جريدة "زميندار" اللاهورية (٢٣) وفي ٢٣/ نوفمبر تم تسجيل أصوات المسلمين في دائرة المسلمين النيابية داخل مدينة لاهور كما أنه قد سجلت أصوات دائرة السلمين النيابية في مدينه لاهور العسكرية وفي ٢٤/ نوفمبر ازدهم المصوتون في ل مركز من مراكز التصويت خلال الساعات الأولى من إجراء الانتخاب والتصويت وأما في الساعات الأخيرة من ذلك فقد كان سير التصويت داخل" الباب الأكبري" لمدينة لاهور القديمة وقد حاول أنصار (ملك محمد دين) أن يسجلوا الأصوات المزورة رفضت في المراك وتم القبض على عشر رجال خالفوا القواعد الانتخابية وكان الكثيرون من "الراعيين" المتعلمين المثقفين لم يحفلوا بقضية القبيلة وإنما صوتوا لإقبال وحدثت مشاغبة بين أنصار المرشحين في المركز الانتخابي داخل باب(موتشي) من مدينة لاهور القديمة حيث هجم شخص على خصمه وجرحه بضربة السكين وعند ما انتهى التصويت أحاط جموع الأهالي بإقبال وذهبوا به إلى داخل المدين فمشوا في موكب شعبي وكانت هتافات" الله أكبر" وعاش إقبال" ترتفع في الجو وتشير ضجة ومر هذا الموكب من سوق الكشيريين ثم من "دبي بازار" (أوسوق العلبة) لمدينة لاهور القديمة.

وفي ٢٤ نوفمبر قبض على أربعة رجال من أنصار (ملك محمد دين) بتهمة التصوية المزور خلال الانتخاب لمدينة لاهور العسكرية بما فيهم شقيقه الأصغر (ملك نذير أحمد) ثم افرج عنهم وأطلق سراجهم بكفالة فيما بعد وحاول رجل من أنصار (ملك محمد دين) التصويت المزور باسم رجل كان ينوب عن اقبال ويمثله في تعيين هوية المصوتين في المركز الانتخابي إلا أن الموظفين الحكوميين عرفوه وعلموا بأنه يريد التصويت المزور باسم خصمه المعارض فقبضوا عليه وقد سرقت عربة حصان كان يملكها رجل اسمه (دولت علي) وذلك لأنه كان قد عرف رجلا

من أنصار (ملك محمد دين) الذي أراد التصويت المزور ثم الكتشفت الشرطة بأن العربة كان قد اختطفها أربعة رجال من أنصار (ملك محمد دين) فتم القبض على اثنين منهما وهرب الاثنان. وكان المسؤل عن تحقيق هذه القضية" والدار" (جاويش أو رقيب الشرطة) واسمه (الشودزري على جوهر) بمركز الشرطة لمدينة لاهور العسكرية كما جاء في الجرائد والوثائق.

وفي ٦/ديسمبر ١٩٢٦م أعلنت نتائج الانتخابات للمجلس رسميا بمحكمة المحافظة وكان عدد الأصوات للدائرة النيابية هذه اثنا عشر ألفا تقريبا وشارك منهم في التصويت من الأصوات كما أن منافسه (ملك محمد دين) حصلى على ثمانية وتسعين وستمائة والفين من الأصوات (٢٤).

وهكذا فاز إقبال بمنصب النائب بأغلبية ساحقة بلغت ثلاثة آلاف صوت تقريبا ثم أخذ أنصار إقبال يتبهون في جماعات متعددة نحو سوق البلد أية حيث وجدوا إقبالا فأحاطوا به فنظموا موكبا شعبيا وأخذ الشباب يرقصون رقصات شعبية ومنها رقصة شعبية يسمونها (بنكره) وكان من بين هؤلاء الشباب الراقصين (محمد دين تاثير) (الشاعر المعروف وأحد عمداء الكلية الإسلامية بلاهور) وكان قد حمل على عاتقيه (ميان صلاح الدين) وقد مر هذا الموكب بسوق(انار كلي) وباب (لوهاري) أو (باب الحدادين) في الساعة الثالثة ظهرا حتى وصل الموكب عند المساء إلى باب(بهاتي) حيث صلوا صلاة المغرب في مسجد داخل هذا الباب يعرف بالمسجد المرتفع ثم بدأ الموكب من جديد فمر من سوق (هيرا مندي) و سيد متها) حتى وصل إلى ميدان يعرف بميدان الراية أو العلم وهنا وضع أحد الأهالي عمامة على رأس إقبال ثم وصل هذا الموكب إلى (موري دروازه) أو (باب الطوايس) وهو من أبواب لاهور القديمة فحملوا إقبال على عربة الحصان ذات أربعة عجلات ثم مر الموكب من سوق تسمى خزان الماء ثم من "سوق دبي" حتى وصلى أخيرا إلى "سوق الكشميريين" وهنا كان محل تجاري لبعض"الراعيين" فأهدوا عمامة لإقبال تعرف بعمامة مشهدية ثم مر الموكب عند مركز الشرطة القديم حتى وصل إلى "دارة المفتي باقر" حيث أنشد الأستاذ (جام) منظومة بنجابية حتى دقت الساعة العاشرة والنصف ليلا وحينئذ شكر إقبال المشاركين في الموكب ثم تفرق الجمع وانصرفوا(٢٥).

وقالت: جريدة "زميندار" اللاهورية وهي تعلق على إخفاق(ملك محمد دين) بأن الناخبين المسلمين الذين صوتوا في حق(ملك محمد دين) فإن الألفين منهم

كانوا من قبلية (الراعيين) الذين لا يعرفون القراءة والكتابة كما أنهم لم يكونوا على علم بمواهب إقبال ومكانته العلمية أما خمسمائة صوت من بقية الناخبين فلعلهم كانوا من "الحنفيين البريلويين" المصابين"بكوليرا البريلوية الحنفية" الذين تأثروا بما أشاعة جريدة محلية ضالة مضلة وبعض باعة الإسلام من جماعة " حزب الأحناف" (٢٦).

وكام(ملك ظهور الدين) من أقارب (ملك محمد دين) المحامي قد صوت في حق إقبال إلا أن البعض من رجال قبيلة (الراعيين) أثاروا فتنة ضده مما جعله يوضح موقفه في رسالة بحث بها إلى رئيس تحرير جريدة "زميندار" وقال فيها (٢٧):

"إن عامة الناس يعيبونني بأنني لم أؤيد (ملك محمد دين) المحامي في انتخاب "مجلس بنجاب التشريعي" وأنني لم أوافق على ما اقترح على بعض أقاربي ورجال قبيلتي ولكن ما فعلته يرجع إلى ما يلي من الأسباب: أولا: أن أبرز رجل من رجال القبيلة وهو (ميان عبد العزيز) المحامي الذي يعترف الناس بفضله ومكانته كان قد تنازل عن الانتخاب في حق الدكتور محمد إقبال وودعه بمساعدته لو وبذلك اتضح لنا جميعا بأن إقبالا يحتل مكانة وجدارة بحيث لا تصح معارضته أو منافسته ومن ثم كان يجب علينا جميعا بأن نساعد حضرة الدكتور بائيدا لموقف (ميان عبد العزيز) وبذلك نكتسب فضلا والكرامة لقبيلتنا. ثانيا: ولعل (ملك محمد دين) المحترم لم يكن على أعلم بأن الذين حرضوا (وتلك إشارة إلى مؤامرة دبرأها السير شادي لال) (ملك محمد دين المحامي) على معارضة إقبال ومنافسته قد كانوا من أعدى أعداء لقبلية (الراعيين) منذ مدة (وهذه إشارة إلى أسرة السير (محمد شفيع الميانية) وأن أعداء قبيلة (الراعيين) قد استغلوا الموقف فانتقموا منها حيث فضحوا قبيلة (الراعيين) وحطوا من شأنها في أعين الناس وبذلت أدركوا ثأرهم القديم واثلجوا صدورهم وأن قبيلتنا ستعرف قريبا ما حدث وحينئذ يندمون على ما ارتكبوا من الخطأ الفاحش. ثالثا: إن (ملك محمد دين) قد استغل الأغضاء الأميين من أعضاء القبيلة الذين قد بدأوا يشعرون بذلك الآن وأن الخمسين في المائة من السادة المتعلمين من بين أعضاء القبيلة قد انتخبوا الدكتور اقبال وأن البقية من الخمسين في المائة الذين كانوا قد أكرهوا على تائيد (ملك محمد دين) أيضا قد انتخبوا الدكتور اقبال وصوتوا له حين خلوا إلى التصويت"

وقد سر نجاح اقبال الكثيرين من مسلمي بنجاب فبعثوا له رسائل التهنئة كما أن الكثيرين من السادة الزعماء المسلمين في داخل لاهور وخارجها قد نظموا

الحفلات ورتبوا المآدب تكريما لإقبال وأقام الحاج (دين محمد) الخطا مأدبة حافلة في ١٢ ديسمبر ١٩٢٦م بمدينة لاهور وفي سوق الكشميرين منها وحضرها إقبال كما أن قبيلة (ككي زئي) قد نظمت مأدبة عشاء فاخر في ٢٦ ديسمبر ١٩٢٦م وبهذه المناسبة قام (ملك بركت علي) فألقى كلمة شكر فيها المسلمين الذين انتخبوا إقبالا كما أن إقبالا ألقى كلمة بليغة مؤثرة بالمناسبة طالب فيها أعضاء المجلس المسلمين أن ينهضوا بخدمة الإسلام والوطن ولا يفرقوا بين القروي أو الحضري من المواطنين المسلمين وكذلك حضر إقبال في حفلة الاستقبال التي نظمها وجهاء مدينة (فيروز بور) وكبارها حيث لبى دعون (تصدق حسين خالد) فاشترك فيها(٢٨).

وقد مضت ١٩٢٦م كلها وإقبال يصبح ويمسي بين ضجيع الانتخابات وعجيبها وعقد الجلسة الافتتاحية لمجلس بنجاب التشرعي في ٣/ يناير ١٩٢٧م حيث أدى كل عضو من الأعضاء اليمين الدستوري وكانت الجرائد تنثر الأنباء قائلة بأن أعضاء المجلس من أصحاب الكلمة المسموعة يكثفون جهودهم من أجل تنظيم"المجموعة المستقلة" في المجلس وقد يمكن أن يقود إقبال هذه "المجموعة المستقلة" وكان من المتوقع أن " المجموعة المستقلة لن تعارض حزبا من الأحزاب السياسية وإنما تبذل جهودها من أجل الاحتفاظ بحقوق جميع الطبقات من سكان الإقليم وأنها لن تفرق بين فلاح أو غير فلاح وبين عامل أو غير عامل وبين قروي وحضري من السكان (٢٩) ولكن هذه المجموعة لم تؤلف ولم تظهر إلى حيز الوجود وكان "الحزب الاتحادي" هو حزب الأغلبية وذلك بجهود قائدة (السير أفضل حسين) ما جعل إقبال ينضم إلى حزب الأغلبية في المجلس ظنا منه بأنه قد يتمكن أن يقوم بخدمة الأمة خير قيام ولكن إقبالا درس الأوضاع الداخلية للحزب دراسة عميقة بعد انضمامه إليه مما جعله يغير موقفه نحو(السير فضل حسين) وحزبه ويقول)عظيم حسين) في كتاب له ألفه عن والده (السير فضل حسين) وقد اتخذ أسلوب الشكوى قائلا(٣٠):

"وبما أن مسؤلية النقد الموجه نحو (فضل حسين) يرجع إلى الدكتور إقبال ومن ثم نرى من المناسب أن ندرس موقفه وحياته دراسة خاصة والواقع أن (فضل حسين) قد استمر يحاول أن يساعد الدكتور إقبال إلا أنه أي الدكتور إقبالا لم يتمكن من استغلال القرى المتحاة له ففي ١٩٢٤م كان (فضل حسين) قد اقترح على (السير ميلكولم هيلي) (حاكم بنجاب الانجليز) ورغبه في الدكتور إقبال أن يعينه قاضيا في المحكمة العالية ولكن إقبالا أخذ ينقد الحكومة نقدا

عنيفا وبذلك فقد التعاطف من الموظفين الحكوميين بينما كانت الحكومة تفكر في تعيينه قاضيا ثم في ١٩٢٧م جاء اقتراح بإرسال وفد إسلامي إلى انكلترا ليقوم بتقديم المطالب للمسلمين عن الاصلاحات السياسية القادمة بين يدي وزير الهند البريطاني فاقترح (فضل حسين) على الدكتور إقبال بأن يترأس هذا الوفد وجمع مبلغا من ثلاثة آلاف روبية لهذا الغرض وكان بإمكان الدكتور إقبال أن يكتسب بذلك حياة سياسية من الطراز الأول ولكنه رفض ذلك لأن الوفد كان في حاجة إلى المزيد من التكاليف البالغة بضعة آلاف روبية فوافق (الشوذري ظفر الله خان) أن يقود الوفد وبذلك اكتسب مستقبلا زاهرا وبغض النظر عن هذه الأشياء أراد (فضل حسين) مرة أخرى أن يساعد الدكتور إقبال فاقترح صريه أن يرضى برئاسة المجلس بعد أن يكمل رئيسه الحالي (الشوذري شهاب الدين) مدة منصبه وأن الحزب الاتحادي على أتم استعداد أن يؤيد إقبال. أما إقبال فقد خسر تائيد الحزب الاتحادي وتعاطفه معه بما اعترف على سياسة الحزب ونقد البعض من أعضائه في الصحف نقدا عنيفا وكانت النتيجة أن أغلبية الحزب قد رفضت ترشيح إقبال وبذلك تم انتخاب(الشوذري شهاب الدين) رئيسا للمجلس التشريعي مرة ثانية"

إن الذي يدعيه (عظيم حسين) ويشكو منه قد يكون صحيحا إلا أن مستقبل إقبال السياسي الذي كان يقترحه عليه(السير فضل حسين) لم يكن من الممكن أن يجعل من إقبال إلا رجل اخر من امثلا(السيد فضل حسين) أو (السير ظفر الله خان) وهذا مما لم يكن يرضى به إقبال أبدا ولهذا السبب لم يكن من الممكن لإقبال أن يبلغ إلى المستوى الذي كان يريده (السير فضل حسين) ولم يزل يخيب أله ويخفق إرادته في كل مرحلة من هذه المراحل فلنستمع إلى ما يقوله (عاشق حسين بتالوي) عن الموقف(٣١):

"وبقي إقبال عضوا في مجلس بنجاب التشريعي من ١٩٢٧م إلى ١٩٣٠م وقد انفق هذه السنوات الثلاثة بين صفوف الحز الاتحادي ودرس مواقف الحزب وطريقته العملية دراسة عميقة. إن الصراح بين القرويين والحضريين داخل المجلس التشريعي يرجع إلى خطوات سياسية اتخذها هذا الحزب ثم استوعب هذا الصراع سكان الإقليم جميعا ولم يكن من الممكن أن تخفي هذه الأشياء على إقبال وقد يعترض البعض من الناس على إقبال فيقولون: إنه لم يكن يجدر بإقبال كمفكر بارز وفيلسوف كبير وشاعر عظيم أن يرضي بعضوية المجلس التشريعي الإقليمي وقد يكون الاعتراض صحيحا في بادئ الرأي ولكنني أرى أن إقبالا لو لم يدخل المجلس التشرعي ولم يدرس سياسة الحزب الاتحادي وموافقه دراسة مباشرة

وعميقة وكان من الممكن أ، لا يقوم بمهمة شعبية وأن لا يحقق ما حققه من المجد والعمل العظيم ذلك الذي كان الله قد قدر في لوح مقاديره أن يتم في حياته وعلى يديه خلال السنتين الأخيرتين من عمره".

قضى إقبال مدة غضويته في مجلس بنجاب التشرعي وحيدا كعضو مستقل فلم يكن حزب من الأحزاب السياسية تؤيده أو تساعده داخل المجلس ومن ثم لم يجده شيئا ما ألقاه من الكلمات من أجل مصالح العامة في الإقليم فلم تكن هذه الكلمات الإقبالية الرنانة التي كان تُلقى داخل المجلس إلا كصوت في الصحارى أو ضجيج لا جدوى من روائه إلا أن إقبالا كان قد دخل مجال السياسة العملية وبذلك انتخب سكرتيرا لفرع بنجاب الإقليمي للرابطة الإسلامية خلال تلك السنة نفسها وبذلك أتيح له أن يشارك مشاركة شاملة مباشرة في السياسة القومية لمسلمي شبه القارة وهذا هو أبرز الجوانب وأهمها من حياة إقبال السياسية.

وقد مر بنا فيما مضى أن المشاغبات الطائفية التي تمتاز بها هذه الفترة الزمنية من تاريخ البلاد كان أكبر أسبابها هي الحركات الهندوكية الإرهابية من امثال (شدهي) (أي تهنيد المسلمين) و "سنغاتن" (أي التنظيم العسكري للهنادكة الزهاد) مما أثار غضب الأمة الإسلامية في شبه القارة وكان (سوامي شردها نند) (من كبار الزعماء الهنادكة المتعصبين) قد بدأ نشاطه في تقدم حركة (شدهي) أو (تهنيد المسلمين) في إقليم (راجبوتانه) وفجأة في ديسمبر ١٩٢٦م قام بإغتياله رجل من المسلمين يسمى (عبد الرشيد) وقد استتبعت هذه الحادثة مشاغبات طائفية في مدينة (دلهي) في اليوم الثاني من الحادثة حيث قام الهنادكة بإفتيال ستة من المسلمين (٣٣) ثم بدأت حملة الشائعات الهنودكية ضد المسلمين في إقليم بنجاب تجرح مشاعرهم وعواطفهم وكان على رأس هذه الحملة الطائفية بعض الجرائد الهندوكية اللاهورية مثل "برتاب" (اسم زعيم هندوكي ماكر) و "ملاب" (أو " اللقاء") بالإضافة إلى بعض الزعماء السياسيين الهنادكة فعقد المسلمون اجتماعين شعبيين في لاهور احتجاجا على هذه الشائعات الكاذبة المعادية لهم وكان إقبال قد ترأس هذين الإجتماعين وقد عقد أول الاجتماعين خارج باب "موتشي" في الحديقة في ٢٢/ يناير ١٩٢٧م كما أن الاجتماع الثاني عقد في المكان نفسه في ٣٠/ يناير ١٩٢٧م وقام إقبال خطيبا في نهاية الاجتماع فقال(٣٣):

"إن الشائعات الكاذبة التي تهدف إلى إهانتنا وذلنا وتشوية شخصيتنا القومية داخل الهند وخارجها في البلاد الأجنبية مستمرة منذ أمد وإن هذه المنازعات

والتناحرات المتلاحقة مما يؤسفنا أشد الأسف حتى أن هؤلاء المواطنين لا يعرفون نتائج هذه الشائعات الكاذبة وهذا الصراع المرير بين الطائفتين وتأثر هذه النتائج في دول آسيا الأخرى أن الحق والصدق في فكرتي جوهرة مصوغة ذات جوانب عديدة ويعكس كل جانب من هذه الجوانب أشعة متنوعة الألوان فيختار كل فرد من المواطنين من بين هذه الأشعة المتنوعة كما يحب ويحلو له وينظر إلى هذا الحق والصدق من وجهة نظره الخاص وأن مبدأ التعايش السلمي والمرؤة تقتضي منا أن نأخذ في الاعتبار هذا المثال الذي ضربته فيما سبق من الكلام حتى لا يقول أحد منا لإخوانه المواطنين من الفئة الأخرى أنكم أنتم على الباطل ونحن على الحق وأن هذه الخلافات يجب أن لا تقودنا إلى التقاتل والتناخر وأن ديننا الإسلام يعلمنا ذلك وهذا ما علمه رجال الديانة الهندوكية في الزمن القديم (وبهذه المناسبة قرأ إقبال عبارة سنسكريتية من الكتب الدينية للهنادكة وكانت تقارب في مفهومها الايتين الكريمتين وهما: [كل شيئ هالك إلا وجهه] و [ونحن أقرب إليه من حبل الوريد] لله أرجوكم أيها الإخوة باسم الصدق والحق أن تنظروا إلى الحقائق ولا تتشاجروا ولا تتناحروا فإنه يوجد في الهند أناس يسعون للفساد والافتراق بين المواطنين من أجل تحقيق أغراضهم الشخصية.إنكم إذا تقاتلتم وتناحرتم فإن ذلك يقود إلى الفساد ويشير الفتن وإن ذلك سيؤذيكم ويضركم جميعا."

وكان المسلمون كرد فعل منهم قد عارضوا الحركات الهندوكية مثل حركة (شدهي) وحركة (سنغاتن) بحركات معاكسة مثل "حركة التبليغ" والتنظيم وكان (غلاب بهيك نيرنك) أمينا عاما لجمعية تبليغ الإسلام وكان يريد عقد مؤتمر تبليغي يحضره المسلمون الأوربيون الجدد بالإضافة إلى مسلمي شبه القارة فكتب إليه إقبال رسالة في ٢٤ / يناير ١٩٢٧م وأخبره بأنه يعتزم على أن يجمع التبرعات للمؤتمر وأن يشارك في ترتيباته العملية (٣٤). ولم يؤيد الحركة التبليغية التي كان يقودها (غلام بهيك نيرنك) فحسب وإنما قدم نفسه من أجل الخدمات العملية فقال (٣٥):

"إنني أرى أن واجب تبليغ الإسلام ورسالة الله إلى البشرية فوق كل مصلحة وهدف وإذا كان السلمون في الهند لا يقصدون من السياسة غير التحرر والضمان الإقتصادي وليس غرضهم من ذلك هو الدفاع عن الإسلام والاحتفاظ به كما يتضيح لنا من مواقف البعض من المسلمين القوميين وسياستهم فإنه من المستحيل للمسلمين أن يحققوا ما يريدون تحقيقه من الأغراض والأهداف وإنني أقول وأنا على بصيرة وخبرة سياسية قليلة اكتسبتها

في مدة قصيرة بأن سير السياسة الهندية المعاصرة وتطورها الحالي خطر عظيم على المسلمين ودينهم الإسلام وأعتقد أن هذا الخطر البعيد الذي أراه الآن لا يقل خطورة عن الخطر الي يهددنا من قبل حركة (شدهي) (بضم الشين وكسر الدال الاردوية والياس الساكنة : أي حركة تهنيد المسلمين) أو كأن هذا الخطر البعيد شكل غير مرئي من حركة (شدهي) على كل حال فإن الجهود الجبارة التي بذلتها أنت في تبليغ الإسلام ستنال أجرها من الله بين يدي سيدنا المصطفى صلى الله عليه سلم وأنا على أتم استعداد أن أقوم بما تأمرني من الخدمة بالنيابة عنك خيثما ومتى ما تدعو المواقف الظروف إلى ذلك بإذن الله"

وفي يناير ١٩٢٧م عين إقبال عضوا في لجنتين لمجلس بنجاب التشريعي وهما اللجنة الاقتصادية واللجنة التعليمية (٣٦) وفي ١٣/ فبرائر ١٩٢٧م أخطر إقبال رئيس المجلس التشريعي الإقلمي بتقديمي قرارين في اجتماعه القادم أحدهما أن تمنع الحكومة القطع الأرضية الزراعية للمتعلمين المثقفين من المواطنين وذلك نظرا إلى البطالة التي عمت طبقة المتعلمين المثقفين من المواطنين لكي يتمكنوا من اكتساب الرزق بالزراعة المعاصرة المتقدمة والثاني هو تعيين لجنة للبحث والتحقيق لتخفيض الضرائب لكي يعم نفع التخفيف في الضرائب والمحاصيل جميع الطبقات على السواء وذلك لأن حكومة المركزية قد تنازلت عن مبلغ التعاون السنوي الذي كان يقدم لها من قبل إقليم بنجاب (٣٧).

وفي ٤/ مارس ١٩٢٧م عقدت جلسة في القاعة الحبيبية للكلية الإسلامية وترأسها إقبال حيث ألقى (الميرزا بشير الدين محمود) (ابن غلام احمد المتنبي القادياني) كلمة عن "الدين والعلم الحديث" وفي نهاية الجلسة قام إقبال خطيبا فقال وهو يسلط الضوء على الموضوع (٣٨):

"إن الديانة والفلسفة والطبيعات والعلوم والفنون الأخرى كلها، إنها هي طرق تنتهي إلى هدف وحيد وتقود إلى منزل وحيد وأن فكرة الصدام أو التعارض بين الدين والعلم ليست فكرة إسلامية وذلك لأن الدين مهدوا الطريق للفنون المعاصرة والعلوم الجديدة كانوا هم المسلمين والإسلام هوالدين الذي علم الإنسان منطقا استقرائيا كما أنه علم رفض الطرق والمبادئ التي تدعو إلى بناء العلم على القياسات والتصورات والخيالات وهذا الذي قاد البشرية إلى إيجاد العلوم الجديدة وابتكارها وأن التعارض بين الدين والعلم مما لا ينادي به الإسلام ولا يدعو إليه فإن كل آية من الآيات القرآنية تدعو الإنسان إلى حصول العلم بالمشاهدة والتجربة كما أن القرآن يدعو إلى الهدف السامي من تسخير الكون والعناصر الطبيعة فالقرآن الكريم صريح في تعليمين للبشر بأنهم إذا تمكنوا من

تسخير القوي الطبيعية وحققوا السلطان العلمي فبامكانهم أن يصلوا إلى ما رواء النجوم".

وفي ٥/مارس ١٩٢٧م قام إقبال خطيبا في المجلس التشريعي الإقليمي فألقى كلمته بصفته عضوا للجنة الاقتصادية فعلق على الميزانين السنوية قدم اقتراحين في الإجتماع وقد نص أول الاقتراحين على أن الإقليم ما دام قويا من ناحية الاقتصاد وقد توفر لديه المبالغ الكافية من أجل مشاريع التطور والتنمية فيجب أن يعتمد جزء معين من هذه المبالغ للنظافة والصحة والإسعاف الطبي للنساء في المناطق الريفية والثاني هو التخفيض في الضرائب أو المحاصيل الزراعية إلى جانب الإصلاح في طرق الجباية غير العادلية وذلك لأننا نأخذ في الاعتبار صلاحية الفرد وكفاءته حيث نفرض عليه الضريبة فيما يكتسبه من الدخل أما المحاصيل الزراعية فإنها لا تنظر إلي صلاحية الفرد التي تمكنه من الأداء ودفع الضرائب وفي ١٠/ مارس ١٩٢٧م ألقى كلمته بصفته عضوا للجنة التعليمية فعلق على السياسة التعليمية لحكومة بنجاب وألحَّ عليها بفرض التعليم الإجباري على المواطنين في المرحلة الإبتدائية(٣٩).

وفي سنة ١٩٢٧م انتخب (سري نواس آينجار) رئيسا للكونجرس الهندي كما أن (محمد علي جناح) كان رئيسا للرابطة الإسلامية وكلاهما كان عضوا في المجلس المركزي الهندي وبصفتهما عضوين كانا يناقشان الظروف السياسية لشبه القارة ويتبادلان الآراء فيما بينهما.وكان (سري نورس أينجار) هذا يتمني ويحاول ايجاد وسيلة أو طريقة بإمكانها أن تطمئن المسلمين وتضمن لهم الحقوق السياسية والإقتصادية بالإضافة إلى إزالة ما يشكوه الهنادكة من أن مبدأ الانتخاب المنفصل هو أصل الفساد وسببه الحقيقي ولدراسة هذا الموضوع عقد (محمد علي جناح) اجتماعا رسميا لقادة الرابطة الإسلامية بمدينة دلهي في ٢٠/ مارس ١٩٢٧م فاشترك (السير محمد شفيع) ليمثل بنجاب في هذا الاجتماع بصفته رئيسا للفرع الإقليمي للرابطة الإسلامية كما أن (الشيخ محمد علي جوهر) و(الدكتور أنصاري) و (السير محمد يعقوب) وغيرهم من الزعماء قد اشتركوا في هذا الاجتماع فناقشوا القضية ودرسوا الموقف ثم اتفقوا على ما يلي من الاقتراحات وقد عرفت "باقتراحات دلهي" في تاريخ شبه القارية السياسي (٤٠):

يجب أن نفصل بلاد السند من إقليم (بومباي) ويجعل منها إقليما مستقلا على حدة.

يجب أن تطبق الإصلاحات الدستورية الجديدة في إقليمي (سرحد)

و (بلوجستان).

يجب استعادة المقاعد للأغلبية الإسلامية في مجلس إقليم بنجاب وإقليم بنغال.

ويجب أن تكون نسبة النواب المسلمين في المجلس المركزي الهندي ما يعادل ثلث المجموعة من النواب أو الأعضاء.

وإذا رضيت الأغلبية الهندوكية بهذه الاقتراحات فمن الممكن للمسلمين أن يرضوا بمبدأ الانتخاب المختلط وأن يتنازلوا عن مبدأ الانتخبا المنفصل لهم وذلك بشرط أن يضمن الدستور مقاعد للمسلمين في المجالس النيابية كلها.

وإن التسهيلات والحقوق التي سوف تعطي للأقلية المسلمية في أقاليم الأغلبية الهندوكية فإن نفس التسهيلا سوف تمنح للأقلية الهندوكية في أقاليم الأغلبية المسلمة من (السند) و (سرحد) و (بلوجستان).

إن هذه الاقتراحات مجموعة متكاملة لا تقبل التقسيم أو الأفلاك فأما أن تقبل كلها أو ترفض فلا يجوز قبول البعض منها أوم رفض البعض منها وفي مثل هذه الظروف لن يتنازل المسلمون عن مبدأ الانتخاب المنفصل.

وقال (محمد علي جناح) في تصريح صحفي أدلى به في ٢٩/ مارس ١٩٢٧م وهو يوضح هذه الاقتراحات ويشرحها (٤١):

"وأما طريقة الانتخاب فهي ليست مقصودة بذاتها فسواء كان الانتخاب منفصلا أو مختلطا فالغرض الوحيد من هذه الاقتراحات إنما هو ما يريده المسلمون من ضمان دستوري لهم كأنهم يريدون ضمانا كاملا للكبانهم السياسي وحقوقهم القومية والاحتفاظ بمستقبل أجيالهم القادمة. أنهم يريدون التأكد بأن الأغلبية الساحقة لن تغصب حقوقهم ولن تطغى عليهم على أساس العدد السكاني الأكبر كما أنهم يريدون أن يتأكدوا بأنهم سيعيشون أمنين من جور الأغلبية الساحقة استبدادها خلال الفترة المتوسطة التي ستستمر إلى أن تقوم حكومة قومة مسؤلية كاملة وعليه فإن المبدأ الأساسي للقضية كلها إنما هوأن الأقليات تريد طمانينة وضمانا لكيانها والاحتفاظ بحقوقها في المستقبل وقد تم إعداد هذه الاقتراحات السبعة نظرا إلى هذا المبدأ الأساسي".

أما الحكمة السياسية "لاقتراحات دلهي" هذه فهو ضمان الاحتفاظ بحقوق الأقلية المسلمة في أقاليم الأغلبية الهندوكية إلى جانب ضمان الاحتفاظ بحقوق الأقلية الهندوكية في أقاليم الأغلبية المسلمة وبذلك يتم إيجاد التعادل والتوازن من الطاقة بين الشعبين حتى لا يعتدي أحدهما على الآخر ولا يضر أحدهما الآخر ولم يكن إقليم(سرحد) بعد انفصاله عن إقليم بنجاب في سنة ١٩٠١م يتمتع

بالاصلاحات الدستورية في ذلك الوقت كما أن إقليم (بلوجستان) لم تكن تطبق فيه الاصلاحات الدستورية الجديدة وكذلك فإن السند كان جزءا من إقليم بومباي ولم يكن إقليما مستقلا وقد تم إنضمام السند إلى إقليم (بومباي) على أيدي الاستعمار الانجليزي في سن ١٨٤٢م رغم أن سكان السند كان بمنزل بعيدا من إقليم (بومباي) وكان بمعزل عنه إذ كانت مناطق (كجرات) و (كاتيا وار) تحول وتفصل بين السند وبومباي وحتى أن السند لم تكن مرتبطة بإقليم بومباي عن طريق السكة الحديدية المباشرة.

وكان بنجاب وبنغال فقط إقليمين من بين أقاليم الأغلبية المسلمة يتمتعان بالحقوق الدستورية والمجالس النيابية التي كانت تنتخب بالإنتخاب المباشر إلا أن هذه المجالس النيابية في هذين الإقليمين أيضا لم يكن فيها دور الأغلبية المسلمة إلا أن بالإسم حيث لم يكن يتمتع المسلمون بالحقوق النيابية على أساس النسبة السكانية و"اقتراحات دلهي" التي اقترحها زعماء الرابطة الإسلامية وقادتها إنما كانت تهدف إلى انشاء خمسة أقاليم للأغلبية المسلمة لكي يتم بذلك إيجاد التوازي والتعادل بين هذه الأقاليم الخمسة للأغلبية المسلمة وبين الأقاليم السبعة الباقية للأغلبية الهندوكية.

على كل حال فإن (السير محمد شفيع) عاد إلى لاهور وأخذ زعماء الرابطة الإسلامية الإقليمية من بنجاب وعلى رأسهم إقبال يعارضون فكرة التنازل عن الانتخاب المنفصل وكانوا يرون أن الهنادكة في بنجاب وبنغال والسند يتمتعون بالسيطرة الاقتصادية فإذا تنازل المسلمون عن مبدأ الانتخاب المنفصل فإن الهنادكة لن يسمحوا للمرشحين المسلمين الذين بإمكانهم أن يدافعوا عن حقوق المسلمين ومصالحهم بأن ينتخبوا في المجالس النايبة.

وفي ١٦/ ابريل ١٩٢٧م ألقى إقبال خطبة بليغة باللغة الانجليزية عن "روح التمدن الإسلامي" في الجلسة السنوية "لجميعة حماية الإسلام" وكانت الخطبة طويلة حتى أن الخطيب لم يستطع أن يكمل تسمها الأول خلال ساعة ونصف وأما النكت العلمية والفكرية التي اشتملت عليها هذه الخطبة فهي تتلخص كما يلي:

إن الرسول صلى الله عليه وسلم هو خاتم الرسل والأنبياء وأن نضج العقل الإنساني وتقدمه بدأ يوم بعث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ففي هذه اليوم حل العلم والمعرفة محل التقليد الجامد العقيم وذلك لأن الله سبحانه وتعالى كان قد أعلن وأبلغ البشرية بأنه لن يبعث شخصا يستحق الاتباع أو يكون

مصؤنا مأمونا من النقد والنقاص قبل الاعتراف أو الإيمان بما يقوله وأن النهضة الحديثة الأروبية قد بدأت في الغرب حين ثار أهلها ضد الفلسفة اليونانية وكان (بيكون) هوالثائر الأول على هذه الفلسفة في أوروباا فهو الذي ألح على الاهتمام بالمنطق الإستقرائي إلا أن رائدا للمنطق الاستقرائي كما يذهب الظن ببعض الناس وكان يعرف اللغة العربية جيدا فقد استقاد من المؤلفات المنطقية التي ألفها المنطقيون الأندلسيون العرب فترجم أفكارهم إلى لغته وأن حكماء الهند واليونان كانوا يؤمنون بأن نظام الكون كامل لا يقبل التجدد أو المزيد من التقدم ولكن الإمام الغزالي وابن تيمية قد فرضا هذه النظرة الواهمة الباطلة وحققا بأن الكون ليس بكامل مستدلين في ذلك بما جاء في القرآن الكريم فتحقق بما قاله أئمة الإسلام بأن النظم الكونية لا تزال في مراحلها المتطورة وأن الثوؤة على الفلسفة اليونانية قد تعلمها المفكرون العربيون من الحكماء والفلاسفة المسلمين وأن (ذا النون المعري) لم يكن متصوفا فحسب وإنما كان عالم الكيمياء أيضا فهو الذي اكتشف بأن الماء ليس جوهرا بسيطا وإنما هو عرض مركب وأن الشاعر الإيلاطي (دانتي) الذي صور الجنة في منظومته المعروفة (بالملهاة الالهية) تصويرا بديعا قد أخذها بتمامها وكمالها من الفتوحات المكية التي ألفها ابن العربي ويتضح جليا من ذلك بأن المسلمين لم يؤثروا في الفكر الأروبي فحسب وإنما أثروا كذلك في الآداب الاروبية ثم قال إقبال وهو يلخص باللغة الأردوية ما ألقاه من الخطبة قائلا (٤٢):

"إن كل قلب بشري يتوق إلى مشاهدة الحقائق وأن مشاهدة الحقائق إنما يتحقق بطريقتين إما بطريق السمع والبصر أو بطرية القلب والضمير أي بالأفئدة في مصطلح القرآن الكريم فلا بد من الاستفادة من هذين الطريقين بقدر ما أمكن لكل إنسان أما الأربيون فقد ركزوا جهودهم على طريق السمع ولابصر فقط واعرضوا عن طريق الأفئدة والقلوب كما أن المسلمين قصروا جهودهم على الأفئدة ولم يستخدموا طريق السمع والبصر استخداما كاملا وليس الغرض من المشاهدة أن يفني الإنسان نفسه فيها إفناء كاملا لأن المشاهدة التي يعترف بها الإسلام مشاهدة تقوم على المرؤة والفتوة وأن أحد الشعراء الفارسين شرح هذه النكتة اللطيفة شرحا جيدا وهو يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعتقد أنه لم ينظم شاعر في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت شعر أحس وأجود من هذا البيت الفارسي:

موسى زهوي رفت بيان جلوه

صفات

تو عين ذات مي نكري در تبسمي!

ومعنى البيت: إن سيدنا موسى عليه السلام قد شاهد تجلى الصفات الالهية فخر صعقا ومغشيا عليه أما أنت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد شاهدت عين الذات الالهية ولم تزل تبتسم ابتساما ناظرا إليه سبحانه وتعالى".

فهذه هي الفكرة الإسلامية وهذه هي النكتة الإسلامية التي تعلمناها من المعراج النبوي وهذا الذي يقودنا إلى أن عبودية العبد بتقى وحتى بعد مشاهدة الذات الالهية ولكن الإنسان ليس للطغيان أو العصيان وإنما هو للخدمة والعبودية ويجب على المسلم المؤمن أن لا يغني ولا يذيب نفسه في شيء حتى ولو كان ذلك الغناء في ذات الله عز وجل ..

وفي مايو ١٩٢٧م اجتمع المجلس التنفيذي للكونجرس ولجنة الكونجرس المركزية في (بومباي) وتمت الموافقة على "اقتراحات دلهي" التي كان قد تقدم بها زعماء الراطبة الإسلامية وقادتها ثم عقد المجلس للكونجرس اجتماعا عاما له بمدينة (مدراس) ووافق هو الاخر على هذه الاقتراحات ولكن المجلس الهندوكي الكبير (أي هندو مها سبها) أخذ ينقد " اقتراحات دلهي" نقدا عنيفا ويعارضها معارضة شديدة. وهذه المعارضة والنقد لها أسباب وخلفية فقد كان قادة هذا الحزب الهندوكي المتعصب المتطرف يعتقدون بأن الأغلبية المسلمة لو عادت من جديد على أساس التناسب السكاني في كل من بنجاب وبنغال وأن إقليم السند (٧٥ في المائة من سكانها هم المسلمون) لو أصبح إقليما مستقلا وكذلك إقليم (سرحد) وإقليم (بلوجستان) (وعدد سكانهما المسلمون ٩٠ في المائة) فإذا طبقت الاصلاحات الدستورية فيهما فإن ذلك يعني إنشاء كتلة من الإقاليم الأربعة في الشمال الغربي لشبه القارة يسكهنا الأغلبية المسلمة وذلك مما لم يكن يعجب هؤلاء الزعماء الهنادكة المتطرفين ولم يكن من الممكن لهم أن يرضوا بهذا الوضع بحال من الأحوال (٤٣).

وفي أول مايو ١٩٢٧م عقدت جلسة الرابطة الإسلامية لفرغ بنجاب الإقليمي في "قاعة (بركت علي) المحمدية بلاهور" فقال (السير محمد شفيع) خطيبا في الجلسة فألقى كلمة بليغة جامعة، عارض فيها "اقتراحات دلهي" ورد على ما قاله قادة "هندو مها سبها" (أي المجلس الهندوكي الكبير) ثم قام إقبال فألقى كلمة موجزة أيد فيها مبدأ حق الانتخاب المنفصل للمسلمين ثم قدم قرارا ضد الانتخاب المشترك أو المختلط ثم قال معلقا على هذا القرار(٤٤):

"إن من حقي أن أقول بأنني أول هندي أحس بأهمية الوحدة بين الهنادكة

والمسلمين وحاجتنا الماسة إلى ذلك في شبه القارة وقد بقيت أمنيتي دائما وعائت في نفسي أن تكون هذه الوحدة مستمرة مستقلة إلا أن الظروف الحالية والأوضاع الحاضرة لا تسمع لنا بالوائر الانتخابية المشتركة أن الذي ذكره رئيسنا (السير محمد شفيع) ممن مقتبسات كلمات الزعماء الهنادكة توضح لنا جليا ما تهدف إليه العقلية الهندوكية وتعصبها الجنسي والمذهبي الموجود في نفوس قادتها."

ولست أدرى ما الذي هؤلاء الهنادكة يشعرون بالحاجة إلى اتخاذ مواقف مثل هذه نحو الأقلية المسلمة. إن المسلمين في شبه القارة أقلية بدون شاه متخلفون اقتصاديا وتعليميا وفوق ذلك كله فإنهم بطاء للغاية فإن الحكومة الانجليزية تخدعهم بوعودها البراقة بكل سهولة كما أن الهنادكة يخدعونهم بكل سهولة أيضا أن هذا ليدهثني ويقلقني جدا. ماذا جعل هؤلاء الهنادكة يميلون إلى مثل هذه العقلية وخاصة المتعلمين وال مثقفين منهم ولو لم تكن أساب أخرى غير هذا السب الوحيد لقلت أن الدوائر الانتخابية للهنادكة والمسلمين يجب أن تكون مستقلة منفصلة على أساس هذا السبب الوحيد وفي النهاية أريد أن أقول كلمة مهمة للمسلمين وهي أنه يجب على المسلمي أن يصحوا ويقوموا فيستقيموا ضمن ناحية قد بدأ الهنادكة سياسة معادية ضدهم ومن ناحية أخرى النظام العالي للحكومة الإنجليزة يستمر في نشاطه واجراءاته ضد المسلمين فليم يبق لنا سبيل للدفاع عن حقوقنا في هذه الظروف الصعبة الخطرة وذلك لا يمكن إلا إذا نهص المسلمون فاستقاموا ليقاوموا ما يصيبهم في سبيل الدفاع عن حقوقهم مقاومة الأباة الأحرار.

ومن اللازم بهذه المناسبة أن نعرف بأن إقبالا لم يكن يعارض "اقتراحات لدهي" كلها وإنما كان يعارض منها ذلك الجزء الذي دل على التنازل عن حق الانتخاب المستقل المنفصل للمسلمين رغم أن هذه الاقتراحات كانت مرتبطة بشروط خاصة فإن إقبال لم يكن يوافق على فكرة التنازل عن الانتخابت المنفصل علي أية حال وذلك لأن الموافقة على الانتخابات المختلطة كان يعني الاعتراف بتكون القومية المتحدة وذلك مما كان يعارض مبدأ القومية المسلمة في رأي إقبال(٤٥) وبالإضافة إلى ذلك فإن إقبال كان قد أدرك العقلية الهندوكية على وجه البصيرة وكان قد يئس من أي تفاهم بين الهنادكة والمسلمين ولعل هذه هي المشاعر التي أبدى عنها عند (الحكيم محمد حسن القريشي) حين ذكر له بأن الكونجرس الهندي سوف يوافق على "اقتراحات دلهي" في اجتماع المجلس العام

القادم فرد عليه إقبال قائلاك(٤٦):

"لا أستطيع أن أتاكد بأن الهنادكة سوف يوافقون بالتفاهم ويرضون بالاتفاقية يوما وإنما أنا أعتقد بأن الزعماء المسلمين لو وافقوا على جميع الشروط التي يقدمها الزعماء الهنادكة وحتى لو وافق المسلمة على التفاهم بدون أي شرط فإنني على ثقة بأن الهنادكة سوف يحاولون البحث عن سبب يبرر لهم الانحراف والإعراض عن التفاهم."

وكان جو التوتر بين الفئتين المتعاديتين شديدة في بنجاب ففي ٣/ مياو ١٩٢٧م اجتمع جمع كبير من الهناديكة والسيخ في (بالولي صاحب) في سيو (دبي) بمدينة لاهور حيث ألقى الزعماء الهنادكة كلمات مثيرة محرضة وكان السبب ما قيل بأن مسلما كان قد وثب على فتاة (سيخية) واغتصبوا ثم تحرك الجمع الثائر منهم فدخل في (حولي كابلي مل) بلاهور فحملوا على المسلمين العزل بالعصى والخناجر وبسبب هذا الحدث المؤلم أغلقت المحلات التجارة وتعطلت التجارة وبدأت المشاغبات الطائفية في المدينة كلها فذهب إقبال خلال المشاغبات الشديدة إلى (حولي كابلي مل) ثم زار أماكن لاهور المختلفة فأوصى المسلمين بالصبر والتحمل كما أنه حاول مساعدة المنكوبين المظلومين والصلح بين الفئات المتناحرة وأراد المسلمون أن يخرجوا بشدهائهم في موكب متظاهرين وكان الناس يخشون بأن هذا الموكب الاحتجاجي قد يكون سببا للمزيد من التوتر والإثارة ولكن إقبال اشترك في موكب مع غيره من الوجهاء والكبار المسلمين وحاول أن لا يثور المسلمون إلى حد فقدان التحمل والصبر ولا يتمالكوا نفوسهم (٤٧) وقد تحد إقبال إلى مراسل خاص لجدرية (تربيون) الانجليزية عن هذا الموقف فقال في هذا اللقاء الصحفي (٤٨):

"في ٤/ مايو كنت أتحدث في اجتماع عقد بسوق (دبي) من لاهور فتدخل أحد من حضر الاجتماع من المسلمين فقال: إن (السيخ) يحملون الخناجر معهم بينما لا يحمل المسلمون شيئا من السلاح معهم فأنى لهم أن يتمكنوا من الدفاع عن أنفسهم فيجب على القادة المسلمين أن ينتبهوا إلى هذه الحقيقة وأن يقوموا بما يلزم بهذا الصدد فإن المسلمين إذا لم يسمع لهم أن يحملوا السلاح للحفاظ على أنسفهم والدفاع عنهم ضد هجوم الأعداء المعارضين فإن جميع الأعضاء المسلمين في المجلس عامة وإنا بصفة خاصة سنحاول محاولة بالغة من أجل ذلك."

وفي ١٣/مايو ١٩٢٧م صدر إعلان مشترك من قبل كبار الزعماء من

الهنادكة والمسلمين والسيخ بلاهور جاء فيه بأن البعض من الجرائد المحلية تسبب الجو المتوتّر بين الفرق المختلفة فيجب على الحكومة أن تتخذ إجراء ات قانونية ضد هذه الجرائد فرحب إقبال بهذا البيان المشترك وقال وهو يتحدث في مقابلة صحفية مع مراسل (مسلم أوت لك) أو " الرأي المسلم" في ٢٣/ مايوم ١٩٢٧م فقال إن من الوجاب على هذه الجرائد أن تجتنب اختيار العناوين المثيرة للتوتر والإرهاب كما أنه يجب عليها أن تختار المراسلين الموثوقين لإعداد التقارير عن الجلسات والخطب السياسية كما أنه يجب عليها أن تجتنب تقديم الحوادث التافهة بشكل يعرض الناس ويشيرهم على ملشاغبة الطائفية والتوتر ين الفئات وبذلك تزداد المكانة العلمية لهذه الجرائد وأن هذا الاعلان المشترك يهدف إلى إصلاح أسلوب الجرائد المحلية وليس الغرض من ذلك اغتصاب حريتها وأضاف إقبال قائلا (٤٩):

"يجب أن نتعظ بمشاغبات لاهور الطائفية هذه وأننا إذا أدركنا الحقيقة القائلة بأننا عند التناحر والمشاغبة في حاجة إلى رعاية الحكومة البريطانية للدفاع عن نفوسنا والاحتفاظ بأموالنا وممتلكاتنا فبذلك يتضح موقفنا ومكانتنا السياسية والواقع أن هذه الحقيقة الصارحة قد أكرهتني على التفكير في أرائي السايسية من جديد. إن المسلمين في بنجاب وخاصة المسلمين في المناطق الريفية الذين يعتبرون قوة صلبة لامتنا الإسلامية يعانون من الجهل والتخلف وليس فيهم أي نوع من النهضة السياسية أو الاقتصادية فإن التمذهب والانقسام القلي قد فرق بين القوى الشعبية والنتيجة أننا غير منظمين وليس لدينا ما يجمع بيننا وقد تأكدت الآن بأن الواجب الأول لمسلمي هذا الإقليم إنما هو الاهتمام بالوجدة والتنظيم بينهم والإصلاح الداخلي لهم قبل كل شيء".

وفي يونيو ١٩٢٧ نشر ديوان إقبال "زبور عجم" وإن كان إقبال قد انتهى من نظمه وإعداده خلال الأشهر الأولى من هذه السنة ولكنه لم يتمكن من طبع الديوان بسبب المشاغل الكثيرة المتنوعة فيقول في رسالة بعث بها إلى (الجرامي) في ١٣ يناير ١٩٢٧م وهو يذكر ديوانه هذا (٥٠):

"قد انتهيت من ديواني"زبو عجم" وسأقدمه للخطاط بعد يوم أو يومين وسيطبع الديوان خلال خمسة عشر يوما وهو على أربعة أقسام فالقسم الأول منه يتعلق بمناجاة الإنسان لربه كما أن القسم الثاني منه يستمل على رأي الإنسان في أخيه الإنسان وأسلوب القسمين أسلوب غزلي أي قطعا شعرية مستقلة تشبه القصائد الغزلية في أسلوبها وأما القسم الثالث من الديوان فهي

أجوبة على أسئلة قد أثيرت في "مثنوي كلشن راز" أو " حديقة الأسرار" (لمحمود شبستري) وقد سميت هذا القسم بمثنوية " حديقة الأسرار الجديدة" كما أن القسم الرابع مثنوية قد سميتها برسالة " العبودية" والمثنوية تتضمن المعاني التي تعبر عن تأثير العبودية في الفنون الجملية مثل الرسم والموسيقي وغيرها من الفنون الجملية"

وكان رجل من هنادكة لاهرو يسمى (راجبال) قد ألف كتابا أساء فيه إلى حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسماه "رنكيلا رسول" أو " الرسول الماجن" (والعياذ بالله) ورفعت قضية الكتاب إلى محكمة استمرت سنتين أوثلاث سنوات تتخذ إجراءات وفي يونيو ١٩٢٧م قضى القاضي (دليب سنغ) من قضاة المحكمة العالية بلاهور في القضية وأصدر الحكم ببراءة (راجبال) وكرد فعل لهذا القضاء ظهر اظراب شديد في نفوس المسلمين فكون الكبار من المسلمين من أهل لاهرو وفدا بما فيهم إقبال وزار الوفد حاكم الإقليم الانجليزي فطالبه أن يفرض الحظر على مثل هذه الكتب التي تجرح العواطب والمشاعر ويصدر قانونا فوريا عن ذلك لأنهم كانوا يخشون اندلاع المشاغبات الطائفية في لاهور ومن ثم فرضت الحكومة مادة حظر التجول فقرر مجلس الخلافة أن يهارض هذه المادة وببدأ حركة العصيان المدني ضد هذه المادة وفي ٨/ يوليو ١٩٢٧م عقد اجتماع آخر في "قاعة (بركت علي)المحمدية بلاهور"حيث حضر كبار لاهور ووجها ليناقشوا هذا الموقف الطارئ وترأس (السير عبد القادر) الجلسة فقال إقبال خطيبا في المجلس فنقد الكتاب وأدان مؤلفه ورجا مجلس الخلافة أن يؤجل حركة العصيان المدني نظرا إلى الظروف الطارئة والأوضاع الراهنة ثم عقد اجتماع مسلمي لاهور العام في ١٠/ يوليو ١٩٢٧م بمسجد لاهور الملكي فألقى إقبال كلمة في هذا الاجتماع قال فيها (١٥):

"أنه لا يمكن أن يكون بلاء يصيب الأمة المسلمة أهول وأكبر من هذا البلاء الذي يواجهه مسلمو لاهور اليوم أن كتاب (راجبال) الذي لا أود أن أسميه قد ضرب ضربة مؤلمة في أخطر موقع من قلوب المسلمين".

ولكن إقبال أوضع الموقف والأوضاع الراهنة وأشار على المسلمين أن مصالحهم لا تسمح بحركة معارضة للحكومة في الوقت الحاضر. والذي كان يريده إقبال هو التأكد الدائم المستقل من عدم إهانة الأنبياء والأسلاف والأساءة إليهم وفرض القوانين المستقلة الدائمة التي تمنع كل من يقترف ذلك في المستقبل فقدم قرارا خاصا بذلك في مجلس بنجاب التشريعي وأما (راجبال) الذي كان قد أهان

الرسول صلى الله عليه وسلم وأساء إليه فقد قتله شاب من شباب لاهرو واسمه (علم الدين) الذي لقبه المسلمون(بعلم الدين الغازي) وذلك بعد سنتين تقريبا وعند ما سمع إقبال لذلك ابتدرت منه جملة خالدة بالبنجابية والتي سارت على ألسنة الناس من أهل لاهور وغيرها من البنجابين وهي (٥٢):

"أما نحن فلم نستطيع غير الكلام الفارغ بهذا الشأن وأما هذا الشاب النجار فقد سقبنا إلى الثأر المقدس فأدركه".

وأما (علم الدين) فقد حوكم وسامرت ا لقضية حتى صدر الحكم عليه بإعدامه شنقا مما أثار غضب المسلمين وزادهم قلقا واضطرابا وكانت الحكومة البريطانية مترددة في الموافقة على ما طالبه المسلمون من تسليم جثة الشهيد لهم لأنها كانت تخشى المشاغبات الطائفية ولكن وفدا إسلاميا مكونا من الزعماء المسلمين بما فيهم إقبال قابل الحاكم الانجليزي للإقليم فأكدوا له بأنهم يضمنون السلم والهدوء وعدم التغرض لشيء من قبل المسلمين إذا حاجة الحكومة جثة الشهيد لهم فوافق الحاكم على ما طالب به المسلمون فشارك في جنازة (علم الدين) الشهيد ما يقرب من مائة ألف مسلم وبعد صلاة الجنازة تفرق الناس بكل أمن وهدوؤ وانصرفوا منكوبين محزونين.

وفي ١٨/ يوليو١٩٢٧م شارك إقبال في النقاس الذي جرى في مجلس بنجاب التشريعي حول مبلغ اعتمدته الحكومة لتكاليف الشرطة والتبنيد الجديد فلفت إقبال أنظار الناس في حديثته هذا إلى موقف الشرطة البريطانية من القساوة والكذب والتزوير في سلوكها وتصرفاتها مع عامة الشعب ويرجع ذلك إلى حادث خاص بالذات وهو أن الشيخ (محمد عرفان) كان من مشاهير علماء الدي بلاهور فضربته الشرطة ضربا شديدا فالتقى إقبال بالمحافظ الانجليزي حول تحقيق القضية فقال له المحافظ: " إن الذي وصل إليك أو اطلعا عليه عن ذلك ليس صحيحا" ولكن إقبالا خرج من عند المحافظ الانجليزي هذا فذهب إلى اليخ (محمد عرفان) مباشرة فلاحظ بعينيه الضربات الشديدة التي كبدته الشرطة البريطانية واتضخ له بأن الشيخ قد أصابته ضربات شديدة قاسية للغاية وأن الذي أخبره به المحافظ الإنجليزي ليس إلا كذبا وتزويرا (٣٧) وفي تلك المناسبة تحدث إقبال عن الحقد والبغضاء في قلوب المواطنين ضد إخوانها ذلك الذي يرجع إلى المشاغبات الطائفية فقال وهو يبدي عن رأيه في الموضوع (٥٤):

"والأمر الذي أفكر فيه الآن إنما هو: هل السادة الأمضاء الكرام على علم بأننا يعين في جو يشبه الحرب الأهلية في الواقع وأنا إذا لم نتخذ ما يلزمنا من

الخطوات القوية الحاسمة التي بإمكانها أن تقضي على الحرب الأهلية هذه فأنا أخشى أن هذا البغضاء والحقد في نفوس الفئات المتاقتلة المتناحرة إذا استمرت تنتشر فإن أهل المدن الأخرى في البلاد وحتى أهل المناطق الريفية يقطعون أعناق بعضهم البعض وأما مصير هذا الصراع المرير فإننا لا نعرفه ولا نقدر مدى خطره وإنما علمه عند الله عزوجل."

وفي ١٩يوليو ١٩٢٧م قدم (سردار أجل سنغ) العضو (السيخي) بالمجلس قرارا طالب باشغال الوضائف الشاغرة في المصالح الحكومية بامتحان المنافسة المفتوحة في المستقبل وإذا لم يكن من الممكن ذلك في بعض الظروف فإن التوظيف في الوظائف الشاغرة الحكومية يجب أن يتم على أساس المؤهلات العلمية للمرشحين بدون تفرقة مذهبية أو جنسية. وكان يرجع القرار إلى خلفية خاصة وهي: المسلمين كانوا متخلفين في مجال التعليم فكان إمكان توظيفهم ونجحهم في ذلك أقل بالنسبة إلى الهنادكة والسيخ ولم يكن إقبال يعارض من حيث المبدأ امتحان المنافسة المتفوحة ولكنه كان يريد نظاما للوظائف الإدارية يسمح بالاختيار أو الترشيح في نفس الوقت وذلك نظرا إلى الأوضاع الراهنة والظروف المحيطة بالمسلمين والطبقات المتختلفة الأخرى لكي لا يحرم هؤلاء من نصيبهم في المناصب الإدارية الحكومية وخلال النقاس حول القرار قال بعض الأعضاء غير المسلمين بأن هذه الطريقة من التوظيف سوف تساعد في تقدم القومية الموحدة وتطورها فقال إقبال متحدثا عن الموضوع (٥٥):

"ومن سوء الحظ أن صديقي المحترم (الباندیت ناك تشاند) (نانك جند) هو الذي أخبرني بأن الحكومة قد قضت على الفوارق الطبقية والجنسية فمن الممكن الآن أن يشغل المواطنون من الهنادكة والمسلمين والوظائف الحكومية التي كانت مختصة بالانجليز فقط. ولكنني أؤكد لصديقي هذا بأن الحكومة قد ارتكبت غلطا فاحشا للغاية فإن الموظفين إذا كان معظمهم من الانجليز لرحبت بهم (ترتفع أصوات قائلة: لا لا لا !) إنني أُول هذا وأنا على أتم على وإدراك مبسؤلية منصب ما أنني على أتم علم وإدراك بما تعنيه هذه الأصوات القائلة : " لا، لا ." أن هذه الوطنية الكاذبة الجوفاء لن يتنال مني بشيء (الدكتور شيخ محمد عالم قائلا: ولكن ليس الناس جميعا كذلك) نعم قد يكون كذلك ولكن هتاف القومية الموحدة هتاف فارغ لا قيمة له ولعله سيبقى هتافا غارضا إلى مدة طويلة قادمة. إن هذه الكلمة تنطلق من أفواه الناس في هذه البلاد منذ خمسين عاما ولكن هذا الهتاف يشبه دجاجة عقيمة قد انقطعت عن البض. على كل حال فإنني أقول لكم بأن الأوضاع الوطنية الحاضرة لا تسمع لنا أن

نطبق المبدأ ا لبسيط من امتحان المنافسة المفتوحة إن ذلك من المستحيل في الوقت الحاضر ولست أعرف هل تكوين أمة موحدة خيرا أم را. أنه شيء يقبل الرفض والقبول في نفس الوقت. على كل فلنفترض للحظة بأن تكون أمة موحدة شيء حسن فإذا كان كذلك فأقول لكم بأن الثقة المتبادلة بين الفرق والفئات المختلفة هي حاجتنا الوطنية الأولى ولكن الظروف الحالية تدل على أنه لا تتفق فئة بفئة أخرى من الأ/ة فإننا عند ما نلتقي ونجتمع فأرانا نتحدث عن الوطنية والقومية الموحدة ونتحدث عن الحب بين البشر وكرامتهم فإن صديقا من أصدقائي قد استمع إلى حديث جرى بين هندوكيين كريمين قبل بضعة أيام فسأل أحدهما الآخر: ما ذا يجب أن نتخذ من اموقف حول السياسة القومية فقال له صاحبه: يجب أن تكون الوطنية والقومية على ألستنا فقط ولكن في الواقع يجب الاهتمام بحقوق فرقتنا."

وفي ٢٥ يوليو ١٩٢٧م أخطر إقبال المجلس التشريعي بتقديم العديد من القرارات وكان من بينها:

أن حكومة بنجاب الإنجليز قد باعث ثلاث مائة ألف فدان أو أكثر من الأراضي الزراعية التي تقع في منطقة (تبلي بار) من محافظة (منتجمري) وهي محافظة (ساهيوال) الآن للطبقة الرأسمالية من المواطنين ولكن يجب أن يخص نصف الأراضي منها للفلاحين.

يجب تطبيق قانون يمنع إهانة الأنبياء والأساءة إلى كبار الأسلاف (وقد تم تنفيذ هذا القانون في ١٩٢٧م)

يجب تشريع قانون يفرض الحظر الفوري على ثوب الخمر.

ويجب التثناء السيوف من القانون الذي يفرض الحظر على استخدام السلاح وبجهود إقبال هذه استثنى القانون استخدام السيف في تسع محافظات وهي (ميانوالي) و (ديره غازي خان) و (مظفر كره) و(جنك) و (غرغاؤن) و (حصار) و(انبالا) و (شملة) و (كانجرة) (٥٦).

وفي ٤/ سبتمبر ١٩٢٧م انشئت جميعة خيرية لمصالح المسلمين وصيانتهم وقد اجتمع عشرة آلاف شخص تقريبا من المسلمين في الجلسة الافتتاحية لهذه الجميعة واليت عقدت في حارة (كوتهي داران) أي أصحاب الفيلا ن سوق الكشميرين وقد ترأس إقبال الجلسة فألقى كلمته كرئيس الجلسة فشرح فيها منافع الاقتصاد والطريق الوسط في شؤن الحياة كلها وهو يخاطب هذا الجمع من المسلمين وطلب منهم أ، يختاروا الطريق الوسط والاقتصاد في شؤونهم المالية كما

أنه نصحم باجتناب الاسراف والتبذير واكتساب الرزق وانفاقه في سبيل الله وشرح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم " الكاسب حبيب الله" وقال إنه يجب على كل مسلم أن يكتسب من الرزق ما أمكنه ويجب على المسلمين أن يتعايضوا من الفئات الاجتماعية الأخرى في جو من النفقة والتعاون والأمانة وأن ينهضوا بإنشاء الشركات المؤسسات التجارية المشترك للتوسعة في مجالات التجارة والصناعات والمهن المختلفة (٥٧).

وفي ٨/ نوفمبر ١٩٢٧م أعلنت الحكومة البريطانية إنشاء لجنة ملكية خاصة لدراسة شؤون الهندي وهذه اللجنة تعرف بلجنة (سائيمان) وكان جميع أعضائها من الانجليز وكانت مهمة هذه اللجنة الأساسية جمع الشواهد والمعلومات نظرا إل الظروف الراهنة في الهند إلى جانب الحمول على الاقتراحات المختلفة من الطبقات والجماعات والأحزاب الهندية لتتمكن اللجنة الملكية من تتديم الاقتراحات والتوصيات للاصلاحات الدستورية القادمة وبما أن اللجنة لم تكن تمثل الهنود فقد كان معظم الزعماء السياسيين في شبه القارة يعترضون على تكوين اللجنة هذه.

أما إقبال فلم يكن يرى رأيهم وإنما كان يختلف معهم في موضوع اللجنة الملكة هذه فقد أدلى بتصريح صحفي حول تكوين اللجنة في ٩/ نوفيمبر ١٩٢٧م فقال: إن تكوين هذه اللجنة اعتداء على كرامة الهند ومكانتها حيث لا تضم أحا من الهنود ولكن هذا الاعتداء البريطاين على كرامة الهند ومكانتها يرجعغ إلى الجو الهائل من عدم الثقة وسوء التفاهم الذي يوجد بين الشعوب الهندية المختلفة في شبه القارة (٥٨).

وأعلن الكونجر الهند مقاطعة لجنة (سائيمان) وعدم التعاون معها ولكن الزعماء المسلمين اختلفوا في أرائهم حول هذه اللجنة وتكوينها والتعاون معها فكانت فئة منهم تؤيد فكرة المطاعة معها بينما كانت طبقة أخرى منهم تريد التعاون معها. أما الذين أيدوا المقاطة وعدم التعاون فعلى رأسهم (مولانا محمد علي جوهر) و (محمد علي جناح) وأما الذين أعلنوا التعاون معها فمن أبرزهم (السير محمد شفيع) وإقبال و (مولانا حسرت موهاني) والشيخ حسرت كان من قرية موهانة في الهند (وكان من أبرز القادة المسلمين الهنود)وكان (مولانا محمد علي جوهر) صاحب الكلمة المسموعة في مؤتمر الخلافة الذي أعلن مقطاعة اللجنة وبما أن (محمد علي جناح) كان رئس الرابطة الإسلامية في ذلك الوقت فقط زن الناس بأن الرابطة الإسلامية هي الأخري تؤيد فكرة المقاطعة هذه وفي تلك الفترة كان (السير محمد شفيع) رئيسا لفرع بنجاب الاقليمي من الرابطة الإسلامية كما

أن إقبالا كان سكرتيرا للفرع وفي ١٣ نوفمبر ١٩٢٧م عقدت جلسة في منزل (السير محمد شفيع) حيث تم اتخاذ القرار الذي قال بأن مقاطعة اللجنة ليست من مصلحة المسلمين وإنما يضرهم فيجب التعاون معها وفي نهاية هذه الجلسة أدلى إقبال بتصريح صحفي بصفته سكرتيرا لفرع بنجاب الإقليمي من الرابطة الإسلامية فقال وهو يوضح الموقف (٥٩):

"أن فرع بنجاب الاقليمي للرابطة الإسلامية قد ناقص القضية بجميع جوانبها ودرسها دراسة عميقة ثم اتخذ قرارا يفيد بأن مقاطعة اللجنة ليست من مصلحتنا نظرا إلى الأوضاع الوطنية الراهنة عامة وإلى الأوضاع الإسلامية السائدة على وجه أخص. وأعتقد أن هذا القرار يعبر عن إرادة التعب المسلم البنجابي ومشاعره ولا يمكن أن تتاح فرصة كهذه تمكن الاحزاب والفئات قليلة العدد أن تعبر عن خشيتها وأعمالها وأهدافها أمام هذه اللجنة الملكة وأعتقد أن ذلك يعني بأن كل فئة وجماعة من حقها أن تتقدم وتتطور حسب ثقافاتها وقيمها الاجتماعة ويجب أن يتحقق هذا الغرض حتى ولو كان ذلك على أساس المبادئ الدستورية الغربية أو من أيوسيلة أخرى في الوقت الحاضر بإمكانها أن تساعد في تحقيق أهداف الناس وأغراضهم".

وأما الشيخ (محمد علي جوهر) فلم يعجبه ما أعلنه إقبال فقال وهو يعلق على هذا الاعلان في جريدته (همدرد) (٦٠) .

"وكيف يمكن (للسير محمد شفيع) أن لا يوافق رأيه رأي نائب الأمبراطور البريطانية ؟ أنه قد أخذ يفني الشودة ولائه ووفائه للانجليز ومن سوء الحظ لإقليم بنجاب أن زعيما من الزعماء الاحرار من امثال السير محمد إقبال أيضا لم يبتطل أن ينقذ قائدا وفيا للانجليز مثل (السير محمد شفيع) فينهض به إلى مستوى الحرية والوطنية وإنما يبدو لنا الأمر بالعكس وهو أن إقبال قد نزل بنفسه إلى مستوى (السير محمد شفيع) المنخفض من الوفاء والولاء للإنجليز. فإننا نرى أن التصريح الذي أدلى به سكرتير رابطة بنجاب الإسلامية هو أكثر تملقا للإنجليز من التصريح الذي أدلى به رئيس الفرع الإقليمي للرابطة الإسلامية. والواقع أن منطقة بنجاب هي بلاد الطيبين من الناس ولكن لا يوجد بها من يقودهم قيادة صائبة صحيحة نحو المطامع القومية السامية"

وأخيرا في شهر ديسمبر ١٩٢٧م أدلى (محمد علي جناح) وغيره من القادة بتصريح صحفي واعترضوا على تكوين اللجنة الملكية ورجوا الشعب المسلم الهندي أن يقاطعها ولكن إقبالا وغيره من الزعماء المسلمين أصدروا إعلانا في ٨/ ديسمبر ١٩٢٧م وهم يوضحون الموقف في مثل هذه الظروف الخطيرة فقالوا (١٦):

"ومنذ أيام قد أصدر (السيد جناح) وغيره من القادة البارزين إعلانا متشركا يدل على عدم الاعتناء بالظروف القلقلة المؤلمة للبلاد فإن هذا الإعلان قد أهمل الحقيقة الكبرى التي تقول صارخة بأن اللجنة الملكية هذه إنما هي إيجاد حلول للأوضاع الراعنة الموجعة الموسفة. أما نحن فنقول بكل تواضع وتوسل ونذر المواطنين عامة وإخواننا المسلمين على وجه أخص أن ينتبهوا إلى خطورة الموقف ويعرفوا بأن موقف المقاطعة كما اقترحه (السيد جناح) ومن يرى رأيه من القادة المسلمين يجدينا بشيء ولن تكون نتيجتها غير التأسف والندامة. أنه لا بد لنا من أن ندافع عن حقوقنا الشعبية التي رفضها الهنادكة ولا يزالون يرفضونها. إن الزعماء المسلمين الذين وقعا على الإعلان الذي وقع عليه (السيد جناح) فإن معظمهم ينتسبون إلى الأقاليم الهندية التي لا يوجد فيها المسلمون إلا قليلا جدا وذلك كما يقال في المثل الأردوي بقمدار " ما يكون الملح في العجين" فإن موقف هؤلاء الزعماء المسلمين لا يستطيع أن يغير السياسة الإسلامية العملية أو يفرض السياسة الخاصة بهم على أهل أقاليم الأغلبية المسلمة هذه من أمثال بنجاب وبنغال. إن موقفنا الواضح القاطع إنما يقوم على الفكرة القائلة بأننا قد فشلنا في الحصول على حقوقنا الدستورية العادلة من الأغلبية الهندوكية وقد أدركنا الآن بأن إضاعة فرصة غالية كهذه لن يكون من مصالحنا أبدا ويجب أن يعرف الهنادكة جيدا بأننا لا نستطيع ولسنا على استعداد أبدا أن نؤجل الآن قضية الخلافات الموجودة بين الفئتين.إنها خلافات أساسية خطيرة جدا يجب تسويتها قبل كل شيء. إنه من واجب الأغلبية الساحقة للبلاد أن تتفاهم معنا على مبادئ الصدق والأمانة حتى تتمكن من الكتساب ثقة الأقلية المسلمة من المواطنين فإنه لا يقنع المسلمين الآن شيء إلا خطوات عملية لتسوية القضية الخلافية وأن الأقوال الواهية والوعود البراقة لا تنفعنا الآن في شيء لأن المسلمين قد مروا في حياتهم العملية والسياسية بتجارب مرة غالبة جعلتهم يفكرون في قضاياهم ويقدرون موافقهم. إننا نعلن بكل قوة واجبتراء بأننا لسنا على استعداد أن نكون العملا أو الدمى في أيدي الاستعمار والأعداء. إن (السيد جناح) وأضرابه من السادة الزعماء قد أكثروا من الإعلان الذي كرروه غير مرة وذلك بأن موقفنا الأبي وإرادتنا القومية المتحمسة لا تسمح لنا أن نؤيد اللجنة الملكة ونرضى بتكوينها وأما نحن فنقوال بالعكس وذلك بأن حرب التفرقة الجنسية والدينية لا تجتمع في مكان واحد مع الأباء والإرادة القومية وأن الحكمة السياسية تقتضي الآن أن لا تتغلب العواطف الجياشة على العقل والبرهان في مثل هذه الموافق الحرجة والأوضاع الخطيرة"

إن الخلاقات بين قادة المسلمين حول التعاون أو عدمه مع لجنة (سائيمان)

اخذت تشتد شيئا فشيئا وكانت هذه مناسبة ثانية حيث خالف فرع بنجاب الإقليمي للرابطة الإسلامية ورئيسة (السير محمد شفيع) وسكرتيره إقبال موقف (محمد علي جناح) رئيس الرابطة الإسلامية الهندية. أما المناسبة الأولى لقد كانت في أول مايو ١٩٢٧م حين عارض زعماء فرع بنجاب الإقليمين "اقتراحات دلهي" القائلة بالتنازل عن حق النيابة المنفصلة للمسلمين في المجالس النيابة ولكن الرابطة الإسلامية لم تكن قد واقفت على "اقتراحات دلهي"واقعة رسمية حتى ذلك الوقت. ومن ثم نشأن سوال على ألسنة الناس وهو: أين يعقد اجتماع الرابطة الإسلامية القادم؟ وكان الدكتور (كتشلو) سكرتيرا عاما للرابطة الإسلامية أن توافق على "اقتراحات دلهي" في الاجتماع القادم لكي تتحقق بذلك اتفاقية أخرى بين الهنادكة والمسلمين كما تحققت اتفاقية "ميثاق لكنؤ" قبل ذلك ولكن الدكتور (كتشلو) كان يعارض الفكرة القائلة بعقد اجتماع الرابطة الإسلامية القادم بمدينة لاهور وذلك لأن فرع بنجاب الإقليمي للرابطة الإسلامية كان قد عارض فكرة التنازل عن حق النيابة المنفصلة للمسلمين ومن ثم كان على شقة ويقين بأن الرابطة الإسلامية سترفض "اقتراحات دلهي"إذا عقد الاجتماع في لاهور وأن الاجتماع سوف يلح على الأخذ بحق النيابة المنفصلة للمسلمين ومن ثم قرر الدكتور (كتشلو) أن لا يعقد اجتماع الرابطة السنوي القادم في لاهور وإنما يجب أنت يعقد بمدينة (كلكته) ويترأسه (السير محمد يعقوب) وأما إقبال فأعلن بأن قرار الدكتور (سبب الدين كتشلو) هذا قرار غير دستوري لا يقره قانون فأصدر إعلانا رسميا مع (السير فيروز خان لون) في ١٤ ديسمبر ١٩٢٧م قال فيه(٦٢):

> إن أسباب عقد الاجتماع بمدينة (كلكته) ليست كما ذكر والتي يعرفها عامة الشعب كما نعرفها نحن وإنما هي أسباب أخرى غير التي يعرفها الناس فهي لا تزال تخفي علينا جميعا أن السبب الحقيقي هو أنهم يريدون أن يفرضوا على المسلمين "اقتراحات دلهي"
>
> التي تمت الموافقة عليها في ٢٠/ مارس حول الدوائر الانتخابية المشتركة ويريدون الموافقة عليا خلال الاجتماع القادم المقرر عقد بمدينة (كلكته) وأما في لاهور فإنهم يخشون الصعوبات والمعارضة لذلك لأن مسلمي بنجاب يرفضون "اقتراحات دلهي"ويتفقون على تأييدهم للدوائر الانتخابية المنفصلة للأم الإسلامية"

وهكذا انقسمت الرابطة الإسلامية في هذه المرحلة فصارت منها فرقتان. إحداهما "رابطة جناح الإسلامية" والثانية سميت " رابطة شفيع" وفي ١٩/ ديسمبر

١٩٢٧م أدلى إقبال والأمير (السير ذوالفقار علي خان بتصريح صحفي وهما يعلقان على سياسة (محمد علي جناح) ويوضحان موفقهما نحو القضية فقالا (٦٣):

"سبق وقد أوضحنا بأن الأقوام المختلفة المتعادية في الهند تشتغل بالمظاهر الحالية من سفك الدماء والقتل والنهب مما ألصق كرامة الهند وأنفها بالرغام ومن سوء الحظ أن (السيد جناح) ومن حذا حذوه من الزعماء قد تصورا أوضاعا من الحياة القومية التي تفقد وجودها الحقيق و(السيد جناح) يعرف جيدا بأن المسلمين قد توسلوا بالرجاء إلى الأغلبية الساحقة غير مرة قبل تكوين اللجنة الملكة أن تقوم بتسوية الخلافات الموجودة بين الشعبين ثم أن المسلمين قد أعلنوا شكواهم مرة في "مؤتمر الشملة الاتحادي" وأن السلمين مرة ثانية يوجهون الدعوة إلى الأغلبية الساحقة بهذه المناسبة أن تقوم بالتصالح وإعطاء الضمان للتعايش السلمي للفئتين المتعاديتين وقد استمر(السيد جناح) يلعب دور الممثل الرئيس في هذه الصرحية فهل بإمكانه أ، يحدثنا عن الرد أو الجواب الذي تلقاه يوما من الأغلبية الهندوكية على هذه الدعوة الموجهة إليها غير الرض الجامع والأباء الصارغ؟ إنه ليس بإمكاننا أن نهمل الحقيقة التي تظهراننا أننا لا نستطيع أبدا أن ننافص الهنادكة في الثروة المالية والرسوخ القوي والقيادة السياسية والكثرة العددية وإننا إذا لم نطالب بحقوقنا الدستورية من الهنادكة والحكومة الانجليزية كليهما بكل جد ونشاط فإن موتتن السياسي أمر محتوم كما يقول لنا البعض من المسلمين بأننا لا نستطيع الآن أن نشق بسخاء الأغلبية الموهوم وأنه لم يبق للعواطف والخيال متسع. أننا لا نريد الآن براهين قوية ملموسة . إن (السيد جناح) وأصدقاءه يستطيعون أن يطعنوا فينا أو يويقونا من أجل مصالحنا فإن هذه الأشياء كلها نفوضها إلى المستقبل وفي ذمه التاريخ حيث يمكن تقدير موافقنا الشعبية القوية التي اتخذناها لنبنى عليها بناء المصالح الشعبية لكل فرقة وجماعة"

وفي ٢١/ديسمبر ١٩٢٧م عقد اجتماع مسلمي لاهور العام في حديقة خارج"باب موتشي" من لاهور حيث قام إقبال خطيبا فقال (٦٤):

"إن المسلمين اليوم يواجهون مشكلتين كبيرتين . إحداهما تحقيق الحكم المحلي القومي والثانية قضية النيابة المنفصلة لكل فرقة ومن سوء الحظ أن موقف أغلبية البلاد قد يئس منه المسلمون أنهم يخضون دائما ضياع حقوقهم الشعبية الدستورية والدفاع عن مستقبلهم الأمن المصؤن أن تقدم مسلمي الهند يقصر على الحل العادل لهذه المشكة الحيوية."

وظلت الرابطة الإسلامية منقصمة إلى فرقتين (أي رابطة جناح ورابطة شفيع) فأما رابطة (جناح) الإسلامية فقد عقدت جلستها السنوية بمدينة (كلكته) وقد ترأس (السير محمد يعقوب) هذه الجلسة وفيها تمت الموافقة الرسمية على "اقتراحات دلهي" وأما "رابطة (شفيع) الإسلامية " فقد عقدت جلستها السنوية في لاهور في ١٣/ ديسمبر ١٩٢٧م وقد ترأس (السير محمد شفيع) الجلسة التي أمرات علىالاحتفاظ بالحق النيابي المنفصل للمسلمين وتقدم إقبال بالقرار التالي في الجلسة التي وافقت على القرار ونصه كما يليك (٦٥):

"إن النظام الحالي قد حرم المسلمين من حقوقهم الدستورية كأغلبية بالمجالس النيابية في كل من إقليم بنغال وإقليم بنجاب. إن جلسة الرابطة الإسلامية الهندية هذه تحتج على هذا الموضح السياسي الحالي وترى أن هذا الوضع السياسي يعارض المبادئ الديموقراطية وأن الرابطة تطالب الحكومة الإنجليزية بإزالة ما أصاب المسلمين من الظم والحرمان في سنة ١٩٠٠."

وفي يناير ١٩٢٨م زار (مولانا محمد علي جوهر) مدينة لاهور ليقوم بالمحاولات الجدية في اكتساب التأييد من إقبال وأن يمنعه من التعاون مع "لجنة سائيمان" أما إقبال فاشترط عليه لتأييد ما أراده أن يوافق القادة والزعماء الهنادكة على الشيئ الذي يطالب به المسلمون من الحقوق الدستورية ويتضاهموا معهم تفاهما حقيقيا وحينئذ فهو على استعداد أن يؤيده وأنه لن يتعاون مع اللجنة الملكة ليس هو شخصيافحسب وإنما سيقنع (السير محمد شفيع)بالمقاطعة ويكرهه على ذلك ولكن تحقيق هذه الشروط لم يكن من الممكن للشيخ (جوهر) ومن ثم لم يستطع أن يكتسب التأييد من إقبال فصار أدراجه(٦٦) وقد وصلت "لجنة سائيمان"إلى لاهور في فبرائر ١٩٢٨م ولكن جميع الأحزاب السياسية في البلاد اتفقت على مقاطعتها غير "رابطة (شفيع) الإسلامية"

وفي ٧/فبرائر ١٩٢٨م أبلغ إقبال رئيس المجلس التشريعي الإقليمي بأنه يريد أن يقدم قرارا في الاجتماع القادم المجلس سيطالب فيه بالافراق عن الذين عوقبوا وصدرف الأحكام عليهم بالسجن بسبب مشاغبات لاهور الطائفية خلال السنة الماضية (٦٧) وفي ٢٢/فبرائر ١٩٢٨م تحدث إقبال وهو يشارك في النقاص الذي يرى في المجلس التشريعي عن الطب الإسلامي وطرق العلاج الفيدية القديمة فقال (٦٨):

"إن الحكومة البريطانية ترعى الطب الغربي في ناحية ومن ناحية أخرى لا ترعي الطب البلدي وطرق العلاج المحلية وذلك لأسباب وأغراض تجارية فقط وأن

الكتب المؤلفة عن الطب اليوناني أو الإسلامي وخاصة مؤلفات (نجيب الدين السمرقندي) لم تنشر إلى الآن وتوجد كتب مخطوطة في المكتبات الأوربية المختلة لو نشرت لأدهشت الكثيرين من الناس الذين يؤمنون بتفوق الطب الغربي مفتخرين بذلك وأن الهند دولة فقيرة وليس في مقدرة أهلها أن يستعملوا الأدوية الغالية فمن الضروري أن نروج طرق العلاج المحلية والنظم الطبية الرضيمة ونظرا إلى هذه النقطة فإني أعتقد بأن نظام الطب اليوناني أو الإسلامي وطرق العلاج الهندية الفيدية تناسب أوضاع بلادنا الراهنة"

وفي ٢٣/فبرائر ١٩٢٨م شارك إقبال في النقاص الذي جرى في المجلس التشريعي عن فرض غرائب الدخل على المحاميل الزراعية وكانت كلمته هذه ممتعة جدا وأوضح إقبال فيها بأن الحكومة الحاضرة ترى من حقها أن تفرض الضرائب على المحاصل لأنها في زعمها تملك الأراي والمنقول الزراعية إلا أن هذه الفكرة قد أصبحت فكرة بالية ساقطة في الوقت الحاضر ثم أضاف قائلا (٦٩):

"إن أول كاتب أوربي رفض هذه الفكرة في ١٧٧٧م هو عالم فرنسي واسمه (بيرون) ثم جاء (برجز) في ١٩٢٠م فقام ببحث وتحقيق على نطكاق واسع عن فكرة حق الدولة في تملك الأراضي بالإضافة إلى دراسة القوانين والتقاليد والعادات المتداولة في الهند وقد تناول في كتاب له عن الموضوع القوانين التي قد وضعها(منوسمرتي) الهندوكي إلى جانب الشريعة الإسلامية والعادات والتقالدين المتعارفة في مناطق (بنغال) و(مالوا) و(بنجاب) وغيرها من مناطق الهند المختلفة وقد فصل القوم في ذلك ووصل إلى النتيجة التي مضادها أنه لم تقم دولة من الدول فيا لهند منذ القدم في أي عصر من العصور التاريخية بادعاء تملك الأراضي والحقول الزراعية وقد تقدم البعض من المؤلفين بهذه الفكرة في عصر (اللورد كرزان) الذي كان نائب الامبراطور البريطاني على الهند إلا أن لجنة المحاصيل كانت قد استخرجت النتائج التي دلت على أه هذه الفكرة لا أساس لها أصلا وأن من يملك أرضا سواء كانت صغيرة أم كبرة يجب عليه أن يفدع الضرائب على المحاصيل الزراعية وأما إذا الكتسب شخص مبلغا أقل من ألفي روبية سنويا من وسا\ل غير المحاصيل الزراعية فإنكم لا تفرضون عليه الضرية اطلاقا وأن القطع الأرضية المغلة أو النافعة في إقليمان ذها قدرها عثرة أفدنة أو أحد عشر فدانا وأن خمسة أفدنة هي نصف هذا المقدار وعليه كاني أعتقد بأننا إذا استثنيا من الضرائب على أساس هذه المبادئ الضريبة من يملك خمسة أفدنة أو أقل منها من الأراضي الزراعية فإن دخل الإقليم لن يتأثر بذلك كثيرا وقد اقترح بعض زملائي الكرام من الأعضاء في المجلس تكوين لجنة البحث والتحقيق

وإرسالها إلى الاتحاد السوفيتي ولعل زميلي المحترم هذا ليس على علم بالأسباب التي ادت إلى الثورة الروسية ولسنا في حاجة إلى الحديث المفصل عن تلك الأسباب بهذه المناسبة فإن من يملك الأرض اليوم في بجاب ليس على استعداد أ، يتنازل عن حق التملك لها ويوجد ا لكثيرون من الناس في هذه البلاد الذين لا يملكون إلا قطعا أرضية صغيرة جدا لا تزيد عن فدانين أو ربع فدان. إن هؤلاء الملاك وإن كانوا في درجة الفلاحين الزراعين إلا أنهم لا يرضون بالتنازل عن الحق الفردى للأراضي وعليه فإني أتقدم بالقرار إلى الحكومة لتدرسه دراسة جيدة تقودنا إلى مصالح هؤلاء الملاك الزارعين الفقراء الذين يملكون قطعا أرضية صغيرة لا تكفيهم ولا تجديهم بما يكفي لهم ولأهلهم من الرزق."

وفي ٩/ابريل ١٩٢٨م ألقى إقبال كلمة بالانجليزية في الاجتماع السنوي لجمعية "حماية الإسلام" وكان موضوع حديثه "الفلسفة الإسلامية" وخلال هذه الفترة كان إقبال يعد خطبه ومقالاته عن الديانة الإسلامية وقد كانت هذه الكلمة حلقة من بين هذه الحقلات.(٧٠)

وفي هذه المرحلة من حديثنا نستطيع أن نرجع إلى أسئلة تطرح نفسها بهذه المناسبة فمنها: ما ذا حققت رابطة (جناح) الإسلامية "التي كانت تبذل جهودها ومحاولاتها من أجل التفاهم مع الهتادكة على أساس "اقتراحات دلهي" ولاتي كانت قد أعلنت مقاطعة "لجنة سائيمان" وعدم التعاون معها؟ ومنها ماذا اكتسبت "رابطة (شفيع) الإسلامية" التي لم تكن ترضى بالتنازل عن الحق النيابي المنفصل للمسلمين والتي كانت تريد أن تتعاون مع "لجنة سائيمان"؟

فكما مر بنا فيما مضى بأن الكونجر الهندي كان قد وافق على "اقتراحات دلهي" في الاجتماع السنوي له الذي عقد في ديسمبر ١٩٢٧م بمدينة (مدراس) كما أن (هندو مها سبها) أي "المجلس الهندوكي الكبير " كان يعارض "اقتراحات دلهي" معارضة شديدة. وفي مارس ١٩٢٨م عقد اجتماع مؤتمر الاحزاب السياسية كلها تحت إشراف الكونجرس الهندي فاتشرك فيه ممتلون من "رابطة (جناح) الإسلامية" كغيرهم من ممثلي الأحزاب السياسية الأخرى وكان غرض المؤتمر هو تسوية مشكلة النيابة المتنابسبة للفرق المختلفة المتعارضة في نطاق إعداد الدستور الجديد للهند ولكن المؤتمر هذا لم يستطع أن يصل إلى أية نتيجة ثم عقدت اجتماعات عديدة ثم أجلت بدون جدوى من ورائها وفي أثناء ذلك تحدى (اللورد بركان هيد) وزير الهند البريطاني القادة الهنود ودعاهم أن يعدوا مشروعا دستوريا موجدا فتكونت لجنة في ١٩/ مايو ١٩٢٨م وكان يترأسها" الباندیت موتي لال

نهرو" (والد جواهر لال نهرون) وكانت مهمة هذه اللجنة إعداد الخطة الرئيسية للدستور الهندي الجديد وقد أعدت اللجنة تقريرا وهذا التقرير يعرف "بتقرير نهرو" في التاريخ السياسي للهند وكان من أبرز جوانب التقرير ما يأتي:

سحب السلطات الأقاليم وتركيزها في العاصمة المركزية وهذكا تم بناء الحكون المركزية مكان الحكومة الفيدرالية وتأجيل انفصال السند عن بومباي ووجودها كإقليم مستقل إلى أن تكتفي بذاتها ماصلا واقتصاديا والالحاح على الانتخاب المختلط بدون تعيين المقاعد وتخصيصا كما أن التقرير قد رفض منح المسلمين ما كانوا يطالبون به من ثلث المقاعد في المجلس القومي المركزي بالإضافة إلى رفض ما كانو يطالبون به من الاعتراف بحقوق المقاعد لهم على أساس التناسب السكاني لهم وأما إيجاد فرصة التعرف العملي على الأغلبية المسلمة في كل من بنجاب وبنغال أو تطبيق الإصلاحات الدستورية في كل من إقليم سرحد وبلوجستان فقد أهمل التقرير هذه الأياء كلها وجملة القول فإن "اقتراحات دلهي" التي وافق عليها "الكونجرس الهندي" في الاجتماع العام المعقود بمدينة (مدراس) والتي كان (الباندیت موتي لال نهرو) يتقدم المؤيدين لها قد رفضت في تقرير لجنة كان يترأسها (موتي لال نهرو) نفسه ومن ثم تقدم (محمد علي جناح) باصلاحات وتعديلات في التقرير وهي كما يلي:

يجب تفويض السلطات إلى الأقاليم المحلية أيضا ويجب تخصيص الثلث من المقاعد في الملجس المركزي للمسلمين ويجب الاعتراف بالحق الدستوري للأغلبية المسلمية في بنجاب وبنغال وذلك إما بالانتخابت المباشر على أساس الاستفتاء الشعبي العام من الناخبين البالغين أو بتخصيص المقاعد للمسلمين في المجالس التشريعية على أساس التناس السكاني إلا أن هذه التعديلات والاصلاحات التي قدمها (محمد علي جناح) قد رفضها "الكونجرس الهندي" وتمت الموافقة على "تقرير (نهرو) " بدون أي تعيير أو تبديل حسبما أراده (هندو مها سبهأ) أو المجلس الهندوكي الكبير،وهكذا فشلت المحاولات الأخيرة التي قام بها (محمد علي جناح) من أجلي التفاهم والتعاون بين الهنادكة والمسلمين أو ادخال بنود من "اقتراحات دلهي" في "تقرير (نهرو)" على أساس التعديلات والإصلاحات وهكذا تحقق على حد تعبير (محمد أحمد خان) ما كان إقبال قد تنبأ به قائلا: " لا أستطيع أن أشق بالهنادكة أنهم سوف يرضون بوما بالتفاهم معنا" (٧١) وفي ديسمبر ١٩٢٨م صدر إبلاغ نهائي من الكونجرس والذي تحت الموافقة عليه في اجتماع الكونجرس السنوي الذي عقد بمدينة (كلكته) وهو أن البرلمان البريطاني

إذا لم يوافق على "تقرير (نهرو)" خلال سنة واحدة فإن الكنوجرس الهندي سيبدأ حركة عدم التعاون وعدم دفع المحامين والضرائب للحكومة الانجليزية.

ومن ناحية أخرى فقد عينت "رابطة (شفيع) الإسلامية" لجنة من الأعضاء بما فيهم إقبال في مايو ١٩٢٨م لتعد مذكرة من المطالبات الإسلامية لكي يمكن تقديمها إلى "لجنة سائيمان" وتحدت إقبال في الاجتماع الأول للجنة عن أهمية ما يطالب به الأقالم من السلطات المحلية إلا أنه أصيب بوجع الكلى خلال هذه الفترة فذهب إلى "دلهي" للعلاج عند الحكيم الأعمى (الحكيم عبد الوهاب الأنصاري شقيق الدكتور الانصاري) ومن ثم لم يستطع إقبال أن يشارك في إعداد المذكرة من المطالبات التي أرادت "رابطة شفيع" أن تقدمها للجنة الملكة (٧٢) وعاد إقبال من دلهي فوصل إلى لاهور فقرأ في الجرائد ما جاء من التناصيل من المذكرة التي قدمت إلى اللجنة الملكة مما أغضب اقبال وتبرم به وذلك لأن المذكرة كانت قد أهملت مطالبات السلطة المحلية الكاملة للأقاليم وعلى هذا الأساس استقال إقبال من منصب سكرتير "لرابطة (شفيع) الإسلامية" في ٢٤ / يونيو ١٩٢٨م وأدلى بتصريح صحفي قال فيها (٧٣):

"إني لأ لاحظ بأن الذي نشر في الجرائد من مذكرة الرابطة لا يضم مطالبة اليلطا المحلية الكاملة للأقاليم وإنما تقترح حكومة مركزية ونظاما يخول حاكم الأقليم أن يراتب النظم القانونية والتشريعية والنظام القضائي مراقبة مباشرة ولست في حاجة إلى أن أقول بأن هذا الاقتراح يقدم صورة ذات وجهين عن الحكمة العملية ومعني ذلك أنه لا يمكن تقدم دستوري على أية حال وما دمت أصر على ما اقترحته وأبديت من الر\أي في الجلسة الأولى لهذه اللجنة من أنه يجب على الرابطة الإسلامية الهندية أن تطالب بالسلطة المحلية الرابطة للأقاليم ففي مثل هذه الظروف يجب أن لا استرم في منصب سكرتير للرابطة الإسلامية الهندية فأرجو الموافقة على استقالتي مع الشكر والاحترام"

وكرد فهل لاستقالة اقبال قامت رابطة(شفيع) الإسلامية بالتعديل في مذكرتها وتوصياتها فضمت إليها ما طالب به إقبال من السلطة المحلية الكاملة للأقاليم مما جعل إقبال يرقع على المذكرة أيضا (٧٤) وفي ٥/ نوفيمبر ١٩٢٨م حضر وفد لرابطة (شفيع) الإسلامية بما فيهم إقبال عند "لجنة سائيمان" فقدموا لها مذكرتهم وتوصياتهم عن الدستور الجديد كما كان يريده المسلمون وفي النهاية وافقت اللجنة الملكية أن ترفع إلى الحكومة البريطانية ما يطالب به المسلمون وأوصتها أن توافق به ولكن إقبالا لم يكن مطمئنا مقتنعا بتقرير هذه اللجنة وتوصياتها حتى أن تقرير

"لجنة سائيمان" عند ما نشر في الصحف في ١٩٣٠م أصدر إقبال تصريحا صحفيا في ٢٤/ يونيو ١٩٣٠ نقد فيه تقرير اللجنة نقدا عنيفا (٧٥) على كل حال فإن نائب الامبراطور البريطاني للهندي أعلن عقد مؤتمر المائدة المستديرة بلندن وبذلك انتهت أهمية تقرير "لجنة سائيمان" وهكذا لم تفد اللجنة بشيء وذهبت محاولاتها بدون جدوى.

وفي أغسطس ١٩٢٨م نشرت مقتبسات من "تقرير (نهرو)" في الجرائد مما جعل إقبالا يصدر بيانا صحفيا في ٢٠/ اغسطس ١٩٢٨م حيث عبر فيه عن انطباعاته حول التقرير فعلق عليه في ضوء الاحائات فوضح قضية حق التصويت للكبار البالغين فقال بأن الكبار من المسلمين البالغين عشرين سنة من أعمارهم عددهم أربعة وخمسون في المائة قد وردت نسبتهم المؤية في التقرير بينما النسبة المؤسة الحقيقة للسكان السلمين في إقليم بنجاب هوستة وخمسون في المائة وأن هذا التقرير يقترح طريقة من الانتخاب يخسر بها المسلمون نسبتهم المؤية من الاثنين في المائة بينما يضيف هذا التقرير الاثنين في المائة من النسبة المؤية للسكان الهنادكة والسيخ وبالإضافة إلى ذلك فإن السيدات المسلمات البالغات هن خمسة وخمسون في المائة من مجموع التناس الشكان للنساء في الإقليم إلا أن هذه السيدات المسلمات غير متعلمات وهن متحفظات للغاية ومن ثم من المستحيل ذهابهن إلى مركز التصويت لمدة طويلة وأما السيدات غير المسلمات فهن متعلمات ومتقدمات بالنسبة إلى السيدات المسلمات ومن ثم من المتوقع أن تشاركن في التصويت بأكبر عدد منهن فهذه الطريقة الانتخابية تضر المسلمين الذين قد يخسرون بها عدد المقاعد في الملجلس النيابي وكذلك فإن الاقتراح حول الدائرة النيابية من كل مائة ألف نسمة لنائب واحد يحتاج إلى تحديد الدوائر الانتبخابية في بنجاب من جديد ويخشى المسلمون بأنه قد يضرهم في حق النيابة حتى تستحيل أغلبيتهم إلى الأقلية في المجلس الإقليمي (٧٦).

وفي هذا الشهر نفسه عقد اجتماع لمؤتمر الأحزاب الساسية كلها بمدينة (لكنوؤ) وحاول(مولانا شوكت علي) و (مولانا حسرت موهاني) بإزالة ما يخوف المسلمين مما جاء في "تقرير (نهرو)" ولعل الشيخ(حسرت موهاي) قد أعاد الاقتراح بضم (سرحد) و (بلوجستان) و (السند) إلى بنجاب حتى يضلح إقليما موحدا في الشمال الغربي من الهند إلا أن "تقرير (نهرو)" سبق وقد رفض هذا الاقتراح فائلا بأن هذا الاقتراح يعني تكون إقليم كبير واسع في الشمال الغربي من الهند قد يكون من الغضب أو المستحيل إداريا (٧٧) وهكذا فشل الشيخان

(شوكت علي) و (حسرت موهاني) في محاولاتهما مما جعل الشيخ (شوكت علي) يصدر إعلانا صحفيا ضد "تقرير (نهرو)" ومؤتمر الأحزاب فقرأ إقبال هذا الإعلان في الجرائد فقال وهو يتحدث إل مراسل "الصحافة الحرة" في ٤/ ديسمبر ١٩٢٨م (٧٨):"إنني أخشى أن قرارات اجتماع مؤتمر الاحزاب بمدينة (لكنو) وما جاء به الشيخ (شوكت علي) في اعلانه الصحفي من الاكتشافات قد تسيئ إلى الجو الديني المتوتر في الهند حتى يستحيل من السوء إلى الأسوأ وذلك سيكره المسلم الهندي أن يدرس الموقف ويقدر المشاعر التي تسمى بمشاعر "القومية الهندية الموحدة" وأن هذا المسلم الهندي إذا درس هذا الموقف وفكر فيه فإنه سيجد نفسه في نفس المكان الذي وجد فيه الشيخ (شوكت علي) نفسه اليوم ذلك الذي ثابت إليه نفسه اليوم فاستيقظ مما كان في قعرة ضميره بكل حزن وكآبة كأن قلبه لم يعد يتدفق بمشاعر الحرية وعواطف الاستقلال. تلك المشاعر والعواطف التي كانت قد جعلت منه اكيانا كهربائيا متدفقعا. إن هذا الأشياء كلها ستكون من الأسباب التي ستقوى وتدعم مشاعر عدم الثقة واليقين في نفوسهم. إنني أنا شخصيا من أنصار الدوائرالنيابية المنفصلة لكل فرقة من الفرق الدينية ومن الأساب في ذلك الظروف الاقتصادية التي يمر بها المسلمون في الهند عامة وفي إقليم بنجاب خاصة ولكن السبب الأكبر في ذلك إنما هو الأمل في الصلح والسلم بين الفرق المتناحرة وأن هذا الصلح والأمن أو السلم في رأيي أنا لا يا يمكن إلا بمبدأ الحق النياشي المنفصل للمسلمين والهناديكة على السواء"

وفي ٧/نوفيمبر ١٩٢٨م أبلغ إقبال المجلس الإقليمي التشريعي بأنه ينوي تقديم مشروعات القرار فيالاجتماع القادم للمجلس وكان من بين هذه المشروعات رجاء الحكومة المركزية للهند بإنشاء جامعتين مستقلين في كل من إقليم سرحد وإقليم (بلوجستان) وكان من بين مشروعات القرار هذه مطالبة الحكومة الإقليمة باعاء الراضي الزراعية في المستعمرات الحديثة (نيلي بار) من محافظة (ساهيوال) للغلاحين المعدمين القاطنين في شتى محافظات بنجاب والذين ضاعت مزارعهم بسبب الفيضانات في الاقنية والانهار (٧٩) وفي هذا الشهر نفسهشارك إقبال في اجتماع المؤتمر الشرقي بمدينة لاهرو حيث قدم مقالة باللغة الانجليزية كان موضوعها "الحاجة إلى الدراسة العميقة لما جاء عند العلماء المسلمين من الافكار والأراء"(٨٠)

وكان قد اتضح للمسلمين من "تقرير (نهرو)" بأن زعماء الكونجرس الهندي

الذين يعتبرون طبقة معتدلة واسعة النظر والأفق الذهني لا يزالون تحت تأثير (هندو مها سبها) أي الحزب الهندكي المتطرف ونحن هنا بدأت محاولات لتكوين جبهة موحدة إسلامية ضد هذه النزعات والميول وقد انتجت هذه المحاولات فأوجدت المؤتمر الإسلامي للاحزاب كلها وكان إقبال من بين المؤسسن لهذا المؤتمر وقد قام بدور مهم جدا فياعداد المطالب والاهداف الإسلامية المقدمة في هذا المؤتمر (١٨) فعقد اجتماع المؤتمر الإسلامي لجميع الأحزاب في ٢٩/ ديسمبر ١٩٢٨م بمدينة دلهي وقد ترأسه (السير آغا خان) واشترك في هذا المؤتمر المثلون للأحزاب الإسلامية كلها غير رابطة (جناح) الإسلامية وقد اتخذ الاجتماع قرارا أدان فيه "تقرير (نهرو)" وفي نهاية المؤتمر تم اتخاذ قرار جامع يتلخص كما يلي (٨٢):

يجب أن يكون الدستور الجديد للهند دستورا فيدراليا وتكون بقية السلطات المحلية مختصة للأقاليم.

يجب تخصيص الثلث من المقاعد النيابية للمسلمين في المجلس القومي الفيدرالي.

ويجب أن لا يحرم المسلمون من الحق النيابي المنفصل عليى أية حال.

وأن الأقاليم الهندية التي تضم الأغلبية المسلمة يجب أن تتصرف في شؤون الإقليم كما تشاء على المبادئ الديموقراطية إلى جانب الاحتفاظ بالمقاعد الخاصة للأقليات المسلمة في الأقاليم الأخرى.

لا يجوز من أي تشريح أو قانون ينطوي على أية مشكلة دينية أو اجتماعية تمس أقلية من الأقليات إذا عارضه الثلث من نوابها في المجلس.

يجب إنشاء إقليم السند المستقل المنفصل عن (بمبائي)

يجب تطبيق الاصلاحات الدستورية الجدية في كل من إقليم (بلوجستان) و (سرحد) كبقية الأقاليم الهندية.

يجب أن يضمن الدستور الأساس لحقوق المسلمين الدينية والاجتماعي والقانون الشخصي لهم ونظمهم التربوية ولغاتهم الإسلامية

يجب الاعتراف بحق المسلمين الشرعي والدستوري في مجالس الوزاراء كلها من المركز الأقاليم.

ولا يجوز إجبار تعديل أو تغيير في الدستور للبلاد إلا إذا وافق عليه جميع أجزاء الاتحاد من الأقاليم والإمارات.

وقال إقبال خطيبا في الاجتماع فأيد القرار قائلا (٨٣):

"إنني اليوم أعترف بالحقيقة المرة بأن طريق العمل الذي مهده لنا المغفور له

(السير سيد أحمد خان) قبل نصف قرن من الزمان كان طريقا صحيحا عائبا وقد أدركنا أهمة هذا الطريق العملي بعد أن مررنا بالتجارب المرة التي علمتنا كثيرا أيها السادة. أنني أقول اليوم بكل مراحة وأنا على ثقفة ويقين بأن المسلمين إذا أرادوا أن يعينوا أحرارا مسلمين في الهند فيجب عليهم أن يركزوا كل سعيهم ويبذلوا جهودهم للتقدم والإصلاح إلى جانب إعداد برنامج سياسي مستقل بأسرع ما يمكن وأنتم على علم بأن بعض مناطق الهند تعيض فيها اغلبيات مسلمة كما أن البعض منها تعين فينا أقليات مسلمة أيضا. ففي مثل هذه الظروف يجب علينا أن نعد برنامجا سياسيا مستقلا. فإننا نرى اليوم كل أمة تسعى وتحاول للاحتفاظ بكيانها والدفاع عن حقوقها إذن فما الذي يمنع المسلمين من السعي للاحتفاظ بكيانهم وللدفاع عن حقوقهم؟ أن القرار المستقل عليه الذي اتخذه هذا لامؤتمر اليوم هو قرار صائب صحيح للغاية ولدي دليل ديني عليه تدل على صحة هذا القرار الجماعي المتفق عليه وهو أن سيدنا ومولانا سيد الكونين صلى الله عليه وسلم قد قال بأن أمته لن تجتمع على الضلالة أبدا."

ويعد نهاية المؤتمر الإسلامي لجميع الأحزاب غاد إقبال مدينة (دلهي) في ٢/يناير ١٩٢٩م متجها نحو الهند الجنوبية وقد رافقه (الشوذري محمد حسين) و (عبد اله تشفتائي) خلال زيارته هذه التي دامت شهرا وألقى خلالها خطبا دينية في كل من (مدراس) و (ميسور) و (بنجلور) و (حيدر آباد الدكن) ثم عاد إلى لاهور في نهاية يناير ١٩٢٩م.

وكان إقبال يهتم بظروف أفغانستان وأحوالها إهتماما كبيرا وذلك لأنها كانت دولة إسلامية مستقلة بالإضافة إلى كونها لأقالم الأغلبية المسلمية في الشمال الغربي منالهند وكانت أفغانستان قد حققت استقلالها الكامل بعد الحرب الأفغانية الثالثة على أيدي (الأمير أمان الله خان) ومن ثم لم يكن إقبال يحب شخصية الأمير (أمان الله خان) حبا عميقا فحسب وإنما كان قد علق عليه آمالا جساما وهذا مما جعله يعنون ديوانه "رسالة الشرق" أو " بيام مشرق " باسم الأمير (أمان الله خان) هذا إلا أن الأمير (أمان الله خان) حاول تطبق العديد من الاصلاحات العلمانية في أفغانستان وكانت هذه الإصلاحات تعارض الإسلام وتمس كيافه وذلك مما أغضب رجال الدين الأفغان فثاروا عليهم ففي ١٥ نوفيمبر ١٩٢٨م بدأت حركة الثورة والعصيان في أفغانستان فساعد حكام الهند الانجليز العصاة الثائرين لأغراض خاصة وأخيرا احتل عاصمة (كابل) أحد العصاة الثائرين في

١٧/ يناير ١٩٢٩م ويعرف هذا الرجل باسم (بتشه سقه) هذا أعلان ملكه في (كابل) إلا أن البلاد بقيت بصفة مستمرة في حالة من الحرب الأهلية وفي ٢٦/ فبرائر ١٩٢٩م زار مراسل جريدة (تريبون) اللاهورية إقبالا في منزله ليعرف رد الفعل عنده وانطباعاته من الأوضاع في افغانستان فقال إقبالك(٨٤)

"يبدو أن سقول الغازي يرجع إلى ما استعجل من تطبيق الاصلاحات وأهمل الاتمام بتنظيم الجيش كما أنه اهتم بالتقدم الحقيقي للبلاد خلافا لما يراه رجال الذين في العالم الإسلامي وهذا مما أغضب البعض من علماء الدين في أفغانستان ولا شك في أن الصراع قد قام بين المشاجر والمستحفظة المتزمة وبين الأراء التقدمية اللبرالية في العالم الإسلامي المعاصر وأغلب الظن أن الإسلام المتحفظ لن يستسلم إلا بعد جهد كبير فيجب على المصلحين المسلمين في كل بلد إسلامي أن يدرسوا التقاليد والقيم الإسلامية الحقيقية دراسة عميقة بل يجب عليهم قبل كل شيء أن يدرسوا الصورة الداخلية الصحية للمدنية الحديثة بكل حذر واحتياط فإن معظم هذه الصور إنما في صور راقية للمدينة الإسلامية نفسها ويجب أن تتخلص عن الأشياء التي لسنا في حاجة إليها ويجب أن يكون كل اهتمامنا بما يلزمنا في حياتنا العملية وكذلك فليس من الصواب أيضا أن نهمل دور القوى المتحفظة المتزمة ومكانتها في الشؤون الاجتماعية وذلك لأن الحياة البئرية إنما تتدرج وترتقي في مراحل التقدم والتطور وهيو تحمل تقاليدها الأصيلة وقيما العريقة ولا تتحرر منها أبدا"

على كل حال فإن أوضاع أفغانستان الراهنة أخذت تتغير بسرعة فإن حكومة (بتشه سقة) التي كانت مقصورة على عاصمة (كابل) وحدها لم تكن لتستمر طويلا بطبيعة الحال فكان الأفغان في حاجة إلى قيادة تعوضهم عن القيادة الذاهبة لكي يثقوا بها كأمة متحدة. ولتحقق هذا الهدف اتصلت الحكومة البريطانية بالسفير الأفغاني الموجود بباريس وهو الجنرال (نادر خان) وكان الجنرال (نادر خان)هذا قد قام بدور بارز في الحر الأفغانية الثالثة وهزم الجيوش الانجليزية فني مكان يسمي (تل)فلبى الجنرال (نادر خان) دعوة الحكومة البريطانية وجاء إلى الهند وكان إقبال يعرفه جيدا ومن ثم كان فيمن استقبله في محطة لاهور للقطار حين وصل إلى لاهور وقدم له إقبال خمس مائة روبية من جيبه الخاص كمساعدة مالية وإلا أن الجنرال (نادر خان) رد له هذا المبلغ مع أعمق عواطف الشكر. وأخيرا أعد الجنرال (نادر خان) بمساعدة إخوانه جيشا كان يشمل قبائل (وزير) و(محسود) في المنطقة الحرة على الحدود ثم دخلوا أفغانستان ومعهم الأسلحة التي زودتهم بما الحكومة الانجليزية واستمر إقبال يساعدهم بطريق أو بآخر ما داموا

يحاربون في أفغانستان وقد اعترف الجنرال نادر خان) بخدمات إقبال هذه في رسالة بعث بها إليه في ٢/اكتوبر ١٩٢٩م قال فيبا (٨٥):

"إن العواطب الكريمة والمشاعر السامية التي تكنها أنت في قلبك عن هذا الدمار الرهيب الذي عم أفغانستان كلها قد جعلتني أنا شخصيا والشعب الأفغاني من الناصحين الفدائيين عامة لنهدي لك عواطف الشكر والامتنان . إن أفغانستان على وشك الدمار والانهيار وإن شعبها المسكين بواجه الاخطار الرهيبة المهلكة، إن أفغانستان في حاجة إلى كل نوع من مساعدة اخوانها الهنةد وإن الخطوات الايجابية الناصحة التي تتخذها أنت في مثل هذه الظروف الصعبة الحرجة مما يشعبنا ويقوي عزائمنا وأرادتنا وخاصة الساعدة المالية التي نشرت إعلانا عنها في جريدة "إصلاح" إعلاما لإخواننا الهنةد وذلك مما يشجعنا كثيرا والأمل كبير في رجل فاضل من أمثالكم ذلك الربض الذي يشارك الشعب الأفغاني قلبا وروحا في ساعة عسرتها ومصيبتها. كما أنني آمل بأنك ستبذل جهودك المستمرة من أجل الشعب الأفغاني المنكوب ، مع كل احترام لائق من (محمد نادر خان)"

وعقد اجتماع شعبي بلاهو في ٣/ اكتوبر ١٩٢٩م ترأسه إقبال وكان الغرض منه هو جمع التبرعات من أجل مساعدة الجنرال (نادر خان) المالية على نطاق واسع وقرر الاجتماع بالاجماع فتح الصندوق المالي باسم "هلال (نادر خان) الأحمر" وتكونت لجنة لجمع الأموال والتبرعات وعين إقبال رئيسا لهذا اللجنة وفي ١١/اكتوبر ١٩٢٩م وجه إقبال رجاء إلى مسلمي الهند بهذا الصدد فقال فيه (٨٦):

"إن هذا لحظة حاسة في تاريخنا الإسلامي المعاصر حيث يهدد خطر عظيم الآلاف المؤلفة من الأميال المربعة للأراضي الإسلامية من أفغانستان إلى جانب حياة مئات الالوف من أبناء الإسلام أن أفغانستان بصفتها جارة متعاطفة أبية لنا تطلب منا نحن أبناء الإسلام في أرض الهند أن نضحي بنفائس أموالنا من أحل إنقاذ أفغانستان من آخر لطمة من لطمات عواصف الموت والقدر"

إلا أن حيوش الجنرال(نادر خان) انتصرت على معارضيها في افغانستان واحتلوا العاصمة كابل خلال هذه الأيام القليلة نفسها ففي ١٦ اكتوبر ١٩٢٩م أعلن (محمد نادر خان) نفسه ملكا على أفغانستان وهكذا تم له الأمر وانتصر على من يعاديه أو يعارضه في البلاد.

وفي ٤/ مارس ١٩٢٩م ألقى إقبال كلمة في مجلس بنجاب التشريعي وهو

يتدث عن الميانية الإقليمية السنوية فاقترح ما يأتي: يجب على الحكومة الإقليمية أن تقنع حكومة الهند المركزية أن تجعل من ضرائب الدخل ضريبة إقليمية كما أنه يجب أن تفرض الضرائب على من يرث مقدارا من المال قدره عشرون أو ثلاثون ألف روبية كما يحب التخفيض في الروابت الكبيرة ويجب أيضا أن تشتري الحكومة الماكينان المطلوبة من أرخص الأسواب في العالم(٧٨).

وبعد أن رفضت التعديلات والاصلاحات التي قدمها (محمد علي جناح) في "تقرير (نهرو)" تأكد تاكدا لا يترك مالا للشك بأن الاتفاق على التعايش مع الهنادكة شيء مستحيل ومن ثم ركز جهوده كلها على الاحتفاظ بحقوق المسلمين والدفاع عن مصالحهم كما أنه وصل إلى نتيجة بعد دراسة القرارات التي اتخذها مؤتمرا الأحزاب الإسلامية كلها من أجل الاحتفاظ بحقوق المسلمين والدفاع عن الإسلام وأن هذه القرارات تحتاج إلى تعديلات وإضافات جديدة فرأي محمد علي جناح أن يضيف إليها بعض النكت كما أنه أراد أن يقضي على الخلافات بين القارة المسلمين فالتقى محمد علي جناح (بالسير محمد شفيع) في مارس ١٩٢٩م فاتفقا على عقد اجتماع مشترك للرابطتين بمدينة دلهي وأن هذا الاجتماع للرابطين يجب أن يدين "تقرير (نهرو)" إلى جانب تقديم قرار جامع يضم جميع ما اتفق عليه المسلمون حتى يرضى ويقنع المسلمين جميعا.وطبقا لهذا البرنامج وصل اعضاء رابطة (شفيع) إلى دلهي بما فيهم إقبال. وقد كانت هذه الفرصة المواتية للعلامة إقبال ومحمد علي جناح حيث اجتمعا لأول مرة في حياتهما فتم التفاهم الكامل والموافقة التامة بين افكارهما السياسية واستمر هذا التفاهم والتوافق بينهما حتى اللحظات الاخيرة من حياتهما وقد اعترف بذلك (محمد علي جناح) في رسالة له إلى (انعام الله خان) في ١٦/ مايو ١٩٤٤م حيث قال: (٨٨)

> "وقد تم الوئام الكامل والانسحام التام بين أراء السير محمد إقبال وافكاري وبين ما كنت أراه صوابا من الأراء السياسية في ١٩٢٩م وقد كان هو المسلم العظيم البارز الذي لم يزل يشجعني في كل مرحلة من المراحلة واستمر يؤيدني ويساندني إلى آخرى اللحظات من حياته"

ولكن من سوء الحظ لم يتم التوحيد بين الرابطتين في تلك المناسبة ففي ١٣ /مارس ١٩٢٩م عقد اجتماع رابطة (جناح)فأثيرت فتنة وضجيج في الاجتماع وكان وراءها المسلمون الوطنيون مما جعل (محمد علي جناح) يؤجل الاجتماع إلى مدة غير معلومة وفي ٧/ ابريل ١٩٢٩م أدلى إقبال والسير (عبد القادر) والسير (فيروز خان نون) بتصريح صحفي بكشفون الحقائق عن مواقف فئة المسلمين

الوطنيين قائلين: (٨٩)

"إن أعضاء رابطة لاهور (أي رابطة شفيع الإسلامية) بما فيهم عدد كبير من أعضاء المجلس التشريعي الإقليمي إلى جانب الزعماء البارزين الآخرين كانوا قد ذهبوا إلى (دلهي) على أساس التفاهم بين الرابطتين وظنا منهم بأن رابطة (جناح) ستوافق على القرار الذي كان قد اتخذه مؤتمر الأحزاب الإسلامية كلها في (دلهي) تحت رياسة صاحب السمو (السير آغا خان) كمطالبة إسلامية مجمع عليها ولكن الذي أحزننا ويئسنا منه جميعا هو أنه رغم أن (السيد جناح) شخصيا كان على أتم استعداد أن يوافق على الاقتراح لأنه كان يعرف بأن القرار يمثل وجهة النظر لأغلبية المسلمين ، وهذا يتضح من القرار الذي كان قد أعده لهذه المناسبة، ولكن فئة من الأعضاء في الرابطة كانت تصر على التائيد الفوري لتقرير (نهرو) مهما كان الثمن وقد قامت هذه الفئة بمحاولات غير ديموقراطية للتغلب على الاجتماع. أن موقف الفئة الضئيلة من أنصار "تقرير (نهرو)" بين أعضاء رابطة (جناح) قد كان موقفا مؤلما مؤذيا للغاية ولكننا نعتقد بأنه لا يوجد فيه ما يقلق المسلمين بهذه المناسبة وهذه الأوضاع التي ترجع إلى محاولات هذه الفئة القليلة فنرى أن تأجيل اجتماع الرابطة يعني انتصارنا في تلك المناسبة وكا قد أرسلنا رسالة إلى السيد (جناح) وفي هذه الرسالة اقترحنا عليه نفس الاقتراح وقد نشرت الرسالة هذه في الجرائد وقد اتضح منها الغرض الذي كان وراء عقد الاجتماع في شهر مارس بدل شهر مايو وان الغرض منه ليس إلا التوحيد بين الرابطتين وبذل الجهود في سبيل هذه الوحدة وإن هذا الاجتماع لو كان قد أجل كما اقترحنا في رسالتنا لكان أفضل وكان في ذلك خيرنا وصلاحنا جميعا على كل حال فقد اتضح بأن عامة المسلمين يعارضون "تقرير (نهرو)" المبغوض"

وكان (محمد علي جناح) قد سئم من تصرفات المسلمين الوطنيين من أعضاء رابطة (جناح)الإسلامية فقام بتعديلات واضفات جديدة في القرار الذي اتخذه مؤتمر الأحزاب الإسلامية كلها والذي كان يشتمل على عشر مطالب وقد عدل في مطالبة من بينها فقال: أنه يجب أن يخصص ثلث الوزارات في كل مجلس من مجالس الوزراء في المركز والأقاليم للمسلمين وأما مطالب الأربع التي أضافها السيد (جناح) وضمها إلى القرار حتى أصبحت أربع عشرة نقطة معروفة في تاريخنا وهي "نقاط جناح الأربع عشرة" ونشرت في الجرائد وقد مر بنا المطالب العشر. أما المطالب الأربعة الإضافية فهي كما يلي: (٩٠)

يجب أن يكون كل إقليم مستقلا في داخله استقلالا كاملا ويجب أن تشترك

الأقاليم كلها في هذا الاستقلال الداخلي أي كل إقليم يملك سلطة محلية واستقلالا داخليا على السواء.

يجب أن لا يتم أي تغيير في حدود أي إقليم من الأقاليم يمس بالضرر أو يؤثر في الأغلبية المسلمة في بنجاب أو بنغال تأثيرا ضارا.

ويجب أن يكون كل قوم من الأقوام في الهند حرا في رأيه وعقيدته وعباداته وتقاليده ونظامه التربوي وتبليغ ديانته إلى جانب حرية الاجتماع والتنظيم حرية كاملة.

ويجب أن يوظف المسلمون في الوظائف الحكومية وشبه الحكومية إلى جانب غيرهم من الهنود ويحب أن يأخذوا نصيبهم منها حسب كفائتهم وحسن عملهم.

وبعد إعلان "نقاط محمد علي جناح الأربع عشرة" انتهت الخلافات التي كانت تمنع توحيد الرابطتين إلا أنا لتوحيد بينهما في أصح معاني الكلمة قد تم في ٢٨/ فبرائر ١٩٣٠م وذلك حين انفصل (الدكتور انصاري) و (الشودري خليق الزمان) و (آصف علي) و (مولانا أبو الكلام آزاد) و (الدكتور كتشلو) وأضرابهم من رابطة (جناح) الإسلامية أما (الدكتور كتشلو) و (ابو الكلام آزاد) فقد اتحها نحو الكونجرس الهندي وأما من بقي منهم فقد أنشأوا الحزب الإسلامي الوطني وعين (الدكتور أنصاري) رئيسا له و (الشوذري خليق الزمان) سكرتيرا لهذا الحزب الجديد (١٩) ومنذ تلك اللحظة أصبحت النقاط الأربع عشرة هدفا مشترك متفقا عليه للأحزاب الإسلامية السياسية كلها إلا أن الرابطة الإسلامية كانت قد ضعفت وفقدت حيويتها ونشاطها وذلك بانقصامها إلى فئتين وبسبب انفصال المسلمين الوطنيين من "رابطة (جناح) " ومن ثم رأي المسلمون من المناسب أن يبقى مؤتمر الأحزاب الإسلامية كلها كمؤسسة سياسية فعالة لمسلمي الهند بالإضافة إلى الرابطة الإسلامية ونشاطاتها القومية الإسلامية.

وفي ١٤/ابريل ١٩٢٩م ألقى إقبال محاضرة كان موضوعها "دراسة القرآن الكريم" في الاجتماع السنوي لجمعية " جماية الإسلام" بلاهور وقد سمى هذا الاجتماع السنوي للجومعية ينبوعا متدفقا للأنوار الروحية والأضواء العقلية (٢٩).

وفي سبتمبر ١٩٢٩م نشأ اضطراب شديد بين المسلمين بسبب السياسة البريطانية في فلسطين التي شجعت الصهاينة وساعدتهم في تهجيرهم إلى فلسطين ففي نهاية الحرب العالمية الأولى أعطت الحكومة البريطانية للحركة الصهيونية العالمية إعلان بلغور أو (وعد بلغور)حيث أعلنت الحكومة البريطانية انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ولكن بدون أي إضرار بالمصالح العربية وبعد هذا الإعلان

سارع الصهاينة من أهل الدول المختلفة في العالم إلى فلسطين فأخذوا يستوطنونها ويبنون بها المستعمرات الصهيونية مما أقلق العرب المواطنين وجلعهم يحتجون على ذلك وفي اثناء ذلك احتل الصهاينة فسما من المسجد الأقصى وبذلك بدأت المشاغبات الطائفية حيث أصبح العرب الفلسطينيون هدفا لحقد اليهود ونقمتهم فهذه الأوضاع الفلسطينة أقلقت مسلمي شبه القارة وأثارت عواطفهم فعقدت اجتماعات شعبية في شتى المدن فاران فيها المسلمون الهنود خطوات الصحاينة الإرهابية وفي ٧/ سبتمبر ١٩٢٩م عقد اجتماع شعبي بمدينة لاهور اشترك فيها كل حزب من الأحزاب الإسلامية خارج باب (دلهي) لمدينة لاهور وقد ترأس إقبال الاجتماع وقام خطيبا في الممع فقال: (٩٣).

"إن ما يظنه البعض بأن ضمير المسلمين لا يغموه شيء من مشاعر حب الوطن من الخطأ الفاحش وإنما الصواب أن قلب المؤمن يفسره المشاعر الدينية والحسب والاخلاص للإسلام بالإضافة إلى حب الوطن وإن هذه هي العاطفة الدينية التي تجمع بين المتفرقين المضطربين من أبناء الملة الإسلامية وأن هذا العاطفة الخالدة لا تزال ولن تزال تجمع بين المتفرقين المتشتتين من أبناء الأمة الإسلامية وقد بلغنا أن الصهاينة يقتلون المسلمين الأبريا رجالا ونساء وأطفالا في فلسطين وأن هذه العملية الوحشية الرهيبة مركزها مدينة القدس اليوم حيث يقع المسجد الأقصى وهذا المسجد المبارك له علاقة بالأسراء والمعراج لسيد الكونين ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم إن المعراج حقيقة دينية ثابتة ولها علاقة قوية عميقة بقلوب المسلمين وأرواحهم وطبقا لمبادي الشريعة الإسلامية فإن منطقة المسجد الأقصى المحيطة به وقف على الأمة الإسلامية تلك المنطقة التي يدعى الصهاينة اليوم احتلالها والتصرف فيها ولا يوجد مبرر قانوني أو تاريخي يعطي هذا الحق للصهاينة إن السياسة الانكليز قد استخدموا اليهود ا لصهاينة لتحقيق الاهداف والاغراض السياسية البريطانية في ١٩١٤م كما أنهم شجعوا الحركة الصهيونية. إن وسائل التي استخدمها الانجليز لتحقيق أغراضهم القومية قد ظهرت نتائجها السيئة وثمراتها الخبيثة اليوم بين أيدنا. إن اليهود الصهاينة جاؤا اليوم يدعونالتصرف ي قسم من المسجد الأقصى إنهم قد أثاروا بركانا من الفتن والمشاعر. إنهم يذبحون المسلمين رجالا ونساء وأطفالا كما يذبح الشياه والخرفان. إن المجلس الأعلى الفلسطيني العربي قد أعلن بأن الحكومة السائدة قد زودت سئلت اليهود الصهاينة بأحدث السلاح هؤلاء الصهاينة الذين أخذوا يسفكون الدماء البريئة بهذا السلاح. إن الحركة الصهيونية لن توتي النتائج والأثمار السائغة للمسلمين أبدا وإنما تكون مصدرا للفتن الهائلة

والاخطار غير العادية في فلسطين وقد وافقت الحكومة البريطانية على إرسال لجنة ملكية إلى فلسطين لبحث الأحوال وتحقيق الأوضاع ولكنني أريد أن أعلن بكل صراحة بأن المسلمين لا يثقون بهذه اللجنة إطلاقا"

وفي هذه السنة نفسها عرض مشروع كانون في المجلس المركزي يعرف "مشروع شاردا" ويهدف المشروع إلى فرض المنع والقيود على تزويج فتاة عمرها أقل من أربعة عشر عاما وفتى عمره أقل من ثمانية عشر عاما. وكان رجال الدين قد عارضوا هذا المشروع ولكن إقبالا كان له رأي خاص متوازن معتدل عن زواج الصغار من الأولاد فعلق على هذا المشروع في شؤون الشريعة الإسلامية في ٢٩/ سبتمبر ١٩٢٩م فقال: بأن الشريعة الإسلامية تسمح للوالدين بتزويج الصغار من أولادهم ولكن الشريعة الغراء تمنع الصغيرة غير البالغة أن تحمل أو تلد ومن ثم تأمر الأبوين أن لا يرسلا الصغيرة إلى بيت زوجها حتى تبلغ. ومن ثم كان يرى إقبال بأن تشريع القانون هذا كان يجب أن يمنع الأبوين من إرسال الصغيرة إلى بيت زوجها حتى تبلغ ومن أرسل الصغيرة إلى بيت زوجها يجب أن يعاقب بهذا القانون" (٩٤).

وفي الأسبوع الأول من أكتوبر ١٩٢٩م بلغ المؤلف الخامسة من عمره فالتحق بمدرسة من مدارس لاهور الثانوية وهي " مدرسة سيكرد هارت (أي القلب المقدس) الإرسالية" وفي اليوم الأول من أيام مدرسته كانت أم المؤلف قلقة مضطربة تفكر في أمره قائلة من نفسها "كيف يقضي ابني هذه الساعات الطويلة بعيدا مني" فكان إقبال يهدئها ويعزيها بين حين وآخر ولكنه هو نفسه كان يتجه إلى (علي بخش) في شيء من القلق سائلا "متى يعود جاويد إلى البيت؟" وبعد نهاية الدراسة بالمدرسة بلغ المؤلف منزله فرآي أمه (سردار بيكم) وافقة في الردهة تنتظر مجيئه كما أن إقبالا خرج من غرفته فدخل القسم النسوي من البيت ولم يزل يسأل المؤلف أشياء عن المدرسة ولعل الشيخ (محمد علي جوهر) كان قد جاء إلى لاهور ليزور إقبالا خلال هذه الفترة فرآه المؤلف كما يتذكر الآن كان هذا الشيخ متناسب الجسم متوسط القامة مع لحية تدل على شيخوخته وكان أنيقا في ملابسه مرحا في أطواره مكثرا من أكل الأطعمة الشهية وكان قد جاء بعلبة من الشوكولاة من (بومباي) كهدية له ولم تكن أية كلفة بينه وبين إقبال فكان صريحا في الحديث إليه وذلك مما أدهش المؤلف وأعجبه إذ كا الشيخ ينادي إقبال باسمه وبدون أي لقب أو كنية على عكس ما عهده المؤلف من حديث الناس إلى إقبال في حذر واحترام وكان يتعش عادة مع إقبال وكان يندفع في الضحك فتتردد

أصوال ضحكة في (الغيلا) كما أن أم المؤلف (سردار بيكم) كانت تعد له الأطعمة المتنوعة الشهية.

ويذكر المؤلف بأنه كان قد سافر مع أبويه . إقبال وسردا بكيم مرة أو مرتين إلى مدينة سيالكوت. وكان جده (شيخ نور محمد) قد طعن في السن وبلغ من الكبر ضعفا ووهنا وكان يقضي معظم وقته وهو جالس على السرير في غرفته وحين عرض عليه المؤلف يومذاك نظر إليه ووضع يده الضعيفة المرتعشة على عينيه فسأل عنه قائلا: "من هذا؟ " فقيل له هذا (جاويد) فابتسم له وأخذ علبة تصدير كانت في طاق فاخرج منها حلوية (برفي) فأعطاها للمؤلف ليأكلها.

وفي ٣١ / اكتوبر ١٩٢٩م أعلن (اللورد أرفين) نائب الأمبراطور البريطاني على الهند بأن الحكومة البريطانية تعتزم عقد مؤتمر المائدة المستديرة بلندن يحضره الممثلون من الإمارات المحلية والهند البريطانية ليناقضوا قضية الدستور الجديد للهند. أما الكونجرس الهندي فإنه لم يعر أي اهتمام لهذا الإعلان وذلك لأن الكونجرس كان قد أبلغ حكومة الهند ابلاغا نهائيا حول الموافقة على "تقرير (نهرو)" فأخذ يستعد استعداد الحركة عدم التعاون حين ينتيهي مدة الابلاغ النهائي. أما إقبال وبعض زملائه السياسيين فقد رحبوا بالإعلان واصدروا بيانا صحفيا في ٣/ نوفيمبر ١٩٢٩م قالوا فيه بأن نجاح هذا المؤتمر وتوقف على تحقيق الشرطين الاثنين الأساسيين ، أولا: تسوية الخلافات الطائفية المريرة التي توجد بين الهنادكة والمسلمين قبل أن يغادر ممثلوهم للحضور في هذا الاجتماع التاريخي. ثانيا: أن الممثلين الذين سيشاركون في هذا المؤتمر يجب أن يمثلوا أقوامهم تمثلا حقيقيا(٩٥).

وفي الأسبوع الأخير من فوفيمبر ١٩٢٩م سافر إقبال إلى (عليكره) حيث ألقى ثلاث محاضرات عن الالهيات الإسلامية أمام طلاب الجامعة الإسلامية وأساتذتها وكان رئيسها في ذلك الوقت هو (السير رأس مسعود) وفي ٢٩/ نوفيمبر ١٩٢٩م عقد الاتحاد الطلابي للجامعة حفلة استقبال لإقبال وعرضوا عليه عضوية الاتحاد الفخرية مدى الحاية فقال إقبال وهو يشكر اتحد الطلبة (٩٦):

"وسأحدثكم اليوم بأشياء لا توجد في الكتب وإنما ترجع كلها إلى ما مررت بها من تجاربي الشخصية فأنتم على علم بأننا نحن على صلات بأوربا عامة وبانكلترا خاصة منذ مدة وقد وصل إلينا أشياء كثيرة من عندهم منذ ذلك الوقت وعلى رأسها الآداب الانجليزية والشيء الثاني هو الأفكار الاروبية وأما الشيء الثالث الذي وصل إلينا من انكلترا فهو شيء قد اشتبه علينا مكانته وقيمته وهذا الشيء الثالث هو الديموقراطية إن هذه الديموقراطية التي قد وصلت

إلينا بشكلها الحاضر وسيصل إلينا قدر كثير منها في المستقبل إلا أن هذا الشكل والقدر منا لديموقراطية هذه مما لا يعجبتني كثيرا ولست عنها براض.

أما أنا شخصيا فلست من الذين يعتقدون في هذه الديموقراطية ولكنني رضيت بها في الظروف الحالية لا لسبب غير أنني لا أجد لها بديلا في الوقت الحاضر والشيء الاخر الذي أريد أن الح عليه عليه اليوم هو حاجتنا إلى اكتشاف ماضينا وأدراكنا لتاريخنا ادراكا صائبا صحيحا ولست من الذين يحبون ماضيهم وحده وإنما أنا أؤمن إيمان قويا بمستقبلنا أيضا ولكنني في حاجة إلى الماضي لكي أتمكن من فهم حالنا وادراك حاضرنا وذلك لكي أعرف ماذا يحدث في العالم الإسلامي اليوم ولهذا السبب أريد كم أن تدركوا هذه الحقيقة وتستوعبوا ماضيكم وتفهموه جيدا وبما أننا أمة لاتعرف مبادئ المدنية الحديثة ومحاسنها وقيمها فقد تخلفنا عن الشعوب الأخرى في الحصول على العلوم المعاصرة.

أنني أريدكم أن تبحثوا عن الحلقات المفقودة التي تربط ماضيا وبمستقبلنا ومن بين هذه الحلقات المفقودة أن هذه العلوم المعارصرة تقوم على المبادئ الاستقرائية ومبدأ الاستقراء نعمة قد أنعم بها القرآن الكريم على العالم البشرى فإن نتائج الطرق الاستقرائية وأثمارها قد ظهرت لنا جلية واضحة اليوم.

فإنني لم أزل أدرس القرآن الكريم دراسة عميقة منذ عشرين سنة ماضية إذ أنني أجلس كل يوم بانتظام لا تلو أيا منا لذكر الحكيم إلا أنني لا أستطيع أن أقول حتى اليوم بأنني قد تمكنت من فهم البعض منه وأدركته ادراكا نهائيا فإذا وفقني الله يوم وأتاح لي الفرصة فسأولف كتابا أجمع فيه جميع الوقائع التاريخة التي جعلت العالم الحديث يتطور ويتقدم حتى وصل إلى أهداف الحياة التي جاء بها القرآن الكريم فاطلع عليها العالم البشرى.

وآمل في أن هذه الجامعة سوف تعد عددا من العلماء يكرسون حياتهم لدراسة القرآن الكريم ويركزون على معانيه وأهدافه. إنني أريدكم أن تشاركوني في هذا العمل فمنذ العديد من السنوات الماضية أنا لا أملك غير جسد وهذا الترابي. أما قلبي وروحي فهما وقف على خدمتكم وسيظلان كذلك ما دمت حيا.

ومما كان يتمنى إقبال الوحدة الشاملة بين المسلمين الهنةد قبل مؤتمر المائدة المستديرة ثم الوحدة بين الهنادكة والمسلمين إذا أمكن ذلك. وحينئذ يمكن لمؤتمر المائدة المستديرة أن يأتي باثمار مفيدة ونتائج مشجعة وقد تحدت ثوما عن هذا الموضوع في اجتماع عقد "بقاعة (بركت علي) المحمدية" بلاهور في ٢٩/ديسمبر ١٩٢٩م فقال بكل الحاح وتعاطف: وهو يخاطب الجمع:(٩٧)

"لله أرجوكم أن تقوموا بما تقدرون عليه من أجل الاحتفاظ بحقوق المسلمين وعليكم أن تحرقوا هذه المنصات المتفرقة كلها واصنعوا لكم منصة واحدة وعليكم أن تعقدوا مؤتمرا لكم قل أن تشاركوا في مؤتمر المائدة المستديرة القادم كما يجب عليكم أن تعطو فرصة أخرى للهنادكة أيضا وذلك لتتم حجتنا عليهم لكي يتفاهموا معنا إذا أمكن رغم أنني لست على ثقة ويقين عن ذلك التفام فإننا سنواجه انكلترا بكل ثقه ويقين".

وقد بدأت حركة عدم التعاون الهندوكية ضد الحكومة البريطانية في يناير ١٩٣٠م واستمرت طوال السنة تقريبا ولكن المسلمين لم يشاركوا في هذه الحركة غير فئة المسلمين الوطنيي وفئة دلهي من جمعية العلماء المسلمين الهنود.

وفي ٧/ مارس ١٩٣٠ ألقى إقبال كلمة وهو يتحدث عن الميزانية الإقليمية السنوية في مجلس بنجاب التشريعي وقد كانت هذه الكلمة هي آخر كلماته في المجلس فقال إقبال في كلمته هذه:

"إن الإقليم لا يزال مديونا قبل ذلك وأن شكلة البطالة تشتد يوما فيوما حتى أصبحت خطرا اجتماعيا كبيرا وأما التجارة فقد كسدت أسواقها وإن الحكومة السائدة تنفق أموالا ضخمة لا نهاية لها على إدارتها الحكومية بينما لا تنفق شيئا من ميزانيتها على الصناعات وتقدمها فإنني أقترح على الحكومة بأن الجو الإقليمي والظروف المحلية صالحة لصناعات النسيج والاقمشة والاحذية فيجب على الحكومة أن تشجع هذه الصناعات وذلك لأن التقدم الصناعي وحده يستطيع أن يقضي على لعنة البطالة التي يعاني منها لشعب اليوم (٩٨)"

وأعلن (محمد علي جناح) عقد اجتماع المجلس للرابطة الإسلامية في ١٣/ يوليو ١٩٣٠م لكي يتمكن من وضع سياسة الرابطة فيما يخص مؤتمر المائدة المستديرة ولكي يتمكن الممثلون المسلمون المشاركون فيه من تقديم المطالبات الإسلامية الموحدة فقرر المجلس التنفيذي للرابطة الإسلامة عقد اجتماعها العام بمدية (لكنؤ) في ١٧/ أغسطس ١٩٣٠م فاقترح (محمد علي جناح) أن يترأس إقبال هذا الاجتماع فوافق عليه المجلس التنفيذي بالاجماع ثم اتصل (محمد علي جناح) بإقبال الذي وافق أن يترأس ذلك الاجتماع ولكن على حد تعبير (سيد شمس الحسن) أجل هذا الاجتماع لأن السير (فضل حسين) كان يريد أن يرسل ممثلا بنجابيا ممن يحبه ليمثل بنجاب في مؤتمر المائدة المستديرة وكان يريد أن يضع سياسة من قبله يسترشد بها الممثلون في المؤتمر ومن ثم كان أنصاره يلحون على تأجيل الاجتماع بينما لم يكن يزيد أعضاء الملجس التفيذي أن يؤجل الاجتماع

بل أنهم كانوا يتهمون (السير فضل حسين) بأن غرضه الحقيقي من تأجيل الاجتماع إنما هو أن يقف في سبيل إقبال ويمنعه من المشاركة في مؤتمر المائدة المستديرة لأن إقبالا إذا استطاع أن يترأس اجتماع الرابطة فمن الازم أن يوجه الدعوة إليه بصفته رئيسا للرابطة الإسلامية ليشارك في مؤتمر المائدة المستديرة على كل حال فإن إقبالا رجا المجلس التنفيذي بتأجيل الاجتماع فوافق المجلس على ذلك ثم كانت محاولات أخرى لعقد هذا الاجتماع بمدينة (لكنؤ) في اكتوبر ١٩٣٠م قبل أسبوع أو أسبوعين من انعقاد مؤتمر المائدة المستديرة إلا أن الاجتماع لم يعقد ثم اختاروا مدنية (بنارس) لهذا الاجتماع ثم اقترحوا مدينة(اجمير) كموعد الاجتماع وأخيرا اتفقوا أن يعقد هذا الاجتماع في ٢٩/ ديسمبر ١٩٣٠م بمدينة (إله آباد) (٩٩).

وفي ١٧/ أغسطس ١٩٣٠م توفي (شيخ نور محمد) بمدينة (سيالكوت) وكان إقبال يعود والده في (سيالكوت) بين واخر فذهب إلى (سيالكوت) ليقوم بما يجب عليه من جنازة والده ودفنه ثم عاد إلى لاهور وكان (شيخ نور محمد) والد إقبال بطبيعته رجلا متدينا واسع القلب حليما يعفو عمن يؤذيه ولو كان بدون مبرر وكان بسيطا متواضعا صالحا مشفقا مسالما وأما أبناه (عطا محمد) و (محمد إقبال) فقد ورثا من أبيهما البعض من هذه المكارم والشمائل إلا أن الفرق بين الوالد وبين ابنيه كان شاسعا جدا وعلى لافتة ضريح (شيخ نور محمد) قطعة شعرية قالها اقبال وهو يسجل وفاة والده:

بدر ومرشد إقبال ازين عالم رفت
ما هما را هروان منزل ما ملك ابد

هاتف از حضرت حق درخواست دو تاريخ رحيل آمد آواز "اثر رحمت" (١٣٤٩هـ) و"أغوش لحد" (١٣٤٩هـ)

وترجمة القطعة الشعرية:

قد مات والد إقبال ومرشده وسافر من هذه الدنيا.إننا جميعا عابروا سبيل وهدفنا هو موطن الابد . وإن الهاتف الداعي طالب من حضرة الحق تاريخين لرحله الفقيد فارتفع صوت يقول:إنه " اثر رحمة" و "حضن لحد" .

فكلمتا "اثر رحمت " و"آغوش لحد" تدلان بقيمة حروفها الابجدية على تاريخ الوفاة.

وفي ٣١/أغسطس ١٩٣٠م ولدت (سردار بيكم) بنتا لإقبال وهو لا يزال

نازلا بمنزله الذي كان على شارع (ميكلود) بلاهور وحين علمت الأم بأن ما ولدته وليدة ظهر اضطراب على وجهها وقالت يا الله. ما ذات سيحدث بها وما ذا سيكون مصيرها لأنه (أي إقبال) لن يعجبه أحد من الناس يستحق أن يكون له صهرا وكان إقبال قد أعد كشفا لاسماء البنات التي كان معجبا بها وبعث بها قبل سنة إلى ابن شقيقة(اعجاز احمد) حين ولدت له ابنته الأولى وهذا هو كشف الأسماء التي أحبها إقبال(١٠٠):

منيرة بيكم ومنيره شرقية وقرة العين وارجمند بيكم وعاصمة وفروغ عاصمة وكوثري بيكم وانوري بيكم واسماء وسليمي وخجسة بيكم فاختار (اعجاز احمد) من بين هذه الاسماء لابنته اسما وهو(عاصمة) وأما إقبال فاختار اسما لابنته (منيره بيكم).

وقد بدأ مؤتمر المائدة المستديرة الأول في ١٢/ نوفيمبر ١٩٣٠م بمدينة لندن وانتهى في ١٩/ يناير ١٩٣١م ولم يشارك الكونجرس الهندي في هذا المؤتمر وأما الرابطة الإسلامية فلم يسمح لها (السير فضل حسين) أن تعد سياسة متفقا عليها ومن ثم لم تكن وحدة بين الممثلين المسلمين في المؤتمر بما فيهم (محمد علي جناح) و (مولانا محمد علي جوهر) و (السير آغا خان) و (السير محمد شفيع) و (فضل الحق) من بنغال وأما إقبال فلم يكن بين هؤلاء الممثلين المسلمين كما أن المؤتمر لم يصل إلى أية نتيجة فأعلن رئيس وزراء بريطانيه عقد مؤتمر المائدة المستديرة الثاني وكان هذا مما مهد الطريق للكونجرس الهندي ليشارك في المؤتمر وأما (مولانا محمد علي جوهر)فقد توفي بلندن في ٤ يناير ١٩٣١م وأما (محمد علي جناح) فكان قد سئم من الحكومة البريطانية والهنادكة ومن موامرة المتملقين للانجليز من الزعماء الهنادكة والمسلمين مما جعله يعتزل عن السياسة ويقيم في لندن ويشتغل بمهنة المحاماة هناك ثم عاد إلى الهند بعد ثلاث سنوات في ديسمبر ١٩٣٣م. وقد تم على يديه نهضة الرابطة الإسلامية في ١٩٣٤م.

وعند ما بدأ المؤتمر قامت حكومة حزب العمال البريطانية لكي تقنع الممثلين المسلمين من بنجاب وبنغال حتى يرضوا بمبدأ الانتخاب المختلط فألحوا على (السير محمد شفيع) و (فضل الحق) لتحقيق هذا الغرض وعند ما وصل هذا النبأ إلى الهند أقلق إقبالا للغاية فبعث برقية إلى (آغا خان) في ١٥ نوفمبر ١٩٣٠م (١٠١).

"إن الأنباء الأخيرة التي وصلت إلينا قد أقلقتنا كثيرا وأن الرأي المسلم العام في

بنجاب يأخذ بالقرار الذي اتخذه مؤتمر (دلهي) الإسلامي وإنهم لن يرضوا أبدا بأي تغيير أو تعديل في هذا القرار فلو حدث أي تغيير فإن الشعب المسلم الهندي لن يثق بقادته بعد ذلك أبدا وإن الهنادكة إذا لم يوافقوا على ما يطالب به المسلمون فعلى الممثلين المسلمين أن يقاطعوا المؤتمر ويعودوا إلى بلادهم"

وقد أغضبق هذه البرقية الصحف الهندوكية المحلية فثارت ضد إقبال وأثارت ضحة ضده حتى أن جريدة " تريبيون " اللاهورية علقت على قضية البرقية فنقدت إقبالا نقدا عنفيا واتهمته بأنه هو الوحيد الذي يقف في سبيل الله التفاهم بين الهنادكة والمسلمين (١٠٢). ولكن إقبالا لم يحفل بهذا الهجوم من الشائعات الكاذبة والنقد الطائفي المرير لأن الجرائد المسلمة في بنجاب لم تكن تؤيد وجهة نظهر إقبال هذه فحسب وإنما شنت هجوما على الصحافة الهندوكية واقترحت بإشارة من إقبال عقد مؤتمر فوري لمسلمي الهند الشمالية (أي مناطق سرحد وبلوجستان والسند) كخطوة عملية للتفاهم بين الهنادكة والمسلمين كما أن هذه الجرائد أيدت تأييدا قويا لاقتراحات دلهي وقالت إن هذه الاقتراحات هي خير أساس للتفاهم بين الهنادكة والمسلمين فقال إقبال في ٢٣/ نوفيمبر ١٩٣٠م وهو يتحدث إلى مراسل" مسلم آوت لك" (الرأي الإسلامي) عن هذا الموضوع (١٠٣):

"إن مسلمي بنجاب وغيرها من المناطق الإسلامية لا يزالون يتمسكون بمبدأ الانتخاب المنفصل للمسلمين تمسكا قويا وكان رئيس اجتماع المؤتمر الإسلامي الهندي المعقود بمدينة (لكنؤ) (الأمير محمد إسماعيل خان) بعث قرقية إلى (السير آغا خان) يخبره بأن المسلمين لن يتنازلوا عن مبدأ الانتخاب المنفصل للمسلمين وذلك نظرا إلى رأي عامة المسلمين اعتقادا منه بأن الحل الوسط حول المشاكل المذهبية والطائفية قد يضر مصالح مسلمي الهند كما أن البرقيات المتضمنة لهذه الأراء كانت قد أرسلت إلى (السير آغا خان)وغيره من الممثلين من قبل مسلمي بنجاب وغيرها من المناطق وقد ظهر اقتراح عن عقد اجتماع لمسلمي بنجاب ومناطق الهند الشمالية الأخرى لمدينة لاهور لكي يتمكنوا من التعبير عن موافقهم وآراءهم عن هذا الحل الوسط وأن الأقاليم التي فيها أغلبية إسلامية يجب الأصرار فيها على تحقق الأغلبية الإسلامية وتصرفها العملي"

ومن أجل التحقيق العملي لهذا الاقتراح اجتمع كبار الزعماء المسلمين بدعوة من إقبال في اجتماع "بقاعة (بركت علي) المحمدية" بلاهور في ١٣/ نوفيمبر ١٩٣٠م وتحدث إقبال في الاجتماع عن عرضه فقال (١٠٤):

"ونظرا إلى الأوضاع المعاصرة والظروف الراهنة يجب عقد مؤتمر خاص لمسلمي

الهند الشمالية بما فيها إقليم سرحد وبلوجستان وبنجاب والسند كما أنه يجب اتخاذ الخطوات الحكيمة العملية من أجل إيقاظ المسلمين في هذه الأقالم وتنظيمهم لتحقيق الحقوق الإسلامية لهم"

وفي هذا الاجتماع نفسه تكونت لجنة استقبالية للمؤتمر الإسلامي الهندي وانتخب إقبال رئيسا لهذا المؤتمر وفي ٤/ ديسمبر ١٩٣٠م عقد اجتماع اللجنة الاستقبالية في منزل إقبال بشارع(ميكلود) بلاهور واتخذوا قرارا بأن اجتماع الرابطة الإسلامية السنوي سوف يعقد في ديسمبر ١٩٣٠م بميدنة (اله آبا) ويترأسه اقبال ومن ثم يجب أن يعقد مؤتمر مسلمي الهند الشمالية في الأسبوع الأخير من يناير ١٩٣١م بدل شهر ديسمبر ١٩٣٠م وفي ١٩/ ديسمبر ١٩٣٠م وزع رجاء على كبار الشخصيات الإسلامية في سرحد وبلوجستان وبنجاب يشرح أهداف المؤتمر الإسلامي للهندي الشمالية من قبل إقبال وغيره ومن أعضاء اللجنة الاستقبالية وفيما يلي مقتبسة من هذا الرجاء يستحق دراستنا واهتمامنا(١٠٥):

"إن الفرص من عقد هذا المؤتمر إنما هو إعلام المسلمين في هذا الأقاليم بالظروف الحاضرة والحركات السياسية المعاصرة إلى جانب إعلامهم عن السياسة العملية للشعوب المتجاورة لنا وسياسة الشعب الحاكم على الهند لكي نتمكن من تنبيههم على الأخطار التي تهدد مستقبل أمتنا الإسلامية ثم نستطيع أن نوجه رسالة العمل والنشاط من أجل الحفاظ على الإسلام والدفاع عن حقوق المسلمين في الهند لكي يعرفوا بأن أغلبية مسلمي الهند توجد في هذه الأقاليم وأن الله العليم الحكيم الخبير لم يجمع بينهم كأغلبية إسلامية إلا لتحقيق بعض المصالح والأهداف وأن هذه المصالح والأهداف لم تعد تخفي على أحد وإنما أخذت تتضح وتظهره على أهل العلم والحكمة ظهور الشمس المشرقة وأنه يجب على هذه الأغلبية أن يدرك مكانتها الحيوية ووضعها الحاسم".

إلا أنه لم يبق حاجة إلى عقد مؤتمر لمسلمي المناطق الهندية العالية أو الهند العالية لأن (السير آغا خان) كان قد استلم برقية إقبال وأكد له بأن الأنباء عن تفاهم مع الهنادكة على أساس التنازل عن الحق النيابي المنفصل للمسلمين لا أساس لهفا أصلا وبالإضافة إلى ذلك فإن إقبالا قد تم انتخابه ليترأس الاجتماع السنوي للرابطة الإسلامية المقرر عقده في ديسمبر ١٩٣٠م فقد كان بامكانه أن يعبر عما أراد تعبيره في ذلك الاجتماع كما أنه كان يجب انتظار النتائج لمؤتمرات المائدة المستديرة التي استمرت إلى ١٩٣٣م وكذلك فلم يعد المسلمون في مناطق الهند العالية في حاجة إلى عقد مؤتمرهم فيما بعد رغم أن إقبالا لم يزل يفكر في

هذا المؤتمر إلى أخريات حياته (١٠٦).

وفي ٢٧/ديسمبر ١٩٣٠م تقرر أن يحضر نظام (لقب الأمير الحاكم) حيدر آباد الدكن ليترأس الاجتماع السنوي "لجمعية حماية الإسلام" إلا أن الظروف الشخصية أكرهته على أن لا يخرج من (حيدر آباد)فاتذر إلى الجمعية فترأس الأمير (صادق علي خان) حاكم إمارة بهاولبور هذا الاجتماع السنوي للجمعية فقدم إقبال كلمة التهنئة في حضرى الأمير بتلك

المناسبة (١٠٧) وسافر إلى مدينة (اله آباد) في اليوم التالي ليترأس اجتماع الرابطة الإسلامية.

وقد اتضح لنا مما مضى بأن شاعرا فيلسوفا معتزلا من أمثال إقبال لم يدخل السياسة العملية ويتحول في الأزقة والحارات إلا ليقوم بواجبه في إيقاظ المسلمين وتنظيمهم في المجال الاقليمي والوطني لينهضوا من أجل تحقيق مطالبهم وأهدافهم وليقوموا وجها لوجه أمام الأغلبية الهندوكية والحكومة الانجليزية الاستعمارية وأن العهود التي أعطاها في كلماته خلال الهجوم الانتخابي قد قام بتحقيقها عمليا داخل المجلس التشريعي وخارجه فدافع عن حقوق المسلمين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

وقد ظهر جانب جديد من جوانب شخصية إقبال في مجلس بنجاب التشريعي وهو أنه كان خطيبا برملانيا محنكا من الطراز الأول ولم يكن يتناول موضوعا للحديث عنه إلا وقد استعد له استعداد جيدا. إن كلماته البرلمانية هذه كانت مليئة بالحقائق والاحصائات والمعلومات القيمة إلى جانب البحث العميق والتحقيق الدقيق وكان ينشد الأبيات الشعرية خلال الخطب إلى جانب ملامح السخرية والمزاح الطبيعي في كلماته البرلمانية هذه، وبالإضافة إلى ذلك فإن إقبالا كان يتقدم زملاءه في التكفير دائما وذلك بصفته مفكرا فيلسوفا ومع أنه قد انضم إلى الحزب الاتحادي إلا أ نه سئم من موافقه بكل شرعة فكان يعارض زعيم الحزب (السير فضل حسين) دائما وحين اتخذ موقف العضو المستقل في المجلس لم يتردد في أداء الثمن لهذا الاستقلال مهما كان غاليا ومن الصحيح أن كلماته هذه داخل المجلس لم تكن إلا صوتا غير مسموع ولكن البعض من اقتراحاته قد كانت واسعة المدى بالغة الأثر فمنها ما اقترح به من التخفيض في جباية المحاصيل مثل التخفيض في ضريبة الدخل بمقداره الخاص مما أفاد الفلاحين الزارعين الصغار إلى جانب فرض الضريبة على الأموال الضخمة الموروثة وتسليم الضرائب والمحاصيل إلى الحكومات المحلية في الأقاليم.

فهذا (محمد احمد خان) الكاتب المؤلف يقول مقوما لما قام به إقبال من الخدمات السياسية وخاصة داخل المجلس الاقليمي التشريعي في كتابه الخاص عما حققه إقبال في مجال السياسة (١٠٨):

"وقد تناول إقبال كعضو نائب داخل المجلس التشريعي الموضوعات الكثيرة بين حين واخر وتحدث عنها بأسلوب لبق سلس فمنها: التقدم الاقتصادي العام للأقليم والمساعدة المالية للطبقات الفقيرة ومنع إهانة الاسلاف وزعماء الأديان والحظر على الخمور، وحرية استخدام السيف، وتشجيع الطب الإسلامي وطرق العلاج الفيدية القديمة وتنظيف المناطق الريفية والمساعدة الطبية للنساء والمساعدة المالية للمعاهد التعليمية الإسلامية وفرض الضرائب على الأموال الضخمة الموروثة واقتراح تسليم المحاصيل وضرائب الدخل للحكومات المحلية في الأقاليم والتخفيض في الرواتب الكبيرة والتقدم الصناعي الاقليمي وغيرها من المشاكل إلا أن المشاكل ا لتي اهتم بها إقبال اهتماما بالغا وتحدث عنها في المجلس بأسلوب قوي مقنع هي الضرائب والمحاصيلوخاصة التخفيض في المحاصل الزراعية وتخلف المسلمين في مجال التعليم والمدارس الإسلامية التي ظلمها الحاكم المستعمر ماليا وكبدها الاضرار الفادحة".

وكذلك فإن إقبال كان يظهر في كل زقاق وحارة من المدينة خارج المجلس التشريعي وخاصة خلال هذه الفترة الهائجة المائجة العاطفية حيث كانت المشاغبات الطائفية تنشب بين حين وآخر فكان يخرج إقبال كزعيم سياسي شعبي فينصر المظلومين ويحاول تحقيق التفاهم بين الهنادكة والمسلمين كما أنه كان يقود المواكب الشعبية للمسلمين المتظاهرين لكي لا يتركهم يثورون ويطفون وتتغلب عليهم المشاعر والعواطف ولم يزل إقبال يبذل جهوده للوحدة بين مسلمي شبه القارة لكي يتمكنوا من الاهتمام بشؤونهم القومية وحقوقهم الوطنية ويفهموا الاوضاع المعاصرة والظروف الراهنة وكذلك فإن إقبالا كان يريد من المسلمين أن يكونوا على علم بمشاكل العالم الإسلامي كله لكي يطلعوا على ما يجري في أفغانستان الدولة الإسلامية الجارة لهموما يجري من ارتكاب المظالم والفظائع على المسلمين في فلسطين وغيرها من البلاد الإسلامية.

إن ما حققه إقبال خلال هذه السنوات الخمسة في مجال السياسة الإسلامية الهندية يستحق اهتمامنا الخاص فإن تطور الفكر السياسي عنده قد تم خلال هذه الفترة نفسها فقد كان من أنصار القومية المسلمة منذ البيداية ومن ثم كان يعتقد بأن المسلمين في أشد الحاجة إلى الاحتفاظ بمبدأ الانتخاب المنفصل لهم وذلك

لكي يكون علامة للتشخص القومي الإسلامي الدائم ولم يكن إقبال يريد أن يتنازل عن هذا المبدأ بأية حال. فهذه هي النقطة الأساسية التي يدور حولها فكر إقبال السيباسي. ومن أجل هذا المبدأ الانتخابي لم يزل إقبال في نزاع مرة مع الكونجرس الهندي وأخرى مع (محمد علي جناح) وفي بعض الأحيان مع الشيخ (محمد علي جوهر) ومع (السير محمد شفيع) في أحيان أخرى إلا أنه لم يتزلزل ولم يتزعزع وإنما استقام على موقفه استقامة قوية.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن بهذه المناسبة هو: متى نشأت فكرة الدولة الإسلامية المشتملة على أقاليم الأغلبية الإسلامية في الشمال الغربي من الهند وكيف ومتى آخذت خطوط هذه الدولة تظهر وتتجلى في ذهن إقبال بعد أن دخل في مجال السياسة العلمية؟ والرد على هذا السوال يحتاج إلى اقتباسات من خطب إقبال وكلماته السياسية وسرد المبعض من الحوادث التاريخية على الترتيب:

ففي أول مايو ١٩٢٧م ألقى إقبال كلمة في اجتماع فرع بنجاب الإقليمي للرابطة الإسلامية فنقد قسما من "اقتراحات دلهي" نقدا عنيفا لأنها اشتملت على اقتراح بالتنازل عن الحق النيابي المنفصل للمسلمين وفي ٢٨/ يونيو ١٩٢٨م أصدر إقبال بيانا صحفيا عبر فيه عن عدم اهتمامه بالحكومة الفيدرالية وإنما أصر على ما كان يطالب به من السلطة المحلية الكاملة لأقاليم الأغلبية الإسلامية وفي ٢٩ ديسمبر ألقى كلمة في اجتماع المؤتمر الإسلامي للأحزاب السياسية كلها بمدينة دلهي وقال فيها بأن البعض من مناطق الهند يعيش فيها الأغلبيات الإسلامية بينما يوجد مناطق يعيض فيها أقليات إسلامية ففي مثل هذه الظروف يجب على المسلمين أن يعدوا برنامجا سياسيا مستقلا لهم.

ويحدثنا (عبد السلام خورشيد) بأن (مولانا مرتض أحمد خان) كان قد نشر أربع حلقات من المقالات في جريدة "انقلاب" اللاهورية خلال هذه الفترة فاقترح فكرة إنشاء الدولة الإسلامية المستقلة في بنجاب وسرحد والسند وبلوجستان وأشار على الهنادكة والمسلمين أن يركزوا جهودهم على تحرير بلادجهم بصفة منفردة ولا يحول أحدهما دون الاخر وإنما يجب أن تقصر جهودهم على طرد الاستعمار الانجليزي من الهند والقضاء على حكومته فعلقت جريدة "برتاب" الهندوكية اللاهورية على هذه الحلقات من المقالات فقالت في شيء من الازدراء والسخرية بأن المسلمين يريدون انشاء "اسلاميتان" في " كفرستان" هذه وهذا نص ما قاله (عبد السلام خورشيد) : (١٠٩)

"كنت قد سألت والدي المغفور له (مولانا عبد المجيد سالك) قائلا: هل كان

(مولانا مرتضى أحمد خان) قد أعد هذه المقالات بنفسه أم بدعوة واقتراح من غيره؟ فأخبرني قائلا: كنا نختلف يوميا إلى العلامة إقبال فكنا نتنافش في المشاكل السياسية خلال لقاءاتنا هذه وخاصة في الفترة التي كانت مقاطعة " لجنة سائيمان" ومعارضة " تقرير نهرو" على السنة الناس فكان العلامة إقبال يرى في تلك الفترة أيضا بأن الحل الموحيد لمشكلة الهنادكة والمسلمين هو إنشاء دولة إسلامية مستقلة ولكنه كان مرتبطا بالرابطة الإسلامية ولم يكن بإمكانه أنيتقدم بمثل هذا الاقتراح على عامة الشعب ولو فعل ذلك لانقطع ارتباطه بالقادة والزعماء المسلمين وبما أننا نحن (أي مولانا غلام رسول مهر) و (عبد المجيد سالك) أسرة جريدة "انقلاب" كنا نكافح من أجل حقوق المسلمين تحت قيادة العلامة إقبال وبطبيعة الحال لم نكن نحن أيضا في مركز نتقدم فيه باقتراح ثورى مثل هذا الاقتراح من طريق (مولانا مرتضى أحمد خان) لكي نعرف رد فعل عند الهنادكة في هذا الموضوع لأن (مولانا مرتضى أحمد خان) كان يشرف على قسم الأنباء في جريدة "انقلاب" ولم يكن مسؤلا عن سياستنا الصحفية فاعد (مولانا مرتضى أحمد خان) هذه المقالات تحت إشراف مباشر من العلامة إقبال وتعليماته الخاصة".

وفي بداية ١٩٢٩م كلف إقبال خبيرا جغرافيا من الألمان ليعد الخرائط السياسية له على اساس التقارير الإحصائية ونظرا إلى نسبة السكان من الهنادكة والمسلمين في الأقاليم الهندية المختلفة وكانت النقط الصفراء في الخرائط تدل على السكان الهنادكة كما أنه النقط الخضرا كانت تدل على السكان المسلمينويحكي لنا (شيخ مختار أحمد) ابن شقيق إقبال والذي كان الخبير الألماني نازلا في غرفته وكان يعد الخرائط لأن هذه الخرائط كانت تسلط أضواء مفصلة على السكان الهنادكة والمسلمين في المحافظات المخلفة لأقاليم بنجاب وبنغال وأغلب الظن أن حكومة باكستان وجهت إليه الدعوة لزيارة باكستان الرسمية كضيف للدولة تقديرا لخدماته التي قام بها بدعون من إقبال. وذلك في سنة١٩٦٦م أو ١٩٦٧ وقد جاء هذا الخبر الألماين إلى لاهور خصيصا لزيارة المؤلف والمرحوم (شيخ مختار أحمد).

وفي ٤/مارس ١٩٢٩م اقترح إقبال وهو يتحدث في مجلس بنجاب التشريعي عن الميزانية السنوية بأن تكون ضريبة الدخل محصولا إقليميا فاستغرب الناس هذا الاقتراح في ذلك الوقت ولم يستطع أحد منهم أن يقدر الخلفية العقلية والفكرية التي كانت وراء اقتراح إقبال هذا وكان يرى إقبال بأن الحكومة المركزية تستطيع أن

تأخذ نصيبها الواجب من ضرائب الدخل وأما بقيتها فيجب أن يكونملكا للحكومات الإقليمية.

وفي ٣٠/ ديسمبر ١٩٢٩م عقد اجتماع مؤتمر الخلافة بلاهور وحضره كبار الزعماء بما فيهم إقبال فألقى الأمير (السيد ذوالفقار على خان) كلمة فقال فيها:(١١٠)

"إن استقلال الهند وتقدمها يقصر على أن تخصصه مناطق للمسلمين في الهند الشمالية فيتكون منها إقليمان أوثلاثة أو يمكن ادغام هذه المناطق في إقليم موحد بحيث لا تقل نسبة السكان المسلمين فيها عن ثمانين في المائة وكذلك فيحب تقسيم بنغال في الهند الشرقية لتكون نسبة السكان المسلمين فيها ثمانين في المائة فعلى المسلمين الآن أن يطالبوا بانشاء وطن مستقل لهم بدل ما يطالبون به من الضمان لحقوقهم الدستورية"

وكان الأمير (السيد ذوالفقار على خان) هذا من أخلص أصدقاء إقبال وكان يرتبط مثله بالرابطة الإسلامية في مجال السياسة فمن الممكن أن يكون إقبال قد طلب إليه أن يدلى بهذا التصريح من منصة مؤتمر الخلافة كما كان قد طلب إلى (مولانا مرتضى أحمد خان) من قبل ليكتب سلسة من المقالات في جريدة "انقلاب" كما مر بنا ثم اقترحت الجرائد الإسلامية الاقليمية بإشارة من قبل إقبال في نوفمبر ١٩٣٠م بعقد اجتماع فوري للمؤتمر الإسلامي فيصرح (عبد السلام خورشيد) قائلا عن ذلك (١١١):

"وكان إقبال قد دعا (مهر) و (سالك) رئيس التحرير لجريدة "انقلاب" و (سيد حبيب) رئيس التحرير لجريدة "سياسة" و(مجيد سالك) رئيس التحرير لجريدة (مسلم اوت لك) فتناقش معهم القضايا الإسلامية فظهرت جريدة "انقلاب" بكلمة افتتاحية " ع رئيس التحرير لجريدة (مسلم اوت لك) فتناقش معهم القضايا الإسلامية فظهرت جريدة "انقلاب" بكلمة افتتاحية على إشارة من إقبال فاقترحت عقد مؤتمر فوري يناقش المشاكل الخاصة بالمسلمين في الهند الشمالية وقد كانت هذه هي المناسبة الأولى حيث تم التخطيط لعقد مؤتمر محلى للمسلمين والافان المؤتمرات الإسلامية الماضية كانت تعقد إما على مستوى إقليمي أو على مستوى وطني".

وفي ٢٣/نوفمبر١٩٣٠م تم إنشاء مؤتمر إسلامي للهند العالية وانتخب إقبال رئيسا له وعقد الاجتماع الثاني للمؤتمر في ٢٩/ ديسمبر ١٩٣٠م وفي هذا الاجتماع تم إعداد رحاء باسم المؤتمر الإسلامي للهند العالية من قبل أعضائ مجلس الاستقبال بما فيهم إقبال وقد نشر هذا الرجاء في الجرائد وكانت عبارات

الرجاء تنم عن فكر إقبال فعلى سبيل المثال انظر إلى هذه الكلمات:

"إن أغلبية مسلمي الهند التي توجد في هذه الأقاليم قد جمعهم الله الحكيم العليم الخبير لمصلحة خاصة ولم يجمعهم فيها بدون أية مصلحة وأن هذه المصلحة لا تخفى على أهل العلم والرأي الآن".

وفي الاجتماع الثاني أثار بعضهم سوالا يقول بأن عقد هذه المؤتمر يعني بأن مسلمي الهند الشمالية لا يتعاطفون مع إخوانهم المسلمين في بقية المناطق من الهند ولا صلة لهم بهم وما دامت بنغال إقليم الأغلبية المسلمة فلما ذا أبعدناها من هذا المؤتمر ويتحدث عن ذلك (عبد السلام خورشيد) فيقول(١١٢):

"وأما السوال الأول فقد ردت عليه جريدة " انقلاب" بالنيابة عن العلامة إقبال فقالت إن المعارضة كلها إنما كانت قد تركزت ضد المسلمين في أقاليم الأغلبية المسلمة وأما أقاليم الأقليات المسلمة فإن نيابتهم فوق النسبة السكانية لم يعترض عليها أحد من الناس وحتى الهنادكة أنفسهم أو حكومة الهند الانجليزية أو "لجنة سائيمان" فالكل يوافق أن يمنحوا لهم الحق النيابي المعين فوق نسبتهم السكانية فما دامت المعارضة تتركز على أقاليم الأغلبيات الإسلامية فمن حق هؤلاء المسلمين أيضا أن يجتمعوا ويتشاوروا فيما بينهم للاحتفاظ بحقوقهم والدفاع عنها وأما الرد على السوال الثاني فقد قيل فيه بأن الدعوة إلى بنغال الإسلامية لم ترسل لأن المسافة بعيدة. أما إذا أراد المسلمون في تلك المنطقة أن يعقدوا مؤتمرا لهم فإن المسلمين في المناطق الشمالية الغربية للهند سيساعدونهم بكل وسيلة ممكنة".

متفقين فيما بينهم أي إذا لم يكن من الممكن إنشاء النظام الفيدرالي على أساس النقط الأربع عشرة فإن المسلمين سيتخذون الطريقة العلمية السياسية التي أشارت إليها الرابطة الإسلامية في اجتماعها بمدينة (اله آباد) ولكن هذه المحاولات فشلت بجهود بذلها (السير فضل حسين) وكان معظم الزعماء المسلمين قد سافروا إلى (لندن) للمشاركة في مؤتمر المائدة المستديرة قبل أن يلقى إقبال كلمته التاريخية في اجتماع الرابطة بمدينة (اله آباد) ومن ثم لم تتخذ الرابطة قرارا حول النقطة الرئيسية التي تركزت عليها خطبة إقبال التاريخية وقعد ١٩٣٠م واجهت السياسة الإسلامة الهندية افتراقا وتمزيقا خطيرين جدا فقد توفي (مولانا محمد علي جوهر) كما أن (محمد علي جناح) اعتزل عن السياسة العملية ونزل بمدينة لندن وقد بقي (السير محمد شفيع) رئيسا للرابطة الإسلامية خلال أشهر قليلة من ١٩٣٠م ولكنه وافق على ما اقترحه عليه نائب الأمبراطور الريطاني على الهند من عضوية

مجلس النائب الهندي ثم مات في ٦/فبرائر ١٩٣٢م وعلى جحد تعبير (سيد شمس الحسن) حاول السير (فضل حسين) بعد ذلك أن يقضي على الرابطة الإسلامية قضاء حاسما ونهائيا فقد استطاع بمساعدة بعض أنصاره في الرابطة أن ينتخبوا (السير ظفر الله خان) القادياني رئيسا للرابطة الإسلامية في اجتماعها بمدينة (دلهي) في ديسمبر ١٩٢١م مما اثار المسلمين في (دلهي) فاتجوا احتجاجا شديدا على انتخابه متظاهرين ضده لأنهم كانوا يرون بأن (السيد ظفر الاله خان) غير مسلم بصفته قاديانيا وخوفا من المزيد من التظاهرات نقل اجتماع الرابطة من قاعة مدرسة (فتح بوري) إلى منزل أحد المقاولين وكان اسمه (سيد نواب علي) وفي هذا الاجتماع تم إعداد خطة لامج الرابطة في المؤتمر الإسلامي للأحزاب الإسلامية الهندية وإنشاء منظمة سياسية جديدة ولكن من حسن حظ المسلمين أن انضم السير ظفر الله خان) إلى مجلس النائب الهندي في يونيو ١٩٣٢م فاستقال عن رياسة الرابطة الإسلامية وهكذا انقذها الله من الموت المحتوم فانتخب(ميان عبد العزيز) من أهل (بشاور) قائما باعمال الرئيس للرابطة فأراد أن يجعل من الرابطة حزبا طائفيا بالإكراه والغش ففصل (السير محمد يعقوب) عن منصب السكرتير للرابطة حتى فصل هو عن منصب الرئيس للرابطة بعد صعوبات شديدة في ١٩٣٣م فحل (حافظ هدايت حسين) محل (ميان عبد العزيز) رئيسا للرابطة ففي أثناء ذلك واجهت الراطبة هياجا وفسادا بسبب النفاق في قلوب بعض الأعضاء وفي خلال هذا الحادث الهائج انكسرت أسنان السيد(عثمان ازاد) رئيس التحرير لجريدة "انجم" وهكذا لاقت الرابطة المزيد من الافتراق والتمزيق واستمرت كذلك حتى الأسبوع الأخير من ديسمبر ١٩٣٣م حين عاد(محمد علي جناح) إلى الهند. وأخير في ٤/ مارس ١٩٣٤م انتخب (محمد علي جناح) رئيسا للرابطة وهكذا بدأت نهضة الرابطة الجديدة لتقوم بدورها الفعال الحاسم البناء في السياسة الإسلامية الهندية (١١٤).

وهذه التفاصيل التي مرت بنا توضح جليا بأن إقبال بمجرد دخوله في مجال السياسة العملية كان قد بدأ يفكر في إنشاء دولة إسلامية تضم أقاليم الأغلبية الإسلامية في الشمال الغربي لشبه القارة فإننا نرى ملامح هذه الدولة الإسلامية فيما ألقى إقبال من الخطب والكمات أو ما تقدم به من الاقتراحات فقبل أن يتقدم باقتراح ثورى من قبله كان يريد أن يمهد له الطريق ونظرا إلى هذه الظروف أراد إقبال التعبير عما كان يتمناء ويعتزم عليه على ألسنة غيره من رجال الصحافة الإسلامية مرة أو من منصة حزب سياسي غير الرابطة الإسلامية مرة أخرى وذلك

لكي يعرف رد الفعل عند الهنادكة إلى جانب إعداد الرأي الإسلامي العام لتائيد هذا الاقتراح ولعل إقبالا كان قد دخل المجال الهائج من السياسة العملية من أجل تحقيق هذا الغرض نفسه وذلك لأن إقبال كانيرى الأغراض الشخصية والمنفعة الذاتية والتهالك عليها شر من الموت إذا فما هو الغرض والهدف الذي جره إلى طريق وعو ومجال صعب مثل السياسة الهائجة؟

وسوال آخر يستحق اهتمامنا: ما الذي جعل (محمد علي جناح) يقترح في اجتماع الرابطة الإسلامية الذي عقد في ١٣/ يوليو ١٩٣٠م بأن يترأس إقبال اجتماع الرابطة الإسلامية المقرر عقده بمدينة (اله آباد) ؟ ويري (الأستاذ محمد أحمد خان) أن إقبالا بما انه كان قد احتل مكانة ممتازة بارزة للغاية في مجال السياسة الإسلامية الهندية كما أن الصحافة الهندوكية كانت قد اتهمته بأنه اكبر زعيم طائفي في الهند فلعل ذلك أيضا قد كان سببا في انتخابه رئيسا لاجتماع الرابطة بمدينة (اله آباد) (١١٣) ولكن مؤلف هذا الكتاب لا يوافق على هذا الرأي. وذلك لأن التوافق والانسجام بين الافكار السياسية لاقبال و (محمد علي جناح) إنما يرجع إلى ١٩٢٩م فإن الشكل النهائي لما كان يطالب به مسلمو شبه القارة في هذه المرحلة من النظام الفيدرالي المقترح وهو أنه يجب أن يقوم هذا النظام الفيدرالي على أساس أربع عشرة نقطة وأما الزعماء الهنادكة فلم يكونوا مستعدين حتى لو لنقاش حول هذه النقط الأربع عشرة وسبق وقد رفضت التغييرات والتعديلات التي قدمها (السيد جناح) في "تقرير نهرو" المعروف كما أن لجنة نهروا كانت قد رفضت في الوهلة الأولى من عملها اقترحه (مولانا حسرت موهاني) وهو اقتراحه بانشاء إقليم موحد للأغلبية المسلمة بادغام الأقاليم الأربعة في الشمال الغربي من الهند إذا تمت الموافقة الشعبية الاجماعية على إنشاء حكومة قومية من الطراق المركزي.

أما المطالبة الطبيعية التي يقتضيها المنطق الصائب فهو الذي قدمته الرابطة الإسلامية والتي أعلنها إقبال ولهذا ا لسبب انتخب إقبال رئيسا لاجتماع الرابطة بمدينة (اله آباد) وكان أعضاء مجلس الرابطة يصرون على عقد الاجتماع قبل بداية مؤتمر المائدة المستديرة لكي تتمكن الرابطة من إعداد السياسة العميلة لهذا الميترم ولكي يتمكن الممثلون المسلمون المشاركون في المؤتمر أن يقدموا ما يطالب به المسلمون متحدين.

وفي ١٩٣٠م انتهت عضوية إقبال في مجلس بنجاب التشريعي إلا أنه كان

قد ظهر على الصعيد السياسي الإسلامي في شبه القارة كشخصية بارزة فالقى خطبته التاريخية المعروفة بمدينة (اله آباد) كرئيس منتخب للرابطة الإسلامية الهندية ثم سافر مرتين إلى انكلترا ليشارك في مؤتمر المائدة المستديرة كما أنه تراس اجتماع المؤتمر الإسلامي للأحزاب والذي عقد في لاهور ولم يزل يهتم اهتماما بالغا بالمستقبل السياسي لمسلمي الهند خاصة ولمسلمي العالم عامة ولكنه لم يدخل في أي انتخاب كمرشح للمجلس الإقليمي أو غيره من المجالس (١١٥).

إن الباحث إذا أراد أن يحصل على وثائق تاريخية ومراج هامة عن السياسة الإسلامية الهندية خلال الفترة التي مضت منذ ١٩٣٠م إلى ١٩٣٣م فمن بين هذه الوثائق والمراجع خطبتان لإقبال إحداهما خطبة (اله آباد) والخطبة الثانية هي التي ألقاها كرئيس المؤتمر الإسلامي للاحزاب كلها في ٢١/مارس ١٩٣٢م وسوف نتناول هاتين الخطبتين نقدا وتحليلا فيما يأتي ونكتفي بهذه المناسبة أن نقول بأن إقبالا عين في خطبتيه هاتين خطوطا عريضة واتجاها واضحا وهدفا ملموسا للسياسة العملية الإسلامية على أساس المبادئ الفكرية والواقع أن المسلمين في شبه القارة كانوا قد اكتشفوا جانبين من خدمات إقبال التي قدمها للإسلام والمسلمين خلال هذه الفترة أحدهما جانب عملي خالص ويتعلق بالسياسة وأما الجانب الثاني فهو جانب فكري كان إقبال يعبر عنه وينادي به في ابتكاراته الشعرية حينا ومقالاته النثرية حينا آخر أما في هذه الفترة فقد عبر عن هذا الجانب الفكري في مقالاته التي اعدها من التجديد الفكري في الإسلام.

الفصل السادس عشر

زيارة الهند الجنوبية

إن زيارة إقبال الهند الجنوبية كانت رحلة علمية خالصة إلا أن هذه الزيارة لها أهمة وتأثير في حياة إقبال وهو مما لا يمكن إنكاره أو تجاهله. فقد قام خلال زيارته هذه بالقاء خطب ومحاضرات دعا فيها المسلمين إلى تركيز جهودهم على بناء مجتمع إسلامي جديد في المستقبل وذلك بدراسة القيم الفكرية والمدنية للإسلام في ضوء الفكر المعاصر.

ويعتقد إقبال بان فكرة الحاية التي يقدمها الإسلام ليست بفكرة جامدة متزمتة وإنما هي فكرة ثورية وقوة متحركة للغاية ومن ثم كان إقبال يرغب في الاجتهاد الاسلامي ويهتم به اهتماما كبيرا منذ البداية فكان قد قرأ مقالا باللغة الانكليزية عن هذا الموضوع "بالقاعة الحبيبية للكلية الإسلامية بلاهور" في ١٣/ديسمبر ١٩٢٤م مما جعل بعض رجال الدين المتزمتين يعترضون على أفكار إقبال التي جاء بها في مقاله هذا وكفروه بها تكفيرا ولعل هذه التجربة كانت هي التجربة الأولى بالنسبة إلى إقبال في حياته فقد أصدر (المولوي أبو محمد ديدار علي) فتوى كفر فيها إقبالا مما ساءه وتضايق منه فأبدى عن رد فعله ذلك في رسالة بعث بها إلى الشيخ (اكبر شاه خان نجيب آبادي) فقال(١):

> "أراك قد أصبت فيما قلت فإن تأثير المولويين (أي رجال الدين) المحترفيقن في نفوس الشعب كان قد قل وتضاءل وضعف بالحركة التي قادها (السير سيد أحمد خان) ولكن مؤتمر الخلافة قد أعاد السلطة والسيطرة لهؤلاء المولويين على المسلمين الهنود من جديد وذلك لكسب الفتاوى السياسية منها تلك الفتاوى التي كان مؤتمر الخلافة في أشد حاجة إليها في ذلك الوقت ولكن ذلك كان خطا كبيرا ولعل أحدا من الشعب المسلم ومؤتمر الخلافة لم يشعر بمدى تأثير هذا الخطأ الكبير الخطير فقد ممرت أنا بتجربة شخصية وهي انني كنت قد أعددت مقالا بالانجليزية عن الاجتهاد فقرأته في بعض الاجتماعات الشعبية بلاهور وسوف ينشر المقال بإذن الله ولكن البعض من هؤلاء المولويين قد كفروني بسبب ما جاء في هذا المقال."

ولم ينشر هذا المقال ولكن الإعلان عن قراءة هذا المقال في جلسة من الجلسات قد نشر ولعل التفاصيل العابرة عنه قد نشرت أيضا ولعل هذه التفاصيل العابرة هي التي كان قد اطلع عليها (اليست جمال محمد) أحد التجار الكبار في

الهند الجنوبية الذي كانت تجارته قد وصلت إلى عشرة ملايين من الروبيات سنويا في تلك الفترة وكان قد أنشأ العديد من المؤسسات الخيرية بالإضافة إلى جمعية خيرية مستقلة كان يشرف عليها وكان من هدفها دعوة الكبار من الشخصيات الإسلامية لإلقاء المحاضرات عن شتى المواضيع الإسلامية وهذه الجمعية هي التي وجهت الدعوة إلى الشيخ (سيد سليمان الندوي) فألقى محاضرات عديدة عن السيرة النبوية (وقد ترجمت هذه المحاضرات إلى العربية باسم الرسالة المحمدية على صاحبها الصلوة والسلام) كما أنها كانت قد دعت المسلم الانكليزي (محمد مارما ديوك بكثال) الذي ألقى محاضرات علمية عن التمدن الإسلامي وكان (اليست جمال محمد) هذا قد وجه الدعوة من قبل الجمعية الإسلامية إلى إقبال في بداية ١٩٢٥م ليلقى محاضرات عن موضوع: "الاجتهاد في الإسلام" كما أنه وافق على تحمل نفقات السفر وقد قبل إقبال هذه الدعوة إلا أنه لم يجزم ا لقول في عدد المحاضرات كما أنه لم يحدد موعد سفره إلى (مدراس).

وكانت الأسباب التي جعلته يلبى هذه الدعوة كثيرة فأولها أنه كان يريد أن يزور ضريح (السلطان تيبو الشهيد) خلال رحلته إلى الهند الجنوبية فكان في نفسه آمال وأماني تقوده إلى ذلك وهي أن إقبالا كان ينوي أن يمر بتجربة نفسية من اللوعة والحزن تلك التجربة النفسية الفريدة التي كان بامكانه أن تنطق إقبالا بمنظومة شعرية خالدة وقد تحقق ما أراده إقبال وما تمناه وأما السبب الثاني فهو أن إقبالا كان يريد أن ينتهز هذه الفرصة فيتناول بعض الجوانب المهمة الغاية عن المدنية الإسلامية فيجمع ما قام به من البحث والتحقيق عن هذه الجوانب ثم يناقشها في ضوء المتطلبات العصرية لكي يتمكن من وضع كتاب ونشره في هذا الموضوع (٢).

وكان عما يقلق إقبال كثيرا هو الجيل المسلم الناشئ فكان يحس بأن الجيل الجديد قد أخذ يميل شيئا فشيئا إلى المدنية الغربية فكان يخشى الظواهر البراقة من الأفكار الأروبية المعاصرة التي كان بإمكانها أن يضل هؤلاء الشباب عن الطريق السوى والصراط المستقيم. وقد أبدى عن خشيته هذه في رسالة له كتبها وبعث بها إلى الشيخ (سيد سلمان ا لنديو) فقال:

"وأقول الحق لك بكل صراحة أن الأوضاع الحالية والظروف الراهنة في الدول الإسلامية اليوم قد أشرف فثي نفسي بالغ التأثير وأقلقتني قلقا شديدا أما شخصيا فإن قلبي يجد الطمانية كل الطمانينة والسلوى كل السلوى والحمد لله على ذلك. ولكن الذي يقلقني ويريبني دائما فهو ليس إلا أنني أخشى على

الجيل الناشئ المسلم أن يضل طريقه في شيء من القلق المفاجئ والاضطراب الطارئ في مثل هذه الظروف والأوضاع."

وكان إقبال يرى بأن هذه النزعة الحالية أو الميول الموجودة في فكر الجيل المسلم الناشئ لا يعيبها شيئ وذلك لأن الثقافة أو المدنية الأروبية المعاصرة إنما هي صورة متقدمة معاصرة للثقافة أو المدنية الإسلامية فعلى سبيل المثال كان (دي كارت) الفيلسوف الفرنسي يعتبر مؤسسا للفلسفة الأروبية المعاصرة وذلك بحكم المبدأ الفلسفي الذي ابتكره وهذا المبدأ الفلسفي الذي ادعاه لنفسه هو الأساس للعلوم المعاصرة ولكننا لو درسنا مبدأ (دي كارت) الفلسفي المبتكر ثم قارنا بينه وبين ما جاء في "إحياء علوم الدين" للغزالي لاتضح لنا بأن الغزالي كان قد سبق (دي كارت) إلى هذا المبدأ الفلسفي بقرون عديدة وكان قد شرحه شرحا وافيا وكذلك فإن "الملهاة الالهية" للشاعر الايطالي (دانتى) قد كانت مليئة بما جاء من الأفكار في مؤلفات محي الدين ابن العربي وكذلك فإن أهل العلم من الأروبين كانوا يدعون بأن (فرانسيس بيكون) هو الذي ابتكر مبدأ المنطق الاستقرائي وأوجده أما دراسة الفلسفة الإسلامية دراسة نقدية فهي توضح لنا جليا بأنه لم يكذب أحد أكبر كذبة في أوروبا كهذه الكذبة وأن أول من اعترض على الشكل الأول من منطق أرسطو إنما هو يعقوب الكندي الفيلسوف المنطقي المسلم الشهير والاعتراض الذي أثاره الكندي هو نفس الاعتراض الذي أثاره (بيكون) بل هو نفس الاعتراض الذي أثاره (دون ستيوارت مل) وعليه فإن مبدأ المنطق الاستقرائي عند المسلمين كان معلوما متداولا في أوروبا كلها ويتضح من دراسة ما جاء في مؤلفات (نصير الدين الطوسي) بأن علماء الرياضة من المسلمين في القرون الوسطى كانوا قد وصلوا إلى النتائج التي استفاد منها أهل أوروبا في نقدهم للرياضيات اليونانية أو التعليق عليها وهكذا تم بناء العلم الرياضي الجديد وبالإضافة إلى ذلك فإن المتصوفين كانوا يؤمنون بتعدد الزمان والمكان قبل مدة طويلة فكانوا قد أبدوا عن رأيهم بأن أبعاد المكان قد يمكن أن تكون أكثر من الثلاثة وأن أول من التفت إلى هذا النقطة من الأوروبين هو (كانت) الفيلسوف الألماني الشهير. أما المتصوفة المسلمون فقد اطلعوا على هذه النقطة قبل خمسة أو ستة قرون وهكذا اشتهر أفكار الفلاسفة المسلمين وأراؤهم في أوروبا واطلع أهلها على النتائج التي سبقهم المسلمون إلها فإن أهل العلم من الأروبيين سواء كانوا يعرفون العربية أو لا يعرفونها كانوا على علم بالأفكار الإسلامية (٤) وكان إقبال

يتمنى نهضة العلوم الإسلامية في ضوء الفكر المعاصر وذلك لأنه كان يرى بأننا لو لم نفعل ذلك لزاد خطر التغلب الأروبي المعنوي الذي لا يزال يهدد المسلمين فقد كتب إقبال إلى الشيخ (سيد سليمان الندوي) في بعض رسائله وقال: (٥):

"أما أنا فأعتقد بأن القديم في حياة الشعوب عنصر هام كأهمية العنصر المعاصر ولكنني أرى أن كلا الطبقتين عامة الشعب المسلم والمثقفين منهم لا يعرفون شيئا عن العلوم والأفكار الإسلامية القديمة. وهذا الجهل يماضينا يجعلنا نخشى التغلب الأروبي المعنوي الروحي علنا كما جاء في مصطلحاتك أنت وأنه لا بد من اهتمام هذا الموضوع والقيام يما يلزمنا في ذلك".

كذلك فإن إقبالا كان متأكدا أيضا بأن مسلمي الهند ليسوا قوة سياسية بإمكانها أن تساعد المسلمين في البلاد الإسلامية الأخرى بالكثير الغزيز (٦) وكان إقبال يرى ايضا بأن التجديد الديني في أوروبا قد حدث على يد (مارتين لوتر) أما العالم الإسلامي فلم يكن يوجد فيه صنم من الأصنام كالكنيسة أو الكهنوت في أوربا يحتاج المسلمون إلى رجل من أمثال (لوحر) ليقوم بتمزيق ذلك الصنم إلا أنه رغم ذلك لا بد من نهضة العلوم الإسلامية لأن هذه النهضة بإمكانها أن تربط ما انقطع من الصلات بين الإسلام وبين الحياة الفكرية والعقلية المعاصرة حيث كان من المكن ترغيب المسلمين في التقدم وتحريضهم على التفوق في العلوم الحديثة والتكنولوجيا المعاصرة كما أنه يمكن أن يدرك المسلمون الحقيقة بأن بتني الإفكار المدنية أو العلمية الأروبية لا يعني بأننا نتبنى علوما غير إسلامية أو نقلد أحدا غير نافي ذ لك وإنما رسالة المسلمين ومهمتهم الآن هي استعادة ما قدمه أسلافهم من المسلمين الأوائل للأروبيين وهم على علم ووعي ثم تمت الإضافات الجديدة التي حققتها أوربا والمسلمون نيام غافلين عنها ثم تستمر المواصلة لهذه الأفكار والعلوم المتقدمة نحو المزيد من الرقى والتقدم.(٧).

وكان إقبال يرى بأن القادة والزعماء السياسيين المسلمين الهنود إذا كانوا يهدفون إلى تحقيق ا لحرية الاقتصادية والسياسية للشعب المسلم الهندي فقط ولم يكن هدفهم هو الدفاع عن الإسلام والاحتفاظ به والذود عن حياضه فإن هؤلاء الزعماء المسلمين لن يتمكنوا من تحقيق ما يريدونه أبدا.(١٨) وبالإضافة إلى ذلك فإن إقبالا كان يتمنى أن يتقدم العلوم الإسلامية والأفكار الدينية بأسلوب جديد حتى تبلغ ما بلغه العوم الجديدة والفلسفة المعاصرة وكان يعتقد بأن الديانة الإسلامية القديمة أو علم الكلام الإسلامي القديم الذي كان يقوم على أساس من الفكر اليوناني كان قد تبعثر وتمزق ومن ثم كان هذا العلم في حاجة إلى تنظيم

وتنسيق من جديد وكان إقبال يرى بأن فكرة التوفيق بين العقل والإلهام قد تعلمتها أوروبا من المسلمين ومن ثم سبق المسلمون الأروبيين في بناء الفكر الديني في ضوء الفلسفة المعاصرة بهذا الأسلوب الموفق من جديد ولكن الإسلام في رأي إقبال ديانة أكثر بساطة وعقلية وحكمة من المسميحة ومن ثم من الأسهل بناء الفكر الديني أو علم الكلام الدديد في الإسلام(٩).

وكان السير (سيد أحمد خان) قد سبق إقبالا إلى مثل هذه المحاولات إلا أن محاولاته هذه كانت قد فشلت وذلك لأن (السير سيد) حاول أن يبنى فكره على النظام الفكي المعتزلي وهذا النظام الفكري هو الآخر بني على اساس من الفكر اليوناني ومن ثم قد أصبح فكرا باليا مرفوضا (١٠) وكان إقبال على علم بالآثار والملامح التي كانت تشير إلى الثورة الفكرية والعقلية في العالم الإسلامي حينذاك ورغم أن الأمم الإسلامية كانت متورطة في المشاكل السياسية والاقتصادية المحلية إلا أن نهاية هذه المشاكل كانت بداية محتومة للثورة الفكرية عندهم وكان يتوقع ظهور شخصيات إسلامية كبيرة قد يكون بإمكانها أن تقود هذه الثورة الفكرية في كل بلد من بلدان العالم الإسلامي (١١) أما هدف إقبال من محاولاته التي قام بها في هذا المجال إنما هو تمهيد الطريق لهذه الثورة الفكرية القادمة.

وأما مشكلة الثانية الهامة التي اهتم بها إقبال كل اهتمام منذ البداية فهي التكوين الجديد للفقه الإسلامي وكان إقبال يعتقد بأن من نظر نظرة نقدية في الفقه الإسلامي ودرسه دراسة حكيمة في ضوء ما جاء في القرآن والسنة النبوية من المبادئ السامية واستطاع أن يحقق بأن الأحكام القرآنية والحكم النبوية إنما هي شريعة خالدة فهو الذي سيعتبر مجددا في الإسلام وأكبر خادم للنوع البشري كله.(١٢) وعن ذلك كان إقبال قد أخبر الشيخ (سيد سليمان الندوي) في رسالة بعث بها إليه فقال: (١٣):

> "والمقصود من محاولاتي هذه إنما هو دراسة المعاملات الإسلامية في ضوء القانون الوضعي المعاصر ولكن ليس بأسلوب تقليدي مقيد وإنما بأسلوب نقدي حر إذ سبق وقد حاول المسلمون نفس المحاولة حول عقائدهم فقد كانت فلسفة اليونان تعتبر نهاية العلوم الإسلامة وغايتها القصوى في ذلك الوقت إلا أن المسلمين استيقظت فيهم الروح النقدية الحرة فعارضوا هذه الفلسفة بنفس السلاح والأدوات التي امتازت بها تلك الفلسفة أما في عصرنا هذا فلا بد من نفس المحاولة حول المعاملات الإسلامية أيضا."

ولتحقيق هذا الغرض كان لابد من الاجتهاد ولكن إقبال كان يعرف جيدا

بأن المسلمين لا يزالون يعيشون في جو من الاستعباد الفكري للغرب ومن ثم لم يكونوا يصلحون للفكر الإسلامي وفي مثل هذا الجو من الاستعباد والسيطرة الأجنبية كان خيرا للمسلمين أن يتخذوا شعار التقليد وحده من أجل الاحتفاظ بالفقه الإسلامي ورغم هذا فإن الظروف كانت تتبع مبدأ التغيير الحادث فيكل لحظة ومن ثم لم يكن من الممكن أن تدوم وتستمر هذه الأساليب التقليدية فكان لا بد من اتخاذ خطوات نحو هذا الهدف لكي يظهر العلماء بين المسلمين شيئا فشيئا، هؤلاء العلماء الذين يقدرون على الفكر الاجتهادي وفي نفس الوقت يملكون من الكفاءة والمواف ما يمكنهم من القيادة الصحيحة الصائبة في عصر الثورة الفكرية والنهضة العقلية (١٤). ورغم هذا كله فإن هذه كانت مشكلة خطيرة جدا نظرا إلى موافق الرجال المتزمتين من العلماء في العالم الإسلامي عامة وفي بلاد الهند خاصة فكان بعض الناس قد أخذوا يكفرون إقبال بسبب هذه الأساليب الفكرية ورغم ذلك كله فإن إقبالا كان يريد أن يستمر في بحثه وتحقيقه عن الاجتهاد الإسلامي حسب ما يقتضيه العصر الحاضر ولم يكن خائفا أو مترددا في الإعلان عن مثل هذه الأفكار والنظريات التي كانت تقوم على أساس من البحث والتحقيق العلميين.

وأما المشكلة الثالثة الهامة التي كان يرغب فيها إقبال والتي كان يريد أن يتحدث عنها ويبدي عن الرأي فيها فهي أسلوب الحكم للولايات الإسلامية ووحدة الأمم الإسلامي وكانت الخلافة الإسلامية قد ألغيت وانقرضت في ذلك الوقت وكات (تركيا) الجديدة تسودها ديموقراطية غربية ولكن البعض من رجال الدين التقليديين كانوا يصرون على إحياء الخلافة الإسلامية وكانت حكومة بريطانيا تريد أن تستغل هذه البساطة أو الغباء عندهم فكانت تبحث عن شخص يكون خليفة المسلمين بالنسبة إلى العالم الإسلامي في الظاهر.

وأما في الحقيقة فيكون لعبة في أيدي الاستعمار الانجليزي وهذه السياسة العملية كان بامكانها أن تستغل العالم الإسلامي كله ونظرا إلى هذه السياسة الغربية والدبلوماسية الاستعمارية فإن إقبالا قد وصل إلى نتيجة بأن إحياء الخلافة بهذه الطريقة يضر المسلمين في الوقت الحاضر وأنه لا بد من إيجاد وسيلة أخرى بإمكانها أن توحد بين الأمم الإسلامية كلها ومبدئيا لم يكن إقبال يقتنع كثيرا بالنظام الديموقراطي الغربي ولكنه ما دام لم يجد بديلا مناسبا لهذا النظام كان راضيا به في الظروف الراهنة (١٥).

وكان اعتراض إقبال على النظام الديموقراطي الغربي اعتراضا فلسفيا أو

اعتراضا خلقيا وذلك نظرا لأن انتخاب إنسان حسب النظام الديموقراطي كان يتم على اساس الأغلبية فقط وأن هذا الطريق الانتخابي الديموقراطي لم يكن ضمانا على أية حال بأن الإنسان المنتخب فعلا يصلح أن يكون قائدا ويستحق أن يقود الشعب وبعبارة أخرى فإن في هذا الطريق الانتخابي الديموقراطي من الممكن أن يخسر الإنسان الكفؤ الموهوب انتخابه ويفوز فيه مرشح لاي سلح أوو لا يستحق أن ينتخب ويكون قائدا زعيما ولكنه رغم ذلك ينجح في الانتخاب بنسة التسعة والأربعين والواحد والخمسين وهذا الأسلوب أو الطريق الانتخابي لا تسمح به المبادئ الإسلامية والقيم الخلقية وبالإضافة إلى ذلك فإن إقبالا كان يبغض النظام الديموقراطي الرأسمالي الغربي بغضا شديدا وذلك لأن هذا النظام كان استعماريا في روحه ومعنويته كما أنه كان أداة لاستغلال الشعوب المتخلفة وكرد فعل لهذا النظام الغربي المستغل قامت الثورة الشيوعية في روسيا على أسس الإلحاد والدهرية الشاملة فكان إقبال يخشى أن يقلد المسلمون هذا النظام الشيوعي فيروجونه في العالم الإسلامي وبالتالي يواجه المسلمون ثورة اشتراكية وبذلك يكونون هدفا للاستعمار الاجتماعي الروسي.

وبالإضافة إلى هذه المشاكل الهامة فقد كان إقبال يريد أن يوضح أفكاره عن الإنسان والكون والذات الإلهية علىى أساس البحث والتحقيق اللذين قام بهما أما أفكاره الكونية ورأيه في أهداف الحياة البشرية فكانت قد اتضحت إلى حد ما في بعض عباراته النشرية ا لمتطورة وكان قد وصل إلى نتائج خاصة بالعشق والعقل والذاتية والتصوف والحياة بعد الموت والزمان والمكان بالإضافة إلى المشاكل الأخرى من الأخلاق والتمدن وما بعد الطبيعة فكان لا بد له من توضيح هذه الأفكار والآراء كلها.

ومن الجدير بالذكر أن إقبال كان في هذه المرحلة على قدم راسخة ومعلومات واسعة عن التمدن الأروبي والآداب الغربية والفلسفة المعاصرة كما أنه كان يعرف التمدن الإسلامي والآداب العربية والفارسية وأفكار الفلاسفة المسلمين إلا أنه لم يكن قد درس التفسير والحديث والفقه أو العلوم الدينية الأخرى حسب النظام التقليدي المتداول من التعليم والتربية ومن ثم لن يكون صحيحا أن نسميه "رجل الدين" أو "عالما" حسب المصطلح المتداول في ذلك الوقت وكان إقبال يعرف جيدا هذا الجانب أو العيب في شخصيته (١٦) ومن ثم درس الكتب الإسلامية التي لا حصر لها ورجع إلى رجال الدين فاستفاد منهم

وهو يعد خطبه ومحاضراته فتراسل مع بعض من كان يعرفه من العلماء ورجال الدين في ذلك الوقت أو كان يناقش معهم المشاكل الفقهية والمسائل الدينية إلا أن الصعوبة التي واجهها إقبال هي أنه كان في حاجة إلى رجل من رجال الدين يكون على قدم راسخة في العلوم الدينية والفلسفة الإسلامية بالإضافة إلى النظر العميق في التمدن الغربي والفلسفة المعاصرة والقانون والعوم الجديدة إلا أن العلماء الأكفاء من هذا القيل لم يكونوا يوجدون في العالم الإسلامي كله وليس الهند وحدها.

على كل حال فإن الأسئلة أو المسائل التي ظهرت أو أثيرت في ذهن إقبال عن ذلك وخاصة الأسئلة التي وجهها إلى الشيخ (سيد سليمان الندوي) فإن دراستها لا تخلو من الأهمية والفائدة وهذه الأسئلة تتلخص كما يلي:(١٧)

إن القرآن الكريم كتاب كامل شامل وإنه هو نفسه يدعى الكمال والشمول لنفسه ولتحقيق هذا الكمال والشمول عمليا لا بد من دراسة نقدية لمبادئ المعاملات المتداولة عند الأمم الأخرى في الوقت الحاضر وذلك في ضوء الأحكام القرآنية ووجهة النظر القرآنية فما هي الوسائل أو الطرق التي يمكن اتخاذها لهذا الغرض؟

وإن البعض من المتقدمين قد حالوا أن يحققوا على أساس علم النظر والمرايا بأن رؤية البارئ تعالى ممكنة فما هي المراجع التي توجد فيها هذه المباحث؟ وأما الذي استفسره إقبال عن رؤية البارئ تعالى فإن الغرض من ذلك هو العثور على ما يمكننا من دراسة الفكرة الثورة التي ابتكرها (اينشتاين) وهي "فكرة الضوء" فهذه الفكرة قد أيدها ما عثر عليه إقبال في بعض رسائل ابن رشد حيث اقتبس فقرة من رسالة الشيخ أبي المعالي. فإن فكرة الشيخ أبي المعالي هذه تشبه كثيرا ما يراه (انشتاين) من"نظرية الضوء" وإن كانت هذه الفكرة عند أبي المعالي قياسا محضا وأما (اينشتاين) فقد حقق ذلك على أساس المبادئ الرياضية المعترف بها.

وهل يمكن نسخ النص القرآني بإجماع الأمة الإسلامية؟ فمثلا مدة ا لحضانة سنتان كما ثبت بصراحة النص فهل يمكن أن تزيد أو تنقص هذه المدة بالاجماع؟ أو هل يمكن الزيادة أو النقصان في أسهم الميراث الشرعية التي ثبتت بالنصوص القرآنية؟ فقد بلغنا بأن البعض من الأحناف والمعتزلة يرون نسخها باجماع الأمة الإسلامية فهل توجد أمثلة من هذا النسخ في الآداب الفقهية الإسلامية الواسعة؟ وقد ذكرتم فضيلتكم بأن الفقهاء يجيزون تخصيص النص باجماع الأمة فهل توجد أمثلة تدل على هذا التخصيص أو التعميم؟ وهل يثبت هذا التخصيص أو

التعميم باجماع الصحابة فقط أو أن علماء الأمة المجتهدون أيضا يستطيعون هذا التخصيص أو التعميم؟ فإذا اطلعتم على مثال من هذا النوع بعد عصر الصحابة في تاريخ المسلمين فأرجوكم إعلامي بذلك وما ذا يعني تخصيص الحكم الشرعي أو تعميمه؟ وإذا وجدنا حكما صدر من بعض الصحابة وهو يعارض النص فهل يعني ذلك أن الصحابة كانوا على علم بوجودكم ناسخ؟

وهل يوجد طبقه الصحابة وهو يخالف النص القرآني؟ وإذا رد الرسول صلى الله عليه وسلم على سوال شخص على اساس من الوحي فهل يلزم العمل به على الأمة الإسلامية كلها، وهل هذا النوع من الوحي يعتبر من القرآن الكريم؟ أما إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد رد على سوال السائل مستندا أو مستشهدا بدليل لا دخل فيه للوحي فهل يكون ذلك أيضا حجة على الأمة الإسلامية كلها؟ فإذا كان الجواب إثباتا فيلزم من ذلك أن جميع ما استدل به سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مما لم يكن للوحي دخل فيه اطلاقا فهو أيضا وحي وبعبارة أخرى هل هناك فرق بين ما جاء في القرآن الكريم وبين ما جاء في الحديث النبوي؟

إن الرسول صلى الله عليه وسلم له منصبان، منصب النبوة ومنصب الإمامة، أما النبوة فهي تشمل الأحكام القرآنية وما استنبطه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات القرآنة أما أساس الاجتهاد فهو العقل البشري والتجربة والمشاهدة فهل يعتبر اجتهاد صلى الله عليه وسلم من الوحي أيضا؟ فإذا كان ذلك من الوحي فما هو الدليل على ذلك عندكم؟.

وكيف نيتسطع أن نعرف الوحي غير المتلو تعريفا نفسيا أي علي أساس مبادئ علم النفس؟ وهل يوجد ما يدل على أن الفرق بين الوحي المتلو والوحي غير المتلو كان متعارفا متداولا في عصره صلي الله عليه وسلم أم هذه مصطلحات وضعت فيما بعد؟

وكان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم استشار صحابته الكرام حول الأذان فهل تعتبر هذه الاستشارة من منصب النبوة أو من منصب الإمامة أي هل هو استشار الصحابة بصفته نبيا أو إماما؟ أما الأسهم المذكورة في آية الميراث فهل هي أزلية أبدية أو أن المبدأ الذي تتضمنه قاعدة الميراث هو الذي لا يقبل التغيير فقط وأن الأسهم الإرثية تقبل التغيير حسب الظروف والأحوال؟؟

وأرجو فضيلتكم أن توضحوا الآية القرآنية عن الوصية.

وهل يمكن للإمام أن ا لخليفية أن يؤجل حدا من الحدود المنصوص عليها في القرآن الكريم(مثلا حد السرقة) ويستطيع أن يقرر تعزيرا أو حدا آخر مكانه؟ وإذا كان الغمام أو الخليفة يملك هذه السلطة فما هي الآية القرآنية التي تنص على هذه السلطة؟ وهل الإمام أو الخليفة يجب أن يكون شخصا واحدا أو يمكن لجماعة أن تقوم مقام الإمام أيضا؟

وهل يمكن أن يكون لكيب دولة إسلامية إمام مستقل أو يجب أن يكون للعالم الإسلامي كلها إمام واحد فقط وكيف يمكن العمل بهذه الصورة الأخيرة وخاصة عند وجود الفرق الإسلامية المتعددة اليوم؟ أي كيف يمكن أن يكون إمام واحد لهذه الفرق المختلفة؟

وحول الموقف الذياتخذه سيدنا عمر بن الخطاب رضيالله عنه من الطلاق هل كان هو يملك السلطة الشرعية لاتخاذ هذا الموقف ؟ فإذا كان كذلك فما أساس هذه السلطة؟ وفي تعبير اللغة المعاصرة نستطيع أن نقول: هل كان الدستور الإسلامي يمنح له هذه السلطة أم لا؟

إن حق الزوج في الطلاق ثابت في الفقه والشرع فهل يمكن للزوج أن يفوض حق الطلاق هذا إلى زوجته أو إلى بعض الأقارب أو إلى رجل آخر غير الاقارب؟ فإذا كان كذلك فما أساسه؟ أ هي آية قرآنية أو حديث نبوي؟

ويرى الإمام أبو حنيفة أن المرأة إذا ولدت بعد السنتين من الطلاق أو بعد موت زوجها بسنتين فإن القياس لا يجيز كون المولود ولد الحرام فإذا كان كذلك فما أساسه؟ وهل هذا المبدأ يقوم على قاعدة الشهادة فقط أو هو جز من القانون الشرعي؟.

وقد وردت أقوال كثيرة عن حقيقة الزمان وماهيته في الكتابين "الشمس البازغة" و "الصدرا" ومن بين هذه الأقوال قول ينص على أن الزمان هو الله وقد ورد حديث عند البخاري في هذا المعني: لا تسبوا الدهر.الحديث. فهل يوجد بين فلاسفة الإسلام من اتخذ هذا الموقف أو اختار هذا المذهب؟ وإذا كان كذلك فكيف وأين يمكن العثور على هذه المباحث الفلسفية في مؤلفات الفن؟.

وينسب قول لفيلسوف يهودي من فلاسفة القرون الوسطى وهو موسى بن ميمون الذي قال بأن الله سبحانه وتعالى ليس له زمان مستقبل وإنما هو الذي يخلق الزمان لحظة بعد لحظة. وكان موسى بن ميمون هذا قد تعل في الجامعات الإسلامية بالأندلس فهل يمكن أن نقول بأن ما ذهب إليه هذا الفيلسوف اليهودي إنما هو مأخوذ مقتبس من أحد الفلاسفة المسلمين الاندلسيين الكبار؟

إن الشيخ (شبلي نعماني) قد أورد عبارة عن الشعائر والارتفاقات فقال: " وشعائر الدين أمر ظاهر التخصيص به ويمتاز صاحبه به في سائر الأديان كالختان وتعظيم المساجد والأذان والجمعة والجماعة" فهل هذا من التشريحات التي وردت عند الإمام ولي الله الدهلوي؟ وكذل فإن الإمام ولي الله الدهلوي يعتبر جميع التدابير النافعة للمجتمع من الارتفاقات مثل أحكام النكاح والطلاق وغيرهما فإذا كان ما شرحه الإمام ولي الله الدهلوي شرحا صحيحا فإن المجتمع الإسلامي لا يمكن أن يبقى له نظام موحد فسوف يحاول المسلمون في كل بلد أن يعملوا بتقاليدهم المتعارفة وعاداتهم المحلية؟ فأرجو فضيلتكم أن تسلطوا الضوء على هذه المشكلة أيضا؟ إن الشيخ(شبلي نعمان) قد أورد في كتابه "الكلام" (أي علم الكلام الجديد) فقرة اقتبسها من "حجة الله البالغة" في صفحة ١٢٣ ثم لخص مفهوم الفقرة بلفظه أيضا وهذه ترجمة لما جاء في نهاية تلك الفقرة:" وعليه فإنه لا توجد طريقة أفضل وأسهل من أن تراعى عادات قوم وتقاليدهم الخاصة في شعار التعزيرات والتدبيرات للقوم الذين ظهر فيهم الإمام ولا يجوز التشديد على الأجيال المقبلة حول تلك الأحكام" فكلمة "شعار" في هذه الفقرة مهم جدا فما المقصود منها وما هي التقاليد أو العادات التي يشملها هذا الشعار؟.

هل شرح الإمام ولي الله الدهليو للشعائر في كتابه "حجة الله البالغة"؟ وقد وردت كلمة "الارتفاقات" عند ولي الله الدهلوي وقد ترجمها الشيخ (شبلي نعمان) مرة بلفظة "انتظامات" ومرة أخرى ترجمها بلفظة "مسلمات" فما هو المقصود الأصلي منها؟.

وقد ذكر الإمام ولي الله الدهلوي أربعة أقسام من الارتفاقات وهذه الأقسام الأربعة تشمل الشوؤن الاجتماعية والمدنية مثل أحكام النكاح والطلاق وغيرهما فهل يعتقد الإمام بأن التشدد لا يجوز في هذه الشؤون أيضا؟

وهل ورد مبحث عن حقيقة الزمان وماهيته في الفتوحات المكية لمحي الدين ابن العربي أو في كتاب آخر من مؤلفاته غير الفتوحات؟.

فإذا كان أحد من الأسلاف المتصوفة قد تناول هذا المبحث فأرجو الإشارة إليه وأين وكيف نجد المبحث عن حقيقة الزمان أو "الآن السيال" في كتاب من كتب المتكلمين ووجهة نظرهم عن حقيقة الزمان؟.

منهم كبار الأشاعرة في الهند، وهل ظهر فيلسوف مسلم هندي بالإضافة إلى (الملا محمد الجونفوري)؟ فأرجوكم إعلامي بأسمائهم ومؤلفاتهم.

وما اسم الفيلسوف المسلم الهندي من أهل (فلواري) الذي ألف كتاب "تسهيلات فلسفة" ؟ ومن أين وكيف يمكن الحصول على نسخة من الكتاب؟

إن المولوي (نور الإسلام) قد ألف رسالة بالعربية عن ماهية المكان والتي توجد في مدينة (رام فور) فبأي لغة كتبت هذه الرسالة وهل هي مطبوعة أو لا تزال مخطوطة وفي أي عصر كان المولوي(نور الإسلام) هذا؟.

وقد بقيت عندي صعوبات عن مشكلة "الآن" ويبدو أن ما اعترض به المتكلمون على الفلاسفة في ذلك هوم نفس الاعتراض الذي يرد على أرائهم وأفكارهم عن مشكة الزمان أيضا وأن المولوي (سيد بركات أحمد) قد حاول أن يسهل المشكة حين فرق بين الدهر والزمان إلا أن المشكلة صعبة للغاية فأرجوكم أن تسلطوا المزيد من الضوء على هذه المشكلة.

وإذا كان الدهر ممتدا ومستمدا فهو الله تعالى في الحقيقة، إذا فما هو المكان وحقيقته؟.

فكما أن الزمان نوع من عكس الدهر فيجب أن يكون المكان أيضا عكسا للدهر أي أن الحقيقة الأصلية للزمان والمكان كليهما إنما هو الدهر وهل هذا الرأي يصح عند محي الدين ابن العربي وهل هو أيضا قد تناول مبحث المكان فإذا كان قد تناوله فما هي العلاقة بين المكان والدهر أو الزمان عنده؟.

وقد درست كثيرا عن مشكلة الزمان والمكان واتضح لي بأن فلاسفة الهند المسلمين قد تناولوا المشاكل الفلسفية الهامة بحثا وتحقيقا وأنه من الممكن تأليف كتاب عن هذه الجهود الفكرية الإسلامية في الهند وأن هذا العمل يليق بأمثالكم من العلماء الأفاضل.

وقد كتبت حضرتك فيما بعثت إلي من المعلومات بأن أمير الدولة الإسلامية أو رئيسها يستطيع أن يلغى المباحات أو الرخص الشرعية مؤقتا إذا علم بأن هذه الرخص أو المباحات الشرعية قد يلحق بها الفساد أو الضرر بل هو يستطيع أيضا أن يلغى بعض الفرائض الشرعية مؤقتا فما هو المرجع أو المأخذ في ذلك؟.

وهل يصح أن المتعة أو النكاح المؤقت كان معمولا به متداولا عند المسلمين قبل سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأنه هو الذي ألغاه؟ وهل يمكن لأمير دولة إسلامية في عصرنا هذا أن يقرر في أمر من الأمور أو مسئلة من المسائل ما قرره سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في نكاح المتعة؟ وأرجوكم إعداد كشف أو فهر للمعاملات أو الشؤون الشرعية التي يجوز للإمام أن يقضي فيها برأيه أي أنها مفوضة إلى رأي الإمام فهوي يقضي فيها برأيه؟ وهل توجد جريمة من الجرائم

وردت حدوده في القرآن الكريم وكيف؟

هل يمكن للإمام أن يقرر أو يقضي فيها برأيه حتى ولو مؤقتا وقد قلت أن من أمثلة العمل المتواتر هي الصلاة فإذا كان عمل الصلاة متواترا فكيف وقع الخلاف في صفة الصلاة بين الشيعة والسنة وبين المالكية والحنفية والشافعية وغيرهم؟.

ما هي مبادئ التوسعة في سلطة الإمام حول الأحكام المنصوص عليها فإذا كان الإمام يستطيع أن يوسع في سلطته فكذلك يمكن له أن يحدد في هذا الأحكام المنصوص عليها أيضا فإذا كان لديك مثال تاريخ في هذا الموضوع فأرجوك تفصيل القول فيه؟.

من الذي يملك الأرض حسب التصريح القرآني؟ وما هي المذاهب المختارة عند الفقهاء المسلمين ولعل(القاضي مبارك) له فتوى عن ملك الأرض وأريد أن أعرف الفتوى فهل يمكن لي ذلك وكيف؟.

لو أن دولة من الدول الإسلامية قررت بأن الأرض ملك للدولة كما فعلت روسيا فهل هذا القرار يوافق الشرع الإسلامي أو يعارضه؟ وهل يمكن أن يفوض ملك الأرش أيضا إلى الدولة وما هي أقسام الصدقات في الإسلام؟ وهل هناك فرق بين الصدقات والخيرات؟

إن كلمة " النبي" لها معنيان أحدهما الذي ينبئ أو يخبر والثاني الذي يقف فوق مقام مرتفع أما "النبي" بالمعنى الأول فتكتب بالهمزة وأما كلمة "النبي" الثانية فهي تكتب بغير الهمزة فقد أورد راغب الأصفهاني في مفرداته حديثا وهو قوله صلى الله عليه وسلم: "أنني نبي" بغير الهمزة وأن الأنبياء الكرام الذي ورد ذكرهم في القرآن الكريم فهل فيهم البعض بالهمزة والبعض الآخر بغير الهمزة أو كلهم بغير الهمزة فإذا كان الأنبياء القرآنيون وسيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم "انبياء" بغير الهمزة فهل يصح أن تترجم كلمة "النبي" العربية بكلمة (بروفيت) الانجليزية والذي معناها المنبئ أو المخبر؟

وما هي المادة الأصلية لكلمة "النار" باللغة العربية؟ وما هي المادة الأصلية لكلمة "النجاة" باللغة العربية وما هو معناها نظرا إلى مادتها الأصلية هذه؟.

إن دراسة هذه الأسئلة الكثيرة التي أوردناها هنا تدلنا على المشاكل والمسائل التي كانت أمام إقبال وهو يعد خطبه أو محاضراته عن موضوع "تجديد الفكر الديني في الإسلام" وأن إعداد هذه الخطب أو المقالات أو المحاضرات استغرق منه

خمسة سنوات. وكان إقبال قد وعد بإعداد ست مقالات ولكنه لم يستطع أن يكمل إلا ثلاثة منها إعداد صحيحا حتى يناير ١٩٢٩م وهذه هي المقالات الثلاثة أو المحاضرات الثلاثة التي ألقاها إقبال خلال زيارته للهند الجنوبية في كل من مدينة (مدراس) و (بنجلور) و(ميسور) و(حيدر آباد الدكن) أما المحاضرات الثلاثة الباقية فقد أعدها إقبال خلال سنة ١٩٢٩م وألقاها في مدينة (عليكره) خلال شهر نوفيمبر ١٩٢٩م (١٨).

وهذه المدة من السنوات الخمسة من حياة إقبال كانت مدة مزدحمة بالأشغال والأعمال ولعله كان قد اختار الموضوعات لمحاضراته هذه في سنة ١٩٢٥م وفي نفس الوقت أخذ يدرس الكتب ويجمع المعلومات اللازمة لها وخلال هذه السنوات نفسها كان إقبال قد ألقى ثلاث محاضرات بالانجليزية في الاجتماعات السنوية لجمعية" حماية الإسلام" وكانت عناوينها "روح التمدن الإسلامي" و"فلسفة الإسلام" و"دراسة القرآن الكريم" ولعل هذه المحاضرات الثلاثة أيضا كانت حلقات من هذه السلسلة نفسها. وقد انفق إقبال عام ١٩٢٦م كله في المعارك الانتخابية لمجلس بنجاب التشريعي حيث تجول في شوارع لاهور وأزقتها وحاراتها ليكس الأصوات كما أنه ألقى الكلمات في الاجتماعات الانتخابية والمواكب الشعبية ثم بدأت مشاغله داخل المجلس التشريعي حيث كان يعد كلماته البرلمانية بكل بحث وتحقيق وجد ونشاط وكان ينفق الكثير من وقته في إعداد هذه اكلمات وكذلك فإنه كان يزور بصفته زعيما سياسيا محليا الأزقة والشوارع والأسواق كلما نشأت مشاغبات طائفية في مدينة لاهور حيث كان يعزى المظلومين المنكوبين ويشجعهم أو يحاول تحقيق التفاهم بين الفرق ويشارك في المواكب الشعبية الثائرة ليحاول الضبط على المشاعر الثائرة والعواطف المتدفقة في نفوس الجماهير كما أنه كان يلقى الكلمات في الاجتماعات بمثل هذه المناسبات وكذلك فإن إقبالا قد ساهم في السلاسة الإسلامية الهندية على المستوى الوطني من ١٩٢٧م إلى ١٩٢٩م مساهمة شاملة فعالة وكان يسافر مرة من لاهور إلى دلهي وأخرى من دلهي إلى لاهور وبالإضافة إلى ذلك فإن المشاكل المقلقة الهائجة التي لا حصر لها كان يواجها إقبال بين حين وآخر مثل انقسام الرابطة الإسلامية إلى فئتين وزيارة لجنة(سائيمان)وتقرير (نهرو) وعقد مؤتمر الأحزاب الإسلامية الهندية كلها وقلاقل أفغانستان ومشكلة فلسطين والنقاط الأربع عشرة والتوحيد بين فئتي الرابطة الإسلامية وإعلان مؤتمر المائدة المستديرة الأول والتصريحات الصحفية والمقابلات الشفوية وغيرها من المشاكل والمشاغل إلا

أن إقبالا قد استطاع أن يبتكر ديوانه اشعري "زبور عجم" وينشره في مثل هذه الظروف الهائجة خلال هذه الفترة كما أنه استطاع أن يكتسب رزقه ورزق أهله بمهنة المحاماة ووضع الاسئلة الامتحانية للجامعات وتصحيح أوراقها الامتحانية ومما يدهشنا هو كيف استطاع إقبال أن يخصصوقتا من أوقاته الثمينة الغالية في مثل هذه الظروف الهائجة والمشاغل المتنوعة لموضوع جاف صعب من الفلسفة والكلام فما هي الحوافز التي كانت وراء هذا النشاط وهذه الأعمال كلها؟ وليس بمقدرة أحد أن يقوم بتحليل كيماوي لذهن إقبال أو عقله الآن ولكن ماهي المواهب الإبداعية العملاقة والقوى الصالحة غير العادية التي جعلت إقبال يتناول المشاكل الفلسفية الدقيقة العويصة في معترك هائج من المشاكل والمشاغل التي لا حصر لها وخاصة في مثل هذه الظروف الصعبة العاتية الحرجة حيث لم يكن إقبال يجد كلمات مناسبة للتعبير عن بعض ما يجول في خاطره فمثلا نراه يعترف هو نفسه قائلا (١٩).

"أما بعض من الأفكار فهي نتيجة لوجهة النظر الفلسفية المعاصرة ولا أجد الكلمات المناسبة لأعبر بها عن هذه الأفكار المعاصرة والانطباعات الشخصية."

وأما زيارته للهند الجنوبية فقد بدأت في أوائل يناير ١٩٢٩م وكان يرافق إقبالا في سفره هذا (الشوذري محمد حسين) و (عبد الله تشغتائي) وخادمه (علي بخش) ومن حسن الحظ أن (عبد الله تشغتائي) كان يعد التقارير اليومية عن هذه الزيارة ويرسلها إلى لاهور لتنشر في جريدة "انقلاب"وبذلك سجلت التفاصيل المسهبة لزيارة إقبال هذه.(٢٠)

وكان إقبال قد أخبر (السيد جمال محمد) رئيس "جمعية (مدراس) الإسلامية" عن برنامجه في شهر ديسمبر سنة ١٩٢٨م وبعد نهاية الجلسة الختامية لمؤتمر الأحزاب الإسلامية بمدينة (دلهي) تحركت هذه القافلة الصغيرة في الثاني من يناير سنة ١٩٢٩م في الثامنة والنصف صباحا" بقطار الحذود السريع" (فرنتيئر ميل).

وفي الثالث من يناير سنة ١٩٢٩م ظهرا كانوا قد وصلوا إلى "كولامبا" (بومبائ) حيث استقبلهم أصغر أولاد (السيد إسماعيل) أي (السيد هاشم اسماعيل) على المحطة لأنهم كانوا قد اتفقوا على أن ينزل إقبال ضيفا عليهم خلال المدة التي يقضيها في (بومبائ) فتغدى الجميع مع (السيد هاشم إسماعيل) في بيته وأما زوجة (هاشم إسماعيل) ابنة الحاج (يوسف سبحاني) من أشهر تجار (بومبائ)،فكانت سيدة مثقفة ثقافة عالية جدا حيث أكملت دراساتها العليا في

(ألمانيا) وبعد أن تغدى إقبال بعثت إليه قرينة(هاشم إسماعيل) ديوان (غوته) " فاووست" راجية منه أن يكتب على غلاف الديوان بيت شعر له فكتب عليه إقبال بيت شعره وهو:

كلام وفلسفه از لوح دل فرو ششم

ضمير خويش كشادم به نشتر تحقيق

ومعناه: قد مسحت الفلسفة وعلم الكلام من لوحة قلقي مسحا نهائيا ثم بحثت عم ضميري بمبضع البحث والتحقيق فأدركته:

ثم قام إقبال معلقا: فهذه هي النتجية التي كان يجب أن يصل إليها (فاووست) ولكنه لم يستطع أن يصل إليها! وفي الساعة الخامسة مساء أقام السيد (هاشم إسماعيل) حفلة دسمة في فندق"جرين" (عند فندق تاج) تكريما لإقبال والمرافقين له اشترك فيها شخصيات بارزة من أهل (بومبائ) ثم حضر إقبال مأدبة عشاء أقامها "اتحاد بومبائ الإسلامي" في الثامنة ليلا ثم غادر إلى بالناس من أقصاها إلى أ قصاها وكان معظمهم من المسلمين إلا أن عدد الهنادكة أيضا لم يكن قليلا وقد تراس الحفلة الدكتور(سبرائن) كبير وزراء (مدراس) وفتحت الجلسة بتلاوة آي من الذكر الحكيم وقد استغرقت مقالة إقبال الأولى ساعة وبضع دقائق وفي نهاية المقال قال الدكتور (سبرائن) وهو يلقى كلمته الختامية.(٢١):

"إنه لم دواعي الفخر والسرور أن أتيح لي رغم أن هندوكي، أن أتراس حفلة محاضرة عن الفلسفة الإسلامية وقد سرني جدا أن وجهة نظر المسلمين في هذا الإقليم صائبة صحيحة. إن الإسلام دعا الشرق بل العالم البشرى كله إلى الأخوه والمساواة. أمان نحن الهنادكة فلا نزال متوطين في الفوارق الطبقية والتفرقة الجنسية يجب علينا أن نتعلم رسالة الأخوة والمساواة من مدنية الإسلام وثقافته ولست أقول هذا الكلام بصفتي هندوكيا غير برهمي كما أنني لست أعارض فكرة الفوارق الطبقية بصفتي هذه ولكنه لا بد لنا أن تكون مساوة الإسلام وأخوته دليلا لنا في طريقنا نحو وحدة الهنادكة والمسلمين بل التوحيد بين جميع الشعوب والجنسيات الهندية."

وفي نهاية الجلسة وزع السيد(عبد الحميد حسن) نسخا من ملخص المقال على الصحفييينوكانت هذه النسخ قد أعدت مقدما وأما مأدبة العشاء الدسمة الحافلة فقد أقامها السيد عبد الحميد حسن وكان من الملامح البارزة للعشاء أن بطاقات الطعام المنظمة كانت قد طبعت بالأردوية وكان أمام كل ضيف بطاقة خاصة وكتب عليها ما يأتي:

"نظام الأطعمة في مأدبة إقبال"

السبت ٥ يناير ١٩٢٩م	المكان: دوكوشه دانيار
شورة شيرازي	الدجاج والخبز الهندي
رز مدراسي	حلوة جزر
"ببوسي" زغفراني	الفواكه
مثلوجة/ فالوذه	

وعاد الجمع إلى الفندق ليلا في ساعة متأخرة فأخذ السيد جمال محمد نسخة المقالة من إقبال والتي كان يحتفظ بها (عبد الله تشغتائي) ثم حضر بعد الفطور من صباح الغد في الفندق فعاد بالمقالة وفي أثناء ذلك كان إقبال أيضا قد فرغ من الفطور فتحدث إليه السيد جمال محمد عن موضوع المقالة ووجه إليه بعض الأسئلة عنها فرد عليه إقبال ردا مقنعا مرضيا وذلك لأن السيد جمال محمد هذا لم يكن تاجرا دوليا فقط ولم يكن من كار الأثرياء المسلمين في الهند من أمثال "برلا" الهندوكي (أغنى تجار الهنادكة في وقته) وإنما كان يمتاز بعلمه وفضله فقد كان على قدم راسخة من الثقافة وعلى حظ وافر من الذكاء وكان قد زار بلاد أوروبا إلى جانب معظم البلاد الإسلامية كما أنه كان قد قام بأداء فريضة الحج غير مرة إلا أن تواضعه وبساطته كانت قد بلغت الغاية فقد كان يلبس العمامة على رأسه وإزارا وقميصا بسيطين من الطراز المحلى الهندي وكان ذا لحة وقد تاثر به إقبال تأثرا كبيرا واستحسن ما كان يملكه من الفهم والذكاء والثقافة العالية وأضاف قائلا بأن الرجل قد قرأ مقالتي وسألني عن أشياء تخص مقالتي هذه وهي مما لم يخطر بالبال أبدا ثم قال معلقا عليه:

> "الله الله ! هذا رجل يتشغل في تجارة قد بلغت عشرة ملايين من الروبيات سنويا وهويلبس ملابس بسيطة من الإزار والقميص ولكنه يستطيع أن يناقش حقيقة الروح والمادة وغيرهما من المشاكل الفلسفية العويصة بالانكليزية والأردوية معا. إنه مفكر ومهتم بقضية التوفيق بين العلوم الإسلامية القديمة والعلوم المعاصرة كما أنه يتمنى أن يظهر الإسلام دين الله الحق على العالم كله في صورته الأصلية ومجده القديم الأصيل. إن المسلمين اليوم في حاجة إلى أمثال من الرجال ولا يمكن الوصول إلى الهدف المنشود إلا إذا نشأ فيهم رجال من أمثاله."

والواقع أن جهود السيد جمال محمد كانت مركزة على هذه النقطة وحدها فهذا (عبد الله تشغتائي) يحدثنا عن انطباعاته حول شخصية الرجل فيقول:

"وهذه النقطة هي كيف يمكن التوفيق بين التربية الدينية وبين تدريس العلوم والآداب المعاصرة حتى يصبح رجل الدين مثقفا متعلما كما أن الإنسان المتعلم المثقف ثقافة معاصرة يصبح إنسانا مسلما على الأقل وإن لم يكن رجل الدين الكامل. فهذا هو الهدف الذي يتركز عليه جميع نشاطاته الصالحة البناءة وهذا الرجل يتحدث عن العلوم المعاصرة كعالم من علمائها كما أنه يحسن استنباط المسائل الدينية من الآيات القرآنية وهو يشكو رجال الدين والمشائخ حيث لم يحاولوا أن يدركوا الأوضاع الجديدة والظروف المحيطة بهم في تبليغ رسالة الإسلام وتدريس علومه منذ القرنين الماضيين أو أكثر من الزمان إلا أنهم ليسوا بملومين إلى حد بعيد وذلك لأن الأوضاع الراهنة والظروف الحالية لا ترجع إلى سبب واحد وإنما ترجع إلى عشرات من الأسباب. على كل حال فقد مضى ما مضى ولا فائدة في التباكي عليها وإنما يجب على مشائخنا وزعمائنا المسلمين أن يجمعوا بين القديم والجديد حتى يتمكنوا من التعويض عما فاتهم كي يتمكن العالم أن يرى ذلك الإنسان المسلم الذي هو هدف القرآن الكريم وهدف رسول الإسلام وهدف رب العالمين".

وبقي إقبال في (مدراس) إلى ٨يناير سنة ١٩٢٩م وقد مضت أيامه الأربعة هذه وهو مشتغل بالأعمال الكثيرة للغاية وفي ٦/يناير ١٩٢٩م قرأ إقبال مقالته الثانية في قاعة (جوخلي) وكان موضوع المقالة هذه" الامتحان الفلسفي للتجربة الدينية من الوحي والإلهام" وفي صباح نفس اليوم حضر عنده مراسل خاص لجريدة (ساوا راجيا) فأجرى معه مقابلة صحفية وقال إقبال خلال مقابلته الصحفية هذه بأنه كان يفضل الدين على الحكم الوطني وأنه لميكن يهتم بالحكم الوطني الذي لا صلة له بالدين إلا أن شعوب آسيا لم يكن من الممكن لها أن تهمل موقف أوروبا المادي ومن ثم المشكلة التي كانوا يواجهونها هوالتوفيق بين القيم الروحية والشؤون المادية. وكان إقبال يرى بأن تركيا المعاصرة فشلت في ذلك حيث لم توفق في الجمع بين القيم الروحة والأغراض المادية إلا أنه لم يكن يائسا من الأتراك وعن مستقبلهم ولكن إقبال كان يعتقد بأن مسلمي الهند بإمكانهم أن يحققوا هذا المجد العظيم فيبنوا "دنيا جديدة" لإنسان معاصر فوق أنقاض الدنيا القديمة وآثاره وكان يرى إقبال أن موقف الشباب المسلمين من إهمال الدين على الإطلاق والاهتمام كل الاهتمام بالسياسة موقف يدل على تقليد أروبا الأعمى وأن أكبر الأسباب التي جعلت الأتراك يفشلون ويخسرون هو أنهم أخذوا يقلدون اوروبا تقليدا أعمى.

إنهم لو بحثوا عن الحل الإسلامي للمشكلة لكانت الأوضاع غير التي ظهرت لهم وذلك لأن الإسلام إنما هي محاولة ناجحة للغاية للتوفيق بين الخيال والحقيقة

أي بين القيم الروحية والأغراض المادية وأوضح إقبال موقفق فقال بأن مسلمي آسيا وأفريقيا إذا أرادو حياة كريمة فلا بد لهم أن يدخلوا الدنيا الجديدة إلا أن هذا الدخول في الدنيا المعاصرة قد يضر بالشعوب إلا من كان منها على وعي وعلم بالقوى التي تفسد العالم المعاصر أو تبنيه بناء صالحا وسئل إقبال عن قضية "بأن إسلام ازم" أي الوحدة الإسلامية فرد إقبال قائلا بأن هذه الكلمة كانت سببا لكثير من سوء التفاهم في أوروبا وسيا وأن أول من ابتكر هذا المصطلح هو صحفي فرنسي وكان الغرض منه هو تنبيه الشعوب الأروبية على الأخطار الخيالية الموهومة وراء التوحيد بين الشعوب الإسلامية حتى أصبحت هذه الكلمة مثل " الخطر الأصفر" ذلك المصطلح الأروبي الذي وضع للهدف نفسه أما عن معاني هذه الكلمة فلا توجد إطلاقا حركة تسمى " بان إسلام ازم"

حتى أن الأستاذ "براؤن" من جامعة كمبروج أيضا قد حقق بأن هذا الخطر الموهوم لاأساس له أصلاً وإذا كانت هذه الكلمة تعني شيئاً فهو ليس إلا أن الأخوة الاسلامية هي "بان اسلام ازم" وكلمة "بان إسلامي" لاتوجد في القواميس وذالك لأن الأسلام إنما تجربة عملية تمت للتوحيد بين الأجناس البشرية مهما اختلف أجناسهم وألوانهم وألسنتهم وجنسياتهم وأوطانهم."

وفي ٧ينائر١٩٢٩م قرأ اقبال مقالته الثالثة في قاعة (جوخلي) وكان عنوان المقالة:----وقد حضر جمع عظيم من الناس في المحاضرات وفي هذا اليوم نفسه كانت "جمعية مدارس النسوية الإسلامية" قد وجهت الدعوة إلي اقبال ليحضر في اجتماعها الذي عقدفي حدائق(طاكراس) وكانت السيدة قرينة (عبد السلام) روح هذا الاجتماع الفعالة وكان زوجها المدير العام للبريد هناك وقدمت الجمعية كلمة رحبت بها باقبال ويحكي(عبد الله تشغتائي) بأن السيدات كلهن كن وراء الحجاب وكان اقبال جالسا خارج الحجاب وقد أنشادت كلمة الترحيب بما قام به اقبال من الخدمات في مجال الدين والعلم والأداب ولعل هذا القسم من الكلمة كان قد أضيف إلي الكلمة لاهتمام اقبال الخاص ورده عليه وهذا نص قسم م الكلمة هذه:(٢٢):

"ننتهز هذه الفرصة المناسبة فنقدم إلي حضرتكم رجاءًا متواضعاً أن تخصصوا بعض اللحظات من أوقاتكم الثمنية لنا نحن "أسري القفص" من النساء المحتجبات ونرجوكم أن تنظموا من أناشيدكم الشعرية تؤيد حرية النساء التي يمنحهن الاسلام-إننا نحن "اسرى القفص" نمر بظروف سيئة جداً فنرجوكم أن تنشدوا منظومة شعرية مثيرة تهيج المشاعر النائمة في النفوس إننا لمدينات

متشكرات للشيخ (حال) حيث قال من الشعر مارفع به مكانة المرأة خلال السنوات الأولى من القرن التاسع عشر –إن شعر الشيخ (حالي) قدنبَّه الأسر الاسلامية الهندية إلى تحرير المرأة ولكنه توجد أسراسلامية كثيرة حتى اليوم لاتسمع كلمة تحرير المرأة–رغم أن الرجل والمرأة كلاهما يستحق المساواة في الحياة الدنيا وأن الاسلام قد علمنا المساواة وأنه ليحزننا حيث نرى الرجال يهملون حقوق النساء إهمالاً شديداً إننا لنرجوك بكل توسل إلحاح أن تفصل القول عن الأنساب الحقيقية التى حرمت المرأة المسلمة من حقوقها– إننا لانريد أن نقول بأن اخواننا الرجال الذين تخجبهم أمهاتنا هم ظالمون سفاكون أبداً أبداً ولكن الذي يحزننا ويؤلمنا إنما هو الظلم الذى تلاقيه المرأة المسلمة علي أيدى الرجال وحتى أن هذا الظلم والحرمان يتم والمرأة لاتزال في بيت أبويها يفرقان فيما يأكله الإبن وفيما تأكله البنت كما أنهما يحرمان البنات من أسهم الميراث حتى أن البنت البائسة إن مات زوجها فان الأبوين يظلما نها فلا يزوجا نها من زوج جديد لأن ذلك في زعمها يسئى إلى مجد الأسرة وكرامتها إنهم يتركون الأيامى من بناتهم يقضين ايام حياتهن في بؤس وشقاء في بيوت إخوانهن أوأعمامهن– إن العصر الحاضر المتنول كل ذلك يقتضى بطبيعته أن تتمتع المرأة المسلمة بحقوقها الشرعية والحرية والمساواة التى أنعم بها الله على البشر–إن روح الاسلام الصادقة الحية تصونها المرأة المسلمة– إن المسلمة قد عاشت طويلاًوهى تعانى من الذل والحرمان والظلم والطغيان– غنها عاشت وهي تؤثر غيرها على نفسها وفى النهاية نرجو عفوك حيث ضيعنالحظات كثيرة من وقتك الثمين وأملنا بك كبير وقوى بانك سوف تنظيم أنشووة لتحرير المرأة وصلاحها في القريب العاجل من المستقبل وأن هذا الإحسان والعمل الخيرى منك سوفى يجعل المرأة المسلمة تشكرك مدى الدهر"

ثم قام اقبال خطيباً يرد عل كلمة الترهيب قد احتفظت الايام بكلمة هذه فكان مما قاله اقبال بهه المناسبة(٢٣):

"إننى لم أزل أعتقد دائماً بأن المرأة هى التى تستطيع أن تحتفظ بأمجاد أي شعب من الشعوب ورغم أن حقوق المرأة قد أهملت في عصرالزوال والا نحطاط وأن الرجال المسلمين لم يحفلوا كثيراً بالنساء المسلمات إلا أن المرأة المسلمة لم تزل ولاتزال تؤدى واجبها وتقوم بدورها البناء فلن تجد إنساناً لا يحمل آثاراً من التربية النسوية التى تلقاها من أمة أولم يترك حب شقيقاته آثاراً صالحة طيبة في قلبه وضميره–إن الأزواج السعداء الذين رزقوا بزوجا ت صالحات يعرفون جيداً بأن المرأة لها دورها فىحياة الرجل ولها نصيبها في تقدم الحياة الزوجية وسعادتها ولست في حاجة إلي أن أقول بأن الاسلام ينادي بالمساواة الكاملة بين المرأة

والرجل فهذا مافهمت من الآية القرآنية المباركة الواردة عن هذا الموضوع وبعض رجال الذين يؤمنون بتفوق الرجل وفضله على المرأة وهذه هى الآية التى يستدلون بها:"الرجال قوامون على النساء" لكن القواعد العربية تقول بأن الكلمة "القائم" إذاكانت صلتها"على"ت فهى تعنى المحافظة والذود وقد وردت آية أخرى في القرآن الكريم تقول هن لباس لكم وأنتم لباس لهن"وليس الغرض من اللباس إلا المحافظة فالرجل يحافظ على المرأة ويذدو عنها- وهناك جوانب أخرى من الحياة العلمية لاتفرق بين الرجل والمرأة فقد شاركت النساء المسلمات مع الرجال المسلمين في الجهاد المقدس خلال القرون الاسلامية الأولى وكانت اختا لخليفة من الخلفاء العباسيين احتلت منصب قاضى القضاة فى العصر وكانت تصدر الفتاوى أما ماتطالب به المرأة اليوم فهو منها حق التصويت وفي الخلافة الاسلامية كان من حق كل فردسواء كان رجلاً أو امرأة أن يري رأية في انتخاب الخليفة وكان للنساء حق في انتخاب الخليفة- إن الاسلام دين ينادى بالاعتدال والتوازن فى شؤون الحياة كلها ولاشك أن للمرأة واجباً ووظيفة بصفحتها امرأة كما أن للرجل واجباً ووظيفة بصفته رجلا وهذه الواجبات والوظائف تختلف بدون شك إلا أن هذه الخلافات الفوارق لاتدل على أن المرأة أقل كرامة ومكانة من الرجل . إن اختلاف الواجبات والوطائف له أسباب أخرى فمعنى ذالك مبدأ المساواة في الاسلام لايفرق بين الرجل المرأة وأما من ناحية الواجبات المدنية والاجتماعية فبينهما فرق بدون أى شك.

ولكن الإسلام لايعتبر المرأة أقل منزلةً وكرامةً من الرجل ويحب قبل كال شئى أن نعرف بأن الأم ترث أولادها ولها حق ثابت وسهم مضروب وفى الإرث وأنتن على علم بأن أخواتكن في كثير من الدول الأروبية لاحق لهن فى الميراث والمِلْكِ حتى أن الأم الانجليزية ليس لها حق فى تولية أووصاية أولادها وأماالاسلام فقد اعترف بهذا الحق وظل معترفاً به منظ البداية حتى اليوم إن هذه شؤون اجتماعية قد أخذت الشعوب الأرروبية تتبعها وتستمد ها من من الشريعة الإسلامية أو أن الفطرة أوالطبيعة البشرية قد جعلتها تمثيل إلى هذه الحقوق الاجتماعية الفطرية وكان الحصول على الطلاق للمرأة الأروبية أمراً صعباً جداً وأما المجتمع الإسلامى فالأ مرفيه ليس كذلك وقد يعترض البعض من الناس فيقولون بأن الإسلام لا يعطى للمرأة حق التطليق ولعلكن لستن على علم بأن رجال الذين والشيوخ فى الإسلام لم يخبروكن بأن للمرأة حقا أن تقول للرجل عند الزواج بأنها ترضى به إذا أعطى له أو لأحد من أقاربها حق التطليق ذلك الحق الذي تمنح الشريعة الإسلامية للزوج وأن الزوج يجوز له أن يفوض أمر الطلاق إلى أحد أقاربها.إنكن

أكثرتن من استخدام كلمة :أسرى القفص "للتعبير عن أنفسكن في كلمة الترحيب هذه إن التراكيب أو التعابير مثل هذه قد ذكَّرتنى بالحركة السائدة فى تركيا المعاصرة أو في بلاد أوروبا الأخرى وهى حركة "ايمان سيبيشن"(أي تحرير المرأة من سيطرة الرجل وهيمنته) ولكن يجب أن نرى قبل كل شئى بأن الذى يعبر عنه بالقيود اللفظية هل هى قيود بالفعل وفى نفس لأمر؟وأما أحكام الشريعة عن الحجاب فهى واضحة لاتحتاج إلى أى توضيح ان الله تعالى سبحانه وتعالى يأمر المؤمنين والمؤمنات بغض البصر وذلك لأن في الحياة أوقات ولحظات تكون فيهاالمرأة فى حاجة إلى أن تبرز أمام غير المحارم فهذا الامر خاص بمثل هذه الأوقات واللحظات وأما الظروف والاحوال الاخرى فلها أحكام وأوامر وأما الحجاب الاسلامى فإن المرأة المسلمة قد أمرت فيه بأن لاتبدىزينتها وكذلك تعدد الزوجات هو إذن مشروط وليس حكماً واجباً لا شك أن الرجال المسلمين قد استغلوا هذا الاذن المشروط ولكن ذلك لايرجع إلى المادئ الشرعية . فإذا نقص عدد الرجال فى ألأمة الاسلامية بسبب الجهاد أو الحرب فلا بد للرجل أن يتزوج أكثر من زوجة واحدة لكى يتمكن الشعب أو الأمة من مواجهة الظروف الطارئة المقبلة ونظراً الى مثل هذه المصالح فقد أذن القرآن بتعدد الزوجا ت وعلى هذا الأساس يفرق الفقه الإسلامى بين الفريضة والرخصة. أما الرخصة فيمكن تركها ولا تترك الفريضة أبداً فإن المرأة إذا طالبت الرجل بترك هذه الرخصة عند عقد النكاح فلها الحق فى ذالك إننى أقول بصراحة إن آباء البنات هم المسئولون أيضاً عن إضاعة حقوقهن لأنهم لايحافظون على حقوق بناتهم عند الزواج وكذلك فإن النساء المسلمات أيضاً مسئولات عن ذلك فى قضية حقوقهن فما ذا لا تطالب النساء أزواجهن بحقوقهن الشرعية؟,,ولماذا لاتطرقن أبواب المحاكم والقضاء وماذا يمنع الاخوات من أن يطالبن إخوانهن بميراثهن فيما يترك ألاباء ومع الأسف الشديد أن المحاكم الشرعية لا توجد في الهند اليوم ولا يمكن القضاء في هذه الحقوق الشرعية للمرأة المسلمة كما يأمره به الاسلام بإن الشريعة الإسلاميو لم يعمل بها منذ خمسة أوستة قرون أما الذين يعرفون القانون الوضعى الانجليزى فإنهم لا يعرفون الشريعة الإسلامية وتوجد كتب فقهية مشهورة كتبت قبل خمسة أو ستتة قرون وإن الفتاوى التى صدرت كانت تطابق أحوال العصر في ذلك الوقت أما اليوم فقد تغيرت الظروف والأحوال فيجب دراسة المساءل الشريعة نظراً إليى الأوضاع الجديدة والظروف المعاصرة بإن النساء إذا اعترضمن الاحتفاظ بحقوقهن وطالبن باالحقوق التى منحت لهن فى الشريعة الاسلامية ويجب أن يأخذن حقوقهن هذه

من الرجال وإذا تحقق ذلك فإننى أقول والحق يقال بأن حياة الرجال تكون حياة ضيقة جداً وأن المرأة يحق لها أن تطالب بأجر الحضانة والرضاعة من زوجها كما أن المرأة المسلمة تستطيع أن تطالب بأجرة إعداد الطعام لزوجها فذلك من حقها إنكن أيتها السيدات تتهمن الرجال أما أنتن فلستن برئيات من هذه التهمة فيجب عليكن أن تطالبن بحقوقكن بكل إلحاحٍ وشدةٍ وإيمانٍ قويٍ بأن القرآن قد أعطى المرأة حقوقها التى يمكن لها أن تطالب بها على أساس العدل والعقل والمادئ الخليفة ولكن الشريعة الاسلامية لا تسمح بالتحرر الذي يستحيل به الانسان خليعاً مستهتراً وأنه ليس من الممكن أن بطالب أى إنسان عاقل بثمل هذا التحرر الخليع . يجب علينا أن نقنع الرأى المسلم العام بالموافقه على حقوق المرأة فلا يتم زواج حتى يتم الاتفاق على حقوق المرأة تلك الحقوق التتمنح لها في الشريعة الاسلامية فيجب أن تبدأ حركة قوية تهدف إلى هذا الاتفاق. سبق ةأن قلت بأن المرأة المسلمة هى خير من يحافظ على حقوق الأمة الإسلامية و أمجادها الماضية ولكن بشرط أن تتخذ المرأة الطريق الحكيم الصحيح من الإصلاح كما أنه يجب على نسائنا أن لا يقلدن نساء تركيا المعاصرة أو نساء الدول الاروبية الأخرى تقليداً أعمى ويجب أن لا تخدعكن كلمة الحرية البراقة وإنما يجب عليكن أن تفهمن معنى الحرية الحقيقى قبل كل شئ فأما حرية المرأة الأروبية فقد رأيناها وأدركنا حقيقتها . إن المدينة الأروبية تلمه فى ظاهرها ولو تعمقنا فى داخلها لا قشعرت جنوبنا . يجب على المسلمين أن يقرؤا القرآن ويفهموه ويفكروا فيمايهديهم أليه فقد رأيت الناس فى اقليم بنجاب يصرحون فى المحاكم بأنهم لا يتبعون الشريعة الاسلامية وإنما يتبعون التقاليد المتواثة ليس لغرض إلا لأن بناتهم سيطالبتهم بحقوقهن وأسهمهن في الميراث فيجب علينا أن نحاول أن نتحرر من القيود المتوارثة والعادات المحلية قبل كل شئ.

وعندما أنهى اقبال كلمته هذه طالبته السيدات بكل إلحاح واصرار أن ينشد لهن شيئاً من شعره ولكنه قال معتراًبأنه لا يحفظ شعره كما أنه لا يحمل معه ديوان شعره فاذا ببعض السيدات يلقين بالعديد من نسخ "صوت الجرس" مما لم يترك مجالاً من الإنكار لا قبال فأخذ نسخة ديوانه"صوت الجرس" وأنشدلهن قصيدته "فاطمةبنت عبد الله" (وهى قصيدة نظممها اقبال حين بلغه استشهاد فاطمة هذه وهى كانت فتاة صغيرة مسلمة حرحت فماتت وهى تسقى المجاهدين الجرحى فى الحرب طرابلس فى ليبيا)

وقدأقام أصدقاء السيد جمال محمد مآدب الطعام فى بيوتهم تكريماً لاقبال بالإضافة إلى ما أقامته المؤسسات الاسلامية بمدينة (مدارس)من المآدب والحفلات الكثيرة وكان السيد عبد الحميد حسن قد وافق على طلب الجمعيات المختلفة من إقامة الحفلات التكريمة بكل سروركما أن إقبالاً شارك في جميع المآدب والحفلات ولم يترك مجالاً لأية شكوى من أية جهة فى المدينة فمن المؤسسات والجمعيات التي رحبت باقبال وأقامت المآدب والحفلات تكريماً له "المدرسة الجمالية"و"جمعية النهضة الأردوية" وهندى برجارسبهاً (جمعية النهوض باللغة الهندية)و "الجمعية الأردوية" بالكلية المحمدية الحكومية وجمعية الهلال الأحمر" وحضر اقبال فى هذهه الحفلات كلها وألقى فيها من الكلمات والخطب وكان الوقت المنزهة بمدينة (مدراس) قليلاً جداً إلا أن السيد جمال محمد رغم هذاكله قد طاف باقبال حول المدينة وأراه الأماكن الجديدة بالرؤية والمشاهدة ومنها" قلعة منرو"و "المقرالرئيسى" والعديد من المبانى الشامخة وقد رأى اقبال بهذه المناسبة المعابد الهندوكية غير البرهمية وهى نماذج من الفن المعمارى الدرا فيدى القديم ثم ذهب بهإلى الشواطى فرأوأ الصيادين يصيدون الأسماك كما رأى المربى المائى أو الحوض الصنهى لحفظ الاسماك فاهتم به اهتماما كبيرة ثم ذهببو إلى ضاحية (مدراس تسمى"أديار" حيث يسكن اتباع الفرقة

الثيو صوفية (فرقة تؤمن بمعرفة الله من طريق الكشف الصوفي والتامل الفسفى)وكانت زعيمة الفرقة تعرف باسم(وقد إقبال شجرة من تين البنغال كانت فروعها واسعة الأطراف وكانت هذه الشجرة تعجب الكثير ين وكانت جديدة بالرؤية-

وفى مساء٧ ينائر ١٩٢٩م أقامت جمعية (مدراس) الإسلامية حفلة توديع لاقبال اشترك فيها وجهاء المدينة وكبارها من أهل العلم والثراء وقد علق الكثيرون على زيارة اقبال المدينة (مدراس) وفواءدها العلمية بالمناسبة وتحدث الكثيرون فابدوا عن رأيهم انطباعاتهم فقالوا: إن هذه الزيارة قد اضافت إلى نشاط المسلمين فى مجال العلوم الإسلامية الصحيحة قوة وحيوية جديدة كما تحدث السيد عبد المجيد حسن والسيد جمال محمد بهذه المناسبة وأما اقبال فقد ألقى كلمة هزت القلوب على حد تعبير (عبد الله تشغشائى) وكانت كلمته هذه عن تقدم العلوم والآداب الإسلامية فميا مضي من الزمن كمت أنه أبدى عن قلقه وحزنه على الظروف الراهنة التى يعيش فيها المسلمون وفى النهاية أشاد اقبال بجهود السد جمال محمد فقال بأن وجوده بين مسلمى (مدراس)من الفرض النادرقلما

تتاحوقلما يجود بها الزمن-

وحضر السيد جمال محمد فى فندق (بوسوتو) قبل مساء ٨يناير ١٩٢٩م وقد لاقبال شيكاء لنفقات الخطب والمحاضرات بالإضافة إلى بطانية كشميرية نفيسة للغية كما أنه أهدى البرود الصوفية إلى كل من (الشوذرى محمد حسين) و(عبد الله تشغتائى) و(على بخش) وبذلك جدد السيد جمال محمد الذكريات والتقاليد القديمة من الثقافة الإسلامية وفى نفس المساء وصل اقبال إلى محطة القطار للمدينة العسكرية بمدينة (مدراس) يسافرإلى مدينة (بنجلور) فوجد على الرصيف جموعاً محتشدة من المسلمين قد حضروا ليودعوه توديعاً حاراً

وفى السادسة والربع صباحا من ٩يناير ١٩٢٩م وصل القطار إلى محطة (بنجلور) فرأى الآلاف من المسلمين مدينة (بنجلور)قد حضروا ليستقبلوه فى المحطة وكانوا يحملون عقوداً كبيرة ثمنية من الأزهاركما أن المحطة كانت تعطى منظراً رائعاً بما زينها الأهالى با المناسبة وكان هناك عدد من الشخصيات البارزة فى البارزة فى الجمع المحتشد على الرصيف ومنهم فخر التجار الحاج السير(اسماعيل السيد)و(امين الملك السيرالميرزا اسماعيل رئيس وزاء إمارة ميسور)و(الحاج السيد عبد الغفور)و(كليم الملك السيد غوث محى الدين) رئيس التحرير لجريدة "الكلام"و(السيد محمود خان محمود بنجلورى)فتقدم هؤلاء الكبار فطوقوا اقبالاًبعقود الأزهار(٢٤)

وكان (الحاج السير اسماعيل السيد) قد حضر فى محطة(مدراس) للقطار حيث استقبل اقبالاً وهناك فى مدينة (مدراس) نفسها وجه دعوة إلى اقبال لينزل عنده خلال زيارة لمدينة (بنجلور)فركب اقبال سيارة الحاج السير اسماعيل ورافقهما الحاج عبدالغفور فتحركوا متجهين إلى "الاكس لاج" مقر الحاج اسماعيل وبما أن الناس المستقبلين قد أخذوا يسعون بجانب السيارة فذا كانت السيارة تمشى رويداًرويدً على الطريق الذي كان من حوالى نصف ميل-

وكان (الحاج السير إسماعيل السيد) من كبارأغنياء مدينة(بنجلور) وهو الذي أنشأ مستشفى (بنجلور) النسوى الذي كان يعرف "بكوشه هسبتال) (أوزاوية طبية) كما أنه بنى العديد من المساجد فى المدينة بالإضافة إلى ماكان ينفقه من ملايين الروبيات على التربية والتعليم لأولاد المسلمين وكان تاجراً دولياً وكان معظم تجارته مع التجتار الإنجليز وكان قد استخدم سيدة إنجليزية فى بيته وهى التى كانت تشرف على جميع الشؤون المنزلية الهامة وكان هو يتحدث بالإنجليزية إلا أنه لم

يكن يستطيع أن يقراء أويكتب بها فقال لاقبال فى مناسبة من المناسبات"ياحضرة الدكتور ! أنا لاأعرف الإنجيلزية" فرد عليه إقبال قائلاً:"لابأس إذالم تكن تعرف الانجليزية فأنت تعرف الانجليزبدون شك فلست فى حاجة إلى أن تعرف الإنجليزية"! وكان الرجل قد بلغ الثمانين من عمره تقريباً وكان ثقيل الأذن لايستطيع أن يسمع إلا بجهد وكان مولعين بالملز وسباق الخيل وكانت فى داره غرفة واسعة تنزينها الجوائز المتنوعه التى لاحصر لها مما فازت به خيله وكان له ابن يسمى (السيد محمد عاد من لندن وكان مريضاً وهو الذى كان نازلاً بالدار حيث نزل اقبال وزملاؤه فافطر اقبال واصحابه ثن ذهبوا إلى غرفة (السيد محمد)ليعوده ويسلوا زوجته الأروبية ويتعاطفوا معها.

وفى العاشر صباحا من ذلك اليوم عقدت جلسة في مقر (الاوبرا) على شارع(غاندى) تكريما لاقبال وتحت إشراف المكتبة الإسلامية بمدينة (بنجلور) العسكرية حيث قدمت كلمه الترحيب لاقبال نيابةً من سكان المدينة وقد ترأس الجلسة (أمين الملك السير الميرزا إسماعيل) رئيس وزراء إمارة (ميسور) ثم قام إقبال فرد على الكلمة وتحث فيها عن المكتبات الإسلامية فى العالم وألح على الأهالى أن يهتموا بتوسعة المكتبة الإسلامية وقال فى تلك الكلمة "أتفاءل لهذه الخطوة وأرى أنها ستساهم مساهمة صالحة قيمة فى خدمة مسلمى شبه القارة ةأعتقد أن مكتبة(بنجلور) الإسلامية قد قامت بدورها فى إيجاد هذا الإحساس والاهتمام وآمل فى أن هذه المكتبة سوف توسع فى آثارها وفعاليتها فى القريب من المستقبل ويجب على القائمين بالاشراف على هذه المكتبة الإسلامية أن يهتموا اهتماماً خاصاً بالمخطوطات عن تاريخ تاريخ (ميسور) الإسلامى"

وفى المساء من نفس اليوم عقدت جلسة أخرى فى ميدان كلية الآداب والعلوم وكانت جلية عامة قد عقدت تحت إشراف مصلحة التربية والتعليم لمدينة (ميسور) وقد ترأس الجلسة الأستاذ (سبارأو)وحضر فيها آلاف من شباب (بنجلور) المثقفين من الهنادكة والمسلمين وألقى اقبال كلمة ممتعة مفيدة بهذه المناسبة (٢٦)وأما مأدبة العشاء فقد كان محلها هو بيت غنى من أغنياء (بنجلور) المسلمين واسمه (جج مان محمد على) وقد حضرها آلاف من وجهاء المدينة وشخصياتها البارزة وقد رتبت هه المأدبة طبقا لتقاليد التجار(اليمنيين) حيث جلس الضيوف فى الأرض وقد التقى إقبال بمعظم وجهاء مدينة (بنجلور) وكبارها خلال إقامته القصيرة هذه وظلت أفواج الزوار تختلف إلى منرل الحاج (السيد اسماعيل السيد) بين حين وآخر طول الوقت.

وكان إقبال قد أبلغ بأن سيارة أمير (ميسور) الحاكم سوف تأتى إليه ظهراً فتقله إلى مقر الامير وفي الساعة الحادية عشرة تقريباً من ١٠ يناير ١٩٢٩م وصلت سيارة فخمة وفيها أحد كبار موظفى الامارة وكان اقبال جالساً بين مئات من أهل العلم وطلابه فى منزل الحاج (السير اسماعيل السيد) فودَّعوا إقبالاً توديعاًحاراً فركب السيارة وخرج متجهاً نحومدينة(ميسور) فبينما هو يعبرجسرنهر(كاويرى) رأى جمعاً من الناس علة منحنى الطريق يشيرون إلى السيارة ويرجون إيقافها وكان فيهم شيخ طاعن فى السن وكان الباقون من الناس قد حملوا إبريق الشاى والفناجين فقابلوا اقبالاً ببالغ الحب والاحترام وقد موا له الشاى ةأخبرالشيخ الهرم بأنه قد سمع اقبال ينشد منظومته"استعانة اليتيم" في اجتماع سنوى "لجمعية حماية الإسلام "بلاهور وأن مشهد ذلك الاجتماع لايزال بين عينيه حتى اليوم وكان هؤلاء الناس من قرية نائية وقد حضروا ينتظرون اقبالاً منذ صباح على جانب الطريق ليروا شاعرهم الإسلامى مع قائدهم الشيخ الهرم . ثم تحرك اقبال حتى وصل إلى مكان يسمى (سواسمدرم) حيبث يقع مصنه إنتاج الكهرباء لإمارة (ميسور) وأخيراً وصل إلى (ميسور) فى الساعة الرابعة والربع تقريباً. وكانت مدينة (ميسور) كما رأها اقبال مدينة نظيفة رائعة الجو طيبة المناخ وهذا الوقت نفسه كان هو موعد اللقاء مع أمير (ميسور) فذهب السيارة به إلى دار ضيوف الدولة مباشرة فاستعد اقبال عقب وصوله لكى يقابل الامير فقضى بعض الوقت معه ثم استأذنه وانصراف.

فى السادسة من مساء ذلك اليوم ألقى ألقى إقبال محاضرة فى قاعة جامعة (ميسور)التى رتبت هذه المحاضرة وقد ترأس الجلسة السيد (تشاندى) رئي الجامعة وحين وصل إقبال إلى القاعة رأها مزدحمة بالناس وكان فيمن حضر أساتذه الجامعة بالإضافة إلى براهمة المدينة وغيرهم من الوجهاء والأفاضل فقرأ اقبال مقالة من بين المقالات الثلاثة التى قرأها (بمدراس)

وفى "يناير١٩٢٩م إعداد البرنامج تحت إشراف إمارة (ميسور) لكيزور اقبال قلعة (سلطان تيبو الشهيد) التى تعرف بقلعة(سَرَ نْجا بَتَم) وعلى مقربة من القلعة يقع ضريح (سلطان تيبو) الشهيد وفى الساعة التاسعة تقريباً ركب اقبال والوفد المرافق له فى السيارات وكانت إحدى السيارات من هذه القافلة تقل (السيد على خان) الموسيقار المعروف لبلاط(ميسور)وكان يصحبه رفقاؤه أصحاب فرقته الموسيقية وقدأرسلت هذه الفرقة الموسيقة من قبل أمير (ميسور) خصيصاً لمرافقة

اقبال فوصل إقبال فى الثانية عشرة تقريبا عند ضريح السلطان الشهيد والذي يسمى" قبة سلطانية" وعلى باب الضريح يوجد المؤكلون المأمورون رسمياً بضرب الوفوف للزوار القادمين وقد بنى الضريح بالمرمر الأسود أو "حجر موسى" فدخل اقبال الضريح وهو يقراء الآية القرآنية التى وردت عن خلود الشهداء " ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لاشعرون"وتحت القبة السلطانية توجد ثلاثة قبور أحدها مفطى بالاسود وهو قبر (حيدر على) والد سلطان (تيبو) الشهيد وعلى اليمين قبران أحدهما ذهبى اللوله وهو قبر السيدة (فاطمة) والدة سلطان (تيبو) والقبر الثانى أحمراللوله وهو قبر السلطان (تيبو) الشهيد نفسه واللون الأحمر فى الواقع يدل على أن المدفون فى القبر من الشهداء . كان السلطان تيبو نفسه قد دفت أبويه فى ذلك المكان وبنى على قبريهما ضريحاً والجوفى داخل الضريح جو مهيب يرعب الإنسان وأما الحب والإخلاص والاحترام الذى يمتازبها دعاء اقبال وقراءته الفاتحة فمما لايكن التعبيرعنه . وقد نحتت أبيات شعرية فارسية على القبور وجدران الضريح الأربعة التى تشيد بالشهداء وتمجدهم وقد استشهد السلطان (تيبو) فى سنة ١٢١٣هـ (الموافق لسنة١٧٩٩م) ويستخرج تاريخ استشهاده من قطعة شعرية وعنوانها"شمشير كم شد" "أى فقد السيف" وهذا هو تاريخ استشهاده الذى سجله معظم من تناول حياة السلطان الشهيد وخرج الناس من الضريح غيراقبال الذى ظل وفقاً عند قبر السلطان الشهيد وقد أغمض عينيه وكان اقبال آخر من خرج من الضريح ويحكى (عبد الله تشغتائى) بأن مشهد اقبال على ضريح السلطان الشهيد مما لا يمكن بيانه أو تعبيره بالكلمات أو على اللسان ورغم ذلك فقد أعدا مقالة مستقلة حين عاد إلى لاهور وكان عنوانها:"شمشير كم شد"أى فقد السيف" ونشر المقال فى نيرنك خيال:(أى ندرة الخيال)

ويوجد عند الضريح مسجد ضغير مجلس الناس فى فناء المسجد حيث أخذ (على جان) الموسيقار يغنى شعر اقبال مرة بالأردوية وأخرى بالفارسية بلهجة حزينة ولوعة محرقة أما اقبال فظل يسكب الدموع التى لم تكد تتماسك وكذلك كل من حضر كان يسودهم حزن ورقة وعندما رأى (على جان) الموسيقار حال الناس دهش وخاف فأمسك عن الغناء فقال له اقبال فشئى من القلق الحزين: لماذا توقفت؟ يجب أن تستمر فى غنائك هكذا استمر (على جان) الموسيقار يغنى وظل اقبال يسكب الدموع وحين أراد اقبال أن يودع الناس ويخرج سأله (محمدابو عباس السيد)من تجار (ميسور) المعروفين والذي كان يرافق اقبالاً قائلاً:هل حملك

السلطان الشهيد رسالة؟ فرد عليه اقبال قائلاً إن اللحظات التى قضيتها معه بجانب قبره لحظات خالدة غالية ولن تضيع منها لحظة واحدة . ثم قال :ان من بين رسائله التى حمَّلها إياى رسالة تقول:

درجهان نتوان اكر مردانه زيست همجو مردان جان سبردن زندكيست

ومعناه: إذالم يستطع أحد أن يعيش حياة الرجال الشجعان فى الدنيا فان موته موته الرجال الشجعان أيضاً هىحياته .

وفى هذا البيت إشارة إلى مايروى من أن أحد المستشارين للسطان الشهيد كان قد اقترح عليه قبل موته بقليل أن يتصالح مع الانجليز فرد السلطان الشهيد عليه رداً فورياً وقال:إن يوماً واحداً من حياة الأسد الانصارى خير من مائة سنة يعيشها بن آوى (٢٧) ثم نظم اقبال أربعة أبيات شعرية فى الطريق وهى تعبر عن انطباعاته الشخصية وهى لاتوجد ديوان من دواوينه الشعرية وبها تكمل القطعة مع البيت الشغرى الذىمربنا وهى(٢٨)

- قد استوقدت ناراً فى صدرى مرة أخرى وأتيت من بلاد الجنوب!

- إننى أتأبط خنجراً متلالأ كالمرأة وسوف أجرده من غمده تدريجيا - أريد أن أبلغكم رسالة دقيقة من قبل السلطان الشهيد وذلك لأننى أخشى أن يصبح يوم العيد مراً علينا جميعاً-

أولاً ذهبت إلى ضريحه لأ قبل ترابه وفاجأنى صوت سمعته وهو يرتفع من داخل الضريح العاطر ويقول:

إذا لم يستطيع أحد أن يعيش حياة الرجال الشجعان فى الدنيا هذه موته موتة الرجال الشجعان أيضاً هى حياته بعينها

ثم غادروا الضريح متجهين إلى قلعة (سرنجابتم) ووصل اقبال إلى حديقة القلعة تعرف باسم (دلت باغ) فى الواحدة ظهراً تقريباً والواقع أن (سرنجابتم) جزيرة تقع بين فرعين من نهر (كاويرى) ويقع فى قسم من الجزيرة الحديقة ولقلعة والقسم الثانى تقع فيه المدينة التى كان عدد سكانها ثلاث مائة ألف نسمة حتى بعد أربع أو خمس سنوات من استشهاد سلطان (تيبو) أما الآن فقد استتحالت المدينة إلى الخراب وكان (لسيد صديق الملك صادق زين العابدين شاه) المقرب الخاص الأمير ميسور موجوداً فى (دولت باغ) ينتظر اقبالاً يستقبله وهناك رتبوا طعام الغداء للوفد وفى حديقة(دولت باغ)توجد أشجار ترجع إلى عصر السلطان الشهيد وكان

السلطان(تيبو) الشهيد يأنس كثيرًا إلى مبنى القلعة وحد يقتها ويمر نهر (كاويرى)بجانب(دولت باغ) ولها منظر خلاب للغاية وانتهى اقبال وأصحابه من الغداء فخرجوا متنزهين إلى قلعة(سرنجا بتم)فرأى اقبالاً مسجد القلعة الأعلى وهومكان استشهد فيه السلطان (تيبو)كما أنه رأى السجن والقر المزعوم (لمير جعفر) الخائن وضريح (غلام على) الأعرج وذلك المعبد الهندوكى الذى كان أصلحه الأمير(حيدر على) وفتحه للهنادكة من جديد ألى جانب الآثار السلطانية الكثيرة الأخرى وكان السيد(محمود خان محمود البنجلورى) يعرف بكل مكان من الأماكن ويكى الحليفة التاريخية له والتقى اقبال الإمام الهرم للمسجد الأعلى فعلم منه بأن جد هذا الإمام الهرم كان إماماً للمسجد الأعلى فى عصر السلطان (تيبو) الشهيد وحكى هذا الإمام الشيخ لاقبال بأن السلطان الشهيد كان يدخل المسجد من باب الجدار الخلفى للمسجد فيصلى الصلاة على مارواه والد هذا الامام الشيخ الهرم وبينما كان اقبال ينظر إلى صورة (سيد غفار)الشهيد قائد الجيش السلطانى والذى إستشهد قبل سلطان (تيبو) الشهيد ببضع لحظات إذ أخبره أحد ممن كان يرافقه بأن زميله فى السفر (كليم الملك سيد غوث محى الدين)مدير جريدة"الكلام)إنما هوحفيد (سيد غفار) الشيهد هذا فالتفت إليه اقبال فعانقه ببالغ الحب والاحترام كما أنهم رأو وهم عائدين من(سرنجابتم) "سدكاويرى" وهذا هوالسد الذى أسسه السلطان (تيبو) الشهيد ليوفر المياه لمزارع الفلاحين إلا أن السد قد تم إكماله بعد استشهاد سلطان (تيبو) ويعرف السد الآن باسم (كرشناراج ساجر) (أى نهر الأمير كرشنا وقد وجد حجر الأساس الذى وضعه السلطان تيبو الشهيد والذى كان منحوتا عليه باللغة الفارسية بين الأحجار فأخذوه فنصوه على الطريق العامة فوق السد على أمرمن أمير ميسور ثم كتبوا ترجمة انجليزية وتحتوهاعلى قطعة مرمرية فنصبوها بجانب حجر السلطان الشهيد وعلى مقربة من ذلك المكان بنيت حديقة ذات جوافير كهربائيه تؤتى منظراً مدهشا رائعاً وعاد اقبال إلى مدينةميسور عند العصر تقريباً-

واستراح إقبال قليلاً فى دار الضيافة ثم ذهب إلى قاعة البلدية فى السادسة مساء حيث قدم له مسلمو مدينة ميسور كلمة الترحيب فوجد الآف المؤلفة منهم ينتظرونه وقد رتب هذا الاجتماع ونظمه (السيد محمد أبو عباس السيد) وترأس الجلسة الأمير (غلام أحمد كلامى) وافتحت الجلسة بتلاوة آية من الذكر الحكيم وكان اسم المقرئ (الشيخ ابو المظفر) ثم غنى(على جان) الموسيقار وفرقته بعض القطعات الشعرية لإقبال بأسلوب مؤثر مبكى محزن للغاية ثم قدم السيد (محمد أبو

عباس)كلمة الترحيب ثم رد عليها اقبال بكلمة بليغة للغاية وألقى الكلمة الختامية الأستاذ(واديا) استاذ الفلسفة بجامعة ميسور بالنيابة عن القائمين برتيب الجلسة حيث استحسن محاضرة اقبال التى ألقاها بالأمس وقال معلقا عليها:مهما ادعى المسلمون بأن اقبالاً لهم وحدهم فإنى أقول والحق يقال بأن اقبالاً للجميع إن اقبالاً ليس ملكاً لدين خاص أوفئة معينة فمادام المسلمون يعتزون باقبال لأنه أخوهم فى الدين فان اعتزازنا- نحن الهنادكة- باقبال لايقل عن ذلك أهمية وهو أنه هندى الجنسية .

وفى الصباح من ١٢ ينائر١٩٢٩م ذهب اقبال إلى جامعةميسور فزار قسم علم النفس فعرفه الدكتور (جوبال سوامى) رئيس القسم بطلابه وأراه بعض التجارب المهمة ومن بينها أن الدكتور (جوبال سوامى) ربط سلك أداة من أدوات علم النفس بنبذ إقبال ثم قال له أن يفكر فى ذهنه عن عدد من الواحد إلى العشرة فاختار اقبال ععد الستة فى ذهنه فأخد الدكتور (جوبال سوامى(يعدد حتى بلغ الستة فنعند ذالك أخذ "عقرب الأداة" يتحرك بكل سرعة وقوة وبعد أن شاهد ابقال هذه التجربة علق عليها فقال:إن فى مثنوية الشيخ الرومى وفى حكايتها الأولى بالذات قد ورد ذكر الطبيب الروحى الذى يفحص الأمة المريضة فيجس نبضها فإذاتغيرت سرعة النبض عرف الطبيب نوع المرض الذى أصيب به تلك الأمةوهذه هى نفس الطريقة التى كان قد عرف بها الشيخ الرئيس ابن سينا نوع المرض الذي كان أصيب به الامير (قابوس بن وشم كير) فهذه هى الطريقة التى كان الأطباء يتبعو نهاقبل قرون عديدة (٢٩) ثم ذهب اقبال ليزور بعض قصور (ميسور) القديمة فرأى فى بعض منها أسداً منحوتاً على الحجر الذى كان قد نصب تخليداً لذكرى السلطان تيبو الشهيد فأخذ إنتباه اقبال فاهتم به اهتماماً كبيراً ثم وصل بعربة كهربائيةإلى ضريح قديم وهو الضريح الذى كان يكثر زيارته السلطان تيبو ثم رأى حديقة الحيوان حيث وجد الأسود مطلقة حرة تمشى تشاء ولكن اقبالاً لم يعرف الخندق الذى حفر بطريقة من حيث لا يطلع عليها الزوار ولا يدركونه.

وفى نفس اليوم بعد الغداء خرج اقبال متجهاً إلى مدينة(بنجلور) فركب هو وزملاؤه السيارة الخاصة بهم فاستقبله أهل الريف فى الطريق أكثر من مرة فطوقوه يعقود الأزهار وعند ما مر من عند ضريح السلطان الشهيد نزل من السيارة فقرأ الفاتحة مرة أخرى وتوجد ضرائح (حيدر على) وشيوخ السلطان تيبو الشهيد فى

(تشاندبتم) فأوقف السيارة فنزل منها فقرأ الفاتحة ثم وصلوا إلى (بنجلور) فى الساعة الخامسة مساء حيث شرب الشاى مع (السير الميرزا اسماعيل) الذى كان يعيش فى جوكله يمثل الثقافة الإيرانية وعندما فرغ من االشاى ذهب إلى منزل (السير اسماعيل السيد) ثم أكل العشاء عند بعض التجار من مدينة(بنجلور) كان اسمه (محمدعلى) وقد حضر فى مأدبة العشاء هذه جميع وجهاء المدينةوكبارها فوصل فى ساعة متأخرة من الليل إلى منزل السير(إسماعيل السيد) حسيث استراح وقضى ليلة تلك

وفى الثامنة والنقصف صباحاً من ١٣ينائر ١٩٢٩م غادر اقبال مدينة (ينجلور) بالقطار متجهاً إلى (حيدرآباد) فقد كانت الجامعةالعثمانية وجهت إليه الدعوة لإلقاء المحاضرات بها وكان يرافقه (سيد غوث محى الدين) مدير جريدة "الكلام"من أهل (ميسور) وفى اليوم التالى أي فصباح ١٤ ينائر ١٩٢٩م عبر القطار (فلك نما) فوصل إلى محطة(حيدرآباد) حيث توقف وكان الأطفال الصغار المسلمون قد اصطفوا على الرصيف وهم يغنوا أنشودة إقبال الإسلامية" الصين لنا والعرب لنا والهند لنا والكل لنا: بلهجة حلوة جداً واستقبله على المحطه (السيد أنصارى) مسجل الجامعة العثمانية وغيره من الشخصيات وأبلغوا اقبال بأنه سينزل ضيفا علىحكومة (الدكن) طيلى اقامته على فى(حيد رآباد) فلابد له أن يستقر فى دار الضيافة للدولة وقبل ذلك كان قد تكرر أن ينزل اقبال فى قصر (دلكشا) فجاءلهم الشاى وهم فى القطار وكان المقرر أن ينزلو على المحطة التالية وهى محطة (سكند آباد)وعنداما وصل إقبال إلى تلك المحطة إستقبله (السير اكبر حيدرى) والدكتور (خليفة عبد الكريم)و(الشيخ عبد الله عمادى) و(ألسيد ابراهيم) و(الدكتور مطفر الدين قريشى)واساتذة الجامعة العثمانية الآخروون فطوقوا اقبال بعقود الأزهار كما كان دأبهم ثم ذهب اقبال مع (السير اكبر (حيدرى) إلى دار الصيافة للدولية كانت تسمى (ولاد أوستا)

وقد أقام إقبال مدينة (حيدرآباد) ١٤ينائر إلى ١٨ منه عام ١٩٢٩م وفى اليوم الأول منه وصوله ذهب إلى القصر الملكى مع الدكتور (خليفة عبد الحكيم) فسجل اسمه فى سجل الحضور في البلاط الملكى . وفى اليوم التالى أى ١٥ ينائر ١٩٢٩مم مساءً كان موعد محاضرة إقبال الأولى فى قاعة الحديقة العامة وقد ترأس الجلسة الأمير (السير كيس برشاد) وكان من بين(؟؟؟؟ص١٠٦) من حضر الجلسة أساتذة الجامعة العثمانية وطلابها, وفى تلك الليلة أقيمت مأدبة العشاء الفاخرة مع مجلس الشعرفى منزل الأمير (السير كيش برشاد), وكانه ممن بين

التعليمات للمدعوين أنه يحضروا فى المأدبة باللملابس السرسمية للأمارة وهى عبارة عن عمامة(آصف شاهية) و"بجلوسة" مخضر جميع شعراء اللغة الأردية والفارسية من أهل (حيدرآباد) وقد لبسوا هذه الملابس الرسمية ,وبعد نهاية المأدبة بدأ مجلس الشعر وكان من بين الشعراء الذين أنشدوا قصائدهم الشعرية بهذه المناسبة:(حيدريار جنك طباطبائى) والأمير(ضياء يارجنك بهادر) والأمير(عزيز بار جنك بهادر)و(الشيخ مسعود محوى)و(جوش مليح آبادى) و(نظام شاه لبيب تيمورى) و(ميركاظم على باغ) وغيرهم من الشعراء. أما إقبال فظل جالسا صامتا ولم يستحس شيئاً من شعر الشعراء , وعندما أنشد (الشيخ مسعود محوى) بيته هذا:

نكاه كردن دز ديده ام به بزم به ديد ميان جيد كل باغبان كرفت مرا

ومعناه: إنه الرقيب رآنى وأنا أنظرو إلى حبيبى بنظرات خاطفة فى المجلس فكأننى قد قبض على فى الجنين وأنا أقطف الأزهار:

فقال إقبال: أرجوك أن تعيد البيت ولكن لم يعرف أحد هل طلب إقبال إعادة البيت لأنه أعجبه أوأراد هو أن ينقد البيت. وكان إقبال قد أعلن فى البداية بأنه لن ينشد بيتا أو قصيدة فى المجلس الشعرى ولكن الضيوف والأمير(كيس برشاد) ألحوا عليه بإصرار فأنشد الأبيات الفارسية التالية:

١-"زندكى انجمن آراء ونكاه دار خوداست اى كه درقافلهء بى همه شعرباهمه رو

ومعناه: إنه الحياة تزين وتحافظ على نفسها بنفسها فيامن يسير مع قافلة الحياة عليك ألا تحفل بأحد ولكن يجب عليك أنه تمشى مع كل واحد.

(٢)"آن نكينى كه تعربا اهر منان باخته هم به جبريل امين نتعران كردكرد"

ومعناه: الفص الذى سخوت به على الشياطين الأشرار لم يكن يجوز أنه يرتهمه عند جبريل الأمين!

وقيل أنه يعود إقبال إلى دار الضيافة للدولة كان أمية السر النظام الدكن السير أمين جنك)قد بعث برسالة إلى وأخبره فيها بأنه الساعة الحادية عشرة صباحا من ١٨ ينائر١٩٢٩م موعد اللقاء مع نظم الدكن,فعندما عاد إقبال أبلغه (عبدالله تشغتائى) و(شوذرى محمد حسين) عن وصول الرسالة وأخبراه أيضا بأنه مغادرته إلى لاهور ؟؟؟؟ ممكنة قبل ١٩ينائر١٩٢٩م,فقضى إقبال يوم ١٦ينائر فى دار الضيافة للدولة وهو يقابل أساتذة الجامعة وطلابها مرة وأخرى يقابل

شخصيات المدينة البارزة. وفى صباح ١٧يناير١٩٢٩م ألقى إقبال محاضرة الثانية فى قاعة الحديقة العامة وقد ترأس الجلسة الأمير(أعظم جاه) ولى العهد وكانت المحاضرتان همانفسس المحاضرين التين كان إقبال قد القاهما فى (مدراس) وتغدى إقبال ممع السير أكبر حيدرى) فى ذلك اليوم وقد حضر المأدبة أساتذة الجامعة وكبار الوظفين بمصلحة المال ووجهاء المدينة وكبارها وفى الليلة نفسها أقام (السيرأمير جنك)مأدبةتكريما للأقبال.

وف الحادية عشرة من صباح ١٨ يناير ١٩٢٩م قابل إقبال نظام الدكن وبصرح(نظير حيد رآبادى)قائلا بان زوار نظام الدكن كان عليه أن يلبسوا الملابس السرسمية الامارة, أما إقبال فلم يكلف هذا التكليف(٢٠) وقد اشتهر العديد نم الشائعات عن هذا اللقاء منها : أن إقبالاً أنشد للأمير من أبياته الشعرية وأهدى له نسخة من ديوان "رموزللاذانية" ومنها :أن إقبالاً كان قد سمع من (حكيم أجمل خان) بأنه نظام الدكن يملك لؤلؤة لامعة غالية جداوحين أبدى إقبال عن رغبته فى رؤية اللؤلؤة طلبها النظام وأراها إقبالا,ومنها:أن نظام الدكن قال له بالهجة شاكية:" إننا ذهبنا إلى دلهى وكانت مدينة لاهورقريبة جدا ولكنك ماجئت لتزورنا" فقال له إقبال:" إننى كنت مريضا فى ذالك الوقت وقد جئت إليك الآن بعد ان قطعت مسافة ألف وخمسمائة ميل لأعوض عما فاننى وما سبق من السهو" مما سر نظام الدكن ثم قال له "إننا نعينك وزيراً للعدل " ولكن إقبالاً رد عليه قائلا:"يا صاحب العظمة!أرجوك ان تزل إقبال حرا طليقا"(٢١) ويواقع اللقاء بين إقبال وبين النظام كان لقاء عاديا وكان إقبال قد وجد خلال اللقاء دعوة إليه رجا فيها الأمير أن يزور بنجاب فيترأس الاجتماع السنوى ؟؟؟؟ لجميعة حمياية الاسلام بلاهور, فوافق الامير على ذالك وجرت المراسلة بين إقبال وبين النظام عن هذا الموضوع فيما بعد ولكن الأمير لم يستطع أن يزور بنجاب لاسباب منعتهعن ذلك وفى ١٩ يناير ١٩٢٩م غادر إقبال (حيدرآباد) الى لاهور وهكذا انتهت الزيارة العلمية الجمعية الهند الجنوبية.

قدإشتهرت خطب إقبال أو محاضرة اشتهاراً كبيرا فى الأوسا الأدبية الإسلامية بشبه القارة وتلقى إقبال دعوة من قسم الفلسسفةالجامعة عليكلره الإسلامية أن يلقى نفس المحاضرات فىالقسم غير أن إقبالا كان قد أعد المقالات الثلاثة الأخرى زيادة عما سبق خلال السنة نفسها وكان رئيس الجامعة الأسلامية فى ذلك الوقت هو (السيد راس مسعود) ؟؟؟ رجاء إقبالا أن يلقى المحاضرات فوافق إقبال بأن يلقى المحاضرات الست فى جامعة عليكره الإسلامية, وفى

١٧نومبر١٩٢٩م غادر إقبال لاهور الى عليكره وكان يرافقه(عبدالله تشغتائى), وحين وصل إلى عليكره لم يجد (لسيد راس مسعود) هناك إذكان قد سافر إلى(بهوبال)فاستقبله أساتذة الجامعة وطلابها فى لحطة القطار, ومن هناك ذهب إلى منزل الدكتور (سيد ظفر الحسن) رئيس قسم الفلسفة فأقام عنده وفى اليومالتالى عاد (السيد راس مسعود) من(بهوبال) وأقام إقبال بمدينة عليكره حتى٢٠ نومبر ١٩٢٩م وخلال هذه الفترة ألقى إقبال المحاضرات الست فى قاعة(ستربشى) وخلال الجلسة الأولى عرف (السيد راس مسعود) بإقبال بأسلوب عطفى مليئ بمشاعر الحب فأعلن فى كلمته بأنهكان قدمرض وهو فى أوروبا فالتحق بالمستشفى قائم يجد مايعزيه ويثلج لوعة صدره وحزنه غير ألف بيت من شعر إقبال الذى كان قد حفظه عن ظهر قلب(٤٢)

وقضى إقبال معظم وقته وهو فى عليكره فى المجالس التعليمية والحلقات العلمية وأقام كل من (السيد راس مسعود) والدكتور (سيد ظفر الحسن) و(الخواجا غلام السيدين والدكتور (ضياء الدين) و(بشير حسين زيدى) والدكتور (عطاء الله بت) مآدب وحفلات تكريما لإقبال وذهب إقبال خلال زيارة هذه ليعود (صاحبزاده آفتاب احمد خان) المصاب بالفالج فى تلك الفترة كما أنه عاد (رشيد أحمد صديقى)فى منزله.

ورغم أشعاله الكثيرة المتنوعة فإن إقبالاقد استمر يحاول أن يكمل المحاضرات مهذه ويجعل منها كتابا مستقلا مقام بتغيرات من عناوين المحاضرات وداخل متونهاونشر الكتاب أخيراوهو يحوى المحاضرات الست . الأول مرة فى منتصف عام ١٩٣٠م فى لاهور ثم أضيفت رسالةإلى الكتابوعنوانها"هل الدين ممكن؟",وكانت المحاضرة السابعة قد أعدت دعوةبين جمعية"أرسطو" فى انكترا وألقيت هناك فى ١٩٣٢م وقد نشرت هذه المجموعة التى تحوى سبع محاضرات طبعة ثانية من مطبعة جامعة (اكسفورد) فى انكترا عام ١٩٣٤م وهكذا كتملت السلسة من المحاضرات فى ١٩٣٢م والتى قدبدأت فى١٩٢٥م وقد درس المستشرق الأمانى الأستاذ(هيل) كتاب إقبال هذا فكتب إليه قائلا بأنه أئ الكتاب من أهم مظاهر العصر الحاضر (٣٣) وكان إقبال يعتقد بأن عامة الناس فكره لايستطيعونه الاستفادة من الكتاب وأنه لن يفهم أحد ماقصده إقبال إلا أهل العلم الذين قد درسوا الفلسفية الاسلامية ولغربية دراسة خاصة(٣٤), ورغم ذلك فإن إقبالاقد حث (سيدنذير نيازى) على أنه يترجم المحاضرات إلى اللغة الأردية, وأما (شوذرى

محمد حسين) فكان يعارض الترجمة الأردوية للمحاضرا وكان يعتقد بأن المسلمين ؟؟؟ كثيرا بالمشاكل الفلسفية ومع ذلك فإن هذه المشاكل كانت جزئيةولم تكن مبدئية كمت أنه يخشى أن تكون ترجمة المحاضرات الأردوية سببا؟؟؟الفهم أويسى بعض الناس الفهم وباالاضافة إلى ذلك فما دامت مباحث المحاضرات مباحث فلسفية خالصة فكان من الممكن أن نثار فتنة جديدة حول أفكار إقبال وان خشية (شوذرى محمد حسين) هذه لم تكن بلا مبرر أو بدون بسبب وذلك الأئمة عالما هندياكان يسكن بالقاهرة قد قرأ المحاضرات بعد ان ظهرت طبعاتها فكتب مقالا قال فيه بأنه الفلسفة الأوروبية قد طغت على فكر إقبال ,وأن المحاضرات إذا ترجمت إلى الاردوية فيجب على علماء الهند أن يعارضوها كما عارضوا الفتنتة الطبيعية التى أثارها (السيرسيد أحمد خان)(٣٥) إلا ان الفلاسفة ولمفكرين المسلمين لم يحاولوا أن يفهموا محاضرات إقبال على عكس ماكان يتوقعه إقبال منهم فيقول (سيد نذير نيازى)عن هذا الموضوع(٣٦)

"إن المباحث الإسلامية التى أثارها حضرة العلامة فى محاضراته هذه تقتضى من أن تكون على علم بالفلسفة والعلومم الغربية بالإضافة إلى الخبرة الكاملة بعلوم الإسلام ومعارفه ومدنيته وتقافته,ولا يكفى لنا مجرد دراسة للفلسفة أو العلوم الطبيعية أو التاريخ أو المدنية أو الكلام أو العلوم الدينية وجدها وفوق كل ذلك يجب ألا يغيب عنا التغيرات التى لحقت بالفكرالإنسانى فى الشرق والغرب وخاصة التغيرات سريعة السير والانتشار فى الغرب,تلك التى يكمن أنه نقدر بها اتجاهات المدنية المعاصرة فى المستقبل والعالم الذى يتمناه الانسان المعاصر ويريد أن يبنيه فى المستقبل ولكن لم يدرس أحد المحاضرات من وجهة النظر هذه كما أنه لم يتحقق ما كلمه يتوقعه إقبال بأنه أهل العلم سوف يحاولون أن يدركوا الأهداف الحقيقية لهذه المحاضرات حين تطبع وتنشر .وعليه فإن دراسة المحاضرات طلت دراسة سطحية بل لم يهتم بها العلماء إلا القليلين منهم"

وما دامت دراسة المحاضرات دراسة سطحية غير متعقة فأن البعض من المستشرقين البريطانيين قلدوا الاستاذ (دكنسون)الذى لم يكن يعرف شيئا غير الآداب الانجليزية والذى لم يدرس الفلسفة الإسلامية قط كما أنه لم يتعرف على الفلسفة الأوروبية حق التعرف . فقالوا فى تعليقا تهم على المحاضرات بأن إقبال لم يأت بشئ جديد غير ما تأثر به من الفلاسفة الاوروبيين وخاصة (؟؟؟ص١٠٩) و(برغسون) وأن علماءها عامة لم يهتموا بالحاضرات والذى درسوها وعلقوا عليها كانوا يرون أنه نظام إقبال الفكرى يقوم على أفكار الفلاسفة الأوربيين ومن ثم

فإن أفكار إقبال لم تكن غير الهفوات المضلة وكان (سيد نذير نيازى) قد انهى ترجمة المحاضرات الأردوية وإقبال لا يزال حيا وعلى حد قوله كان إقبال هو الذى افترح باسم الترجمة الأردوية وهو"تشكيل جديد إلهيات إسلامية" أى التكوين الجديد للإلهيات الإسلامية أو علم الكلام الاسملامى الجديد. (٣٧) ولكن الترجمة الأردوية لم تظهر إلا بعد عشرين سنة ومن وفاة إقبال وهو عام ١٩٥٨م (وفد ظهرت الترجمة العربية للكتاب وسماها المترجم"تجديد الفرك الدينى فى الإسلام" بالقاهرة)

إنه كتاب" تجديد الفكر الدينى فى الاسلام" كتاب صعب المنال وإلا دراك فانه يحمل ماجاء من أقوال وأفكار الفلاسفة والعلماء ورجال الدين والفقهاء من القدماء والمحدثين فى الشرق والغرب يزيد عددهم من مائة وخمسين عالما وفيلسوفا وكان إقبال يتوقع من القارى أن يكون على علم بعصود هذه الشخصيات وبيئاتها وأفكار ها قبل أن يتناول دراسة المحاضرات هذه وأن البعض من هذه الشخصيات شخصيات معروفة والبعض الآخر شخصيات عير معروفة, وإضافة إلى ذلك فإن أسلوب المحاضرات أسلوب معقد للغاية م؟؟؟؟ص١٠٠ المؤلف المشاكل العديدة فى موضعع واحد من المبحث كما أنه يعرض عن مشكلةكان يناقشها فينتقل فجأة إلى مشكلة فلسفية أخرى فيتناولها للنقاش ثم يرجع إلى المشكلة الأولىكان بصددها وقد أعرض عنها دون أن يكملها كما أنه استخدم مصطلحات جديدة من أجل توضيح بعض الأفكار وأن التركيب اللفظى لمعقد لهذه المصطلحات الجديدة قدبسببصعوبة الفهم أو ال ؟؟ص١١٠ كما أن فى المحاضرات مواضع طريقها الاستدلالى باللغة الانجيليزية مستحيل الفهم ولا يدرك القارى معناها حتى ولوكرر الدراسة أو النظر فيها.

ويقول إقبال فى مقدمة المحاضرات وهو يوضع أهدافها بأن القرآن الكريم يلح على العمل أكثر مما يلح على التفكر وأن المسلمين فى العصر الأول من مدنيتهم قد تقدموا على أساس وجهة النظر هذه. وأما المشائخ والمتصوفة وأصحاب الطرف فقد جعلوا الوجدان القلبى أساسا للدين والايمان ولكن الإنسان المعاصر قد تأثربالعلوم المعاصرة مما جعله ينظر إلى الأحوال الباطنية بنظر الشك والارتياب . ومادام المشائخ والمتصوفة لا يعرفونه سيكولوجية العصر الحاضر فإنهم لايستطيعون إرشاد الانسان المعاصر إرشادا مغالاناجحا فى مجال القيم الروحية والأحوال الباطنية وذلك لأن طرف الإرشاد عندهم تقوم على سيكولوجية العصر الذى قد

انفرص ومضى,أما الإنسان المعاصر فإن سيكولوجية تختلف تماماومن ثم لايؤثر فى نفسه الأساليب القديمة من الذكر والتفكر, ومن ثم أصبحت الحاجة ماسة ان نقدر العلوم الدينية بأسلوب علمى واستدلال فلسفى جديدين ولكن يجب أن نتخذ أسلوبا يأخذ بعين الإعتبار أمجاد الإسلام الفسفية وتقاليده العلمية كما يجب تحقيق أهميتها ولاستفادة منها فى ضوء الفكر الإنسانى المعاصر وأن الجمع بين الجديد والقديم قد يكون مشكلا جديدا للفكر الإسلاميستطيع أن يؤثر فى نفس المسلم المعاصر وخاصة المسلم المغرب ويكتسب منه ثقة ويقينا وإيمانا إن التقدم العلمى المعاصر قد هدم الأسس القديمة للعلوم الطبيعية ,والنتيجة أن الوقت ليس بعيد الذى سوف يشعر فيه الدين والعلم التوافق أو الوثام بيها ,ذلك التوافق والوثام الذى غاب عن العيون بسبب التغاير أو التناقص القياسى أو الوهمى بين الرمح المادة فى العصور الماضية وينهى إقبال مقدمته بقوله(٣٨)

"ورغم هذا كله فيجب أن نعرف بأن الصرامة أو القطعية لامجال لها فى التفكير أو النقاش الفلسفى وأننا كلما نتقدم فى دنيا العلم و.....ص١١٠ أمامنا مجالات جديدة من الفكرستبدو لنا أفكار وآراء كثيرة قد تكون أكثر فائدة وأقرب إلى الصواب من تلك الأفكار ولآراء التى وردت فى محاضراتنا هذه على كل حال فإن واجبنا الحقيقى إنما هو النظر الدائم الحزر فى تطور الفكر الإنسانى وتقدمه كما أنه يجب علينا أن نتقدم فى هذا المجال بأفكار واعية ونظرات ناقدة"

وأما عنوان المحاضرة الاولى فهو "العلم والتجربة الدينية" ثم إن فهم هذه المحاضرة فهما جيدا يقصر على العلم بالوسال التى يكتسب بها الإنسان علمه , وهذه الوسائل ثلاثة: الوسيلة الأولى هى حواسنا التى ندرك به ونشاهد بها ويمكن أن تسمية علم المحسوسات أو التجارب والمشاهدات. والوسيلة الثانية هى العقل أى مايفهمه الإنسان أويدركه بعقله والوسيلة الثالثة هى الوجدان أو العلم بالألقاء أوما يسمى بالمعرفة أو العرفان. وهذه الوسائل الثلاثة التى يدرك بها الإنسان العلم أو يعرف بها شئيا من الأشياء لها جدود وقيود ونقصد بذلك أن المعلومات التى ندركها أو نحصل عليها بهذه الوسائل الثلاثة تحتمل الخطاء أو النقص ومن ثم قد وضع الفكر الإنسانى أسسا ومبادئ نستطيع أن ننقد بها حقيقة هذه المعلومات وصحتها ونقضبها صحة هذه المعلومات أو خطئها .إن المبحث الأساسى أو النقطة المركزية فى هذه المحاضرة هى أننامادمنا نستطيع أن ننقد المعلومات التى حصلنا عليها بحواسنا ويقصى فيها عقلنا بصحة هذه المعلومات أو خطئها كما

أننا نستطيع أن نعرف النقص فى الاستدلال المنطقى بالتجارب المشاهدات فكذلك يوجد لدينا مقياسا يمكن أن نقد بها و نعتمد عليها فى نقد المعلومات التى نحصل عليها بالوجدان أو بالتجربة الدينية أو ما يسمى بالمعرفة أوالعرفان وهذان المقياسان يسمى إقبال أحدهما مقياسا عقليا والثانى يسميه مقياسا عمليا,أما المقياس العقلى فالمراد به هو التعبير النقدى الذى يحقق ,بعض النظر عن قضية مفروضة مسبوقة الدينية عن تجربة إنسانية ما والغرض هو ان المعلومات التى أدركناها بالوجدان أوبالتجربة الدينية تقودنا الى الحقيقة التى يقودنا التعبير النقدى على أساس النتائج أو الأثمار التى تتحقق لنا بهذه المعلومات أو التجارب ويرى إقبال الطريقة الاولى أو المقياس العقلى يتبعه فيلسوف وأما الطريقة الثانية أو المقياس العملى فهو الذى يتبعه.

ومما استدل إقبال على ماادعاه هوأن العصور التى تمتاز بتفون الديانة وانتصارها حاول أهل العلم فى تلك العصور أن يبنوا ديانتهم على أسس عقيلية إذ أن العقائد والبادئ الدينية تحتاج إلى الدلائل أو الشواهد العقلية لأن الإنسان إذا لم يجد أساسا قويا من الإيمان والعقيدة لتكوين سيرته الشخصية فقد يمكن أن يضل الطريق أو نزل أقدامه فى الحياة العملية فإن الإيمان يتضمن العناصر العقلية والعوامل العلمية وإن القرآن الكريم يدعو الإنسان ويحرضه على أن يعرف ربه الذى خلقه وخلق كل شئ بقلبه وفؤداه . وهو الوجدان أو العرفان . كما يدعو الإنسان ويحرضه على أن يعرف ربه باالنظر فى الكون واستخدام عقله وسمعه وبصره وغير ذلك من الحواس .ومادام الدين يشمل فكر الإنسان وإحساسه وعمله فى نفس الوقت فيجب أن تقوم العقائد والقيم الدينية على اسس ومبادئ من العقل ليفهما ويدركها الإنسان إدراكا صحيحا ويعتقد إقبال بأنه العقل والوجدان لاتناقض بينهما و إنما يكمل أحدهما الآخر ويرجع كل واحد منهما إلى ينبوع أو مصدر واحد والغرمه كل الغرمه???.....ص١١٢ بينهما هو السرعة أما العقل فيتقدم نحوالهدف خطوة بعد خطوة, وأما الوجدان أو العرفان فيدرك الهدف ويصل إلى المقصد بوثبةأو خطوة واحدة فاالعقل أيضا فعال متحرك فكما أ، الحبة أو البذرة تتضمنه إمكانيات الشجر أ, النبات كذلك العقل يتضمن كليا باطنا أوبعبارة أخرى يتضمن العقل جميع إمكانيات العلم وان كانت تظهر تدريجا وفى هذه المرحلة يوافق إقبال الفيلسوف الفرنسى (برغسون) فيقول بأن الوجدان أو العرفان إنما هومشكل فتقدم أو صورة عليا من العقل.

وكان إقبال يشعر بكل شدة وقعرة بأن العلوم الإسللامية خلال القرون الخمسة الماضية طلت تعانى من الجمود والركود فقد مربنا عصر كان الفرك الأوروبى يتأثر فيه باالتيارات الفكرية فى عالمنا الإسلامى إلا أن العلوم الدينية الإسلامة قدبلغت الكمال فى القرون الوسطى ,ثم تلتها قرون أخرى طل العالم الإسلامى فى خلالها فى مرحلة من الغفلة والنوم ,أما أوروبا فأخذت تناقش وتفكرى فى المسائل التى كانت موضع اهتمام كبير ورغبة عميقة عند الفلاسفة والعلماء المسلمين إن الفكر الإنسانى والتجارب البشرية قد تقدمت تقدما غير عادى منذ القرون الوسطى إلى يومنا هذا وإن تسخير الطبيعة والإنتصار عليها قد منح والإنسان نشاطا جديدا و شعورا جديدا بالتفون ولإنتصار فقد ظهرت وجهات النظر الجديدة والإفكار المبتكرة كما أن التجارب الحديثة أخذت تقدم الحلول للمشاكل القديمة با لإضافة إلى ظهور المشاكل الجديدة وأن فكرة الإنسان عن العلم والإدراك قد أخذت تتغير بنقدم هائل من الأفكار العلمية حتى أصبح من اللازم اليوم أن نفكر من وجهات النظر الجديدة فى المشاكل العديدة المشتركة بين الفلسفة والدين ,ففى مثل هذه الظروف والأحوال كان الجبل المسلم والناشئ فى آسيا وأفريقيا على الحق إذا أهذ يطالب بتوضيح عقائده الدينية بأسلوب علمى مبسط ؟؟؟؟ص١١٢ أخاذ ويقول إقبال(٣٩)

"إنه لابد فى عصر النهضةالإسلامية هذا أن نقوم ببحث حر عن النتائج التى وصلت إليها أوروبا فى مجال الفكر والعلم كما يجب أن نعرف ماهى مدى الاستفادة من هذه النتائج من أجل النهضة العلمية الإسلامية المعاصرة أوللتكوين ألجديدلهذه العلوم الإسلامية,وكذلك فإنه لا بد لنا ألانهمل حركة الشائعات ضد الدين وخاصة ضد الإسلام, تلك الحركة التى مصدرها آسيا الوسطى . أى الروسية الشيوعية . تلك الشائعات ضد الدين عامة وضد الإسلام خاصة التى دخلت الهند عبر جدودها"

وقد حقق إقبال مستشهدا بالآيات القرآنية بأن الله تعالى سبحانه وتعالى لم يخلق هذا الكون عبثا أى أن عمل الخلق والإبداع ليس لعبة يتفرج عليها خالقنا العظيم وإنما هذا الكون والواسع له هدف وحكمة.إن هذا الكون الواسع وجود مركب يتسع للمزيد من الإضافة إليه وأنه سبحانه وتعالى يزيد فيه مايشاء وعليه فإن هذا الكون ليس وجودا جامدا راكدا كما أنه ليس إبداعا قد تم إكماله وانتهى لا يقبل التغيير أو التبديل الآية وأنه بدون حركة أو إحساس فمن الممكن أن يكون هذا الوجود الواسع أن يشكل القوى الموجودة فيما حوله أى تشكيل

يريده كما أنه يستطيع أن يجدد مجراها كما يشاء ويريد وعليه فإن الإنسان يملك موهبة الابتكار والايجاد وبإمكانه أن يقرر مصير هذا الكون بالإضافة إلى مصير نفسه وذلك لصلاح القوى وخيرها تلك القوى التى توجد حول الإنسان فى الوجود فمرة يشارك الانسان هذا الكون فى أهدافه وأمانيه وفى بعض الأحيان يوافق الإنسان هذه القوى كما أنه يسخرها لتحقيق أهدافه وإكمال مايريده فى أحيان أخرى وبإمكان الإنسان أن يكون إرادة الله فى هذه السلسلة من التغييرات القدريجية ولكن أن تكون المبادرة نحو هذه التورة التغييريه ن قل الإنسان نفسه.

ويرى إقبال ألقرآن الكريم يلح على الغنسان بين حين وآخرأن يدرس الطبيعة وعجائبها ويشاهد الكون وغرئبه وأن القرآن الكريم وعوته إلى هذه الدرسةوالمشاهدة قد كان سببا جعل المسلمين يهتمون بدراسة العلوم الطبيعة والمشاهدة والتفكر فى هذا الكون الواسع الذى لا يعلم جنوده وحدوده إلا الخالق المبدع سبحانه وتعالى ,وهذه الدراسة والمشاهدة كانت من لأسباب التى أوجدت العلوم الطبيعية عند المسلمين ويقول إقبال:(٤٠):

"إن القرآن الكريم يلفتنا إلى حقيقة هائلة من التغير وذلك لأن إدراك هذه الحقيقة الهائلة والتغلب عليها يكمن الإنسان من بناء مدينة قوية خالدة ,والواقع أن المدنيات كلها والتى عاشت فى آسيا قد فشلت لأنها أتخذت طريق الإدراك لهذه الحقيقة الهائلة من الباطن والمجرد أى الحيال والقياس . نحو الظاهر الملموس . أى عالم الوجود والكون . وهكذااستطاعت هذه المدنيات إيجاد القضايا المفروضة إلا أنها حرمت من القوة والحيوية , ومن الظاهر الجلى أنه لايمكن لمدنية أن تكون قوية خالدة على أساس القضايا المفروضة"

وأما المحاضرة الثانية فعنوانها"المقياس الفلسفى للتجارب الدينية: وفى هذه المبحث يوذح إقبال مدى التأييد العقلى للتجارب الدينية أو المشاهدات الروحية ولماذا لايستطيع العقل أن يتقدم هذا الحد؟. ويبداء المبحث بالدلائل أو البراهين العقلية الثلاثة التى يتحقق بها وجود البارئ سبحانه وتعالى هى الدلائل العقلية الثلاثة التى أشها علم الكلام المسيحى وهى : الدليل الكونى والدليل الغائى والدليل الوجودى .إن هذه الدلائل الثلاثة توضح وتدل على أن العقل الإنسانى قد اتخذ خطوات علمية حقيقية لمعرفة الذات المطلق أو البحث عنه ولكن هذه الدلائل أو الراهين الثلاثة ينقصها التاييد المنطقى فكأنه العقل قد أوجد أساسا لهذه البراهين الثلاثة ولكن العقل نفسه قد هدم هذا الأساس بأدوانه الخاصة-

ثم ينافس إقبال المراحل الثلاثة للمحسوسات أو المدركات مستدلافى ذلك

بالآية القرآنية التى تقول:"هوالأول والأخر والظاهروالباطن" وهذه المراتب أو المنازل الثلاثة للمحسوسات أو المدركات هى المادة والحياة والشعورز.وخلال نقاشهوهذا يعلق إقبال على النتائج العلمية الحديثة التى وصل إليها الأنسان با لطبيعات وعلم الأحياء وعلم النفس, يحقق إقبال بأنه العلم المعاصرليس لديه فكرة مبسطة جامعة عن الحقيقة وإنما توجد عنده أفكار جزئية مستقلة للأجزاء منفردة مستقلة وكذلك فإنه هذه الأفكار الجزئية المستقل لايربط بينها رابط يستطيع أنه يجمع بين هذه الشتات والمتفرقات ونستطيع بذلك التعبير عن صورة الحقيقة , ومادام الدين يبحث عن الحقيقة ككل فمن ثم لا يخاف الأفكار الجزئية المتفرقة .

ويقول إقبال بأنه التعاليم القرآنية تحقق لنا بأنه ذات البارئ سبحانه وتعالى والكوف والحياء أشياءمتحركة على الدوام ومن ثم فان مشكلة الزمان وماهية لها أهمية شديدة بالنسبة إليها ,وقد حقق ا(؟؟؟؟ص١١٤) فى بحوثة الرياضية بأنه هذا الكون لوكان راكدا ساكنا نمكان وجود الأبعاء الثلاثة خليقا بالغرم والإدراك ولكن مادام الكون متحركا فلابد من قياس الزمن لنحدد به موقعا صحيحا للمكان, وبذلك يصبح الزمن بعد إفافيا أو بعدا وجودا إضافيا وكلما غير الناظر من عمله وسرعته تغير المكان طبقا للتغير الذى لحن بعمل الناظروسرعته ,والاعتراض الذى يبديه إقبال على فكرة الإضافيةهو: أنه وجود الزمان هو وجود غير حقيقوذلك لأنه الزمان إذا الضم إلى أبعاد المكان ميلزم من ذلك أنه نعترف بأنه وجود الزمان المستقبل قد تحدد كما يتعين وجود الزمان الماضى وحينئذ لم يعد الزمان حركة إبداعية حرة من حيث أ،ه ليس فيه تسلسل وكأنه الوقائع لا تحدث وإنما نحن الذين نواجهها فقط وذلك لأنه محل الوقائع المستقلة كلهاقد تحدد ممسبقا فى مكان مجهول وعليه فإنه فركرة الزمان عند(إينشتامين) ليست فكرة الزمان المتسلسل كما أنها ليست فكرة الزمان الخالص الذي يعتقد فيه (برغمون) الفيلسوف الفرنسي الذي يري بأنه الشعور الإنسان يتحول في حالة إلي حالة أخري . وهكذا نتغير دائما وبصفة مستمرة بسبب التغير المستمر في أحوالنا الذهبية وأن الشعور الإنساني له جانبان:جانب خارجي أو جانب فعال , وهذا الجانب يتعلق بالبيئة والحياة العلمية اليومية أو أنه يتعلق بالزمان المتسلسل وفى رأئ (برغسون) أن الزمان حسب هذه الفكرة زماناحقيقيا والجانب الثانى من الشعور الإنسانى جانب داخلى أو جانب البصيرة وهذا الجانب يتعلق بلحظات التفكير الإنسانى العميق ,فإن الإنسانى وحينئذ يصبح الزمان آنا مجردا ونستطيع أن نعبر عنه بحال دائم مستقل , وهذا مايسمية (برغسون) زمانا خالصا أو زمانا حقيقيا

وإقبال يدافق (برغسون)فى فكرته عن الزمان هذه ومعنى ذلك أن الانسان عندما يستغرق فى الأعمان البعيوة من ذاتيته فحينئذ يمر بتجربة الزمان الخالص لايشوبه شئ من المكان وأن عمل الإبداع والخلق عند البارئ سبحانه وتعالى سريع كلمح البصر فينئذ زمان البارئ سبحان وتعالى أيضا زمان خالص أوهلى حالة من عدم الزمان المتسلسل إلا أنه سبحان وتعالى يستمر فى عمله الإبداعى فيخلق الزمان المتسلسل لحظة بلحظة وحينئ ليس الكون ممجموعا من الأشياء فى الحلاء وإنما هو عمل إبداعى مسلسل.

على كل حال فإن فكرة الزمان الخالص عند (برغسون) هو الزمن الماضى الذى يتصل بالحال المستقل وهذا لا يشمل الزمن المستقبل عنده وقد أعرض عن ذلك لأنه بامكانه أن يحدد من حرية الإبداع فى الحياة .وهنا يغارون إقبال (برغسون) لأنه يرى بأن هذا التعبير عن الحياة ليس تعبيرا وحيدا وذالك لان الحياة تكون الأغراص ولأهداف بالتعبير والعمل المسلسل وكلما زاد عملها أوجدت الحياة العزائم والأهداف الجديدة المتنوعة وفى عملية هذا التسلسل لم نعد نحن الآيةماكنا عليه ,وهكذا طريق الحياة يمرفى موت بعد موت ورغم هذا لا نستطيع أن نقول بأن تسلسل هذا الطريق تسلسل لايقوم على المبادئ .إن عمل الحياة والكون يخلو عن الهدف فى تسلسل الزمان لأنه لا يتقدم نحو هدف قد تم تحديده وعليه فإنه حركة الزمان ليست على خط قد تم شكلة مسبقا وذلك لأن هذاالخط لايزال يتشكل حتى الأية والمراد بذلك هي الإمكانات التى قد تحدث وقد لا تحدث وإذا كان الزمن المستقبل فى هذا المعنى فيرى إقبال أن هذا المستقبل له هدف معين ويفسرإقبال المصطلح القرآنى المنصوص عليه بكلمة "التقدير" بهذا الأسلوب نفسه من التشريح والتفصيل .

وفى نهاية المحاضرة يقول إقبال بأن الوجدان وحده هو الذى يعلمنا بأن الحياة إنما هى ذاتية تتركز على نفسها فى الواقع وإنه هذا العلم ولو كان علما غير كامل إلا أنه هو نقطة الانطلاق التى يكتشف الإنسابهاماهية الحقيقة المطقة وأن الحقائق المختلفة التى نحصل عليها أو المحسوسات نقود إلى النتيجة نفسها وهى أن الحقيقية المطلقة فى أصلها وجوهرها روحية ومن ثم لا يمكن أن نتصورها إلا بصفتها "ذاتية"ويرى إقبال أن أهداف الدين وأعلى من أهداف الفلسفة , فإن الفلسفة لا تستطيع أن تدرك الحقائق إلا إدراكا عقليا مجردا ومن ثم لاتستطيع الفلسفة أن تتعدى أو تعبر فكرة بإمكانها أنه المعلومات الجزئيةالحاصلة بوسائل

العقل ,وبعبارة أخرى فان الفلسفة تشاهد الحقيقة من بيعد ولكن الدين على العكس من ذلك فهو يتمنى القرب أو الاتصال وأنه العقل لا يمكن له هذا القرب أو لاتصال إلا إذا حاول أن يعبر الحدود أو مبتعداها واتخذ طريقا ذهنيا لتحقيق أمنيته ,ذلكالطريق الذى يعبر عنه الدين بالدعا.

وأما المحاضرة الثالثة فموضوعها: "فكرة الذات الألهية وحقيقة الدعا" وقد تناول إقبال فى محاضرة هذه فكرة الذات الإليهة أو الذات المطلقة فناقشها فى ضوء الفلسفة وما جاء فى الشريعة الاسلامية عن ذات البارئ سبحانه وتعالى ويرى إقبال أنه التجربة الاجتماعية التى وصلت إليها الوسائل العلمية البشرية تكشف لنا جليا بأنه أساس هذه الوسائل العلمية البشرية ترجع إلى إرادة إبداعية باصرة لا يمكن أنه نعبر عنها إلا بالذاتية وحدها , وعليه فإن القرآن الكريم نظراً إلى تفرد الذاتية المطلقة قد استعمل اسم العلم وهو:"الله" إنه الذاتية المطلقة لا متناهية وذالك بالإمكانيات من الإبداع والخلق التى توجد فى ذاتها ووجودها, ومعنى ذلك إنه "لا محدودية" هذه الذاتية المطلقة عميقة وليست واسعة .ثم يناول إقبال سؤالا آخر وهو "كيف يبدأ العمل الإبداعى من القوة الابداعية الموجودة فى الذاتية المطلقة؟" وهنا يناقش إقبال عقائد الأشاعرة ويوضحها فى ضوء الآيات القرآنية فيرى الاشاعة بأنه الوجود أو الكون يتركب من الجواهر أو من تلك الذرات الصغيرة التى لا حصرلها والتى لا تقبل المزيد من التجزئة, ومادامت القوة الإبداعية باقية خالدة مستمرة فإنه عدد هذه الحواهر أو الذرات الصغيرة لاتنهى عندجدٍ وانه هذه الجواهر لا تأخذ وجودها إلا إذا نالت صفة الوجود وهكذا تنشأ الجواهرأوالذاة الصغيرة فتخرج من العدم إلى الوجود فى لحظة بعد لحظة وهكذا يزداد الوجود ويتع وليس من الممكن إنشاء صورة ذهنية للعملية الجوهرية هذه أما إقبال فيقول موضحا بأ،ه علم الطبيعات الحديث يقول بإيجاد صورة للعملية الجوهرية لكل مقدار ن المقادير فى العالم الطبيعى ويعتقد إقبال أنه فكرة الأشاعرة عن خلق الوجود وإبداعه قريبة جدا ن الأفكار ولأراء التى ظهرت فى مجال العلوم الطبيعة المعاصرة وتطورها.

ويرى إقبال أنه عملية الخالق الإبداعية فى ضوء هذه الأفكار لا تتحقق إلا بشكل الوحدات التى يعبر إقبال عنها "بالذاتيات الكثيرة" فكأنه كل عمل سواء كان يتعلق بالحركة الميكانية با الجواهر المادية أووجود الفكر الحرفى الذات الإنسانية فحقيقة كل واحدة منها لاتظهر إلا إذاكشفت عن الذات للذاتية المطلقة وعليه فإن كل جوهرة فى الكون إنما هى شكل من أشكال جوهرالذاتية سواء كان رفيعا

أو وضيها ولكن جوهرة الذاتية تحقق قسمة كمالها فى الذات الانسانى بعد أنه تمربالمدارج المتنوعة وبهذا السبب يعلن القرآن الكريم بأنه الذاتية المطلقة أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد وأن السيل المتدفق من الحياة الإلهية إنما هو مصدر جميع الذاتيات ونحن نعيش فيها ونتحرك على مثال الألى والجواهر.

ونظرا إلى ذلك فإن الانسان وحده , من بين جميع الخلق ,جديد بأنه يساهم فى الحياة الإبداعية لذات البارئ سبحانه وتعالى كصاحب أو زميل, ومادام بإمكان هذه الانسان أنه يتصور عالما أجمل فأجمل فهو الذى يستطيع أن يحول الموجود إلى المطلوب.

ويرى إقبال أن الفلسفة تقتنع بأ فكارها وحدها أما الدين فبما أنه يتمنى أنه يكون أقرب فأقرب إلى المقصود وذلك بعد الحصول على علم أعمق بالمقصود أو المطلوب وأن هذا القرب لا بتيسر إلا بالدعا وأن الدعا من تجليات العالم الروحى ومن ثم تختلف ثأثر الطبائع بذلك فيقول إقبال:(٤١):

"وقد اختار الإسلام شطرا معينا للعبادة لا لغرض إلا ان تندفق قلوب الجماعة بالمشاعرة والموحدة كما أنه ظاهرهذه الجماعة هو ألا يبقى شعور فى أحد أعضاء الجماعة بمكانتة أو جنسة أوشرفه ,فعلى سبيل الثمال يجب أن نفكر فى قضية برهمى من البراهمة من الهند الجنوبية ذلك البرهمى الذى قد اغتر بشرق الطبقة وكرامة البرمة فتكر وتجبر فإذا أخذ يقف كل يوم بجانب أحد من طبقة المنبوذين لرأينا أما منا تورة كبيرة تتحقق بين أيدينا فإن النوع البشرى يرجع إلى أصل والحد وذلك الأية الذات التى تحيط بكل شئ والتى قد أمسكت كل شئ هى التى خلقت جوهرة الذاتية أو "آنانية" وهو الذى يمسك به وهذه الذات واحدة , وعليه فإن القرآن الكريم يجعل الجنس أو القوم أو الاهام الى الشعوب والقبائل وسيلة للتعارف فقط فهذا يرجع إلى ذلك السبب .وجملة القول فإن الصلاة مع الجماعة فى الاسلام أيضا ليست وسيلة من وسائل التعارف وحدها بل هى أكثر وأكبر قدرا ومنزلة نم ذلك,إن الصلاة مع الجماعة إنمان هو تعبير عن أمنية تعلن بأننا نقضى على هذه الفوارق التى تحول بين إنسان وإنسان إن وحدتنا هذه والتى هى جزء من الطبيعتنا يجبن أن نعبر عنها بطريقة بتحقق بها هذه الوحدة فى حياتنا العملية".

وأما المحاضرة الرابعة فموضوها" الذاتية والجبر والاختيار والحياة بعد الموت" فيقول إقبال بأن القرآن الكريم يلح على كرامة الإنسان وتفردهن ومن وجهة النظر القرآنية لا يستطيع أئ إنسان أن يزر وزرإنسان آخر كما أنه لا يمكن له أن يحصل

على شئ إلا ما يسعى إليه ويتضح ببعض الواردات الصوفية فى تاريخ التصوف الاسلامى بأن الذاتية حقيقة فإذا أمكن لنا إيجاد شخصية عميقة فان بإمكانها أن تكتسب قوة ودعما على الأسس الروحية ويرى القرآن الكريم بأن الواردات من هذا النوع وسيلة من وسائل العلم ويستشهد إقبال فى ذلك بالمنصور الحلاج فيقول بأن المسلمين لم يدر سوا هذا النوع من الأحوال والمشاهدات الصوفية على أسلوب علمى ومن ثم لم يتمكنوا فمن الاستفادة منها,يقول إقبال (٤٢)

ومن واجبنا أن ندرس الإسلام بصفته نظاما فكريا من جديد بدون أن نقطع صلتنا بماضينا المجيد ولعل الإمام (ولى الله الدهلوى) هو أولن من أحس بروح جديدة من الصحوة والنهضة .أما الذى أدرك الأهمية الحقيقية والنظام الواسع لهذا الواجب العظيم فهو (السيد جمال الدين الأفغانى) الذى كانه على واسع وبصيرة عميقة بتاريخ الإسلام الشعبى وتاريخ الحياة العقلية بالإضافة إلى تجربة واسعة عن تقاليد الناس وعاداتهم وخصائهم وكان أمامه هدف واسع للغاية ,إذن فلم يكن من الصعب أن أصبحت شخصية الكريمة صلة حية قوية بين الماضى والمستقبل على كل حال فإذا كان قد بقى أما مناطريق فهو أن نحاول مع الاعتراف بمكانة العلم المعاصر وتكريمه أن نفهم الطريقة التى نقودنا إلى التعبير الصحيح والتفسير االسليم للتعاليم لإسلامية نظرا إلى مكانة العلم المعاصر حتى ولو خالفنا أسلافنا من أهل العلم فى ذلك"

ويتحدث إقبال عن اختيار الذاتية الإنسانية ومسؤليتها الكاملة فيذكر عن ذلك جانبين من القوة الإبداعية للذات الإلهية فإن كلمة "الخلق "التى معناها الإيجاد أو التخليق"الأمر" أيضا وأن الغرض الحقيقى من التعاليم الإسلامية ههو تصبح قدره الحرية والاختيار عنصرا مستقلا فى حياة "الذاتية" فهكذا نرى أن حياة الذاتية هى حياة الحرية ولاختيار وأن كل عمل من أعمالها يوجد ويظهر موقفا جديدا وهكذا يتج هذا العمل الفرص الجديدة المتنوعة لإنسان أن يطلع على ما يملكه ن موهبة الإبداعع والاكتشاف والإيجاد والابتكار ويتحدث إقبال عن الحياة بعد الموت فى التعاليم القرآنية فيقول بأنه من الممكن أن يساهم الانسان فى تحقيق أهداف القوم الكون ومقاصده فيكتسب حياة الخلود بذلك ولا يستطيع أحد أن يساهم فى أهداف القوم ومقاصده الامن استجمع أحواله وأفعاله حيث يدعم ذاتية حتى يسلم من صدقة الموت وحينئذ لن يكون الموت إلا طريقا من الطرق المؤدية إلى الخلود فإن الحياة بعد الموت أو الخلود عند إقبال ليس من حق الانسان يرجو الحياة بعد الموت أو الخلود ولكن لايمكن له ذلك إلا إذا أنعم عليه فإذا

تحقق بأنه يستحق ذلك الانعام وهو أهل له وأنه الجنة أوالنار ليست ن أسماء الاماكن أو المقامات وإنما هى أمثال عن أحوال الانسان وأو ضاعه وليست لجنة حالة من أحوال المنعة والراحة كما أن النار ليست حفرة مستقلة للتعذيب وأن الحياة مستمرة وأن الإنسان لن يزال يتقدم دائما للتجليات المتنوعة المتجددة من قدرة الله.

وأما المحاضرة الخامسة فموضوعها "روح الثقافة الإسلامية" وفى محاضرة هذه حاول إقبال أن يوضح الفرق بين النبوة والولاية فقال :إنه الولى أو التصوف عند مايحظى بمتعة التقرب إلى الله والاتصال بحضرته فإنه لا يود أن يعود إلى دنياه التى تركها وراءه وذلك لأن هذه هى آخر غاية يقصدها الولى أو التصوف من أصحاب الطريقة .وأما النبى فإنه ليس كذلك فهو يجب أن يعود إلى ماتركه من ورائه من الدنيا وأهلها بل هو يعود ليقضى على النظم القديمة ويحدث تورة مدنية ناجحة مباركة فى العالم البشرى وليس لدينا إلا أن نعبر التجارب الروحية أو المشاهدات السرمدية النبوية فنقول بأنها عملية إبداعية خلافة وذلك .....ص١١٩ النبى صدق تجربته الروحية الشخصية التى مربها من ناحية ومن ناحية أخرى معنى ماورد عليه النسبة إلى الحقائق الخارجية من العالم الذى يعيش فيه وكذلك فإننا نستطيع أن نقضى فى قيمة الواردات القلبية أو التجارب الدينية الروحية التى يمر بها كل نبى وذلك بالنظر إلى النتائج والثمرات التى قد ترتبت هذه الواردات أوالمشاهدات وبعبارة أخرى يجب أن نقدر التعاليم النبوية ويجب أن نرى ماهى الدنيا الى بعث نبى من الانبياء وماهى الدنيا التى ظهرت نتيجة لدعوة وخلال هذا النقاش يريد إقبال أن ي....؟؟؟. إلى قيمة العقيدة والإيمان بختم النبوة أو تكميلها ونهايتها ومدى أهمية هذه العقيدة وحيويتها فى ثقافتنا الإسلامية ومجتمعنا الاسلامى .ويقول إقبال إن القرآن الكريم قد استعمل كلمة الوحى لمعنى يدل أنه الوحى من خصائص الحياة ولوازمها وأن هذا الوحى الربانى كلما تطور وتدرج تغيرت ماهيته حتى أن الوحى الربانى إذا بلغ معراج الكمال وقمته فحينئذ يجب أن ينتهى وتتقطع سلسلته ,فيقول إقبال مانصه (٤٣):

"وإذا نظرنامن وجهة النظر هذه اتضح لنا أن شخصية نبى الاسلام . صلى الله عليه وسلم . ومكانته وسيط أو رابط يربط بين العالمية الجديد والقديم ,فنطرا إلى ينابيع وحيه صلى الله عليه وسلم . هو يتصل بالدنيا القديمة أما إذا نظر نا إلى روح ما أوحى إليه من الشريعة فإن هذه الروح السرمدية الشريعة تبنى عالما

جديدا , وترجع الثورة البشرية الهائلة إلي وجوده صلى الله عليه وسلم حيث اكتشفت لحياة الينابيع الجديدة من العلم والحكمة وهذه لينابيع هي التي غيرت مجري التاريخ البشرى ومهدت الطريق للموكب الحضارى ليشق طريق في نور هذه الينابيع من العلم والحكمة وعليه فإنه ظهور الإسلام هو ظهور العقل الاسقرائى وما دامت النبوة فى الإسلام قد وصلت إلي ذروة كمالها فكأنه لا بد من نهايتها وخاتمها.إن الشريعة الإسلامية الغراء هي التى علمت الإنسان بأنه لا يستطيع أن يعيش وهو في حاجة إلي مساعدة وأن اكتمال الشعور للذات الإنسانية لا يمكن إلا إذا عرف الإنسان نفسه وبأنه صاحب أعنته فى الأعمال وهو مسؤل عنها وهذه هو السبب الذى لا يسمع بالإعتراف ؟؟؟؟؟؟فى الإسلام كما أنه لا يسمع بالملكية المتوارثة كما أنه يلح علي استخدام العقل الإستقرائى والعلوم التجريبية ولهذا السبب يجعل الإسلام عالم الطبيعية وعالم التاريخ من ينابيع العلم الإنسان إنه هذه الجوانب من الحياة العملية التي يلح عليها الإسلام هي كلها جوانب من العقيدة بختم النبوة.

ويرى إقبال أن القرآن الكريم يذكر ينبوعين من العلم الإنسان بالإضافة إلي ينبوع الوحى أو المشاهدة الروحية وأحد هذين الينبوعين هو عالم الطبعية والثاني هوعالم التاريخ ويعتقد إقبال بأن الإستفادةوالإعتناء بهذين الينبوعين قد كان خير تعبير وأحسنه لروح الشريعة الإسلامية.أن المسلمين إذا أدركوا الحقيقة القائلة بأن الكون في حركة دائمة ثاروا حينئد ضد المقاييس والأفكار الفلسفية التى جاءتهم من قبل يونان فالتفتوا غلي الحقائق القويمة الصامدة تحت التأثير المباشر للتعاليم القرآنية وهكذا كانت عندهم بداية المنطق الاستقرائى والمنهاج التجريبى والمشاهدة العملية والمساحة والطب والكيميا وعلم الفلك والرياضيات والجبر ويحقق إقبال علي أساس الأفكار التى جمعها من مجهودات العلماء المسلمين والجزاء منهم بالعلوم الرياضية والطبيعية بأن ذلك كله يرجع إلى تأثير التعاليم القرآنية جيث أسس المسلمون العلوم التى استفادت منها أوروبا والتى كانت أساسا للنهضة البشرية المعاصرة.ويرى إقبال أنه لا يوجد جانب من جوانب المدنية الأوروبية إلا ويمكن فيه وجود التأثير الحاسم بقوى من الثقافة الإسلامية.

وكذلك فأن الشعور بالتاريخ وأهميته الحيوبة من الموضوعات الجديدة بالدارسة فى العالم الإسلامى وقد علم التاريخ عند المسلمين اولا بمجهودات بذلها الرواة الحديث النبوى ثم تطورت مبادئ النقد التاريخى شيئا فشيئا حتى أصبح علما مهما وظهر المؤرخون فى الإسلام من امثال ابن اسحاق والطبرى والمسعودى ثم

تطور التاريخ مبادؤه كعلم مهم جدا حتى جاء ابن خلدون الذي قدم فكرة التاريخ في ضوء التعاليم القرآنية,وفكرة التاريخ أو فلسفته عند ابن خلدون يقوم على مبدءين اساسيين احدهما وحدة النوع البشرى والثاني الحركة المستمرة الدائمة للحياة البشرية.

وأما المقالة السادسة فموضوعها"الاجتهاد فى الإسلام"الواقع أن الترجمة الحرفية للعنوان الأنجليزي لمحاضرة اقبال هذه هي "مبدأ الحركة في تركيب الإسلام"أي أن معن الإجتهاد عند اقبال ليس ما تداوله الفقهاء(من أن سعى أو محاولة يقوم بها فقيه لحل مشكلة قانونية أو مسألة شرعية)وإنما معنى الإجتهاد عند اقبال أن مبدأ الحركة في الشريعة الإسلامية وهو يفتتح محاضرته بوجهة النظر هذه فيقول بأن الحركة الإسلامية قد أعلنت بأن الكون أو الوجود علم متحرك أن هذه الحركة الإسلامية قد ظهرت فى مرحلة من مراحل التاريخ البشرى حين كان الإنسان في أشد الحاجة إلى أن يقطع صلاته بعلائق الأرض أو المنطقة من الجنس أو اللون ويتجه نحو أسساس من الوحدة البشرية وبعبارة أخرى

****

****

أن العالم الانسانى أو المدنية البشرية فى ذل الوقت والتى كانت تقوم على الملكية الله ودة قد كانت على وشك الانهيار أو الموت ومن ثم كان العالم البشرى فى اشد الحاجة إلى مدنية جديدة تحل المدنية النهاررة البائدة فيقول إقبال (٤٠):

"إن هذه المدنية الجديدة أئ الاسلامية قد بنت الوحدة البشرية على مبدأ التوحيد وان هذا المبدأ يأمر نا ألا نطيع إلا الله ولا نعبد أحد اسواه وأنه لا طاعة للملوك والسلاطين فميا يخالف او أمره إن الاساس الروحى للحياة فى الاسلام إنما هو وجود قائم دائم فاذا قام مجتمع بشرى على فكرة الحقيقة المطلقة هذه فلابد لذلك المجتمع مبادئ دائمة خالدة لا تقبل التغيير وأن التنظيم والسعاد فى الحياة الجتماعية يرع إلى هذه المبادئ الدائمة الخالدة ولكن ليس معنى المبادى الدائمة هونفى كل إمكان من امكانات الغيير والتبديل فما هو المبداء فى جسد الإسلام أو هيئته الذى يمكن أن يكون اساسا للحركة والتغيير فى الإسلام غير الاجتها فى الإسلام"

ويوضح إقبال بأن أهل السنة والجماعة لم يرفعوا الاجتهاد ولم يعرضوا أبدا إلا أنهم لم يسمحوا بالاجتهاد العملى ضد نشأت عند هم المذاهب الفقهية الاربعة, وذكل لأنهم فرذوا قيودا وشروطا على المجتهد لا يمكن تحقيقها ثم يقول فيها على

الأسباب التى أدت إلى اخاذ هذا الموقف ومنها أن فرض القيود على الإجتهاد فى عصر ا لزوال والانحطاط كان لا بد منه للإحتفا بوحدة الأمة الاسلامية إلا أنه يحتج على موقف الشيوخ المتزمين ويعارضهم فيقول:(٤٥)

ولكنهم لم يفهمو ا كما أن شيوخ زماننا لا يفهمون ان مصير الشعوب وكيانها لا يقصر على التنظيم والموجود فيهم وحده وإنما يقصر مصير الشعوب وكيانها على المذاهب الفقهية لأفرادها فإذا أردنا أن ننقذ أمه من ورطة الزوال والإنحطاط فليس السبيل إلىذلك هو الإعجاب بتاريخنا الماضي والاحترام له أو نهضة أمتنابالوسائل المزعومة من عندنا , والواقع أن إنقاذ الأمة من الزوال والإنحطاط والنهوض بها إذاكان له وسيلة ناجحة وحيلة مؤثرة فهى ليست إلا أن نربى أفرادبين أمتنا يملكون من المواهب ويعرفونه ذاتيهم حق المعرفة لأمة هؤلاء ولأفراد هم الذين يستطيعون أن يكشفوا الغماء ويدركوا أعمامه الحياة فهولائهم الأفراد الذين يبتكرون المقايس الجديدة التى نتمكن بهاأمة نقدر تقديرا صحيحا ونعرف أنبيئتنا لاتقبل التغيير والتبديل إطلاقا وإنما تحتاح إلى إصلاح وإعادة النظر وبالإضافة إلى ذلك فإن الإعجاب البالغ بالماضى والاحترام الاجتماعى ؟؟؟؟ اللازم لما يعود يعارض روح الشريعة الإسلامية الحقيقية فإذا كان لابد من النهضة الاسلامية وأرى أنه لا بد منها فينئذ يتضح لنا جليا بأنه لابد وأن يأتى علينا يوم نحتاج فيه إلى تقويم تراثنا العقلى والفكرى وكلما تدعمت واشتدت الحياة الاجتماعية الإسلامية فإن الروح العالمية الإسلامية رغم تزمت الفقهاء ورجال الدين لا بد أن تقوم بدورها ومن سوء الحظ أن عامة الناس المسلمين المتزمين فى بلادنا اليوم لا يسمحون لأى شخص أن يتخذ وجهة النظر النقدية الحرة فى مباحث الفقه الإسلامى فانهم يغضبون ويثورون لأشياء ؟؟؟؟ ويفتحون أبواب الخلافات المذهبية بسسب تافه, وهل كان أئمة المذاهب الأربعة يدعون بأن ما استدلوا به أو عبروا عنه هونهاية المكان أو الحرف الأخير أبدا أبدا إن الأمر بالعكس .وفى مثل هذه الظروف لست أرى بأسا بطبقة متنورة من المسلمين يدعون بأن من حقهم أن يقوموا بتعبير جديد عن المبادئ الأساسية الفقهية على أساس تجاربهم العملية من الحياة المعاصرة وفى الظروف والأحوال المتغيرة من الحياة الناهضة المتقدمة إنهم ليسوا إلا على الصواب فيما يرونه أو يدعونه وأن المبدأ القرآنى الذى يقول بأنه الحياة عملية إبداعية دائمة يقتضى من كل جيل مسلم أن يستفيد من تعاليم أسلافه ويقوم الحلول الناجحه للحياة الجديدة المتقدمة وعليه فإن القول بأن الاجتهاد قدأإلق ليست إلاأسطورة واهنة.إن المسلم المعاصر لن

يرضى أبدا أن يضحى بحريته العقلية والفكرية فإذا كانت أفكارنا تقبل التوسعة وتسمع بالنظر الدقيق ومادمنا نسفيد من التجارب الجديدة فلا بدلنا أن نتخذ خطوات جريئة فى التكوين الجديد لفقه الإسلامى إلا أن هذا العمل لا يعنى فقط التوافق والوثام مع الاحوال والظروف المعاصرة وإنما يعنى أكثر وأكبر من هذاإن الحرب الأوروبية العالمية قد سببت نيارا قويا من اليقظة الفكريةالعالميةو بالإسلامية هما سببان يلطبان منا أن نقدر الموقف ونعرف الأوضاع ونتأكد عن معنى الإسلام وأهدافه ومصيره الحقيقى"

إنه هذه العبارة المقتسبة من المحاضرة والتى بنا أنفا تدل على أن إقبالا لم يكن يلح على التكوين الجديد للفه الإسلامى أو التجديد فيه بمبدأ الإجتهاد لأن الفقه الاسلامى كان فىحاجة إلى التوافق والوثام مع الظروف والأحوال للعصر الحاضر فحسب وإنما كان يريد ذلك لأنه يخاف على الأمة الاسلامية من هجوم أحد النطامين وهما :النطام الديموقراطى لاوروبا ير أسمالية والثانى هو الغزو الفكرى من ناحية الشيوعية الروسية الملتحدة ويرى إقبال أن حق الاجتهاد ليس مقصورا على العلماء والمجتهدين كأفراد وإنما كان يرى أنه حق الاجتهاد فى العصرالحاضر يرجع إلى المجالس التسشريعية لكل دولة من دول العالم الإسلامى وذلك لانه مبدأ الإجتماع من مبادئ الفقه الإسلامى لا بتحقيق إلا بذلك.

وفى هذه المحاضرة يقد إقبال فكرته عن الدولة الإسلامية المعاصرة فهو يرى أن الدولة الإسلامية تقوم على الحقائق الخالدة من الحرية والمساواة والتضامن وأن الطراز الحكومى الديموقراطى لا يوافق روح الاسملام فحسب بل لا بد لهذا الطراز الجمهورى نظرا إلى القوى العاملة المؤثرة فى العالم الإسلامى وهو يصوب الفكرة الاجتهادية التى تقدم بها الأزان من أن فصب الإمام أو الخليفة فى لشريعة الاسلامية يمكن أن يفوض إلى جماعة من الأفراد بل مجلس منتخب كما أنه يجوزأن يفوص إلى فرد من أفراد الأمة . ويرى إقبال أن فكرة الخلافة العالمية الموحدة كان يمكن العمل بها حين كان العالم الاسلامى دولة واحدة أما إذا كانت إمارات ودولا إسلامية مختارة مستقلة متعددة فإن العمل بهذا الفكرة ليس مستحيلا فحسب وإنما يمكن أن يكون من العقبات من سبيل الوحدة أوالتضامن لهذه الدول الاسلامية.

ويعتقد إقبال بأنه لا بد لكل أمة مسلمة فى كل بلد إسلامى فى الطروف الحالية أن تركز اهتمامها على نفسها حتى إذا تدعمت وقويت كل دولة من هذه

الدول أصبح من الممكن لها جمعيا أن تفشئ جمعية أخوية من الجمهور يات الإسلامية فهو يقول فى ذلك مانعة:(٤٦):

"كأنى أرى بأن قدرة الله عزوجل تريد أن تعملنا . نحن المسلمين . تدريجيا بأنه الاسلام ليس حركة وطنية قومية كما أنه ليس ملوكية أو امبريالية وإنما هو وحدة من الأمم التى تعترف بالحدود والفوارق الجنسية التى ليست إلا نتيجة لتاريخنا البشرى ولكن هذا الاعتراق ليس الغرض منه غير سهو لة التعارف فيما بيننا وليس الغرض من ذلك ؟؟؟ يجدد الإسلام من عمل الشعب المسلم الاجتماعز"

إن مبدأ الإجتماع من بين مصادر الفقه الإسلامى له أهمية أكثر فيما يراه إقبال رغم أن هذا المبدأ الفقهى يستطيع أن يصبح مؤسسة دائمة مستقلة فى دولة من الدول الإسلامية ولعل ذلك يرجع إلى سبب واحد وهو أن العالم الإسلامى بعد نهاية عصر الخلفاء الراشدين قد سيطرت عليه الملوكب المستبدة ولم يكن من صالح الملوكية المستبدة أن يتخذ مبدأ الإجتماع شكلا من مؤسسة مستقلة فقد كان مصلحة الخلفاء الأمويين والعباسيين أن يبقى الإجتهاد مقصور على الأفراد لكى يكون من السهل ؟؟؟؟ من قبل الدولة على فرد من هؤلآء الأفراد المجتهدين, فلم يحاولوا أولم يسحموا الأحد أن يحاول بإنشاء مجلس تشريعى مستقل يملك مسلطة كاملة وقد يتمكن من عزل هؤلآء الخلفاء أو إلغاء حكمهم أو يحتل مناصب السلطة والحكم .إن فكرة الاجتماع عند إقبال ليس كفكرة مجلس الشورى فى الوقت الحاضر وإنما يريد إقبال مجلسا تشريعيا أوبر لمانا حرا يملك السلطة فهو لا يذكر كلمة" الشورى" خلال نقاشه عن الموضوع, ومما قال إقبال فى هذا المبحث(٤٧)

"ومما يرضينا الطمأنية والأمل هو أن القوى الناهضة الجديدة فى عالمنا الإسلامى اليوم الذى وصل إلينا من التجارب السياسية للشعوب الأوروبية كل ذلك قد جعل المسلمين يشعرون بمكان الإجتماع وقيمة وما يتضمه هذا المبدأ الفقهى الإسلامى من الإمكانيان الكامنة إن تطور الروح الديموقراطية وتقدمها فى البلاد الإسلامية وإنشاء المجالس التسريعية تدريجيا لخطوات مباركة تشير إلى المستقبل الزاهر والأمال المجيدة وسوف تكون النتيجة لهذه الخطوات هو أن الأفراد المجتهدين الذين يمثلوا المذاهب الفقهية الأربعة سوف يتنازلون عن حقهم فى الإجتهاد ويحولونه إلى المجالس التشريعية بالإضافة المتعلمين المتفقهين من غير رجال الدين الذين يرغبون فى هذه الشؤن الدينية يهتمون بها وأرى أن هذه هى الطريقة الوحيدة التى تمكنا من إيقاظ روح الحياة الكامنة فى نظمها الفقهية من

جديد"

وفى هذه المرحلة منالمبحث يثير إقبال سؤالا من عنده وهو أن المجالس التشريعية التى انشئت فى البلاد الإسلامية فى الوقت الحاضر معظم أعضائها من هؤلاء المسلمين الذين يجهلون دقائق الفقه الإسلامى ومن ثم قد يرتكبون الأخطاء الهائلة الكبيرة فى التعبير عن الشريعة الإسلامية ومسائلها القانونية , إن فماذا يتوفر لنا من الطرق ينص على وجود مجلس مستقل للعلماء ورجال الذين داخل إطار المجلس التشريعى وهذا المجلس من العلماء ورجال الذين يستطيع أن يشرف على نشاطات المجلس التشريعى ونقاشه ولا يسمع الأعضائه بارتكاب الأخطاء فى التعبيرعن الشريعة ولكن إقبال فى الوقت نفسه ينبهنا إلى جانب خطير للغاية من فكرة الدستور الإيرانى هذه فينصح الدول الإسلامية السنية أن تسفيد منها مؤقتا وتبحث عن طرق أخرى خلال هذه الفترة المؤقتتة فيقول مانصه :(٤٨):

"فيجب على هذه الدول الإسلامية لسنية أن تسمع بوجود العلماء ورجال الذين داخل المجالس التشريعية كعضومؤثرفعال كما أنه يجب على العلماء أيضا أن يسمحوا بالنقاش الحر فى كل مسئلة قانونية أومشكلة تشريعية وأن يقودوا هذا النقاش الحر ويهدوا الطريق السوى الأعضاء مجلس الأمة ورغم هذا كله فإنه الوقوف فى سبيل التعبير الخاطى عن للشريعة الإسلامية .إن ندرس القوانين الوضعية المعاصر دراسة متحذرة متعمقة"

وأما موضوع المحاضرة السابعة فهو" هل للدين دور عملى ممكن؟"وفى مقالته هذه يقارن إقبال بين البحوث والاكتشافات التى تمت فى مجال الدين والعلم فيرى أنه للحياة الدينية أطوار ثلاثة وهى :الإيمان والتفكير والمعرفة أو الإدراك أماطور الإيمان فهوطور المطاعة للأوامر وأحكام اطاعة مطلقة لا تقبل التعليل أو السؤال .ثم يأتى طور التفكير وفى هذا الطور أراد الإنسان أن يدرك ينبوع الأوامر والأحكام بعقله وتفكيره ففى هذا الطور من الحياة الدينية كان الدين فى حاجة إلى أن يبحث عن قوة أومصدر فى عالم ما بعد الطبيعيات يمكن أن يكون أساسا ومصدرا للدين . والطور الأخير هو طور المعرفة والإدراك ففى هذا الطور كان الإنسان يتمنى أن يدرك الحقيقة المطلقة وأن ؟؟؟ الاتصال المباشربينه وبينها ز

ويتحدث إقبال ان الاكتشافات العلمية الحديثة فيقول بأن العلم الحديث قد أخذ يتقدم إلى لم يعرض الصعب فيها إنشاء أو تكوين نظام للديانة يقوم على العقل ,ولكن الإنسان الأوروبى المعاصر رغم كله قد أخذ يتناقض مع نفسه فكريا كما أنه قد أخذ يتصادم مع غير من الأفراد اسياسيا وأن هذا التعارض والتصادم

أو التشابك يرجع إلى الأنانية القاسية السفاكة أو الحرص الشديد الذى لايرضيه شئ من الأشياء والذى من الصعب أنه يتغلب عليه الإنسان الأوروبى وبعبارة أخرى المادية قد استولت على الإنسان الأوروبى المعاصر وشلت أعصابه وفواه ومن ناحية أخرى فإن ظروف الإنسان الشرقى ظروف مؤلمة جداإن هذا الإنسان الشرقى لم يعد قادرا على وعم حياته الداخلية وعليه فإنه لا يصلح أولا يستطيع أن يقوم بدوره العلمى فى الحركة التاريخية المتسلسة فإنه الأتراك والإيرانيين والمصريين والعرب من المسلمين قد أخذوا يعتمدون على الوطنية والقومية ظنا منهم بأنهم قد يستطيعون العثور بذلك على مصدر جديد من القوة والطاقة وأن المسلمين المعاصرين كأمة قد فقدوا الثقة بأنفسهم وإيمانهم بدينهم الذى هو وحده يستطيع النهوض بحياتهم الروحية الفكرية .إن المسلم المعاصر لم يعد يشعربحقيقة الذين الذى هو الوسيلة الوحيدو للتوسعة فى مجالاته الفكريةوالعملية وأن الدين هى الوسيلة الوحيدد التى بإمكانها أن تقود المسلم المعاصر إلى المصدر الخالد والينبوع الدائم من الطاقة والقوة والحياة ولكنه يظن بأنه سيصل إعلى ينبوع الحياة ومصدر الكافة إذا أخذ يفيق من دنيا أفكاره وأعماله إن الشيوعية الملحدة المعاصرة تملك نشاطا وحيوية للدين الجديد إلا أنها لا تزال على صراع مرير مستمر بما كان من الممكن يكون لها ينبوع الحياة ومصدر الطاقة وهو الايمان بدين الله الخالد.

وعليه فإنه العلاج الناجح لليأس والحزن الذى يعانى من العالم المعاصر لا يوجد فى التصوف أو الوطنية المحلية الضيقة كما أنه لا يوجد فى الشيوعية الملحدة ولكن الإنسان المعاصر إذا تحمل استطاع أن يتحمل المسؤلية الخلقية التى ألقاها العلم الجديد على عاتق الإنسان المعاصر فإنه لن يكون قادر على تحقيق ذلك إلا إذا تمسك بدين الله الخالد إن الإنسان المعاصر إذا لم يلمح مشهدا جديدا من بدايته إلى نهايتة فإنه لا يستطيع أن يتغلب على المجتمع الذى تمزقت وحدته الروحية بسبب الصراح الداخلى بين قيمة الدينية والسياسية .ذلك المجتمع الذى أصبحت المسابقه والنافسة فيه من أعمال قاسية غير إنسانية للغاية.

إن محاضرات إقبال هذه تتضمن إفكار قد مرت بمراحل التطور المختلفة كما أنها تتضمن إفكارا ونظريات قد تناولها أهل العلم نقدا وتعليقا وسوف نتناول هذه الجوانب من المحاضرات بالنقاش فيما بعد إلا أن هذه الدراسة العابرة للمحاضرات توضح لنا جليا بأن إقبالا قد حاول أن يقدم أساسا من الدين والفقه والمدنية والاجتماع قبل أن يقدم

الفصل السابع عشر

فكرة إنشاء دولة إسلامية

إن مشكلة التفرطة بين الهنادكة والمسلمين والتى أصبحت تفرقة طائفية فيما بعد ثم عرفت بمشكلة فكرة الشعبية المسقلين كانت قد نشأت خلال القرن الثامن الميلادى وذلك عقب ورود الإسلام إلى شبه القارة .وأما الشواهد التاريخية عن هذه المشكلة فهى التى نعثر عليها فى كتاب "ماللهند" الذى ألفه أبو ريحان احمد البيرونى قبل تسعة قرون تقريبا حيث فصل القول عن خلافات بين الهنادكة والمسلمين ثم استنتج البيرونى بأن العقبة الهائلة من الفوارق بين الهنادكة والمسلمين لا يمكن عبورها أو تجاوزها أبدا(١) وأن الدراسة العميقةللتاريخ توضح لنا جليا بأن المحاولة الواعية الأولى لحل هذه المشكلة من التفرقة الطائفية أو القومية الموحدة هى التى قام بها الامير طور المغولى(اكبر) فى القرن السادس عشر الميلادى الذى ابتدع ديانة جديدة موحدة سماها "الدين الإلهى" إلا أن هذه المحاولة فشلت لأن الهنادكة والمسلمين كليهما رفضا هذا التوحيد أو الدلج الكامل , ومن بين المسلمين الذين عارضوا هذه المحاولة معارضة شديدة فعلى رأسهم الإمام الشيخ (أحمد السرهندى) مجدد الألف الثانى وأما من الهنادكة فهو (راجامان سنغ) الذى رفض هذا الدلج إطلاقا وأخير الاميراطور (أكبر) بأن الهند توجد فيها ديانتان فقد وهما الإسلام والهندوكية أو الهندوسية وأن الإدغام أو التوحيد بينهما من المستحيل (٢) وأما المحاولة والوعية الثانية لإيجاد القومية الموحدة على منهاج الاميراطور (أكبر) فهى محاولة قام بها الأمير المغولى (داراشكوه) فى القرن السابع عشر الميلادى إلا أن الاميراطور المغولى (محى الدين اورنك زيب عالمكير) هذه المحاولة فعلى اساس الشواهد التاريخية هذه كان إقبال يعتبرالإمام الشيخ (أحمد السرهندى) والاميراطور (اورنك زيب عالمكير) من مؤسسى القومية الإسلامية وروادها فى شبه القارة.

إنه النهضة الإسلامية المعاصرة فى شبه القارة تبدأ فى القرن الثامن عشر الميلادى وبعد حرب (بلاسى) المعروفة فى عالم ١٧٥٢ م وخاصة بعد قتل (السلطان تيبوالشهيد))فى ١٧٩٩م حين أصدر الفقهاء والعلماء المسلمون من الفتاوى مايفيد بأن الهند لم تعد "دار الإسلام" وإنما قد أصبحت "دارالحرب " ومن ثم يجب على المسلمين أن يستعيدوا مافقدوه من السلطة السياسية بالجهاد الإسلامى أو يجب عليهم أن يهاجروا من الهند إلى دولة إسلامية أخرى. وعلى

أساس هذه الفتاوى نشأت دعوات إصلاحية ومنطمات جهادية وذلك بجهود بذلها الكبار من الزعماء المصلحين والقادة المجاهدين من أمثال (السيد أحمد البريلوى) الشهيد و(الشاه إسماعيل) الشهيد والمولوى (شريعة الله و(ميرنثار على) الشهيد و(غلام معصوم)الشهيد وغيرهم أما السيد (أحمد البريلوى) الشهيد و(الشاه اسماعيل) الشهيد فقد أنشأ مراكز جهاديا فى الثغر والشمالى الغربى للهند حيث أعلنوا الجهاد ضد (الشيخ) من أجل تحرير مناطق الأغلبية الاسلامية فى بنجاب وكشمير , أماالرؤساء والامراء فى مناطق (سرحد) و(السند) و(بلوجستان) من مناطق الأغلبية الاسلامية فى ذلك الوقت فقد كانوا من المسلمين فنصروا السيد (أحمد البريلوى) الشهيد الذى كان يريد إنشاء دولة إسلامية فى الشمال الغرب من مناطق الأغلبية الاسلامية وكان يريد أن يحرر بنجاب وكشمير من سيطرة (الشيخ) ,وكذلك فإن المنظمة العسكرية التى كانت تشمل على الفلاحين المسلمين من المناطق الأغلبية الإسلامية فى شرق بنغال تلك المنظمة العسكرية التى قادها (مير نثار على) الشهيد و(غلام معصو) الشهيد للقضاء على استغلال النظام الإقطاعى الهندوكى وتحرير المسلمين من هيمنته. إن جهاد هذين الشهيدين فى شرق بنغال ايضا كان يهدف إلى إنشاء دولة اسلامية إلا أن هذه الحركات والمنظمات كلها من أجل إنشاء دولتين إسلاميتين فى مناطق الشمال الغربى والمناطق الشرقية قد فشلت لأن المجاهدين المسلمين كانوا يستخدمون الطرق والأسلحة الحربية والقديمة العادة بينما كان الانجليز المستعمرون يملكون أسلحة جديدة وكانوا يعرفون أحدث الطرق الحربية.

على كل حال فإن دراسة الجانب التاريخى من حركة النهضة الإسلامية المعاصر ة توضح لنا بأن الشعب المسلم فى شبه القارة كان قد أحس بحاجته إلى تحقيق الحرية والاستقلال تحت الروح الإسلامية فقالوا بجهود عملية من أجل إنشاء الدولتين الإسلاميتين فى مناطق الشمال الغربى والمناطق الشرقية من الهند خلال القرن التاسع عشر الميلادى. إن هذه الجهود وان فشلت مؤقتا إلا حركة النهصة الإسلامية عاشت واستمرت وبعد الاحتلال الانجليزى لشبه القارة وردت أفكار غربية جديدة فى البلاد وقام (السر سيد أحمد خان)) تحت الروح الإسلامية بجهود مفيدة وخدمات عظيمة حيث دعا المسلمين إلى دراسة العلوم المعاصرة إلا أن هذه الأفكار الغربية الجديدة فى الوقت نفسه أيقظت روحا سياسية فى الأغلبية الهندوكية فأخذوا يقومون بمظاهرات وجهود يطالبون بإنشاء المؤسسات الديموقراطية وكان (السر سيد) بين الزعماء المسلمين فى تلك الفترة أول من أدرك الحقيقة

الواقعية بأن الاحتفاظ بحقوق المسلمين والدفاع عنها لن يكون ممكنا أبدا بإنشاء المؤسسات الديموقراطية على الطراز الغربى ومن ثم نهى المسلمين من انضمامهم إلى الكونجرس الهندى ,ثم قام بعض أتباع (السر سيد) من أمثال (محسن الملك) و(وقار الملك) بجهود جبارةفى أوائل القرن العشرين الميلادى وحققوا ماأرادوا من حق النيابة المستقلة المسلمين فى المجالس التشريعية.

وقد علمنا فيما مربنا بأن أفكار (لسر سيد) حول الاحتفاظ بحقوق المسلمين والدفاع عنها فى شبه القارة كانت أصبحت عقيدة مبدئية بالنسبة إلى إقبال فى ١٩٠٧م وعلى أساس هذه العقيدة المبدئية أخذ إقبال يوضح فكرة القومية الإسلامية فى إنتاجه الشعرى والنتدى بالإضافة إلى ما أوجده ما أسس نظرية وفكرية قوية من أجل الاحتفاظ بالشخصية القومية الإسلامية المستقلة وقد اقتحم معركة سياسية افتحاما مباشرا فى السياسية العلمية المسلمى الهند ٬لى أساس هذه المبادئ الفكرة من سنة١٩٢٧م حتى تقدمأخير بفكرة إنشاء دولة إسلامية فى شبه القارة.

إن مشكلة التفرقة الطائفية فى شبه القارة ووجود الأغلبية الإسلامية فى مناطق الشمالى الغربى والمناطق الشرقية قد كان منالحقائق الواضحة الجلية التى لا تحتاج إلىبيان أودليل, وقد سبق إقبالا البعض من الشخصيات البارزة الذين قد أدركوا هذه الحقائق الجلية كما أنهم أبدوا عن رأيهم وتقدموا بالاقتراحات أحيانا عن تقسيم الهند بين الهنادكة والمسلمين فقد ذكر السيد(شريف الدين بيرزاده)فى كتابه"تطويرباكستا" بالانجليزية تسعة عشر زعيما من أمثال هذه الشخصيات البارزة بالإضافة إلى "السرسيد" و"الشيخ حالى" و"الشيخ عبد الحليم شرر". وهما من أتباع السر سيد ـ وأن دراسة جهود هذه الشخصيات فى هذه المرحلة من كتابنا هذا نستحق اهتمامنا.

وحسب تصريح (شريف الدين بيرزاده)كان(جون برائت) قد قال وهو يخطب فى البرلمان لبريطانىفى ١٩٩٧م بأن الهند يقظها شعوب مختلفة يبلغ عددها العشرين وهى تتحدث بلغات مختلفة,وعليه فإن لا بد للانجليز من إنشا حمس أوست دول مستقلة فى الهند قبل أن يغادرها.كذلك فإن (السيد جما الدين أفغانى)كان قدرأى حلمافى سنة ١٨٨١م بإنشاء جمهورية إسلامية تضم المناطق الإسلامية المحتلة الروسية فىآسيا والوسطى وأفغانستان بالإضافةإلى مناطق الأغلبية الإسلامية فى الشمال الغربى للهند وفى عام١٨٨٢م اقترح(ويلفريد بلينت) بإنشاء

دولة إسلامية مستقلةفى شمال الهند ودولة من هاتين الدولتين , وفى عام ١٩٢٥م (اللوردكرزون)نائب الامبراطور البريطانى على الهند بتقسيم بنغال لكى يتمكن المسلمون المختلفون من التقدم والنهضة فى شرق بنغال إلا أن المسلمين البنغاليين لم يكونوامنظمين سياسيا فأخذا الهنادكة البنغاليون يحتجون متظاهرين فألغى مشروع التقسيم هذا.

وكان (سيد أمير على) قد كتب رسالة فى عام ١٩١١م إلى(السيد محمد شفيع) قال فيها بأن الهنج يسكنها شعبان مستقلان: الهنادكة والمسلمون ومن ثم لا يمكن تطبيق نظام دستورى فى الهند إلا إذا ضمن هذا النظام الدستورى حقوق الشعبين أو با حتفاظ تشخص قومى مستقل لكيهما .وفى بعض مذكراته الفكاهية بأن يجب على الهنادكة والمسلمين ان يعيشوا منفصلين مستقلين حتى يفوض شمال الهند إلى المسلمين ويحتل الهنادكة جنوبها وفى ١٩١٩م حضر الدكتور (عبد الجبارالخيرى) والأستاذ(عبد الستار الخيرى) فى مؤتمر دولى اشتراكى عقد فى ؟؟؟؟ فى أوروبا حيث صرحا فى مقال لهما بأن كل إقليم من أقاليم الهند يستحق الاستقلال لكى يتمكن الهنادكة والمسلمون من إنشاء اتحادين مستقلين للأقاليم المختلفة حسب أغلبية سكانها وفى عام ١٩٢٠م (محمد عبد القادر بلجرامى)رسالة مفتوحة إلى (غاندى)فى جريدة"ذوالقرنين" الصادرة من مدينة (بدايون) واقترح فيها عليه تقسيم الهند بين الهنادكة والمسلمين وقد ذكرت الكاتب فى رسالته هذه التناسب السكانى من الهنادكة والمسلمين فى محافظات مختلفة لكل إقليم وكان (السيد نادر على) من كبار المعبين بالانجليز ومن أكبر المعارضين لحركة الخلافة اقترح فى عام ١٩٢١م على الحكومةالبريطانية بأن القضاء على الخلافات والمشاجرات بين الهنادكةوالمسلمين تحتم عليهم أن يقسموا الهند إلى دولتين.

وفى عام١٩٢٣م تقدم (السردار كل محمد خان) رئيس جمعية إسلامية فى (ديره اسماعيل خان) للشهادة أمام لجنة المناطق الشمالية الغبربية والتكان يترأسها (السيد دينس برى) فاقترح على اللجنة لإعطاء المناطق الممتدة من (بشاور) إلى(آكره)للمسلمين والمناطق الممتدة من(آكره) إلى م(مضيق كمارى) للهنادكة وأن على كل من الشعبين التبادل السكانى فيما بينهما فيهاجر المسلمون إلى المناطق الإسلامية والهنادكة إلى المناطق الهندوكية. وفى ١٩٢٤م اقترح الشيخ ٠حسرت موهانى) بإدغام مناطق الأغلبية الإسلامية فى الشمال الغربى وتكوين اقليم واحد منها يحتل مكانة كوحدة مستقلة فى النظام الاتحادى الهندى إلا أن لجنة (نهرو)رفضت هذا الاقتراح وفى عام١٩٢م أبدى الزعيم الهندوكى

(لالالاجبات رائى) عن رأية حيث اقترح تقسيم بنجاب وبنغالإلى قسمين :قسم للهنادكة وقسم وآخر للمسلين ,ثم يحكلم مناطق بنجاب الغربية وبنغال الشرقية وأقاليم (السند) و(بلوجستان) و(سرحد) المسلمون , وأما بقية الاقاليم الهندية فيحكمها هندوكيون إلا أنه هذا الزعيم الهندوكى قد أنكر هذا القول وتراجع عنه وقال بأنه لم يقترح أئ اقتراح بتقسيم الهند .وفى سنة ١٩٢٤م نفسها كان (مستقالين) الدكتاتور الروسى قد تنبأ بأن الهند رغم أنها تبدودولة موحدة إلا أن هذه البلاد ستكون فيها تورات فتظهر بها دول وشعوب لم يسمع بها أحد من قبل ! وفى سنة ١٩٢٤م نفسها اعلن الشيخ (محمد على جوهر) فبعض ما ألقاه من الكلمات والخطب بأن المسلمين فى شبه القارة ليسوابأقلية وإنما هم شعب وأمة وأن الهند مشكلة دولية وليست محلية، وعليه فلا بد للمسلمينمن ردهة أو مر يبدأ من قسطنطينية وينتهى إلى (دلهى) وفى عام ١٩٢٥م تنباء (اكبرو) الخبير الانجليزى بعلم فراسة اليد بأن الانجليز لابد أن يغادر وا الهنديوماوأنها ستنقسم قسمين متساويتين بين المسلمين والبوذين وفى سنة عام ١٩٢٨م أبدى رجل عرف نفسه "بمسلم هندى" عن رأية عن المشكلة فقال بأن الهنادكة والمسلمين شعبان مختلفان مستقلان كما أن الامام والفرنسين شعبان منفصلان مستقلان ومادام التوحيد بينهما مستحيلا فيجب أن تقسم الهند بينهما وفى عام ١٩٢٨مأخذ مرتضى أحمد خان ميكش)ينشر سلسلة من المقالات فى جريدة"انقلاب" للاهورية اقترح فيها بإنشاء دولة إسلامية تضم مناطق الأغلبية الإسلامية فى الشمال الغربى من الهند .وفى سنة ١٩٢٩م ألف (درانى)كتابا قال فيه بأن الهنادكة والمسلمين أمتان مختلفتان وأن المسلمين أما مهم ثلاث طرق إما أن ينتحروا انتحارا الديانة الهندوكية أويطالبوا بنصيبهم فى حكم الهند (٢)

إنه (السيد (شريف الدين بير زاده)يتعبر هذه الشخصيات جميعها من الذين ساعدوا فى إنشاء دولة إسلامية . أئ باكستان . فأنهم جميعهم فى رأيه "مؤسسوا باكستان" أ, بناتها (٤)! الدراسة لكتابة توضح لنا أو تعطى فكرة بأن ما اقترحه إقبال من إنشاء دولة إسلامية مستقلة أو تقسيم الهند إلىمسلمة وهندوكية لم يكن اقتراحه هذا إلا كما اقترحه هؤلاء الكبار من الشخصيات * ولكن يجب قبل كل شئ فى هذه المرحلةأن نعرف بأن إقبالا كان قد قدم أساسا نظريا وفكريا للدولة الإسلامية المستقلة قبل أن يقترح إنشاء هذهالدولة الإسلامية المستقلة كما أنه لم يزل يشارك فى الكفاح , العملى لإنشاء هذه الدولة وتحقيق الحلم الذى رآه مادام

حيا أما الأشخاص الأخرون غيره من أ مثال:(جون برائت) و(ويلفريدبلينت) و(اللورد كرزون) و(لالالاجبات رائى) و(سقالين)و(كيرو) الإنجليزى فما هى الخدمات التى قدموها والتى لايمكن تجاهلها أو الإغماض عنها ؟. والواقع أ، بعضالناس قدتقدموا بحل المشكلة التفرقة الطائفية فاقترحوابتقسيم الهند إلى مسلمة وهندوكية ولكن ليس من الصحيح أنه نعبر هؤلاء الناس جميعا من مؤسسى دولة باكستان وبناتها أو المساعدين فى إنشائها.

وق ألف الدكتور(اشتياق حسين قريشى) كتابا بالانجليزيةسماه"الكفاح من أجل باكستا"وذكر فيه بعض الرجال الذين سبقوا إقبال فى أعطاءالفكرة عن إنشاء دولة إسلامية فى شبه القارة منهم السيد (اليد جمال الدين الأفغانى)و(الشوذرى أحمد على) والدكتور (عبدالجبار الخيرى) والأستاذ(عبد الستار الخيرى) و(محمد عبد القادر بلجرامى) و(لغوت فريزر) و(ساواركار) الهندوكى و(لالالاجبات رائى) الهندوكى و(السردار جل محمد خان) والشيخ (محمدعلى جوهر) و(السيد آغا خان) ولكن الدكتور يفرق بين هؤلاء وبين إقبال فيقول بأن إقبال أول زعيم شعبى كبير أعطى الفكرة عن إنشاء دولة إسلامية متحدثا بالنيابة عن الرابطة الإسلامية الهندية(٥) فكأنه هوالآخر يهمل ما قدمه إقبال من أساس فكرى وما فهو من طريق لإنشاء الدولة الإسلامية قبل اعطاء الفكرة عنها بالإضافة إلى ما أنفقة من حياته وهو يكانح يناضل من أجل إنشاء دولة مستقلة للمسلمين ولعل هذه الجوانب الهامة من حياة إقبال لم تكن تستحق الاهتمام أوالبحث والتحقيق عنده.

إنه المؤلفين كلهيما . أى (شريف الدين بيرزاده)والدكتور(اشتياق حسين قريشى)يصرحان فىكتابهيما بأن السيد (جمال الدين الأفغانى)كان قد أعطى إنشاء جمهورية إسلامية تضم المناطق الأغلبية الإسلامية فى الشمال الغربىمن الهند وأفغانستان بالإضافة إلى بلاد آسيا الوسطى من المناطق المحتلة الروسية والجدير بالذكر أن (شريف الدين بير زاده) يعول على ماقاله (اشتياق حسين قريشى) فى هذا الباب كما أن(اشتياق حسين قريشى) يعول علىكتاب بالانجليزية وهو المجلد الأول من"تاريخ حركة الاستقلال") (من ٤٨- ٤٩) أما مؤلف "تاريخ حركة الاستقلال" لم تكن أبدا وذلك لأن النقاد كانو قد قرروا بأن هذه السلسلة من الكتب لا تقوم على مبادئ سليمة من البحث والتحقيق ومن ثم لايجوز الثقة بها .ولا شك أن السيد(جمال الدين الأفغانى)كان يدعوا إلى اتحاد الدول الإسلامية تحت دستور اتحادى وعلى أسسس ديموقراطية وتحت رياسة السلطان الخليفة العثمانى كما أن إقبالايعترف بخدماته التى قام بها من أجل الأمة الاسلامية

ويعتبره مجددا للعصر الإسلامى الحاضر(٦) أما رأيه فى مسلمى الهند فهو نفس الرأى الذى كان يراه الشيخ (شبلنعمانى) أى يجب على المسلمين أن يتعاونوا مع الهنادكة من أجل أهداف مشتركة بالإضافة إلى المشاركة بكل نشاط فى حركة مؤيدة للخلافة التركية وأن السيد(جمال الدين أفغانى) خلال إقامته بالهند لم يكن أية صلة مع (السر سيد أحمد خان(أو من حذا حذوا من الزعماء السملمين وإنما كمان قد ألف "رسالة فى رد الدهريين "نقد فيها أفكار(سرسيد) كما أنه نشر المقالات ضده فى جريدته" العروة الوثقى" وفى بعض مقالاته ف هذه الجريدة قال السيد (جمال الدين الأفغانى)بأن (السرسيد) وأتباع قد خلعوا ملابس الدين وأخذوا ينشرون الكفر والإلحا بين المسلمين وأنهم ماديون ولكنهم أذل وأوهن من الماديين الأوروبيين وذلك لأن من يترك دينه فى الدول الغربية يبقى وطنيا قوميا ويكون على استعداد أنه يحارب المعتدين على بلاده فيضحى بنفسه فى سبيل الوطن , وأما هؤلاء فقد باعوا حتى هذه العاطفة الوطنية أيضا(٧) وعليه فإنه هذا المؤلف يرى بأن فكرة إنشاء الجمهورية الاسلامية التى تنسب للسيد (جمال الدين الأفغانى) إنما هذا المؤلف يرى بأن فكرة إنشاء الجمهورية اللاسلامية التى تنسب للسيد (جمال الدين الأفغانى) إنما هى فكرة لم تؤيدهما شواهد أووثائق تاريخية حى اليوم على كل حال فإن (شريف الدين بير زاده) و(اشتياق حسين قريشى) أو مؤلف كتاب"تاريخ حركة الاستقلال"قد ذكروا أشيا مشكوكا فيها وقد تناولها غيرهم من الؤلفين فى كتبهم فرووهاعلى ألسنتهم.

وهناك كتاب آخربالانجليزية يجدر بهذه المناسبة وهوكتاب "الطريق إلى باكستان" (للشوذرى خليق الزمان) وهذا الكتاب يضيق اسم (السر ثيودورماريسون)وغيره غلى من أعطى فكرةالدولة الإسلامية فى شبه القارةإلا أن هذا الكتاب يذكر إقبالا فى موذح فيخطئ فى التصريح عنه فيقول مؤلف هذا الكتاب بأن(الشوذربرحمت على كان قد التقى بالعددمن الزعماء والقادةالمسلمين خلال المؤتمر الأول للمائدة المستدبرة فى عام ١٩٢٠م فأبلغهم مشروعية عن تقسيم الهند والذى كان قد سمى مشروعه هذا والأول مرة بمشروع "باكستان" وأخيرا اقترح إقبال هذا المشروع رسميا كرئيس لاجتماع الربطة الإسلامى الهنديةوالذى عقد بمدينة (إله آباد) فى١٩٢٠م إن (الشوذرى خليق الزمان) هذا يعطى انطباعا بأن إقبالا كان قد كان قدتأثر بمشروع (الشوذرى رحمت على)فتقدم بفكرة إنشاء دولة إسلامية فى اجتماع الرابطة الإسلامية بمدينة (إله

آباد).(٨) إن (الشوذرى خليق الزمان لم يشارك فى المؤتمر الأول للمائدة المستديرة ولم يكن موجدا فى لند بتلك الماسبةفهو ليس شاهدين على ذلك ولكن قد يكون من الممكن أن الخطأ يرجع إلى ظنه وقياسه وأن ظنه هو الذى خدعة فى ذلك.

والواقع أنه لم يؤلف كتاب موثوق به من وجهة النظر الإسلامية عن إنشاء دولة إسلامية فى شبه القارة أو حركة " باكستان" وأن المسلمين وغير المسلمين من المؤلفين الذين ألفوا باللغة الانجليزية أو الأردوية عن الموضوع قد أبرزوا جانبا واجد من حركة "باكستان" وهو الجانب الوطنى أو القومى أى أنهم يعترفون بالإسلام كعنصر ساهم فى تكوين الأمة لا غير إن الدراسة لهذه الكتب كلها تعطى انطباعا بأن فكرة الشعبين أو نظرية الأمتين . الحقيقة التى اعترف بها البعض من الهنادكة والانجليز أيضا . كانت أداة قوية فى أيدى المسلمين فى الحرب السياسية بينهم وبين الهنادكة والانجليز وأن المسلمين قد استخدموا هذه الأداة القوية بكل شدةلكأن قادة الحركة كانوا يستخدمون هذه الأداة القوية مرة بعد مرة ليوضحوا بأن المسلمين أمة مستقلة وليس بامكانهم أن يعيشوا مع الهنادكة فى الهند وبعبارةأخرى أن حركة إنشاء دولة إسلامية كان لها هدف وحيد وهو إنشاء وطنى شعبى مستقل انه بمجرد إنشاء هذا الوطن الشعبى المستقل قد انتهت نظريةالأمتين كما انتهى هدف الحركة , فلو نظرنا من وجهة النظر هذه لكان الممكن حينئذ أن نعتبرجالا من أمثال(جون برائت)و(بلينت),(اللوردكرزون) و(تيودور ماديون) و(لفوت فريزر) و(ساواركار) و(لالا لاجبات رئى) و(سقالين) و(كيرو)الانجليزى من بين مؤسسى فكرة الدولة الإسلامية وبنا تها وأما مشكلة إقبال فإن الطريق السهل الذى يقود إلى حل المشكلة فهو أن نعلف "صورة إقبال" بين "صور غيره "من الرجال فى "المتحف الفنى" والجدير بالذكر أن البعض من زعماء حركة "باكستان" كانوا يريدون أن يبقى إقبال بمعزل عن فكرة إنشاء دولةإسلامية وأنه لايرجع الفضل إليه فى ذالك ويمكن لنا نجد مثالا عن ذلكيدل على نسيان الجدميل وهو ماجاء فى كتاب الأحد زعماء حركة "باكستان" الكبار واليد اليمنى للقائد الأعظم محمد علىجناح وهو (السييد . الف . ح أفغانى) ويبدو أنه قد تأثر بما جاء فى مؤلفات (شريف الدين بيرزاده) و(اشتياق حسين قريشى) و(الشوذرى خليق الزمان) فهو يذكر فى كتاب الذين أعطو فكرة إنشاء دولة إسلامية مثل (جمال الدين الإفغانى) ولأخوين (الخيريين) و محمد عبد القادر بلجرامى(و السردار جل خان)و(الشوذرى رحمت على), ثم يقول(٩)

إنه لا مجال للشك ولإفكار أن فكر إقبال وشعره ومحاضراته كانت تشير إلى هذا الهدف . أى الحاجة بإنشاء دولة إسلامية . ولكن إذا قلنا بأنه هو الذى قدابتكر فكرة إنشاء دولة إسلامية فإن ذلك سيكون مسخا للتاريخ وتشويها للحقائق.

وشئ آخر يجدد بالذكر بهذه المناسبة وهو أن الزعماء الهنادكة من أمثال(البانديت جواهر لال نهرو) والدكتور(راجيندرا برشاد) والدكتور (ايمبيدكار) كانوا يرون هذا الرأى فى موقف إقبال ومكانته كما سيتضح فيما بعد فإنهم جميعهم يقولون فى مؤلفاتهم عن إقبال بأنه لم يكن له آية صلةبحركة إنشاء باكستان ,فالسوال الأن ماالذى جعلهم يرون هذا الرأى فىإقبال؟ والجواب أن الزعماء الهنادكة كانوا يخشون أن صلة إقبال بحركة إذا تحققت فإنه هذه الحركة ستكب لها أساسا فكريا جامعا وهدفا واضحا ,أما

تتمة من الباب السابع عشر

"فكرة إنشاء دولة إسلامية"

أما إذا لم تتحقق صلة غقبال بهذه الحركة فإنها سوف تفقد أساسا فكريا قويا أو هدفا واضحا ,فإذا كان كذلك فإه قد يكون سببا يأتى على هذه الحركة ويقضى عليها بالموت على كل حال فإنه باكستانقد قامت كدولة وطنية إسلامية إلا أنها لم تستطيع أن تصبح دولة إسلامية فى أصح معانى الكلمة وأدقها فقد تغلب التعصب المحلى على العصبية الاسلامية وأن فكر إقبال السامى . قد أتى عليه هذا التعصب المحلى أوالإقليمى , ولعل إقبالا كان قد عبر عن ذلك حين قال:

كلا توكهونت ديا اهل مدرسه نى تيرا كهان سى آئى صدا لا إله الا الله

ومعناه: انه التربية المعاصره قد أزهقت نفسك وأخنقت حلقومك فمن أين يرتفع الصوت القائل بكلمة" لاإله إلا الله"

ويتحدث (محمد أحمد خان) عن فكرة باكستان فيقول (١٠)

"إنه فكرة إنشاء باكستان تنسب إلى العديد من الشخصيات البارزة وليس من الصواب أن نجعل أى واحد منهم مؤسس فكرة باكستان الأول ,فإن البعض منهم مثل :(لسر سيد , ويتودور ماريسون) قد أبديا عن رأيهما فى "فكرة الشعبين" أو "نظرية الأمتين" كما أن البعض منهم مثل (بلينت, وشرر, وبمبون ,ولأخوين الخيريين, و(السردار كل محمد خان) والشيخ (حسرت موهانى) و(لا جبات رائى) و(مرتضى أحمد خان) كانوا يرون ضرورة إنشاء الأقاليم الإسلامية أوالمحافظات الإسلامية ,وكذلك فإن البعض منهم مثل (عبد القادر بلجرامى ,نادر على)قد اقترحوا اقترحا إجماليا تقسيم الهند. والواقع أن هذه الاقتراحات كلها كانت قد قدمت قبل عام ١٩٢٠م . أى قبل أن يقدم العلامه إقبال فكرة إنشاء باكستان . ولكن لم يكن أحد من بين هؤلاء من ذكر أو اقترح اقتراحا واضحا باتحاد مستقبل للأقاليم الإسلامية أودولة إسلامية مستقلة ذات سيادة وسلطة وأن الذى نستطيع أن نفهم من هذه الاقتراحات نستفيد منها فهو أننا نجد فى أخيلتنا أو أذهاننا صورة غامضة لباكستان أو لمحة عابرة ضئيلة عنها وليس أكثر من ذلك أما إذا درسنا خطبة (إقبال) كرئيس الرابطة الإسلامية ورسالتيه التين بعث بهما إلى القائد الأعظم إحاهما فى ٢٨مايو سنة ١٩٢٧م والثانية فى ٢١يوليو سنة ١٩٢٧م مع خليفة واضحة فى

ذهننا عن فكر إقبال السياسى وجهوده التى بذلها فى مجال السياسية العملية فإنه صورة باكستان تظهر أمامنا واضحة جلية كاملة جامعة للغاية, والحقيقة أن تلك الاقتراحات كلها تجمع بينها قاسم مشترك وحيد .وهذا القاسم المشترك هوالتأثر أو الإحساس أو الشعور الذى كان يجده المسلمون تجاه أنفسهم وهو أنهم كانوا يشعرون بأنهم شعب مستقل عن الهنادكة وأنه لا يجتمع جامع بين الأمتين , أما فكرة باكستان فهى ليست إحساسا غامضا أوتأثؤ عابرا .إن ما حققه إقبال من العمل المجيد هوكان يغنى بأناشيد الاسلامية القومية التى جلعت المسلمين فى شبه القارة يشعرون فى قرارة شعورهم بالحاجة إلى دول إسلامية ثم أبرزهذا الشعور ثم دعمه بأنا شيده السرمدية ثم قدم خطة عن تكوين هذا الشعور العملى وإبرازه من مجرد الفكر إلى حقيقة مسلموسة وبذل حاز إقبال قصب السبق فة تقديم فكرة إنشاء باكستان.

وصل إقبال إلى مدينة (إله آباد)فى صباح ١٩دسمبر١٩٢٠م حيث استقبله المصنيفون من قادة الرابطة الإسلامية وعلى رأسهم الامير (السرمحمد يوسف) بالإضافة إلى جمع كبير من الناس الذين كانوا قد اجتمعوا هناك لزيارة إقبال واستقباله فرحبوا به ترحيبا حارا للغاية ويصرح (السيد شمس الحسن) بأن السسبب الحقيقى لإستقبال (إقبال) والترحيب الحاوية كان يرجع إلى شخصيته البارزة الممتازة ولم يكنيرجع ذلك إطلاقا إلى اجتماع الرابطة فخرج إقبال من محطة القطار فى موكب شعبى حتى وصل إلى منزل الأمير (السيد محمد يوسف)(١١)

وقد عقد اجتماع الرابطة فىمكان يعرف "بدوازده منزل "او منزل ذو اتنى عشربابا وهو يقع فى حارة المسلمين التى كانت تسمى "ياقوت كنج"(أئ مخزن الياقوت) والتى كانت تقع أمام مستشفى "كاليفان" (ويسمى الآن مستشفى موتى لانهرو .) وكان هذا المبنى خلال الفترة هذه ملكا التاجر مسلم وكان اسمه (شيخ رحيم بخش) وكان يشتغل فى تجارة التبغ على نطاق واسع وكانت أسرة (شيخ رحيم بخش) تسمى أسرة "أصحاب التبغ "وكان للمبنى صحن أوقاعة ذات اثنى عشربابا وكانت كلها تفتح على أطرافها الأربعة فى الردهات ومن ثم يسمى "دوازده منزل" أومنزل ذواثنى عشر بابا (١٢) وقد اشترك فى اجتماع الرابطة هذا بضعة رجال من أعضائها وممثليها حتى أن العدد المطلوب لعقد الاجتماع رسميا قد اكتمل بصعوبة بالغة جدا وكان بين منحضر فى الاجتما (السيد حسين إمام) والشيخ عبد القادر قصورى)و(الامير السرمحمد يعقوب و(الشيخ عبد الحامد بديوانى (والسرحبيب)و(السيد ذاكر على) (١٢) وحسب تصريح المفتى فخر

الإسلام المحامى) الذىحضر فى الاجتماع بلغ عدد المشاركين فيه أربعمائة أو حمسمائة شخص وقد يكون العدد أقل من ذلك أيضا فقد كان بين حضر فى الاجتماع طلاب المدارس من الاطفال الذين اشتركوا فى الاجتماع متفرجين ,وقد وصل إقبال إلى ؟؟؟ الاجتماع مع (الاميرالسر محمد يوسف) فى سيارته الخصوصية(١٤).

"وقد بدأت اجراءت الاجتماع بكل صمت وهدوء وبعد تلاوة الآيات من القرآن الكريم أخذو إقبال يقرأخطبة التى قد أعدها با الانجليزية وأغلب الظن أن الخطبة لم يفهما إلا القليلون من الناس ولم يفهمها الكثيرون منهم ,ويقول الفيلسوف الفرنسى (ايلبرت كيمون)"

إنه الأفكار السامية العظيمة تظهر فى الدنيا كالطيور البرئة بكل صمت وهدوء ولكننا لو حاولنا الاستماع إليهابكل ماتملكه من الاهتمام لسمعنا ؟؟؟ أجنحتها الحقيقة بين الضجيج والعجيج من الدول والشعوب ولعلمنا كأن رسالة صامتة من العمل تصل إلينا بين نشاط عادى من الحياة" وأنه الأمور التى ذكها إقبال خطبته هذه لم يهتم بها الناس كثيرا كما انه لم يهتم بهذا باتخاذ قرار يؤيد الاقتراح المقدم منه وأن الجرائد المحلية أيضا سوف تضحى ألاف مؤلفة من الناس بنفوسهم ونفائسهم من أجلها وأن مئات الألوف من الناس سيتأترون بها فى حياتهم وأن دولة جديدة تضم الملايين من السكان ستظهر بسببها يوما على خريطة العالم.

وقد أ نفق أقبال يومين بمدينة (إله أباد) حيث تجول خلالهما ماشيا فى الأسواق وكان يرافقه (ظهور أحمد المحامى) فى جولته هذا كان الناس بما فيهم التجار وعامة الشعب يتابقون إلى إقبال ليصافحوه ,وكان (المفتى فخر الإسلام) قد ذهب به إلى مقبرة (كالا داندا)القديمة حيث قرأ الفاتحة على قبر الشاعر (اكبر إله آبادى) وكانت العودة إلى لاهور ٢١دسمبر سنة ١٩٢٠م فوصل إلى المحطة إلا أن قطار ببجاب السريع كان متأخرا فى ذلك اليوم ويصرح(رياض إله آبادى) بأنه وجد أربعة أوخمسة أشخاص على الرصيف معه فتقدمم (رياض إله آبادى) نحو فسلم عليه فقال معرفا بنفسه : سيد أنا طالب عادى ومدرس فى مدرسه أدرس الأطفال وأننى لم أفهم بينت من شعرك فأرجوك أن توضح معنى البيت " فأمسكه إقبال بيده بكل شفقة وحنان فذهب به إلى غرفة الانتظار من الدرجة الأولى فى المحطة فأجلسة ثم سأله قائلا "ما هوالبيت الذى لم تفهمه يا بنى!"فأنشد له (رياض إله آبادى)بيت شعر وهو:

"أجل هى لاكهون ستارون كى ولادن مهر فناكى نيندهى مئ زندكى هستى هى"

معناه إنه مولد شمس واحدة إعلان بموت الملايينمن النجوم وان نوم الفناء هو وجود ضمرة الحياة.

فقال إقبال وهو يشرح البيت" إننى أردت أنه أقول فى هذا البيت بان الشعوب ولامم لا تقضى وإنما تنتج من يخلفها من الأجيال المقبلة التى تكون حالهم أحس من حال الماضيين كما أن النجوم لا تفنى وإنما تنتج من يقوم مقامها وهى الشمس المشرقة التى تكون أكثر بكثيرمن النجوم فى الإضاءة والإشراق " وفى أثناء ذلك جاء قطار بنجاب السريع فذهب فيه (١٥)

إنه خطبة(إله آباد) كانت تتضمن فكرة إنشاء دولة إسلامية فى الشمال الغربى من الهند ولكنها لم تكن تتضمن شيئا عن اقليم الأغلبية الإسلامية الأخر وهو اقليم بنغال والسبب فى ذلك أن فكرة الدولة الإسلامية المقترحة كانت فكرة تعبر عن هدف إسلامى حتى أن الكلمات التى استعملها إقبال عن انشاء دولة إسلامية فى الشمال الغربى من الهند كانت تعبر عن أقل الحاجة من حاجات الأغلبية الاسلامية ,وهذا يدل على أن بنغال لم يغبعن بال إقبال إلا انه لم يذكره بوضوح وصراحة لأن فبداء فكرة إنشاء الدولة إسلامية فى الشمال الغربى من الهند على أساس الأغلبية الإسلامية وإذا تم الاعتراف به فكان لا بد من تطبيق المبدأ نفسه على الهند الشر قية أيضا زأما الأقاليم الى كان المسلمون فيها أقلية فلم يذكر ها إقبال فى خطبته لأن الهنادكة كانوا قد اعترفوا بإعطاء الأهمية أو القوة للمسلين فى تلك الأقاليم وأن إنشاء دولة إسلامية فى الشمال فى الغربى كان سببا لدعم الأقليات المسلمة وتوازن القوة لهم فى المجال العملى.

ولم يتم اتخاذ قرار يؤيد ما اقترحة إقبال فى الخطبة الأسباب ومنها :أن كبار زعماء الرابطة الإسلامية بما فيهم (محمد على جناح) كانوا قد سافروا إلى لندن ليشاركوا فى مؤتمر المائدة المستديرة بالإضافة إلى أسباب هامة أخرى فكان (محمد على جناح) قد قدم أربع عشرة نقطة كأساس للتفاهم بين الهنادكة والمسلمين فى تلك المرحلة كما أنها كانت تمثل ماقدمه المسلمون من مطالبهم أمام ممثلى الحكومةالبريطانية فى مؤتمر المائدة الستديرة فكان أربع عشرة نقطة لم تزل رهنا للنقاش وانالموافقة عليها اورفضها رفضا كاملا كان فى انتظار القرار الحاسم النهائى,ففى مثل هذه الطروف لم يكن المناسب أوكان من السابعة لأوان اتخاذ

القرار تأييدا لما أقترحه إقبال فى خطبته وبالإضافة إلى ذلك فرغم أنه إقبالا كان على صلة بالرابطة الإسلامية منذ كما أنه كان سكرتيرا سايقا لفرح بنجاب الاقليمى من الرابطة الإسلامية وكان يترأس الاجتماع السنوى بصفة رئيسا منتخبا للمرابطة الإسلامية كما أنه كان قد وضح فى القسم الابتدائى من الخطبة بأنه لايقترح بإنشاء دولة إسلامية بصفته قائدا لحزب سياسى أو تابعا من أتباع من أتباع زعيم سياسى وإنما يقدم هذا الاقتراح بصفته الشخصية الخاصة بعبارة أخرى كان اقتراح إقبال اقتراحا بديلا أى إذا رفضت أربع عشرة نقطة فلا بد من اتخاذ هذا الموقف السياسى وقد أشار إقبال إلى ذلك فى القسم الأخير من خطبته فقال :(١٦):

"إننى لست منشائما أو يائسامن إمكان اتفاقية طائفية ولكننى فى الوقت نفسه لا أريد أن أخفى عنكم ما أشعره أو أحسن به فى قرارة نفسى وهو أنه لا بد للأمة الإسلامية من اتخاذ موقف حر أو طريق عملى بناء لى المستقبل وذلك إذا أردنا أن ننقذ أنفسنا من الأزمة السياسية الحاضرة وأن اتخاذ الموقت السياسى الحر أو الطريق العملى الجاد فى مثل هذه اللحظات الحاسمة الدقيقة لا يمكن إلا الشعب يملك عزيمة سانية وإرادة قوية يركز جهوده على هدف ميعن"

وعليه فإن خطبةإقبال هذه تقدم للمسلمين ؟؟؟؟بديلا بديلا

لم يكن فى حاجةإلى قرار فورى يؤيده وذلك ؟؟ الظروف لم تكن تسمح بذلك على كل حال فإن الزعماء البارزين للحكومةالبريطانية الذين كانوا قد كثفوا جهودهم لحل مشكلة ؟؟؟؟؟؟؟

عند إقبال البالغ واحتياطه الكامل لم تعجبهم خطبته .فلتبت جريدة "انديان ديلى قبل الانجليزية الصادرة من (بومباى)على أساس التقرير الذى بعثه مراسلهامن(لندن) بأنه خطبة إقبال هذه قد أغذبت (ريمزى ميكدونالد) رئيس وزراء بريطانية , وكتبت جريدة "ليدر"الانجليزية الصادرة من مدينة (اله آباد) على أساس مابعث إليه مراسلها من تقرير من لندن فقال بأن الهجوم الذى شنه إقبال على أفكار الزعماء الهنود الذين يؤيدون فكرة الحكومة الفيدر الية للهند قد كان سسببا لرد فعل شديد فى الأوساط الهندية والبريطانية فى لندن وأن هذه الأوسد السياسية قد أبدت غيظها على أشدما يكون كما أن جريدتين هند يين انجليزين وهما "بيونير" و"تائمز آف انديا" قد علقتا على اقتراح إقبال قفالتا بأنه اقتراح رجعى مرفوض لا يستحق عملا ولا اهتماما(١٧)

وأما الصحف الهندوكية فإنها علقت على الخطبة وكشفت عن قناعها

بالسب والشتم والاتهام فقالت جريدة " تريبون " الاهورية بأن إقبالا لم يتلو دعوة للمشاركة فى مؤتمر المائدة المستديرة ولذلك ثار تأثره وفار فائره ويريد الانتقام فقد بعث برقية إلى (آغاخان) أولا احتج فيها على موافقته على لانتخاب المختلط ثم جاء بخطبة (إله آباد فقضى بها على الإمكانات كلها للتفاهم بين الهنادكة والمسلمين ونشرت جريدة "برتاب " الاهورية مقالة كان عنوانها: "آراء حول مااقترحه من الجسارة وسوء الآدب الدكتور إقبال المسلم الإرها بى من شمال الهند" فاتهم فيها إقبالا بأنه مجنون مفسد وأحمق وهائل مخيف ومسموم وضيق الأفق ولى الفكر ومتعصب وبغيض وليتم و غير ذلك من الشتائم والألقاب (١٨) ومع ذلك فعلى حد قول (عبد السلام خورشيد(كان بين الهنادكة رجل على الأقل علق على الخطبة بأسلوب إيجابى ولم يصرح باسمه وإنما استعارله اسما وهو " هندوكى متنور الفكر والخيال" فكتب بهذا الاسم فى "تائمز آف انديا" قائلا بأن الإمارات المحلية إذا انضمت إلى الهيكل الفيدر الى فإن الهنادكة سوف يكونون أقويا اكثر بكثير بالنسبة للمسلمين فإذا أنشئت دولة إسلامية فى الشمال الغربى والتى تضم (بنجاب) و(بلوجستان)و (سرحد)و (سندھ) على مااقترحه اقبال فأنه الإقلية الهندوكية فيها سوف تكون قوية جدا فإذاانضم إليهم (الشيخ) فإنهم يصبحون قوة عظمية هائلة وعليه فإن الهنادكة ليسوا فى حاجةإلى اضطراب أو قلق بسبب هذا الاقتراح(١٩)

أما الصحف الإسلامية فوافقت إقبالا وأيدته ومنها "مسلم آوت لك" وسياست" و"همدم" الصادرة من لكهنؤوكلهاكانت قدرحبت باقتراح إقبال وأما جريد ة"انقلاب" اللاهورية فقد كانت على رأس الجرائد التى أيدت إقبال (٢٠) فنشرت جريدة "انقلاب" الترجمة الأردية لخطبة (إله آباد" فى الحقتين التتاليين ولعل الذى ترجمها كان (غلام رسول مهر)(٢١) وبالإضافة إلى ذلك فإن"إنقلاب" نشرت اثنى عشر تعليقا أيدت فيها الخطبة خلال شهر يناير ١٩٢١م فقالت فى إحدى تعلقتها بأن الاقتراح بتقسيم الهند إنما هو اقتراح قد تم تقديمة منقبل الهنادكة أنفسهم وذلك حين قال (لالاجبات رائى)بأن المسلمين يجب أن يجعلوا وطنا قوميا لهم من شمال الهند وأن الهنادكة يجب أن يهاجروا من هذه المناطق ويتحولوا إلى الهند الجنوبية أو الوسيطة ,ثم جاء (بهائىبرمانند)الزعيم الهندوكى الآخر فأبدى الرأى نفسه ثم جاء الأستاذ (ج . ر . ابهيانكر) الهندوكى فاقترح التقسيم الهند إلى ثلاثة أقسام أى "الهندالإمارات المحلية المستقلة" والهند الإسلامية" و"الهند

الهندوكية" وذلك قبل بصفة أيام من خطبة (إله آباد) إذن فما دام الهنادكة يستطيعون أن يروا رأيهم فى تقسيم الهند فلماذا لا يستحق إقبال أن يقترح نفس الاقتراح(٢٢) إن فكرة تقسيم الهند التى قدمها (لالالاجبات رأى)قد ذكرها إقبال فى بعض رسائله إلى (سيدنا نذير نيازى) فى يناير سنة ١٩٢١م حيث قال وهو يوضح مااقتراح (٢٣):

"إن الدولة الإسلامية المقترحة إنما هو هدفنا ولا داعى إلى نقل السكان من مكانه الآخر فإنه فكرة نقل السكان هذه قد تقدك بها (لالالاجبات رأى) منذ أمد بيعد ففى هذه الدولة الإسلامية المتعددة التى ستظهر فى الشمال الغربين تحت هذا المشروح فإنها ستحافظ على حقوق الأقلية الهندوكية حق المحافظة"

وقد قالت جريدة "انقلاب" فى بعض تعليقاتها بأن الهنادكة إذا استطاعوا أن يهملوا المسلمين ويكافحوا الحكم القوى على اساس أغلبيتهم وحدها فإن من حق المسلمين أيضا أن يجعلوا من إنشاء دولة إسلامية فمناطق الأغلبية الإسلامية هدفا لهم , إن المناطق التى فيهاثمانون فالمائة من الأغلبية المسلمة فإن جمعية الامم أيضا اعطى لهم الحق بإنشاء دولة إسلامية لهم وذلك لأن جمعية الأمم هذه تؤمن بمبدأ تقريرالمصير للشعوب وقالت الجريدة فى تعليق آخر لها بأن إذا تم الاعتراف بحق التحرر والا ستقلال المناطق الأغلبية الإسلامية فى الشمال الغربى للهند كما اقترح إقبال فإن ذلك سيجلب حيرا وهدوءاوأمنا لشبه القارة كلها أما إذا لم يتم الإعتراف ؟؟؟؟ فإن ذلكسوف يجر الهنادكة والمسلمين إلى حرب أهلية لن تنتهى أبدا (٢٤)

وكتبت جريدة" انقلاب" فى نهاية تعليق طويل لها فاستحسنت م اقترحه إقبال وأشارت به قائله(٢٥)

مد الله فى بقاء هذه الشخصية المباركة ذلك الرجل الذى زور الأمة التى ضلت طريقها والتى سحرتها الوعود والدعاوى البراقة الخادعة من الوطنية والديموقراطية بضوء حقيقى يضئ لها الطريق وذلك الأول مرة فى مدينة "براج" وهو اسم هندوكى قديم لمدينة إله آباد . وإذا أراد الله فإنه هذا الضوء الحقيقى سوف يضئ الطريق المسلمى الهند ليصلوا إلى هدف صحيح من الحياة"

وأيدت جريدة"همقدم" اى رفيق . الصادرة من (لكهنو) ما اقترحه إقبال فقالت إن إقبالا على حق فيما يطالب به من إناحة فرصة للمسلمين أن يشؤا الهند الإسلامية لهم داخل بلاد الهند وأن أحسن ما يمكن به تحقيق هذا الهدف هوتوحيد أقاليم بنجاب و(سرح) و(السند) و(بلوجستا(وتكوين دولة موحدة

منها , والحقيقة إن هذا الاقتراح هو خير الحلول وأحسنها للخلافات والنزعات القائمة بين الهنادكة والمسلمين وهو اقتراح يستحق اهتمام جميع المسلمين فى الهند فيجب أن يوحدوا بين صفوفهم ويركزوا جهودهم على تحقيقه وأن يبذلوا كل ما يملكونه من قوة وعمل حتى ينتصروا فى تحقيق ما يريدونه-

وكذلك فإن الصحف الإسلامية قامت بالرد على ما أثارته الصحف الهندوكيةمن ضجة وفتنة ضد إقبال ردا شافيا مقنعا مسكتا وقد ظهرت ردود فعل الخطبة (إله آباد) فى لندن بعد بضعته أيام من إلقائها والإعلان بها فى الصحف الوطنية فأخذت الصحف البرطانية تهتم با لخطبة وتنشر الأجزاء المختارة منها وقد مر بناما ذكر عن غضب رئيس وزراءبرطانية السيد (ريمزى ميكدونالد) وكذلك فإن الدكتور (مونجى) ممثل الأقليات كان قد أبدى تبرمه وكراهته لخطبة (إله آباد) فى كلمة ألقاها فى لجنة الأقليات لمؤتمر المائدة المستديرة الأول ومما قال الدكتور (مونجى) بهذه المناسبة ما نصه (٢٧)

"ولست أرف أأذكر مانشر من التقارير الصحيفة عن كلمة السر محمد إقبال فى الصحف البريطانية بالأمس أم يجب الإغماص عنها فى هذه المرحلة فهو اليوم رئيس الرابطة الإسلامية فى الهند وأنا أشعر بالكره والتبرم منه وأنا أشير إلى ماقاله ولكن مادامت المطالبات يتم تقديمها على نفس المنوال فلا بد لى من الرجوع إليها والاهتمام بها بكل ألم وتأسف للغاية إننى أنا شد أصدقائى المسلمين ألا يجرهم سيل العواطف فإننا جميعنا سكان الهند موطنون فإنه لا فرق بين دمائنا وعظامنا فإننا أبناء أمة واحد وإننا على أتم استعداد أن نضمن الإحتفاظ بدينكم وكمدنيتكم وتقدم أحيالكم الناشئة ,إننى أرجوكم جميعا أن تتقدموا بخطوات جريئة مشجعة فى كل ماتطلبونه وأن نتضموا إلى القومية الهندية الموحدة وتتلا شوافيها وإننى على ثقة بأنكم لو جربتم هذه القومية الموحدة لعشرسنوات مقبلة فلن يبقى عندكم من عذر أو حيلة من الشكاوى"

وقد رد عليه (السر محمد شفيع) فى كلمة ألقاها فى اجتماع اللجنة الذى عقد فى أول يناير سنة ١٩٢١م فقال فيها (٢٨)

"إنه الدكتور (مونجى) قد ذكر على وجه أخص الكلمة التى ألقاها السر محمد إقبال وهو يترأس الإجتماع السنوى للرابطة الإسلامية بمدينة إله آباد) قبل عدة أيام وياليت الدكتور (مونجى) لم يشر إلى الكلمة ولم يكر هنى أن انطق بكلمات عن مشكلة كهذه فإننى لم أكن أريد إطلاقا أن أناقش الكلمة وإننى أوكد الأعضاء اللجنة بأننى لم أكن أنفرى هذا حين وصلت هنا صباح الأمس

فقبل كل شئ إننى الأن لا أجد نصا كاملا للكلمة ومن ثم لا أستطيع أن أرى فى ذلك رأيا حاسما وإذا كان السر محمد إقبال قد قال بأن الهند كلها سوف يسيطر عليهاحكم هندوكى وذلك سبب الأغلبية الهندوكية والدائمة الساحقة غير المتغيرة فى الحكومة المركزية للهند أو أنه قال بأن هذه الأغلبية الدائمة غير المتغيرة إذا سيطرت على سستة من بين ثمانية أقاليم فبذلك سوف تستحيل هذه الأقاليم إلى ست دول هندوكية فلماذا لا تجوز أن يسيطر المسلمون على الأقاليم الأربعة التى فيها أغلبيتهم ؟ ولماذا لا نسمع لهم أن ينشئوا فيها أربع دول إسلامية ؟ فإننى لست أرى عيبا أو قبحا فى هذا الاقتراح وإننى على أتم استعداد أن أعيد وأكرر هذا الاقتراح أمام اللجنة بصفتى الشخصية فيجب أن تصبح كل وحدة أقلمية دولة مستقلة وإذا كان إقبال قد قال بذلك فليس بأس ولا حاجة بنا إل الاعتراص عليه , أما إذا كان إقبال قد اقترح إنشاء دولة إسلامية مستقلة خارج السومه المشتركة البريطانية حسب المصطلح السائد المتداول فإننى سوف أرفضى اقتراحا كهذا بالنيابة عن الوفد الإسلامى كله يا سيادة رئيس الوزارة ! إننى أستطيع أن أتصور كيف ينقد صبر المسلم و ينتهى حين يرى الرجال من أمثال ألدكتور (مونجى) يتجولون فى أنحاء الهند المختلفة ولا يزالون يعلنون الاقتراحات المختلفة المتناقضة من هذا النوع بدون أى تفكير أو تدبير"

على كل حال فإن الزعماء السياسيين غيره لم ينطق أحد منهم بكلمة ضدر خطبة (إله آباد) وإنما ظلوا صامتين ساكتين, وهنا الصمت والسكوت يرجع إلى سبب وهو أن المؤتمر الأول للمائدة المستديرة فى لند كان قد انتهى بدون جدوى بينما تم إعلان عن عقد المؤتمر الثانى للمائدة المستديرة وعليه فإن القادة المسلمين السياسيين كانوا ينتظرون التفاهم بين الهنادكة والمسلمين على أساس أربع عشرة نقطة أوكانوا ينتظرون مصيرها وأما سلسلة مؤتمرات المائدة المستديرة فقد استمرت إلى سنة ١٩٢٢م واشترك فيها إقبال أيضا ومن ثم كان لا بد من انتظار النتائج المحتومة لها,فى ١٩ ابريل سنة ١٩٢١ م فأخبره فيها بأن اجتماع المؤتمر الإسلامى للهند العليا فى عام ١٩٣٢م أيضاحتى أنه نصح (السيد نذير نيازى) بانتظار الموعد وقال له بأنه سيعرف عما قريب ما يريد إقبال أن يقول وعلى حد قول (السيد نذيرنيازى) كان إقبال يعد خطبة لاجتماع المؤتمر الإسلامهذا وقد ألقيت هذهالخطبة أخيرا فى اجتماع المؤتمر الأحزاب الاسلامية كلها الذى عقد فى ٢١ مارس عام ١٩٣٢م بلاهور . إلا أن اجتماع المؤتمر الإسلامى للهند لم يعقد ,وعن ذلك يحدثنا (سيد نذير نيازى)(٢٩)

أما لماذ لم يعقد اجتماع هذا المؤتمر فإن أهم أسباب هو عقد مؤتمرات المائدة المستديرة والتى قد شارك فيها العلامة إقبال أيضا ولن يكون من الصواب إذا قلنا بأن هذا المؤتمر قد فشل لأن بعض الأيدى الخفية قد ساهمت فى مسئلة ,وذلكالأن حضرة العلامة لم ينخدع بفرد من الأفراد أو حزب من الأحزاب أبدا مهما كانت أهداف ذلك الفرد أوذلك الحزب وكان لا بد على كل حال من انتظار النتائج لماجرى فى مؤتمرات المائدة المستديرة ,وفى سنة ١٩٢٢م حين عاد إقبال من مؤتمرات المائدة المستديرة رأى من المناسب أن يوجل ماكان يريده لبضعة أيام وذلك ليخف تعب السفر بعض الشئ أو نظرا إلى ظروف راهنة خاصة إلى حد ما فإن حضرة العلامة كان قد مرض فى بداية عام١٩٣٤م وهكذا لم يكن من الممكنعقد ذلك المؤتمر.

والحقيقة أن فكرة عقد المؤتمر الإسلامى للهند العليا عاشت فى ذهن إقبال حتى النهاية وقد ورد ذكر هذا المؤتمر فى رسالة إقبال التى بعث بهاإلى (محمد على جناح) فى ٢١ يونيو سنة ١٩٢٧م ثم كتب إليه رسالة أخرى فى١١ أغسطس ١٩٢٧ م وأشار عليه أن يجعل مسلمى الشمال الغربى للهند محورا لنشاط الرابطةالإسلامية (٢٠) فإن معظم قادة المسلمين السيا سيين كانوا قد سكتوا عن التعليق على خطبة (إله آباد) إلا أن الزعيم المعروف المسلمى (السند) وهو (الحاج السيت عبد الله هارون)كان قد تعاون مع إقبال وأيده ولم يزل يراسل إقبالا عن عقدالمؤتمر الإسلامى للهند العليا فى ضوء الخطبة كما أن البعض من الطلاب والمسلمين المتقنين قداهتموا با لخطبة بعض الإهتمام (٢١) وكانت مجلة "صوفى"الصادرةمن (من بهاؤ الدين) قد ألحت على (سيدنذير نيازى) فترجم الخطبةإلى الأردوية وذلك لأن الفكرة الجديدة حول إنشاء دولة إسلامية قدأثار الحماس والنشاط بين المسلمين فى المناطق البعيدة من بنجاب و(سرحد) و(سند)وغيرها وقد نشرت الترجمة الأردوية فى "مجلة صوفى" ووزعت الالاف المولفة من نسخها مجانا (٣٢) كما أن البعض من الشباب المسلمين نشرو المقالات الصحيفة أيدوا فيهاالخطبة ويصرح (عبد السلام خورشيد) بأن (عبد الرب) أحم المحامين فى إله آباد) و(خان مصطفى خان تائب) من لاهور كانا قد كتبا مقالات صحيفة أيدا فيها الخطبة وأدلى ثلاثة طلاب من مدينة (كلكته) بتصريح مشترك أيدوا فيها الخطبة وأسماء الطلاب الثلاثة (راغب احسن) و(فضل رسول خان فريد) و(س . م . سليم) كما أنهم اقترحوا فى تصريحهم المشترك فتح صندومه

الهدف الإسلامى ليتمكنوا من نشر الكتب عن الجانب المدنى من حركة إنشاء دولة إسلامية فى الهند (٣٣) وأما الزعما المسلمون الذين كانوا يتحزبون إلى الكونجرس ويميلون إليه فإنهم كانوا قد سخروا من الخطبة وسموها : قصيدة غزلية سياسية" فيقول (سيد نذير نيازى) عن ذلك (٢٤):

"ولعل ذلك كان فى بداية سنة ١٩٢١م حين اجتمع بعض أصدقاء الشيخ (محمد على جوهر) فى منزلة بمنطقة (كرول باغ بمدينة دهلى) ولعل ذلك عقب وفاته فورا وكان من بين هؤلاء المجتمعين الأصدقاء الذين اشتركوا فى حركة الخلافة وحركة ترك الموالاة وكانوا لايزالون على موقفهم رغم تغبر الظروف والأحوال كما أن البعض منهم كانوايميلون أو يؤيدون الرابطة الإسلامية فقال أحدهم خلال الحديث وهو يسال أصابه "هل قرأ أحدكم خطبة إقبال الرئيسة والله قد أبدع من الشعر فهو ليس إلا شاعرا على كال حال ما أحسن القصيدة الغزلية التى ابتكرها "فاندفع جميعهم فى ضحك عال قوى"

وقد مربنا فيما ذكر أن رجال الدين والمشائخ الذين كانوا يميلون إلى الكونجرس كانوا قد اتهموا إقبال شتى وشنوا عليه هجوما لتشويه سيرةه الشخصية خلال حركة الخلافة وحركة ترك الموالاة ثم أخذ يلتحق بهم كال من كان يعادى إقبال الأسباب مختلفة متنوعة وأن الذى نافس إقبلا فى انتخاب مجلس بنجاب التشريعى فى عام ١٩٢٦م كان قد أعاد نفس التهم وحاول أن يعيب إقبالا ويشوه شخصيته ونظرا إلى هذه الحلفية فإن عدد المعاندين والحساد والمعادين السياسيين له كان قد ازداد بطبيعة الحال بعد خطبة (إله آباد) ففتحوا جبهة جديدة وجمعوا ركاما من التهم المزورة وقد شارك فى ذلك الصحف الهندوكية والمتعصبة والتقدميون من الشيوعيين والاشتراكيين والمسلمون الذين كانوا يميلون الكونجرس وكل من كان يعادى إقبال ويحسده وكان من بين التهم التى وجهت إلى إقبال أنه عميل الانجليز وعدو الوطنية ومن أنصار الرأسماليين وعدو الفقراء والمساكين والمتعصب لفرقته الدينية والرجعى والمحروم عن العمل والانسان اليأس وقد أعد (محمد أحمد خان) كشفا طويلا عن هذه التهم فى كتابه المشهور مجدإقبال السياسى تحت ثلاثة عناوين كبيرة , والحق أن هذا المؤلف قد بحث عن الحق والصدق على أسس عادلة ودافع عنإقبال دفاعا ناجحا للغاية وأنصف إقبالا من هؤلاء الحاسدين (٣٥) حتى أن مؤلف هذا الكتاب يرى نفسه عاجزا عن القيام بهذا العمل العادل الذى قام به الأستاذ (محمد أحمد خان) وعليه فإنه سيحاول أن يرد على هذه التهم فى ضوء ماأقامة الأستاذ (محمد أحمد خان) من الدلائل والبراهين على ذلك.

أماصداقة إقبال وولاؤه للانجليز فإن أعداءإقبال يستدلون بما يلى من الشواهد والبراهين:

(١) إن إقبالا قد نظم القصائد فى مدح الحكام الانجليز أو أمر منهم.
(٢) إنه لم يشارك فى "حركة الخلافة " وترك الموالاة"
(٣) إنه رضى بلقب " السر"
(٤) إنه تعاون مع نظام الحكمالانجليزى بصفته عضوا فى مجلس بنجاب التشريعى
(٥) إن حاول أن يدعم الإستعمار البريطانى داخل المجلس التشريعى وذلك حين أبدى عن إرادته أورغبية فى الإضافة إلى عدد الموظفين الانجليزى فى الإقليم.
(٦) إنه قد تعاون مع لجنة (سايئمان).
(٧) إنه قد ايد المتملقين من حاشية الحكام الانجليز من أمثال (السر محمد شفيع)
(٨) إنه قد قدم فكرة إنشاء دولة إسلامية فى خطبة (اله آباد) إشارة من الانجليز.
(٩) إن الحكومة الانجليزيه قد رشحته مندوبا للمشاركة فى المؤتمرالثانى والثالث للمادرة المستديرة
(١٠) إنه أفسد محاولات التفاهم بين الهنادكة والمسلمين بإشارة من الانجليز.

وقد مر الحواب على معظم التهم هذه حين درسنا وقائع حياة إقبال فى الصحفات الماضية من هذا الجزاء أوفى الجزء الثانى من هذا الكتاب أما نظمه للقصائد فى مدح الحكام الانجليز أو امر منهم فإن إقبالا بدون شك كان قد نظم العديد من المنظومات الشعرية بالمناسبات الخاصة وذلك بحكم صيولة الطبيعية أو الاسباب اجتماعية أو المصلحة من المصالح الأخرى إلا أنه لم ير من المناسب أن يضمها إلى شعره المطبوع وقد مربنا بأنه إقبالا كان يميل إلى الاحتجاج أو المظاهرات الاحتجاجية كانت تعارض صيولة الطبيعية ونظرا إلى الحكم الاستعمارى الانجليزى وموقف الأغلبية الهندوكية الساحقة والظروف الحطيرة التى يمربها المسلمون فإن إقبال كان يريد من المسلمين أن يجتنبوا السياسة الاحتجاجية والمظاهرات التائرة .إن دراسة التاريخ المعاصر المسلمى الهند توضح لنا جليا بأن المسلمين كلما اتخذوا موقفا من الاستقبال المفتوح والحرب السافرة ضد الحكم الانجليزى فإن ذلك لم يضر الأغلبية الهندوكية وإنما حسر بها الأقلية المسلمة دائما ولذلك فإن إقبالا لم ير من المصلحة أن يدخل المسلمون قد رثى الملكة (فكتورية) وهو يعلق على هذا الرثاء (٣٦)

"إن معظم هذه القصيدة قد نظمها إقبال ارتجالا أما موضوع القصيدة فلسنا فى حاجة إلى أن نقول فيه شيئا إلا أن اسلوب الأفكار السياسية ولونها كان سائدا فى البلاد فى سنة ١٩٠١م فإننا لوأردنا أن نقيسه بمقياس معاصر أو مقياس

جديد بأنى بعد عشرة أعوام أو أكثر ذلك لن يكون من الجائز أبدا أننا إذا أخرجنا آطوار الطفولة والصغير من حياة الحكماء و الفلاسفة من أمثال أفلاطون وابن سينا فإن ذلك أيضا لن يكون علمن الجائز فإن الاسلوب الفكرى للشعوب والأحزاب فى البلاد خلال تلك الفترة لم يكن على ماصار إليه فيما بعد يجب أن يكون أمامنا ايضا رثاء (لشيخ خواجا حالى) والذى رثى به الملكة(فكتورية(عند وفاتها والذى نشر ف مجلة"معارف " الصادرة من (بانى بت) فر شهر يناير ١٩٠١م"

ولإقبال منظومة أخرى من هذا السطور نفسه وكان قد أنشدها فى الاجتماع السنوى لجمعية حماية الاسلام فى سنة ١٩٠٣م ترحيبا بحاكم بنجاب الانجليزى (السر ميكورث يو) ومدير التربية والتعليم لإقليم بنجاب السيد (و.بولل) وذلك لأن حضور الشخصيات من أمثالهما فى اجتماعات جمعية الاسلام كان يعتبر من المفيد النافع فى ذلك الوقت كما أن من أمثالهما فى اجتماعات جمعية الاسلام كان يعتبر من المفيد النافع فى ذلك الوقت كما أنه كا يعتبرمن الوقائع الهامة عند الجمعية (٣٧) وفي سنة ١٩١١م نظم إقبال أبياتا شعرية تخليد الذكر البلاط الملكـ أى بمناسبة تتويج الملك (جورج الخامس . بمدينة (دلهى)وقد نشرت فى مجلة "زمانه: الصادرة من (كانبور) وفى عددها الخاص عن البلاط الملكى فى شهر دسمبر سنة ١٩١١م (٣٨) وفى سنة ١٩١٤م اندلعت الحرب العالمية الأولى ف أوربا فأعلنت تركيا العثمانية التى كانت مركز الخلافة الإسلامية عن حلفها ودعها وتضامنها (ألمانيا) ضد (بريطانيا) وأن إغضاب الحكومة البريطانية فى مثل هذه الظروف الرهيبة الحرجة كان يعنى مخاطرة كبيرة ومعاداة سافرة للحاكم اطستعمر كما أنه لم يكن ينفع أحد البريطانى على الهند كان قد أعلن عقد مؤتمر حرب فى نهاية الحرب العالمية الأولى . أى فى سنة ١٩١٨م فأبلغ إقبال بتلك المناسبة عن طريق الأمير (السرذوالفقار على خان) أ، ينظم قصيدة خاصة بهذه المناسبة ولم يكن سيل الخلاص من هذا الطلب مما أكره إقبال على نظم العقيدة وكان عنوانها " رد بنجاب" وذهب إقبال إلى (دلهى) بأنشد ها فى المهرجان الشعرى هناك (٣٩) وبعد بضعة أشهر من ذلك عقد اجتماع فى قاعة (بريدلا) بلاهور فى ١٥ دسمبر سنة ١٩١٨ م باسم مهرجان الانتصار فى الحرب"

وكان حاكم بنجاب الانجليزى (مائيكل ايدوائرى) قد أس الاجتماع فاشترك فيه إقبال مع صديقة الامير (السر ذوالفقار على خان) فأنشد بضعة ابيات شعرية بالأردوية والفارسية بهذه المناسبة على طلب من الحاكم الانجليز أما الأبيات

الأردوية فلم تكن لها أية صة بمهرجان الأ نتصار وقد نشرت فى ديوانه "صوت الجرس" وعنوانها " أشعة الشمس " (٤٠) مفهذا هوكل الشعرالذى نظمه أوأنشده إقبال تحت عاطفة الصداقة للانجليز وحسب الموقف السياسى الذى اختاره إقبال فى ذلك الوقت وكان برى فيه المصلحة للامة تالاسلامية فى الهند

تتمة من الباب السابع عشر

"فكرةإنشاء دولة إسلامية"

ولم يشارك إقبال فر حركةالخلافةوترك المولاة على أساس المبادى التى كان يعتقدها وذلك لأنه لم يكن يريد أن ينضم المسلمون إلى الهنادكة ويشاركوهم فى حركة عدم التعاون أو ترك الموالاة كما أن لم يكن يريد أن يتورط المسلمون فى سياسة الاحتجاجو التظاهر أو الاضطرابات والقلا قل بالاضافة إلى ذلك فإن إقبالا

يان

كان يشك فى سلوك زعماء هذه الحركات وموافتتهم ونواياهم قفد كانوا مسلمين كما هو الظاهر ولكنهم فى الواقع كانو من دعاة القومية الهندية الموحدة ووردها ولم يكونوا يهتمون بالقومية الإسلامية كوحدة منفردة مستقلة وقد كان العديد من الشخيات البارزة المسلمة الهندية التى لم تشارك أيضا فى هذه الحركات ولم تؤيدها بل عارضتها معارضة مفتوحة فقد كان (محمد على جناح) يعارض هذه الحركات وكان قد استقبال من عضوية الكونجرس الهندى لأنه دخل فى هذه الحركات وكان الزعيم الهندوكى (الباندیت موهين مالوية) هوالآخر من عارض هذه الحركات ولم يسمح لها أن تؤثرن "الجامعة الهندوكية " بمدينة بنارس تأثيرا ضارا

أما لقب السر فقد كان اعترافا بخدمات إقبال التى بذلها فى مجال العلم والأدب ويصرح السر (مانيتجو بتلار) بأنه كن قد بعث بالتوصيات إلى حكومة الهند البريطانية أن تمنح إقبالا لقبا من الألقاب وذلك نظرا إلى ابتكاراته الشعرية نم المثنويات الفارسية وخاصة الترجمة الانجليزية "لديوان الأسرار" وكان السر (مانيتجو بتلار)قد أقترح تجديد لقب من الالقابات الفارسية أو الايرانية القديمة ولكن حكومة الهند البريطانية كانت تخشى ان يصبح ذلك نظيرا لتجديد الألقاب القديمة الأخرى ومنحها للشخصيات المعاصرة ومنثم قررت الحكومة أن تمنحه لقبا انجليزيا وهو لقب السر(٤١)

أما إقبال فقد كان يرى بأن هذه الألقاب أو التكريمات الدنيوية لا قيمة لها إطلاقا إنه لم يكن يتمنى هذا اللقب كما أنه لم يساوم مع الحكومة الانجليزية فى ذلك فإننا نرى فيما كتبه إقبال بعد الحصول على اللقب أن حرية التعبير عنده لم يصبها الضعف وإنما ازدادت قوة وشدة ولم تستطع قوة أن تقف دون إقبال فى

قول الحق والتعبير عن إرادته الحرة.

وأما عضوية المجلس فقد نالها إقبال بالمنافسة المفتوحة المباشرة فى المعركة الانتخابية وكان بإمكان أن يحصل على أعلى المنازل وذلك بارتباطه المباشر المستقل مع السر (فضل حين) أو الحزب الاتحادى له على أساس هذه العضوية ولكنه المستقل داخل المجلي التشريعى . و إذا كان الحصول على عضوية المجلس يعنى التعاون مع النظام الحكومى الانجليزى فقد دخل الانتخاب الكثيرون من أنصار حركة عدم التعاون وحركة العصيان المدنى المكافحون من أجل الحكم الوطنى وحصلوا على عضوية المجلس التشريعية وأن حزب الكونجرس الهندى لم يدخل انتخابات سنة ١٩٢٦م فحسب إنما اشترك فيما بعد فى تكوين المجالس الوزارية تحت النظام الحكومى الانجليزى.

أما ما اتهموا إقبالا من الدعوة إلى الإضافة فى عدد الحكام الانجليز لإقليم بنجاب فهو يرجع إلى كلمة إقبال ألقاها فى المجلس فى ١٩يوليو ١٩٢٧م وذلك حين عارض مشروع القانون الذى قدمه (السردار أوجال سنغ) من اشغال الوظائف الحكومية بامتحان المنافسة المفتوحة وقد عارض إقبال هذا المشروع لأنه كان يهدف إلى حرمان المسلمين المتخلفين ثقافيا وتعليميا من الوظائف الحكومية وذلك فى زى القومية الموحدة أما إقبال فكان يريد نظاما يسمه فى الوقت نفسه بامتحان المنافسة المفتوحة وأيضا يسمع بترشيح الطبقات المتخلفة للوظائف الحكومية لكى لا تحرم من نصيبها فى الإدارة الحكومية وعليه فإن الذى قابله إقبال من أنه يجب الإضافة إلى عدد الموظفين الانجليز مكان اشغال المناصب الحكومية بامتحان المنافسة المفتوحة إنما كان طنزا وسخرية أى إذا كان اغرض من هذا المشروع هو حرمان المسلمينن المتخلفين من الوظائف الإدارية فيجب الإضافة إلى عدد الموظفين الهنادكةن , وإذاكان هدف إقبال هو المطالبة بزيادة عدد الموظفين الكبار الانجليز لكى يدعم الحكم البريطانى المستعمر بذلك فلماذا اقترح إقبال إذن لتخفيض فى أجور الموظفين الانجليز الكبار لأنهم كانوا يتقاضون الرواتب الكبيرة الباهظة من الخزانة الإقليمية.

وأماتعاونه مع لجنة "سائيمان" فالسبب الحقيقى فى ذلك هو الاحتفاظ بمصالح المسلمين والدفاع عنها فإن الهنادكة لم يكونوا على استعداد أن يوافقوا على ما كان يطالب به المسلمون من الحقوق ومن ثملم يكن من الممكن للمسلمين فى جو سوء الظن وعدم الثقة فى النفوس والتفرقة الطائفية إلا ان يتعاونوا مع اللجنة

ويعرضوا عليها ما يخشونه أو يأ ملون فيه من الأهداف إنه الشيخ (حسرت موهانى) الذى كان على رأس من ضحى بنفوسهم ونفاسهم فى سبيل الحرية والاستقلال كان هو الأخر قد ايد فكرة التعاون مع اللجنة.

ويعتبر (السر محمد شفيع) من حاشية الحكم البريطانى المستعمر إلا أن الخدمات التى قام بها هو بثباته على مبدأ الانتخاب المنفصل المستقل للمسلمين وذلك مما لا يزال في حاجة إلى تقدير صحيح وتقويم عادل وبدارسته شاملة وعليه فإن القضاء الحاسم فى سياسته التى كانت تهدف إلى مصالح الانجليز أو مصالح المسلمين هو يرجع إلى مؤرخ المستقبل,أما إقبال فلم يؤيد سياسته إلا بالمقدار الذى كان يقتضيه مصالح المسلمين.تشاجر اقبال مع(السير محمد شفيع)لأنه المذكرة التى رفعت إلى لجنة(سائيمان) لم تذكر الاستقلال الداخلى الذاتى للاقاليم كما أنه استقبال كأمين عام من رابطة(الشفيع)الاسلامية مما أكره(السير محمد شفيع)أنه يضيف مطالبة الاستقلال المحلى للاقاليم في المذكرة إن إقبال كان على استعدا دائما أن يتشاجر مع أى واحد من أجل الاحتفاظ بحقوق المسلمين ومصالحهم سواء كان ذلك هو(السير محمد شفيع)أو غيره من الكونجرس الهندى أو الشيخ(محمد على جوهر)أو السيد(محمد على جناح).

وكذلك فإن إقبال إذا كان قد تقدم بفكرة إنشاء دولة إسلامية في خطبة (اله آباد)على إشارة من الا نجليز فما الذى أغضب(ريمزى ميكدانلد) بسبب تلك الخطبة ولما ذا أدانت الصحف الهندية المتملقة المؤيدة للاستعمار البريطاني في الهند خطبة إقبال هذه؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟ذلك كله فإنه إقبالا غذا كان عميلا للانجليز فلما ذا لم يرشحوه للمشاركة في المؤقر الأول للمائدة المستدبرة؟أما الموقف من خطبة (إله آباد) والذى اتخذته الصحف الهندوكية فيرجع إلى ماقالته هذه الصحف بأن الحكومة الانجليزية قد أهملت إقبالا فلم ترشحة المؤتمر المائدة المستديرة مما جعله ينتقم من الانجليز فكأن فكرة إنشاء دولة إسلامية فى خطبة (إله آباد) يرجع إلى الرغبة فى الانتقام من الانجليز على ماصرحت به الصحف الهندوكية هذه فإذا كانت هذه الفكرة تهدف إلى الإنتقام من الانجليز فأنى لها أن تكون قد قدمت أيضا على إشارة منهم أنفسهم؟

والوقع أن الحكومة الانجليزية الهندية هى التى كانت ترشح كل ممثل للمشاركة فى مؤتمر المائدة المستديرة فقد شارك فى هذه المؤتمرات بالترشيح من قبل الحكومة الانجليزية الهندية كل من الشيخ (محمد على جوهر) و(مهاتما غاندى) و(محمد على جناح) وكذالك فإن هذه الحكومة نفسها هى التى كانت قدر شحت إقبالا

للمؤتمرين الثانى والثالث للمائدة المستديرة , ولكن ماهو الموقف الذى اتخذه إقبال فى هذين المؤتمرين ؟ يصرح (عظيم حسين) (٤٢) أن إقبال قد شاجر مع السير أكبر حيدرى)) خلال المؤتمر الثانى للمائدة المستديرة على أنه . أى السير أكبر حيدرى . لم يكن يوافق على المطالبة بالمنزلة المستقلة أو الحكم المحلى الستقل الإمارة (حيدرآباد الدكن) كما أنه نقد سياسة الحكومة البريطانية نحو مكانة (حيدرآباد الدكن) فى اجتماع مفتوح للمؤتمر نقدا عنيفا وكانت النتيجة أن الحكومة الانجليزية ووزيرها للهند خاصة كان قلقا على موقف إقبال وترشيحه كمندوب. وأما ترشيحه للمؤتمر الثالث فقد تم ذلك والحكومة الإنجليزية كارهة له وكان المؤتمر الثالث مستمراحين استقبال إقبال من المؤتمر سبب الخلافات التى كانت توجد بين موقفه وبين الانجليز فعاد إلى الهند, وحين وصل إليها نقد موقف الحكومة البريطانية نقدا عنيفا.

والحقيقة أن إقبال لم يتأكد يوما بأنه سيتم التفاهم بين الهنادكة والمسلمين ذلك التفاهم الذى سوف يرذى الجانبين ولكنه رغم ذلك أيد كل محاولة للمحادثات والتفاهم بين الهنادكة والمسلمين إلا أنه لم يتنازل يوما عن حقوق المسلمين ومصالحهم كما أنه لم يتنازل عن بدأ الإنتخاب الستقل للمسلمين وكان الزعما الهنادكة قدوافقوا على اقتراحات (دلهى) التى قدمها (محمد على جناح) ولكنهم لم يرضوا بانضمامها إلى تقرير (نهرو) لأن هذا التقرير كان قد رفض اقتراحات (محمد على جناح) ولهذا السبب كان مصير اقتراحات مؤتمر الأحزاب الإسلامية النقاط الأربع عشرة هو المصير نفسه وبعد التقرير الطائفى لسنة ١٩٣٢م قام الشيخ (شوكت على) وغيره من الزعماء المسلمين بجهود ولكنها لم تنفع ولم تجد بشئ وذلك لأن الزعما الهنادكة لم تكونوا على استعداد أن يوافقوا على ما طالبهم المسلمون به , فهل إقبال هو الذى تدخل على إشارة من الانجليز فى فشل هذه المحاولات للتفاهم بينما لم يكن إقبال قد حضر فيمن اشترك فى هذه المفاوضات والمحاثات ؟ إن إقبالا لم يعارض فكرة التفاهم أبدا ولكن كان يعترض على طرق التفاهم وذلك نظرا إلى مصالح المسلمين فهذا هو الدكتور (راجيندرا باراشاد) يوضح فى كتابه با لانجليزة "مستقبل الهند " قائلا (٤٢)

وفى ٧ أكتوبر ١٩٣٢م نشر إعلان من قبل رئيس . وكان إقبال رئيسا فى تلك الفترة . لمؤتمر الأحزاب الإسلامية بأن هذه ليست المناسبة الإثارة مشكلة الانتخاب المستقل أو المنتلط لأن المسلمين ليسوا على استعداد أن يتناولوا عن

هذه الحقوق إذا هو والوسيلة والوحيدة التى تضمن لهم الحقوق ولكنهم على أتم استعداد ان ينافشوا جميع المشاكل والاقتراحات الهامة إذا اقترحت بذلك فرقة الأغلبية الساحقة فى البلاد"

فلو كان إقبال من أصدقاء الانجليز لا ستطاع أن يجوز المناصب الهامة العليا ولعاش حياة ناجحة غنية هادئة إلا أن الدراسة العابرة الحياته توضح لنا جليا بأن لم فى يوم ما على استعداد أن يرضى بمنصب حكومى تحت ظل الانجليز فقد عينن استاد اللفلسفة بالكلية الحكومية بلاهور بعد عودته من (انكترا) ولكنه بعد ايام استقال من الوظيفة وقد سأله (الخلفية عبد الحكيم) عن السبب فرد عليه إقبال قائلا :(٤٤)

"قدقضيت أياما كأستاذ فاتضح لى بأنه الأستاذية بالكليات الهندسة لاتهدف إلى جهود علمية وإنما توجد فيها إهانة وتذليل مما يعانى من ه الموظف دائما فمثلا تقاتلت مرة مع عميد الكلية الحكومية حول حضور الطلاب فى الفصولالدراسية فتحدث معى السيد العميد بأسلوب كأنه يتحث إلى كاتب عادى من كتاب مكتبة فمنذ ذلك اليوم قررت فى نفسيى أننى سوف أعرض عنه الوظائف الحكومية إعراضاما أمكن لى ذلك"

ويتحدث (على بخش) عن استقالة إقبال من وظيفة الأستاذية فيقول بأن إقبالا عادمن الكلية بعد أن قدم استقالة فسألته عن السبب فرد على قائلا(٤٥)

"اسمع يا على بخش! إنه الخدمة فى الوظائف الحكومية فى الإنجليزية صعبة جدا فى هذه الأيام وأكبر الصعوبات أننى أشعر فى قرارة ضميرى وأعمامه قلبى بأشياى اريد أنأبلغها إلى الناس لكننى لا أستطيع أن أصر بها وأنا فى خدمة الحكومة الانجليزية فإننى منذ الامن حر طليق استطيع أن أفعل وأقول ما أريد"

من أجل حرية التعبير هذه رفض إقبال منصب الخدمة التعلمية الهندية التى عرضتها عليه الحكومة الانجليزية كما أنه رفض وظيفة الأستاذية للفسفة فى جامعة علىكره الإسلامية واستاذية التاريخ فى الكلية الحكومية بلاهور, وعن ذلك يحدثنا إقبال قائلا:(٤٦)

"إنه حاكم بنجاب كان يريد أنيبعث التوصيات إلى وكيل الإقليم بتعيين أستاذ فى الكلية الحكومة بلاهور وكلننى قررت أنه أتنازل عن الترشيح لهذه الوظيفة لأنه يعارض سجيتى وطبيعتى."

ولعل إقبالا كان قد كتب مرة إلى موظف من موظفين الانجليزالكبارللتوصية من أجل وظيفة وهذه الرسالةكان قدبعث بها إلى السيراج . ب . تهاميس)فى ١٧

اكتوبر ١٩٢٥م وكان إقبال يعرفة جيدا وكان (تهاميس) هذا عضوا فى مجلس ولايات الهندية وبصفته عضوا فى هذا المجلس كان على اتصال مباشر بحكام الإمارات الهندية , إنه سنة١٩٢٥م كانت سنة القلق والاحزاب بالنسبة لإقبال,ففى هذه السنة صدرت الفتوى فى ضولء كفره فيها رجال الدين كما أنه كان هدفا لنقمة (السر شادى لال)وتحتج عليه وكان يرى (السير شادى لال)بأنه إقبالا كغيره من بعض المسلمين وراء هذه المهمة الصحيفة كلها ومن ثم قرر هو وأتباعه أن ينزلوا الضرر بإقبال ,ومعنى ذلك مما جعل إقبالا يتبرم ويتضايق ويقرر فى نفسه أن يغادر لاهور وكان يريد أن يبحث عن وظيفة فى إماراة كشمير ,فهذه الحلفية الذهنية التى جعلت إقبال يكتب رسالى إلى (تها ميس) فيقول له فيها(٤٧)

هذه رسالة أكتبها إليلك عكنضقية تخصنى شخصياء وتحتاج إلى حل فورى والأمل فيك كبير بأنك سوف تساعدنى فى ساعة أنا فى أشد حاجة إلى مساعدتك ولعلك قد سمعت عما قررته الحكومة عن الوظيفة الشاغرة بقضاء لاهور العالى, ومن سوء حظى أ، بعض الناس قد جرونى قهرا إلى ما حديث بدون أى مبرر إنه الاحتجاج أو الإدانة التى قامت وقد تقدم بهاالصحف الإسلامية أخشى انه تضرنى أكثر مما قد ضرنى غيرها وقد اطلعت على ما يعتقده رئيس القضاء العالى . اى السير شادى لال . بأننى كنت بين هؤلاء الناس الذين نظموا هذا الاحتجاج وأيده وأعتقد أنه كان يحب عليه أن يعرف بأننى لست على صلة حتى ولوكانت بعيدة مع من شارك فى هذا النوع من المؤامرة .على كل حال فإن هذه الظروف لا تسمع أنه أشتغل بمهنة المحاماة ههنا, وخاصة بالنظر إلى ماأصابنى من الضرر بأسباب وسائل مختلفة فيما مضى بالإضافة إلى الأسباب التى لا أستطيع أن أذكر ها فى هذه الرسالة. فقد سمعت من هذه البيئة للغاية وأريد أن أغادرها وألجأ إلى مفر وأنا متأكد بأنه كلمة واحدة من قلمك قد تنقدنى من هذه المشاكل كلها , وهو اما يجعلنى أتق بكر مك وتعاطفك وأريد ان تهتم بقضيتى هذه أفليس من الممكن أن تجد لى وظفية فى مجلس إمارة كشمير؟ ولعلك على علم بأن كشمير هى وطن آبائى وأجدادى وأننى أحب تلك المنطقة الأرضية وأنس إليها وقديمكن أن يكون أمير كشمير الجديد (هرى سنغ) يفكر فى القيام ببعض التتغييرات فى إدارته الحكومية , فإذا كان كذلك فأنا متأكد بأن هذه فرصة ذهبية للتحرك نو هذا الهدف فإذا كان بإمكانك أن تساعدنى قليلا فإننى ساعتبر ذلك أكبر نعمة من الناحتين الروحية والمادية معا وسوف أظل شاكرا لك على

كرمك واهتمامك بقضيتى هذه مدى الحياة.

ومن حسن الحظ أن حكومة الهند البريطانية كانت تتبع سياسة محددة فى التوصيات باالوظائف فى الإمارات الهندية فى ذلك الوقت وهى الأ نقوم بتوصية إلا إذا طلب منها خصيصا ومن ثم لم يستطع (تهاميس) أن يساعد إقبال فى شئ فرد على إقبال قائلا بأن حكومة الهند البريطانية إذا طلبت التوصيات منها فإنها سوف نقدم بالتوصيات للوظائف فى الإمارات الهندية وأنه سوف يأخذ فى الإعتبار

****

****

ما طلبه إقبال فلم يبق لإقبال إلا أن يقيم فى لاهور لأن قدرة الله قد قدرت لإقبال أن يدخدل المعركة الانتخابية وينتصرفيها خلال السنة القادمة . أى سنة ١٩٢٦م . وحتى بدوره الهام فى السياسة الإسلامية الهندية ويظهر كشخصية سياسية بارزة على الأفق الوطنى الإسلامى.

إنه مهنة المحاماة لم تك تاتى بدخل كبيرعلى إقبال فكان لا بد له أنه يضع الأسئلة الامتحانية للجامعات ويصبح أوراقها لكى يكتسب مايسد به ويقتضى به حواءجه ثم أخذ يكتسب قليلا م كتبه ودواينه الشعرية إلا أنه هذا الداخخل لم يكن دخلا مستقلا منتظما كما أن لم يكن دخلا معقولا كافيا مما جعل زوجته تشير عليه بين حين وآخر بالتوظيف فى منصب حكومى إلا أنه لم يوافقها على ذلك وكان ما أراد من الدراسات وكان إقبال يعرف بنائت الأفقر" فى الهند لأنه كل من كان يجوز على لقب السير كان يقال له " نائت" فى ذلك الوقت واقترح عليه بعض اصدقائه أن يقيم المأدب تكريما للقضاة والحكام ليشتهر كبير فيقول (الميرزا جلال الدين) (٤٨):

"وكنا قد اقتحنا على حضرة الدكتور أكثر من مرة أن يقيم المآدب أحيانا تكريما للقضاة والحكام فإن أنجح الطرق لا ستمالة الانجليز واستتعطا فهم هى مآدب الأكل والشرب إلا أنه حضرة الدكتور لم يكن يوافق على ما كنا نشير عليه ولم يكن جوابه إلا أنه كان يقول بأنه لا يود أنه يضيع النقود على مثل هذه الحفلات وذلك لأنه استمالة الأنجليز واستعطافهم لم يكن مما يرغب فيه إقبال أويهتم به "

ويقول (عظيم حسين) فى كتابه عن والده السير (فضل حسين) على سبيل الشكوى بأن والله قد حاول أكثر من مرة أن يرفع إقبالا إلى النجاح فى حياته

المادية إلا أن إقبالا لم يستطيع أن يستغل هذه الفرص المتاحة وفيما يلى تفاصيل عن المحاولات التى قام بها والده لتحسين ظروف إقبال المالية (٤٩):

(١) فى سنة ١٩٢٤ م بعث السر (فضل حسين) بتوصياته إلى السير (ميلكام هيلى) حاكم بنجاب بتعين إقبال قاضيا بقضاء لاهور العالى وكانت القضية تحت الدراسة عند الحكومة فإذا بإقبال يشن هجومه النقدى الساطر على الحكومة وبذلك حرم من تعاطف الحلقات الرسمية الحكومية.

(٢) وفى سنة ١٩٢٧م كان من المقرر إرسال وفد إسلامى ليقدم مايطالب به المسلمون من الإصطلاحات الدستورية القادمة لوزير الهند البريطانى فرجا السير (فضل حسين) إقبال أن يترأس الوفد الإسلامى ولكنه رفض ذلك.

(٣) وفى سنة ١٩٣١ م و١٩٣٢م نقد إقبال بعد عودته من مؤتمرات المائدة الستديرة الحكومة البريطانية نقدا عنيفا ومن ثم رفضت حكومة الهند البريطانية رغم محاولات السر (فضل حسين) أن تعين إقبال عضوا فى لجنة الهيئة الفيدر اليه أ و أن ترسله عضوا فى الوفد الهندى عند رابطة الأمم وكذلك فإن نائب الهند البريطانى قدر رض رغم جهود السير (فضل حسين) ومحالاته الجدية أن يعين إقبال عضوا فى لجنة الخدمات العامة.

(٤) وفى سنة ١٩٣٣م اقترح لاسير (فضل حسين) على حكومة الهند البريطانية أن ترسل إقبالا كمثل له فى جنوب أفريقيا إلا إقبالا رفض هذا المنصب لأن زوجته كانت محتجبة ولم يكن بإمكانها أن تشارك فى المجلس المختلطة.(٥٠)

وقد عاش إقبال طول حياته فى العسرة والضيق وفى السنوات الأخيرة ترك مهنة المحاماة بسبب الأمراض ولاسقام وكانت وزجته قد ماتت وكان لا بدله أنه يتحمل نفقات الطفلين الصغيرين مصارف التربية والتعليم لهما بالإضافة إلى نفقات المنزل فكتب السير(فضل حسين) إلى (ميان أمير الدين) "إننى قد سمعت بأن إقبالا مريض ويعانى من المشاكل المالية والعسرة فأرجوك أن تخبرنى عرصحته وعن حالته الاقتصادية وما يكتسبه من مهنة المحاماة " ,فرد عليه (ميان أمير الدين بأنه إقبالا قد ترك المحاماة وأنه صحته وظروفه المالية ليست جيدة وأن صوته قد أخذ ؟؟؟؟؟؟ بسرعة هائلة ,يقول (عظيم حسين)وهو يعلق على حياة إقبال الإقتصادية الفاشلة:(٥١)

"والحقيقة أن الدكتور إقبالا لم رجلا سياسيا وإنما كان فيلسوفا سياسيا أورومانيا و يستطع أن يدرك بأن السياسة هى لعبة من التفاهم والتصالح مع الظروف الراهنة إنه قد فشل فى الحصول على منصب كبير ولم يستطع ان يكون زعيما

سياسيا كبير لأنه لم يكن رجلا ذكيا مدركا للشؤون وإنما كان شاعرا ومفكرا."

على كل حال فهذا ليس إلا رأى (عظيم حسين) عن حياة إقبال الاقتصادية الفاشلة ولكن السؤال الذى أثاره (محمد أحمد خان) لجدير بالدراسة والنقاش بهذه المناسبة فهو يسأل قائلا(٥٢)" أهكذا تكون حياة أصدقاء الانجليز وخدام الحكومة؟ ورغم ذكل فإن النقاد المعتر ضين ظلوا يعيبون إقبالا بأن صديق بريطانيا وخادم الانجليز وعمل الامبر يالية فياله من إقبال بريطانى حكومى امبريالى"!

وكان الكثيرون من الناس يرون هذاالرأى حتى أن عالم الهند الاسلامية البارز الشيخ (حسين أحمد المدنى(لم يزل يعتقد بأن إقبالا طول حياته ظل يعانى من سوء الفهم وكان مسحورا بالسحرة البريطانيين (٥٣) ولكن الشيخ (ابو الأعلى المودودى)كان يرى رأيا يختلف عن ذلك فيقول :(٥٤):

"إن إقبالا كان يبغض السياسة الانجليزية فى فكره وعمله فقد كان ظل بعيدا عن البلاط الحكومى وكان يسئ الظن بالحكومة والمعجبين بها وكان يراهم جميعا عقبة تقف فى سبيل أهدافه السامية وأما فى مجال السياسة فإن هدفه لم يكن استقلالا فحسب وإنما كان هدفه الحقيقى دار الإسلام فى الهند المستقلة وهذا هو السبب الوحيد الذى أكرهه على التعاون فى مجال السياسة العملية مع الذين كانوا يعارضون إقامة الحكم الهندوكى فى الحكومة البريطانية ورغم أن لم يكن على صلة وارتباط مع هذه الطبقة من ناحية الأهداف والأغراض إلا أن مصلحة وحيدة جعلته يرتبط بتلك الطبقة وهى أنه كان يريد أن يثير فى نفوس الشباب المسلمين حبا قويا يهدف إلى إقامة دار الإسلام ويجعل منهم قوة قاصرة من أجل الكفاح والجهاد لتحقيق هذا الهدف العظيم كما أنه كان يريد ان يقف مع الثورة المندفقةالتى قد يمكن أن تغير ممجراها أو تضل طريقها , وعليه فإنه حاول أن يبث فى نفوس الشباب المسلمين من الروح الإسلامية الصادقة بشعرة وذلك مما لا يخفى أحد وفى ناحية أخرى كان قد اتخذ موقفا فى السياسة العملية ولكن هذا الموقف لا يعرف غرضه الحقيقى غير بضعة أشخاس من الخواص حتى أن بعض الجوانب الظاهرة من هذا الموقف قد جعل البعض من أخص أتباعه يعترضون عليه ويطعنون فيه"

وأماالتهمة الأخرى الكبيرة التى اتهم بها إقبال فهى أنه كان طائفيا متعصبا لفرقته وهذه التهمة قد وجهت إلى شعره وسياسته كليهما وكان دليهم على ذلك أن إقبالا خلال إقامته فى أنكلترا كان قد مر بتغيير تورى قلبا فكرا وظهر عنده اتجاه شعرى جديد يميل إلى الإسلام كليا ومن تلك اللحظة نفسها صارإقبال

طائفيا متعصبا فكأن إقبالا عندما حل فى قلبه عصبية الإسلام حل فى قلبه أيضا وفى الوقت نفسه تعصب ضد الهنادكة ولكن التعصب والعصبية وإن كانتا كلمتا ن تتفقان لفظا فإنهما لا يتفقان فى مفهومهماكمصطلحين مستقلين فهذا إقبال نفسه يوضح الفرق بين العصبية والتعصب فى بعض رسائلة قائلا :(٥٥)

"إنه العصبية شئ والتعصب شئ آخر أما العصبية فهى أصل الحياة وأما التعصب فشئ نفسى وقد يعتبر مرضا نفسيا يمكن علاجه بالتعليم الروحى أو عند الأطباء النفسيين . فإن العصبية من خصائص الحياةولا بد من تربيتها وتقدمها , إن الإسلام قد جاء ليعين حدودا للعصبيتين والفردية والاجتماعية فهذه هى الشريعة الإسلامية وأعتقد لا بل يعتقد كل مسلم بأن الحياة والبقاء فى داخل هذه الحدود لم يضمن فلاحنا كما أ، التجاوز عن هذه الحدود يعنى اعتداء وفسادا ودمارا "

ويقول فى موضع من خطبة (إله آباد):(٥٦)

"إنه الطائفية لها أقسام ,فأما الطائفية التى تكن مشاعر الشر وعواطف الضرر ونحو الفرق الأخرى فهى طائفة سافلة مهينة . إننى أحترم تقاليد الفرق الأخرى ومبادبها القانونية ومعادها الدينية والاجتماعية احتراما كبيرا للغاية , وليس هذا وحده وإنما ارى من واجبى أن أدافع عن معابدها إذا كان لا بد من ذلك فبذلك بأمرنى القرآن الكريم ورغم ذلك فإننى أحب طائفة هى ينبوع حياتى وسيرتى الشخصية , تلك الطائفة التى منحتنى دينا وأدبا وفكرا ومدنية وكونت من شخصيتى صورة كما ترونها أنتم فهكذا بنت هذه الطائفة أمجادها الماضية كلها من جديد وغرستها كعنصر فعال حيوى فى شاعرى وأفكارى"

وكان من بين أصدقاء إقبال مسلمون وهنادكة وشيخ فقد كان على صلات عميقة مع الأمير (كيش برشاد) الهندوكى طول حياته حتى أنه كان يستشير إقبالا إذا أرادا أن يزوج بناته ويقول إقبال فى بعض رسائله إلى الأمير (كيش برشاد):(٥٧):

"إننى أحب سيادتك حبا خالصا وليس من الصعب إدراك هذا السر وأن هذا السر يضمره قلب قد جعله الله فى صدرك .إن ملابسك الرسمية الفاخرة التى تلبسها لما يلأ قلبى فرحا وسرورا إلا أننى أنظر إلى ماوراء هذه الملابس الفاخرة فأرى فيك شخصية قد تسترت فيها"

وكذلك فإن إقبالا كان على صلات ودية مع (سوامى رام تيراس) الهندوكى طول حياته وقد نظم إقبال منظومة رائعة عند وفاة صديقة الهندوكى هذا كما أن (البانديت شيفا نارا بين شميم) كان يلجاء إليه ليصلح ماينظمه من الشعر وكان

إقبال من المعجبين بالسير (تيج بهادر سرو) وأما أسرة (نهرو) وخاصة (الباندیت جواهر لال نهرو) كان شابا واسع النظر حر الفكر معتدل الموقف مما جعل إقبالا يعلن عليه أمالا جاما كثيرة ,ومن الممكن أن هذه المحبة والشفقة كانت ترجع إلى سبب آخر وهو أن (الباندیت جواهر لال نهرو) وأسرته تنتمى إلى كشمير كما أن إقبالا وأسرته ينتمون إليها أيضا وأما من بين (الشيخ) فإن إقبالا كان على صلات قريبة بالسير (جوجندر سنغ) و(امراؤ سنغ شير جل) كما أن كان يكرم الانسة (؟؟؟) لأنها كانت حفيدة الامير رانجيت سنغ)وأما فى بيئة منزل الخاصة فإن إقبالا كان قد فوض ابنه المؤلف إلى أستاذ الهندوكى وهو السيد المدرس (تارا تشند) ليشرف على تعلميه الابتدائى وكان إقبال يتق به للغاية كما أن طبيبا هندوكيا واسمه جميت سنغ) كان يقوم بعلاج إقبال خلال السنوات الخمس الأخيرة من حياته وقد ظل هذا الطبيب الهندوكى يعالج أسرة إقبال بعد وفاته بدون تعويض أن أجر مقابل وكان منزله فى شارع " ميكلود" مبنى باليا وكان يدفع له مائة وثلاثين روبية من الأجرة فقيل له " إنك تدفع مبلغا غاليا تستطيع أن تستأجربه (قليلا) نفيسة ", فرد عليه إقبال قائلا :(٥٨)

"هذا صحيح ولكننى لا آريد أن أخرج من هذا المنزل والحقيقة أن هذه الداريملكها يتيمان هندوكى ان فلو غادرتها لضر اليتيمين فقد لا يدفع أحد هذا القدر من الأجر الذى أدرفعه الآن"

لا شك أن إقبالا كان قد أصابه ضرر فى حياته العملية على أيدى الهنادكة المتعصبين من أمثال :القاضى (السير شادى لال) إلا أن هذا النوع من الضرر أو التعذيب الروحى والإزعاج القلبى كان يصيبه بين حين وآخر من قبل رجال الدين وغيرهم من المسلمين الذين كانوا يحسدونه أما إقبال فليس لدينا ما يدل على كان قد ضرأو آذى أحدا من الهنادكة أو (الشيخ) على أساس التعصب الدينى فى الحياة العملي .هذه الأمثلة ترجع إلى الهنادكة والشيخ الذين كان إقبال على علاقة بهم فى حياته ولكن لم يكن يعادى الهنادكة ولا يعاندهم كأمة أو طائفة دينية بل كان يسره دائما عندما كان يسمع عن تقدم الهنادكة ونجاحهم فى مجالات الحياة العملية فقد كتب فى بعض رسائله بعث بها إلى السير (فرنيس) فقال :(٥٩)

"وأرجوك ألا يذهب بك الظن بأننى أعادى الهنادكة أو أعاندهم والواقع إنه الروح المعنوية من التضحية والإيثار والشجاعة التى شاهدتها من قبلهم خلال هذه السنوات الماضية لجديرة با لإعجاب والتقدير فقد ظهر فيهم شخصيات بارزة فى مجال الحياة العملية وأنهم يتقدمون بكل سرعة فى الطرق الاقتصادية

والاجتماعية من الحياة."

وبالإضافة إلى ذلك فإنه إقبالا كا ن يحترم من أعماق قلبه الشخصيا الدينية الهندوكية والسيخية من الزعماء والمصلحين فقد نظم قصيدة مدح بها(رام تشندر) من الزعماء الهنادكة وسماها " إماما " للهندو" مصباحا " للهداية و" ملكا" فى الأخلاق كما أنه سمى (بابا جورونانك) مؤسس الديانة السيخية موحدا ونورا من أنوارإبراهيم عليه السلام وصاحب رسالة التوحيد والحق كما أن يعتبر (البوذا) بمنزلة رسول الله لرسل وأن القصيدة التى مدح بها (رام تشندر) جعلت بعض رجال الدين يكفرون إقبال وكان إقبال أن يترجم (راماين) و(جيتا) ومن كتب الهنادكة والدينية إلى الأردوية شعرا وأن دراسة المقدمة للصعبة الأولى من ديوان " أسرار الذاتية" توضح لنا جليا بأنه لم يكن يعادى الديانة الهندوكية إطلاقا وكان قد درس الآداب وفلسفة ما وراء الطبيعة للهنادكة دراسة عميقة وكان يحترم ويجب الشخصيا الكبيرة الهندوكية من أمثال (ويشوا ناث) و(برترى هرى) و(سرى كير شن) و(راما ناج) إنه الإسلام الذى كان يؤمن به إقبال لم يكن يشوبه تعصب وقد تناول الكاتب الهندوكى (جكن ناث آزاد) العقيدة الإسلاميةعند إقبال بأسلوب علمى قفال (٦٠):

"إن فلسفة الإعراض عن الحياة العملية والتى يسميها إقبال فى أكثر من موضع :" تصوفا غير إسلامى " ليس من اللازم أن يكون (شعرى شنكر أشاريا) هو الذى قد قدمها فإننا نرى إقبالا يعلن بأن مافر محى الدين ابن العربى القرآن الكريم تفسيرا صوفيا هى أفكار غير إسلامية .إن كلمة " الاسلام" قد استعملها إقبال فى معناها الحقيقى ولم يستعمالها فى معناه الذى تمتاز به السياسة المعاصر ,فالإسلام فى شعر إقبال كله إنما يعنى الأمن والسلام والصلح والدعوة إلى السعى والكفاح ومن ثم نرى إقبالا يعتبر أفكار (شعرى شنكر) والشيخ الاكبر والخواجاحاظ الشيرازى أفكار غير إسلامية بينما لا يسمى أفكار (شعرى كرشن) و(راما ناج) أفكار غير إسلامية وإنما يؤيدها ويأمر با لاحتفاظ بها"

وقد قال إقبال نفسه "(٦١) " إن الاسلام والمسلم مصطحات خاصة عندى ولا بد من فهمهما فهما جيدا قبل أن يفهم أحد ماأقوله من الشعرا؟؟؟من الفكر"

أما فكرة الدين عند إقبال فهى ليست فكرة قومية كما يعتقد الهنادكة وقدماء اليونان والمصريون كما أنها ليست فكرة دين الجنس كما يعتقد اليهود

وكذلك فإن دين إقبال ليست قضية فردية أو شخصية خاصة إنه فكرة الإسلام عند إقبال هى فكرة إنسانية شاملة وبعبارة آخرى كا إقبال يعتبر الاسلام مبدا اللهيئة الاجتماعية والبشرية كما أنه كان يعتبر المسلمين جماعة أو فئة تؤمن بهذا المبداء ,وأما أعداء إقبال فقد جاءوا بأشياء بعيدة المعنى متناقضة المفهوم حين أرادوا أن يحققوا بأن إقبال كا ن طائفيا متعصبا .فهذا هو الأستاذ (محمد أحمد خان) يقدم لنا نظيرا عن هذه المحاولات الواهية من قبلهم فيقول (٦٢) بأن الدكتور (ستشداناندا)قد ذكر فى كتابه بالانجليزية " إقبال الشاعر ورسالته" إنه منظومة إقبال التى عنوانها " الهند لنا " تعوزها مشاعرةوطنية وذكل لأن إقبالا قد استخدم فيها كلمات فارسية كما أن حاول أن يطنز أويطعن وف وثنية البراهمة وبذلك عبر عن تعصبه ضد الهنادكة والواقع ان إقبالا لم يكن يرى بأن الفارسية لغة دينية كم أن منظومته " المعبد الهندوكى الجديد" توضح لنا بأن إقبالا كان قد شتم من أصنام البراهمة وإله الواعظ كليهما والواقع أن شخصية إقبال كانت ذات جوانب متعددة ولكنها لم تكن لغزاء من الألغاز إلا أن بعض الناس فى الهند قد جعلوا من إقبال لغزا, فأما الهنادكة نقد ظنوا مسلما طائفيا متعصبا كماأن البعض من المسلمين كانو قد كفروه ولعل هذا هو الإحساس الذى جعل إقبال يعبر عن نفسه قائلا:

"زاهد تنك نظر بى مجھ كافر جانا اور كافريه سمجهتاهـ مسلمان هون مين

والترجمة: إن الزاهد ضيق الأفق والفكر يعبر بى كافرا وأما الكافر فيعتقدبأننى مسلم!

على كل حال فإن إقبالا كانت لديه عصبية إسلامية بدون أى شك كما أن كان يحب جماعته أو فرقته ولكنه لم يكن يبغض غيرها من الفرق وإنما كان يتمنى أن يتقدم كل من الهنادكة والمسلمين وكل فئة تستطيع أن تحتفظ بهويتها القومية وقد كتب رسالة إلى الأمير (كيش برشاد) الهندوكى وهو يوضح وجهة نظرة التى قدمها فى ديوانه " أسرار الذاتية " فقال :(٦٣)

"إننى قد درست التاريخ العقلى للهنادكة والمسلمين والظروف الحالية دراسة عميقة جدا وقد تأكدت بهذه الدراسة بأن أطباء الامتين أوالفئتين لم يستطيعوا أن يدركوا المرض الحقيقى الذى لحق بمريضهم أنا أعتقد أن مرض الفئتين الحقيقى إنما هى فكرة عميقة واهية عند الحياة وأن هذه الفكرة العقيمة و الواهية ترجع إلى نوع خاص من الأداب التى نشأت بين الأمم الاسبوية وذلك من سوء حظها وأن الظروف المعاصرة تقتضى إصلاح وجهة النظر هذه."

إن إقبالا لم يقدم فكرة إنشاء دولة إسلامية فى الهند لأنه كان يبغض الهنادكة أو كان يتعصب ضدهم وإنما كان السبب فى ذلك هو أنه قد استنتج بدراسته للظروف السياسية فى شبه القارة وتجاربه الشخصية بأن لا يمكن أن تتم اتفاقية التفاهم بين الطائفتين الدينتين يمكن العمل بها فى النظام الحكومى .إنه الأخوين الشقيقين إذا لم يتفقا فيما بينهما على شئ فلا بد من تقسيم الميراث بينهما وهذه حصيصة من خصائص حياة الأسرة أو المجتمع الإنسانى فى كل مكان وقبل أن يقدم إقبال فكرة إنشاء دولة إسلامية فى الهند كان الزعماء الهنادكة المتعصبون قد جادلوا إساءة العلاقات بين الهنادكة و المسلمين فأشاعوا عنهم بأن المسلمين إذا استطاعوا من إنشاء كتلة إسلامية مكونة من مناطق الأغلبية الإسلامية فى الشمال الغربى للهند فإن أهلها المسلمين سوف ينضمون إلى الدول الإسلامية فى الشرق الأوسط ليضغطوا على الهند وفد يمكن أن يهاجموها كما فعلوا فيما مضى من التاريخ ولكن إقبالاكان قد أدرك قبل نصف قرن من الزمان بأن الذى يخشاه الزعماء الهنادكة لا أساس له إطلاقا وأن الهند إذا أصبحت يوما هدفا لهجوم فكرى أو عسكرى من الخارج فإن ذلك لن يكون من قبل الدول الإسلامية وإنما سيكون من قبل آسيا الوطى أو الاتحاد والسوفيتى الذى لا يزال يتمنى الوصول إلى المياه الساخنةللبحار الجنوبية من عهد القيامرة الروس ونظرا إلى هذه الفكرة نقد أعلن إقبال وهو يقدم فكرة إنشاء دولة إسلامية بأن هذه الدولة تعنى أمناوسلاما بسبب التوازن الداخلى فى شبه القارة , وأما الدفاع عن الهجوم الأجنبى فمن الممكن تعيين الجيش المشترك للهنادكة والمسلمين برا وجوا وبحرا ليدافع عن شبه القارة فلو كان إقبال طائفيا متعصبا أو كان يعادى الهنادكة لما كان فى أية حاجة إلى ان يقدم فكرة الجيش المشترك للدفاع عن شبه القارة.

وأما التهمة الثالثة القائلة بأنه كان إنسانا يائسا ومحروما من لنشاط العملى فلها جزآن

(١)أنه أقبال مبدئيا كان شاعرا وفيلسوفا ومن ثم كان سياسته سياسة بلا عمل والواقع أن لم يكن رجلا سياسيا أبدا.

(٢)وإن فكرة إنشاء دولة إسلامية كانت نتيجة اليأس والفترو العقلى عند إقبال

فأما الجزء الأول من هذه التهمة فإنه يقوم على فكرة سائدة عن الزعيم السياسى عند أهل الهند عامة إنه هذا الطراز من الزعيم السياسى له صولرتان فى

أذهانه الناس وأفكارهم أحدهما تصوره وهو يلقى كلمات رنانة بليغة فى الاجتماعات الشعبية ويشارك فى المواكب الاحتجاجية والمظاهرات العامة أو يد لى بتصريحات صحيفة أوينقد سياسة حكومة أو يعارضها ويحاول أن يحقق مايريده من الأهدان بحركة عدم التعاون وترك الموالاة والعصيان المدنى والتشدد أوعدمه ويتلقى لطمات أولكمات أو ضربات العصاأو يقبص عليه أو عليه أو يعتقل أو يضرب عن الطعام وهو فى السجن وغيرذلك من الواقف المواقف السياسية عند الاجتماعات ويدلى بتصريحات فى الصحف وينقد الحكومة أحيانا ويستحسنها أحيانا أخرى وينفق أموالا على إنشاء حزب سياسى له وينج فى الانتخابات ويحتل المقاعدفى المجلس حينئذ يتآمر مع حزب سياسى من الزعاية السياسية أو حكومة فيفوز بمنصب هام وأما سياسة إقبال لم تكن تطابق صورته لها تين الصور تين وبالإضافة إلى ذلك فإنه إقبالا بطبيعته كان يميل إلى نعزال , فهذا ماجعل أعداءه يطعنون فيه ويقولون بأن سياسته كانت بلاعمل بل يرون رأيهم فيه فيقولون بأن لم يكن زعيما سياسياأصلا.

أما انعزال إقبال أو انزواؤه فذلك مما لا يمكن إفكاره فإن كلما سئل بأنه يقول شعرا قويا مثيرا ولكن لا يدخل المعركة العلمية بنفسه فقد كان يرد على ذلك قائلا :" إننى عندما أقول الشعر أعيش فى العالم الأعلى ولكننى أكون على صلة باالعالم الأسفل دائما ومنثم لا يمكن أن يكون التطابق بين ما أقول من الشعر أوما أقوم به من العمل "(٦٤) وحين قال له الشيخ (محمد على جوهر) وهو ينظر إليه :" يا حضرة إقبال إننا نقرأ شعرك فيثيرنا ويقودنا إلى السجون أما أنت فعلى حالك مذه جالس فى بيتك تدخن النار رجيلة" فردإقبال عليه قائلا :" إن المنشو يغنى وأما السامع فيجد فى نفسه جدا ونشاطا فيرقص فيسقط مغشيا عليه أما إذا مر المنشد أو المغنى أيضا بهذه المراحل والمنازل والأحوال فأنى له أن ينشد من شعره " (٦٥) إن الخروج من الدار كان عذابا وبلاء بالنسبة إلى إقبال ورغم هذه الأشياء كلها فإنه إقبالا قد دخل مجال السياسة العملية ليدافع عن حقوق المسلمين أويساهم فى دعم النظام السياسى لهم ويعنى ذلك أن الحافز الذى قاد إقبالا إلى المعارك السياسية العملية رغم ميوله الطبيعية إلى الا نعزال والأنزاواء فإن ذلك لم يكن غير حافز الدفاع عن حقوق المسلمين أو دعم النظام السياسى لهم , وقد شارك إقبال فى النضال السياسى الإسلامى لشبه القارة من عام ١٩٢٦م إلى عام ١٩٣٤م ثم عاش وهو يعانى من عوادى الأسقام والامراض فى اخرايات حياته التى استمرت إلى أربع سنوات فتتالية ولم يحفل إقبال بما يطعن الناس فيه من

سياسة بلا عمل وهومستلق على مضجع الموت واستمر يقنع القادة المسلمين السياسيين أن يوافقوا على إنشاء دولة إسلامية فى شبه القارة حتى جاد بنفسه وفازت روحه فإذا حاول أحد أن يقدر جهوده ويستحسن خدماته فإنه لم يستطع أن يضيف شيئا إلا ان يقول بكل انكسار وتواضع :(٦٦)" ماذا عملت من أجل الإسلام إن الذى قد قمت به من خدمة الإسلام ليس إلا كمن يقبل طفلا نائما بكل حب وإخلاص للغاية "

فهذا (سيد نذير نيازى) يحدثنا عن ذلك قائلا:(٦٧)

"كان إقبال يستمع إلى مايطعن قومه فى سياسته بلا عمل والواقع أن نقاده كانوا يهملون كل الإهمال ما كان يقدمه إقبال من فكر حر لم يكن يقل عن العمل الجاد وإذا كان معنى العمل هو بناء سيرة وشخصية تهدف إلى إرادة خاصة لا تحف بالترغيب أو الترهيب فى الحياة الدنيوية فإن حضرة العلامة إقبال لم يكن أدنى فى حياة العملية من أى من الزعماء العاملين"

وأما الجزء الثانى من هذه التهمة فإن الناس يعنون به بأن إقبالا كان قد يئس منهم التفاهم بين الهنادكة والمسلمين فإن هذا الياس هو الذى جعله يقدم فكرة إنشاء دولة اسلامية فمعنى ذلك أن إذا تمت اتفاقية مرضية بين الهنادكة والمسلمين فلم تكن أية حاجة إلى إنشاء دولةإسلامية عنده فكأن فكرة إنشاء دولة إسلامية لم تكن تقوم على أساس من النظرية وإنما كانت نتيجة بأس الشاعر وقنوطه!

والواقع أن كل شئ يمكن يكون له جانب سياسى كما يمكن أن يكون له جانب إيجابى وهذا يقصر على عقلية المعاند المعترض إلى مدى بلغت به العقلية المريضة .إن الذين يعرفون فكر إقبال ورسالته جيدا يعلمون أيضا أن إقبالا لم يكن يؤمن بالتشاؤم واليأس وإنما كان شاعر التفاؤل والأمل ولم يكن يعتقد بأن المستقبل أو القدر قد تم تحديده أو تعيينه مقدما وإنما هى إمكانيات قد تحث وقد لا تحدث وكان يؤمن إقبال إيمانا قويا بأن أقاليم الأغلبية الإسلامية فى الشمال الغربى من الهند تقع فى منطقة واحدة متصلة مرتبطة و أن هذا الإرتباط أو الا تصال ليس بدون حكمة أو مصلحة من الله عزوجل وإنما هى قد رة الله الحكيم العليم الخبير وذلك مما جعل إقبالا يوضح خطوطا عريضة للقومية الإسلامية فى ابتكاراته الشعرية وكتاباته النثرية قبل أن يقدم فكرة إنشاء دولة إسلامية إنه لم يرتب الخطوط العريضة للقومية الإسلامية ولم يعلنها فحسب وإنما زودها بأساس من الفرك والنظرية لتقدم عليه دولة اسلامية مستقلة وقد استمرت جهود إقبال هذه منذ عام ١٩٠٧م إلى أن توفى إلى رحمة الله .وكان الغرض من جهوده هذه هو

تمهيد الطريق وإعداد الأساس الفكرى والنظرى للدولة الإسلامية قبل إنشائها فكان إقبالا قد علم بإمكان الوجود لهذاه الدولة الاسلامية فى شبه اقارة .فهل يمكن أن نقول بأن هذه الجهود الجبارة من العمل البناء والابتكار الفكرى الذى أنفق فيها إقبال ثلاثين عاما من حياته أو نصفها تقريبا لم يكن إلا نتيجة للياس والقنوط والتشاؤم ؟ . ولهذا المبحث جانب آخر وهو أن المعارضين لأقبال والمعاندين له وخاصة الصحف الهندوطية فى إقليم بنجا ب كانت تتهمة دائما بأن هو المسلم المخيف الرهيب الذى يتدخل دائما فى محاولات التفاهم بين الهنادكة والمسلمين فى كل مرحلة من المراحل فلو أننا سلمنا للحظة واحدة بأن هذه التهمة صحيحةفماذا ستكون النتيجة لهذا التسليم؟إن النتيجة ليست غير أن إقبال لم يكن فى يوم من الأيام يجب التفاهم بين الهنادكة و المسلمين على أية حال وإنه كان يهدف إلى منزل آخر يختلف ذلك أوأنه كان يبذل جهوده العملية والفكرية منذ الوهلة الأولى ليقود المسلمين نحو إنشاء دولة إسلامية مستقلة لهم ,فعلى كلا التقدير ين لا يوجد جانب من الياس أو القنوط فى وجهة النظر عند إقبال وفكرته عن إنشاء دولة إسلامية .

وقد استمرت التعليقات على خطبةإقبال فى (إله آباد) تظهر وتعلن فى الهند وانكلترا وكانت التعليقات قد بلغت قمتها من الشدة والقوة خلال الأشهر الأول من عام ١٩٣١م, أما فى عام١٩٣٢م فقد أصبحت الخطبة والتعليقات صفحة من صفحات الماضى , وتوفى إقبال فى ٢١أبريل ١٩٣٨م وبعد سنتين تقريبا من وفاته اتخذت الرابطة الإسلامية قراراتاريخيا فى ٢٣مارس ١٩٤٠ م عرف بقرار لاهور ثم سموه " قرار باكستان" فيما بعد وبذلك أصبحت خطبة (إله آباد) موضوعا للنقاش والتعليق مرة أخرى فقام العديد من المؤسسات بطبعة جديدة من الخطبة ودعت مئات الالوف من نسخ هذه الخطبة ثم إن هذا النقاش الجديد الذى أثير بعد وفاة إقبال كان يتضمن أسئلة كانت قد نوقشت فى حياة إقبال وأضيفت إليها بضعة أسئلة جديدة وهى:

(١)هل إقترح إقبال بإنشاءدولة إسلامية داخل إطار فيدرالى للهند أو أن كان يريد إنشاء دولة إسلامية ذات سيادة مستقلة؟

(٢)إن فكرة إنشاء دولة إسلامية لم يكن إقبال أبو عذرتها ولم يبكرها وإنما كان هناك شخصيات بارزة من الهنادكة والمسلمين والانجليز الذين كانوا قد اقترحوا هذا التقسيم كحل وحيد لمشكلة الخلافات الطائفية وكان إقبال أحد هذه الشخصيا البارزة وقد أثير هذا السؤال بعد إنشاء باكستان وخاصة فى داخل

باكستان نفسها وكان هذا السؤال فى بادى الرأى يهدف إلى بحث علمى ولكن كان وراءه أهداف شخصية ومصالح سياسية كما سيتضح فيما بعد .وبما أن قرار باكستان الذى اتخته الرابطة الإسلامية كان ينص على المطالبة بإنشاء دولة مستقلة أو دول مستقلة سائدة فى مناطق الأغلبية الإسلامية فى الشمال الغربى لشبه القارة وشرقها ومن ثم فسروا هذه المطالبة فى ضوء خطبة (إله آباد) لإقبال التى كانت قد ألقيت من منصة الرابطة الإسلامية نفسها قبل عشر سنوات وقد تناول الدكتور (راجيندر ا براشاد) خطبة إله آباد) فى كتابه "الهند المنقسمة" باللغة الانجليزية فقدم تحليلا واضحا للخطبة فقال بأن إقبال كان قد اقترح إنشاء دولة إسلامية داخل اطار فيدرالى للهند (٦٨) وهذا هو الرأى نفسه الذى يراه الكاتب الانجليزى (كوب ليند)فى كتابه " السياسة الهنديةمن عام ١٩٣٦ إلى ١٩٤٢م" بالانجليزية (٦٩) وأن الذى جعل الزعماء الهنادكة ومن أيدوجهة نظرهم من الانجليز يتخذون هذا الموقف لكى يحققوا بأن الرابطة الإسلامية نفسها هى التى كانت قد طالبت بإنشاء دولة الأقليم الأغلبية الإسلامية داخل إطارفيدراللهند وأنهم قد أخذوا يطالبون بإنشاء باكستان المستقلة السائدة بدون أى مبرر فكأن ما طالبت به الرابطة الإسلامية كان متناقضا أو أن الزعما ء السياسيين المسلمين أنفهسم لم يكونوا يعرفون ماذا يريدونه أو لا يريدون شيئا إطلاقا وذلك مما جعلهم يقدمون المطالبات المتناقضة فى وقت واحد .

إن الزعماء الهنادكة وأنصارهم من الانجليز قد حاولوا أن يشبعوا سوء التفاهم عن إقبال وهو إن كان اقترح إنشاء دولة إسلامية فى شبه القارة إلا أن هقد أدرك وهن الإقتراح وضعفه فيما بعد فتراجع عنه أو أعرض عنه وقصة سوء الفهم هذه قد وضعها وابتكر ها (ادورد طامسون) أستاذ اللغة البنغالية بجامعة آكسفورد وكان مراسلا لجريدة " مانشستر جارديان "ومن أكبر أنصار الكونجرس الهندى ,فهذا الكاتب الانجليزى ألف كتابا بانشرافى لندن سنة ١٩٤٠م وسماه :" مهدوا الطريق لاستقلال الهند" فقال فى كتابه هذا: (٧٠)

"قد أثبرت ضجةمنذ بضع سنوات تقترح قطع مناطق من الهند وإنشاء دولة إسلامية فيهامن الذى ابتدرهذه الضجة؟ هذه قضية فيها اختلاف لا بأس به ويقال عامة بأن شاعرا واسمه السير محمد إقبال كان قد آثارها فى الوهلةالأولى وكنت قد نشرت مقالا فى جريدة " آبزرور" قلت بأنه قد أيدمشروع باكستان وكان إقبال صديقا لى لأصلح ما أخطأت فى رأئي وقبل كل شئ كان قد أبدى عنقلقه واضطربه بأن بلاده الواسعةالفقيرة غير المنظمة تجرى محاولات لتمزيقها

إلى دويلات ملوك الطوائفثم قال بأن مشروع باكستان مشروع مدبر بالنسبة إلى الحكومة البريطانية والطائفة الهندوكية والطائفة الإسلامية جميعا وقال فى النهاية:لكننى رئيس الرابطة الإسلامية فمن واجبى أن أويد هذا الاقتراح على كل حال"

وبعد سنتين أى فى عام ١٩٤٢م نشر المؤلف نفسه كتابا آخر وعوانه "الافكار الاخلاقية فى الهند المعاصرة" فقال فيها :(٧١)

"كان إقبال فيلسوفا وشاعرا وسياسيا وأحدرجال الدين وكان قبل وفاته بأيام حين علم أنه على وشك الرحيل من هذا العالم كتب إلى رسالة بكل يأس وحزن تأسف قائلا بأن بلاده الواسعة الفقيرة المحرومة عن التنظيم قد أصبحت فى معرض خطر من ملوك الطوائف والتمزق."

وبعض النظر عن أن هذا الكتاب قد أعلن بعد سنتين أو أربع سنوات بعد وفاة إقبال حين لم يكن إقبال موجودا لينفى هذه الكذبة ويدحضها .إن (ايدوردطامسون) يدعى فىأحد كتابيه بأن إقبالا كان قد أخبره فى بعض لقائاته معه , وفى الكتاب الثانى يذكر الرسالة التى لم ينشر ها فى كتابه وبالإضافة إلى ذلك فإن يقول فى كتابه الأول بأن إقبالا قد قال له فى نهاية حديثه معه:" لكننى رئيس الرابطة الإسلامية فمن واجبى أن أؤيد هذا الاقتراح " مع أن اقبالا لم ينتخب رئيسا للرابطة الإسلامية إلا مرة واحدة وذلك فى دسمبر ١٩٣١م حين ألقى إقبال خطبته فى اجتماع الرابطة الإسلامية بمدينة (إله آباد) ولم تكن باكستان حينئذ هدف الرابطة الإسلامية وإنما كان هدفها أربع عشرة نقطة وكان إقبال قد اقترح بإنشاء دولة إسلامية وكان ذلك اقتراحا شخصيا كرئيس الرابطة الإسلامية ,فكيف يمكن أن نقول بأنه كان قد أكره على تأكيد الاقتراح بإنشاء باكستان رغم أنفه؟

وبعد إلقاء خطبة (إله آباد) سافر إقبال إلى لندن فى ستمبر ١٩٣١م ليشارك فى مؤتمر المائدة المستديرة الثانى منشر (ايدوردطامسون) هذا رسالة فى "لندن تائمز" فى ٢ أكتوبر ١٩٣١م وكان عنوانه الرسالة " مؤامرة الوحدة الإسلامية" نقد الكاتب فيها اقتراح إقبال بإنشاء دولة إسلامية فى خطبة (إله آباد) فقال وهو يعلق على الاقتراح (٧٢):

"إن كل من بأن القضية الهندوكية . التى تقدم دائما تقديما سئيا جدا . تستحق دراسة عاطفة اتهموه بأن عدو للمسلمين فإننى اليوم أريد أن أقول بأننى أستحسن الديموقراطية التى يراها (آغا خان) فى الإسلام ولا يراها فى الهندوكية

وأتتقد أن كان من واجبى أن يتقدم(آغا خان) خطوة أخرى فيوضح بأن الإسلام يفوض المسيحية فى التطبيق العملى لمبدأ الأخرة الإسلامية . إذا لم تمنعه أخلاق عن ذلك . وإننى لست أعارض فكرة إنشاء الأقاليم الطائفية للمسلمين فى الشمال الغربى من الهند .أما السير محمد إقبال فإنه يريد اتحادها داخل إطار فيد رالى للهند أو خارج هذا الإطار الفيدرالى وعليكم بإلقاء النظر على الخريطة أين يبقى حدود للهند يمكن الدفاع عنها"

ونشرت رسالة إقبال فى الجريدة وهو يرد على (ايدورد طامسون) وكان عنوانها " الأقاليم الإسلامية فى الشمال الغربى للهند" وكانت قد نشرت فى " تائمز اللندنية" فى ١٢أكتوبر سنة ١٩٣١م حيث قال فيها إقبال (٧٢):

"نشرت فى جريدتكم الصادرة فى ٢أكتوبر عبارة قطعها الدكتور (طامسون) من كلمتى الرياسية التى ألقيتها فى اجتماع الرابطة الإسلامية الهندية فى شهر ديسمبر الماضى فلم يذكر ما قبلها وما بعدها ليحقق بها " مؤامرة الوحدة الإسلامية" والعبارة هى :" أتمنى توحيد بنجاب وإقليم الثغر الشمالى الغربى والسند وبلوجستان لتصبح ولاية موحدة" إنه تحقيق الدولة السائدة سواء كانت داخل إطار المملكة البريطانية أوفى خارج إطارها .فإننى أرى إنشاء دولة إسلامية موحدة قرية فى الشمال الغربى للهند .إن هذه الدولة قد أصبحت أخيرا من نصيب المسلمين وعلى الأقل مسلمى الشمال الغربى للهند

فهل يمكن لى أن أخبر الدكتور (طامسون) بأننى لم أطالب بإنشاء دولة إسلامية خارج إطار المملكة البريطانية وإنما هو تقدير وتخمين عن التصرف الممكن للقوى القاهرة فى المستقبل لشاحب .تلك القوى القاهرة التى أخذت تصور شبه القارة الهندية فى المستقبل ولا يوجد مسلم هندى يملك قليلا من العقل يفكر فى إنشاء دولة أودول إسلامية فى الشمال الغربى للهند خارج للأقاليم الهندية التى تسكنها أغلبية مؤثرة من أية طائفة كانت وذلك مما أيده تقرير (نهرو) وتقرير (سائيمان) والحقيقة أن الذى اقترح أنا ليس إلا تطويرا لتلك الفكرة إن سلسلة من الأقاليم الإسلامية المنظمة على حدود الهند سوف تكون فصيلا قويا للمملكة البريطانية وبلاد الهند ضد الأجناس الجائعة التى تعيش فوق سطوح آسيا المرتفعة وهى تنظر الكرة"

مما سبق اتضح لنا جليا بأن إقال كان قد كذب حيا ودحض ما وضعه (ايدورد طامسون) من الشر و ذلك حين سمى ذلك الاقتراح بإنشاء دولة إسلامية فى الشمال الغربى من الهند مؤامرة الوحدة الإسلامية .على كل حال منا لرغم من هذه الأشياء كلها فإن (الباندیت جواهر لال نهرو) فى كتابه " اكتشاف

الهند " بالانجليزية (٧٤) والدكتور (مبيد كار) فى كتابه " فى كتابه " آراء حول باكستان" بالانجليزية(٧٥) وغير هما من الؤلفين الهنادكة قد عدلوا فى مؤلفاتهم على " الديانة العلمية والثقافة التاريخية " للدكتور (ايدورد طامسون) هذا فكرروا هذه الكذبة عن إقبال تكريرا متواصلا والجدير بالذرك أن هذه الؤلفات كلها قد نشرت بعد وفاة إقبال وذلك حين لم يعد بإمكانه هو أنه يكذب مؤلفيها أو يدحضهم.

وأما من المسلمين فإن (الشوذرى رحمت على) قد استغل هذه الكذبة عن إقبال لتحقيق الأهداف الخاصة به فيقال إن (الشوذرى رحمت على) هو الذى ابتكر مصطلح " باكستان" ومشروعه وأنه كان مؤسسا لحركة باكستان القومية فى كمبردج فهو يقول فى كتابه الذى سماه " باكستان" بالانجليزية والذى نشر فى عام ١٩٤٧م (٧٦) بأنه قد أسس جمعية (شبلى) فى ١٩١٥م وأعلن أفكاره السياسية الاول مرةحيث قال بأن الهند الشمالية كلها مناطق إسلامية ونريدها أن تبقى كذلك وليس ذلك فحسب وإنما أن نجعل منها دولة إسلامية (٧٧) ثم يقول معلقا على خطبة (إله آباد) لإقبال" فكرة الدولة الإسلامية عند إقبال لم تكن فكرة دولة إسلامية ذات سيادة مستقلة وإنما كان يريدها كوحدة أو أقليم كبير داخل إطار فيد إلى للهند (٧٨) إلا أن اقتراحه هذا لم ينفع عمليابشئ فقد عارضه الزعماء المسلمون كما أن إقبالا نفسه قد تراجع عن هذا الاقتراح فبما بعد" (٧٩)

ويجدر بنا فى هذه المرحلة أن نقوم بتحليل خطبة (إله آباد) لكى نعرف أكان إقبال قد اقترح إنشاء دولةإسلامية داخل إطار فيدرالى للهند أم كان يريد دولة إسلامية مستقلة ذات سيادة وبجانب التحليل لهذه الخطبة يجب علينا أن ندرس التعليقات الصحيفة وغير الصحيفة هذه الخطبة وكذلك فإن إقبال قد عاش إلى ثمانية أعوام بعد إلقاء الخطبة هذه فقد قام خلال هذه المدة بين حين وآخر لتفسير هذه الخطبة فيجب أن يكون هذا التفسير أمامنا أيضا وفى ضوء مافسره إقبال لهذه الخطبة سوف يتضح لنا جليا أكان قد تراجع عن اقتراحه أم لا,أوماهى الشكل الأخير الذى اتخذه اقتراح إقبال بعد أن مر بالمراحل المتطورة.

إنه الفكرة التى قدمها صاحب خطبة (إله آباد) تقوم على أسس متينة قوية من الدلائل ولبراهين وقد كانت فكرة ثورية عرفت خلال تلك الفترة وكان بإمكانها أن تأتى واسعة المدى وقبل إلقاء هذه الخطبة كانت السياسة الإسلامية فى شبه القارة قد مرت بأربع مراحل هامة فكانت " اقتراحات دلهى" التاريخية قد رفضها

الهنادكة وكان(الشيخ حسرت موهانى) قد اقترح توحيد أقاليم الأغلبية الإسلامية فى الشمال الغربى من الهند وتحويلها إلى إقليم كبير موحد للأغلبية الإسلامية لتكون وحدة ذات صوت مسموع فى الإطار الفيدرالى للهند ولكن " لجنة نهرو" رفضتها فى الوهلة الأولى وكانت " اقتراحات جناح" أيضا لاقت المصير نفسه فى " تقرير نهرو" أماأربع عشرة نقطة فإنها وإن كانت لا تزال موضع نقاش فى المجال السياسى إلا أن إمكانيات التفاهم بين الهنادكة والمسلمين على أساس هذه النقاط كانت قليلة أو كانت كالمعدوم ففى مثل هذهالظروف كان المسلمون فى حاجة إلى أن يتخذوا موقفا عمليا مستقلا فى المجال السياسى ,ولكن هذا الموقف ا لعملى المستقل كان فى حاجة إلى تحديد هدف جديد أيضا وكان القادة والزعماء المسلمون لم يعودوا يرغبون فى النظام الفيدرالى الهندى وذلك بسبب الموقف المتشددالذى اتخذه الزعماء الهنادكةوكان لزعماء المسلمون الأن يحاولون السعى لتحقيق السلطة المحلية أو الإقليمية لأقاليم الأغلبية الإسلامية إلى أكبر حدممكن .فبهذه الحلقية التاريخية فى دهنه اتخذ إقبال خطوة أمامسة فى خطبة (إله آباد) والتى فاقت ماكان يطالب به المسلمون فى أربع عشرة نقطة وهى توحيد أقاليم الأغلبية الإسلامية من بنجاب وسرحد والسند وبلوجستان ,ولأول مرة استعمل إقبال كلمة الدولة أو الولاية مكانه كلمة الإقليم لهذه المنطقة الإسلامية الموحدة وأضاف قائلا بأن هذه الدولة الإسلامية المتحدة بإمكانها أن تتمتع بالحكم الداخلى أو السلطة المحلية الإقليمية داخل إطار المملكة البريطانية أو خارجها ومن الظاهر البديهى أن إقبال كان يتوقها وهو يقدم هذا الاقتراح بأن إذا تم التفاهم بين الهنادكةوالمسلمين فإنهذه الدولة الإسلامية المقترحة يمكن لها أن تكون دولة ذات سيادة داخل إطار المملكةالبريطانية أو الاتحاد الهندى ولكن هذه الالتحاق بالهند لم يكن من الممكن إلا إذا كان فى إطار فيدرالى لا يضر سيادة الدولة الإسلامية هذه فاتضح بأن الدولة الإسلامية ذات السيادة التى اقترحها إقبال فى خطبةت (إله آباد) كانت تعنى بأنه إذا تم التفاهم على أساس معقول بين الهنادكة والمسلمين فبإمكانها أن تبقى داخل إطار فيدرالى للهند ,فإذا لم يتفاهم الطائفتان بينهمافإن هذه الدولة الإسلامية سوف تكو مستقلة ذات سيادة فكان هدفه فى البداية هو إنشاء دولة إسلامية سائدة وأن هذه الدولة إذا كان ينقصها شئ من التنظيم الإدارى فكان من الممكن أن تفصل منها المناطق التى كانت أغلبية سكانها منغير المسلمين وبذلك كان من الممكن أن يكون المسلمون أغلبية قاطعة

حاسمة ولم تكن الحاجة إلىنقل السكان من مكان الآخر فإن هذه الدولة من الممكن لها ان تحافظ على حقوق مواطنيها من غير المسلمين وأن إنشاء هذه الدولة الإسلامية كان من الممكن ان يكون وسيلة للتوازن والتعادل من القوة للهند .وهكذا كان بإمكانها أن تقوى بمواطف الأمن والتعايش السلمى بين الهنادكة والمسلمين كما أن الدولة الإسلامية هذه كان بإمكانها أن توافق على إنشاء الجيش المشترك بين الهنادكة والمسلمين للدفاع عو شبه القارة ككل.

على كل حال فإن الانجليز والصحف الهندوكية علقت الاقتراح بإنشاء دولة إسلامية والذى جاء فى خطبة (إله آباد) وقالت بأن اقتراح يدل على العقيلة الرجعية وأن لا يمكن العمل به وكان رئيس وزراء بريطانيا قد أبدى عن غضبة وتبرمه من هذا الاقتراح كما أن الدكتور (مونجى) قد عارض الاقتراح فى " لجنة الأقليات " للمؤتمر الاول من المائدة المستديرة وأما (ايدورد طامسون) فكان قد سماه " مؤامرة الوحدة الإسلامية"

وتتحدث إقبال عن هذه الاقتراح والاول مرة بعد تقديمه فى رسالة بعث بها إلى(سيد نذير نيازى) فى ١١يناير سنة ١٩٣١م فقال بأن الدولة الإسلامية المقترحة إنما هى هدفنا أو مصيرنا وأنه لاداعى إلى نقل السكان من مكان الآخر عند إنشائها وان هذه الدولة الموحدة أو الدول الإسلامية المتعددة إذا أنشيئت فى الشمال الغربى للهند على أساس هذه المشروع فإنها ستحافظ على حقوق الأقلية الهندوكية فحافظة كاملة وخلال إقامته فى (انكلترا) بمناسبة مؤتمر المائدة المستديرة الثانى قام إقبال بالرد على ما اعترض به عليه (ايدوردطامسون) فى رسالة نشرها فى " تائمز اللندنية" الصادرة فى ١٢أكتوبر م حيث قال بأن المشروع الذى قدمه لا يهدف إلى إنشاء دولة إسلامية خارج المملكة البريطانية أو السوق المشتركة البريطانية , ثم ترأس اجتماع مؤتمر الأحزاب الإسلامية الذى عقد بلاهور فى ٢١مارس ١٩٣٢م فقال فى كلمته الرياسية بأننى قد أعلنت معارضتى لفكرة النظام الفيدرالى الهندى فى خطبة (إله آباد)(٨٠)

وتلقى إقبال رسالة فى ٢٨مايو ١٩٣٢ م من(بومبائبعثبها (س . و. لالات) الذى كان يمثل الزعماء الهنادكة المتعصبينن من أمثال :الدكتور (مونجى) و(الباندیت مدهن مالویا) فقال هذاالمثل فى رسالته هذه:(٨١)

"إننى أريد ان أخبرك بأننى قدحصلت على الإذن من الدكتور (مونجى) بصفتى الذاتية الخاصة للغاية لتأييد مشروعك الذى قد مته أنت من توحيد الأقاليم الإسلامية الأربعة فى الشمال الغربى للهند إلا أننا لايوافق على المصلح الذى

استخدمته أنت من ولاية أو دولة إسلامية ولكن من الممكن أن نعبر عن هذا المعنى بمصطلح "الاقليم الإسلامى " وأرجوك أن تتأكد بأن الدكتور (مونجى) لن يؤيد اقتراحك تأييدا مفتوحا فى الوقت الحاضر ولكن سيأتى وقت سوف يؤيد فيه أقتراحك تأييدا مفتوحا أما فى الوقت الحاضر فإنه قد قوضنى أن أنا قشك عنبعض الشؤون مناقشة سرية وطبقا لا ختصاصى هذا سوف أستفتى بعض الزعماء البارزين للآحزاب الهندوكية والمسلمة الهامة عن رأيهم فى مشروعك هذا ثم أقدم نتائج جهودى هذهشم يتخذ الدكتور (مونجى) من الخطوات التى يراها مفيدة وأريد أن أخبرك بهذه المناسبة بأن الشيخ (شوكت على) قد وعدنى بمساعدته إياى بوعد أن أتلقى الرد منك عن موقفك حول التفاهم فى الظروف الحالية فإننى سأحاول أن أتصل بالزعماء الكبار مثل (بهائى برماناند) و(الدكتور تشيت رام) وغيرهما من الزعما ء لان استفتاء هؤلاء الزعماء ضرورى للغاية وذلك قبل أن أطلب من الدكتور (مونجى) أن يتخذ خطوات مناسبة فى ذلك وقد أبلغنا التفاصيل عن ذلك إلى السيد (ن —س كلكار) ولكن لم يضطلع عليها (البانديت) مالويا) حتى الآن ولكن يجب أن تتأط وتطمن بأن حضرة البانديت يريد التفاهم فهما كان الثمن"

أما رد إقبال على (س ـو ـ لالات) فلانعرف عنه شيئا إلا أنه قد طلب إلى الشيخ (شوكت على) أنه يتحدث مع زعماء المجلس الهندوكى الكبير المتطرف فقد ذكر فى رسالة بعث بها إلى الشيخ (محمد عرفان خان) مى ٨ يونيو ١٩٣٢م قال فيها (٨٢)

"كنت قد بعثت رسالة إلى الشيخ (شوكت على) قبل أيام وأخبرته فيهابأننى قد تسلمت رسالةمن (لسيد لالات) أحد كبار الهنادكة وقد أخبرنى فيهابأن الدكتور (مونجى) يعترف بمشروعك الذى قد مته فى كلمتك بصفتك رئيسا للرابطة الإسلامية كما أنه ذكر بأن سوف يستشير (البانديت مالويا) أيضا ليعترف بمشروع من أجل التفاهم بين الهنادكة والمسلمين رغم أن الإعلان عن هذه المحاولات ليس من المصلحة وكانت الرسالة سرية وجاء فيها بأنه قد تحدث مع الشيخ (شوكت على) من الموضوع وهو ايضا يميل إلى تفاهم ولعلك قد فهمت ما هو المقصود من المشروع اى التوحيد الأقاليم الإسلامية فى الهند الشمالية"

وقد استمرت المحادثات السرية بين زعماء المجلس الهندوكى الكبير ـ أى هندو مهاسبها ـ والزعماء المسلمين من أمثال الشيخ (شوكت على) حو ل التفاهم بين الهنادكة والمسلمين فى إنشاء إقليم أودولة إسلاميةسا ئدة داخل إطار فيدرالى

للهند وفى أثناء ذلك سافر إقبال إلى انكلترا للمشاركة فى مؤتمر المائدة المستديرة الثالث فألقى كلمةوحيدة فى هذا المؤتمر عبر فيها عن رأية فقال إنه لا حاجة بالهند إلى حكومة مركزية ويجب أن تكون الأقاليم كلها مستقلة ذات سيادة وتكون على صلة مباشرة مع وزير الهند فى لندن, وفى ٢٤ نومبر ١٩٣٢م ألقى إقبال كلمةفى اجتماع الرابطة القومية بلندن قال فيها ك(٨٣)

"قد مضى أربع أو خمس سنوات منذ قد مت اقتراحا بإنشاء دولة إسلامية واسعة فى الشمال الغربى للهند كرئيس للرابطة الإسلامية الهندية فقد كان هذا الاقتراح من الحلول الممكنة المشكلة الخلاقيات الطائفية ورغم أن هذا الاقتراح لم يكن مما طالب به مسلمون الهند ولكننى أرى شخصيا بأن هذا الاقتراح هو الحل الممكن الوحيد لهذه المشكلة وأنا على استعداد أن أنظر حتى يتحقق با لتجربة ويتضح لناأهذا الاقتراح معقول أو غير معقول."

وكان (البانديت جواهر لال نهرو) قد نقد موقف الزعماء المسلمين المشاركين فى مؤتمر المائدة المستديرة الثالث نقد عنيفا لما دلى إقبال بتصريح فى ٦ ديسمبر سنة ١٩٣٣م وهو يرد على هذا النقد قائلا :إن الحل الوحيد لمشكلة الهند هو تقسيم البلاد على الأسس الدينية والتاريخية ولمدنية (٨٤)

وخلال هذه الفترة كان (الشوذرى رحمت على) قد نشر كتيبا له بالانجليزية فى كمبردج وسماه :" الامن أو لن يكون أبدا " طالب فيه بإنشاء مستقل يضم أقاليم الأغلبية الإسلامية فى الشمال الغربى للهند وكشمير وسمى الدولة الإسلامية هه "بباكستان " و فى الوقت نفسه كان (الشوذرى رحمت على) قد أنشا "حركة باكستان القومية"فى كمبرد للحصول على "باكستان"

ويجب أن نوضح الفرق بين فكرة إقبال بإنشاء دولة إسلامية والمشروع الذى قد مه (الشوذرى رحمت على) أما إقبال فقد اقترح بإنشا ء دولة إسلامية فى الهند بصفته شحصية إسلامية بارزة وذلك من المنصة السياسية للرابطة الإسلامية الهندية وأما (الشوذرى رحمت على) فقد اقترح باكستان كاسم لدولة تضم كشمير الأغلبية الإسلامية كطالبةمسلم ثم أعلن مشروعه هذا فى كتيب نشره فى انكلترا . إن الدولة الإسلامية ذات السيادة التى اقترحها إقبال كان بإمكانها ن تقدم داخل إطار فيدرالى للهند إذا تم التفاهم بين الهنادكةوالمسلمين بذلك أو داخل إطار المملكة البريطانية أو السوق المشتركة البريطانية .أما إنشاءهذه الدوة كدولةمستقلة ذات سيادة فلم يكن من الممكن إلا إذا يتم التفاهم بين الهنادكة والمسلمين . أما مشروع باكستان الذى قدمه (الشوذرى محمد على) فقد كان يهدف إلى إنششاء

اتحاد فيدرالى مستقل يضم كمشير أقاليم الأغلبيه الإسلامين فى الشمال الغربى من الهند .وأم اقتراح إنشاء دولة إسلامية فرأى إقبلا فلم يكن فى حاجة إلى نقل السكان من مكان الآخر ولكن مشروع (الشوذرى رحمت على) لباكستان يتحتم فيه نقل السكان من مكان الآخر.

وفى عام ١٩٣٢م أعلن المشروع الطائفى المعروف فطبقت الاصلاحات الدستورية فى إقليم (سرحد) كما أنها طبقت فى غيره من الأقاليم كما أن السند انفصل من بومباى كإقليم مستقلوفيه أيضا طبقت الإصلاحت الدستورية وكان من المفتوح الآن بأنه قبل تطبيق الدستور أوربعده سيتم التفاهم بأى نوع كان بين الهنادكة والمسلمين واستمرت الجهود والمحاولات من أجل هذاالتفاهم حتى سنة ١٩٣٥م.

وخلال السنتين هاتين ـ أى ١٩٣٣ و ١٩٣٤م ـ كان إقبال قد بعث بتسع رسائل إلى (ايدورد طامسون) والتى نشرت حديثا (٨٥) ورسائله هذه توضح موافقة السياسية واقتراحة بإنشاء دولة إسلامية فيقول فى رسالة كتبها فى ٢٠يونيو ١٩٣٣م(٨٦):

"يجب أن تتأكد وتطمئن بأننى لست راغبا فى السياسة الحقيقية إنما أرغب كل الرغبة فى الإسلام كنطام اجتماعى خلقوذلك مما جرنى إلى مجال السياسة فقد أدركت بأن القومية الهندوكية سوف تتجه فى الهاية إلى الإلحاد والعلمانية وأقول على أساس ما أعلمه بأن المسلمين الذينليس لهم حظا كبير من التعاليم والثقافة الإسلامية سوف يجر منهم سيل القومية المزعومة كما يجرف السيل العرم بالأعشاب التهافهة الواهيةففى مثل هذه الظروف رأيت من واجبى أن أتقدم لكى أستطيع تقديم المعانى الحقيقية التعالميم الإسلام أمام الجيل الناشئ المسلم وأننى لمزور بأن هذا الجيل الناشئ المسلم قد استمع إلى ما قلت له ووعى ما نصحت له واعترف له كما أن الإنجليز أيضا قد اعترفوا با الحقيقة الواضحة بأن المسلمين الهنود شعب مستقل وأن لا بد من إتاحة الفرص لهم للتقدم الحر على مبادئهم الدينية فهذه جائزتى التى نلتها وإن كنت قد خسرت خسارة مالية شديدة من أجل الحصول على هذه الجائزة وذلك غيابى المتواصل عن الهند لمدة سنتين قد أخذ منى ماكنت قد اكتسبته قليلا أو كثير من مهنة المحاماة وأنا أشعر كأننى قد ظلمت أولادى وحرمتهم من الفوائد الدنيوية ومتع الحياة ولكن من واجب المسلم أن يفضل خدمة الإسلامم على مصالحة الشخيةأومصالح أولاده وإن الاسلام وانكلتراكلاهما سيواجها ن المشاكل والمصائب فى المستقل

ومن المؤسف جدا أن الإسلام ليس لديه زعيم أوقائدا وأما رجال السياسة الانجليز فإنهم يأخذون الكثير الطويل من الوقت لفهم الموقف وإدراكة إدراكا كاملا ,على كل حال فإنك سوف ترى بأن رغبتى فى السياسة لن تتعدى الحدود التى رسمتها لنفسى وكذلك فإننى لا أقوى أن أدخل كمرشح فى انتخابات المجالس التشريعية تحت الدستور الجديد ويقول إقبال فى رسالة كتبها فى ٤ مارس ١٩٣٤"(٨٧)

"وكما ترى بأننى من أنصار المشروع الذى يسمى باكستان إلا " باكستان" ليس بمشروعى أنا وذلك لأن الاقتراح الذى قد مته فى خطبتى كان اقتراحا بإنشاء إقليم مسلم أى تكوين إقليم مستقل فى الشمال الغربى للهند حيث يكون فيه المسلمون أغلبية واضحة وطبقا لما اقترحته فى المشروع فإن الإقليم االجديد هذا سوف يكون جزء من الاتحاد الهندى أما " مشروع باكستان " فهو يوصى بإنشاء اتحاد مستقل للأقاليم الإسلاميه وسوف يكون هذا الإتحاد على صلة مباشرة بانكلترا كدولة مستقلة ذات سيادة أعد هذه المشروع فى (كمبردج) ويرى من ابتكر هذا المشروع المند وبين المسلمين فى مؤتمر المائدة المستديرة قد ضحو بحقوق الشعب المسلم الهندى فى سبيل إرضاء الهنادكة أوتبنى الوطنية الهندية"

و يقول فى رسالة كتبها فى ٢٦ يوليو ١٩٣٤م (٨٨)

"ووكان من واجبى أن أقوم بتأييد انفصال السند كأقليم مستقل بقصفتى رئيسا للمؤتمر الإسلامى وأنا أعتقد شخصيا منذ أمد بيعد بأن توحيد الأقاليم الثلاثة فى الشمال الغربى للهند سوف يكون مفيدا بالنسبة إلى انكلترا والهند والإسلام جميعا بأنت تعرف بأننى لا أومن بالديموقراطية ولكن الخطوة . وأرى أن هذه خطوة مهلكة جدا . نحو الديموقراطية وقد تم اتخاذها على كل حال فيجب علينا أن نكون منذ الآن على استعداد لنواجه الدمار الاقتصادى والضعف السياسى والتآمر الهندو كى وذلك لأننا إذا طبقا النظام الديمو قراطى فى دولة واسعة فقيرة غير منظمة مثل الهند فإن هذه النتائج التى يتوقع ظهورها أماأنت فقد قلت بأن الظروف فى الغرب خطيرة وذلك مما أعرفه جيدا أمابركان الهند فقد تم انفجاره منذ أمد غير طويل ولكن هذا الانفجار لم يتزل الضرربأحد فى الظاهر أما الظروف الراهنة ههنا فنرى الهنادكة الحضريين يتقاتلون فيما بينهم وأما لشعب الفقير من سكان القرى فإن لا يعرف شئيا عما يجرى فى البلاد وأما المسلمون فإنهم أكثر وحدة اليوم إلا أن زعماءهم من الطراز المتوسط الخالص وهم لا يعرفون شئيا عن العلاقات التى سوف تكون بين الشرق والغرب فى مستقبل إننى لو سجلت انطباعاتى عن مؤتمرين المائدة المستديرة والذين قد شاركت فيها فلا

بد لى أن أقول أشياء قد لا تعجب الكثيرين من أبناء وطنى و أبناء دنيى بالاضافة إلى أبناء وطنك الذين رغم الرأى والبصيرة قد اتضح فى بعضهم ما يدل على قلة الفهم وعدم الرأى وأنا على يقين قوى بأن الحزب الحاكم الحالى فى (انكترا) سوف يفشل فى حل قضية الهند إلا أن هذه آراء وأفكار شاعر فقط والشعراء كما تعرف يعتبرهم الناس فئة تعيش فى دنيا الأوهام ولأحلا م التى لا يمكن العمل بها ألى أنها فئة لا فائدة فيها إطلاقا!"

وإننا نستطيع من خلال هذه الرسائل أن نقدر الأمانة الخلقية والمنزلة العملية التى بتمتع بها (ايدورد طامسون) فيما يرى رأيه فى إقبال من كتابين الذين قد مربنا ذكرهما فمنثلا يكتب اإليه إبال قائلا بأنه إذا طبق النظام الديموقراطى الغربى فى دولة واسعة غير منظمةو فقيرة كا لهند فإن النتيجة لن تكون غير الدار الاقتصادى والضعف السياسى والتآمر الهندوكى إلا أنه يصرعلى أن يجعل إقبالا ينطق بكلمات واهية مثل "إن بلادى الواسعة غير المنظمة الفيرة تواجه التمزق مثل دويلات ملوم الطوائف " أما إقبال فيكتب إليه بأنه يؤمن بصفته الذاتيةدائما بأن توحيد الأقاليم الأغلبية الإسلامية فى الشمال الغربى للهند سوف يكون مفيدا لإنكلترا والهند والإسلام جميعا بينما (طامسون) يصر على يجعل إقبالا ينطق بكلمات موضوعة تقول بأن مشروع باكستان مشروع مدمر للحكومة البريطانية ومدمر للفئة الهندوكية ومدمر للطائفة الإسلامية ويكتب إليه إقبال بأنه كان من واجبة بصفته رئيسا للمؤتمر الإسلامى أن يؤيد أنفصال السند كإقليم مستقل أما (كامسون) هذا فيجعل إقبالا ينطق بكلمات لاغية بأنى رئيس الرابطة الإسلامية فيجب على أن أويد مشروع باكستان على كل حال !؟"

وخلال هذه الفترة نفسهاكان إقبال قد كتب إلى (راغب أحسن) من شباب بنغال يوضح إقتراحه بإنشاء دولة إسلامية فى شبه القارة فقال بأن اقتراحه هذا يختلف من "مشروع باكستان "فقد كتب رسالة إلى راغب أحسن) فى ٤مارس ١٩٣٤م وأخبره فيها(٨٩)

"أما اقتراحى فهو إيجاد إقليم مسلم داخل إطار فيدرالى للهند أما "مشروع باكستان"فهو يوصى بإنشاء اتحاد للأقاليم الإسلامية فى الشمال الغربى للهند خارج إطار فيدرالى للهند ويكون على صلةمباشرة بانكلترا."

أما الهنادكة فإنهم لم يوافقوا على ما طلبه المسلمون منهم سواء كان ذلك بشكل أربع عشرة نقطة مشهورة أو بشكل آخر كما أن لم تظهر النتائج المطلوبة من المحاولات التى جرت من أجل التفاهم بين الهنادكة والمسلمين على إنشاء إقليم

إسلامى أو دولة إسلامية سائدة داخل إطار فيدرالى للهند.

وفى ٤مارس ١٩٣٤ م كان (محمد على جناح) بعد عودته من انكلترا قد انتخب رئيسا للرابطة الإسلامية الهندية , وف السنة التالية ـأى سنة ١٩٣٥م. حين طبق الدستور الجديد فى شبه القارة بشكل المشرو ع القانونى لحكومةالهند عقد انتخاب جديدة تحت الدستور الجديد هذا فشاركت الأحزاب السياسية الهندوكنة كلها فى الانتخابات مشاركة كاملة ,وفى عام ١٩٣٧م قامت المجالس الوزارية للكونجرس الهندى فى معظم الأقاليم وخلال هذه الفترة من الحكم المحلى تعامل الحكام الهنادكة مع الأقليات المسلمة تعامل الكبر والإهانة حول نشوة السلطة السياسية مما زاد الطين بلة وأضاف إلى إساءة العلاقات بين الهنادكة والمسلمين وذهنت أمال التفاهم كلها كأمس الوابر فلم يبق طريق أمام المسلمين غير التنظيم السياسى من جديد لإعدار برنامج سياسى مستقل من أجل تحقيق الهدف الذى يريدون وبهذه الحلفية من الظروف المتغيرة فقد إقبال موقفه من دولة إسلامية بأسلوب مختلف جديدفكتب رسالة إلى (محمد على جناح) فى٢٨مايو ١٩٣٧ م قال فيها: (٩٠)

"إن تطبيق الشريعة الإسلامية وتطورها فى شبه القارة لا يمكن إلا إذا أنشئت دولة إسلامية مستقلة أو دول إسلامية مستقلة فهذا ماأعتقد منذ سنوات فماذا رأيك أنت ؟, أفليس الوقت قد حان لتقديم المطالبة مثل هذه ؟!"

ثم كتب رسالة أخرى إلى (محمد على جنا) فى ٢١يونيو ١٩٢٧م قال فيها(٩١):

"إنك مسلم الوحيد اليوم الذى يحق للأمةإسلامية أن ترجع إليه فى القيادة الرشيدة والإرشاد السليم , إن إحلال السلام فى الهند وإنقاد المسلملمين من سيطرة الهنادكة وهيمنتهم وسيلة وحيدة وهى التى قد ذكرتها لك فى أعلاه أى تطبيق الإصلاحات الإسلامية فى إتحاد مستقل للأقاليم الإسلامية فى الشمال الغربى من الهند وكذلك فإن مسلمى (بنغال) لا يمكن حرمانهم من حق تقرير المصير مثل بقية الشعوب الهندية أو الشعوب الأخرى خارج الهند."

فهكذا خرج إقبال من اقتراحه بإنشاء إقليم إسلامى أو دولة إسلامية سائدة داخل إطار فيدرالى للهند إلى إنشاء إتحاد مستقل من أقاليم الأغلبية الإسلامية فى شرق الهند والشمال الغربى منها وهذا الاتحاد كان بإمكان أن يكون دولة ذات سيارة واستقلال بالإضافة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية أو الإصلاحات الإسلاميةفيه ليكون دولة إسلامية فى أصح معانى الكلمة وأدقها ,ويقول (محمد

على جناح) وهو يوضح خليفة الرسائل بينه وبين إقبال (٩٢):

"إن أفكاره وأراءه كانت توافق أفكارى وآرائى . إن أفكاره ورآراءه قد قادتنى بعد التجارب التى مررت بها وبعد دراستى الحذرة للمشاكل الدستورية فى الهند إلى نفس النتائج التى كان إقبال قد سبقنى إليها ثم الإعلان عن هذه الأراء شئيا فشئيا كمطالبة موحدة لمسلمى الهند فى قرار الرابطة الإسلامة الهندية الذى ثم اتخاذه فى لاهور والذى يعترف "بقرار باكستان " اليومز"

ويقول (محمد على جناح) فى مضع آخر متحدثا عن فكرة إقبال بإنشاء دولة إسلامية فى الهند(٩٢):

"ومع كونه شاعرا عظيما نابغة ومفكرا كبيرا فريدا لم يكن إقبال أقل شأنا ومنزلة من رجل سياسى عملى ويحكم عقيدته وإيمانه بمبادئ الإسلام كان من الأنذاذ فهو الذى قد فكر فى إمكان إنشاء دولة إسلامية فى الشمال الغربى للهند والمناطق الشرقية الشمالية منها والتى كانت ولا تزال مواطن تاريخية إسلامية"

لنا فى حاجة إلى بحث أو نقاش فى أن (الشوذرى رحمت على) كان قد أعلن "شروع باكستان"الذى أعده قدمه إقبال بعد مدة من خطبة (إله آباد) كما أننا لنا فى حاجة إلى بحث ونقاش ايضا عن الاقتراح الذى قدمه إقبال عن إنشاء دولة إسلامية بأنه كان يختلف تماما من مشروع باكستان الذى قدمه (الشوذرى رحمت على) ولكن (الشوذرى رحمت على) نفسه يمكن أن يكون موضع بحث ونقاش بهذه المناسبة إذا أثيرت أسئلة عنه لا تزال تنتظر الرد عليها وهذه مهمة من يتناول من المؤرخين حياة الرجل وأعماله إلا أن هذا المؤلف قد لا حظ أكثر من مائة رسالة (للشوذرى رحمت على) والتى بعث بهاإلى المغفور له (الخواجا عبد الرحيم (٩٤) زأن درراسة هذه الرسائل توضح لنا جليا بأن (الشوذرى رحمت على) كان ممن يدعى الحب لأقبال والتكريم له فى ظاهر الأمر أما فى الحقيقة فإنه لم يكن معجبابه ولعل الرجل كان يجد فى دخليه نفسه من الكمد على ماسبقه إليه إقبال من اقتراح بإنشاء دولة إسلامية ,فمثلايقول فى رسالة كتبها فى ١٤ أكتوبر١٩٣٥م :

"وليسي أحد فينا من ينكر فا قام به حضرة الدكتور من الخدمات الجلية الإسلام .أما قاله أحدأتباعه (السيد رشيد) بأن حركة باكستان ترجع إلى حضرةالعلامة وأن له أهمية فيها فيبدوا أن حضرة الدكتور إذا لم يرد أن يصرح بأمر على لسانه فى مجالسه الخاصة فإنه لا ينكر ذلك علىالأقل ,أماا لأن وقد مرت هذه الحركة باكستان بعد أن مرت بالمراحل الخطيرة والجهودر المبذولة

الكبيرة فإن قلب حضرة لا يحفل أن يحرمنا جميعا عن الصلة بهذه الحركة وأن ينتحل خيرها وشرها من النتائج لنفسه ولعلك لا تزال تذكر الكلمات التى نطقتها يومها قائلا بأننى لن أسمح لك أن لإقبال . أنتحصل على العضوية لحركة باكستان حتى تتنازل عنلقب السير ويبدو أن حضرته قد سيطر عليه اليأس الأن بسبب المرض الذى أثر فى قوته الصوتية ولهذا السبب قد أخذ يتعدى على المساكين البؤساء من أمثالنا فإذا اتضح لى بأنه اقترق جريمة السرقة فيكون من الازم حينئذ أن ألخص جميع الأقوال التى صدرت من حضرته فى هذا الموضوع وهى تعبرعن عيوبه المؤلمة وأرجوك أن يبقى هذا الجانب من الحديث متصورا على نفسك أ و على خواصك من الأصدقاء لا يطلع عليه الآخرون"

وكثير رسائل (الشوذرى رحمت على) تدل على بغضه وحقده على إقبال فله رساله كتبها فى ٢ فبراير ١٩٣٣م ذكر فيها التناقض الذى وجده بين فكر إقبال وعمله فقال بأنه تناقص مؤلم, وكذلك له رسالة أخرى كتبها فى١١أبريل ١٩٣٣م قال فيها (للخواجا عبد الرحيم) على سبيل الشكوى " إن المسعور . يعنى إقبال . صاحب شارع (ميكلود) لم يكتب إلى بشئ حتى ولو بكلمة واحدة " وهذا يدل على أن إقبالا لم يعرأى اهتمام (للشوذرى رحمت على) الذى كان يرى نفسه اهلا لذلك.

وكذلك فإن دراسة هذه الرسائل تدل على أن (الشوذرى رحمت على) لم يكن وحده قد ابتكر" مشروع باكستان " و إنما شاركة فى هذه العملية (الخواجا عبد الرحيم) أيضا فهو يعترف بذلك فر رسالة كتبهافى أول نومبر سنة ١٩٣٣م قال فيها:

"إن المجالس الإسلامية فى كمبردج ولندن تمتاز بلون من الأسلمة وذلك كله يرجع إلى فكرة ابتكرناها أنا وأنت كلانا فى سنة ١٩٣٢م ونحن ندرس معا فى كمبردح"

وعلى هامش هذه الرسالة توجد ملحوظة باللغة الانجليزية كتبها (الخواجا عبد الرحيم) بخط يده قائلا فقد اعترف بأن هو وأنا كلانا قد ابتكرناهذه الفكرة معا" إلا أن (الخواجا عبد الرحيم)كان موظفا حكوميا مما جعله يتخلف ويبقى وراء السقار وفى كمبردج كان عدد من الطلاب المسلمين بالإضافة إلى (الخواجا عبد الرحيم) يرون نفس الرأى الذى كان يراه (الشوذرى رحمت على) وكانوا يكافحون جميعا من أجل " حركة باكستان القومية " ولكن يبدوأن حركة باكستان القومية هذه لم تخرج من حدود كمبردج فلم . يسمع بها أحد من مسلمى الهند

حتى ولو بالاسم ولعل هذا هو السبب الذى جعل (الشوذرى رحمت على)بقيت خارج الهند ولكن الرابطة الإسلامية الهندية تحت قيادة (محمد على جناح كانت قد اتخذت قرار لاهور التاريخى فى ١٩٤٠م ثم قادت حركة باكستان الوطنية التى انتجت أخيرا دولة باكستان الإسلامية ويبدو أن (الشوذرى رحمت على) قديئس من قيادة (محمد على جناح) قبل إنشاءباكستان ببضعة أشهر فهذه هى المرحلة من حركة باكستان حين وافقت الرابطة الإسلامية على مشروع " بعثة المجلس الشاملة " وفى مقدمة المجلد الاول من بأن (الشوذرى رحمت على) قد غضب من(محمد على جناح)فألف كتيبا ضده اتهمه فيه بعيوب شخصية يصعب على القارئ بسببها أن يستمر فى قراءة الكثيب الذى يحمل العنوان " خيانة كبرى وكيف يمكن إنقاذ الأمة " بالانجليزية وقد نشرهذا الكتيب أخيرا من ضمن طبعة باكستانية لكتاب (الشوذرى رحمت على) " باكستان" بالانجليزة ونشره " بك تريدرز" أى تجار الكتب . لاهور وقد جاء (الشوذرى رحمت على) إلى باكستان بعد إنشائهافاستأجر " فيلا" فى شارع (جلبرج)) بلاهور لينزل ولكن لم يجعل به أحد من الناس وإنما كان تحت مراقبة المخابرات المستمرة مما جعله يعود إلى كمبردج مرة أخرى . إن هذه الدراسة العابرة لحياة (الشوذرى رحمت على) وسيرته تدل على أن المسكين كان متجبرا أبيا ولكنه كان يائسا متشائما فى نفس الوقت ويبقى يشرف على " حركة باكستان الوطنية" وهو فى كمبردج بصفته مبتكرا الفكرة " ومشروع باكستان " و لكنه لم يأت إلى الهند ليشارك فى السياسة العملية الإسلامية روغم ذلكفظل يعيش بين ظنون وأوهام معتقدا منه بأن إقبالا قد سرق مشروعه كما أن الفضل قيادة حركة باكستان الناجحة والحصول على باكستان يرجع إلى (محمد على جناح) وذلك أيضا خطأ فى رأية.

والواقع أن العديد من الانجليز والهنادكة والزعماء المسلمين الكبار كانوا قد اقتراحوا بإنشاء دولة إسلامية أو تقسيم الهند إلى دولتين كحل وحيد لمشكلة العلاقات الطائفية بعد اتحاد قرار لاهور وخاصة بعد إنشاء باكستان قد جرى بحث علمى عن هذا الموضوع حيث حقق الباحثون بأن إقبالا كان من بين هؤلاء الشخصيات البارزة التى اقتراحت بتقسيم الهند إلى دولتين ولكن لا نعرف شيئا عن المصالح السياسية التى كانت وراء هذا البحث العلمى كله .وقد تحقق بوضوح كامل بأن إقبالا كان قد وصل إلى النتيجة أخيرا بأن لا بد من إنشاء اتحاد مستقل سائد يشتمل على أقاليم الأغلبية الإسلامية فى الشمال الغربى

للهندوالشمال الشرقى لها حيث يمكن فيه تطبيق الاصلاحات الإسلامية أو الشريعة الإسلامية فكان إقبال حيث يرى إنشاء دولة إسلامية مستقلة سائدة فى أصح معانى اللكملة ويصرد(محمد على جناح) بأن أفكار إقبال قد قادته إلى نفس النتيجة التى وصل إليها نفسه ثم أصبحت هذه الأفكار إراداة موحدة المسلمى الهند جميعا و عبر عن هذه الإرادة قرار لاهور الذى اتخذته الرابطة الإسلامية .ومن الظاهر جليا أن إقبالا كان يتمنى أن يرى هذه الدولة كدولة إسلامية فى أصبح معانى الكلمة وهذا ماكان يشعربه (محمد على جناح) ايضا الذى يوافقه فى رأيه موافقه تامة. ثم أصبحت فكرة الدولة الإسلامية على حد تعبر (محمد على جناح) إرادة شعبية إسلامية موحدة وهدفا مشتركا وعبر عن ذلك قرار لاهور الذى اتخذته الرابطة الإسلامية , ,أما (محمد على جناح) فقد مات بعد إنشاء باكستان بسنة تقريبا وأما القيادة الباكستانية التى حلى محل (محمد على جناح) بعد وفاته فإنها كانت قد إتخذت قرار الأهداف فى عصر (لياقت على خان) إلا أن معظم زعماء الرابطة الإسلامية وغير هم من الزعماء السياسيين لم يكونوا يريدون أن تكون باكستان دولة إسلامية رغم إعلانهم بأن باكستان سوف تكون جمهورية إسلامية ,وبذلك يتضح المصالح العاملة وراءالبحث العملى الذى جرى بعد إنشاء باكستان والذى حقق بأن إقبال كان أحد الكبار من المسلمين و الهنادكة والانجليز الذين اقترحوا تقسيم الهند إلى دولتين ,وعند ما قال (م . أ . ح اصفهانى) بأن القول الذى يجعل إقبالا مبتكرا الفكرة إنشاء دولة إسلامية إنما هو قول يشوه التاريخ فما هى إذن الأهداف التى تعبر عنها وإنما انتشر التعصب المحلى بين الشعب الباكستانى وفشل الزعماء السياسيون وسيطرت البيروقراطية على الحكم والسلطة فى البلاد وعندما اتضح عدم صلاحية البيروقراطية استوالى الجيش على حكم البلاد ث قامت انتخابات عامة نجحت فيها أحزاب سياسية كانت تؤمن بأفكار غير إسلامية وتعصب محلى وكان قادتها من السياسيين الامنتهازيين الذين مزقوا باكستان فجعلوا منها قطعتين وأما إقبال نقد علم الوحدة الإسلامية للعبيد المحكومية أهداهم إلى طريق الحرية والاستقلال وأنه كان واعية من دعاة التوراة الإسلامية فى شبه القارة والتى أوت أخرا إلى إنشاء باكستان . والحقيقة أن إنشاء باكستان كانت أول تورة إسلامية على أساس النهضة الإسلامية فى العالم الإسلامى المعاصر ولكن هذه الثورة لم تحقق بعد وكانت النتيجة هى تقدم التعصب المحلى فى باكستان وأما إقبال الذى كان مفكر الثورة الإسلامية وشاعر ها فقد أصبح شاعر بنجابيا فقط وحبسوه فنقضى بنجاب ! ولعل إقبالا كان

على علم بعقاب الجريمة التى قدارتكبها ومن ثم قال فيما نظمة من الشعر مامعناه:

إن الجريمة التى ارتكبته أنت يا إقبال هى أنك تقيم المجالس وتزينها رغم مثل الدهر لا يتصل كثيرا باالناس

إن إطاكين الفقراء الذين كانو قد تعودوا الحشيش قد أثارت فيهم نغماتك طموحا أنك وتطلعا إلى المكارم والمعالى والأمجاد:

إن هوء لاء الطيور الذين كانوا قد كسروا أجنحتهم وكانوا رااضين بالعيش السهل فى ساحات المنازل قد أصبحوا الأن قلقين مضطر ين يتطلعون إلى الأجواء الزرقا من السماء.

فإنك تستحق الأن ال معاقبة وهى نحرمك ياإقبال من الدعاء فى السحر ونحر مك ايضا من الطموح والتطلح إلى المكارم والأمجاد !

فهذه جائزة نالها إقبال منقبل باكستان التى لم تنح لها أن تحقق من المستوى الذى أرادها إقبال كدولة إسلامية كبرى ولكن إقبالا كانت له صلةبا الهند أيضا وكان ينتسب غلى أرضها وذلك لأن ابن البراهمة هذا أو"الكافر الهندى) الذى نادى بثورة إسلامية وبالتجويد الدينى بعد أربعة عشر قرنا للعالم الإسلامى فى القرن العشرين كان ينتمى إلى أرض الهند نفسها ولكن أهل الهند جعلوا من إقبال مسلما طائفيا متعصبا حر من الناس بأفكاره على تقسيم الوطن وتمزيقه ومن ثم أصبح من الجريمة ذكر إقبال فى الأوساط الهندية.

على كل حال فقد تغيرت الظروف فى عام ١٩٧٧م تغيراواسعا فعقدت الحفلات عن ذكرى إقبال المسئوية فى الهند وبذلك بدأ طور جديد للبحث والتحقيق عن إقبال كما أن باكستان قد بدأت فيها محاولات جديدة بحكم الطموح الجديد للتجديد الدينى أو النهضة الإسلامية , وبذلك تحرر إقبال من قضى بنجاب ونال مكانة شعبية لائقة وفى أثناد ذلك قامت ثورة فى إيران فأصبح إقبال مفكرا من مفكرى الثورة الإسلامية فى إيران مما ألفه (على شريعتى),غيره من أهل العلم كتبا كثيرة عن شعرا إقبال وفكره.

الفصل الثامن عشر

مؤتمرات المائدة المستديرة

وقد انتهى مؤتمر المائدة المستديرة الأول فى١٩ يناير ١٩٣١م مع أعلان من قبل رئيس وزراء بريطانيا بعقد مؤتمر ثان وبذلك مهد الطريق لشاركة الكونجرس الهندى فيه وكان المؤتمر الاول محمد كون ثمانى لجا ن صغيرة ولكن الخلافات بين الهنادكة والمسلمين قد حالت دون قرار حول الاحتفاظ والضمان بحقوق الأقليات أما المبادى الهامة اتى نوقشت عن طراز الحكم فى المستبف خلال الإجراءات التى تمت فهى أن الحكومة سوف تكون فيدرالية تضم أقاليم الهند البريطانية بالإضافة إلى الإمارات المحلية وأن الحكومات الاإقلمية سوف تتمتع بسلطات محلية كاملة لى الشؤن الرسمية كلها غير الدافاعه والشئون الخارجية التى ستكون تحت إشراف الحكومة الفيد را لية .

وقدذكر فيما مر بنا بأن ستة عشر مندو با مسلما كانوا قد شاركوا فى المؤتمر الأول بما فيهم الشيخ(محمد على جوهر) والسير(آغاخان) و(محمد على جناح) والسير (محمد شفيع)والمولوى (فضل حق) ولم يتلق إقبال دعوة للمشاركة ولكن اشيخ (محمدعلى جوهر) توفى فى لندن فجأة وقرر(محمدعلى جناح) الإقامة فى انكلترا وبذلك كان الناس يخشون أزمة قيادة فى السياسية الإسلامية الهندية ,أماا رأى إقبال فى الشيخ(محمد على جوهر) فهو كما جاءفى هذا النص :(١)

"إن نهاية المغفور له (محمد على جوهر) نهاية صالحة بدون شك رغم أننى لم أكن من المعجبين بموافقة السياسية أبدا ولكننى أقدر بساطة الخلقية وإيمانه القوى بالأسلام كما أننى أستحسن موقفه من الصدق والأمانة فى تغيير إرادته آرائه إذا اتضح له بأنه كان على خطأ"

ولم يبق أحد من الزعماء المسلمين بإمكان ه أن يضطلع المهمة النقاش أو المحادثات عنالتفاهم بين الهنادكة والمسلمين غير الشيخ (شوكت على) وأما إقبال فكان قد تورط فى وحل السياسة الإسلامية الهندية على حد تعبير إقبال نفسه بشكل لم يترك له مجالا للتخلص أوالخروج .

وفى مارس ١٩٣١ م تمت اتفاقية بين (عاندى) واللورد (إرفين) وطبقا لهذه الاتفاقية وافقت الحكومة الانجليزية على الإقتراح عمن قبض علهيم من الزعماء والعاملين السياسيين خلال حركة العصيان المدنى كماأن الكونجرس الهندى قد أعلن عن سحب حركة العصيان المدنى ، وفى الشهر التالى عاد (اللورد،ارفين) إلى

انكلترا وحل محله كنائب الأمبراطور البريطانى على الهند (اللورد ويلنجدن) وخلال هذه الفترة نفسها تمت محاولة أخرى من أجل التفاهم بين الهنادكة والمسملين وأما الرابطة الإسلامية فكانت ممزقة مفرقة ومن ثم لم تعدلهامكانة سياسية فى الوسط الهندى إلا أن المؤتمر الإسلامى الهندى كان قد احتل مكانة سياسية لا بأس بها فعقد اجتماعه فى مدينة (دلهى) ووصل إقبال إلى دلهى فث أبريل ١٩٣١م ليشارك فى اجتماع المؤتمر الإسلامى الهندى هذا ونزك ضيفا على (الشيخ غلام على صابر) فى قروك باغ)من أحياء مدينة (دلهى) (٢) والتقى (غاندى) بزعماء المؤتمر الإسلامى الهندى إلا أه رفض الاعتراف باالمطالب الإسلامية لأنها لم تكن متفقا عليها أى أن الزعماء الظروفنشأت فكرة عند (الشيخ شوكت على)أن يبادر للمفاوضات مع زعماء الحزب الإسلامى الوطنى لكى يبحثوا عن اساس يقضى على الخلافات بينهم وكان زعماء المؤتمر الإسلامى الهندى والحزب الإسلامى الوطنى يتفقون على ثلاث عشرة نقطة منبين أربع عشرة إلا أن نقطة واحدة كانوا يختلفون عليها وهى نقطةالانتخابات-

هل تكون مستقلة أو مختلطة .وبغض النظر عن هذه الخلافات فقد كانت المحادثات مشجعة فى ظاهر الأمر مما جعل (الشيخ شوكت على) يرجوا الأمير (حميد الله خان) صاحب إمارة (بهوبال) أن يوجد الدعوة إلى زعماء المؤتمر الإسلامى الهندى والحزب الإسلامى الوطنى وقبل أن يغادر إقبال إلى (بهوبال) عقد مسلمو لاهور اجتماعا عظيما خارج باب (موتشى) بلاهور فى٣ مايو ١٩٣١م ليؤيدوا مبدأ الإنتخاب المستقل إلى جانب المطالب الإسلامية الأخرى وترأس إقبال الاجتماع وألقى كملة أعلن فيها بأن هذا الاجتماع هى الحلقة الأولى من سلسلة الاجتماعات المتعددة التى ستعقد فى مثل هذه الساعة خطيرة من تاريخنا لإيقاظ المسلمين ونهضتهم وبث الروح المعنوية فيهم لكى يدخلوا مجال السياسة العملية بكل ثقة وقوة ، وكان مما قال بهذه المناسبة :(٣)

"إن السيد (غاندى) قد عن مؤتمر (دلهى) الإسلامى بأن المطالب الإسلامية ليست شفقا عليها ولكنه ليس على الحق فيما قال فقد كنت بين من حضرة فى هذا اللقاء فقلت له بأن طبقة من الهنادكة أيضا تريد انتخابا مستقلا بينما توجد طبقة منهم تطالب بالانتخاب المختلط كما أن فيهم طبقة ثالثة تريد الديمقراطية الاشتراكية ، فإذا كانت هذه الخلافات توجد بين الهنادكة أنفسهم فإن الخلافات العادية بين المسلمين لا يعتبرها غذرا معقولا إلا منافق ويجب قبل كل شئ أن نعرف معنى القومية أو الوطنية وذلك لأن تجربة القومية أو

الوطنية التى مرت بها أوربا لم تكن نتيجها غير الإلحاد واللادينية وهذا ما يحدث فى الهند أيضا .يوجد عند نا ما أعلنه الرسول العربى . صلى الله عليه وسلم . بقوله إن الفوارق الجنسية والطبقية والجاهلية والفخر بالآباء أمزقها تحت قدمى هاتين وأنتم مسلمون جميعا وهذا هو الاسم الصحيح لكم لأن الأمم التى تعيش فى الهند كلها تريد أن تحتفظ بخصائصها وحقوقها وهذا هو نفس الشئ الذى يريده المسلمون إن المسلمين لا يريدون الحكم على غيرهم كما أنهم لايريدون أن يحكم عليهم أحد غيرهم ويستعبدهم .إننى أريد من الشباب المسلمين أن يعرفوا فكرة القومية ويدركوا حقيقتها ، يجب على الشباب المسلمين أن يقوموا بتنظيمهم قبل كل شئ وجهودنا هذه ليس الغرض منها إلا إنقاذ المسلمين من رواسب الجهل والتخلف حتى لا يبقوا متخلفين جفاه مثل القبائل الهجية وينتظر منكم أيها الإخوة أن تدخلوا معركة هائلة وتقدموا من الضحايا وهذه المعركة سوف تكون ضد الرأسمالية الملعونة فعليكم أن تكونوا مستعدين دائما لمثل هذه المعارك والضحايا وإذا كان أحد يتقد بأن شعبا آخر أو الإنجليز سوف يقومون بمهمة إنقاذنا ومساندتنا فإنه بائس شقئ للغاية فعليكم أن تنهضوا واستقيموا وإلا فلا حق لكم فى الحياة "

وصل إقبال إلى (بهوبال) فى ١٠ مايو ١٩٣١ م وكان معه (غلام رسول مهر) بأنزلوهما فى منزل رسمى كان يسمى " قصر راحت منزل" وأقام إقبال يومين فى (بهوبال) والتقى بأمير (حميد الله خان) باالإضافة إلى المشاركة فى المحادثات والنقاش مع زعماء المؤتمر الإسلامى الهندى والحرب الإسلامى الوطنى (٤) إلا أن الخلافات بين هؤلاء الزعماء أخذت تشتد وتتسع شيئا فشيئا ،وهكذا تمثمر محاولة التفاهم بين الهنادكة والمسلمين والتى تحت قبل عقد مؤتمر المائدة المستديرة الثانى .وقد صدر تصريح صحفى عن هذه الحاولة فى ١٢ مايو ٩١٣١م وكان قد وقع من إقبال والشيخ (شوكت على على محطة (دلهى)للقطار عائد ا من (بهوبال)فأجرى معه مقابلة صحيفة على المحطة ممثل جريدة " سقيسمان" الانجليز فى ١٣ ميايوا ١٩٣١م (٦) واتضح من تصريح صحفى أدلى به إقبال فى ١٥ مايو الأنجليزية فى ١٣ مايوا ١٩٣١ م (٦) واتضح من تصريح صحفى أأدلى به إقبال فى(٥١) مايو عام ١٩٣١ و بأن زعماء الحزب الإسلامى الوطنى وقادة المؤتمر الإسلامى الهندى لم يتفقوا على شئ فقال إقبال فى تصريحه هذا :(٧)

"وإذا كان الدكتور (أنصارى) والسيد (شعيب) يعتبران المباحث الغير الرسمية من مؤتمر (بهوبال) كميثاق مؤقت فإنهما قد أساء إلى الذين اشتركوا معهم فى المحاثات هذه بل أساء إلى الشعب المسلم كله ، وأريد أن أوضح أيضا حا كاملا

بأن المشاركين فى الاجتماع لم يفكروا فى شئ يمسى بميثاق مؤقت ولم يتم فى هذاالاجتماع غير اقتراحات كانت تهدف إلى التقريب بين ماقرره المؤتمر الإسلامى الهندى وبين ما يعتقده المسلمون الوطنيون المزعومون عن قضية الانتخابات لكى يتمكن هؤلاء الزعماء من الانضمام إلى الأمة الإسلامية الشاملة التى قررت باحتفاظ المبدأ القائل بالانتخاب المستقل للمسلمين وذلك قرار لا يترك مجالا للشك إنهم سارعوا إلى (غاندى) فعر ضوا عليه الاقتراحات التى تناقش إطلاقا وعبروا عنها بميثاق مؤقت وذلك يدك على أنهم يستغلون مؤتمر (بهوبال) كوسيلة للشائعات التى لا حقيقة لهاأساس وأنا على ثقة كاملة بأن عقد اجتماع آخر فى (بهوبال) أوفى (شملا) لن يفيد المسلمين الهنود فى شئ وإنما سوف يضر مصالهم ضررا شديدا"

إن الخلافات التى نشأت حول مشكلة الإنتخابات من مستقلة أو مختلطة بين الزعماء المسلمين من الكونجرس الهندى وبين غيرهم من الزعماء المسلمين لم يتمكن أحد منهم القضاء عليها وفى ناحية أخرى لم يتم التفاهم السياسى بين الهنادكة والمسلمين وفى أثناء ذلك أى فى أبريل ١٩٣١م نشأت مشاغبات طائفية بين الهنادكة والمسلمين فى العديد من مدن الهند وقد شاهدت مدينة (بنارس) و(آجرا) و(مرزا بور) و(كانبور) أسوأ صورة ووأخطرها من الشاغبات الطائفية وكان أقبحهاما شاهدته مدينة (كانبور) حيث اقتحم المشاغبون الهنادكة كل بيت مسلم فقتلوا أهلة رجالا ونساء وأطفالا قم أتقوا النقط على المنازل ثم أشغلوا فيها النار وهدمت المساجد فوجه إقبال والزعماء المسلمون الآخرون نداء فى جرائد ١٤ يونيو ١٩٣١ م إلى مسلمى بنجاب وسرحد و السند ليغيثوا إخوانهم المظلومين فى (كانبور) ورجوهم أن يقدمو مساعدات مالية فى صندوق التبرعات لمسلمى (كا نبور) المنكوبين . وهذا نص ماجاء فى الرجاء هذا:(٨)

"إن مجزرة مسلمى (كانبور) بعد مجاز ر (بنارس) و(آجرا) و(مرزابور) كانت مجزرة هائلة رهيبة وهى تحدى الشعب المسلم الهنديت بأن أعداءهم يخططون للقضاء عليهم ومسحهم عن البلاد وأنه لا يوجد أحد من يغيثهم أو يساعدهم إن المشرقين لم يرتكبوا من الفظائع ضد الانجليز خلال الثورة ماارتكبه الهنادكة ضد المسلمين فى هذه المدينة، فكما أن عصابة من الصيادين قطيعا من وحوش البادية فيطلقون النار عليها فنفس الشئ حدث فى (كانبور) قد حرقوا الألاف من منازل المسلمين وخطفوا الأدوات من أيدى أصحاب المهن الممختلفة فمزقوها بالمطارق الثقيلة إنهم قتلوا المسلمين العزل البائسين ثم اقوا النقط عليهم فحرقوهم حتى أنهم حرقوا الأحياء منهم وهم ينتحبون ويسغيثون

وتشهد قطرات الدماء على جدران البيوت والمساجد على الحوادث المؤطة الظيعة حيث ضربوا المسلمين البائسين ضربا تشديدا ثم شدخوا رؤوسهم وقد هدموا ثلاثين مسجدا كما أنهم ارتكبوا الجريمة الظيعة التى هى إهانةالقرآن الكريم"

إن المشاغبات الطائفية مفى مدينة(كانبور) التى قتل فيها المسملون الأبرياء الكثيرون قد أثرت فى نفس إقبال تأثيرا بالغاللغاية مما جعله يئس مرة أخرى من توحيد الهنادكة والمسلمين وقد بداء يفكر تفكيرا جادا بأن الحكومة البريطانية إذا أهملت المسلمين من أجل استرضاء الأغلبية الهندوكية خلال مؤتمر المائدة المستديرةالقادم فإن المسلمين لهم الحق أن يتجهوا انحوا الاتحاد السوفيتى أو الشيوعية فهذه هى الخلقية العقلية التى جعلت إقبال يكتب رسالة فى ٣٠ يوليو ١٩٣١م إلى السير (فرنيس يوئنج هسباند) ويقول به(٩)

"إن بريطانيا إذا حاولت أن تستغل الخلافات الطائفية فى مؤتمر المائدة المستديرة القادم فإن ذلك يجر وبالاً ودماراً على البلدين إنهم لو فوضوا السلطة السياسية إلى الهنادكة لا لغرض أو سبب إلا لكى تستطيع بريطانية أن تستغل الوضع على أيدى الحكام الهنادكة فإن ذلك مما سوف يكره المسلمين أن يستخدموا نفس السلاح ضد الحكومة الهندوكية أو الحكومة الانجليز الهندوكية الذى كان يستخدمه (غاندى) ضد الحكومة البريطانية وبالإضافة إلى ذلك فقد تكون النتجة التى تكره آسيا الإسلامية كلها أن تميل إلى الشوعية الروسية ولست أظن أن أهل الروس شغب لا يميل بطبيعته إلى الدين وإنما أعتقد بالعكس وأظن أن عندهم نزعات وهيوك دينية وأن هذه الكيفية السلبية المعاصرةللعقلية الروسية لا يمكن أن تدوم طويلا وإلى مدة غير معلومة وذلك بأن لا يمكن لأى نظام اجتماعى أن يقوم على الادينية بصفة مستقلة دائمة وعندما تهدا أالظروف فى هذه البلاد وتتاح الفرصة لأهلها أن يفكروا تفكيرا هادئا باردا فلا بدلهم أن يبحثوا عن أساس إيجابى لنظامهم الاجتماعى هذه إن الشوعيةإذا أضيقت إليها العقيدة بشريعة الله فإنها قد تشبه الإسلام أو تقاربه ومن ثم لن يدهشنى ابدا ولن يكون غريبا بالنسبة إلى إذا استولى الإسلام على الروس أو استولى الروس على الإسلام يوما فى المستقل وأن النتائج فيما أظن تقصر على المكانة التى سوف يحتلها الشعب المسلم الهندى تحت الدستور الجديد القادم."

وخلال هذه الفترة أثار الطلاب المسلمون ضجة ضد العميد الانجليز الكلية الهندسة بلاهور وذلك لعاداته وحقدة وبغضه للإسلام والمسلمين وأن وفد امن الطلاب المسلمين حضر عند العميد هذا فقدم بعض الشكاوى إليه ولكنه وفض

أن يستمع إلى شكاواهم أو يفعل ما يسا عدهم وإنما قال أشياء ضد الإسلام والمسلمين مما أثار عواطف الطلاب المسلمين وأغضبهم فذهب الطلاب الغاضبون الثائرون إلى مكاتب الصحف والجرائد كما أنهم اتصلوا بإقبال وغيره من الزعماء المسلمين السياسيين ثم بدأت سلسلة من الاجتماعات الشعبية والتظاهرات الاجتماعية كما أدانت جمعيات وهيئات إسلامية وجرائد عديدة موقف العميد فعقد اجتماع إقبال الاجتماع فقال فى كلمته الرياسية:(١٠):

"وبما أن المسلمين يعيشون متفرقين متناحرين أخذ كل شعب يعاندهم ويبغضهم إن هذا الوضع وضع مؤلم جدا جربتم الالاف المؤلفة من الحيل المعالجة المصائب التى تعانون منها فعليكم اليوم أن تجربوا حيلة علمنا ها محمد العربى . صلى الله عليه وسلم . وهو قوله صلى الله عليه وسلم إن وحدة أمتي حجة قاطعة فعليكم بالوحدة أيها الإخوة، فإذا تمت الوحدة مرة فرغم أن الحيل والحاولات السابقة لم تنفعنا في شيء فإن هذا الدواء النافع الشافي الذي أخبرنا به سيدنا محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم لن يغشل أبدأ."

وأعلن حكومة بنجاب الأنجليزية بإنشاء لجنة البحث والتحقيق في قضية كلية لاهور للهندسة ولكن مسلمي لاهور رفضوا أن يثفقوا بها أو يتعاونوا معها وإنما استمروا يحتجون متحدن فيما بينهم مما جعل الحكومة الانجليزية توافق على ما طالب به المسلمون فأعلنت لجنة جديدة للتحقيق. وبهذه المناسبة عقد اجتماع آخر في ٣٠ يونيو ١٩٣١م في نفس المكان وترأس الاجتماع الشيخ (داود) الغزنوي، فقدم الشيخ(داود) الغزنوي فرارا في الاجتماع فقام إقبال يؤيد القرار قائلا: (١١)

"كنت قد ألقيت كلمة في اجتماعنا الأول وقلت لكم بأن وحدة المسلمين قوة قاهرة كما أ خبرنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمتم بجهودكم مخلصين في عملكم فقد رأيتم النتيجة اليوم وسوف يواجه المسلمون مشاكل مهمة جدا في القريب من المستقبل وهذه المشاكل تتعلق بحاية المسملين الاجتماعي. إن هذه المشاكل تقتضي منكم الصبر والثبات والاستقامة وأنا أدعو الله سبحانه وتعالى أن يوحد بينكم كما وحد بين المسلمين في القرون الأولى"

وأخيرا انتهت هذه السلسلة من الاجتماعات والتظاهرات الاحتجاجية بعد ا لمشاروة التي تمت بين إقبال وبين الشيخ (داود) الغزنوي ولكن المسلمين أصروا على الحضور بين يدي لجنة التحقيق وأداء الشهادة على موقف العميد ولكن

العميد في أثناء ذلك رجا الطلاب المسلمين أن يعفوا عنه وبذلك انتهت هذه القضية. وخلال هذه الأشهر أساءت الظروف في إمارة (جمون وكشمير) وقامت تظاهرات واضطرابات شعبية وبذلك بدأت حركة كشمير المعروفة فقد كان المسلمون الكشميريون منذ مدة طويلة يعانون من الظلم والاضطهاد على أيد الأسرة الحاكمة في كشمير والتي كانت تعرف بأسرة (دوجرة) وكان البؤس والشقاء في البلاد قد بلغ الغاية وكان المسلمون الكشميريون يعيشون حياة القلق والاضطراب منذ وقت طويل وكن حدثت حادثتان في ١٩٣١ مما ذاد الطين بلة وثار ثائر المسلمين، أما إحدى الحادثتين فهي أن المسلمين اجتمعوا في مكان لصلاة الجمعة وقام الإمام ليخطب ولكن ضابطا هندوكيا من ضباط الشرطة صنعه من الخطبة ثم حدثت حادثة ثانية بعد أيام وهي أن جنديا هندوكيا من جنود شرطة السجون في سجن(جمون) المركزي أخذ القرآن الكريم فألقى به على الأرض فعقد اجتماع في (الخانقاه العلي) بمدينة (سعرى نجر) حيث قام مسلم من مسلمي (سرحد) وكان اسمه (عبد القدير خان) فألقى كلمة ثائرة احتج فيها على هذه الحادثة فقبضت عليه الشرطة* وفي ١٣ يوليو ١٩٣١م عرضت قضية (عبد القدير خان) على المحكمة فاجتمع آلاف من المسلمين خارج المحكمة وأرادت الشرطة أن تطرد المتشدين فأطلقت النار عليهم واستشهد واحد وعشرون مسلما، ثم أخذ المسلمون يخرجون متظاهرين ويحتجون على هذا الظلم في مدن كشمير المختلفة فأرادت الحكومة أن تمنعهم بالقوة والعنف، وأخيرا تحولت التظاهرات الإسلامية الشعبية إلى مشاغبات طائفية بين الهنادكة والمسلمين فساءت الظروف ولم يتمكن الأمير (هري سنغ) أن يواجهها فاستنجد الجيش البريطاني للمساعدة.(١٢).

وكان المستوى التعليمي بين المسلمين الكشميرين منخفضا جدا وكانت أبواب الوظائف الحكومية قد أغلقت في وجوههم كما أنهم قد حرموا الحرية الدينية وكانت حكومة الإمارة قد هدمت معظم مساجدهم وفرضعت القيود على جرائدهم واجتماعاتهم وتظاهراتهم وبدأت أخيرا تقبض عليهم وتضعهم في السجون، وكان (الشوذري غلام عباس) و(شيخ محمد عبد الله) من الزعماء الكشميرين السالمين قد قبض عليهم بالإضافة إلى الأعضاء العاملين الآخرين ففرض الحم العسكري في كشمير ونصبت(المناصب)في كل مكان حيث كانوا يشدون المسلمين الكشميرين الأبريا فيلهبون جلودهم بسوط.(١٣)

إن هذه الظروف من الشقاء والبؤس التي كان الكشميريون يعانون منها

أثرت في نفوس مسلمي بنجاب فأخذ (مجلس أحرار الإسلام) يعد آلاف من الأفواج للمطوعين المسلمين الذين أخذوا يدخلون كشمير حتى ضاقت بهم سجون كشمير وفي الأسبوع الأخير من يونيو ١٩٣١م أنشئت لجنة كشمير الهندية لرعاية المسلمين الكشميرين ومساعدتهم وكان (الميرزا بشير الدين محمود) . أمير الجماعة الأحمدية القاديانية . رئيسا للجنة وكان إقبال عضوا نشيطا فيها وكان من أهداف لجنة كشمير الهندية تنطيم الرأي العام لتأييد المسلمين الكشميريين وتطبيق الإصلاحات المختلفة في الإمارة بالوسائل الدستورية والمساعدة العالية للجرحى وورثة الشهداء وتزويد المسلمين المعتقلين بالساعدة القانونية للإفراج عنهم وقرر المسلمون في الهند كلها أن يكون ١٤ أغسطس ١٩٣١م هو "يوم كشمير" للاحتجاج على ما يعاني منه المسلمون الكشميريون من الظم والاضطهاد، ونشر إقبال مع غيره من الزعماء المسلمين رجاء في صحف لاهور للاحتفال بيوم كشمير قد جاء فيه:(١٤)

"أيها المسلمون إن عدوكم قد ظن بعد حملات متتالية عليكم بأن الشعب المسلم شعب ميت فيجب عليكم أن تحتفلوا بيوم كشمير حتى يعرف عدوكم بأن ما ظنه العدو بكم ليس صوابا ويجب أن تحققوا عمليا للعدو بأنكم لن ترضوا بالظم والاعتداء أبدا."

فنظم مسلمو لاهور موكبا عظيما في ١٤ أغسطس ١٩٣١م ليحتفلوا بيوم كشمي وفي نهاية الموكب عقدت جلسة ترأسها إقبال فقام خطيبا بعد تلاوة آيات من القرآن الكريم فقال في كلمة الرياسية: (١٥) في دخل منهم طوقوه من البلاد ولم يكن وقول إقبال إن المسلمين في بنجاب والهند لم يكونوا يهتمون كثيرا بالأوضاع في كشمير حتى إن الذين هاجروا من كشمير لا يعرفون تاريخها معرفة حيدة أما الفظائع من المظالم الأخيرة التي اقترضت في كشمير فقد أيققظت المسلمين في بنجاب وأن المسلمين الذين كانوا يكافحون من أجل حقوقهم الشرعية في كشمير منذ أمد بعيد قد حالوا أن يقدموا مطالبهم لطريقة منظمة فأنشاعت حكومة كشمير والجرائد الهندوكية أخبارا مزورة عن جهود المسلمين الكشميريين فجعلت منها مشاغبات طائفية والواقع أن الحركة التي قامت في الهند كان لا بد لها أن تؤثر في نفوس الكشميريين فتاثروا بجيرانهم فاستيقظوا وأن الوقت هوم الذي أخذ يوقظ الناس وأن الفظائع والمظالم التي عمت كشمير منذ مدة كان لا بد أن تؤثر في نفوس الناس فينهضوا ليطالبوا بحقوقهم الشرعية والتايخ يشهد على أن الذي يفتحون البلاد بالسيف فإن حكومتهم لا تستمر إلا باسترضاء

الرعية. إن المملكة التي اشتروها بالفلوس لا يمكن أن تستمر طويلا ومن ثم يجب على حكومات البلاد كلها أن ترضى أهل بلادها.

وفي تلك الجلسة نفسها ألقى (سيد محسن شاه) كلمة ذكر فيها بأن الجرائد الهندوكية تنشر أخبارا مزورة مختلفة عن الزعماء المسلمين الذين يؤيدون المسلمين الكشميريين فذكر نبأ نشرته جريدة "كيسرى" الكشميرية فقالت بأن إقبال يريد أن يكون رئيس وزراء كشمير وأن (سيد محسن شاه) يتمنى أن يكون قاضيا وفي هذه المرحلة تدخل إقبال فأعلن في الاجتماع بأنه يلعن الوزارة التي تكون لمثل هذه الحكومة (١٦) وكانت جريدة "تريبيون" الهندوكية قد نشرت أنباء مزورة من هنا النوع أيضا، ففي ٢٦ أغسطس ١٩٣١م نشرت الجريدة مقالة قال كاتبها بدون أن يذكر اسم إقبال بأن ما ينويه كبار شخصيات إسلامية يتضح مما علمنا بأن زعيما مسلما بارزا في الهند البريطانية يريد أن يستغل المشاغبات في كشمير فقد قدم طلبا للحصول على منصب في مجلس وزراء كشمير فسأل مدير "انقلاب" إقبال: من هو هنا الزعيم البارز؟ فقال إقبال:(١٧):

> "لأ أعرف هذا الزعيم البارزين هو؟، ولكن ما دامت جريدة هندوكية قد ذكرت اسمي قبل ذلك فلعل هذا الكاتب يعنين أنا أيضا فأنا أرفض هذه الشائعة عني بكل قوة ووضوح فقط قلت في اجتماع (يوم كشمير) بكل صراحة بأنني ألعن الوزارة هذه فإنني لم أقدم الطلب أبدا لمنصب أكبر من هذه الوزارة وبالإضافة إلى ذلك فإنني عضو في لجنة كشمير الهندية التي تريد إصلاح نظام الحكم في كشمير وارى أن أحدا رغم عضويته في هذه اللجنة إذا قدم الطلب لمثل هذا المنصب فهي خيانة لا يرضى بها أي دين."

وكان إقبال قد جمع التبرعات لمساعدة المنكوبين الكشميريين فأرسل هذه البالغ إلى كشمير كما أنه بعض بعض المحامين الناجحين إلى كشمير من أجل المساعدة القانونية إلا أن حكام كشمير لم يسمحوا لهم بالدخول ومن دخل منهم طردوه من البلاد ولم يكن دخول إقبال في كشمير مسموحا به أيضا واستمر هذا المنع مفروضا عليه إلى نهاية حياته فرغم رغبته في زيارة كشمير لم يستطع إقبال أن يراها قبل موته وكانت نتيجة جهود إقبال هذه هو إنشاء لجنة"جلانسي" التي قامت بالتحقيق ثم أوصت في تقريرها بالعديد من الإصلاحات(١٨).

وفي عام ١٩٣١م شيخ نائب الأمبراطور البريطاني إقبالا للمشاركة في مؤتمر المائدة المستديرة الثاني وكان ذلك على حد قول (عظيم حسين) باقتراح من (السير فضل حسين) (١٩) وكانت الحكومة الانجليزية قد وجهت الدعوة إلى

المندوبين في ٤ أغسطس عام ١٩٣١م وكان لا بد لهم من الوصول إلى لندن في ٢٦ سبتمبر ١٩٣١م لكي يبدأ مؤتمر المائدة المستديرة الثاني في أكتوبر ١٩٣١م. وقوبل سفره إلى انكلترا كتب إقبال رسالة في ٢٦ أغسطس ١٩٣١م بعث بها إلى زوجته (سردار بيكم) وحملها (ميان أمير الدين) وهذا الرسالة قد عثر عليها (يوسف صلاح الدين) حفيد (ميان أمير الدين) وابن (منيرة بيكم) بنت إقبال وهذه الرسالة لا تزال في حوزته ويقول إقبال في رسالته هذه:

"يجب أن تعرفوا يا أم جاويد . بعد السلام عليها . بأنني ذاهب إلى انكلترا للمشاركة في مؤتمر المائدة المستديرة وحياة الإنسان لا ثقة بها ومصيره غير معلوم فأكتب لك هذه الرسالة حتى تكوني على علم بالأوضاع كلها رغم أنها لا تخفى عليك وتعرفينها جيدا."

قد مضى ما يقرب من ثلاث سنوات حين أصابني مرض وجع الكلى الشديد حتى انقطع أملى بالحياة ولكن الله سبحانه وتعالى قد شفاني بفضله وكرمه فبعد الشفاء من هذا المرض العضال قد حدث تغيير كبير في برائي وأفكاري وأدركت قيمة الحياة القصيرة التي هي عبارة عن بضعة أيام فخصصت مبلغا من الروبيات وقدره عشرة آلاف روبية فوهبته (لجاويد) فأودعتها باسمه في بنك بنجاب القومي بلاهور،وقبل بضعة أشهر أضفت إلى ذلك المبلغ خمسة آلاف روبية أخرى أي وهبت له خمسة آلاف روبية أخرى وأودعتها باسمه في نفس البنك وبالإضافة إلى ذلك فقد وهبت خمسة آلاف روبية أخرى (منيرة بيكم) وأودعتها باسمها في بنك بنجاب القومي بلاهور. فمجموع المبلغ باسم (جاويد) في هذا البنك هو خمسة عشر ألفا من الروبيات كما أن المبلغ الذي أودعته باسم (منيره بيكم) فقدره خمسة آلاف روبية لا غير إنني وصيتها ما دمت حيا أما بعد موتي فأنت ستكونين وصية لهما وأما إيصالات البنك فهي لا تزال في حوائل أنت يريد إقبال أن يغادر لاهور قاصدا أوروبا من تولى سبتمبر عام ١٩٣١م.

وبالإضافة إلى هذه المبالغ فقد وهبت لك عشرة آلاف روبية وهذا المبلغ قلتم ابداعه باسمي واسمك في بنك التعاون المركزي بلاهور إلا أن اسمي قد سجل في هذا الجناب لا لغرض إلا أ نك إذا أردت أن تشتري عقارا أو شيئا آخرا فيسهل لك إسحاب النقود من البنك عند الحاجة وفي الحقيقة هذا المبلغ ملك لك ولا صلة لي به في تلك المرحلة من تاريخها حربا، ففي سنة ١٩٣٦م احتلت (ألمانيا) (رائين لندة) فسكتت (فرنسا) ولم تحرك ساكنا. وتدخلت الجيوش الألمانية في (النمسا) في مارس عام ١٩٣٨م وفي أكتوبر ١٩٣٨م تم احتلاك (سوديت لندة)

ثم (تشيكو سلافاكيا) وفي سبتمبر عام ١٩٣٦م شن هجوما على (بولنده) وأخيرا اندلعت الحرب العالمية الثانية في أوربا على يد (هتلر) والتي تعتبر أوهل حرب وأفظعها عرفها التاريخ البشري حتى اليوم.

وفي أثناء ذلك تدعمت القوى الشيوعية الصينية تحت (ماؤتسي تونج) في الصين التي كانت قد أصبحت دولة جمهورية تحت حكم الحزب الوطني أو (كاومن تانج) الذي كان يقودها (تشيانج كائي شيك) وكان (تشيانج) قد أقام حكومته بمساعدته جيشه في (نونكنج) وفي ١٩٣٧م استطاعت جيوش(تشينج كائي شيك) أن تدفع الشيوعيين الصينيين إلى الوراء وأكرهتهم على الفرار إلى المناطق الجبلية فجمع (ماوتسي تونج) الشيوعيين المتفرقين ثم بدأت أفواج من الشيوعيين الصيني تحت قيادته تخرج من الطرق الجبلية الصعبة الخطيرة حتى وصلت إلى مناطق الشمال الغربي من الصين. وهذا السفر الطويل أو سفر العجزة الذي قاده (ماوتس تونج) والتي اشترك فيها مئات من الشيوعيين الصينيين يعرف "بالزحف الطويل" في التاريخ المعاصر وبهذا الزحف الطويل أصبح (ماوتسي تونج) زعيما عظيما للشعب الصيني فأخذ العالم يتوقع منه بأنه سوف يكون ضد الرأسمالية أو ينشئ الصين الجديدة من بطن الصين القديمة.

وكانت أنظار إقبال واسعة المدى تنظر إلى هذه التغييرات كلها وكان يشعر بأن النظام العالمي في حاجة إلى تكوين جديد وكن ما هو دور الإسلام في هذا التكوين الجديد للنظام العالمي؟ فهذا هو السؤال الذي كان ينشأ بين حين وآخر ومرة بعد مرة في ذهن إقبال ولعل هذا هو السؤال الذي جعل إقبال يكتب رسالة بعد بضع سنوات في ١٥ يناير عام ١٩٢٩م إلى الشيخ (سيد سليمان الندوي) فيقول: (٣١)

> "إن عالمنا اليوم يمر بمرحلة الصراع الغريب فقد أخذت ا لديموقراطية تتلاشى شيئا وتحل محلها حكومات مستبدة كتا تعدية فهذه (ألمانيا)يجرى فيها الإلحاح على عبادة القوة المادية وقد بدأت فيها حرب كبرى ضد الرأسمالية كما أن الثقافة والمدينة وخاصة في أوربا قد أوشكت أن تموت. وجملة القول فإن النظام العالمي يقتضى تكوينا لجديد فهي مثل هذه الظروف ماذا ترى الدور الذي قد يقوم به الإسلام في هذا التكوين الجديد؟"

وقد تجددت ذكريات قديمة في ذهن إقبال حين زار أورا بعد ثلاث وعشرين سنة ففي عام ؟؟؟؟ عاد إقبال إلى لاهور لكي يعالج صراعا ذهنيا شديدا فإن صلاته المتوترة مع زوجته الأولى رغم محاولات التفاهم التي قام بها والده وشقيقه

كانت مستمرة وبالإضافة إلى هذا المبلغ من عشرة آلاف روبية فقد أودع مبلغ آخر قدره ألف وخمسمائة روبية في نفس البنك باسمى واسمك وهذا المبلغ قد حصلنا عليه من ثمن حليك التي بيعت فهذا أيضا ملكت أنت ولا صلة لي به، وقد أضيف اسمى في سجل هذا المبلغ لا للغرض إلا الذي مر ذكره آنفا.

ويوجد أيضا مبلغ آخر قدره ثمانية آلاف روبية قد أودع باسمى في بنك التعاون المركزي بلاهور وسآخذ معي قدرا معقولا من المبلغ من هذا الحسان لنفقات سفري.

ويحتفظ (منشي طاهر الدين) مبلغا آخر عنده وقدره ألفان من الروبيات تقريبا ومن المتوقع أيضا أن يأتينا مبلغ آخر من الروبيات وسيستلمه (منشي طاهر الدين) نفسه فمن هذا المبلغ تدفع ضريبة الدخل السنوي بالإضافة إلى نفقات أخرى قد تكون الحاجة إليها في غيابي مثل أجرة المنزل ورواتب الخدم وغير ذلك من النفقات بالإضافة إلى النفقات المنزلية كما أنه يوجد مبلغ أيضا عند للنفقات المنزلية.

وقد بعثت ديواني "جاويد نامه" للطبع كما أنني أصدرت التعليمات اللازمة عن ذلك إلى (منشي طاهر الدين) و (الشوذري محمد حسين) وما دام الديوان قد عنون باسم (جاويد) فهو ملك له وجميع الدخل منه أيضا ملك له وذلك بعد خصم تكاليف الطبع والنشر.

وقد أخبرتك شفويا بأنني قد عينت مبلغا قدره خمسة عشر ألفا من الروبيات كمبلغ المهراك رغم أنه لم يكن قد عين المهر عند عقد زواجنا ولكنني قد عينت المهر رغبة مني فيذلك وقدره خمسة عشر ألفا من الروبيات وأسجل فيما أكتبه ههنا لكي يكون موضع طمأنينة لك. وهذا المبلغ دين على حسب المبادئ الشرعية وتستطيعين أن تستلمى هذا المبلغ من كل ما أملكه من الممتلكات منقولها وغير منقولها. أنت تستحقين حسب المبادئ الشرعية الإسلامية أن تكون ممتلكاتي كلها في حوزتك وتصرفك حتى تستوفى هذا المبلغ من المهر.

وأن بخير وعافية بفضل الله وكرمه والأمل فيك إنك لن تهملى تربية الأولاد في غيابي وإنك ستقومين حق القيام بواجبك كأم لهم.

محمد إقبال المحامي في لاهور

٢٦ أغسطس ١٩٣١م"

وكان من المرفوض أن يسلم هذه الرسالة إلى (سردار بيكم) عند موت إقبال

فجأة وبما أن الحادث لم يحدث فقد بقيت الرسالة في محفوظات (ميان أمير الدين) فلم يحفل بها أحد. وكان إقبال يريد أن يغادر لاهور قاصدا أو روفا في أول سبتمبر عام ١٩٢١م ولكي يصل إلى بومبائ في ٥ سبتمبر ١٩٣١م وكان يتمنى أن يزور الدول الإسلامية أيضا خلال رحلته هذه (٢٠) فقد كان مفتي فلسطين الأكبر السيد (أمين الحسيني) قد وجه إليه دعوة للمشاركة في اجتماع المؤتمر الإسلامي المقرر عقده في ديسمبر ١٩٣١م بمدينة قدس في فلسطين كما أنه كان قد تلقى الدعوة من السيد (ماركوني) رئيس أكادمية العلماء في (روما) ليلقى بها بعض المحاضرات. وبعد بضعة أيام أيدي السير (فرانسيس يؤنج هسباند) رئيس الجمعية الهندية الأدبية من انكلترا عن رغبته أن يوافق إقبال على منصب نائب الرئيس للجمعية الهندية (٢١)إلا أن إقبال أصيب بالحمى قبل أن يغادر لاهور ببضع ساعات فأجل السفر حتى ٥/سبتمبر ١٩٣١م ثم غادر لاهور في ٨/سبتمبر ١٩٣١م ورافقه (علي بخش) في سفره هذا حتى مدينةبومبائ.(٢٢).

وقد اجتمع أصدقاء إقبال ليودعوه في محطة لاهور للقطار وبالصدفة قابله السير (عبد الله هارون) هناك فتحدث معه إقبال عن المشاكل السياسية لبضع لحظات ثم وجه رسالة إلى جريدة "انقلاب" اللاهورية على رجاء من رئيس تحريرها (عبد المجيد سالك) فقال: (٢٣).

> "إننا لن نرضى أبدا بدستور أساسي يصبح رسالة الموت بالسبة إلى الشعب المسلم جماعاي وإن تحرير الهند في أيدي شعوبها التي يسكنها ورغم أنه لم تتم اتفاقية التفاهم بين الشعوب الهندية في جو الهند ومناخها ورغم المحاولات والجهود التي يدلها المسلمون على الأقل وذلك بالإهمال أو بعض النظر عن أهدافهم الاقتصادية والاجتماعية الهامة إلا أنني أعتقد بأنه منا لممكن لظروف وانكلترا وعبقرية الزعماء البريطانيين أن يتم تقديم حلول ناجحة للقضية التي فشل في حلها ساسة الهند وزعمائها. وفي النهاية أريد أن أقول لإخواني الهنادكة وخاصة الصحفيين الهنادكة منهم بيت شعر ومعنا: " لا تكن خشن الحديث وحاول توطيد صلات الصداقة لأنني أنا وأنت إذا اتفقنا فيما بيننا فقد يمكن أن نضع لنا عالماجديد."

وصل إقبال إلى (دلهي) في السابعة والنصف صباحا من ٩ سبتمبر ١٩٣١م وكان قد اجتمع لأجله ثلاثة آلاف من المواطنين المسلمين على المحطة حتى أن البعض منهم كانوا ينتظرون وصوله منذ السادسة صباحا بما فيهم الشيخ (سيد أحمد) إمام مسجد (دلهي) الجامع والشيخ (مظهر الدين) رئيس تحرير جريدة

"الامان" والحاج (محمد يوسف) سكرتير لجنة الخلافة والأمير (أبو الحسن خان) و (سيد نذير نيازي) بالإضافة إلى أعضاء المؤتمر الإسلامي الإقليمي بدلهي والرابطة المركزية للشباب المسلم و"جمعية رفيق المسلمين" وجمعية الاتحاد والترقي والجمعية التيمورية وأساتذه مدرسة (محمد علي) وطلابها وقد قدم العديد من كلمات الترحيب بإقبال ولكنه اعتذر عن الاستماع إلى جميعها بسبب ضيق الوقت فقال لهم بأنه سيقرأها في سفره فلم يستطع أحد أن يقرأ كلمة الترحيب غير الشيخ (سيد أ؛م) إمام مسجد (دلهي) الجامع بالنيابة عن المؤتمر الإسلامي الإقليمي وكان أعضاء المؤتمر قد وقعوا على كلمة الترحيب فقام إقبال ليرد على كلمة الترحيب فقال: (٢٤)

"أما عن المشاكل السياسية فأريد أن أقول لكم بأنه لا يرافقني سكرتير خاص يستطيع أن يزودني بالمعلومات كما أنني لا أحمل كومة من الكتب السياسية أستطيع أن أؤسس عليها ما أقوله من الكلمات والنقاش ولكنني أ؛مل كتاباجامعا للحق والصدق ألا وهو القرآن الكريم وسأحاول أن أعبر عن حقوق المسلمين الهنود في ضوء هذا الكتاب الكريم وقد أعرضنا عن مصالحنا الاقتصادية والسياسية لعشر سنوات ماضية ونستمر في محاولاتنا للتفاهم مع الكحونجرس والهنادكة ولكننا واجهنا الفشل والخسارة بسفة دائمة مستمرة أما في (لندن) الآن فإذا لم نستطع الوصول إلىحل يوحد بين الطائفتين وإذا لم نحصل على سلطة محلية إقليمية شاملة لنا وإذا لم يتم الاهتمام بحقوق المسلمين الهنةد في الحكومة المركزية الهندية فحينئذ لا بد أن نضحى بحياتنا الفردية من أجل حياتنا الاجتماعية . وهنا ارتفعت هتافات "الله أكبر" . وإنني على ثقة ويقين بأنه إذا لم يتحقق الاعتراف بحقوق الأغلبية الإسلامية في بنجاب وبنغال وما يطالب به المسلمون في المناطق الهندية الأخرى فإن كل دستور أساسي إذا طبق في الهند فإن مسلمي الهند سوف يمزقونه تمزيقا . هتافات الله أكبر. إن جيل الكبار من المسلمين لم يستطع أن يقوموا بواجبهم حق قيام في إعداد الجيل الناشئ المسلم ليخلفهم ويحل محلهم في مجال النضال والكفاح وعليه فإنني أنصح للشباب المسلمين أن يقتبسوا نور الهداية من القرآن الكريم والأسوة الحسنة النبوية وأنهم إذا أرادوا الحياة فيجب أن يكونوا على استعداد للتضحية والإيثار أكثر وأكبر مما كان المسلمون في حاجة إليه دائما . هتافات الله أكبر" .
"

وصل إقبال إلى (بومبائ) في ١٠/سبتمبر ١٩٣١م فنزل في "بيت الخلافة" بها وفي نفس اليوم ظهرا أقامت السيدة (عطية فيضي) حفلة الشامي في الخضرة

الواسعة من "إيوان رفعت" تكريما لإقبال وقد حضر في الحفلة كبار الشخصيات من أهل العلم والأدب من مدينة (بومبائ) وقد وصل إقبال إلى الحفلة متأخرا فاستمر في حديث من الدعابة والمزاح مع السيدة (عطية فيضي) وفي نهاية حفلة الشامي طلب الضيوف إلى إقبال أن يحملهم رسالة إلى مسلمي المدينة فقام إقبال فألقى كلمة موجزة ثم أنشد بيت شعر أنهى به كلمته قائلا:

جنان بزى كه اكر مرک ما است مرک دوام
خدا زكرده خود شرمسار تر كردو

ومعناه: يجب أن تقضى أيام حياتك حتى لو كان موتك هي النهاية فيجب أن يخجل ربك بحياتك القصيرة التي قضى عليها.

فألح الناس عليه أن يترجم البيت لهم فأملى عليهم الترجمة الانجليزية المبيت قائلا: " يجب أن تعيش حياة جميلة حسنة حتى إذا كان الموت هو مصيرنا جميعا فيجب أن يخجل الرب بما قضى على حياتكم القصيرة الجميلة هذه."

ثم قام الضيوف فاتجهوا إلى قاعة الدار حيث أقيم مجلس الغناء والطرب فأخذت فرقة الموسيقي تعزف الألحان الحلوة وكان قد أتيح لإقبال أن يتمتع ببداهة القول للسيدة (عطية فيضي) بعد مدة طويلة مضت منذ التقى بها في أوربا وفي أثناء ذلك أخذت راقصة تقدم رقصة رائعة فانشغل الناس بها فطلب إقبال قطعة من الورق فكتب عليها أبيات شعرية ثم وضعها في يد السيدة (عطية فيضي) والأبيات هي:

ترسم كه تومى رانى زورق به سراب اندر
زادى به سراب اندر مىى به حجاب اندر

الترجمة: أخشى أنك تجدفين سفينتك في السراب وقد نشأت أنت في حجاب وستموتين في الحجاب.

بركشت وخيابان بيج بركوه وبيان بيج
برقى كه به خود بيجد ميرد به سحاب اندر

الترجمة: يجب أن ترعدى على المزاع والحقول وعلى الجبال والبوادي فإن البرق الذي يرعد على نفسه يموت بين السحاب.

أين صوت دلآويزى از زخم مطرف نيست
مهجور جنان مورى نالد به راباب اندر

الترجمة: إن هذا الصوت الحلو ا لجذاب لا يرجع إلى لحن المطرف وإنما هو صوف حور تبكي داخل الرباب على فراق جنتها!

وبعد لحظات كتب إقبال على قطعة أخرى من الورق هذا البيت فأعطاها للسيدة (عطية فيضي) وهو ما معناه: ما هي الأشياء التي تباح للإنسان وهو في جو متدفق من الجنون؟ قل لي بما ذا تأمرني هل تسمح لي بالجنون أم لا تسمح لي بذبك.

محمد إقبال بومبائ ١٠/ سبتمبر ١٩٣١م

وقبل وصوله إلى (ايوان رفعت) ذهب إقبال إلى منزل (سردار صلاح الدين سلجوقي) القنصل الأفغاني في (بومبائ) حيث تغدى معه بالإضافة إلى مشاركته مع (ميرزا طلعت يزدي) في مجلس ممتع من قرض الشعر والنقاش الأدبي. وفي ١٢/سبتمبر ١٩٣١م ركب إقبال في سفينة واسمها (ملوجا) متجها إلى انكلترا. وقبل مغادرته ببضع ساعات كان مراسل جريدة بومبائ (كرانيكاك) قد أجرى معه مقابلة صحفية.

وهذه المقابلة الصحفية ممتعة جدا حيث أوضح إقبال في مدخل الكلام بأنه لا يحمل التعصب ضد طائفة أو أمة وإنما يريد أن يعيش أهل الهند كلهم في جو من الأمن والسلام وهذا لا يمكن إلا إذا أتيحت الفرص لكل طائفة أن تحتفظ بثقافتها وانفرادها وسئل عن فكرته حول الوحدة الإسلامية أو " بأن إسلام ازم" فرد عليه قائلا: بأن هذا مصطلح قد أبدعه صحفي فرنسي وأن المعاني التي عبر عنها ذلك الصحفي الفرنسي بهذا المصطلح لا وجود لها إلا في مخيلته. إن هذا الصحفي أراد أن يصور خطرا رهيبا في العالم الإسلامي يهدد كيان الغرب، إنه مصطلح قدتم إبداعه كما تم إبداع مصطلح " الخطر الأصفر" وهو خطر من قبل الصينيين واليابانيين على العالم الغربي ليبغضهم الناس ويعادوهم وكذلك هذا المصطلح يهدف إلى تبرير الاعتداء الغربي على البلاد الإسلامية. ثم استخدم هذا المصطلح ليعبر عن مؤامرة كانت تجري في قسطنطينية أي أن المسلمين في العالم كلة يخططون لتوحيد الدول الإسلامية ضد أوربا إلا أن هذا المصطلح يمكن استخدامه أيضا بأسلوب يوافق التعاليم القرآنية ومن وجهة النظر هذه فإن الوحدة الإسلامية لا تهدف إلى تحقيق أغراض سياسية وإنما تهدف إلى تحقيق تجربة اجتماعية لتوحيد العالم البشر. وإذا كان هذا هو معنى الوحدة الإسلامية أو "بأن إسلام ازم" فإنها تعني الوحدة البشرية وحينئذ لا داغي إلى استعمال كلمة" بان" وإنما يكفي مصطلح الإسلام وحدة أو الوحدة الإسلامية وحدها.

ووجه إليه السؤال إذا كان يرى الاستعمار البريطاني يحمل طابعا دينيا فرد

بأن جميع البلاد التي تتبع سياسة الاستغلال هي دول غير دينية.

وسئل بأنه سبق وقد أبدى عن رأيه في رسالة إلى (السير فرنسيس يوئنج حسباند) بأنه فلو أضيفت العقيدة بشريعة الله والإيمان به إلى الشيوعية فتصبح إسلاما ألا يزال هويؤيد هذا الرأي أم تراجع عنه ؟ فرد عليه إقبال قائلا بأن الإسلام دين اجتماعي وأن القرآن الكريم يريد أن يطبق نظاما معتدلا لا ينفي الملكة الفردية كما أنه لا يؤمن بالشيوعية الشاملة وأنه يرى شخصيا بأن ضمير الإنسان المعاصر سوف يقوم بتغييرات أساسية فورية في هذه النظم التي تعرف بالامبريالية حينا وبالشيوعية حينا آخر وأن الممالك أو الملكة قد فات أو أنها كما أن الشيوعية يتم فيها تغييرات أساسية لتكون اشتراكية شاملة.

وسئل عمايقوله بعض الناس من أن إقبال السياسي قد فاق إقبال الشاعر وتغلب عليه ومن ثم لم يعد موقفه السياسي يوافق ما جاء في شعره من الأفكار والتغاليم فرد عليه إقبا قائلا: لا شك قد حدث تغيير في الفكرة القومية عنده فقد كان وطنيا قوميا وهو طالب وأما الآن فلم يعد قوميا ولا وطنيا وأن هذا التغيير قد حدث بالنضج الفكري عنده.

وسئل إذا كان يؤيد نظاما ملكيا فرد بأنه لايؤيد الاحتفاظ بالنظام الملكي ولكنه في الوقت نفسه لايؤمن بالديموقراطية الغربية إيمان قويا إلا أنه لا بد من أي نتحمل الديموقراطية إذ لا يجد لها بديلا. وسئل ما رأيه فيما يقول الناس عنه بأنه لو يم يكن سياسيا واستمر شاعرا لكان خيرا له ولبلاده ، فرد بأنه لايزال يهتم بالأدب وأن معظم وقته وقف على الأدب وسئل بأنه كان أ كثر الناس نقدا للمؤتمرات والمنظمات مثل جمعية الأمم وكان يكشف عن أسرارها وفظائعها ورغم ذلك قد أصبح الآن يعلق آمالا جساما على مؤتمرات المائدة المستديرة، كيف يمكن توضح هذا التناقض وبدل أن يرد على السؤال أخذ إقبال يحملق عينيه ثم لجأ إلى زميله الدائم وهو النرجيلة. وسئل لما ذا يعارض القومية أو الوطنية فقال بأنه يرى الوطنية تعارض مبادئ الإسلام السامية وذلك لأن الإسلام قد دعا العالم البشري ولأول مرة إلى الوحدة البشرية والتضامن الروحي.

وسئل عن إمكانيات اتحاد فيدرالي للدولي العربية فقال إنه يؤمن بإمكان اتحاد فيدرالي للدول العربية رغم المشاكل والصعوبات التي تقف في سبيل تحقيق هذا الهدف وعليه فإنه لا يستطيع أن يتكهن أو يبنبأ عن هذا الاتحاد الفيدرالي في المستقبل. وقال إنه يعتقد بأنه لا يوجد نظام إيجابي في العصر الحاضر غير الإسلام وأنه يمكن تطبيق النظام الإسلام بعد النقاش والبحث فيه حتى يتمكن من تقديم

الحلول للمشاكل العصرية وكان إقبال يرى بأن مسلمي الهند لهم دور إيجابي مهم في مستقبل الإسلام وعمل بها ويجب على رجال ا لدين أن يحاولوا فهم المشاكل الاقتصادية المعاصرة والسياسية الحديثة فهما جيدا تلك المشا كل التي يواجهها الإسلام اليوم لأن معلومات هؤلاء عن الماضي بإمكانه أن تقوم بدرو مفيد في بناء للنهضة الإسلامة المعاصرة. وسئل هل سيزور الدول الإسلامة خلال رحلته هذه؟ فرد بأنه ينوي زيارة مصرعا من انكلترا كما أنه سيزور البلاد الإسلامية الأخرى ما أمكنه ذلل لكي يتمكن من دراسة أوضاعها وتأليف كتاب عن العا لم الإسلامي المعاصر (٢٦).

وفي ٢١ سبتمبر ١٩٣١م بعث إقبال رسالة إلى (حكيم طاهر الدين) الذي كان قد أبدع دواء محليا معروفا وهو (دل روز) وهو على متن السفينة (ملوجا) فسجل فيها التفاصيل عن سفره فقال(٢٧):

"وبعد وصولي إلى (بومبائ) دعاني (سردار صلاح الدين سلجوقي) القنصل الأفغاني في (بومبائ) على مأدبة طعام وكان المجلس الذي أقيم عنده ممتعا للغاية فهو من علماء الآداب الفارسية والعربية ويلم إلماما بالشعر العربي المعاصر وهو معجب بالخاقاني من شعراء اللغة الفارسية كما أنه على مكانة في العلوم الدينية فقد كان قاضيا لمدينة (هرات) وكان فيم نزله (ميرزا طلعت يزدي) نزيل (بومبائ) منذ عشر سنوات فأنشد لنا أبياته الشعرية الفارسية بلهجة إيرانية ولعل قد اطلعت عليها وفي نفس المساء أقيمت حفلة الغناء والطرففي منزل السيدة (عطية بيكم) حيث لا يمكن الوصول لأهل الخلاعة والمجون إليها"

بر سماع راست ہر تن يز
نيست
طعمه ہر مرغكى ابخير
نيست

أي: كل أدن لا يمكن أن تستمع استماعا صحيحا كما أنه لا يستطيع كل كائر أن يلتقم ثمر التين.

وغادر (بومبائ) في ١٢ سبتمبر ١٩٣١م في الواحدة ظهرا. أما عن سعة(ملوجا) السفينة فإن (علي بخش) سيحدثك عنها وقد وصلنا في السادس عشر مساء إلى عدن. أما عدن فهي قطعة من الأرض التي قال عنها الغفور له (حالي): " إن العرب لم تكن شيئا غير شبه جزيرة" ولم أكن أريد الذهاب إل الشاطئ إلا أن شابا من أهل مدينتنا واسمه (شيخ عبد الله) الذي يستغل محاميا ههنا وقد صعد إلى السفينة ألح على أن أرافقه فركبنا زورقا فنزلنا على الشاطئ

فركبنا السيارة فذهبنا إلى منزل حضرة الشيخ فرأينا الرز مع لحم الديك والكفتة والقورمة قد أعدت لنا وبعد ا لطعام شربنا القهوة اليمنية السوداء المرة السائغة فالتقينا مع (آغا فكري إيراني) وتاجر إيراني آخر و (آغا فكري) هذا رجل شاطر وشاب نشيط ويشتغل في تجارة القهوة اليمنية وفصيح وثرثار للغاية وقد أعطاني وهو يودعني حبة واحدة من العقيق اليمين لتكون ذكرى عندي وقد مضى اثنان وعشرون عام منذ رأيت مدينة عدن ولم تكن شيئا في ذلك الوقت أما اليوم فقد أصبحت مدينةمزدحمة متطورة وأن عرب حضرتموت هم أصحاب البنوك والثراء في عدن كما يوجد فيهم بنجابيون كثيرون وخاصة من المسنديين وأهل ثمالة من المسلمين شعب ذكي نشيط مجتهد للغاية وأخبرني (شيخ عبد الله) بأن البعض منهم يعرفون ثماني أو عشر لغات ويتحديون بها بطلاقة ويوجد ناد أدبي للشباب العرب في عدن إلا أن الوقت كان ليلا فلم نستطع أن نلتقى بعضو من أعضائها وجملة القول فإننا خرجنا من منزل (شيخ عبد الله) في العاشرة والنصف ليلا ووصلنا إلى السفينة في الساعة الحادية عشرة ليلا. وفي ٢٠ سبتمبر نزلنا في (بور سعيد) في الثالثة ليلا وهذه المدينة أيضا قد تطورت كثيرا وكنت نائما إلا أن طبيبا مصريا واسمه الدكتور (سليمان) جاء فأيقظني فنهضت فالتقيت به وفي أثناء ذلك وصل الشبان المصريون وكانوا أعضاء في جمعية الشبان المسلمين بمصر وأن اللقاء بهؤلاء الشباب كان لقاء ممتعا مفيدا للغاية.

وجاءت فتاة مصرية وهي ابنة عقيد مصري وهي أيضا مسافرة إلى انكلترا في سفينتنا هذه لكي تكمل دراساته العليا في علم النبات وسبق وقد قضت هناك أربع سنوات وهي تجيد اللغة الإنجليزية للغاية وقد لاحظت أن أهل مصر ينطقون الإنجليزية بلهجة فرنسية إلا أن لهجة هذه الفتاة كانت لهجة انجليزية صحيحة وقد بعث (لطفي سيد) وهو محام مشهور بالقاهرة عائدا من (انكلترا) وكان السيد (لطفي بك) هذا قد جاء على سفينة (بنورة) التي كان القرر أنني سوف أسافر بها ولكنني مع الأسف لم أستطع أن أسافر بسبب الظروف الخاصة ولعل الذي يدهشك هو أن المسلمين المصريين عامة يعتقدون بأن مسلمي الهند يحاولون الوقوف في سبيل تحرير الهند واستقلالها. وقد جرت الدعاية والإشاعات من هذا النوع في دول أخرى أيضا حتى أن كل واحد من الشبان المسلمين تقريبا قد سألني نفس السؤال في مينا (بور سعيد) ولكن يبدو الآن أن الجب والأستار قد أخذت تنقشع شيئا فشيئا عن عيون هؤلاء .

فقد ألقيت أمامهم محاضرة طويلة فاخبرتهم عن المشكلة السياسية في الهند

وكيف تؤثر في كيان مسلمي الهند وقد بدا لي كأن ثقلا كبيرا كان على قلوبهم وأذهانهم وقد تلاش بعد أن استمعوا إلى حديثي وسجلوا بعض الأجزاء من حديثي هذا في مذكراتهم وتحركت السفينة في السادسة والنصف صباحا تقريبا وقد ظل الشبان المسلمون جالسين في غرفتي حق الصباح وقد بعثوا إلى علتين من السحائر المصرية كهدية لي من الشاطئ.

إن سفينة (ملوجا) منذ أن تحركت من (بومبائ) لا تزال تجري وهي تشق عباب البحر الأبيض المتوسط والبحر الآن هادئ للغاية ولا توجد قرينة تدل على خطر العواصف كما أن الجوممتع للغاية إلا أن البحر الأحمر كان حارا وهذا هو البحر الذي أصابته ضربة عصا كليم الله ـ عليه السلام ـ فلم لا يكون حارا بطبيعة والأطراف الأربعة التي يستطيع النظر أن يصل إليها يبدو لها البحر الأزرق ولا شيئ غيره فيبدو كأن قدرة الله قد قلبت الخيمة الزرقاء من السماء ففرشتها على الأرض.

وقد كتبت لك موجز تفاصيل السفر ولكنني نسيت أن أكتب لك شيئا عن قناة السويس ولعلنا كنا قد دخلنا في قناة السويس في ٩ سبتمبر وقد تم تجديد آثار هذه القناة المندرسة غير مرة في خلال العصور الماضية وقام بذلك كل من فراعنة مصر والقدماء الإيرانيين والمسلمين والأفرنج في عصور تقوفهم وقوتهم واستفادوا منها ولكنه يبدو لي الآن بأن أهمية هذه القناة المدهشة أي أهميتها التجارية قد أصبحت على وشك الانقراض فإن سفن جميع الشعوب تستطيع أن تعبرها خلال الحرب أو السلام كمبدأ سياسي وأن معظم أسهم قناة السيويس يملكها الانجليز ولعل ذلك يرجع إلى حياة البذخ والإسراف الذي كانيعيشها (إسماعيل باشا) خديو مصر فإنه كان قد باع أسهمه كلها للانجليز وقد كلف هذا الشارع المائي العظيم الذي يصل بحار أروبا ببحار آسيا خمسة وعشرين مليونا من الجنيهات ولكن الآن كما ذكرت لك قد تفقد هذه القناة أهميتها التي كانت تتمتع بها قبل ذلك. فبتوسعة الطيران والتقدم وبناء جسر للسكة الحديدة بين آسيا الوسطى وأروبا الوسطى قد انفتحت به طرق تجارية جديدة بين الجزئين الكبيرين من العالم وبذلك سوف تظهر قناة جديدة ولكنها جافة أو غير مائية وسوف تحدث بها ثورة كبيرة في العالمين التجاري والسياسي فإذا حدث ذلك خلال عشرين أو ثلاثين سنة قادمة فإن المقوى سيصبح ضعيفا والضعيف يصبح قويا.

أما قصة الحاية اليومية على السفينة فيه قصيرة للغاية إنني انتهى من تلاوة

القرآن الكريم قبل طلوع الشمس بكثير يوميا وقد تعودت ذلك منذ أمد بعيد. ثم ابدأ أن أنتهى من الحوائج اللازمة الأخرى حتى يدخل وقت الفطور أما بعد الفطور فأصعد على متن السفينة فأتحدث مع زملائي عن السفر عن مؤتمر المائدة المستديرة والذي تصل الأنباء عنه إلى السفينة باللاسلكي يوميا ويجري النقاش أو دراسة تقارير السنوات الماضية.

نعم! أشتغل باشعر وقرضه أحيانا و (سيد علي إمام) يحفظ أبياتا شعرية لا حصر لها من اللغة العربية والفارسية والأردوية كما أنه يجيد الإنشاء للغاية فالولد سر أبيه فقد كان والده الشيخ الأمير (إمداد إمام) على مكانة في الآداب الأردوية. وقد امتنعت عن أكل اللحم على السفينة إطلاقا كما أنني لم أكن آمل اللحم إلا قليلا وأنا في بلادي أما هنا فأعيش على الخضر والسمك والبيض.

أما في ناحية فإنني لا أرغب في اللحم إلا قليلا جدا وفي ناحة أخرى فإن الذبيحة مشكوك فيها أيضا إلا أننا نجد أحيانا ذبيحة غير مشكوك فيها أيضا وذلك أن قرينة السير (علي إمام) سيدة طيبة النفس شريفة الطبع وهي ترافق زوجها فهي متحذرة وتأخذ بالاحتياط دائما بأمر الذبيحة وقد جاءت بطباق لها فباهتمام هذه السيدة فإن الذبيحة تصبح أكثر الأحيان غير مشكك فيها والطعام المغلي يصل إلى مائدة الطعام كل يوم تقريبا وإن كان نصيبي من ذلك أيضا يقصر عادة على الخضر والرز.

ولعلك تقول بأنني قد ذكرت لك كل شيئ ولم أذكر شئيا عن زملائي في السفر فإن سفينتنا هذه لا تحمل الكثيرين من المسافرين. إن المندوبين لمؤتمر المائدة المستديرة الهنادكة منهم والمسلمين عددهم سبعة أو ثمانية رجال (راجا ناريندارنات) أيضا معنا على هذه السفينة وأربعة من المندوبين المسلمين وكلهم "مسلمون متغربون" إن مصطلح "المسلم التغرب" الذي وضعته مجلة (معارف) الأردوية مصطلح لطيف للغاية إلا أن هذه القافلة التغربة من المسلمين يضم الحافطين للقرآن الكريم أي حضرة الأمير (شطاري) و(خان بهادر حافظ هدايت حسين) وأولهما يشتغل بالاوراد كل يوم ويقال إنه يقرأ القرآن في صلاة التراويح كل عام وأما تغرب (سيد علي إمام) فقد رأيته يوما وهو على متن السفينة وكنت عنده واقفا بجانبه فإذا به يقدر الأميال والفراسح ثم يقول لي: " انظر يا أخي أُقبال"! إن سفينتنا الآن تمر أمام شاطئ المدينة المنورة" فلم يكمل هذه الجملة حتى سبقته دموعه فدمعت عيناه ثم نطق تلقائيا وعيناه مخضلتان:"بلغ سلامي روضة فيها النبي المحترم" إن هذه المشاعر والعواطف القلبية عنده قد أثرت في نفسي كثيرا.

أما أنا فمتغرب ومتشرق في نفس الوقت إلا أن الضربة الشرقية على قلي كانت أقوى الضربتين أما الباقون من زملائنا فهم فضيلة القاضي (السهروردي) والشيخ (مشير حسين قدوائي) وموظفان شابان من إمارة (اوده) أما حضرة (قدوائي) هذا فإنه نشيط متحمس للوحدة الإسلامية للغاية ولا يهمل واجبه عن تبليغ الدين. أما أحد الموظفين من (اوده) فهو يجيد العربية وأما الثاني فيفهما ولا ينطق بها وقد عاش والدهما مدة من الزمان في (كربال) ولهذا السبب يتحدثان بالعربية ويفهمانها فهذا موجز حال القافلة التغربة هذه.

وخلال إقامته بميناء (بور سعيد) والتي استغرقت أربع ساعات التقى به (حكيم محمد صديق نارو) كمثل لوكالة الأنباء(رويتر) فقال إقبال في حضور الشبان المصريين وهو يخاطب الممثل: (٢٨).

"إن الهنادكة دائما يفكرون بأن مسلمي الهند سوف ينضم إليهم المسلمون (الأفغان) و(البلوص) و(البتان) فيحتلون الهند كلها ولكن هل يمكن إذا تحررت مصر مثلا واستقلت فإن المصريين بإمكانهم أن يسلموا بلادهم للأتراك لأنهم مسلمون؟ وكذلك فإن سياسة السالة أو عدم التشدد التي يتبعها الكونجرس الهندي سوف تبقى ما دامت بنادق الانجليز تظلها وإلا فإن الفظائع التي ارتكبت ضد المسلمين في (مير زابور) و(كانبور) و (سري بخر) وغيرها في المدن الهندية تدل دلالة واضحة على أن الهنادكة سوف يقابلون المسلمين بكل عنف وشدة."

ثم استمر إقبال بتصريحه الصحفي فقال: (٢٩)

"ويعتقد أهل مصر بأن مسلمي الهند عقبة في سبيل تحرير الهند واستقلالها وهذا ليس صحيحا أبدا فإذا كان أصدقاؤنا المصريون يعتقدون هذا الاعتقاد فإن ذلك يرجع إلى أن أصدقاءنا هؤلاء لم يحاولوا أن يفهموا الأوضاع والظروف السياسية والاجتماعية في الهند وعليه فإني أريد من الصحف المصرية أن ترسل مراسليها إلى الهند ليدرسوا أوضاع الهند وظروفها وفي الهند دعاية وشائعات تجري ضد المسلمين المصريين تقول بأنهم قد أعرضوا عن الله والقرآن الكريم والإسلام والواقع أن ذلك كله يرجع إلى الخبث والعبث والجهل بالظروف والأحوال."

ووصل إقبال إلى لندن في ٢٧/سبتمبر ١٩٣١م فأرسل منها برقية باسم مؤلف الكتاب قال فيها:" قد وصلت إلى لندن بسلامة يجب اتخاذ خطوات عاجلة في طبع "جاويد نامه" أو ديوان "رسالة الخلود" (٣٠) وقد نزل إقبال خلال إقامته في لندن في ١١٣-١- سينت جيمز كورت بكنكهم جيت س-و-ا) ثم

انضم إليه (غلام رسول مهر) في أول اكتوبر ١٩٣١م وكانت اجتماعات مؤتمر المائدة المستديرة تعقد في قصر (سينت جيمز) الذي كان على مقربة من منزل إقبال ولم يكن إقبال قد زار أوربا منذ ثلاث وعشرين سنة تقريبا حيث حدثت تغييرات كبيرة في العالم الغربي خلال هذه المدة فكانت إيطاليا وألمانيا قد أخذتا تنهضان كقوتين جديدتين في العالم الأروبي إلى جانب ظهور الآثار من الثورة في الصين كما أن (جمعية الأمم) كانت قد أصبحت مؤسسة غير قادرة على القضاء في شيئ إطلاقا.

وقد أنشئت (جميعة الأمم) في نهاية الحرف العالمية الأولى لتقوم بتقديم الحلول الناجحة الحاسمة للقضايا التي تخص شعوب العالم إلى جانب إيجاد جو من التفاهم والأمن والسلامة ولتمنع نشوب الحروف في المستقبل فعقد اجتماعها الأول في "جنيف" (السويسرا) في ١٩٢٠م ولم توافق أمريكا على ان تكون غضوا فيها فأخذت جمعية الأمم تستحيل شيئا فشيئا إلى نادى القوى الاستعمارية التي تكالبت على استقلال الشعوب المغلوبة على أمرها. وفي ١٩٣٠م نشأت أزمة اقتصادية عالمية جعلت أمريكا والأمم الأوربية تشتغل بحلول مشاكلها الاقتصادية فلم يبق أحد في جمعية الأمم يهتم بالمشاكل الدولية وقد كانت النتيجة هي أن جميعة الأمم فشلت فشلا نهائيا في الامتناع عن الحروب والوقوف في سبيلها. وفي ١٩٣١م هجمت القوة الصناعية الهامة في الشرق أي اليابان على (ما تتشوريا) ولما لجأت الصين إلى جمعية الأمم للتدخل لم تستطع أن تنهض بشئ.وفي عام ١٩٣٥م احتلت (إيطاليا) بلاد (اثيوبيا) وحينئذ لم تنفع جمعية الأمم في شيئ أيضا.وأخيرا بدأت الحرب العالمية الثانية على أيدي المانيا واليابان في عام ١٩٣٩م إلا أن جمعية الأمم كانت قد أصبحت علوشك الأنهيار والموت قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية.

وكان (مسوليني) قد أنشأ حزب الفاشية في (إيطاليا) عقب الحرب العالمية الأولى ثخ أخذ يحاول شيئا فشيئا كأكبر زعيم لحزب الفاضية أن يلغى الديموقراطية البرلمانية ثم احتل السلطة في (إيطاليا) وفي ١٩٢٢م دخل (روما) كفاتح منتصر فعين رئيس وزراء (إيطاليا) واستبد بالسلطة كلها في سنة ١٩٢٥م ثم حكم (إيطاليا) كحاكم مستبدة لمدة ثماني عشر سنة وفي أثناء ذلك أخد يقلد القوي الاستعمارية فأعد خطة ليبنى بها امبراطورية الإيطالية ففتح (أثيوبيا) في سنة ١٩٣٥م، وفي ١٩٣٥م جعل مستعمرة إيطالية من (ليبيا) وفي عام ١٩٣٩م تم احتلال (البانيا) ثم ادعى السيارة الإيطالية على تونس ومالطا وكارسيكا وأخيرا

تمت اتفاقية بين (مسوليني) وبين الدكتاتور الألماني (هتلر) في سنة ١٩٣٩م فاقتحم (مسوليني) الحرب العالمية الثانية.

وكانت فكرة فضل الشعب الألماني على شعوب العالم كلها والتغلب عليها قد أصبحت فكرة جنونية في ذهن (هتلر) فأنشأ الحزب العمالي الألماني الاشتراكي الوطني أو حزب (النازية) في (ألفمانيا) فقام بمحاولته الأولى للاستيلاء على الحكم في عام ١٩٢٣م ولكن قبض عليه ووضع في السجن ثم أفرج عنه فبث روحا معنوية جديدة في حزبه حتى أصبح حزب (النازية) أقوى حزب في ألمانيا في ١٩٣٣م وبمجرد تعيينه وئيسا للوزراء ألفي الجمهورية الألمانية فقبض على معارضيه السياسيين فوضعهم في السجون أو أعدمهم قتلا وحكم هتلر (ألمانيا) كحاكم مستبد أو دكتاتور لمدة أثنتي عشرة سنة وخلال هذه المدة اهتم بإنتاج الأسلحة الحربية في المصانع وقام بتكوين جديد حتى جعل من (ألمانيا) قوة عسكرية لا نظير لها، ولم تكن أوربا تريد على حالها كما أنه كان يواجه المشاكل الاقتصادية ومشكلة اكتساب الرزق أيضا أما في الهند خلال هذه الظروف الهائجه المضطربة من المشاكل الاقتصادية والحياة الازدواجية فقد كانت توجد سيدة بارعة متوقدة الذهن من أمثال (عطية فيضي) التي كانت وسيلة التعاطف والاهتمام بطبيعة إقبال الهائجة المضطربة كما أنه كان على صلة بالمراسلة مع السيدة (ايما ويجي ناست) في (ألمانيا).

إن رسائل إقبال إلى السيدة (ايما ويجي ناست) . أصولها ونسخها المصورة . لا تزال عند أسرة السيد(ممتاز حسن) وحسب تصريح العالم المسلم الألماني البارز الدكتور (محمد أمان هوبهم) يبلغ عدد هذه الرسائل أربعين رسالة، ثمان وعشرون منها بالألمانيا واثنتان فقط بالانجليزية. فعلى حد قوله كانت السيدة (ايما ويجي ناست) قبل وفاتها قد منحت هذه الرسائل للجمعية الباكستانية الألمانية وكان (ممتاز حسن) رئيس الجمعية و(هوبهم)أمينة العام في ذلك الوقت وكانت السيدة ((ايما ويجي ناست) تتمنى أن تحفظ هذه الرسائل التي احتفظت بها هي أكثر من خمسين عاما في آثار إقبال أو في متحف آخر في باكستان ولا يعرف (هوبهم) الآن عن حوزة الرسائل هذه ومصيرها.

وفي عام ١٩٠٧م كانت السيدة (ايما ويجي ناست) تدرس اللغة الألمانية وآدابها للطلاب الأجانب في دار الإقامة بمدينة (هيد لبرج) وكان يتعلم منها الألمانية وكانت أصغر منه سنا وكانت جميلة للغاية كما أنها كانت تعرف الأدب

الألماني والفلسفة الألمانية معرفة جيدة. فكانت هي وإقبال يرغبان في آداب (ألمانيا) وفلسفتها وخاصة في شعر (غوته) و(هائنة) و (نطشة) وفكرهم رغبة عميقة ملحة وهذه الرغبة قربت بينهما. وقد ألقى (هوبهم) كلمة قيمة عن هذه المراسلة في ندوة إقبال التي عقدت بلندن أخيرا. وهو يرى أن الصلة بينها وبين إقبال كانت صلة الإكبار والاحترام وأن هذه الصداقة كانت صداقة غير عاطفية ومما يدل على ذلك أن إقبالا كان يخاطبها بألقاب كريمة ولم يكن يتخذ أسلوبا يدل على الصراحة كما أن السيدة (ايما ويجي ناست) كانت تخاطبه "بالدكتور إقبال" أو "الأستاذ إقبال" ويتضح من دراسة هذه الرسائل أن إقبالا كان يعرف الألمانية جيدا وهذه الرسائل بالألمانية قد كتبت منذ عام ١٩٠٧م حتى الحرب العالمية الأولى أي عام ١٩١٤م. ويقول (هوبهم) بأن معظم رسائل إقبال إلى (ايما ويجي ناست)تتضمن صلة إقبال الروحية بالآداب الألمانية كما أنه كان يعتبر المانيا وطنا روحيا له وأن إقبالا كان يذكر مرة بعد أخرى تلك الأيام الممتعة التي قضاها مع السيدة (ايما ويجي ناست) وهما يتناقشان شعر غوته ونطشه أو فلسفتهما ففيها رسالة كتبها إقبال إلى السيدة (ايما ويجي ناست) غراها بها على وفاة والدها وكتب فيها الآية القرآنية " إنا لله وإنا إليه راجعون" وشرحها باللغة الألمانية . (٣٢).

ومنها رسالة كتبها إقبال من لندن في ٢/ديسمبر ١٩٠٧م وقد نشرتها جريدة " جنك" كراتشي في ١٨ يونيو ١٩٢٨م مع الأصل الألماني والترجمة الانجليزية والأردوية وهذا نص الترجمة الأردوية (العربية):

"قد نسيت الألمانية وقد كنت مشغولا منذ أيام ولم أجد وقتا للقراءة والكتابة. لماذا لا تتعلمين الإنجليزية فبذلك يسهل لي الكتابة إليك وسأستطيع أن أعتبر عن نفسي وقد أخبرتك بأنني سآتي إلى (هيل بران) لألتقى بل ولكنني لم أتمكن من ذلك فقد كان لا بد لي أن أكون في لندن في ٥/نوفيمبر وقد سافر الأستاذ (آرنولد) إلى مصر وعينت أستاذا للعربية مكانه وألقى محاضرتين في كل أسبوع ولا أستطيع أن أقول أو أكتب لك أكثر من هذا وقد يمكن لك أن تقدري بذلك ما أجده في نفسي وأتمنى أن أراك مرة أخرى وأتحدث معلك ولكنني لست أعرف ماذا أعمل. إن إنسانا قد أنفق أياما معك لا يمكن أن يعيش بدونك وأرجوك العفو عما كتبت إليك لأنني متأكد بأنك لا تحبين هذا الأسلوب من التعبير فأرجو أن تكتبي إلي وتكتبي كل شيء فليس من الجدير أن تكتمي شيئا ممن لا يكتم منك شيئا.

المخلص

ش.م.إقبال "

ولم يستطع إقبال في حياته أن يرى السيدة (ايما ويجي ناست) وقد أعطى(شيخ نسيم حسن) المحامي شقيق المغفور له (ممتاز حسن) النسخ المصورة لثلاث رسائل لهذا المؤلف منها رسالة كتبت باللغة الألمانية من لاهور في ١١ يناير ١٩٠٩م (٣٣) وهذه ترجمتها:

"عزيزتي الآنسة (ايما) ! تقبلي عواطف شكري القلبية على رسالتك التي تدل على إخلاصك فقد تكرمت إذ كتبت إلى ولا تزالين تذكرينني دائما رغم أنني ابتعدت من ألمانيا كثيرا ولم تصلن رسالتك من (هيدك برج) لعلها ضاعت وأنا متأسف للغاية إذ لم تصلنى رسالتك التي بعثت بها إلى فضاعت في طريقها وقد استقبلني المواطنون عند وصولي إلى الهند استقبالا حارا ولا أجد الكلمات لأعبر بها عن هذا الاستقبال. وقد تسلمت أربعين منظومة تقريبا مدحني بها أصدقائي والعجبين بي في البلاد من الشعراء وحين وصلت إلى (لاهور) استقبلت استقبالا حارا وطوقت أزهارا ذهبية وقد حضر مئات من المواطنين ليستقبلوني في (بومباي) و (لاهور) و (سيالكوت) وكان الأطفال الصغار يغنون الأناشيد والأغاني التي نظمتها وقد سترني جدا حيث وجدت أبوي بسلامة وعافية وأن أمي وشقيقاتي قد عبرت عن سرورهن لعودتي وقد عدت الآن إلى (لاهور) واشتغلت بالمحاماة ولا يمكن أن أنسى بلادك الجميلة أبدا حيث تعلمت كثيرا. فأرجوك أن تراسليني دائما فلعلنا نلتقى يوما مرة أخرى في ألمانيا أو في الهند وإذا تمكنت بعد أيام من اكتساب النقود فسوف أبنى بيتا لي في أوربا فهذه أمنيتي وآمل في تحقيقها. وقد أحزنني موت السيد (جوئبلز) ولعلك تذكرين أنني كنت قد عبرت عن قلقي غير مرة على صحته. فأرجوك ألا ننسى صديقا يحتفظ بذكراك في قلبه ولن ينساك أبدا. إن إقامتي في (هيدك برج)كانت حلما جميلا رائعا، يا ليتني استطعت أن أرى هذا الحلم مرة أخرى فهل يمكن ذلك وأنت خير من يعرف ذلك مع تمنيايت القلبية الحارة."

ش.م إقبال المحامي

لاهور الهند"

أما النسختان المصورتان غير هذه الرسالة فهما من الرسالتين اللتين كتبهما إقبال بالانجليزية حين وصل إلى لندن للمشاركة في مؤتمر المائدة المستديرة الثاني في عام ١٩٣١م والرسالتان تحملان عنوان إقبال في لندن خلال المؤتمر ويبدو أن إقبالا كان يريد أن يزور ألمانيا خلال هذه الرحلة فقد كتب رسالة إلى (ايما ويجي ناست) من لاهور قبل سفره إلى انكلترا وكتب فيها عنوانه المتوقع الممكن في لندن

ولعل إقبال قد كتب الرسالة هذه إلى السيدة (ايما ويجي ناست) من لندن وأبدى فيها عن أمنيته ورغبته في اللقاء معها على كل حال فهذه الرسالة الأولى كتبت في ٢٠ أكتوبر ١٩٣١م وهذه ترجمتها: (٣٤):

"ولقد تكرمت بالكتابة إلى ووصلتني رسالتك صباح اليوم وأنا لا أزال على السرير فقرأتها أكثر من مرة وذلك لأنني قد سررت الغاية بوصول هذه الرسالة كما أنني أردت أن أفهما فهما جيدا وقد سرني جدا حيث علمت بأنك رغم المشاكل والمصائب تعيشين حياة سعيدة ولا أستطيع أن أنسى أبدا تلك الأيام التي قضيتها في (هيدل برج) حين قرأت عليك (فاؤست) ديوان (غوتك) وكنت تساعدينني أيما مساعدة، إنها كانت أياما ممتعة للغاية ويبدو من رسالتك هذه بأنك لا تملكين وقتا فسأحول ما وسعني أن أصل إلى (هيدل برج) فأراك مرة أخرى في مكان سبق وقد جمع بيننا ولا أزال أذكر نهر (نيكر) حتى الآن حيث كنا نتمشى على ضعته ولكنني لا أستطيع أن أقول لك شيئا بثقة ويقين وأعتدق أنني قد أستطيع فيما بعد هل يمكن أن أرى ألمانيا في طريقي إلى (روما) أم لا؟ فقد تلقيت دعون من (روما) واريد أن أزورها قبل أن أعود إلى الهند ولست في حاجة إلى أن أخبرك بأمنيتي الملحة في قلبي على اللقاء معك وتجديد الذكريات الماضية تلك الذكريات التي مع الأسف قد مضت إلى غير رجعة وأرجوك أن تراسليني خلال هذه الفترة.

المخلص محمد إقبال ولم أعد أستاذا الآن "

أما الرسالة الثانية فقد كتبت في ١٩ نوفيمبر ١٩٣١م من نفس العنوان وهذه ترجمتها:

"فقد تكرمت بالكتابة إلى وأنا كنت أتطلع إلى اللقاء معك في (هيدل برج) ولكنه من الأسف الشديد أن البرامج قد تغير فجأة فقد لا أتمكن الآن من أن أجتاز (ألمانيا) ولا بد لي أن أتجه مباشرة إلى (روما) حيث دعاني إليها السيد (ماركوني) ومن هناك سأسافر في ٧ ديسمر لأشارك في المؤتمر الإسلامي الدولي الذي سيعقد بمدينة القدس لو أ تيح لي اللقاء بك وتجديد الذكريات القديمة لسرني جدا ولكنه من سوء الحظ لا يمكن ذلك في الوقت الحاضر ولكنه من الممكن أن آتي إلى أوربا خلال العام المقبل فإذا أمكن لي ذلك فلا بد أن آتي إلى (هيدل برج) لألتقى بك وأرجوك أن تقبلي تمنياتي القلبية وتحياتي الطيبة كما أرجوك أن تبلغي تحياتي إلى صديقاتك اللاتي عرفتني بهن خلال إقامتي في (هيدل برج) وأرجوك أيضا أن تراسليني على عنواني في لاهور لأن مثلا فارسيا يقول "المكتوب نصف اللقاء" وعساك بالخير.

المخلص محمد إقبال"

وقد سافر إقبال إلى (لندن) للمشاركة في مؤتمر المائدة المستديرة الثاني ولكن الناس كانوا قد أقبلوا عليه حتى أصبح هناك مركزا للعم والأدب فيمكن أن نقسم مشاغله في (انكلترا) إلى قسمين أي اشتغاله باجتماعات المؤتمر وحضوره في الحفلات العلمية والأدبية التي أقيمت تكريما له.

أما مؤتمر المائدة المستديرة الثاني فبما أن إقبالا كان ممن أيد الرأي باحتفاظ مبدأ الانتخاب المستقل للمسلمين فقد قضى معظم وقته وهو يساهم في إجراءات لجنة الأقليات فقد عقد الاجتماع الأول لهذه اللجنة في ٢٨ سبتمبر ١٩٣١م وقد أصر السيد (غاندي) خلال الاجتماع هذا على إضحار (الدكتور أنصاري) زعيم الحزب الإسلامي الوطني فإذا لم يؤيد (الدكتور أنصاري) ما يطالب به المسلمون فإنه ـ أي: غاندي ـ سوف يكون معه ويؤيد موقفه .

أما المندوبون المسلمون فإنهم قالوا: إن السيد (غاندي) يستطيع أن يدعو (الدكتور أنصاري) بصفته الخاصة إذا أراد ولكنه لم يوافق على ذلك ونظرا إلى ذلك فإن الاجتماع الأول لم يثمن بشئ وأجل لمدة يومين لكي يتمكن الممثلون من الفق الدينية المختلفة من تبادل الآراء في محادثات غير رسمية وفي ٣٠سبتمر ١٩٣١م عقد الاجتماع الثاني للجنةولكن السيد (غاندي) اقترح المزيد من الحادثات الخاصة فأجل لمدة ثمانية أيام وخلال هذه الفترة أيضا جرت المحادثات الخاصة للتفاهم بين المسلمين والهنادكة والسيخ والفرق الأخرى إلا أن هذه الحادثات أو المحاولات لم تجد بشئ وأخيرا عقد الاجتماع للجنة الأقليات في ٨ أكتوبر ١٩٣١م وأعلن فيه السيد (غاندي) بكل تأسف بأن محادثات التفاهم قد قشلت واقترح تأجيل اجتماع اللجنة لمدة غير معلومة فألقى السير (محمد شفيع) كلمته عارض فيها اقتراح (غاندي)(وقال بأنه لا يمكن إعداد دستور إلا إذا تم حل المشاكل الطائفية.وفي النهاية أعلن رئيس ورزاء (بريطانيا) في كلمته بأن اجتماع لجنة الأقليات مستمرة أما التاريخ والموعد فيمكن التعديل في ذلك حسبما يتفق عليه الممثلون.أما إقبال فكان قد أعد كلمة عن المطالب الإسلامية إلا أنه لم تتح له الفرصة لإلقائها وقد عرضت اقتراحات مختلفة خلال هذه القترة وقد نشرت تفاسير البعض منها في جرائد لندن. أما الحل التفق عليه للمشاكل الطائفية فلم يمكن الوصول إليه ولهذا السبب رفض المندوبون المسلمون المشاركة في اجتماع لجنة الهيئة الفيدرالية في ٢ نوفمبر ١٩٣١م وقالوا إنهم لن يشاركوا في أي نقاش عن

الدستور إلا إذا تم الحل المرضى للمشاكل الطائفية وفي ١٣ نوفمبر ١ ٩٣١م إلى (عبد اللن تشفتائي) وهي تفيدنا في هذا الموضوع بموقفه والأوضاع في لندن حيث يقول إقبال(٣٥):

"وقد كانت هذه الأيام كثيرة الأشغال للغاية فقد عقد اجتماع لجنة الأقليات ثلاث مرات ولكنه أجل كل مرة من أجل المحادثات الخاصة وقد جرت محادثات خاصة طويلة ولكنها لم تخرج بشئ حتى الآن. إن الهنادكة والسيخ لا يزالون يعارضون المطالب الإسلامية ولعل لجنة الأقليات التي أنا عضو فيها ستجتمع في ١١/نوفمبر وسوف تكون بدون نتيجة أيضا والحقيقة أن مهمة لجنة الأقليات هي المحاولات للتفاهم وقد تمت هذه المحاولات ولكنها لمتخرج بشئ حتى الآن."

وأما رأي المندوبين المسلمين في اجتماع لجنة الهيئة الفيدرالية في ١٦ نوفمبر عام ١٩٣١م فقد كانوايرون بأن التفاهم الطائفي لم يتم بعد. ومن ثم لن يشارك المندوبون المسلمون في نقاش الدستور بدون التفاهم الطائفي. فقد يمكن أن تعلن الحكومة البريطانية موفقها عن المشكة الطائفية ولكن قد اتضح لهم في هذا الاجتماع بأن الحكومة البريطانية تريد أن تتقدم الحادثات فنشأ سؤال هل يجب أن يشاركوا في الاجتماع أم لا. فاختلف الممثلون المسلمون فيما بينهم في هذه المرحلة. أما إقبال فكان يرى بأن الوفد الإسلامي يجب أن لا يهتم بنقاش الدستور القادم بل يجل أن يعلن الفصاله عن الاجتماع وقد أيده السير محمد شفيع ومحمد عي جناح مبدئيا ولكنهما لم يكونا يريدان أن تحمل مسؤلية إلغاء المؤتمر على عاتق الوفد الإسلامي فكانا يريدان أن يعلن الوفد الإسلامي باستمرار النقاش حول مسؤليات المركز ولكن في الوقت نفسه يحب الإعلان بأن المسلمن لن يوافقوا على دستور لا يعترف بالمطالب الإسلامية وكان إقبال يعارف هذا الرأي ولم يكن أحد في الوفد الإسلامي من أيده مما جعله يسئم وييئس فأرسل رسالة إلى (السير آغا خان) قائد الوفد الإسلامي في ١٦ نوفمبر ١٩٣١م فأخبره فيها بأنه قد انفصل عن الوفد وبعد بضعة أيام أخبر وكيل الدولة بأن إقامته في لندن لا جدوى من ورائها وأنه سيعود في ٢١/ نوفمبر ١٩٣١م. (٣٦).

ويتضح من سجلات مؤتمر المائدة المستديرة الثاني بأن إقبالا لم يساهم بشئ عمليا في الحادثات وإنما ظل جالسا صامتا في اجتماعات لجنة الأقليات ولكن السؤال: ما ذا كان من الممكن أن يفعله إقبال في الاجتماع غير الجلوس صامتا وذلك لأنه كلما عقد اجتماع لجنة الأقليات أجل كل مرة حتى أنه لم يتمكنمن أن يقرأ كلمته التي كان قد أعدها وقد شارك في الحادثات الخاصة للتفاهم بين الفرق

إلا أن هذه المحادثات قد كانت جهدا عقيما لا جدوى من ورائه. على ل حال فإن اجتماعات لجنة الأقليات ثم تثمر بشئ وتحدث إقبال مع المسؤلين البريطانيين بسفة غير رسمة حول استقلال إمارة (حيدر آباد) إلا أن السير (أكبر حيدري) عارض هذا الاقتراح ولهذا السبب على حد تعبير (عظيم حسين) تنازع إقبال مع السير (أكبر حيدري) ثم نشأت الخلافات بين إقبال وبين المندوبين المسلمين في المراحل الأخيرة من المؤتمر. وذلك لأن إقبالا كان يعارض المشاركة في نقاش الدستور قبل تسوية المشكلة الطائفية. أما المندوبون المسلمون الآخرون وإن انوا قد وافقوه مبدئيا ولكنهم وصلوا إلى الاجتماع فلم يعلنوا بذلك وإنما رأوا السكوت من المصلحة عالم يعجب إقبالا فأعلن انفصال عن الوفد الإسلامي في شيئ من التبرم واليأس. وجملة القول فإن إقبالا يئس من إجراءات مؤتمر المائدة المستديرة الثاني ككل كما أنه قد يئس من موقف البعض من أعضاء الوفد الإسلامي وقد يئس نائب الأمبراطور من موقف إقبال هذا حيث كان قد رشحه للمشاركة في مؤتمر المائدة المستديرة الثاني على إشارة من (السير فضل حسين) وكان بدأ يدرس قضية تعيين إقبال عضوا في اللجنة الهندية للخدمة المدنية فقد جاء في مذكرته الخاصة في يوم ٢٥ نوفمبر ١٩٣١م ما نصه: (٣٧):

"وكان بإمكاني أن أ؛اول إلى ما وسعني لتعيين إقبال في هذا امنصف لو أن هذا المجنون لم يعلن في برقيته بأنه قد استقال من مؤتمر المائدة المستديرة بينما لم يفعله غيره من الممثلين ما فعله إقبال."

وأما مشاغل إقبال الأخرى خلال إقامته في انكلترا فهذه تفاصيلها: في أول أكتوبر ١٩٣١م جاء السير (سيموئل) وزير الهند لزيارة إقبال في مقره وتحدث معه عن مكانة المسلمين في الدستور الهندي وفي ٧ أكتوبر ١٩٣١م حضر إقبال في مأدبه للسيد (ضياء الدين طباطبائي) رئيس وزراء إيران سابقا فقد كان في عام ١٩٢١م في عهد (أحمد شاه قاتشار) رئيسا لوزراء إيران حين كان (رضا خان) . الملك رضا شاه بهلوي فيما بعد . وزير الحرب فنشأت خلافات بينه وبين (رضا خان) فاستقال عن رئاسة الوزراء واستوطن في (سويسرا) وكان السيد ضياء الدين طباطبائي يتحدث تسع لغات مختلفة وكان من أنصار السيد جمال الدين الأفغاني ووحدة العالم الإسلامي وكان قد رافق إقبالا في المؤتمر الإسلامي الذي عقد بمدينة القدس وكان في زيارة لندن لبضعة أيام فأنشده إقبال مقتبسات من ديوانه" جاويد نامه" فأعجب بها السيد طباطبائي وقال إنه لم يسمع بشعر مثله قبل ذلك. وفي ٨أكتوبر ١٩٣١م حضر إقبال في مأدبة طعام أقامتها سفارة العراق في لندن ثم

حضر في مأدبة طعام أقامها سفير ألبانيا في ٩ أكتوبر ١٩٣١م وفي نفس اليوم دعاه السيد (بنكهارت) رئيس تحرير مجلة (ساتردي ريفيو) على لاشامي. وقد تحدث بهذه المناسبة إلى الصحفيين البريطانيين فقال: (٣٨)

"يجب على الانجليز أن يتناولوا عن الثروة المالية في البحر الميت والمصالح الاستغلالية الأخرى ويتخذوا موقفا خلقيا عادلا مع الشعب الفلسطيني وأن أول خطوه بهذا الصدد هو القاء إعلان (بلغور)"

وفي أكتوبر ١٩٣١م أقام السير (ظفر الله خان) مأدبة فاخرة في مطعم (شفيع) بلندن تكريما لإقبال والممثلين المسلمين الآخرين وهذا المطعم كان يملكة (محمد شفيع) أحد مواطني مدينة (أمرتسر) من الهند حيث أعدت أطعمة بلدية شهية وفي اليوم التالي دعا الشيخ (فرزند علي) إمام مسجد لندن وزملائه إلى "مسجد الفضل" فعرفهم ببعش من كان قد اعتنق الإسلام حديثا من الانجليز. وفي ١٣ اكتوبر ١٩٣١م جاء السير (ديني سونراس) لزيارته فتحدث مع إقبا حول الحركات الدينية في العالم الإسلامي وخاصة البهائية ثم جاء في اليوم التالي مرة ثانية إذ كان يعد محاضرة عن هذا الموضوع ليلقيها في أمريكا. وفي ١٤/أكتوبر ١٩٣١م أقامت السيدة (فاطمة العابد) الانجليزية التي كانت قد اعتنقف الإسلام حديثا مأدبة لعام له في فندق(رتز) بلندن وفي ١٦ أكتوبر ١٩٣١م زاره (غازي رؤف بك) وجرى الحديث بينهما لثلاث ساعات وان (رؤب بك) هذا من أبطالحرب تحرير تركيا.

فنشأت الخلافات بينه وبين مصطفى كمال قضاه في عام ١٩٣٤م وفي نفس اليوم حضر إقبال في مأدبة فاخرة أقامها (سردار أ؛مد علي خان) الوزير المفوض في القنصلية الأفغانية بمناسبة عيد التويج للملك (محمد نادر شاه) وخلال هذه الأيام زاره (الشوذري رحمت علي)و(الخواجا عبد الرحيم) وغيرهما من الطلاب المسلمين في كيمبردج وعلى حد قول (الخواجا عبد الرحيم) أخبر الطلاب إقبالا بأن الدولة الإسلامية التي اقترح إنشائها إقبال في الشمال الغربي من الهند قد سميت بباكستان وأن هذه الكلمة مركبة من أول الحروف لأسماء المناطق الإسلامية من كشمير والأقاليم الثلاثة للأغلبية الإسلامية في الشمال الغربي من الهند وأن كلمة "تان" هو الجزء الأخير من كلمة "بلوجستان" (٣٩)

وكان إقبال مريضا في ذلك اليوم فظل يستريح في مضجعه فرجا من هؤلاء الطلاب أن يكتبوا كل حرف من حروف باكستان المختلفة على قطعات مستقلة من الورق ويتركوها حول مضجعه ليفكر فيها فاستجاب الطلاب لما طلبه وانصرفوا

وفي ٢٠ أكتوبر ١٩٣٠م جاء كولو نيل (فيرار) ليزوره وبعد يوم أو يومين زاره الأستاذ (جب) فدعاه ليلقي محاضرة في جامعة لندن ولكنه لم يستطع أن يلبى الدعوة بسبب المشاغل الكثيرة وقد جرى الحديث بينه وبين كولونيل (فيرار) عن الحركات الإسلامية في الهند كما أن الحديث الذي جرى بينه وبين الأستاذ (جب) كان عن الحركات الإسلامية في أفريقيا.

وفي ٢٣ اكتوبر ١٩٣١م زاره (سعيد شامل) وكان (سعيد شامل) هذا قد حارب الشيوعيين الروسيين في شمال(فقفاسيا) لتحرير بلاده فأخبر إقبال عن الفظاءع التي ارتكبها الروس ضد المسلمين وكان نازلا في (وارسو) "بولنده"وكان من أعدى أعداء الشيوعيين فأخبره إقبال بأن الشيوعية الروسية قد تفيد في القضاء على الامبريالية الأروبية فعلى المسلمين أن يتخذوا موقفا دبلوماسيا لا يعارض الشيوعية الروسية إلا أن (سعيد شامل) لم يوافق إقبالا فقال بأن الشيوعية الروسية قد يبدو خيرا من الامبريالية الأروبية ولكنها في الحقيقة امبريالية أخرى في ذاتها.

ولكن إقبال لم يزل يقول له بأن الامبريالية الأروبية ستستفيد من المعارضة العالمية للشيوعية الروسية وعليه فلا بد من وجودها للضغط على التفوق الاقتصادي الأروبي وغيره من الأمراض الأروبية الخبيثة وفي نفس المساء اشترك إقبال في حفلة الشاي التي أقامها الأمير (أ؛مد سعيد خان شطاري) تكريما للمندوبين المسلمين. وكان إقبال خلال إقامته في لندن قد تعرف على الآنسة (مرجريت فركوهرسان) رئيس "رابطة انكلترا القومية" وكانت الآنس (مرجريت) هذه تتعاطف مع المسلمين وكان من أهداف حزبها توطيد العلاقات الطيبة بين المملكة البريطانية والعالم الإسلامي ومحاولة التعويض لما أسيئ إلى المسلمين فيما مضى فأقامت مأدبة طعام في ٢١٧ أكتوبر ١٩٣١م تكريما لإقبال والشيخ (شوكت علي) وشاركها بعض أتباعها وأنصارها وبعد نهاية الحفلة ذهب إقبال مع بعض أصحابه إلى قاعة (قواكر) حيث رأو الرجال والنساء من "قواكر" وهم يشتغلون بعبادتهم على الطريقة الخاصة بهم.

وفي الخامسة مساء من ٢ نوفمبر ١٩٣١م عقد اجتماع للجنة الهندية بلندة حيث ألقى إقبال كلمته وكان رئيس اللجنة الهندية هذه هو السير (فرانسيس يونج هسباند) وهو الذي عرف إقبال بمن حضر في الاجتماع فقال إقبال خلال كلمته وهو يوضح موقفه الشعري بأنه توجد أفكار فلسفية في شعره إلا أنه لا يملك نظرية فلسفية منظمة وإنما يؤمن أيمانا قويا بمستقبل الإنسان الزاهر المضئ وأنه

يعتدق بأن الإنسان يملك من الكفاءة والمواهب التي تؤهله ليقوم بدوره كعنصر مستقل فعال في نظام الكون ثم شرح بعض أبياته الشعرية موضحا بها أسلوبه الشعري ثم ذكر مؤلفاته ودواوينه الشعرية باللغة الفارسية كان آخرها أحدث دواوينه الشعرية" جاويد نامه" أو رسالة الخلوف وكان هذا الديوان تحت الطبع في ذل الوقت وفصل القول عن موضوع ديوانه وأهدافه وفي النهاية قام إقبال بالرد على الأسئلة التي وجهت إله في الاجتماع عن (خودي) أو الذاتية الإنسانية وتعشى إقبال في ذلك المساء مع (اللورد مارفين) والسيدة فرينته. (٤٠)

وفي ١٨نوفمبر ١٩٣١م سافر إقبال لمدة يوم واحد إلى كيمبردج ورافقه (غلام رسول مهر) والشيخ(شفيع الداودي) في هذا السفر فاستقبله على الحطة (الشوذر رحمت علي) و(الخواجا عبد الرحيم) وغيرهما من الأصدقاء وفي الخامسة مساء أقيمت حفلة الشامفي في فندق(آمرز) الجامعي حيث حضر العديد من الأساتذة الجامعيين بما فيهم الأستاذ (نكلسون) والأستاذ (ليفي) وعرف إقبال لدكتور (سليمان)المصري الذي كان رئيسا للاتحاد الإسلامي في كيمبردج كما أن الأستاذ (سارلي) والأستاذ(نكلسون) والأستاذ (ليفي) تحدثوا في الاجتماع وأخيرا قام إقبال فألقى كلمته فشكر أولا القائمين بعقد الحفلة كما أنه تأسف على عدم حضور الأتساذ (براؤن) والأستاذ (ميل تيجريت) فقال: (٤١).

"إن مشاركتي في إجرائات المؤتمر ليست مباشرة وإنما هي مشاركة غير مباشرة فقد كان الناس ها هنا يقضون في حظوظ الشعوب الهندية المختلفة فرأيت من اللازم أن أشاركهم في هذا العمل وأساعد زملائي المشاركين وكما أن الجميع يعرفون إننا لم نستطع الوصول إلى قرار حاسم في محادثاتنا ولم نتمكن من إيجاد الأساس الذي يوجد بيننا وأريد أن أنصح للشبان الذين يدرسون الآن في جامعة كيمبردج ببعض ما أراه مفيدا لهم إن جامعة كيمبردج ينبوع من العلم والفضل الذي قام بأكبر دور في تكوين المدنية والثقافة الأوربية وأنني أنصح لهم أن يجتنبوا مكائد الدهرية والمادية. إن أكبر خطا ارتكبه أهل أوربا هو: أنهم فرقوا بين الدين والحكم وبذلك حرمت ثقافتهم من الروح والأخلاق واتجهت اتجاها ماديا دهريا وأنا أعتقد أن الذاتية الإنسانية هي مركز الكون وهو وجهة النظر الأولى.فإن الفلاسفة وصلوا من الكثرة إلى الوحدة وأما الطريق الصحيح فهو الوصول إلى الكثرة من طريق الوحدة. وكنت لاحظت قبل خمس وعشرين سنة عيوب هذه المدنية وجوانبها الضعيفة وكنت في حينها قد تكهنت ببعض التكهنات عن مصيرها ورغم أنني أنا أيضا لم أ كن أفهم تلك التكهنات الغامضة فها جيدا وكان ذلك في سنة ١٩٠٧م وبعد ست سنوات أي في

١٩١٤م فقد تحققت تلك التكهنات تحققا كليا. إن حرب ١٩١٤م الأروبية إنما كانت نتيجة لما ارتكبه أهل أوربا من الخطأ الذي سبق وقد ذكرت لكم أي الفصل بين الدين والحكم وظهور المادية الدهرية. إن الشيوعية هي النتيجة الطبيعة للفصل بين الدين والحكم إنني أنصح للشبان أن يجتنبوا المادية الدهرية وقبل بضعة أيام كنت في جمع كبير من السيدات الأنجليزيات فقيل لي أن أنصح للنساء بما أراه مفيد الهن. فقلت لهن: إن أول واجب وأهمه للمرأة الانجليزية هو أن تنفذ الجبل القادم من المادية الدهرية. إن الدين أمر ضروري حيوى وإن الدين إنما يعني العرفان واليقين."

وقبل أن يغادر لندن أقمت حفلة الشاي من قبل لجنة إقبال الأدبية في ٦نوفمبر ١٩٣١م بفندق (والد روف) تكريما له وحضرها أربعمائة شخصية بارزة بما فيهم جميع المندوبين لمؤتمر المائدة المستديرة الثاني كالزعيم الهندوكي (غاندي) والسير(بنج بهادر سبرو) والسيدة (سروجني نائيدو) و(آغا خان) و(محمد علي جناح) والسير (عمر حيات توانه) والسير (محمد شفيع) والسير (ظفر الله خا) والشيخ (شوكت علي) والسير (أكبر حيدري) والسير (الميرزا محمد إسماعيل)و(سردار اجال سنغ) وغيرهم بالإضافة إلى ع دط كبير من الضيوف الانجليز وكان عدد السيدات لا بأس به بالإضافة إلى كبار أهل العلم والفضل كما حضر في الحفلة الطلاب الهنادكة والمسلمون الذين كانوا يدرسون بجامعات لندن وكيمبردج وآكسفورد بالإضافة إلى الطلاب غير الهنديين وكان (الشوذري رحمت علي) و (الخواجا عبد الرحيم) في طليعة الطلاب المسلمين وكان إقبال واقفا في غرفة كبيرة لاستقبال الضيوف وكان بجانبه السير (عمر حيات توانه)الذي كان يعرف إقبالا بكل ضيف قادم وأما حفلة الشاي فقد أقيمت في قاعتين كبيرتين متصلتين وفي نهاية الشاي بدأت إجراءات الاجتماع فترأسه (السير عبد القادر) فألقى الأستاذ (نكلسون) كلمته أوضح فيها بأن إقبال يريد أن يوجه رسالة خاصة في شعره وأن الجانب البارز من هذه الرسالة هي الدعوة إلى الروحية ومعارضة المادية الدهرية وقد ظن البعض من الناس في البداية بأن إقبالا يقدم أفكار (نتشة) باللغة الفارسية ولكن كل من درس شعره دراسة عميقة اتضح له بأن الأمر ليس كذلك. إن تعاليم إقبال وأفكاره تختلف تمام الاختلاف منه.

وحين أنهى الأستاذ (نكلسون) كلمته قام السيد (نياز محمد خان)سكرتير جمعية إقبال الأدبية فقدم كلمة الترحيب بإقبال وفي نهاية كلمته شكر إقبال مضيفية والضيوف الكرام فأخبرهم عن انطباعاته عن انكلترا حين رآها لأول مرة

حيث جاء طالبا كما أنه أخبرهم بما عاد إلى وطنه من الأفكار والآراء وكيف جاءته فكرة النهضة للآداب الشرقية وإيجاد تراث جديد من الحياة وما الذي جعله يقول الشعر باللغة الفارسية. إن معظم هذه الكلمة لإقبال قد مر بنا في الجزء الثاني من "النهر الخالد" وهذه بقيتها: (٤٢)

"إن الأفكار والآراء التي أبديت عنها قد اعترض الناس عليها في البداية حتى قيل بأنني أنشر الدهرية في المجتمع وهذا الاعتراض قد قدمه أحد الرؤساء للكنائس المسيحية أما ما اطلعت عليه من ضعف الآداب الأروبية ووصفها وانحطاطها بالنسبة إلى العلوم الحديثة فقد قدمته في قالب شعري بين حين وآخر فمن ذلك قولي ما معناه: "إنه قد حرم من العشق أما العقل فقد أخذ يعضه عضا كالحية رغم أنه قد ملأ كأسه بالذهب الخالص واللآلي الباهرة"

وأكرر شكري لحضراتكم مرة أخرى وأما سعيد جدا فرغم أنه لا يرافقني جمع من الزملائ بهذه المناسبة إلا أنني أرى جمعا كبرا منهم بين يدي فعليكم بالإكيار من عدد الأعضاء لكم وأنصح لكم بما نصحت لابني "جاويد إقبال":

كم خود كمخواب وكم كفتار باش
كرد خود كردنده جون بركار باش

ومعناه: يجب أن تكون قليل الأكل قليل النوم قليل الكلام ويجب أن تدور حول ذاتيتك كما يدور البركار حول دائرته!

وأكرر أمامكن مرة أخرى ما قلته وأنا أتحدث إلى حضرات المتصوفين:

بلغ عني رسالة إلى المتصوفة المتورعين اولئك الذين يبحثون عن ذات الله ويدركون حقائق المعاني.

إنني أطيع همة ذلك البطل الجليل الذي يعرف نفسه ويقدر قدره ذلك الذي يرى اللهسبحانه وتعالى بنور ذاتيه.

ثم قام الشيخ (نور محمد) والأستاذ (عبد الله يوسف علي) فألقيا كلمتيها عن شعر إقبال وفكرته وأخيرا قامت السيدة (سروجني نائيدو) فألقت كلمة ممتعة للغاية وانتهت الحفلة بكلمة ألقاها (السير آغا خان) (٤٣).

وفي التاسعة صباحا من ٢١ نوفمبر ١٩٣١م غادر إقبال إلى روما من محطة "فكتوريا" للقطار بلندن ورافقه (غلام رسول مهر) في السفروكان على المحطلة بعض أصدقائه قد جاءوا ليودعوه ثم ركب القطار من مينا (بولون) في فرنسا في الثانية ظهرا حتى وصل إلى محطة (جاردي نورد) في باريس في الساعة الرابعة حيث استقله (امراؤ سنغ شير جل) الذي كان قد تلقى برقية من إقبال يخبره بوصوله ثم

وقف القطار في محطة (جاردي ليان) حيث كان المعجبون بإقبال قد وصلوا ليستقبلوه فقضى إقبال معهم بضع لحظات وفي الخامسة مساء تقريبا تحرك به قطاره من باريس فقضى تلك الليلة واليوم الكام من ٢٢ نوفممبر ١٩٣١م في ذلك السفر وفي الثامنة ليلا تقريبا وصل القطار إلى محطة (روما) حيث كان الدكتور (سكاربا) القنصل الإيطالي العام بمدينة (بومبائي) من أصدقاء إقبال والأستاذ (ايرستاكو) أستاذ الفلسفة بجامعة (روما) والذي كان ينوب عن الأكادمية الإيطالية الملكة في استقباله على المحطة. فأخذ إقبال و(غلام رسول مهر) معهما معهما فركبوا جميعا في سيارة فذهبوا إلى فندق فخمحيث نزل إقبال وزميله وكانوا قد تعشوا في منزل الدكتور (سكاربا).

وفي سباح ٢٣/نوفمبر ١٩٣١م جاء الدكتور (سكاربا) إلى الفندق فأخذ إقبالا ليذهب به إلى بعض أهل العلم والأدب هناك ثم عادوا إلى الفندق حيث زارهم الأستاذ (فالميكي) نائب رئيس الأكادمية الملكية في الواحدة ظهرا فجرى الحديث بينهم واستمر إلى ساعتين وفي الساعة الثالثة جاءت سيدة إيطالية فاضلة لتزور إقبالا كما زارته سيدة إيطالية أخرى في المساء والتي كان زوجها من أصحاب البنوك وكانت قد زارت الهند والمناطق المختلفة من آسيا الوسطى. ثم جاء مسؤل كبير من الوزارة الخارجية ليزور إقبالا.

أما صباح ٢٤ نوفمبر ١٩٣١م فكانوا قد خصصوه لزيارة الآماكن التاريخة فخرج إقبال ومعه (غلام رسول مهر) وموظف من مصلحة الآثار القديمة الإيطالية وسيدة ألمانيا كانت تعرف الانجليزية حتى وصلوا إلى (كويزيم) أو مسى (ايلفي) فأخبرهم خبير الآثار بأن هذا المسرح يسع خمسين ألفا من المقاعد وكان مسرحا للمقاتلة بين السباع والإنسان فقال إقبال وهو يخاطب(غلام رسول مهر) انظر فهؤلاء ملوك (روما القدماء الذين بنوا هذا المبنى الفخم ليتفرجوا على المقابلة بين السباع والآدميين جالسين مع خمسين ألف شخص. وفي ناحية أخرى فقد تم بناء المسجد الملكي بلاهورليسع مائة ألف شخص من عباد الله الذين يجتعون ليعبروا عن المساواة والأخوة الإسلامية والحب الصادق ومشاعر الإخلاص النقية ونظرا إلى هذا المثال وحده فبإمكاننا أن نقدر البركات والحسنات التي تنبع من ينبوع الإسلام فوقفوا برهة في ذلك المكان ثم مروا من باب قيصر آغسطين للفتح حتى دخلوا المنصة وشاهدوا الجوانب الهامة من البناء ثم عادوا بعد ساعتين ونصف تقريبا. ثم قضوا بعض الوقت في الفندق فاستراحوا ثم خرجوا فزاروا (كينا كومب)

وهي طرق جوفية تحت الأرض تمتد إلى أميال وفيها مغارات ودرجات من الدور التحتانية حيث توجد الهياكل والجماجم الإنسانية للرهبان المسيحيين خلال العصر الرومي. وقد أثرت هذه المشاهد في نفس إقبال تأثيرا بالغا فقال: (٤٤)

"يا بروعة الدين فإن له قدرة غريبة حتى أنه لا توجد قوة أخرى بإمكانها أن تضاهي قوة العقيدة والإيمان إن هذا الذي حدث لم يحدث إلا بتحمس العقائد الدينية فقط. إن العقيدة وإن كانت على أصل خاطئ إذا تحولت إلى دين سيطرت على النفوس والقلوب فأوجدت قوة غريبة وحرارة عجيبة في القوى العملية للإنسان.

إن طرق (كيتا كومب) الجوفية وظلامها الحالك أيضا أخذت انتباه إقبال فعلق عليها قائلا:

"إن كل دين من الأديان التي سبقت الإسلام كان يميل بطبيعته إلى الظلام والخفاء والأسرار والإسلام هو أول دين أمر بعبادة الله الواحد القهار في ضوء لامع من الشمس وأخرج دينا من الستار والخفاء إلى النور والإظهار وهذه حقيقة تتضح بنظرة مقارنة عابرة على مساجد الإسلام ومعابدة الأديان التي سبقت الإسلام."

وفي الخامسة مساء زاره العالم الإيطالي المعروف الأستاذ (جينتيلي) فتحدث معه عن الموضوعات المختلفة واستمر الحديث بينهما إلى ساعة تقريبا وقام الدكتور(سكاربا) بدور المترجم بينهما. أما موضوعات الحديث فقد كان من بينها دور الشعر والموسيقي في بناء أمة وتثقيفها وانطباعات إقبال عن آثار (روما) ومستقبل المدنية الأروبية وكان الدكتور(سكاربا) قد أعد مقالا عن إقبال للنشر في الجرائد والمجلات الإيطالية بالإضافة إلى ترجمة أبياته الشعرية إلى اللغة الإيطالية وخاصة منظومةإقبال عن صقلية وبما أن الأستاذ (جينتيلي)نفسه كان من أهل الصقلية فقد أخذ نسخة لترجمة المنظومة من الدكتور (سكاربا) ثم خرج إقبال مع الأستاذ (جينتيلي) فزار الأقسام المختلفة للمؤسسة التي كانت تعد موسوعة إيطالية تحت إشرافه أي الأستاذ (جينتيلي).

وفي ٢٥ نوفمبر ١٩٣١م في الساعة الثالثة خرج إقبال ومعه (غلام رسول مهر) ليزورا ملك أفغانستان السابق (أمان الله خان) في منزله وقد استمر هذا اللقاء لثلاث ساعات تقريبا وحكى لهما(أمان الله خان)الظروف التي أكرهته على مغادرة أفغانستان ثم جرى الحديث بينهم عن أفغانستان وشعبها ومستقبلها.

وفي ٢٦ نوفمبر ١٩٣١م ألقى إقبال محاضرة في الأكادمية الملكة الإيطالية

وقد حضر في الاجتماع جميع أهل العلم والأدب في (روما) بالإضافة إلى الأساتذة الجامعيين والشخصيات البارزة من المجالات المختلفة والسيدات الإيطاليات وأما ملحوظات هذه الحاضرة والتي قد أعدها إقبال بخطيده فقد احتفظ بها كتاب "رسائل إقبال وكتاباته" بالانجليزية للأستاذ (بشير أحمد دار) في صفحات (٨٠ إلى ٨٢) فيمكن الرجوع إليها.

وفي صباح ٢٧ نوفمبر ١٩٣١م جاء الملك (أمان الله خان) ليزور إقبالا في فندقه وجرى الحديث بينهما من موضوعا مختلفة واستمر لمساعتين تقريبا فقال له إقبال وهو يودعه ما معناه:

"إن مرشدنا قد قال لنا بأن الدنيا لا دعم لها ولا دوام على طريقة واحدة فمن ثم يجب غض النظر عن أفراجها وآلامها"

وفي نفس اليوم كان (مسوليني) قد دعا إقبالا إلى منزله وقد يحكى أشياء كثيرة عن هذا اللقاء بين (مسوليني) وإقبال فمنها ما يرويه (غلام رسول مهر) فهو يقول بأن الدكتور (سكاربا) كان قد رافق إقبالا ليقوم بدور المترجم فاستقبلهم (مسوليني) استقبالا حارا إلا أن اللقاء لم يدم طويلا فجرى الحديث عن مؤلفات إقبال فاقترح (مسوليني) على إقبال أن يسافر إلى ليبيا على نفقة حكومة إيطاليا لكي يرى الإجراءات التي تجري لصالح العرب وتقدمهم وبعد زيارته هذه يستطيع أن يقترح ما يجب أ، تقوم به الحكومة الإيطالية من مزيد الإصلاحات إلا أن إقبالا رفض ذلك معتذرا لشيق الوقت.

والحكاية الثانية هي التي يويها السير (مالكم دار لينج) الذي زار إقبالا في عام ١٩٣٤م في منزله بلاهور فيقول بأن إقبالا كان قد حكى له عن لقائه مع (مسوليني) الذي تم في قاعة كبيرة واسعة حيث كان مكتب (مسوليني) فرآه إقبال جالسا يعمل على مكتبه الكبير الموضوع على منص عالية في نهاية القاعة فمشى إقبال طويلا حتى يصل إليه ولكن (مسوليني) لم يرفع رأسه لينظر إلى الضيف القادم ولكنه حين اقترب من المنصة رفع (مسوليني) رأسه فتقدم نحوه فصافحه حارة وقد دام اللقاء بينهما أربعين دقيقة تقريبا وأراد (مسوليني) أن يعرف انطباعات إقبال عن إيطاليا فقا لإقبا في شيء من التردد بأن أهل إيطاليا في رأيه يشبهون أهل إيران فإنهم شعب جميل للغاية يعبد الفن وهو ذكي للغاية وأن ماضيه المجيد يحيط بقرون عديدة من الثقافة والمدنية ولكن ينقصه الدم فأبدى (مسوليني) عن دهشته وحيرته للغاية فقال إقبال وهو يستمر في حديثه ولكن

الإيرانيين يتمتعون بميزة بارزة قد حرم الإيطاليون منها من سوء الحظ وهي أن الإيرانيين تحيط بهم أمم قوية قاهرة يستمدون منها دما جديدا وهذه الأمم القوية القاعرة هم الأتراك والأفغان والاكراد أما الإيطاليون فإن أوضاعهم تختلف من الإيرانيين فسأله (مسوليني) قائلا: " إذن فماذا يعمل الإيطاليون؟" فرد عليه إقبال قائلا يجب الإعراض عن أوربا ويجب الاتجاه إلى الشرق أما أوربا فقد أخذت قيمها الخلقية تنحط وتزول وأما الشرق ففيه هواء الطلق يمكن التنفس فيه بكل سهولة ويسر ثم بعث (مسوليني) رسالة إلى إقبال سأله فيها عن اقتراح يمكنه من التودد إلى المسلمين من سكان إيطاليا فاقترح عليه إقبال ببناء مسجد في (روما) إلى جانب عقد مؤتمر للعلماء المسلمين في مدينة (سلونو) حيث يعتبرها المسلمون مدينة إسلامية قديمة وفي نهاية اللقاء مع (مسوليني) خرج إقبال من قصر(فينوس) فأحاط به الصحفيون وسألوه عن رأيه في (دوتشي) فقال لهم إقبال بأنه لا يرى من المناسب أن يبدى رأيه في ذلك لأنه يخشى ألا يعجب ذلك (البابا) إلا أن الصحفيين ألحوا عليه وأكرهوه على إبداء الرأي فيه وأخيرا قال إقبال: إن (دوتشي) هذا في بلادكم هو(لوثر) آخر ولكنه بدون الإنجيل.

وأما الحكاية الثالثة عن هذا اللقاء فقد حكاها (فقير سيد وحيد الدين) في كتابه وهو يحدثنا قائلا: (٤٥)

"وقد أتيح له أن يرى (مسوليني) وهو في إيطاليا وقد حكى لي إقبال بلسانه هذه الحكاية ولم يكن يريد أو يتمنى أن يرى (مسوليني) وإنما أراد (مسوليني) نفسه أن يتم اللقاء بينهما فقد كان إقبال نازلا في (روما) فبعث إليه (مسوليني) بعض رجاله فأبدى عن رغبته في اللققاء معه فقبل حضرة الدكتور دعوته فذهب ليزروه فرآه جالسا أمام مكتب في قاعة كبيرة وكان على مكتبه كومة من الأوراق فدخل عليه حضرة الدكتور فهش له فتقدم نحوه مرحبا به ولم يكن طويل القامة ولكن ذراعيه كانتا قويتين جدا. وكان وسيع الصدر كبير العينين البراقتين مثل الصقر وبعد الكلمات العادية عن اللقاء سأل (مسوليني) حضرة الدكتور قائلا:" ماذا ترى في الحركة الفاشية التي أقودها؟" فقال له إقبال: إنك قد اخترت معظم المبادئ التنظيمية التي يراها الإسلام ضرورية لنظام الحياة البشرية ولكنك لو اخترت الإسلام كنظرية الحياة لأطاعتك أوربا كلها. ولكن ذلك لم يكن أمرا ميسورا يدركه (مسوليني) بكل سهولة وقد اقترح عليه حضرة الدكتور بالإعراض عن أوربا . أي يجب عليه أن يجتنب تقليد أوربا في التقدم الاجتماعي . فسأل (مسوليني) حضرة الدكتور قائلا:" يف يمكن لي أن أكتسب تعاطف العالم الإسلامي ومساندته إياي؟" فقال حضرة الدكتور: تمنح المنحة الدراسية

لأكبر عدد ممكن للطلاب المسلمين وتزودهم بالأكل والسكن والتعليم مجانا.

فأراد (مسوليني) أن يقترح عليه حضرة الدكتور اقتراحا نادرا مديعا فقال: "يجب أن تحدد عدد السكان لكل مدينة ولا تسمح بالإضافة والازدياد في ذلك وإنما تزود الباقين من السكان بمساكن جديدة في مدن إضافية جديدة. فقال له (مسوليني) مندهشا: " فما الفائدة أو المصلحة في ذلك؟" فقال حضرة الدكتور: كلما زادا عدد السكان لمدينة ضعفت قوتها الثقافية والاقتصادية فتحل حوافز الشر محل القوة الثقافية. وأضاف حضرة الدكتور قائلا بأن هذه النظرية أو الفكرة ليست من عنده وإنما هدانا لهذه المصلحة سيدنا رسول الله . صلى الله عليه وسلم . قبل ثلاثة عشر قرنا حيث قال بأن عدد سكان المدينة المنورة إذا تجاوز حدا معينا فيجب ألا تسمح للمزيد من السكان أن ينزلوا بها وإنما يجب أن تبنى لهم مدينة جديدة. فعند ما سمع (مسوليني)هذا الحديث النبوي قام من مقامه فقال وهو يضرب كلتا يديه على المكتب: يالها من فكرة نادرة بديعة!"

وليس بإمكاننا أن نصدق هذه الحكايات الثلاثة كلها أو بعضها ولكن الحقيقة التي لا يمكن إنكارها هي أن إقبالا قد تأثر بشخصية (مسوليني) خلال اللقاء معه فقد كتب رسالة إلى (آل أحمد سرور) في ١٢/مارس ١٩٣٧م فقال فيها:(٤٦):

"إن الذي كتبته عن (مسوليني) أنت ترى فيه تناقضا ظاهرا وأنت مصيب في رأيك هذا ولكن الله سبحانه وتعالى إذا كان قد جمع في عبده هذا خصائص الشيطان وخصائص أولياء الله في الوقت نفسه فما ذا أصنع أنا؟ إنك لو التقيت يوما (بمسوليني) لعلمت بأن في عينيه بريق وحدة لا يمكن تفسير ذلك ولا نستطيع إلا أن معبر عن ذلك بامتعة الشمس أنا شخصيا على الأقل قد شعرت هذا النوع من الشعور خلال زيارتي له."

أما البريق أو الحدة التى أحسن بها إقبال فى عينى (مسولينى) فإن ذلك مما يمكن ملاحظته فى عيون المصا بين بالأمراض الذهبية والنفسية من المجرمين أو إن هذا النوع من البريق والحدة إنما يدل على قلق شديد وأن هذا البريق والقلق الذى لا يمكن تفسيره يجعل الإنسان يعترف جريمة كبيرة أو مثله خطيرة على كل حال فإن (مسولينى) كان فى قمة مجده حين رأه إقبال وكان يعتبر منقذ المشعبة فهو الذى كان قد بث روحا معنوية جديدة فى نفوس الشعب الإيطالى وأ، خطابته الجيا شة المتحمسة كانت قد نفثت بقوة هائلة فى نفوس االشباب الإيطاليين حتى اشتغل كل واحد منهم فى عمل بناء من الأعمال وكانت البلاد تتقدم نحو الرقى

والازهار بكل سرعة وكا ن إقبال على يقين بأن تحمس الشبان الإيطاليين ونشاطهم ومشاعرهم السامية كل ذلك يرجع إلى بركة النظر وكرامته من عينى (مسولينى) البراقتين ولكن (مسولينى) هاجم إثيوبيا فى عام١٩٣٥فاحتل ذلك البلد الصغير الفقير فبذلك سقط فى نظر إقبال الذى أخذ يعتبره ذئبا من الذئاب الضارية إن كل من رأى جثة (مسولينى)معلقة معكوسة فى مدنية (ميلان) بعد قتله لم يعرف بأن هذا هو (مسولينى) نفسه الذى أصبح سببا لدمار الشعب الإيطالى وانهياره والذى كان يعتبر منقذا الشعبة قبل سنوات وكان إقبال قد تأثر فى حياته ببعض الشخصيات السياسية الأخرى نفس التأثر رغم أنه يئس منهم فيما بعد لسبب أو الآخر .فمثلا كان قد كان علق آمالا جسام على الملك (أمان الله خا) بأنه سوف يبث ورحا معنوية جديدة فى نفوس الشعب الأفغانى ولكن (أمان الله خان) هذا أ:ره على الفرار من بلاده كما أنه كان قد علق آمالا على (محمد نادرشاه) بأنه سوف يبرز تشخص أفغانستان الإسلامى ولكنه كان قد علق آمالا على (محمد نادرشاه) بأنه سوف يبرز تشخص أفغانستان الإسلامى ولكنه قتل فى (كابل) كما أن إقبالا تأثر ا موقتا (بمصطفى كمال) فى تركيا و(رضا شاه بهلوى) فى إيران ولكنه أخيرا يئس من هذين كليهما فقال فى شئ من القنوط واليأس :

إن نغماتى المثيرة قد خرقت شقائق النعمان ولكن نسيم المصباح لايزال يبحث عن البستان .

إن نسيم الصباح لبستان المشرق الإسلامى لم يظهر فى (مصطفى كمال)كما أنه لم يظهر فى (رضاشاه) لأن روح المشرق الإسلامى لا يزال يبحث عن جسد مناسب يحل فيه . أى قائدا مناسبا يقوده .

إن ذاتيق أيضا تستحق العقوبة إلا أن الزمان لا يزال يبحث عن الصليب والمشانق . أى أن الشرق الإسلامى رغم فلسفة إقبال الذاتية لم يرزق بعقائد إسلامى!

وفى ٢٧ نوفمبر ١٩٣١م نشرت بعض جرائد (روما) صور إقبال أو مقالات عن شعره وفكره كما نشر بعض الأجزاء المترجمة إلى الأيطالية من منظومة "صقلية " مع عبارات مقتبسة من محاضرته فى الاكادمية المكية الإيطالية وقد زار ته سيدة غنية ثريدة من أهل صقلية فدعته ليقضى شهراكاملا فى قصرها فصقليةلكى يتمكن من زيارة آثارالمدنية الإسلامية فيها إلا أن إقبالا لم يستطيع أن يلبى دعوتها بسبب ضيق الوقت كما أن السيدة الإقطاعية (كارنى فالى) من أهل (نابولى) والتى كانت قد تعرفت عليه خلال إقامته طالبافى لندن قد كررت

زياراتها لإقبال فى (روما) ويرى بعض الناس أن السيدةالإقطاعية (كارنى فالى) هى التى كانت سببا فى اللقاء الذى تم بين (مسولينى) وإقبال وكانت الإقطاعية(كارنى مالى) تريدتقيم حفله تكريما لإقبال فليبى إقبال دعوتها بشرط أن تحضرة فيها أجمل السيدات الإطاليات فى (روما) (٤٧)

فأقامت السيدة الإقطاعية مأدبة فخمة فى ليلة ٢٧ نوفمبر ١٩٣١م فى دارها الفخمة فى (روما) وقبل ذلك كان الإقطائى (رابر تودى كاردى) عضو مجلس الأمة الإيطالى من(نابرلى) قد زار إقبالا فى فندقة فدعاه إلى (نابولى) لكى يتمكن من زيارة حضريات (بانباى) وبركان هضبة (فينروف) فلبى إقبال دعوته.

ففى ٢٨ نوفمبر ١٩٣١ م صباحا وصل إقبال و(غلام رسول مهر) إلى (نابولى) حيث استقبلهما ابن الإقطاعى (رى كاردى) ومن هناك اتجهو إلى (بمبى) حيث تجولوا بين الآثار والحضريات لساعتين تقريبا وكان المطر شديد فلم يتمكنوا من الوصول إلى قمة هضبة كان قد حضر من (روما) إلى (نابولى) ليستقبل إقبال هناك وتعشى إقبال مع (رى كاردى) فى ذلك اليوم ثم رافقهم (رى كاردى) ليو دعهم على محطة القطار فغادر إقبال و (غلام رسول مهر) نابولى فى الحاديةعشر ليلا فى٢٨ نوفمبر ١٩٣١م فوصلواإلى (برنزى) من عند ذلك اليوم-

وفى ٢٩ نوفمبر ١٩٣١م ظهار وقد اشتد الطر غادر إقبال و(غلام رسول مهر) والشيخ (شفيع الداودى) والذى كان قد لحق بهم . (برنزى) وصلو إلى (الاسكندرية) فى التاسعة صباحا من أول ديسمبر ١٩٣١م حيث استقبلهم فى اطيناء رجال الأمير (عمر طوسون) رأعضاء جميعة الشبان المسلمين و(محمد صديق نارو) والشيخ (شوكت على) وغيرهم من الأصدقاء الذين سبقوهم إلى (الاسكندرية) من (روما) مباشرة وكان أعضاء جمعية الشبان المسلمين يحملون الأعلام فى أيديهم فاستقلبوا إقبالا يهتنون فصور ممثلو الجرائد إقبالا وزملاءه ثم ركبوا فى سيارة (عمر طوسون) حيث استراحوا قليلا ولم يكن الأمير (عمر طوسون) جوجودا بالاسكندرية إلا أن ترتيبات الاهتما بالضيوف كلها كانت من قبلة وبعد استراحة قلية خرج إقبال فجول فى مدينة الاسكندرية ثم ذهب إلى مكتب الشبان المسلمين المحلى فقابل بعض أهل العلم والفضل هناك وأجرى معه المراسلون مقابلات صحفية وفى الثالثة ظهرا غادروا إلى القاهرة بالقطار فوصلوا إلى محطة القاهرة للقطار فى السادسة مساء حيث استقبل إقبال أعضاء جمعية

الشباب المسلمين وبعض أعضاء مجل الامة ومدارء الجرائد والمجلات والمسلمين الهنديين المقيمين بالقاهر وطلاب جامعة الأزهر الهنديين ونزل إقبال فى فندق " ميتر وبولبيتين) بالقاهرو وتعشى تلك الليةل مع الدكتور (عبد الحميد سعيدبك) وزير الأوقاف سابقا وغيرهم من كبار الرجالات فطلب مراسلوا الجرائد إلى إقبال أ، يوجه رسالة صحيفة باسم شبان مصر المسلمين فقال " إننى أعتمنى وآمل فى شبان مصر أن يخلصوا عهد وولاءهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم . قم عاد فى الحادية عشرة ليلا إلى فندقه .

وأدركإقبال بأن الانطاباع العام فى مصر هو أن المسلمين ياحولون أن يقفوا فى سبيل تحرر الهند واستقلالها فحا ول خلال إقامة فى مصر أن يزول سوء ألتفاهم هذا وأخبر الصحفين المصريين عن المكانة السياسية المستقلة للمسلمين الهنديين أو مقفهم السياسى وكان العديد فى الشخصيات العلمية المصرية فى انتظار إقبال ومنهم المحامى المعروف ومءلف الكتب الفلسفية المتعددة (لطفى بك جمعه)الذى قضى معظم وقته مع بالقاهرة

وفى صباح ٣ديسمبر ١٩٣١ م جاء (محمد صديق نارو) و(محمود احمد عرفانى) والمدرس (إمام دين) إلى فندق إقبال فأخذوه معهم فى سيارة لزيادرة الآثار المصرية فزاروا الأهرام التى تقع على عشرة أميال من القاهرة ثم تجولوا متنزهين فى الحدائق الجميلة على ضفة نهر النيل حيث رأ العمل ابنائى يجرى لبناء المبانى الجديدة الكثيرةة فمروا بهذه المبانى فزروا الهرم الأكبر والأوسط والأصغر ثم زاروا أبا لهول على مقربة من الأهرام فزاروا قصر العينى عند عودتهم إلى القاهرو وهو مستشفى كبير يحمل ايم العلامة بدر الدين العينى فتجولوا فى أسواق المدينة حتى وصلوا إلى منزل التاجر (محى الدين الحفنى(حيث تغدوا معه وحيث التقوا بالمجاهد السورى الدكتور (عبدالرحمن شهبندر) الذى كافح لسنوات ضد الإستمار الفرنسى فى سوريا وأخبر إقبال الدكتور (شهبندر) عن الأوضاع الراهنة فى الهند اخبار صحيحا ثم تناولوا الحديث عن أوضاع الدول العربية والمشاكل العربية فى المستقبل فوصلوا إلى الفندق فى الثالثة ظهرا حيث وجدوا بعض السادة الزوارينتظرونهم .

وفى أثناء ذلك جاء المتصوف المصرى المعروف وصاحب الطريقة الصوفية السيد (محمدماضى ابوالعزائم) مع نجليه لزيارة إقبال وأقلق إقبال حيث وجدهم ينتظرونه فى الفندق فقال له معتذرا :ياسيدى لماذا كلفت نفسك هذه المشفة والعناء فقد كان بإمكانى أن أحضر فأتشرف بزيارتكم فقال السيد ابو العزائم:

"إن سيد العالين . صلى الله عليه وسلم . يقول : إن من تمسك .

وقول الشيخ هذا زاد إقبالا قلقا واضطرا بافكأن لسانه قد عقد فجلس السيد (أبو العزائم) إلى إقبال فاستمر ينصح له وإقبال صامت ساكت يستمع إليه وعندما انصرف الشيخ لم يتما لك إقبال فاندفع سيل متدفق من الدموع من عينية فيقول:

"هل بلغ بى الزمان إلى هذا الحد حتى أن الناس يظنون بى أنا الآثم العاصى بأننى متمسك بالدين فيأتون لزيارتى عاملين بقول سيد الكونين . صلى الله عليه وسلم . ليبلغوا من رضاه . صلى الله عليه وسلم . بهذه الزيارة !"

ثم جاء الأستاذ (على بك عبدالرزاق)ليزوره وكان قد ناقش قضية الفصل بين الدين والسياسة فى بعض مؤلفاته مما جعل شيوخ الأزهر يصدرون الفتوى ضده فأوضح له إقبال وجهة نظره عن القضية وفصل القول عن الخسائر التى تلحق باالأمة بهذا التفريق والفصل بين السياسة والدين وفى أثناء ذلك دق جرس الهاتف فإذا (بمصطفى نحاس باشا) رئيس حزب الوفد على الخط مباشرة ويقول بانه ينتظر إقبال فى داره فذهب إقبال إلى بيت الأمة ليزوره فاستقبله (مصطفى نحسا باشا) بكل إخلاص وتواضع وعرف بعض بعض أعضاء حزب الوفد وبعض أعضاء مجلسه الوزارى بإقبال وكان موضوع الحديث سياسة مصر والهند ثم ذهب إقبال ليزور (أحمد زكى باشا) شيخ العروبة فى منزله الذى كان يقع على ضفة النيل وتعشى عنده وكان الحديث من قضية فلسطين وإنجاح المؤتمر الإسلامى فى محاولاته وجهوده.

وفى٣ديسمبر ١٩٣١م ظهيرا حضرإقبال فى مأدبة طعام عند (الميرزا مهدى بك) الإيرانى كما حضر فيها الشيخ (شوكت على) والشيخ (شفيع الداودى) وشيخ الأزهر وغيرهم من الكبار المدعوين .ثم اشتركوا فى حفلة الشاى أقيمت فى منزل (أحمدج زكى باشا* فى الساعة الرابعة ثم زار (محمود باشا عبد الرزاق) فى منزله حيث التقى إقبال (محمود شاه) رئيس حزب الأحرار و(محمد على باشا) والدكتور (محمد حسين هيكل)رئيس تحرير " والسياسة" إلى جانب أهل العلم الآخرين وكانوا جالسين فإذا بانجال السيد (أبى العزائم) فرأى إقبال عددا لا بأس به من اتباع الشيخ قد حضروا عنده فقال السيد (أوالعزائم) وهو ينصح كا لمعتاد إن عدد المسلمين لم يكن يزيد على بضع مئات الألوف ولكن الأمير طور يتين العظيمتين كانتا تحت أقداهم وأما اليوم وقد بلغ عددهم إلى أربعمائة مليون وهم يعانون من تغلب الكفار وقهرهم عليهم فى كل مكان والسبب فى ذلك أن

المسلمين قد أعرضوا عن الإسلام وأعرضوا عن روحه المعنوية ثم قال وهو يشير إلى قلب إقبال :هذا قلب يغمره حب الإسلام وحب رسول الله . صلى الله عليه وسلم-

وأشا رالسيد (أبو العزائم)إلى بعض أتباعه فأخذ يرتل سورة الفتح بلهجة مصرية حلوة للغاية وحين أراد إقبال أن يودع قام أتباع السيد (أبى العزائم) وأصواتهم ترتفع قائلة " عاش إقبال"

قد وصلوا بسيارتهم فقال إن أباهم ينتظر إقبالا فمن هناك اتجه إقبال إلى منزل السيد أبى العزائم

و فى ٤ ديسمبر ١٩٣١ ذهب إقبال ليزور متحف القاهرة فرأى أولا آثار الفراعنة والنوادر التى عثر عليها فى مقبرة بما فى ذلك جثة ذلك الفرعون ال١ى غرق فى البحر فى عصر سيدنا موسى . عليه السلام . ولكنهم لم يعرضوه فى معرض عام لأن الأقباط كانوا يعترضون على ذلك ثم زارو المتحف العربى الذى يحتفظ فيه بآثار المدنية الإسلامية وكان من بيتها حقيبة الإما الغزالى وسيوف كل من محمد الفاتح وسليمان الأعظم وسليم يلدوم من السلاطين العثمانين وبعد عودته من المتحف حضر إقبال حفلة الشاء أقامتها جمعية الرابطة الهندية فى الرابعة مساء ورحب (محمد صديق نارو) و(محمود أحمد عرفانى) بإقبال فى الحفلة وألقى الكلمة كل من (لطفى بل جمع) منير الحفيى ثم رد إقبال على كلمة الترحبيب فبدأ حديثه بالشكر الأعضاؤ الجمعية ثم أبدى عن رغبته فى توطيد العلاقات بين مصر والهند ثم ذهب إقبال فى السابعة مساء إلى مكتب جمعية الشبان المسلمين ليلقى كلمته أمام أعضاء الجمعية وكانت القاعة تغص بأهل العلم وألقى إقبال كمته بالانجليزية ثم حضر إقبال فى مأدبة عشاء فى بيت محمد على باشا فجرى النقاش بينه وبين إقبال عن شتى الموضوعات بما فيها مسئلة الربا والفتوحات الإسلامية خلال القرون الأولى وأسباب زوال العالم الإسلامى المعاصر والأوضاع السياسية فى الهند.

وفى صباح ٥ديسمبر ١٩٣١ بعث السيد أبو العزائم بسيارته لكى يتمكن إقبال من زيارة الفسطاط ت عاصمة مصر الإسلامية القديمة . فوصل إقبال ومعه (غلام رسول مهر) و (محمود أحمد عرفانى) إلى الفسطاط فزاروا قبل كل شئ جامع عمرو بن العاص فهذا مسجد قد صلى فيه شخصية بارزة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ت فأخذ الناس يلعقون التراب حتى صارت حفرة فى صحن المسجد (لعل المؤلف لايعرف أن عمرو بن العاص فاتح مصر ومؤسس

هذا المسجد كان من كبار الصحابة . رضى الله عنهم أجمعين . وهو الذى بنى المسجد وصلى فيه . المترجم) ولم يكن قد بقى من أعمدة المسجد غير عمودين وبما أن البعض وبما أن البعض من الضعفاء العقيدة والإيمان كان قد إشتهر فيهم بأن جميع أعمدة المسجد كانت غير هذين العمودين اللذين قد بقيا على كفرهما فكانوا يضربنهما بالأحذية بعد كل صلاة مما جعل حكومة مصر يبنى شبكة حديدية حولهما للاحتفاظ بهما وكان فى شمال المسجد آثار من قصر الملوك المسحيين ومعابدهم وفى جنوب المسجد تقع مدينة فسطاط رغم أن لم يبق منها إلا آثار وحفريات وعلى مسافة قصيرة من الفسطاط توجد مقابر للسلاطين المماليك وملوك الأسرة الخديوية فقراء إقبال الفاتحة على قبورهم ثم زار ضريح الأمام الشافعى وهو ضريح فى غرفة مربعة قد بنيت عليه قبة وجدارنها مزخرفة والقبر يرتفع من الأرض ستة أقدام تقريبا وعليه غلاف أحضر وحوله شبكة فجلس إقبال خارج الشبكة فظل يقراء القرآن للحظات ثم خرج فزار قلعة محمد على مؤسس الأسرة الخديوية بالإضافة إلى زيارة المساجد التاريخية حتى ثم وصل إلى جامع الأزهر فوجد مدير الأزهر (محمد خالد حسين) فى انتظاره فجلس إقبال بين الطلاب يستمع إلى دروس التفسير والحديث والمنطق ثم زار القسم الجديد من جامعة الأزهر حيث يتلقى الطلاب الدروس فى العلوم المعاصرة مثل الطبيعات والكيميا وكان أحد أساتذة الجامعة قد ألف قصيدة مدح بها إقبالا فأنشد الشاعر قصيدته لإقبال ثم ارتفعت أصوات الطلات تقول"عاش"الدكتور إقبال عاش الشاعر الهندى ثم زار إقبال شيخ الأزهر الشيخ (مصطفى المراغى) الذى كان ينتظره فى مكتبه ثم قال إقبال وهو يسجل إنطباعاته عن جامعة الأزهر : الطريق وحيد رغم القافلة قد تغيرت فإذا ماستتطعتم أن تقودوا القافلة الإسلامية المعاصر كما يقتضيه العصر الحاضر وإلا فلا يمكن لكم النجاح فى تحقيق أهدافكم .

وخرج إقبال من جامعة الأزهر فذهب إلى بيت السيد (محمد رمضان) فتناول الغداء معه ثم ذهب إلى منزل السيد ابى العزائم فمكث عنده لحظات واستفاد منه ثم عاد إلى فندقه فأرسل متاعه إلى محطة القطار ثم ذهب إلى منزل الدكتور (شهبندر)فاشترك فى حفلة الشاى عنده حيث كان عدد من المجاهدين السوريين فى انتظار إقبال بالإضافة إلى أحمد زكى باشا وعلى عبد الرزاق و؟؟؟ جمعه والدكتور منصور فهى ومنير الحفنى وأحمد جمال باشا الغزى وبعد نهاية حفلة

الشاى ذهب إلى محطة القطار حيث وجد الكثيرين من الأصدقاء المصريين والهنود الذين حضروا ليودعوه توديعا أخيرا وفى تمام الساعة السادسة تحرك القطار إلى فلسطين فودع إقبال مصر وقد ثبت فى أعماق قلبه من نقوش الحب والإخلاص الصادق من قبل المسلمين المصرين (٤٨)

وقد وصل القطار بإقبال و(غلام رسول مهر) إلى القنيطرة خلال ثلاث ساعات بعد أن وقف على محطة (نبها)و (زقازيق) و(الإسماعيلية) وكانت جماعة من مسلمى بنجاب على محطة الإسماعيلية تنتظر إقبال لترحب به وعند ما تحرك القطار ودعوا إقبال بين الهتافات الرنانة فغيروا القطار فى محطة القنطيرة ومن هنا تحرك القطار ومن هناك تجه بهم القطار نحو وغزة ومناطق (مجدل) الصحرائية حتى وصل إلى اللد حيث غيروا القطار ومن هناك اتجه بهم القطار نحو المنطقة الجبلية وهو يجرى بهم على جانب البحر الابيض المتوسط وحين وصلوا إلى محطة اللد بدا المطر ينزل وهذه المنطقة الفلسطينية كانت جميلة خضراء للغاية وانقضى الليل كله فى السفر ووصل إقبال إلى مدينة القدس فى الساعة التاسعة والنصف صباحا من ٦ديسمبر ١٩٣١ م وكان المفتى السيد أمين الحسينى والشيخ شوكت على والقائمون بشؤن المؤتمر الإسلامى قد حضروا على المحطة يستقبلوا إقبالا وكانت اجتماعات المؤتمر الاسلامى تعقد فى مبنى روضة المعارف بجانب حرم القدس فنزل المندوبون فى الفنادق المختلفة القريبة من الحرم ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟والبعض الآخر بمافيهم الشيخ شوكت على والشيخ شفيع الداودى ورؤف باشا نزلوا فى روضة المعارف أما إقبال وغلام رسول مهر فقد نزلا بفندق مرقص وكان معظ المندوبين قد وصل إلى القدس حتى السادس من ديسمبر ١٩٣١ م وكان هذا المؤتمر قد عقد على دعوة من المفتى وصل إلى أمين الحسينى وزملائه من أجل تحقيق الوحدة الإسلامية ولم تكن أية سكومة اسلامية قد اشتركت فى هذه الدعوة وقد حضر فى هذا المؤتمر الممثلون من معظم الدول الإسلامية ومن كل منطقة إسلامية بما فيها المغرب والريف والجزائر ونونس ونا يجريا والسودان ومصر وطرابلس و سوريا والعراق وشرق الأردن وفلسطين والحجاز واليمن وحضر موت وإيران وتركيا وتركستان الصينية وتركستان الروسية وبخارا وقفقار وإيرال أو رال ويوجرسلافيا والهند وسيلان الجاوا وكان هولاء المندوبون المسلمون من أهل العلم والسياسة وأصحاب الطرق الصوفية والمجاهدين الأحرار.

وفى ٦ ديسمبر ١٩٣١م فى الرابعة مساء عقدت الجسلة الإفتتاحية للمؤتمر فى قاعة روضة المعارف وكان الطر غزيرا فى ذلك الوقت واستمرت الجلسة لساعة

واحدة تم فيها التعارف فيما بين المندوبين وفى نهاية الجسلة الإفتتاحية خرج المندوبون بما فيهم إقبال مع القائمين بتنظيم المؤتمر فاتجهوا نحو المسجد الأقصى وكان المتطوعون يعنون الأناشيد القومية باللغةالعربية ووقف إقبال فى طريقة على قبر الشيخ محمد على جوهر حيث قرأ الفاتحة ثم وصل إلى المسجد الأقصى وصلواصلاة صلاة المغرب فى المسجد وبعد الصلاة عقد مجلس الإسراء المعراج فى المسجد الأقصى وافتتح المجلس بتلاوة الأى من القرآن الكريم ثم أنشد المدائح النبوية ثم قام الخطباء واحد دخل وقت صلاة العشاء وكان المسجد حينذاك يغض بالمسلمين فصلوا صلاة العشاء وفى النهاية قام المفتى السيد أمين الحسينى فألقى خطبه قال فيها:(٤٩)

"إن الغرض من عقد هذا المؤتمر لا يهدف إلى الإعتداء على أمة من الأمم أو دين من الأديان كما أننا لا نريد الخصام أو الاشتباك بأحد وإنما الغرض من عقد هذا المؤتمر هو دعوة المسلمين إلى الوحدة والتضامن وبذل المجهود والكفاح الجاد أجل الاحتفاظ بمضالحهم والدفاع عن حقوقهم "

ثم فصل القول عن اهداف المؤتمر فقال:

بذل الجهود فى سبيل التعاون بين المسلمين وتوحيد صفوفهم.

تنمية الأخوة الإسلامية وتقدمها .

توجيه المسلمين إلى الإهتمام بواجبهم الإسلامى الاجتماعى.

الدفاع عن الدين الإسلامى والاحتفاظ بعقائده من الإلحاد ونشر الثقافة الإسلامية.

ثم قام رعض المندوبين بما فيهم إقبال فألقوا كلما تهم الموجزة وقد موا عواطف الشكر إلى القائمين بتنظيم الموتمر وعقده وأشادوا بجهودهم ومساعيهم وفى النهاية قام الدكتور عبدالحميد سعيد المصرى فرجا المندوبين أن يقوموا فى أماكنهم تكريما للمسجد المبارك وأن يعاهدوا الله سبحانه وتعالى بأنهم سيحافظون على الأماكن المقدسة ويدافعون عنها ويضحون بنفوسهم فى سبيلها فقام الجميع وتم العهد وانتهى المجلس فى العاشرة ليلابهتافات مرتفعا

وفى ٧ ديسمبر ١٩٣١م بدأ اجتماع المؤتمر وانتخبوا الرؤساء والامناء المؤقتين عملا بالمبادى العربية أى انتخبوا اكبرهم سنا كرئيس وأصغرهم سنا كأمين كما أجمعوا على انتخاب المفتى أمين الحسينى كرئيس دائم للمؤتمر وانتخب إقبال و محمد على باشا (مصر) والسيد ضياء الدين طبا طبائى (إيران) والسيد محمد زبارة (اليمن) نوابا للرئيس ثم تم انتخاب الأمناء وعند نهاية الانتخاب قرأت

برقيات ورسائل تهنئ المؤتمر وتدعو لنجاحة وكانت قد جاءت من شتى أنحاء العالم الإسلامى ثم كونوا سبع لجان حسبما اقترح الشيخ (شوكت على) وكانت مهمتها إعدادالتقارير والقرارات عن شتى المشاكل الإسلامية وهذه اللجان السبعة هى /لجنة الشكل الحديدية الحجازية ولجنة المسجد الأقصى ولجنة الإعلام والنشر ولجنة تبليغ الدين ولجنة الأماكن المقدسة ولجنة القانون الأساسى واللجنة المالية أو الاقتصادية .

وقد شارك إقبال اجتماعات المؤتمر من ٧ ديسمبر ١٩٣١م إلى ١٤ديسمبر١٩٣١م وعلق خلالها أو رأى رأيه فى تقارير اللجنة وقراراتها فعلى سبيل المثال اقترحت لجنة السك الحديدية الحجازية بأن تكون السك الحديدية الحجازية وقفا إسلاميا ويجب اتخاذ الخطوات لتحويلها من سيطرة الحكومات غير الإسلامية المختلفة إلى حوزة مجلس إدارى دولى واقترحت لجنة المسجد الأقصى بإنشاء جامعة بمدينة القدس لتكون قبلة للطلاب المسلمين فى العالم الإسلامى كله وتغنيهم عن الجامعات الأجنبية الأخرى وخالف إقبال إنشاء جامعة إسلامية كهذه لأنه كان يعارض فكرة إنشاء جامعة من الطراز القديم تهتم بمدينة القدس لتكون قبلة للطلاب المسللمين فى العالم الإسلامى كله ك بتعليم علوم الدين وحدها وكان يرى إقبال ان تكون هذه الجامعة جامعة حقا فتجمع بين الجديد والقديم من العلوم وتؤدى دورها فى حل المشاكل العصرية وأيضا كان يرى إقبال بأن هذا الاقتراح لايمكن العمل به وذلك لأن لم يكن يتوقع أن جيع الطلاب المسلمين من العالم الإسلامى كله سوف يرجعون إلى هذه الجامعة وحدها .وكان يرى إقبال أنه من وجهة النظر التعلمية لم تكن مدينةالقدس تحتل مكانة مرموقة تلك المكان التى تتمتع بها المدينة المنورة والقاهرة وطهران ودمشق بالإضافة إلى خطر صهيونى كان يهدد القدس وأمنها وسلامتها.

أما اقتراحات كانت عن إيجاد الوسائل لجمع التبرعات والمساعدات المالية .أما اقتراحات لجنة الإعلام والنشر فقد كانت عن إصدار المجلات والجرائد باللغة العربية غيرها من اللغات بالإضافة إلى نشر المقالا وتأليف الكتب وإلقاء المحاضرات وأما اقتراحات لجنة الأماكن المقدسة فقد كانت عن مقاطعة المصنوعات والمنتوعات اليهودية فى العالم لإسلامى كله وإنشاء مصرف زراعى فى فلسطين لإنقاذ المسلمين الفلسطينين من ديون الصهاينه المرابين وأخطار العالم الإسلامى بالخطر الصهيونى الهائل ومعارضة هجرة اليهود إلى فلسطين ومعارضة توصيات لجنة حائط وبالإضافة إلى تقارير اللجان وقرار تها هذه قد تم النقاش عن

المشاكل الأخرى التى يواجهها العالم الإسلامى وتقديم الحلول الممكنة لها وقد كان معظم الدول الإسلامية فى ذلك الوقت تحت سيطرة القوى الاستعمار ية م الأوربية والإتحاد السوفيتى ففصل القول عن مظالم الفرنسيين المندوبون من المغرب والجزائر وتونس كما أن الممثلين من تركستان الروسية حكوا قصص الظلم والعدوان الروس المشوعية.

وخلال إقامته بمدينة القدس زار أقبال مدرسة اليتامى للمسلمين وذوى العاهات والتى تسمى"دار الإيتام " وكانت له أقسام متعددة مختلفة واستمع إقبال إلى المستعدين الفسلطين وهم يغنون الأناشيد القومية العربية وفى ليلة من الليالى عرض أالطلاب المسلمون مسرحيةعن فتح الأندلس وسربها إقبال للغاية وألح الحاضرون على إقبال أنيشد لهم إقبال من شعره فأنشد إقبال نظر ا إلى المناسبة أبياته الشعرية الفارسية عن فتح الأندش على يد طارق بن زيادة بترجمتها الفورية العربية بعض العراقين-

وكانت العلاقات بين المغرب واليهود متوثرة للغاية وكانت الحكومة البريطاينة تساعد الصهاينه قداحتلوا المناطق الساحلية والأما المركزية الأخرى وكانوا قد أخذوا يستولون على تجارة فلسطبين وزارعها بسرععة وهيبة وكان اليهود الصها ينة قد عار عقد المءتمر ولكن المفتى السيد أمين الحسينى كان معترفا على عقده فعقدالمؤتمر وكان ناجحا للغاية .

وقدإتفق إقبال بعض وقته فى زيارته للأماكن المقدسة المختلفة بمدينة القدس ومنها جبل الزيتون حيث كان سيد عيسى . عليه السلام . قد وعظ أتباعه على رواية وضريح السيدة مريم والحديقة الجسمانية حيث تم القبض على سيدنا عيسى . عليه السلام ت وزار قبور أبناء سيدنا زكريا وداود عليهما السلامم . وأبواب مدينة القدس المختلفة وغيرها من الأماكن المقدسة وشارك إقبال فى اجتماعات المؤتمر التى عقدت إلى ١٤ ديسمبر ١٩٣١م ولكنه لم يستطع أن يشارك فى اجتماع لجنة القانون الأسايى ولجنة تبليغ الدين لأنها عقدا بعد مغادرة إقبال-

وفى مساء ١٤ ديسمبر ١٩٣١م ألقى كلمته الوداعية فى اجتماع المندوبين للمؤتمر وقد كانت الكلمة بالانجليزيةفقام بترجمتها الفورية الأستاذ عبد الرحمن عزام وقال إقبال قى كلمته هذه :

"إننى متأسف جدا إذا لا أستطيع أن أبقى حتى نهاية المؤتمر كما أننى متأسف جدا جدا لأننى لا أقدر على الحديث باللغة العربية قدرة كاملة ومن ثم لم أستطع أن أساهم أكثر مما ساهمت به فى المباحث والمناقشات وأتمنى أن أزرو

مرة أخرى الأماكن الإسلامية المقدسة فى فلسطين التى هى أرض الأنبياء . عليهم السلام وأننى أهنئكم جميعا على ما تمتاز به إجراءاتكم المستمرة من المودة وروح الإخوة الإسلامية إن من واجبنا أن نهدى شبابنا إلى طريق الصدق والسلام وأن الإسلام اليوم يهدده خطران أحدهما خطر الإلحاد والمادية والثانى خطر القومية والوطنية فمن واجبنا أن نواجه هذين الخطرين كليهما بكل قوة وصمود وأنا على ثقة ويقين بأن الروح الإسلامية السيامية بإمكانها أن تقضى على هذين قضاء حاسما إن القومية أو الوطنية فى نفسها ليست بسيئة إلا أنه لم تكن على اعتدال وتجاوزت الحد إلى الإفراط والتفريط فبإمكانها أن تقود البشرية إلى الدهرية والمادية وإنى أنصح لكم أن تكونوا مسلمين حقا فإننى لا أخاف أعداء المسلمين على الإسلام وإنما أخاف على الإسلام من المسلمين وقد تذكرت حديثا جميلا رائعا للغايةمن أحاديث سيدنا رسول اللها صلى الله عليه وسلم فإن يقول :" أنا حظكم من الأنبياء وانتم حظى من الأمم وأننى لأفكر أحيانا فياخذنى الخجل والندم هل نحن المسلمون اليوم بمكان يفتجر بنا سيد نا رسول الله . صلى الله عليه وسلم . إن هذا المؤتمر أمام مسؤليات ضخمة جدا كما أن أمامه أعمالا جساما هامة جدا وخاصة استعادة السك الحديدية الحجازية وإنشاء جامعة أسلامية ولكننا إذا عملنا بروح صادقة من الأخوة الإسلامية فلا بد أن ننتصر فى تحقيق اهدافنا وإنكم ستعودون إلى بلادكم فعليكم أن تبثوا الروح الصادقة من الأخوة الإسلامية فى نفوس المسلمين جميعا ويجب أن تهتموا بشبابكم اهتما ما خاصا فإن مستقبلنا الزاهر مقصور على جهود هؤلاء الشباب فإننى أحمد الله سبحانه وتعالى وأشكره على أننى قد لست نفس الروح فى شباب العرب الذى لم ألمسه فى نفوس أحد غير الشبان الإيطاليين إن الشبان العرب يملأهم الطموح الإسلامى والروح الصادقة من الهم والعزائم إننى أعتقد وأومن بأن مستقبل الإسلام منوط بمستقبل العرب وأن مستقبل العرب مقصور على الوحدة العربية الشاملة إن اليوم الذى يوحد فيه العرب بين صفوفهم هو يوم ينتصر فيه الإسلام إن من واجبنا جميعا أن نبذل جميع ما نمله من الجهود والقوة فى سبيل الوحدة العربية الله يوفقنا جميعا لما يحب ويرضى."

وقد سبق أن تحدث إقبال عن الوحدة العربية في ديوانه"جاويد نامه" أو رسالة الخلود وإن كان هذا الديوان تحت الطبع في ذلك الوقت فقد أبدى إقبال عن رأيه وعقيدته في الوحدة العربية على لسان الهدى السوداني فقال:

قال: ياروح العرب! استيقظي من نومك واتبعي أسلافك الذين خلقوا

العصور والأزمان فعليك أن تكوني خالقة مبدعة كما كانوا.

إلى متى تتقلبون على أنفسكم تقلب الدودة على نفسها؟!.

عليك بإحياء اللوعة الماضية في صدرك وعليك باستعادة أيام قد مضت ليرانا العالم بين أمجادنا.

إن أرض البطحاء لم تنجب خالدا آخر فعليك أن تغني بأنشودة التوحيد مرة أخرى.

أيتها الروح العربية أن نتخيل صحراءك لا تزال تنمو وتثمر ولكن لم يظهر فيك فاروق آخر.

أيها المؤمنون من عالم السود! يا أفريقيا! إنني أشم فيك رائحة الدوام والخلود.

إلى كم تعيشين في هذه الدنيا بدون الرغبة في السير والتنقل وإلى متى يملك أعداؤك حظك ونصيبك.

وإلى متي لن تستعيدي مكانتك الذاهبة. إن عظامي تبكي وتنتخب داخل اليم كما يبكي الفلوت.

هل تخافين البلاء مع أن سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد قال إن يوم بلاء لرجل يوم صفاء له.

إلا أن إقبالا قد تأثر خلال إقامته بفلسطين بتحمس العرب الفلسطينين ونشاطهم فقد سجل إقبال انتطباعاته عن ذلك فيما بعد قائلا:

إنني أعرف أن وجودك يضمر نارا لا يأمن الزمان أوارها حتى اليوم.

لا تبغ علاجا من جنيف ولا من لندن وذلك لأن أيدي الصهاينة قد استولت على حبل الوريد للافرنج كلهم.

ولقد سمعتم بأن الأمم تنقذ نفوسها من الاستعباد إذا ربت ذاتيتها وأبرزت قوتها الحيوية.

وفي صباح ١٥/ديسمبر ١٩٣١م غادر إقبال و(غلام رسول مهر) مدينة القدس وودعهما على محطة القطار المفتي السيد أمين الحسين والسيد ضياء الدين طباطبائي وسيعد شامل وغيرهم من المندوبين ووصل بهم القطار إلى القنيطرة في السادسة مساء ومن هناك ركبوا سيارة الدكتور سليمان فذهبوا إلى (بور سعيد) وقد مرض إقبال خلال السفر هذا مقام الدكتور سليمان بعلاج فشفاه الله في الوم التالي وقد تعشوا في ليلة ١٦ديسمبر ١٩٣١م مع الدكتور سليمان وزوجته الألمانية

في (بور سعيد) وشارك إقبال في مأدبة عشاء أقامها (محمد صديق نارو) في ١٧ديسمبر ١٩٣١م وبلغهم هناك بأن السفينة جاهزة على الميناء ففي الساعة الثانية عشرة تقريبا من الليلة نفسها ركبوا في سفينة كانت تسمى (بلسانا)

وقد تحركت بهم السفينة من (بور سعيد) في الرابعة صباحا من ١٩ديسمبر ١٩٣١م وكان السيد غاندي يسافر بالسفينة نفسها ذاهبا إلى الهند بالإضافة إلى شخصيات هندية بارزة أخرى فمنهم الأمران لإمارة (حيدر آباد الدكن) الأمير (أعظم جاه) والأمير (معظم جاه) وكان معهما زوج كل واحد منهما هما الأميرة (در شهوار) والأميرة(نيلوفر) ووالدتهما زوجة السلطان التركي الخلوع عبد المجيد خان والسير أكبر حيدري والسيدة قرينته وأرست السفينة في ميناء عدن لبضع ساعات فنزل إقبال من السفينة وتجول في المدينة الساعة.

ووصلت السفينة إلى بومباي في صباح ١٨ديسمبر ١٩٣١م وكان الشيخ (محمد عرفان) والبعض من أعضاء لجنة الخلافة على الميناء في استقبال إقبال فوصل إقبال إلى "بيت الخلافة" في الساعة العاشرة تقريبا وكانت السيدة (عطية فيضي) قد نظمت مأدبة طعام في "ايوان رفعت" تكريما له فاستراح إقبال طول النهار في بيت الخلافة وفي المساء ذهب إلى "ايوان رفعت" حيث قضى نصف ساعة ومن هناك اتجه إلى محطة القطار الذي تحرم به من بومباي في الساعة السابعة والنصف مساء وقد ودعه بعض أصدقائه على الحطة وكان قد أدلى بتصريح صحفي قبل الغادرة عن تطبيق الإصلاحات الدستورية والسلطة الحلية الإقليمية لإقليم (سرحد) ووصل به القطار إلى محطة(دلهي) في مساء ٢٩ ديسمبر ١٩٣١م حيث كان (الحافظ محمد صديق الملتاني) من أغنياء (دلهي) قد آعد طعام العشاء لهم وكان عدد صخم من الناس قد اجتمع على المحطة في استقباله.

وعلى المحطة أقيمت حفلة الترحيب بإقبال إلى جانب تناول العشاء. ثم تحرك القطار من محطة (دلهي) حتى وقف على محطة (لدهيانه) في الرابعة صباحا وكان أتباع إقبال والمعجبون به قد اجتمعوا على المحطة وهم يحملون قلائد الزهور وكان إقبال نائما في ذلك الوقت فلم يحبوا إزعاجه وقد حدث نفس الشئ على محطة(أمريتسار) ثم وصل القطار إلى لاهور في الثامنة صباحا من ٣٠ديسمبر ١٩٣١م وكان الازدحام شديدا على المحطة حتى أن أصدقاء إقبال لم يتمكنوا من قراءة كملة الترحيب به فطوق الناس إقبالا بقلائد الزهور الكثيرة فوصل إلى منزله على نفس الهيئة.(٥٠)

وفي أول يناير ١٩٣٢م حضر عنده فمثل جريدة "سيفل ومليتاري جازيت"

. الجديدة المدنية والعسكرية . في بيته فوجه إليه أسئلة عن زيارة فلسطين فقال إقبال:

"إن زيارة فلسطين قد أصبحت حدثا ممتعا من أحداث حياتي فقد التقيت خلال إقامتي فلسطين مع الممثلين من الدول الإسلامية الكثيرة وقد تأثرت خاصة بلقائي مع الشباب العرب السوريين فقد لمست في نفوس هؤلاء الشبان المسلمين عواطف الإخلاص والأمانة التي لم ألمسها إلا في الشباب الفاشيين في إيطاليا وقد زرت الأماكن المقدسة المشتركة بين الإسلام والمسيحية واليهودية كما أنني قد تأثرت كثيرا بزيارة مولد المسيح . عليه السلام . وأنا على ثقة ويقين بأن مشروع الوطن اليهودي في فلسطين سوف تكون عاقبته الفشل وقد حقق المؤتمر نجاحا باهرا وقد حضر الممثلون من معظم الدول الإسلامية في هذا المؤتمر وكان المندوبون قد تحدثوا عن الأخوة الإسلامية وتحرير البلاد الإسلامية بتحمس فائق للغاية وقد كنت غضوا في عدد من اللجان التي تم تكوينها من أجل دراسة الاقتراحات ونقاشها وقد عارضت في اجتماع لجنة من ين هذه اللجان اقتراحات بإنشاء جامعة إسلامية بمدينة القدس على الطراز القديم قبل جامعة الأزهر وقد أصررت على أن تكون الجامعة المقترحة جامعة من الطراز الحديث الخالد ولست أفهم كيف نشأ سوء التفاهم عن معارضتي لإنشاء جامعة بمدينة القدس وكانت وكالة (رويتر) قد بعثت ببرقية بهذا المعنى نفسه والحقيقة إن أمنيت الملحة أن ينشئ الناطقون بلغة الضاد ليس جامعة واحدة فحسب بل عددا كبيرا من الجامعات التي تنقل العلوم المعاصرة إلى اللغة العربية".

وقد أجاب إقبال على أسئلة هذا الممثل الصحفي حول مؤتمر المائدة المستديرة فقال إقبال وهو يوضح مقوفه:

"إنني لم أقدم الاستقالة من المؤتمر وإنما أعلنت مفارقتي للوفد الإسلامي فقط وهذا الذي فعلته كان طبقا لما قرره المؤتمر الإسلامي الهندي وهو مبدأ الانتخبا المستقل للشعب المسلم أما النقاش عن مشاكل إقليم سرحد والسند فقد انتهي عمليا. فقد أدلى رئيس وزراء بريطانيا والسير (سميوئيل هور) مجلس العموم بتصريح عن هذين الاقليمين. أما المشكلة التي تبقى خلها فهي مشكلة الأغلبية الإسلامية الدستورية في بنجاب وبنغال."

وعند ما عاد إقبال كانت الأوضاع في الهند متوترة مرة أخرى وكان مؤتمر المائدة المستديرة قد فشل في حل ا لمشكلة الطائفية وبذلك أصبح المستقبل السياسي للشعب المسلم الهندي مستقبلا غير موثوق به وكان الكونجرس الهندي يستعد لحركة العصيان المدني ضد الحكومة الانجليزية وفي إقليم (سرحد) كان (عبد

الغفار خان) وشقيقه (داكتر خان) . للذاة قد ضما حزبها "سرخ بوش" أو أصحاب الملابس الحمراء إلى الكونجرس الهندي في أغسطس عام ١٩٣٠م . معتقلين في السجن وكانت الإجراءات القمعية مستمرة بسبب اضطراب أنصارهما وفي ناحية أخرى كانت حركة كشمير قد اشتدت وكان المسلمون الكشميريون يعانون من الظلم على أيدي حكام الإمارة كما أن المسلمين في إمار (الور) كانوا يواجهون الشدائد والضغوط من الحكام وكان من شكاوى مسلمي إمارة (الور) منذ القدم أن حكام الإمارة قد احتلوا مساجد المسلمين كما أنهم قد فرضوا الحظر على الأردوة والفارسية في المدارس منذ ١٩١٠م وكانوا قد فرضوا القيود على التعليم الديني ولم يبق للمسلمين حظ في الوظائف الحكومية إلا قليلا جدا ومنأجل حل هذه المشاكل أنشأ مسلموا إمارة (الور) جماعة لهم سموها جمعية "خادم الإسلام" فأصدر الأمير ا لهندوكي مرسوم بحل هذه الجماعة فخرج المسلمون متظاهرين يحتجون فأطلقت الحكومة النار عليهموساءت الظروف إلى حد جعل المسلمين يهاجرون من الإمارة وأخذ حكام الإمارة يصادرون ممتلكات المهاجرين وكان المؤتمر الإسلامي الهندي قد قرر في اجتماعه الذي عقد في ٢٢ مارس ١٩٣١م بإرسال وقد يقوده الشيخ (شفيع الداودي) لكي يعرض الوفد شكاوى مسلمي إمارة (ألور) بين بدي أميرها الهندوكي ولكن الأمير رفض اللقاء مع الوفد الإسلامي وفي يونيو ١٩٣١م احتج المؤتمر الإسلامي على موقف الأمير فطالب بإنشاء لجنة محايدة للنظر في أوضاع المسلمين وظروفهم ولكن الأمير الهندوكي لم يحفل بذلك ثم بعث المؤتمر الإلسامي مذكرة إلى نائب الامبراطور على الهند ذكر فيها تفاصيل المظالم والفظائع التي ارتكبها الأمير الحاكم وأخيرا أكره الأمير على التنازل عن العرش.(٥٢)

وبما أن المؤتمر الإسلامي الهندي كان يعتبر ضمانا لنجاح الحركات الشعبية والاحتفاظ بحقوق المسلمين فقد كان يجتمع المجلس التنفيذي لهذه المنظمة السياسية في (دلهي) وفي (شملا) لدراسة المشاكل الإسلامية ونقاشها وكان إقبال عضوا بالمجلس التنفيذي فكان لا بد له أن يشارك في هذا الاجتماعات وبالإضافة إلى ذلك فقد انتخب إقبال رئيسا للمؤتمر الإسلامي الهندي في هذه السنة نفسها . أي ١٩٣٢م . والواقع أن المؤتمر الإسلامي الهندي كان قد أنشأ ليحل محل مؤتمر ا لأحزاب الإسلامية في ١٩٣٨م وكان إقبال من بين من قام بتأسيس هذا المؤتمر وفي البداية كان هذا المؤتمر عبارة عن اجتماع الأعضاء للأحزاب السياسية الإسلامية إلا أن هذا المؤتمر لم يعد اجتماعا مؤقتا وإنما اتخذ صورة المؤسسة

السياسية المنظمة وقام بدور هام وفعال في السياسة الإسلامية حتى سنة ١٩٣٤م أما الرابطة الإسلامية فقد كانت متفرقة ممزقة في ذلك الوقت كما أن لجنة الخلافة لم يعد لها أي دور في السياسة وأما الأحزاب السياسية الأخرى وإن كانت كثيرة العدد إلا أنها لم تكن لها كلمة مسموعة كأحزاب منفردة كما أن البعض من هذه الأحزاب لم تكن تمثل المسلمين وإنما كانت مع الكونجرس الهندي مثل الحب الوطني الإسلامي أو جمعية العلماء الهندية وأما المؤتمر الإسلامي الهندي فقد كان له مجلس تنفيذي وكانت لها فروع في كل إقليم من الأقاليم من الأقاليم المختلة.

وقد وصلى إقبال إلى (دلهي) في صباح ٨يناير ١٩٣٢م للمشاركة في اجتماع الملجس التنفيذي للمؤتمر وبقي عنده (سيد نذير نيازي) حتى المساء في ذلك اليوم. ثم عاد إلى لاهور في نفس الليلة (٥٣) وكذلك استعد للسفر إلى (دلهي) في ٣٠ يناير ١٩٣٢م إلا أن مرض النقرس قد اشتد فلم يتمكن من السفر ومن ثم اعتذر إلى المجلس التنفيذي و(ليست عبد الله هارون) بوساطة (غلام رسول مهر) (٥٤).

وفي فبراير ١٩٣٢م ظهرت الطبعة الأولى من ديوان إقبال "جاويد نامه" أو رسالة الخلود وكانت عنده فكرة عن هذا الديوان منذ ١٩٢٧م إلا أن تأليفه لم يبدأه إقبال إلا في ١٩٢٩م (٥٥) وأما عن موضوع هذا الديوان فقد قال وهويتحدث في حفلة الجمعية الهندية بلندن خلال العام الماضي فقال:إن الديوان في الحقيقة ملهاة إلهية آسيوية. وإن الشاعر قد اتخذ أسلوبا خاصا فهو يتجول في ا لأبراج والسيارات المختلفة فيإن الديوان في الحقيقة ملهاة إلهية آسيوية. وإن الشاعر قد اتخذ أسلوبا خاصا فهو يتجول في ا لأبراج والسيارات المختلفة فيلتقي بأرواح الماضين من السلف فيتحدث إليهم ثم يدخل الجنة وأخيرا يحضر في حضرة الله عز وجل وقد ناقش الشاعر في ديوانه هذا جميع المشاك الإصلاحية والخلقية والدينية والسياسية والاقتصادية والحزبية ومن بين الشخصيات الممثلة شخصياتن أوربيتان أحدهما(اللورد كتشتر) والثاني الشاعر الألماني (نتشه) أما بقية الشخصيات فهي كلها آسيوية الأصل وأما قائد إقبال أو دليله ورفيقه في هذه المسرحية السموية فهو شاعر الفارسية الشيخ جلال الدين الرومي (٥٦).

وفي فبراير ١٩٣٢م أيضا نشر نبأ في الجرائد الهندية يقول بأن (مصطفى كمال) في تركيا قد أصدر مرسوما رئيسيا يأمر بتلاوة القرآن الكيم والآذان والصلاة باللغة التركية وقد أقلق هذا الخر المسلمين الهنود قلقا شديدا ونشأ سؤال:

هل يجوز لمسلم أن يصلي الصلاة في لغة أخرى غير اللغة العربية فاتصل ممثل صحفي بإقبال فسأله عن هذه المشكلة أسئلة وقد نشرت هذه المقابلة الصحفية في المجلة الأسبوعية (لايت) أو الضوء بالانجليزية في ١٦ فبراير عام ١٩٣٢م فسئل إقبال هل يوجد نظيرأوسند في تاريخ الإسلام عن القانون الذي طبقه (مصطفى كمال) فرد عليه إقبال قائلا بأن الإمام أبا حنيفة كان قد أفتى في مرحلة من المراحل بأنه يجوز لكل مسلم أن يصلي صلاته في لغته التي يتحدث بها إلا أنه كان قد ألغى هذه الفتوى وهو على وشك الومت وأن "ابن تومرت" الذي كان يلقب بالهدى في أفريقيا الغربية كان قط طبق هذا القانون نفسه فمن ثم تغلب أتباعه على الأندلس فكانوا يؤذنون باللغة البربرية وكان إقبال يرى أن هذه الخطوة التي اتخذها(مصطفى كمال) لم تكن خطوة تقدمية وإنما كانت خطوة رجعية وذلك لأن الأديان في الأزمة القديمة كانت أديانا وطنية أو قومية فقد كان المقصود من الصلاة في اللغة التركية هو إسقاط الإسلامي من المنزل البشرية والنزول به إلى درجة قومية أو يجب أن ننظر إلى الإسلامي بنفس النظرة التي ننظر بها إلى الأديان الأخرى في الأزمنة القديمة فقال إقبال: إنه يؤمن بأن العربية ما دامت لغة الوحي فيجب أن تكون الصلاة التي هي فريضة دينية باللغة العربية وحدها. أما العبارات التي ليست من الأركان أو الفرائض الدينية فيمكن للعلماء أن يروا فيها أراءهم الخاصة من جوازها باللغات غير العربية أو عدم جوازها.(٥٧)

وفي فبراير ١٩٣٢م دعا أمير (بهوبال) إقبالا إلى (دلهي)وكان السبب في ذلك إن الأمير (هري سنغ)* قد استعان أمير (بهوبال) أن يساعده في حل مشكلة كشمير فأراد أمر (بهوبال) أن يستشير إقبالا في ذلك ويرى بعض الإقباليين بأن إقبالا قد سافر إلى (بهوبال) في يوليو ١٩٣١م بهذا الصدد وأن إنشاء لجنة "جلانسي" للنظر في قضية كشمير قد تم بجهود إقبال أيضا ولكن هذا المؤلف لم يعثر على دليل واضح يدل على أن إقبالا كان قد سافر إلى (بهوبال) في يوليو ١٩٣١م أو جهوده التي بذلها في إنشاء لجنة"جلانسي" لا شك أن إقبالا كان يريد أن يسافر إلى (بهوبال) في يوليو ١٩٣١م والتي بعث بها إليه من (شملا) في ٢٣ يوليو ١٩٣١م (٥٨) إلا أن هذه الكتابات تدل على أن التشاور في شؤن كشمير كان قد تم في ٢٦ يوليو ١٩٣١م ولعل هذا التشاور كان مع حكومة الهند الانجليزية وكان من المقرر أن يعود إقبال بعد التشاور إلى لاهور في ٢٧ يوليو ١٩٣١م ثم كان يريد أن يسافر مع (غلام رسول مهر)إلى (بهوبال) ولكن أذهب فعلا إلى بهوبال أم لا؟ فهذا مما لا نستطيع أن نجزم القول فيه. على كل حال فإذا

كان قد ذهب فإن الحادثات مع الأمير (هري سنغ) على قضية كشمير بوساطة أمير (بهوبال) لم تخرج بشئ وكان يريد أن يسافر إلى (دلهي) لهذا الغرض على دعوة من أمير (بهوبال) إلا أن ابنه هذا المؤلف كان مريضا فلم يستطع أن يسافر فقال في رسالة بعث بها إلى (غلام رسول مهر) في ٢٩ فبراير ١٩٣٢م ما نصه: (٥٩):

"كنت على استعداد أن أسافر إلى (دلهي) اليوم ولكن (جاويد) لا يزال يعاني من الحمى فقد بلغت إلى مائة وأربع درجة البارحة وقد فحصه الطبيب اليوم وهو يظن أنها هي الحمو الميعادية ولكن سوف نعرف الحقيقة بفحص طبي سيتم غدا ومن الصعب أن أسافر في مثل هذه الظروف الحرجة وهذا ما نصحني به الطبيب أيضا فأرجوك أن تعتذر إلى سموه بالنيابة عني بأنني كنت مستعدا للسفر امتثالا لأوامر سموه إلا أن هذه المشكلة الفائجة قد منعتني من ذلك ما ذا أقول لك المزيد غير أنني قلق للغاية!."

فلم يذهب إقبال إذن إلى (دلهي) وإنما ذهب (غلام رسول مهر) فقط ومن الجدير بالتوضيح بهذه المناسبة أن إقبال كان قد انتخب رئيسا للمرتمر الإسلامي حين أنشئت لجنة "جلانسي" وأن المؤتمر الإسلامي لم يكن يوافق على هيئة لجنة "جلانسي" هذه.

وأما المرض الذي كان يعاني منه المؤلف في ذلك الوقت فقد اتضح بفحص طبي أجراه الدكتور (يار محمد خان) بأنه حمى ميعادية ولا يزال المؤلف يتذكر إلى الآن بأن هذه الحمى قد استمرت إلى أحد عشر يوما أو أكثر من ذلك. ولهذا السبب كان إقبال وزوجته (سردار بيكم) قلقين مضطربين جدا وكانوا يضعون "البنك نوت" تحت وسادة المؤلف كما كانت توضع الأشرفيات التسعة التي كانت عند (سردار بيكم) والتي أهداها أصدقاء إقبال عند مولد ابنه المؤلف وكانت (سردار بيكم) تعتقد بأن الولد المريض إذا أعطى الروبيات أو الاشرفيات ليلعب بها فإنه يبرأ بسرعة جدا.

وكان إقبال يستفسر ابنه عن ألم يشعر به في داخله فكان المؤلف يحرك رأسه يدل على الإنكار فيقول إقبال:" تكلم بلسانك يا بني لا تحرك رأسك هكذا" وعند ما برئي المؤلف إذا ذاك قد بلغ السابعة والنصف من عمره كما أن شقيقته (منيره بيكم) كانت قد بلغت السنة والنصف من عمرها وأن المؤلف كلما أراد أن يجدر تلك الذكريات فقلايرى منها إلا بعض الملامح والنقوش النحلية الضئيلة في ذاكرته فعلي سبيل المثال إلتحاقه بالمدرسة في اكتوبر ١٩٢٩م أو قدوم الشيخ

محمد علي لزيارة إقبال وحديثه الصريح معه خلال تلك الفترة أو مولد (منيره بيكم) وغير ذلك من الأحداث وكانت (سردار بيكم) هي التي تعد طعام البيت وإن كانت (وسيمة بيكم) والسيدة (رحمت بي) تساعدانها في ذلك وأما (منيره بيكم) فقد كانت تهتم بها بنات الحي اللاتي كن يتعلمن القرآن الكريم والخياطة والزخرفة من (سردار بيكم) أور (وسيمة بيكم) كما أنهن كن يساعدن في الشؤن المنزلية أيضا.

وأما من الجارات فإنسيدة من السيدات كانت تكثر زيارتها لأمه (سردار بيكم) وكان ولدها الأصغر واسمه (معين) يشارك المؤلف في لعبته كما أن بعض السيدات الأخيرات كن يأتين لزيارة البيت ولكن المؤلف لم ير (سردار بيكم) تخرج من بيتها إلا نادرا وكان هذا المؤلف يقضي معظم وقته مع السيدة (سردار بيكم) كما أنه كان يرافقها إلى باب "موتشي" من أبواب لاهور القديمة لزيارة عمتها التي كانت قد ربتها وقامت منها مقام الأم أو إلى بيت شقيقها (الخواجا عبد الغني)الذي كانت تحبه حبا كثيرا والسيدة (سردار بيكم) هي التي قامت بزواج شقيقها (الخواجا عبد الغني) ولكنه لم يولد له ولد وكان يشتغل بتجارة السجاجيد وكان يخرج أحيانا لبيع السجاجيد في الصيف في مدينة "دلهوزي" أو مدينة "مسوري" وكان يحب المؤلف الذي هو الآخر كان يأنس إليه كثيرا جدا.

وكانت توجد مقبرة بجانب منزل إقبال الذي كان على شارع "ميكلود" والذي قضى فيه المؤلف طفولته إلا أن هذه المقبرة الآن قد صارت نسيا منسيا. وكان المؤلف يلعق مع أولاد المسلمين الحديثين أو مع أولاد الجيران في هذه المقبرة وفي بعض الأحيان كنا نلعق (الكركيت) في مخضرة مقابلة للمنزل كما أننا كنا نصعد السقف أحيانا فنلعب بالطائرات الورقية وكان زوار إقبال مختلفون ويختلفون إلى البيت فكان (علي بخش)و(رحمان) يقودان الضيوف إلى إقبال أما الموكلون فكان يتعامل معهم (منشي طاهر الدين)في "مكتب المحاماة" أما دار الضيافة الخارجة فقد كان يسكنها (شيخ مختار أحمد) الذي كان موظفا في سكرتارية بنجاب المدية وقد استمر مقيما فيها لبضع سنوات أما بعد زواجه فقد حصل على سكن حكومة في المساكن الحكومية كما أن السيدة (وسيمة بيكم) تزوجت فأخذت تعيش مع زوجها في(سيالكوت) وكان السائق (فيروز) يسوق سيارة إقبال فيذهب به إلى المحكمة العالية ثم يعود به منها وكان إقبال يشتغل بمهنة المحاماة في خارج لاهور أيضا أحيانا.

وكانت السيدة (سردار بيكم) سيدة من الطراز القديم وكانت تواظب على

صلاتها وتصوم رمضان وتشتغل بتلاوة القرآن الكريم طوال الشهر إلا أنها كانت ضعيفة الاعتقاد خرافية تخاف الجن والسحر خوفا شديدا وكانت تحتفل بمولد المؤلف فتذبح شاة بهذه المناسبة كما أنها كانت تطعمه بيدها لأنها كانت تخشى أن يبقى جائعا ظنا منها بأن المؤلف كلما أكل بيديه لم يشبع وهكذا لم يتعود المؤلف أن يأكل الطعام بيديه وقد جاوز التاسعة من عمره وكان إقبال و(سردار بيكم) يتخافتان ين حين وآخر لهذا السبب وكان إقبال يتبرم قائلام بأن المؤلف إذا شب وهو لا يستطيع أن يأكل الطعام بيديه فماذا يكون مصيره؟ إلا أن السيدة (سردار بيكم) لم تتأثر بذلك كثيرا ولا قليلا غير أنه حدث تغيير واحد وهو أنها وإن كانت تطعم ابنها بيديها إلا أنها كانت تصنع ملعقة مع طباق الرز وكان من المعمول به عند إقبال أنه كان يدخل في القسم النسائي من الدار بخطوات بطيئة لينة حتى أن أحدا لم يكن ينتبه لوجوده أما السيدة(سردار بيكم) فقد كانت كلما اشتغلت بإطعام الطعام لابنها المؤلف لم تزل ترن نحو الخارج فكلما شعرت بخطوات إقبال البطيئة استعادت يدها ووضعت الملعقة أمام المؤلف الذي كان يأخذ الملعقة ويأكل الطعام.

إن المؤلف في طفولته كان شريرا للغاية ولم يكن يهتم كثيرا بدراساته ومن ثم كان من المعمول به عنده أنه كان يتلقى الزجر والضرب من السيدة (سردار بيكم) لا شك أنها كانت تمنح ابنها "لقمة الذهب" ولكنها تنظر إليه في نفس الوقت بعين الغضب والإرهاب. إن المؤلف لا يذكر شيئا مما يتوقعه الأولاد من أمهاتهم مثل الشفقة أو الحب والحنان إلا أن المؤلف قد سمع الناس يقولون بأنها كانت تلاطف ابنها وتقبله وهو نائم بأسلوب لم يكن يشعر به المؤلف ولعل هذا كان هوم السبب الذيس جعل المؤلف وهو طفل يفكر أحيانا بأنها ليست أمة الحقيقية وإنما هي أمه غير الحقيقية إلا أنها لم تكن تسمح لأحد أن يمس المؤلف بسوء حتى أن إقبالا إذا أراد أن يعاقب المؤلف بخطأ أو غلط كانت السيدة(سردار بيكم) تقف في سبيله وتمنعه من ذلك وحدث مرة أن المؤلف خرج من الدار مع بعض الأطفال بدون أن يخبر أهله فدخل دارا سينمائية قريبة من المنزل ليشاهد الفيلم مع هؤلاء الأطفال فدقت الساعة التاسعة ليلا ولماينته الفيلم فلم يستطع المؤلف أن يصل إلى منزله فاضطرب أهل منزل فلم يعرفوا مصيره وكان إقبال وزوجته السيدة (سردار بيكم)مضطربين أشد الاضطراب وفي التاسعة والنصف تقريبا عاد المؤلف إلى المنزل مترددا محتفيا فرأى الاضطراب والضجة تسود البيت كله ووصل الخبر إلى

إقبال عن وصول المؤلف إلى المنزل متأخرا بسرعة البرق وفجأة رأى نفسه واقاف بين يدي إقبال الذي كان يرتعد غيظا وغضبا فرفع يده ليضرب المؤلف فإذا بالسيدة (سردار بيكم) تتدخل وتحول دونه فأصبح إقبال في ناحية والمؤلف في ناحية أخرى. فكان كلما رفع يده للضرب في شيئ من الغضب الشديد سارعت السيدة (سردار بيكم) إليه فأخذته بيده ثم حاول أن يرفع يده الأخرى فسارعت إليه فأخذته بيده وكان المؤلف قد لزم رجليها خوفا وهلعا وقد استمر هذا التمرين لثلاث أو أربع دقائق حتى أن إقبال حين رأى زوجته تسارع إلى يديه في شيء من الحيرة والجنون أخذ يضحك على حالها هذه.

على كل حال فإن المؤلف لم يتلق زجرا أو ضربا من إقبال إلا قليلا جدا وكان كفيه أن ينظر إليه وادله بعين ساخطة وكان إقبال يزجر ابنه المؤلف كلما رآه يمشي عارى الرأس والرجل في شمس الظهيرة أو رآه يتقاتل مع الخدم أو يكذب في حديثه وكان إقبال كلما غضب عليه لم ينطق بكلمة غير هذه: " أيها الإنسان الأحمق ،أيها الجاهل" وكان كلما غضب يتحدث بالانجليزية بدل البنجابية أو الأردوية أحيانا وقد ضرب المؤلف بحذائه مرة أو مرتين ولكنه لم يكن يضرب بالجانب الأسفل من الحذاء وإنما كان يضرب بالجانتب الأعلى من الجلد اللين الناعم! وكان المؤلف في طفولته يأخذ مصروف الجيب وقدره" آنة" واحدة . جزء من ستة عشر من الروبية الهندية القديمة . وكان كلما أنفق هذا المبلغ لم يحصل على المزيد من النقود مهما حاول إرضاء السيدة (سردار بيكم) أو توسل إليها. ومرة مر بائع الحلويات أمام المنزل فطمع المؤلف في الحلويات إلا أنه كان خالي الجيب فبشره البائع بأنه يستطيع أن يبيع الحلويات بقطعة عادية من النحاس فسارع المؤلف إلى غرفة إقبال فأخرج قطعة نحاسية كانت ملتصقة بمروحة الطاولة فجاء بها إلى البائع فاشترى بها الحلويات ولكن من سوء الحظ كان السائق (فيروز) يشاهد هذه العملية كلها فشكا ذلك إلى إقبال فدعا المؤلف إلى غرفته فرآه مستلقيا على كرسي مريح فقام حين رأى المؤلف فلطمه ثلاث أو أربع لطمات على رقبته.

وفي مساء من أمسيات فصل الصيف كان المؤلف قد عطى عينيه بالخمار فأخذ يعدو في الصحن النسائي للدار وراء السيدة (سردار بيكم) ليأخذها فزلت به قدمه فسقط على وجهه فجرحت شفته السفلى وأخذ الدم يسيل غزيرا وبالصدفة دخل إقبال في القسم النسائي من المنزل في تلك اللحظة نفسها فرأى الدم يسيل من فم المؤلف فغشى عليه فجأة وكذلك في ليلة من ليالي الصيف كان المؤلف نائما فهبت عاصفة شديدة سقط بها جدار المنزل على النائمين في القسم

النسائي من الدار فقام الاضطراب داخل الدار وجرحت السيدة (سردار بيكم) والمؤلف وبعض من كان في الدار من غيرهما.

ولم يكن مسموحا لأحد أن يصيح أو يشير ضجة داخل المنزل وكان المؤلف كلما أخذ يلعب (الكركيت) مع أترابه في الصحن الخاريج صدر الأمر عليه ألا يلعب هناك فكان المؤلف يخرج من هناك حزينا غضبانا إلا أن إقبالا كان يشاركه في لعبته أحيانا أيضا وكان يوما في غرفته فضرب المؤلف الكرة ضربة طارت بها إلى الباب فكسرت زجاجه فسقطت داخل الغرفة ومنذ ذلك اليوم فرض عليه الخطر فلم يلعب (الكركيت)هناك وفي بعض الأحيان في أيام الربيع كان المؤلف يصعد على السقف فيلعب بالطائرة الورقية فكان إقبال يصعد إليه بخطوات بطيئة خفية فيأخذ الطائرة الورقية من يده ويلعب بها إلا أن حياة إقبال الخاصة أو المنزلية كانت قد اتخذت صفة ثانوية خلال السنوات الأخيرة من حياته فإما كان في خارج لاهور أو في بيته فيحف به زواره فكان يطلب فطوره شايه عند المساء وعشاءه ليلا إلى غرفته وكان يشرف (عليب بخش) على طعامه والزوار يتحدثون إليه أو يسألونه.

وفي ٦ مارس ١٩٣٢م احتفلت جمعية أدبية بلاهور وكانت تسمى جمعية البحوث الإسلامية بيوم إقبال وهو لا يزال حيا ولأول مرة في قاعة الجمعية المسيحة للشبان المسحيين حيث ألقى بعض الأصدقاء من كلماتهم أو قرأ وا المقالات التي كانوا قد أعدوها وفي اليوم التالي أي في ٧مارس ١٩٣٢م أقيمت حفلة الشاي تكريما لإقبال في مطعم "لورين جاز" بلاهور وحضرها وجهاء المدينة وكبارها. (٦٠)

وكان إقبال قد انتخب رئيسا للمؤتمر الإسلامي الهندي في ١٩٣٢م وفي ٢١ مارس ١٩٣٢م عقدت الجلسة الافتتاحية للمؤتمر الإسلامي الهندي خارج باب (دلهي) بلاهور حيث ألقى إقبال خطبته المعروفة وهذه الخطبة الشهيرة تعتبر وثقة سياسية ثانية من أهم وثائق إقبال بعد خطبة (إله آباد) والتي لا يمكن لطالب من طلاب السياسة الإسلامية في شبه القارة أن يهملها (٦١) وافتتح خطبته بالشكر لمن حضر في الاجتماع من الأهالي ثم قال:

> "إنني أشكركم حيث أو ليتموني ثقتكم في هذه المرحلة الخطيرة الحاسمة إلا أنني بدون شك لا أستطيع أن أهنئكم بانتخاب شخص لا يملك شيئا غير أنه مثالي بصير ولعلكم كنتم تعتقدون بأنكم في حاجة إلى بصير في هذه المرحلة لأن الأمم إذا حرمت من البصيرة ماتت وانقرضت."

ثم أضاف قائلا:

"أما عن المبادئ الأساسية لساستنا فإنني لا أريد أن أقدم بين يديكم شيئا جديدا لأن هذه المبادئ السياسية قد تحدثت عنها وأبديت رأي فيها في خطبة الرابطة الإسلامية الهندية بمدينة (إله آباد)."

وقد تحدث إقبال في خطبته هذه عن إجراءات مؤتمر المائدة المستديرة الثاني ففصل القول عنها فنقد سياسة الحكومة البريطاني وعلق على الموقف العدائي الذي اتخذه السيد غاندي والكونجرس الهندي نحو المسلمين كما صرح بأنه لا يهتم كثيرا ولا قليلا بالمركز الفيدرالي ثم ذكر السياسة المتشددة للحكومة الانجليزية في إقليم (سرحد) والمظالم والفظائع التي ارتكب ضد المسلمين في كشمير ثم قال:

"إن هذه المظاهر تنذرنا بالعواصف والطوفان في المستقبل تلك التي بإمكانها أن تستوعب الهند كلها بل قد تستطيع أن تستوعب آسيا كلها. فهي نتيجة محتومة لمدنية سياسية تعتبر الإنسان شيئا لا يستحق إلا الاستغلال والذي يمكن أن نعتبره شخصا والحدا فلا نعطيه الفرص للتمنية والتطور بالقوى المدنية. إن شعبو آسيا سوف تنهض ضد الاقتصاد الغربي المستقل الذي فرض على الشرق فرضا. إن آسيا الجديدة لا تستطيع أن تفهم النظام الرأسمالي الغربي المعاصر والانفرادية التي لا نظام لها ولا قواعد أما أنتم فتمثلون دينا يعترف بقيمة الفرد ومكانته ويخضعه لنظام يجعله ينفق كل ما يملكه في سبيل الله عزو وجل وخدمة ألآخيه الإنسان. إن إمكانيته باقية لا ينهاية لها إن هذا الدينبإمكانه أنيبدع عالما جديدا لا يحدد منزلة الإنسان الاجتماعية على أساس الطبقية أو الجنس أو اللون ولا بثروات يكتسبها أو يدخرها وإنما يحدد ويعين ذلك بأسلوب الحياة التي يعيشها. إن هذا الدين يريد أن يبدع عالما جديدا يفرض فيه الفقير الضرائب على الغني حيث يقوم المجتمع الإنساني ليس علىمساواة البطن وإنما على المساواة الروحية حيث يمن لمنبوذ ان يتزوج من أميرة حيث تعتبر الممتلكات الشخصية أمانة حيث لا يسمح للرأسمالي أن يرتكز في مكاني يتغلب به على اليد الكاسبة للرأسمالي إلا أن هذه الأفكار السامية العظيمة من دينكم لا تزال مقيدة محبوسة في أفكار العلماء والفقها العتيقة البالية. إن هذه الأفكار السامية الجيدة تطلب التحرر والانطلاق. إننا لمحبوسون في سجن من الأفكاري والعواطف من الناحية الروحية ذلك السجن الذي بيننا حول نفوسنا طوال القرون الماضية ومن الفضيحة والخجل بالنسبة إلينا نحن الشيوخ الكبار أننا لم نستطع أن نعد جيلنا الشاب الناهض ليواجه الأزمات الاقتصادية والسياسية بل أأزمات الدينية أيضا تلك التي ستظطهر في الوقت الحاضر. إننا لفي حاجة أن نغير عقلية أمتنا كلها

الحاضرة تغييرا شاملا لكي تتمكن من الإحساس والشعور بآمال جديدة وآماني جديدة وأهداف جديدة. إن العبرة التي علمتكم التجارب الماضية يجب أن تنفذ إلى قلوبكم وعقولكم. فعلكيم ألا تعلقوا آمالكم على أحد غيركم إذا أردتم أن تحققوا أهدافكم فيجب أن تركزوا ذاتيتكم على أنفسكم ويجب أن يقوي ترابكم بحرارة ذاتيتكم هذه وكان يقول(مسوليني): إن الذي يملك الحديد يملك الخبز ولكنني أقول: إن الذي هو قوي مثل الحديد بذاتيته يملك كل شيء! كونوا أشدا أقويا وعليكم بالجهد والكفاح والشقة والعناء فهذا هو السر الحقيقي للحياة الفردية والاجتماعية . إن هدفنا الواضح هو أننا نريد مكانة لديننا الإسلام في الدستور القادم مكانة يستطيع بها ديننا أن يحقق ما يريد تحقيقه ويقرر مصير البشر في هذه البلاد وفي هذا الهدف يجب أن نثير القوي التقدمية الشعبية وأن نوقظ القوي النائمة وننظما. إت شعلة الحياة لا تستعار من الآخرين وإنما يجب أن تشتغل في مواقد أرواحنا وخبايا نفوسنا."

تتمه من الباب الثامن عشر

وقدم إقبال برنامجا سياسيا لمستقبل المسلمين في الهند يضم لائحة من خمسة مبادئ المبدأ الأول من هذه اللائحة هو ألا تتفرق الأحزاب الإسلامية السياسية وإنما يجب أن تنظم إلى منظمة سياسية قوية واحدة تمثل مسلمي الهند وتكون لها فروع في جميع الأقاليم والمحافظات من البلاد مهما يكن من الأسماء لها ولكن يجب أن يسمح دستورها بعضوية كل واحد من أنصار المدارس الفكرية المختلفة وأتباعها ويمكن لأي شخص من أنصار أية مدرسة فكرية أن يترأس المنظمة ويقود الأمة كما يراه صوابا ويخطط السياسة للمستقبل . والمبدأ الثاني أن تجمع المنظمة المركزية خمسة ملايين روبية من التبرعات للصندوق القومي على الأقل.

والمبدأ الثالث ينص على إنشاء جمعيات الشبان وتنظيم الوحدات منالمتطوعين الوطنيين ويكون من واجبها خدمة الخلق والإصلاح الاجتماع والتنظيم التجاري الشعبي ووسائل النشر في المدن والقرى لتقوم بنشر الأهدف الاقتصادية في الدوائر والأوساط المتخلفة. والمبدأ الرابع ينص على إنشاء مؤسسات ثقافية مستقلة للرجال والنساء في كل مدينة من المدن الكبرى في شبه القارة لا تكون على صلة بالسياسة وإنما يكون واجبها هو إعلام الجيل الناشئ بما حققه الإسلام من الأمجاد في خدمة النوع البشرى في مختلف المجالات والتاريخ المدني وماذا يمكن له أن يحقق من الأمجاد في المستقبل والمبدأ الخامس ينص على إنشاء مجمع للعلماء ويضم أيضا المحامين الذين درسوا القانون المعاصر وهذا المبدأ

كان يهدف إلى الاحتفاظ بالفقه الإسلامي واتساعه وتعبيره الجديد ليواجه المشاكل العصرية المختلفة وهذا المجمع يجب أن يحتل مكانة دستورية لا يمكن تقديم مشروع القانون الذي يؤثر في القوانين الشخصية للمسلمين في المجالس التشريعية إلا إذا وافق عليه هذا المجلس وعن ذلك قال إقبال:

"وبغض النظر عن القيمة العملية الخالصة لهذا الاقتراح يجب أن يعرف المسلمون في الهند بأن العالم الإسلامي الجديد والعالم غير الإسلامي لم يتمكن من اكتشاف القيمة اللامتناهية للآداب الشرعية الإسلامية كما أن النظام الرأسمالي تنازلت قيمه الخلقية عن مراتبة الطرق الاقتصادية التي يتصرف بها الإناسن المعاصر. قد بقي أن يطلع على فوائد القانون الإسلامي وقيمه."

وقد استمرت اجتماعات المؤتمر الإسلامي الهندي إلى يومين وترأسها إقبال وتم فيها اتخاذ العديد من القرارات فمنها المطالبة بتخصيص ثلث الوظائف في مكتب الحكومة المركزية للمسلمين وخمسين في المائة من الوظائف في الجيش وأن المؤتمر الماضيين للمائدة المستديرة لم يأتيا بنتائج ترضى المسلمين فيجب على الحكومة البريطانية أن تعلن بقرارها عن المشكلة الطائفية بأسرع ما يمن وإذا لم يعلن ذلك حتى نهاية شهر يونيو ١٩٣٢م فيجب أن يعقد المجلس التنفيذي للمؤتمر الإسلامي اجتماعه في ٣ يوليو ١٩٣٢م وذلك لاتخاذ قرار حول خطوات مباشرة ويجب تطبيق السلطة الإقليمية في جميع الأقاليم في الهند البريطانية ويجب استشرة المؤتمر الإسلامي بخصوص تعيين أعضاء المسلمين في لجنة "جلانسي" للنظر في قضية كشمير والبحث عن حلها.(٦٢)

وكانت الرابطة الإسلامية الهندية والمؤتمر الإسلامي الهندي قد اتخذا قرارا غير مرة يطالب بإعطاء حق التصرف للأغلبية الإسلامية في بنجاب وبنغال وكان إقبال من أكبر أنصار هذه المطالبة فلم يقرر هذه المطالبة الإسلامية فحسب وإنما هدد باللجوء إلى الصدام المباشر مع الحكومة إذا لم توافق على هذه المطالبة الإسلامية وكان الهنادكة والسيخ يعارضون هذه المطالبة الإسلامية معارضة شديدة ومن ثم كثفوا جهودهم للشائعات ضد هذه المطالبة بعد خطبة إقبال هذه وذلك مما جعل إقبالا وبعض زملائه يصدرون بيانا صحفيا في ٢٠ ابريل ١٩٣٢م حيث قالوا: (٦٣)

"منذ أسابيع عديدة لانزال نلاحظ بكل دقة وتفكير ما يجري من الشائعات المسمومة للغاية ضد ما يطالب به الأغلبية الساحقة من المسلمين في بنجاب وبنغال من حقوقهم الشرعية والدستورية. أما القضاء في هذه القضية فنتركه

للعالم البشرى العادل فكما أن الهنادكة السيخ يريدون من المسلمين أن يستسلموا أمام الأغلبية الهندوكية الساحقية في الأقاليم الستة الباقية والحكومة المركزية فلما ذا يعارضون هذه المطالبة الإسلامية التي تقوم على نفس المبادئ الديمقراطية معارضة شديدة ويرفضون حق الأغلبية الإسلامية الساحقة في بنجاب وبنغال فهل هذا يدل على النوايا الطيبة للأغلبية الهندوكية في الهند كلها وهل تستطيع الأغلبية الهندوكية كسب الثقة والتعاون في نفوس المسلمين."

وفي ٨يونيو ١٩٣٢م عقد اجتماع المجلس العام للمؤتمر الإسلامي الهندي في (شملا) وقد ترأس إقبال الاجتماع وتم اتخاذ العديد من القرارات حول إمارة (ألور) والسلطة المحلية للأقاليم.(٦٤)

وفي الشهر نفسه اقترح أستاذ إنجليزي للتاريخ بجامعة بنجاب بلاهور تحت التأثير الهندوكي سحبة مادة التاريخ الإسلامي من المناهج الدراسية لدرجة التخرج في الجامعة ورغم معارضة شديدة من أعضاء المسلمين في "سينات" الجامعة تحت الموافقة على هذا الاقتراح بأغلبية صوت واحد فقط مما جعل مسلمي بنجاب يضطربون اضطرابا شديدا فعقد لهم اجتماعات شعبية أدانوا فيها هذا القرار إدانة شديدة فعقد اجتماع من بين هذه الاجتماعات تحت إشراف معهد البحث الإسلامي في حديقة خارج باب(موشي) من أبواب لاهور القديمة في ١١ يونيو عام ١٩٣٢م وترأس إقبال الجلسة فقال في كلمة له بهذه المناسبة: (٦٤)

"كنت أظن حتى اليوم أن قلوب الشبان المسلمين لا تزال تحت غطاء كثيف من الغفلة والإهمال وأنهم يجهلون تاريخ الإسلام ومدنيته كما يجهل ذلك غير المسلمين وقبل بضعة أشهر قد زرت مصر وفلسطين وشاهدت من الوقائع التي أدكت لي بأن الأغطية الكثيفة من الغفلة قد أزيحت الآن فقد رأيت في المؤتمر الإسلامي بفلسطين الشباب المسلمين قد حلقوا لحاهم ولبسوا البذلات المغربية ولكنهم كانوا يلقون الكلمات المتحمسة الجياشة ويفوقون العلماء وفضلا وتحمسا ونشاطا وقد اقترح السيد "بروس" أستاذ التاريخ الانجليزي سحب التاريخ الإسلامي من مناهج التخرج. إن هذا المنهج يختاره أكبر العدد من الطلاب وهذا هو السبب الذي جعله يقترح سحب التايخ الإسلامي منه. إن العقل الإنساني إذا اعتزم على الشر فإنها يهتم بتحقيق أهدافه مستخدما في ذلك العواطف والمؤثرات الباطنية ويرى السيد "بروس" بأنه يجب على أهل الهند أن يدرسو تاريخها . إنني أرى هذا الادعاء خاطئا لأنه يعني أننا لا نعتبر تاريخ شعب بأنه هو تاريخه والواقع أن التاريخ إنما هو حركة روحية بشرية اجتماعية وإن الروح الإنسانية لا بيئة لها بل العالم كله هي بيئة لهذه الروح البشرية وأننا إذا

اعتبرناها ملكا لشعب دون شعب فإن ذلك يدل على ضيق الأفق والنظر وقد التقيت في إيطاليا بشخص يسمى بالأمير (كيتاني) وهو من المعجبين بالتاريخ الإسلامي وقد ألف كتبا كثيرة عن التاريخ وأنفق عليها مبالغ ضخمة حتى أنه ليس بمقدرة مملكة إسلامية من بين الدول الإسلامية أن تهتم بترجمة هذه الكتب فسألته عن السبب الذي جعله يهتم بالتاريخ الإسلامي ويرغب فيه فقال: إن التاريخ الإسلامي يجعل من النساء رجالا."

وقد مر بنا بأن المؤتمر الإسلامي الهندي كان قد اتخذ قرارا في اجتماعه الذي عقد في ٢١ و ٢٢ مارس ١٩٣٢م يقول بأن الحكومة البريطانية إذا لم تعلن بقرارها عن المشكلة الطائفية حتى نهاية شهر يونيو فإن المجلس التنفيذي للمؤتمر الإسلامي الهندي سوف يعقد اجتماعه في ٣ يوليو ١٩٣٢م ويقرر فيه برنامجا عن الصدام المباشر مع الحكومة فاستشار إقبال بسف٥ته رئيسا للمؤتمر الإسلامي الهندي أعضاء المجلس العاملي للمؤمتر فأجل الاجتماع إلى نهاية يوليو مما أثار اضطرابا واختلافا في بعض الدوائر الإسلامية فاتهموا إقبالا بأن موقفه موقف دكتاتوري وأنه قد أجل الاجتماع على إشارة من الحكومة الانجليزية فعقد اجتماع عام في ٤ يوليو ١٩٣٢م بمدينة (اله آباد) وحضر فيه بعض الأعضاء الكبار للمؤتمر الإسلامي فاحتجوا على قرار إقبال بتأجيل الاجتماع كما إن الشيخ (حسرت موهاني) وغيره من الزعماء اقترحوا تكوين حزب جديد داخل المؤتمر الإسلامي.

أما إقبال فلميغضب بسبب هذا الاجتماع الذي عقد ضده كما أنه لم يغضب بسبب قرار تكوين حزب جديد داخل المؤتمر الإسلامي وإنما أصدر بيانا صحفيا في ٦ يوليو ١٩٣٢م فاستحسن فيه اقتراح الشيخ (حسرت موهاني) ورحب بفكرة حزب جديد وقال وهو يوضح موقفه بأن هذا يوافق ما اقترحه هو في خطبته الرياسية للمؤتمر الإسلامي الهندي وهو ما قاله باتساع في دستور المنظمة السياسية الوحيدة للمسلمين حيث يتمكن كل مدرسة فكرية سياسية من الانتصار والحكم كما وضح إقبال بأن تأجيل الاجتماع لم تكن خطوة دكتاتورية وإنما كان المجلس العامل للمؤتمر في اجتماع له والذي لم يشارك فيه إقبال قد أعطى اختصاصا للشيخ (شفيع) الداودي كأمين عام للمؤتمر بأنه يستطيع أن يؤجل اجتماع المجلس التنفيذي إذا لم يعلن القرار عن المشكلة الطائفية حتى ٣ يوليو ١٩٣٢م وأضاف إقبال قائلا: (٦٦)

"إن القرار عن المشكلة الطائفية إذا لم يكن موافقا لما يطالب به المسلمون ضمن

واجبهم أيضا أن يتقاتلوا مع الحكومة إلا أنني لا أنصح لهم أن يبدوا صداما مباشر مع الحكومة ليس لسبب غير أنها ترتكب جريمة عدم الإعلان بقرارها عن المشكلة الطائفية خلال مدة معينةوبعد وضوع الحوادث بشكل مفتوح سوف يستطيع المسلمون أن يقدروا أهمية ما اقترحته من تأجيل اجتماع المجلس التنفيذي كما أنه سيعرفون سبب التأجيل إلى أي مدى كان ذلك على إشارة أو تأثر من الحكومة الانجليزية. إنني لم أتبع أبدا ضمير غيري من الناس وأريد أن أوضح توضيحا جيدا بأن الذين أرادوا تأجيل الاجتماع لا يجوز التعبير لموقفهم بأنهم سوف يتخلفون في العمل بقرار لاهور . إذا كانت الحاجة إلى العمل بهذا القرار . وما دامت هذه الحاجة لا تظهر فعلى الجماعة أن تحتفظ بطاقاتها وقواها فليس من الحكمة استنزاف القوة والطاقة في مشاكل غير هامة وإنما الحكمة كل الحكمة في الاحتفاظ بهذه الطاقة والقوة واستخدامها في شؤن هي مهمة حقا وفي لحظات حاسمة."

وفي أثناء ذلك استقال الشيخ (شفيع) الداودي من منصبه كأمين عام للمؤتمر وبعد بضعة أيام جاء المطالبون بتكوين حزب جديد فالتقوا بإقبال وأيدوا موقفه في تأجيل اجتماع المجلس التنفيذي. فيقول عبد المجسد سالك معلقا على هذا الحادث(٦٧):

"إن هذا الطوفان قد هدأ بسرعة فقد جاء زعماء هذا الحزب الجديد فالتقوا بالعلامة إقبال فقالوا له بأن تأجيل اجتماع المجلس التنفيذي في مثل هذه الظروف قد كانت خطوة مناسبة حكيمة وبما أن الحكومة البريطانية قد تحمتل مسؤلية حل المشكلة الطائفية على رغبة ورجاء من الأحزاب السياسية الهندية فيجب أن ننتظر القرار الذي ستتخذه الحكومة وبذلك أنقذ إقبال المؤتمر من الخلافات بإخلاصه وتأثيره الشخصي وأخيرا وافق جميع الأعضاء."

وفي ١٦ يوليو ١٩٣٢م ذهب إقبال إلى (جالندهر) ليشارك في عيدا لمولد النبوي وخرج أهل المدينة في موكب عظيم ثم عقد اجتماع شعبي ألقى فيه إقبال كلمة جامعة عن سيرة رسول الله . صلى الله عليه وسلم . مما كان سببا لتقوية الإيمان ودعم العقيدة لأهل المدينة وتجديدها ثم عقدت حفلة الشاي تكريما له وقدمت كلمة الترحيب به ثم عاد إقبال إلى لاهور في نفس المساء. (٦٨)

وكان (السيخ) قد عارضوا ميثاقا كان قد رتبته الأقليات الهندية خلال مؤتمر المائدة المستديرة الثاني وكانوا يخشون بأن القرار عن المشكلة الطائفية قد لا يحافظ على حقوقهم ومن ثم أخذوا يعلنون بأشياء ويصدرون تصريحات مختلفة وكانوا يعدون برنامجا للتظاهرات الاحتجاجية بمناسبة إعلان القرار عن المشكلة الطائفية

وكان ذلك يهدف إلى الضرر بمصالح المسلمين مما جعل إقبالا يصدر تصريحا صحفيا عن موقف (السيخ) في ٢٥ يوليو ١٩٣٢م فقال وهو يشرح موقف المسلمين: (٦٩)

"إن المسلمين الهنود مضطربون حول الاحتفاظ بمصالحهم الجماعية وبنفس المقدار قلقون على التقدم الدستوري للبلاد. إنهم يعترفون بمبادئ حكومة الأغلبية في المركز وفي الأقاليم التي هم فيها أقلية ضئلية ولكن بشرط الأ يحرم المسلمون من حقوقهم الشرعية والفوائد الموازية التي يتمتعون بها في الأقاليم الأخرى بحكم أغلبيتهم الساحقة."

وبعد تصريح إقبال هذا بدأت محاولات التفاهم بين المسلمين و(السيخ) خفي ٢٩يوليو ١٩٣٢م بعث صديق إقبال القديم (سردار جو جندر سنغ) بمذكرة أبدى فيها عن استعداده لإعطاء حق الأغلبية للمسلمين في مجلس بنجاب التشريعي بمقعد واحد فقط فرفض إقبال هذا الاقتراح وكتب إلى صديقيه بأنه يريد أغلبية المسلمين في المجلس لا تقل عن واحد وخمسين في المائة من المقاعد(٧٠) فأرسل إليه (سردار جو جندر سنغ) مشروعا آخر كان يختلف تماما ولكن إقبال رفضه أيضا قائلا بأنه لا بد من أغلبية واضحة للمسلمين في مجلس بنجاب التشريعي وبدون أخذ هذا المبدأ في الاعتبار لا فائدة في نقاش مشروع أو محادثات عن ذلك ورغم أن هذه المراسلة بينهما كانت خاصة على حد قول (سردار جو جندر سنغ) نفسه إلا أنه هو الذي نشر المراسلات في الجرائد في ٤ أغسطس ١٩٣٢م واستمر المحادثات حول التفاهم بين المسلمين و(السيخ) في (شملا) وبما أن هدف (السيخ) الحقيقي من هذه المحادثات إنما كان تأجيل بإعلان قرار الحكومة البريطانية عن المشكة الطائفية مما جعل المجلس العامل للمؤتمر الإسلامي الهندي يعقد اجتماعه في ٧ أغسطس ١٩٣٢م بمدينة دلهي وترأس إقبال الاجتماع فاتخذ الاجتماع قرارا يقول بأنه يجب تأجيل المحادثات بين زعماء (السيخ) والزعماء المسلمين حتىتعلن الحكومة الحكومة البريطانية بقرارها عن المشكلة الطائفية وقد طالب هذا الاجتماع من الحكومة البريطانية أن تسرع بإعلان القرار عن المشكلة الطائفية كما قرر الاجتماع بأنه إذا لم يتم الاقتراح بأقل ما يطالب به المسلمون فإن اللجنة الصغيرة من أعضاء المجلس العامل سوف تجتمع وتعد مشروعا عمليا للمستقبل وكان إقبال رئيس اللجنة وكان أعضاؤها الشيخ (مظهر الدين) والشيخ (حسرت موهاني) و(سيد حبيب) و(غلام رسول مهر) و(حسن رياض) و(ذاكر على) (٧١)وطبقا لما قرره المؤتمر الإسلامي الهندي

رفض إقبال أن يشارك في محادثات عن التفاهم مع (السيخ) وأدلى بتصريح صحفي في ١٠أغسطس ١٩٣٢م حيث وضح موقفه في ضوء ما قرره ا لمجلس العامل للمؤتمر (٧٢) فهكذا فشلت مجادثات التفاهم بين (السيخ) والمسلمين.,

وفي ١٦ أغسطس ١٩٣٢م أعلن رئيس وزراء بريطانيا القرار عن المشكلة الطائفية مما أثار ضجة من البحث والخصام في شبه القارة كلها وفي ١٧أغسطس ١٩٣٢م عقد اجتماع المجلس العامل للمؤتمر الإسلامي وترأسه إقبال. فاتخذ الاجتماع قرارا عن حركة كشمير الهائجة وعن القبض على الأحرار والاحتجاج على حبسهم والمطالبة بالإفراج عنهم ولكن حركة كشمير استمرت (٧٣) وفي ٢٣ أغسطس ١٩٣٢م عقد اجتماع آخر للمؤتمر الإسلامي الهندي بمدينة (دلهي) وترأسه إقبال وفي هذا الاجتماع تم اتخذا قرار عن الإعلان بقرار المشكلة الطائفية. وفي ٢٤ أغسطس ١٩٣٢م أدلى إقبال بتصريح صحفي هام تأييدا لهذا القرار ووضح في تصريح ما اعترض به على قرار المشكلة الطائفية. فالاعتراض الأول كان عن التمثيل في مجلس بنجاب التشريعي حيث حرم الأغلبية الإسلامية من حق تمثيلها وحيث أعطى (السيخ) تمثيلا أكثر مما كانوا يستحقونه بالإضافة إلى بعض المقاعد التي سيتم انتخابها بالتصويت المشترك وأما الاعتراض الثاني فقد كان عن الأغلبية الإسلامية الساحقة في بنغال حيث حرم المسلمون من حقهم الذي أخذه الأوربيون في المجلس التشريعي. وأما الاعتراض الثالث فقد كان عن الحقوق التي أعطيت لغير المسلمين في بنغال وبنجاب وسرحد فهو فوق ما يستحقونه بينما لم يعطوا نفس الحقوق للأقليات الإسلامية في أقاليم الأغلبية الهندوكية وتقدم إقبال باقتراحين عن تعويض المسلمين لما أصابهم من الحسائر في قرار المشكلة الطائفية أولا يتكون برلمان بنغال من مجلسين أما المجلس الأعلى فيجب أن يكون للمسلمين فيه مقاعد حسب تناسبهم السكاني كما أن المجلس الوزاري يجب أن يكون مسؤلا أمام المجلسين وبذلك يكون من الممكن للمسلمين في بنغال أن يكون لهم كلمة مسموعة على اساس أغلبيتهم الساحقة والاقتراح الثاني إعطاء سلطة محلية ممكنة للأقاليم أما سلطة المركز فلا تكون إلا بالاسم (٧٤).

وفي ٢٠سبتمبر ١٩٣٢م أعلن (غاندي) إضرابه عن الطعام حتى الموت ضد حق النيابة المستقلة الذي أعطى للمنبوذين في قرار المشكلة الطائفية وكان قبل ا لإضطراب قد تراسل مع وزير الهند ورئيس وزراء بريطانيا ونشرت هذه المراسلة في الجرائد فعلق إقبال على هذه المراسلة في تصريح صحفي له في ١٣ سبتمبر

١٩٣٢م فقال(٧٥):

"إن هذه الرسائل مظاهر ممتعة للنفسية الشخصية وقلما رأيت هذا النوع من الرسائل فإن أبرد ما لاحظته في هذه الرسائل هو أن صدق الديانة الهندوكية في رأي (غاندي) يشتمل على المشاكل الخلقية والدينية. أنا شخصيا أستحسن مثل هذه الآراء ورغم ذلك فإن الجرائد الهندوكية لا تزال تشيع عني كثيرا من سوء الظن ولكن رأي كان دائما أن المشاكل السياسية وخاصة في الهند لا حقيقة لها بإزاء الشؤون الدينية والخلقية ولم يدهشني كثيرا حين رأيت رائد الفكرة القومية الهندية الموحدة والذي يعارض معارضة شديدة يقظة الأقليات الهندية الأخرى والتي هي نتيجة محتومة لتحول ا لقوة السياسية فقد رأى من اللازم أن يؤيد الاحتفاظ بحقوق الشعب الهندوكي بكل شجاعة واجتراء."

إن هذه الظروف قد أيقظت المسلمين وأزالت الأغطية عن عيونهم حيث أن الرجل القديس الذي كان ينصح لجميع الشعوب بالانضمام إلى القومية الهندية الموحدة لأنهيرى تمزيق الشعب الهندوكي في قرار قد يعطى تمثيلا محدودا في المجالس التشريعية للفئات المضطهدة التي لم تزل تحت هيمنة الطبقة الهندوكية العليا خلال قرون طويلة فإذا كان الانتخاب المستقل للمنبوذين يعني تمزيق الشعب الهندوكي والقضاء عليه فإن مبدأ الانتخاب المختلط يعني القضاء على الأقليات ومسحها من صفحة الوجود. وأعتقد أنه قد اتضح من موقف(غاندي) أن الأقلية التي تريد وجودها وكيانها يجب عليها ألا تتنازل عن مبدأ الانتخاب المستقل. أما ما هدد به (غاندي) من الافتخار فإن ذلك يدل على الجبن في الإسلام مهما كان وكيف ما كان . ولا سمح الله! لو كان مسلمو ا لهند يؤمنون بالطبقية وكان فيهم عدد ضخم من طبقة المنبوذين وأنهم لو تعاملوا معهم ما يتعامل الهنادكة من الطبقة العليا مع طبقة المنبوذين منذ قرون وكان لا بلد لي أن أتخذ نفس الموقف الذي اتخذه (غاندي) لما حاولت أن أهدد الحكومة البريطانية وإنما هددت شعبي من الطبقات العليا ولأكرهتهم على منح الحقوق من المساواة الاجتماعية للمنبوذين بدل أن أحرمهم من الحقوق التي منحهم قرار المشكلة الطائفية. إن الشعب الهندوكي إذا أراد فعلا المستقبل الأفضل للمنبوذين فإن ذلك خير للشعب الهندوكي وزعيمه (غاندي).

على كل حال فإن الحكومة البريطانية قد غيرت قرار المشكلة الطائفية من حق النيابة المستقلة للمنبوذين تحت ميثاق "بونا" وقد علق إقبال على ميثاق "بونا" في بيان صحفي أصدره في ٢٨سبتمبر ١٩٣٢م فقال: إن هذا الميثاق

المنبوذين من حق النيابة المستقلة كما أنه لا يقربهم من الديانة الهندوكية (٧٦).

وبما أن قرار المشكلة الطائفية يجب كلا الفئتين الهنادكة فقد رأى الشيخ (شوكت علي) أنه لا بد من محاولة أخرى للتفاهم بين الهنادكة والمسلمين فقد بدأت المحادثات مع الشيخ (أبو الكلام آزاد) والبانديت (مدهن موهن مالويا) في (بومباي) وقد ساعده (شيخ عبد المجيد) السندي فنشر أنبائ المحادثات في الجرائد مما جعله إقبال بصفته رئيسا للمؤتمر الإسلامي الهندي يصدر تصريحا مشتركا مع بعض زملائه في ٦ اكتوبر ١٩٣٢م حيث جاء: (٧٧)

"إن مسلمي الهند كانوا في قلق دائما ومحاولة للوحدة مع الأغلبية وهذه حقيقة يعرفها كل من تتبع المحاولات التي جرت خلال ا لسنوات العشرة الماضية تلك التي جرت للتوفيق والتوحيد بين التفئتين على مبادئ قويمة ونعتقد أن الحديث عن مشكلة الانتخاب المستقل أو المختلط لا يناسب إطلاقا لأننا على ثقة بأن أمتنا ليست على استعدا أن تتنازل عن هذا الضمان في مثل هذه الساعة الخطرة رغم ذلك فإننا لا نعارض نقاش الاقتراحات الواضحة التي يقدمها زعماء الشعب المقابل مدركين المشاكل المتعلقة الضرورية ولكننا نريد أن نوضح توضيحات جيدا بأن الاقتراحات الواضحة هذه يجب أن يتم تقديمها من قبل الأغلبية الساحقة."

وكانت هذه المحادثات مستمرة حين أعلن الشيخ (شوكت علي) والشيخ (عبد المجيد) السندي بأن مؤتمرا للزعماء المسلمين سوف يعقد في ١٥ اكتوبر ١٩٣٢م وقد تلقى إقبال أيضا دعوة للمشاركة في هذا المؤمر فرد في برقية بعث بها في ٨ أكتوبر ١٩٣٢م: (٧٨)

"إن محاولة التفاهم خطوة مستحسنة ولكن عقد مؤتمر الزعماء المسلمين بدون الاقتراحات الواضحة من قبل الأغلبية الهندوكية يضر المسلمين ومع الأسف الشديد أنني لا أستطيع أن أشارك في المؤتمر في مثل هذه الظروف وأرجوك أن تعيد النظر في اقتراح عقد المؤتمر."

وفي ٨أكتوبر ١٩٣٢م أدلى إقبال بتصريح صحفي عن الموضوع نفسه ذكر فيه البرقية والرد عليها فقال: (٧٩)

"بدون الإقتراحات الواضحة من قبل الزعماء الهنادكة لا أفهم ما يستفيد من هذا المؤتمر وما الذي سننا قشه فيه. إن مسلمي الهند كانوا ولا يزالون مستعدين دائما للتفاهم مع الفرق الأخرى ولكن الأسلوب الذي اتخذناه الآن ليس أسلوبا يساعدنا في التفاهم مع الهنادكة وإنما هو أسلو يقودنا إلى تمزيق وحدثتنا التي بنيناها بجهد كبير وبعد سعوبة كبيرة. إن القول أن مشكلة طريقة الانتخاب

مشكلة تافهة وتناول هذا الموضوع مرة ثانية رغم أن الأمة المسلمة قد قررت قرارا واضحا عن ذلك كما يتضح من قرارات المؤتمر الإسلامي والرابطة الإسلامية قول غير حكيم وخطوة غير حازمة . وأعتقد أن المؤتمر المقترح يضر الإسلام والهند وليس إلا إضاعة الوقت والآمل في دعاة هذا المؤتمر أنهم سيعيدون النظر في موقفهم."

وفي أكتوبر ١٩٣٢م عقد المؤتمر المقترح في مدينة (لكهنو) فاتخذ قرارا يقول بأن المسلمين لا يمكن أن يناقشوا قضية طريق الانتخاب مرة أخرى إلا إذا واقفت فرقة الأغلبية الساحقة بالمطالب الثالث عشرة الأخرى للمسلمين ثم تكونت لجنة للمحادثات مع الهنادكة و(السيخ) فتحدث أعضاؤها مع الزعماء الهنادكة و(السيخ) إلا أن هذه المحاولة من التفاهم لم تجد بشئ أيضا فعلق إقبال على قرار مرتمر (لكهنؤ) في تصريح صحفي في ١٧ أكتوبر ١٩٣٢م فقال: (٨٠)

"إن هذا الفرار في الحقيقة يعيد الموقف الذي اتخذته أنا حول المحادثات بين الفرق أي يجب تقديم الاقتراحات الواضحة من قبل فرقة الأغلبية والأمر الآن إلى الهنادكة فيجب أن يخبرونا إذا كانوا على استعداد للمحادثات."

وحسب تصريح (عظيم حسين) كان والده (فضل حسين) قد أشار على الحكومة البريطانية أن ترسل إقبال للمشاركة في مؤتمر ا لمائدة المستديرة الثالث ولكن الحكومة البريطانية وافقت على أساس تجربة السنة الماضية أن ترسل إقبال للمشاركة في مؤتمر المائدة المستديرة الثالث ولكن في شيئ من التحفظ والتردد وعدم التحمس.(٨١) ويقول السير (ظفر الله خان) بأنه هو الذي كان قد أشار على الحكومة الانجليزية بترشيح إقبال للمشاركة في المؤتمر. وذلك لأن (فضل حسين) كان في إجازة وكان السير (ظفر الله خان) عضوا في مكانه في مجلس نائب الأمبراطور وقد اعترضت الحكومة الانجليزية على موقف إقبال في مؤتمر المائدة المستديرة الثاني بأنه ظل ساكتا ولم يساهم عمليا بشئ في اجراءات المؤتمر وفي النهاية واقفت الحكومة البريطانية بما أار عليها السير (ظفر الله خان) (٨٢) والحقيقة أن إقبالا كات قد فقد إجراءات المؤتمر الثاني فقدا عنيفا وقد أدلى بصفته رئيسا للمؤتمر الإسلامي الهندي وقف الحكومة الانجليزية ومنثم لم يكن من السهل أن ترشحه الحكومة الانجليزية للمؤتمر القادم إلا بعد تحفظ وتردد وإنكار إلا أن إقبالا كان قد نال مكانة هامة في السياسة الإسلامية الهندية لم يكن من الممكن تجاهلها أو إهمالها ومن ثم رشحته الحكومة البريطانية للمشاركة في المؤتمر وهي كارهة لذلك.

وقبل سفره للمشاركة في مؤتمر المائدة المستديرة الثالث كان إقبال قد بعث رسالة إلى رئيس تحرير جريدة "همدم" من(لكهنؤ) شرح فيها موافقه السياسية فقال: (٨٣)

"إن جريدة "همدم" تقدم النصح للمسلمين بكل صراحة دائما وأن المواطنين جميعهم يشكرون لكم واذكر جيدا أن الاقتراح بالمحاولة الثانية للتفاهم بين الهنادكة والمسلمين كان تقديمه من طرفكم ولعلي كنت قد أبلغتكم بأن التفاهم مثل هذا قد يتاح بعد اتفاقية "بونا" فكنت أعتقد في ذلك الوقت بأن الأغلبية قد تقدم اقتراحا للمسلمين ومع الأسف الشديد أن ذلك لم يحدث وقد اتخذ الباندیت(مدن موهن مالويا) نفس الموقف الذي كان قد اتخذه (غاندي) في (دلهي) على كل حال فلعلك قد اطلعت على برقية السيد (محمد علي جناح) فهو الآخر يوافق الراي القائل بأن اقتراحات الفاهم يجب تقديمها من قبل الهنادكة حتى ولو كانت على اساس مبدا الانتخاب المختلط وأنا آعتقد أن مؤتمر (لكهنؤ) يهدف إلى تغيير في المطالبات الإسلامية التي أعيدت وتكررت أكثر من مرة إلا أن التغيير في مثل هذه الظروف وخاصة في مبدأ الانتخاب هذا التصرف يدل على ضعف سياسي شديد وبالإضافة إلى ذلك فإن هذه الخطوة قد تفتح بابا من التمزق والافترا ق على المسلمين وإن وحدة الرأي التي تحققت بعدصعوبات بالغة قد تصير نسيا منسا ولا يمكن لأحد أن ينكر بأن ما قضت به الحكومة البريطانية لا يوجد فيه شيء غير أن أغلبية المسلمين في بنجاب تتحقق بإضافة خمسة أو سبعة من المقاعد وإن إقليم (سرحد) سوف يتمتع بدرجة المساواة في النظام المقبل كما أن إمكانيات انفصال (السند) عن (بومباي) قد أصبحت واضحة كما أن مبدأ الانتخاب المستقل بقي على حاله وأعتقد أن هذا المبدأ هو أساس جميع ما يطالب به المسلمون وقد جعلت الحكومة مبدأ الانتخاب المستقل غير مشروط باي شرط وبذلك أتاحت فرصة للمسلمين أن يقضوا أن يستقيموا ويحافظوا على كيانهم المستقل في بعض الأقاليم على الأقل."

إن المسلمين إذا تنازلوا اليوم عن الانتخاب المستقل قل الأول عن مؤرخ المستقبل لن يطعن في الحكومة البريطانية إذا تم مسح المسلمين سياسيا عن مسرح الهادي إنما سيحمل المسلمين الجريمة من أنهم أنفسهم قد قضوا على أنفسهم بصفتهم أقلية في النظام الجمهوري ومن المؤسف جدا أن البعض من زعمائنا ورجال الدين يعتبرون مشكلة الانتخاب طريقة التمثيل فقط

أما أنا شخصيا فقد درست تاريخ مسلمي الهند ومشاعر الأمم الآسيوية

وميولها ودسائس الأمم الغربية ومكائدها وقد تأكدت بدراستي هذه بأن مستقبل مسلمي الهند لن يكون آمنا إلا بطريقة الانتخاب المستقل وأنا أعتقد أن مبدأ الانتخاب المستقل لا يعارض الفكرة القومية الغربية . (الفكرة القومية الغربية مرض روحي) . ومع ذلك فقد تكون وسيلة للوحدة والتضامن للشعوب الهندية كلها وأن هذا الهدف القومي على وشك الانقراض في أوربا نفسها ولكنه من الممكن أن تلبس الأمم الرقية من الملابس التي خلعتها أوربا حتى تواجه نفس المصائب التي واجهتها ولا تزال تواجهها أوربا. وكان بإمكاني أن أفصل القول في الموضوع إلا أنني ساسافر غدا إلى أوربا وقد بقيت على أعمال أخرى كثيرة يجب إنجازها قبل السفر فأريد أن أكتفى بهذه الأسطر القليلة .وجملة القول فإن تقديم الاقتراحات للتفاهم من قبل المسلمين وخاصة إذاكانت المطالبات الإسلامية معروفةمعلومة منذ أمد بعيد شيء لا يدل علي الإخلاص والنوايا الطيبة من حب الوطن وإنما هى مكيدة سياسية والغرض منها أن الأغلبة التى من واجبها أن تكسب ثقة الأقليات لا تريدهذا التفاهم .إن نقاش المشاكل الطاءفية فى مثل هذه الظروف ليس فيه صالح المسلمين ولا البلاد.

وفى١٧أكتوبر ١٩٣٢م أفشأ إقبال مؤسسة الموسوعة الإسلامية وأدلى بتصريح صحفى مفصل عن أهداف هذه المؤسسة ومشروعاها وطرقها العلمية وقدشاركه فى ذلك غيره من أهل العلم.وهذا نص البنيان التمهيدى بتلك المناسبة (٨٤):

"إن الإسلام والمدينة الإسلاميةفى العصر الحاضر تواجه تغيرات ثورية فى كل منطقة قريبها وبعيدها .الخطوات الاجتهادية فى تركياودور التجدد فى إيران وتحمس مصرللإصلاح وتوغل أفغانستان فى التغرب وجملة القول فإننا إذا انظرنا إلى اية منطقة من مناطق العالم الإسلامى رأينا صجة واضطرابا فى الحياة المعاصرة.إن هذه التغييرات في الدول الإسلامية خفيها وجليها تحمل بشارة الحياة الناضرة لمسلمى الهند وفي نفس الوقت هى رسالة اليقظة إليهم من إخوانهم .وما هى رسالة اليقطة هذه؟فلودرسنا ها دراسة عليمة وحللنا آثار المعنوية توجد النتاءج الهامة وعلى رأسها الاحتفاظ بأيجاد الإسلام الماضية .يجب أنبذل جهودنا الفكرية فى المشاكل الخلقية والاجتماعية والمدنية وأما عن تاريخ مساعى الهند وتاريخ الإسلام عامة فلابد من الإهتمام الخاص بهذه الموضوعات العديدة لأنه توجد حيلة لإنقاد المسلمين من الركود والجمود وبث روح اليقظة المعنوية فى فقوسهمأكثر فاءدة ونفعا من هذه الحلية"

وقدتكررعقد مؤتمر الماءدة المستديرة الثالث فى ١٧نوفمبر ١٩٣٢م إلا أن إقبالاً سافر إلى أورباقبل شهر أى فى ١٧أكتوبر١٩٣٢م إذكان ينوى أن يزور بعض العواصم الثقافية الأودية ويقيم بها أياماقبل وصوله إلى لندن وبما أنموعد سفره لم يطلع عليه أهل لاهورفلم يأت أحد إلى محطة لاهور للقطارليودع إقبالاً غير أصدقاءه وأقاربه(سيدأمجد على) وقد رافق إقبالاً فى سفره كأمين فخرى للوفد الإسلامى وأصدر إقبال بيانا صحفيا قبل أن يتحرك به قطار (سرحد) السريع(أى" فرنتيار ميل"قال فيه بأن يرجو من المسلمين أن ينابعوا السياسة العلمية التى حددت له قرارات المؤتمر الإسلامى الهندى الرابطة الإسلامية الهندية ثم أضاف قاءلا (٨٥):

"وأعتقد أننى لا أستطيع أن أقول شياء إلا أن أذكر المسلمين بالأسس والبادى ء العلمية التى حددها له القرآن الكريم:" فإذا عزمت فتوكل على الله ". فمادمنا قدقدرنا اتخاذ طريق من العمل فعلينا بالعمل فوريا بموجبه ونتوكل على الله ربنا."

ولدى وصولة إلى (بوصباى) استقبله صلاح الدين السلجوقى القنصل الأفغانى فى بوصاى فأخذه معه إلى مقره وخلال إقامته القصيرة فى (بوصباى)قضى إقبال وقتامع السية(عطية بيكم)وزوجها (فيضى رحيمين) ثم ركب سفينة بحرية كان اسمها (كونتى روسو) مع (سيد أمجد على) مبتهاإلى أوربا .فوقفت بهم السفينة كالمعتاد فى ميناء(عدن) إلاأن إقبالاً كان عليلا فلم ينزل من السفينة وإنما ظل يستريح فى مجرية الخصوصية وأخيرا وصلت السفينة إلى ميناء(فينس) الإ يطالى حيث ركب إقبال قطارا مجتها إلى(باريس) فاستقبله فى محطة (باريس)(سردار امرأوسنغ سيرجل)وأنزله فى فندق متواضع وكان (سردار رجل)نازلا فى باريس مع زوجته المجرية وابنتيه الأنسة (امرتا) والأنسة (انديرا) فالتقى إقبال بجميع أعضاء الأسرة فذهب مع (سردار امرأ وستغ شيرجل) و(سيد أمجد على) فزارو اضريح(نابليون) وفى اليوم التالى التقى إقبال بالمستشرق الضرنسى المعروف (لويس ميسنيون (واستمر اللقاء لبضع ساعات تباد لا خلالها الأراء وكان يردي أن يزور الفيلسوف الفرنسى (برغسون) ولكنه كان قد ذهب إلى قرية من القرى خارج (باريس (لبضعه أيام ومن ثم قرر أن يزور هـ عاءدا من مؤتمر الماءدة المستديرة الثالث فى لندن.

وبعد إقامةامتدت لبضعة أيام فى (باريس) ركب إقبال و(سيدأمجدعلى) القطار فوصلا إلى (لندن) حيث استقبلهما على محطة (فكتوريا)المسلم الانجليزى (خالد شيلدريك) الذى أهدى إلى إقبال مجموعة من خطب (جان برايت)

السياسى البريطانى المعروف ورجا (خالد شيلدريك) إقبال أن يقرأ الكتاب قبل أن يشارك فى مناقشات مؤتمر الماءدة الستديرة الثالث و(جان برايت) هذا هو الذى كان قد ألقى كلمة فى البرطان البريطانى في ١٨٥٧م فقال "إنه لابد لبريطانيا أن تقسم الهند إلى خمس دول مستقلة علي الأقل قبل أن تسحب منها "وعلى حد قول (سيدأمجد على)أنهى إقبال قراءة الكتاب خلال ليلة واحدة.(٨٦)

أما مؤتمر الماءدة المستديرة الثالث فلم يحضر فيه أحد من يمثل الكونجرس الهندى ولم يكن (محمد على جناح) قدرشح فلم يحضر هو أيضا إلا أن إقبالاً التقى به خلال إقامته فى لندن أكثر من مرة.

وقد شارك إقبال فى هذا الموتمر أيضا كمتفرج ملاحظ ولم يساهم عمليا بشىء فى أجراءاته وكان قدعين عضوا في اللجنة التعليمة "للفرقة الاينجلو-الهندية"إلا أنه لم يشارك فى أى اجتماع من اجتماعاتها والوقع أن موضوعات مؤتمر الماءدة المستديرة الثالث معظمها كانت عن الحكومة المفيدرالية المركزية للهند ولم يكن إقبال يرغب فى الحكومة الفيدرالية وإنما كان يعارض إنشاء الحكومة المركزية للهند إذكان يرى إعطاء السلطة المحلية الكاملة لكل إقليم من الأقاليم ويكون كل إقليم على صلة مباشرة بوزير الهندفى (لندن) وقد ألقى إقبال كلمة واحدة المؤتمر وأيد موقفه بأقواك (جان برايت) لكى لا يتبرم الرعماء البريطاينون بآراءة واقترحا --؟قاله احد زعماهم السياسيين ولبار الرطانيين (٨٧) وخلال هذا المؤتمر كان الشوذرى (رحمت على) وغيره من الطلاب المسلمين فى (كبردج) قدوزعوا اكتيبا بالانجليزية عن (مشروع باكستان بين المندوبين وكان اسم الكتيب ." الآن أولن يكون أبدا".

وكان.زعيم المنبوذين الدكتور (اصبيدكار)قدشارك كندوب فى مؤتمر المستديرة وله كتاب بالانجليزيه "باكستان أوتقسيم الهند"علق فيه على كلمة إقبال فقال (٨٨):

> "إذا اعتبرنا معارضة الحكومة المركزية المشتركة جانبا خاصا وأساسيا لمشروع باكستان فإننالا نجد عضوا من بين أعضاء مؤتمر المائدة المستديرة الثالث الذى أيد هذا المشروع بدون أن يذكره بالاسم وهذا العضو هو(السير محمد إقبال)الذى رأى رأيه فى مؤتمر المائدة المستديرة الثالث فعارض حكومة مركزية للهند وإنما طالب بأن يكون كل إقليم مستقل ذى سيادة ويكون على صلة مباشرة بوزير الهندفى لندن."

وفى ٢٤ نوفمبر١٩٣٢م أقامت الآنسة (فاركوهرسن) زعيمة "رابطة

انكلترااالقومية"تكريما لإقبال وقد حضرفيه ضد وبومؤتمر المستديرة الهنادكة والمسلمون وكبار الشخصيات البريطانية فقالت الآنسة (فاركوهرسن) وهى تعرف بإقبال (٨٩):

"إننا نلاحظ بأنه شخصية ذات كفااءت ومواهب غيرعادية إنه يستطيع أن يرى الآفاق البعيدة من المستقبل ببصيرته الشعرية كما أنه يستطيع أنيكشف المبادىء الخفية من المشاكل البشرية بنظره الفلسفى الدقيق وفكره العميق وفوق ذلك كله فإنه يملك مواهب الإنسان العملى التى كانت سببا فى ترشيحه كعضو لمؤتمر المائدة المستديرة."

ثم قام (اللورد ليمنجتون) فاستحسن ابتكاراته الشعرية وخدماته الجبارة لإيقاظ العالم الإسلامى.ثم دعا إقبالاً ليلقى كلمة فى الحفلة فألقى إقبال كلمة قصيرة أوضح فيها بأنهم جميعهم قد اجتمعوا فى (لندن) لوضع دستور الهند بمعاونة الحكومة البريطانية فيجب أن يضعوا دستور ا قويا دائما لايفشل أبدا .الهند بلاد واسعة جدا يقطنها أهل الديانات واللغات الختلفة منذ آلاف السنين ويجب أن نوضح أهداف المؤتمر فيجب أن تكون بيننا ثقة متبادلة فإن الثقة تقود إلى الثقة والمؤتمر يجرى فى جومن النوايا والأمانى الطيبة والمسلمون عندهم شجاعة وجرأة وقد دعموا علاقات الوفاء والإخلاص مع بريطانيا بصفة دائمة مستمرة فهم يأملون فى أن بريطانيا ستراقب إرادة المسلمين وأمانيهم حين تقرر قرا رانها ئيا وأنها ستحافظ على حقوقهم وتضمن مطالبهم.

ثم ألقى إقبال كلمة فى اجتماع أخر "لر ابطة انكلترا القومية"كان عقد فى ١٥سبتمبر١٩٣٣م بقاعة رقم:١٠الاجتماعات اللجة وقد حضر فيه أعضاء من مجلسى البرلمان البريطانى وسفراء الدول المختلفةوإعضاء الوفد الإسلامى الآخر ون فقال إقبال فى كلمته هذه:

"أما المبدأ الأساسى وراء مايطالب به مسلمو الهند فهو مبدأ بسيط عادل لابد وأن يتأثربه الشعب البريطانى إذا علم به وفهمه فهما بيدا فأنتم على علم بأن عدد السكان المسلمين فى التى سبعون مليونا أو أكثر و أما فصف هؤ لاء السكان فمنقسمون متفرقون فى أنحاء البلاد المختلفة أماالنصف وخمسون فى المائة وفى المستديرة ثلاث وسبعون فى المائة تقريبا وفى إقليم (سرحد)خمس وتسعون فى المائة تقريبا .أما موقف هوءلاء السكان المسلمين فهو أن الذن يمثلون تقاليد تاريخية خاصة ووحدة وتضامنا ما لا يوجد فى أية جماعة أخرى من السكان فى الهند .يريدون أن يعيشوا حياة على طريقتهم ويريدون أن يتقدموا

على أساس قيمهم المنية فهذا هو المبدأ الذى يعمل وراء مايطالب به المسلمون وقد تم يقديم هذه المطالبات الإسلامية فى قرارات اتخدها المؤتمرالإسلامى الهندى والرابطة الإسلامية الهندية."

ثم بدأ إقبال يوضح المطالب الإسلامية فى ضوء أربع عشرة نقطة ثم أنهى كلمة قلائلا:

"وقبل أربع أوخمس سنوات كنت قد اقترحت إنشاءدولة إسلامية واسعة فى الشمال الغربى من الهند كحل ممكن لملشكلة الطائفية بصفتى رئيسا للرابطة الإسلامية الهندية ورغم أن هذا الافتراح لم يكن بين ماطالب به مسلموا الهندولكننى أرى شخصيا حتى الآن بأن هذا هو الحل الممكن الوحيد لهذه المشكلة وإننى على استعداد أن أنتظر الوقت حتى يتحقق بالتجربة أهذا اقتراح معقول أو غير معقول."

والصحيح أن اقتراح إقبال لم يجب الكثيرين ولم هذا هو الذى جل (كوت مين)ينتبه إلى ذلك فى ١٩٣٢م فيقول .(٩٠):

"إن إيجاد الهند متحدة قوية ملائة قدبد أيصبح مستحيلا يوما ويبدا أن دولة إسلامية قوية فى الشمال الغربى ستحل محلها وأن هذه الدولة الإسلامية القوية لا بد وأن تعرض عن الهند إعراضا وتتجه إلى بقية الإسلامى الذى ستقع هذه الدولة على حدوده."

على كل حال فأن (الوردلوثيان)كان قد يأثرباقتراح إقبال فقال أن مشروعه هوالحل الوحيد لمشكلة الهند الطائفية إلا أن تحقيقه وإنتاجه يحتاج إلى مايزيد عن خمس وعشرين سنة.(٩١)

وقد قرأ إقبال خلال إقامته فى لندن مقالته الفلسفيه بالإنجليزية"هل الدين أمرممكن"فى إجتماع"جمعيةأرسطو".وكان قد تلقى الدعوة لتقديم هذه المقالة وهو فى(لاهور)وكان قدأعدها خلال مدة شهر واحد قبل سفره إلى أوربا.ويضم هذه المقالة كتاب إقبال با لإنجليزية وهو"تجديد التفكير الدينى فى الإسلام ".

وقل مغادرة انكترانشرت مقالة إقبال الصحيحة فى ا-----؟ وعنوانها " مكانة المرأة فى الشرق" والواقع أن موضوع الحديث كان " حقوق النساء فى الإسلام" وقد تحدث إقبال فى هذه المقابلة الصحفية عن تقليد الحجاب للمرأة وأيد الحجاب فى مقابلته هذه ووصل مرة ثانية من(لندن)إلى (باريس)فى ٣٠ دسيمبر ١٩٣٢م.

وكان جل اهتمام إقبال فى باريس بشخصين أولهما (لوئيس ميسنيون)والثانى

(برغسون) .إمالويس فكان قد قام بجوث عن المنصور الحلاج وحقق كتابه " الطواسين" ونشره مع مقدمته المتعة الدللة والهوا مش المفيدة فى١٩١٣م وقد تعرف إقبال عليه بكتابه هذا وبدراسة هذا الكتاب غيرإقبال موقفه نحو الحلاج فبدأت المراسلة بينهما ويصرح (ميسنيون)بأن إقبالاً كان قد أبلغه فى رسالة بعث بها إليه فى ١٨فبراير١٩٣٢م بأنه سيأتى إلى (باريس) ليزوره كما بعث إليه نسخة من أحدث ديوانه " جاويد نامه" أو رسالة الخلود ويقول (ميسنيون)بأن الحديث الذى جرى بينه وبين إقبال خلال لقائهما فى باريس فى أول نوفمبر ١٩٣٢م كان معظمه عن الحلاج الذى كان يعان بع لإقبال اهتماما بالغا وقد حطر مع إقبال فى هذا اللقاء كل من (سيد أمجد على) و(سردار امراؤ سنغ شيرجل) وقد تم اللقاء فى غرفة من مكتبة (ميسنيون) حيث كانت توجد أكوام الكتب فى كل ناحية وقد سجل (ميسنيون) إنطباعاته عن هذا اللقاء فقال :(٩٤):

"وكان بعض المفكرين المسلمين فى الهند قبل إقبال بقرون عديدة قد أبدوا عن ردفلهم ضد المتصوفين القائلين بوحدة الوجود من مدرسة ابن العربى .أن فكرة وحدة الوجود عند المتصوفين هو جوهر الفلسفة الهندوكية وملخصها عن الفناء النهائى أما المدرسة الشهودية أو مدرسة وحدة الشهود فقد بد أن بعلى الهمدانى الكشميرى ووصلت إلى الإمام أحمد السرهندى والإمام ولى الله الدهلوى وأن إقبال قد اعترف خلال لقائنافى (باريس) بأنه ليس من مدرسة وحدة الوجود وإنما هومن مدرسة وحدة الشهود."

وأما اهتمام إقبال بالأساذ"برغسون"فيرجع إلى فكرة الزمان الواقعية عنده التى توافق ما استبدل به إقبال فى مقال قد أعده عن هذا الموضوع وهو طالب فى كمبردج وكان إقبال قد ضيع مقاله هذا إذارآه سحينفا بسبب النقد المنطقى له من قبل أستاذه الفيلسوف (ميك يتجريت)ولعل إقبالاً قد أرادأن يقابل (برغسون) فيطلعه على اعتراضات أوردت على هذه النظرية ولايمكن تحديد تاريخ لعائه مع (برغسون) فى (باريس) ولعل ذلك قدكان فى يوم من أيام الأسبوع الأول لشهرينا ينابر ١٩٣٣م وكان (برغسون) حينذاك قد طعن فى السن وأصبح شيخا هرما وكان مصابا بأمرا ض فلم يكن يستطيع أن يتحرك إلا بكرسى المجلتين ولم يقابل الناس أو يلتقى بهم ولكنه خص إقبالاً با للقاءلأنه كان يتوقه إلى ذلك وقد استمر اللقاء ساعتين تقريبا وجرى النقاش عن نظرية الزمان الواقعية عند(برغسون)وقد روى إقبال حديث رسول الله–صلى الله عليه وسلم —عن ذات الله عزوجل خلال حديثه مع (برغسون) وهو"لاتسبوالدهر فإن الدهر هو الله"وقد تأثر (برغسون)بهذا

الحديث فكرر سؤاله إلى إقبال غير مرة قائلا: أهذا حديث نبوي صحيح ؟!وكان (سرادار امراؤ سنغ شيرجل) قد قام بدور المترجم خلال هذا اللقاء وهوالذى كان قد سجل التفاصيل عن هذا اللقاء ولكن يأسلوب رديء جدا حتى أنه لم يتمكن من قراءة ماكتبه بخط يده فمن سوء الحظ لم تحتفظ بسجل هذاالحديث.وقد ذكر إقبال لقاءه مع (برغسون) فى رسائله إلى الكثيرين من الشخصيات فمثلا كتب رسالة إلى السير(وليام روشن ستائن)فى ١٩٣٣م فقال (٩٥):

"وقد التقيت بالأستاذ (برغسون) فى باريس قد جرى بيننا حديث ممتع للغاية عن المشاكل الفلسفية وقد قال لى (برغسون)أن ملخص فلسفة (بركلى) الفيلسوف البريطانى هو أن المادة تنكشف بتما مها وكما له فى القوة المدركة.أما الذهن فالأمرفيه ليس كذلك وهذا أسلوب آخر من تقديم أفكار (بركان).وقد استمر حديثنا لساعتين وقد هرم (برغسون)ومر فى هذا شديدا وقد ترك اللقاء مع الناس أو الحديث معهم ولكنه قد تكرم خفصص فى وقتافلتقينا ولكن من سوء الحظ أن صديقناالذى كان معنا والذى سجل الحديث لمستطع أن يقرأ ماكتبه بخط يده فيما بعد."

وكتب رسالة إلى (اللوردلوثيان)فى ١٧مارس ١٩٣٣م يحدثه عن هذا اللقاء ويقول: (٩٦)

"وقد التقيت بالأستاذ (برغسون) خلال إقامتى فى (باريس) وقد جرى الحديث بينناالساعتين تقريبا عن الفلسفة الجديدة والمشاكل المدنية كما تحدثنا عن أفكار (بركلى)الذى كانت فلسفته موضع اهتمام للكثيرين من الفلاسفة الفرنسيين وقد سجلوا فى ذلك تجارب ومشاهدات ممتعة للغاية."

وكتب رسالة إلى(ايدورد كامسون) فى ٢٩يوليو ١٩٣٣م فقال:(٩٧)

"وقدحاولت أن أوضح بلغة علم النفس المعاصرفى محاضرتى (هل الدين أمرممكن)وما هو تصوفنا هذا و الأستاذ(برغسون) الذى كان قد قرأمحاضرتى (هل الدين أمر ممكن) وما هو تصوفنا هذا والأستاذ(برغسون) الذى كان قد قرأ محاضرتى هذه قداعترف خلال اللقاء بأن فلسفته أيضا تتجه هذا الاتجاه نفسه."

ويقول (سيد نذير نيازى) فى كتابه " فى حضرة إقبال " إنه كان قد سأل إقبالاً هل كان أحد قد سجل الحديث الذى جرى بينك وبين (برغسون) عند اللقاء بينكما طرد عليه إقبال قائلا: كان معى (امراؤ سنغ)الذى قام بدور المترجم بيننا وهو الذى سجل هذا الحديث ولكن خطه كان ردئيا جدا حتى أنه لم يستطع أن يقرأ ماكتبه بخط يده .ثم أصناف قائلا:إننا تحدثنا كثيرا حول (بركلى)الفيلسوف البريطانى الذى زاد مكانه وأهمية فى عصرنا الحاضر .وقال :إن ملخص الحديث

كان قدبعث إلى فنانه معروفة- ولعله يقصدبها (السيدة أمريتا شيرجل ابنة سردار أمراء سنغ شيرجل)- ولا أعرف مصير الحديث المسجل * هل ضاع أم بقى متحفظا به .ثم قال إقبال وهو يرد على سؤال (سيد نذير نيازى)بأن (برغسون)كان قد تحدث عن نظريته النادؤة للزمان ولكنه قد ضاع فتأسف (برغسون)على ما ضاع من حديثنا المسجل.(٩٨)-

وكذلك فمن المصعب أن تحد د تاريخ سفر إقبال من باريس إلى مدريد (بإسبانيا)ويمكن أن يكون قد وصل من باريس إلىمدريد فى ه أو ٦يناير ١٩٣٣م .ثم عاد إلى باريس فى ٢٦يناير ١٩٣٣م فكأن إقامته فى(إسبانيا) استغرقت ثلاية أسابيع تقريبا (٩٩)وقد رافقت إقبال فتاة انجليزية نحيلة ضئيلة فى سفره إلى مدريد والتى قامت بدور أمينة السرله أو المترجم له وقد ظنها الصحفيون من(مدريد)ابنة لإقبال فقد ذكرت هذه الفتاة فى تقرير صحفى من مدريد أو فى رسالةإقبال التى بعث بها إلى السيدة (عطية فيضى)فى ٢٩ مايو ١٩٣٣م فأخبرها فيها قائلا(١٠٠)

"إن موقف الفتاه الإنجليزية التى كانت معى كأمينة السرلى كان قد تغير فجأة فى (إسبانيا) فقد تحولت من أمينة السر إلى تابعة من أتباعى أو خادمة من خدمى.فألتها عن هذا التغير الفاجئ فى موقفها وتصرفها فقالت موضحة موقنها :إننى اكتشفت الآن فيك كأنك مخلوق سموى ولايمكن لى الآن أن أشرح إنطابعى عنها أو يأثرى بها شرحا إيجابيا وإنما أستطيع أن أشرحا سلبيا وهو أننى لست من الحمقى"

أمامتى وكيف كان إقبال قد اختارهذه الفتاة الأنجليزية كأمينة السرله فذلك غير معروف إلا أن بعض الناس قد ابتكروا أقصوصة أو حكاية نسبوها لإقبال فمنهم (الشوذرى خاقان حسين) الذى يقول (١٠١)

"وقد حكى لنا حضرة الدكتور إقبال يوما حكاية بديعة وحدثاً نادراً عن سفره إلى (إسبانيا) ولعل أحدا لايعرف خافية هذه الحكاية أو الحدث فقال لنا وهويكى :يأننى قد ذهبت يوما خلال إقامتى فى لندن إلى أمير (بهوبال) فسألنى قائلا: لماذا لا تزور أسبانيا يا إقبال ؟.فقلت له : لو كنت أميرامثل أمير (بهوبال)لزوتها وعدت منها قبل الآن.وفى اليون التالى تلقيت وأنا فى الفندق شيطا ستة آلاف روبية من قبل حضرة الأمير لإمارة (بهوبال) وأدركت أن المبلغ للصفر فنشرت إعلانا فى صحيفة عن حاجتى إلى سكرتيرة فاخترقت فتاة مؤهله وشرحت لها تفاصيل الصفو وأمرتها ألا تدخل فى حديث معى منذ بداية السفر

حتى نهاية وسلمت إليها مبلغ الشك كله وخرجت مسافرا وكانت سكرتيرة عملية مؤهله جدا حيث لم أواجهأية مشكلة خلال السفر فقد قامت بشؤن السفر والإقامة خير قيام والجدير بالذكر عن السكرتيرة هذه أنهاغيرت موقفها يوما فجأة بعد أن اطلعت على عادات العلامة إقبال وأخلاقه وطبيعته حتى أنها أخذت تخدمه أكثر من سكرتيرة خصوصية كتابعة خادمه فألها العلامة إقبال عن هذا التغيير الحفاجئ فى موقفها وتصرفها فقالت له :إن حضرتك تبدولى خلقا سمويا!"

إن أهم ما يطرح نفسه من السؤال هو ما هى الصلات الخاصة التى كانت بين إقبال وبين (الشوذرى خاقان حسين) هذا التى جعلت إقبال يخصه بحكاية بديعة عن سفره إلى(إسبانيا) دون غيره من الناس فإن رسائل إقبال بوضح لنا أنه كان ينوى السفر إلى (إسبانيا) وهو لا يزال فى لاهور فلماذا ذهب إلى (إسبانيا) لأن أمير (بهوبال) اقترح عليه لذلك فى لندن وأعطى له شبكا بستة آلاف روبية ؟ثم ماالذى جعله يختار سيدة سكرتيرة با لذات لهذا السفر .على كل حال فمن الصعب أن نقول بأن الفتاة الأنجليزية هذه كانت قد رافقت إقبال خلال سفره فى أوربا من لندن أو من باريس أو التقت به و هو فى (مديريد) ويعتقد هذا المؤلف أن هذه الفتاة الانجليزية كانت من المخابرات البريطانية وقد يمكن أنهارافقت إقبال من لندن ولكن (السيدأمجد على) لايذكرعنها شيئا رغم أنه كان قدرافتى إقبال من لندن إلى باريس وقد يمكن أيضا أنها التقت بإقبال فى باريس أو فى مدريد وحين علمت أنه مسافر إلى (إسبانيا) أو أنه لا يعرف اللغة الإسبانية فكان ذلك مما جعلها توافق أن تقوم بدور سكرتيرة خصوصية أومرجمة وكان بإمكان كل سائح أو رحالة أن يحصل على أى نوع من الإنسان الموافق له خلال السفر فى أوربا فى تلك الفترة وهل كان إقبال إلا سائحا أو رحالة ؟. ومما حكى إقبال للكثيرين من أصدقائه عن هذا السفر أنه كان مسافرا بالقطار من باريس إلى لندن فرأى فى مقصورته مقامرين يسافر أن بالقطار نفسه فاختطفا مبلغا من عشرين جنيهامن المسافرين البسطاء بسرعة غريبة ولم يزل إقبال يدرس حيلها الخادعة دراسة عميقة حتى قال له القامران : هل تحب أن تلعب حضرتك الأوراق ؟فلبى إقبال دعوعهما ففاز بعشرين جنيها قبل وصوله إلى لندن وحين نزلوامن القطار أخذ القامران يتلقان إقبالاً لا سعادة حراه مبلغ عشرين جنيهاويمد حان سخاء الهنود وكرهم إلا أن إقبالاً هدرهما بأنه سوف يشكوإلى الشرطة ضدهما إذ كانايخدعان الناس فى لعبة الأوراق فانسلا حين سمعا كلام إقبال هذا.(١٠٢)

ومن العقول أن تكون المخابرات البريطانية قد اهتمت بسفر إقبال إلى(إسبانيا) حيث إنه قد سافر إلى)إيطاليا) فى السنة الماضية حيث التقى بمسولينى أمافى هذه المرة فلم يكن ينوى السفر إلى(إسبانيا)فقط وإنما كانيريد أن يزور ألمانيا والنمسافكما أن(مسولينى) كان مستبدا بالحكم فى إيطاليا كذلك كان (هتلر) قد أصبح رئيس وزراء ألمانيا فى ينابر ١٩٣٣م وكانت(إسبانيا) على صلة بالفاشيين فى إيطاليا والنازيين فى ألمانياوكان من الممكن أن يلتقى مع (هتلر) وكان لا بدللمخابرات البريطانية أن تطلع على ما بحرى فى لقاءات شخصية إسلامية هندية سياسية مع الناس فى أوربا.على كل حال فقد شك إقبال ولاول مرة فى الفتاة الإنجليزية حين تغيرت تصرف تها معه فجأة وهو فى(مدريد) وعلم بأنهاعلى صلة بالمخابرات البريطانية واكتفى إقبال خلال سفره هذافى أروبا بزيارته لفرنسا وإسبانيا ولن يذهب إلى ألمانيا والنمساكما أرادو خاصة إلى ألمانيا حيث كان (هتلر)قد تسلم الحكم فى ألماضيا فى ينابر ١٩٣٣م وكانت الظروف هائجة ولعله على عمل بأن المخابرات البريطانية ترقب تصرف ته وتنقلا ته فى أوربا مما جعله يلغى سفره إلى ألمانيا والنمسا.

وكان إقبال قد نزل ضيفا على الأستاذ (آسين بيلاكيوس)فى مدريد وهو الذي كان قد ألف كتابا عن"اللهاة الإلهية واللإسلام"وكان قد وجه دعوة إلى إقبلاخلال إقامته فى لندن أن يأتى إلى (مدريد)ويلقى محاضرة فى جامعتها وقد التقى إقبال بوزير التربية والتعليم لإسبانيا بعد وصوله إلى (مدريد)مأقام أياما فى(مدريد) هم سافر إلى (أندلوسيا)فى جنوب (إسبانيا)ثم أقام أياما أخر بعد عودته فى (مدريد) فالتقى بالأساتذة والعلماء الذين كانو يهتمون بالعربية وأدابها أوكانوا باحثين فى التمدن الإسلامى كما أنه لقى الباحث العربى (محمود الخضيرى)فى (مرديد) وقد كان يبحث فى الفقه الإسلامى هناك فى ذلك الوقت وبعد بضع سنوات علم إقبال من (عبد الله تشفتائى) أن (محمود الخضيرى) هذا يحضر بحثا عن (نصير الدين الطوسى)فأشار عليه إقبال بأن يدرس إقليدس الطوسى ومؤلفات معاصرية دراسة عميقة فقد يطلع فى بحثه هذا على أن علماء الرياضيات المسلمين فى القرون الوسطى يمكن أن يكونوا قد وصلوا إلى نتيجة بأن إبعاد المكان يمكن أن تكون أكثر من ثلاثة .(١٠٣)

وفى ٢٤ يناير ١٩٣٣م ألقى إقبال محاضرة "إسبانيا وفلسفة الإسلام " فى المبنى الجديد لجامعة مدريد وقد ترأس الإجتماع الأستاذ(آسين بيلاكيوس) وهو

الذى عرف أقبالاً بمن حضر فى الإجتماع وقد نشرت إجراءت الإجتماع فى جريدة مدريد" الديبت" وقد زار إقبال قرطبة وغرناطة واشبيلية وليطلة كما أن زار آثار حديقة الزهراء- وهو قصركان قدبناء عبدالرحمن الأول لزوجته الحبيبة الزهراء على هضبة —أما المبنى الذى أعجب إقبالاً فنفذ إلى أعماق قلبه من طريق عينيه وخلد ذكراه فهو مسجد قرطبة الجامع!

فكما أن لقاء إقبال مع مسولينى كان قد أصبح موضوع العديد من الحكايات والأقاصيص فكذلك صلاة تحية المسجد لإقبال فى مسجد قرطبة قد أصبحت مرجعا للروايات والحكايات المختافة والواقع أن زيارة مسجد قرطبة قد رفعت إقبالاً إلى مستوى من المشاعر والعواطف لم يحظ به قبل أو بعد أبدا .فقد ذكرما مربه من التجربة خلال الزيارة إلى (غلام رسول مهر) فقال: "يجب أن تزور قرطبة قبل أن تموت"(١٠٥)ثم بعث ببطاقة مسورة من قرطبة إلى المؤلف فكتب عليها:" أننى أحمد الله سبحانه وتعالى وأشكره إذ عشت حتى زرت هذا المسجد .إن هذا المسجد خيرمساجدالعالم وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يوفقك حتى تشوت ونتشرف بزيارة هذا المسجد فتنوربه عينيك " (١٠٦)وقد استجاب الله دعا إقبال هذا بعد اتنتين وأربعين سنة حين وصل المؤلف إلى قرطبة فى زيارة إسبانيا فى أغسطس ١٩٧٥م فلم يزر مسجد قرطبة فحسب وإنما مس المقام الذى أمام المحراب والذى قد يكون إقبال قد صلى فيه صلاته.

ولعل إقبالاً أول مسلم قد صلى ركعتين كتحية المسجد فى يناير ١٩٣٣م ام لأول مرة بعد أن تحول مسجد قرطبة إلى كنيسة منذ العديد من القرون .فأما الحكايات والأحداث التى تروى عن صلاة إقبال فى مسجد قرطبة فهى كما يلى:فيذكر عبد المجيد سالك أن إقبالاً قد أعجب بالمسجد وجلاله وحيبته فتأثر بذلك فام يملك انه يمنع رغبته الملحة فى الصلاة فيه فسأل الدليل الذى كان معه فقال إنه سيتأذد كبير الرهبان فذهب ليستأذنه فأما إقبال فكبر للصلاة فى أثناء ذلك فانتهى منها قبل أن يعود إليه(١٠٧).ويدعى (سيد أمجد على)بأن إقبالاً كان قد أخبره فى رسالة إليه بأنه قد أذن أيضا قيل أن يصلى فيه (١٠٨) ولعل (فقير سيد وحيد الدين) قال على أساس هذا الادعاء بأن إقبالاً قدأذن فى مسجد قرطبة وصلى فيه لأول مرة بعدسبعة قرون(١٠٩)ويقول السير (مالكم داراالنج)(١١٠)

"قد حكى لى إقبال قصة حلوة ممتعة جدا عن سفره إلى إسبانيا فقال إنه قد زار مسجد قرطبة الفخم الذى تحول إلى الكنيسة الآن فاستأذن دليله بالصلاة هناك

على أن الكنيسة يوما كان مسجدا فقال له الدليل إن ذلك قد لا يعجب رهبان الكنيسة ولكنه لم تحفل بقوله فمد سجادة الصلاة وفى أثناء ذلك جاء إليه راهب يحتج على تصرفه فقال إقبال لدليله : قل للراهب أن وفدا من المسيحين كا ن قد زاره مرة مدينة النبى–صلى الله عليه وسلم–فى شأن من الشؤن —الذى أنزل الوفد فى المسجد النبوى وعند ما حان وقت العبادة تردد المسيحيون فى ذلك أيسح لهم بالعبادة على طريقتهم فى المسجد النبوى وعندما علم به سيد الكونين —صلى الله عليه وسلم–أذن لهم بذلك بكل سروروسماحة فإذا كا ن نبينا —صلى الله عليه وسلم– قد أذن للمسيحين بالعبادة فى مسجده فلم لاأستطيع أن أصلى صلاة فى مكان طل مسجدا مدة من الزمان فلم يستطيع الراهب أن يرد عليه بشئى وبدأ إقبال يصلى صلاته فإذا أنهى صلاته فنظر حوله فإذا برهبان الكنيسة قد إجتمعوا حوله حتى أن أحدهم كان قد صورهذا المشهد ثم قال إقبال :لعلى أنا المسلم الوحيد الذى صلى صلاته فى هذا المسجد بعد أربعةقرون."

وقد نشر مقال عن هذا الموضوع فى جريدة " جنك" راولبندى فى ٢١أبريل١٩٧٤م أعده السيد (محمودالرحمن)على أساس ما حكى له (اميتازمحمد خان) الذى قال بأن إقبالاً كا ن يريد أن يزور مسجد قرطبة ويصلى فيه صلاة بطريقة أو بأخرى وهو لا يزال فى لندن إلا أن المسجد كان قد تحول إلى كنيسة وفرض المنع على الأذان والصلاة فيه فرجع إلى أستاذ(أرنولد) .(والجريد بالكرأن (أرنولد) هذا كان قد مات قبل سنتين أى فى١٩٣٠م) وأنه قد أذن لإقبال للصلة فى جامع قرطبة هذا على محاولات وجهودبذلها (أرنولد) فى ذلك ولكن بشرط أن تغلق الأبواب وتقفل عندما يدخل إقبال فى المسجد فكان كما اتفق عليه.وهذه القصة لا تنتهى إلى هذا الحدوإنما تتقدم وتتطور كمايلى(١١١):

"فدخل إقبال فى المسجد كما تم الاتفاق على ذلك فرفع عقيرته فأذن بكل قوة من صوته دوت به الأرجاءويقول إقبال:لن أنسى بلك المشاعر والسرور والحالة النفسية التى مررت بها فى ذلك الوقت فقد ارتفع صوت" الله أكبر" فى المسجد بعد قرون وكان صدى الصوت يصطدم بالمنبر والمحراب وبتردد جيداه وبعد نهاية الآذان فرش إقبال سجادته للصلاة وأخذ يصلى صلاته التى استولى عليه خلالها شئى من الوجد والرفة فخر ساجدا فأغمى عليه وفى أثناء ذلك رأ ى إقبال فيما يرى النائم كأن وليامن أولياء الله قد ظهر فقال وهو يخاطب إقبال:" إنك يا إقبال لم تدرس مثنويتى دراسة عميقة فعليك أن تستمبر فى دراستها وتوصل رسالتى إلى غيرك من الناس." وحين عاد إقبال إلى وعيه أحس بالسكون

والاطمئنان فى دخيلة نفسه وقعر ضميره."

أما الحقيقة أو لاأسطورة من بين هذه الروايات والحكايات فيمكن أن يقدر ذلك بتصريحين أدلى بهما إقبال فعندما وصل إلى لاهور وخرج من محطتها للقطار وصل إلى منزله وكان يرافقه بعض أصدقائه فى ذلك الحين وكان موضوع حديثهم زيارة إسبانيا فقال إقبال وهو يذكر مسجد قرطبة الفخم والذى لانظيرله فى العالم(١١٢):

"لم يبن مسجد أفخم وأجمل من هذا المسجد فوق الأرض فيما أراده وقد بنى المسيحيون بعد انتصارهم على قرطبة كنائس صغيرة داخل المسجد وقد اقترح البعض هدمه واستعادة المسجدإلى ما كان عليه وأنا قد دخلت مسجد قرطبة الجامع ومعى مدير الآثار القديمة فأذن لى خصاة بأداء الصلاة فى المسجد وقدكان صلاتى هذه هى أول صلاة فى هذا المسجد الفخم العظيم الذى لايزال تحت سيطره المسيحيين منذ أكثر من أربعة قرون ونصف"

ثم ذكر البانى الإسلامية التاريخية فى إسبانيا خلا ل حديث له مع (عبد الرشيد طارق)فقال: (١١٣)

"ولقد زرت الأماكن التاريخية الإسلامية فى (إسبانيا) وفى مسجد قرطبة الجامع الذى لايزال ينتظر الأذان والصلاة فى أجوائه وأرجائه منذ قرون عديدة واستاذنت المسؤولين فصليت فى المسجد وقد خررت ساجدا متخشعا متضرعا إلى الله!الله!الله! فهذه هى الأرض التى حكمها المسلمون لعدة قرون وأنشأ وافيها مدارس معاهد وجامعات ونقلوا العلم والفضل إلى أرجاء أوربا. هئولاء المسلمون الذين كانى ليوثا ترتعد منهم أوربا على أنفها فرعا رهبة.المسلمون الذين أحسنوا إلى العالم الأفرنجى كله فهو لايزال مدينا لهم حتى اليوم وأنافرد من أفرادهؤلا ء القوم لا أستطيع اليوم أن أصلى فى مسجد بنوه بأيديهم إلا بإذن من أعدائهم المسيطرين المتغلبين."

فقد اتضح بأن إقبالاً قد دخل مسجد قرطبة ويرفقه مديرالآثار على إذن خاص من حكومة (إسبانيا) فأخذ سجادة الصلاة معه ولعله دبر لهذه السجادة خلال إقامته فى(مدريد) بإشراف الأستاذ (آسين بيلاكوس) أو وزير التربية والتعليم الإسبانى وكان معه المصورون فأخذوالهه الصور وهويصلىأوتتجول داخل المسجد وقد نشرت هذه الصور فى الجرائد ونالت إعجاب الناس ولعل حكومة إسبانيا خصيته بهذا الإذن لتسخدم ذلك فى الدعاية لبلادها وكل من زار مسجد قرطبة الجامع فقد رأى العديد من الكنائس الصغيرة بين أعمدةالمسجد التى لا حصرلها داخل المسجد وهذه الكنائس الصغيرة لاتزال موجودة ولكن أجمل قسم من أقسام

المسجد كلها هو قسم المحراب الذهبى مع أعمدته الذهبية كلهاوذلك لأن هذا القسم قدتم فيه الترصيع بالذهب فى هذا القسم فهولايزال على صورته الأصلية حتى اليوم وفى ظاهر المسجد منذنة شامخة وحيدة كانت قد خصت للآذان أما الآن فقدخصصوصا للناقوس وهذا الناقوس يرن فى أوقات خاصة كل يوم حسب عقيدة الكاثوليك .إن مسجد قرطبة الجامع كان من المساجد المضيئة المنيرة مثل المساجد الأخرى فى العالم الإسلامى .فيقال :إن ٣١٤منامن زيت المصابيح وثلاثة ونصف من من الشموع وأربعة وثلاثين كيلو من النسيج كانت نفقات سنة واحدة .أما الآن فإن جوه قد تحول إلى جو مظلم مثل المعابد المسيحية الأخرى وإنالجالس فى داخله يشعر بشئى من الخوف بسبب الموسيقى الخشنة من الأرغون الثقيل وهذا المشهد يوحى بالبؤس والخراب وتغلق أبواب المسجدكلها فى اليل وقد تجول المؤلف حول المسجد ليلا واستمع إلى النواقيس المعلقة فى المئذنةالتى كانت ترن بعد فترات معينة فأحس وكأنه فى مكان مسحور.إن من يرى روعة المسجد وجلاله ورنقه وجماله بجانب الشهد المعلم المروع من البؤس والخراب لايمكن أن ينسى ذلك أبدا .وبعد عودته من إسبانيا سافرالمؤلف إلى مكة المكرمة ليعتمر وإلى المدينة المنورة ليزور الحرم النبوى إلاأن المشهد المظلم المروع فى مسجد قرطبة الجامع لم يذهب من بين عينيه رغم الأضواء والأنوار والرونق والأذان فى المسجد الحرام والحرم النبوى.

ولعل راهبا من الرهبان قد اعترض على صلاة إقبال فى المسجد فحكى له إقبال حديث الوقد المسيحى الذى زار المدينة .ومن الممكن إيضا أن يكون قد اجتمع حوله جمع من الرهبان حين كان يصلى أوكان يصور فى صلاته .ولكن الحقيقة أن إقبالاً قد نظم منظومته الدعائية وهو جالس فى مسجد قرطبة تلك التى قال فيها:

ہے یہی میری نماز ہی یہی میرا وضو
میری نواؤں میں ہے میرے جگر کا لہو

معناه :إن صلاتى وطهارتى ليست إلا أن دعواتى هذه كلها مليئة بدماء الكبد.

وأما العجائب الفخمة من الفن المعمارى الإسلامى رآهاإقبال فى الأندلس فقد تحدث بانطباعاته عنها إلى كثير من الشخصيات البارزة فمثلا كتب رسالة فى٢٧مارس ١٩٣٣م إلى (شيخ محمد أكرام) فقال(١١٤):

"وقد تمتعت كثيرا بزيارتى للأندلس وجولتى فيها وقد نظمت هناك العديد من المنظومات بجانب منظومة عن مسجد قرطبة وسأنشرها فى يوم ما.أما الحمراء فلم تعجبنى كثيرا وأما زيارة المسجد أى مسجد قرطبة الجامع فقد سمت بى إلى السموات العلى وآيات من المشاعر ما لم أحظ بما فى حياتى من قبل."

ويذكر الأستاذ (حميد أحمد خان)–رحمه الله –بأنه قد تحدث إقبال عن جلال الفن المعمارى الإسلامى وهيبته إيماء إلى مسجد قرطبة الجامع فقال(١١٥):

"إننى قد لا حظت هذه الملامح الخاصة من الفن المعمارى الإسلامى فى بعض المبانى الأندلسية ولكن كلماصنعت قوى الحياة الشعبية ضعف الأسلاب الإسلامى من الفن المعمارى وقد لاحظت فرقا خاصا بين ثلاثة مبانى من بين تلك المبانى.فإن قصر الزهراء يبدو وكأنه عمل من أعمال الجنيات أو الإلاهات.وأما قصر الحمراء فهو عمل بشرى عادى وقد تجولت بين أعمدة الحمراء وقاعاتها ولكننى كلما اتجهت إلى ناحية لا حظت مكتوبا على الجدار " هو الغالب" فقلت فى نفسى :هذا مكان لاغالب فيه إلا الله عزوجل فيا حبذ الورأيت وجه إنسان!"–

فكما مربنا آنفا أن إقبالاً عاد إلى باريس فى ٢٦ يناير ١٩٣٣م وأن رسالته إلى (غلام رسول مهر) فى أول فبراير ١٩٣٣م (١١٦) توضح بأنه كان قد حصل على أعدادسابقة من جريدة " انقلاب" والتى كانت عند (إقبال شيدائى) وبذلك اطلع على معظم أحوال الهند السياسية وهو فى باريس وأخيرا وطبقا لبرنامجه ركب إقبال فى سفينه بحرية اسمها(كونتى وردى) من فينس فى ١٠فبراير ١٩٣٣م حتى وصل إلى بومباى فى ٢٢ فبراير ١٩٣٣م وكان قد أخرج علبة الحلى لزوجته (سردار بيكم) من الحقيبة لدفع الضرائب الجموكية فأخذها فى يده ماشاء عليه بعض زملائه أن يلبس الخواتم فى أصابعه على الأقل حتى لا يدفع لها شيئا من الضرائب إلا أنه لم يوافق على ذلك فدفع الضرائب على الحلى كاها فخرج من الجمارك.

وأحديث له مقابلة صحيفية لحرية" خلافت"فى بومباى عن زيارةه الإسبانيا فقال فى مقابلته هذه (١١٧):

"قد زرت قرطبة وغرناطةوإشبيلية وطليطلة ومدريد كما أننى رأيت مسجد قرطبة الجامع التاريخى وقصر الحمراء بغرناطة بالإضافة إلى آثار مدينة الزهراء وذلك قصر معروف كان عبد الرحمن الأول قد بناه لزوجته الحبيبة على هضبة ويجرى الحفرو الاكتشاف فى هذا المكان الآن وهذا هو مكان الذى قام فيه علم مبدع

مسلم بعلمية طيران الطائرة فى القرن الثانى عشر لميلادى."

وفى ٢٥ فبراير ١٩٣٣م وصل إقبال " بقطار سرحد السريع" (فرنتيئر ميل) إلى لاهور كان قد اجتمع جمع لايعد من الناس بما فيهم المؤلف فى استقبال إقبال(١١٩)وقراء (الخواجا فيروز الدين) المحامى كلمة الترحيب بإقبال بالنيابة عن" جمعية الإسلام" على رصيف المحطة اسحسن فيها خدماته فى الدفاع التعبيرعن حقوق مسلمى الهند فى مؤتمر المائدة المستديرة الثالث وأضاف قائلا بأن النظام السياسى الحالى للمسلمين لا يزال فى حاجة إلى إقبال ليقوم بمحمة القيادة والأهتمام بأهذاف المسلمين القومية وتحقيقها فرد إقبال على كلمة فكشر له ثم قال:(١٢٠)

"إنكم لتعرفون حياتى السابقة معرفة جيدة أن هدف حياتى منذ البداية حتى اليوم هو أن فمنهن بالمسلمينوننقدهم من الحضيض الحالى إلى المنزلة السامية من الغرحتى تتلاشى عيوبهم وخلافاتهم وقد حاولت محاولة شاملة الدفاع عن حقوق المسلمين فى مؤتم المائدة المستديرة ما وسنى ذلك حتى أننى لم أقل كلمة قديمكن أن تضر بحقوق المسلمين وباالله أرجو كم وأتوسل إليكم أن تقضو ا على خلافاتكم سياسية كانت أودينية وكونوا إجوانا كجسد واحد!".

ثم خرج إقبال من المحلة ورافقه أصدقاومبتها نحو منزله وكان الحديث معظمه بهذه المناسبة عن زيارة الأندلس وكان إقبال يذكر مسجد قرطبة الجامع مرة بعد أحدى وكان يبدو وكان هذا المسجد الفخم العظيم قد نشب فى سويداء قلبه وسيعيش فيه أبدالدهر!

الفصل التاسع عشر

أفغانستان

وفى اليوم التالى عقب وصوله إلى لاهور أى فى ٢٦ فبرائر ١٩٣٣م تحدث إقبال فى بيان صحفى عن الدستور للهند فى ضوء المباحثات والنقاش الذى جرى خلال مؤتمرات المائدة المستديرة بلندن فقال(١)

"وأما الشعب المسلم فيجب عليه أن يستعد للإنتخابات القادمة فيوحد بين صفوفه وينظم شوؤنه كما أنه يجب عليه أن يغلق جميع الأبواب التى تقوده إلى الخلافات والتمذهب والتغر قةوذلك لأن هذا الدستور المقترح يضمن الاعتراف بمبدأ الاحتفاظ بحقوق الأقليات والدفاع عنها"

وفى أول مارس ١٩٣٣م أقيمت حفلة الشاى من قبل معهد البحوث الإسلامية (وهذا المعهد كان أنشأه إقبال نفسه للبحوث الإسلامية) فى حديقة أمام قاعة البلدية لمدينة لاهور تكريما لإقبال وقد حضر فيها وجها ء المدينة وكبارها فألقى إقبال كلمة شكرفيها القائمين بإدارة المعهد ثم قال(٢)

"ولقد أنفقت خمساً وثلاثين سنة من عمرى وأنا أفكر فى قضية التوافق التطابق بين الإسلام وبين المدنية المعاصرة وقد كان ذلك هوالهدف الوحيد من حياتى طوال هذه المدة وأرى أن هذه المشكلة يجب أن نتناولها ونقدم لها الحول التى تقرب الم نية المعاصرة من الإسلام"

وفى ١٨مارس ١٩٣٣م وصل إقبال إلى (دلهى) ليترأس المحاضرتين اللتين ألقاهما(رؤف بك) فى الجامعة الملية بمدينة دلهى على دعوة من(الدكتور أنصارى) وكان(رؤف بك) هذا زعيما سياسيا من الأتراك وكان يعتبر بطلا جليلا من أبكال العالم الإسلامى فى ذلك الوقت وكانت الدعوة قد وجهت إليه وهو فى (باريس)ليلقى سلسلة من المحاضرات التوسيعية بالجامعة الملية وخرج إقبال من محطة القطار فذهب مباشرة إلى " دار السلام" وهى دار(الدكتور أنصارى) وفى المساء وصل إقبال إلى الجامعة الملية مع (الدكتور أنصارى)و (رؤف بك) و (سيدذاكر حسين) (رئيس جمهورية الهند فيما بعد) وغيرهم من الأصدقاء وعقدالاجتماع فى قاعة (محمد على) فة الجامعة وافتتح الجسلة (الدكتور أنصارى) فرجا إقبال أن يحتل كرسى الرياسة ثم ألقى (رؤف بك) محاضرة عن" الوطنية والوحدة الإسلامية " ثم قام إقبال خطيباً بصفته رئيساً للجلسة فألقى كلمته الطويلة باللغة الإنجليزية التى استوعبت النقاش عن الصحوة الإسلامية المعاصرة

الثورة التركية ومسئلة الاجتهاد والخلافة والحدة الإسلامية(والتى اصطلح عليها الغربيون بكلمة "بان إسلام إرم")وغيرها من الموضوعات العديدة وفى نهاية كلمة أنشد البند الأخير من منظومته المعروفة التى عنوانها " مسجد قرطبة" (والتى لم تكن قد نشرت إلى ذلك الوقت) وبهذين البيتين الأخيرين من البند قد تأثر المشاركون فى المحاضرة وغمرتهم حال غريبة للغاية ومعنى البيتين :

(١)- إن روح المسلم اليوم تمر بنفس الاضطراب فهو سر من أسرار الله إلا اللسان لايقدر على أن ينطق بهذا السر!

وبعد فترة استراحة طرة يوم واحد ألقى (رؤف بك) محاضربه التوسيعية الثانية فى ٢٠ مارس ١٩٣٣م وترأس إقبال الجلسة وكان موضوع المحاضرة " الحرب العالمية " ولم يقل إقبال شيئا فى نهاية هذه المحاضرة الا أنه أضاف نكتة واحدة إلى محاضرة الأستاذ (رؤف بك) وهذا النكتة كانت مروفة متداولة فى أروبا فى فترة من الفترات وهى (٣):

"يقال إن شخصارأى الشيطان يوماًجالساً على كرسى مريح بكل طمانينة وهو يدخن السيجار فدهش الرجل حين رأى الشيطان فى حال مطمئنة هذه فقال له متعجباً: ماهذا يا حضرة الشيطان ؟إنك جالس جلسة الطمانينة وتدخن السيجار ؟من الذى سيشير الفساد والفتنة فى الدنيا مكانك !؟ فقال له الشيطان :لاتحزن ولاتفكر فى ذلك فإن هذه الخدمة قد فوضتها الآن إلى مجلس الوزراء البريطانى!"

وقد أثارت هذه النكتة ضحكا عاليا فى الجلسة التى انتهت بتلك النكتة اللطيفة —

وفى مارس ١٩٣٣م نشرت الحكومة البريطانية كتاباً أبيض عن الدستور الجديد للهند وقد تناول زعماء الهند السياسيون هذه الوثيقة فنقد وهانقدا عنيفا وكذلك إقبال قد أصدر بيانا صحفيا وهو يعلق على هذه الوثيقة فى ٢٠مارس ١٩٣٣م وكان من أهم النقط التى جاءت فى هذا البيان مايلى:(٤)

(١) إن المجلس الأدنى للبرلمان الفيدرالى يشتمل على ثلاث مائة وخمسة وسبعين مقعدا منها اثنان وثمانون مقعدا فقط للمسلمين .فكأن المسلمين قد حصلواعلى٨ء٢١ فى المأمة من المقاعد وقد حصلت الإمارات الهندية على ٣٠ء ٣٣ فى المأئة من المقاعد —بينما كانت هذه الإمارات تستحق ٨ء٢١ فى المأئة من المقاعد —فإن هذه الإمارات الهندية لا تعتبر إقليات كما أن مصالهها لا تتعرض لأى خرولكن هذا الكتاب الأبيض يبخس المسلمين حقهم ويعطى هذا

الحق لهذه الإمارات الهندية-

(٢) - وقد خصصت تسعة مقاعد للنساء فى البرلمان الفيدرالى وأن الحلقات النيابية للنساء سوف تكون أغلبية الناخيات أو المصوتات بها من النساء غير المسلمات ومن المستحيل إذن أن تنتخب سيدة مسلمة كعضو فى البرلمان الفيدرالى.

(٣)- أما المسجلس الأعلى من البرلمان فإنه سينتخب بصوت وحيد قابل للنقل أو التغير من أصوات أعضا ء المجالس النيابية الإقليمة وهذاالمبداء الانتخابى يعنى تطبيق الانتخاب المختط وهو مبدءا يعارضه المسلمون وهو يضر بمصالهم.

(٤)- إن السلطة التى سيملكها حكام الأقاليم أكثر من السلطة التى سيملكها رؤسا ء المجالس الوزارية الإقليمية.

(٥)- ان هذا الكتاب الأبيض لا يضمن الاحتفاظ بالقوانين الشخصية الإسلامية.

(٦)- أما المشروع عن بلوجستان فهو مشروع لايرضى به البلوص كما لا يرضى به المسلمون عامة.

وعاد إقبال إلى لاهور من(دلهى) فى ٢١مارس ١٩٣٣م هم وصل إلى (دلهى) مرة أخرى فى ٥ابريل ١٩٣٣م وذلك لأنه كان قد تسلم الدعوة للمشاركة فى المؤتمر التعليمى الذى دعا إليه نائب الإمير اطور الهندى والذى عقد فى ٦ابريل ١٩٣٣م والسبب فى ذلك أن إقبالاً كان قد رشح عضوا فى اللجنة التعليمية للجالية الهندية الانجليزية وهو فى لندن خلال مؤتمر المائدة المستديرة الثالث وفى مساء ٥ ابريل ١٩٣٣م ألقى إقبال محاضرة عنوانها"من لندن إلى غرناطة"فى (جامعة دلهى الملية) وقد ترأس الدكتور (سيد ذاكرحسين) الحفلة(٥).

وفى اليوم التالى ذهب إقبال إلى " الجامعة الملية" مرة أخرى فألقى كلمة أمام طلاب الجامعة وقال الشيخ(أسلم جيرا جبورى) وهو يرحب بإقبال بأنه معجب به ومحب له وقد ظل كذلك طوال حياته وإنه أخذ ينظم الشعر حتى احتل مكانه فى نفوسنا ولسنا نقدر على أن نعبر عن إعجابنا به وحبناله الإعلى لسان أستاذه الشاعر الذى قال ما معناه:

"الناس يعرفوننى باسم" داغ" فى مجال الشعر الإأننى أعيش فى نفوس العشاق وقلوب المعجبين بى"

وأما منزله فهو أيضا فى نفوس العشاق والمعجبين به إذ أننا جميعا نحبه ونقدره حق تقدير هـ وشكرله إقبال فى كلمة وتحدث إلى الطلاب بالمناسبة ثم وقع فى

مذكرات الكثيرين من الطلاب المعجبين به ثم غادر (دلهى) إلى لاهور فى ٧ ابريل ١٩٣٣م.

وفى١٥ابريل ١٩٣٣م عقد الاجتماع الأول لمعهد العلوم الإسلامية فى قاعة (هيلى) لجامعة بنجاب وقد ترأس إقبال الاجتماع وألقى كلمة بهذه المناسبة فقال(٦):

"إن الظروف الراهنة تلح علينا أن نهتم بالعلوم الأخرى التى لا تزال فى حاجة إلى البحث والتحقيق بدل أن نشتغل بالبحث الفروع الفقهية . إن العلماء المسلمين قد بذلوا جهوداً جبارة وحققوا أعمالاً مجيدة فى مجال الرياضيات والاجتماع والطب والطبيعات وهى لا تزال مستورة خافية فى مكتبات العالم المختلفة .إن العلوم التى يعتبرها عملاء أوروبا من القرن العشرين اكتشافات وأفكاراً ونظريات جديدة لعلمائهم فى علوم قد أسهب فيها العلماء العرب الكلام قبل قرون وناقشوها نقاشاعميقا .إن نظرية الإضافية التى قدمها (آشتائن) قد تكون اكتشافاً عميقاً.بالنسبة إلى أوروبا أما المسلمون فقد ناقشوا مبادىء هذه النظرية فى مؤلفاتهم قبل قرون عديدة وأما فلسفة (برغسون) المعروفة فلابدلناأن ندرس أفكار ابن خلدون وآراءه قبل أن نفهم مزايا فلسفة(برغسون) البارزة"

وفى مايو ١٩٣٣م وصلت أنباء إلى الهند عن الثورة فى تركستان الصينية فنشرتها الجرائد الصينية فعلقت عليها وأخذت انتباه إقبال الذى كان يهتم دائما بكل مشكلة من مشاكل العالم الإسلامى فجعلته هذه الأنباء والتعليقات يحلم بإنشاء دولة إسلامية أخرى فى آسيا الوسطى فأدلى بتصريح صحفى عن ذلك فى ١٦ مايو ١٩٣٣م فقال معلقاً على الظروف الراهنة فى تركستان الصينية (٧):

"إن تركستان الصينية هذه بلاد واسعة الأطراف تنقسم إلى ثلاثة أقسام قسم يحكم عليه روسيا وقسم ثان قد انضم إلى أفغانسان وقسم الثالث تحكمه الصين وقد ظهرت اضطرابات شديدة فى تركستان الصينية فى ١٩١٤م بسبب تعيين القضاة الصينيين والتطبيق الإجبارى للغة الصينية على المناطق الإسلامية إلا أن الظروف والأوضاع لم تزل فى أيدى الحكام الصينيين .أما ما أعرفه عن هذه البلاد فهو أن ثورة إسلامية جديدة كانت قد نشأت فى هذه البلاد فى سنة ١٩٣٠م وقد قاد هذه الثورة شاب مسلم تركى فى السابعة عشر من عمر ه وكان أسمه (ما تشونج يونج) وقد التقى السيد (بيترو) بهذا القائد الشاب المسلم وكان السيد (بيترو) قد ألقى محاضرة عن انطباعاته فى الجمعية الأسيوية المركزية فى انكلترا فى سنة١٩٣٢م وأخبر بأن (ما تشونج يونج) كان قد حاصر

مدينة (هامى) حين التقى به السيد (بيترو) وقد قام السيد (بيترو) بخدمات فى المحادثات والمفاوضات مع الجيش الصينى المحصور وكان القائد الصينى المحصور والمجلس الدفاعى الصنى للمدينة قد رحب بالسيد (بيترو) الذى كان يظن بأن المجلس سوف يوجه إليه اسئلة عن قوة الجيش المحيط بمدينتهم وما يعتزم عليه ولكن الذن أدهشه هو أن القائد الصينى لم يوجه إليه الإسوالاً وحيدا وهو : أصحيح أن (ماتشونج بونج) عمره عشرين سنة فقط ؟وحين علم القائد الصينى بأن (ماتشونج يونج) عمره أقل من عشرين فقال وهو يخاطب مجلسه الدفاعى وكان على استعداد أن يسلم المدينة:" إن عمرى واحد وثمانون علاما وقد ابيض رأسى وأن ابن حفيدى اكبر سنا من هذا الطفل الرضيع فلماذا تتوقعون من فى هذه الظروف بأننى سوف أسلم المدينة إليه" فاستقام القائد العجوز علما قال وتحمل الجوع والمشاكل الأخرى بكل عزيمة وشجاعة حتى جاءته الأمداد العسكرية من قبل الحكومة الصينية فقامتمعركةو هائلة جرح فيها (ماتشونج يونج) جرحاً شديداً فلجاء إلى (كانسو) فتوقفت الحرب ولكهنا بدأت بعد مدة من جديد فهل يمكن أن يكون (ماتشونج يونج) هو الذى يقود الثورة المعاصرة هذه ؟إننا لا نتسطيع أن نجزم القول فى هذا ولكن المعلومات التى جمعها السيد (بيترو) عن هذا القائد الشاب تؤكد لنا بأن البلاد التى أنجبت (جكيزخان) (تيمور لنك)و(بابر) بإمكانها أن تخجب العباقرة العسكريين من أمثال هئولاء المغامرين وأعتقد أن هذه الثورة لا ترجع إلى سبب دينى رغم أن القواد بإمكانها أن يستغلوا كل نوع من العواطف البشرية من أجل تحقيق أغراضهم خلال الحركات الثورية مثل هذه .وأرى أن هذه الثورة ترجع إلى أسباب اقتصادية وبا لاضافة إلى ذلك فان الترفقة الجنسة؟هامة فى عالمنا المعاصر رغم أننى أرى أن هذا الأسلوب الفكرى وصمة عار فى جبين المدنية المعاصرة وأخشى أن ظهور تفرقة جنسية فى آسيا قديقود إلى نتائج خطيرة جداً إن الإسلام بصفته ديناً وعقيدة قد حاول أن يقدم حلولاً لهذه المشكلة من تفرقة اللون والجنس . إن آسيا المعاصرة إذا أرادت أن تنقذ نفسها من المصير الذى صارت إليه أوروبا فليس لديها سبيل غير أن تعتنق التعاليم الإسلامية وتحاول أن تفكر على أسس إسلامية بدل الأسس الجنسية أو اللونية . إننى أخشى أن تستحيل الثورة فى تركستان الصينية إلى حركة من وحدة تورانية تقوم على الأساليب الفكرية المتداولة فى آسيا الوسطى وقد نشر مقال قبل أيام فى مجلة أفغانية شهرية معروفة وهى مجلة (كابل) لعالم ايرنى وهو الدكتور (افشار) ويرى كاتب المقال بأن أفغانستان قسم أو جزء من ايران الكبرى وقد دعاالأفغان إلى تأئيد ايران من أجل الواجهة والمقاومة ضد فكرة الحركة التورانية

.على كل حال فإن الثورة فى تركستان الصينية إذا نجحت فى تحقيق أهدافها فلا بد أن تؤثر فى تركستان الأفغانية وتركستان الروسية أيضاً وقد يعنى نجاح هذه الثورة أن الشعب التركى الذى تعيش تحت الاحتال الصينى منذ قرون فى تركستان الصينية قد تتحرر من الاستعمار الصينى ويقود إلى إنشاء دولة إسلامية قوية مزدهرة فى هذه المنطقة التى نسبة سكانها المسلمون تسعة وتسعون فى المائةفبذلك تقوم دولة إسلامية أخرى بين الهند وروسيا وأن هذه الدولة الإسلامية سوف تطرد الشيوعية والمادية الملحد بعيدا من حدود بلادنا"

وأما الظروف الراهنة فى إمارة كشمير فإنها على حالها ولم تتحسن وكان المسلمون الكشميريون قد تفرقوا ونشأت فيهم فئات متقاتلة وأحزاب سياسية جاوز عددها ثلاثة أحزاب ولما يبدأ التطبيق العملى للتوصيات والقرارات التى قدمتها"لجنة (جلاسنى)الكشميرية"فقبضت حكومة كشمير على قادة الأحزاب السياسية المختلفة .وكانت النتيجة هى بداية تظاهرات احتجاجية واضطهاد جديد ضد الكشمير يين المسلمين .هذا من ناحية ومن ناحية أخرى كانت "لجنة كشميرالهندية"قد أصيبت بهزات عنيفة وتغيرات كبيرة .فقد كان رئيسها الأول هو (المميرزا بشير الدين محمود) أمير الجماعة القاديانية .وكان الناس يرون أن "لجنة الكشمير الهندية"ستكون منظمة مؤقتة وأن المسلمين الكشميريين لن يكونوا فى حاجة إليها عندما تتم الموافقة على ما يطالب به المسلمون الكشمير وبعد أن تعود المياه إلى مجاريها فى الإمارة ومن ثم لم يروا حاجة إلى وضع دستور أوقوا عد للجنة كشمير الهندية ون البديهى أن عدم وجود الدستور أو القواعد قد يعطى الرئيس سلطة لا نهاية لها وكان من بين أعضاء اللجنة الكشيمرية هذه القاديانيون وغيرهم فاتهموا القاديانيين بأنهم يستغلون اللجنة الكشميريةمن أجل نشر العقائد القاديانية وأن غرض القاديانيين من هذه اللجنة هو أنهم يريدون من المسلمين الكشميريين أن ينضموا إلى القاديانية ويعتنقوا عقائدها. وبا لإضافة إلى ذلك فقد اتضح من ظروف كشمير الراهنة بأن المسلمين لا يزالون فى حاجة إلى استبقاء" لجنة الكشمير الهندية" كمنظمة فعالة نشيطة فاقترح بعض الأعضاء بوضع الدستور والقواعد للجنة حتى تتم الأمور طبقاً لهذا الدستور أو هذه القواعد فلم يعجب هذه الاقتراح القاديانيين وزعموا بأن الاقتراح بوضع الدستور والقواعد إنما يعنى تحديد سلطة أميرهم التى لم يكن لها اي جد واخيراً أدت هذه الخلافات إلى استقالة (الميرزا بشير الدين محمود) من رياسة " اللجنة الكشميرية الهندية" رغم أن لقية الأعضاء القاديانيين لم يزالوا أعضاء باللجنة الكشميرية.

وقد انتخب إقبال رئيساً مؤقتاً للجنة كشيمر الهندية فحل محل(الميرزا بشير الدين محمود) وأصدر إقبال بياناً صخياً عن إمارة كشيمر بصفته رئيساً للجنة فى٧يونيو١٩٣٣م فنصح المسلمين الكشميريين بتوحيد صفوفهم وإقامة منظمة سياسية وحيدة لمسلمى الإمارة الكشمرية كلها(٨)

وأمر إقبال بصفته رئيساً للجنة الكشميرية الهندية بإعدادالدستور لها فأعد الدستور وعرض فى اجتماع اللجنة فعارضه أعضاء اللجنة القاديانيون وأدرك إقبال خلال النقاش الذى جرى فى الاجتماع بانه لا قيمة لأية منظمة إسلامية أو لجنة كشميريه هندية عند القاديانيين لأن عقيدتهم بأمرهم بالوفاء والطاعة لأميرهم وحده وليس لأحدغيره من الناس وحاول القاديانيون أن تنقسم اللجنة الكشميرية إلى قسمين وكان هذا مما لم يكن يرضى به إقبال فاستقال من رياسة اللجنة الكشميرية وأصدر بياناً صحفياً فى٢٠يونيو١٩٣٣م أوضح فيه قائلاً (٩)

"ومن سوء الحظ أن البعض من أعضاء اللجنة لا يكلفون أنفسهم طاعة أحد غير أميرفرقتهم الدينية وهذا مما أوضحه أحد المحامين القاديانيين فى بيان صحفى له وقدكان يدافع عن قضايا المسلمين الكشميريين من مدينة (ميربور) فقد اعترف هذا المحامى بكل صراحة بأنه لا يؤمن زملائه القاديانيين إنما هو على أمرمن أميرهم وطاعة له وحده.أما إذا أراد مسلمو الهند أن يساعدوا إخوانهم الكشميريين ويزودوهم بالقيادة والإرشاد فإنهم يستطيعون أن ينشؤوا لجنة كشميريه جديدة"

وتحقيقاً لما امرحه إقبال عقد اجتماع شعبى يمثل المسلمين وقرر الاجتماع بالغاء اللجنة الكشميرية القديمة وإنشاء لجنة كشميريه هندية جديدة وقد وافق إقبال أن يكون رئيساً للجنة الكشميرية الجديدة وانتخب (ملك بركت على) المحامى سكرتيرا للجنةفنشرإقبال مع (بركت على)المحامى رجاءا فى٣٠ يونيو ١٩٣٣ م طالب فيه بالمساعدة المالية للمسلمين المكشميريين المضطهدين وقد جاء فيه ما نصه :(١٠).

"إن العصر الحاضر قد شاهد حركة الكشميريين بعد حركة الخلافة فى الهند وقد أتاحت الحركة الكشميرية فرصة عملية للتعبيرعن المشاعر الإسلامية الخالصة وهذه الحركة قد بثت تياراً جديداً من الروح المعنوية فى الجسد الميت للشعب المسلم. إن أهل كشمير جزء لا ينفك من الشعب المسلم الهندى وإننا إذا لم نعتبرمصير الشعب الكشميرى هو نفس المصير لأمتنا الإسلامية فإن ذلك سيقود أمتنا إلى الانهيار والدمار وإذا أراد المسلمون أن يكونوا أمة قوية داخل الهند فى أصح معانى الكلمة فلا بدلهم أن يذكروا دائماً ما يأتى من النقط :أولاً

أن منطقة كشمير هى المنطقة الوحيدة, بعد إقليم المناطق الثغرية الشمالية الغربية , التى كانت ولا تزال منطقة إسلامية من الناحية الثقافية والدينية ,إنها منطقة إسلامية لم تنشب شجرة الإسلام فيها بالجبروالإكراه وإنما غرس هذه الشجرة الطيبة المثمرة فى أرض المنطقة الكشميرية رجال متدينون صلحاء من أمثال حضرة الشيخ (على الهمدانى) فهى نتيجة جهودهم لا لغرض الإ أن يبلغوا رسالة الله إلى سكان هذه البلاد ,تلك الرسالة الخالدة التى جاءبها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نجح هئولاء الصلحاء فى أعمالهم وحققوا ما أرادوا تحقيقه . والحمد لله والأمر الثانى الذى لا يمكن أن يهمله مسلمواالهند هو أن شعبا من بين هذه الشعوب كلها والذى عرف مبادئى التجارة والضاعة والفن ويغوق الجميع فى هذه الجالات هو شعب كشمير ومع الأسف الشديد أن فقرا أهل كشمير وإفلاسهم قد وقف فى سبيلهم ولم يسمح لهم أن يصبحوا عنصراً مفيداً لأمتهم , والواقع أن هذا النوع من التقدم لكافة شعوب العالم يقصر على خدمة الشعب الكشميرى وبراعته .إن هذا الشعب الكشمير ى إذا أتيح له أن يعيش حياة الشعوب الكريمة المتحضرة فبإمكاه أن يغيرظروف الهند الاقتصادية بمواهبه الطبيعية فى مجال الضاعة والفن .على كل حال فإن أهل كشمير خير جزامن أجزاء جسد الأمة الإسلامية وإن هذا الجزء من الجسد إذا عانى من المصائب والألام فلا يمكن لبقية هذا الجسد الإسلامى أن تستريح"

وفى يوليو١٩٣٣م أعلنت حكومة كشمير بأنها تريد أن تطبق التوصيات كلها التى قدمتها " لجنة (جلاسنى) الكشميرية" فرحب إقبال بهذا الإعلان واقترح فى بيان له صدر فى٣ اغسطس ١٩٣٣ م القضايا الجنائية التى رفعت إلى المحاكم ضد العمال السياسيين الكشميريين المسلمين من مدينة (مير بور) ومن مدينة (بارا مولا) لكى تتمكن حكومة كشمير من اكتساب الثقة والاعتماد فى نفوس المسلمين الكشميريين (١١).

وفى أثناء ذلك أنشأ القاديانيون حزبا جديدا سموه " تحريك كشمير" أو " حركة كمشير" فرجوا إقبالاً أن يوافق على قبول منصب رياسة الحزب .فرد عليهم إقبال بأنه لابد له أن يستشيراعضاء اللجنة الكشميرية الهندية قبل أن يقضى أو يقرر فى هذا الاقتراح واستنتتج القاديانيون من رد إقبال هذا بأنه يوافق مبدئياً على رياسة الحزب مما جعل إقبالاً يرقض الاقتراح ويدلى ببيان صحفى فى ٢اكتوبر ١٩٣٣م ويقول فيه بأن الأسباب التى كانت وراء إلغاء اللجنة الكشميرية وإنشاء اللجنة الكشميرية الجديدة لا تزال موجودة وكان مما قال إقبال بهذه المناسبة

:(١٢).

"إن المقرالرئيسى للقاديانيين لم يصدر إعلاناً واضحاً يؤكد بأن القاديانيين إذا انضموا إلى منظمة سياسية إسلامية فإن طاعتهم وميولهم لن تنقسم ,هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فقد ظهر من الحوادث الواقعيةبأن المنظمة التى تسميها الصحف القاديانية " تحريك كشمير " أو "حركة كشمير "والتى سمحت للمسلمين بالانضمام إليها على أساس المبادئ الخلقية فقد . كما صرحت به جريدة " الفضل" القاديانية فهى منظمة تختلف أسبابها وأهدافها من تلك التى تهدف إليها اللجنة الكشميرية الهندية"

الإأن وحدة مسلمى كمشير كانت قد أصبحت مشكلة صعبة جداً فقد انقسموا إلى أحزاب أو فرق سياسية مختلفة مما جعل (شيخ عبد الله) يهتم بقعد مؤتمر للعاملين السياسيين فى مدينة (سحرى نجر) للقضاء على هذه الخلافات وكان إقبال من بين الموعدين إلى هذا المؤتمر الإ أن إقبالاً لم يستطع أن يشارك ولكنه بعث رسالة إلى (شيخ عبد الله) فى ١٢اكتوبر ١٩٣٣م قال فيها :(١٣):

"قد سمعنا بتمزق كلمة الكشميريين وظهور الفرق السياسية بينهم وأن خلافا تهم هذه ستكون عقبة كبيرة فى سبيل ما يريد ونه من تحقيق الأهذاف .إن التوفق والتوحيد هو دوا ء لجميع المشاكل السياسية والمدنية وإن أمر المسلمين الهنود لم يزل فى معرض الخطر الفساد لأن هذا الشعب لم يوفق فى وحدته وتعاونه وأن أفراد هذا الشعب وخاصة العلماء أورجال الدين مهم كانوا ولايزالون دمىً أو عملاء فى أيدى الأعداء المتأمرين".

ورغم أن السير (فضل حسين) كان قد تدخل فى الخصام الذى قام بين المسلمين والقاديانيين فى اللجنة الكشميرية فأيد القاديانيين وعارض المسلمين الإ أنه اتهم إقبالاً بأنه يريد أن يمزق الوحدة الإسلامية من داخلها لتحقيق أغراضه السياسية (١٤) ولكن إقبالاً لم يزل يدافع عن مسلمى الإمارة الكشميرية ويعارض الظلم والاضطهاد ضد المسلمين الكشميريين فمن ذلك برقيته التى بعث بها إلى نائب الأمبراطور الهندى فى فبراير ١٩٣٤م ثم أرسل الرسائل الرقية إلى كل من جريدة "لندن تائمز"وجمعية الأمم ذكر فيها بأن حكام الإمارة يعاقبون العاملين السياسيين بضرب السياط إلى غير ذلك من التعذيب والاضطهاد وأنه يجب أن يغرض الحظر على هؤلاء الحكام(١٥).

وقد ذكر فيما مربنامن أن آخر الجهود التى تمت من أجل التفاهم بين الفرقتين أو الديانتين الهندوكية والأسلام هى جهود بذلها الشيخ (شوكت

على)ولكنه فشل فى محاولاته هذه على المستوى الوطنى .إلا أن الجهود المحلية أو الإقليمية من هذا النوع كانت مستمرة فقد اجتمع كل من السير (فضل حسين) و (راجا نريندار ناس) و (سردار جو غندر سنغ) من بنجاب وقد اجتمعوا فى مايو ١٩٣٣ م فوضعوا مشروعا للتفاهم بين الفرقتين وكان من بين مبادئ مشروع التفاهم هذا: (١٦):

يجب التمثيل الكامل فى سجل الناخبين من كل فرقة من الهنادكة والمسلمين والسيخ .

يكون الانتخاب مختلطاً ويقسم حلقات النيابة الانتخابية على أساس عدد السكان والمنطقة بانتخاب عضو واحد.

ويخصص دائرة الانتخاب النيابية لك فرقة حيث تكون أغلبية الناخبين من تلك الفرقة .

ويقصر تحديد المقاعدعلى الدوائر الانتخابية.

ولا يحدد المقاعد البرلمانية لمدة معينة.

وقد عارض هذا المشروع كبار الزعماء للهنادكة والسيخ معارضة شديدة .أم المسلمون فكان إقبال وزملاؤه من الذين عارضوا هذا المشروع ويقول (عظيم حسين) بأن إقبالاً قد دعا إلى اجتماع مشترك من فرع بنجاب الإقليمى للرابطة الإسلامية وفرع بنجاب الإقليمى للمؤتمر الإسلامى فأدان هذا المشروع الذى عرف بمشروع بنجاب للتفاهم(١٧). ويقول (عظيم حسين) بأن "مشروع بنجاب للتفاهم" كان من بنات أفكار والده السير(فضل حسين) وقد ظهرت شائعات عن إقبال بأنه قد حصل على مبلغ قدره وسبعون ألف روبية وأنه يريد أن يشترى به جريدة انكيزية محلية وهى(ايسترن تائمز) لكى يستطيع أن يشن بها هجوما منظماً ضد هذا المشروع من الانتخاب المختلط (١٨) وهذا الذى أشيع عن إقبال بأنه كان يريد أن يشترى "ايسترن تائمز" فقد وردذكره ايضاً فى رسالة السير(شهاب الدين إلى السير (فضل حسين) فى ٤ مايو ١٩٣٣م حيث جاء: (١٩)

"إننى أعتقد بأن الدكتور إقبال يجرى حالياً المفاوضات مع الشيخ (فيروز الدين) صاحب " ايسترن تائمز" ليشتريها منه ومنذ أيام قد زارنى (سردار حبيب الله) فاقترح على بأن نجمع خمسة وعشرين ألفا من الروبيات الأصدار هذه الجريدة الانكيزية فبإمكاننا أن نتشريها بد ل إقبال وقد زارنى قاض مسلم متقاعد فأخبرنى خلال الحديث الذى جرى بيننا بأن الدكتور إقبال وحده هو الزعيم

الشعبى الذى يثق به الشعب المسلم وأنه لا يمكن أن يثق المسلمون بأحد غيره أو يستمعواإلى مايقوله وقد أضاف هذا القاضى قائلاً بأن الزعماء المسلمين غير إقبال جميعهم زعماء بالاسم وليسوا لمخلصين وأنه لا أثرلهم فى نفوس مسلمى بنجاب فإذا كان الدكتور إقبال يعارض الانتخاب المختلط فلا يمكن لأى مسلم أن يرضى أو يوفق بهذا المبئدا"

ويضيف (عظيم حسين) قائلاً بأن إقبالاً كان قد أرسل برقيات ضد مشروع بنجاب إلى السير (آغا خان) فى لندن وغيره من الشخصيات الإسلامية البارزة وأن السير(آغا خان) قد نقد المشروع تحت بأثير إقبال فكتب إليه السير (فضل حسين) رسالة فى ١٥ يونيو١٩٣٣م قال فيها(٢٠):

" قد تسألنى قائلاً بأن القضية إذا كانت واضحة بسيطة إلى هذا الحد فما الذى أقلق بعض الدوائر الشعبية فى لاهور وماالذى جعل إقبالاً يرسل برقيات إلى لندن الجرائد العالمية ؟ والواقع أن السياسية الهندية تحاكى وتقلد السياسية الانجليزية وأن الأحزاب السياسية لايمكن أن تعيش الإ بالمؤ امرات ونظراً إلى الانتخابات القادمة فقد تأكد بعض الناس من أهل لاهور بأن كبارالإقطاعيين والرجال البارزين فى المهن المختلفة وأفراد العائلات المعروفة قد استفاد وا كثيراً من الإصلاحات السياسية إلى سكان المدن قد تخلوا ----------قدمت وايدت الرجال الخاملين من أمثال(ظفر الله خان) فبذلك استحال احتجاج هؤ لاء الناس إلىمعارضة شديدة ولست أشك فى أن هؤلاء الناس قد ضلوا الطريق الصحيح وسيعلمون قريباً بأنهم لا يخدمون بموقنهم المصالح الشعبية التى هى عزيزة عليهم وأما إقبال فأن هؤلاء الناس هم أصدقاؤه الحمقى وهم شر من الأعداء العقلاء"

وقد سرد (عظيم حسين) نص الرسالة هذه ليستدل بها على بساطة إقبال وسند جته وأنه لم يكن صاحب رأى شخصى مستقل وأن معارضة لمشروع بنجاب للتفاهم ترجع إلى ما بذل بعض زملائه واصدقائه من الجهد فى مدينة لاهور فأضلوا إقبالاً ولكن السير (فضل حسين) كتب الرسالة إلى إقبال فاوضح فيها المشروع وجاء بالدلائل والبراهين تؤيد المشروع فغير إقبال رأيه وموقفه من مشروع بنجاب(٢١) إلا أن (عظيم حسين) غير مصيب فيما يراه بأن إقبالا كان قد تراجع عن معارضة مشروع بنجاب وذلك لان بياناً صحفياً أصدره إقبال فى١٤ يوليو١٩٣٣م يوضح ولا يترك مجالاً للشك بأنه لم يزل يعارض المشروع منذ البداية إلى النهاية فيقول إقبال فى بيانه الصحفى هذا(٢٢).

"إن هذا المشروع لا يقدم حلاً لمشكلة .إنما هو بالعكس قد يكون مصدراً للخلافات والتخاصم بين الفرق والديانات المختلفة كما أن هذا المشروع جدير بالاعتراض والرفض من وجهة النظر السكانية فى المناطق الحضرية والقروية فلو طبق هذا المشروع لحرم الطبقات القروية من تمثيلها الحقير الضئيل فى المجلس رغم أنها تتمتع بأغلبية ساحقة فى دوائرها الانتخابية وبعد دراسة الجوانب المختلفة للمشروع والخلافات التى يمكن أن تنشأ بسببها قد استنتجب بأن هذا المشروع يضرمصالح كل فرقة ودیانية"

ويقول (محمد أحمد خان) معلقاً على بيان ,إقبال هذا حول مشروع بنجاب للتفاهم (٢٣)

"هذا المتصريح الصحفى يوضح لنا جلياً بأن الدكتور إقبال لم يزل يعارض مند البداية إلى النهاية ذلك المشروع الذى اقترحه (فضل حسين) ورد الفعل هذا من إقبال حول المشروع يوافق الطريقة العملية السابقة التى اتخذها بل يوافق موافقة تامة دورة السياسى كله فقد لاحظنا فى كل مرحلة ومناسبة أن إقبالاً لم يزل يعارض مبدأ الانتخاب المختلط كما أنه لم يزل يؤيد مبدأ الانتخاب المستقل حتى جعل من ذلك أساساً لما كان يطالب به مسلموا الهند .فلم يكن إقبال يرى أنه طريق عملى للتمثيل فحسب وإنما كان يعتقد بأنه طريق وحيد يضمن وجود الكيان الشعبى المستقل الإسلامى فى الهند"

وكانت الجيوش الانجليزية لم تزل تحارب قبائل الحدود فى الشمال الغربى من الهند دائماً وقد استمرت هذه الحرب بشكل أو بأخرحتى إنشاء باكستان وبما أن هذه القبائل كانت مسلمة فبطبيعة الحال كان المسلمون الهنود يتعاطفون معها دأئماً وفى اعسطس ١٩٣٣م تحت المحاولة لإستعبادها والانتصار عليهابضرب القنابل على القرى الواقعة على الهضاب الصغيرة مما جعل المسلمين من بعض المدن الهندية تحتجون على هذا الضرب بالقنابل فتقرر عقد اجتماع شعبى فى مدينة لاهور ولكنه أجل لأسباب ورغم ذل فإن إقبالاً أراد أن يبلغ الحكومة الانجليزية ما يطالب به المسلمون فأرسل برقية إلى نائب الامبراطور الهندى فى١١أغسطس ١٩٣٣م قال فيها بأن المسلمين يطالبون بوقف إطلاق القنابل واتخاذ الطرق السلمية للفصل فى الأمور المختلف فيها(٢٤).

وأماسياسة السير(فضل حسين) فلم تعجب إقبالاً ابداً ونشأت الخلافات بينهما منذ البداية وأخذت تتسع بمرور الزمنوفى سبتمبر١٩٣٣م ألقى السير(فضل حسين) كلمة فى مجلس الدولة قال فيها بأنه يجب أن نمنع المسلمين الهنود من

توطيد العلاقات على أسس الأخوة مع المسلمين فى الدول الإسلامية الأخرى ويجب أن نوضح لهم بأنهم ليسوا بشئ إلا هنوداً ويجب أن يعتبروا أنفسهم هنوداً قبل كل شئ حتى يستقلوا ويستقيموا بكيانهم الهندى وأضاف قائلاً بأن الوحدة الإسلامية لم يكن لها وجود سياسي وعلى هذا يجب على مسلمى الهند أن يمهدوا طريقهم بأنفسهم كشعب هندى وكان إقبال قد أدرك إعماق بيان السير (فضل حسين) إدراكاً جيداً فأصدر بياناً صحفياً فى ١٩سبتمبر ١٩٣٣م وضح فيه مايهدف إليه بيان السير(فضل حسين) فى بادئ الرأى ولكن إقبال قد رتب كلامه بأسلوب يؤيد ما قاله السير(فضل حسين) فى الظاهر ولكنه فى الواقع قدعا رضه وهذانص ماقاله إقبال من بيانه الصحفى البديع: (٢٥)

"إن السير(فضل حسين) قد أصاب حيث قال بأن الوحدة الإسلامية لم يكن لها وجود سياسى أبداً وإن كان لها وجود سياسى فإنه لم يكن إلا فى مخيلة هؤلاء الذين وضعوا هذا المصطلح أو لعلها كانت أداة التملق السياسى فى يد السلطان التركى(عبد الحميد خان) وحتى أن جمال الدين الإفغانى الذى ينسب له هذه الحركة المعروفة بحركة الوحدة الإسلامية لم يريوماً حلم الوحدة للعالم الإسلامى كدولة سياسية موحدة وبالإضافة إلى ذلك فإنهلا توجد كلمة فى أية مدينة من الوطن الإسلامى وفى أية لغة إسلامية من العربية والفارسية والتركية يمكن أن تعبرعن كلمة " بان إسلام ازم" أو الوحدة الإسلامية ولكن الواقع أن الإسلام كمجتمع أو كمشروع للتوفيق والتوحيد بين الأجناس والشعوب البشرية المختلفة لايعترف إطلاقاً بالحدود الجنسية أو الشعبية أو الوطنية فان " فان إسلام إزم " أو الإسلام وحده له وجود سياسى وسيبقى أبد الدهر كرمز لحب الإنسانية وكرامة البشرية أما نصيحة السير (فضل حسين) للمسلم الهندى أن يمهد له طريقاً ويوجد مكاناً لنفسه بنفسه كشعب هندى فهى نصيحة صحيحة ولا شك أن المسلمين يفهمون غرضه فهماً جيداً وهم معجبون به.أما مسلموا الهند الذين هم اكثر عدداً بالنسبة إلى مسلمى الدول الأخرى فى آسيا كلها فلهم أن يعتبروا الإسلام أكبر معونة وخير ضمان لكيانهم كما أنه يجب عليهم أن ينضموا إلى الذاتية الاجتماعية الإسلامية كإخوانهم المسلمين فى البلاد الأسيوية الأخرى وأن يجمعوا الوسائل المتفرقة المبعثرة ليعيشوا بها كأمة موجدة لكى يتمكنوا من تمهيدالطريقلهم وإيجاد المكان لهم كما اقترح عليهم السير (فضل حسين)".

وبعد هذا البيان الصحفى بأسبوع تقريباً أى فى ٢٨ سبتمبر١٩٣٣م رأى إقبال من الضروربأن يصدربياناً صحفياً آخر من أجل المزيد من الشرح لمصطلح "

بان إسلام إزم "أى الوحدة الإسلامية لأن بعض الناس فى رأيه كانوا لا يزالون يخطئون فى فهم ذلك المصطلح فقال بأن كلمة " بان إسلام إزم " مصطلح قد اخترعه بعض الصحفيين الفرنسيين وقد تم استخدم هذا المصطلح لمؤامرة مزعومة كان نظن هذا الصحفالفرنسى بأن الدول الإسلامية لا تزال تدبرها ضداؤ روبا وكان الغرض من إيجاد هذا المصطلح هو الستار الذى يمكن أن يغطى أو يبرربه انفظائع من الظلم والاضطهاد التىرتكبها الأروبيون ضد المسلمين فى العالم الشرقى فقال إقبال:(٢٦)

"وقد قال السير (فضل حسين) بأن " بان إسلام إزم " أو الوحدة الإسلامية إذا كان لها وجوداً يوماً ما فقد طارت الرياح برمادها الأن إلا أن الجرائد والصحف الهندية خلال الاسبوعين الماضيين قد استعملت الكلمة للتعبيرعن معان مختلفة فرأيت من الازم أن أقول بأن الدولة الإسلامية العالمية الشاملة تختلف كثيراً من" بان إسلام إزم " فان الإسلام ينتظر لنفسه بدون شك دولة عالمية شاملة لاتوجد فيهافوارق جنسية أو لونية ولا وجود فيها للملك اللدود أو الحكم الشخصى المستبد والرأسمالية المستغلة .إن التجارب البشرية لا بدوأن تقود الإنسان إلى إنشاء هذه الدولة وقد تكون هذه الدولة حلماً فى رأى غير المسلمين .أما المسلمون فإن ذلك من إيمانهم فهذه جريدة محلية هندوكية تسمى أمنية الوحدة والتعاون بين المسلمين الهنود بأن هذه الأمنية هى " بان إسلام إزم" إلا أنه استخدم خاطئ لمصطلح خاص ولكن يجب أن لا يريدون أن يبقوا ويعيشوا كذلك إنهم يريدون البقاء كجماعة اجتماعية مستقلة كما أنهم يريدون الضمان لحقوقهم بصفتهم أقلية مستقلة حتى أن المسلمين الذين يمتازون بصفتهم وطنيين لم يقولوا يوماً للمسلمين أن يتنازلوا عن صفتهم المدنية المستقلة وأن يفوضوا مصيرهم للقوى القاسية التى تريد القضاء على كيانهم فإذا كان زعيم سياسى مسلم يرى غير هذا الرأى فهو لم يفهمعواطف الشعب المسلم الهندى فهماً صحيحاً إطلاقاً"

ويتضح من رسالة إقبال التى بعث بها إلى السيدة (عطية فيضى) فى ٢٩مايو ١٩٣٣م (٢٧) بأنه كان يتراسل مع المفتى السيدأمين الحسينى بصفة مستمرة وأن إقبالاً كان قد اقترح عليه أن يزور الهند فى وسط اكتوبر ١٩٣٣م فزار المفتى السيد أمين الحسينى الهند فى تلك الفترة كما اقترح عليه. أما إقبال بدوره فقد ساعده وتعاون معه فى قضية فلسطين والشؤون الأخرى من جمع التبرعات وغير ذلك.

وقد ذكر فيما مربنا بأن إقبالاً كان على علاقات وطيرة مع (نادرشاه) ملك

أفغانستان .وقد تعرف عليه إقبال يوم كان سفيراً لأفغانستان فى باريس وكان يسمى الجنرال (محمد نادر خان) وعلى حد قول إقبال كان (نادر شاه) نصفه بنجابياً ,فقد ولدت أمه بمدينة لاهور وعاشت فيها مدة (٢٨) كما أن (نادر شاه) نفسه كان قد تدرب فى كلية (ديره دون) الحربية فى الهند وكان يجيد اللغة الأردية (٢٩) وكان يتحدث مع إقبال باللغة الأردية .أمامتى تعارف إقبال على (نادر شاه) ؟ فذلك مما لا يمكن الجزم بالقول فيه ولكن الناس يقولون بأنها قد اجتمعا على محطة لاهور للقطار لأول القامة كا أنه كان هزيلاً نحيلاً ويقال أن (نادر شاه) رأى إقبالاً فقال وهو يخاطبه: كنت أظنك شيخاً كبيراً ذى لحية طويلة, فرد عليه,إقبال قائلاً :فكذلك كنت أعتقد أن حضرتك ستكون مصارعا قو ى البنية عظيم الجثة إلا أن شاعر الإسلام لم يكن على الهيئة التى ظنها (نادر شاه) وايضاً لم يكن غازى الإسلام كما كان تيصوره إقبال فى ذهنه!

ويرى بأن إقبالاً أخذ (نادر شاه) فتخحى به فأخبره بأنه قد أدخر مبلغاً مقدراه عشرة ألاف روبية وهو رأسمال حياته فاراده أن يقبل المبلغ كتبرع لمهمته هذه.أما (نادر شاه) فرغم أنهكان فى جاجةإلى النقود إلا أنه رفض أن يأخذ من إقبال مااكتسبه طول حياته إلا أن إقبالاً اصر وألح عليه أن يأخذه فاتفقا أن يبقى المبلغ عند إقبال وأن يأخذه(نادرشاه) حين تشد به الحاجة إليه إلا أن (نادر شاه) لم تشتدبه الحاجة إليه أبداً (٣٠). ؟ويروى فى قول أخربأن إقبالاً قد أسرإلى (نادر شاه)----------رجل فقير لا أملك غير الدعا ء لك ولكنه بحسن الاتفاق أننى أحتفظ بخسمة ألاف روبية الآن فإذا أفادك هذ المبلغ الضئيل الحقير فى شيئ فساعتبر ذلك سعادة فدمعت عينا (نادر شاه) فتقبل ما قدم له الرجل الفقير متفائلاً بهذه المساعدة (٣١) أما صحة هذه الأقوال كلها فلا يعلمها إلاالله ,وكان (نادر شاه) قد توسل إلى مسلمى الهندليساعدوا أفغانستان لتستعيد ما فقدته بكل ما امكن لهم.أما ما يعرفه هذاالمؤلف فهو أن إقبالاً قد أخرج من جبيه خمس مائة روبية فقدمها له ولكن (نادر شاه) رفض أن يأخذ المبلغ ولكن إقبالاً استمر يساعده بشتى الطرق منهافتحً صندوق (نادر خان) من الهلال الأحمر كما أنه استمر يعقد الاجتماعات الشعبية يجمع التبرعات فيهاالأفغانستان وقد فعل إقبال هذا كله لأنه كان يرى بان أفغانستان المستقلة هى ضرورة لمسلمى الهند و مسملى آسيا الوسطى كلها- (٣٢)

وفى سبتمبر١٩٣٣ م وجه الملك (نادر شاه) دعوة إلى إقبال و(سيد راس مسعود) والشيخ (سيد سليمان الندوى) ليزور أفغانستان وليستشيرهم فى الشؤون

التعليمية .إن اختيارهذه الشخصيات الثلاثة من أهل الهند للأهذاف التعليمية كان أختياراً مناسباً جداً فقدكان أحدهم مفكراً والثانى خبيراً فى إدارة الشؤون التعليمية والثالث كان عالماً كبيراً من رجال الدين وكان القنصل الأفغلانى العام يريد الثلاثة أن يصلوا إلى(كاب) فى١٣اكتوبر ١٩٣٣م بمناسبة عبد الاستقلال إلا أن استخرج جوازات السفر والاستعداد للسفر كان مستحيلاً فى وقت ضيق جداً أما إقبال و(سيد راس مسعود) فقد حصل على جواز السفر فى ١٧اكتوبر ١٩٣٣ م واستعدا للسفر من لاهور إلى أفغانستان بشاور فى ٢٠اكتوبر ١٩٣٣م وقبل مغادرته إلى أفغانستان أصدر إقبال بياناً أفغانستان"صحفياً فى ١٩اكتوبر ١٩٣٣م شرح فيه أهداف سفره فقال:(٣٣):

"إن أفغانستان المثقفة المتعلمة يمكن أن تكون خير صديقه للهند , إن إنشاء جامعة جديدة فى (كابل) مشروع تحويل الكلية الإسلامية فى بشاور على حدود الهند الغربية إلى جامعة أخر ى سوف تقوم بدور فعال فى تقدم القبائل الأفغانية الذكية التى تسكن فى المناطق الثغرية بين الهند وافغانستان .إن ملك أفغانستان قد دعانا إلى(كابل) وقد رأينا من الواجب أن نلبى هذه الدعوة وقد اتضح لنا من المجلات والجرائد المختلفة التى تصدر من (كابل) بأن الجيل الأفغانى الجديد يرغب فى دراسة العلوم الحديثة وصبغها بصبغة الدين والمدينة التى جاء بها الإسلام إن الشعب الأفغانى بطبيعته شعب كريم ومن واجبنا بصفتنا إخوة هنوداً لهم أن نساعدهم فى تقدمهم ونتعاون معهم فى ازدهار بلادهم ومن الواضح الجلى بأن الشعب الأفغانى قد ظهرت فيه صحوة جديدة ونأمل فى فائدة الاقتراحات التى سنقدمها لهم فى ضوء الخبرة التعلمية فى بلاد الهند وأرى شخصياً بأن النظام التعليمى العمانى وخاصة فى الدول الإسلامية بم يأتت بنتائج مفيدة مثمرة . على كل حال فلا يمكن أن يكون أى نظام تعليمى هو النهاية القطعية الأخيرة فى البلاد . ولكل بلاد ظروف وحوائج و متطلبات خاصة بها وفى ضوء هذه الظروف والحوائج والتطلبات يمكن تحديد نظام تعليمى خاص بذلك البلد"

وقد نزل إقبال و(سيد راس مسعود) فى بشاور هم وصلا إلى (كابل) فى ٢٣ اكتوبر ١٩٣٣م فأنزلوهما فى دار الضيوف الملكية بمدينة (دار الأمان) الجديدة فى (كابل) وكان الأستاذ (هادى حسن) يرافق (سيد راس مسعود) كسكرتيرله كما أن (غلام رسول خان) المحامى كان يرافق إقبالاً كسكريترله .وقد رافقه (على بخش) ايضاً للقيام بخدمته(٣٤) وقد عقدت جلسات عديدة للتشاور والنقاش

حول الشؤون التعليمية لبعضعة أيام وقد شارك فى هذه الجلسات إقبال و(سيد راس مسعود) والممثلون الحكوميون البارزون الأفغان وقد سجل (سيد راس مسعود) إجراءاتالجلسات هذه ولكن من سوء الحظ لا يوجد شئ من اقتراحاتهم فى السجلات الرسمية قد أقامت بلدية (كابل) حفلة الشاى تكريماً لهؤلاء الضيوف(٣٥) . زار إقبال ضريح الملك (ظهير الدين بابر) أول أباطرة المغول الهنود فى(كابل) حيث قرأ الفاتحة على قبره وكان يرفقه السيج (سرور خان كويا) ويقع ضريح الملك (بابر) فى سفح حضبة خربة فى ظاهر مدينة (كابل) والضريح عبارة عن مبنى صغير وسقف لا قبة فوقه (٣٦) ثم التقى إقبال و (سيد راس مسعود) بالملك (نادر شاه) فى قصر (دلكشا) (أى مفرح القلوب) ويحكى عن هذا اللقاء بأن إقبالاً قد أهدى نسخة من القرآن الكريم إلى الملك (نادر شاه) ودخل وقت صلاة العصر فرجاء الملك (نادر شاه) إقبالاً أن يؤمهم فى صلاتهم هذه .أما رد إقبال فقد كان كما يحكى لنا السيد (ظهير الدين) (٣٧)

"يا (نادر)! قد قضيت عمرى وأنا أتمنى أن أصلى خلف ملك عادل .أما اليوم فقد هيأ الله عزوجل أسباباً ليتحقبها أمنية هذا لرجل الفقير و جئت تريد أن تحرمنى من هذه النعمة غير المترقبة .إننى سأقتدى بك فى الصلوة اليوم وعليك أن تؤمنا فى صلاتنا" .

وفى ليلة ٢٦ اكتوبر ١٩٣٣م التحق بهم الشيخ (سيد سليمان الندوى) وكانوا مدعوين فى تلك الليلة على مأدبة عشاء عند (سردار هاشم خان) الصدر الأعظم ويقول الشيخ (سيد سليمان الندوى) فيما كتبه عن سفره هذا (٣٨) بأن (سردار هاشم خان) ذهب بالضيوف الهنود إلى غرفة الطعامكانت الأطعمة جاهزة مرتبة بطريقة أوروبية وأخذوا يتجاذبون الوان الحديث على الطعام فقال السيد (سرورخان كويا)وهو يشير إلى الشيخ (سيد سليمان الندوى) بأن حضرة الشيخ قد وجه سؤالاً يقول بأن مجلة (كابل) قد أخذت نتشر المقالات والبحوث عن كبار رجال إفغانستان .أما الرجل الذى دعا أهل (كابل) إلى الإسلام فلم نتشر المجلة شيئاً عن حياته فسال جميعهم قائلين من هو ذلك الرجل العظيم ؟فقال الشيخ (سيد سليمان الندوى) هو مقاتل بن حيانمنأهل خراسان ! ثم أخذ (سردار فيض محمد خان) وزير خارجة أفغانستان يتحدث عن (كابل) وتاريخها وفصل القول عن العلاقات بين إفغانستان ودو ل بنجاب القديمة وحى (سيد راس مسعود) ما شاهده خلال أسفاره إلى اليابان وأما إقبال فقد تحدث عن جوانب مختلفة من الفلسفة والسياسية.

وبعد نهاية مأدبة الطعام اجتمع الضيوف فى غرفة الزوار حيث قدم لهم الشاى والقهوة السجائر ثم سأل(سردار هاشم خان) سؤلاً : هل هناك حرج فى الاستماع إلى الأغانى الموسيقية فقال (سيد سليمان الندوى)إذا كانت الأغانى ١بدون أدوات الموسيقى فلا بأس بها إلا أن (سردار هاشم خان) لم يفهم كلمة أدوات الموسيقى " فقال" لا توجد فى بلادنا راقصات مطربات إنما رجال مطربون يغنون فأيده إقبال وفى اثناء ذلك دخلت فرقة المطربين فسلمت على الضيوف وجلست على السجاديد ثم بدأت تغنى بقصائد (حافظ)و(بيد) الغزلية وقد استمرت حفلة الموسيقى هذه إلى الساعة الحادية عشرة ليلاً.

وكان ٢٨ اكتوبر ١٩٣٣م هو يوم الجمعة وكان من المعمول به عند الملك (نادر شاه) أنه كان يذهب إلى مساجد المدينة المختلفة فيصلى صلاة الجمعة كل مرة فى مسجد وكان المفروض أن يصلى صلاة الجمعة فى ذلك اليوم فى مسجد (بل خشتى) وهو اكبر مساجد(كابل) فذهب إقبال مع زملائه ليصلى الجمعة فى هذا المسجد وكان المسجد حافلاً مزدحماً بالمصلين من الباب الريئس إلى المحراب وكان المسلمون الفقراء كثيرين جداً. وكان الشيخ على منبر المسجد يعظ الناس باللغة الفارسية فذهبوا بالضيوف إلى المقصورة أو المكان الآمين من المسجد الذى كانوا قد حجزوه لصلاة الملك وحاشية وبعد لحظة قصيرة دخل الملك (نادر شاه) المقصورة بكل بساطة وتواضع وصافح الضيوف وفى نهاية الوعظ أذن المؤذن للصلوة فقام الناس يصلون السنن وأخذ الخطيب يقرأ خطبة باللغة العربية وفى نهاية الخطبة ذكر الخطيب الملك الغازى المجاهد (نادر خان) فوضع ثم صلو السنن كامعتاد وبعد الدعاء قال(نادر شاه) وهو يخاطب الضيوف: إننى لم آكل الغداء حتى الآن فإذا أحب حضراتكم فتشرفوننى بالمشاركة فى الطعام معى,إلا أن جميعهم اعتذروا إلى الملك لأسباب ضرورية فصافهم الملك (نادر شاه) فودعهم.

وكان قد جلس رجل فى السيارة إقبال والشيخ (سيد سليمان الندوى) عائدين من المسجد فجرى الحديث مع ذلك الرجل عن تركستان الصينية فقال إقبال خلال الحديث مانصه :(٣٩)

"إن أوربا فى تقدمها المعاصر قدركزت جهودها كلها على تقدم القوة البحرية فكانت الطريق التجارية وطرق السير والسياحة كلها طرقا بحرية وهكذا جمعت أوروبا بين الشرق والغرب بسفنها البحرية ولكن الآن يبدولنا بأن هذه الطرق البحرية سوف تفقد مكانتها وأهميتها .أما فى المستقبل فإن آسيا المركزية أو الشرق الأوسط سوف يجمع بين الشرق والغرب وتحل الطرق البرية محل الطرق

البحرية .إن القوافل التجارية سوف تنقل بين الشرق والغرب بالسيارات والحافلات والطائر ات والسكك الحديدية وبما أن هذه الطرق كلها سوف تمرمن الدول الإسلامية فإن هذه التغيرات الثورية سوف تمهد طريقاً للثورة الاقتصادية والسياسيةالعظيمة فى البلاد الإسلامية وحينئذ ستصبح أفغانستان طريقاً تجارية عامة دولية كما كانت فى الزمن الغابر فعلينا أن نستعد استعداداً لذلك الوقت منذ الآن"

ثم صلوا جميعهم إلى دار الأمان فأكلوا الغداء مع (سردار فيض محمد خان) و (الله نواز خان) و(سرور خان كويا) وكان موعد لقائهم مع الزعيم الروحى للسلسلة الروحية المجددية (ملا شور بازار نو المشائخ) فى الرابعة مساءاً وكان الإسم الأصلى (لملا شور بازار) يهاجر من إفغانستان ويلجأ إلى الهند ثم رجع إلى إفغانستان بعد انتصار (محمد نادر خان) فعين وزيراً للعدل فعمل مدة فى وظيفته كوزير للعدل إلا أن هذه الوظيفة كانت تعارض ميوله وطريقته الصوفية فتراجع عن ذلك واستقال,وكان الشيخ (سيد سليمان الندوى) يرافق إقبالاً وكان (ملا شور بازار) قد التقى بإقبال وهو فى لاهور قبل ذلك وكان منزل (ملا شور بازار) فى زقاق ضيق جداً ولم يكن فيه مايدل على الهيبة والجلال والزينة حتى أن المنزل لم تكن فيه غرفة للضيوف وإنما كان منزلاً نسوياً حيث اختفت السيدات وراء الستار فمهدن الطريق للضيوف فدخلوا فى غرفة طويلة فيها سرير واحد فى ناحية أما البقية الغرفة فقد كانت بسيطة جداً وكان (ملا شور بازار) يجد ألما فى إحدى جليه فلم يكن يستطيع المشى ثم جرى الحديث بينهم عن الظروف الراهنة فى الهند وثورة ابن السقاء فى إفغانستان ثم احضر الشاى ثم قدم (ملا شور بازار) هدية من الفواكه الجافة لإقبال بم فيها اللوز والتين.

ثم ودع إقبال (ملا شور بازار) فخرج من منزله وذهب إلى منزل (الله نواز خان) وكان يرافقه الشيخ (سيد سليمان الندوى) حيث كان إعضاء الجالية الهندية وكان عددهم مأئة وخمسون شخصاً قد أقاموا حفلة االشاى تكريماً لإقبال وكان(سيد راس مسعود) قد سبقهما إلى المنزل وكانت مخضرة المنزل هى مكان حفلة الشاى وفتح بعضهم فوارة الحديقة أو نافورتها وكان البرد شديداً وكان (سيد راس مسعود) مزكوياً فرجاهم إغلاقها فأغلقت مما جعل (سردار فيض محمد خان) يرتجل بيت شعرو يقول ما مهناه :" إن مياه الفوارة المسكينة لاتهدف إلى شئ غير ذلك وكان المصراع الأول من البيت لشاعى آخر أما المصراع الثانى فكان قد نظمه هو ,وألح الحاضرون على إقبال فغير المصراع الأول ولكن الشيخ (سيد سليمان

الندوى) نسى الكلمة الأولى من المصراع الذى كان قد غيره إقبال وأصبح معنى المصراع الأول :إن المياه إنما تقدرر أحسنت إليها من قدومك-

وفى نهاية حفلة الشاى كانت مرحلة التصوير وإلقاء الكلمات فصوروا وتحدثوا بالمناسبة ورحب الشيخ (محمدبشير) بالضيوف نيابة عن المضيفين فشكر حكومة أفغانستان على دعوتها للعلماء المسلمين الهنود كما أنه تحدث عن الظروف الراهنة فى الهند فقال بأنه لا داعى إلى إلياس فإن المصيبة لا بد وأن تعقبها الراحة وتحدث الشيخ(سيد سليمان الندوى) نيابة عن الضيوف فقال: إن التاريخ يحتفظ لنا بأن الهند قد ارتكبت الآثام فى حق أفغانستان غير مرة وقد حان لنا الآن أن نكفر عن تلك الآثام فنقدم أحسن ما يمكن لنا من الخدمة والمعونة لإخواننا الأفغانستان ,ثم ألقى إقبال كلمة موجزة وبذلك انتهت الحفلة-

وفى ٢٨اكتوبر١٩٣٣م جاء (سردار محمد هاشم خان) الصدر الأعظم (أو رئيس الوزراء) إلى دار الضيوف الملكية ليلتقى بالضيوف فتحدث إليهم طويلاً وتحدث (راس مسعود) عن المعادن وأهمية الطرق العامة المعبدة كما ألح إقبال على بناء الطرق وتعبيدها فى إفغانستان وقال بأن آسيا الوسطى وأفغانستان لا بد وأن تحتل مكانة مركزية للقوافل التجارية فى المستقبل وقد تناول (سردار محمد هاشم خان) الطعام مع الضيوف.

وأما(سردار فيض محمد خان) وزير الخارجية و(الله نواز خان) فكانا يزوران الضيوف يومياً فيجرى الحديث بينهم عن الشؤون الإدارية والتعليمية فى أفغانستان وكان إقبال و(سيد راس مسعود)قد ذهبا معاً إلى قصر(دلكشا) فالتقيا بالملك (نادر شاه) وكذلك ذهب الشيخ (سيد سليمان الندوى) إلى قصر (دلكشا) فالقتى بالملك وجرى الحديث بينه وبين الملك (نادر شاه) باللغة الأردية وأخبر الشيخ بأنه يقرأ مجلته "معارف"بانتظام دائماً وتحدث الشيخ (سيد سليمان الندوى) عن مشكلة التعليم فاقترح على الملك بإنشاء معهد تعليمى فى (كابل) على مثال دار العلوم لندوة العلماء من أجل تثقيف الشباب الأفغان على المبادئ الدينية وإتباع لواجبات الدينية وفى نهاية الحديث وجاه الملك (نادر شاه) أن يبلغ رسالته إلى مسلمى الهند فيقول لهم بأننا نحن وأنتم لفى أشد حاجة إلى التعاون والوحدة فيجب علينا أن لا يعجب بعضنا البعض وإنما نتعاون فيما بينا لتحسين الظروف ثم قال الملك :(٤٠)

"إن جهودى مركزة على الجمع بين الدين والدنيا فى أفغانستان وآريد أن تكون

بلادى دولة إسلامية نموذجية تجمع بين المحاسن الإسلامية القديمة والمدنية المعاصرة .إننى اعتبر نفسى خادماً للدين والأمة وإن أفغانستان ليست بلاد الأفغان وحدهم وإنما أعتبرها بلاداً للمسلمين جميعاً وأودي أن يعتبرها إخواننا المسلمون وطناً لهم ويجب أن تبلغ إخوانى بأن ثورة جديدة تستعد لظهورها فى الدنيا والمسلمون فى أشد حاجة إلى أن يستعدوا استعداداً جيداً مقدماً فى مجال التدريب المعنى والتعليم والتربية والإقتصاد"

وقد تحدث الشيخ(سيد سليمان الندوى) عن شخصية الملك (نادر شاه) فسجل انطباعاته عنه قائلاً بأنه إنسان حلوا الكلام والأخلاق وهو متواضع للغاية وهو يحبي الناس ورفيق القلب وأن عينيه مستعدتان دائماً لتسكبا العبرات مثل عينى الشيخ (محمد على جوهر) تماماً (٤١).

وفى نفس اليوم أى فى الرابعة من مساء ٢٨اكتوبر ١٩٣٣م كانوا مدعوين إلى حفلة الشاى منزل (شاه محمود خان) وزير الحرب وقد حضر الحفلة عدد من الشخصيات البارزة الممتازة وجرى الحديث عن شتى الموضاعات وبهذه المناسبة فصل الشيخ (سيد سليمان الندوى) القول عن مشروعة لتعليم اللغة العربية والعلوم العربية فى أفغانستان .

وأقامت إكادمية (كابل) الأدبية مأدبة طعام فى فندق (كابل) تكريماً للضيوف فى الساعة السابعة والنصف فى نفس الليلة فحضر إقبال وزملائه إلى فندق (كابل) فوجدوا القائمين بخدمة الأكادمية الأدبية وأهل العلم والكتاب والشباب المثقفين من (كابل) قد حضروا وكان سكرتير الأكادمية هو الأمير (أحمد على خان درانى) الذى تخرج من كلية لاهور الإسلامية وكان تحتل منصباً عظيماً فى السيكرتارية الملكية وهذه الأكادمية هى التى كانت تصدر مجلة (كابل) الشهرية بلك رونق وبهاء على حد تعبير الشيخ(سيد سليمان الندوى) وفى هذه المجلة الشهرية نشرت منظومة وعنوانها" رسالة إلى أمة الجبال"وذلك خلال إقامة إقبال بمدينة (كابل) (٤٢).

وعندما حضر جميع السادة الضيوف قام رئيس الأكادمية فقرأ كلمة الترحيب باللغة الفارسية تحدث فيها عن علماء الهند الأفاضل وشعرائها الفطاحل واستحسن جهودهم وقدر أعمالهم المجيدة ثم عن خدمات إقبال فى مجال العلم ولأدب فقال :(٤٣):

"وله آثار أدبية ومؤلفات غالية قد ساربها الركبان وقد بث كل أثر من آثاره روحاً معنوية فى أجسام سكان آسيا من الأخلاق الحسنة والعمل الجاد والسعى

النشيط والوحدة والعواطف والشرقية الصادقة والمشاعر الإسلامية الخالصة".

وبعد كلمة الترحيب قام(عبد الله خان) شاعر أفغانستان المعروف فأنشد قصيدةتكريماً وكان معظم الأبيات الشعرية فى القصيدة تتعلق بإقبال (٤٠) ٣ثم قام الاستاذ (هادى حسن) فألقى كلمة باللغة الفارسية بالنيابة عن الضيوف ثم قام الأستاذ (سيد راس مسعود) فارجل كلمة تحدث فيها عن الشيخ (سيد سليمان الندوى) كعالم من علماء الدين ثم تحدث عن إقبال فقال:(٤٥)

"إن صديقى الكريم العلامة محمد إقبال يمثل جماعة من المسلمين الذين جمعوا بين القديم والجديد فكونوا روحاً معنوية جديدة أما أنا فلست من جماعة العلماء أوفئة الشعراء وإنما أكملت دراساتى فى البلاد الأروبية إلا أن قلبى يغمرة الحب والإكبار والتكريم لها تين الجماعتين كلتيها ويجب على شبان أفغانستان أن يكرموا أصحاب الشعرات البيض من كبارهم ويوقروهم لكى لاتقود الخلافات بينهم إلى تمزيق الوحدة القومية ويؤكد لنا التاريخ الإسلامى بأن جميع خسائر المسلمين وأضرارهم ترجع إلى التفرقة والنفاق"

ثم قام الشيخ(سيد سليمان الندوى) فألقى كلمة قال فيها:(٤٦)

"إن الظروف السياسية لا تزال تتغير كا أن العلاقات السياسية تنقطع وتتصل بين حيين وآخر أما العلاقات الثقافية والأدبية فهى دائمة مستقلة. إن سيف السلطان محمود الغزنوى قد مضى عليه وقت طويل منذ أن انكسر وان صفحات فتوحة الناصعة التى حققها قد تبعثرت وتفرقت أما قلم حكيم سنائى الغزنوى فلا يزال باقياً خالداً وإن صفحات فتوحة الأدبية لم يتفرق جمعها ولم تتبعثر حتى اليوم .أما أهل السياسية فيجب أن نتركهم وشانهم يشتغلون بشعوذتهم السياسية .أما نحن أصحاب العلم والثقافة فيجب علينا أن نجدد علاقات الود والصداقة بيننا ونقوى الصلات من التعارف والعهد والأخوة بيننا كما يجب علينا أن نعمل متعاونين فيما بيننا فى مجال العلم والأدب ونبنى عالماً شرقياً جديداً من العلم والفن والثقافة والأدب"

وتلاه إقبال فألقى كلمته التى هزت القلوب وأثرت فى النفوس وكان مما قال بهذه المناسبة (٤٧):

"إننى أعبقد بأن الآداب آى الشعى والأداب والرسم والموسيقى والبناء وكل فن من هذه الفنون يخدم الحياة البشرية ويساعد فيها وعلى هذا الأساس آبى بأن الفن إيجاد واختراع وابتكار وليست أداة المتعة والتفرج فقط. إن شاعراً من الشعر ء يستطيع أن يبنى حياة قومه ويدعمها كا أنه يستطيع أن يفسدها ويخربها وفى الوقت الحاضر حيث تحاول الحكومة الأفغانية أن تدخل أفغانستان

مجالاً جديداً من مجالات حياتها وتاريخها فيجب على شعراء البلادان يكونوا قادة مصلحين ويقودواالشعب إلى بناء الحياة الجديدة ويجب عليهم كذلك أن يعظم الحياة ويمحدوها ولا يفضلوا الموت عليها --------- الموت بالغ فيه وغلا وحينئذ يصبح الفن مدمراً ورهيباً للغاية فإن الجمال إذا خلا من القوة فليس إلا رسالة من رسائل الموت والدمار ثم أنشد بيتاً معناه : إن الجمال ليس إلا سحراً إذا خلا من القوة وأما الجمال الذى يضم القوة فهى رسالة أو عمل من أعمال الأنبياء."

وقد يمكن أن يؤثر الشعر الرفيع فى نفوس الناس ياثيراً سيئاً إن حياة أمة من الأمم لا تقصر على الظواهر أو الأشكال الظاهرة وحدها بل الشئ الحقيقى الذى يقصر عليه حياة شعب من الشعوب إنما هى أفكار وآراء وروح معنوية وأن الذى يقدمه الشاعى لأمته إنما هى أفكار عالية وطموح وتطلع إلى العظائم. إن الأفكار السامية أو الطموح فى نفوس الشعب إنما يأتيه من عند شعرائه. إن الأمم تنشأ وتتقدم بمساعدة شعرائها .ثم تتطور بهم الرجال السياسين ثم تموت .إننى أتمنى وآمل فى شعراء أفغانستان وكتابها أنت يبثورا روحاً معنوية فى نفوس الشعب الأفغانى المعاصر حتى يعرف نفسه وذاتيته.إن الشعب الذى يخطو على طرق التقدم والإزدهار تحتاج ذاتيتها إلى تربية خاصة ,تلك التربية التى تتضمن بهم إلى المدارج السامية من الكفاءةحتى ينادى هولاء الشاب قائلين : (ثم أنشد أبياته الشعرية التالية ومعناها):

إننى سيف صارم ذو شفر تين وقد جتردتنى قدرة الله مسلولاً ,فجلانى أولا فجعلنى مصقولاً ثم ضرب بى الدهر.

أنا تلك الدنيا من الفكر والخيال حيث كثرت قدرة الله البديعة البلابل والأزهار فصنعتنى منها.

إن صدرى ليتنفس فيذيب النفوس وذلك لأننى طائر من طيور حرم الله يمكن للناس أن يعرفونى من حرارة ما أتنفس به و أغردبه من النغمات تغريداً.

وأريدأن أشير إلى نقطة أخرى وذلك أن (مسولينى) الدكتاتول الإيطالى قدنشأت عنده فكرة جيدة وهى أنه يقول بأن إيطاليا إذا أرادت أن نتقذ نفسها فعليها أن تنجب رأسمالياً كبيراً يستطيع أن يخلص هذه البلاد من القروض والديون التى استدانتها إيطاليا من الشعوب الا يخلو سكونية —أن تنجب شاعراً آخر مثل (دانتى) يستطيع أن يبتكر فردوساً جديداً أن تنجب مغامراً جديداً مثل(كولومبس) يستطيع أن يكتشف قارة جديدة .أما إذا سألتمونعن أفغانستان فسأ قول لك

بأن أفغانستان فى جاجة إلى قائد يطل بإمكانه أن ينقذها من الحياة القبلية ويوحد بين صفوفها فيجعل مها أمة قورية قاهرة.

وبذلك انتهى ور الكلمات ودخل دور الطعام ثم انتهى فتحول إلى مجلس من النقاش والحديث الانفرادى عن شتى الموضوعات وقدموا للضيوف اللوز والفستق من الفواكة الجافة المشوية ثم كان الشاى جسب التقاليد الأفغانية المحلية فكان الفنجان الأول حلواً ثم كانت بقية الفاجين بدون السكر وكانت نرجيلة إقبال ترافقه فى السفر قد أحضرها معه فى هذه المأدبة أيضاً ثم عاد الضيوف إلى دار الأمان متأخرين ليلاً.

وفى مساء ٢٩ اكتوبر١٩٣٣م رافق إقبال(سردار فيض محمد خان) وزير الخارجية إلى قصر (دلكشا) ليقابل الملك (نادر شاه) مرة ثانية وأخيرة .أما ما جرى بينها من الحديث فى هذا اللقاء فلا يعرف عنه شئ ولا يوجد عنه شئ فى السجلات الملكية أمازملاء إقبال فكانوا قد خرجوا متنزهين إلى (بغمان) التى تقع على مسافة ثمانية عشر ميلاً من (كابل) وقد جاء عدد من الناس تلك الليلة إلى إقبال ليزوروه زيارة التوديع وذلك لأنه كان قد تقرر ان يسافر إقبال وزميلاه (سيد راس مسعود)والشيخ(سيد سليمان الندوى) من كابل إلى (غزنى)وكان يرافقهم (سرور خان كويا)وكانت حكومة أفغانستان قد أصدرت أوامرها باعداد الراحة للضيوف وإقامتهم وطعامهم وكانت القافلة تحملها سيارتان كما رفقتهما ساحنتان تحملان أمتعتهم ومايحتاجون إليه من حوائج الأكل والشرب وغير ذلك فكانت إحدى السيارتين تحمل إقبالاً والشيخ (سيد سليمان الندوى) و(غلام رسول)المحامى بينهما السيارة الثانية تحمل(سيد راس مسعود) و(سرورخان كويا) و(عبد المجيد) ممثل سفارة أفغانستان فى دلهى وأما إحدى الشاحنتين فكانت تحمل ما يحتاج إليه الضيوف من الأكل والشرب والقائمين بإعداد الطعام والخدمة للضيوف بينما كانت الشاحنة الثانية تحمل أمتعة الضيوف بالإضافة إلى بعض الضباط والجنود الموكلين بحراسة الضيوف والمسافة بين (كابل) و(غزنى) اثنان وثمانون ميلاً وكانت الطريق جيدة ومعظمها يجرى على السهول وكانت الجبال تبدو بعيدة ووصلت القافلة إلى (غزنى) فى الواحدة ظهراً فأنزلوا الضيوف فى دار الضيوف الرسمية فخرج الضيوف قبل كل شئى متنزهين إلى السوق فالتقوا بأصحاب المحلات التجارية من المسلمين والهنادكة والشيخ ثم عادوا إلى دار الضيوف فتغدوا واستراحوا قليلاً ثم خرجوا فى الرابعة مساء ليزوروا الضرائح والمبانى التاريخية بمدينة (غزنى)

أما مدينة (غزنى) القديمة ليزوراوا الضرائح (علاء الدين جهان سوز) (وكلمة جهان سوز معناه: محرق العالم) فجعل منها ماداً حتى لم يبق لها أى أثروكان هذه الطاغية قد احتل مدينة (غزنى) فأمر بالقتل والنهب ثم أمر بتحريق المدينة فاستمرت النيران تشتعل ويرتفع لهيبها لسبعة ايام متوالية ويقال كما جاء فى كبت التاريخ بأن مسرحية القتل والنهب والحريق كانت مستمرة فى ناحية وفى ناحية أخرى كان الطاغية (علاء الدين) هذا الذى كان فارساً مغواراً وشاعراً مقوالاً قد جلس فى نفس الوقت إلى أصحابه فى مجلس الأنس والطرب والبذخ والغناء يستمع إلى شعره الذى كان يغنيه فرقة القوالين أو المطربين فكان مما جاء فى شعره هذا مامعناه:

إن العالم كله يعرف بأننى أبحت حاكماً على الدنيا كلها وأنا مصباح من مصابيح الأسرة العباسية.

أنا (علاء الدين حسين ابن حسين) فعاش ملكى وملك أسرتى إلى أبد الدهر!

وأما مدينة (غزنى) القديمة فقد بناها (تيمور شاه) مه خلفاء (أحمد شاه أبدالى) وهذه المدينة عبارة عن فلعة مرتفعة من التراب وقدبنيت المدينة الحالية داخل هذه القلعة وأما مدينة (غزنى) القديمة والتى كانت عاصمة(سلطان محمود الغزنوى) فهعلى بضعة إميال من هذه المدينة وفى ناحية ثانية من المدينة الحالية توجد مقبرة (غزنى) القديمة وبعض آثارها وأما القصور والمبانى الملكية فلم يبق منها الإبضعة منارات وأما الضرائح التى لا تزال باقية هناك فمنها ضريح (حكيم سنائى) والسلطان (محمود) والسلطان (مسعود) والسلطان (ابراهيم) الغزنويين وحكيم(بهلوال دانا) وقد طلب السيد (سرورخان كويا) شيخاً هرماً فى التسعين من عمره واسمه (الملاقربان) ليقودهم خلال زيارتهم لآثار (غزنى) القديمة وكان الشيخ الهرم يعرف كل ناحية من نواحى (غزنى) ول زاوية من الزوايا فهذا هو خضر الطريق الذى قادهم خلال زيارة مدينة غزنى القديمة على حد تعبير الشيخ (سيد سليمان الندوى) (٤٩)

وكان إقبال على جمر من القلق من أجل زيارة ضريح الشاعر الفارسى (حكيم سنائى) فخرج من دار الضيوف ماشياً مع زملائه وكان ضريح الشاعر تحيط به جدران فى دار صغيرة وكان القبر قد شيد من الجص وعليه قبة . وله باب صغير يدخل منه الزوار فدخل منه الضيوف فقراءوا الفاتحة على صاحب القبر ويقول الشيخ(سيد سليمان الندوى) (٥٠)

"من الذى لا يعرف مجد الشاعر (حكيم سنائى) وصيته فقد تأثراً فقد وقف فى ناحية رأس القبر فلم يتمالك نفسه وظل يستعبر ويبكى ما شاء الله أن يستعبر ويبكى"

وعلى حد تعبير الشيخ(سيد سليمان الندوى) خرجت القافلة من أكواخ الفقراء أى ضرائح الشعراء والعلماء فركبت السيارات فاتجهت نحو قصر الملوك أى ضريح(السلطان محمود) كما أن قائدهم (الملاقربان) كان قد نبههم وهم فى الطريق على ضرائح (بهلوال دانا)و السلطان ابراهيم) والسلطان (محمود) والتى كانت على طلول مرتفعة مختلفة وأما ضريح السلطان (محمود) فيقع فى حديقة صغيرة ويحدثنا الشيخ (سيدسليمان الندوى) عن هذه الزيارة فيقول :(٥١)

"دخلنا الحديقة فرأينا قبر السلطان فياله مه عبرة وموعظة ! فقد وقفضا على قبر ذلك السلطان الذى كان يمتد ملكه من جدار الصين إلى (سومنات)معبد الهنادكة فى (كجرات) ذلك الملك الفاتح الذى كان الجبابرة المتكبرون من الملوك يخرون ساجدين أمام جلاله وهيبته ويطيعون وأما اليوم فإن ذلك السلطان الجرئ يستريح وحيداً على مضجع من التراب فى حديقة موحشة وهو لا يملك طولاً ولاحولاً !"

وتذكر إقبال ,وهم عائد من عند ضريح السلطان محمود ,مدينة لاهور والشيخ المتصوف أبا الحسن على الهجويرى فأراد أن يبحث عن ضريح والد الشيخ على الهجويرى اللاهورى فأخبره (الملاقربان) بأنه يعرف موقعه فطلب إليه إقبال أن يقوده إليه فذهب به إلى الأماكن الخربة من مدينة (غزنى) القديمة فأراهم الضريح فقرأ عليه إقبال الفاتحة ثم انصرف.

ثم ذهب بهم (الملاقربان) إلى ضريح الولى المجذوب (لائى خوار) وكان يقع فى مسجد بنيى فى زقاق صغيرة يستخدم سوقاً وأما (لائى خوار) هذا فيحكى عنه بأنه نظر إلى (حكيم سنائى) نظرة التحقير وقال :" من المستحيل أن يكون إنسان أحمق مثله ,ذلك الذى ينظم التامة القذر فيمدح به البشر من أمثاله ثم ينشدهم ما نظمه وذلك مما أثر فى نفس (حكيم سنائى) فتاب" ثم عاد إقبال وزملاؤه بعد أن زارواهذه الأماكن التاريخية فوصلوا إلى دار الضيوف وكان البرد شديداً فأوقدوا المواقد وباتواليلهم فى (غزنى) مدينة السلطان محمود الغزنوى.

وفى الثامنة صباحاً من ٣١اكتوبر ١٩٣٣م خرجوا من غزنى فمشوا فقطعوا مسافة ما يقرب من تسعين ميلاً حتى وصلوا إلى (مقر) فى الحادية عشرة ظهراً ويرى الأفغان أن مدينة (مقر)أصلها مدينة (بيهق) التاريخية المعروفة وكان

الموظفون الحكوميون على علم مقدماً بوصول الضيوف التى كانت ذات طابقين .فتغدوا واستراحوا ثم تحركت القافلة فى الواحدة ظهراً فاتجهت نحو(قلات غلزائ)فوصلوا إليها فى الرابعة مساء وكان الهواء البارد الشديد يهب من كل ناحية وصوب وذلك لأن مدينة (غلزائى) تقع على مكان مرتفع ويزيد ارتفاعه مشا الف قدم بالنسبة إلى (كابل) وقضى الضيوف ليلتهم فى دار الضيافة الرسمية هناك.

وفى الثامنة صباحاً من أول نوفيمبر ١٩٣٣م بدأت القافلة سفرها من جديد بعد الفطور وكان البرد لا يزال على حاله الذى كان عليه لأمس ووصلوا إلى (قندهار) فى الساعة الثانية عشرة ظهراً تقريباً وكان مناخها أحر من (قلات غلزائى) ونزل الضيوف فى دار الضيافة الملكية حيث زارهم بعض الشخصيات البارزة من أهل المدينة ونخص بالذكر منهم الأستاذ (عبد الحى خان) الذى كان يمثل وزارة أفغانستان الخارجية بمدينة (قندهار) وكان مديراً لجمعية (قندهار) الأدبية ورئيس التحرير لمجلة " طلوع إفغانستان" البشتوية وكان الرجل ممن زار الهند فأقام مدة بمدينة كراتشى فكان يعرف اللغة الأردية جيداً ومن روادالحركة التى تطالب بتقدم لغة الأفغان القومية البشتوية لكى تصبح لغة التدريس والثقافة والعلوم وبمجرد وصوله عن الوفد أحد يناقش إقبالاً حول هذا الموضوع فتحدث إقبال عن نشأة اللغات وتطورها وتقدمها فقال وهو يلح على ما يقول بأن اللغة هى من أهم الأسباب واكثرها يأثيراً فى الوحدة والتوفيق بين شتى أفراد أمة من الأمم ولكن هذه الحركة إذا أصبحت موضع الخلافات بد ل الوحدة والتوفيق بين أفراد الأمة فإنها لن تكون رسالة الوحدة والدعوة إلى الدعم والتوفيق وإنما تصبح انشودة من أناشيد الحرب والخلافات بين طوائف الأمة المختلفة وكان الحديث مستمراً إذا جاء حاكم قندهار مع حاشيته وموظفى مكتبه ليزور الضويف المتوافدين فجرى الحديث طويلاً بينه وبينهم عن شتى الموضوعات.

وفى الرابعة مساء تقريباً ودع الزوار ضيوفهم الذين خراجوامتنزهين داخل مدينة (قندهار) وكان ضريح " خرقة شريف" وضريح الملك (أحمد شاه أبدالى) قريباً من هناك فخرجوا ماشين على أقدامهم وأمروا السائقين بإحضار السيارات وإيقافها على باب الضريح فيدأوا زيارتهم بضريح " خرفة شريف" ويقال عن هذا المكان بأنه يحفظ فيه ملابس رسول صلى الله عليه وسلم التى جاء بها (أحمد شاه أبدالى) من مدينة (بخارا) فبنى مبنى خاصاً بجانب قصرة الملكى فى عاصمة حيث وضع تلك الملابس الشريفة ثم توجهوا إلى ضريح الملك (أحمد شاه أبدالى) الذى كان حاكماً عادلاً مجاهداً متحمساً مسلماً متديناً كان تحتل كانة بارزة فى الأزمنة

الأخيرة من تاريخ الإسلام وقد بنى ابنه الاكبر (تيمور شاه) ضريحاً فأخراً على قبره وكان الأفغان يبالغون فى تكريم الضريح واحترامه حتى أن من ارتكب جريمة القتل مهم فلجاء إلى الضريح كانو ا يؤمنونه وكانت نسخة من القرآن الكريم قد وضعت فى مكان مرتفع عند رأس القبر وهى النسخة التى كان الملك (أحمد شاه أبدالى) يتلومنها القرآن الكريم .

وخرجوا من الضريح فركبوا السيارات فاتجهوانحو (الغنداب) وهو أجمل مشهد من المشاهد الطبيعية فى (قندهار) فصعدت السيارات على هضبة عالية فتوقفت عند مكان ضيق فنزل الضيوف وأخذ وايمشون على الأقدام حتى وصلوا إلى مكان واسع جداً وكان ذلك هو أرفع أماكن مدينة (قندهار) حيث وقف الضيوف فكان نهر (الغنداب) يجرى فى المنطقة السهلية أمامهم .ثم رأواعلى مسافة قريبة منه ثلاثة جداول تجرى على مقربة من النهر وعلى ضفاف هذه الجداول الثلاثة تمتد سلسلة من الحدائق إلى مسافة ثلاثين ميلاً ويوجد فيها الرمان والفواكة الأخرى وعلى مقربة من هذالمكان العالى يوجد ضريح ولى من الأولياء يعرف (ببابا ولى قندهارى) حيث قرأ الضيوف الفاتحة ورأو ا فى طريقهم عائدين هضبة عالية تشبه قبلا جالساً يبلغ طوله المئات من الأذرع ثم نزلوا من الهضبة حتى ساروا إلى ناحية ثانية من مدينة(قندهار) فوصلوا إلى هضبة أخرى كان الملك (ظهير الدين بابر) قد نصب لافتة على قمتها وكتب عليها التفاصيل عن انتصاراته وفتوحاته الهندية وقد بينت حكومة إفغانستان طريقاً معبدة تصل إلى قمة هذه الهضبة با لا ضافة إلى الأدراج التى نحتت فى الهضبة من سهلها إلى قمتها وعدد هذه الادارج يصل إلى الأربعين درجاً ومن ثم يسمونها " جهل زينة" (أى سلم زو اربعين درجاً) وقد صعد الهضبة الشيخ(سيدسليمان الندوى) والاستاذ(هادى حسن) ولم يصعدها أحدغيرهما من الضيوف.

وفى اثناء ذلك دخل وقت صلاة المغرب وهم عائدون من (جهل زينه) فرأوا أقنية صغيرة متساوية تجرى فى كل طرف من أطراف الطريق ويحدثنا الشيخ(سيد سليمان الندوى) عن ذلك المشهد فيقول(٥٣):

"ياله من مشهد مؤثر أخاذ للغاية يدل على الاهتمام با لإسلام وحب أهل أفغانستان المتحمسين للدين فرأينا كل عابر طريق وكل مسافر وكل تاجر وقد جلس حيث أتيح له أن يجلس على القناة الجارية وأخذ يتوضأ ثم فرش رداءه فوقف متجهاً نحوالقبلة يصلى وحده إذا لم يتسيرله أن يصلى مع الجماعة ورأينا العديد من المصطبات فى الطريق حيث كان الناس يصلون جماعة كما وجدنا

المساجد كلها عامرة بال لمصلين ثن مررنا من السوق فرأينا أصحاب المحلات التجارية والزبائن المشترين إما يتوضؤن أو يصلون سواء كانوا فى محلاتهم التجارية أو كان أحدهم يصلى على ثوب قد فرشه فى السوق إن هذا المشهد المؤثر الرابع قد شاهدناه فى (قندهار) وحدها ولم نشاهده فى غيرها من البلاد".

وكان (سيد راس مسعود) مستعجلا وأراد أن يعود بسرعة ويغادر (قندهار) ليلاً حتى يصل إلى " تشمن" (أول مدينة من المدن الباكستانية على الحدود بين إفغانستان وبلوجستان) حتى يتمكن من الوصول إلى محطة " كويتة" للقطار (ومدينة كويتة هى عاصمة بلوجستان الحالية) فيركب القطار ليسرع إلى (عليكره) وبالصدفة أن القنصل الهندى الإنجليزى فى (قندهار) كان (سيد صديق حسن)شقيق (سيد غلام بهيك نيرنك) الذى كان من أصدقاء إقبال القدامى فجاء هذا القنصل ليزور الضيوف فرجاه (سيد راس مسعود) أن يساعده فى مشكلة السفرإلى الهند فساعده (سيد صديق حسن) فى مشكلته فغادر ليلاً أم البقية من زملائه فقضواليلتهم فى (قندهار) .

وأكل الضيوف فطورهم فى الثامنة صباحاً فى ٢ نوفميمبر١٩٣٣م وأهدى حاكم (قندهار) الفواكة الجافة وسلال رمان (تشمن) حتى وصلوا فى الثانية عشرظهراً إلى " القلعة الجديدة" وهى آخر معسكرات أفغانستان فى الطريق حيث تغدى وصلوافى الثانية عشراً ظهراً إلى (سرورخان كويا) والآخرين من حاشية الملك قد جاؤ واليودعوا إقبالاً وزملائه فلم يمض إلا لحظات حتى كانت السيارات قد عبرت حدود إفغانستان ودخلت منطقة الحكومةالإنجليزية الهندية.

وكان أهل مدينة (تشمن)قد علموا بوصول إقبال وزملائه فاستبلهم المسلمون على باب المدينة فذهبوا بهم إلى مطعم قريب وكان أهل المدينة يريدون من إقبال والشيخ (سيد سليمان الندوى)أن ينفقا ليلتهما فى(تشمن)ويخطبوا فى جموع المسلمين هناك ولكنهما اعتذرا إليهم وكان المسلمون من شتى المذاهب السياسية قد اجتمعوا فى المطعم فأخذوا يوجهون الأسئلة المختلفة إلى إقبال والشيخ (سيد سليمان الندوى) ورغم أن السكك الجديدية تبدأ من (تشمن)ولكنهم سافروا من (تشمن) إلى (كويتة)بالسيارات كسبا للوقت حين وفروا يوماً كاملاً فغادروا (تشمن) فى الرابعة مساء وكان الطريق الجبلى صعباً جداً حتى أن عجلات السيارات كانت تزل بين آونة وأخرى وأما السائقون فكانوا يسوقونها بسرعة هائلة كلى يقطعوا الطريق الجبلى الوعر الخطر قبل أن يظلمهم الليل ورغم ذلك فقد أظلهم الليل مما أقلق الشيخ (سيد سليمان الندوى) وأفزعه فأخذ إقبال

يتحدث إليه عن .المشاهدات والتجارب الروحية الشخصية والبحث عن مرشد صادق فذكر بداية طغولته وعهده بطلب العلم وهو يتحدث عن شتى الشيوخ وأصحاب الطرق الصوفية ثم تحدث عن والده وحكى وقائع من حياته فإذا بالطريق الجبلى قد انتهى وإذا بهم يمرون من طريق سهلى ممهد وكان ظلام الليل قد امتدولاحت لهم قطارات أحناءت المصابيح الكهربائية من بعيد فلم يمض إلا لحظات حتى وصلوا إلى (كويتة) وكان الجو بارداًشديداً فأنزلوهم بالمقرالرسمى حيث تعشواوأنفقوا ليلتهم تلك .

وفى ٣نوفيمبر ١٩٣٣م ركبوا قطار الصباح الذى تحرت بهم فى الساعة الحادية عشرة من محطة (كويتة) للقطار .فلم يزل القطار يمشى بهم ليلاً ونهاراً حتى وصل إلى محطة (ملتان) فى الثانية عشرة من٤انوفيمبر١٩٣٣م وإلى هنا رافق الشيخ (سيد سليمان الندوى) إقبالاً ثم فارقة هناك وتخلف فى(ملتان) (٥٤) أما إقبال فركب القطار من ملتان فوصل إلى منزله فى تلك الليلة نفسها وكان (نادرشاه) ملك أفغانستان والزعماء الأفغان الآخرون قد أهدوا إلى إقبال الكثير من الهدايا وكان من بينها سلات الفواكة الجافة الرمان والعنب والشمام بالإضافة إلى الأشياء المصنوعة من الحجر الأفغانى والسجاجيد وغيرها من الهدايا التى لا تعدو ولا تحصى أما هذا المؤلف فقد أهدى إليه الملك (نادرشاه)ساعة ذهبية وأما سلات الشمام والعنب والرمان والفواكة الجافة فلم تزل تأتى إلى إقبال من (كابل) خلال العديد من السنوات المقبلة .

وفى ٦نوفيمبر ١٩٣٣م أصدر إقبال و(سيد راس مسعود) والشيخ (سيد سليمان الندوى) بياناً صحفياً عن رحلتهم إلى إفغانستان فقالوا(٥٥):

"إن حكومة أفغانستان تعتزم التنظيم الإدارى الجديد لمصلحة التعليم على أحدث المبادئى والأنظمة المعاصرة بالإضافة إلى تمهيد الطرق العامة وتعبيدها بين أفغانستان والدول المجاورة وإن جامعة (كابل) الجديدة تتطورة وتتقدم تدريجياً وقد خص لمبناها قصر جميل واسع وأول قسم من أقسامها التى أنشئت هو قسم الطب المعاصرحيث بدأت الدراسات الطبية العليا وأما القسم الثانى الذى لا يزال انشاؤه قيد الدراسة فهو قسم الهندسة المدنية وإن أفغانستان اليوم دولة موحدة ويعمها آثار الصحوة واليقظة وإن حكامها يعدون برامج جديدة بعد البحث العميق والنقاش الطويل وقد عدنامن أفغانستان ونحن على ثقة ويقين بأن حكومتها الحالية لوأتيح لها الاستمرار بتطبيق مشاريعها المخططة لعشر سنوات قادمة فستصبح أفغانستان دولة متقدمة مزدهرة فى مستقبلها

الزاهر المضئى"

وبعد يوم واحد منإصدار هذا البيان الصحفى أى فى ٧نوفيمبر ١٩٣٣ م فاجأ نبأ مؤلم مسلمى الهند ألاوهو نبأ اغتيال الملك العادل (نادر شاه) فى (كابل) وكان هذا الاعتداء من شخص يريد الثأر من الملك ولكن أفغانستان ظلت آمنة هادئة وخلفه عليها (محمد ظاهر شاه بن الملك نادر شاه) وتم الاعتراف به ملكاً عليها وكان إقبال يحب (نادر شاه) أحزنه موته فجأة حزناً كثيراً وفى ١٥نوفيمبر١٩٣٣م أرسل إقبال رسالة التعزية إلى الملك (محمد ظاهر شاه) وريئس وزراء أفغانستانت فقال فى رسالته إلى الملك (محمد ظاهر شاه)(٥٦):

"إن خبر اغتيال جلالة الملك (محمد ناردشاه) قد أحزننى حزناً شديداً فقد كنت على صلة بالملك الشهيد منذ العديد من السنوات الماضية ولن أنسى حبه وكرمه وشفقته مدى الحياة وأدعوالله عزوجل أن يسكن روح الملك الشهيد فى جنات الفردوس وأن يبقى لك ذكرى هذا الملك الشهيد والبطل الجليل منارة هداية وإرشاد دائماً"

أماالانطباعات عن رحلة أفغانستان القصيرة فقدسجل البعض منهاالشيخ (سيد سليمان الندوى(فى كتابه " سير أفغانستان" أو (رحلة إلى أفغانستان) أما إقبال فقد سجل انطباعاته عن هذه الرحلة القصيرة وعبر عن عواطفه الشعرية المتدفقة فى ديوانه (مثنوية المسافر)وقد نشر هذا الديوان فى سنة ١٩٢٤م وهى مثنوية فارسية وقد نظمها إقبال فى بحر المثنوية المعنوية فقال بأنها تحوى عبرات الشاعرى إقبال التى سكبها على المناظر والمقابر فى خيبر وسرحد وكابل وغزنى وقندهار كا أنها تشتمل على أسئلة وأجوابتها نطق بها لسان الحال من الضرائح الصامتة مثل ضريح الملك (بابر) والسلطان (محمود) الغزنوى والشاعر (حكيم سنائى) والملك(أحمد شاه أبدالى) وهى تبدأ بفضائل الملك الشهيد (نادر شاه) ومناقبه وتنتهى بآمال علقها إقبال على الملك الشاب (محمد ظاهر شاه)(٥٧)

وبعد عودته من أفغانستان أعار إقبال جل اهتمامه للشؤون السياسية لمسلمى الهند وكان قلقاً على الظروف المتغيرة السريعة من السيئى إلى الأسوء فى فلسطين على وجه أفص وكان نائب وزير المستعمرات لحكومية بريطانيا قد أعلن وهو يوضح سياسة بلاده بانشاء دولة صهيونية فى فلسطين مما أقلق إقبال فأرسل برقية إلى نائب الامبراطور الهندى فى ٦نوفيمبر١٩٣٣م فقال فيها(٥٨):

"إن الأوضاع الراهنة فى فلسطين قد أقلقت مسلمى الهند قلقاً شديداً .إن الذى أعلنه نائب وزير المستعمرات البريطانية قد أكدالشبهات والإرتياب فى

نفوس المسلمين بأن السياسية التى تتبعها بريطانيا تهدف إلى الضرر بالمصالح العربية فى فلسطين وإقامة وطن قومى أو دولة صهيونية فى قلب البلاد العربية إن السياسة التى أعلنها نائب وزير المستعمرات البريطانية سياسة معادية صريحة وأن الحوادث الأخيرة التى ظهرت فى فلسطين تتطلب تحقيقاً فورياً كما أنها تلح على منع اليهود من الدخول فى فلسطين واتخاذ الخطوات الغورية بهذا لصدد .أن من خير مصالح بريطانيا إسحاب " إعلان بلغور" وأن مسلمى الهند ينتظرون من نائب الامبراطور أن يدرك خطورة الموقف فينبه عليها حكومة الامبراطور المعظم وأن يبذل كل جهوده فى إنقاذ العلاقات بين بريطانيا والعالم الإسلاممن التواتر المتزايد"

وكذلك فقد أرسل برقية أخرى فى٢٢نوفيمبر١٩٣٣م إلى رئسة الرابطة الوطنية بلندن قال فيها(٥٩):

"يوجد اضطراب شديد المسلمين حول مشكلة فلسطين وأخشى ظهور النتائج الخطيرة المؤلمة والأمل فيك بأنك سوف توفقين فى منع المزيد من التحريكات والخطوات فى هذا الشأن وأنك لن تسمحى بتوتر العلاقات بين العالم الإسلامى وانكلترا"

وحين اطلع إقبال على مشروع إنشاء السكك الحديدية بين جدة ومكة سره ذلك جدا فأصدر بياناً صحفياً فى ١٢ نوفيمبر١٩٣٣م قال فيها بأن الذى سره جداً هو أن شركة إسلامية هندية سوف تقوم بأنشاء السكة الحديدية بين جدة ومكة المكرمة وأن نجاح هذه الشركة فى تحقيق المشروع سوف يجلب فوائد ومنافع للعرب ومسلمى الهند على السواء (٦٠) إلا أن هذا المشروع كان حلماً لم يتحقق .

وفى ٤دسيمبر ١٩٣٣م منحت جامعة بنجاب شهادة الدكتوارة الفخرية فى الأداب لإقبال وفى بداية ديسمبر١٩٣٣م نقد الباندیت (جواهر لال نهرو)موقف إعضاء الوحد الإسلامى الذى اشترك فى مؤتمرات المائدة المستديرة وذلك لأن(غامدى) كان على أتم استعداد أن يوافق على الذى يطالب به المسلمون فى نضاله وكفاحه لتحرير الهندواستقلالها إلا أن الأعضاء المسلمين لم يوافقوا على ما اشترطه السيد (غامدى) لا لسبب غير التعصب والبغضاء فى قلوبهم ضد الهنادكة فأصدر إقبال بياناً صحفياً فى ٦دسيمبر ١٩٣٣م ردفيه على كل تهمة موجهة إلى إعضاء الوفد الإسلامى وكشف عن (غامدى) وموقفه خلال المؤتمرات وصرح إقبال فى بيانه الصحفى بأن السير (آغاخان) كان قد أكد للسيد (غامدى) أمام

أعضاء الوفد الهندوكى وإقبال نفسه بأن الشعب الهندى المسلم كله على أتم استعداد أن يقتدى بالسيد (غامدى) ويؤيده فى نضاله السياسى ولكن بشرط أن يوافق الكونجرس الهندى أو الهنادكة على ما يطالب به المسلمون ولكن (غامدى) لم يرد على ما قاله السير(آغاخان) غير أنه قال بصفته الشخصية يوافق على الذى يطالب به المسلمون وحينئذ قال له إقبال بحضور السيدة (سروجنى نائيدو) بأنه يستطيع أن يرسل برقية إلى مجلس الكونجرس التنقيذى ويحصل على الموافقة الفورية منه فرد عليه (غامدى) قائلاً بأن الكونجرس لن يكون على استعداد أن يوافق بتعيينه عميلاً أو ممثلاً له فى هذه القضية .إن السيد (غامدى) لم يستطيع أن يقنع أعضاء وفده من الهنادكة والشيخ الموجدين فى لندن فأنى له أن يقنع الكونجرس الهندوكى كله ثم حاول السيد (غامدى) أن يقدم شرطاً آخر غير عادل وهو أنه يجب على المسلمين أن يعارضوا ما يطالب به المنبوذون من حق النيابة المستقلة لهم وأما موقف أعضاء الوفد الإسلامى فقالوا بأن المسلمين ماداموا يطالبون بحق النيابة المستقلة لأنفسهم فأنى لهم أن يعارضوا نفس المطالبة إذا جاءت من قبل المنبوذين ورغم ذلك فإن الوفد الإسلامى قد أكد للسيد(غامدى)بأن المنبوذين إذا أرادوا التفاهم معه فى قضية النيابة فإن المسلمين لن يتخلوا فى ذلك وأضاف إقبال وهو يرد على الباندیت (جواهر لال نهرو) بأن الهنادكة عل الذى يطالب به المسلمون فإن الشعب السلم الهندى كله على أتم استعداد اليوم أن يتبعه ويؤيده فى كفاحه من أجل تحرير الهند واستقلالها وأنهى إقبال بيانه الصحفى قائلاً(٦١):

"وفى النهاية أريد أن أوجه سؤالاً بسيطاً إلى الباندیت (جواهر لال نهرو): كيف يمكن حل القضية الهندية بينما لا تضمن الأغلبية الساحقة حقوق الأقلية المسلمة البالغ عددها ثمانين مليون نسمة كا أن الأغلبية الساحقة ليست عل استعداد أن ترضى أو توافق عل ما يقضى فيه طرف ثالث فى قضية الزمان إلا أن هذه الأغلبية الساحقة لا تزال تردد وتنادى بالوطنية أو القومية التى لا يمكن أن تنفع أو تفيد غير الأغلبية الساحقة نفسها وفى مثل هذه الظروف لم يبق أمامنا غير إجتمالين إما أن تسيطر الأغلبية الساحقة الهندوكية على الهند كلها وتستمر فى حكمها كمثل أو عميل للاستعمار البريطانى فى الهند وإما أن تقسم الهند إلى دولتين على الأسس الدينيةوالروابط التاريخية والاجتماعية لكى تنتهى مشكلة الفرقتين ومشكلة الانتخاب"

وكان إقبال قد أخذ يعانى من المرض فى أكثر أوقاته كما أن بصرة قد ضعف (٦٢) وكان قد انفق السنوات الثمانية الماضية فى معارك السياسية العملية إلا أن

الجانب المؤسف للسياسية الإسلامية الهندية هو أن إقبالاً رغم أمنيته لم يتمكن من التوحيد بين المنظمات الإسلامية السياسية المختلفة ولعل هذا هوا لسبب الذى جعله يتنازل عن رياسة المؤتمر الإسلامى كما أنه أنفق مدة طويلة خارج الهند خلال السنوات الماضية بحكم المشاركة فى مؤتمرات المائدة المستديرة وبذلك تأثر عمله فى المحاماة وخسر بذلك خسارة مالية شديدة (٦٣) ويتذكر المؤلف أن إقبالاً وزوجته (سردار بيكم) كاناقد تخاصما مرة على النفقات المنزلية خلال هذه الفترة نفسها فقد كان كان الوقت مساء حين دخل المؤلف غرفة إقبال لغرض من الأغراض أو لشغل من الأشغال فرأى السيدة (سردار بيكم) تبكى جالسة وهى تقول له فى لهجة مريرة للغاية :" إننى إعمل فى هذا البيت كخادم من خادماته أو أمة من إمائها ولكن إلى متى ؟ " ولم يسمح للمؤلف أن يبقى داخل الغرفة على كل حال فإن (السيدةسردار بيكم) كانت على الحق فيما طلبت من إقبال فقد أرادت منه إما أن يشتغل مؤظفاً أو يقبل على مهنته المحاماة لكى يتمكن من اكستاب الرزق لنفسه ولأهله بصفة مستقلة فقد كان المؤلف فى تلك الأيام إذا سئل عن وظيفة والده لم يستطيع الرد على ذلك وكانت السيدة (سرداربيكم) تتمنى أن تتخلص من المسكن المستأدر وتنبى لها بيتاً مستقلاً حيث تعيش كما تريد .أما إقبال فإنه لم يكن يملك شيئاً من الرد على ما طالبت به زوجته غير ابتسامة الخجل والندامة.

أما تفرق المسلمين وتخزبهم فلم يكن لينتهى مما جعل إقبالاً يسئم ويحزن ولعل هذه هى الخليفة الذهبية التى جعلته يكتب رسالته إلى الشيخ (سيد سليمان الندوى) فى ١٧سبتمبر١٩٣٣م فيقول فيها(٦٤):

" أماتمزق المسليمن وتفرقهم فذلك ما يؤلمنى ويحزننى وإن التجارب المريرة التى مررت بها خلال السنوات الخمسة الماضية قد أحزنتنى وعذبتنى كثيراً"

وكذلك فإن إقبالاً قد رد على الرسالة التى بعث بها إليه الشيخ (عبدالماجد دريا آبادى) ليشارك فى الإجتماعات القومية المقرر عقدها فى مدينة (بتنة) و(كانبور) فقال فى الرد الذى كتب إليه فى ٢٤سبتمبر١٩٣٣م (٦٥)

"إن التجارب السنوات الخمسة الماضية قد أحزنتنى وعذبتنى كثيراً فلم أعد أرعب الآن فى المشاركة فى اجتماعات مثل هذه إننى لن أذهب لا إلى (بتنة)ولاإلى (كانبور)"

على كل حال فإن حزن إقبال أو تألمه كان بسبب السياسية الإسلامية ولم يكن يرجع إلى الفسلفة الشعر وفى نوفيمبر ١٩٣٣م لبى الدعوة لإلقاءً المحاضرات

(رودس) وقد جاءته هذه الدعوة من قبل مؤسسة (رودس) بوساطة(اللورد لوثيان) ليختار موضوعاً من الموضاعات الفلسفية فيلقى عنه محاضرة فى جامعةأكسفورد وكان إقبا ل يظن بأن هذه المحاضرة تمكنه من البحث فى موضوع يرغب فيه وهو "الزمان والمكان فى تاريخ الفلسفة الإسلامية "ويتمكن بذلك أن يبرهن للعالم بأن نظرية (أينتتاين) قد كون جديدة على الغرب ولكن المصوفة المسلمين والعلماء الرياضيين المسلمين خلال القرون الوسطى كانوا قدوصلوا إلى نتيجة بأن المكان يمكن أن تكون له أبعاد ثلاثة أو أكثر وعن هذا الموضوع يقول إقبال فى رسالته التى بعث بها فى ٨نوفيمبر١٩٣٣م إلى (سيد نذير نيازى))(٦٦):

"وأما موضوع محاضرات (رودس) فسوف يكون " الزمان والمكان فى تاريخ الفلسفة الإسلامية" وقد قبلت الدعوة ولكننى لست متأكدا إلى الآن هل سأذهب خلال ١٩٣٤م أو فى ١٩٣٥م فإن الموضوع صعب ودقيق فى نفس الوقت ولا أملك الوقت الكافى لإعداد المحاضرات .على كل حال فإننى سأعد ما يمكن إعداده من المحاضرة"

وبدأإقبال البحث والتحقيق فى هذا الموضوع رغم أنه كان يعانى من المرض وعلى حد تعبير (عبد المجيد سالك) (٦٧) كانت مشاغلة العلمية كثيرة فان الرسائل التى بعث بها إلى الشيخ(سيد سليمان الندوى) وغريه من الأصدقاء قدطلب منهم فى جميعها أن يزودوه بالمراجع الإسلامية عن الزمان والمكان ولم يزل يبحث عن مؤلفات كبار العلماء المسلمين عن مشكلة الزمان والمكان فقد كان إقبال يعتزم على كال حال أن يبرهن تفوقالمسلمين فى كل علم من العلوم.أم أعداء إقبال فإنهم لم يعثروا على سبب لرغبة إقبال فى محاضرات (رودس) غير أن قالوا بأن إقبالاً كان يتوق بكل قلق واضطراب إلى هذه الدعوة ليتمكن من زيارة انكلترا وجامعة آكسفورد!ولكن إقبالاً ألغى هذا السفر بسبب المرض الذى اشتد خلال النتين التاليتين ولم يستطع أن يتناول هذا الموضوع بحثاً وتحقيقاً ويحدثنا(سيد نذير نيازى) عن ذلك قائلاً(٦٨):

"هكذا كان فى إرادة الله والإفقد كان من الممكن أن تضيف محاضرة إقبال هذه إضافة غالية ليس إلى الفكر الإسلامى فحسب وإنما إلى التاريخ الفكر الإنسانى كله .أماأهمية هذا الموضوع فى تاريخ الفلسفة فظاهرةوأما من وجهة نظر الفكر الإسلامى أووجهة لنظر التعاليم الإسلامية فإن هذه المشكلة أوالمسئلة تحتل مكانة هامة جداً فقد ذكرحضرة العلامة نفسه فى خطبة من خطبه أو محاضرة من محاضراته (المحاضرة الخامسة) بأن مشكلة الزمان والمكان هى مشكلة الموت

والحياة بالنسبة إلى المسلمين ثم شرح فرته هذه شرحاً قليلاً فقد كان من الممكن أن يتناول هذه المحاضرة تفصيلاً لذلك الإجمال وكان من الممكن أيضاً أن يعرض الآراء والأفكار المتنوعة للمفكرين المسلمين عن مشكلة الزمان والمكان فى صورة واضحة على البشر"

أماشعر إقبال فكأن قواه القلبية ومواهبه العقلية وذهنه كانت قد نفدت بعد إنها ء ديوانه "جاويد نامه"أو"رسالة الخلود" فلم يكن له من الممكن مؤقتاً أن ينظم الشعر بالفارسية أو الأردية وكان إقبال يرى بأن الإعراض عن قول الشعر بالفارسية إنما يعنى البناء من الطين مكان بناء المرمر ورغم ذلك فلعله يميل بطبيعته إلى قول الشعر باللغة الأردية وقد قال الشعر باللغة الأردية فعلاً.

ولعل (محمد دين تاثير) وغيره من أصدقاء إقبال كانوا قد حضروا عنده خلال هذه الفترة نفسها فطلبوا إليه أن يزودهم الأردورى الذى لم يطبع بعد لينشروه فى مجلة "كاروان "(أى القافلة) ولكن إقبالاً لم يزل يماطل ويسوف وحين بالغوا فى الالحاح قال إقبال(لمحمد دين تأثير) :أنت قائد الوفد كما أنه شاعر فأنشدلى من شعرك ما قد يكون لى سبباً حافزاً عل الشعر فأنشد (محمد دين تأثير) مطلع القصيد بجهد جهيد ثم بيتاً ثانياً وحين سمعه إقبال أرادمنه أن يعيد المصراع الذى معناه "كنت أعتبرك موئلاً ومفرعاً فى حياتى"فأعاد المصراع ثم أنشد البيت الأخير من قصيدته الغزلية ومعناه:

"شعرك مفرق وجيبك مخروق وأنت فى سكرمن الشباب ولكننى حين رأيت وجهك بدالى كأنك من العارفين المعلمين بالألم"

وهذ البيت قد أعجب إقبالاً فقال إن مجال القوافى متسع ولكنك أهملت بعض القوافى فمنها كلمة " خدا" (أى الله) ثم سكت وخفض رأسه ثم رفعه وقال فما رأيك لو غيرنا القافية فقال(محمددين تأثير) وهو يرد عليه :سيكون حسناً فقال له إقبال فاسمع إذن ثم غير بيته فأصبح معناه:

"إننى عرضت فى ميدان الحشر فواجهت الخزى والذل وذلك لأننى ظننت أن العادل يوم الحشر من أصحاب أسرارى"

فيقول (محمد دين تأثير) معلقاً على البيت (٦٩):

"قال العلامة هذا البيت الشعرى ثم سكت لدقيقتين أو ثلاث ثم أخذ يملى على الأبيات الشعريةبيتاً تلوبيت حتى أن البيت الثانى كان يشبه كثيرا شعر إقبال فى ديوانه " جاويد نامه" أو" رسالة الخلود" وهو :" فقد ظننت الشمس والقمر والكواكب السيارة من زملائى فى السفر"

وكلما زاد عدد الأبيات الشعرية أخذت حال إقبال تتغير فاستقام وهو فى مضجعه فجلس على سريره وكان صوته يرتعد وكان ينشد البيت ويرفع سبابته ثم أنشد هذا البيت الذى معناه:" قد كان صوت ذلك المسافر المتعب مؤلما محزناً للغاية ذلك الصوف الذى ظننته جرس الرحيل للقافلة"

ثم بكى إقبال وبكيناجميعا معه ولست أعرف عدد أبيات هذه القصيدة الغزلية الأردوية إلا أن هذه السلسلة من التدفق الفكرى والشعرى عند إقبال قد انقطعت بحضور نائر جنبى قد فوجئنا بقدومه "

إن هذا الأمر لمن المدهض البديع الغريب فان ذلكالإنسان الذى استقام فى مضجعه فجلس على رجليه فى سريره وأخذ ينشد الشعر وهو يرفع سبابته ثم أخذ يبكى وهو ينشد الشعر ذلك الإنسان نفسه كان قلقاً مضطرباً للبحث عن مشكلةالزمان والمكان ليبرهن بذلك على تفوق المدنية الإسلامية وذلك هو الإنسان نفسه كان يخرج من زاوية خلوته فى لاهور للدفاع عن حقوق المسلمين فيسافر مرة إلى دلهى أو (شملا) ومرة أخرى يسافر إلى لندن وكان يتخاصم ويتقاتل مع معارضية على كل نقطة من نقاط الدستور أو النقاش حول القضايا السياسية إن قلق هذا الانسان أو حزنه أو لوعته المحرقة لم تكن ترجع إلى ضيق الحياة أو الخسارة المالية وإنما كان يبكى ويتمزق قلبه على تفرق المسلمين وتخزبهم ورغم ذلك كله فإنه لم يزل قوى العزيمة رابط الجأش موفور الثقة والهمم.

الفصل العشرون مرضه

إن سنة ١٩٣٤م تعتبر بداية مرض إقبال ونهاية حياته السياسية العملية بسبب هذا المرض والمصائب الأخرى التى أصيب بها إلا أنه قام بدور على حد تعبير (محمد أحمد خان) فى تكوين المستقبل التاريخى سبه القارة وهو مريض مستلقى على سريره وهو دور لا يمكن أن يهمله مؤرخ يتناول تاريخ المسلمين فى هذه المنطقة(١).

وكان إقبال قد التقى بالزعيم السياسى (محمد على جناح) أكثر من مرة فى لند ن خلال المشاركته فى مؤتمر المائدة المستديرة الثالث فى السنة الماضية ولم يكن (محمد على جناح) مدعواً إلى المؤتمر الثالث هذا لأنه فى رأى الحكومة البريطانية لم يكن يملك يأثيراً يعتد به فى سياسة شبه القا رة كما أنه لم يكن يملك تمثيل حزب هام حينذاك (٢) ويقول السير(ظفر الله خان) فى كتابه (تحديث النعمة) بأنه كان قائماً بأعمال العضو فى مجلس نائب الإمبرا طور الهندى فى تلك الفترة وبصفته

تلك كان قد اقترح اشتراك (محمد على جناح) فى مؤتمر المائدة المستديرة الثالث ولكن وزير الهند البريطانى عارض هذا الاقتراح وكتب عن (محمد على جناح) معلقاً على موقفه مانصه.(٣):

"إنه ينقد كل شئى نقداً عنيفاً ولكنه لا يقدم حللاً ايجابياً لأى شئى من الأشياء وقد اختارالإقامة الدئمة فى لندن منذ مدة ولم تبق له صلة مباشرة شؤون الهند الآن"

وقد شرح إقبال الموقف خلال لقاء اته مع (محمد على جناح)وأقنعه بعودته إلى الهند من أجل تنظيم المسلمين السياسى من جديد وإعداد البرنامج السياسى للمستقبل كما أنه غيره من الزعماء المسلمين كانوا يلحون على(محمد على جناح) بين حين وآخر أن يعود إلى الهند وأخيراً اعتزم (محمد على جناح) العودة إلى الهند فوصل إلى(بومبائى) فى الأسبوع الأخير من ديسمبر١٩٣٣م انتخب رئيساً للرابطة الإسلامية الهندية فى ٤مارس ١٩٣٤م فعلى يديه تمت نهضة الرابطة الإسلامية وتنظيمها الجديد.

إن نفاق قادة المسلمين السياسيين ومؤامراتهم الداخلية وتمزق عامة المسلمين وإفتراقهم قد كان أحزن إقبال ونال منه كثيراً .إن محاولاته التى قام بها من أجل توحيد الأمة الإسلامية فى شبه القارة وتدعيمها وتنظيمها السياسى من أجل تحقيق الأهداف الإسلامية لم تكن قد أثمرت أو أفادت كثيراً.فإن عدد الأحزاب السياسية الإسلامية فى شبه القارة خلال تلك الفترة كان قد تجاوز عشرين حزبا سياسيا وكان موقف كل حزب سياسى إسلامى من بين هذه الأحزاب يعارض غيره من الأحزاب .أما لجنة الخلافة فكان أعضاؤ ها يخالف بعضهم الآخر فتفرقت إلى حزبين سياسيين مستقلين .أما جميعة العلماء الهندية فقد كانت تؤيد الكونجرس وتائيد هم إياه وقد انضم هذ الحزب السياسى أخيراً إلى الكونجرس أما مجلس الأحرار فى بنجاب فكان يتبع سياسة جمعية العلماء الهندية وقد نان الشعبية ولإعجاب فى إقليم بنجاب خلال حركة كشمير واضطراباتها ولكنه أتهم فيما بعد بإفساد العلاقات بين الشعية والسنة فى مدينة لكنؤ وكان (خان عبد الغفار خان)قد أنشأله حزبا سياسيا فى إقليم(سرحد) وسماه " خدائى خدمت كار" أو " حزب الخدام الربانيين " وهذا الحزب كان هو الآخر مثل مجلس وكان المسلمون الشيعة فى مدينة لكنؤ قد أنشأوا على إشارة من الكونجرس الهندى حزبا مستقلالهم سموه " المؤتمر السياسى الشيعى" وكان يطالب بنيابة مستقلة للمسلمين الشيعة فى البرلمان .أما (بلوجستان)فقد أنشئى فيها حزب محلى عرف بحزب

الوطن .أما كشمير فكان المسلمون فيها قد تمزقوا وتفرقوا إلى فئات وأحزاب سياسية كثيرة وكان من بيها المؤتمر الوطنى فى إمارة (جمون وكشمير) تحت قيادة (شيخ عبد الله) والذى اتخذ أخيراً موقف الكونجرس الهندى فأيده فى سياسته وكان العلامة (عنايت الله المشرقى) قد أنشأ حزباً فى بنجاب سما" خاكسار بارتى" أى" حزب المتواضعين" وكان يعتبر هذا الحزب منظمة شبه عسكرية وبا لإضافة إلى هذه الأحزاب السياسية الإسلامية فقد كانت توجد أحزاب وجماعات أشئت على الأسس المحلية أو التذهب الضيق ومنها" المؤتمر المؤمن " فى مدينة (كلكته)وحزب الشعب المسلم فى بنغال والذى أنشأه (المولوى فضل الحق) للدفاع عن حقوق الفلاحين المسلمين فى بنغال وعلى عكس هذا الحزب أنشأ السير(فضل حق) حزباً فى بنجاب للدفاع عن حقوق الإقطاعيين .وكان يسمى (يونيسنت بارتى) أو " الحزب الاتحادى". أما الأحزاب السياسية الإسلامية غيرها فهى لا تجد بالذكر بهذه المناسبة إلا أن هذا العدد من الأحزاب السياسية الإسلامية يد على الفوضى الفكر التى كانت تمر بها الزعامة السياسية الإسلامية فى تلك الفترة .فهذه هى الأوضاع التى جعلت الشعب المسلم ييئس من القادة السياسين المسلمين وقد أصاب إقبال فيما قاله فى كلمته الرياسية فى اجتماع المؤتمر الإسلامى المعقود بلاهور فى ٢١ مارس ١٩٣٢م (٤):

> "إن الذين يملكون القيادة السياسية الإسلامية اليوم والذين يقوودن المسلمين خلال هذا المعترك السياسى لا يزالون يمرون بالغوضى الفكرية فى أذهانهم وعقولهم رغم أن الشعب المسلم لا ينقصه شيئى من عواطف التضحية والتحمس للدين .إن الحوادث التى مرت بنا خلال السنوات الماضية العديدة تدل على أن القيادة السياسية الإسلامية لا تعتنق مبدأ يرضى به الجميع والنتيجة هى الخلافات بين الأحزاب السياسية والتعارض الشديد بين آراه القادة والزعماء المسلمين "

وقد تقدم إقبال باقتراحات فى كلمته هذه كانت تهدف طرح الحلول لهذه المشكلة فى المستقبل وكان على رأس هذه المقترحات وأهمها هو وجود منظمة سياسية إسلامية موحدة تكون لها فروع فى جميع الأقاليم والمحلافظات ومهما كان اسم هذه المنظمة فإن الشئى المهم هو أن يكون فى دستورها متسع يسمح يعضوية كل فرد معنما كانت ميوله أو مدرسته السياسية أو المذهبية ويستطيع كل عضو من أعضاء هذه المظمة مهما كانت ميوله أو مدرسته السياسية أو الفكرية أن تحتل منصب القيادة بحكم خدماته وجهوده فيتمكن من قيادة الشعب كما

يراه صواباًويخطط لا السياسية فى المستقبل كما يراه صحيحاً إلا أن إنشاء منظمة سياسية كهذه لم يكن فى مقدرة إقبال وإنما كانت الأقدار قد خصصت هذ ا الدور فى المستقبل القريب(لمحمد على جناح) الذى تمت على يديه نهضة الرابطة الإسلامية الهندية وتنظيمها الجديد.

ويتذكر المؤلف أن شهررمضان كان يأتى فى طفولته فى الشتاء وكذلك الإعياد وأننا كنا نحتفل فى بيتنا بشهر رمضان باهتمام بالغ وكانت السيدة (سردار بيكم) وصواحبها من النساء وجميع الخدم فى البيت يصومون الشهر بانتظام فيصلون ويتلون القرآن وكان المؤلف يرغب فى الاستيقاظ سحراً ليشاركهم فى طعام السحر ويتذكر الآن أنه أكل طعام السحر مع إقبال ايضاً مرة أو مرتين وكانت رؤية الهلال تأتى لتشرهم بالأفراح والنشاط البالغ فى البيت وكان المؤلف يرى الهلال ثم يأخذه وكانت رؤيت الهلال العيد ورغم أن المؤلف كان يتضايق بالاستحمام تضايقاً شديداً إلا أن السيدة(سردار بيكم) كانت تكرهة على الاستحمام بالماء الحار فى تلك الليلة فيسحم بكل رغبة واهتمام وكان يحتفظ بثيابه وحذائيه الجديدين تحت وسادته فكان يستيقظ فى الصباح الباكر فيلبس الملابس فيتقاضى هدية العيد من النقود .وكانت السيدة (سردار بيكم) تلح عليه أن يلبس سترة طويلة من الديباج كما أنه ذات الأزارر الفضية كما أنه كان يلبس قلنسوة موورة مزينة شرطة من الذهب كما أنه كان يربط ساعة ذهبية على ساعده وهى التى أهداها إليه (نادر شاه) ملك إفغانستان وكان المؤلف يخرج مع إقبال وقد تزين فيركب السيارة معه فيتجهون إلى المصلى للصلاة العيد فى مسجد لاهور الملكى فيدخل المسجد مع إقبال وقد أمسك يده فيقف بجانبه ويصلى وكان (على بخش) والشيخ(مختار أحمد)و (الشوذرى محمد حسين) يرافقون إقبال فإذا فرغوا الصلاة اتجهوا إلى منزل (ميان نظام الدين) فيقضون بعض الوقت مع أسرته ثم يعودون إلى المنزل وكان إقبال يقلد والده يوم العيد فيأكل الأسلاك وقد ألقى عليها الزبادى وكان زواره يغشون منزله طول النهار يوم العيد. أما المؤلف فكان يقضى يوم عيد الفطر فى ميدان بجانب ضريح الشيخ أبى المعالى إما يلعب أو يأكل أو يشرب أو يتفرج فى السوق وحين ياتى الليل تطلب إليه السيدة (سردار بيكم) أن يخلع الساعة الذهبية وسترة الديباج فتحتفظ بهما عندها وكان لابد للمؤلف أن ينتظر العيدالقادم حتى يلبسها مرة أخرى.

واحتفلنا بعيد الفطر فى ١٠يناير ١٩٣٤م فخرج إقبال ليصلى صلاة عيد

الفطر فى مسجد لاهور الملكى كالمعتاد فركب سيارته ومعه (الشوذرى محمد حسين)و (على بخش) والمؤلف وكان البرد شديدًا فى ذلك اليوم وكان الهواء البارد الشديد يهب مما زاد البرد شدة وكان إقبال قد لبس السروال والسترة الطويلة وعلى رأسه طربوش ولكن الجوارب كانت خفيفة دقيقة ورغم الجوارب أحس إقبال بالبرد وهو يمشى على فرش المسجد البارد وبعد أن رجع إلى منزله أكل الأسلاك مع الزبادى كالمعتاد فأسابه الزكام فى اليوم التالى فاستمر أقبال يعانى منه أسبوعين أو ثلاثة رغم أنه أخذ الأدوية المختلفة ثن أخذ سعال شديد فى ليلة من الليالى استمر ساعات فأخذ الدواء الذى شفاه من الزكام والسعال ولكن حلقومه تاثر بذلك شديداً فانخفص صوته فاستمر يتداوى بالطب الجيد والطب اليونانى كليهما إلا انه لم يستفق ولم يتخلص من المرض حتى أنه أصبح مرضاً دائماً ولم يفارقه حتى آخر أنفاسه ومن ثم لم يستطع إقبال بعد ذلك أنت يتحدث بالسهولة أو الصوت المرتفع وبذلك انتهت سلسلة الكلمات أو الخطب التى كان يلقيها إقبال فى الإجتماعات السياسية بين حين وآخر وأما مهنة الالمحاماة فقد أصابها ضرر شديد بمشاركة إقبال فى السياسية العملية وغيابه عن الهند مدة طويلة بسبب مؤتمرات المائدة المستديرة ورغم أنه كان يعتزم على أن يبنى مهنته من جديد ولكن هذه العوادى والأسقام قضت على إمكانيات التجديد قضاء نهائياً.الحكيم المكفوف الدهلوى المعروف فاستفاق الستفاقة كبيرة ثم أصيب بمرض النقرس فكانت النوبات من هذا المرض تعتربه بين حين وآخر فيظل يكابد منها العديد من الليالى فى ألم وقلق واضطراب وكان يقبل بطبيعته على المأكولات الحامضة وكان يعانى بسببها من فساد الحلقوم والألم فيه وكان يدخن التبغ مما سبب السعال حتى استحال هذا السعال بمرور الزمن إلى دار الربوأو عسر التنفس وكان يصاب بنوبات من السعال فيتركه مغشياً عليه. أما إحدى عينيه فكانت سقيمة معطلة منذ الطفولة .أما فى هذه المرحلة من عمره فإن عينه الثانية أصابها السد فاعتم عد ستها وأخيراً أصابه الضعف والوهن فى قلبه بسبب الضعف البدنى فأثر فو الدورة الدموية فى عروقه حتى أنه لم يكن يستطيع أن يقوم بعمل يحتاج إلى مشقة وعناء فإذا اشتغل بعلم ضاقت أنفاسه وكذلك فإن إقبالاً بطبيعته لم يكن يعتم كثيراً بالعلاج أو الدوا ء كما أنه كان يكره الأدوية المرة ويرفض أن يأكل شيئاً لا يعجبه كما أنه كان يعمل بشعوذة طبية يخبره بها بعض من كان يزروه أو يلتقى به وكان يعرض عن مراعاة المخطورات كما أنه كان يبدا علاجاً أو دواء ثم لا يلبث أن يتحول إلى دواء آخر ثم إلى ثالث.وكان يكره علاج الألوباثيا لأن أدوية هذه

الطريقة من العلاج لا تكون طيبة الطعم كما أن الأطبا لا يأخذون بعين الاعتبار طبيعة المريض وهم يقترحون العلاج إلا أن الحكيم المكفوف المعروف كتب إليه علاجاً لصوته المخففض أو مرض الحلق وهو أن يأكل فح العصفور أ و الأرنب فكتب إلى (سيد نذير نيازى) يقول له :(٦):

"أما فح الطير أو الأرنت فمما لم آكله أبداً مدى الحياة ومن المستحيل أن آكل فح الأرنب الآن .إن فح الأرنب أو العصفور يبدو صعباً على جداً فعليك أن تقول لحضرة الحكيم أن يقترح علاجاً آخر غير هذاالعلاج"

ثم تساءل (سيد نذير نيازى) هل يمكن للحكيم المكفوف الدهلوى أن يبتكرا كسيراً نافعاً للصوت على ما بلغه من الخبرة العميقة فى الطب لكى يستطيع أن يؤثر يأثيراً فورياً واضحاً أى هل بإمكان الحكيم المكفوف أن يستخرج عصارة فح الأرنب أو العصفور بطريقة كيماوية بشكل العرق أو ماء اللحم ويحدثنا(سيد نذير نيازى) عن ذلك قائلاً(٧)

"كان يريد (آى إقبال) إكسيراً لعلاج الصوت وألح على حضرة الحكيم المكفوف أن يتكر هذا الإكسير على أساس ما بلغه من الذوق العميق الخبرة الواسعة فى الطب وذلك لأن حضرة العلامة إقبال كان يرى بأن الحياة من أولها إلى آخرها ليست الإيجاداً و ابتكاراً فهى قوة مبدعة مبتكرة وينبغى لكل شخص أن يقود حياته على أساس ما يملكه من التذوق والخبرةالإبداع يمكن له الوصول به إلى أهدافه المنشودة وكان يرى أن إبداع هذا النوع من الإكسير ليس مستحيلاً وحين علم الحكيم برأى إقبال تبسم وقال: الله يرحم حضرة الدكتور ويشفيه أما نحن فال نرسل له دواءً إلا وهو إكسير فى رأينا أما فى هذه المرة فقد وقع شيئى من التغير فى الأدوية أما فح الأرنب فاننى لم أستطع أن أعمل بطريقة كيماوية"

وأما استخدامه للوصفات الطبية المجربة أو الشعوذات الطبية فلدينا أمثلة كثيرة من ذلك فمنها ماكتبه إلى (سيد نذير نيازى) فى ١٧ يوليو١٩٣٤م (٨):

"إن بعض الخبراء المجربين قد اقترحوا على استخدام العلق وتوجد أسرة قديمة من الجراحين فى لاهور ويقول هئولاء الجراحون بأنهم يعرفون لصوقاً خاصاً يوضع علة حلقوم من يعانى من هذا المرض فسألتهم عن أجزاء اللصوق فعلمت بأنه يضع من أربعة أقسام للصمغ ويقال أن هذا الصموغ تحرت البلغم وتقضى عليه ويعتقد الجراح بأن فساد الصوت هذا أو انخفاضه يرجع إلى الزكام ويدعى أن الصوت سيرجع إلى أصله بعد اصطعناع اللصوق أو المرهم ببضعة أيام وقد يمكن أن يتحسن الصوت فلانحتاج إلى وضع اللصوق أو أخذالدواء وجملة القول

فإن الجراح شديد التحمس فى ادعائه كما أن أهل المدينة من أصدقائنا المخلصين المتعاطفين قد أخذوا يكرهوننى على ذلك أما جوابى لهئولاء جميعاً فهو ما قلت لهم بأننى لن أصطنع شئياً إلا إذا أشار على حضرة الحكيم المكفوف الدهلوى"

ويحدثنا (سيد نذير نيازى) بأن الحكيم المكفوف لم يمنعه من وضع اللصوق أو المرهم ولكنه قد منعه منعاً باتاً من استخدام العلق ثم أضاف قائلاً: قل إقبال أن يطمئن على نفسه ولا يهتم كثيراً بالشعوذات الطبية التى يحكيها له الناس فوضع الجراح اللصوق على حلقه ولكن بدون أى فائدة أو جدوى من ورائه (٩).

ثم كتب رسالة فى ١٨ سبتمبر إلى (سيد نذير نيازى) فقال فيها(١٠):

"وقدزارنى رجل قد مر بتجربة هذا المرض فأعطاه طبيب تركى الحشيش ليدخنه مع التبغ وهو فى العراق وأشارعليه أن يشرب الشاى من ماركة " لبتن" ويضع فيه السكر البلدى وأن هذه الوصفة أفادته وبرئى خلال بضعة أيام وتحسن صوته وهو يدعى يأنه يراهن على نجاح علاجه فأرجوك أن تسأل حضرة الحكيم إذا كان استخدام الحشيش والسكر البلدى الشاى من ماركة " لبتن" استعاذ بالله وقال إنه لن يسمح له باستخدام ذلك.ثم أضاف قائلاً بأن حضرة الدكتور رجل ساذج بسيط بطبيعته حتى أنه يثق بكل شعوذة طبية."

وأما إعراضه عن مراعاة المحطورات فعليه أمثلة كثيرة لدينا فمنها ماكتبه فى رسالةبعث بها غلى (سيد نذير نيازى) فى ٢٣يونيو١٩٣٤م فقال فيها بأنه قد اتضح له بالتجربة أن الزبادى والخثارة تضر الحلق كما أن الفالوذج لا يترك تأثيراً مفيداً فى الحلق ولكنه كتب إليه ر سالة أخرى فى اليوم التالى فقال:(١١)

"أما استخدام الدواء خلال الأسبوع الثانى فإنه لم ينفع كثيراً ولم يضف إلى تحسين الصوت شيئاً كما أنه كان قد حسن الصوت خلال الأسبوع الأول وإنما الأحظ تقدماً معكوساً فى ذلك وقد يرجع ذلك إلى أحد الأسباب الثلاثة فيما أعتقد فإما لأننى أخذت الزبادى وشربت الخثارة أو أننى أكلت الفالوذج مع الثلج أو لم كنت ذكرته فى رسالتك السالفة بمضاعفة المقدار من الدواء فلعل الصوت قد تقدم تقدماً معكوساً بسبب مضاعفة مقدار الدواء "

وقد سافر(سيد نذير نيازى) من دلهى إلى لاهور فزار ء إقبالاً بعد ثلاثة أشهرمن مرضه أى فى ابريل ١٩٣٤م فوجده وهو يعانى من ذلك المرض فما أقلقه كثيراً وقد حال هذا المرض دون سفر إقبال إلى دلهى ليترأس مجالس المحاضرات التوسيعية التى ألقاها (بهجت وهبى) الزغيم التركى بالجامعة الملية إلا أنه اشار على

الجامعة الملية بانشأء مؤسسة الطبع والنشرتهم بطبع التى الكتب تعبر عن المجهودات العلمية الإسلامية فى العصر الحاضر وأفكاره الجديدة واتجاهاته الحديثة بالإضافة إلى إبراز الجوانب الثقافية المدنية والاجتماعية للإسلام لكى نتمكن من علاج ما ينتشر فى صفوفنا من التفرق والفواضى فى الأفكار والأعمال وفى نفس الوقت لا تكون هذه الممحاولات سبباً لاتارة النقاش الخاطئ بين الجديد والقديم(١٢).

وعلى ما حكى (سيد نذير نيازى) أنه٨ كان قد اطلع على أشعة "اكس" لصدر إقبال وكان الأطباء يرون على أساس ما جاء فى صورة أشعة " كس" بأن ورماً جديداً قد ظهر فوق القلب وبسبب ضغط هذا الورم قد تأثرت الإوتار الصوتية كما أن الأطباء يرون بأن علاج هذا المرض لا يمكن إلا بالراد يوم أو أشعة " اكس" وأن هذين النوعين من العلاج يمكن المعالجة بهما فى أوروبا فقط فعليه فيجب على إقبال أن يسافر إلى لندن أو إفى فينا (النمسا) لكى يتمكن من علاج هذا الورم المتزايد أو يتمكن من إذابته بالراد يوم أو أشعة " اكس" وكان الأطباء يرون بأن الورم المتزايد لو أهمل علاجه فانه سيصبح خطراً على حياة المريض وذلك لأن الورم قد يتزايد فيستوعب الرئتين ويضغط عليهما فذكر(سيد نذير نيازى) إقبالاً بالعلاج لوجع الكلية الذى كان يعانى منه فأخذ الدواء من الحكيم المكفوف فشفاه الله فلماذا لما يرجع إليه مرة أخرى ليعالج هذا المرض فقد كان إقبال شخصياً يميل بطبيعته إلى الطب الإسلامى القديم كما أنه كان على ثقة ويقين بأن المعالجة بالطريقة الألوباثية لا تفوق كثيراً طرق العلاج الأخرى كما يدعى أصحاب الطب الحديث ومن ثم أعجبه اقتراح (سيد نذير نيازى) فأخذ يتدواى لدى الحكيم المكفوف الذى طلب إقبالاً إلى دلهى فذهب إليها فى ١١يونيو ١٩٣٤م فاستمع الحكيم المكفوف إلى ما حكى له إقبال من مرضه بكل اهتمام و تعاطف ثم جس نبضه ثم اقترح لوصفة الطبية له فأحضرت الأدوية وأعطيت التعليمات اللازمة لتعاطيها ثم عاد إقبال إلى لاهور فى ١٢يونيو١٩٣٤ م (١٣).

إن الأدوية التى أخذها إقبال من الحكيم المكفوف أثرت تأثيراً بالغاً فاستفاق من مرضه خلال بضعة أشهر إلا أن الأوتار الصوتية ظلت كما كانت ون ناحية أخرى اشتد الاختلاف فى آراء الأطباء حول مرض إقبال حيث انهم وصلوا إلى النتيجة بعد ستة أو سبعة أشهر بأن فكرة الورم ليست صحيحة لأنها لو كانت

صحيحة لما تحسنت حاله بتلك السرعة بل كان يجب أن يكون الأمر بالعكس فصاروايرون الآن بأن مرض إقبال يرجع إلى التوسع فى حبل الوريد أو الورم الذى يرجع إلى المواد الدموية السمية أو إلى التنفس الشديد فكان ذلك المرض يلحق المصارعين والمضعنين عادة إذن فالمرض لم يكن خطيراً إلا أن عودة الأوتار الصوتية إلى الحالة العادية لم تكن سهلة إن لم تكن مستحلية فلم يبق العلاج عند الأطباء الاكتفار ء بمقدار الأوتار الصوتية الموجودة ومنع التوسع فى حبل الوريد بالأدوية المؤثر المفيدة (١٤).

وفى أثناء ذلك تلقى إقبال دعوة من قبل مسلمى افريقيا الجنوابية ليزور بلادهم كما أن بعض المعجبين به أرادوه أن يكون بينهم فى ألمانيا وكان الأتراك يتمنون أن يزور إقبال بلادهم إلا أن إقبالاً لم يستطع أن يسافر إلى الخارج وحال المرض دونه (١٠)وقد جرى المفاوضات بوساطة (سيد نذيرنيازى) بين إقبال وبين الجامعة الملية بمدينة دلهى حول طبع محاضرات إقبال الإنجليزية وترجمتها الأدوية التى قام بها(سيدنذير نيازى) بالإضافة إلى الطبع ديوانية"مثنوية المسافر" (بالفارسية) " وبال جبريل" أو جناح جبريل بالأدوية إلا أن هذه المفاوضات لم تصل إلى نتجية عملية.

إن فساد الأوتار الصوتية قد كانت صدمة نفسية لإقبال فكان يتمنى التخلص من هذ ا المرض بالسرعة ممكنة لكى يتمكن من الإهتمام بأشغاله وأعماله كالمعتاد إلا أن كان قد يئس من العلاج الذى قام به الأطباء والحكماء والجراحون ولعل ذلك قد جعله يلجاء إلى الشعوذات الطبية الشعبية المجربة أو أخذ ينتظر ظهور المعجزة وكان قد قل هتمامه بالسياسة الوطنية بسبب هذاالمرض ولكنه لم يعرض عن السياسة الإسلامية إعراضاً كاملاً فإن تصريحاته الصحفية التى كان يصدرها بين حين وآخر عن المشاكل القومية الهامة كانت تنشر فى الجرائد وخاصة فى جريدة" انقلاب" اللاهورية فعلى سبيل المثال كانت الاضطرابات الإسلامية مستمرة فى كشمير وكانت شرطتها تضطهد المتظاهرين السياسيين المسلمين وتعاقبهم بضرب الأسواط أو بإطلاق النهار عليهم مما جعل إقبالاً يرسل برقية إلى نائب المبراطور الهندى فى ٢٢فبرائر ١٩٣٤م كما أنه بعث رسالة برقية إلى جمعية الأمم فى ٢٣مارس ١٩٣٤م واحتج فيها على هذه العقوبات الوحشية ضد الأبرياء الكشمير يين المسلمين وقد نشرت هذه الرسالة البرقية فى جريدة " تائمز" اللندنية (١٦).

وفى ٢٤مايو ١٩٣٤م أصدر إقبال بياناً صحفياً عن القرار الطائلفى المعروف

الذى صدر عن قضية الفرق والخلافات بينها وهو يتحدث إلى مراسل " ايشوسى ايتد بريس" فقال: إنه يجب على الكونجرس الهندبأن لا يعارض هذا القرار الطائلفى وإنما يحجب على الزعماء الهنادكة والمسلمين جميعاً أن يكثفوا جهودهم للوصول إلى اتفاقية مشتركة وخلال هذه الباندیت (جواهر لال نهرو) من أنصار الاشتراكية إلا أن هذا الحزب الاشتراكى لاقى هزيمة نكراء فى مدينة " بتنة" وكان إقبال يعتقد بأن الزعماء اللبراليين الهنادكة فى الحزب الاشتراكى قد يميلون بسهولة إلى التفاهم مع الزعماء المسلمين فأصدر بياناً صحفياً فقال وهو يتعاطف مع آراء هؤلاء الزعماء اللبراليين (١٧):

"قد ظهرت عواطف شعبية ضد الأثرياء والرأسما لينن فى بلادنا فقد بدأ عامة الشعب يحسون بأن هذه الطبقة هى التى تخون الشعب دائماً فى المراحل الخطيرة من تاريخ نضاله . إن الحكومات التى كانت تعبد الرأسمالية فى الغابر من الزمن قد أخذت تعيش على رحمة العمال والفلاحين وكرمهم.ونرى لهيب الاضطراب يضطرم فى أقاسى البلاد وأدا نيها ولا يستطيع أحد أن يتنبأ عن مصير هذه الشرارة الكامنة التى قد تستحيل إلى نيزان مشتغلة خطيرة تأتى على نظم العالم الحاضر كلها وما دامت تيارات المساواة قد عمت العالم كله فأنى للهند هذه أن تسلم من تأثيرها فإن فقراء هذه البلاد قد أخذوا يستيقظون الآن ون انتشار الأفكار الاشتراكية لا يرجع إلى الدعاية الروسية وحدها وإنما ظهرت أسباب أخرى قد تحتم تغير الظروف الاقتصادية الراهنة فى البلاد. إن الحزب الاشتراكى وإن كان قد فشل فى مدينة " بتنة" ولكن المستقبل أمامه رغم أن هذا المستقبل يتوقف على انفصال هذا الحزب من الكونجرس الهندى-"

واجتمع الكونجرس الهندى فيما بعد فأعلن سياسته حول القرار الطائلفى فقال بأنه لايوافق على هذا القرار كما لا يرفضه فى نفس الوقت وذلك مما جعل إقبالاً يعلق على سياسة الكونجرس هذه ويصدربياناً صحفياً ١٩يونيو ١٩٣٤م ويوضح فيه قائلاً بأن الكونجرس قد أعطى الانطباع بأن أهل الهند يختلفون فى آرائهم ومواقفهم نحو القرار الطائلفى وقد أعلن بأنه لا يوافق عليه كما لا يرفضه .رغم أن هذا القرار الطائلفى ليس إلا حكما قدأصدره رئيس وزارء بريطانيا على إشارة من هؤلاء الذين قد أخذوا يعارضونه اليوم ثم أشارإقبال على المسلمين بأن القرار الطائلفى وإن كان يلايحقق جميع ما يطالب به المسلمون ولكن من مصلحتهم أن يوافقوا عليه فهو الطريق الوحيد أمامهم نظراً إلى الظروف الراهنة والمتطلبات العملية الحاضرة(٨١):

وسافر إقبال فى مساء ٢٩ يونيو١٩٣٤م إلى مدينة (سرهند) حيث زار ضريح الشيخ (أحمد) مجدد الألف الثانى رحمه الله ثم عاد إلى لاهور فى ٣٠يونيو١٩٣٤م وقد رافقه فى سفره هذا(الشوذرى محمد حسين) والحكيم(طاهر الدين) و(على بخش) والمؤلف وكان صديق إقبال القديم السيد (غلام بهيك نيرنك) قد سافر من مدينة " انبالا " فوصل إلى (سرهند) ليجتمع مع صديقه إقبا ل على الضريح ويتذكر المؤلف جيداً بأنه قد دخل الضريح وقد أمسك إصبع إقبال وأنه شعر بشئى من الجلال الهيبة مماكان يحيط بقبة الضريح المظلة من حشمة ووقار فجلس إقبال على الأرض بجانب الضريح وأجلس المؤلف بجانبه ثن أخذ جزءًا من القرآن الكريم فظل يتلوه للحظات ولم يكن أحد يوجد هناك فى ذلك الوقت فسمع المؤلف صدى الصوت إقبال المتقطع فى الجوالساكت المظلم من القبة فرأى الدموع قد انحدرت من عينيه على خديه.

وكان من بين الأسباب التى جعلت إقبالاً ليسافر إلى ضريح الشيخ أحمد هو أنه كان قد نذر عند مولد المؤلف أن يحضرمعه على ضريح الشيخ وأماالسبب الثانى فقد ذكره إقبال نفسه فى رسالته بعث بها إلى(سيد نذير نيازى)فى ٢٩يونيو١٩٣٤م فقال فيها (١٩).

"قبل بضعة أيام فى الصباح نمت بعد صلاة الفجر فسمعت منادياً ينادينى فيما يرى النائم قائلاً: إن الرؤيا التى رأيناهاعنك وعن شكيب أرسلان (الزعيم السورى المعروف من دعاة النهضة الإسلامية ووحدة العالم الإسلامى) قد بعثنا بها إلى (سرهند) وإننا لعلى ثقة ويقين بأن الله عزوجل سوف ينعم عليك إلغاماً كبيراً! إلا أننلم أعرف المنادى أو الداعى إلى ذلك ولكننى أرى من اللازم أن أزور الضريح على أساس هذه الرؤيا "

وقد أعجب إقبال بأرض (سرهند) وجوها فاستحسنها وذكر ذلك فى بعض رسائله إلى (سيد نذير نيازى) قائلاً(٢٠):

"إنه مقام جميل رائع الجوحسن المناخ للغاية وسأوروه مرة أخرى إن شاء الله إن الضريح قد أثر فى نفسى كثيراً .إنه مكان طيب للغاية ,مياهة باردة عذبة و إن آثار المدينة القديمة قد ذكرتنى بمدينة فسطاط القديمة فى مصر تلك التى بناها سيدنا عمروبن العاص رضى الله عنه وإنه لوجرى حفر الآثار القديمة لمدينة (سرهند) لأمكن ا كتشاف أثار المدنية والثقافة فى تلك الآونة إن هذه المدينة كانت عامرة فى عهد الملك (فرخ سير) وكان عدد سكانها فى ذلك الوقت هو ضعف عدد سكان لاهور اليوم "

وكذلك فإن نيب المسلمين أو توظيفهم فى المناصب الوظائف الحكومية قد كانت إحدى المشاكل الحيوية المهمة جداًومن ثم رأى إقبال من اللازم أن يرى رأيه فى المشكلة هذه وفى سنة ١٩٢٥م كانت الحكومة الانجليزية قد خصصت عدداً من الوظائف والمناصب الحكومية للتوازن بين الفرق والطوائف الدينية المختلفة وذلك مماكان الالمسملون يطالبون به إلا أن هذه السياسة الحكومية لم تكن مفيدة فعالة ولم يزل عدم التوازن بين الفرق فى المناصب الحكومية كما كان من قبل وفى سنة ١٩٣٤م قررت الحكومية المركزية الانجليزية أن تخصص خمسة وعشرين فى المأئة من المناصب التى كانت تشغل مباشرة للمسلمين كما قررت الحكومة ن نسبة المسلمين إذا كانت قليلة فى المناصب الحكومية التى كانت تشغل بامتحان المنافسة المفتوحة المباشرة فيجب ترشيح المسلمين مباشرة حتى يتم تدارك هذه القلة وقد علق إقبال على هذا القرار الحكومى فى بيان صحفى أصدره فى ٧يوليو ١٩٣٤م مع الحاج (رحيم بخش) الأمين العالم للمؤتمر الإسلامى فطالب أن تكون نبسة المسلمين ثلاثة وثلاثين فى المأئة بدل خسمة وعشرين فى المأئة وذلك لأن نسبة المقاعد النيابية للمسلمين فى المجلس المركزى نسبتها ٣٣ فى المأئة وإذا أردنا التعويض عما فات فيجب أن تكون هذه النسبة من المناصب المخصصة للمسلمين اكثر من ذلك ثم أصدر بياناً آخرفى ٩يوليو١٩٣٤م طالب فيه الحكومات الإقليمية أن تاتبنى ما قررته.